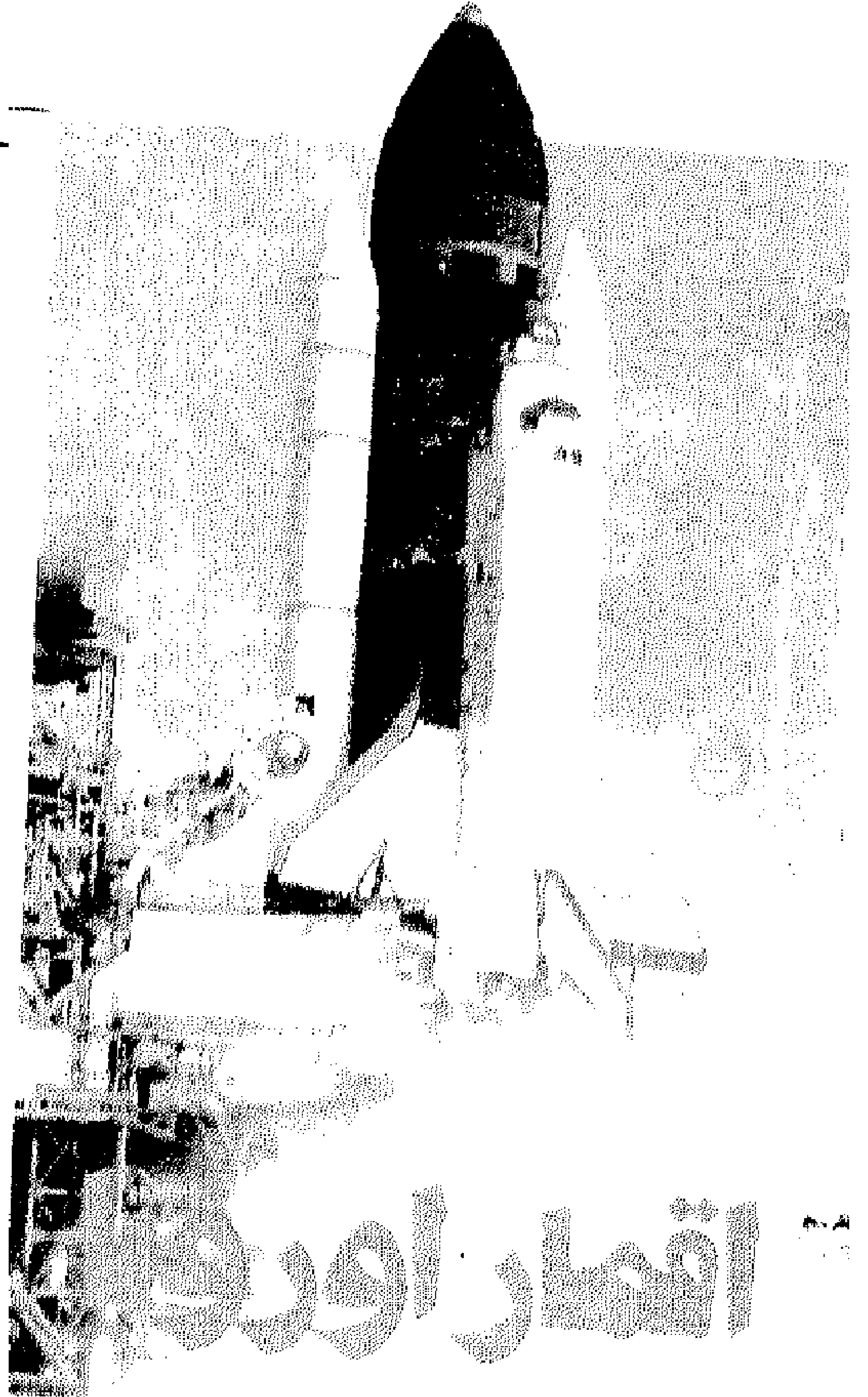
يوليو (تموز) ١٩٨٦، ذو القعدة ١٤٠٦

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest July 86 N° 92



(ص ١٦)

كثرة الفيتامينات تضر بالجسم!

(ص ١١)

جريمة في القصر

(ص ٥٩)

اكثر من مئة مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٠ بلداً بـ١٥ لغة



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠
التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE.
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630
P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

July 86 N° 92 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

ن ١٠ل – سورية ١٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف
ودية ١٠ر – مصر ١ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٤ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب
ن ٦٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٥


خدمة على نطاق





اذا سمعت شخير صديقنا القنفذ فلا توقظه،
انه لا يحب المزعجين

القنفُـــذ
قلعَـــة من شوك

انها ليلة جميلة من ليالي الصيف. رفع صديقنا القنفذ خطمه نحو البدر وحبا الى قارعة الطريق. وكان أديم الطريق لا يزال محتفظاً بحرارة النهار، فاستشعره القنفذ كبساط دافىء تحت بطنه.

فجأة جمد الحيوان في مكانه، فقد تناهى الى سمعه هدير بعيد يتعالى كلما اقترب. انها احدى تلك الحشرات الضخمة ذات العينين المتوهجتين. لا بأس، فصديقنا القنفذ يعرف كيف يدرأ خطر الاعداء. ما عليه سوى أن يتكوم على نفسه كالكرة ويشرع أشواكه، فهي السلاح الذي يقيه اي خطر.

لكن العدو هذه المرة كان أقوى مما

Condensed from Ça m'intéresse (May 1983), © 1983 by Ça m'intéresse, Paris

توقع. فأي دفاع لدى صديقنا القنفذ يقوى على صد عجلات السيارة الساحقة الرهيبة؟ وفي ثوان بات واحداً من القنافذ التي تقتلها السيارات على طرق فرنسا سنوياً والتي يبلغ عددها ٥٠٠ الف.

وعلى رغم هذه الخسارة لا تزال القنافذ من أوفر الحيوانات الثديية عدداً في العالم. انها تستوطن جميع انحاء اوراسيا (أوروبا وآسيا) وجزر البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى والقفقاس. وهي تعيش أساساً في حقول تحوطها سياجات كثيفة من النبات كما تعيش في الغياض والحدائق. وهناك قنافذ في الحدائق العامة في المدن حيث تتعايش مع جيرانها من البشر. وتفتن هذه الحيوانات الاولاد الصغار بمنظرها الكث ومشيتها الزاحفة وكأنها من الدمى الميكانيكية المتحركة.

ونادراً ما يتجاوز طول القنفذ ٣٠ سنتيمتراً، وهو ذو قوائم مدببة وجسم بلا عنق وخطم مخروطي ينتهي بأنف رطب وعينين كالخرز وأذنين منبسطتين الى الوراء وذيل دقيق معقوف. واذا لمسته فعليك ان تتوقع وخز أشواكه. وعندما يرفع هذه الاشواك التي تغطي جسمه فانه في الواقع يشرع الوف الخناجر التي يراوح طولها بين سنتيمترين وثلاثة سنتيمترات ويبلغ مجموعها نحو ١٦ الفاً مغروزة في جلد ظهره السميك. هذه الاشواك، وهي من نوع الشعر في الحقيقة، تخدم القنفذ كدرع واقية وكسلاح في آن.

ولدى أقل انذار بالخطر يتقلص عضل قوي في جلد القنفذ، فتنتصب الاشواك في كل اتجاه فوق جبهته وظهره وجنبيه، ثم يلتف على نفسه جاذباً رأسه وقوائمه تحت جسمه. وأخيراً يتقلص جلده حتى تلتقي الاشواك الامامية الاشواك الخلفية، وهكذا يتكوّم كالكرة حتى يشبه مشك الابر.

بلوغ سريع – يعيش القنفذ مختلياً بنفسه في أكثف أجمة يجدها من الاغصان الملتفة. ويغطي ارض جحره بأوراق الشجر والقش والتبن. وهو يحفر احياناً انفاقاً غير عميقة في الارض، او يغتصب جحراً حفرته أرنبة ليضع فيه جراءه او يخلد الى سباته. انه يطارد المتطفلين على حماه ضمن دائرة يراوح شعاعها بين ٢٠٠ و٣٠٠ متر حول الجحر. وتفضل الذكور أن يتجنب بعضها بعضاً، لكنها حين تخوض صراعاً فقد تواصل القتال حتى الموت.

ويحين فصل النزو بين ابريل (نيسان) وأواخر أغسطس (آب). ويسبق السفاد نوع من حركات المغازلة المديدة الرائعة يدور خلالها كل من الزوجين العتيدين حول الآخر. ورويداً تقع الأنثى في حبائل الذكر، فتبقي خطمها مصوباً اليه بينما هو يصفر وينخر ويبصق ويقفز حولها. وتكون المغازلة عنيفة حتى ليخيّل الى المشاهد أن الحيوانين ذكران يقتتلان. بيد ان الوصال الذي يتوج هذا الغزل يتم في هدوء حذر.

وتدوم فترة الحمل بين خمسة أشهر وستة. أما الولادة، التي تتم مرة أو مرتين في السنة بين أواسط مايو (أيار) وأوائل سبتمبر (أيلول)، فتنتج ما بين جروين وتسعة جراء.

(التتمة في الصفحة ٨)

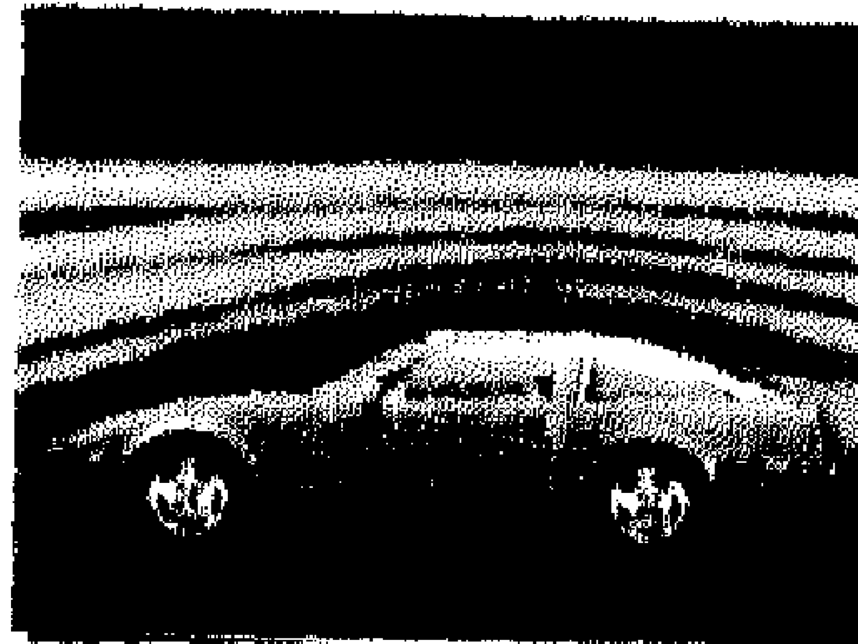
آفـــاق ن

الذوق الفني

ان اختيار سيارة بسبب مظهرها الرائع هو احد الاسباب الوجيهة. الا ان الجمال وحده لا يكفي.

لذا فقد صممّنا نيسان ٣٠٠ زد اكس لا لتكون جميلة فحسب بل لتكون عملية ايضا.

فالخطوط الرشيقة والانيقة لجسم السيارة مع انحناء المقدمة نحو الاسفل وميلان الزجاج الامامي، اضافة الى سلاسة الشكل الخارجي، لم تأت فقط لاسباب جمالية بحتة، بل لتتناسب مع مجمل التصميم الأيروديناميكي.



نيسان ٣٠٠ زد اكس اقل السيارات درجة في إعاقة الحركة حتى الآن — ٣١ر٠

فبمقدار الكفاءة الأيروديناميكية للسيارة تكون جودة الاداء ويكون الاقتصاد في الوقود.

ان سيارة نيسان ٣٠٠ زد اكس نتاج رائع لتزاوج مثالي بين الشكل والوظيفة، بين الفن الرفيع والاداء العملي، بين الحس والادراك.

فلا عجب إذن ان تكون هي الاختيار الامثل لمن يفضلون القيادة باداء رائع ومظهر رائع.

ومثل ملايين السائقين في جميع انحاء العالم اجعل نيسان إختيارك الامثل. ففي كل سيارة من نيسان يمكنك ايجاد مزايا غير مرئية لكنها حقيقية وتنفرد بها عن الاخرين، إنها آفاق نيسان.

الجودة فـــي حركتهـــا



نيسان



قنفذ متكوم. PITCH / CORDIER

وتولد القنافذ عمياء صماء عارية ضعيفة، وعلى ظهورها شعيرات قليلة بيضاء لينة. وبعد يومين تبرز الشعيرات الأقسى والأدكن لوناً. وتتساقط الشعيرات البيضاء عند الفطام حين تبلغ الجراء الأسبوع الرابع او الخامس من عمرها لكي تفسح في المجال للفرو النهائي الشائك.

وفي اليوم الحادي عشر تصبح الجراء قادرة على التكوّم في شكل كرة. وبعد ثلاثة أسابيع تبدأ الخطو خارج جحرها بحثاً عن الطعام، فتسير في صف منتظم وراء أمها. واذا فقدت الأم جراءها تأخذ هذه في الصفير والصئيّ داعية أمها.

ولدى بلوغ الجراء الشهر الثاني، وتكون لا تزال غضة الاهاب، ترغم على مغادرة الجحر لتتدبر أمورها بنفسها. وتدرك الجراء البلوغ بسرعة. وعند ولادتها يراوح وزنها بين ١٠ غرامات و٤٠ غراماً، لكنها تبلغ وزنها المتكامل اي نحو كيلوغرام واحد بعد ١٠٠ يوم فقط. وعندما تكمل عامها الاول تصبح قادرة على التناسل. اما متوسط عمرها فهو عقد واحد.

البرد القاتل – يقضي القنفذ معظم وقته نائماً تحت سياج حقل أو بين الاعشاب الكثيفة في غابة او داخل جحره. لكنه قد يفاجىء المتنزهين بصوته الذي ينبعث ملحاحاً من داخل أجمة. فهو حيوان مفطور على الغطيط، واذا أزعج في نومه فقد يصرف بأنيابه غيظاً.

والقنفذ في الواقع حيوان صاخب. وحين ينطلق في الأجمات يسمع تقصّف الأغصان تحت قوائمه، وله أصوات أخرى خافتة كالشخير والدمدمة والغطيط التي يتوقع المرء سماعها من رجل هرم متألم. وفي حال الألم او الخوف يصدر زمجرة مثيرة. وعندما يأكل يلتهم طعامه بشراهة.

القنفذ حيوان ليلي يبدأ بحثه عن الطعام مع الغسق. وعلى رغم انه يفضل التهام الخنافس والديدان، فقد يأكل اليساريع والحلازين والضفادع والسحالي وفئران الحقل والجيف والبزور وثمار العلّيق والتفاح والخوخ والفطر.

والقنفذ ضعيف البصر، لكن حاسة الشم لديه متطورة جداً. وحين يشق طريقه بين النباتات الملتفة فانه يقتفي

الرائحة التي يشمها، ولذا يدأب على تشمم اوراق الشجر الجافة وهو ينخر بصوت عال ويتحرى روث البقر والاغصان اليابسة علها تخفي تحتها طعامه المفضل. وقد أثبت المراقبون انه يستطيع شم رائحة الانسان على بعد عشر خطوات عكس اتجاه الريح.

وبفضل حاستي الشم والسمع القويتين يستخدم القنفذ الاصوات والروائح كمعالم للاسترشاد في طريقه. وفي وسع هذا الحيوان ان يعبر بسرعة وسهولة غرفة مظلمة من دون ان يصطدم بقطعة أثاث. بيد انه يرتجف هلعاً لدى سماعه أخفت صرير يصدر عن كرسي. والى ذلك فهو متسلق بارع ويستطيع تسلق جدار حجري حول حديقة. وعندما يبلغ القمة يلقي بنفسه الى الارض في الجهة الاخرى معتمداً على اشواكه المنتصبة لامتصاص عنف الصدمة.

وفي اواسط اكتوبر (تشرين الاول) يدركه الاسترخاء فيتكوم ويشرع أشواكه ويخلد الى السبات الطويل تحت طبقة من اوراق الشجر والاغصان والجذور حتى الربيع. وتهبط حرارة جسمه الى ٦ درجات مئوية ولا يوقظه من سباته سوى موجة من البرد القارس، وحينئذ يفيق لفترة قصيرة. هذه الظاهرة هي جهازه الدفاعي ضد التجمّد، فيهب من نومه ويسير متجولا ليبعث الدفء في جسده ثم يعود الى السبات. واذا طال أمد الصقيع فقد ينهك الحيوان نفسه، وفي نهاية فصول شتاء قاسية كثيراً ما يعثر على قنافذ نافقة في جحورها.

لقد أصبحت هذه الحيوانات معرّضة للخطر مع زوال السياجات النباتية الكثيفة حول الحقول، كما أخذت مبيدات الحشرات تهددها لأنها تلوّث طعامها. لكن القنافذ التي تبقى حية حتى الربيع التالي يتعين عليها - وأأسفاه - ان تتكوّم على نفسها في مناسبات كثيرة وأن تشرع أشواكها دفاعاً عن النفس.

جان بول جيبيا ■



"المحل مفتوح"

كان رجلان يبحثان عن قطع أثرية في حوانيت مغمورة. ورأيا حانوتاً صغيراً رفعت على بابه لوحات كتب عليها: "الحانوت مفتوح." لكن المحل كان مظلماً. وفيما هما واقفان تقدم منهما رجل عجوز جاء من بيت قريب وسألهما هل يريدان شراء شيء. فسأله الرجلان بدورهما: "هل محلك مفتوح؟"

– أجل، ثمة ثلاث لوحات تقول ان المحل مفتوح.

"لكننا نرى الانوار مطفأة."

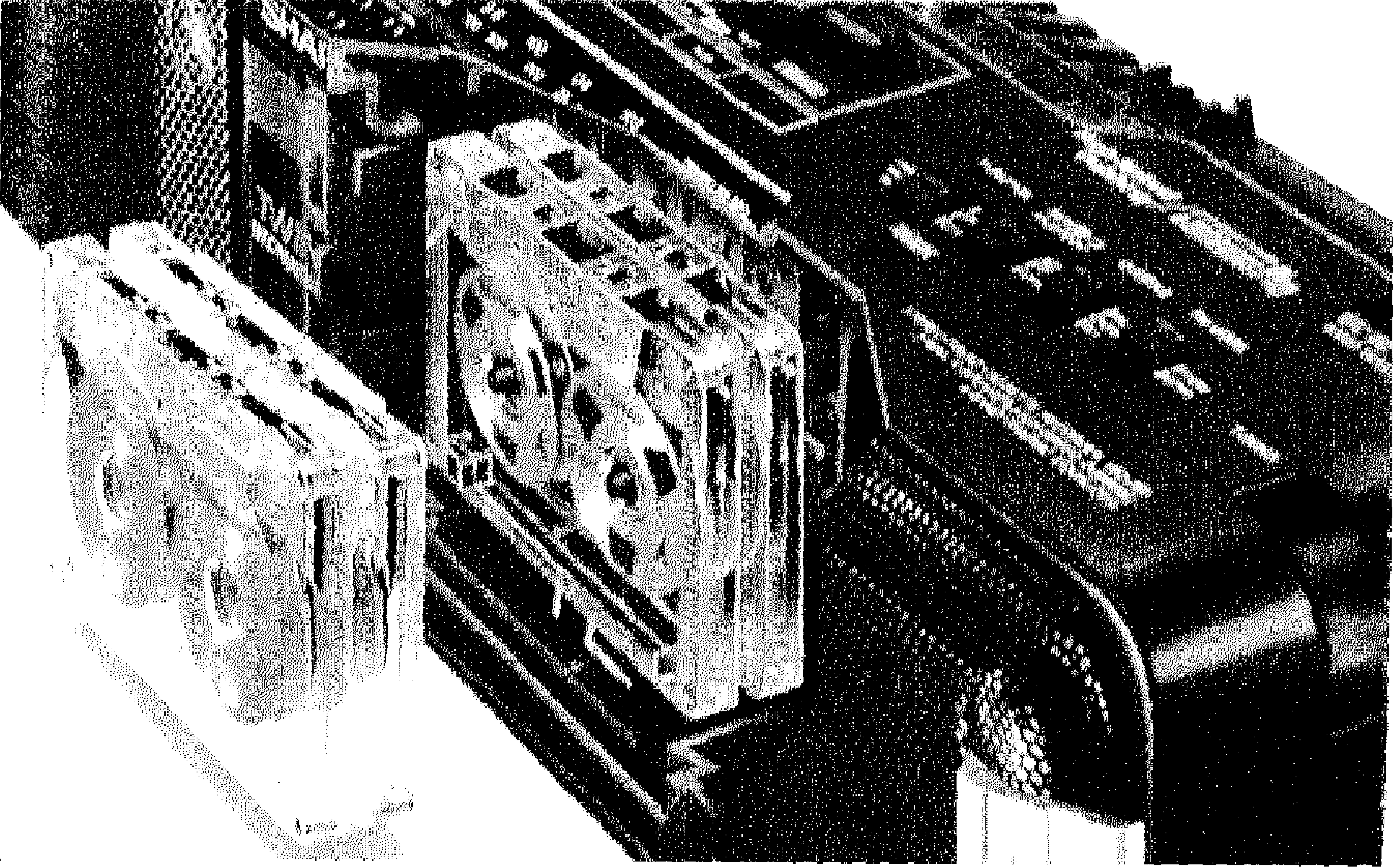
– يا صاحبَي، يتعين علي أن أدفع لشركة الكهرباء ثمن ما استهلكه من نور سواء أجئتما أم لا. فهل تتوقعان مني أن أنتظر هنا طوال النهار والانوار مضاءة؟"

وأعجب الرجلان بروحه المرحة وقضيا ساعة في محله يعرضان ما لديه من تحف.

ج.ل.

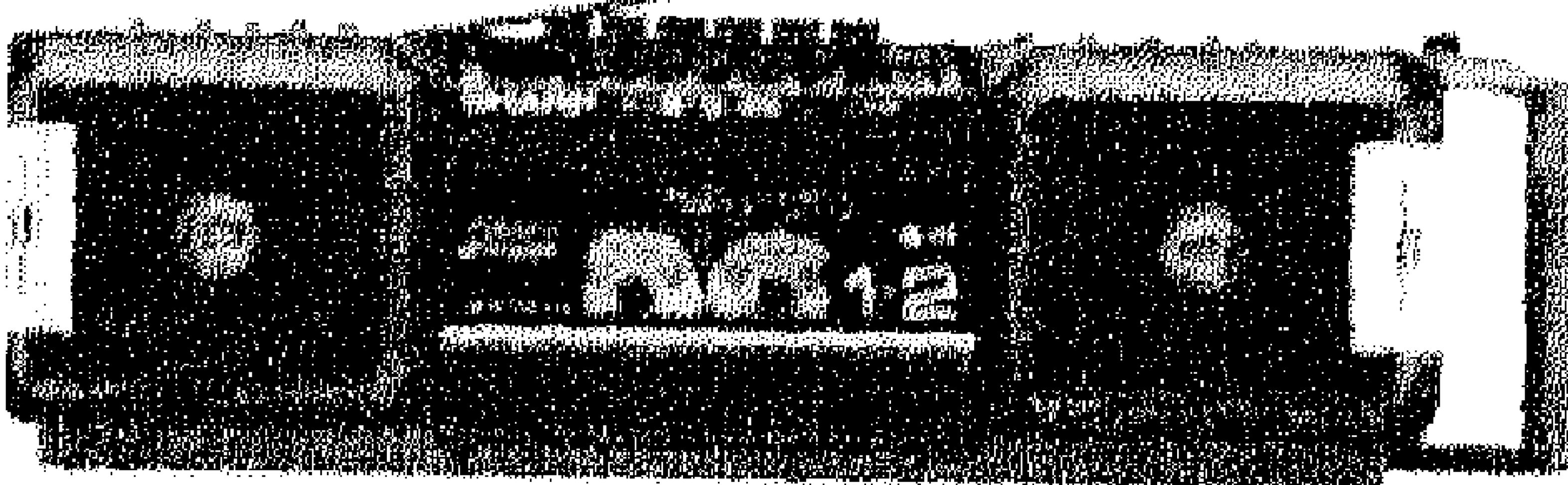
كان لنا حلم

كنا نحلم بابتكار مسجل كاسيت مزدوج أصغر حجماً وأفضل أداءً
وبتقنية جديدة تماماً ...



تتميز تقنية شارب للكاسيت المزدوج، خلافاً للمسجلات الأخرى ذات نظام الكاسيت المزدوج، بوضع الشريطين في الجهاز بشكل متوازٍ ظهراً إلى ظهر، بحيث يتم تشغيلهما بموتور واحد ورأس واحد وفي وقت واحد، مما يلغي الدوران غير المنتظم للشريط والفارق في سرعة طبع الصوت بين الشريط الاصلي والمسجل والنتيجة دبلجة صوتية اكثر دقة.
كما تحصلون أيضاً على جودة صوتية أعلى في شكل أصغر حجماً، لأن تصميم تقنية الكاسيت المزدوج شغل إطاراً أقصر وأكثر كثافة وبالتالي تسمح بأداء لمكبرات الصوت أكثر عمقاً وبمنطقة أكثر فوقاً، مكبرات صوت بدون أطراف تتمتع بقوة خارجة ١٠ واط (PMPO). يعتبر هذا التصميم الجديد من شارب بعدد أقل من أزرار التشغيل وبسهولة العمل، WQ-T281Z فكرة جديدة تماماً سيكون لها مستوى رائع.

فليكن حلمك



WQ-T281Z

مسجل راديوكاسيت ستيريو

- طاقة عالية (١٠ واط PMPO)
- نقطة توصيل لجهاز الاسطوانات المصغرة
- نبرة مغناطيسية عالية (٥٠٠، ١٠٠ غرام) تكبر صوت بدون أطراف من الورق الطبي بجماع الكربون المضغوط
- سماعات خطية ذو ٤ درجات صوتية
- نظام دبلجة ذات سرعة عالية
- استرجاع مستمر ... (الشريط ١ والشريط ٢).

شارب
SHARP

شركة شارب، اليابان

المختار
من ريدرز دايجست
يوليو (تموز) ١٩٨٦ السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

كثرة الفيتامينات تضرّ بالجسْم

هل انت في حاجة الى فيتامينات اضافية؟ اليك هذه المعلومات التي تساعدك في اتخاذ قرارك

في العام ١٩١١ أطلق العالم بالكيمياء الحيوية كاسيمير فانك، حين كان في معهد لستر ببريطانيا، اسم "فيتامين" على المادة التي اكتشفها في كبد الحيوان واعتقد أنها تحمي الحمام من الاصابة بداء "البري بري" أو الرزام. وقد تبيّن لاحقاً أن هذه المادة الفاعلة ضد البري بري ليست سوى الثيا... أو

الفيتامين "ب - ١" وهو أول نوع اكتشف من الفيتامينات التي يبلغ عددها ثلاثة عشر وكان آخرها الفيتامين "ب - ١٢" الذي اكتشف عام ١٩٤٨.

اننا نتناول يومياً في غذاء كامل متوازن ما يعادل ثمن ملعقة صغيرة من هذه المغذّيات الضرورية، وهذا نظرياً، هو ما نحتاج اليه. إنما هل في امكاننا أن



نزيد طاقتنا أو نطيل أعمارنا أو نتفادى الامراض بتناول أغذية غنية بالفيتامين أو بتناول فيتامينات ومقوّيات معدنية مكمّلة؟ هذه لا تزال احدى المفارقات الطبية التي يدور حولها جدل حامٍ.

فمن ناحية، نجد أطباء وعلماء تغذية يرون ان في الغذاء العادي الكامل من الفيتامينات ما يفي بحاجة معظم الناس. ويقول هنري كامن وهو عالم بارز بالكيمياء الحيوية في جامعة ديوك في دورهام بكارولينا الشمالية وصاحب آراء ملتزمة في شؤون التغذية: "تناول زيادة من الفيتامينات فقط عندما تشعر انك في حاجة حقيقية اليها." فالجسم يفرز الكثير من الفيتامينات والمعادن التي تفيض على حاجته، وهكذا فان مليارات الدولارات التي تُنفَق ثمناً لهذه الزيادات تذهب اهداراً.

هناك مهووسون يأخذون زيادات كبيرة جداً من الفيتامينات ظناً منهم أنها تدفع الجسم الى امتصاص كمية أكبر من هذه المقوّيات فتزداد منفعتهم. لكن النتيجة غالباً ما تكون التسمم بالفيتامين. لذا يقول الدكتور جاك كوبرمان من كلية الطب في نيويورك: "الفيتامينات قادرة فعلا على القتل."

وقد عمدت احدى الامهات الى اعطاء طفلتها ذات الثلاثة الاعوام حبوباً من الفيتامين "أ" بكميات تزيد مئة مرة على حاجتها اليومية من دون استشارة طبيب، وذلك بهدف وقايتها من الزكام في الشتاء. فكانت النتيجة ان أخذت الطفلة تعاني الحكاك وجفاف ماء الجسم ورجفاناً شديداً وارتفاعاً في معدل الكلسيوم الى حد ان قلبها كاد أن يتوقف عن النبض. فأدخلت المستشفى حيث أثبت الاطباء أن جميع الاعراض التي اصابتها مردّها الى الافراط في تناول الفيتامين "أ".

وبما أن الفيتامينات "أ" (A) و "د" (D) و "هـ" (E) و "ك" (K) سهلة الذوبان في المواد الدهنية فانها لا تُفرز سريعاً مع البول مثل الفيتامينين "ج" (C) و"ب" (B) القابلين للذوبان في الماء، بل تُختزن في الجسم بمقادير كبيرة وتصبح مواد ضارة قد تسبّب التسمّم.

حتى الفيتامينات التي تذوب في الماء لا تعتبر آمنة كلياً حين تؤخذ بكميات كبيرة. فكثرة النياسين المضاد للحُصاف (Pellegra) تسبّب سرعة في نبض القلب وتقيؤاً و"هبّات" حرارية، وفي الحالات القصوى تسبّب تلفاً في الكبد. كما ان المعادن يمكن ان تصبح ضارّة اذا أخذت بكثرة، لان زيادة كبيرة في الكلسيوم مثلا يمكن أن تسبّب تكلّساً في الكليتين.

ومن ناحية اخرى نرى الملايين يضيفون الى طعامهم بانتظام مقادير كبيرة من الفيتامينات، لاقتناعهم بالحصول على زيادة في المنفعة أو استناداً الى معلومات أخذوها من الكتب والمجلات أو توصيات من تجار الأدوية. وفي ذلك تقول الدكتورة لوريتا ايتري الباحثة في تأثير الفيتامينات في الاورام بتكليف من أحد كبار منتجي المواد الصيدلية: "غالباً ما يقرأ المرضى عن الفيتامينات أكثر مما يقرأه أطباؤهم. ومعلوماتهم صحيحة تارة وخاطئة طوراً."

ويوضح الدكتور فان هبارد من المعهد

الوطني للصحة في الولايات المتحدة ان "هؤلاء المرضى لفتوا الأوساط الطبية الى فاعلية التغذية الصحيحة في الوقاية من الأمراض."

ويصر الأطباء على عدم تناول الفيتامينات من دون استشارتهم لأن من شأنها ان تؤثر سلباً في المعالجة الطبية التي يخضع لها المريض أو في نتائج الفحوص التشخيصية. فالجرعات المفرطة من الفيتامين "هـ" يمكن أن تسبّب نزفاً للذين يتناولون أدوية لترقيق الدم. والافراط في الفيتامين "ب - ٦" يُضعف فاعلية الأدوية المضادّة للالتهابات. كما ان الافراط في الفيتامين "ج" قد يخلّ بفحص السكري ويعطي نتيجة سلبية خاطئة لفحص البراز الذي يُقصد منه التثبت من وجود الدم فيه (وجود الدم في البراز هو المؤشر الرئيسي الى الاصابة بالقرحة أو السرطان المعوي).

ان البحث لا يزال مستمراً لمعرفة الخصائص الكاملة للفيتامينات. ولا أحد يسعه في هذه المرحلة أن يجزم ما اذا كان تفوّق مارتينا نافراتيلوفا في كرة المضرب مردّه الى موهبة فطرية خارقة او الى تناولها يومياً مقداراً اضافياً من الفيتامينين "هـ" و"ج" مع الزنك.

وينصح بعض الأطباء بمقادير إضافية من الفيتامين "ج" للذين يمارسون رياضات قوية ومنتظمة، ولاسيما اولئك الذين يتبعون نظام حمية يقضي بتناول غذاء لا يحتوي على المقدار الكافي من الفيتامينات. ويدعو بعض الاختصاصيين الى تناول الفيتامين "هـ" لتقوية أغشية الرئتين في حال الرياضيين الذين يركضون في الطرق العامة ويتنشّقون دخان السيارات وسواه من المواد الملوثة. وهناك أدلّة متنامية على أن الفيتامينات المكمِّلة أو أنظمة الحمية الغنيّة بالفيتامينات تساعد في معالجة عدد من المشكلات الصحيّة العصرية:

■ **الربو** (asthma). أعطي عدد من البالغين المصابين بفقر الدم المنجليّ(١) ٥٠ مليغراماً من الفيتامين "ب - ٦" مرتين يومياً. فتبين للباحثين أن لهذا الفيتامين تأثيراً جانبياً أدى الى تحسّن غير مرتقب في الربو الشُعَبي لدى المصابين بهذا الداء وبفقر الدم في آن.

■ **نخار العظم** (٢). هذا الداء الذي ينخر العظم ويجعله مسامياً يسبب لدى واحدة من كل أربع نساء تجاوزن الخامسة والستين كسراً في عظم الفخذ أو الورك. وتدل الأبحاث في جامعة تافتس بولاية مساتشوستس وفي مراكز أخرى على أن تناول مقدار اضافي من الكلسيوم والفيتامين "د" في سنّ مبكّرة قد يبطىء تلف العظام.

■ **السرطان**. ان دراسات الاكاديمية الوطنية للعلوم في واشنطن بالولايات المتحدة تدل على أن لنوع الغذاء الذي نتناوله صلة ما بثلاثين الى أربعين في المئة من اصابات السرطان لدى الرجال وبستين في المئة من اصابات النساء.

(١) Sickle-cell anemia
(٢) نخار العظم أو ترققه (osteoporosis)

وفي ذلك يقول الدكتور ريتشارد ريفلن الاختصاصي البارز بالأغذية الواقية من السرطان في مستشفيي سلون ـ كيتيرينغ وجامعة كورنيل في نيويورك: "إن الاختلاف في محتوى الاغذية، خصوصاً الدهنية منها، يساعد على معرفة الأسباب التي تجعل أنواعاً معينة من السرطان تتفشّى في بعض دول العالم أكثر من سواها. فاليابانيون الذين يأكلون كثيراً من الاطعمة المدخّنة أو المخلّلة لا يتناولون سوى القليل من الفيتامين "ج"، لذلك هم معرّضون أكثر من سواهم للاصابة بسرطان المعدة، لكنهم نادراً ما يصابون به حين يهاجرون الى الولايات المتحدة حيث يأكلون الكثير من الخضر والفاكهة.

ويصرّح الدكتور بيتر غرينولد مدير قسم الوقاية من السرطان في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة انه "للتخفيف من خطر الاصابة بالسرطان نحض الناس على المحافظة على رشاقة أجسامهم وتناول الأطعمة الغنية بالالياف التي تحوي كثيراً من الفيتامينين "أ" و"ج" وقليلا من المواد الدهنيّة.

ويؤمل في السنين العشر المقبلة ان يتوصل الباحثون الى النصح بتناول أنواع معينة اضافية من الفيتامينات والمعادن للوقاية من بعض أنواع السرطان. ويرى الدكتور غرينولد ان "ما يشجعنا هو أن المواد ذات الصلة بالفيتامين "أ" خصوصاً، توقف نشوء السرطان وتخفف الاورام لدى حيوانات التجارب المخبريّة."

حالياً، يساهم نحو ٢٢ ألف طبيب متطوع في دراسات تجريها كلية الطب في جامعة هارفرد بولاية مساتشوستس لمعرفة فاعلية الفيتامين "أ" في الوقاية من السرطان. فنصف هذا العدد من المتطوعين يتناولون يومياً حبة دواء تحتوي على "بيتا - كاروتين"، المادة المستخلَصة من الخضر الطازجة والتي تكوّن الفيتامين "أ" في الجسم من دون أن تعرّضه للخطر الذي ينشأ نتيجة تناول مقدار كبير من الفيتامين "أ" الصرف. أما النصف الآخر من المتطوعين فيتناولون حبوباً لا قيمة غذائية لها. ومع الوقت سيتبين للباحثين ما اذا كانت إصابات السرطان في المجموعة الاولى أقل منها في المجموعة الثانية.

ففي ضوء ما توافر لنا من معلومات، هل تجد أفضل لك أن تأخذ فيتامينات إضافية؟ اليك ما يقوله الاختصاصيون في هذا الصدد:

١. اذا كان طعامك منتظماً ومتوازناً ومغذّياً وكنت تتمتع بصحة جيّدة، فإنك لا تحتاج الى مكمّلات.

ان منتجي كثير من الأغذية التي نستهلكها، كالحليب والخبز ومستحضرات الحبوب (cereal)، يضيفون بعض الفيتامينات والمعادن لاغنائها. تناول طعاماً طازجاً لم يُطْهَ، وحاول تقصير مدة الطهو. ان الطعام الذي يُطهى على الموجة الدقيقة (٣) يحتفظ بمقدار من الفيتامينين "ب" و"ج" أكبر من ذاك الذي يحتفظ به لدى طهوه على النار، كما تقلّ فيه المواد الدهنيّة.

---

(٣) الموجة الدقيقة (microwave) موجة مغنطيسية - كهربائية قصيرة جداً.

٢. اذا كانت مواعيد طعامك غير منتظمة ولا وقت لديك لتهيئة الفاكهة والخضر، فيمكنك أن تستعيض عنها بتناول فيتامينات اضافيّة متنوّعة.

ان الاختصاصيين بالتغذية يحبّذون أخذ المغذيات من خلال الطعام الذي نتناوله والذي يحتوي اجمالا على جميع المغذّيات المطلوبة. لكنّ ٦٠ في المئة من مجموع ٦٦٥ اختصاصياً شملتهم دراسة في ولاية واشنطن يتناولون مكمّلات من الفيتامين والمعادن.

٣. لا تأخذ فيتامينات بجرعات تزيد على المقدار الموصى به من دون استشارة طبيبك اولا.

احترس خصوصاً من تناول فائض من المعادن، نظراً الى قلة المعلومات المتوافرة عنها حالياً.

٤. استشر طبيبك حالما تشعر انك تعاني نقصاً في الفيتامينات.

اذا تكرّرت اصابتك بالزكام وبأمراض أخرى وتشققت شفتاك و"تقشر" جلدك وتكرر لديك الصداع وجفاف الأنف وضعفت حيويتك فالأفضل لك أن تجري فحصاً للدم. وضعف الرؤية ليلا ربما كان مرده الى حاجة الجسم الى الفيتامين "أ". واذا كنت مدخناً ولا تستطيع نبذ هذه العادة فإن طبيبك ينصحك على الارجح بتناول جرعات خفيفة من الفيتامين "ج" لتعويض جسمك ما يفقده مع كل سيجارة تدخنها. كذلك فان المغذيات المكملة التي تؤخذ بمعرفة طبيب تفيد النساء الحوامل والمرضعات وبعض المسنّين والأطفال والمدمنين والأشخاص الذين يتناولون عقاقير تستنزف مغذّيات الجسم، كالمسهلات ومدرّات البول.

٥. احترس من المشعوذين.

ان هناك أطباء، وان ارفقوا اسماءهم بلقب "دكتور"، حصلوا على هذه "الدرجة" بعد أسابيع قليلة من الدراسة بالمراسلة لدى معاهد تمنح شهادات زائفة في مقابل مبالغ معينة من المال. ففي شأنِ المغذيات المناسبة لك استعن بطبيبك او بأحد الاختصاصيين بالتغذية.

ان معلوماتنا حول الفيتامينات والمقوّيات المعدنية هي في تطوّر مستمر. ويقول الباحثون اننا على عتبة عهد جديد نستطيع فيه من خلال انتقاء الاغذية الصحيحة والمكمّلات المقوّية ان نسدّ النقص في حاجاتنا الغذائية ونتوصل جميعاً الى مستوى صحي أمثل.

دونالد ستروتزل ■

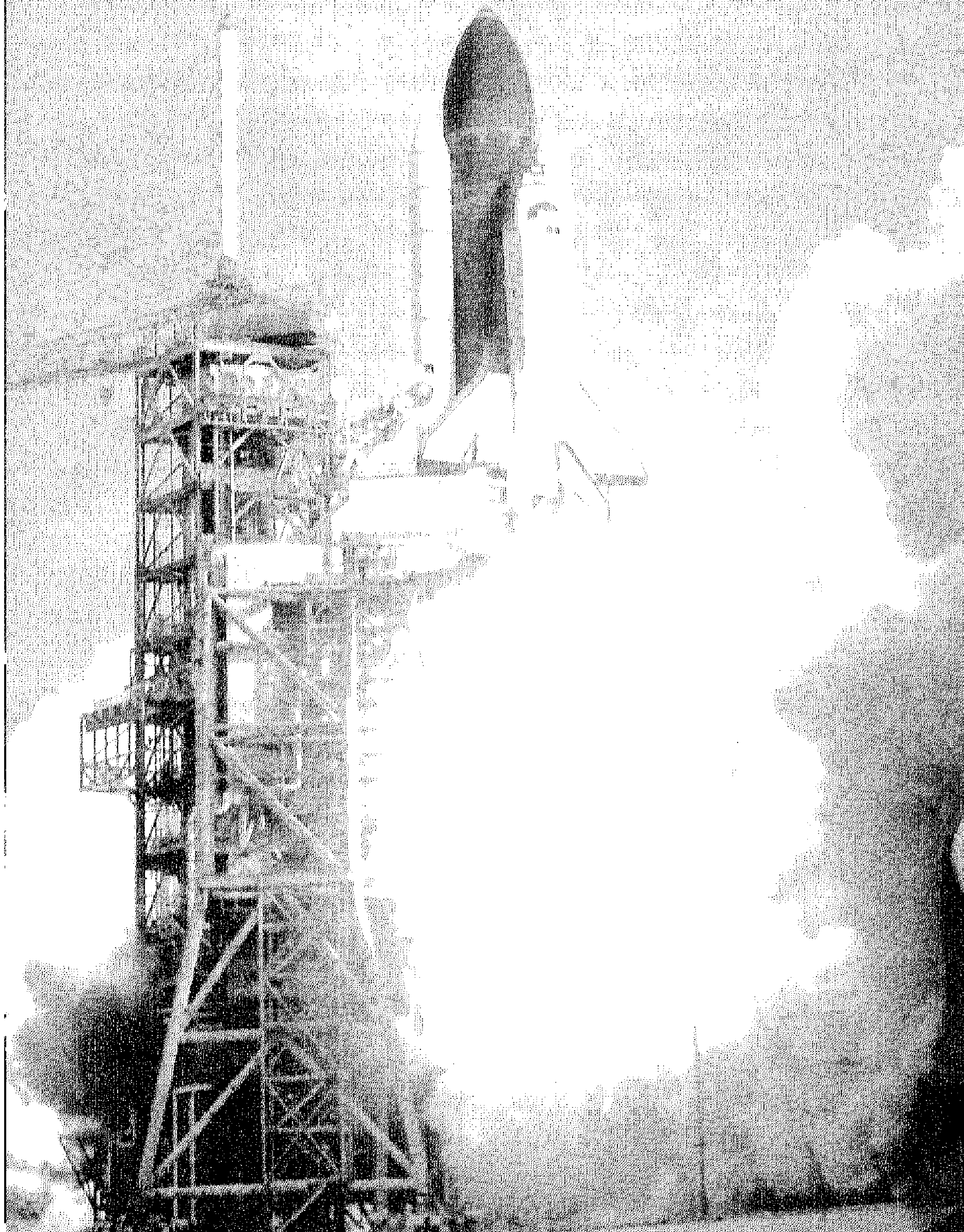
التنديد والتصحيح

لا شيء أسهل من التنديد. فلا يكلف المرء شيئاً أن يرى المعايب، غير أن رؤية السبيل لوضع الامور في نصابها الصحيح تتطلب بصيرة حادة.

ف.ر.

سبايسلاب

نصر أوروبي في تكنولوجيا الفضاء



كارثة المكوك الفضائي الامريكي "تشالنجر" في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ هزت الناس في أنحاء العالم وحملت وكالة الفضاء الامريكية على ارجاء جميع رحلاتها التالية. لكن احداً لم يتوهم أن تطلعات الانسان الى النجوم توقفت في ذلك اليوم. وها هو المختبر الفضائي "سبايسلاب" قد غدا رمزاً لوحدة اوروبا ومواهبها وتصميمها على أخذ مكانها في الفضاء

في ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣ انطلق المكوك الفضائي الامريكي "كولومبيا" من مركز كينيدي الفضائي في ولاية فلوريدا حاملا في جوفه مختبراً فضائياً يدعى "سبايسلاب" (Spacelab). وكان فريق المكوك مؤلفاً من ستة رواد بينهم اولف مربولد ممثل وكالة الفضاء الاوروبية (ايسا) وهو باحث عمره ٤٢ عاماً يعمل في مختبرات معهد ماكس - بلانك لفيزياء المواد الصلبة في شتوتغارت بألمانيا الغربية وأول رائد غير أمريكي يطير في المكوك.


الفيزيائي الالماني اولف مربولد (اسفل اليمين) مع طاقم "سبايسلاب".

وأخضع "سبايسلاب" لاختبار قاس. ففي هذه الرحلة التي استغرقت عشرة ايام واجتازت ستة ملايين كيلومتر، استكشف أعضاء الفريق الطبقة الأيونية (ionosphere) في جو الارض بشعاعات الكترونية وصوبوا منظاراً (تلسكوباً) للاشعة فوق البنفسجية نحو الفضاء الخارجي وأنموا بلورات في الجاذبية المصغرة(١) وتدافعوا ليختبروا أعراض الغثيان والصداع والهمود الناجمة عن دُوار الفضاء.

وجرّب العلماء آلة تصوير المانية ذات قوة عالية صممت خصوصاً لالتقاط صور للارض بزاوية واسعة. وفي مدة ثلاث ساعات وسبع دقائق فقط استطاعوا تصوير ما يزيد على ١١ مليون كيلومتر مربع، أي اكثر من ٥ في المئة من مساحة اليابسة. ويقتضي انجاز مثل هذه المهمة نحو سنة في طائرة عادية. وباستخدام جهاز يدعى المقياس الطيفي المصبّع(٢) جمعوا معلومات عن

---

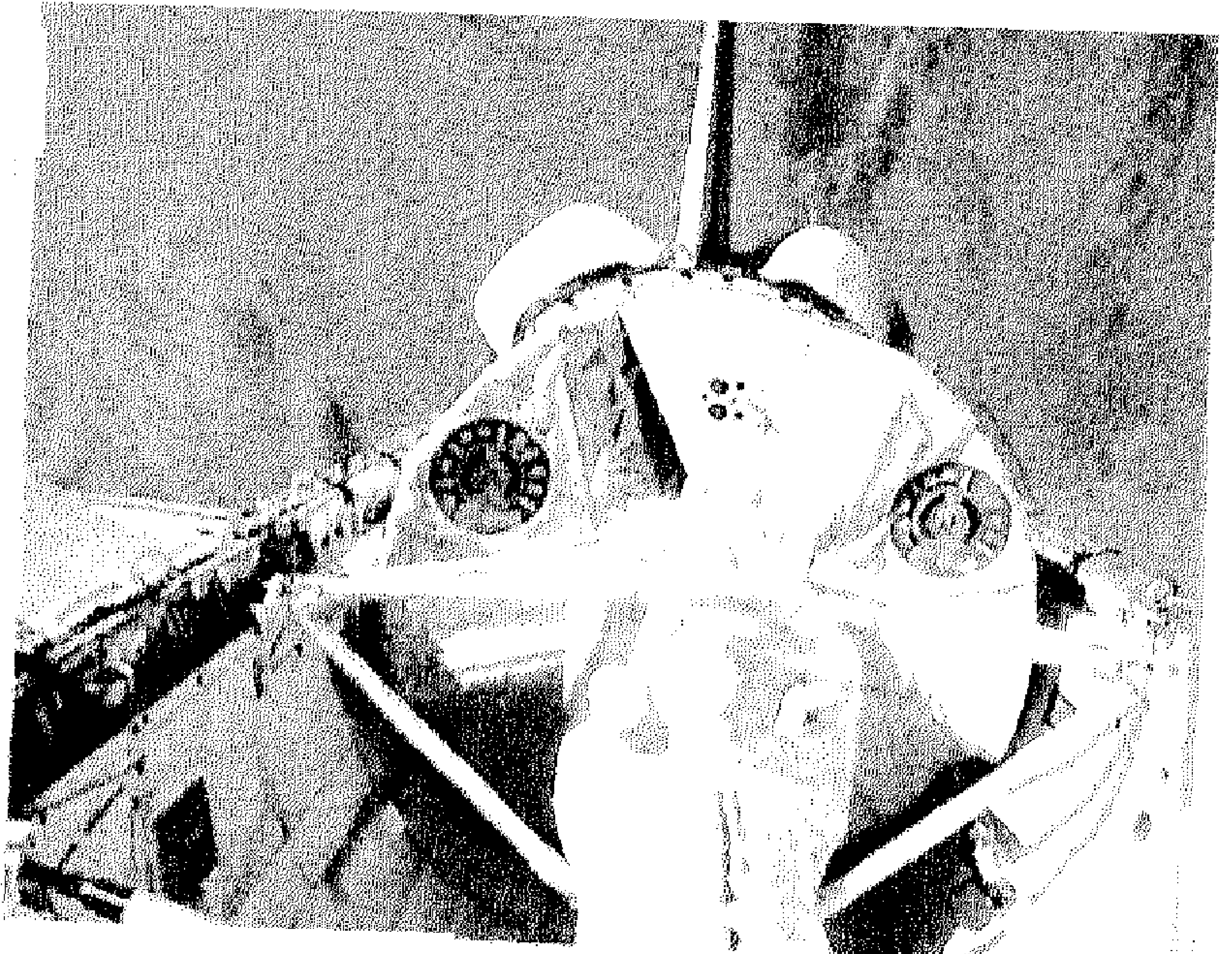
(١) الجاذبية المصغرة (microgravity) هي المحيط الفضائي شبه المتحرر من الجاذبية.
(٢) Grille — spectrometer

يوليو

المكوك الفضائي الامريكي ويمكن ان يستخدم على مدى أسبوعين في كل مرة. وهو جهاز عبقري من المستوعبات (modules) المقفلة والمنصات (pallets) المفتوحة التي تتجمع لتتخذ تشكيلات مختلفة. ان تعقيدها المطبق يتعتع الفكر.

هذا المختبر العلمي الذي يمكن استخدامه غير مرة استغرق صنعه ١٠ سنين بكلفة ناهزت مليار دولار، وهو استوجب تركيب ما يزيد على ٢٠ الف قطعة جيء بها من اكثر من ٤٠ شركة صناعية في ١١ دولة. وقد قال آلتس كوتزر مدير المشاريع في مؤسسة «MBB / ERNO» المتعهدة الرئيسية في مشروع المختبر ومركزها مدينة بريمن بألمانيا الغربية حيث جمعت كل الاجزاء لاكبر مشروع فضائي اوروبي: "اكتشفنا سريعاً ان المصاعب التقنية تتخطى بمدى بعيد اي مصاعب واجهناها سابقاً."

احدى كبرى المعضلات التي واجهها كوتزر وفريقه كانت تكييف تصميم "سبايسلاب" ليتلاءم مع التعديلات المتعاقبة والضرورية، التي ادخلتها وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا) على المكوك الفضائي الذي كان يُبنى في تلك الاثناء. وفي أحيان كثيرة كانت التغييرات التي احدثتها "ناسا" تعيد مهندسي مؤسسة «ERNO» الى طاولات الرسم محدثة تفاعلات تسلسلية تمتد من أعلى المستويات الى ادناها. وكانت



مستوعب "سبايسلاب" داخل قسم الشحن كما يشاهد من سطح "كولومبيا".

تركيب جو الارض وتأثيرات تلوث الهواء، وهي معلومات تفوق ما يمكن الحصول عليه من ٢٠ رحلة لمناطيد مناخية في طبقات الجو العليا طوال سنة. وبمساعدة الجاذبية المصغرة شكلوا مزيجاً معدنياً شديد الصلابة على رغم خفة وزنه، من معدني الالمنيوم والزنك اللذين لا يمكن مزجهما بسهولة على سطح الارض. ويبشر هذا المزيج بأن يكون مادة فضلى تستخدم في بناء الطائرات. وقد أمكن عموماً جمع ما يزيد على تريليوني نفدة من المعلومات استخرجت من ٧٠ اختباراً وفرها نحو ١٠٠ باحث في اوروبا والولايات المتحدة وكندا واليابان وأعيد بثها بالراديو الى الارض.

من فوق الاكتاف – "سبايسلاب" المعجزة الهندسية التي أبدعتها أوروبا هو أفضل المختبرات التي صنعت أبداً من حيث إنتاجيته وتعدد نواحي استخدامه. وهو مصمم ليوضع داخل قسم الشحن في

Photos: NASA

عادة جمع هذه التركيبة تتطلب وقتاً بطول أناة.

ونشأت معضلات اخرى. فهذه اول سفينة فضائية مأهولة يصنعها أوروبيون، وقد وجد فنيو «ERNO» أن مقاييس السلامة في هذا المشروع اكثر صرامة من اي شيء واجههم من قبل.

والقياسات مسألة اخرى. فالاوروبيون يستخدمون النظام المتري بينما يعمل زملاؤهم الامريكيون بموجب النظام الانكليزي. والتنسيق بين النظامين لم يسبب مشكلة باستثناء حالة واحدة. فقد دأب الفنيون في المركز الاوروبي التكنولوجي لأبحاث الفضاء (ESTEC) في نوردفيك بهولندا، حيث المركز الاداري لبرنامج المختبر الفضائي، على مواجهة منحنى رياضي لم يكن يبدو صحيحاً حين يحتسب مركز الجاذبية في المكوك، وهو عامل حيوي في تصميم "سبايسلاب" لانه سيوضع داخل قسم الشحن في المكوك. وهذا الخلل الذي اقتضى تصحيحه أربعة أشهر، تم تعقبه أخيراً بواسطة مهندس ألماني أخذ نسخة المعادلات الاصلية من كُتيِّب فني أمريكي. وفي تحويل القياسات عادل هذا الرجل القدم بـ١٠ بوصات (انش) بدلا من ١٢.

وفي النهاية اخذ التوأم في العمل في المكوك والمختبر الفضائي "سبايسلاب" يجرى على أكمل وجه. ويتفق المسؤولون في وكالة الفضاء الامريكية ورديفتها الاوروبية على أن مهمة العام ١٩٨٣ نجحت بنسبة ٩٥ في المئة، وذلك انجاز باهر في رحلة تدشينية.

وقسم "سبايسلاب" جزءين. فوضع مختبر العلماء في مستوعب ذي ضغط وحرارة مضبوطين. وألصقت "المنصة" المكشوفة بمؤخر المستوعب، وهي تحمل معظم المجسّات الحساسة والمناظير والاجهزة الخاصة المستخدمة في مراقبة الفضاء. وفي المقدم نفق صغير يصل المستوعب بقمرة المكوك حيث يحافظ القائد والملاح على المركبة في الوضع المناسب، فيقلبانها لتواجه الارض أو الفضاء الخارجي وفقاً لما تتطلبه الاختبارات.

وبالنسبة الى طاقم "سبايسلاب" كان اهم المستحدثات في وسائل الاتصال. فللمرة الاولى يتأمن اتصال صوتي وبصري (فيديو) مباشر بين العلماء على الارض الذين صمموا الاختبارات والعلماء في الفضاء الذين يجرونها. وفي الماضي كانت جميع الاتصالات تتم من طريق فريق ثالث هو الكبسولة الواصلة في القاعدة الارضية. والصلة الجديدة التي نشأت من عالم الى عالم أتاحت لفريق الأبحاث في مركز جونسون الفضائي التابع لوكالة "ناسا" في هيوستن "أن ينظر من فوق أكتاف" العلماء داخل "سبايسلاب" ويشارك في التجارب وكأنه هناك، معهم. ويقول أولف مربولد: "كان التفاعل بين الفريقين مستمراً."

ورقة مساومة – بدأ مشروع "سبايسلاب" عام ١٩٦٩ حين لبّت أوروبا بترحاب دعوة أمريكا الى المساهمة في برنامج المكوك الفضائي. ولم يكن الجميع سعداء بالصفقة. فبموجب الاتفاق الذي أبرم عام ١٩٧٣ تكون رحلة "سبايسلاب"

الاولى على متن المكوك من دون مقابل، ولكن حين تـدرج السفينة النـاقلـة "كولومبيا" على أديم صحراء كاليفورنيا يصبح "سبايسلاب" ملكاً خالصاً لوكالة الفضاء الامريكية. وفي مقابل كل رحلة تالية تدفع الوكالة الاوروبية الى "ناسا" مبلغاً يصل الى مئة مليون دولار لاستئجار المختبر. والى ذلك مُنحت "ناسا" خياراً في أن تشتري وحدة ثانية مكتملة (سلمت في شهر أغسطس/آب ١٩٨٤) بثمن مغر هو ٢٠٠ مليون دولار.

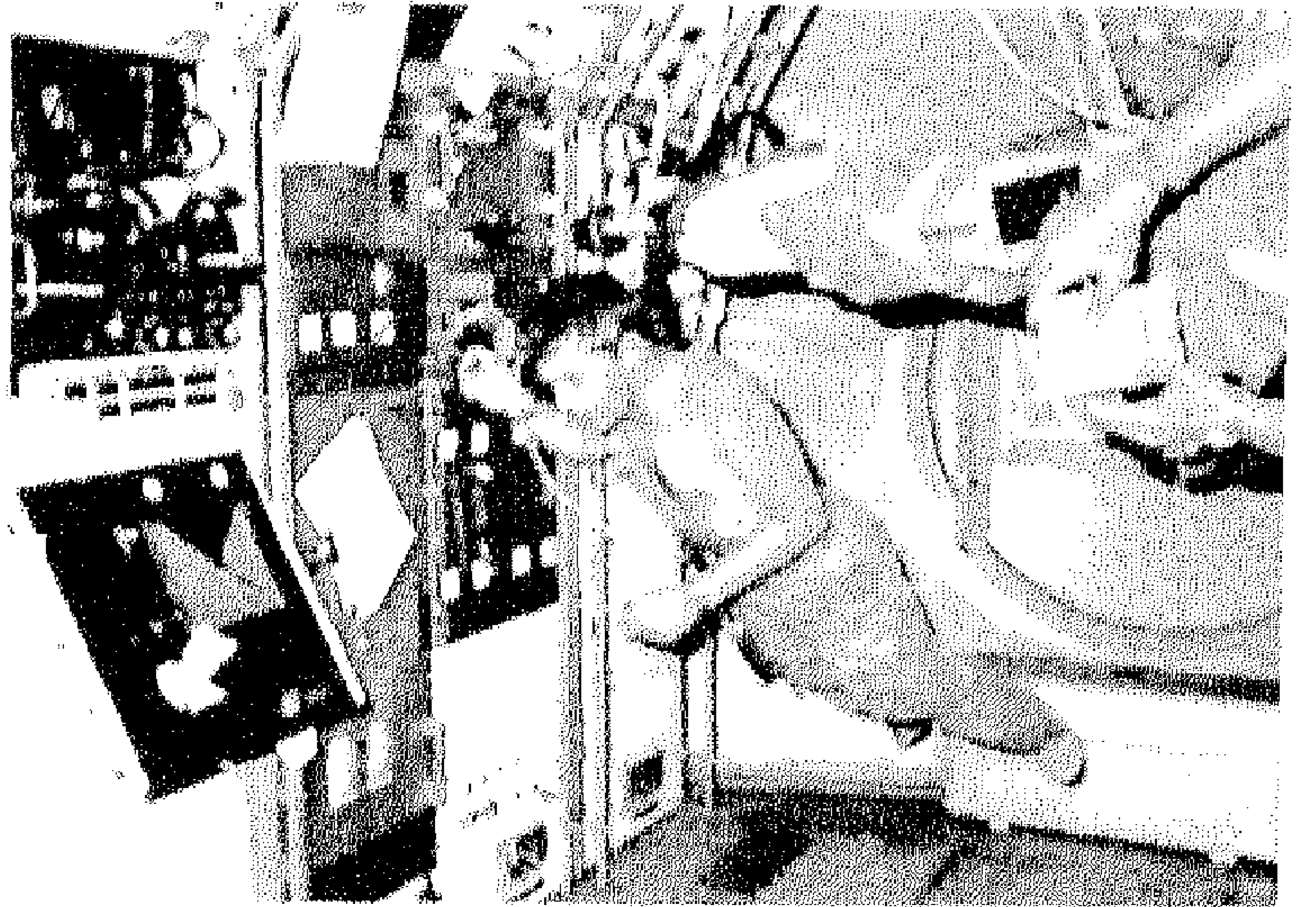
هل كان الامر يستحق كل هذا؟

قال أحد المسؤولين في المـركز الاوروبي «ESTEC» : "هم حصلوا على سبايسلاب، لكننا ربحنا مقداراً كبيراً من المعلومات في تكنـولوجيـا الرحـلات الفضائية المأهولة. وقد كان يتعين ان ننتظر وقتاً طويلا لتحقيق ذلك وحدنا." والواقع ان المختبر الفضائي أصبح ورقة مساومة في المشاركة الاطلسية النامية.

ونفذت ثلاث طلعات أخرى خلال العام ١٩٨٥، اثنتان للولايات المتحدة والثالثة لالمانيا، وجميعها انطلقت من مركز كينيدي الفضائي في فلوريدا. وأكثر الطلعات طموحاً كانت الثالثة، وهي "المهمة د - ١" (٣) التي نفذت في شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥ ودامت أسبوعاً بكلفة باهظة بلغت ١٦٠ مليون دولار.

وتألف طاقمها من سبعة اشخاص، وهو اكبر طاقم ركب سفينة فضائية مفردة، وضم قائداً أمـريكياً رائـداً وثلاثـة اختصاصيين بالرحلة وثلاثة اوروبيين اختصاصيين بالشحنة هم الهولندي فوبو اوكلس والالمـانيان راينهـارت فورر وآرنست مسرشميت.

وأديرت هذه المهمة، وهي الاولى للمختبر الفضائي خارج الرقابة المباشرة لوكالة "ناسا"، من مركز التوجيه الارضي في اوبرفافنهوفن التابع لوكالة الفضاء الالمانية. وتناول معظم اختبارات "د - ١" تأثيرات الجاذبية المصغرة في الجسم البشري وفي امور مثل تحرك السـوائل وتشكـل المـزائـج المعدنية وتنـامي البلورات. وعلى سبيل المثال، من الممكن في الفضاء تشكيل بلورات ذوات بنى داخلية مثالية لصنع الرقائق المصغرة (microchips) التي تستخـدم في الادمغة الالكترونية والـرجال الآليين واجهـزة القيـاس الـدقيقـة.



[illegible] (الى اليسار) واولف مربولد منهمكان في العمل في قسم الجاذبية المصغرة داخل "سبايسلاب".

(٣) Germany's Spacelab D-1 mission

والمهمة " د - ١" لم تكن من اجل العلم فحسب، بل كذلك من اجل مكانة المانيا واعتبارها. ويقول فورر: "أطلقت المانيا رجالها في طلعة خاصة وبادارتها الخاصة. وتوعية الشعب الالماني الى ما تستطيع بلاده تحقيقه في الفضاء كانت العنصر الاهم في هذه الطلعة."

خطوة أولى - ما هو مستقبل "سبايسلاب"؟

اضافة الى بضع طلعات خططت لها "ناسا" بطواقم امريكية ثمة طلعة المانية ثانية مقرر ان تجرى عام ١٩٨٨. وبعد ذلك، استناداً الى جاك كوليه احد المسؤولين في وكالة الفضاء الاوروبية المكلفين التخطيط في مديرية أنظمة النقل الفضائية، فان الخبرة المكتسبة من مشروع "سبايسلاب" تطبق الآن في برنامجين جديدين لوكالة الفضاء الاوروبية.

أحدهما هو مشروع الناقلة الاوروبية القابلة للاسترداد "اوريكا" (٤) وهي منصة علمية غير مأهولة لها جهاز اتصال ومصدر طاقة خاصان بها. وبعد اطلاقها من المكوك سيبقى جهاز الدفع فيها عاملا دونما حاجة الى رعاية من أحد طوال ستة أشهر أو أكثر. وحين تنجز مهمتها ستهبط الى مدار أدنى حيث يتولى مكوك آخر استردادها. و"اوريكا" اقل كلفة من "سبايسلاب" من ناحية صنعها (نحو ١٨٥ مليون دولار) واطلاقها وتشغيلها. ويوضح كوليه "انها تسد الثغرة بين سبايسلاب ومحطة فضائية مدارية دائمة. وهي مصممة للمختبرين الذين لا يستطيعون العمل ضمن حدود العشرة الايام التي تقتصر عليها رحلات سبايسلاب."

وثمة مشروع ثان سيكتمل عام ١٩٩٣ ويدعى مشروع "كولومبوس"، وهو نظام معدل من مستوعبات "سبايسلاب" التي يمكن وصلها بمحطة فضائية او ابقاؤها في مدار لها مثل "طائرة حرة" مأهولة. وهذا يعتبر مساهمة من اوروبا في برنامج المحطة الفضائية الامريكية. اما المشاريع الطويلة الاجل فتشمل مجمّع "كولومبوس" المستقل، بما فيه المنصات التي تدور حول الارض من الشمال الى الجنوب فوق القطبين بدلا من الدوران من الشرق الى الغرب في موازاة خط الاستواء. ويقدر الثمن الاجمالي لـ"كولومبوس" بمبلغ ضخم هو ٢،٦ مليار دولار. ويصرح كوليه: "ليست هذه سوى الخطوة الاولى نحو محطة فضائية أوروبية مستقلة في النهاية."

ومن الواضح ان المختبر الفضائي، على رغم كل انجازاته، ليس سوى الخطوة الاولى. انه رمز لوحدة اوروبا ومواهبها وتصميمها على احتلال مكانها بين قادة العالم في الفضاء."

كارل كريستوفرسون ■

(٤) European Retrievable Carrier «EURECA»

قال فكاهي مرة: "اذا لم يكن ثمة ما يدعوك الى الضحك، اضحك سلفاً."

ر.ش.

خرافات تعكّر الزواج

الطريق الى السعادة الزوجية تمر بعدد من الخرافات.. وهنا يعرض اختصاصي شهير بعضاً منها

الحب الرومنطيقي ينتج زواجاً سعيداً

يمسك شاب يد فتاة وهما يشاهدان الغروب الرائع للشمس. ويتعاهدان على الاخلاص والحب الأبديين. وبعد زمن طويل ينزلان التلة نفسها بشعر فضي ولكن بحب ثابت لم تزعزعه الأيام. هذه الصورة تلهم الكثيرين الزواج، لكنهم إذ يسعون الى زواج رومنطيقي ينتهون الى طلاق غير رومنطيقي البتة.

ان الذين يتوقعون أن يكون الزواج استمراراً طبيعياً لنشوة فترة الغزل ينجهون لا محالة الى الاخفاق. فالغرام الرومنطيقي تغذيه الحواجز والخيبات والفراق والتأخير. أزل هذه المعوقات وبدلها بيومية الحياة الزوجية، فتتلاشى نشوة الهوى. وهنا يشعر بعض الازواج بأنهم خدعوا، فيعلنون افلاس زواجهم. والرومنطيقيون يغفلون عن أن الناس يسأمون بعضهم بعضاً إن لم ينموا اهتمامات وقيماً مشتركة. فالعاطفة الزوجية لهب بطيء الاشتعال مدفىء للقلوب ويستحيل وجودها من دون اللطف ومراعاة المشاعر وتبادل الأفكار والتكيف مع عادات الزوج والاشتراك في نشاطات عدة والاجماع على القيم والإحترام المتبادل.

وعلى الزوجين أن يبنيا "رصيداً مشتركاً" من الافعال والعادات والاختبارات يؤدي الى قبول متبادل بمعزل عن الأوهام المستحيلة للحب الرومنطيقي المثالي.

على الزوجين المشاركة في كل شيء

صرّح جون (٤٤ عاماً): "لا أظن من الصواب أن يذهب الزوج في طريق والزوجة في آخر." فهو في عطلة نهاية الاسبوع أصر على أن تبحر زوجته معه على متن مركبه. إلا ان ماري فضّلت المطالعة على الشاطىء، وتساءلت: "أأطلب الكثير اذ أتمنى على جون أن يفعل ما يحب فيما أفعل انا ما يسرني؟" وأوضح جون: "لكني أحب أن أفعل كل شيء بمشاركة زوجتي."

ليس حسناً الضغط على شريك الحياة. وبدل ذلك اقترح التناوب. كان يمكن أن يقول جون لزوجته: "يهمني أن تبحري معي، وفي المقابل أعد بمشاركتك في شيء تحبينه."

يشعر كثيرون بالذنب عندما يفعلون أموراً أو يذهبون الى أماكن من دون أزواجهم أو زوجاتهم. ولكن في الزواج السليم يقضي الزوجان ٧٥ الى ٨٠ في المئة من وقتهما معاً، ويتركان بينهما فسحات تسمح بنموهما الفردي وببعض الخصوصية.

على الازواج الصالحين أن يسعدوا شركاءهم

هناك خطأ شائع هو تحمل مسؤولية شعور الآخرين. فمتى ظن انسان أن سعادته تأتيه من شخص آخر، فانه يميل طبيعياً الى الاسترخاء متوقعاً أن تأتيه السعادة على طبق من فضة.

طوال ١٥ سنة حاولت جين إسعاد زوجها ليونيل، فلبّت كل حاجاته واستجابت لكل نزواته. لكنه كان رجلا سخوطاً يبرز عيوب الآخرين ولا يعجبه العجب. وحين أدركت جين أن من المستحيل منح السعادة لانسان، ولاسيما ليونيل، استراحت وباتت أقل تحفظاً. ولما شعر ليونيل بأن زوجته لم تعد تتقبل الملامة على كل شيء، انصرف الى ملء وقته بأمور مفيدة.

ان الاهتمام بالرضا والمسرة الذاتيين يزيد حظ المرء في السعادة والتمتع بالزواج.

على الأزواج التصارح من دون تحفظات

أكد لي كارل انه أناني لمساعدة زوجته فاليري في مشاكلها العاطفية، ودعاني الى أن أطرح عليه "أي سؤال يخطر في بالي." وسألته عن بعض شكاوى فاليري: هل صحيح أنه كثيراً ما يزجرها؟ وأن غضبه دفعه مرة الى رمي جهاز تلفاز من النافذة؟ وهل انه حقاً قذف ربيبه ابن الرابعة عشرة بفنجان قهوة ساخنة؟

وهزّ كارل كتفيه قائلا: "ولكن يا دكتور، ان لم ينفس الرجل عن بعض همومه في بيته فهو يصاب بقرحة معدية أو بنوبة قلبية."

وعبّر كارل بذلك عن مشاعر الكثيرين. فأثناء العمل يبرز معظم الناس أفضل ما عندهم، وهكذا يتحول البيت ساحة لتفجير العواطف المكبوتة، "فيخرجون كل شيء من دون رادع." وعوض معالجة مصدر انزعاجهم فانهم يركلون الكلب أو يظلمون الزوج أو يضربون الأولاد. ولا يرون في ذلك شيئاً غير لائق أو يدعو الى الخجل.

إلا أن الهجوم يولِّد الهجوم المضاد. والرد الاكثر شيوعاً هو "العدوانية السلبية". فبدل المواجهة الصريحة للمعتدي يتحول الشخص المهان مخرباً.

غضبت نورا عندما فقد زوجها عارف أعصابه ونهرها، لكنها لم تعارضه مباشرة. فبعد احدى ثوراته أحرقت الطبخة "من غير قصد" و"أضاعت" ولاعته المفضلة.

ان التهذيب واللباقة والروح المرحة كلها تساعد في خلق جو عائلي يعبق بالحب والراحة. لذا عامل زوجتك بالاحترام نفسه الذي تعامل به أي غريب.

الحبيب يقرأ فكر حبيبه

كم سمعت أشخاصاً يتشدقون: "لو كان يحبني حقاً لعرف حقيقة مشاعري دونما كلمة مني." وهذه الخرافة تسود خصوصاً العلاقات الجنسية الحميمة: "لو انه حساس لحاجاتي لما وجب عليَّ ارشاده الى ما يفعل،" أو "متى وقعت امرأة في حب رجل فانها تعرف تماماً كيف ترضيه. واذا وجب ارشادها الى طريقة اثارته فهي حتماً لا تليق به."

هراء! ليس في مقدور أي بشري أنْ يدرك تلقائياً مشاعر آخر مهما توقَّد الحب بينهما. فنحن نتعلم بالارشادات والأمثلة، أو بالتجربة.

من المنطقي جداً أن يتدرَّب الزوجان على ارضاء أحدهما الآخر. ويتمثل هذا في أن تقول ما تعنيه وأن تعني ما تقوله وألا تنتظر من زوجك أن يقرأ فكرك.

الزواج السعيد يتطلب ثقة عمياء

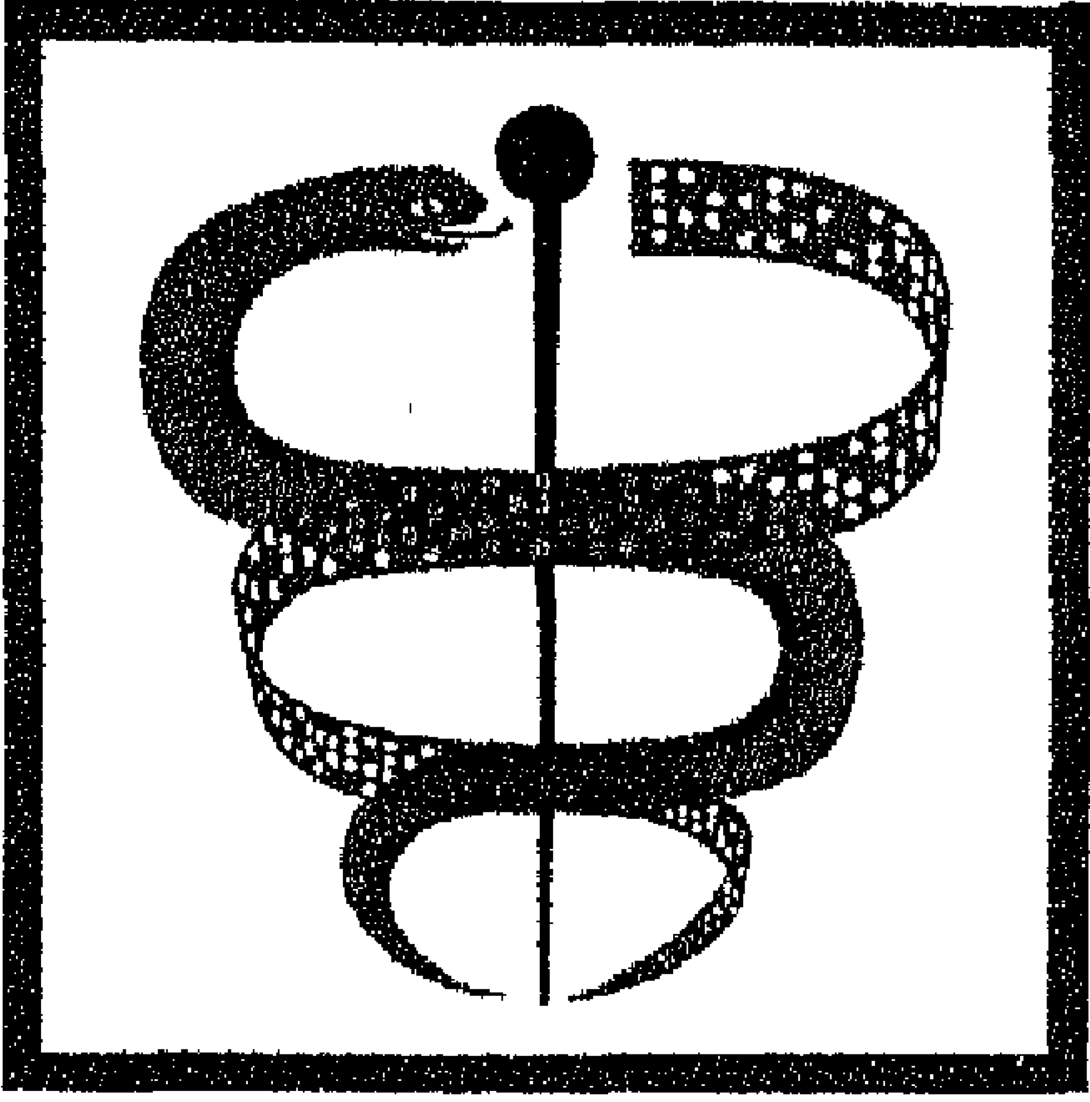
تزوج غاري قبل ستة أشهر، وهو زميلي في الجامعة. ولاحظت أن زوجته تمضي وقتاً طويلا مع شاب آخر، فنبهته الى ذلك، لكنه اعترض: "اياك وهذه الأفكار! أنا ومايك صديقان منذ سنوات، وعندي درس كثير، فلماذا أطلب من زوجتي ملازمة البيت؟" وأوضحت له أن مايك وسيم ومستقر مالياً وعازب. وأصرَّ غاري على انه يثق بالاثنين ثقة عمياء. ويا للأسف، فبعد زمن يسير أبلغته زوجته أنها وقعت في حب مايك، وطلبت منه الطلاق.

ان معظم الزيجات الجيدة يرتكز على مسحة خفيفة من الشك. والوثوق الجازم باخلاص الزوج وحبه معناه الاستخفاف به والتسليم جدلا بمواقفه. واعتبار امكان وقوع الشريك في التجربة موقف أكثر واقعية. فاذا اعتبرت زوجك "بيتياً" الى حد أن لا قدرة له على اجتذاب شخص آخر، فان ثقتك هذه لن تولد الاحترام والاثارة والاكتفاء.

ومن ناحية أخرى، اذا اعتبرت زوجك قادراً على جذب الجنس الآخر في حال اهماله أو سوء معاملته، فانك تزيد من اهتمامك به وعطفك عليه مما يجعل زواجكما أبهى وأجمل.

أرنولد لازاروس ■

الصدق أفضل سياسة، وان يكن التزام الصمت مفضلا في بعض الاحيان. ي.ف.



أصداء من عالم الطب

المصارعة الخطرة

ان تقليد الهواة لحركات المصارعين المحترفين قد يسبب اضراراً جسدية خطرة. وخلافاً للاعتقاد الشائع فان الضربات التي تكال والقاء المتصارعين أرضاً ليست مجرد حركات خادعة، بل هي مناورات رياضية مسرحية معقدة. فالمتصارعان اللذان قد يزن كل منهما ١٦٠ كيلوغراماً يستطيعان احتمال الصدمات الجسدية لانهما قادران عادة على تبديد قوة الضربة على أذرعهم وسيقانهم. كذلك يكون كثير من المتصارعين في حال صحية ممتازة ويمارسون المصارعة على حلبة ذات أرض غير صلبة.

وقد عولج حديثاً مريض أصيب بتمزق في الحويصلة الصفراوية (المرارة) قال ان ابنه "صدمه بجسمه" وأوقعه في المرج. وقدر في ما بعد أن سرعة اصطدام جسد المريض بالارض الصلبة كانت في حدود ٣٧ كيلومتراً في الساعة.

ان النواميس الفيزيائية لا تتبدل. والحركات المدهشة التي يمارسها المتصارعون قد تولد طاقة خطرة ربما كانت قاتلة. ويجدر بالهواة أن يدعوا هذه الحركات للمحترفين.

مجلة "نيو انغلند الطبية"

سحّاب للبنكرياس

ابتكر الدكتور هـ. هارلان ستون من جامعة ماريلاند في بالتيمور اسلوباً لاستئصال جزء من البنكرياس زاد معدل الشفاء الى ٩٠ في المئة لدى المرضى ذوي الاصابات الحادة، وذلك يعود جزئياً الى استعمال "السحّاب" بدلا من القطب (الغرزات) في ٢٨ جراحة.

قال ستون الذي كان أول جراح أمريكي يستخدم سحاباً للثياب طوله ١٨ سنتيمتراً، انه أضحى الآن قادراً على تحاشي الجراحات التي كانت تستغرق ساعة تحت التخدير لابدال الحشية الداخلية، وهي حشية من الشاش توضع في الجرح أو الفجوة لتسهيل خروج السوائل ومنع الالتئام. وما على ستون سوى فتح السحّاب المثبت في الشق وابدال الحشية ثم اغلاقه ثانية. وهي عملية مأمونة تستغرق خمس دقائق.

وكالة "يونايتد برس"

سرطان الرحم

ان فحص سرطان عنق الرحم المعروف باسم "باب سمير" (Pap - Smear) خفض حدوث هذا النوع من السرطان بمقدار الثلثين بين النساء اللواتي يخضعن له مرة على الأقل كل عشر سنين. هذا ما خلصت اليه دراسة أسوجية نُشر تقرير عنها في مجلة الاتحاد الطبي الأمريكي.

وكلمة "باب" تشير الى مبتكر هذا الفحص، وهو جورج بابانيقولاوو. أما "سمير" فتشير هنا الى اللطخة أو المسحة التي تؤخذ من عنق الرحم وتُفرش على شريحة مجهرية لدراستها. والدراسة الأسوجية بُنيت على متابعة ٢٠٧٤٥٥ امرأة طوال عقد كامل، ووجدت أن نسبة سرطان العنق لدى النسوة اللواتي لم يخضعن البتة لهذا الفحص تفوق من ضعفين الى أربعة أضعاف ما هي لدى الاخريات اللواتي أجري الفحص لهن.

ويقول أحد كتّاب المقال، وهو سيسيل فوكس من أبرز العلماء في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة: "أعتقد أن هذه الدراسة أثبتت بما لا يقبل الشك جدوى الفحص في خفض حدوث سرطان عنق الرحم." وكانت الدراسة من الدقة بحيث توبعت جميع النساء المشاركات طوال السنين العشر التي استغرقتها الدراسة. وراوحت أعمار هؤلاء النسوة بين الثلاثين والسبعين. ويقول فوكس: "للمرة الاولى تُدرس هذه العينة الهائلة التي تمثل أعماراً مختلفة."

والفحص يبيّن طلائع السرطان الممكنة. وفي تقدير الدارسين أن هذا الفحص، في ظروف مثالية، يمكن أن يحصر سرطان عنق الرحم بخمس اصابات في كل مئة ألف امرأة.

وكالة "أسوشييتد برس"

أخطار البلازما

في العقد الأخير شهد نقل بلازما الدم الى المرضى الذين يخضعون لجراحة في القلب أو علاج من صدمة أو غير ذلك ارتفاعا هائلا. الا أن البراهين العلمية قليلة حول جدوى الاكثار من هذه المادة. وقد حثّت لجنة طبية استشارية تابعة لمعاهد الصحة الوطنية في الولايات المتحدة جميع الأطباء الأمريكيين على الكفّ عن هذه الممارسة.

والبلازما هي الجزء السائل من الدم الذي يحوي عوامل التخثر مع عدد من البروتيينات والمغذيات الاخرى. وهي متوافرة في مصارف الدم على هيئة مادة مجمدة. ولكن يمكن الاستغناء عنها في ٩٠ في المئة من الحالات التي تستعمل فيها اليوم، كما يقول رئيس اللجنة الاستشارية الدكتور جيمس تاليس من كلية الطب التابعة لجامعة هارفرد. وهو يضيف أن الافراط في استعمالها يجعل الجسم أكثر عرضة للاصابات الفيروسية ويضعف جهاز المناعة أحيانا.

وتنصح اللجنة الأطباء بالتوقف عن إعطاء البلازما كما هي والاقتصار على بعض موادها التي يحتاج اليها المريض. ويجدر بالمرضى، متى أمكن، ايداع كميات من دمهم مختبر المستشفى لاستخدامها وقت الجراحة. أما البلازما الآتية من آخرين فلا يُنصح بها إلا في حال المرضى الذين يعانون نقصاً في التخثر وفي جهاز المناعة.

مجلة "أخبار العلم"

مأساة واقعية

أدرك المستكشف الشاب
أن الامتحان الأخير
يكمن في أعماق ذهنه

٥٧ ساعة بين الحياة والموت



يقع متنزه سبرينغ ميل على بعد ٥٠ كيلومتراً جنوب مدينة بلومنغتون في ولاية انديانا. وهو يعجّ بمجمعات المياه وتحدق به المغاور الكلسية. وقد فتن به رومان لازوسكي (٢٤ عاماً) وهو جندي سابق في البحرية الامريكية التحق بجامعة انديانا في بلومنغتون، ومايكل هال (٢٤ عاماً) وهو ضابط مشرف على إصلاح الاحداث في كراون بوينت، بفعل الممرات الجوفية المتعرّجة المظلمة الموحشة التي حفرتها السيول هناك. وكان هال استكشف الكهوف أكثر من اثنتي عشرة مرة في حين لم يدخلها رومان سوى مرة واحدة في الصيف السابق عندما عبرا معاً الممر الجوفي نفسه الذي يتأملانه الآن.

نصب الشابان خيمتهما في الأحد الاخير من شهر يونيو (حزيران) عام

Illustration: Robert Sauber

١٩٨٥. وفي تلك الليلة هطلت الامطار غزيرة. ولكن صبيحة الاثنين وعلى رغم تشبّع الارض بالماء كانت السماء المتّقدة بالنور تنذر بنهار حار ورطب. فارتدى الشابان سروالين قصيرين وأحذية مطاطية خفيفة وحملا مشعلين كهربائيين لا يتأثران بالماء وانسلا عبر مدخل الممر الجوفي الذي يبلغ طوله ١٣٠٠ متر. كانت الساعة تقارب العاشرة صباحاً في ذاك اليوم الاول من شهر يوليو (تموز). وهي بداية الكابوس بالنسبة الى رومان لازوسكي.

في ظلام الكهف - كان الكهف يتبع سيلا واسعاً ضحلا انعقد فوقه سقف كلسي كأنه قوس قوطية. ولا يلبث السقف أن ينخفض إلى حوالى متر. ويتسع الممر بعد ذلك من جديد فيعبر غرفتين جوفيتين واسعتين ليعود فينعطف نحو حوضي مياه عميقين وينتهي في شلال ينتثر أسفله على الصخور. ويبرز السيل أخيراً الى الهواء الطلق من تحت لوح صخري.

في البداية جرت الامور على المنوال المتوقع. وراح مستكشفا الكهوف يخوّضان في المياه مستمتعين ببرودتها المعتدلة. لكن الأمطار عاودت الانهمار في الخارج. فأخذت المياه تنفث في صدر الارض المشبعة وتصرف الى الكهف. وارتفع منسوب السيل قليلا وكاد الرجلان ألّا يشعرا بذلك. لكن الارتفاع لم يتوقف.

وبلغ رومان ومايكل ممراً منخفضاً وحنيا رأسيهما ليدخلاه. فلاحظا أن المياه تتدفق سريعة وجارفة وتصل الى أعلى من خصريهما. عندذاك قال مايكل: "لم أر المياه على هذا الشكل من قبل."

ولم تلبث المياه أن غمرت رأسيهما. فراحا يسبحان في اتجاه التيار ويرتدّان من جدار الى آخر متشبثين بالصخور علّها تبطىء انجرافهما. وصاح مايكل محاولا إخفاء قلقه: "بهذه الطريقة نعبر الممر بسرعة أكبر."

وأخيراً استطاعا أن يتوقفا وقد انبهرت أنفاسهما، إذ تشبّث رومان بأحد طرفي النفق ومايكل بالطرف الآخر، وكل يقاوم التيار بصعوبة. وصاح مايكل: "أظن أن المياه لن تلبث أن تنخفض."

ووضع رومان قدميه على إفريز ضيّق ناتىء من الصخور وتعلّق بالحائط بأصابع يديه. وما هي إلّا هنيهة حتى شعر بأنه يهوي الى الخلف ساقطاً في السيل الجارف. وانتزعت المياه حذاءه في تدفقها العارم. وتحطم مشعاله الكهربائي على إحدى الصخور. وشعر بأن ثمة ما يشدّه الى أسفل، ثم اصطدم وجهه بجدار صخري. لقد جُرف إلى جانب الممر الرئيسي في مجرى غير نافذ لا يبعد أكثر من عشرة أمتار عن مخرج السيل من الكهف.

وفي الظلام شعر رومان بوجود إفريز صغير على عمق حوالى متر من سطح الماء. فوضع قدميه عليه وحافظ على توازنه لئلا يجرفه التيار الدائري الذي التفّ حوله كالدوامة. ونادى مايكل فطغا صوته على هدير الماء وسمع مناداة بعيدة.

قال رومان في نفسه: "إيّاك والذعر يا ولدا! حاول أن تجد رقعة جافة. وشرع يتلمّس طريقه في الظلام فعثر على إفريز

آخر عرضه ١٠ سنتيمترات وطوله متر ويعلو سطح الماء بحوالى متر. فاعتمد التدريب الذي تلقّاه في البحرية وتسلّق الافريز وقبع عليه ساحباً ركبتيه الى صدره ليوفر حرارة جسمه. وتلمّس بأصابعه السقف فوقه والمياه تحته. وبشيء من الرعب أدرك ان السيل ما زال يرتفع.

وبعيداً وراءه في الكهف كان مايكل يتشبّث بالحائط. وكانت المياه تهدر حوله فيترجّع صدى نداءات صديقه على السقف الذي تكثر فيه النتوءات. ولما كان التيار السريع يهدد بجرفه قرر أن يغوص فيه مجازفاً، علّ المطاف ينتهي به إلى حيث رومان فيكونان معاً على الاقل. وصرخ: "روم! أنا آت." وقفز في المياه الداكنة المزبدة.

قوة أب – دفع التيار مايكل حوالى ١٠٠ متر. فحبس نفسه الى أن أحسّ أن رئتيه تكادان تنفجران. وراح رومان يراقبه بهلع وهو يندفع بسرعة البرق على بعد ثلاثة أمتار منه وضوء المشعل يشعّ على وجهه بغرابة.

وبأعجوبة وجد مايكل نفسه في ضوء النهار. فخرج من المياه بصعوبة وعلى جسمه كدمات وفي ساعده الأيسر جرح بالغ. وسار مترنّحاً إلى أن وصل إلى موقف للسيارات في أعلى الوادي.

وما لبث بيل كارلايل المشرف على إدارة المتنزه أن وجد مايكل مطروحاً على الرصيف فقال له وأسنانه تصطك من البرد: "ما زال صديقي داخل الكهف. عليك أن تساعده."

وبعيد نقل مايكل الى المستشفى، بُلّغ خبر الحادث الى دون باكيت منسّق اللجنة الوطنية الامريكية لانقاذ ضحايا الكهوف. فتوجّه مباشرة من بلومنغتون الى سبرينغ ميل حيث وجد المياه مزبدة متطاحنة عند مخرج الكهف. فقدّر سرعة التيار بثمانين كيلومتراً في الساعة على الاقل، وأدرك أنه يتعذّر دخول الكهف من ذلك الطرف. وبدا أن المدخل يستحيل عبوره كذلك. ونصحه كارلايل: "الافضل أن ننتظر، فلا بد من أن تنخفض المياه قبل صباح الغد."

وداخل الكهف تمدد رومان وظهره على الافريز ورأسه يلامس الهوابط الكلسية (stalactites) المتدلية من السقف. لم يسعه أن يجزم ما اذا كان الوقت نهاراً أم ليلا. وكانت المياه ارتفعت الى مستوى الافريز. وأيقن رومان أن مايكل قضى.

ولبرهة وجيزة بدا له سهلا أن يترك نفسه ينزلق في المياه ويغرق. وعاد ففكر بعزم: كلّا، سوف أنجو.

لكنه خشي أن يسترخي لأنه لو غفا لسقط في الماء. وتذكّر وهو جاثم في الظلام صلاة بولونية كانت والدته تتلوها قبل النوم وراح يرددها من غير أن يفهم كلماتها.

وكان والد رومان أمضى ست سنوات في أحد معسكرات الاعتقال إبّان الحرب العالمية الثانية. فقال رومان في نفسه: "إن استطاع هو أن ينجو فلا شك في انني استطيع ذلك ايضاً. ففي داخلي قوة والدي."

صيحة استغاثة – صباح الثلثاء في الثاني من يوليو (تموز) لم ينفك المطر

يهطل ولم يحدث ما يشير إلى أن المياه ستنخفض. فقرر باكيت أن يجازف ويدخل الكهف مع فريق انقاذ. وارتدى الرجال بذلات غوص مطاطية وسترات نجاة وخوذات وزنروا رؤوسهم بمصابيح، وأحكموا تثبيت حبل عند المدخل وربطوا في طرفه الآخر طوفاً حُمّل معدّات إنقاذ وتركوا التيار يجرفه الى الجوف المظلم.

وكان التيار في اضطراب عظيم يفوق كلّ ما تصوّره باكيت. وكانت انوار المصابيح المثبّتة على خوذات الرجال تكاد لا تخرق الظلام وهم يتلمسون سبيلا في السيل متنقلين ببطء ومتمسكين بالحبل الذي ربطوه عند المدخل.

ولمّا اجتازو ٩٠ متراً انقلب الطوف بمن فيه وقذف الرجال فألصقهم بحائط كلسي. ثم راحوا يشقّون طريقهم بجهد عكس التيار حتى بلغوا مدخل الكهف فخرجوا سالمين ولكن مهزومين ومنهوكي القوى. لقد استغرق اجتياز ٣٠٠ متر ثلاث ساعات.

ومساء الثلثاء وصل الدكتور نويل سلون وهو طبيب ومسؤول في اللجنة الوطنية لانقاذ ضحايا الكهوف. وكان رأيه هو أيضاً أن لا جدوى من دخول الكهف مجدداً قبل انحسار المياه. لكنه كان يدرك أن مرور الوقت ليس في مصلحة رومان. فبعد قضاء ٤٨ ساعة في كهف تبلغ حرارته ١٣ درجة يبرز خطر انخفاض حرارة الجسم. ولما كان مزيد من العواصف الرعدية متجها نحو المنطقة، بدا من المستحيل انتظار انحسار المياه.

وزار الطبيب مايكل في المستشفى. وبمساعدة خريطة قدّر المستكشف انه افترق عن زميله على بعد ١٠٠ متر من مخرج الكهف وحوالى مئة متر من وسعة تشكّل ما يسمّى "الغرفة الجافة". وتبيّن وجود كهف آخر يمكن دخوله ولا يفصله عن الغرفة الجافة سوى ٢٧ متراً من التراب. فربما أمكن شق نفق للوصل بين الكهفين. وقرابة منتصف ليل الثلثاء راح فريق الانقاذ يحفر في الكلس بواسطة قضبان رافعة ورفوش.

وأحضر موظفو المتنزه آلة ثاقبة لحفر ممر من أعلى الى الغرفة الجافة. وتابع رجال الانقاذ مراقبة مستوى المياه داخل مخرج الكهف حتى أبعد نقطة تمكّنوا من بلوغها. وظلّوا منتظرين آملين أن تسنح لهم الفرصة للدخول من ذاك الطرف.

وفي الظلام راح رومان يسلّي نفسه بألعاب تشغل ذهنه وهو لا يدري ان كان أحد يبحث عنه أم لا. وخطط لائحة بالاعمال التي سينجزها حالما يخرج. وكلّما أحسّ بالنعاس يثقل أجفانه أيقظ ذهنه باطلاق صيحة استغاثة: "النجدة، ما زلت هنا!" وفكّر: ما علي الّا أن أشغل نفسي باستمرار. سوف أنجو.

اقتحام الكهف – في الثامنة والنصف من صباح الاربعاء الواقع فيه ٣ يوليو (تموز) دهش رجال الانقاذ المكلّفون مراقبة مستوى مياه الكهف حين تناهى الى مسامعهم نداء استغاثة. وكانت المياه لا تزال تضرب اللوح المدلّى الذي يشكّل مخرج الكهف. إلّا أن فسحة هوائية ضيّقة كانت تسمح بتسرّب الصوت بين الحين والآخر. وصرخ أحدهم: "ما زال حيّاً!"

فالتقط الدكتور سلون بوقاً ونادى رومان: "هل أنت مصاب؟" وأتاه الجواب: "أنا بخير. ولكن أخرجوني من هنا."

وأدرك سلون أن الوضع ما زال خطراً. وقد يظن رومان الذي ما زال بعيداً، أن انقاذه أصبح وشيكاً فيسترخي. ومع مرور الساعات بطيئة ظل الرجال ينادونه بالبوق طالبين منه عدم مبارحة مكانه.

وفي الخامسة الا ثلثاً بعد الظهر قرر المنقذ ستيف كولينز محاولة اقتحام الكهف الى مسافة أبعد. فشقّ طريقه عبر التيار ورأى فسحة هوائية ترتفع حوالى ١٥ سنتيمتراً بين الماء واللوح العلوي. واكتشف حبلا يتموّج من الداخل هو أثر باق من مغامرة سابقة. وفكّر أن ينسلّ الى الداخل من حيث يبدو السقف أعلى. فقبض على الحبل وحبس أنفاسه ودخل ووجهه تحت المياه.

ورأى رومان الضوء يسطع من خوذة كولينز، فتمنّى لو يقفز ويعانقه. وكان كولينز يطفو على بعد خمسة أمتار في الناحية الاخرى من المجرى. فصرخ: "إبقَ في مكانك." ثم استدار نحو المخرج ليطلب حبلا آخر ومساعدة إضافية.

وسرعان ما مدّ اليه الحبل فثبت أحد طرفيه برزّة سمّرها في الحائط. ووصل سلون فيما كولينز يقذف ما تبقى من الحبل الملفوف الى رومان طالباً منه أن يربطه بنتوء في الحائط حيث هو جاثم.

وكم كانت دهشة كولينز وسلون عظيمة عندما لاحظا مدى القوة المتبقية في الشاب. وما ان أصبح الحبل مثبتاً حتى اندفع كولينز عبر التيار ووصل الى المستكشف العالق.

ارتدى رومان خوذة وسترة نجاة وتعلّق بمقعد جرار. ونقله كولينز برويّة الى الجهة الاخرى حيث ينتظر سلون. ولكن ما ان بسط الطبيب يده ليلتقط رومان حتى أفلتت الرزة التي كانت تثبت الحبل. فاندفع سلون بقوة وأمسك رومان. وحمل التيار الاثنين، فمرّا تحت اللوح وخرجا الى الهواء الطلق فاستقبلتهما أيدي رجال الانقاذ.

كانت الساعة السابعة والدقيقة الثالثة مساء. وبعد أكثر من يومين ونصف يوم بلا أكل ولا نوم كانت مؤشرات الحياة في جسم رومان لا تزال على ثباتها. والغريب أن حرارته قاربت الدرجة الطبيعية. لكنه أدخل المستشفى وأخضع للمراقبة ثم أرسل الى منزله للنقاهة.

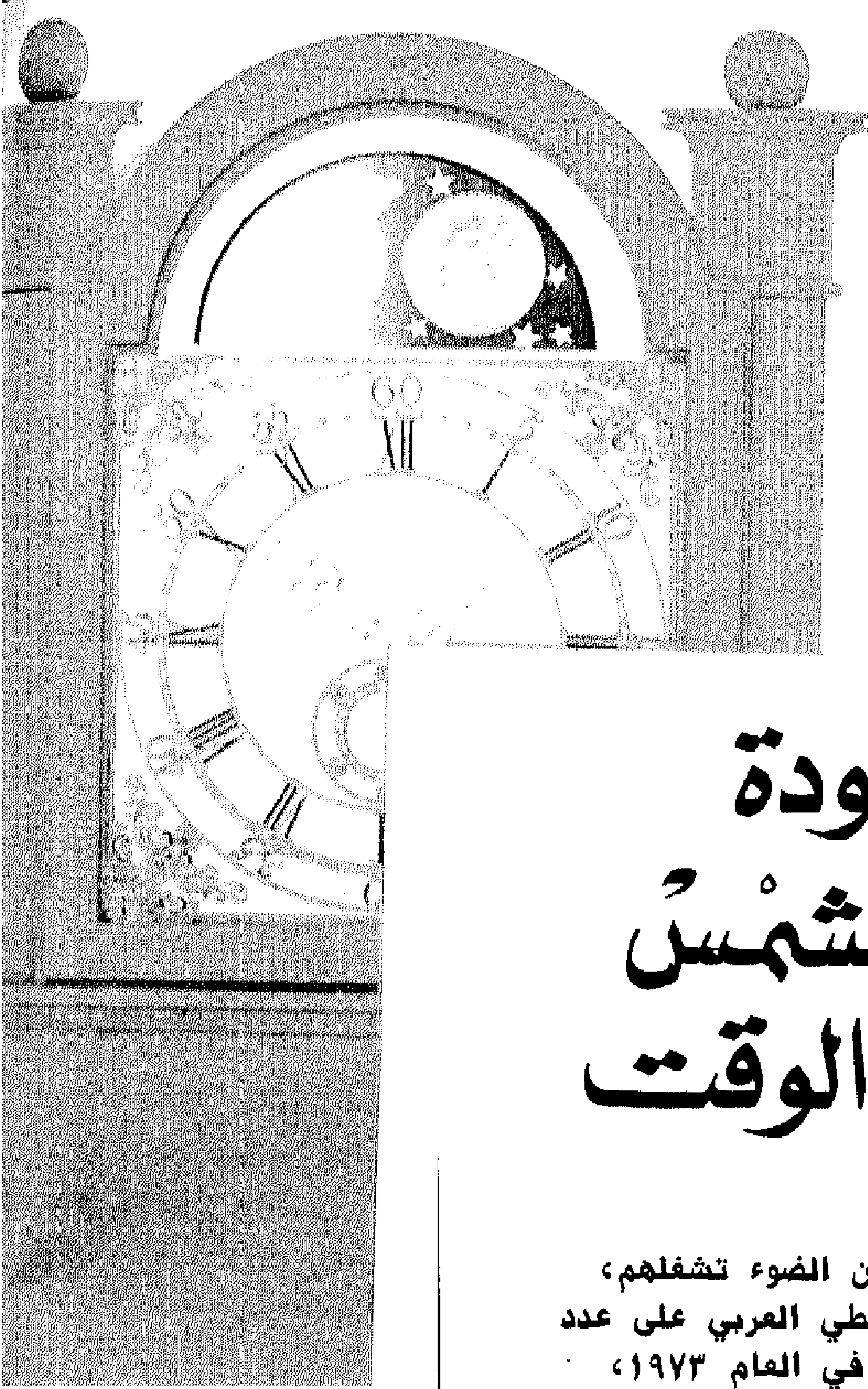
ولمّا حلّ فصل الخريف عاد رومان الى جامعته في انديانا. ويقول متحدثاً عن المحنة التي قاساها: "قد أبدو الشخص نفسه الذي عرفه الآخرون، لكنني في الواقع تغيّرت. ان أشخاصاً كثيرين جازفوا بحياتهم لانقاذي. وكل يوم أحياه يبدو لي الآن أثمن مما مضى."

بير أولا واميلي دولير ■



يقول ساندرو بيرتيني الرئيس السابق لجمهورية ايطاليا: "لطالما رأيت ان المرء يجب ان يكون صارما مع نفسه وعادلا مع الآخرين."

ل.إ.ه.



العَودة إلى الشمْس لضبْط الوقت

**مستخرجو الوقت من الضوء تشغلهم،
منذ فرض الحظر النفطي العربي على عدد
من الدول الغربية في العام ١٩٧٣،
مسألة تقديم الساعة أو تأخيرها بغية كسب
كمية من نور الشمس أو ضوء الشفق
من شأنها اطالة النهار، أي العمل والانتاج،
والتوفير في استهلاك الطاقة.
واذا كان "الزمن الامريكي" معقداً بعض الشيء،
لأن في الولايات المتحدة "شرقية" و"غربية"،
فان "الزمن العربي" مبسط لانه على وفاق
مع غرينتش باستثناء حالات صيفية محدودة.**

Illustration: Bill Finewood

في الثانية من صباح ٢٧ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥ شدت كوابح جميع القطارات الليلية التي تنقل الركاب بين المدن الامريكية. وتجمدت على خطوط السكة ثم وقفت ساكنة مدة ساعة في الليل الخريفي. انه ليس اضرابا ولا عملية تخريب، بل اجراء لضبط الوقت.

فالأمريكيون وفقاً لقانون اقره الكونغرس(١) "يتقهقرون" ساعة من الزمن ليستأنفوا التوقيت الاساسي في الاحد الاخير من أكتوبر (تشرين الأول)، ثم "يقفزون" ويعيدون ضبط ساعاتهم بحسب التوقيت الصيفي في الاحد الاخير من ابريل (نيسان). ويمنحهم ذلك لمدة ستة أشهر ساعة اضافية من أشعة الشمس بعد يوم عمل.

والتوقيت الصيفي ليس طبيعياً اطلاقاً. فقد بدأ اعتماده في القرن الحالي كاختبار في الحرب، وما زال الكونغرس يناقش سبل تعديله.

والتوقيت كما نعرفه ترسخ زمن السكك الحديد. فحتى العام ١٨٨٣ كان لكل بلدة في شمال أمريكا توقيتها الخاص. وكانت المجالس البلدية تحتفظ بمزاول أي ساعات شمسية. واذ يشير ظل الشمس إلى الشمال في المزولة، تضبط ساعات البلدة على وقت الظهيرة. كان هذا النظام ناجعاً حين كان الحصان والعربة يمضيان يومين في الارتحال مسافة تقرب من ١٤٥ كيلومتراً.

ولكن أي توقيت ينبغي اعتماده لجدولة مواعيد القطارات؟ ففي اللحظة التي تشير المزولة إلى الظهر في العاصمة واشنطن تشير المزاول الأخرى إلى ١٢،١٢ بعد الظهر في نيويورك، و١٢،٢٤ بعد الظهر في بوسطن شمالا و١١،٤٨ قبل الظهر في بتسبرغ غرباً.

ولادة غرينتش – حسماً للفوضى حذت مصلحة السكك الحديد الامريكية حذو بريطانيا التي استعاضت عام ١٨٨٠ عن الساعات الشمسية المحلية بتوقيت واحد متسق يقاس في دائرة خط الطول الذي يقع فيه المرصد الملكي في بلدة غرينتش قرب لندن. وفي ١٨٧٦ اقترح السير سانفورد فليمنغ رئيس المهندسين العاملين في مد السكك الحديد للحكومة الكندية، تقسيم العالم ٢٤ منطقة زمنية، واحدة لكل ساعة من ساعات اليوم. وتبنت هذه الفكرة مصلحة السكك الحديد في أمريكا الشمالية. وفي ظهيرة ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨٣ انتقل معظم المحطات إلى نظام من أربع مناطق زمنية: شرقية ووسطى وجبلية ومنطقة المحيط الهادىء.

وفي غضون أشهر اعتمدت ثمانون من كبرى المدن الأمريكية توقيت السكك الحديد. ثم في تاريخ لاحق عام ١٩١٨ سن الكونغرس قانوناً يرسخ هذا النظام.

ويبدو أن السياسي والمخترع الامريكي بنجامين فرنكلين كان مصدر الايحاء بالتوقيت الصيفي. فحين كان سفيراً في فرنسا عام ١٧٨٤ كان يهوى النهوض مع الفجر والسير في شوارع باريس. ولاحظ أن كثيراً من الناس يغلقون نوافذهم

(١) الكونغرس هو الهيئة الاشتراعية في الولايات المتحدة ويتألف من مجلس النواب (House of Representatives)ومجلس الشيوخ (Senate).

لحجب النور الباكر وينامون في وقت متقدم، وبعد اغفالهم النور "المجاني" يعمدون إلى انفاق المال على شموع تنير ظلام لياليهم. وأجرى فرنكلين حساباً بيّن أن الباريسيين اذا ما استيقظوا مع شروق الشمس فانهم يوفرون ٦٤ مليون جنيه سنوياً ثمن الشموع التي يشترونها.

أعرض الفرنسيون عن اقتراح فرنكلين. ولأكثر من قرن طوى النسيان فكرة حفظ نور النهار. وفي العام ١٩٠٧ ضغط المهندس المعمار البريطاني وليم ويليت على المشترعين الانكليز لاقرار التوقيت الصيفي ادخاراً للوقود وتوفيراً لساعات اضافية من النهار من اجل تدريب الجند. وفي السنة التالية ناقش مجلس العموم البريطاني الفكرة، غير أنه أرجأ اتخاذ أي اجراء. ووفقاً لنمط ما زال يتكرر، كلما دخلت مسألة التوقيت الصيفي حلبة السياسة عارضها المزارعون بشدة.

وتذهب حجتهم إلى أن قاطني المدن الذين يقيسون حياتهم بالساعات قد يفيدون من تأخر شروق الشمس وغروبها، لكن المزارعين الذين يعملون من الفجر حتى الغياب يعانون متاعب مع "الوقت السريع" وهو الاسم الذي يطلقونه على التوقيت الصيفي. اذ انه قد يعرض الغلال للتعفن حين يجنونها رطبة ندية ليرسلوها إلى السوق في الموعد المضروب. وهو يتضارب مع عادة حلب الأبقار صباحاً. وبكلام أحد أعضاء الكونغرس: "قد تبدّل الساعة وفقاً للتوقيت الصيفي، لكن الأبقار تدرّ الحليب بحسب توقيت الرب."

خلاف وشقاق – روعيت المصالح الريفية في بريطانيا حتى العام ١٩١٦ تاريخ تبني ألمانيا التوقيت الصيفي. وإذ كانت بريطانيا تخشى أن يتيح ذلك لعدوها فرصة ادخار الوقود، أعادت ضبط ساعاتها وفق التوقيت الصيفي. وأدى التوقيت الجديد إلى خفض استهلاك الغاز والكهرباء بمقدار ١٥ في المئة. وعلى الأثر رفعت شركات الوقود تعريفتها بنسبة تراوح بين ١٠ و١٥ في المئة لتعويض خسارتها.

واذ رأت الولايات المتحدة نجاح بريطانيا في توفير الطاقة، تبنت لفترة وجيزة توقيتاً صيفياً كجزء من جهدها الحربي عام ١٩١٨. ولدى انتهاء الحرب أفلح المزارعون الأمريكيون في وقف "الوقت السريع".

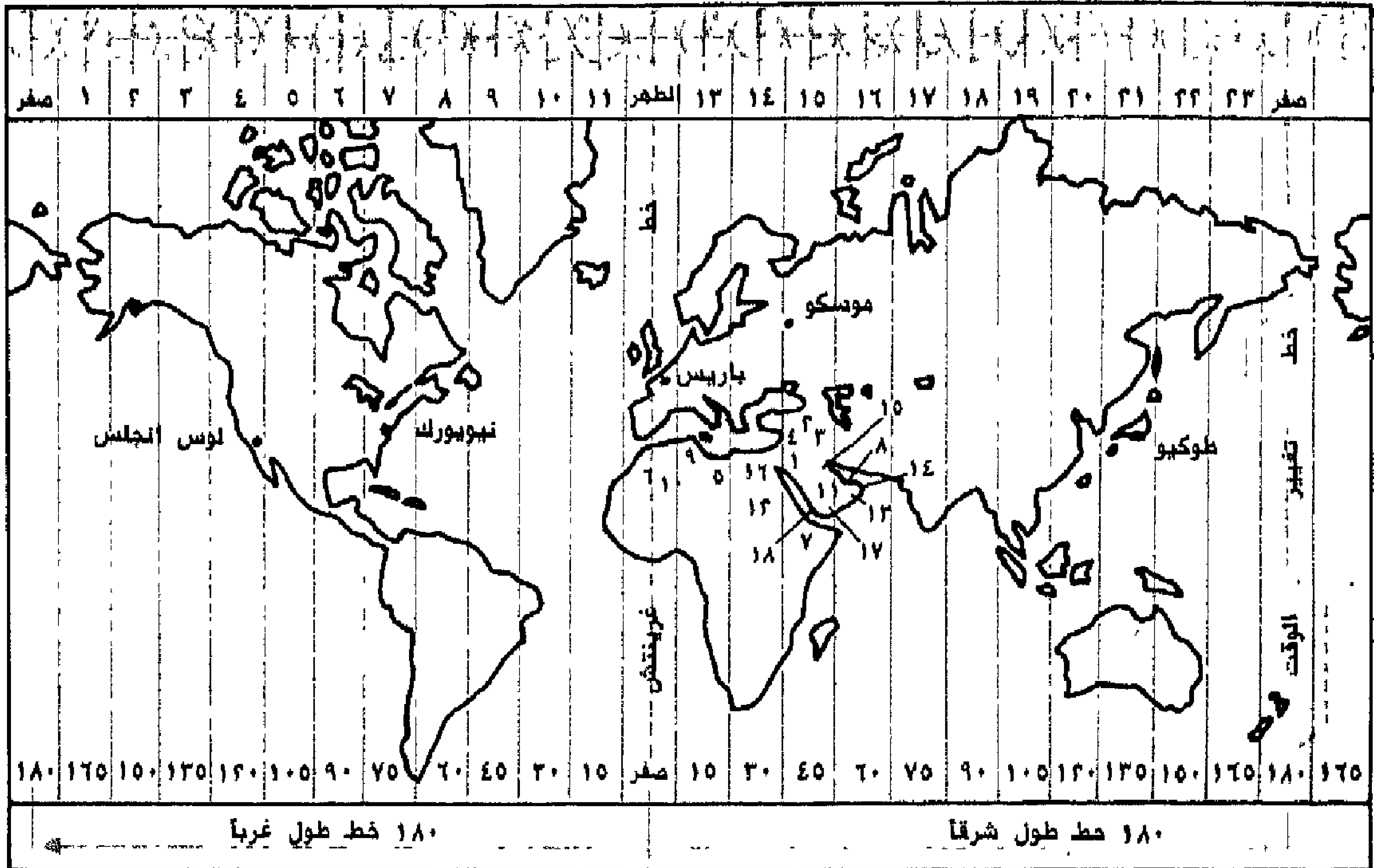
وأثناء الحرب العالمية الثانية فرضت الحكومة الاتحادية الامريكية توقيتاً صيفياً على مدار السنة. وبعد ذلك استبقت هيئات محلية عدة "الوقت السريع" واختار المشترعون المحليون تواريخ معينة لاضافة ساعة من الزمن أو إنقاصها.

وفي بداية الستينات اعتمدت ١٨ ولاية التوقيت الصيفي فيما سمحت ١٨ أخرى بقرارات محلية واحتفظت ١٤ – وهي الولايات المنتشرة في "حزام الشمس"(٢) – بالتوقيت العادي طوال العام.

وعمت الفوضى. ففي ولاية آيوا ٢٣ تاريخاً مختلفة للتوقيت الصيفي. واذا ما

(٢) Sun-belt states

المناطق الزمنية وتحديد الوقت



١. الاردن ٢. سوريا ٣. العراق ٤. لبنان ٥. ليبيا ٦. المغرب ٧. دولة الامارات ٨. البحرين ٩. تونس ١٠. الجزائر ١١. العربية السعودية ١٢. السودان ١٣. عُمان ١٤. قطر ١٥. الكويت ١٦. مصر ١٧. جمهورية اليمن الديموقراطية ١٨. الجمهورية العربية اليمنية.

ركب مسافر حافلة في رحلة من ٥٦ كيلومتراً بين ستوبنفيل (أوهايو) وماوندسفيل (فرجينيا الغربية) وضبط ساعته إلى التوقيت المحلي في كل محطة، فعليه أن يعيد ضبط ساعته سبع مرات!

وفي الولايات المتحدة التي يبلغ مجموع مدنها الكبرى ١٣٠ ويتقيد ٧١ منها بالتوقيت الصيفي فيما لا تلتزمه ٥٩ أخرى، أقر الكونغرس عام ١٩٦٦ قانون التوقيت المنتظم، ولم يعد مسموحاً بأن تضبط السلطات المحلية ساعاتها بنفسها. ونص القانون الاتحادي على أن التوقيت الصيفي يبدأ في الاحد الاخير من ابريل (نيسان) وينتهي في الاحد الاخير من اكتوبر (تشرين الأول) من كل عام. غير أن احدى الولايات احتفظت بحقها في اعفاء نفسها كلياً من التوقيت الصيفي. أما الولايات الاثنتا عشرة المجزأة بين منطقتين زمنيتين مختلفتين فقد أتيح لها أن تتبع التوقيت الصيفي في منطقة من دون أخرى.

وسبّب ذلك أحياناً خلافات وشقاقاً، خصوصاً في انديانا وهي ولاية تقاسمتها المنطقتان الزمنيتان الشرقية والوسطى. وفي فيفاي احدى بلدات انديانا يعمل العمدة وفقاً للتوقيت العادي طوال

الزمن العربي ليس واحداً

تقسم الدائرة المحيطة بالأرض ٣٦٠ درجة يمرّ في كل منها خط من خطوط الطول، وهي خطوط وهمية تحوط الكرة الأرضية في شكل أنصاف دوائر تمتد بين القطبين. وتدور الكرة الأرضية حول نفسها مرة كل ٢٤ ساعة، فتعرّض للشمس في الساعة خمسة عشر خطاً. لذلك، يمكن اعتبار كل ١٥ خط طول مساوية لمنطقة زمنية أو ساعة. وهكذا قسّم العالم ٢٤ منطقة زمنيّة. أمّا خطّ الطول الذي يمر في مدينة غرينتش قرب لندن فقد اتفق دولياً على اعتباره خط الطول الأساسي أو الخط الصفر. وبما أن الأرض تدور من الغرب الى الشرق، فترقّم المناطق الزمنية من - ١ الى - ١٢ شرق هذا الخط اشارة الى عدد الساعات التي ينبغي طرحها للحصول على توقيت غرينتش، ومن + ١ الى + ١٢ غرب هذا الخط، اشارة الى عدد الساعات الواجب اضافتها للحصول على هذا التوقيت.

ولا بد من الاشارة الى أن التوقيت المعتمد في كثير من البلدان لا يتوافق دائماً مع توقيت المناطق الزمنية، علماً أن المناطق الزمنية تنطبق عموماً على البحار.

ولاستغلال ضوء النهار الى أقصى الحدود، يعمد كثير من البلدان الى تقديم توقيته ساعة واحدة خلال الفصول الدافئة.

السنة، في حين تعتمد سرايا البلدة التوقيت الصيفي.

وفي بلدة رايزنغ صن المجاورة يبدّل الجميع ساعاتهم إلى "الوقت السريع" ما عدا المدارس الحكومية التي تلتزم التوقيت العادي على مدار السنة.

مدرسة تحت النجوم - من سيئات التوقيت المحلي أن كل منطقة زمنية، نظرياً، تمتد ساعة في الزمان والمكان. فالشمس تشرق على الطرف الشرقي لمنطقة ما قبل ساعة تقريباً من بزوغها في الطرف الغربي، على رغم أن الساعات مضبوطة إلى التوقيت نفسه. والحقيقة أن المدن الواقعة في الطرف الغربي من المناطق الزمنية ينطبق عليها التوقيت الصيفي نصفياً، اذ ان التوقيت العادي لساعاتها يسبق بنصف ساعة موقع الشمس في سمائها. وحين يفرض عليها التوقيت الرسمي "تقديم" ساعاتها ساعة أخرى، فإن الأثر يماثل توقيتاً صيفيا من نوع: الساعة كذا ونصف. وفي الطرف الغربي من المناطق قد لا تغرب الشمس قبل العاشرة مساء في الصيف ولا تبزغ قبل التاسعة صباحاً في الشتاء.

وأعداد الأمريكيين القاطنين في النصف الغربي من المناطق الزمنية تزيد على تلك التي تسكن النصف الشرقي. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ حين فرضت الحكومة الأمريكية التزام التوقيت الصيفي مدة عشرة أشهر رداً على الحظر العربي للنفط أرسل ملايين الآباء أبناءهم إلى المدارس تحت سماء مضاءة بالنجوم. واثر وفاة ثمانية أطفال في حوادث سير

وقد وعت بعض الدول العربية أهمية هذه العملية فاعتمدتها على الشكل الآتي:

البلد	التوقيت ★ الصيف	الشتاء	تاريخ التغيير ١٩٨٦ بدء التوقيت الصيفي	بدء التوقيت الشتوي
الأردن	+ ٣	+ ٢	٣ نيسان (ابريل)	٢ تشرين الاول (اكتوبر)
سوريا	+ ٣	+ ٢٠	١٥ شباط (فبراير)	١٨ تشرين الاول (اكتوبر)
العراق	+ ٤	+ ٣	١ نيسان (ابريل)	٣٠ ايلول (سبتمبر)
لبنان	+ ٣	+ ٢	٣٠ نيسان (ابريل)	١٥ تشرين الاول (اكتوبر)
ليبيا	+ ٢	+ ١	٥ نيسان (ابريل)	٤ تشرين الاول (اكتوبر)
المغرب	+ ١	توقيت غرينتش	٢٩ آذار (مارس)	٢٧ ايلول (سبتمبر)

أمّا الدول العربية التي تعتمد توقيتاً ثابتاً فهي الآتية:

الامارات العربية المتحدة + ٤ (بالنسبة الى غرينتش)، البحرين + ٣، تونس + ١، الجزائر + ١، المملكة العربية السعودية + ٣، السودان + ٢، عُمان + ٤، قطر + ٣، الكويت + ٣، مصر + ٢، الجمهورية العربية اليمنية (الشمالية) + ٣، جمهورية اليمن الديموقراطية (الجنوبية) + ٣.

(★) نسبة الى توقيت غرينتش.

صباحية في فلوريدا، عمدت الهيئة الاشتراعية في تلك الولاية إلى دراسة امكان ابطال التوقيت الصيفي. وكشفت دراسات لاحقة أن حوادث السير تناقصت على نحو طفيف. ووفقاً لأحد الاحصاءات فان التوقيت الصيفي وفّر نحو ١٠٠ ألف برميل من النفط يومياً.

ولكن بحلول العام ١٩٧٦ استشعر الكونغرس غضب الناخبين فقلص فترة التوقيت الصيفي إلى ستة أشهر.

الموعد الافضل – الزمن مصدر طاقة. وطريقة توزيعه تجعل منَ الناس أثرياء أو معوزين. والكونغرس هو الذي ينظم توزيع الوقت في الولايات المتحدة.

وفي أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٥ صوّت مجلس النواب الأمريكي على جعل التوقيت الصيفي سبعة أشهر من السنة. ولقي هذا الاجراء دعماً من إدارة الرئيس ريغان وسيعرض للتصويت في مجلس الشيوخ. واذا ما أصبح مشروع القانون نافذاً فان الامريكيين في العام ١٩٨٧ سيقفزون إلى التوقيت الصيفي في الاحد الاول من شهر ابريل (نيسان) وليس في الاحد الاخير منـه، وسينكفئون إلى التوقيت العادي في الاحد الاول من نوفمبر (تشرين الثاني) وليس في الأحد الاخير من اكتوبر (تشرين الاول).

ترى هل اسحى الكونغرس أفضل التواريخ لمباشرة التـوقيت الصيفي وانهائه؟ وهل الغاية توفير نور النهار ونشر ضوء الشمس والشفق لمصلحة معظم المواطنين؟ لا يبدو ذلك صحيحاً وفقاً لتحقيقين مستقلين نشر أحدهما

في صحيفة "سكاي أند تلسكوب" والآخر في "سيانتيفيك أميريكان"(٣) ولا مصلحة لأي من الصحيفتين في المسألة. وأشار التحقيقان إلى أنه لبلوغ أفضل استغلال لأشعة الشمس والشفق ينبغي أن يبدأ التوقيت الصيفي في الاحد الاول من ابريل (نيسان) كما ينص على ذلك مشروع القانون، لكن الوقت الأفضل لانهاء التوقيت الصيفي. والعودة إلى التوقيت العادي ليس في نوفمبر (تشرين الثاني) بل في الاحد الاخير من سبتمبر (أيلول) أي قبل التاريخ المحدد بستة أسابيع.

شمس للبيع – لماذا أقرّ مجلس النواب اذاً مشروع قانون يحدد نهاية التوقيت الصيفي بعد ستة أسابيع؟

أحد الأسباب، وفقاً لتقارير منشورة في مجلة "فورتشن" وصحيفة "وول ستريت جورنال" هو الحلوى. فاتحادات الصناعيين القت بثقلها في سبيل تمديد التوقيت الصيفي إلى ما بعد ٣١ اكتوبر (تشرين الأول) الذي يصادف عيد "هالوين" وفيه إحدى العطل السنوية التي توزع فيها اعظم مقادير من الحلوى ويرتدي الصغار والكبار أقنعة وثياباً تنكرية. ومن غير المحتمل أن يسمح الآباء لصغارهم بالبقاء خارج البيت بعد هبوط الليل، ولذلك فان ساعة اضافية من النهار قد تساوي ملايين الدولارات من مبيعات الحلوى.

وتتأثر أعمال أخرى بهبوط الليل باكراً. ووفقاً للدراسات التي أجرتها شركة "ساوثلاند" التي تملك سلسلة متاجر "٧ - ١١" فان النساء العاملات يقصدن المتاجر في ساعات النهار، لكنهن يؤثرن الاجواء المضاءة للمتاجر الكبرى (السوبرماركيت) بعد ان يخيم الظلام.

واستناداً إلى حسابات اتحاد صناعات الشواء (باربكيو اندستريز) فإن ساعة اضافية واحدة من النهار لبضعة أسابيع سنوياً تعني ٧٧،٥ مليون دولار قيمة مبيعات مشاو وقوالب فحم وسوائل للاشعال السريع. وفي الجانب الآخر من المزولة تقدر جمعية أصحاب المشاتل أن تطبيق التوقيت الصيفي قبل شهر واحد من موعده قد يعود عليها بمبيعات اضافية تناهز ٣١٥ مليون دولار.

وتؤيد مؤسسة «RP» لمكافحة العمى تمديد التوقيت الصيفي، اذ ان نحو ٤٠٠ ألف امريكي مصابون بالعشا، أي العمى الليلي، وساعة اضافية من ضوء النهار تعني لهم ساعة من الابصار.

ولقد تتبع أحد خبراء الكونغرس مسألة التوقيت الصيفي التي أضحت مثار جدل لسنين. وهو يقول ضاحكاً: "في غالب الشؤون، يصوت المشترعون إلى جانب أحزابهم أو ولاياتهم، ولكن في موضوع التوقيت الصيفي يصوت أعضاء الكونغرس الآتون من الجانب الشرقي للمناطق الزمنية مع التمديد، فيما يصوت أولئك الآتون من الجانب الغربي ضده."

إن بزوغ الشمس وأفولها، شرقاً أو غرباً، سيفيد بعض الناس ويضايق آخرين ويلهب جدلا قديماً لا ينتهي.

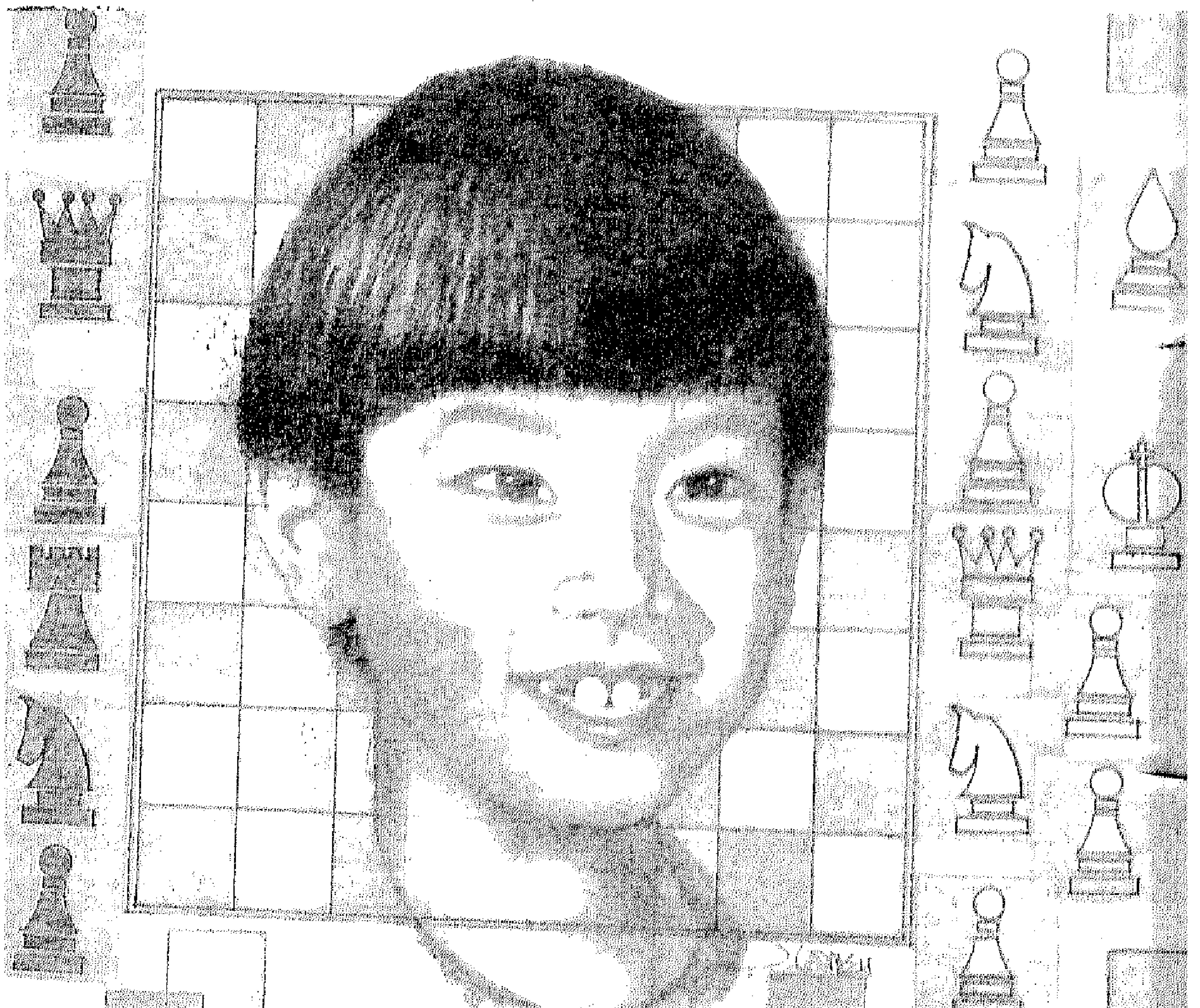
لويل بونتي ■

(٣) Sky & Telescope; Scientific American

نابغة الشطرنج

ابن تسع سنوات يهوى كرة السلة والبيتزا والدمى و...الشطرنج

في السن الخامسة اعتاد أليكس تشانغ أن يلهو سعيداً في روضة الاطفال بكتل خشبية يزعم أنها سفن فضائية ثم رأى في منزل صديق يكبره شيئاً بهره أكثر من أي صاروخ خيالي، شيئاً مدهشاً عجيباً من الكروم البرّاق والخشب المصقول يتوجه تمثال ذهبي صغير. انها جائزة فاز بها صديقه في مباراة شطرنج. وأدرك أليكس أن عليه أن يحوز تلك الجائزة أو أخرى شبيهة بها. وهرع إلى البيت ورجا أمه أن تسمح له بالانضمام إلى ناد محلي للشطرنج.



وتقول أمه لينغ تشانغ وهي طبيبة أسنان من كاوهسيونغ في تايوان: "ظننته صغيراً جداً بعد، لكنه استمر في الرجاء. فسمحت له بالانضمام الى النادي." وما ان انقضى شهر واحد حتى فاز اليكس بجائزة كتلك التي اشتهاها.

أليكس تشانغ الآن في التاسعة وفي الصف الابتدائي الرابع. وهو أفضل لاعب شطرنج بين أترابه في الولايات المتحدة، ولربما كان أكثر الامريكيين نبوغاً منذ التماع نجم بوبي فيشر بطل العالم للعام ١٩٧٢. وحاصل ذكائه الشطرنجي، أي العلاقة بين عمره ورتبته كلاعب، هو ١٠٢٠، احدى أعلى الدرجات في الولايات المتحدة.

وبهذا المقياس يشير الرقم ٥٠٠ إلى الموهبة النادرة، فيما يعتبر اللاعبون الذين تزيد درجاتهم على ٨٠٠ الصفوة التي يأتي منها الأساتذة والأساتذة الكبار(١).

على رغم شهرة اليكس المتنامية فهو صبي طبيعي تماماً، ينظر إلى العالم لاهياً من خلف منظار جوي لديه. وتقول أمه: "الوقت الوحيد الذي يجلس فيه ساكناً هو حين يلعب الشطرنج".

واذ يتناول أليكس عشاءه المفضل البيتزا في أحد مطاعم الوجبات السريعة، يضحك حين يُسأل عن لقبه في المدرسة ويجيب: "الدماغ. يظنون أني أذكى صبي في الصف."

وفي البيت يثب عالياً أمام الباب متظاهراً بقذف كرة السلة. وهذا ليس عملا عادياً لصبي يزن ٣٢ كيلوغراماً ويبلغ طوله ١٣٥ سنتيمتراً. ثم يتفحص بقعة اليقطين في الساحة الأمامية للمنزل، ويقول بلهجة جنوبية مباعداً ما بين يديه مسافة ٦٠ سنتيمتراً: "لقد نبتت لدينا واحدة بهذا الحجم." ويجلس القرفصاء على بلاط غرفته ليعرض ألعابه الأثيرة متباهياً، وهي مجموعة كبيرة من "المتحولات" سوداء اللون تتحول من سيارات وصواريخ إلى رجال فضاء آليين.

اللعبة الموهوبة — سجل اليكس تشانغ ١٩٢٠ نقطة، وتنقصه ٢٤٠٠ نقطة ليصبح أستاذاً. واذا تسارع مستقبله المذهل كما هو متوقع فسيغدو أستاذاً خلال سنتين، ويكون أصغر لاعب على الاطلاق يحوز هذا الامتياز. ولقد انضمت إلى جائزته السحرية الأولى ٤٩ جائزة أخرى موضوعة الآن في غرفة الجلوس بمنزل آل تشانغ في ريتشوود بفرجينيا الغربية.

لم يكن أي من والدي أليكس يلعب الشطرنج أو يفكر في أن ذلك الصبي البارع في تهجئة الكلمات هو نابغة عتيد. وقد ظنت السيدة تشانغ، ببساطة، أن اللعبة ستكون تحدياً لطفليها. ولذا خرجت من المنزل واشترت علبة شطرنج بأربعة دولارات. ثم قرأت التعليمات وعلمت ابنتها أنجيلا ذات الثماني السنوات طريقة اللعب.

أما والد اليكس، الدكتور هاو تشانغ من تايتشونغ وخريج كلية كاوسيونغ للطب في تايوان، فيستذكر أن أنجيلا استوعبت اللعبة بسرعة ثم لقنتها شقيقها الأصغر.

(١) Masters and grand masters



أليكس وأنجيلا، وتبدو جوائزهما في خلفية الصورة.

ويقول الدكتور تشانغ: "هي بدأت اللعب أولا. لكنه كان أبرع... وما زال، مع ان انجيلا هي أمهر لاعبات الشطرنج في الولايات المتحدة."

وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٣، بعد سنة واحدة من تعلم أليكس لعبة الشطرنج، اشترك في دورة البطولة الوطنية للمبتدئين في ممفيس بولاية تنيسي. وضمت الدورة زهاء ٣٧٨ ولداً من روضة الأطفال حتى الصف الابتدائي السادس في مسابقة من ثماني جولات. وفيما أليكس راكعٍ في كرسيه فاز في ست مباريات "ظهْراً لظهر" وخسر في اثنتين. واستطاع بعد يومين من اللعب أن يتقاسم البطولة في المجموعة التمهيدية مع ولد في الصف الابتدائي الثالث من نيويورك.

ولدى افتتاح المباريات الوطنية للعام ١٩٨٤ آثر أليكس "اللعبة المفتوحة" متجاوزاً فئة عمره، وتبارى مع أولاد من الصف الابتدائي السادس. فتعادل في المركز الثاني بمجموع ٦ نقاط في مقابل نقطة واحدة.

وفي مايو (أيار) ١٩٨٥ اشترك ثانية في مباريات الفئة الاكبر منه سناً، فحل في المرتبة الثانية متعادلا مع تلميذ في الصف الابتدائي السادس من مدينة نيويورك. واعتبر أليكس ظاهرة الدورة ووصفته صحيفة "كريستشان ساينس مونيتور" بأنه "اكثر لاعبي الشطرنج الاولاد اثارة للدهشة."

صبي غير عادي - يبدو أليكس يلعب أفضل اذ يكون منهمكاً. وكان مدربه

Illustration: Jeff Cornell. Photo: Brian Lanker

السابق أستاذ الشطرنج رصل بوتر يحضه على اللعب في اكثر المباريات منافسة، وخصوصاً مع الراشدين ما أمكن. وبوتر يعتبر أليكس واحداً من القلة من عباقرة الشطرنج الذين يجود بهم قرن، ويعتقد أن حضه الآن سيزوده الخبرة التي يحتاج اليها للاشتراك في الدورات العالمية الكبرى حين يصبح مراهقاً. وفي العامين ١٩٨٤ و١٩٨٥ لعب أليكس مع استاذ في الشطرنج وربح، كما تعادل مع خبيرَين وفاز على ثالث، وهذا انجاز لم يسبقه اليه تلميذ في الصف الابتدائي الثالث. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٥ اشترك في دورة للبالغين ففاز في ثلاث مباريات وخسر في واحدة وتعادل في أخرى.

ويتعين على أليكس أن يسافر ليتابع الدورات، وهو وصل في ترحاله الى آيسلندا. ويأتي منافسوه الكبار من حواضر كبيرة أتيح لهم فيها أن يلعبوا مع أساتذة شطرنج. ويسبب ذلك متاعب لأسرته. فالدكتور تشانغ يرى "ان أليكس لو كان صبياً عادياً لما همَّني السكن هنا في ريتشوود."

لكن أليكس ليس ولداً عادياً، وإذا أصبح أستاذاً في الشطرنج عما قريب فقد ينتقل آل تشانغ للاقامة قرب مدينة كبيرة. وتضيف أم أليكس: "ابننا صبي موهوب، وإن لم نساعده في بلوغ أقصى طاقاته فسيتملكنا احساس بالذنب."

وريتشوود بلدة غنية بالخشب ومناجم الفحم الحجري ويبلغ عدد سكانها قرابة أربعة آلاف. وهي تبعد ثلاث ساعات بالسيارة عن تشارلستون، اكبر المدن المجاورة.

والحياة في ريتشوود بهيجة. وتدر عيادة الدكتور تشانغ دخلا سنوياً يبلغ ٦٥ ألف دولار، وهو يطبب أيضاً في مستشفى هناك. وتعمل زوجته مساعدة طبية له في العيادة. وتسكن الأسرة في بيت قرميدي بسيط ولديها سيارة وشاحنة وعربة مقطورة.

[illegible] — حين لاحت جبال فرجينيا الغربية لآل تشانغ للمرة الأولى عام ١٩٧٣ أعادت اليهم الهضاب المغطاة بالصنوبر ذكرى تايوان التي هاجروا منها قبل سنة. كانوا يبغون حياة أكثر سلاماً من حياة نيويورك حيث عمل الاب طبيباً متمرناً. وبعد سنة قرأ الدكتور تشانغ اعلاناً في مجلة طبية نشرته جمعية في احدى بلدات فرجينيا الغربية، وفيه تعرب عن حاجة البلدة الى طبيب. واتصل الدكتور تشانغ بالجهة المعلنة مبدياً استعداده لتولي الوظيفة.

قام آل تشانغ بادىء الأمر بإدارة عيادة في قرية جبلية يقطنها ٣٠٠ شخص. ثم انتقلوا إلى ريتشوود.

وبحلول خريف ١٩٨٤ استرعى أليكس انتباه جون كولينز أستاذ الشطرنج الذائع الصيت ومدرب بوبي فيشر. وأثناء دورة شطرنج في جبال كاتسكيل بولاية نيويورك ذهل كولينز اذ لاحظ أن أليكس لا يدوِّن على جدوله النقلات التي يلعبها فعلا، بل كذلك النقلات المحتملة لكلا اللاعبين. فدعاه الى الانضمام إلى "فتية كولينز" وهو فريق من ١٦ عضواً يضم صبياناً وبنات أمريكيين طاروا إلى آيسلندا للاشتراك في مباريات ضد فريق

مماثل. وقد خسر الفريق الأمريكي غير أن اليكس، أصغر لاعبيه، ربح في ثلاث مباريات وتعادل في واحدة.

ورتّبت المؤسسة الأمريكية للشطرنج التي تساعد صغار اللاعبين الواعدين، نفقات انتقال فينس كمبريدج، وهو أستاذ عالمي في الشطرنج، إلى ريتشوود مرة في الشهر لملاعبة أليكس. وفي هذه الاثناء يلعب اليكس بضع ساعات يومياً ضد خمسة أدمغة الكترونية تمتلكها العائلة. وأحد هذه الادمغة يلعب على مستوى خبير شطرنج وهو قادر على لعب ما يربو على ٢٠ ألف نقلة افتتاحية. ويقول الدكتور تشانغ: "يتغلب اليكس على الدماغ الالكتروني غالب الاحيان، وقد يخسر مباراة واحدة من عشرين."

لدى الأسرة نحو مئة كتاب عن الشطرنج. ويفضل اليكس من بينها كتاب "مبارياتي الستون التي لا تنسى" للاعب بوبي فيشر. وقد اعتاد الدكتور تشانغ أن يشرح المباريات لابنه، أما الآن فيتولى أليكس التفسير والشرح. ويعترف الدكتور تشانغ: "انني حين أقرأ هذه الكتب أجدها لا تبين بجلاء لمَ تكون نقلة ما أفضل من أخرى. فألجأ الى أليكس الذي يدرك السبب بلمح البصر."

ويبتسم الدكتور تشانغ مزهواً فيما يرتبك اليكس. واذ يُسأل متى تغلب على أبيه يقهقه: "في أول مرة لعبت معه."

وتتذكر الأم كيف كان أليكس في الثالثة من عمره يحسب أسعار كل الحاجات التي تبتاعها من المتجر. وكان ينبئها بالمجموع قبل أن يصلا إلى صندوق الحساب. وتضيف: "كان اليكس يستعمل أصابعه بطريقة مضحكة لم يستطع أن يشرحها قط. ولا يسعه كذلك أن يشرح أسلوبه في الشطرنج تفصيلا. لكن هذا الأمر ليس بمستغرب في عبقري يتميز بصفات منها ذاكرة تصويرية (٢) وطاقة هائلة على التركيز الذهني ومقدرة على حساب نقلات عدة في سياقات مختلفة.

إن ركوب السيارة برفقة صفيري آل تشانغ تجربة مريحة. ففي المسافات الطويلة يمضي أليكس وأنجيلا الوقت في لعب "الشطرنج الأعمى" من دون رقعة. وهما يتخيلان الحجار ويناديان بنقلاتهما.

ويعلن أليكس أنه سيلتحق بجامعة برنستون حين يكبر، لكنه ليس متيقناً من المواد التي يرغب في دراستها. وتفصح أنجيلا عن رغبتها في أن تصبح طبيبة أطفال وقد تؤهلهما براعتهما في الشطرنج للالتحاق بالجامعة التي يختارانها. والجامعات الشهيرة، مثل هارفرد وييل وبرنستون، ترحب بالطلاب الذين يتمتعون بتلك المواهب.

واذ يتكوّم اليكس في سريره مع خمس دمى من رقع القماش، فان لديه أهدافاً أكثر أهمية في الحاضر: "أود أن يكون لي تلفاز في غرفتي، وسأحصل على لاقطة تلفزيونية لبث القمر الاصطناعي(٣) أو على بركة سباحة اذا فزت في الدورة المقبلة." ثم يعقد حاجبيه للحظة ويضيف: "أنا مصمم على حيازتها جميعاً."

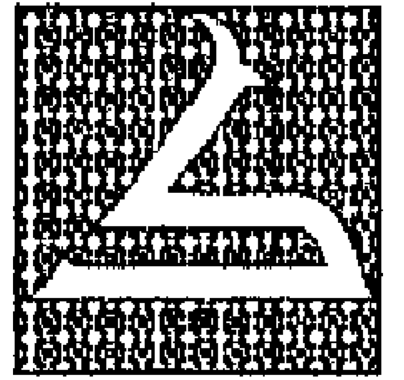
■ جون تومكينز

(٢) الذاكرة التصويرية (photographic memory) قادرة على الاحتفاظ بانطباعات حية عن كل ما يراه صاحبها.

(٣) Satellite TV dish

أوشك الكلب الجريح على الموت في صحراء كالاهاري اللاهبة. ثم وجد خيمة فى ظل شجرة شوك

الكلب الأعرج



كان يتمتع بـاستقلالية ردعته عن الدنوّ من النار التي أضرمتها ليعرّف بنفسه، لذا أقام مخيماً خاصاً به. وكانت خيمتي ترخي الظل الحقير الوحيد ضمن كيلومترات عدة، ... بها شجرة سنط وبقعة خضرة ما في قلب المساحة الرمادية لصحراء كالاهاري. أما هو فقد اختار أجمة

صغيرة من الشجيرات الصحراوية تبعد ٣٠ خطوة عن خيمتي. ورأيته ينسل تحتها زاحفاً ويتمدد متثاقلا وقائمته المصابة إلى أعلى. أظنني عرفت من أين أ... ...ي الأمس مررت بمجموعة ميادين

Illustration: Tony Ribton

المحليين، كانوا رجالا ناحلي القوام على أكتافهم بنادق ويمتطون حميراً هزيلة أثقلت بالأحمال. وتبعتهم قافلة من كلاب صيد تفوقهم هُزالا، جلودهـا صفراء وعيونها صفراء.

يا لها من حيوانات بائسة. لقد رأيت حميراً صغيرة على أبدانها ندوب خلفتها الاثقال وقد شدّت قوائمها أحيانـاً بالاسلاك. وبعد عناء نهار طويل عبر رمال الصحراء تراها تكاد لا تقوى على الحراك لتعتلف. أما الكلاب فكانت من الهزال بحيث يسعك أن تعلّق قبعتك على عظام أوراكها.

كنت أدرك تماماً أن صاحبنا في خطر داهم. فأقرب نقطة ماء تقتضي من الكلب المعافى القوي أن يسير ساعات طويلة. فكيف لكلب أعرج أن يمشي مترنحاً على ثلاث قوائم فوق هذه الرمال اللاذعة؟ كيف له أن يصل؟ وخيّل إليّ أنه أصيب في رحلة صيد، وربما رفسته مهاة جريحة كان يطاردها فتعذّر عليه اللحاق بأصحابه فتركوه. ومن حظه أنه وجدني، هو الجريح المنبوذ.

الهجين الشنيع

أَحالفه الحظ حقاً؟ تلك الكلاب الهجينة ليست بالحيوانات الأليفة. ولانها كافحت من أجل البقاء منذ يوم ولادتها، تراها غير حنونة ونزّاعة الى الارتياب وصاحبة مزاج غير سوي. لذا لا شك في انني لن استطيع ابقاء ذلك الكلب الى جانبي، ولم أكن أريد ذلك. فمدة عقدي في الارض التي تدعى اليوم بوتسوانا شارفت الانقضاء وسأعود قريباً الى مزرعة والدي في جنوب غرب افريقيا. هناك يربّي أبي كلاباً رعاة من أصل ألماني. فكيف لذاك الهجين الشنيع أن ينسجم معها.

وفي تلك اللحظة قررت أن أساعده. ففي النهاية هذه هي الطريقة الفضلى. سأعلفه جيداً، فذاك ليس سوى مجاملة سائدة بين رحّالة الصحراء. وفي الصباح أطلق عليه النار.

أما هو فكان مستلقياً تحت أجمته يتفحص ما حوله بعينين صفراوين خاليتين من أي تعبير، عينين لم تصادفا نظرة عيني، فالكلب لم يلحظ وجودي بعد. وبينما طاهيتي تعطيه الماء وتحضّر له وجبة طعام ملوكية، رحت أراقبه بنظرة انتقادية. وعزمت على ألّا آتي أي حركة وديّة.

لم يكن في وسعي أن أخفف من ألم قدمه المصابة. ولما كان داء الكَلَب سارياً وتلك الكلاب لا تلقّح أبداً، فقد بدا لي من التهوّر أن أجازف بعضّة من فكيه. لكنني أخذت له طعامه ووضعت الطبق الكبير أمامه.

رأيته ينكمش على نفسه مرتعداً وأنا أقترب منه وكأنه خشي أن يكون في نيتي ضربه، لكنه عاد فتجاهلني. ولما وضعت الطبق على الارض استشمه للحظة ثم أشاح بعينيه وانتظر حتى أجلس لينقضّ على الطعام ويلتهمه بعضات سريعة وكأنه يخشى أن ينتزع منه.

ومع انني كنت أحظى بخيمة وسرير صغير مريح، فقد طاب لي أن أرقد الى جانب النار. فتلك الليالي الصحراوية يغلّفها السحر. وبدت السماء الشاحبة نظيفة والنجوم قريبة بحيث يكفيك أن

تمدّ يدك لتقبض على واحدة منها. وكانت الليالي باردة. فحرارة النهار المزعجة تنخفض مع غروب الشمس، والرمال التي تلذع قدميك عند العصر قد تفقدهما اللحس من شدّة البرد في ساعات الصباح الاولى. لكن النار التي أضرمتها ظلّت متّقدة مدة طويلة. فحطب الصحراء الجاف قاس يشتعل ببطء ويخلّف طبقة كثيفة من الفحم المتوهج.

تعوّد خدي ملامسة أنوف الكلاب الرطبة، فلم أروّع عندما استيقظت على ملامسة أحدها في برودة ذاك الليل.

ولا شك في أن البرد تسرّب الى قائمته المصابة فأتى ليسألني هل يستطيع مشاركتي في دفء ناري. ونسيت في رقادي عزمي على عدم مصادقته، فرحت أتحدث إليه بهدوء ومددت يدي نحوه لكنه مال عني واستلقى في الناحية المقابلة. وسمعته يئنّ فأدركت أنه يتألم.

وصباح اليوم التالي انشغلت فلم أجد الوقت لأطلق عليه النار. ولما حزمنا أمتعتنا لنغادر المكان وضعناه في مؤخر العربة وأخذناه معنا. وبعد ظهر ذلك اليوم ربطت فمه بحذر ورحت أتفحّص قائمته. فبدا لي العضل بالغ الاصابة لكن العظم لم يكن مكسوراً. وكانت هذه البادرة الاهتمام الوحيد الذي خصصته به. وأصبح رفيق السفر غير المرغوب فيه، يتجاهلني وأتجاهله وطاهيتي تواصل علفه.

ومرّت الاسابيع، وكنت قلقاً لا أدري ما السبيل الى التخلص منه بعدما استعاد عافيته وكفّ عن العرج. وكان غير فضولي، يبتعد عن طريقي في النهار ولا ينضم إليّ إلاّ في المساء قرب النار. كان هادئاً، لا ينبح أبداً ولا يظهر شعوره. ولم أرَ أي تغيّر في تعبير تينك العينين الكئيبتين الصفراوين. وتذكرت أن عقدي سينتهي بعد شهرين فلا بد أن أخلص منه عندئذ.

عرفان الجميل

ذهبت في عطلة الى دلتا نهر أوكافانغو الكبيرة التي توزّع مياه الفيضان المتدفقة من جبال أنغولا على مساحة ١٥ ألف كيلومتر مربع في الصحراء الشمالية. فكأنه مشهد معجزة. واذ لم يكن هناك مكان أترك الكلب فيه، فقد اصطحبته.

كم كان ذلك الجزء من المنطقة مختلفاً: عشب أخضر ومساحات واسعة من المياه الحقيقية عوض الألوان التي لا توصف وبحيرات السراب في الصحراء. فنصبت المخيّم وجمعت خشباً لنضرم النار. ولكن لن يمكننا أن ننام في هذه الناحية ملء جفوننا. فما ان تميل الشمس الى الغروب حتى تباشر الضباع عويلها والاسود زئيرها. وبدأت أشعر بالارتياح لانني اصطحبت الكلب.

ولما أصبح الظلام وشيكاً توجهت الى الخيمة لآتي بمشعل كهربائي، فرافقني الكلب. وفتحت ستار الخيمة فسبقني إليها. ومن الداخل تناهت الى مسمعي جلبة هائلة وكأن شيئاً يُهزّ بعنف ويُقذف بقوة. ثمّ خيّم السكون ورجع الكلب إليّ وجلس عند قدميّ. وأشعلت عود ثقاب فرأيت الى جانب سريري أفعى من نوع الصّل. كان الجزء العلوي من جسدها ملتوياً بشكل غير طبيعي وكانت نافقة. ولو دخلت الخيمة وحدي لدستها.

وللمرة الاولى منذ تعارفنا أظهرت المودّة للكلب. فجثوت ووضعت ذراعي حوله، وللمرة الاولى استجاب لبادرتي وراح طرف ذنبه يرتجّ بسرعة على الارض. لكنه سرعان ما ابتعد عني وألقى برأسه جانباً ليتمكن من فرك خده بكفّه. عند ذاك لاحظت أن رأسه متورم. ولما كان لم يصدر أنيناً فلم يخطر في بالي أنه أصيب.

وضعته على حصيرته وتمددت الى جانبه بحيث أضمه إليّ. ورحت أتساءل: هل يمكن أن ينجو بعدما لدغه الصّل في رأسه. يا لغرابة الامر! كيف لي أن أكتئب اليوم لكلب حاولت مراراً أن أجد طريقة للتخلص منه. وغلبني الارهاق والنعاس، لكنني كنت أصحو لأطمئن عليه. ولم ينفق تلك الليلة، وفي الصباح كان لا يزال حياً.

وقضى أياماً في مرض شديد ثم بدأ يسترجع عافيته. ولربّما ساعده عناده الطبيعي وصحته الممتازة على اجتياز تلك المرحلة الخطرة. فهو لم يعد ذاك المخلوق الهزيل الذي وقع عليه نظري في المرة الاولى، بل انه تخطّى الوزن المطلوب. وبعد أسبوع لم يبق من أثر الحادث في خدّه سوى بثرة صغيرة، وعاد الى عالم الصحراء.

أصبح الكلب رفيقي الدائم حتى انني وهبته اسماً فدعوته "كون"، وهو تصغير كونفوشيوس، لما لمسته في عينيه من نظرة بعيدة ملؤها التفكير، وكان عقد عملي على وشك الانتهاء. سأعود إلى بلادي، لكنني لم أعد أفكّر في ترك كون. فعليه أن ينسجم ما استطاع مع الكلاب الرعاة الالمانية.

ثم وقعت الواقعة، اذ مرّ بمخيمي راع وتوقّف للتحدث معي. ولا أعرف ان كان الرجل تعرّف الى كون أو سمع قصته فجمع الاحداث، لكنه قال لي: "أعرف هذا الكلب. انه لصديق لي يصطاد في هذه المنطقة. وهو يقود حميره لتشرب من المكان ذاته الذي أقود اليه ماشيتي. وسأخبره بالامر، وسيسر لانك حافظت على كلبه جيداً."

وفاء الكلب

بعد ظهر اليوم التالي زار الصيادون مخيمي. وتقدم رئيسهم مني ممتطياً حماره فرفع ذراعه وحيّاني. ثم ترجّل وتوجّه إليّ.

قال لي وهو ينظر إلى كون: "ان كلبي في حوزتك. وأنا مدين لك بالامتنان لاني ظننته نافقاً. لكنك حافظت عليه أفضل مما يجب. وستمضي أيام قبل أن يعود ناحلا بحيث يمكنه أن يصطاد مجدداً."

فأجبته: "الكلب كلبي. فلولاي لقضى."

قال الرجل: "كلّا. فهو كلب جيّد وعليّ استعادته. لكنني سأعوضك عناء السهر عليه."

ونظرت إلى كون الجالس بيننا وكأن الامر لا يعنيه. وفكّرت: ابداً، لن أسمح بعودتك الى نمط الحياة ذاك.

واستدرت نحو الرجل قائلا: "بل أنا من سيعوضك فقدانه."

فصاح: "إنه كلبي المفضّل".

واحتدمت المشادة بيننا ثم حدّد الثمن وانتقلت النقود من يدي الى يده. وهكذا أصبح كون لي حقاً. ووقف الرجل وتصافحنا وهو ينظر الى كون ويهزّ برأسه. ثم توجّه

الى حماره بخطى واسعة فامتطاه. وقال ضاحكاً وهو يبتعد: "أنصحك بأن تبقيه مربوطاً."

وقلت في نفسي: "فعلا." ووضعت ذراعي حول كلبي وضممته الى ركبتي.

تلك الليلة رقد كون في مضجعه المألوف على جلد الظبي قريباً من النار، ولكن في الصباح لم أجده. فتملّكني غضب شديد. كنت متأكداً من أن الرجل عاد ليلا وأغراه ليتبعه. سألحق به، فمن السهل اقتفاء آثار حماره في الرمال.

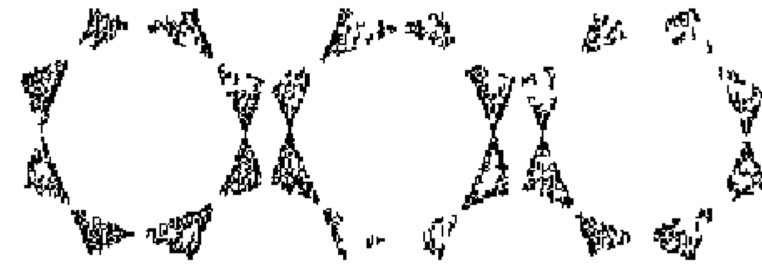
وتحضّر رجالي السود متلهفين لمساعدتي. وبينما أنا أقود العربة كانوا يركضون متتبعين الآثار. ولكن سرعان ما اتضح لنا أن الرجل لم يعد. فلقد غادرنا كون بملء ارادته.

لم يلزمنا وقت طويل لنبلغ المكان الذي خيّم فيه الصيادون. وهناك رأيت كون. فترجلت من العربة وفي يدي حبل لأربطه بينما راح صاحبه السابق ينظر إليّ وكأنه وجد المشهد مسلياً، وقال لي: "نصحتك بأن تربطه."

ومشيت نحو كون الذي حيّاني هازاً طرف ذيله في الرمل. عندئذ رميت الحبل وأخذت أذنيه بيدي وقلت له: "لترافقك السلامة يا رفيقي!"

والتقطت الحبل وعدت الى العربة.

جوستان أوركار ■

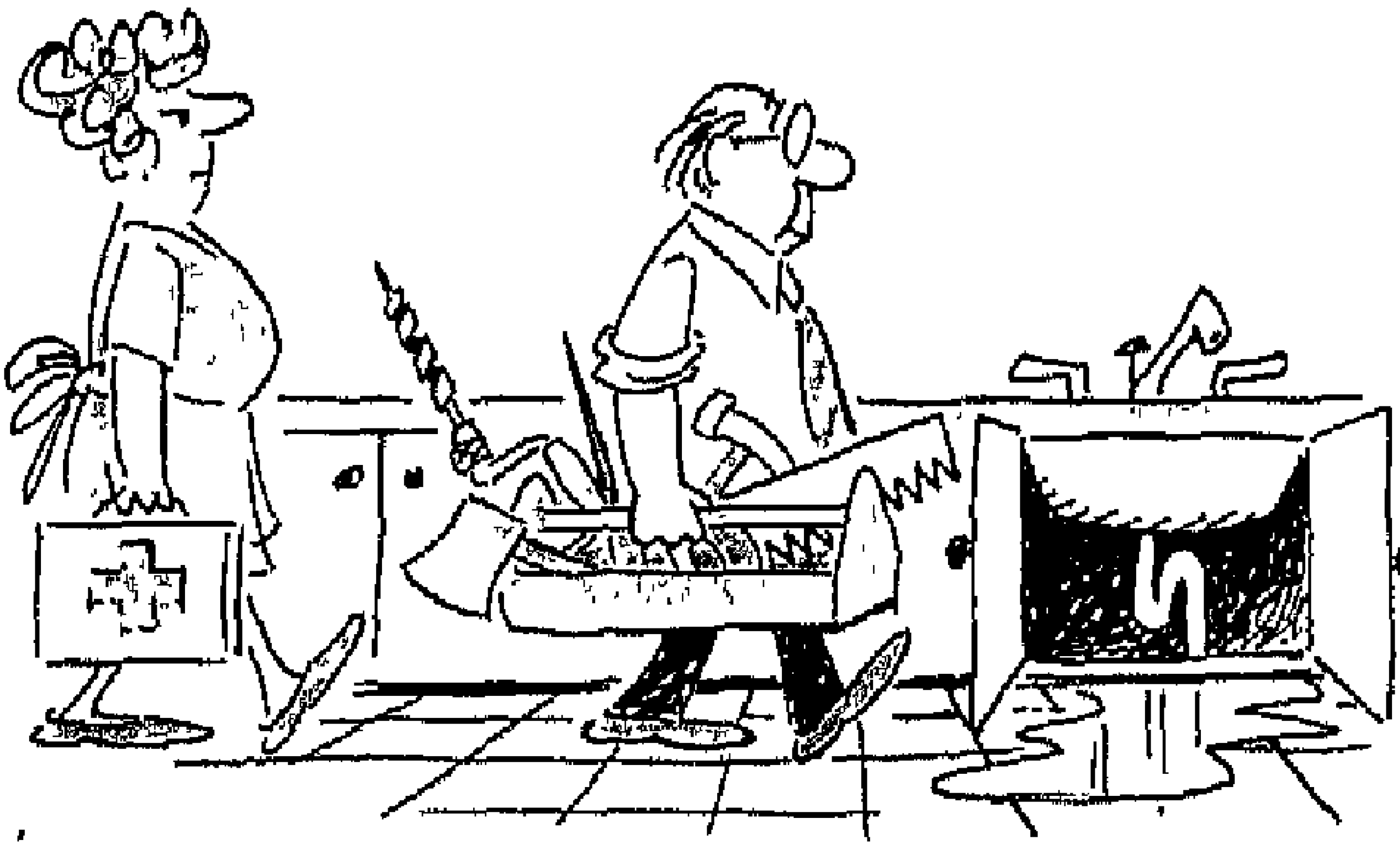


التأمل يحمي القلب

الى الحمية (الرجيم) والتمارين الرياضية والفحص الطبي، هل التأمل يساعد في الوقاية من امراض القلب؟

الاختصاصي الايطالي بامراض القلب فرانكو فونتانيني يجيب:

"انني متأكد من ان التأمل يساعد، لذلك أؤيد ما ورد في مخطوطة "دعاء القلب" للقديس غريغوريوس التي كتبها في سيناء في القرن الرابع عشر ووجدت في دير جبل آثوس. وهو يقول فيها: لكي يسهل عليك الوصول الى حالة السكينة الداخلية، اجلس لوحدك في مكان هادىء والتزم عدم الحركة وثبت النظر العقلي نحو القلب، حتى يشترك العقل مع القلب اولا في ترديد الصلاة ثم يدخل العقل في النهاية تحت سيطرة القلب ويتوقف حينئذ عن تسلطه. والتدريب بهذا الوضع لا يخرج عن كونه محاولة واجتهاداً للتحرر من العوامل الخارجية والداخلية الضاغطة على العقل والنفس والتي صارت جزءاً ملازماً لنشاط الانسان وكأنها طبيعة له تعمل على حرمانه الهدوء والسكينة الروحية التي كانت أصلا من صميم طبيعة النفس البشرية. وبترديد اسم الرب او آية صغيرة تعود النفس البشرية والذهن البشري الى حالتهما الاولى حالة السكينة الروحية التي فيها يستطيع ان يسمع الانسان ويرى صوت الله ونوره في القلب، اي حالة تأمل."



حديقة أفكار

■ الامّة التي تجلّ شيئاً أكثر من الحرية تخسر حريتها. وهي ان قدّرت الرفاه والمال اكثر فانها تخسرهما أيضاً.

و.سومرست موم، روائي وكاتب مسرحي بريطاني

■ اللباقة هي فن اقناع الناس بأنهم يعلمون أكثر مما تعلم.

ريموند مورتيمر

■ إذا استطعت تمضية بعد ظهر ضائع بأسلوب تافه تماماً، تكون قد تعلمت فن الحياة!

لين يوتانغ، كاتب وفقيه لغوي صيني

■ تبقى شاباً، أيا تكن سنك، ما دمت تخطط للغد.

س.ر.

■ هناك ثلاثة أشياء، القليل منها نافع والكثير منها ضار: الخميرة والملح والتردد.

ت.ل.

■ الضمير هو ذلك الصوت الداخلي الذي لا يتكلم لغتك.

م.ك.

■ العمل الذي لا يستأهل الارهاق لا يستحق المتابعة.

هنري ماسكلز

■ انّه لأمر عجيب أحياناً كيف أن عرض قضية ما على الورق يساعد في رؤية الطريق، ليس بالضرورة طريق الخروج ولكن بالتأكيد طريق الدخول.

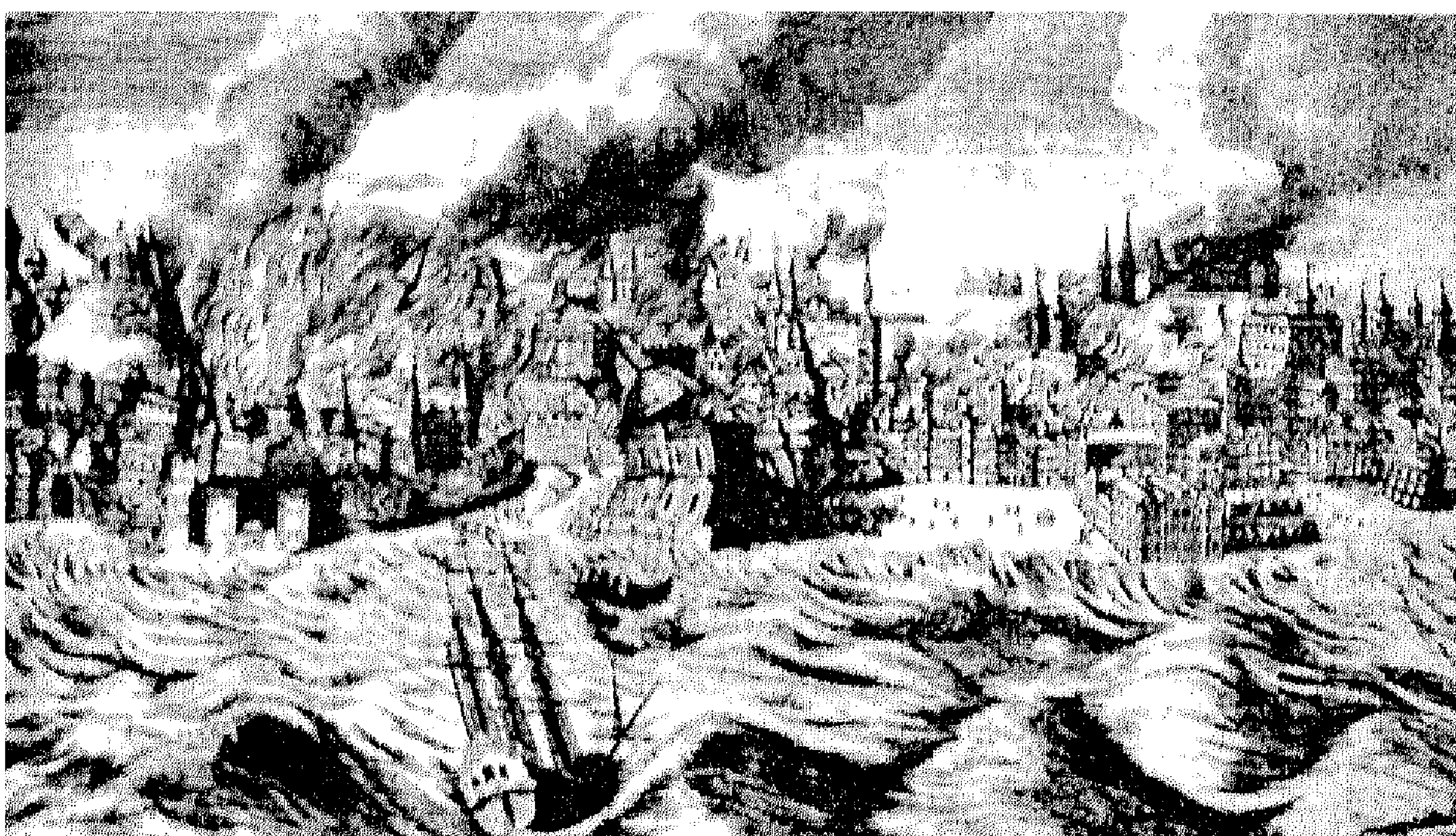
أ.س. بنسون

■ بعد الصمت، فإنّ أقرب الامور الى التعبير عمّا لا يمكن وصفه هو الموسيقى.

ألدوس هكسلي، روائي وناقد بريطاني

زلزال لشبونة

انه أعنف زلزال في تاريخ أوروبا.
وهو حصل قبل ٢٣٠ سنة لكن آثاره لم تمّحِ بعد



لشبونة خلال زلزال ١٧٥٥. وهذه واحدة من مجموعة منحوتات لفنانين اجانب مجهولين.

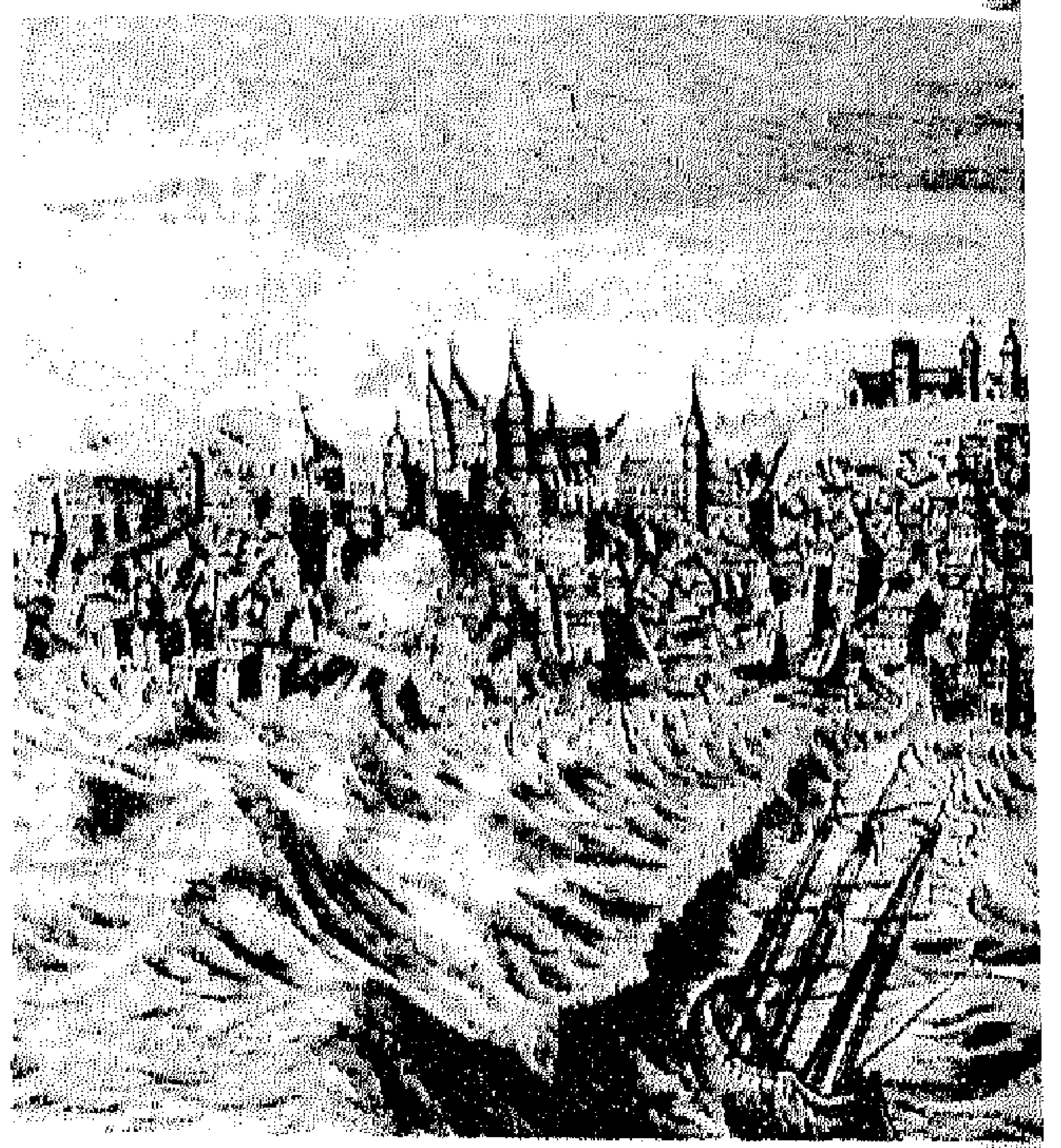
لشبونة في الاول من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٧٥٥.

جلس تاجر بريطاني الى طاولة مكتبه يخط رسالة، وفجأة رأى الطاولة تنزلق امام عينيه وتستقرّ في الجانب الآخر من الغرفة.

وظن ربان سفينة كانت تعبر نهر تاغوس أن سفينته جنحت عندما اهتزت وكاد أن ينطرح ارضاً.

Illustrations: Courtesy of the Museum of the City of Lisbon / Photos: João Freire

خلال دقائق نكب سكان لشبونة البالغ عددهم ٢٥٠ ألفاً باحدى اسوأ الهزات الارضية التي عرفها التاريخ، وخلال هذا القرن الذي بدأ فيه العلماء يقيسون قوة الزلازل علمياً، لم تسجل أي هزة أكثر من ٨،٩ درجات على مقياس ريختر(★). أما قوة الزلزال الذي ضرب لشبونة فقدرها الخبير ج.أ. ايبي بأضعاف هذا الرقم.



عقب الهزة اجتاحت المدينة أمواج مدّية وعواصف نارية قضى فيها اكثر من ٣٠ ألف نسمة وربما ٦٠ ألفاً. وتحوّل قلب احدى أروع مدن العالم ركاماً أسود.

والمضاعفات التي نتجت من زلزال لشبونة ما زال تأثيرها ملموساً حتى اليوم. فالمدينة كما نعرفها أعيد بناؤها بعد الكارثة التي تسببت في اندثار أعمال فنية تعود الى عصر النهضة ولا تقدّر بثمن، ومخطوطات لو بقيت لغيّرت النظرة الحديثة الى الحقبة التي سبقت كريستوفر كولومبوس. وشكلت الهزة حافزاً للعلماء على السعي الى فهم أعمق لتحركات الارض، كما اشاعت نوعاً جديداً من الفكر الساخر والتهكمي بين فلاسفة العصر.

ومع أن الهزات الارضية عرّف بها كل من فك الحرف في القرن الثامن عشر، الا أنه لم يسبق أن دمر زلزال مركزاً للحضارة الغربية. ومن بين جميع المدن بدا كأن لشبونة هي الاقل عرضة لهذا المصير. فتلك المدينة تعتبر الى اليوم خارج نطاق المناطق المعرضة للزلازل الخطرة.

"البحر يقترب!" – بنيت لشبونة على منحدرات التلال الصخرية المشرفة على ميناء هادىء. وكانت فيها منازل يعود تاريخها الى القرن الثاني عشر. أما كنائسها وكاتدرائياتها فلقد عمّرها شعب تقي. وحاطت المدينة هالة من السلطان. وبفضل الذهب الذي تدفق عليها من البرازيل ومهارة ابنائها التي لا تضاهى في الملاحة، أصبحت لشبونة أهم مركز تجاري في العالم.

وفي صباح الاول من نوفمبر (تشرين الثاني) كانت السماء زرقاء صافية والشمس ترسل أشعتها الذهبية، وكان الطقس دافئاً والهواء عليلا. وكان الملك خوسيه الأول والعائلة المالكة أمضيا الليلة في القصر الريفي في بيليم، وهو

(★) مقياس ريختر يسجل قوة الزلازل متدرجة من صفر الى ٨،٩ درجات. وكل زيادة من درجة واحدة تعني زيادة قوة الزلزال عشرة أضعاف.

أمر اعتبر في ما بعد عناية الهية. الا أن معظم أهل لشبونة ارتدوا ذلك النهار أفخر ثيابهم استعداداً للتوجه الى الكنائس ومنها سان فيسنتي دي فورا.

وما حدث ذلك الصباح في تمام العاشرة الا ثلثاً رواه قبطان بريطاني مجهول هو نفسه الذي شعر بالارتجاج الغريب فيما سفينته راسية في نهر تاغوس. وهو كتب: "راحت المباني الاكثر ارتفاعاً تتداعى وتنهار وسط زئير يصم الاذان، خصوصاً بين سان بول وبيرو ألتو وشرقاً في محاذاة النهر وصولا الى المشنقة وشمالا الى سان خوسيه وروسيو. تلك المناطق جميعها مُسحت تماماً في الهزات الثلاث التي تعاقبت." واستغرق ذلك كله نحو عشر دقائق. ورأى القبطان "جميع القصور والكنائس العظيمة تتصدع وتنهار."

أما السيد بلير، التاجر الذي كان يخط رسالة في مكتبه في الطبقة الاولى من أحد مباني المدينة، فسمع أصواتاً "كهزيم الرعد" وشعر بالبناء يهتز وسمع جدران الغرف في الطبقات العليا تنهار.

وهو كتب: "كنت متأكداً أنني سأقضي سَحقاً. فالجدران من حولي كانت تترنح على نحو بعث الرعب في قلبي. ثم بدأت الشقوق تظهر فيها ورأيت أطراف دعائم السقف، كل ذلك دفعة واحدة. واكفهرت السماء فجأة ولفّ المكان ظلام مطبق حجب عني الرؤية. ذلك الظلام الغريب، الملموس تقريباً، سببته سحب الغبار والكلس المنبعثة من المنازل المنهارة ومن تلك الهزة العنيفة.

"واندفعتُ نحو ضفة النهر طلبا للخلاص. ووجدت هناك حشوداً من الناس جاثمين على ركبهم يبتهلون الى الله ويقرعون صدورهم يلتمسون الرحمة والهلع مرسوم على وجوههم. فجأة قطعت الصلوات صرخة: البحر يقترب! اننا هالكون! وظهرت موجة ناطحت السماء وراحت تقترب وهي تزبد وتكسّرت حولنا جارفة معها كثيرين. ولو لم أتشبث بعارضة ملقاة في الشارع لجرفتني المياه قبل أن تعود الى طبيعتها بالسرعة التي اندفعت بها."

بطل الساعة – على امتداد ١١ كيلومتراً في محاذاة الضفة الشمالية لنهر تاغوس وضمن كيلومترين ونصف كيلومتر الى الداخل كان الدمار سريعاً وشاملا ورهيباً. وتحولت الكاتدرائيات قبوراً جماعية من صخر. وعندما بدأت الثريات تهتز بعنف هرع المصلون الى ساحة صغيرة أمام كاتدرائية سانتا ماريا ليجدوها تغصّ بمن سبقهم اليها من جموع فرّت من الكنائس طلباً للنجاة. ومع الهزة الثانية اختفت الساحة ومن فيها.

من لم يقضِ بالهزة في لشبونة ذاك النهار قضى بالنار التي أشعلتها الشموع المضاءة في المذابح والجمر المعد للطهو. وتجمّع اللهب في عاصفة نارية نفخت فيها ريح شمالية شرقية. واستحال على فرق الاطفاء الوصول الى الحرائق، وعاقها الركام الذي سدّ الشوارع، فظلت النار متقدة أسبوعاً كاملا.

تجمّع الناس في باحات المدينة وساحاتها المفتوحة هربا من النار ومن الحجار المتساقطة من الابنية المنهارة.


مركيز بومبال، لوحة لفنان مجهول.

ونصبوا شوادر أقاموا تحتها. وفي بيليم أخلت العائلة المالكة القصر الحجري واقامت في خيمة ريثما ينتهي العمال من تشييد قصر خشبي. ولم يكن أحد مستعجلا الرجوع الى المنازل، اذ ظلت الارض تهتز طوال تسعة أشهر بعد الزلزال الكبير. وسُجّلت ٥٠٠ هزة قبل أن تهدأ الأرض وتستكين.

في تلك الاثناء سيطر على الملك ذهول أربكه. غير ان وزيره سيباستياو خوسيه دي كارفالو ايميلو الذي كان في السادسة والخمسين من العمر وأصبح في ما بعد المركيز بومبال، غدا بطل الساعة. فراح وال ايام يجوب المدينة في عربة كسوها الرماد متفقداً الاضرار ومعطياً تعليمات ومصدراً الاوامر. وهو أمر بدفن جثث وأصدر مرسوماً بانزال عقوبة شنق الفوري بكل من يقترف أعمال سلب والنهب. وفي الايام القليلة التي لت الكارثة نُفّذ ٣٤ حكماً بالاعدام. والى لك أمر الوزير بمصادرة المواد الغذائية لتي تحملها السفن الراسية في الميناء توزيعها على الناجين، وانتشر الجنود ول المدينة لمنع فرار العمال الذين حتاج أعمال الانقاذ الى خدماتهم.

وفيما بومبال تلملم جروحها وتستعيد النظام بعد الفوضى التي عمّت، بدأ العالم الغربي يعي فداحة الكارثة التي حلت ويشعر بهول الصدمة التي أحدثتها خسارة أعمال فنية مهمة وجزء من المعرفة ما زال العالم يفتقده حتى اليوم. ففي قصر الماركيز دي لوريكال ذهبت ٢٠٠ لوحة طعاماً للنار، وبعضها لفنانين عظام مثل تيتيان وكوريجيو وروبنز، وتحوّل نحو ١٩ ألف كتاب ومخطوطة رماداً. وأتت النار على ٧٠ ألف كتاب في قصر الملك. وفي أماكن أخرى فقدت وثائق وخرائط وجداول إيجار لو بقيت لألقت ضوءاً على الرحلات الاستكشافية التي قام بها البرتغاليون الى الشرق والعالم الجديد (أمريكا).

آراء مختلفة – قبل الزلزال كان المناخ النفسي السائد بين المفكرين أصحاب "العقول النيّرة" في القرن الثامن عشر مزيجاً من التفاؤل والايمان بطروحات الفيلسوف الالماني غوتفريد فيليم بارون

فون ليبنز، أن عالمنا هو أفضل عالم ممكن. ومع سقوط لشبونة هوى الصالح الى جانب الطالح. والتقط موضوع الكارثة الفيلسوف الشكوكي الفرنسي فولتير الذي عزاها الى أسباب طبيعية مستخلصاً أن العالم ليس مثالياً ولا هو بالكمال الذي نظن. وفي روايته الشهيرة "كانديد" يُصاب البطل وأستاذه بانغلوس بجروح وهما بين الخرائب في لشبونة. ويقبض عليهما رجال محكمة التفتيش بتهمة الهرطقة. ويجلد كانديد ويشنق بانغلوس على مرأى منه، فيقول: "إذا كان هذا أفضل عالم، فما شكل العوالم الاخرى يا ترى؟" وقضت كتابات فولتير وسواه من الشكوكيين على مناخ التفاؤل وغيّرت مجرى الفكر الفلسفي.

وفيما الفلاسفة يتحاورون حول مغزى الزلزال أكبّ العلماء على دراسة أسبابه. وفي العام ١٧٦٠، بعد مراجعة التقارير الواردة من لشبونة، خلص الفلكي البريطاني جون ميتشل الى أن "الزلازل أمواج يحدثها تحرُّك الكتل الصخرية على عمق أميال في جوف الارض." ومع أن العلماء لم يتابعوا عمله إلا بعد قرن، فان دراساته كانت المفتاح لفهم الزلازل.

على أن معظم الناس رأوا في زلزال لشبونة تحذيراً للبرتغال لانها سمحت لمحكمة التفتيش، التي انهار مركزها الرئيسي في روسيو مع أول هزة، بالاستمرار في تحقيقاتها. ورأى آخرون في الزلزال ادانة للترف الذي رفلت به لشبونة.

ومنذ العام ١٧٥٥ يحتفل أهالي بلدة كاسيلهاس كل سنة بذكرى الزلزال وما رافقه ويسير الالوف في موكب ويتذكرون أمواتهم. ولهذه المناسبة، وتكريماً للناجين، تعزف الفرق الموسيقية وتطلق الاسهم النارية وتقرع الأجراس وتختلط أصواتها بصفارات المراكب.

ومع الغموض الذي لا يزال يحوط تحركات الارض، ربما كان هذا الاحتفال أفضل طريقة لاحياء ذكرى حادث ما زال يعتبر أحد أهم التحدّيات في التاريخ.

صاموئيل شراينر الابن ■



أسباب قاهرة!

ذات صباح كان عدد من رجال الاعمال الذين يركبون القطار الى أماكن عملهم ينتظرون في المحطة حين تعالى صوت مدير المحطة عبر المذياع. وتهيأ المسافرون لسماع الاعتذار العادي لتأخر الانطلاق. لكن صوت المدير فاجأهم: "لأسباب خارجة عن ارادتنا، سيتحرك قطار الساعة السابعة في الموعد المحدد تماماً."

ا.س.

الروح المرحة أجمل ثوب يمكن أن يرتديه المرء.

وليم ثاكري، روائي بريطاني



قصيدة إلى فأر

لقاء فاجع في حقل اسكوتلندي تعصف به الريح
ألهم الشاعر احدى القصائد الأكثر حناناً في الادب العالمي

يقع الحقل على حافة مرتفع تذروه الريح في منطقة ارشاير في اسكوتلندا. وعندما نظرت فوق شجيرات الزعرور الانيقة رأيت جرّاراً أصفر يقطر ناشرة سماد تتجول في الحقل وتذرّ السماد على العشب. ووراء الحقل رأيت مزرعة موسفيل الحجرية العتيقة بزريبة أبقارها ومخزن تبنها.

في هذا الحقل الخالي من أسباب الراحة بنى فأر الحقل قبل مئتي سنة مأوى يقيه عصف الشتاء. ولكن يبدو أنه شعر يوماً بهزّة أرضية عظيمة. ففي أسفل الحقل كان حصانان كبيران مسرجان ينتعلان حوافر حديداً ويجتازان بتثاقل الارض الموحلة المشبعة بالماء. وكان فلاح شاب صاحب حاجبين

Photo: Historical Pictures Service Inc.

أسودين يسير في ثلم يشقه محراث يوجهه هو بقوة منكبيه. وراح الفلاح يكدح مقترباً مع فريقه الى أن... "كراش"!

ولاذ الفأر بالفرار اذ شطر رأس المحراث سريره. وراح الفلاح ينظر اليه وهو يهرب مذعورا، وامتلأت عيناه السوداوان بنظرة تأمّل وتفكير. وفي ذاك المساء، في ضوء شمعة، جلس الفلاح روبرت بورنز الى طاولته تحت قش سقف بيته الصغير في موسغيل ونظم واحدة من أحبّ القصائد الى القلوب، وهي بعنوان: "الى فأر قُلب مأواه بالمحراث في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٧٨٥."

أما اليوم فقد انتقلت المزرعة في موسغيل الى أليك ويلي (٦٢ عاماً) الذي امتلكها جد جده في منتصف القرن الماضي. وتعلّم أليك القصيدة في المدرسة مثل كلّ فتى وفتاة في اسكوتلندا ومثل أولاد كثيرين من هونغ كونغ الى لنينغراد. وأنا ايضاً تعلّمتها في المدرسة في مدينة تنيرانجي بنيوزيلندة. لكنني لم أسمع قط أبياتها الشهيرة تنشد بالنكهة الكاملة للهجة أليك من ارشاير.

ويل لك أيها الصغير الهارب.
أي خوف عظيم يعتمر في صدرك!

اعتذار رفيق – أصبح روبرت بورنز شاعراً في عين العالم بأسره. ونقلت أغانيه وقصائده الستمئة، بما فيها "الى فأر"، الى ٣٧ لغة على الأقل منها الصينية والبنجابية. ويحتفل العالم كل سنة بذكرى ميلاده في الخامس والعشرين من يناير (كانون الثاني) ١٧٥٩. فتقام الامسيات المرحة حيث يتناول الناس الطعام والشراب ويلقون الخطب وينشدون الأغاني، ويحيّون عبقرية بورنز الادبية الخالدة ولباقته المرحة في صنع الصداقات وروحه النزاعة الى الاستقلال.

كان بورنز رجلا محبوبا أولع به الكثيرون لانه كتب وقدمه راسخة في الارض بين اصدقائه وجيرانه الذين شاطروه قدره الشاق في تلك الارض البائسة والايام الحالكة. كتب بقلب مفعم بالحرارة والتفهّم حتى تكاد تسمع خفقاته، وخصوصاً في قصيدة "الى فأر".

فمن ناحية، تعتبر القصيدة اعتذاراً رقيقاً الى فأر أرعبه محراث الفلاح وطرده من منزله. ومن ناحية أخرى، هي تلميح حنون الى اتحاد الانسان بالطبيعة والصلة التي تربطه بفأر.

كم هو شديد ذلك الأسف الذي ينتابني
لان الانسان حطم سلطانه
اتحاد الطبيعة الاجتماعي.
وراه يبرر ذاك الرأي السقيم
الذي دحلل لك ان دروّعني هجبة
أنا رفيقك المسكين الذي ولدته الارض،
أنا السائر مثلك الى الهلاك!

كفاح مر – في منطقة الاراضي المنخفضة على بعد ساعة في السيارة جنوب غرب غلاسكو تظهر أرض بورنز في حلّتها الريفية وقد طوتها الخضرة ودرجت على جنباتها الجداول. أما الحجر الرملي الخاص بمنطقة بالوشمايل فبني اللون أشقر يضفي على المنازل الكئيبة ذات السقف القرميدي الاسود اشعاعاً حاراً.

وأهل المنطقة يتحلّون هم أيضاً بخدود متوردة.

وطيف الشاعر في كلّ مكان. فمنطقة ألواي يزورها سنوياً ٩٠ ألف سائح فيشترون فطائر الشوفان وتذكارات من مركز بورنز ويؤمون كوخ القش الذي ولد فيه الشاعر. وعلى مقربة منه جسر بريغودون الصغير ذو القناطر الذي يعود الى القرن الثالث عشر. فهذا الجسر في قصائد بورنز القصصية الرائعة يشهد هروب تام أوشانتر من الساحرات الشريرات بعدما فقدت فرسه ذيلها. وكل فصل من حياة الشاعر دوّن باعتزاز على الابنية والمتاحف والنصب التذكارية.

اما مزرعة موسغيل فليست من الاماكن التي تسهل السلطات السياحية زيارتها، لكن مئات الاشخاص يقصدونها. وفي العام ١٨٧٢ افتتح كتاب عائلة ويلي الضخم المغلّف بالجلد والذي يدوّن فيه الزوار أسماءهم. وهو يدل على أن المعجبين ببورنز أتوا من أنحاء العالم على متون السفن والبواخر وطائرات الجمبو ليقفوا في الحقل حيث اكتشف الشاعر الفلاح الفأر.

لكنك لا تشعر باندفاع قلب الشاعر والحرارة النابعة منه إلّا اذا نظرت الى موسغيل بمنظار القرن الثامن عشر. ففي ذاك الحين كانت الامور سيئة بالنسبة الى أناس كثيرين. فالحرب المستعرة ضد الثوار الامريكيين استنزفت الاقتصاد. وكان اصحاب الارض يفرضون ايجارات مرتفعة على أراض جرداء حافلة بالمستنقعات. وكان انتصار بورنز في الارتفاع فوق قدره الشاق. لكنه في العام ١٧٨٥ كان لا يزال يفلح ثلماً وحيداً. ولمّا بلغ السادسة والعشرين من عمره لم يكن وصل الى عتبة مجده، وكان مستقبله لا يبشر الا بالقلق والكفاح.

السنوات العجاف – قبل سنتين من ذلك امتلك شخص آخر مزرعة العائلة الواقعة على بعد خمسة كيلومترات في لوكليا، وتوفي والد بورنز مفلساً.

واستطاع روبرت وأخوه أن ينقذا من الكارثة ما يكفي للاستقرار في مساحة ٤٨ هكتاراً في موسغيل على التلة وعلى بعد كيلومتر ونصف كيلومتر من قرية موشلين. وكان المكان بارداً وغير مثمر، وكان في المزرعة ثمانية أفواه يجب اطعامها، اضافة الى ثلاثة عمال فتيان ينامون في الاسطبل. واذا نظرت اليوم الى بقرات أليك ويلي السمينة المرقطة بالابيض والبني، صعب عليك أن تتصور كم كانت الحياة مقيتة أيام بورنز.

فنقص العلف شتاء كان يعوق نمو بعض البقرات، الامر الذي حتم حملها لاخراجها من الزريبة في فصل الربيع. ذاك كان "وقت التنشيط". وكان الحليب نادر الوجود فكان الأهالي يحضّرون العصيدة بالماء. أما السكر والشاي فكانا من الكماليات المقصورة على الاغنياء. ونمت نبتات الشوفان واهنة هزيلة، ومع أن بورنز كان مزارعاً كفياً فانه خسر نصف غلّته الاولى في موسغيل بسبب البذور السيئة. وها هو يحرث في جذامة غلّة السنة الثانية وقد أمعن البرد والمطر في اتلافها اسبوعاً بعد اسبوع.

وكان بورنز ينتصب في حقله ببنيته

الصلبة وشعره الطويل وسمات وجهه أكثر فظاظة مما تبدو في رسومه، ما عدا عينيه السوداوين الكحيلتين. ولطالما شوهد يفرك كتفيه المفتولي العضلات وكأنه يريحهما من ألم ينخرهما. وكان يعاني أيضاً نوبات اغماء، وقد نصحه الطبيب بأن يغطس في الماء البارد. لكن ذلك كان يسيء إلى صحته لانه كان مصاباً بالحمى الرثيية (حمى الروماتيزم) التي ابتلاه بها سوء التغذية والكدح.

وبدا انه حكم على بورنز بصراع غير مجد مع الارض وبأن يكون أبداً فلاحاً معدوم الحال. حتى فأر الحقل الذي قلب مأواه في الثلم كان أفضل منه حالاً، وفاجعته لم تكن سوى فاجعة موقتة:

ولكن آه! ها أنا أحسب
حظي غداً في النجاح والسعادة.
ومع أني لا أرى أبعد من اللحظة،
فاني أتكهن وخوفي كبير.

قلب نابض – غير أن الخريف كان بالنسبة الى روبرت بورنز فصل النشاط والحيوية. وعلى رغم أعبائه كان الشعر يفيض منه. وفي الامسيات عندما لم يكن يهبط التلة بحثاً عن الرفقة في موشلين، كان يبتلع عشاءه ثم يتسلّق السلم الى العلّية حيث يجلس الى مكتبه تحت المنور، فيمسك قلمه بالبراعة التي يقود بها محراثه. وكان يتحدث باللغة المحكية، لكنه تلقّى دروساً في الادب الانكليزي الكلاسيكي. فراح ينظم القصائد التي صنعت شهرته الادبية بانكليزية ذات اسلوب مباشر منعش تنمقه بين الحين والآخر ألفاظ باللهجة الاسكوتلندية. ويتحلى معظم هذه القصائد بالفطنة الشديدة والسخرية اللاذعة كقصيدتي "صلاة ويلي" و"الوسيم التقي". أما هو فكان يؤمن بطيبة القلب وكرم الاخلاق.

وفي الصيف الذي تلا ذاك الشتاء الحافل بالكتابات الخصبة، عمد صاحب مطبعة في كيلمارنوك الى طبع ٦١٢ نسخة من كتاب بعنوان "قصائد، معظمها باللهجة الاسكوتلندية، للشاعر روبرت بورنز." فلاقى هذا المجلد الناحل الذي يضمّ ٤٤ قصيدة بما فيها "الى فأر" نجاحاً فورياً باهراً. وما لبثت "رابطة الادب" ان كرّمت الشاعر في ادمبره. وفي السنوات القليلة التي تبقت له أخذ بورنز ينفخ روحاً جديدة في هيكلية الاغنية الشعبية الاسكوتلندية ويكتب قصائد من الشعر الغنائي.

لكن نهايته أتت مبكّرة ومفجعة اذ قضى بمضاعفات الحمى الرثيية التي اصابت قلبه. فمات عن ٣٧ عاماً، لكن قلبه ما انفك ينبض في أغنيات اسكوتلندا وفي الابيات الصريحة والرقيقة التي نظمها وهو يحرث أرض الحقل الرطب الذي تذروه الريح، حيث التقى الفأر الصغير في ذاك اليوم البارد من شهر نوفمبر (تشرين الثاني).

جون دايسون ■



كثيرون من المتهكمين يتوهمون انهم اغنياء بذكائهم، بينما هم فقراء بكياستهم.

ل.ب.

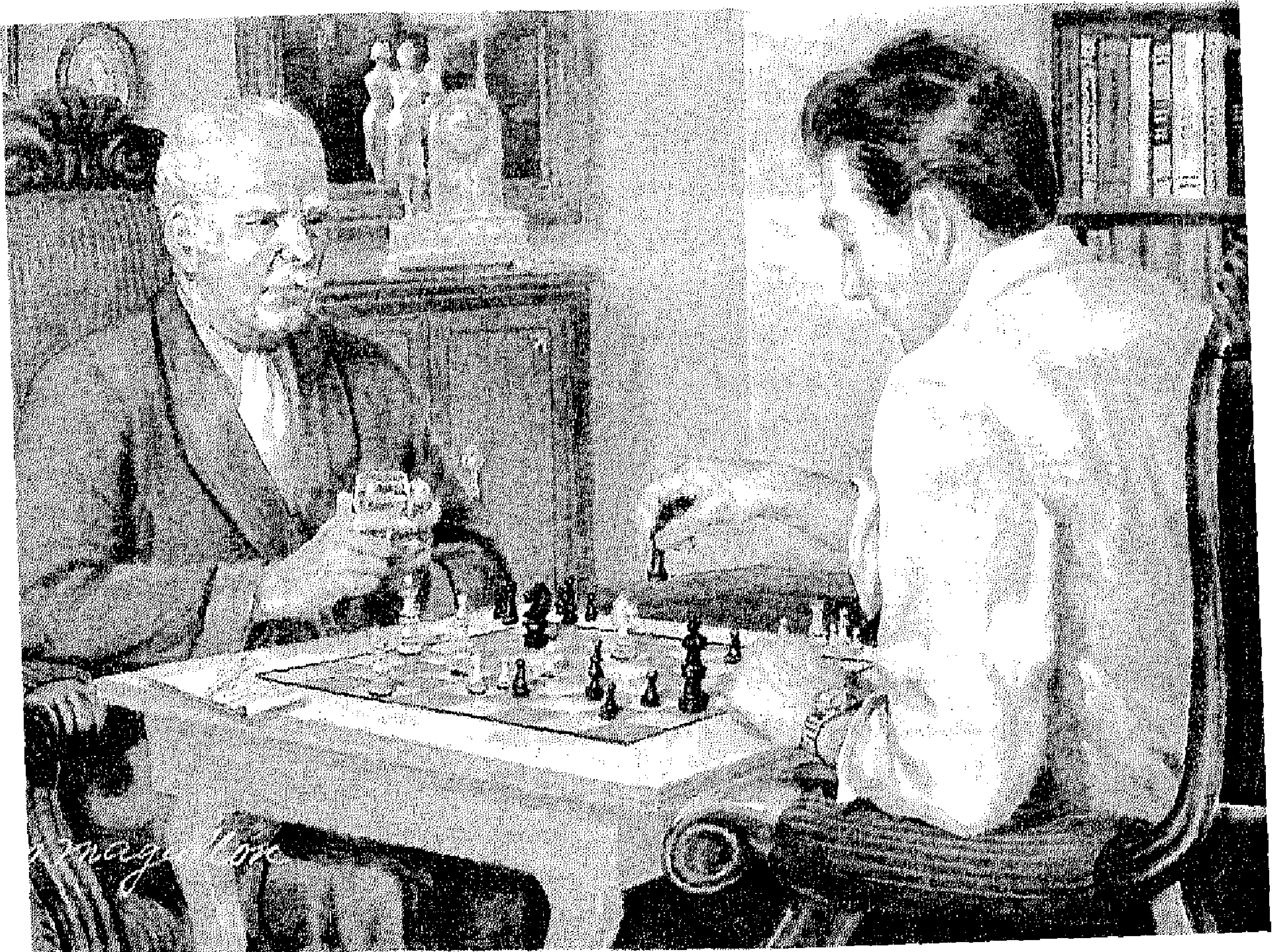
جريمة في القصر

كرهت خالي بكل جوارحي. فبحثت عن حل لمشكلتي... ووجدته

دسست له السم. بعد ساعتين أكون طليقاً. تركت خالي نستور في الساعة العاشرة ليلا. وخز في وجنتي. شفتاي ساخنتان. ثم سكن روعي وذهبت أتنزه.

شعور بالسعادة والانعتاق. غييرمو سينتفع هو الآخر. غييرمو المسكين، البريء جداً. كان علي دوماً أن أفكر وأنفذ عن كلينا... منذ ذلك اليوم الذي اصطحبنا فيه الخال الى بيته. كان قصراً، لكنه خال من الحب. ليس فيه سوى رنين العملات المعدنية.

كان لسان حاله: "عليك أن تعتاد



Condensed from «Jaque Mate En Dos Jugadas,» by Isaac Aisenberg.
This material appeared in «Diez Cuentos Policiales Argentinos,» © May 1953
Published by Libreria Hachette, Buenos Aires. Illustration: Victor Magallon

الاقتصاد لا التبذير. فيوماً ما سيكون كل هذا لك. لكن اليوم الذي طال انتظاره لم يأتِ، على رغم أن خالي كان مصاباً بمرض القلب."

وذات يوم وقع غيبرمو في الغرام. ولم ترق الفتاة خالنا وقال: "انها ليست كريمة الاصل، ها!" وجاءت اشارة غيبرمو الى خلالها النبيلة غير ذات جدوى، فالعجوز عنيد يطلق الأحكام اعتباطاً.

كانت طباعه وطباعي متضاربة. فهو أصر على أن أحوز شهادة دكتوراه في الكيمياء الحيوية. وكنت أصبحت متضلعاً من لعبة البوكر وسباق الخيل. ولم يزودني الخال المال لممارسة هذه الرذائل. وتعين علي أن أستغل كل براعتي لاستخراج البيزو(*) منه.

وكانت احدى وسائلي للحصول على المال أن أتحمل ألعابه الشطرنجية التي لا تنتهي. فهو اذا فاز أطال نهاية اللعبة، مدركاً اني في عجلة من أمري كي أذهب الى النادي. كان يستطيب بؤسي وهو يتذوق الشراب المنشط.

العجوز العنيد

ذات يوم قال لي الخال متلطفاً: "أرى أنك شغوف بالشطرنج، مما يدل على أمرين: أنك ذكي، وأنك تافه عديم القيمة. في أي حال، سيلقى شغفك مكافأة. فأنا عادل، ولكن بما أنك لن تأتيني بشهادة، فسنعدّ منذ الآن مدوّنة موجزة عن كل المباريات. وسيحتفظ كل منا بسجل ونقابل بين السجلين. فما رأيك؟"

العرض فحواه بضع مئات بيزو. لذا قبلت. ورحنا ندوّن نقلاتنا كل ليلة.

الآن انتهى ذلك كله. فعندما يجد المرء نفسه في زقاق غير نافذ، يبحث العقل عن السبيل مرة اولى ثم ثانية فيجده. وضعت بضع قطرات من خلاصة عشب سام في قدح الشراب الذي يحتسيه خالي فيما نحن نتحدث. كان لطيفاً، وأعفاني من الشطرنج تلك الليلة. قال: "سألعب مباراة بمفردي. أود أن أكون وحدي. لقد صرفت الخدم هذه الليلة. وفي وسعك أن تذهب."

السم مفعوله بطيء، ينفذ بعد ساعة او اكثر. والنتيجة نوبة قلبية من دون اي امارة للجريمة. وسيمهر الدكتور فيفا شهادة الوفاة بتوقيعه. ولكن ماذا اذا افتضح أمري؟ هذا مستحيل!

وماذا عن غيبرمو؟ أمره مشكل. وفيما أنا أغادر القصر كان غيبرمو يهبط السلم وقد بدا مهموماً.

سألته: "ما الخطب؟"

أجاب: "لقد سئمت حياتي. العجوز يدفعني الى الجنون. فمنذ أرضيته أنت بلعب الشطرنج بدأ يزعجني. وماتيلد..."

– ماتيلد؟ ماذا دهاها؟

"لقد أنذرتني: اما خالي واما هي."

– حسناً، اخترها هي.

وحدجني يائساً. الأحمق المسكين لن يلتمس سبيلا الى حل مشكلته.

وصرّ بأسنانه: "كنت سأفعل. لكن بماذا نعتاش؟ أنت تعرف العجوز، فهو عنيد وقد يوقف مخصصاتي."

قلت ملمحاً: "قد تنحل الأمور بأسلوب آخر. فما أدراك..."

وكشر قائلا: "لا رجاء لي. لكني

(*) البيزو وحدة النقد في الارجنتين.

سأتحدث الى الطاغية العجوز. أين هو؟"

أحسست بخوف. ربما كان مفعول السم سريعاً جداً. وأجبت: "انه في المكتبة. ولكن دعه، فقد انتهينا قبل ثوان من مباراة شطرنج، وهو صرف الخدم الليلة. جد سلواك في ناد أو برنامج تلفزيوني."

هز غييرمو كتفيه غير مبال: سأحدثه مرة أخرى. وفي أي حال..."

ودمدمت: "في أي حال، لن تجسر على ذلك."

وحملق فيَّ مغضباً.

كشّ ملك!

نظرت الى ساعة يدي. انها الحادية عشرة والدقيقة العاشرة ليلا. لا بد من أن السم بدأ يعطي مفعوله: "في البدء انزعاج بسيط." قد يلعن خالي الطاهي، فالسمكة تسبب له عسر هضم. كم ذلك سهل. ليلة رطبة. البرق يومض في السماء المتلبدة. حجار الشارع المرصوفة تمتد في أشكال ألماسية. وفي البعيد تلوح أنوار خضراء وحمراء وبيضاء.

عزمت على العودة. هبطت الجادة ثانية نحو شارع ليندرو آلم ومنه الى بلازا دو مايو. ساعتي تشير الى الحادية عشرة والدقيقة السادسة والثلاثين. اذا كان السم فاعلا فقد انتهى كل شيء. سأمتلك الملايين. سأصبح حراً. سأصبح... قاتلا.

أنا قاتل! ركبتاي واهنتان. كفاي تعرقان. زجاجة السم في جيبي أحسبها طناً. زجاجة تافهة بقطارة تحتوي على الموت. قذفتها أبعد ما أستطيع.

انا قاتل. انه سر بين خالي نستور وضميري. وتذكرت أعراض السم: "وخز وخدر في اللسان يبدأ في نقطة الملامسة ثم ينتشر الى اللسان بأجمعه فالى الوجه وبقية الجسم."

وقصدت حانة. الفونوغراف يهدر صادحاً بلحن زنجي.

"حرقة حادة في المريء والمعدة." الملايين من أوراق النقد الكبيرة. البوكر. السباقات. الرحلات.

"شعور بالقلق، بموت وشيك. قشعريرة عميقة عامة. اضطرابات في الحواس. ضعف عضلي. تقلصات. شلل."

وحده في القصر أمام رقعة الشطرنج وعليها الملك الاسود والوزير والرخ. كش ملك!

طلبت كأس شراب. من خلال النافذة كان المنظر هو هو. تكتكة ساعتي تعلو كل الأصوات، حتى نبضات قلبي. انها الاولى بعد منتصف الليل.

"تغيّر في النبض، وضغط دم منخفض نتيجة فعل السم في العضو الرئيس. وفي المرحلة الاخيرة يتوقف القلب."

تجرعت الشراب.

مباراة لم تنته

وصلت الى البيت في الثانية والنصف صباحاً. لم أشاهد ضابط الشرطة حتى اعترض سبيلي. ووثب قلبي.

"أنت السيد كلوديو ألفاريز؟"

أجبت متواضعاً: "نعم يا سيدي."

قال: "ادخل."

وسألته لا أدري كيف: "ماذا تفعلون هنا؟"

أجاب: "سيشرحون لك كل شيء في الداخل."

رجال في بزات نظامية استولوا على القصر. لم أر غيبيرمو. أما كبير الخدم فبدا ممتقع اللون وحاول أن يخاطبني. وأسكته أحد الرجال بايماءة ومشى في اتجاهي وهو يتفحصني كأني جرذ مختبر.

"أنت ابن اخته الأكبر، أليس كذلك؟"

- أجل يا سيدي.

"يؤسفني أن أخبرك يا سيدي أن خالك توفي... مقتولا."

كان صوته وقوراً هادئاً. وتابع: "أنا المفتش فيلاغاس المسؤول عن التحقيق."

- رباه، هذا رهيب!

كان لكلماتي جرس أجوف زائف. السم اللعين ترك آثاراً. لكن كيف؟ كيف؟

وسألت المفتش: "هل... هل يمكنني أن أراه؟"

أجاب: "ليس في هذه اللحظة. أود أن تجيب عن بعض الاسئلة اولا."

ووافقت مذهولا: "سمعاً وطاعة."

تبعته الى غرفة الجلوس. وانسلّ مساعدان الى الداخل من ورائي.

قال: "أخبرنا ماذا فعلت الليلة."

- تناولنا العشاء، نحن الثلاثة، كالعادة. وذهب غيبيرمو الى غرفته ولعبت أنا وخالي بالشطرنج. ثم تمنيت له ليلة سعيدة وانصرفت. وفي الردهة التقيت غيبيرمو وتبادلنا بعض الكلمات ثم خرجت."

"وها أنت عائد الآن."

- نعم.

"والخدم؟"

- أراد خالي أن يبقى وحده، فصرفهم بعد العشاء.

معظم أقوالك ينطبق على شهادة كبير الخدم. فهو عند أوبته تفقد المنزل ولاحظ أن باب المكتبة مفتوح جزئياً والنور مضاء. دخل. فوجد خالك أمام رقعة الشطرنج ميتاً. المباراة لم تنته. اذاً لعبتما مباراتكما الليلة، هاه؟"

اجتاحني احساس بالالم كفتيل مشتعل. قد يتفجر البارود في أي لحظة. تلك المباريات الفردية!

- نعم يا سيدي.

لم يسعني أن أناقض أقوالي. ثم اني اخبرت غيبيرمو الامر نفسه، وغالب الظن انه أخبر المفتش فيلاغاس. فأخي يجب ان يكون في مكان ما. انه أسلوب الشرطة، ان تعزلنا وتبقينا وحيدين مشوشين من دون حماية، لتوقع بنا.

"علمت أنك تدون تفاصيل المباريات. هلا أطلعتني على دفتر ملحوظاتك يا سيد ألفاريز؟"

- دفتر الملحوظات؟

"بالطبع. اود ان اراه. وكما يدور في ذهنك، علي ان أتثبت من كل امر، مما قلت ومما فعلت وهل لعبت كالعادة."

الدموع احرقت عيني. وتملكني خوف فظيع، كما احس الخال نستور ولا شك حين غلبه ذلك "الشعور بالموت الداني." كانوا يستحثونني. الصمت طاغ وصلد. عينان، ست عيون، ثماني عيون، الف عين...

لقد أمسكوا بي. انهم يتلاعبون بيأسي، يتلذذون بما اقترفت من إثم. ثم قال المفتش: "حسناً".

كلمة واحدة تعني الكثير.

"حسناً. أنت آخر من رآه حياً، كذلك ميتاً. السيد الفاريز لم يدون ملاحظات هذه المرة."

وصرخت في النهاية بصوت لم يكن صوتي: "كفى! ان كنتم تعلمون، فلمَ تسألون؟ أنا قتلته. كنت أمقته بكل جوارحي. كنت برماً بطغيانه. أنا قتلته. أنا قتلته."

وشهق المفتش فيلاغاس: "يا الهي! لقد نطقت باسرع مما توقعت. والآن، بعدما حللت عقدة لسانك، أين المسدس؟"

تعبير وجهه لم يتغير. وأصر: "هيا، لا تمثل دور المغفل. أين المسدس؟ أنسيت يا صاحبي أنك أصبته في وسط جبهته تماماً؟ يا له من هدف لا يصدق!"

ايزاك أزنبرغ ■

كاتب أرجنتيني من أبرز مؤلفي الروايات البوليسية في أمريكا اللاتينية.



الموظفة الموقتة وكاسر الصخور

استخدمت شركة تجارية فتاة في وظيفة موقتة. وبدا على الفتاة أنها قانطة، فتقدمت منها زميلة سائلة: "ماذا تفعلين؟" فأجابت: "لا شيء." حينئذ روت لها الموظفة القديمة هذه القصة علها تفيد منها:

كان ثلاثة رجال يعملون في تكسير الصخور، وأراد متعهد استخدام أحدهم. فتقدم من الاول وسأله ماذا يفعل فأجاب: "اني أكسر الصخور." وانتقل الى الثاني وطرح عليه السؤال عينه فأجاب: "اني أحطم صخوراً ستستخدم لتشييد بناية."وحمل السؤال الى الرجل الثالث الذي أجاب: "اني أبني معبداً."

وظنت الموظفة القديمة أن الفتاة فهمت مغزى القصة فسألتها أياً من الرجال الثلاثة تستخدم لو كانت هي المتعهد، فأجابت: "لا أدري، ربما اخترت الأكثر جاذبية."

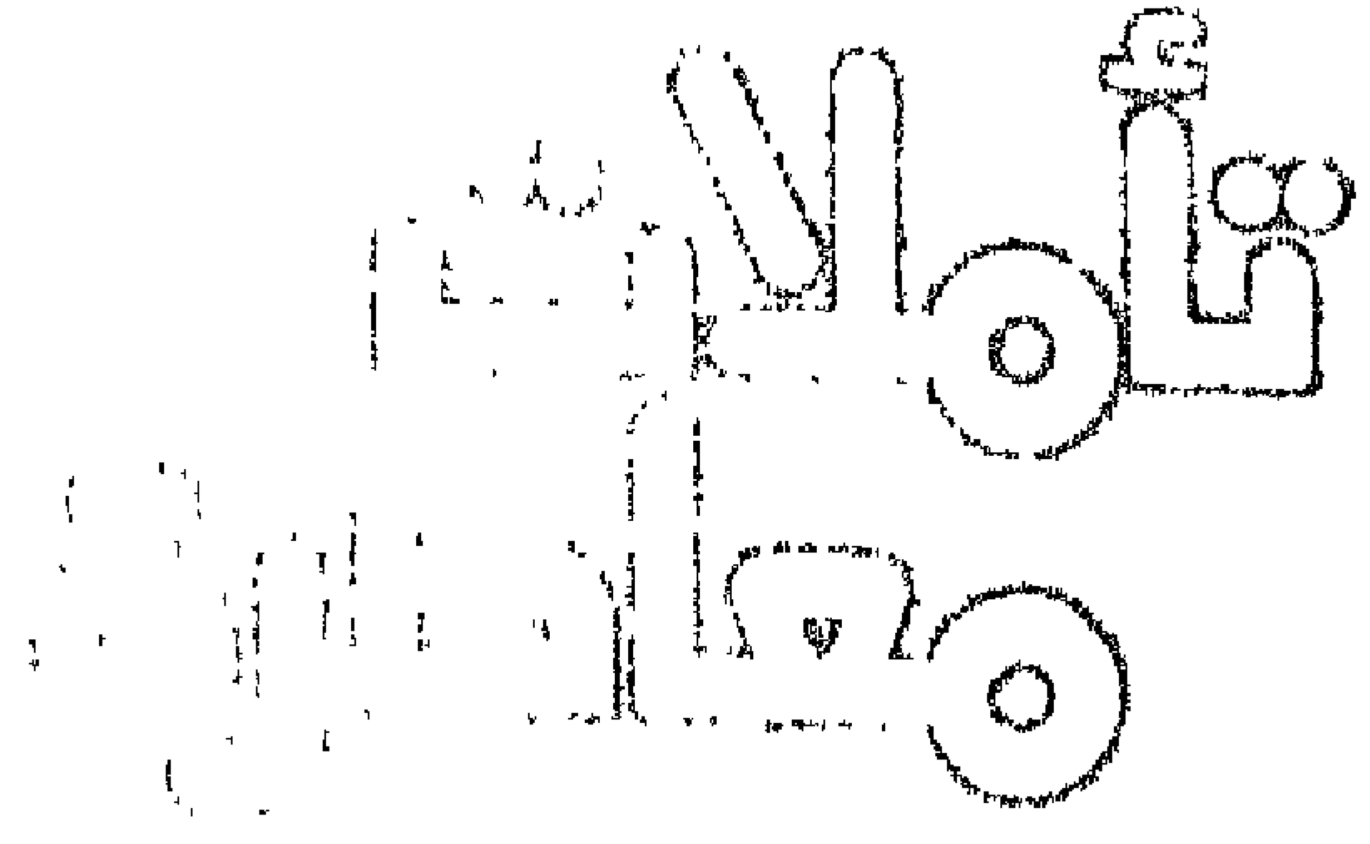
ج.هـ.

مزحة على الهواء

كان مذيع يقدم برنامجاً غنائياً ذات ليلة حين أخذت الاسطوانة تنزلق من مكانها. وقبل أن تتاح له فرصة معالجة الامر قفزت الابرة فوق الاسطوانة وانقطع البث. وهذا أسوأ ما يصيب مذيعاً. وأمسك صاحبنا بالمذياع وهتف: "حسناً، من منكم أيها المستمعون خبط جهاز الراديو في بيته وجعل الاسطوانة تنزلق من مكانها؟"

وعقب هذه المزحة التي شاء بها أن ينجو من المأزق تابع البرنامج بأغنية ثانية. وبعد دقائق جاءه عامل الهاتف يقول ان ثلاثة أشخاص اتصلوا بالمحطة ليعتذروا عمّا بدر منهم.

ر.ر.





التراث

ما زلت أذكر نزهة قمت بها قبل نصف قرن مع عالم الطبيعة جون باروز. في ذلك اليوم اشرفنا على منظر بديع لوادي نهر هدسون والمرتفعات وراءه. وفي أثناء الحديث ضرب باروز الصخرة التي جلسنا عليها وقال: "هذه تبقى." اليوم فهمت سبب بهجته بما يبقى في هذا العالم.

نحن مرتبطون بما يدوم في كل فن. شعرنا ورسومنا الفنية وعقائدنا تحمل فكرة الخلود. في أعماق الاسى وفي ذرى الفرح نتذكر تراثنا. فهو الذي يبقى.

ت. موريس لونغستريث

لحظة الانسجام

حين يحدد المجذفون أسعد اللحظات في الزورق فانهم لا يختارون لحظة الفوز في السباق بمقدار ما يختارون لحظة تكون المجاذيف كلها في الماء في وقت واحد تتحرك في تناسق تام. في مثل هذه اللحظة يبدو الزورق كأنه يعلو فوق المياه. والمجذفون يدعونها لحظة الانسجام.

المجذف الاولمبي جون بيغلو أحب هذه اللحظة أيضاً، لكن أكثر ما أحبه فيها انها كانت تقيّض له أن يثق برفقائه الذين هم معه في الزورق. الانسجام لا يتم الا اذا أدى كل فرد دوره بدقة متناهية. وبهذا فقط يمكن أن تقوم الثقة الحقيقية بين المجذفين.

د.هـ.

الكتب الخالدة

كلنا نعرف أن الكتب يمكن أن تحترق، ومع ذلك فاننا ندرك أن الكتب لا تقتلها النار. الناس يموتون، أما الكتب فلا تموت. لا يستطيع اي انسان ولا أي قوة الغاء الذاكرة.

فرنكلين روزفلت، رئيس أمريكي راحل

المحبة

ما هي المحبة؟

هي الصمت حين تؤذي الكلمات.

هي الصبر حين يجفو جارك.

هي الصمم حين تنتشر الاقاويل.

هي التعاطف مع آلام الآخرين.

هي المبادرة حين يدعو الواجب.

هي الشجاعة حين تقع المصيبة.

كاتب مجهول

نعمة النظر

تأمل القدرات الكامنة في التمشي على الرصيف. دع جانبا تلك الاعتبارات كالتوازن والتنسيق يبقَ عليك أن تنظر الى حيث تسير. وهذا يعني، على نحو ما، أن تستخرج عبرة من الدوامة المتبدلة دائماً حولك من الحركة واللون والضوء والظل.

ولكي تفعل ذلك تجد في تصرفك نحو ١٠٠ مليون خلية حساسة لاقطة هي العصيات والمخاريط التي تتألف منها شبكية كل من عينيك. والشبكية تحوي كذلك أربع طبقات من الخلايا العصبية. وهذا الجهاز بمجمله قد يقوم بما يوازي عشرة مليارات عملية حسابية في الثانية، حتى قبل أن تصل الصورة الى العصب البصري: وحين تصل التفاصيل البصرية الى الدماغ، ثمة قشرة دماغية تحوي ما يزيد على اثني عشر مركزاً بصرياً منفصلا تقوم بتحليلها. ويقدر ان الرؤية، بشكل أو بآخر، تشغل نحو ٦٠ في المئة من القشرة الدماغية.

أما أنت فتبقى هانئاً في غفلتك عن كل هذا الذي يجري وتكتفي بالقاء نظرة عبر الشارع وتقول: "أوه، ها هي زوجتي."

ميتشل والدروب

دكتوراه فخرية!

تساءل الكاتب المسرحي نيل سيمون عن قيمة الدرجة الفخرية حين منح واحدة في حفلة تخرج في جامعة وليمس بولاية مساتشوستس. قال:

"اعلم أن الدرجات الفخرية تمنح عادة لأناس كانت علاماتهم في مباراة الدخول الى الجامعة أدنى من أن تسمح لهم بالدخول بالطريقة العادية. والواقع ان علاماتي في مباراة الدخول كانت السبب في تحولي الى هذه المهنة... الكوميديا.

"ماذا توفر لي درجة الدكتوراه الفخرية في الحياة حقاً؟ هل أصبحت الآن أوفر ذكاء، أم اني أكثر براعة فخرياً.

"في الواقع، الناس لا ينظرون برضا الى حاملي الدرجات الفخرية". هل تسمح لميكانيكي فخري بأن يصلح سيارتك الجديدة؟"

وكالة "أسوشييتد برس"

ركوب الدراجة

ان الناحية الاصعب في تربية الاولاد هي تعليمهم كيف يمتطون الدراجات. ويجوز أن يركض الاب بجانب الدراجة أو يقف ويصرخ بالتوجيهات بينما ولده يسقط أرضاً. ان الطفل المترجرج على دراجة للمرة الاولى يحتاج الى الدعم والحرية في آن. والادراك ان هذا ما سيحتاجه الولد دائماً يقع صدمة مذهلة على الوالدين.

سلون ولسون

السمعة

السمعة مجموعة وعود يقطعها المرء ويبرّ بها. انها تتألف من الصدق والاخلاص والامانة والكفاية في العمل. وباختصار، السمعة هي صورة الشيء الذي ندعوه الشخصية. وتتساءل: "ماذا في السمعة؟" فأجيب: "فيها كل ما تفعله."

موريس ماندل


اللؤلؤة ملكة الجواهر

كنز الانسان اللآلئ منذ ألوف السنين، وقصة تكوّن اللؤلؤ لا تبرح مخيلاتنا. لكن اللآلئ الاصطناعية هي التي تنعم بالشعبية اليوم

فيما الشمس ترسل أشعتها الحارقة حرّكت نسمة المياه الزرقاء الصافية في خليج تايلاند. وعلى الرصيف الخشبي المتداعي الممتد في البحر ضمن مزرعة اللآلىء التي تملكها شركة "ناغا" في بانكوك، جلس ميتشياكي ايتشيمورا يحدق من خلال فتحة صغيرة في صدفة محارة عملاقة فضية الحافات. واستعان بأداتين جراحيتين لينتشل بخفة من داخل الصدفة حبة مشعة تتوهج بألوان قوس قزح وراح يتفحصها.

قال: "انها جميلة." وكانت الحبة رائعة فعلا. فتلك الجوهرة البراقة البالغ قطرها حوالى ١٥ مليمتراً كانت من اللؤلؤ المستنبت اصطناعياً والمعروف باسم لؤلؤ بحر الجنوب، وقُدّر ثمنها لاحقاً بأكثر من ٦٠٠٠ دولار. وهذا الثمن مرشح للارتفاع حالما تصل الجوهرة الى الشاري، وربما بلغ ٤٠ ألف دولار. وسيتهافت عليها الزبائن بلا ريب، ولن تعدم من يقتنيها حتى بهذا السعر الباهظ، لأن اللآلىء مطلوبة اليوم أكثر من أي وقت مضى.

في الولايات المتحدة، البلد الاكثر اقبالا على شراء اللؤلؤ، ازدادت كمية اللآلىء المستوردة ١٣ ضعفاً بين العامين ١٩٧٧ و١٩٨٤. وقفزت أرقام البيع من ١٩ مليون دولار الى ما يزيد على ٢٤٥ مليوناً. وتجارة اللؤلؤ في ازدهار مستمر في معظم البلدان، وعدد كبير من التجار مقتنع بأن الطلب عليها سيشتد.

وتشكل اللآلىء جزءاً رئيسياً في أي مجموعة مجوهرات تقتنيها سيدة ثرية. على أن الشاري اليوم ربما كان أقل ثراء منه في الماضي. وفي حين يراوح ثمن حبل من اللؤلؤ طوله ١٦ انشاً(١) وقطر حباته سبعة مليمترات (في حجم حبة البازيلاء) بين ٣٠٠ دولار و٣٠٠٠، فإن ثمن القطع الارخص نسبياً يراوح بين ١٠٠ دولار و٣٠٠.

ما السبب في ازدهار تجارة اللؤلؤ؟

انه مقتضيات الاناقة العصرية بالدرجة الاولى. ولطالما اعتُبرت "ملكة الجواهر" من الحلى الكلاسيكية. والمظهر الرسمي "موضة" هذه الايام، ومعظم الجواهر ذات جمال مبهرج بخلاف اللآلىء ذات الجمال المكبوح بأناقة والاستجابة الرقيقة

(١) في تجارة اللآلىء يقاس طول حبل اللؤلؤ بالإنش (البوصة) وليس بالسنتيمتر. ويوازي الإنش سنتيمترين ونصف سنتيمتر.

للضوء. وتراوح ألوان اللآلىء بين الزهري والفضي والعاجي والذهبي والاخضر والازرق وحتى الاسود.

عرق اللؤلؤ – كَنَزَ الانسان اللآلىء منذ القدم. وربما عاد تاريخ أقدم عقد من اللؤلؤ ما زال موجوداً حتى الآن الى العام ٣٥٠ قبل الميلاد، وهو وجد دفيناً في موقع بالقرب من القصر الشتوي لملوك فارس في ايران الغربية. ولقد درج الاقدمون على استخدام اللآلىء كرموز شعائرية. ولطالما أسر جمالها الكتاب والشعراء: ولم يقتصر الامر على ذلك، بل ان اللؤلؤ استخدم لاهداف طبية. ويقال ان امبراطورة صينية عجوزاً كانت تشرب خلاصة اللؤلؤ المطحون لتحتفظ بمظهرها الشاب، وان ملك فرنسا شارل السادس فعل الامر نفسه انما ليستعيد سلامة عقله.

وعرف الزمن الغابر نظريات خيالية حول أصل اللؤلؤ. غير أن التفسير الحقيقي هو غاية في البساطة، اذ ان في وسع كل رخوية ذات صدفة أن تنتج "لؤلؤة". وهي تنزع الى ذلك كلما دخل جسدها جسم غريب، فتروح تطلي ذلك الجسم المهيّج بطبقات من المادة نفسها التي تكوِّن صدفتها. على أن الاصداف ليست كلها مصنوعة من مادة عرق اللؤلؤ(٢)، وحدها الرخويات التي تبطن أصدافها بهذه المادة تنتج ما نعرفه باللؤلؤ.

وليست جميع حبات اللؤلؤ بالجودة نفسها. فحبات اللؤلؤ التي تنال اعجاب الصاغة وتقدّر بأثمان مرتفعة لا ينتجها الا محار من نوع بنكتادا وصنف من بلح البحر يعيش في المياه الحلوة.

تبدأ عملية انتاج اللؤلؤ الطبيعي حين ينزلق جسم غريب عَرَضاً داخل المحارة. قد يكون هذا الجسم حبة رمل أو دودة طفيلية أو سمكة صغيرة أو سرطاناً صغيراً. أما الجوهرة التي انتشلها ميتشياكي ايتشيمورا فكانت من اللؤلؤ المستنبت، أي ان نواتها أُدخلت عمداً على نحو اصطناعي.

لؤلؤة ميكيموتو – ترتكز صناعة اللؤلؤ الحديثة على الجواهر المستنبتة التي تنتجها على نطاق واسع ألوف المزارع المنتشرة في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية. وقبل وقت ليس ببعيد كانت اللآلىء الطبيعية وحدها متداولة في تلك التجارة الغريبة، وكان معظمها يجمع في الخليج العربي. وهناك مصادر اخرى للؤلؤ الطبيعي المتكون في المياه المالحة، كالبحر الاحمر وسري لانكا وأرخبيلات جنوب المحيط الهادىء والمياه الدافئة في الامريكتين. أما لآلىء المياه الحلوة فكانت في الماضي تُستخرج من البحيرات والانهر في أجزاء كبيرة من آسيا وأوروبا ونصف الكرة الغربي.

لكن التلوث والصيد الذي جاوز الحدود ساهما في توقف استخراج اللآلىء من المياه المالحة والحلوة على حد سواء. على أن التطور الابرز كان في انزال اليابانيين الى الاسواق كميات كبيرة من اللؤلؤ الاصطناعي. ويرتبط اسم كوكيشي

(٢) Nacre or mother-of-pearl material

أكبر لؤلؤة في العالم

في العام ١٩٣٤ وفيما كان رجال من قبيلة داياك يغطسون بحثاً عن رخويات مائية بالقرب من شواطىء جزيرة بالاوان جنوب الفيليبين، عجز أحدهم عن الخروج من الماء. وتبيّن لاحقاً أن بطلينوساً عملاقاً (clam) يزن أكثر من ١١٥ كيلوغراماً أطبق بصدفته على قدم الغطاس كمصيدة من فولاذ. ومن أجل انتشال الغريق كان على الداياك أن يخرجوا الرخوية من الماء. ووجدوا داخلها لؤلؤة ضخمة في شكل دماغ بشري تزن أكثر من ستة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام. وأصبحت الغنيمة مُلك بنغليما بيسي أقوى رؤساء القبائل في المنطقة.

في ذلك الوقت كان ويلبورن دويل كوب، وهو عالم آثار أمريكي، يجري حفريات في بالاوان. ولدى عودته بعد سنتين، علم أن ابن بنغليما على شفير الموت بسبب مرض الملاريا، فأعطاه عقار أتابرين الجديد آنذاك. وما ان تناول الفتى الدواء حتى شفي على نحو شبه عجائبي. ولمكافأة كوب على صنيعه أهدى اليه بنغليما أثمن ما يملك: اللؤلؤة العظيمة.

تلك اللؤلؤة هي اليوم في حوزة رجل من كاليفورنيا ويقدر ثمنها بأربعين مليون دولار.

ميكيموتو بهذا الفتح التجاري. ففي العام ١٨٩٣ أدّت تجاربه في استنبات اللآلىء الى انتاج نصف لؤلؤة أو ما يسمى "نفطة" (blister). وفي العام ١٨٩٦ منح براءة هذا الاختراع. وبعد اثنتي عشرة سنة منح براءة أخرى لاستنبات لؤلؤة كروية.

لم يكن ميكيموتو أول من انتج اللآلىء الاصطناعية، إذ يبدو ان الصينيين بدأوا ادخال أجسام غريبة الى أصداف بلح البحر منذ القرن الثالث عشر. على أن عناد ميكيموتو وحيويته وحسه المرهف للعلاقات العامة كانت وراء نجاح تجارة اللآلىء الاصطناعية.

أحدثت لآلىء ميكيموتو ضجة كبيرة عندما طرحها في السوق خارج اليابان قرابة العام ١٩٢٠ بأسعار ادنى من أسعار اللآلىء الطبيعية. فما كان من التجار في انحاء العالم إلا أن شنوا عليه حملة تشهيرية ووصفوه بالافّاك. لكنهم خسروا المعركة ضده لان الحق لم يكن الى جانبهم. فحبة اللؤلؤ المستنبتة الجيدة هي لؤلؤة أصلية، والطريقة الوحيدة لاظهار الفرق بينها وبين اللآلىء الطبيعية تقوم على استخدام الاشعة.

ان جميع اللآلىء المعروضة حالياً في أسواق العالم، باستثناء نسبة مئوية صغيرة، هي من اللآلىء الاصطناعية ومعظمها من اليابان.

تكوّن فنّان – لسنوات طويلة اقتصر جمع المحار الذي تستخدمه اليابان لاستنبات اللآلىء، على غطاسات محترفات عُرفن باسم "آما". أما اليوم

فيتولى المزارعون تربية محاراتهم بأنفسهم، بدءاً ببيض غير مكتمل النمو. وعندما تبلغ المحارة ثلاث سنوات من العمر تنشل من الماء ويتولى اختصاصي اجراء شق في لحمها، بواسطة مبضع، ويدخل فيه مربعاً صغيراً من نسيج طية (mantle) الجدار المبطن لرخوية بحريّة حيّة. والى جانب هذا المربّع يضع النواة، وهي كناية عن كرة صحيحة يراوح قطرها بين مليمترين وثمانية مليمترات محضرة من صدفة بلحة بحر (mussel). بعد ذلك تُعاد المحارة الى البحر في سلال تتدلى من أطواف من الخشب أو القش، أو من البلاستيك كما درجت العادة هذه الايام، وتبقى نحو ثلاث سنوات أخرى.

في غضون عشرة أيام، إذا سارت الامور على ما يرام، تبدأ قطعة النسيج الدخيلة في النمو حتى تغلّف النواة. ومادة عرق اللؤلؤ التي يفرزها هذا الكيس تتجمع كل يوم في طبقات عدة. وعلى هذا فإن عدد الطبقات حول نواة لؤلؤة مكتملة ربما بلغ الألف أو اكثر.

وقد تحدث أعطال عدة بينها اضرار الاعاصير الاستوائية والتلوث والعوائق التي تتجمع في "تيارات حمراء" فتاكة. وفي المعدّل تكون نسبة ٢٠ في المئة فقط من محصول اللآلىء من الصنف الرفيع، بينما تبلغ نسبة اللآلىء غير الصالحة لصوغ المجوهرات ٤٠ في المئة. معظم اللآلىء من أقطار أخرى في العالم يتم انتاجها بمشاركة مؤسسات يابانية. وهي ترسل الى اليابان حيث تعالج ثم تصدّر. الا أن حكومة بورما، من أجل بيع لآلئها المستخرجة من البحر الجنوبي ومئات القطع غيرها من اليشب والحجار الكريمة الاخرى، تقيم مزاداً علنياً سنوياً في عاصمتها رانغون. اما المشروع التجاري المتمثل في مزرعة "اللآلىء السوداء" الاصطناعية التي انشأها الفرنسي جان - كلود بروبيه في بولينيزيا الفرنسية منتصف السبعينات والذي انضمّ اليه لاحقاً المستورد سلفادور أسابيل من نيويورك، فيراوح انتاجه الآن بين ٢٠ و٣٠ ألف حبة لؤلؤ صالحة للعرض في السوق.

لكن رواج اللآلىء الاصطناعية لا يعني أن اللآلىء الطبيعية اختفت عن المسرح. الا أن أسعارها فاحشة ولا تشجّع على الشراء، إذ تباع الواحدة منها التي هي في حجم حبة البازيلاء بنحو ١٥٠٠ دولار.

ولا تحتفظ اللآلىء الطبيعية بقيمتها دائماً. ففي العام ١٩١٧ قايضت سيدة بارزة من نيويورك اسمها مي بلانت منزلا يقع في تقاطع الجادة الخامسة والشارع ٥٢ بعقد من اللؤلؤ من صنع كارتييه قُدّر ثمنه آنذاك بمليون و٢٠٠ ألف دولار. وفي العام ١٩٥٧ بعد وفاة السيدة بيع العقد في مزاد علني بـ١٥١ ألف دولار في حين أصبح ثمن البيت يُقدر ببضعة ملايين.

نيجل سيتويل ■

لا يمكنك ان تخدع كل العالم، في كل الاحيان، لكن لافتات السير تقارب جداً هذه الحقيقة.

ك.غ.

سنفور الذكي يضع نظارتين
وسنفور المغرور لا يفارق المرآة،
أما سنفور الكسول فلا شيء يرضيه.
فمن هي تلك السنافر الصغيرة
التي يحبها أطفال العالم قاطبة؟



السنافر

لونه أزرق، طوله يوازي ارتفاع ثلاث تفاحات، يسكن بيتاً في شكل نبتة الفطر، له رأس مستدير وذنب كعرف الديك وأربع أصابع في كل من يديه وقدميه. ما هو؟ الاجابة الصحيحة تعرفها حتماً اذا كان في بيتك ولد بين الخامسة والثانية عشرة من عمره. انه السنفور.

أبصرت السنافر النور في العام ١٩٥٨ على يدي رسام كاريكاتوري بلجيكي يدعى بيار كوليفور ويفضل لنفسه اسم "بيو" المختصر. وهو أمضى معظم سنوات المدرسة "يخربش" أشكالا مثيرة في هوامش كتبه، فبدا طبيعياً أن يقبل وظيفة في بروكسيل وهي المدينة التي تعتبر عاصمة الكتب الهزلية المصورة في أوروبا. وقبل بلوغه الخامسة والعشرين من عمره كان له مسلسل هزلي يروي مغامرات صبيين من العصور الوسطى اسمهما يوهان وبيرلوي. وذات يوم عثرا في مرج أخضر على مخلوقات صغيرة زرقاء اللون تطل برأسها من العشب.

في الاصل أوجد بيو تلك المخلوقات

ليستخدمها في خلفيات رسومه. ولكن ما ان وقعت أنظار الاطفال عليها حتى نسوا كل شيء عن مغامرات يوهان وبيرلوي ووقعوا في غرامها وطالبوا بالمزيد منها. ولبى بيو الطلب بسرور، وسرعان ما تحولت تلك المخلوقات الصغيرة أبطالا لمسلسل هزلي مستقل. أما يوهان وبيرلوي المسكينان فاستقرا في درج خلفي.



ما تحب يحتاج دائماً الى اسم، والاسم الذي أطلقه بيو على اصدقائه الزرق وقع عليه مصادفة. فذات يوم أثناء تناوله طعام الغداء غابت عن باله كلمة "ملح" ولم تسعفه ذاكرته حتى ليتفوه بعبارة "ما اسمه هذا؟" وفجأة صاح: "ناولني الشترومبف." وهكذا أصبح "شترومبف" الاسم الذي قر عليه اختياره. وراح الاسم يتحول كلما انتقل من بلد الى آخر فأصبح "سميرف" بالانكليزية و"بوفو" بالايطالية و"بيتوفو" بالاسبانية و"سو - ما - فو" باليابانية و"شلومبف" بالالمانية و"سنفور" بالعربية.

مغامرة جريئة - منذ البداية كان جميع السنافر متشابهين باستثناء "بابا سنفور" صاحب اللحية البيضاء وعمره ٥٤٢ عاماً. أما بقية السنافر فيمكن تمييزهم من طريق تصرفاتهم وملابسهم. "سنفور الذكي" مثلا يضع نظارتين ويحاضر في الآخرين باستمرار. و"سنفور المغرور" لا يفارق المرآة. و"سنفور المرح" يوزع المفرقعات في علب الهدايا. أما "سنفور الكسول" المتأفف فلا شيء يرضيه وهو يردد على الدوام: "لا أحب هذا!"

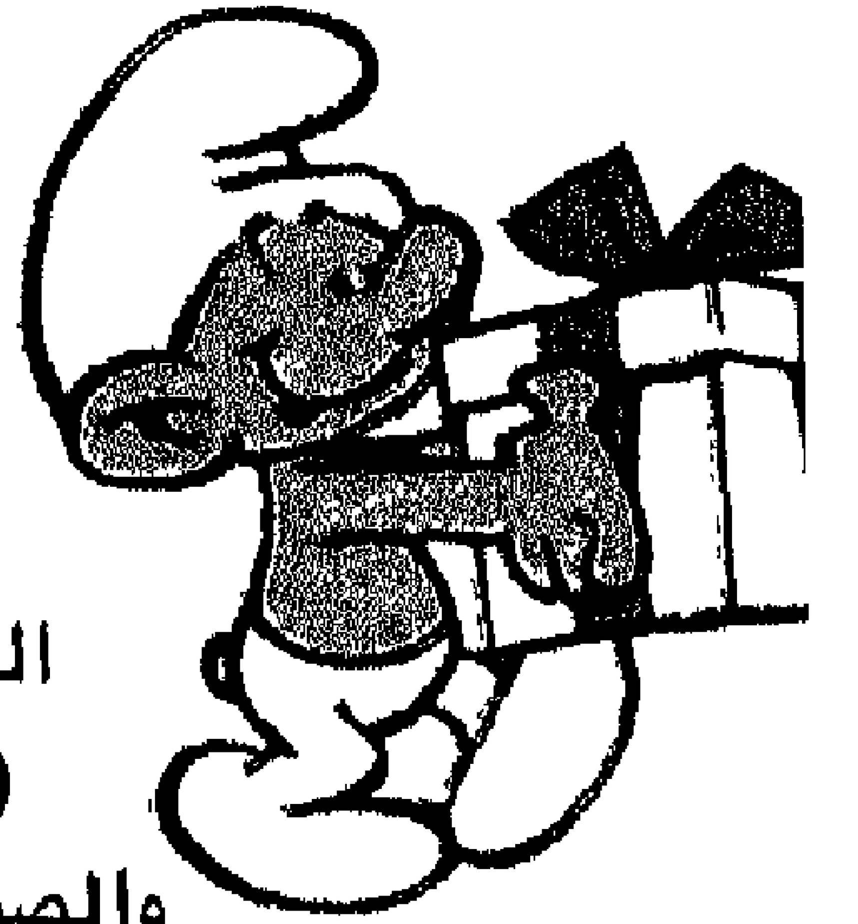
أي تركيبة كيميائية خاصة تضفي على تلك الاشكال جاذبيتها التي لا تقاوم؟ لا أحد يعرف، لكن الاطفال يعشقونها. في البدء اقتصرت ظاهرة السنافر على أوروبا، ولكن في العام ١٩٧٨ وفيما كان لاري ايلينز في بريطانيا، وهو مقاول من كاليفورنيا، اكتشف في أحد المتاجر تماثيل بلاستيكية صغيرة للسنافر. وقرر للحال ان ينطلق في مغامرة تجارية جريئة. فاشترى حقوق توزيع أصناف عدة من منتجات السنافر في أمريكا الشمالية كلها، بما فيها التماثيل الصغيرة والدمى المصنوعة من القماش وحققت مغامرته أرباحاً طائلة اذ باع في السنة الاولى، (عام ١٩٨٢) بقيمة ٦٥٠ مليون دولار. وكمن سبقوهم من أطفال أوروبا، شعر أطفال أمريكا بلذة ضم تلك الدمى الصغيرة الى صدورهم.

ولعبت احدى الفتيات دوراً تاريخياً في نمو مملكة السنافر. ففيما كانت تسير ذات يوم في أحد شوارع فيل بولاية كولورادو مع والدها فريد سيلفرمان رئيس شركة «NBC» آنذاك، وهي شبكة تلفزيونية كبرى في الولايات المتحدة، لمحت سنفوراً في واجهة أحد المتاجر. ولم تدع



١٩٨٦ والدها يرتاح حتى أصبحت الدمية بين يديها.

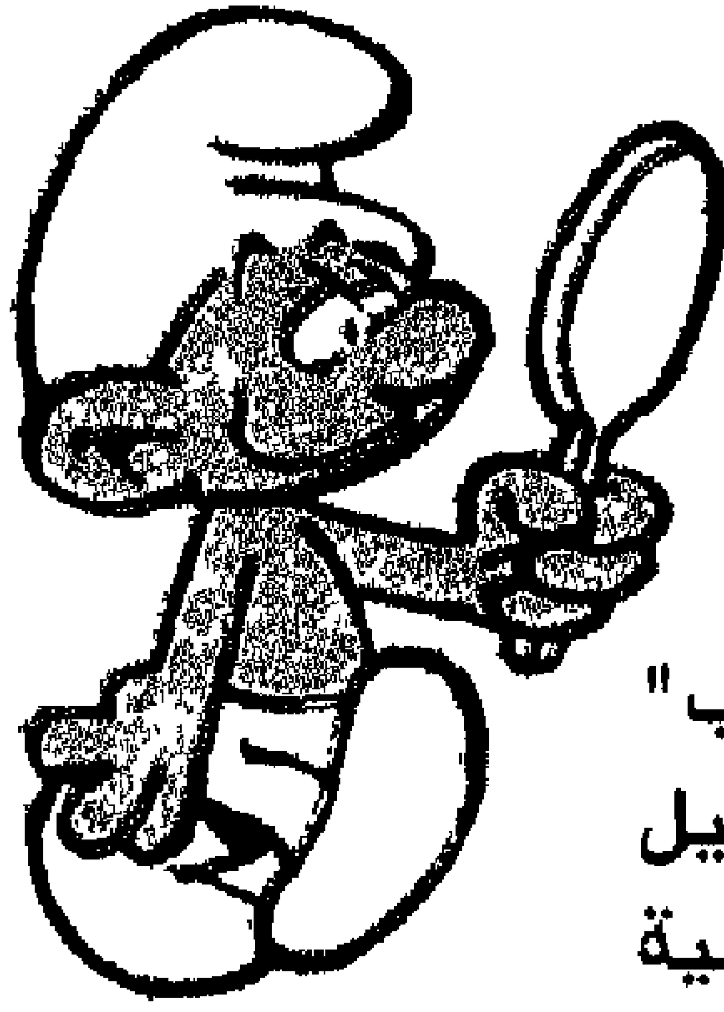
وبعد ذلك بوقت قصير شاهد سيلفرمان شريطاً تجريبياً لمسلسل تلفزيوني عن السنافر من انتاج "سيب" وهي شركة مستقلة مركزها بروكسيل تنتج اسطوانات واشرطة تلفزيونية للسنافر. وراح يفكر: بما أن ابنته أحبت السنافر بهذا المقدار، فمن المحتمل أن يحبهم الاطفال الآخرون بالمقدار نفسه. وتناول سماعة الهاتف وطلب للموسم التالي ٢٦ شريطاً مسجلا من الرسوم المتحركة يستغرق الواحد منها نصف ساعة، وعهد في تنفيذها الى هانا - بربارة المنتجين الشهيرين لاشرطة الاطفال في هوليوود.



امبراطورية السنافر

عرض البرنامج الأول للسنافر صبيحة السبت في ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٨١، والصباح توقيت ممتاز لبرامج الاطفال في الولايات المتحدة. وحالياً هناك اكثر من ٣٥٠ محطة تلفزيونية في الولايات المتحدة تعرض برامج السنافر. وتتبختر السنافر في البرامج نفسها على شاشات التلفزيون في نحو ٦٠ بلداً آخر. وهي غدت من البرامج المفضلة في كل بلد عرضت فيه.

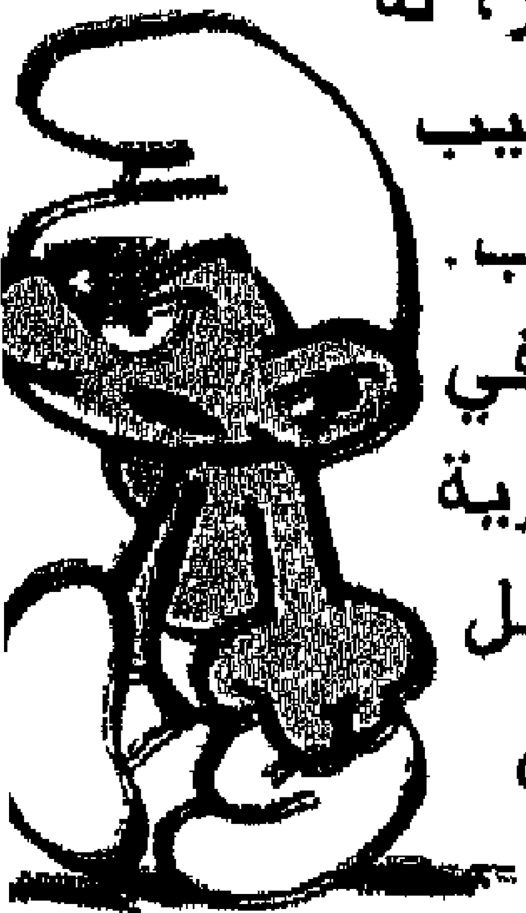
هذا غيض من فيض عن صناعة السنافر. ولقد صدر الى الآن ١٢ كتاباً



عنهم في اكثر من ١٥ لغة، وأنتج اكثر من ٢٣ مليون أسطوانة فوتوغرافية وشريط مسجل بأصوات ممثلين شهيرين. وتطبع رسوم السنافر، بموجب ترخيص، على أشياء كثيرة، من قمصان الاطفال الى مباري الاقلام.

ومن أجل ادارة امبراطورية السنافر المترامية الاطراف خصص لها بيو شركتين في بروكسيل. ويرئس ابنه تييري الذي ورث عنه موهبته الفنية، شركة التدقيق في رسوم السنافر التي ستظهر في الكتب حيث تعطى شكلها النهائي، وفي تلك الشركة أيضاً يتم التحقق من ان الدمى جميعها والرسوم التي ستظهر على علب طعام الاطفال تفي بالمطلوب من ناحيتي حجم الذنب وعدد الاصابع في كل من الاطراف الاربعة. أما ابنته فيرونيك وزوجها فانهما يديران الشركة الاخرى التي تتولى شؤون التراخيص والاجازات لاستخدام رسوم السنافر في نحو ٤٠٠ صنف تجاري.

ويعيش بيو الآن في لوزان بسويسرا. انه رجل في منتصف العمر، له شاربان وخطهما الشيب وعينان فيهما بريق الشباب. تجده دائماً منهمكاً في مشاريع ومغامرات تجارية جديدة للسنافر. يتخيل حبكات الكتب ويضع رسومها الرئيسية



ويخطط أحداثها ويكتب حواراتها ويصمم حتى عدد الاطر المخصصة لكل تطور في سلسلة الاحداث. أما زوجته جانين فانها تختار الالوان.

قرية الاطفال – مع أن جميع قصص السنافر متشابهة في جوهرها فانها لا تخلو من الاثارة والتشويق. يكون السنافر منصرفين الى أعمالهم برضا تام في قريتهم التي تشبه نباتات الفطر، فيطرأ أمر غير متوقع، كأن تلسع أحدهم نحلة خبيثة فيتحول لونه الى الارجواني وينقض على كل من حوله ينهشهم بأسنانه، أو أن يقبض الساحر الشرير شرشبيل (غارغاميل) وقطته الخبيثة ازرايل على أحد السنافر ويسحرانه. ومن حسن الحظ ينهزم الساحر الشرير في النهاية بفضل دهاء "بابا سنفور" وخططه المحكمة وعقاقيره الخارقة. وبعد أن تستوي الامور وتعود الى نصابها يستأنف السنافر أعمالهم العادية. فيعود "سنفور العداء" الى الجري و"سنفور الخباز" الى الخبز و"سنفور الكسول" الى التأفف وترداد "لا أحب هذا!"

ولا يتوانى بيو عن ادخال شخصيات جديدة عند اللزوم، مثل "سنفور الرياضي الهوائي" (١) وذلك تمشياً مع آخر الصرعات. ومع أن شخصيات السنافر لا يزيد عددها على العشرين حالياً، فان القرية تتسع لمئة. وقد ولد أخيراً سنفور جديد حمله طائر لقلاق بمنقاره الى القرية. وما لبث هذا الوافد الجديد أن تحول مصدر ازعاج لكل من في القرية.


بيو

وقبل سنوات، وربما ارضاء لزوجته التي مافتئت تتهمه بأنه يكره النساء لأن جميع سنافره كانت ذكوراً، جعل بيو الساحر شرشبيل يصنع "سنفورة الصغيرة" من مواد مختلفة بينها ألسنة الافاعي ودموع التماسيح. وما لبثت سنفورة ان تحولت من شخصية مستبدة طائشة ثرثارة ذات شعر أسود، الى شقراء جذابة تتولع بها الفتيات الصغيرات.

ويقول بيو انه سيدخل يوماً شخصية جديدة هي "سنفور الصيرفي" الذي سيخترع شيئاً اسمه "نقود". على أن هذا الاختراع لن يكون مفيداً لان الفرد لا يحتاج الى المال ليعيش سعيداً في قرية السنافر. والقرية لا تعرف الكحول ولا المخدرات ولا الجنس ولا الساعات. فلا عجب اذاً أن أحبها الاطفال وأقبلوا عليها، فهي توفر الدفء والنظام والراحة.

عالم جديد – يقول بعض النقاد ان برامج السنافر التي تصور الحياة الهانئة هي مؤذية للاطفال لانها لا تهيئهم للحياة الحقيقية التي لا تخلو من القساوة. ورداً على هذا الانتقاد يبتسم بيو ويفتل شاربيه، ويشتد تعلق الاطفال البريء بأحبائهم السنافر يوما بعد يوم.

---

(١) Aerobic Smurf

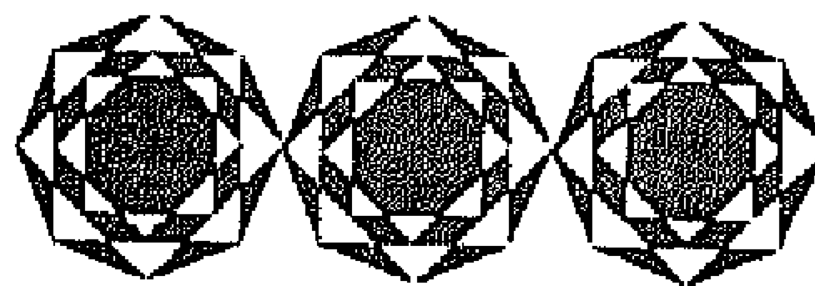
Photo: C. Cabrol / KIPA

لكن مهلا! ألم يعلن على شاشة التلفزيون في شهر يونيو (حزيران) ١٩٨٥ أن تلك المخلوقات الصغيرة ستنقذ بلدة حقيقية من كارثة مالية حلت بها؟ فلقد توقف العمل في مصنع الصلب الضخم في آغوندانج بمنطقة اللورين في فرنسا وصرف ٤٠٠ عامل. والآن، وبفضل صاحبي متجرين شديدي الملاحظة، سيتحول معمل الصلب قريباً متنزهاً يصور فيه مسلسل جديد. فلقد لاحظ التاجران الشبه بين الهياكل الفوقية الزجاجية والفولاذية للمباني في "ديزني لاند" في طوكيو وهياكل مباني معامل الصلب في اللورين.

وأوصت وكالة الاعلانات الباريسية "بوليسيس" أن يطلق على المتنزه اسم "عالم السنافر الجديد". وسيبدأ تنفيذ المشروع قريباً. وعندما يفتح متنزه آغوندانج أبوابه في العام ١٩٨٨، سيجد الزوار أنفسهم في قرية كبيرة من قرى السنافر تتألف من مساحة مسقوفة تبلغ حوالى عشرة هكتارات تحوطها رحاب مكشوفة تبلغ مساحتها ٨٥ هكتاراً. وتضم القرية معارض لتقنيات متطورة وأخرى تثقيفية وقطارات سريعة (٢) وألعاباً شتى. والادلاء رجال آليون (ربوطات) في شكل سنافر. والمتنزه سيستقبل الزوار على مدار السنة ويوفر العمل لعدد من الناس يفوق عدد الذين كانوا يعملون في مصنع الفولاذ. حتى "سنفور الكسول" سيجد نفسه مضطراً الى تغيير لهجته فيقول: "أحب هذا!"

روبرت فرنك ■

(٢) Roller — coasters



بين الحصان والكرة

قبل سنوات من "بيعه" فريق "سان دييغو تشارجرز" لكرة القدم، كان الثري الامريكي يوجين كلين يملك حصاناً ربح بضعة سباقات كبرى.

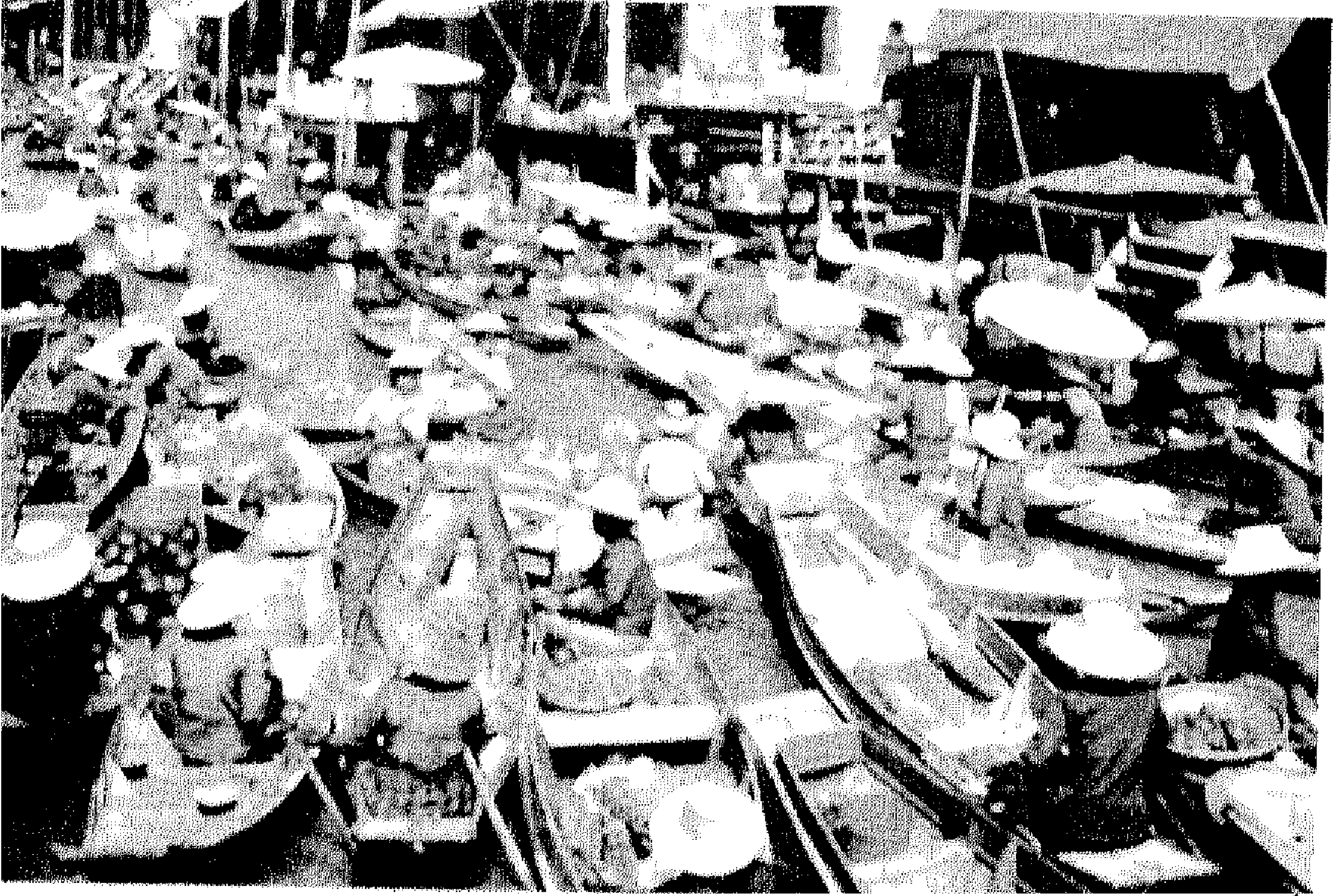
وذات يوم سأله أحدهم ما الفرق بين أن يمتلك المرء حصان سباق أو فريق كرة قدم، فأجاب: "الفرق الاعظم هو انه حين يفوز الحصان في السباق فانه لا يأتي الى مكتبي مبكراً صباح الاثنين التالي مطالباً باعادة النظر في عقده."

ج.د.

الذين يعرفون أن الحياة يمكن ان تكون حافلة بالسعادة هم أعمق تأثراً بالآلام التي تصيب الناس أحياناً.

ن.أ.

بَانكوك


R. Ian Lloyd / Apa Photo Agency

سوق عائمة في احدى قنوات المدينة.

كُل مَا فيهَا منعِش!

على رغم الفوضى في كل زاوية من زوايا هذه المدينة، فان عشاقها يستمتعون بمباهجها وعثراتها على السواء

بدأ غرامي ببانكوك حين جئتها زائراً عام ١٩٥٩. وكان حد معرفتي بالمكان ما ورد في قصة "انا والملك." ولم تمض سوى ايام قليلة حتى تبددت الهالة الرومانسية التي حاكتها تلك القصة الخيالية الجميلة. ازدحام السير والتلوث في المدينة اسطوريان، اخاديد الشوارع تصطاد المارة المطمئنين وتلتهم بين الفينة والاخرى دراجات ساملور النارية الثلاثية العجلات. في كل مكان اسلاك كهربائية بشعة، واشجار توقف نموها واكداس من الفضلات المبعثرة.

وبانكوك، مهما جهدت السلطات السياحية التايلاندية ان توحي انها مدينة محببة الى النفس فهي ليست كذلك. لكني سرعان ما خدعت بالسحر المميز لبانكوك الحقيقية.

كان الفندق الذي أقمت فيه غريباً في كل أمر، بدءاً بعماره الذي استغلت فيه الى أقصى حد قطعة الارض الضيقة بين القناة والزقاق المزدحم. ويتألف الفندق من صف طويل من الحجرات الشبيهة بالصناديق والقائمة على دعامة متقلقلة مشرفة على الزقاق بحيث تقعقع جلبة السير فعلا بمحاذاة السرير وكأنها تكشط البلاط كشطا. الا ان معظم النزلاء لا يبدون اي انزعاج من هذا الامر. والنزل، عفوَ الكلمات، هو ما يعرف بـ"فندق الوقت الخاطف"، اذ يستأجر غرفه الصغيرة ازواج حالمون ساعة فساعة.

أمضيت قرابة شهر هناك، ولعلي احد الضيوف القلائل الذين اطالوا المكوث في ذلك النزل. بادىء الامر نظرت إليه وكأنه تحفة عجيبة ذات نكهة محلية. لقد قدم إلي فيضاً مستمراً من التجارب التي لم تبعث على السرور دوماً، لكنها بالقطع لم تكن مملة: رعشات كالزلازل حين تمر الشاحنات تحت الفندق، طرق على الابواب منتصف الليل، ومخابرات هاتفية غامضة نادراً ما تكون لأجلي تضاف الى عراك في الغرفة المقابلة. وهناك تعلمت اول كلمة تايلاندية "كاموي" وتعني "لصاً".

على رغم ذلك نمى الى إدراكي تدريجاً، ان الفندق هو انعكاس للمدينة المضطربة، الممتدة على غير نسق. فبانكوك هي الأخرى، مدينة غريبة، مجنونة، وملأى بالمفاجآت.

مدينة المغامرات

عندما غادرت المدينة، بعد زيارة اولى، ادركت ان علي ان أعود كي اقيم مدة اطول. واذ عدت لم تكن لدي مشاريع للبقاء الدائم. لكن الأشهر المعدودة استطالت فأضحت سنة ثم عشراً. وعلى حين غرة، ومن دون ان اعي ذلك، أصبحت وكأني مقيم في المدينة منذ أمد. ان ما



اطفال يلهون في الماء. Apa Production

حجزني ويستبقيني، بصرف النظر عن الأصدقاء الخلّص والعمل الذي ارغب في مزاولته، هو الجو العام للأشياء التي لا يمكن التنبوء بحدوثها، والفوضى القريبة

مني في ناحية الشارع المجاور. لا شيء تقريباً في بانكوك يجري كما هو مخطط له، أو يبدو كما هو. فقد تبين أثناء عرض ازياء اقيم لمصلحة نادي المرأة العالمي، ان العارضات الأنيقات لسن سوى... وعندما دعوت السفير الامريكي الى مأدبة عامرة قبل بضع سنين، تحول الأمر مهزلة. فقد فتحت ابواب السماوات لتقذف بأغزر مطر رأته عيناي. وعلقت سيارة السفارة في مصرف للمياه وانطفأت الانوار، وفي حلكة الظلام وضع الطاهي ملحاً بدل السكر.

لقد وجدت كارول هولينغر، التي قدمت الى تايلاند أواخر الخمسينات برفقة زوجها وهو وزير للخارجية، ان اضطراب المدينة منعش. وفي زعمها، ان قيادة السيارات في تايلاند ابداع: "عليك ان تكون متيقظاً، حاد اليقظة، كي تتجنب الاصطدام والا تحتاج لمرأى الخلائق المتمسكين بأهداب القانون والذين يتوقفون عند رؤية الضوء الاحمر." في ما يتعلق بي، كان انطلاقي في مهمة بسيطة مغامرة، اذ ينتهي بي المطاف بعد خمس ساعات وانا تائه اشتعل حراً وأغالب الانهاك واليأس. في تلك اللحظات الساخنة المحمومة كنت اعي تماماً اني قد اغرقت الضواحي.

والمزايا التي راقت زوجة الوزير في بانكوك، هي نفسها تلك التي تحتجزني. اني اهوى، للمثال، الطريقة الفوضوية الخالية من الهموم التي يعرض فيها جزء من حياة بانكوك على الارصفة، لا تحول دونها الشمس الذاوية، ولا حركة السير الصاخبة أو الامطار الموسمية.

والتايلانديون من مدمني المطاعم التي تقدم الوجبات الخفيفة المبثوثة على الارصفة، وثمة عشرات الوف منها تلبي الحاجات المستعجلة لتناول المعكرونة في زبدية، أو قطعة جوّافة محلّاة، او كوب من القهوة المثلجة وقد تكثفت باضافة الحليب المحلى. وغالبية هذه المطاعم غير قانونية، لكنها تنبت فجأة في اي مكان يلوح فيه زبون محتمل.

وقد تولى أحد هذه المطاعم، القريب من منزلي، تقديم الطعام الى العمال الذي يشتغلون في مستشفى خاص ملاصق. وكان المطعم في البداية مؤلفاً من كشك معكرونة نقّال تجره كل صباح امرأة بهيجة. ثم توسع تدريجاً حتى أصبح مكوناً من ست موائد ذات مقاعد بلا ظهر أو ذراعين، ومظلات تقي الزبائن حرارة الشمس، وهو بذلك يملأ حيزاً كبيراً من الطريق الضيقة. وقد انغرزت فيها ذات مرة عجلات سيارة اسعاف فتوجب نقل المصاب على نقّالة في ما تبقى من الطريق، فمرت النقالة بجوار الممرضات اللواتي كن يتناولن وجبة خفيفة في المطعم.

لقد اضحى المطعم جزءاً لا ينفصل عن الجوار، حتى ان احداً لا يفكر في التخلص منه، ولاسيما رجال الشرطة الذين يتغدون هناك يومياً.

ضد الجاذبية

وخطر للبعض ان يتخلص من باعة الارصفة الذين يسدون الشوارع المفضية الى الاسواق المهمة. وقد بذلت جميع الادارات البلدية جهدها لضبطهم في حمّى

قصيرة كانت تنتابها لفرض سيادة القانون. لكن جهودهم باءت بالفشل لأن سكان بانكوك يهوون انتهاك القوانين بمقدار ولعهم بتناول الوجبات الخفيفة.

وأنا استمد متعتي من الاستعمال المجازي البارع للغة الانكليزية في قوائم الطعام. وها هي شركة خطوط محلية تعدك بـ"مضيفات فاتنات يقدمن إليك اكثر مما تتوقع." كما يقدم اليك مطعم كانتون "سلطة تافهة ومقالي." وكان أحد المقاهي الذي، واحسرتاه، لم يعد موجوداً، يعلن عن "طعام لذيذ المذاق في انتظارك في مقهى مخصص للراشدين". ويبعث في نفسي الغبطة ان في استطاعتي ان اخيط ملابسي في محلات خياطين ذات اسماء جذابة.

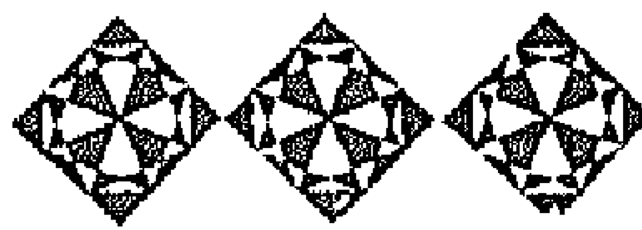
حتى الحوانيت الوضيعة تتسم ببهرج مضحك ان رغب المرء في رؤيتها. وألوانها مزوقة وزخارف معمارها البديعة تتحدى قوانين الجاذبية والذوق السليم. وثمة متجر لا يتجاوز عرضه المترين نسبة الى طوله، وآخر بعلو خمس طبقات فقط ويمتاز بحديقة مورقة على سطحه يعترش فيها نبات البوغاينفيللا، وفيها شجرات كاملة النمو. وهناك حانوت ثالث غير بعيد من مسكني على سطحه قفص ضخم يحوي مئات الطواويس البيضاء.

أساوم بائعي الأرصفة خارج سوق براتونام (وهي السوق الأثيرة عندي)، وأتمدد على كرسي طويل وأراقب الطائرات الورقية في سانام لوانغ، وأضيع في ازقة تشايناتاون المكتظة ثم ارتاد مطعماً متخصصاً بلحم الأفاعي.

نحن الذين نهوى بانكوك سرعان ما نتعرف إليها، وعادة ما يكون ذلك، كما حدث لي، بعد ايام قليلة.

انه ولع بالفوضى يجذب البعض، وجاذبية الى الثقافة تشدّ آخرين، لكن معظم الذين يحبون بانكوك لديهم احساس غريب باعث على السرور وهو انهم ينتمون الى ذلك المكان. وقد أفصح سومرست موم عن هذه المشاعر في كتابه "القمر والبنسات الستة"، وهي روايته المستندة الى قصة حياة بول غوغان الذي وجد السعادة في مكان عجيب: "ها هو البيت الذي كان ينشده، سيستقر في الامكنة التي لم ير مثلها قط، بين رجال كأنه يألفهم منذ مولده، مع انه لم يعرفهم قط."

وليم وارن ■



اذا كنت تعتقد أن أعمال المرأة وحدها لا تنتهي فانك لا تعرف الكثير عن مشاريع شق الطرق.

م.ب.

لولا استطلاعات الرأي لما قيض لنا أن نعرف ما لا يعطي فيه الناس رأياً قاطعاً.

صحيفة "وول ستريت جورنال"

تربية الأولاد بالعقل والصبر



نصائح طريفة لتربية الاولاد تسديها أم حاولت أن تكون ربة بيت مثالية

التربية

منذ البداية رفض زوجي السماح لي بأن أثقفه، ولن أعرف ما اذا كان الحظ حليفي مع ولديّ الاثنين الا بعد ٤٠ أو ٥٠ سنة. لذلك أتجرّأ على ابداء اقتراحين تربويين لا غير:

١. كُوني بارعة في النقد حين يتعلّق الامر باختيار كتب من نوع "كيف تفعل كذا". والواقع ان هذه الكتب يجب أن تؤلفها الأمهات. الا ان الوقت ينقصُهُنّ لانشغالهنّ في تربية الاولاد. ولهذا السبب يؤدي العلماء التربويون هذه المهمة، فالوقت متّسِعٌ امامهم اذ ليس عليهم أن ينشئوا اولادا.

٢. كُوني نزّاعة الى الشك حين تسدي احدى الامهات نصيحة لم تُسأل عنها،

وضاعفي تحفظك اذا استعملتَ ألفاظاً مثل "مبدئيا" و"أبدا"، والاّ فستجدين نفسك تواجهين المشكلة التي واجهتُها مع والتر الصغير.

أعلنت والدة والتر ذات يوم: "في عائلتنا يأوي الصغار الى الفراش قبل الساعة الثامنة مهما كلّف الامر. وفي اليوم التالي سألَ والتر الصغير ابني الأكبر منه سناً: "هل شاهدت البرنامج الخاص ليلة أمس؟ كان رائعاً حقاً!"

وأثناء الغداء قال ابني وفي عينيه نظرة تلمّح الى أن ما من أحد يمكنه أن ينمو على نحو طبيعي مع أمّ تشبهني: "لقد سهر الجميع لمشاهدة البرنامج التلفزيوني الخاص ليلة أمس." وكان "الجميع" يعني والتر الصغير.

ولكن حين ألتقي أماً اكتسبت خبرةً وافرةً، فانها تقول بكل تواضع: "الامر واحد مع كل الاولاد، ففي المساء يأبون ان يأووا الى الفراش وفي الصباح يرفضون النهوض." عندئذٍ أعرف أن في امكاني تقبّل شيء من نُصحِها بكل ثقة. إلا ان الامهات من هذا الصنف نادراً ما يسدين نصيحة.

● المدرسة ●

حين يعود ابنك من المدرسة متذمراً: "ان فرضنا صعب جداً وأنا لا أفهمه،" فقد يعني ذلك أموراً عدة منها:

١. "لقد سئمت، فلتفكر أمي عني اليوم."

٢. "كنت أبصر حلماً جميلاً، وصحوت فجأة حين قال الاستاذ: "عساه أصبح واضحاً الآن."

٣. الامران الاول والثاني معاً.

٤. الحقيقة.

ومهما تكن حقيقة الامر، قاومي رغبتك في المساعدة على النحو الآتي:

تجلس الام والولد معاً الى الطاولة. يسألها الولد: ٦ × ٧ = ٤٢؟" فتومىء الام برأسها ايجاباً. ويكتب الولد "٦ × ٧ = ٤٢." ثم يسأل: "٨ × ٨ = ٥٦؟" وينظر الى أمّه التي ترمقه بنظرة استهجان. ويتابع الولد تخميناته من دون أن يكتب شيئاً.

بهذا النوع من "المساعدة" لا يتقبّل الولد أي مسؤولية في أي سطر من الفرض. وتبقى كتب التمارين الخاص به نظيفة ومرتبة ومع ذلك فان الامهات من هذا الصنف غالباً ما يشتكين: "في المنزل يعرف ابني جميع الاجوبة، لكنه يحصل على علامات سيئة في المدرسة." ويجدْنَ المتّهم سريعاً... انه الاستاذ الذي لا يفهم الولد.

يمكننا مد يد العون الى أولادنا بوسائل شتى، كأن نصحّح لفظهم وهم يقرأون أمامنا ونضبط لهم التهجئة والمفردات ونسرّي عنهم حين يخفقون في أحد الامتحانات ونكافئهم بوجبة خفيفة بعد ساعات طوال أمضوها مكبين على كتبهم. انما لا يجدر بنا البتة أن نفكر عنهم.

● مساعدة من الاولاد ●

أكره أن أتحمل وزوجي جميع الاعمال المنزليّة. لذلك أوكلُ الى الاولاد بعض المهمّات الصغيرة، كترتيب المائدة. ولا يجدر تحميل الاولاد أعمالا كثيرة، انما عليهم تأدية العمل من دون التماس

معيّن. فانك حين تطلبين المساعدة من ولد فانه يجيب عادة: "عليّ أن أذهب الى الحمّام" أو "اني أحلّ مسألة رياضيّة صعبة." وريثما يصبح جاهزاً لتأدية العمل تكونين أنجزته بنفسك.

وقد أدهشني ابني الصغير حين أعلمني أنه أدّى من الاعمال المنزلية أكثر ممّا أدّاه جميع زملائه في الصف. فلم أستطع تصديق هذا الامر حتى اكتشفت في ما بعد أن تلاميذ الصف كتبوا عن المساعدات التي يؤدونها في البيت، وقد ذكر ابني كل حالة منفردة قدّم فيها أي عون.

ومنذ ذلك الوقت وأنا أعيش في خشية دائمة من منظمات حماية الاطفال ومن اي امرأة قد تقضي على عامل متمرّس في الاعباء المنزلية، الا وهو زوج شاب.

● الطبخ ●

الطبخ الجيّد هو في معظمه مسألة تنظيم. ويجب توقّع الاسوأ اذا ما سألت نفسك في الحادية عشرة الا عشر دقائق: "بربّك، أي طبق أقدّم اليوم على المائدة؟" ولا تحوي الثلاجة سوى بيضة واحدة وجزرتين ذابلتين وسمكة سردين وصحفة حلوى صغيرة. فلا يمكن أي خيال مهما اتّسع أن يحول هذه وجبة لائقة. لهذا السبب أنت مجبرة على التسوّق.

لكن طفلك نائم، وهو يجيد المشي بخطى قلقة، لكنه يقظ الى حدّ بعيد مما لا يسمح لك بتركه في المنزل وحده. عليك اذاً أن تلبسيه ثيابه. ونظراً الى البرد القارس في الخارج فيجب أن تلبسيه قفازين أيضاً. وللقفازين ابهامان... كذلك للأولاد. انما يبدو أن ابهام القفّاز وابهام الطفل لا تلتقيان ابداً. ولا تصيبين الاّ في المرّة الثالثة، وذلك في الايام التي يحالفك فيها الحظّ. لكن اليوم ليس منها.

وبطريقة أو بأخرى تنجحين في تجهيز نفسك والوصول الى الملحمة في الحادية عشرة والدقيقة العاشرة. واذ ينصرف اللحام الى خدمتك تشعرين فجأة أن ثمة أمراً على غير ما يرام. كل الانظار تحدّق في الاتجاه نفسه، حيث طفلك يقضم نقانق نيئة. وعلى مرأى من جميع النساء المستنكرات تضربينه على يده.

ولكن ماذا تفعلين بالنقانق؟ انها محفوظة في كيس من البلاستيك عجزت أسنان ابنك عن ثقبه. لكنك تترددين في اعادة الكيس الى مكانه. لذلك تقرّرين أن تكون النقانق عشاء الليلة، على رغم أنك وزوجك تكرهان مجرد رؤيتها.

كان في وسعك التصرف على نحو أفضل لو فكّرت قليلا. خذي الطفل الى الحديقة العامّة بعد الظهر، وتسوقي بهدوء وسلام في طريق عودتك الى المنزل في وقت لا تكون الدكاكين مكتظة. وفرّي طاقتك للاوقات المحمومة التي لا بد من حدوثها.

● المزاج ●

لنقل ان طفلك أسقط كوباً من الحليب والشوكولاته فانساب المشروب على السجّادة. أمامك طريقتان لمعالجة الموضوع:

١. ضبط الاعصاب: تمسكين أقرب قطعة من القماش وتمسحين المكان المتّسخ ثم تشطفينه بالماء البارد،

فيكاد لا يبقى أي أثر للحادث المؤسف. عندئذ يمكنك أن تشرحي لطفلك أنه لا يجوز وضع الكوب قريباً جداً من حافّة الطاولة، أو غير ذلك.

٢. فقدان الصواب: تطلقين صرخة ثاقبة وتعلنين أنك تحمّلت ما فيه الكفاية وان هدفك في الحياة ليس مجرّد الغسل والتنظيف. أنت على شفير الجنون. فيحدّق اليك طفلك غير فاهم وفي ظنّه أن أمّه تتكلم الصينية وتبدو كالدينوصور المرسوم في كتابه الملون. وفي هذه الاثناء تكون السجّادة امتصّت كل الحليب والشوكولاته وبات من الصعب تنظيفها.

وقد تكون لهذه الحالة الاخيرة عاقبة في مرّة تالية حين يقلب أحد الضيوف كأساً من الشراب، فتهونين عليه الامر وهو يقدّم اليك الاعتذار وتقولين ان السجّادة ليست سريعة العطب وان هذا الامر قد يحصل مع كل واحد منّا. عندئذ قد ترين طفلا يقف عند الباب وفي عينيه الجاحظتين ألف سؤال. بالنسبة اليه لم يعد للعالم في تلك اللحظة أي معنى!

● التلفزيون ●

"أمي، أيمكن أن أشاهد برنامج الرعب؟"

– لا، لا يمكنك مشاهدة هذه البرامج بعد!

"لم لا؟ أنت تسمحين لأخي بمشاهدتها."

– اخوك في الثانية عشرة من عمره.

"الا يمكن أحداً أن يحضر برنامج الرعب قبل بلوغ الثانية عشرة؟"

عندئذ أشرح له بكل صبر: "اسمع. يحبّ أناس كثيرون تناول القنبيط المطبوخ باللحم. ولا يسبب لهم هذا الطبق أي أذى. لكن اذا أطعمت منه طفلا فانه يسبّب له ألماً حادّاً في المعدة، لأن معدته حسّاسة جداً، ولا تتحمّل طعاماً كهذا. وينطبق الامر نفسه على برامج الرعب. فحين يشاهدها ولد صغير يعجز دماغه عن هضمها، فيصيبه الذعر ولا ينام."

وبعد هنيهة سألني ابني: "هل يفعل الناس ذلك غالباً؟"

– يفعلون ماذا؟

"يطعمون طفلا طبق القنبيط باللحم."

– بالطبع لا. لا يفعل ذلك اي شخص صاحب ادراك!

– "اذا كيف تعرفين أن القنبيط باللحم يسبّب وجع معدة للطفل؟"

وذات ليلة حصلت أعجوبة. عدنا الى المنزل لنجد كومة متألمة تتمتِم: "كنت على حق يا أمي."

في البدء عجزت عن تصديق أذني. ثم أخبرني بما حدث. لقد سمحت لابني بمشاهدة برنامج تلفزيوني بعدما وجدت احدى حلقاته مناسبة، لكني لم أستطع التكهن بأن الحلقة التالية ستضم وجهاً يملأ الشاشة وقد تشوّه نصفه بالطلقات النارية. وتنهّدَ ابني باكياً وقال: "أعرف الآن ما معنى أن أشاهد شيئاً لا يمكنني هضمه!"

● الارهاق ●

في معظم حالات الارهاق يقع اللوم على ربّات المنازل أنفسهنّ. لنقل ان عمتك ستمر لزيارتك. انك حقاً مبتهجة

للامر. وصباح اليوم الذي ستزورك فيه يصاب ابنك الأكبر بالزكام وتطلع سنٌّ لابنك الاصغر. وبعد الفطور تعتزمين فجأة تنظيف البيت كله بالمكنسة الكهربائية. وقبل البدء تضعين الكعكة التي حضرتها من فورك داخل الفرن وتملأين الغسّالة بالثياب المتّسخة. لكنك تغفلين فتح صنبور الماء. وتدور الغسالـة "على الناشف" كل دورتها، فتضطرين الى ادارتها ثانية. في هذه الاثناء يبلل ابنك الاصغر حفاضه ويصنع ابنك الأكبر "رجل ثلج" بمسحوق الغسيل.

ولا يزال كل شيء على ما يرام حتى الآن. وبعـد حين تتّصل بـك احدى الصديقات لتسألك هل ترغبين في زيارة معرض للفنّ الصيني القديم. لكنك ترفضين بلطف، كونك لا تشعرين في الوقت الحاضر بأي اهتمام حقيقي للفن الصيني القديم. ولا تلبث أن تبلغك رائحة مألوفة من المطبخ تنذرك بأن الكعكة نضجت. وبينما ينقلي السمك على النار ترفعين الكراسي على الطاولة لتنظفي المكان بأسرع وقت ممكنٍ بينما تأخذ الاولاد سنة من النوم.

وأخيراً تصل العمّة. فترى أمامها ابنة أخٍ منهوكة ترتدي كنزة تنبعث منها رائحة سمك تعمُّ المكان، وولدين متجهمي الوجه. واذ تمسح يديها خفية بمحرمتِها، لعدم وجود مناديل على الطاولة، تسأل نفسها هل هي حقاً على الرحب والسعة.

كان يجوز أن تكون الامور مختلفة تماماً لو قمت بالاعمال الضرورية فقط من غير أن تستسلمي للاغراءات. فلا بأس اذا غسلت الثياب لأنه لم يعد لأحد قطعة واحدة يرتديها. ولا بأس في أن تحضري كعكة اذا لم يتوافر مخبز واحد على مقربة من منزلك. ثم اغفلي الكنس الكهربائي على رغم وجود فتات خبز وغبار تحت طاولة الطعام، فالناس يغضون الطرف عن الفتات والزغب في منزل أمٍّ لولدين صغيرين لا تملك سوى يدين اثنتين.

رينات غيرلاك ■

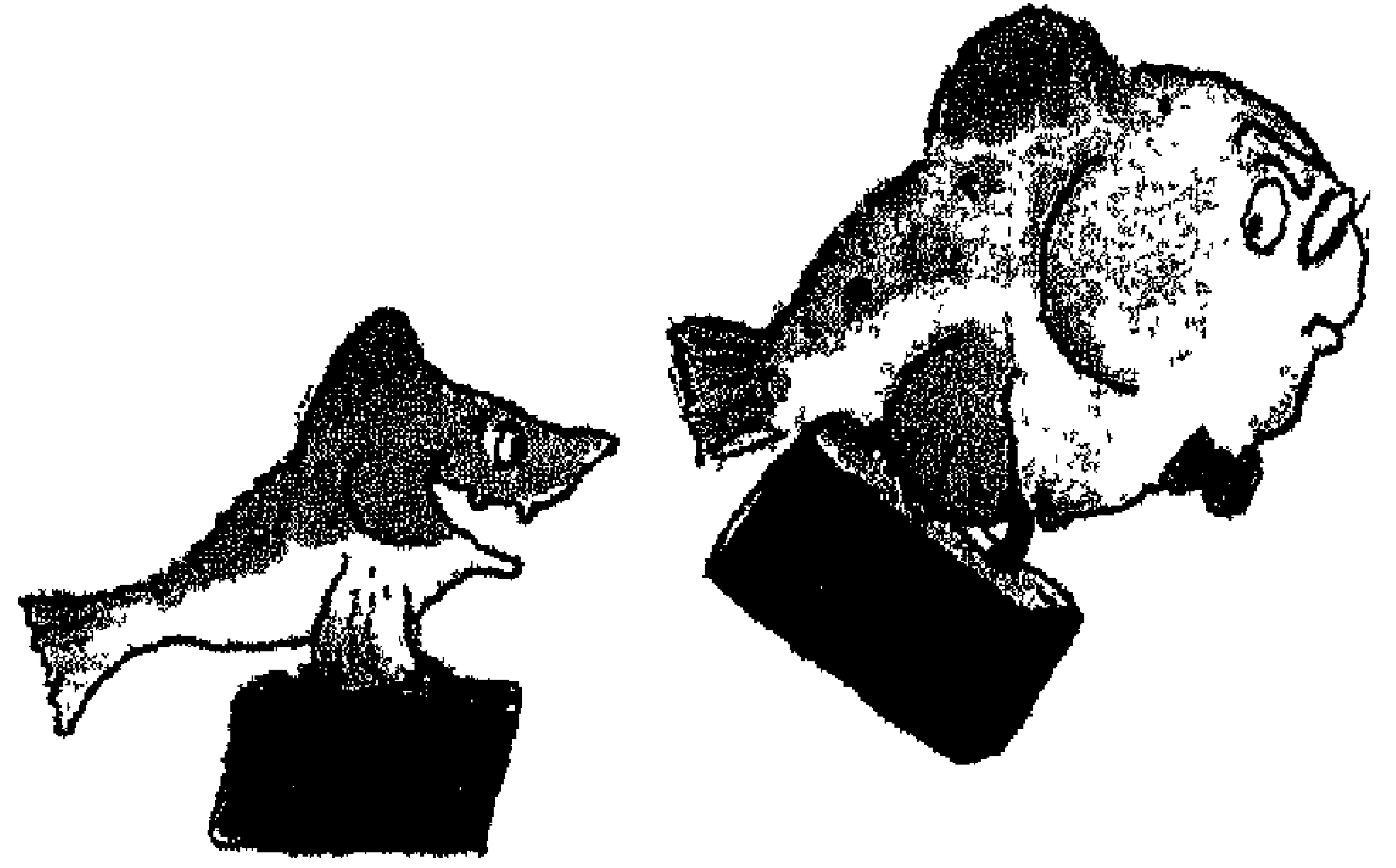


حلوى مثلجة

بعد عاصفة ثلجية شديدة عمد رجل الى جرف الثلج عن الطريق المؤدية الى بيت جاره. وفي اليوم التالي طرق الجار بابه وهو يحمل طبقاً من الحلوى. وكان الرجل يعرف مهارة زوجة الجار في اعداد الحلوى، فقال لها بصوت خافت: "لم يكن ثمة داع لهذا."

وفي وقت لاحق بينما العائلة تتلذذ بالتهام الحلوى الشهية قال الرجل لزوجته مازحاً: "حبذا لو تتعلمين من جارتك طريقة اعداد هذه الحلوى." وعندئذ تدخل الابن قائلا: "أظن أن الطريقة المتوافرة لنا جيدة جداً: نصف ليتر من الوقود ونصف متر من الثلج المتراكم. اجمعهما في جرافة ثلج وترقب النتيجة."

هـ.هـ.



دائرة المعارف

للعرب أقوال مأثورة في وصف الاكثار والتفضيل على أنواعهما. قالوا: "أمضى من السيف" و"أبعد من الثريا" و"آلف من الحمى" و"أعدى من العقرب" و"أحلّ من لبن الام" و"أفسد من السوس" و"أبكر من غراب" و"أجوع من ذئب" و"أجرد من صلعة." وهنا أقوال من هذه، والمطلوب من القارىء أن يكمل كل قول بواحد من الخيارات الاربعة الملحقة، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. آكَلُ من: دود - حوت - ثور - دجاجة.
٢. أبصَرُ من: خلد - فهد - صياد - زرقاء اليمامة.
٣. أجهَلُ من: عاشق - غلام غرّ - فراشة - غريب.
٤. أصنَعُ من: النحل - طائر معشش - أرنب - سعدان.
٥. أدنى من: الخنصر - حبل الوريد - الغد - السوار.
٦. أحمَقُ من: ببغاء - نملة - جبان - قابض على الماء.
٧. أحقَدُ من: بومة - تمساح - جمل - حمار.
٨. أبهى من: القمرين - ثوب عروس - وردة - عذراء.
٩. أصفى من: الماء - اللبن - عين الديك - قلب صديق.
١٠. أوهَنُ من: إصبع طفل - بيت العنكبوت - مريض - خيط حرير.
١١. آمَنُ من: حمام مكة - ملك - حصن - فرخ نسر.
١٢. أحَرُّ من: الشوق - جلد الحية - رمل البحر - الجمر.
١٣. أثبَتُ من: وتد - وعد - خاتم في الاصبع - وشم.
١٤. أعطَش من: سمكة - مسافر - قمع - شجر الزيتون.
١٥. أسرَعُ من: العدوى - البرق - الناقة - الطاووس.
١٦. أبطأ من: غراب نوح - سحابة - جدول - ظبي وليد.
١٧. أحزَمُ من: حطّاب - قاض - حرباء - جندي.
١٨. أتبَعُ من: رفيق - كلب وفي - ظل - خادم.
١٩. أجبَنُ من: ذبابة - هر منزلي - ضفدع - نعامة.
٢٠. أذَلُّ من: نعل - زهرة عطشى - سجين - تائه.
٢١. أنكَرُ من: نقطة ماء - شيء - حبة رمل - شحاذ.
٢٢. أجدى من: المال - الغيث - موج البحر - العلم.
٢٣. أخَفُّ حلماً من: شاعر - حارس - عصفور - فيل.
٢٤. أكذَبُ من: صائغ - منجّم - قصّاص - أسير.
٢٥. أيأسُ من: غريق - مالك الحزين - مسافر - عبد.



الأجوبة الصحيحة

١. آكَلُ من: حوت ومن ضِرس ومن الرّحى ومن السوس ومن النار.
٢. أبصَرُ من: عقاب ومن نسر ومن الوطواط في الليل ومن زرقاء اليمامة، وهي امرأة من جديس كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام.
٣. أجهَلُ من: فراشة، لأنها تتهافت على السراج فتهلك.
٤. أصنَعُ من: النحل ومن دود القز.
٥. أدنى من: حبل الوريد، وهو عرق في العنق.
٦. أحمَقُ من: ماضغ الماء ومن ناطح الماء ومن القابض على الماء ومن ناطح الصخر.
٧. أحقَدُ من: جمل.
٨. أبهى من: القمرين، يعني الشمس والقمر.
٩. أصفى من: الدمعة ومن عين الديك ومن جنى النحل أي العسل.
١٠. أوهَنُ من: بيت العنكبوت.
١١. آمَنُ من: حمام مكة، لأنه لا يُثار ولا يُهاج.
١٢. أحَرُّ من: الجمر ومن النار ومن المرجل ومن دمع المِقلات، والمقلات هي المرأة التي لا يعيش لها ولد. ويقولون إن دمعة الحزن حارة ودمعة الفرح باردة.
١٣. أثبَتُ من: الوشم.
١٤. أعطَشُ من: رمل ومن قمع ومن ثعالة، وهو الثعلب.
١٥. أسرَعُ من: البرق ومن البَيْن ومن الطّرْف ومن لمح البصر ومن رجع الصدى ومن اليدِ الى الفم.
١٦. أبطَأُ من: غراب نوح، وهو الغراب الذي أرسله سيدنا نوح لينظر هل زالت المياه عن الارض ويأتيه بالخبر فلم يرجع.
١٧. أحزَمُ من: الحرباء، لانه اذا صعد الى شجرة لا يخلي غصناً حتى يمسك آخر.
١٨. أتبَعُ من: الظل.
١٩. أجبَنُ من: نعامة، ومن صافر وهو طائر يأخذ غصن شجرة بقائمتيه ويتدلى منكوساً ويصفر طوال الليل مخافة أن ينام فيؤخذ.
٢٠. أذَلُّ من: النعل، ومن الوتد لأنه يُدق أبداً، ومن البساط لأنه يُفرش فيطأه كل أحد.
٢١. أنكَرُ من: شيء، والشيء أنكر النكرات لأنه يُطلق على جميع الموجودات.
٢٢. أجدى من: الغيث في أوانه، والاجداء النفع.
٢٣. أخَفُّ حلماً من: عصفور، والعرب تضرب المثل بالعصفور لأحلام السخفاء.
٢٤. أكذَبُ من: أسير، لأنه يكذب لينجو.
٢٥. أيأس من: غريق.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول

سلام انتارتيكا

الأحلام بالثروات المختبئة تحت الجليد قد تؤدي الى تزاحم دولي خطير على أكثر قارات العالم سلاماً وأماناً

على هذا الكوكب المكتظ بالسكان قارة عذرية تنعم بهواء نقي وتسطع فيها شمس الصيف لفترة أطول من فترة سطوعها في كاليفورنيا. لكنها ليست بجنة عدن. هذه القارة هي أنتارتيكا (١) أبرد الاصقاع على سطح الكرة الأرضية وأجفها وأعلاها وأعصفها رياحاً، الى كونها شبه خالية من مظاهر الحياة. ويكاد لا ينمو شيء فيها. ومع أن المياه الحلوة متوافرة، اذ تحوي هذه القارة ٧٠ في المئة من مياه العالم، فإن هذه المياه محبوسة في طبقة من الجليد الخالص. ولا يعيش هناك سوى البعثات الرسمية التي تتكون بمعظمها من علماء يديرون محطات أبحاث تابعة لـ١٦ دولة مختلفة.

لكن صحراء الجليد هذه التي يلمع وميضها عند أسفل الكرة الأرضية يمكن اعتبارها جنة في بعض النواحي. فهنا تتحقق كل أحلام البشرية بالسلام العالمي. فلمدة ٢٥ سنة بقيت أنتارتيكا خالية من الوجود النووي ومنطقة سلام لا سلاح فيها، وذلك بفضل معاهدة(٢) تشتمل على مستويين من التعامل. فلأي دولة عضو في الأمم المتحدة، ولأي دولة

---

(١) انتارتيكا هي قارة القطب الجنوبي.

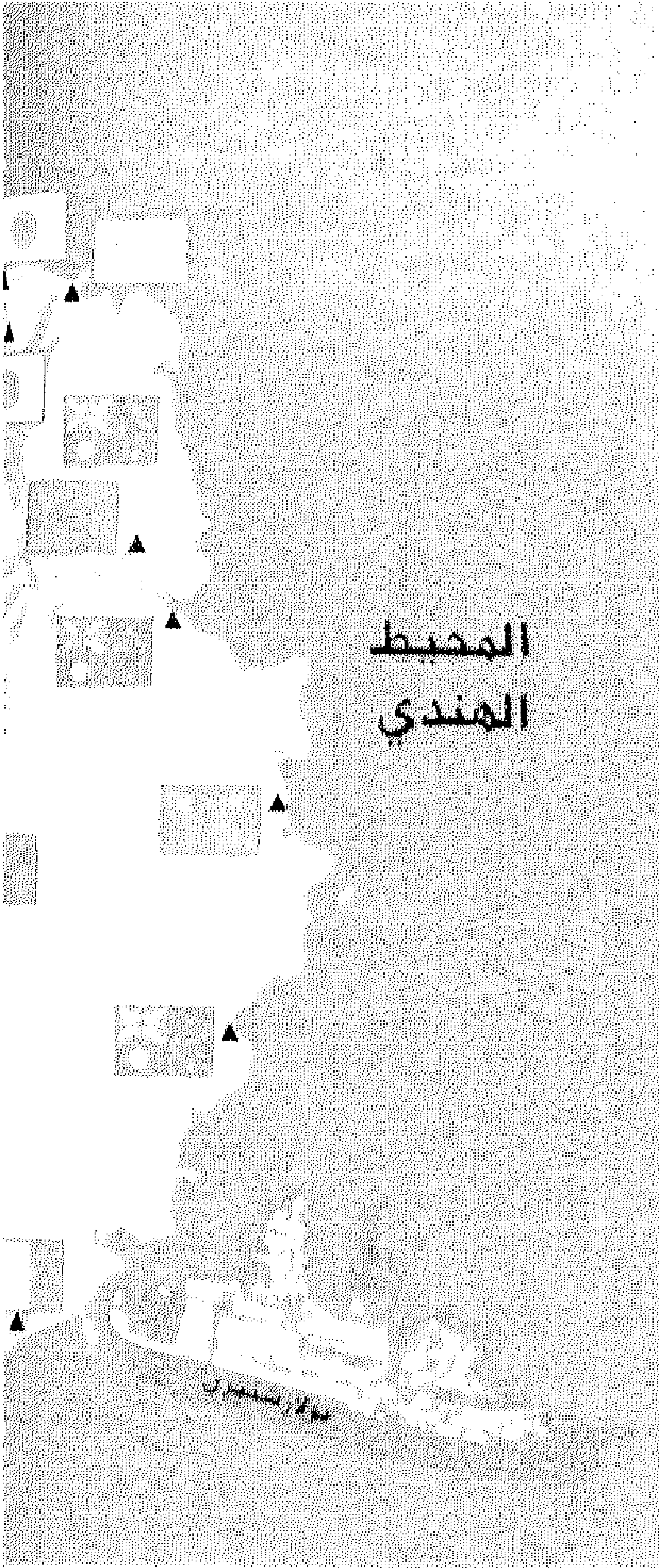
(٢) طالع "رحلة الى أسفل الكرة الأرضية" في الصفحة ٣١ من العدد ٨٧ من "المختار" الصادر في فبراير (شباط) ١٩٨٦.

يدعوها افرقاء المعاهدة، الحق في دعم معاهدة انتارتيكا من خلال الانضمام اليها. وهذا ما فعلته ٣٢ دولة حتى الآن. ويحظى كل من الدول المؤسسة وعددها ١٢ والدول الناشطة في ميدان الأبحاث هناك وعددها ١٨ (٣) بلقب "فريق استشاري" ويشترك في تسيير أمور القارة. ولقد حقق افرقاء المعاهدة نجاحاً كبيراً بالاتفاق على سبل المحافظة على الحياة البحرية في انتارتيكا.

لكن هذه المعاهدة المتميزة مهددة الآن بالأطماع المادية. فبعض البلدان غير الموقّعة يستبصر امكانات الحصول على أرباح طائلة من الموارد الخيالية التي تنتظر من يخرجها من تحت سطح الجليد في انتارتيكا، ومنها حقول نفط ضخمة قد تساوي حقول ايران ومخزون من الثروة المعدنية قد يضاهي ما في جنوب افريقيا.

الحقوق الاقليمية – الواقع أنه لم يحصل بعد أي اكتشاف مثير للثروات المعدنية وما زال البحث عنها في نقطة البداية. لكن الضغوط تزداد حول مسألة استغلال الموارد المحتملة ومن سيكون له الحظ في الثراء. وبدأ بعض الدول يناور ليحظى بوضع يمكنه من دخول حلبة التسابق المحتمل في انتارتيكا.

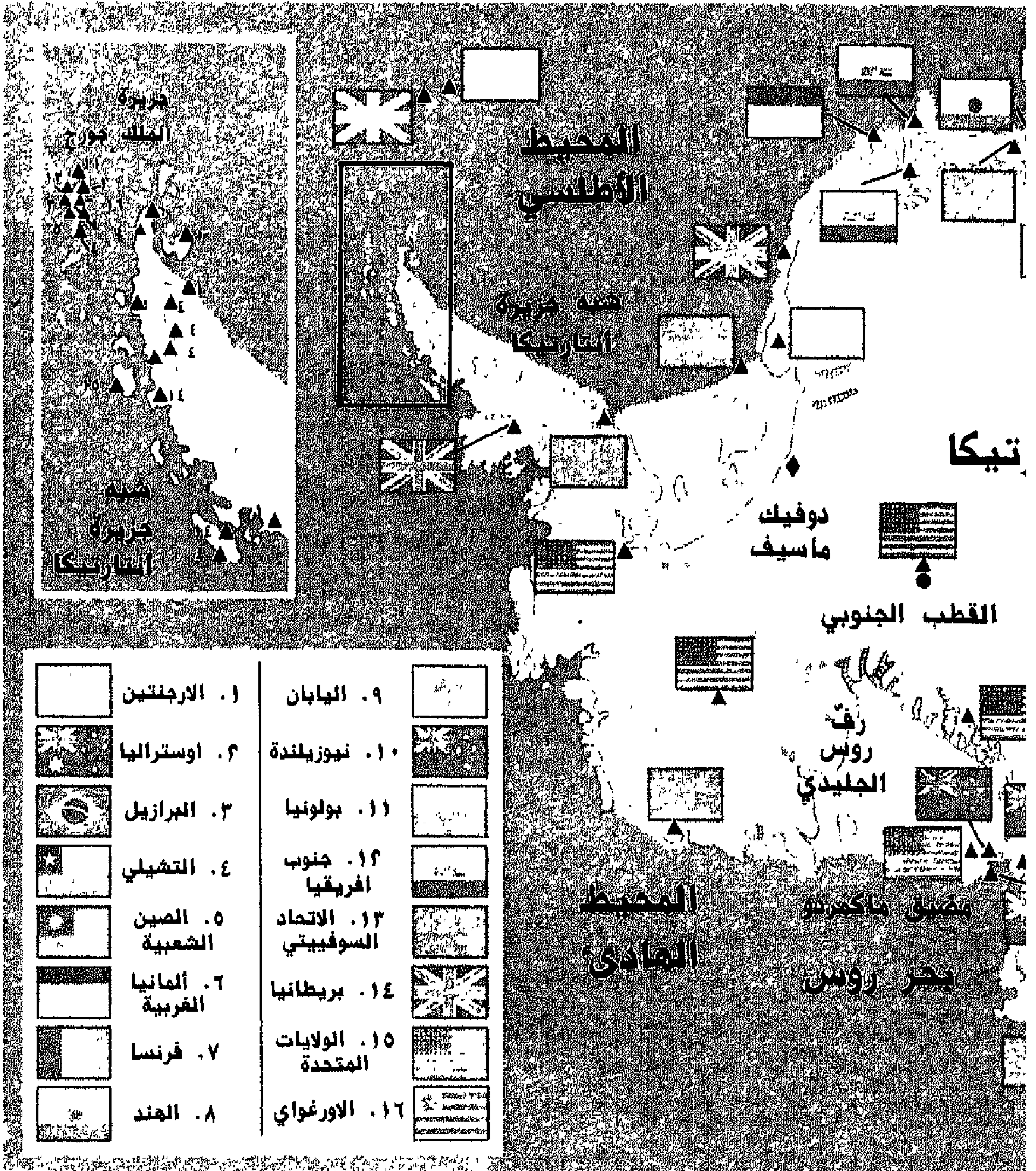
إن القنبلة الموقتة في أنتارتيكا تتمثل في أن المعاهدة تجنبت خوض مسألة من يملك ماذا؟ وهكذا فان الدول الـ١٨ الموقعة والناشطة في ميدان الأبحاث تحاول أن تتفق على إطار لاتخاذ القرار حول امكان تنمية الثروة المعدنية



التي قد تكتشف. وفي الوقت نفسه يعمد الكثير من هذه الدول الى تعزيز برامج الابحاث وبناء محطات جديدة وسفن

(٣) الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي وبريطانيا وفرنسا والنروج وبلجيكا والأرجنتين والتشيلي واليابان واوستراليا ونيوزيلندة وجنوب افريقيا وبولونيا والهند والبرازيل والمانيا الغربية والصين الشعبية والاورغواي.

Map: Vahe Kirishjian



أبحاث كاسحة للجليد ومطارات.

وهناك بلدان اخرى، مثل ايطاليا وهولندا، كانت تراقب النشاط المندفع ويخالجها الاحساس بأن انتارتيكا في طريقها الى البيع بالمزاد العلني، فما لبثت ان بدأت برامج أبحاث خاصة بها ستكسبها حق ابداء الرأي في مستقبل القارة.

وتحاول ماليزيا أن تخضع نظام معاهدة انتارتيكا للأمم المتحدة، وتطلب من دول عدم الانحياز مساعدتها في المحاولة. ويتخوف بعض بلدان هذه المجموعة من

توزيع مغانم آخر قارة نقية حصصاً تتقاسمها دول قليلة محظوظة. لذلك تطالب باعلان القارة "إرثاً مشتركاً للانسانية" كما هي حال قاع البحر. ويقول الدكتور مهاتير محمد رئيس وزراء ماليزيا: "ان الحصرية والسرية في المعاهدة لا يمكن التسامح بهما. فمن الممكن أن يأتي يوم نجد ان القطب الجنوبي هو من الذهب الخالص وليس في استطاعتنا الحصول على شذرة منه."

لكن انهيار معاهدة انتارتيكا قد يفتح الباب أمام التنقيب وحفر المناجم وحتى السياحة من دون ضوابط، مما سيسبب كارثة للتوازن البيئي الدقيق. والادهى من ذلك أن الصراع العلني على المعادن قد يحول ميدان أنجح تجربة سلمية في العالم ساحة حرب.

ومن دواعي الأسف أن ليست هناك أجوبة سهلة عن السؤال الحيوي المتعلق بالحقوق الاقليمية يمكن الوقوع عليها في تاريخ القارة. فأول ابحار حول انتارتيكا حققه قبل قرنين المكتشف البريطاني القبطان جيمس كوك. لكن الرؤية الاولى عن قرب للقارة في العام ١٨٢٠ تدعي شرف تحقيقها سفن بريطانية وروسية وأمريكية. وأول من وطأت قدماه الجليد يعتقد أنه صائد فقمة أمريكي. وأول من رفع علماً الفرنسيون وأول من وصل الى القطب الجنوبي النروجيون وأول من طار الى هناك الامريكيون. وكان النروجيون أول من تجرأ على قضاء الشتاء في انتارتيكا والبريطانيون أول من عبر القارة. وفي العام ١٩٧٨ ولد لزوجين يعملان في محطة أرجنتينية صبي كان أول طفل ترى عيناه النور في القارة الجديدة.

توتر وقلق – مع حلول العام ١٩٤٣ كانت سبع دول أعلنت سيادتها على أجزاء من انتارتيكا. وتصل جميع هذه الاجزاء، الّا جزء النروج، الى القطب الجنوبي. وتدعي اوستراليا سيادتها على نصف القارة، وذلك يمثل كبرى الحصص. بينما تدعي نيوزيلندة السيادة على الجزء الذي أقامت فيه الولايات المتحدة محطتها الرئيسية في مضيق ماكمردو. كما أن هناك وضعاً ربما كان متفجراً في منطقة شبه جزيرة أنتارتيكا حيث تدعي كل من بريطانيا والتشيلي والارجنتين السيادة على بعض المناطق الواقعة في نطاق سيادة البلدين الآخرين. وشبه الجزيرة منطقة مهمة لانها تصل الى مياه تكاد تخلو من الجليد قرب طرف أمريكا الجنوبية. فجزيرة الملك جورج عند رأس شبه الجزيرة الذي يمكن الوصول اليه بسهولة تشكل مركزاً لسبع محطات مختلفة تضم الالمان الشرقيين الذين يشاركون السوفييت في إحدى قواعدهم.

ان معاهدة انتارتيكا تضع الدعاوى الاقليمية في حيز اللاقرار اذ تنص على أنه لا يمكن أي أنشطة "أن تشكل أساساً لتأكيد أي دعوى أو دعمها أو نكرانها." فرئيس التشيلي الجنرال اغوستو بينوشيه يمكنه مثلا أن يقبّل تراب انتارتيكا ويلقي الخطب الحماسية من دون أن يعلن منافسوه في انتارتيكا الحرب عليه. وهكذا فعندما رد الارجنتينيون بعقد اجتماع وزاري على

الجليد لم تحصل أيّ مواجهة. وعندما وقع الصراع المسلح بين الأرجنتين وبريطانيا في جزر الفوكلاند عام ١٩٨٢ تابع موفدون من البلدين البحث في المنافع المشتركة في انتارتيكا على طاولة المؤتمرات نفسها.

وفي هذا المجال نجد أن الاطراف الاستشارية الثمانية عشر تحاول جاهدة ايجاد طريقة لمعالجة التوتر الذي يمكن أن ينشأ عن تطوير أي ثروات معدنية يخبئها الجليد واستغلالها وتقاسمها. فكل البلدان المشاركة تعرف حقاً أنه لا يمكن التوصل الى اتفاق عادل اذا عُرفت القيمة التجارية الحقيقية للقارة. ومما يزيد في الحيرة والقلق المفهوم الخاطىء أن المعاهدة تنتهي عام ١٩٩١. ويؤكد والتر سيليغ من برنامج أبحاث انتارتيكا التابع للولايات المتحدة: "هذا هراء. فالمعاهدة تنص بوضوح على أنه يمكن اعادة النظر فيها بعد ٣٠ سنة، وذلك بناء على طلب أحد البلدان الموقعة عليها."

في هذا الوقت تقوم اعداد متزايدة من سفن المؤونة وكاسحات الجليد وسفن الابحاث بخوض عباب الجليد كل صيف للوصول الى المحطات العلمية النائية. وقد ظلت نشاطات الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي متشابهة حتى الآن وبعيدة عن التسابق. لكن هناك بلداناً اخرى سجلت تاريخاً نشيطاً في انتارتيكا وتحاول الدخول في مغامرات جديدة. فاليابان أقامت محطة أبحاث دائمة ثالثة وبنت كاسحة جليد كبيرة جديدة. واستأجرت اوستراليا سفينة تموين ألمانية مجهزة للركاب وللشحن، وتفكر أيضاً بإقامة اتصال جوي. وتخطط فرنسا لبناء مطار يسهل الوصول بالطائرة صيفاً. وفي منطقة شبه الجزيرة زادت بريطانيا مساهمتها المالية بعد حرب الفوكلاند، بينما تتسابق التشيلي والارجنتين المفتقرتان الى المال اللازم للعلوم المتقدمة، على تأسيس الجاليات والمدارس والمحلات التجارية والكنائس. ولقد افتتحت التشيلي أول مقصف للزوار في القارة وتنوي أن تطور "مدينة هي مدخل الى حقبة مقبلة أساسها السياحة والتعدين." وتسرف الأرجنتين في تنظيم حفلات الزواج والولادة والاعياد على رغم اقتصار بعثتها على حفنة من عائلات العسكريين الذين يخدمون في القواعد الصغيرة المقفرة.

أما دخول ألمانيا الغربية انتارتيكا فظاهرة تسترعي الانتباه. فهي وقعت المعاهدة عام ١٩٧٩ ثم أصبحت فريقاً استشارياً بعد سنتين، لكنها الآن تنافس الدول العظمى في الأبحاث. فلديها محطة واحدة للاقامة الشتوية وثلاث محطات صيفية على الجليد وطائرتان وكاسحة جليد هي "بولارشتيرن" التي كلفت ٦٧،٨ مليون دولار والتي تعتبر من أكثر سفن الابحاث تقدماً.

نفق في العسل – في هذا الوقت تشرع دول أخرى في تنظيم برامج أبحاث ستؤهلها لعضوية الدائرة الداخلية للأفرقاء الاستشاريين. فخلال موسم ١٩٨٤ – ١٩٨٥ أقامت بعثة من جمهورية الصين الشعبية محطتها الأولى "الجدار العظيم" في انتارتيكا مرفقة إياها

بمركز بريد لجني الأرباح من الهوس العالمي بجمع طوابع بريدية من انتارتيكا. وانشأت الاورغواي مخيماً صغيراً كبداية. وفي اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٥ أصبحت الدولتان - الصين والاورغواي - فريقين استشاريين. وبين ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ وفبراير (شباط) ١٩٨٦ عمدت بعثة ايطالية الى استكشاف منطقة خليج تيرا نوفا بهدف تعيين موقع مناسب لانشاء محطة. ويجري العلماء الهولنديون أبحاثهم في مختبرات ضمن مستوعبات (containers) يمكن إرسالها على متن السفينة "بولارشتيزن" الى انتارتيكا. وينتظر أن تحذو دول أخرى كالسويد (أسوج) حذو هولندا.

فلا عجب أن نرى البلدان التي لا محطات لها، خصوصاً بعض دول العالم الثالث، وقد خالجها شعور بالخيبة وبأن القطار يفوتها. ويحاول أفرقاء المعاهدة عبثاً التأكيد أن المعاهدة تعمل على نحو ممتاز وانها ليست اتفاقاً حصرياً. فكل بلد يوقعها يمكن أن يحصل على مقعد الى طاولة المفاوضات كمراقب، وأن يصبح عضواً له حق التصويت بعد القيام بأبحاث جوهرية وان لم تكن مكلفة من الناحية المادية. فالهند مثلا تجرأت وأرسلت في موسم ١٩٨١ - ١٩٨٢ بعثة تضم ٢١ رجلا بكلفة مقدارها ١،٧٥ مليون دولار فقط، وبعد ذلك انضمت الى المعاهدة كفريق استشاري عام ١٩٨٣. ويقول الدكتور س.ز. كاظم مدير البرنامج الهندي: "ان الأبحاث التي نجريها في أنتارتيكا تكلف نحو خمسة ملايين دولار سنوياً. ولدينا الآن محطة دائمة التشغيل على مدار السنة."

أمّا البرازيل فحققت الانجازات نفسها تقريباً بموازنة تقل عن ثلاثة ملايين دولار. ويقول أنطونيو روكا - كامبوس من جمعية أنتارتيكا البرازيلية: "لقد عدلنا سفينة تموين قطبية دنماركية وأقمنا مخيماً صيفياً صغيراً تم توسيعه للاقامة في فصل الشتاء أيضاً."

أمّا المنعطف الأغرب في هذه القضية فهو أنه لم يتم اكتشاف أي شيء ذي قيمة تجارية في انتارتيكا. والواقع أن هناك محطة سوفييتية بنيت حديثاً قرب مخزون من الفحم الحجري هو من الكثافة بحيث يسهل اقتطاع بعض أجزائه بالازميل. ولكن عندما سأل جون بيرنت من المركز الامريكي للأبحاث الجيولوجية عما إذا كان السوفييت سيستخدمون الفحم للتدفئة ضحك هؤلاء وقالوا: "انه لمن الاسهل والأوفر علينا احضار الفحم الحجري من أعلى الكرة الأرضية الى أسفلها."

وحتى ان صحت التوقعات المتفائلة بالثراء الخيالي، فان هناك صعوبات جمة في استخراج ما تحت الجليد. فإحدى المناطق التي تضم دوفيك ماسيف قد تكون كمجمّع بوشفلد في جنوب أفريقيا من حيث الاحتواء على أعظم المخزونات المعدنية. ومع ذلك فان المواد القيمة ستكون مدفونة تحت مليارات الأطنان من الجليد الزاحف. لذلك فان انزال أسطوانة تعدين(٤) للوصول الى الصخور، إن لم نقل الى التربة، سيكون بمثابة فتح نفق في

(٤) Mine shaft

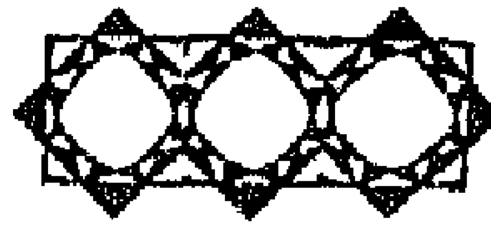
العسل، لأن الجليد يصبح لزجاً تحت ضغط وزنه.

وهكذا فإن المعدن الوحيد القابل للاستغلال في المستقبل المنظور هو نفط الشواطىء. فالدلائل الجيولوجية تشير الى وجود أحواض رسوبية في الافريز القاري(٥) تحت الجليد، لكن كلفة الانتاج ستكون باهظة ومثبطة للعزيمة.

لذلك فان مستقبل المعاهدة الهشة يعتمد على امكان التوصل الى قرار حول مسألة التصرف بالموارد المرتقبة قبل أن تظهر السفينة الاولى لحفر آبار النفط في المنطقة. ولمنع حصول "بازار" دولي يسمح للجميع باغتصاب هذه الأرض العذراء، فمن الضروري أن يصمد أفرقاء المعاهدة في وجه الضغوط الخارجية ويحسّنوا مضمون المعاهدة. إن أفضل هدية تقدمها هذه القارة الطاهرة الى الانسانية لا تتمثل بالفحم الحجري او النفط، بل بثراء أهم هو نموذج للسلام العالمي.

جون دايسون ■

(٥) الافريز القاري (continental shelf) جزء من القارة مغمور بمياه البحر الضحلة.



صيادان في الكونغو

ذهب صابر وجليل في رحلة صيد الى الغابات الاستوائية. طارا الى افريقيا واستأجرا دليلا وحمالين وانطلقا يشقان طريقهما في وادي نهر الكونغو. وفي اليوم الرابع من الرحلة تجاهلا تحذيرات الدليل وتوغلا في الغابة حيث جمّدهما زئير مرعب.

قال صابر وهو يرتجف: "ما هذا يا جليل؟" فرد صاحبه: "اني سمعت الزئير كذلك يا صابر." وتمتم صابر: "لا ترفع صوتك، بل تكلم همساً."

وأخذ الزئير يتعالى ويقترب فدب الرعب في الرجلين وهمس جليل مرتعداً: "يا صابر، انه ورائي، انظر اليه." فقال صابر: "اني أراه."

وسأل جليل مجهشاً بالبكاء: "هل هو فهد أم نمر؟" فأجاب صابر: "لا أعرف يا صاحبي، فأنا محاسب ولست خبير فراء."

ل.ر.

برودة انكليزي

اقتحم أحد اللصوص حانة وهو يطلق النار يمنة ويسرة ويصيح: "أيها الجبناء، اخرجوا من هنا حالا!"

وفر الزبائن جميعاً ما عدا رجلا انكليزياً ظل جالساً الى طاولته بهدوء.

وصاح به اللص وهو يلوّح بالمسدس: "حسناً!"

قال الانكليزي: "حسناً، لا ريب في أن عدداً كبيراً من الجبناء كان هنا، أليس كذلك؟"

ف.ف.

الشَّرابُ حَرام

دعي أكبر مصلح اجتماعي في القرن العشرين، ودعا نفسه بيل و. عمل محللا للسندات المالية فجمع ثروة كما ساعد آخرين على جمع ثروات لهم. لكنه خسر كل شيء عندما أصبح سكّيراً. وبقدرة علويّة وجد سبيلا الى التعافي وساهم في إنشاء جمعية فريدة حملت الأمل والحياة الجديدة الى ملايين الناس في أنحاء العالم. وأنا فرد من تلك الجمعية أعطيتُ نعمة معرفة ذاك الرجل الخارق والعادي في آن.

عام ١٩٦١ أخبرني الأطباء أنني سأموت في غضون فترة صغيرة إن لم أمتنع عن تناول الكحول. لكني كنت عاجزاً عن مواجهة الواقع من دون تناول كميات وافرة منه.

جئت من كنساس الى مدينة نيويورك وأنا في مقتبل العمر، وعملت بجد فحصلت على وظيفة في حقل العلاقات العامة. بعد ذلك تزوجت ورزقت ثلاثة أولاد وأسست منزلا في ضاحية حديثة بولاية كونتيكت.

كنت أبدو في ظاهري رجلا ناجحاً، ولكن في الحقيقة كان يساورني شعور بالنقص. وحين بلغت الأربعين نشأ ورم كبير في بطني قيل لي أنه تليّف في الكبد. وظهرت على جلدي آثار كدمات أرجوانية وأخذت أعاني من رعاف. كل ذلك دلّ على إصابتي بتلف الكبد. وفي أحد أسفاري أخذت أتقيّأ دماً، ولم أستطع وقف التقيؤ حتى خسرت نصف كمية الدم في جسمي. ولو لم تجر لي عملية نقل دم لمت في ذلك الحين. ومع ذلك لم أستطع الامتناع عن الكحول حتى بعد اصابتي بنزف آخر.

وأخيراً يئس طبيبي من معالجتي وأرسلني الى طبيب آخر يدعى هاري تايبوت، وهو من الاطباء النفسيّين القلائل الذين تعاطفوا مع جمعية "المدمنين المجهولين" ونظروا الى ادمان الكحول كمرض وليس كنقص في الشخصية. واقترح عليّ تايبوت أن أقصد



والتقيت بيل و. كان بمثابة أسطورة، لذا شعرت برهبة حين دخلت مكتبه في حي مانهاتن بنيويورك.

كان بيل مسترخياً في كرسيه، رجلاه ممدودتان على طاولة من خشب السنديان انتثرت على سطحها ندوب كثيرة نتيجة إطفاء أعقاب السجائر. ووقف أمامي بقامته الناحلة التي بلغ طولها ١٨٨ سنتيمتراً وعينيه الزرقاوين المفعمتين بالحيوية. تصرف حينئذ وكأن لقائي كان أفضل مقابلة له منذ سنوات. ومد يده لمصافحتي قائلا: "أنا بيل، وأنا سكير."

وعندما بدأت أتمتم كلمات تعبر عن أنني مدين له بحياتي، نظر الى الأرض بحياء وقال: "كفى الآن."

بعد مدة أصبحت عضواً في مجلس أمناء جمعية المدمنين المجهولين. وصرت على اتصال مباشر مع بيل و. وأثناء المؤتمرات وجلسات مجلس الادارة، كنت أراه يقصد الوافدين الجدد المنتحين زاوية ما. لقد عايش الشعور بالوحدة والحياء وعدم الاستقرار الذي يختبره من أدمن الكحول. كان يحييهم تماماً كما حياني: "أنا بيل، وأنا سكير." لم أسمعه مرة يستخدم كلمة "مدمن" عندما يعرف بنفسه.

كان بيل يتصرف كرجل عادي. لكنه كان رجلا خارقاً. ولم يلزمني وقت طويل

جمعية المدمنين المجهولين. لكنني كنت قطعت شوطاً بعيداً في الادمان بحيث تعذر علي الاقلاع عنه، فأحالني الطبيب على مركز المراقبة في كنت بولاية كونتيكت. هناك باشرت تطبيق أولى الخطوات الاثنتي عشرة التي تتبعها جمعية المدمنين المجهولين، وهي الاعتراف بعجزي تجاه الادمان على الكحول وبأن التحكم بحياتي اصبح أمراً عسيراً. وفي يوليو (تموز) ١٩٦١ انضممت الى الجمعية وبدأت حياة واعية.

قصة الرقاد

بعد ثلاث سنوات تطوعت لمساعدة الجمعية في حقل العلاقات العامة.

Illustration: George Angelini

كي أدرك أن كل من عرفه احتفظ بقصص شائقة عنه وعن زوجته لويس التي شاركت في تأسيس جمعية "آلانون" لعائلات مدمني الكحول. لكن أحداً لم يسرد قصة أفضل من بيل.

كان بيل يدعوها "قصة الرقاد." وقد سمعتها للمرة الاولى في العام ١٩٦٦ أثناء حفلة الميلاد في المكتب، لكنه كان يرددها منذ سنوات. اجتمعنا وقتئذ لتناول المرطبات والفاكهة والحلوى وانشاد ترانيم الميلاد. وبعدما جلس الحاضرون مرّت لحظات سادها سكون. كان بيل و. واقفاً بجانب إناء الشراب. وبحركة لولبية قعد على الأرض وبدأ يتكلم.

في الطليعة

عندما ولد بيل و. في ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٩٥ كانت بلدة إيست دورست في ولاية فرمونت تضم أقل من ٥٠٠ نسمة. ونشأ بيل في بيت سادته الخلافات التي غالباً ما أدّت الى رحيل الأب لأيام قليلة. وشعر بيل بالمأساة التي عاناها أطفال كثيرون عاشوا في بيوت مماثلة، وسبّب له ذلك عذاباً متزايداً وهو يكبر في السن. ولما بلغ العاشرة تمّ الطلاق بين والديه ومضى كل في طريقه، الأمر الذي لم يكن شائعاً في العام ١٩٠٦. وهكذا ظلّ بيل مع جدّيه لأمه.

أتقن بيل كل عمل أقدم عليه بغية تعويض شعوره بالوحدة والنقص. ففي السن الثانية عشرة بدأ يظهر اندفاعاً وطموحاً ونزعة الى المنافسة. ومرة قرأ جده كتاباً عن اوستراليا وأخبره أن ما من أحد يستطيع أن يصنع البمرنغ(★) إلّا اذا كان من سكانها. وأمضى بيل ستة أشهر وهو يحاول صنع واحدة حتى نجح في ذلك. ومن ثم اعتبر البمرنغ سبب شقاء لأنها برهنت له امتلاكه القدرة والارادة لكي يكون في الطليعة في كل شيء يفعله، سواء في الموسيقى أو الرياضة أو العلوم. وهو مرة أصلح كماناً مكسورة ودأب يتمرن على العزف حتى بات العازف الأول في الفرقة الموسيقية للمدرسة. ولم يكن رياضياً بطبيعته، لكنه عمل جاهداً حتى أصبح قائد فريق البايسبول (كرة القاعدة).

وفي مانشستر المجاورة، وهي منتجع صيفي شعبي، تعرّف بيل الى إيبي تاتشر من ألباني في نيويورك، وأصبح الشابان صديقين مدى العمر. وفي العام ١٩١٣ بعد سنتين من لقاء إيبي، التقى بيل زائرة صيفية هي لويس بيرنهام ووقع في حبها. كانت فتاة ناحلة ذات شعر أسود من عائلة متوسطة الثراء في بروكلين بنيويورك. وقد تبادلا حباً مشوباً بالعاطفة لم تهمد جذوته طوال السنوات التي عانى بيل خلالها الادمان.

الرشفة الاولى

لم يذق بيل و. طعم الكحول حتى السن الثانية والعشرين حين كان ضابطاً في الجيش في مركز له قرب نيوبيدفورد في مساتشوستس خلال الحرب العالمية

(★) البمرنغ (boomerang) قطعة خشب ملوية يتخذ منها سكان اوستراليا قذيفة يرشقون بها هدفاً ما. ومنها ما يرجع الى راميه.

الأولى. كان ذلك الشاب الخجول يشعر بعدم انسجام مع الحاضرين في الحفلات الاجتماعية، الى أن قدّم اليه أحدهم "كوكتيل البرونكس" وهو مزيج من مسكر الجن والفيرموث المزّ وعصير البرتقال.

وتنهد بيل قائلا: "ذلك الحاجز الذي وقف دائماً بيني وبين الناس ذهب الى غير رجعة. شعرت بعدئذ أنني انتمي الى الناس وأنني جزء من الحياة. يا له من سحر في ذلك الشراب! لقد بات في امكاني أن أتكلم وأن أظهر براعتي."

خلافاً لبعض المدمنين الذين يزيدون من تناول الكحول تدريجاً، أصبح بيل مدمناً منذ البداية الى حد فقدان الوعي. كان واحداً من الذين تفعل الخمرة فيهم وتسيطر على عقولهم وأحاسيسهم. فالكأس الأولى تثير رغبة ملحّة في تناول كأس ثانية. وهكذا يفقد المرء السيطرة على ارادته منذ الرشفة الأولى.

وكان بيل يحرص على الحد من تناول الكحول وهو في صحبة لويس وعائلتها. لقد تزوجا قبل أن يبحر الى فرنسا برتبة ملازم أول في مدفعية السواحل. هناك عرف البرغندي والكونياك. وبانتهاء الحرب في العام ١٩١٨ برهن لنفسه مرة أخرى أنه "الأول" وقائد الرجال وبطل.

عندما عاد بيل الى الولايات المتحدة عاش ولويس مع والديها. كان يعمل في النهار محققاً في شركة تأمين، وفي الليل يتابع دراسته في كلية بروكلين للحقوق. وسرعان ما سحرته أسواق البورصة فأصبح محللا ناجحاً ومضارباً وتاجراً مغامراً له زبائن في بيوتات عدة للسمسرة في وول ستريت، شارع المال في نيويورك.

في أثناء ذلك سيطر الكحول على بيل الى درجة أن السكر اسقطه في الامتحان النهائي في كلية الحقوق. وكل خيبة أصابته وكل نجاح لقيه كان سبباً في تناوله الكحول حتى السكر، فيصبح شرساً وشديد الانفعال. كان يتشاجر مع النُدُل وسائقي سيارات الأجرة والغرباء. وحين يصحو من سكرته في صباح اليوم التالي يشعر بالذنب والندم فيقسم لزوجته انه لن يشرب بعد ذلك ابداً.

الاستسلام

بقي بيل ولويس يضلل أحدهما الآخر فترة طويلة. فسكنا منزلا فخماً وانضما الى نواد رياضية عدة. وحتى العام ١٩٢٨ كان بيل يكسب ألوف الدولارات وينفق قسماً كبيراً منها على المشروبات. وكثيراً ما وجدته لويس في الصباح ثملا وغائباً عن الوعي ونائماً على عتبة المنزل.

وتأثّر بيل بافلاس سوق البورصة الامريكية في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٩. وأدّى ذلك الى القضاء على ما لم يهدّه الكحول فيه. فبعدما ناء تحت ثقل الديون انتقل وزوجته الى العيش مع والديها من جديد. وحصلت لويس على وظيفة في مخازن "مايسي" فيما انصرف بيل الى الخمرة لتساعده على البقاء حيّاً. وهو أخبرنا أنه "كالمدمنين الآخرين كان يخفي الكحول مثلما يخبىء السنجاب البندق، في العلية أو تحت البلاط أو في سيفون المرحاض. وحين تذهب لويس الى العمل أعزّز مؤونتي السريّة. كنت أشرب في ذلك الوقت كي انسى، فأستهلك

الكولونيا المسكرة خمر محرّمة

موقف الاسلام من الكحوليات واضح وحاسم. فقد جاء في الآية الكريمة: "انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه..." ويقول الدكتور محمود النوادي من جامعة الملك سعود في الرياض: "للمرء أن يتساءل لماذا لم يدع الاسلام أي امكان لاباحة شرب الكحوليات، كما فعل في قضايا أخرى؟ ان القرآن الكريم يجيب عن شرعية هذا الموقف الصارم بمنطق عقلاني يقرّ به كل ذي عقل سليم: "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما." وهكذا فالخمر والميسر محرمان في شرعة الاسلام الداعية دائماً الى تغليب جانب الخير على جانب الشر في الانسان. فموقف تحريم تعاطي الكحوليات في الاسلام، هو موقف واقعي يلتزم مبدأ "الوقاية أفضل من العلاج." فدرءاً لمضار الكحوليات المتعددة والمختلفة التي كشف العلم الحديث عن الكثير منها، وتلافياً لانتشار ظاهرة الادمان أسوأ خطر الكحوليات، جاء موقف القرآن فاصلا وبينا بالنسبة الى فضّ إشكالية تعاطي الكحوليات بينما لم تنجح المجتمعات الصناعية المتقدمة في فضّها فضاً مشرفاً على رغم التشريعات والقوانين التي سنت وتسن "بروح علمية وعصرية."!

ومن هذا المنطلق اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء في المملكة العربية السعودية على السؤال المقدم من رئيس محاكم النوادمي الى الرئيس العام والمحال عليها من الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء ونصّه:

"لا يخفى على سماحتكم ما اصيبت به هذه البلاد من انتشار شرب المسكرات وترويجها. ولا شك في ان هذه ظاهرة خطيرة ويخشى من استفحال امرها وقد أصبح الكثير ممن يلقى عليه القبض متلبسا بهذه الجريمة يدعي ان ما شربه هو كولونيا وقد يكون هذا صحيحا لما ظهر من ان كثيراً من الكولونيا مسكر وقد يكون هذا من باب إخفاء مصدر ما تناوله حتى لا يدل على كثير ممن يقصد التستر عليه حيث كثرت معامل الخمور داخل البلاد مع ما يستورد من خارجها حيث ان بعضاً من انواع الكولونيا قد تحقق إسكاره وهو يباع علنا في الاسواق ويعتبر خمراً الا انها سميت بغير اسمها فإن هذا شيء لا يصح السكوت عليه وأرى ان ينظر في جميع انواع الكولونيا المسكرة

زجاجتين أو ثلاث زجاجات من الجن يومياً."

وبحلول العام ١٩٣٢ بدأ بيل يخشى من تدهور صحته العقلية. قال: "خلال احدى نوبات السكر رميت لويس... عزيزتي لويس... بماكينة خياطة. وفي نوبة أخرى اندفعت في البيت بغضب أركل الأبواب وأضرب الحيطان بقبضتي. وما زلت أذكر احدى الليالي حين كنت في حال اضطراب دفعتني الى الظن اني سأرمي نفسي من النافذة لذا جررت فراشي الى الطبقة السفلى كي لا أستطيع القفز الى الخارج."

وفي منتصف صيف ١٩٣٤ دخل بيل مستشفى تشارلز تاونز في مدينة نيويورك المختص بمعالجة مدمني الكحول. وكانت غالبية الناس تعتبر المدمنين ضعيفي الارادة يفتقدون الشخصية وضبط النفس. لكن وليم دنكان سيلكورث طبيب بيل في المستشفى كان واحداً من الاطباء القلائل الذين استنتجوا أن الادمان مرض. وهو أخبر لويس أن قلة فقط من المدمنين أمثال بيل شفوا من ادمانهم، إذ بدأت تظهر على بيل علامات تلف في الدماغ.

ويكتب لولي الامر ببيان حكمها ومنع استيرادها منعا باتا كفا للشرور والأخطار التي غزت البلاد من كل جانب، نرجو الله سبحانه وتعالى ان يوفق الجميع لما فيه صالح الاسلام والمسلمين إنه سميع مجيب."

واجابت عنه بما يأتي:

"إذا بلغت الكولونيا بما فيها من الكحول درجة الاسكار بشرب الكثير منها حرم الابقاء عليها قلّت أم كثرت ووجبت إراقتها وإتلافها لأنها خمر، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه أمر المسلمين باراقة ما لديهم من الخمور حينما نزل قوله تعالى: "يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون". ولما ثبت من قول النبي صلى الله عليه وسلم "ما أسكر كثيره فقليله حرام" وعلى ذلك يحرم شربها والتطيب او التطهير بها، أما إن لم تبلغ درجة الاسكار بما فيها من الكحول بشرب الكثير منها فيجوز شراؤها واقتناؤها واستعمالها تطيبا وتطهيرا بها، لأن الأصل الجواز حتى يثبت ما ينقل عنه."٢

وما ينطبق على الكولونيا المسكرة، يصح في الأدوية المحتوية على كحول. فقد ذهب جمهور الأئمة الى حرمة التداوي بسائر الأمور النجسة أو المحرمة ومنها الخمر وكل مسكر لحديث ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام." رواه ابو داود.

ولحديث وائل بن حجر أن طارق بن سويد سأل النبي صلّى الله عليه وسلّم عن الخمر فنهاه عنها فقال: "انما اصنعها للدواء" فقال "انه ليس بدواء ولكنه داء" رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

وقال ابن مسعود كما ذكره البخاري: "إنَّ الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم."٣

(١ و٣) "المسلمون"، العدد الثالث والستون ١٠ – ١٦ شعبان ١٤٠٦ هـ / ١٩ – ٢٥ ابريل ١٩٨٦م
(٢) "المسلمون"، العدد الثاني عشر السبت ٧ – ١٣ شعبان ١٤٠٥ هـ / ٢٧ ابريل – ٣ مايو ١٩٨٥ م

بدا بيل نشطاً بعد خضوعه للمعالجة، الأمر الذي سمح له بمغادرة المستشفى. لم يشرب الكحول هذه المرة لأشهر عدة. لكن لويس وجدته في الصباح الذي أعقب ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ذكرى انتهاء الحرب العالمية الاولى، في حال سكر وهو متكىء على السور الخارجي للمنزل. ونظر كل منهما الى الآخر ورأى بيل ومضة الأمل الاخيرة تتلاشى في عينيها. وحينئذ علم أنه محكوم عليه بالاعدام. فقال في نفسه "فليكن ذلك. ما يهمني هو وجود زجاجة الجن."

اشراقة أمل

لم ينقض وقت طويل حتى تلقى بيل اتصالا من صديقه القديم ونديمه إيبي تاتشر. يا لها من مصادفة غريبة! دعاه بيل الى زيارته وتناول بضع كؤوس معه.

قرع إيبي جرس الباب وكانت عيناه صافيتين ونفسه خالياً من رائحة الكحول.

وسأله بيل: "ما الذي غيّرك هكذا؟"

فابتسم إيبي وأجاب: "أصبحت مؤمناً بالله."

هكذا أصبح إيبي من أشد المؤمنين. قال بيل: "خلته سيبدأ وعظه لي. لكنه لم

يفعل. أخبرني فقط كيف أصبح عاجزاً أمام المسكر وكيف وقع في مشاكل قانونية وكيف دبّر له صديقان مكاناً يعيش فيه."

كان رولاند هازارد، أحد الصديقين، سكّيراً ميؤوساً منه بعدما دخل مصحّات لسنوات عدة. وفي نهاية المطاف ذهب الى المحلّل النفساني السويسري الشهير كارل يونغ وسأله: "هل حالي ميؤوس منها؟"

"نعم،" أجاب يونغ. لم يكن لدى المدمنين إلّا نادراً إيمان قوي "وتحكّم بعواطفهم" يؤديان فجأة الى عكس مسارهم. لقد حاول يونغ اجراء تغيير في رولاند، لكنه أخفق في مسعاه.

وذات يوم حضر رولاند اجتماعاً عقدته منظمة كانت تدعى "جماعة أكسفورد" حيث يلتقي الناس للتكلم على عيوبهم ولاتباع قواعد مسلكية معينة. وشعر رولاند خلال الاجتماع بتغيّر عميق في مشاعره. وهكذا امتنع عن تناول الكحول.

عندما أخبر رولاند صديقه إيبي قصته تكونت نواة ما أصبح في ما بعد جمعية المدمنين المجهولين. وتولى ايبي بدوره نقل الرسالة الى بيل.

قال بيل: "أخبرني إيبي انه كان عليه أن يعترف صراحة بهزيمته وبخطاياه، ويعوّض من ألحق بهم أذى، ويحب الناس من دون مقابل. كان عليه أن يتضرع الى الله. وأخبرني أيضاً أنه لم يتناول مسكراً منذ ستة أشهر."

وتابع بيل: "وبعد أسبوعين وعقب جولة سكر أخرى عدت الى مستشفى تاونز لاجراء فحوص. وجاء إيبي لعيادتي فبادرني: كن صادقاً مع نفسك وصارح أحدهم بالأمر. لكنني لم أستسغ تلك الحماقة. وتابع ايبي: "تضرّع الى الله، هذا كل ما يتطلبه الأمر."

وفي ليلة أخرى من الليالي التي لم يذق فيها بيل طعم النوم شعر بوصوله الى الحضيض وباصابة كبريائه في الصميم. وصرخ بصوت عال: "يا رب، انني مستعد للقيام بأي عمل!"

فجأة أشرقت غرفة بيل في المستشفى وسرى فيه فيض من نشوة غريبة وأحسّ نسمة باردة تهب عليه. قال: "شعرت بالاطمئنان. وأيقنت أن الامور مهما بدت سيئة فانها ستصطلح بمشيئة الله."

كتاب المبادئ

خرج بيل من المستشفى في ١٨ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٣٤. لم يشرب كأساً واحدة بعد ذلك التاريخ، لكنه حرص دائماً على التأكيد أن غالبية المدمنين لم يعيشوا تجربة باهرة مثل تلك التي اختبرها.

وفي الأشهر الاولى من امتناعه عن الكحول سحب رجالا سكارى من الحانات وأخذهم لحضور لقاءات عقدتها جماعة أكسفورد. لكن أحداً لم يتجاوب معه. كذلك حاول مساعدة مرضى في مستشفى تاونز، فلم يلق إلّا الاخفاق. ونصحه الدكتور سيلكورث بأن يتحادث مع هؤلاء "المرضى" ولا يضجرهم باطالة الكلام، وأن يظهر لهم أنّ مرضهم ميؤوس منه.

وعاد بيل الى وول ستريت. ولكن أثناء رحلة عمل الى أكرون في أوهايو شعر

برغبة ملحة في تناول الكحول. وفي ردهة الانتظار في الفندق ألقى نظرة على دليل المؤسسات الاجتماعية فانتقى اسم واحدة كيفما اتفق واتصل بها هاتفياً. وسأل المسؤول هل هناك سكّير ميؤوس منه يستطيع التكلم اليه، فكان الجواب: "الدكتور الجراح روبرت سميث، وهو مدمن ميؤوس منه حاول التخلص من ادمانه بلا طائل."

تكلم الرجلان لساعات. لم يعظ بيل ولم يقدّم النصح، لكنه روى قصته بهدوء فتلاشت رغبته في الكحول. وبعد جولة سكر أخيرة حدث للدكتور سميث أمر ما، اذ تناول الكأس الاخيرة في ١٠ يونيو (حزيران) ١٩٣٥. وعلى رغم أن جمعية المدمنين المجهولين لم تكن تأسست بعد، فانها بدأت عملها منذ ذلك التاريخ.

ولم يمض وقت وجيز حتى كان بيل يعقد اجتماعات في بيته وفي مكان آخر في الشارع الغربي ٢٣ بنيويورك. وعام ١٩٣٨ وضع كتاباً في ١٦٤ صفحة بعنوان "المدمنون المجهولون." من هنا اكتسبت جمعيتنا اسمها. وبيعت من الكتاب في تلك السنة نسخات قليلة ومضت الجمعية تنمو ببطء.

كان العمل الدعائي الاول لجمعية المدمنين المجهولين في الولايات المتحدة مقالة عنها نشرتها مجلة "الحرية". وتدفقت رسائل القراء فبلغ عددها ٨٠٠ اشادت بالكتاب، كما بيعت منه مئات النسخات.

وأعقب تلك المقالة أخرى نشرت في مجلّة "ساتورداي ايفننغ بوست" في مارس (آذار) ١٩٤١ بعنوان "المدمنون المجهولون" وأحدثت ضجة عارمة. ونشأت مجموعات مؤيدة في ولايات عدة.

وبحلول ربيع ١٩٨٦ كان الكتاب ترجم الى ١٣ لغة وبيعت منه في العام ١٩٨٥ وحده ٧٠٠ ألف نسخة وبلغ العدد الاجمالي للنسخ المبيعة خمسة ملايين. أمّا المجموعة التي أوجدها بيل في بروكلين عام ١٩٣٥ فهناك اليوم نحو ٧٠ ألفاً مثلها في أنحاء العالم.

هذه هي القصة التي كان بيل و. يرددها أمامنا كل سنة في المقر الرئيسي لجمعية المدمنين المجهولين.

وفي ٢٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٧١ توفي بيل عن ٧٥ عاماً متأثراً بداء انتفاخ الرئة. وبعد يومين من وفاته نشرت صحيفة "النيويورك تايمس" نبذة عن حياته في صفحتها الاولى، فعرف العالم اسمه بالكامل: وليم غريفيث ويلسون.

وفي يوليو (تموز) ١٩٨٥ وقفتُ على المنصة في الملعب الأولمبي بمونريال (كندا) ونظرت الى نحو ٥٠ ألف شخص جاؤوا من ٥٤ بلداً من البلدان الاعضاء البالغ عددها ١١٤. قلت: "إسمي بوب ب. وأنا سكّير. أهلا بكم في الذكرى السنوية الخمسين لتأسيس جمعية المدمنين المجهولين."

وعلا هتاف حماسي من أنحاء الملعب وتواصل من غير كلل. واذ سمعت الهتاف والمتكلمين الذين تعاقبوا على المنبر أيقنت أن كلا منا كان يبدي تقديره لشخص يصعب نسيانه: بيل و.

بوب ب. ■



١ـ أقواس القزح

صباح يوم من أيام الربيع توقّفت قرب نافورة ماء في حديقة عامة لأتأمّل الرذاذ وهو يبُثّ أشعة الشمس كأقواس قزح وامضة. واذ بأم في ريعان شبابها، تتبعها فتاة صغيرة شقراء، تتقدّم مسرعة في الممرّ. وحين رأت الطفلة النافورة فتحت ذراعيها وصرخت: "أماه، مهلك! انظري الى تلك الألوان الجميلة."

وأمسكت الام يد ابنتها واستعجلتها قائلة: "هيّا بنا، ستفوتنا الحافلة." لكنها ما لبثت أن ترفّقت، بعدما رأت البهجة على الوجه الصغير وقالت: "حسناً، ستصل حافلة أخرى سريعاً."

وما ان ركعت الوالدة أمام طفلتها وضمّتها بين ذراعيها حتى أفعمت الفرحة وجهها هي أيضاً. كانت تلك الفرحة النادرة المميزة التي تغمرنا حين نشارك من نحبّهم في أمر ممتع.

ومنذ ذلك اليوم أدركْتُ أن أسعد الاطفال وأنبههم وأقدرهم على الابداع ينتمون الى العائلات التي تحفل بأقواس القزح المتشاركة.

كيف يمكن الاهل مساعدة أطفالهم، في تذوق الغاز العالم واثاراته؟ قد تكون الاقتراحات الآتية مفيدة:

● **احترموا ما يثير حماسة أطفالكم.**

لدى كل ولد انطباع لا يغيب أبداً عن مخيّلته عن تلك الايام حين شاركته والدته أو والده أو جده أو جدته في احد اكتشافاته.

وذات يوم على أحد الشواطىء تأملت فتاة في نحو الثانية عشرة من العمر وهي تنتقي الحصى في محاذاة الماء وتحملها الى أمها. ثم جلستا متلاصقتين فيما الفتاة تحاول بكل ابتهاج أن تحدّد أصناف الكنوز التي اكتشفتها.

وقلت للام: "لا بد أنك شديدة الاهتمام بالحصى."

فأجابت: "انها هواية سالي. الحصى في الوقت الحاضر، وفي الشهر المقبل قد تكون الاصداف أو الازهار البرية. فهي في حاجة الى من يصغي اليها."

ولم أندهش حين علمت أن سالي تلميذة ممتازة وأنها الخبيرة في صفّها بالعلوم الطبيعية. وسوف تكون حياتها زاخرة بالمستجدات الرائعة التي تبقى دائماً في انتظار من يستكشفها.

● **شاركوا الآخرين في شعوركم الخاص بالدهشة.**

يتعطّش الاطفال الى مشاركة أهلهم في اهتماماتهم اذا سنحت لهم تلك الفرصة.

غرزت احدى الامهات أوتاداً حول مساحة متر مربع في فناء المنزل. واشترت عدسات مكبرة لها ولولديها تضخم الأشياء عشرة أضعاف. وأخذوا يراقبون المكان معاً كل يوم. وروت لي الام: "فتحت هذه العدسات أمامنا عالماً جديداً. فشاهدنا الفصول تتغيّر، ودهشنا أمام أشكال ساحرة تتخذها نديفات الثلج وأمام ريشة زرياب زرقاء وجناح فراشة. واكتشفنا جذوراً غريبة وأزهاراً داخل أزهار. أتعلمين أن قلب زهرة الربيع الأصفر مرصّعٌ بمئات النجوم الصفراء؟"

أنا معلمة. وذات يوم اعترف لي والد أحد تلاميذي بالآتي: "كانت تزعجني الساعات التي يمضيها بوبي من دون حراك أمام شاشة التلفاز. ثم بدأت أستعيد في خاطري نشاطاتي الصبيانية."

ويوم السبت التالي بنى بوبي ووالده طوفاً عوّماه في جدول. وبعد أسبوع صنعا طائرات ورقية وطيّراها في مزرعة الجد. وحول موضوعٍ طرِح للبحث في الصّف كتب بوبي: "ان أحلى أوقاتي هي التي ننجز فيها أنا وأبي أموراً قام بها في صغرِه."

● **خصّصوا وقتاً لاصطياد أقواس القزح.**

أخبرتني أم لثلاثة أولاد: "في انتظار نضج طعام العشاء في الفرن أصحَب صغيرتي لتمشي حول المبنى. ولا يلزمني سوى دقائق لتعليمها شمّ زهرة أو لفتها الى سرب طيور في السماء. أما ولداي الاكبر سناً فأشاركهما في أفضل الامور أثناء العمل المنزلي الرتيب. ففي مطبخِنا "شباك سحري" نفتّش من خلاله

على أمور وهمية في الغيوم أو على صور نلوّنها. ونكتب مذكرات نصف فيها كل يوم أربعة مواضيع نريد أن نتذكّرها أكثر من سواها. ولم نصبح جميعنا أدقّ ملاحظة للامور فحسب، بل غدونا نجد أوقاتاً ممتعة حتى في أيامنا التعسة.

● ساعدوا الاولاد على اكتشاف العالم بأنفسهم.

مارك استاذ في مركزنا الخاص بالطبيعة. وغالباً ما يجيب عن الاسئلة بطرح اسئلة أخرى. وذات يوم صحبته وتلاميذي في الصف الابتدائي الرابع في نزهةٍ الى أحضان الطبيعة. وأشار ولد الى علّيقة قرب مستنقع وسأل مارك: "لماذا تحمل العلّيقة أشواكاً؟"

فأجابه مارك: "أعندك فكرة عن السبب؟"

وسرعان ما بدأ الاولاد يتبادلون الاسئلة والاجوبة بحماسةٍ قلّما رأيت مثيلا لها في المدرسة. وأخيراً قهقهت احدى الفتيات الخجولات قائلةً: "أعتقد أن الاشواك وجدت لتعلّق عليها الجنّيات أجنحتها عندما تذهب لتسبح!"

وسُرّ مارك وقال لي: "لا يجوز تقييد الاولاد بجواب صحيح واحد. فحين يطوف خيالهم يتعلمون الامور على أفضل وجه."

لا يمكننا قياس ما نمنح الولد حين نكسبُه وعياً حادّاً لأمور الحياة أو نقدّم اليه حلماً.

ويتوقّف بقاء الحياة جديرة بأن نحياها على الشباب الخلّاق الذي يتأمل العالم فيجده جديراً بالمحافظة عليه. وان من يرث أقواس قزح لقادر على حملنا الى مراتب أرفع من التي بلغناها آنفاً.

أليتا جين ليندستروم ■

قد يكون هذا هو المدخل السحري الى المكان البسيط الذي نسمّيه الجمال

٢ - عالم الجمال

سمعت الصوت للمرة الاولى حين كنت في الثالثة أو الرابعة من عمري. وكان والدي يردد لحناً: "غنمي غنمي ما أجملها..." وأذكُر ذراعيه الطويلتين تضمّانني وأنا جالسٌ في حضنه. وشعرت حقاً أنني طفلٌ يهدهد. وكان أبي يتلاعب باللحن ويعدله. فاكتشاف لحن محبب هو بمثابة اكتشاف لغة جديدة. أما اللعبة فتقضي بأن يأسرنا اللحن وبأن نتدرب على الاصغاء.

وكان والدي مثل آباء كثيرين يتوقّع سابقاً الفرحة التي قد يشعر بها ابنه اذا سمعه يمدّد اللفظة أو يسترسِلُ في اللحن. فضغطَ سقف حلقه بلسانه وفغر شفتيه وأخرج المزيد من الهواء من رئتيه وأحدث لحناً رائعاً "غا... نا... مي."

وحان عندئذ وقت النوم.

وبعد ظهر يوم من أيام الخريف حين بلغت ساقاي أخيراً الطول المناسب أخذتُ سلّة فارغة ووضعتها مقلوبة قرب شجيرة تفاح في حديقتنا. وكانت الشجرة في شكل الحرف «Y» ، الجذع في الوسط وغصنان ثخينان يمتدان في اتجاهين.

وكان أخي وأختي الاكبر مني سناً استوليا على الشجرة من قبل. وهمّني جداً أن أشاركهما في تبجحاتهما.

ارتقيت السلة وتشبّثت بالجذع وبذلت جهداً كبيراً لأرفع نفسي بتأن حتى توصّلت الى وضع ساقٍ فوق أحد الجذعين. وجلست أخيراً وفرشخت ساقيّ.

ولم ألحظ أن أبي كان يراقبني من المرجة فصرخ: "اذاً نجحت أخيراً."

فأجبته: "نعم!"

وسألني: "أتعتقد أنه فيل؟"

فنظرت الى الغصن الطويل الممتدّ أمامي ثم الى الغصن الاثخن ورائي، وللحال خيّل اليّ أني امتطي فعلا ظهر فيلٍ ضخمٍ رمادي اللون.

"نعم! انه فيل جميل!"

قال والدي: "حسناً، اركبه الى بومباي." ولم أكن أعرف أين تقع بومباي لكنها بدت لي بعيدةً جداً وأنها المكان المناسب للفيلة. وهكذا امتطيت فيلي طوال بعد الظهر متّجهاً الى بومباي.

وكان أهلي يأخذوننا الى كندا في شهر يوليو (تموز) من كل سنة لقضاء أسبوعين هناك. وكنا ننام في كوخ صغير بناه والدي. وفي الثامنة من عمري انضمّ الينا عجوز لبضعة أيام. وهو علم برحلات والدي معنا الى عالم الخيال. وذات مساء تسلّق السلم وقصّ علينا في الظلام رواية "بابا ياغا" الساحرة التي عاشت في منزلٍ قائم على قوائم دجاجات وطافت في غابةٍ كثيفة في مكان ما من روسيا.

ولن أنسى ابداً صوت العجوز الذي طاف مسافةً أطول من أن يتصوّرها خيالي يومذاك، فصدّقت قصة "بابا ياغا" وخفت منها، لكني وثقت بالصوت الرجولي الذي نم عن ارتياح واطمئنان وهو يسرحُ بي في عالم الاساطير.

مع تقدّمنا في السِنّ نركّز على هذه الامور التي وثقنا بها وصدّقناها يوم كنا أطفالا. وبالنسبة الي كان ذلك صوتاً له نبرة مألوفة بصرف النظر عن هويّة صاحبه. وفي مرحلة الدراسة الثانوية حين كان أساتذتي يقرأون بصوت مرتفع مقاطع من أشهر القصص كنت أشعر أني كنت هناك من قبل وأنا على حضن والدي في ظلام حجرة خلال احدى عطلات الصيف.

ان لهذا المكان البسيط الذي نسمّيه الجمال أو الارتياح أو الطمأنينة مداخل عدّة. وبالنسبة الي كان المدخل ذاك الصوت العالمي الآتي في زي رجال طيّبين يحكون قصصاً ويمطون الالفاظ ويمدّدونها ويقولون ان شجرةً ما تشبه حيواناً هائلا.

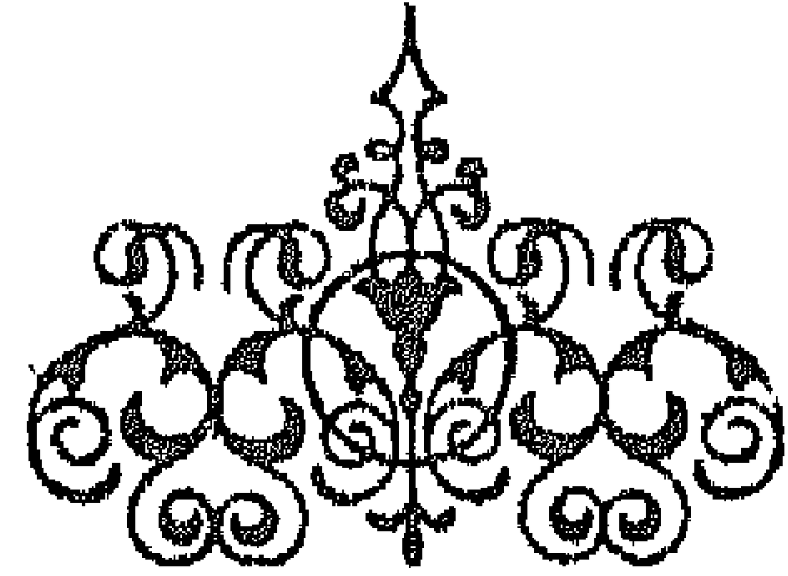
رجاءً، اقرأوا لاولادكم واحكوا لهم الاقاصيص واتلوا عليهم القصائد تكراراً.

كريستوفر دي فينك ■



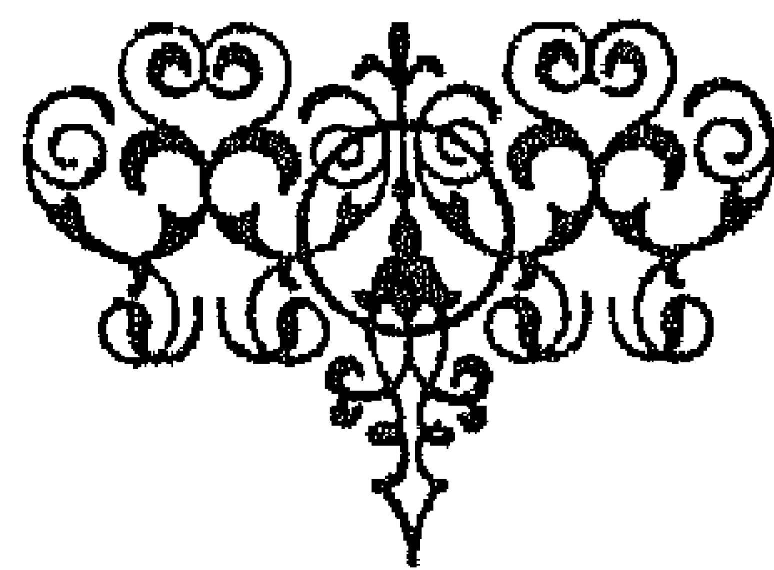
ابتهج بالحياة لأنها تعطيك الفرصة كي تحبّ وتعمل وتلهو وتنظر الى النجوم.

هـ.ف.د.



بلسم القلوب

هل شعرت يوماً بالعجز أمام مصيبة حلّت بقريب أو صديق فجع بعزيز؟ اليك خمس نصائح ربما ساعدت في التخفيف من وقع المصاب



المكالمة الهاتفية التي تلقيتها من الاب ويمبي من جامعة بايلور في واكو بولاية تكساس كان لها وقع الصاعقة. فهو أخبرني بمقتل والدَي غيل سيمون(*) في حادث سيارة. وغيل طالبة في الجامعة، والاب ويمبي يعرف أنها صديقتي. ولدى سماعي الخبر سرى في جسدي خدر رهيب. ماذا عساي أن أفعل لاخفف عنها وقع المصاب؟

هذا السؤال القديم يبرز كلما فقد أحد أصدقائنا أو أقربائنا عزيزاً. ومعظم الناس يشعرون مثلي بالارتباك أمام خبر من هذا النوع. وفي بحثي عن إجابة مفيدة كان لي حديث مع الاب ويمبي.

قال: "الخوف من إتيان عمل أخرق او التفوه بكلام مؤذ يشلّ معظم الناس في تلك المناسبات. وبديهي أنه ليست هناك بادرة سحرية أو حكمة أزلية من شأنها أن تمحو الشعور بالانفطار. لكن هناك أموراً ربما ساعدت في اظهار الاهتمام الصادق وبالتالي في التخفيف من وقع المصاب."

وفي ما يأتي خمس نصائح استخلصتها من آراء ويمبي وسواه من الخبراء في هذه الامور يمكنها أن تسرّي عن المفجوع وتخفف من آلامه.

١. كن حاضراً. فران فيليبس وكيلة عقارات في مدينة نيويورك توفيت والدتها في شتاء مزدحم بالعمل، وتقررت اقامة مراسم الجنازة في بيلير بولاية ميريلاند في نهاية الاسبوع. وفي غياب فران تعين على رئيستها هيلين ان تنوب

(*) جميع الاسماء الواردة في هذا المقال مستعارة الا اسم كاثرين لوغلين.

عنها وتقوم في الوقت ذاته بأعباء وظيفتها هي.

وأظهرت هيلين تعاطفاً صادقاً. ولأن الجو كان ينذر بثلج كثيف، فقد أصرّت على فران ان تتوجه الى بيلير على الفور قائلة: "ان أنت أسرعت، فيمكنك أن تسبقي سقوط الثلج."

وبعد يومين، فيما كانت فران تصافح أصدقاء والدتها بعد الجنازة، تقدمت هيلين نحوها بهدوء وبادرتها: "لماذا أبقى في نيويورك وأفكاري كلها هنا معك؟" وهي لكي تصل في الوقت المناسب قادت سيارتها طوال الليل في عاصفة ثلجية.

كان تشاك غرايسون يعمل في حقل التأمين في لكسنغتون بولاية كنتكي. وظل طوال حياته يتجنب المآتم. وهو يتذكر: "لم أكن أظن ان وجودي أو غيابي يشكل فارقاً مهماً. ولكن عندما توفيت زوجتي أدركت أهمية الحضور بالنسبة الى المفجوع. وعجبت كم من الاقارب والاصدقاء بذلوا جهداً ليشاركوا في المأتم."

والتوجه الى بيت المحزون هو من الأهمية بمكان. وتتذكر والدتي كيف تدفق المعزون على بيتها بعد وفاة والدي: "لست أذكر الكلام الذي قيل لي. كل ما أذكره هو العناق الحار الذي خصني به المعزون."

والوجود الفعلي مع المفجوع يساعد في نواح أخرى شتى. ولقد عمد جون دوفرين، وهو باحث اجتماعي في جامعة نبراسكا في لنكولن، الى دراسة تجارب ٥٠٠ عائلة خبرت صدمة الموت المفاجئ.

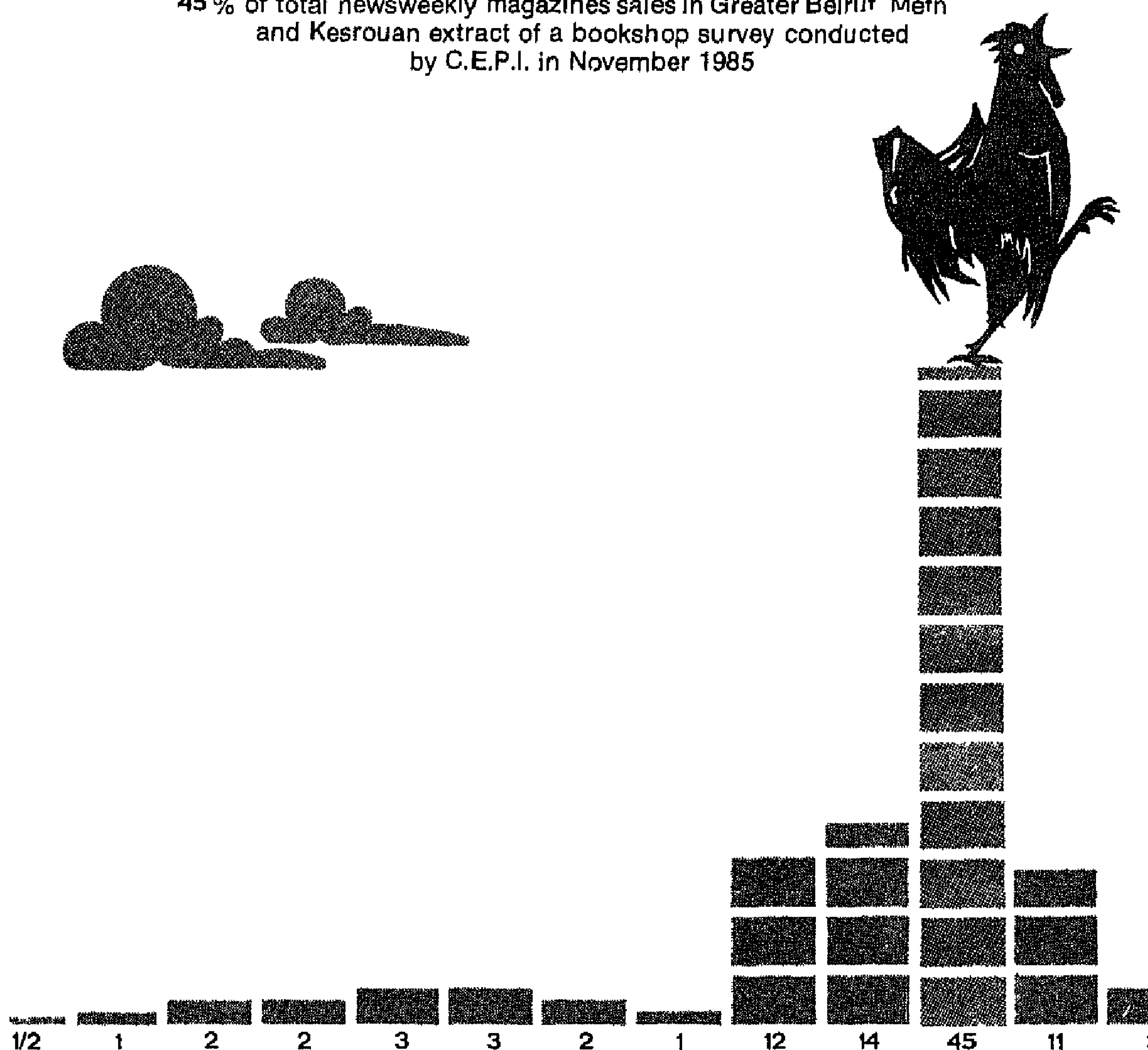
وهو يشرح: "في البدء يتملك الذهول المفجوعين الى حد انهم لا يعرفون ماذا يتعين عليهم فعله. فكيف لهم إذاً أن يطلبوا من الآخرين اسداء خدمات معيّنة؟" وربما كان هذا هو سبب عدم استجابة المحزونين للعرض الصادق المتمثل بعبارة "ان كان هناك ما يسعني عمله، فاعلمني به."

وأهمية الحضور الفعلي تدركها حتى مؤسسة حكومية مثل وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا). فبعد اشتعال النار في المكوك الفضائي "تشالنجر" وانفجاره في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، كان بجانب كل من عائلات الرواد السبعة الذين قضوا في الحادث المفجع عائلة أخرى لرائد آخر مهمتها تقديم المساعدة في مجالات مختلفة، من حجوزات السفر الى ترتيبات الطعام فالعناية بالحيوانات المدللة. ويقول كلارك كوفنغتون من "ناسا"، وهو مدير مشروع المحطات الفضائية في مركز جونسون الفضائي في هيوستن بتكساس: "ان جميع الوسائل التقنية المتوافرة في عصرنا الفضائي لا تضاهي تأثير انسان يمد يده الى أخيه الانسان."

٢. أصغِ. يروي بوب جونز مرشد الشبيبة في ودواي بولاية تكساس حادثاً قضى فيه شابان بعيد تخرجهما في المدرسة الثانوية: "زرت عائلتيهما وتبادلنا الاحاديث. تكلمنا عن الطقس والعمل. وتحدثنا في كل شيء الا سيرة ولديهما." وكان جونز مؤمناً بأنه لا يجوز التطفّل على أحزان الناس وخصوصياتهم.

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted by C.E.P.I. in November 1985



النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

الى أن جاء يوم استمع الى امرأة محاضرة من "الاصدقاء المتعاطفين" وهي منظمة أمريكية مهمتها مساعدة الآباء والامهات المفجوعين بأبنائهم للتغلب على مصابهم. وكانت المحاضرة فقدت أحد أبنائها وهالها ألا يأتي أحد على ذكره، وعبّرت عن خشيتها أن تكون حياته القصيرة مضت من دون أن تترك اي اثر أو ذكرى. عندئذ أدرك جونز أن الشخص المفجوع يحتاج الى التحدث عن الفراغ المفاجىء في حياته.

بعد ذلك التقى جونز والد أحد الشابين. وبعد تبادل المجاملات العادية قال جونز: "لقد أمضيت مع سكوت وقتاً رائعاً حين زارني للمرة الاخيرة." وللحال أشرق وجه الوالد وسأله: "حقاً؟ وماذا قال لك؟" فروى له جونز حديثه مع الشاب. وعندئذ انطلق الوالد يتحدث عن ابنه وتدفق الكلام من فمه كالسيل.

وفي دراسة تناولت أناساً فجعوا بموت عزيز، أفاد ٣٠ من كل ٣٥ شخصاً أنه لم يكن لمعظم العبارات المؤاسية أي تأثير ايجابي، بل ان بعضها كان مؤلماً. من ذلك عبارات مثل: "الحال أفضل الآن لانه ينعم بالسلام،" و"لا اعتراض على أحكام الرب،" و"ستتغلب على المصاب." والاهم من ذلك أن يتجنب المرء عبارة "اني أعرف شعورك" ما لم يكن مر بالتجربة نفسها.

من أفضل الطرق لحمل المفجوع على الكلام أن تسأله هل يودّ أن يتكلم في الموضوع أو أن تقول له مثلا: "لا بد من أنه يصعب عليك كثيراً أن تفكّر في الحياة من دونها."

والاطفال ايضاً يحتاجون الى من يصغي اليهم ويشاركهم في أحزانهم. هكذا تعتقد كاثرين لوغلين وهي أستاذة متقاعدة كانت تدرِّس مادة "نمو الطفل وتطوره" في جامعة نيفادا في رينو. فعندما توفي زوجها فجأة كان ابنهما مارتن في السادسة من عمره وأخته لويز في الثالثة. ولم تعد كاثرين تأتي على ذكر الوالد إلا نادراً. وسرعان ما عادت العائلة الى حياتها الطبيعية. وبعد انقضاء ستة أشهر سألتها لويز بعفوية: "ألن يندهش والدي عندما يرى كم كَبِرت؟" وقطب مارتن حاجبيه الصغيرين ونهرها: "أبونا مات. دعونا من سيرته."

أدركت كاثرين أن ولديها يصارعان الاحاسيس والعواطف نفسها التي حاولت هي خنقها. وقد اعترفت في ما بعد: "عندما بدأنا نتشارك في مشاعرنا، تقبلنا أخيراً ما لم يكن ليُقبل."

٣. **أكتب رسالة.** كانت جولي طالبة متفوقة في جامعة نبراسكا ووحيدة والديها كلارك وجون هدسون. وهي لقيت مصرعها عندما صدمتها شاحنة. ويحفظ آل هدسون باعتزاز رسالة كتبتها اليهما احدى أستاذات جولي في الجامعة. وتقول جون: "لقد كتبت الينا الاستاذة لتخبرنا كم استمتعت بوجود جولي في صفّها وكم كانت جولي مرحة ومراعية لشعور الآخرين وكم أحبّها زملاؤها. أن يتذكرها الناس هكذا أمر خفّف من بؤسنا وأراحنا."

ومن الرسائل ما هو تعبير عن ذكريات شخصية ومنها ما هو بسيط ويتضمن أسطراً قليلة مثل: "فكري معك في هذا

الوقت العصيب،" أو "اني أصلي من أجلك."

٤. **قدم هدية.** بعد وفاة ابنتها ذات التسعة عشر ربيعاً في حادث اصطدام دراجة نارية بسيارة في كونتيكت، وجدت ماري كريستنسن بعض العزاء في مجموعة شعرية أهدتها اليها احدى صديقاتها. وتقول ماري: "لقد اختارت بعناية شيئاً ذا معنى كبير بالنسبة الي. وعبّرت أبيات الشعر عما اختلج في نفسي من مشاعر."

لسنوات طويلة ظل الجيران يعبّرون عن اعجابهم بالأزهار التي كان جدي يغرسها. وبعد وفاته أهدوا الى مكتبة القرية كتاباً عن النباتات المزهرة كتذكار على روحه. ولقد ترك ذلك أبلغ الاثر في نفس جدتي.

٥. **وجّه دعوة.** توفيت والدة كيم باركر في الصيف الذي كانت كيم ستبلغ فيه السابعة عشرة. وهي تتذكر: "حدث ذلك قبل اسبوع واحد من عيد مولدي. وفي تلك المناسبة كل سنة كنت وأمي نذهب معاً لشراء ثياب لي للسنة الدراسية المقبلة. وكان ذاك اليوم خاصاً ومميزاً بالنسبة الينا."

وكانت كاري صديقة كيم تعرف ذلك. وتتابع كيم: "وفي صباح ذلك اليوم الموافق لعيد مولدي الأول بعد وفاة والدتي تلقيت مكالمة من كاري التي سألتني هل أود الذهاب الى السوق لشراء ثياب. ووجدت في تلك البادرة أقصى درجات التعاطف والمراعاة."

ان الدعوة الموجهة الى المحزون توفر له شيئاً يتطلع اليه ويحول تفكيره عن مصدر ألمه ومعاناته. فكّر جيداً في الخيارات المتاحة. ربما أسعد أحدهم أن يتناول الطعام خارج المنزل أو يشاهد مسرحية أو يذهب في نزهة في السيارة. وتتذكر احدى صديقاتي الايام الاولى بعد وفاة زوجها: "حتى الذهاب الى السوق بدا أمراً بالغ الصعوبة. أما اليوم، فعرضي الاول على الزوجة المترملة حديثاً هو اصطحابها الى السوق."

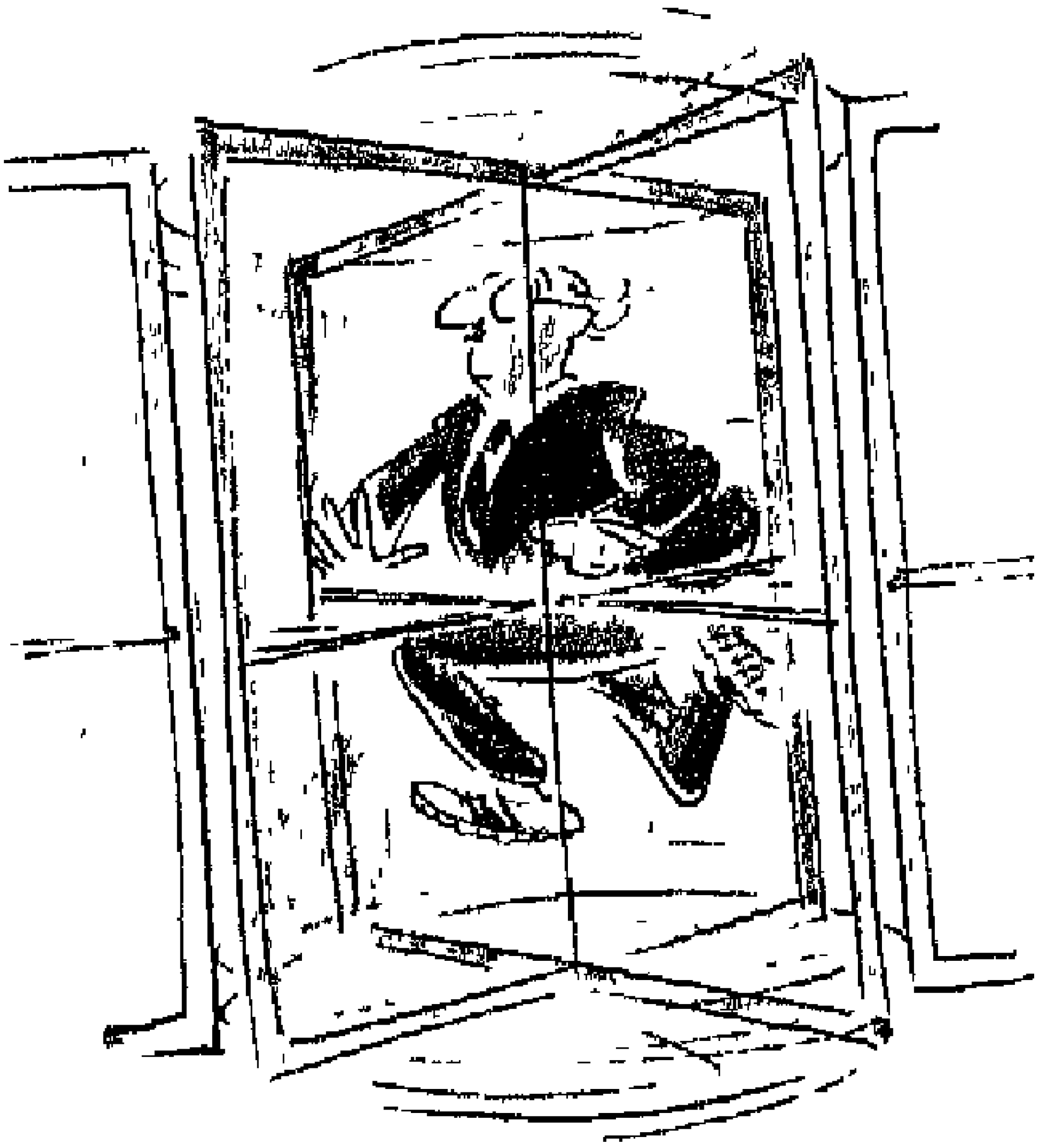
وغالباً ما يرفض المفجوعون الدعوات، وان قبلوها فليعتذروا عن عدم تلبيتها في اللحظة الاخيرة. وسبب ذلك، في رأي بول ستريبلنغ المدير التنفيذي لجمعية تطوعية في واكو "ان من هم في حداد عميق يخشون أن يفقدوا السيطرة على عواطفهم أمام الآخرين. وربما شعروا أيضاً انهم بقبولهم الدعوة وتمتعهم بوقت جيد قد يظهرون عديمي الوفاء لذكرى الفقيد. ان قليلا من التشجيع الرقيق يجعلهم يدركون انه لا بأس من الاستمتاع بالحياة مجددا."

لا شك في أن وفاة عزيز هي خسارة عاطفية مدمرة. الا أن التعبير الصادق عن الاهتمام والمشاركة يساعد في تحويل الحزن اليائس الذي لا طائل فيه، حزناً نابعاً من الايمان والامل والانعتاق.

بربارة رصل تشيسر ■

لا شتاء يدوم أبداً، ولا ربيع يتخلف عن موعده. هال بورلاند

الضحك خير دواء



الموظف وحماته

قال المستخدم لرب العمل متلعثماً: "آسف يا سيدي لتأخري، فحماتي مقيمة عندنا هذه الايام، وصباح اليوم زلت بها القدم في الحمام فسقطت مغمى عليها فوق المغسلة."
وهدأه رب العمل قائلا: "رحمتك يا رب! وماذا فعلت أنت؟"
– لم أدر ماذا أفعل أول الامر. لكني أخيراً حلقت ذقني فوق مغطس الحمام."

س.ز.

رياضة

دأبت امرأة وأولادها على متابعة البرامج الاذاعية الارشادية. وكانت تهوى بنوع خاص برامج التمارين الرياضية.
وذات يوم أدارت جهاز الراديو متأخرة عن الموعد، فسمعت المذيع المتحمس يحض المستمعين على بذل جهد أوفر قائلا: "فوق... تحت... دوران... فوق... تحت... دوران."
وتابعت المرأة وأولادها هذه التعليمات قفزاً ودوراناً حتى أوشكوا أن يسقطوا أرضاً من العياء. وحينئذ سمعوا المدرب يقول: "والآن، توقفوا جميعاً وأعيدوا فراشي الرسم الى اناء الماء."

ر.و.

سيد البيت

بينما صديقان يبحثان في مشكلات الازواج قال احدهما: "دعني أخبرك أني أنا السيد في بيتي. ولدى انقطاع الماء الساخن مساء أمس، رفعت الصوت قليلا فسخن الماء في دقائق."
وبعد صمت قصير تابع صاحبُنا: "اني اكره جلي الاواني المنزلية في الماء البارد... وأنت؟"

هـ.ا.

خطيب لبيب

قال تلميذ لمعلمه: "بعدما سمعت خطابي، هل تعتقد أن طريقتي في الالقاء تتحسن اذا اتبعت اسلوب ديموستين وتمرنت على الخطابة بوضع حصى في فمي؟"
فأجاب المعلم: "بل أوصيك بوضع صمغ سريع الجفاف."

ب.ف.

إدخروا الوقت

عشر وسائل ناجعة لنيل فسحة تنفس في عالم شديد الازدحام

أناس كثيرون يتقدمون في السن غير واعين أن الوقت هو العطية العظمى لبني البشر. فهو محدود وليس في اليد حيلة لاطالته. انما في الامكان التخفيف من اهداره واستخدامه على نحو مثمر.

في يد من أوقات فراغك؟

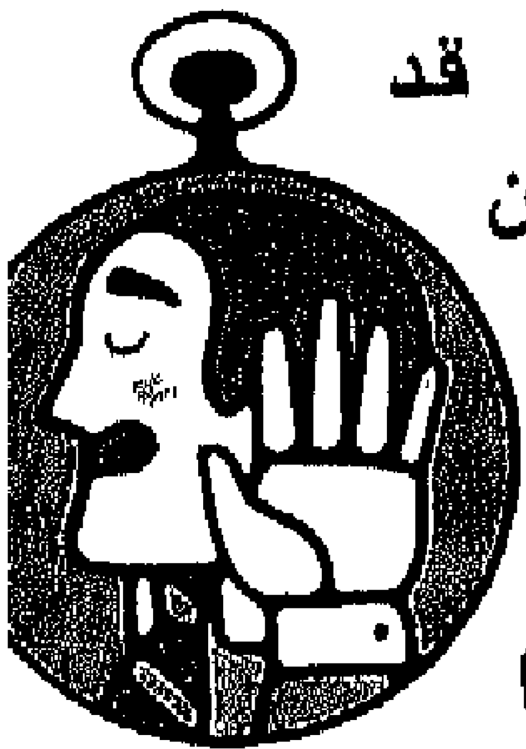
غالباً، لا تكون هذه الأوقات "فارغة" لأنك مرتبط ببرنامج شخص آخر أو لانك تفعل ما ينتظر منك بلا تفكير، أكان لخيرك أم لم يكن.

ولتحاشي ذلك يجب أن تتولى بنفسك مسؤولية حياتك، مما يعني تولي مسؤولية وقتك. وسيتوجب عليك مكافحة عادات قديمة طالما أضاعت وقتك. واليك عشر مضيعات للوقت:



الأشياء. كثيرون منا يشترون بلا حدود. فما ان نحصل على شيء حتى نتوجه الى المتجر لشراء شيء آخر نضيفه الى المجموعة. وهنا يجدر بنا التساؤل: كم يكفينا؟ فالأشياء تتطلب عناية، إذ يجب نفض الغبار عنها وحفظها في المكان المناسب والتأمين عليها. ونحن ندفع ثمنها من وقتنا أيضاً علاوة على مالنا.

وبالطبع هناك مجال لامتلاك أشياء كاللوحات وأحواض الزهر. ولكن هل تستحق متعة الامتلاك هذا الثمن الباهظ الذي ندفعه؟ فمصدر سعادتنا ليس ما نملك بل ما نتمتع به ونلتذ:



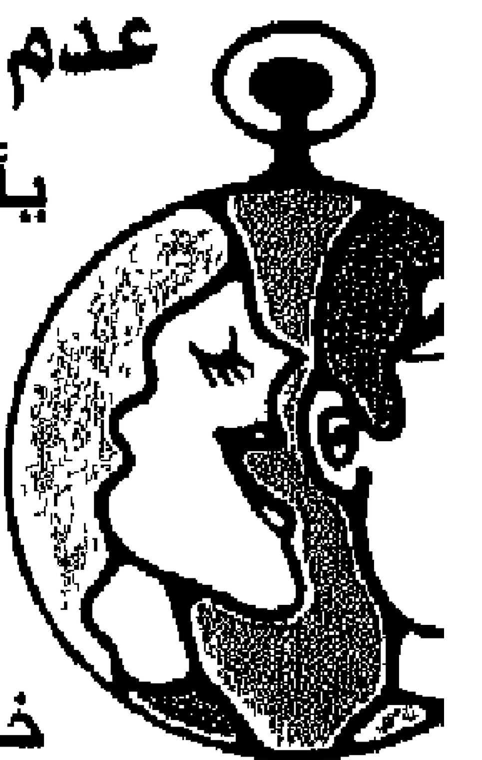
الامتناع عن الرفض. قد تمضي الأيام ونحن منهمكون في أعمال لم يجدر بنا القيام بها أصلا. وعلى رغم اننا ندرك ضيق وقتنا وكثرة ارتباطاتنا فاننا نقبل تكليفنا مهمات جديدة. وقد يساعدك على كسر هذا النمط التصميم على عدم اتخاذ أي قرار ارتجالي. فربما احتجت الى بعض وقت للقول: "علي التفكير في الأمر قبل اعطائك جوابي،" لكن هذا لا يقارن بتخبطك في عمل لا وقت لديك لادائه.

Condensed from «Staying Ok,» copyright © 1985 by Amy Bjork Harris and Thomas A. Harris, published by Harper & Row, Publishers, Inc., New York, N.Y. Illustrations: Walter Einsel



القرارات غير المتخذة. المشاكل المعلقة قد تمنعك من التركيز على عملك وتدفعك الى الفتور في أوقات فراغك الثمينة. وليست المسألة هل عندك مشاكل أم لا، بل هل ان هذه المشاكل هي نفسها التي واجهتك قبل شهر أو قبل سنة. وإن صح ذلك، فكم من الساعات المرهقة انقضت في القلق عليها؟ أليس في وسعك حل البعض اليسير من مآزقك ومتابعة عيشك بسلام؟

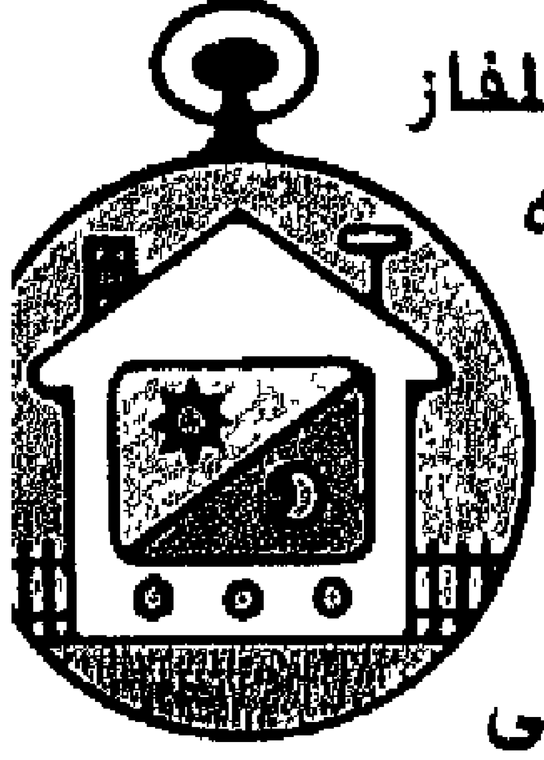
من الممكن في معظم الأحيان تحديد خياراتك وتضييقها. مثلا: كم تحفظ من ثياب لم تلبسها منذ سنوات؟ ان احدى حسنات السفر فتح الخزانة في الفندق والاختيار بين ثلاثة أثواب فقط. فعلى الأقل تحققت البساطة هنا في ناحية واحدة من نواحي حياتك.



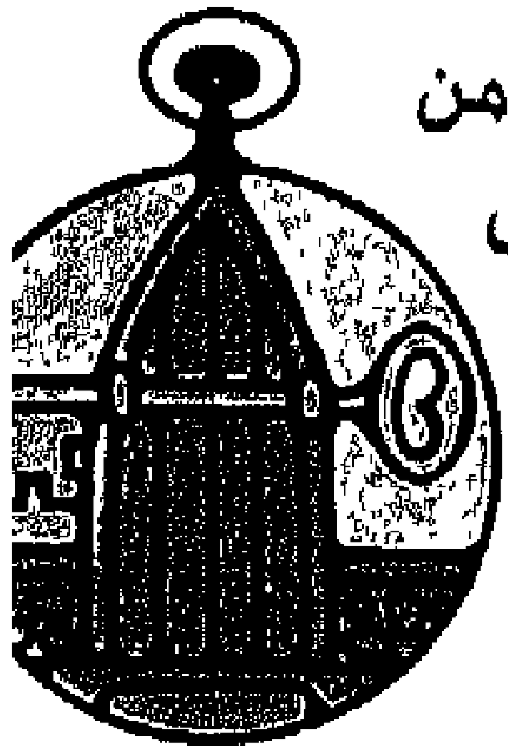
عدم المقاطعة. التهذيب قد يأكل يومك. فهل صادف مرة أن استمعت الى محادثة طويلة من طرف واحد استمرت دونما توقف مثل سيل دافق من خرطوم ماء، وأنت مدرك كل الوقت أنك تأخرت عن موعد مهم؟

تعلم كيف تقاطع من دون وقاحة، كأن تقول: "اعذرني ولكن علي الانصراف."

فلا شك في أن هذا أفضل من الاستماع بغضب وضيق صدر الى ما لانهاية.



التلفاز. قد يكون التلفاز مسلياً ومثقفاً، إلا انه يسلبنا الوقت. ومراجعة جدول البرامج هي الترياق الناجع للمشاهدة العشوائية لكل ما يظهر على الشاشة. فاختر بعناية ما تنوي مشاهدته لتصرف وقتك على نحو أكثر افادة.



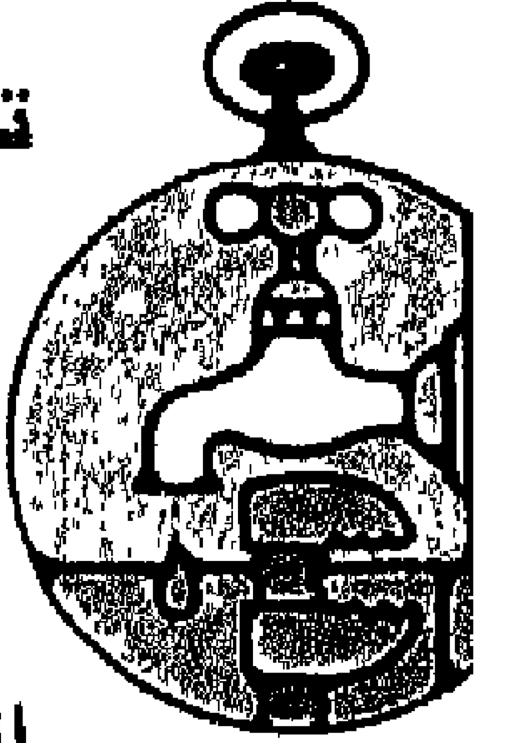
انعدام التخطيط. كم من الوقت تحتاج للحصول على شهادة جامعية أو لانجاز أحد المشاريع؟ ما حجم حديقة الخضر التي يسمح وقتك بالاعتناء بها؟ كم أمسية يمكنك أن تخصص لزيارة الجيران أو لممارسة الرياضة؟ هل تحاول عمل أكثر مما تحتمل؟ ان التخطيط السليم هو المفتاح لتوفير وقتنا الضائع وتنظيمه.



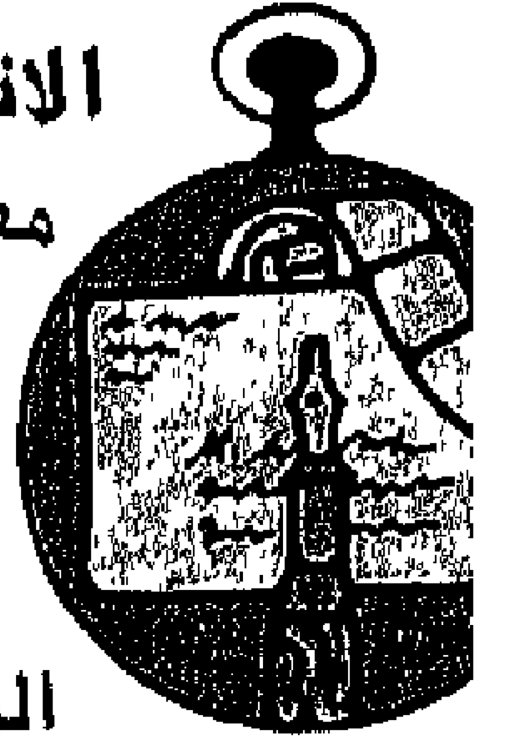
تراكم الاشياء بغير ترتيب. ان التفتيش عن مطرقة أو فتاحة علب نحو نصف ساعة هو عذاب مبرح. ولا فرق ان كنت تسكن دارة من عشر غرف أو شقة من غرفة واحدة، فأنت تخسر كثيراً من وقتك عندما لا تجد ما تبحث عنه. وأحد أجمل الأقوال المأثورة عبر العصور هو: "ليكن مكان لكل شيء، وليكن كل شيء في مكانه."

والتراكم يعني في الواقع عملا غير منجز يستهلك الكثير من الوقت. فكلنا يحتاج الى ترتيب يبقي الأشياء في

أمكنتها ويجعل حياتنا منظمة.



تجاهل الصيانة. يقترح عليك اعلان تلفازي تغيير مصفاة الزيت في محركك لئلا تضطر الى تغيير المحرك كله. وهذا يتطلب بعض الجهد وبعض المال، لكن عدم انجازه يكلف أكثر. لذا، اعتن بالأشياء. أصلح الحنفية الراشحة الآن لئلا تضطر الى هد الحائط المتعفن بعد سنتين. اعتن بأسنانك توفر مشقة ساعات طويلة عند طبيب الأسنان.



الانتظار البطال. ينقضي معظم الحياة في الانتظار. ويمكننا اختبار الانتظار إما كوقت ضائع واما كعطية، كلحظة اضافية بعيداً عن المتطلبات العادية للحياة. فتعود حمل قلم وبطاقة بريدية وطوابع. وحين تجلس في غرفة الانتظار في عيادة الطبيب لساعة أو اكثر، اكتب الى أصدقائك. ويمكنك أيضاً احضار كتاب معك. والأفضل من ذلك ان تحضر دفتراً تؤلف عليه كتاباً.



القلق على المستقبل. نحن نصرف جزءاً كبيراً من حياتنا في التحضير للمستقبل البعيد حتى اننا ننسى أن هذه اللحظة التي لن تعود اطلاقاً، هي التي نحيا فيها. فلماذا نبددها في القلق اليومي على الاسبوع المقبل أو على السنة المقبلة؟

والواقع ان حياتنا تحلو اكثر حين يستحوذ علينا وعي الحاضر فقط في معزل عن تأثيرات الماضي والمستقبل. ففي لحظات كهذه يكفينا القول: "شكراً يا رب على هذا اليوم." ونحيا احتفاء بتلك اللحظة.

ادخر وقتك اذاً كشيء ثمين وخطط للافادة منه جيداً. وهكذا ترضى عن نفسك أكثر وتحب حياتك.

آمي بيورك هاريس
وتوماس هاريس ■



موعد مستحيل

اتصل مريض بطبيبه لاخذ موعد، فقالت له الموظفة ان ثمة مجالا نهار السبت التالي في الساعة العاشرة.

قال الرجل: "آسف، علي أن أشارك في سباق العشرة كيلومترات في التاسعة من ذلك الصباح، ولا استطيع الحضور في الموعد." فاقترحت عليه الموظفة ان يأتي في الاولى والنصف.

فرد: "لست متأكداً من ذلك." اذ تذكر أن هذا الوقت قريب من موعد حفلة لابنته في الساعة الثالثة.

حينئذ قالت الموظفة بصوت ينم عن استغراب: "هل أنت بطيء الى هذا الحد؟"

م.س.



كوبرغيت يورفيك قبل ألف سنة. الزبائن هنا يساومون سناري الصائغ، وامرأة من الفايكنغ تبحث عن صفقة رابحة في حانوت سفين للجلود. جميع التماثيل هي بالحجم الطبيعي.

كنوز الفايكنغ

متحف جديد فريد يبعث مدينة يورك من القرن العاشر

صحبتني زوجتي في جولة للتفرج على شارع كوبرغيت أحد أقدم شوارع مدينة يورك في بريطانيا. ومع أن زوجتي ولدت في هذا الشارع وتعرفه جيدا منذ كانت فتاة صغيرة تقصد حانوت السكاكر على الزاوية لتشتري ببضعة بنسات الملبّس المقلم بنكهة النعناع من انتاج "كريفن"، فانها الآن تعلقت بيدي والدهشة بادية عليها. والسبب أن شارع كوبرغيت لم يعد من السهل التعرف اليه، فلقد تغيّر تماماً حتى ضاعت معالمه.

هنا في قلب يورك يرتدي الحرفيون ثياباً خشنة صنعت من قماش مغزول في البيت، ويعملون بأدوات بدائية بالقرب

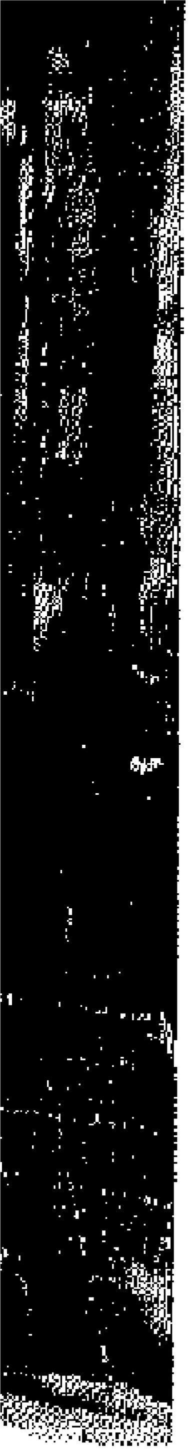
Photos: John Robert Young

من منازلهم وهي أكواخ من خشب وسقوفها من قش. ويتساوم أصحاب الحوانيت والزبائن بلغة غريبة على قطع من المجوهرات غير المصقولة. وهناك امرأة تخبز على نار مكشوفة وأطفال يغنون أغاني غير مألوفة. وفي الجو روائح شتى. نشم رائحة القار ودخان الخشب والروائح المنبعثة من زرائب الحيوانات.

هذا هو كوبرغيت الفايكنغ(*) الذي اكتشف على عمق ثلاثة أمتار تحت الشارع الحديث عندما اغتنم علماء الآثار فرصة هدم بعض المنازل المهجورة لاعادة بنائها، وأزالوا الركام الذي تجمع خلال ألف سنة. على هذه الارض عاش أهل كوبرغيت وعملوا قبل ان تتحول مدينة يورفيك المزدهرة التي جعلها الفايكنغ عاصمة شمال انكلترا، الى يورك.

كل شيء نراه الآن من منازل وحوانيت وأعمال حرفية وأدوات تمّ نسخه بتفصيل ودقة عن الكنوز التي اكتشفت في التربة المشبعة بالماء مما حافظ على سلامتها عبر العصور. ونتيجة عملية اعادة بناء باهرة، يستقر ذلك الشارع الذي يعود الى القرن العاشر على دعائمه الاساسية ليشكل متحفاً فريداً افتتح في شهر ابريل (نيسان) ١٩٨٤ وكلف مليونين و٦٠٠ ألف جنيه استرليني وأطلق عليه اسم "مركز يورفيك للفايكنغ".

رحلة عبر الزمن - بدأت وزوجتي جون رحلتنا عبر الزمن بنزول سلم طويلة من الشارع الذي أقيم فوق الحفريات الى







الحياة العائلية في يورفيك كانت تدور حول الموقد في الغرفة الوحيدة التي يتألف منها المنزل المصنوع من الخشب والاغصان والقصب المجدول.

الى اليسار: مع أن مخرطة الطاسات كانت بدائية فان نسخة طبق الاصل صنعت عنها وانتجت بعض الكؤوس المعروضة في الحانوت.

قعر الحفرة الكبيرة التي أحدثتها أعمال التنقيب. وفيما نحن ننتظر في رواق يضيئه نور خفيف، توقفت بالقرب منا "سيارة زمنية" تتسع لاربعة أشخاص فركبناها. وهي واحدة من ٣٥ سيارة صُنعت خصوصاً للمركز وتشبه سيارات "نفق الحب" في المعارض والاسواق الموسمية، انما من دون سكة، اذ تسيّرها نبضات الكترونية تنبعث من أسلاك تحت الارض. ومحركاتها مبرمجة على نحو يجعل المسافة مأمونة بين سيارة وأخرى.

وما ان تحرّكت سيارتنا حتى صرخَتْ: "اننا نسير القهقرى!"

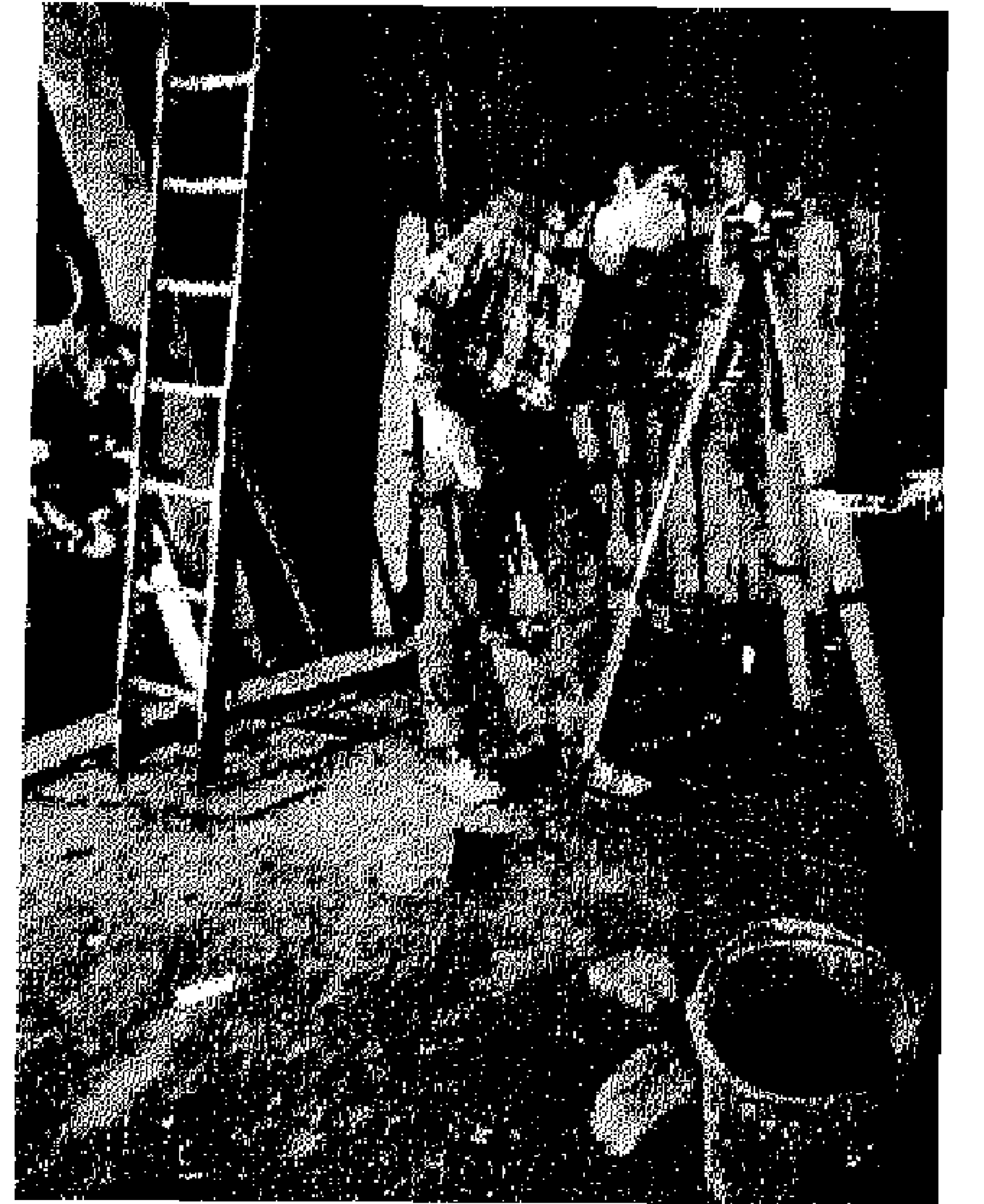
"بالطبع،" أجابتني جون بمنطق، "وإلا فكيف نسافر عبر التاريخ؟"

ومن مكبرات للصوت في مكان خفي من السيارة يصلنا صوت: "اننا الآن نغادر القرن العشرين." وتزحف السيارة بصمت بسرعة عشرة أمتار في الدقيقة.

واذ يزداد توغّلنا في الماضي، تملأ الجو أصوات من أزمنة غابرة: نشره اذاعية منذ نصف قرن، أصوات باعة من العصر الفيكتوري ينادون على بضائعهم في الشوارع، مقاطع موسيقية من العصر الاليصاباتي، أنين ضحايا الطاعون، صليل السيوف على التروس. ثم نشاهد ألسنة اللهب ونسمع قرقعة النار الرهيبة: انه العام ١٠٦٩ والنار تلتهم مدينة يورك المتمردة التي أمر وليم الفاتح بحرقها.

تتوقف سيارتنا هنيهة قبل أن تنطلق

(★) الفايكنغ محاربون اسكندينافيون غزوا شواطيء أوروبا بين القرنين الثامن والعاشر.



فوق: نسخة طبق الاصل عن موقع الحفريات.
الى اليسار: في قلب يورك ديثة بذل العمال المتطوعون جهوداً بالغة لكشط ٣٥ ألف طبقة من الاتربة واخراج كنوز يورفيك الى النور.

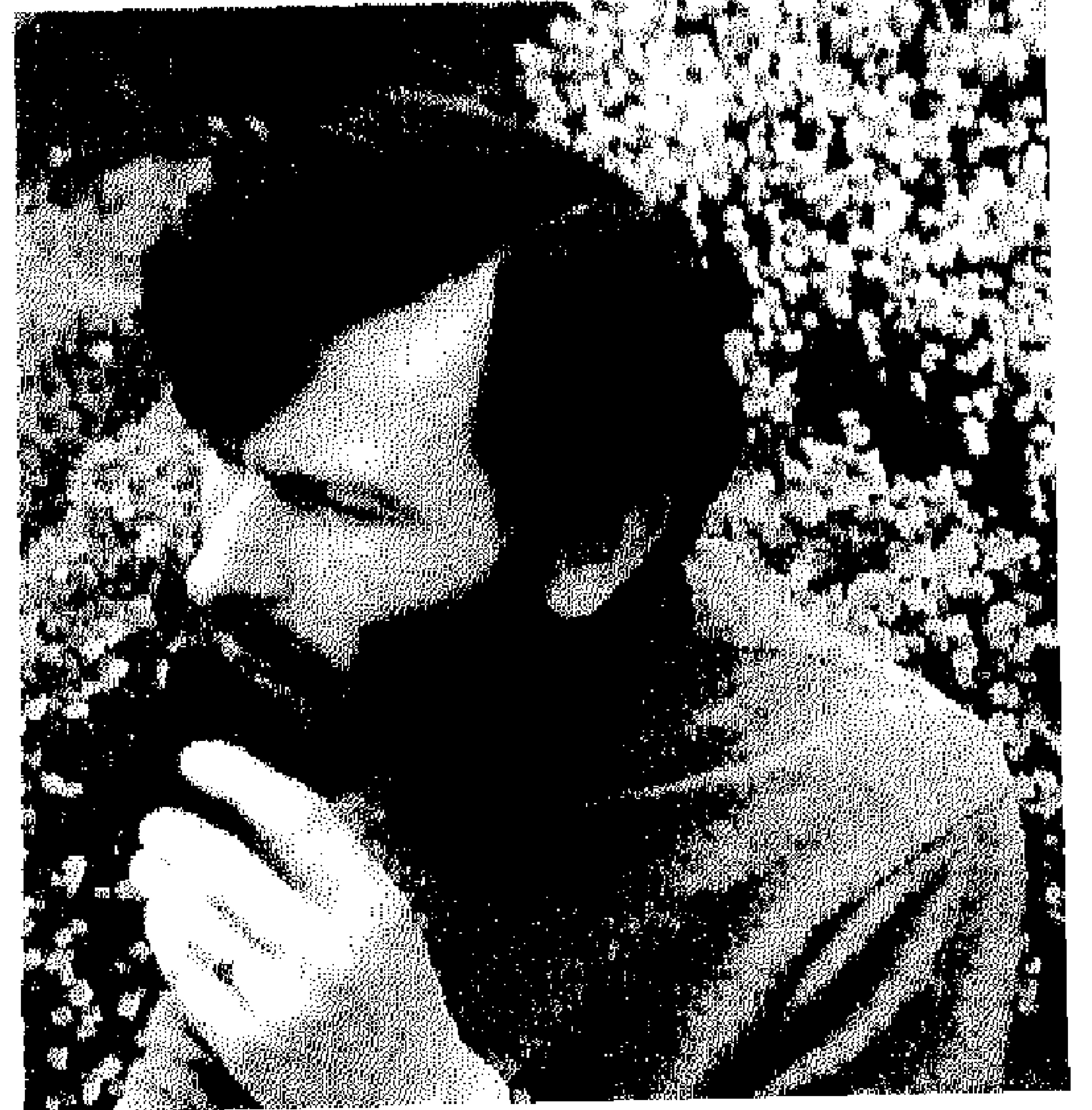


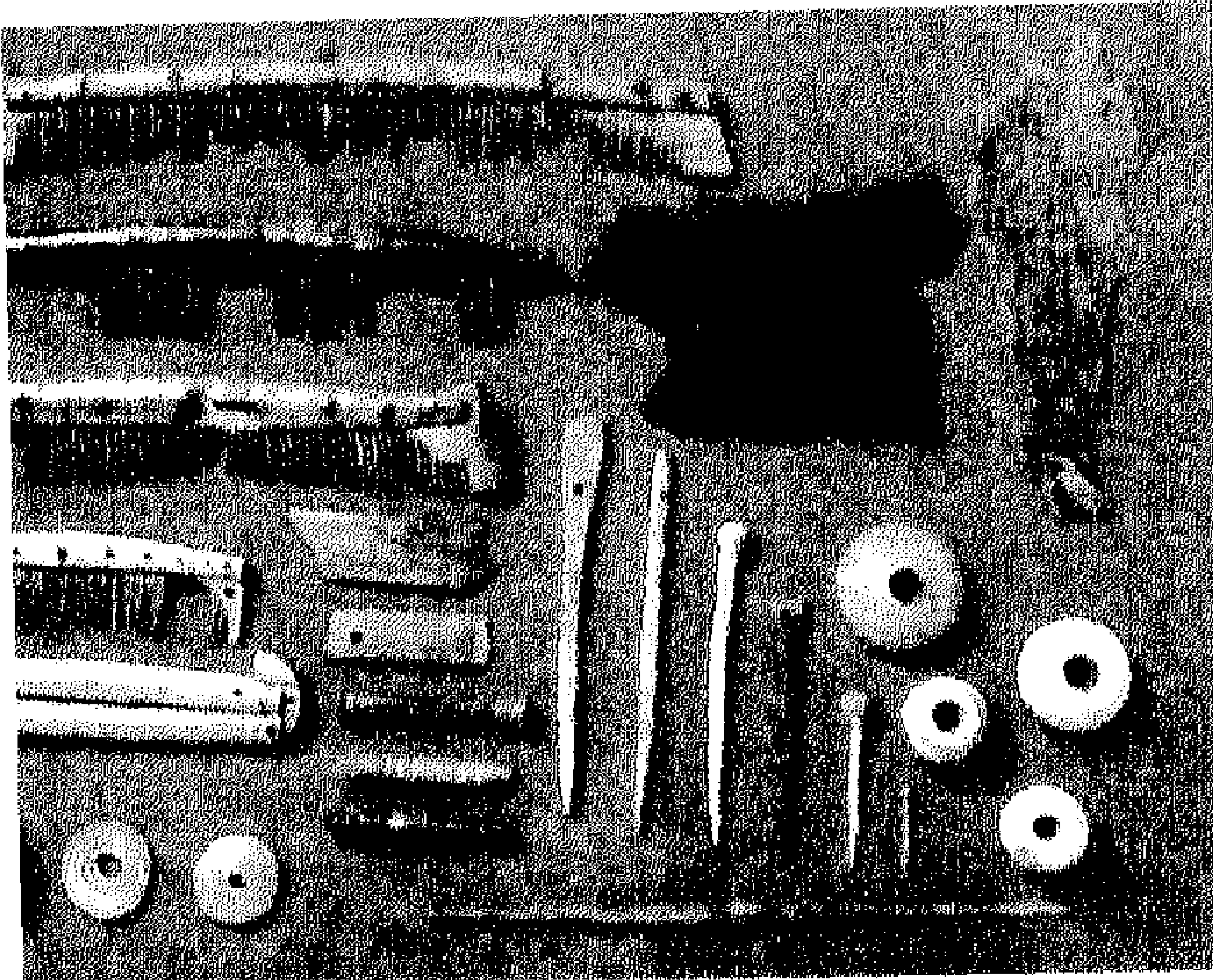
الى الامام. اننا الآن قبالة كوبرغيت الفايكنغ. في هذا المكان تتعلق جون بيدي جاحظة العينين مشدوهة. ويأتينا صوت يقول: "انه العام ٩٤٨، ولقد توقف الزمن وتجمّد التاريخ. هنا يورفيك."

تتهادى بنا السيارة عبر شارع كوبرغيت. ونجتاز تمثال الصائغ سناري ونسمعه ينادي على بضاعته بلغة اسكندينافية قديمة ونسمع خشخشة الفضة وهو يزنها. أما تورفاست النحات فهو جالس على مقعده يصنع أمشاطاً من قرون الوعول، فيما سفين الاسكافي يستمع الى زبون يشتكي اليه من ألم في ابهام قدمه. وهنا طوّاس، وكلمة كوبرغيت (Coopergate) تعني شارع الطواسين أي صانعي الطاسات، يُعمل دواسة مخرطة بدائية هي نسخة طبق الاصل عن المخرطة الاصلية، حتى ان بعض الطاسات المعروضة في الحانوت صنعت عليها.

أحجيات أطفال - تصل السيارة الى داخل أحد المنازل ونشاهد عن كثب كيف كان المستوطنون الفايكنغ يعيشون ويطبخون ويأكلون ويعملون وينامون في غرفة واحدة. ومن حسن حظ الاجيال اللاحقة أن بقايا وجبات الطعام والقدور المكسورة والثياب طرحت جانباً لتدوسها الاقدام مع المجوهرات والمفاتيح والقطع النقدية والآلات الموسيقية وتغرسها في الارض حيث ظلت مصونة طوال الف سنة وكأنها في شرنقة.

تنتقل بنا السيارة من البيت وتعبر زاوية جلس فيها عدد من الاطفال حول نول يتبادلون الاحاجي: "ما الذي يعيش من دون تنفّس؟" ويأتي الجواب: "السمكة." والاصوات هي لاولاد المدارس المحليين الذي يتعلمون الاسكندينافية القديمة على مدرّسة هي الاستاذة كريستين فيل. ومن الخارج تتناهى الينا





مدير الحفريات ريتشارد هول تعلّم النفخ في المصفار، وهو آلة موسيقية استخدمها الفايكنغ.
الى اليسار: بين أمتعة الفايكنغ القيمة التي عثر عليها في كوبرغيت أمشاط في علبها وقطع قماش ودبابيس من عظم لتثبيت المناديل ولوحات عظمية منقوشة لتزيين الصناديق وبكرات ومغازل.

أصوات الايسلنديين ولغتهم قريبة من الاسكندينافية القديمة.

في جولتنا اجتزنا ساحات تغطيها النفايات وزريبة تفوح منها روائح كريهة ومجروراً مفتوحاً بالقرب من بئر لمياه الشرب. وفيما البحارة يفرغون حمولة سمك من مركب نروجي، سمعنا صياح طائر النورس الذي تجذبه أسماك الرنكة ولطالما حمل نهر أوز تجار الفايكنغ الى قلب المدينة من أماكن نائية، حتى من مناطق حوض البحر الابيض المتوسط. والروائح التي شممناها انبعثت من زيوت عطرة موضوعة في أوعية محماة على النار. أما الاصوات فأتت عبر ٧٠ مكبراً للصوت مثبتة في أماكن خفية.

"الآن نعود أدراجنا عبر الزمن وندع المدينة تنام." وعبرت بنا السيارة بابين قبل أن نصل الى العام ١٩٨٠. هنا موقع الحفريات الذي أعيد كما كان بعد تفريغه



سفينة فايكنغ منسوخة عن سفينة وجدت مثقوبة في الدنمارك، يجري تفريغها من حمولتها من الفراء والجلود وسمك الرنكة والقدور.

من ٥٠٠٠ متر مكعب من الاتربة. وهنا أيضاً عدد من التماثيل بالحجم الطبيعي لعلماء آثار يعملون وسط جلبة الدلاء وعجلات اليد وأدوات القياس ويكشطون طبقات من التراب المتراص ليخرجوا الى النور ثروات لم يحلم بها أحد. وبين تلك الثروات ٣٠ ألف قطعة جُمعت من المنازل والحوانيت و٢٣٠ ألف كسرة من آنية فخارية وخمسة أطنان من عظام الحيوانات.

كوخ النفائس - منذ بدأت اعمال الحفر في العام ١٩٧٦ أدرك اتحاد علماء الاثار في يورك أن المشروع ربما أثمر نفائس تتخطى طموحاته. لذلك باشر حملة لجمع المال. وتبرع عدد كبير من الشركات والاتحادات والافراد في بريطانيا واسكندينافيا بالمال والخدمات. وطوال سنة كاملة كدح علماء الآثار والمتطوعون من أنحاء أوروبا، تحت سقف من البوليتين في الشتاء، وهم ينخلون التراب ويرسمون ويلتقطون الصور الفوتوغرافية لخمسة وثلاثين ألفاً من الطبقات الترابية.

كل شيء عُثر عليه، مهما بدا صغيراً وتافهاً، سجل وصنف في مكان دعي "كوخ النفائس" في الطبقة السفلى من البناء الذي شغله في الماضي معمل "كريفن" للسكاكر. وأرسلت عينات من تراب يحتوي على بزور وفتات طعام وعظم وأجزاء صغيرة من الحشرات وبيض طفيليات، الى وحدة علم الآثار البيئوي في جامعة يورك، حيث استخلص منها علماء الاحياء أنواع النباتات التي كانت

تُزرع في يورفيك والطعام الذي كان أهلها يأكلونه وحتى أنواع الطفيليات التي ابتلوا بها.

أما الاشياء الجديرة بالحفظ فكانت ترسل الى مختبر الصيانة التابع للاتحاد. والاخشاب المشبعة بالماء المأخوذة من مساكن الفايكنغ والتي نشاهدها الآن في مواضعها الاصلية، نُقعت لمدة ١٨ شهراً في راقود كبير يحتوي على مادة بوليثيلين غليكول الشمعيّة المحمّاة التي تحل مكان الرطوبة وتمنع الاخشاب من الانحلال لدى تعرّضها للهواء.

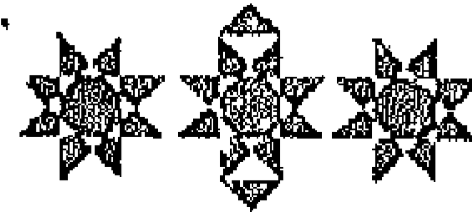
وتنساب السيارة عبر بابين آخرين ثم تتوقف. ونخرج منها الى الحاضر، وبالتحديد الى صالة عرضت فيها، داخل صناديق مضاءة، ٥٠٠ قطعة من أصل عشرين ألفاً عُثر عليها في كوبرغيت.

وبين المعروضات قطعة ثياب كاملة أحدثت ضجة اعلامية عندما اكتُشفت، وهي جَورب من الصوف. وفي المعرض ايضاً اكتشاف آخر فريد في نوعه هو مصفار من خشب البقس راح ريتشارد هول مدير الحفريات يعزف عليه، فانبعثت منه أنغام كان لها، على رغم كآبتها، وقع سحري علينا بعد صمت دام ألف سنة.

هذا العرض التراثي الحي أطلق لمخيلتنا العنان وبث الحياة في الكنوز المعروضة أمامنا: كدنا نرى ذلك الحرفي الفنان يرسم تصاميمه على قطع من العظم، واللاعبين يقذفون النرد المصنوع من عاج حيوان الفظ (walrus) الشبيه بالفقمة، والمرأة التي زينت جيدها بقلادة من كهرمان ثم أضاعتها. اما قطعة النقد العربية من سمرقند والصدفة الصفراء التي كانت تستخدم كعملة ولا بد انها وصلت من البحر الاحمر أو ربما من خليج عدن، فقد أحضرت الى أذهاننا صورة أولئك التجار العظام الذين جابوا البحار بين اسكندينافيا ومضيق البوسفور.

أخيراً خرجنا الى ضوء الشمس، الى شارع كوبرغيت الحديث الذي لم ينج هو الآخر من التغيير. وتمتمت جون: "كل شيء مختلف الآن." لكنني تحت تأثير رحلتنا عبر الزمن كنت لا أزال مرتبكاً، ولم أدر أياً من مدينتيها كانت زوجتي تعني: يورك أم يورفيك.

جيفري لوسي ■



رحلة العمر

كانت فتاة تقص على والديها أحداث اليوم الذي أمضته مع خطيبها. قالت انهما ذهبا بالسيارة الى المدينة المجاورة لتناول العشاء وحضور عرض مسرحي. وحين سألها والدها عن موقع المطعم الذي تناولا فيه العشاء قالت: "في الواقع لا أدري. فقد كنت مستمتعة بالرحلة والرفقة والمناظر فلم أشعر الا وقد وصلنا الى هناك فجأة."

وتنهد الاب: "اني أفهم ما تعنين تماماً. هكذا بالضبط وصلت وأمك الى منتصف العمر."

ب.م.

حكيم البراري

ملخّص من كتاب بقلم الدكتور روري فوستر



حكيم البراري

الدكتور روري فوستر طبيب بيطري يعمل في غابات شمال ولاية ويسكانسن، وكان يعتني بالحيوانات الاليفة حين أدرك ان الطيور والحيوانات البرية تحتاج الى رعاية كذلك. وبدأ يعالجها على نفقته الخاصة ثم يطلقها لتعود الى مواطنها الطبيعية. وسرعان ما وجد نفسه في صراع عنيف مع البيروقراطية، وحتى مع الموظفين في دوائر المحافظة على البيئة في الحكومة المحلية، من اجل اقامة اول مستشفى في الغرب الاوسط الامريكي لمعالجة الحيوانات البرّية المريضة والمصابة.

في هذا الكتاب العاطفي المؤثر يؤكد فوستر اقتناعه بأن لكل حيوان اهميته من دون استثناء. وهو هنا يتيح للقارىء أن يشاركه في أفراحه وأحزانه في تجاربه مع الكائنات كبيرها وصغيرها.

ذات صباح من العام ١٩٧٧ اندفع داخل مستشفاي في مينوكا بولاية ويسكانسن سائق سيارة يرتدي سترة كاكية اللون ويحتذي جزمة طويلة من المطاط تصل الى أعلى الخصر من النوع الذي ينتعله صيادو الاسماك للخوض في مياه الانهر. وقال لزوجتي ليندا التي تقوم بمهمة موظفة استقبال: "هل تعالجون رشأة(١) صغيرة مصابة؟"

كانت زوجتي منذ نعومة أظفارها تهوى قصة "بامبي" لوالت ديزني، فأجابت دونما تردد: "بكل تأكيد، وكيف لا!"

ودخلت في تلك اللحظة بعدما سمعت تلك المحادثة القصيرة. كانت ليندا تملأ استبيان معلومات مخصصاً للحيوانات المريضة. وسألت الرجل: "ما اسم الرشأة وكم عمرها؟"

(١) الرشأ ولد الظبية.

وبدت الحيرة عليه ثم قال متردداً: "يبدو أنك لم تفهمي ما عنيت. الرشأة ليست ظبية اربيّها، بل اني وجدتها على الطريق. كنت ذاهباً في رحلة لصيد السمك فصدمت سيارة أمامي تلك الرشأة، لكن السائق الوغد لم يقف. اني أصطاد الظباء غير اني لم اقوَ على تركها حيث هي."

سار الرجل أمامنا الى الخارج حيث وجدت رشأة صغيرة واهنة في صندوق سيارته. وبدا أنها مصابة بضرر فادح. ورفعتها برفق بين يدي في حين صعد الرجل الى سيارته ومضى في سبيله وهو يناديني: "أرجو أن تتمكن من مساعدتها يا دكتور."

عدت وليندا الى المستشفى حيث وضعت الرشأة المرتعدة على طاولة الفحص، اذ ان قوائمها كانت أوهى من أن تحملها. وشعرت بقلبها يخفق سريعاً ورأيت أمارات الرعب في عينيها. وأخذت تتحسس بأنفها الأسود الرطب راحة يدي في لهفة وكأنها تبحث عن الاطمئنان.

كانت تلك المرة الاولى أرى خشفة وليدة من فصيلة الذيل الابيض. حبل السرة لديها لم يجف بعد وما زال معلقا بها. وربما كان عمرها ٤٨ ساعة، ولم يتجاوز وزنها الكيلوغرامين. ورأيت في رأسها جرحين غير عميقين يغطيهما الدم المتجمد، ولم يكن أي منهما خطيراً. الا أن خشخشة العظم حين لامست الورك الأيسر دلت على كسر في الفخذ. الرشأة الصغيرة لا تقوى على السير على ثلاث قوائم. ولو تركها ذلك الصياد في مكان سقوطها على الطريق العامة لنفقت.

قلت لليندا بعدما أخذت للرشأة صورة شعاعية أكدت وجود كسر في العظم: "أمّني لها الراحة وسأجري لها جراحة الليلة."

ظلت ليندا تعتني بالرشأة بقية ذلك النهار، فنظفت جروحها وطلتها بالمرهم المطهّر. وأطلقت عليها اسم "فالين".

ما ان اقفل المستشفى حتى أجريت الجراحة. وتولت ليندا التخدير فيما قمت أنا بجبر العظمة المكسورة وأثبتُّ قضيبين من الفولاذ الذي لا يصدأ على طول عظمة الفخذ لتمسك بالجزءين المكسورين ملتصقين في استقامة صحيحة من أجل تأمين التحامهما. واتخذت كل الاحتياطات، ولم يبق أمامنا سوى أن نراقب وننتظر. وجلست ليندا بقرب الرشأة تربت فروها الذهبي المغطى ببقع بيضاء كأنها رقائق من الثلج المتساقط في اواخر الربيع. وظلت ليندا تردد: "لا أدري، لقد مضى وقت طويل ولم تستفق من التخدير بعد."

انقضت ساعتان قبل أن تتحرك فالين. وأخيراً جلست في مكانها وأخذت تنظر الينا بعينيها البنيتين الجميلتين.

قلت: "أظنها ستكون على خير ما يرام. الا ان شفاءها سيستغرق وقتاً طويلا."

فقالت زوجتي: "لا مكان لها هنا. هل يمكننا أن نأخذها الى بيتنا؟"

وأخذتني الشفقة بسرعة واجبت: "بكل تأكيد، فستكون مذعورة ومستوحشة هنا. لكن ذلك سيقتضي منك عملا كثيراً، وقد لا تشفى أبداً، فحاولي ألا تتعلقي بها." وكنت مدركاً أن تربية الحيوانات المصابة

في سن مبكرة ليست مهمة سهلة."

منذ تلك الليلة أخذت ليندا الرشأة على عاتقها. في البداية كانت تنهض من نومها مرة كل ساعتين، ليلا ونهاراً لتدفع بالفيتامينات في بلعومها وتحقن مضادات الحيوية في جسمها وترضعها من زجاجة حليب وتبتدع لها معالجة جسدية فيزيائية لتقوية عضلاتها. وأثمر هذا الجهد اذ بدأت الرشأة تبرأ على نحو جيد.

ولدَتْ حرة

بحلول شهر يوليو (تموز) التأم الكسر تماماً. ولم يبق لنا عذر في ابقاء فالين سجينة فأعطيناها الحرية في الذهاب والاياب كما تهوى. في الليل كانت تفضل أن تنام في الغابة قرب بيتنا، اما في النهار فكانت تقضي الوقت في رفقتنا. وكانت ليندا تلاعبها وتأخذها في نزهات الى الغاب. وكانتا أحيانا تجلسان جنباً الى جنب ساكنتين.

ومع اقتراب الخريف سمنت فالين وناهز وزنها ٣٠ كيلوغراماً واختفت البقع التي كانت ترقط اهابها. وبدأت غرائزها الطبيعية تبرز، واخذت تقضي وقتاً أطول في الغاب. وذات ليلة بعدما أوينا الى الفراش قالت ليندا: "ان نظرات فالين هائمة هذه الايام. أظنني على وشك أن افقد ربيبتي." وشعرت أن في صوتها رنة أسى.

فقلت لها: "لم يغب عنك قط أن هذا اليوم سيأتي. فالين تأكل لوحدها الآن، وساقها برئت تماماً. ينبغي أن نطلقها."

ووافقت ليندا متمتمة: "انها تستحق أن تعيش حرة."

وذات يوم في أواخر سبتمبر (أيلول) وضعنا فالين في سيارتنا وانطلقنا في الغاب على الارض المغطاة بأوراق الشجر المتساقطة تحت شؤبوب من المطر الخفيف. ولما كانت فالين تكره الاقفاص فقد حقنتها بمهدىء ذي مفعول قصير الأجل لأخفف عنها عناء الرحلة. هذا المفعول المنوِّم سيدوم نحو ١٠ دقائق بعد وصولنا الى النقطة النائية التي نقصدها بعيداً عن الطريق العامة.

عندما وصلنا انزلت فالين من السيارة. ثم جلست وليندا متكئين على جذع شجرة ضامّين فالين الينا في انتظار زوال مفعول العقار المهدىء. ونظرت الى ليندا فرأيت الدموع تفيض من عينيها وتنحدر على خديها لتتساقط على رأس الظبية.

لقد اضحى على فالين أن تهتم بنفسها. لكن القلق كان يساورنا أنا وليندا، فكل ما اعطيناها اياه كان الرقة والمحبة. فكيف لنا أن نحذرها من الوثوق بالآخرين كما تعلمت أن تثق بنا؟ ترى هل يمكنها ان تميِّز رائحة حيوان ضار؟ هل تقع في شرك مغطى بالثلج؟ كل ما كان في وسعنا ان نفعله هو أن نعطيها فرصة لكي تحيا الحياة التي خلقت لها.

فجأة استفاقت فالين من غيبوبتها وقفزت منتصبة على قوائمها. وقفت برهة أتاحت لليندا أن تضمها الى صدرها مودعة ثم انطلقت الى قمة مرتفع قريب تستنشم الريح. بعد ذلك ادارت رأسها لتنظر الينا وكأنها تودعنا الوداع الاخير. وعلى غير توقع برزت أشعة الشمس من خلال أغصان شجرة لتعكس لنا صورة فالين في روعة بهائها.

والتقت عيناها البنيتان الكبيرتان أعيننا للحظة عابرة ثم لوّحت بذيلها ومضت.

النورس أورفيل

خلال الاشهر الاولى من دخول فالين حياتنا بدأت أعالج عدداً متزايداً من الكائنات البرية. وقرأت كل كتاب وقعت عليه حول العناية بالحيوانات البرية واعادة تأهيلها. واكتشفت أن نحو نصف الحيوانات التي تعالج يعاد اطلاقها، أما البقية فتنفق اما من اصابتها الناجمة في معظمها عن سيارات أو بنادق صيد، واما من تركها في حال كساح فتغدو عاجزة عن العيش في البرية. ومضتني هذه الوقائع وأحبطتني. وقصة النورس اورفيل حالة نموذجية.

دخلت فتاة شقراء زرقاء العينين من كلية نورثلاند. ووضعت صندوقاً من الكرتون على طاولة الاستقبال في المستشفى قائلة: "هوذا أورفيل. كنت أتمشى على شاطىء البحيرة الكبرى (سوبيريور) فوجدته قابعاً على صخرة. لم يحاول أن يطير، بل قبع هناك هادئاً. وبدا لي أنه مستوحش وجائع. لذلك حملته وجئت به. وقد أطلقت عليه اسم جدّي."

نظرت داخل الصندوق وتفرست في النورس. وقلت لمنقذته انه ينبغي أن نأخذ له صوراً شعاعية. والتمعت العينان الزرقاوان متحولتين عن عيني. وقالت الفتاة: "يجدر بي أن اصارحك بأني لا استطيع دفع كل التكاليف الآن. فابتسمت لها قائلا: "لن أطالبك بأي كلفة. ان مساعدة المخلوقات هوايتي."

قالت الفتاة برقة: "هذا حسن. ولكن اذا كان ثمة امر يمكنني ان أفعله فأرجو ان تعلمني. وبعد أن يبرأ أورفيل تماما سآخذه في سيارتي وأعيده الى البحيرة."

وضحكت لها: "عندما يشفى سيصبح قادراً على الطيران الى هناك."

حملت الصندوق الى غرفة المعالجة. كان أورفيل ينظر حوله باستغراب من دون أن يثير أي متاعب. ومددت يدي ورفعته من الصندوق ووضعته على طاولة الفحص. كان جناحاه الرماديان الموشيان بالاسود في رأسيهما منطويين حول جسمه. وكان يتحرك مهتزاً وهو يحاول أن يثبت قدميه على صفحة الطاولة الفولاذية.

تلمست جسم أورفيل برفق بحثاً عن اصابات قد تكون السبب في تصرفه الغريب. فالطيور المائية تصاب بجروح لدى اصطدامها بخيوط صيد السمك أو انغراز شص في جسمها. ولكن لم تظهر على أورفيل أعراض من هذا القبيل. عندئذ لاحظت نتوءا خفيفاً في الريش على الجانب الايسر من قاعدة الذنب. وأزحت ريش الذنب الطويل القاسي فبان لي تورم ناتىء من الجلد في حجم حبة عنب. انها آفة خبيثة لونها أحمر قاتم. واحسست بكتلة صلبة غائرة في العضلات تحت الجلد. وكان من المحتم استئصالها.

من أجل تهيئة أورفيل للجراحة أطعمته مقادير وافرة من السمك الصغير مع فيتامينات ومعادن. وبعد ثلاثة أيام أجريت الجراحة مع كارين مساعدتي الفنية المتخرجة حديثاً.

وكان البَضع لاستئصال الورم دقيقاً ومتعباً. ورأيت عند قاعدة الورم جذوراً

متشعبة من الكتلة الصلبة وممتدة في العضلات تحتها. واقتضتني الجراحة ساعة لاستئصال أكبر جزء ممكن من الورم، اذ ان الغور الى مدى أعمق في جسم أورفيل كان يعني فقدانه السيطرة على عضلاته وأعصابه.

وحدّقت كارين الى الكتلة الدامية على الطاولة قرب اورفيل وسألتني: "ماذا تظن؟"

وتمتمت ساهماً: "سرطان."

قالت: "لم أكن أعرف ان الطيور يمكن أن تصاب بالسرطان."

وأخبرتها "ان الطيور تصاب بالسرطان كأي كائن آخر."

الاستسلام للموت

استعاد اورفيل عافيته على نحو جيد. ولكن بعد ١١ يوماً تلقيت تقرير التحليل المخبري الذي كنت طلبته، وقرأته: "ورم ليفي سركومي، انذار لا يبشر بالخير." وفكرت: لا بأس، ربما لن ينمو ثانية.

طوال الاسابيع الثلاثة التالية نشأت علاقة خاصة بيني وبين أورفيل. وكنت أقضي معه وقتاً اضافياً لاجراء التمارين اليومية، وأطعمه بنفسي. ودأبت على فحص موضع الجراحة بحثاً عن اشارات تدل على عودة التورم السرطاني. وبعد ٣٣ يوماً من استئصال الورم أحسست تصلباً جديداً في الناحية التي كان فيها الورم الاصلي. إذاً، عاد السرطان الى النمو.

وأيقنت أن الطائر هالك حتماً، وفكرت في أن أدعه ينفق برحمة. ولكن لم تظهر على أورفيل علائم تدل على أنه يتألم. كان يقظاً ويأكل على خير ما يرام. فناديته جازماً: "يا اورفيل، سنبقى معاً الى النهاية."

ظل اورفيل طوال أربعة أسابيع تالية برّاق العينين نشطاً. وخلال هذه الفترة أحبه كثيرون من زائري المستشفى الذين رأوه وعلموا أنه من ضحايا السرطان، وباتوا يعون ذلك النسيج الشامل في الحياة الكلية الذي يربط بين كل مخلوقات الله. الحياة في ذاتها نهائية، وكلنا مقدر لنا ان نموت. اذاً، اهم ما في الحياة كيف نعيشها. وأورفيل يعيش أيامه الأخيرة على أتمها.

كنت أسمح له بأن يبقى في غرفة الفحص ليراقب نشاطي في العيادة. وكان في هذه الاثناء يصيح في الكلاب التي يحب أن يداعبها: "كيوا كيوا" وحين كنت أتأخر في العمل كان يجثم على مكتبي وينظر الى ما أكتب.

ووصلت الى المستشفى ذات صباح في شهر أغسطس (آب) فقالت لي كارين: "أظن أن حال أورفيل تسوء، فعيناه باهتتان وهو لا ينعق كالعادة."

وتملكني خوف وهرعت الى قفصه. كانت عيناه زائغتين تحدقان الى البعيد، وبدا كأنه ينظر الى شيء لا يمكنني أنا أن أراه. وأبى أن أطعمه بيدي. فجأة خامرني ريب في أن أورفيل يدرك أنه هالك، فاستسلم للموت.

بقيت طوال ذلك اليوم أطوف حول قفصه متفقداً. بدا أول الامر انه يتمالك نفسه، ولكن مع اقتراب المساء أخذ ينهار بسرعة. وعندما استعدت كارين للذهاب بعد اقفال المستشفى قلت لها اني مزمع على البقاء قليلا. وتحاشيت عينيها وأنا

اضيف الى زعمي كذبة بيضاء: "لدي كثير من الجداول التي ينبغي أن املأها. فاذهبي. والى اللقاء غداً صباحاً."
بعد مغادرة كارين حولت اهتمامي الى أورفيل. لن يتاح له بعد الآن أن يحلّق في الجو فوق البحيرة الكبرى. وجلست قرب قفصه اذ لم أرغب في تركه وحيداً.
وكنت في جوار أورفيل حين لفظ آخر انفاسه في وقت مبكر من تلك الليلة الحارة من أغسطس (آب).

البومة والسيدة موزلي

جاءتني كارين وأنا منهمك في اجراء جراحة لكلب وقالت: "ثمة امرأة تحمل بومة صدمتها بسيارتها وتريد منك ان تفحصها حالا."
فقلت: "أخبريها اني سأحضر بعد خمس عشرة دقيقة." وغادرت كارين الغرفة وعاودتُ عملي. ومرت خمس دقائق.
وظهرت كارين في الباب ثانية وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة خفيفة: "السيدة موزلي تكاد تنهار هلعاً على البومة يا دكتور فوستر، فهلا أسرعت!"
أنهيت الجراحة وأمنت راحة الكلب وخرجت لأرى السيدة موزلي تكاد تجهش بالبكاء. وأعجبت بتلك المرأة التي جاوزت الثمانين. كان شعرها أبيض وعيناها زرقاوين حادتين تلتمعان وراء نظارتيها. وكانت مرتدية قميصاً فضفاضاً أزرق اللون طبعت عليه كلمة "الجدة" وسروالا أزرق مقلماً وحذاء رياضياً. واستهوتني من النظرة الاولى.
قالت وهي تغالب البكاء: "آه يا دكتور فوستر. اني حزينة الى أقصى الحدود. هذا أول مخلوق أرهسه خلال ٥٠ سنة من القيادة." ثم بلعت ريقها بعصبية وتحكمت بمشاعرها وأضافت بصوت هادىء: "يجب أن تنقذ هذه البومة."
كان ذلك بمثابة أمر. فانصرفت الى العمل من فوري. مددت البومة المخططة على ظهرها فوق طاولة الفحص. وكانت بلا حراك. ورفعتها بيدي وتحسست صدرها، وذهلت حين شعرت بنبض قلبها السريع الخافت. ولمست احدى عينيها الكبيرتين الزرقاوين لافحص رد فعل قرنيتها، فأطبق الجفن على مهل. عندئذ قلت: "البومة حية، لكنها في غيبوبة وحالها غير مطمئنة."
لمست السيدة موزلي البومة بيدها معجبة بريشها الرمادي وبالخط الفريد على بطنها وقالت متنهدة: "ما أجملها. آه، أرجو الله أن تتمكن من انقاذها."
ووعدتها: "سأبذل قصارى جهدي."
وودعتني السيدة موزلي بهزة رأس جازمة ومضت.

لمسات حب

باشرت اعطاء البومة مضادات للحيوية ومركب ستيرويد (Steroid) يستعمل لتخفيف تورم الدماغ. ثم وضعتها في قفص مظلم. وبعدما بذلت كل ما أستطيع خاطبت البومة: "تحسني كرمى للسيدة موزلي." لكنني شككت في أن تبقى تلك المريضة بين الاحياء في اليوم التالي.
لذلك فوجئت حين وجدتها حية في الصباح.
لم تكن قادرة بعد على الوقوف على

قائمتيها، لكن جفنيها رفّا وهي تحدق الي، وتحركت احدى قائمتيها. يا للفرحة!

بعد ساعة اقتحمت السيدة موزلي مدخل المستشفى وصاحت في كارين: "جئت لأعود ستانفيلد."

وسألتها كارين مدهوشة: "من هو ستانفيلد؟"

أجابت: " يا حبيبتي، انه الاسم الذي اطلقته على البومة." ثم أخرجت كيس ورق من حقيبة ينسجم لونها مع السروال الذي كانت ترتديه وقالت: "هاك بعض الزلابية الطازجة لك وللدكتور فوستر."

رافقت كارين السيدة موزلي الى غرفة المعالجة حيث أنزلنا البومة المكرمة. وجذبت العجوز كرسيا الى جوار القفص وجلست وأخذت تلتهم الزلابية. وبين مضغة وأخرى كانت تخاطب البومة مؤكدة أنها ستبقى قربها الى النهاية. ومن الغريب أن البومة بدت وكأنها تعي كل كلمة قالتها العجوز، اذ لم تتحول عيناها عنها.

واظبت السيدة موزلي على زيارة ستانفيلد كل يوم حاملة الزلابية ومرددة كلمات التشجيع ومربتة رأسها بلمسات حب جريئة. وبعد أسبوع أعلنَتْ أن صحة البومة في تحسن وأضافت: "أريد أن أكون حاضرة حين تطلقونها."

أومأت برأسي موافقاً ونبهتها: "ولكن ينبغي أن تدركي أن على البومة قضاء أسبوعين في التمرين لتستعيد قوة عضلاتها. لا تقلقي، فأخي رايس سيأتي غداً ليساعدني خلال فصل الصيف. انه طالب طب بيطري وبارع في تنشيط الطيور."

وضمتني السيدة موزلي الى صدرها بقوة وكأنها ظنتني أستقدم اختصاصياً من طريق الجو ليعتني بالبومة فحسب.

ستانفيلد الثانية

سرعان ما وطّد أخي رايس علاقته بالسيدة موزلي فأخذت تحضر الزلابية له أيضاً وتردد: "أيها الشاب، اني أحب أسلوبك." وكان رايس يمازحها وكانت هي تسعد بذلك.

لكن الامور اختلّت قليلا. فذات يوم كنت أقطب تشرماً في بدن كلب أليف حين دخل علي رايس مقطب الجبين شاحباً وتمتم: "البومة..."

وسألته: "ما بالها؟ هل ساءت حالها؟"

قال: "بل تحسنت أكثر مما ينبغي. لقد أفلتت من يدي وطارت."

وصحت فيه: "آه، لا، ستنهار السيدة موزلي الآن. انها ارجأت سفرة الى كاليفورنيا لكي تشاهد اطلاق ستانفيلد."

قال وهو يذرع الغرفة جيئة وذهابا: "لا داعي الى ان تخبرني، فأنا أعرف ذلك."

في العاشرة تماماً صباح اليوم التالي وصلت السيدة موزلي متراقصة في مشيتها وهي تحمل كيسا من الزلابية تحت كل ابط. وسارت رأساً الى غرفة المعالجة لترى البومة. ووقفت أترقب انفجاراً. لكن شيئا لم يحدث. وتقدمت مسترقاً الخطو لاستقصي حقيقة ما يجري، فرأيت السيدة تتفرس في بومة مخططة أخرى هناك. وكان رايس أدخل المستشفى بومة أخرى ضربتها سيارة وظنتها السيدة موزلي بومتها ستانفيلد.

عندئذ اندفع رايس داخل الغرفة

وصاح: "مرحباً يا سيدة موزلي. ان ستانفيلد على خير ما يرام، لكنني لاحظت هذا الصباح وأنا أمرّنها انها في حاجة الى مزيد من المعالجة." ثم اشار الى البومة وأضاف: "ينبغي أن نقوّي هذين الجناحين ليصبحا أشد. انك لا تريدين أن نطلقها وعضلاتها ضعيفة، أليس كذلك؟"

وتفرست السيدة موزلي في البومة المزيفة. لم يكن ممكناً طبعاً أن ترى العضلات تحت الريش، ووقعت ضحية جاذبية رايس وقالت: "اني أدرك ما تعني يا رايس. من الافضل أن تبقي ستانفيلد هنا مدة أطول. أنا أود أن تصبح في خير حال." ثم قدمت اليه كيس الزلابية.

وبعد ثلاثة اسابيع أطلق رايس والسيدة موزلي البومة ستانفيلد الثانية وفقاً للبرنامج المقرر. وقبّلت العجوز خدّي رايس بحنان وضمته الى صدرها. كانت لحظة عاطفية رائعة.

مشروع فريد

ذات مساء بعد يوم مرهق في العيادة رجعت الى البيت وقلت لليندا: "ينبغي أن نفعل شيئا ما. لدي سبعة عشر قفصاً في المستشفى، واليوم احتلت الحيوانات البرية أربعة عشر منها."

وسألتني زوجتي: "الا تستطيع ارسال بعضها الى سواك ليعنى بها؟"

فأجبت بمرارة: "الى من؟ ان أقرب مركز للمعالجة هو في جامعة مينيسوتا في سانت بول. ولا يقبل هناك سوى الطيور الجوارح، والمركز يقع على بعد ٣٩٠ كيلومتراً منا."

وجلسنا صامتين برهة. وأخيراً قالت ليندا: "ماذا يسعنا أن نفعل؟"

قلت: "كنت أفكر اليوم، أفكر فحسب، لماذا لا ننشىء مؤسسة لا تتوخى الربح وتعنى بالحيوانات البرية المتأذية؟"

وهتفت ليندا: "انها فكرة رائعة!"

أضفت: "اننا قادرون على جمع تبرعات وتطويع أعضاء. وفي النهاية نبني مستشفى حقيقياً للحيوانات البرية يلحق بالمستشفى البيطري الحالي بحيث لا يتعين علينا شراء معدات أخرى باهظة الكلفة."

واتسعت عينا ليندا من الاثارة وصاحت: "رائع!"

بقينا ساهرين حتى الثانية والنصف صباحاً نتحدث عن المشروع ونتخيل الامكانات الفريدة التي يوفرها مركز لمعالجة الحيوانات البرية. وبدا الأمر في نظرنا مشروعاً عظيماً.

في أواخر صيف ١٩٧٩ بوشر تنفيذ المشروع. وقدمنا طلباً لاعتبار المركز مؤسسة لا تتوخى الربح معفاة من الضرائب، وقبل طلبنا وتعهدت أن أقدم خدماتي مجاناً وأتبرع بكل المواد الطبية اللازمة. ونظمنا حملة لتطويع أعضاء انتهت بانضمام ٣٠٠ مناصر متحمس الينا. وباشرنا السعي الى الحصول على مساعدات مالية للبناء.

غير اني دهشت حين وجدت معارضة قوية كذلك، وان تكن أسبابها متباينة جداً. كان أحد الاسباب الذي ظل يبرز من حين الى آخر، هو الزعم أن جهودنا ستعود بفائدة ضئيلة على المخلوقات البرية. وتعيّن علي أن أكرر أننا ندرك أن انقاذ

حيوان او طائر واحد ليس مهماً في ذاته بالنسبة الى مجموع بنات جنسه، الا في حال معالجتنا حيواناً من فصيلة مهددة بالانقراض.

والى معارضة المواطنين العاديين، تلقيت انتقاداً من الموظفين في دائرة الموارد الطبيعية في ويسكانسن. فقد كتب الي الاختصاصي بالحياة البرية هناك يقول ان معالجتي للحيوانات الفردية تترك انطباعاً مضللا عما هو ذو أهمية. فالناس، في زعمه، يجب أن يهتموا بالمواطن الطبيعية للحيوانات وبأعدادها، وليس بطائر أو حيوان وحيد. ولما كانت القوانين في الولاية تحمي الحيوانات فقد اعتبرت ملاحظاته غير منطقية وصارحته بذلك. وكانت لي فترة عصيبة ومحبطة.

الطائر الغواص

في الخريف وجهت الي كارين سؤالا: "يا دكتور فوستر، هل ندمت على انشاء مركز العناية بالحياة البرية؟ أعني هل ندمت بعد قيام كل هذه المعارضة ضدك؟ أليس الامر الآن بمثابة شوكة في الخاصرة ومصدر ازعاج؟"

نظرت الى كارين وأنا مستغرق في التفكير. وبدل أن أجيب سألتها: "ما رأيك في مرافقتي لاطلاق طائر غوّاص؟"

الغوّاص طائر مائي في حجم الاوزة، له جسم مديد وعنق ثخين ومنقار حاد. وهو اشتهر بضحكته المجلجلة ونعابه الحزين عند الغسق وخلال الليل. انه غواص بارع يستطيع النزول الى عمق ٩٠ متراً تحت سطح الماء بحثاً عن الطعام.

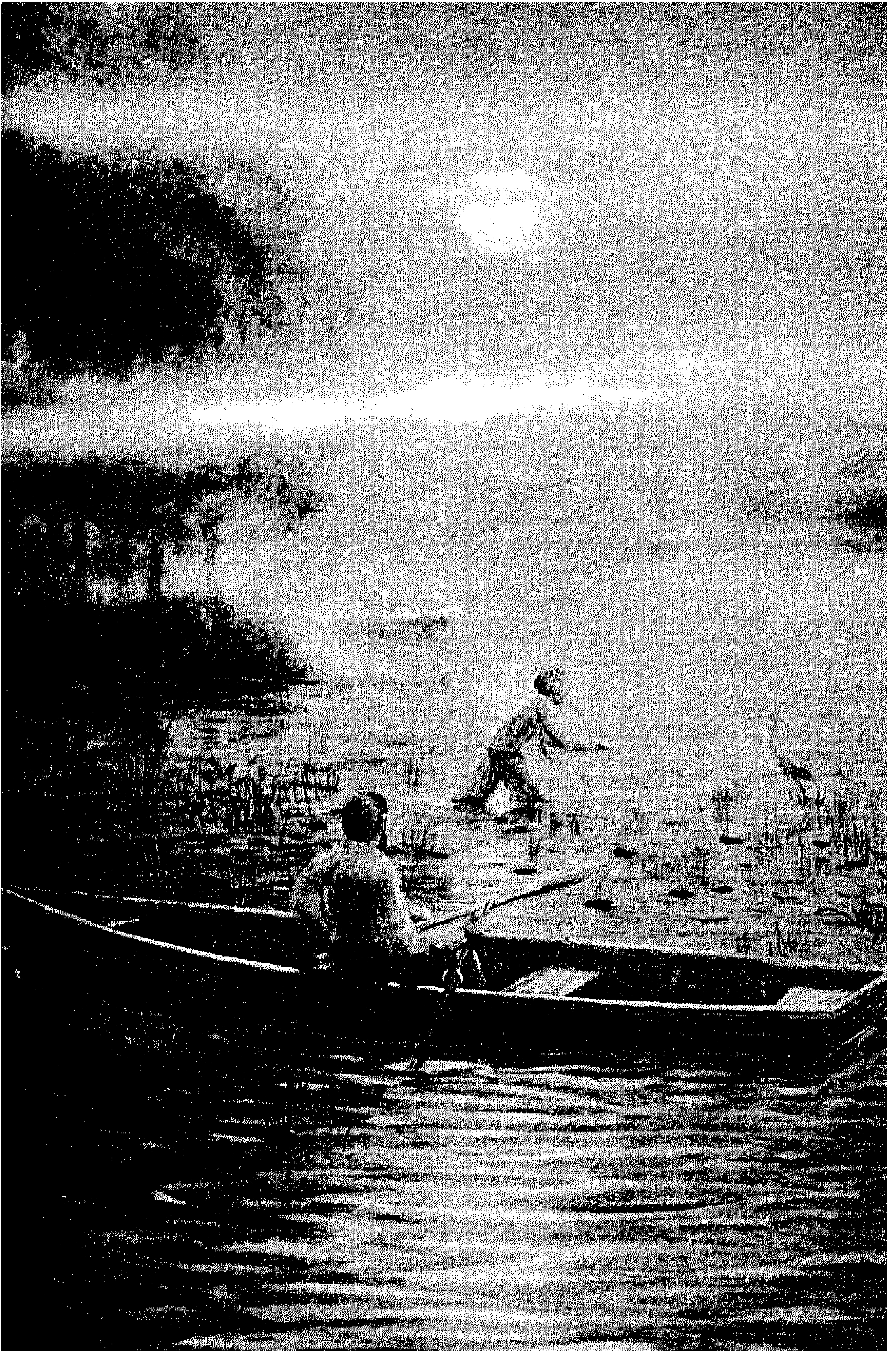
وكنا عالجنا هذا الطائر الذي سميناه "لونار" من جرح ناجم عن شص صيد. وذهبنا في السيارة، أنا وكارين، الى بحيرة تراوت وهي أكبر مجمع مائي في المنطقة. وأوقفت السيارة وخرجنا وأنا احمل الصندوق الذي يحوي لونار. وما كدت أرفع الغطاء حتى قفز الطائر الذي يبلغ وزنه أربعة كيلوغرامات منطلقاً الى الحرية، ثم غطس في المياه الصافية.

وقفنا فترة نراقب لونار وهو يسبح بقوة متجهاً نحو المياه العميقة. وهناك غاص ثم طفا على بعد مئات الامتار وأطلق زعقة مدوّية مزقت سكون البحيرة. وأحسست رعشة تدب في فقاري وأنا أراقبه يغوص ثانية. وحين خرج شاء أن يجرّب جناحيه. فاستعان بقائمتيه ليدرج على سطح الماء مسافة مئة متر تقريبا، وهي المسافة العادية التي يحتاج اليها ليرتفع في الهواء. وبعد ذلك حلق على مهل مرتفعاً وطار موغلا في جو البحيرة.

وحين أصبح لونار نقطة سوداء في الافق التفت الى كارين فبادرتني: "لا داعي الى الكلام، لقد فهمت الآن."

مالك الحزين

التقيت مارتي سميث للمرة الاولى في جامعة آيوا الرسمية في آميس في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥. كان مارتي حينئذ طالب طب بيطري، وهو شاب طويل القامة ناحلها له شعر قصير مجعد ويضع نظارتين. ونشأت بيننا صداقة. كما توطدت صداقة اخرى بين ليندا وجودي زوجة مارتي التي كانت تعمل في كلية الطب البيطري.



وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٠ تخلّى مارتي عن عمله في ماديسون (ويسكانسن) لينضم الي بصفة شريك في مينوكا. وذات يوم بعدما انقضى شهر على عملنا معا، رد مارتي على الهاتف وسمع صوت امرأة تسأل: "هل هذه مؤسسة العناية بالحيوانات البرية؟"

- نعم... موقتاً... ما الامر؟

"ثمة طائر من فصيلة مالك الحزين (البلشون) الازرق على ما أظن. اني أراقبه من نافذة بيتي منذ اسبوع يقف في البقعة عينها قرب جزيرة صغيرة في البحيرة ولا يتحرك ابداً... لا بد من أنه جريح."

- هل لاحظت أي جرح فيه؟

"لا يمكنني أن أرى شيئاً. انه بعيد عني داخل البحيرة. لقد اعتدت أن أرى طيوراً كثيرة هناك، لكنها لا تلزم مكاناً واحداً لا تفارقه."

- حسناً، سآتي الليلة بعد انتهاء المواعيد لالقي نظرة.

واذ لم تكن لدي ارتباطات ذلك المساء فقد ذهبت مع مارتي. ووصلنا قرابة الثامنة. وشاهدنا الطائر من حديقة المرأة، وكان كبيراً من نوع مالك الحزين الازرق، واقفاً بين النباتات المائية في جوار جزيرة صغيرة مغطاة بالشجر على بعد ٢٠٠ متر منا.

قالت المرأة: "اني على يقين من أنه لا يقوى على الطيران." ثم أشارت الى زورق خشبي مربوط الى رصيف أمام منزلها وأضافت: "لماذا لا تأخذان الزورق وتتحريان الأمر عن كثب؟"

وكنا نرتدي ملابس رسمية، ومع ذلك ركبنا الزورق. وجلس مارتي على مقدمه وهو يقول: "سأقبض أنا على الطائر، وما عليك سوى أن تقربني منه مسافة تتيح لي أن أمسكه."

واقترحتُ وأنا أرمق الزورق المثقل بالماء: "لماذا لا تجذف أنت؟ لا تنسَ انك انت المدعو."

وأصر: "لا يا فوستر، أنت تجذف. أنا لي خبرة واسعة بهذه الطيور. جذف بسرعة، الليل يدهمنا."

الدكتور شميت

بدأت عضلات كتفي تؤلمني حين اقتربنا من الجزيرة. ثم ارتج الزورق وجمد في مكانه اذ اصطدم قعره بالارض على بعد عشرة أمتار من الطائر الواقف من دون حراك.

وأمرني مارتي وكأني كلب صيد مدرّب: "جئني به يا فوستر، هيا!"

قلت: "لا، أنت الخبير المدرّب. اذهب وامسكه."

خلع مارتي حذاءه وجوربيه متردداً ثم نزل من الزورق. وانزاح الوحل المتراكم في قعر البحيرة تحت ثقل جسمه البالغ ٩٠ كيلوغراماً. وأخذ يغوص أكثر فأكثر مع كل خطوة يخطوها حتى غمر الماء ركبتيه. عندئذ صاح: "فوستر، هذا سخف. ماذا ترانا نفعل هنا؟"

وذكّرته: "مالك الحزين الازرق."

قال: "آه، حقا." وتقدم من النباتات المائية. وما ان وصل الى مسافة متر من الطائر حتى أطلق هذا زعقة مدوّية وقفز في الهواء ثم طار الى الجانب القصي من البحيرة.

وقف مارتي في مكانه مشدوهاً وهو غائص في الماء الى أعلى فخذيه وقد لطخ الوحل قميصه الازرق وربطة عنقه المخططة. وتقبض وجهه سخطا فابتسمت له من الزورق.

في تلك اللحظة ظهر قارب مقبل نحونا من وراء الجزيرة. في ذلك الموقف لم أكن أرغب في مصادفة أحد يعرفني، لذلك انبطحت في الزورق متواريا. لكن زميلي في موقفه الزري لم يجد مكاناً يختبىء فيه.

ودنا الزورق منا وفيه رجلان صاحا بنا: "هل هذا أنت يا دكتور سميث؟"

قلت في نفسي: رباه، اذا اكتشف أمرنا ونحن في هذه الحال وفي هذه الورطة، تأكد ما يساور السكان المحليين عن خبل الطبيبين اللذين يديران برنامج رعاية الحيوانات البرية. وفي تلك اللحظة تعالى صوت بلهجة ألمانية ثقيلة: "لست الشخص الذي تطلبان. لست شميت."

قال الرجل: "آسف، ظننتك الطبيب البيطري." وغاب الزورق في الظلمة والضباب.

ونهرت مارتي: "اصعد الى الزورق أيها الغبي."

فقال: "هذا تماماً ما كنت أنوي فعله."

في الاسبوع التالي عدت في سيارتي الى البحيرة. وهناك رأيت مالك الحزين عينه واقفاً في البقعة عينها. وتأكد لي أن زيارتنا المشؤومة للفجوة المفضلة التي يصطاد فيها السمك لم تزعجه بمقدار ما أزعجت الدكتور شميت الخبير البارز في فصيلة مالك الحزين الازرق.

عينا الذئبة

كانت حظيرة الحيوانات الاليفة في المستشفى هادئة على غير عادتها. والى يساري ربضت ثلاث قطط ساكنة في أقفاصها المصنوعة من الفولاذ الذي لا يصدأ. وكان قرب الباب هرّ عمره ثماني سنوات اسمه بنيامين اشتهر بشراسته القتالية. فعلى فترات تراوح بين أسبوعين وثلاثة كان يؤتى به لمعالجته من اصاباته في القتال. وفي ذلك اليوم بضعت دملا في عنقه وادخلت انبوباً في الجرح لينز منه السائل. وقد اعتاد بنيامين ان يثير ضجة مخيفة عندما يقفص، لكنه لم يفعل ذلك اليوم، بل تكوم في احدى زوايا القفص وهو يحدق الى وسط الغرفة.

أما ناغيت الكلبة الاليفة الوحيدة في المستشفى فقد جثمت بهلع في زاوية قفصها. انها كلبة صيد ممتازة وكانت تتعافى بعد جراحة في الركبة، لكن منظرها ربما أوحى أن أيامها في هذه الدنيا أضحت معدودة.

والسبب في كل ذلك قفص وسط الغرفة مصنوع من الخشب والحديد المشبك حبست فيه ذئبة قطبية بيضاء رائعة. وبدا لي أن الكلبة والهررة كانت تتخيل ما يمكن أن تفعله تلك الذئبة لو كانت طليقة في الغاب.

فهذه الذئبة التي يبلغ وزنها ٤٠ كيلوغراماً، لو كانت طليقة في مواطنها بغابات آلاسكا، لكانت تسترق الخطى في درب غير معلمة بحركات رشيقة متأنية وايقاعية وجسم عضلي قوي، حتى لتبدو وكأنها عائمة على الارض المتجلّدة.

وتعالى صوت ينادي: "روري!"

أيقظني الصوت من تخيلاتي فرأيت ليندا واقفة في الباب.

اتسعت حدقتاها وقالت: "آه يا روري، انها رائعة الجمال، انظر الى هاتين العينين."

أجل، العينان: صفراوان خارقتان ساحرتان. يستحيل أن تنظر الى عيني تلك الذئبة من دون أن يطغى عليك سحرهما. وكنت بالنظر الى أعين الحيوانات الأليفة أجزم في ما اذا كان الحيوان ودوداً أم عدوانياً. لكن عيني تلك الذئبة لم تخبراني بشيء.

وأوضحت لزوجتي: "انها من معرض بيربارك للحيوانات البرية. الاحوال هناك رهيبة. وليلة أمس علقت القائمة الامامية اليمنى لهذه الذئبة في شبكة الاسلاك في حظيرتها. وانقطع دوران الدم وتجلدت الساق. وكانت الحرارة ٣٥ درجة مئوية تحت الصفر، ولم يسعني أن أفعل شيئاً سوى بتر الساق." وأضفت بأسى: "لو لم ابتر الساق لنفقت الذئبة."

المعنى الغامض

كانت ممارستي الطب البيطري تتناول الحيوانات الاليفة والحيوانات البرية التي تعيش في الغاب. ولم تكن لدي رغبة في معالجة الحيوانات البرية الأسيرة، والسبب الرئيسي لذلك اعتقادي أن ذلك يجعلني شريكا في ذلك العمل الممض الذي يضع الحيوانات تحت أنظار المشاهدين من دون توفير المساحة أو العناية المناسبة. لكني بين حين وآخر كنت أشذ عن هذا النهج. وتلك الذئبة الرائعة كانت في حاجة ماسة الى المساعدة.

حقنت مخدراً في خاصرة الذئبة من خلال أسلاك القفص. وبعد انقضاء ٢٠ دقيقة هجعت في نوم عميق. ورفعتها برفق من القفص ونقلتها الى غرفة الجراحة. ومررت يدي باعجاب على فروها الفاخر. يا لها من حيوان جميل.

وكانت كارين أصبحت مساعدتي في غرفة العمليات، فأعدت ساق الذئبة للجراحة وفتحت شقاً في موقع متوسط بين الكتف والمرفق فوق المنطقة التي أخذت تسودّ. وتفجر الدم على قفازي حين قطعت شرياناً تحت الجلد. وأقفلت الشريان سريعاً بمشدّ وواصلت ربط كل ما وجدته من عروق نازفة. وكنت طوال الوقت ألعن الظروف التي اضطرتني الى البتر.

وحان وقت نشر العظم. وشردت أفكاري ولم أعد قادراً على كبتها فانفجرت صائحاً: "هذه العملية كلها تثيرني الى حد الجنون. انها خالية من أي معنى ولم تكن ضرورية قط." ثم رفعت عيني وسألت كارين: "هل تعرفين خطيئة مَن هذه؟"

ونظرت الي كارين سائلة بدورها: "هل هي خطيئة صاحب معرض الحيوانات البرية؟"

وأحدثت العظمة قرقعة عالية عندما انكسرت قطعتين.

وتمتمت: "اجل، لكن في الامر اكثر من ذلك. فبعض اللوم يقع على قانون ولاية ويسكانسن الذي يسمح بنصب الحبائل لاسر مثل هذه الذئبة في آلاسكا وبيعها هنا."

انقضت تسعون دقيقة قبل أن أنجز القطبة الاخيرة في الجلد. وباستثناء الساق المبتورة بدت المريضة في حال جيدة. وستتعافى وتعود الى قفصها.

وفي صباح اليوم التالي جاء صاحبها ليستردها.

سألني: "هل تعتقد انها ستكون بخير؟"

وترددت في الجواب، اذ وجدت صعوبة في التحكم بمشاعري. ثم قلت: "الجراحة تمت على ما يرام." وجهدت كي أجعل صوتي طبيعياً. ثم رحت أراقبه من خلال نافذة مكتبي وهو ينقل القفص الذي حبست فيه الذئبة الى صندوق شاحنة صغيرة. بعد ذلك انطلق عبر موقف السيارات المتجلّد والذئبة ترتج بعنف صعوداً وهبوطاً. بدا أنها لا تعي ما يحدث لها. وفي تلك اللحظة فهمت ذلك المعنى الغامض الكامن في عينيها.

تلك الذئبة القطبية الجميلة لم تكن حيّة وسعيدة حقاً، لقد انتهت يوم وقعت في الشرك في آلاسكا.

"الدم البارد"

ذات يوم دخل عيادتي صبي ذو وجه نمش عمره عشرة أعوام ومعه أمه. كان يحمل كيساً من الورق داخله ضفدع علق في أعلى فمه شص لصيد السمك.

دفعت الام بابنها نحوي وهي تقول: "أخبر الطبيب بما جرى يا بيلي."

لم يفتح بيلي فاه اذ كان على وشك أن يجهش بالبكاء. وخاطبته مهوناً عليه: "اسمع يا بيلي، دعني أحاول ان أحزر ما جرى. أراهن أنك كنت تسير على ضفة البحيرة حاملا قصبة الصيد. ربما كنت تسعى الى صيد سمك القاروس او القنبر. هل انا على حق حتى الآن؟"

هز الولد رأسه موافقاً.

وتابعت: "عندئذ لمحت الضفدع الكبير الهرم. انه العلجوم(٢) عينه الذي كنت تحاول أن تقبض عليه في الصيف الماضي، لكنه كان حذراً جداً فلم تفلح. أليس كذلك؟"

وهز الولد رأسه مرة أخرى.

وواصلت حديثي: "بقي العلجوم قابعاً على تلك النباتات العائمة فوق المياه العميقة بعيداً عن متناولك. أنت لم تكن تريد ايذاءه، كنت تحاول فقط أن تمسك به لتلقي عليه نظرة. وهكذا وضعت دودة على الشص وانحنيت وأدليت بالشص أمام العلجوم."

وقاطعتني الأم: "صحيح يا دكتور، ذلك ما حدث فعلا. ويمكنك أن تتخيل ما حدث بعد ذلك."

قلت: "قفز العلجوم الى الشص. ولم يصبه في المرتين الاولى والثانية، لكنه عضه أخيراً وعلق به."

ورجتني الام: "اروِ لنا المزيد مما جرى."

فتابعت: "حسناً يا بيلي. استبد بك الهلع عندئذ فعدوت الى الكوخ والعلجوم مدلى في الهواء من رأس قصبة الصيد. وأنت لا تدري ما يجدر بك أن تفعل. وسمعت أمك صياحك فخرجت لتتحرى الأمر. وحين رأت العلجوم أظن انها أطلقت صرخة او اثنتين."

---

(٢) العلجوم ذكر الضفادع.

وتدخلت الام: "بل ست صرخات أو سبع."

وضحكت مواصلا روايتي: "كان والدك يصطاد السمك في مياه البحيرة. ولم تجرؤ أمك على الامساك بالعلجوم لتنزعه من الشص. لذلك جئتما اليّ. هل هذا صحيح؟"

في هذه الاثناء كان بيلي استرخى واستطاع الابتسام.

قلت: "حسنا يا بيلي، دعنا نلقي نظرة على هذا العلجوم."

سجلّ الضفادع

ناولني بيلي الكيس فمددت يدي داخله وأخرجت المريض ذا الدم البارد. كان العلجوم يتلوّى، لكني أفلحت أخيراً في القبض عليه وجذبته خارج الكيس وفحصته ووجدت الشص وشوكته مغروزين في شفته العليا. وسألت الصبي: "ما اسم هذا الضفدع يا بيلي؟"

فأجاب متلعثماً: "أظن... أظن... ان اسمه بورت."

قلت: " يا له من مسكين. لا يسعنا أن نخدّره كي لا يتألم، كما نفعل بالكلاب والقطط. لذلك ينبغي أن يمسك به شخص ما بينما انزع أنا الشص من شفته. هل تريد أن تساعدني يا بيلي أم أستدعي شخصاً آخر ليثبت بورت في مكانه؟"

"لا!" قال بيلي مظهراً جرأته، "بل سأمسك به أنا."

قبض بيلي على العلجوم ودفعت أنا الشص الى أخره في شفة العلجوم، ثم قطعت الشوكة وسحبت الشص برفق قائلا: "قضي الامر يا بيلي. هذا يكفي. والآن دعنا نعيد العلجوم الى الكيس. وفي امكانك ان تطلقه حيث أمسكت به."

بدا أن بيلي ارتاح بعد التوتر الذي اعتراه. فأعاد العلجوم الى كيسه وربت جانب الكيس تحبباً وهو يبتسم مسروراً، ثم مضى هو وأمه. الا أن تلك القصة الطفولية ستبقى في ذاكرتي.

أتذكر عندما كنت في سن بيلي أنه انتابني هلع من الضفادع. وعلى غرار الكثيرين من أترابي لم أكن أقدّر المخلوقات الحية حق قدرها. والله وحده يعلم كم ضفدعاً قتلت. وربما من شأن برنامج رعاية الحيوانات البرية الذي بدأناه أن يعلم أبناء هذا الجيل ما لم يقيّض لي أن أعرفه في صغري.

قلت في نفسي ان بيلي ولد طيب القلب، وسرّني أن أساعده. وتحرير بورت من الشص الذي انغرز في شفته لم يبيض سجلي في عالم الضفادع، الا انه كان بداية.

حياة صغيرة

مراقبو الطيور في الناحية التي نقطنها من ولاية ويسكانسن يعلنون قدوم الربيع عندما يشاهدون طائراً غواصاً أو عصفور أبي الحناء، وكلاهما يحب السباحة، عندما يتكسر الجليد على نهر توماهوكس فيصبح سالكاً أمام الزوارق. أما أنا فلا اعتبر أن الشتاء انقضى الا حين يحضر الي أول مولود جديد من الحيوانات البرية للمعالجة.

وفي العام ١٩٨٢ وقع هذا الحادث في يوم بارد كئيب من شهر مايو (ايار) في السادسة مساء.

كنت في المختبر أنجز بعض فحوص الدم حين دخلت كارين قائلة: "يا دكتور فوستر، ان جيم وبيفرلي كلاين ينتظران في غرفة الفحص الاولى ومعهما أرنب مصاب. أتتذكرهما؟ انهما يملكان كلبي الصيد الايرلنديين ماكس وسامبسون والهر كاليبسو."

وتذكرت تماماً. كانت بيفرلي طيبة، أما جيم فكان مشاكساً. وكانا دائماً يتجادلان.

لم تكد كارين تبلغ الي رسالتها حتى تعالى صوتا جيم وبيفرلي في مناقشة حادة.

وفيما أنا منصرف الى عملي رحت أسترق السمع.

كان جيم يتذمر: "ان هذا اهدار للوقت. أي معنى لمحاولة انقاذ أرنب واحد في حين تعيش المئات في البرية؟"

قالت بيفرلي: "هذا المخلوق التعس يستحق أن تتاح له فرصة للعيش. لم تكن خطيئته أنك مرّرت جزازة العشب فوق جحره."

وردّ جيم مدافعاً: "يا بيفرلي، انه قضاء الله أن يموت بعض المخلوقات. لقد شاهدتِ الكثير من أفلام والت ديزني، لذلك لا تستطيعين فهم الواقع. تلك هي الحياة البرية."

وتأوهت بيفرلي: "آه... فهمت... انك تعتبر الجزازة بين يديك من وسائل القدر... يا للسخف!"

وصاح جيم: "اسمعي يا بيفرلي. حتى اذا افترضنا أن هذا الارنب تعافى، فمن المحتمل أن يفترسه حيوان ضار في الغابات. اني أفهم أن تقدمي العون الى



نسر أو طائر غواص، اما الارانب... ان لدى الدكتور فوستر واجبات أولى."

قرار حاسم

رن الجرس في جهاز فحص الدم معلنا نهاية الاختبار. فدوّنت النتائج وتوجهت الى غرفة الفحص وحييت الزوجين وكأنني لم أسمع شيئاً.

سألتهما: "ماذا معكما في ذلك الصندوق؟"

فوقفت بيفرلي وقالت بصوتها الرقيق الجميل: "في هذا الصندوق خرنق(٣) صغير." ووضعت الصندوق على طاولة الفحص وراحت تروي قصتها: "كان جيم

(٣) الخرنق ارنب صغير.

يجز الاعشاب في المرجة أمام بيتنا، فمرّر الجزازة فوق جحر هذا الخرنق. أظن أن الشفرة جرحت جنبه، لكني أرجو أن يشفى."

ولم يفه جيم بكلمة، بل جلس يحدق الى زوجته وهي تتكلم، ثم تنهد باشمئزاز.

قلت: "لا بأس، يمكنك أن تعهدي به الي." وواكبت الزوجين الى خارج الغرفة.

بعدما تخلصت من آل كلاين فتحت الصندوق ومددت يدي ورفعت الخرنق المرتعد لافحص جرحه. كان طوله لا يتعدى تسعة سنتيمترات. وكان ظهره مغطى بوبر بني ناعم، أما بطنه فكان أبيض. وتحرك أنفه الزهري وشعرات شاربيه حين وضعته على الطاولة.

ووجدت في جنبه الايسر تحت الضلع الاخير جرحاً يبلغ طوله سنتيمترين ونصف سنتيمتر. وكان جلياً أن ذلك هو الموضع الذي اصابته شفرة الجزازة. ورأيت طيّات امعائه الحمراء من خلال الفتحة، وقد تسربت قطع من الشعر والعشب الاخضر والاقذار الى جوفه.

في غضون السنوات الخمس الاخيرة تعين علي أن أتخذ قرارات حاسمة في محاولات انقاذ الحيوانات. وكان اتخاذ هذه القرارات سهلا في غالب الاحيان. ولا ريب في أني لم اتردد في معالجة نسر أو عقاب، ولكن ربما كان جيم على حق في شأن هذا الارنب الصغير، فثمة ألوف، بل ربما ملايين، من أمثال هذا المريض في عالم البراري.

ولم يقتصر الامر على أن حياته ليست بذات أهمية بالنسبة الى عالم الارانب، بل ان معالجته كانت تعني تأخير كارين ٤٥ دقيقة أخرى على الاقل، وكانت الساعة قرابة السابعة. وتقضي المعالجة الصحيحة بالتخدير الموضعي الذي تعقبه قطب صغيرة متعبة.

وعلى افتراض أن الخرنق استطاع احتمال كل هذا العناء، فاني سأضطر الى أخذه معي الى البيت تلك الليلة لأضعه في حاضنة مدفأة. وسيتعيّن عليّ وعلى ليندا أن ننهض ليلا مرتين على الاقل لنتفقده ونجرعه الحليب بقطّارة ونحقنه بمضادات الحيوية. وبدا أن هذا الجهد أكبر من أن يبذل لخرنق صغير.

ثم ان التجربة علمتني ان الحظ في نجاح الجراحة لا يتجاوز الخمسين في المئة. وكان جيم على حق، فحتى لو أنقذت حياة هذا الخرنق، فمن المحتمل أن تقتله بومة أو يفترسه ثعلب أو ترهسه سيارة.

وهكذا، في ضوء كل هذه الحقائق، فعلت ما كان خليقاً بي أن أفعل.

ولم تعترض ليندا قط، بل انها تطوعت للنهوض ليلا لاطعام المريض الجديد.

المرأة الجميلة

في ليلة جميلة من ليالي ربيع ١٩٨٢ جلست مع ليندا ونحن نسند ظهرينا الى شجرة صنوبر ضخمة عمرها مئة عام تحت السماء المخملية السوداء. وارتفع البدر تاماً وأرسل نوره الهادىء على الباحة. وكانت ليندا ترضع بالزجاجة رشأ كسرت سيارة ساقه. وكانت عيناه البنيتان تلتمعان خوفاً.

وطمأنتها: "سيكون على خير ما يرام."

وكان ينتصب أمامنا البناء الاصلي لمستشفى فوستر وسميث للحيوانات الذي سمي باسمي واسم مارتي. والى اليمين ممر طويل يصل المستشفى ببناية تم تشييدها قبل أسابيع قليلة. ذلك هو مستشفى نورث وود للحياة البرية الذي سيفتتح في الصباح كأول مرفق في الغرب الاوسط لمعالجة الحيوانات البرية واعادة تأهيلها.

وفيما أنا أراقب هذه المؤسسة الفخمة لم يسعني الا أن أعود بالذاكرة الى البداية المتواضعة التي انطلقنا منها. أذكر أني استدعيت مرة مع مارتي ورايس لاجراء جراحة لظبي جريح. واضطررنا الى اجراء الجراحة في سقيفة قديمة حيث وضعت لوحة خشبية عريضة على ركيزتين لتكون طاولة الجراحة. ما ابعد الشوط الذي قطعناه!

وكانت تلك السنوات مفعمة بالجهد بالنسبة الى ليندا كذلك. فقد ولدت ابنتنا آلي وابننا مايك بينما هي تعنى بحيوانات برية عدة. لكن تلك السنوات لم تغيرها، وظلت تلك المرأة الجميلة. وراقبتها وهي تنحني على ذلك الرشأ وتحضه على شرب الحليب وشعرها القاتم يتدلى على كتفيها ليستقر فوق رأس الرشأ.

وهمست: "يا ليندا، هل أنا واهم أم ان هذا الرشأ يشبه فالين؟"

وتفرست ليندا في الرشأ الوليد وقالت أخيرا وهي تهز رأسها: " لا أدري... يا روري...فالضوء يخدع في هذه الليلة."

ضحكت ومددت يدي لأربت الوبر الناعم ثم قلت: "أنا أدري... كل الأرشاء متشابهة." ودنوت من ليندا فأسندت رأسها الى كتفي وانسدل ستار من السكينة في جو ذلك المكان.

نظرة أخيرة

استيقظت من نومي وأنا أشعر بفتلة في رقبتي وألم خفيف في ظهري الملتصق بجذع الصنوبرة. ونظرت الى ساعتي فاذا هي تشير الى الثالثة والنصف صباحاً. والتفت الى ليندا فاذا هي غارقة في نوم هادىء، كذلك الرشأ المستريح على ركبتيها.

وهمست في أذنها برقة: "ليندا، انهضي يا عزيزتي، الساعة الثالثة والنصف."

وحملنا الرشأ الى زاوية في باحة المنزل ووضعناه على فراش من القش. وأخذت ليندا تمرر يدها على رأسه كما لو كان طفلا رضيعاً.

قالت ليندا: "أتساءل هل آلي ومايك بخير."

فطمأنتها: "انهما قضيا ليلة مع أختك من قبل. انهما بخير. فلنمر ونأخذهما باكرا. يمكنهما أن يحضرا معنا حفلة الافتتاح. وآلي تحب أن ترى الرشأ الجديد."

وغادرنا الباحة ودخلنا مستشفى الحياة البرية. كان الهدوء يرين على المبنى الجديد تحت الضوء الخافت. وكانت الحيوانات الخاضعة للمعالجة لا تزال في المستشفى القديم في انتظار الافتتاح لتنقل الى المهاجع الجديدة.

وتمتمت: "يا ليندا، أُحب أنْ ألقي نظرة أخيرة. لن يخيم الهدوء على هذا المكان هكذا بعد الآن."

وأدركت ليندا ما أعني، فأمسكت بيدي وعبرنا غرفة المعالجة. كانت الخزائن المملوءة بالمواد الطبية تغطي الجدار. وفي الزاوية انتصب برّاد طويل بني اللون فتحت بابه وأنا ابتسم. كان يحوي أكداساً من السمك الصغير المجلد المعد لاطعام الحيوانات التي تقتات بالسمك، وعلباً من بقايا اللحم قدمت الينا هدية من مطعم محلّي لاطعام حيوانات أخرى.

عنوان غريب

كان الباب المؤدي الى الغرفة التالية يحمل لوحة كتب عليها "طيور مائية." ان طائر الواق الامريكي ومالك الحزين الازرق اللذين نعالجهما سينقلان الى هنا، والصهريج العميق قرب الجدار سيكون مستقراً ممتازاً لطيور البط ومالك الحزين. ثم هنالك "غرفة الطيران" حيث يعاد تأهيل الطيور الجوارح. وثمة غرفة أخرى مملوءة بالاقفاص ستوضع فيها الحيوانات البرية الاخرى وتكون بأمان.

وقلت مناجياً نفسي: "لدينا أيضاً ثلاثة أقفاص للطيران في الخارج." وضحكت ليندا قائلة: "أعرف ذلك."

وقفت ونظرت الى زوجتي الجميلة. ان ليندا تشكل جزءاً من كل هذا، مثلي تماماً.

وقرب الهاتف في غرفة الاستقبال رأيت كومة من الرسائل. وقالت ليندا مبتسمة: "حين جيء بالرشأ الى هنا أغفلت أمر هذه الرسائل. لقد اتصل رايس ليقول انه سيقود طوال الليل قادماً من ولاية ميشيغان ليحضر حفلة الافتتاح. وطلب أن أخبرك أن نتائجه في الامتحانات النهائية جاءت جيدة."

وفكرت: سبع سنوات انقضت وبقيت سنة واحدة. ثماني سنوات! وهززت رأسي متذكراً أيامي كطالب طب بيطري.

قالت ليندا: "ثمة رسالة هنا موجهة اليك من طبيب بيطري في ولاية أوريغون."

ولم أكن أعرف أحداً في ولاية أوريغون. وناولتني ليندا الرسالة. ونظرت الى الغلاف واستبدت بي الحيرة. فقد كتب على العنوان:

الى الدكتور وايلدلايف (٤)
مينوكا، ويسكانسن

فضضت الغلاف بعناية وقرأت الصفحات التي وصلت الى عتبة بيتي. وتبين لي أن الطبيب البيطري قرأ في صحيفة نبأ افتتاح مستشفانا الجديد للحياة البرية. قال انه كان يفكر في تنفيذ مثل هذا المشروع، ويهمه أن يتلقى أخباراً عن المشاكل التي واجهتُها.

وناولت ليندا الرسالة، فأدهشها العنوان الغريب وأسعدها: "الدكتور وايلدلايف" (طبيب الحياة البرية). وبعدما قرأت الرسالة نظرت الي وسألتني: "بماذا سترد عليه؟"

قلت: "أظنني سأخبره الحقيقة. هيا، فبعد خمس ساعات ينبغي أن نعود الى هنا."

---

(٤) Wildlife بالانكليزية تعني الحياة البرية.

ورجعنا الى الباحة لنتفقد الرشأ. وانحنت ليندا لتلامس رأسه.

وهمست بصوت رقيق: "ذلك الطبيب البيطري يسأل عن مشاكلك. اني لا أتذكر اننا واجهنا مشاكل. هل تتذكر أي مشكلة؟"

ونظرت الى ذلك الحيوان المحتاج الى رعايتنا وحبنا، وفكرت في كل تلك الحيوانات المصابة أو اليتيمة في البراري التي تحتاج هي أيضاً الى مساعدتنا، ثم أجبت زوجتي: "لا، لا أتذكر."

بعد وقت قصير من قبول كتابي هذا للنشر أدركت أن شيئاً ما فيّ ليس على ما يرام. فالحيوانات التي كنت أرفعها بسهولة الى طاولة الفحص باتت ثقيلة على نحو غير عادي، كما بدأت أدوات الجراحة تسقط من يدي. وبدا لي أن الاستجابة العصبية في حركاتي تتجاوز الحد، وشعرت بالوهن يدب في يدي. وذهبت الى اختصاصي بالاعصاب فاكتشف أني مصاب بتصلب جانبي ضموري ناجم عن اختلال في الخلايا العصبية ويعرف بداء لو غيريغ(٥).

وتأثيرات هذا الداء تؤدي عادة الى الموت خلال أربع سنوات.

ان المرء يفكر كثيرا، وفي استرجاع الماضي أدركت أن السنوات التي قضيتها في مساعدة الكائنات البرية كانت أفضل فترة في حياتي. ومع أن بعضهم قد لا يهتم لذلك، فاني أظن ان السواد الاعظم منا ينعم بشيء من فطرة الدكتور وايلدلايف. انه الامر الذي يدفعنا الى مد يدنا لمساعدة مخلوق آخر أتعس حظاً منا.

فاذا لم توقظ تلك الفطرة في نفسك حتى الآن، فقد يكون الوقت أزف الآن لتوقظها.

الدكتور روري فوستر ■

(٥) Amyotrophic lateral sclerosis or Lou Gehrig's disease

عندما تتكلم الشجرة

في لوحة على شجرة بمدريد عاصمة اسبانيا نقشت العبارات الآتية:

أنا دفء الموقد في ليالي الشتاء الباردة.

أنا الظل الذي يقيك وهج شمس الصيف.

ثماري وعصارتي تطفىء ظمأك في ترحالك.

أنا الجسر الذي يحمل سقفك، والباب لبيتك، والسرير الذي تتمدد عليه، والخشب الذي تصنع به قاربك.

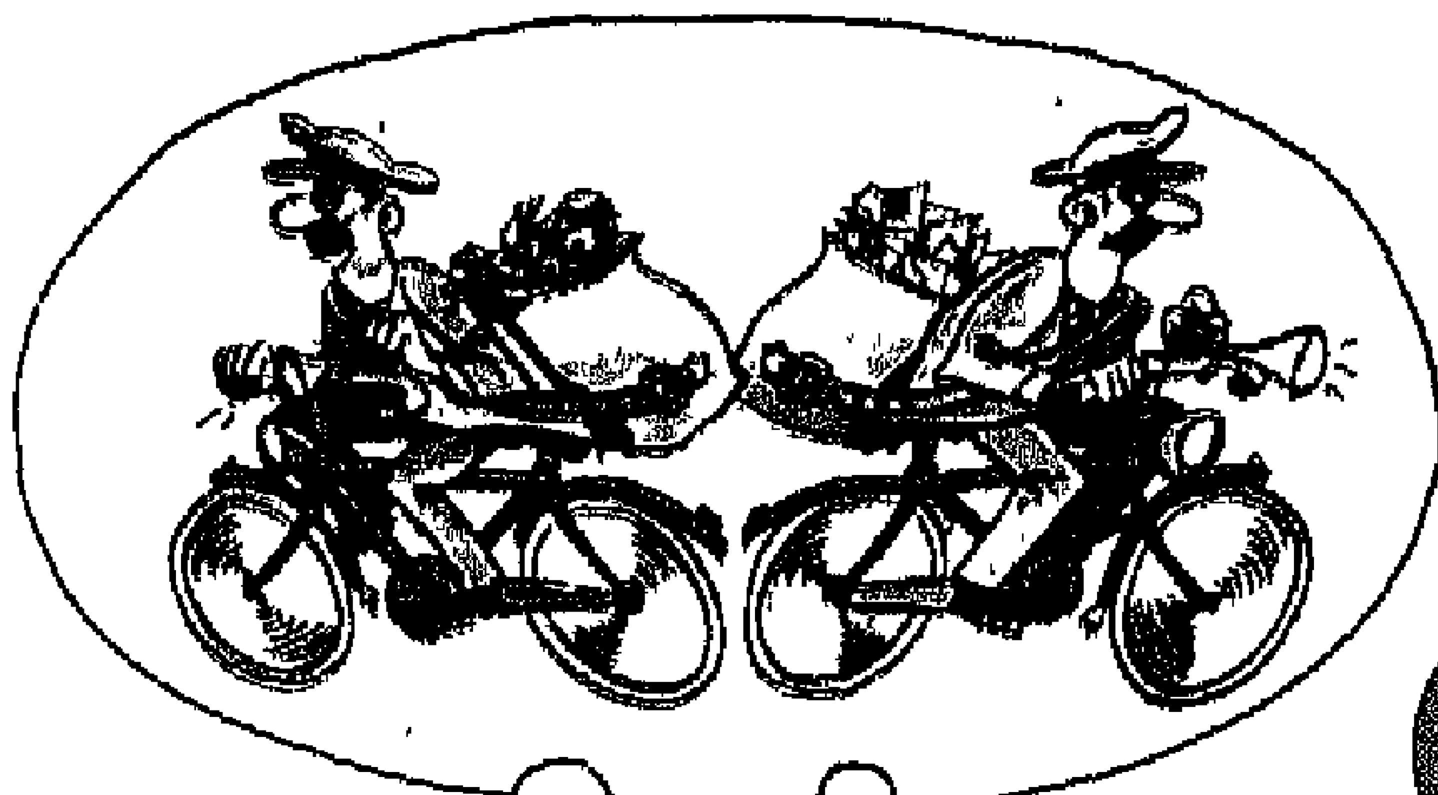
أنا مقبض معولك وخشب مهدك وهيكل تابوتك.

ج.ش.

كل الناس يحبون العاشق عدا الذين ينتظرون دورهم لاستخدام الهاتف.

ك.م.

اكتب واربح





هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

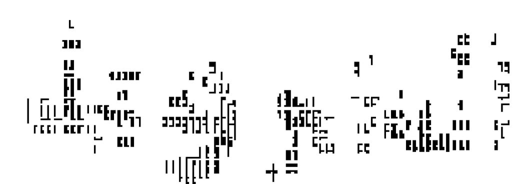
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

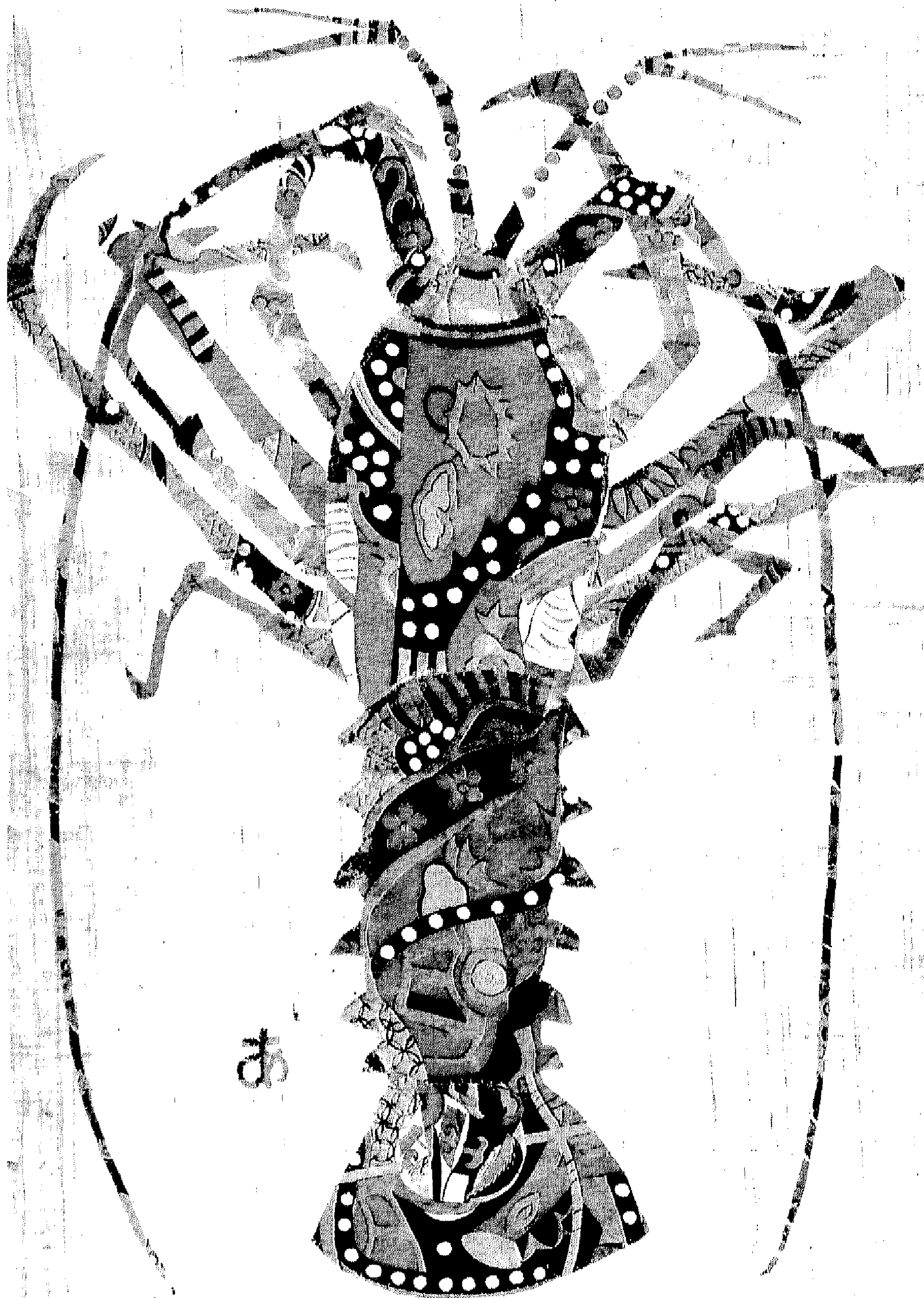
السدات: هناك نُكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.



- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٤٢٨، المتن الشمالي، لبنان.



"كركَنْد" للياباني أياكو مياواكي

اغسطس (آب) ١٩٨٦، ذو الحجة ١٤٠٦

المختار


من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest August 86 N° 93



(ص ٣٤)

نوب افريقيا: رد على التحدي

(ص ٢١)

كيف تشتري سيارة جديدة

(ص ١٨)



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠
التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE.
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630
P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.


MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

August 86 N° 93 (New Series) Vol 8

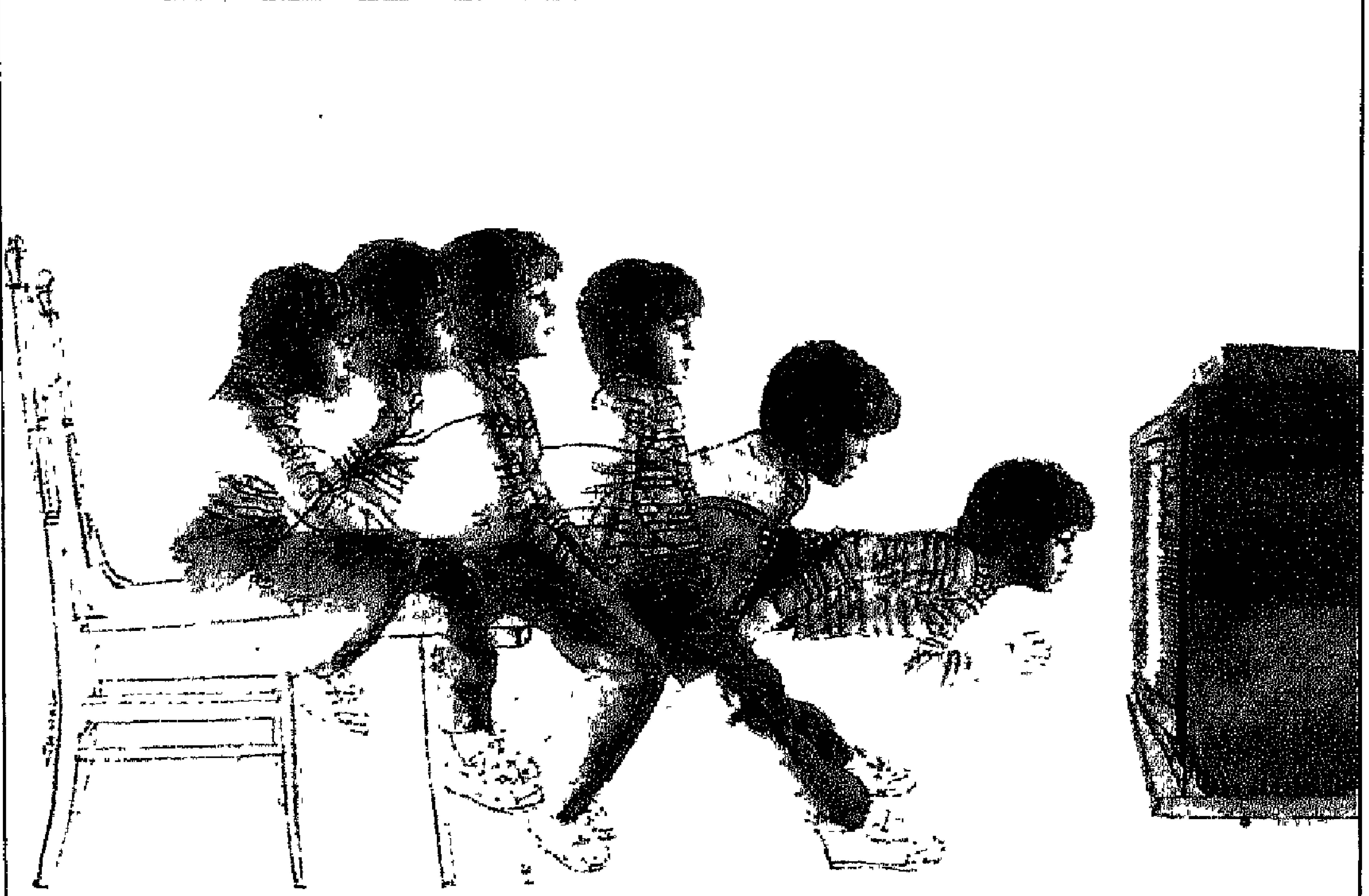
ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

لبنان ١٠ل – سورية ١٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٤ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٦٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د.



ارشادات الى الاهل لكي يجنبوا أولادهم ادماناً خطراً

أخرجوا التلفزيون من غرف الأطفال!

في السنوات الاخيرة أوجد انتشار التلفزيون، هموماً جديدة للوالدين. وعلى رغم تراكم الدلائل على الاضرار الناجمة عن ادمان الجلوس أمام هذا الجهاز ومعاينة برامجه جُزافاً من غير تمييز، فاننا نراه يزداد شعبية بين الاولاد.

لو كنتُ مسؤولا عن تربية ولد لما توانيتُ، كما يفعل اكثر الوالدين، في مراقبة البرامج التلفزيونية التي يحضرها. ذلك لاني صرفت خمس سنوات في درس عالم الاطفال المتغيّر ولاحظتُ أن الوقت الذي يمضونه امام التلفزيون أمر فاضح ومُشين، لأنه يعادل عدد الساعات التي يمضونها امام المعلم او

التلفـزيون والأطفـال

تتعاظم اهمية التلفزيون (او التلفاز) في العالم العربي مع تزايد الوعي الثقافي ونمو الحاجة الى وسائل الترفيه لدى البالغين والصغار على السواء.

ويقول الدكتور محمد الرميحي استاذ علم الاجتماع في جامعة الكويت: "لو سئلنا الآن ما هي اشكال ملابس الاسلاميين الاول وما هي ألوانها، فاننا سنجد أكثرية منا تصف تلك الملابس كما شاهدتها في حلقات تلفزيونية تحكي حكاية الدعوة الاولى."

ويُلاحظ ان ثمة ثلاثة عوامل تزيد من أهمية الاعلام الاذاعي والتلفزيوني في العالم العربي هي:

١. سعة أوقات الفراغ لدى المواطنين مما يجعل التعرض للاذاعة والتلفزيون أمراً سهلاً.

٢. قلة مجالات الترويح الاخرى وعدم شيوع ظاهرة ارتيادها.

٣. انتشار الأمية الذي يجعل التعرض للوسائل المطبوعة محدوداً.

ولعل ظروف تعميم الاتصال الالكتروني الذي انطلق في العالم العربي وبصفة موازية لبداية انتشار الثقافة المكتوبة وما واكبها من هياكل لصناعة الصحيفة والكتاب ورواجهما - هذه الظروف تجعل للتلفزيون العربي خصوصية تربوية تميزه عن التلفزيون في البلدان المنتجة لتكنولوجيا الاتصال والتي تسنى لها التعايش مع المكتوب والمسموع والمرئي. وهكذا فان التلفزيون العربي يدخل في صميم العملية التربوية.

وترى الآنسة روز غريّب الاستاذة سابقا في كلية بيروت الجامعية أن "التلفزيون لهوٌ مفرٍ، يسترخي فيه الولد أمام الشاشة. ولكن، هل هو يفهم ما يراه؟ وهل تثير البرامج تفكيره؟ وهل هي المعلمة. لو كنت أباً لأولاد دون الخامسة عشرة لما سمحتُ لهم باقتناء جهاز تلفزيوني في غُـرَفهم لأنه يُغـريهم بالجلوس أمامه على الدوام.

أنا لا أدعو الى التخلّي تماماً عن التلفزيون. هناك برامج تبهِج الاطفال ومن الواجب ارشادهم اليها. لكني أحذّر الأهل من إطلاق حرية أولادهم في مشاهدة أي برنامج كان، وذلك للأسباب الآتية:

١. أخاف أن يجعل منهم التلفزيون اولاداً فاقدي الذوق والرصانة، يحتقرون البالغين ويسيئون فيهم الظن.

لنذكر مثلا الاعلانات الموجهة الى الاطفال، التي يُخشى أن تحوّلهم مصادر إزعاج ومشاكسة للاهل. قرأتُ مرة عن مدير برامج للاولاد قال في موضوع "العمر المناسب للاعلان": "اذا أردتَ ترويج بضاعتك، اتخذ الولد معاوناً لك في البيع." لأنه لا يفتأ يلاحق والديه بالنق والالحاح حتى ينال منهما ما يريد.

الأولاد يصدّقون عادة كل ما يقوله لهم الكبار. ويخضعون خصوصاً لسحر الاكاذيب التي يرويها أرباب الدعايات في التلفزيون. فبين السن السابعة والعاشرة، بناء على تحقيق اجرته مجلة "هارفرد بيزنس ريفيو"، يبدأ شك الاولاد في ما يسمعونه من أخبار وأقاويل خاطئة أو مبالغ فيها. فاذا بلغوا الحادية عشرة أو الثانية عشرة أصبحوا قليلي الثقة بالناس شديدي السخرية والوقاحة.

وتفيد بعض الدراسات أن ما يشهده

مدروسة وصالحة للأطفال؟ وهل تستهدف التعليم أم الترفيه أم الاثنين معاً؟"

وتجيب: "برامج الأطفال في التلفزيون عندنا لا تزال تفتقر الى الغذاء الفكري والعنصر الترفيهي."

ولا يقتصر الأثر للتلفزيون العربي على الأطفال، بل يشمل الكبار كذلك. ولعل أخطر آثاره ناتج من كثافة المسلسلات والبرامج الأجنبية. وأظهرت دراسة أولية(★) أجراها المركز العربي لبحوث المستمعين والمشاهدين عام ١٩٨٣ في اشراف د. نواف عدوان ود. مصباح الخير ود. هادي نعمان الهيثي، انه على رغم كثافة المسلسلات الأجنبية في محطات التلفزة العربية فان أي بحث علمي لم يجر لتقويم هذه المسلسلات وتحديد الآثار المترتبة على عرضها. وأشارت الدراسة الى أن المسلسلات الأجنبية لا تلبي كل الحاجات المتوخاة بسبب اقتصار الكثير منها على عرض مواضيع تتميز بالاثارة او العنف او الاجرام دون كثير من جوانب الامتاع والثقافة الاخرى مما يستلزم الحذر والتدقيق من الهيئات التلفزيونية في دراسة هذه المسلسلات.

وتبدي غريّب ترحيبها بالتلفزيون "لهواً مفيداً اذا نجح في تحريك الفكر وصقل الذوق والأخلاق وراعى مستوى الأطفال وحاجاتهم ببرامج مدروسة مختارة - وهذه في الغالب قليلة - تشجعهم على مشاهدتها (...) وحبذا لو تعرض تلفزيوناتنا على صغارنا تاريخ بلادهم وجغرافيتها وفولكلورها وحياتها الاجتماعية الى جانب الرسوم المتحركة والأشرطة التي تشرح احوال الحيوان والنبات والاختراعات الحديثة."

نهلا رزق

(★) شملت الدراسة تلفزيونات سورية والعراق والسعودية والأردن والكويت ولبنان.

الاطفال في التلفزيون من مؤامرات ومكايد ونماذج من المحتالين المتلاعبين بالعقول، من شأنه ان يُضعف ثقتهم الغالية بوالدين يبذلون لهم العطف والاخلاص.

٣. أخاف ان يجعلهم ادمان حضور البرامج التلفزيونية جامدي الفكر محدودي الخيال.

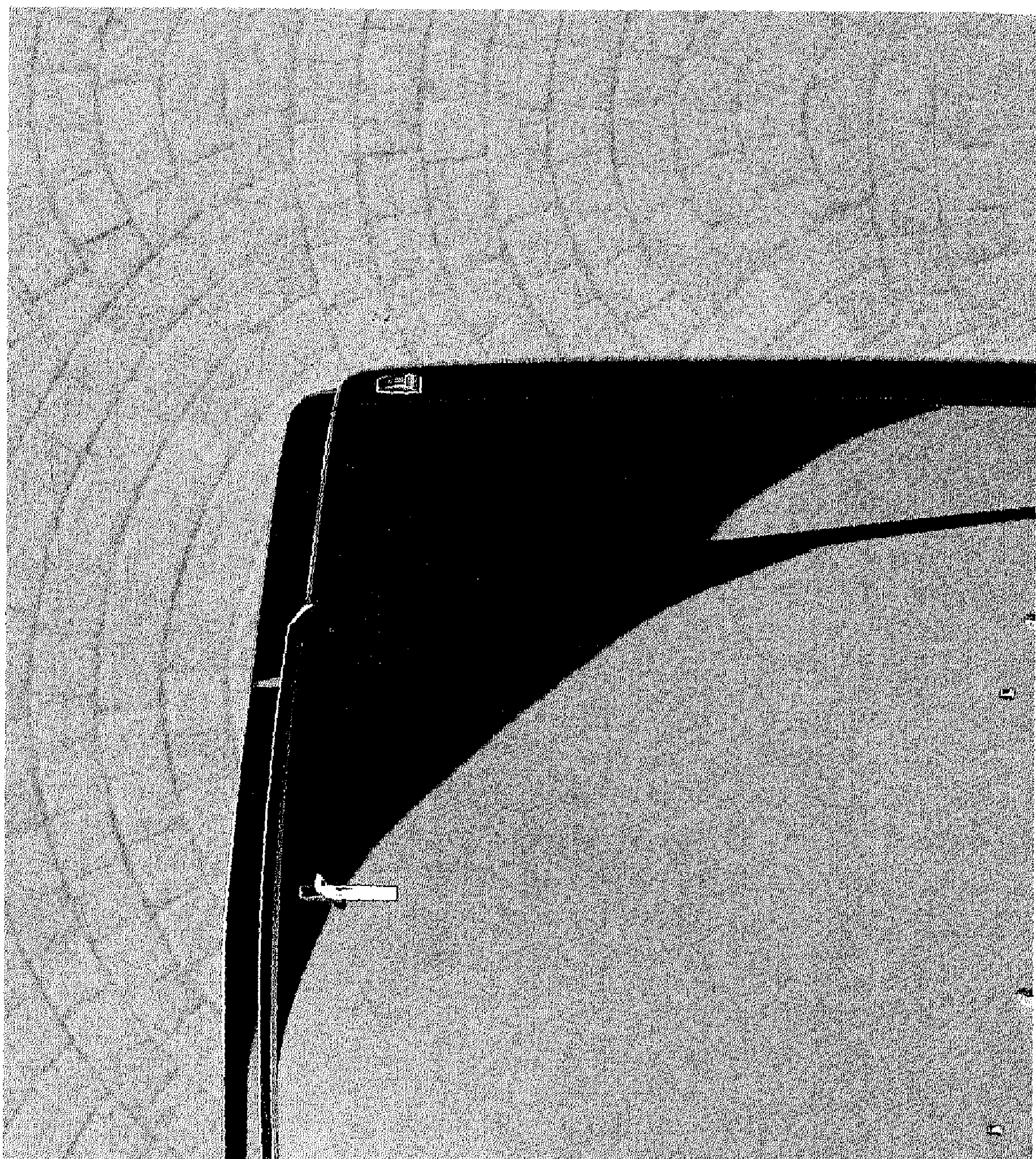
في مقابلة عنوانها "المُعضِلة الالكترونية" نشرت في مجلة "أطفال اليوم" أعلَنَ الكاتب وجود نوعين من الشبه بين إدمان التلفزيون وادمان المخدّرات: كلاهما ينقل صاحبه الى عالم خيالي، وكلاهما يحدث فيه حالة جمود وذهول.

ويلاحَظ عموماً أن مدمني التلفزيون يحصّلون في امتحانات القراءة علامات دون التي ينالها زملاؤهم الأقلّ مواظبة على الجلوس أمام الشاشة. فهل يدفعهم الادمان الى تقليل الاهتمام بوظائف الدرس البيتية؟ هل يحد من قدرتهم على المطالعة الحرة فيضعف ثقافتهم العامة؟

لا ريب في أن مصاحبة التلفزيون لمدة طويلة لا تثير الفكر كالمطالعة.

ومن مساوىء إدمان هذا اللهو أنه يحد من أوقات اللعب عند الولد، واللعب ضروري لنموّه لأنه يساهم في توسيع خياله وازالة قلقه، ويعطيه فرصة الاحتكاك بغيره من الاولاد فيزيد قدرته على التعبير والمناقشة ضمن حدود الالفة. وهذه مكاسب لا يستغني عنها الاولاد.

(التتمه في الصفحة ٨)



٣. حين ألاحظ في الاولاد علامات القلق والاضطراب أكاد أجزم بأن التلفزيون هو المسؤول.

الشاشة المتحركة تعطي صورة مضطربة للكون. هناك من يخافون أن يؤدّي الادمان الى إضعاف قوة الانتباه عند الولد. والى ذلك يصاب دماغه بالتعب الناشىء من استغراقه في دوَّامة العرْض. وقد لاحظ ت. بيري برازلتن، وهو طبيب أطفال شهير في كلية الطب بجامعة هارفرد، أن الاطفال دون الخامسة من العمر يظهرون علامات تعب اذا شاهدوا البرامج التلفزيونية أكثر من ساعة في اليوم.

أريد من التلفزيون الذي أحسبه عامل تأثير في أولادي، ان يكون قوة دافعة منشطة في حياتهم، كيف يتم ذلك؟ يتم أولا بإبعادهم عن البرامج المُهَيّجة، المثيرة لسوء الظن في الناس، التي تسخر من موظفي الدولة وحُماة القانون، والمشحونة باعلانات مُغرية للاطفال.

وكل اسبوع أراجع دليل البرامج بصحبة أولادي ونختار معاً تلك التي تبدو اكثر إمتاعاً وفائدة:

- برامج استكشاف وتَجارِب علمية ونحوها.
- برامج تحرّك الخيال.
- برامج تربنا جماعة من الاولاد والبالغين يشتركون في عمل أو وظيفة. إن عزل الصغار عن الكبار ظاهرة عصرية مقلقة.
- برامج تهتمُّ بمناقشة مشكلات النمو لدى الاولاد أو نحوها من مشكلات تهمّ الرأي العام. ونلاحظ هنا أن البرامج الاخبارية تتيح لاولاد هذا الجيل أن يفهموا العالم أكثر مما فهمه أولاد الجيل الماضي.

بعد مراجعة البرامج المعروضة نقوم معاً، أنا والاولاد، بوضع لائحة بالبرامج المختارة. فاذا كانوا تلاميذ دون الرابعة عشرة، سمحت لهم باختيار عشر ساعات مبرمجة من اللائحة، ساعة كل يوم، ابتداء بالاثنين وانتهاء بالخميس، وساعتين أيام الجمعة والسبت والاحد. أما اذا كانوا في سن ما قبل المدرسة، فلا أسمح لهم باكثر من ساعة في اليوم. واذا ألحّ أحدهم على مشاهدة برنامج من ساعتين في يوم دراسي، فانه يحرم برنامج الليلة التالية.

في سن مُبكرة، في الرابعة مثلا، يستطيع الاولاد أن يتعلموا التمييز بين الاعلانات التجارية والبرامج العادية. فأشرح لهم الغاية من الاعلانات، وألاحظ واياهم ما فيها من مبالغة وتمويه.

"كما يكون الاهل يكون الاولاد." كلنا نعرف صحة هذا المثل. ولو كنتُ أباً لأطفال اليوم لما استرخيتُ ساعات أمام الجهاز السحري الذي ندعوه التلفزيون، بل لفضلت تمضية وقتي في المطالعة وتحسين البيئة التي أعيش فيها، وخصوصاً في مُلاعَبَة أولادي.

فانس باكار ■

قلة الاحتشام تولد قلة الاحترام، وتولّد... الأولاد أيضاً. مارك توين



أخبار العلم

رصد الطقس

وجد ايلمار رايتر عالم الاحوال الجوية في جامعة كولورادو، أن في الامكان توقع سقوط المطر قبل أشهر بقياس حرارة التراب على عمق مئة سنتيمتر. واكتشف رايتر تلك الطريقة خلال رحلة له الى مرتفعات التيبت الصينية. وهناك وجد أن تراب الشتاء الدافىء يشير الى سقوط المطر في الربيع، وأن التراب البارد يعني مقداراً أقل من الامطار الربيعية.

وفسّر رايتر الأمر بقوله ان التراب الدافىء يعطي الحرارة التي ترتفع الى الجوّ وتقوّي التيارات الهوائية التي تولّد المطر. أما التراب البارد فيولّد أثراً عكسياً.

وفي الولايات المتحدة اليوم نحو ثلاثين محطة تعتمد هذه الطريقة لأهداف زراعية.

مجلة "المختار العلمي"

حياة خارج الأرض؟

"كثير من العلماء اليوم يعتقد أن ثمّة حياةً خارج الأرض. وربّما كانت هناك مئات بل ألوف الحضارات." هذا الكلام لأحد الباحثين في وكالة الطيران والفضاء الأمريكية (ناسا) وهو برنارد أوليفر الذي يعمل في مجال الحياة اللاأرضيّة. ومما يقوله:

□ يضيف هؤلاء العلماء ان الشواهد تتراكم على أنّ العناصر الرئيسية للحياة موجودة في أمكنة أخرى من الكون. وقد اكتشف سيريل بونامبيرونا، مدير مختبر التطور الكيميائي في جامعة ماريلاند الأمريكية، العناصر الخمسة الرئيسية التي تتكون منها الجينات البشرية في أحد النيازك الساقطة من الفضاء.

□ المعلومات التي أرسلتها مركبتا الفضاء "فوياجر - ١" و"فوياجر - ٢" حملت العلماء على الافتراض ان الماء الضروري لاحياء نباتات من خلية واحدة موجود تحت طبقة جليدية على القمر "أوروبا" التابع لكوكب المشتري.

ويستعدّ العلماء لاستمداد معلومات مستمرة من الفضاء الخارجي تشمل آلاف النجوم، وذلك باستخدام آلات تعتمد ذبذبات لاسلكيّة جديدة. ويؤمل أن تكون هذه الذبذبات أقوى مليون مرّة من سابقتها، بحيث تستطيع الأدمغة الالكترونية التقاط أدنى اشارة لعقول مفكرة خارج العالم.

"أخبار الولايات المتحدة والعالم"



٣٩_١٣٦٩_٨٢
٣٩_٧٤٠٧_٨٠
الكلاسيكية المعاصرة
سيتيزن
CITIZEN

المختار
من ريدرز دايجست
اغسطس (آب) ١٩٨٦ — السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة نوفر لكم متعة دائمة

كارثة "تشالنجر"
الدرس كان قاسيًا



تعددت حوادث انفجار المركبات الفضائية هذه السنة. فمن انفجار المكوك الامريكي "تشالنجر" في ٢٨ يناير (كانون الثاني) بعد دقيقة و١٤ ثانية من إطلاقه، الى انفجار صاروخ "تيتان" الجبار في ابريل (نيسان)، فالى انفجار صاروخ "دلتا" في مايو (أيار)، فالى انفجار الصاروخ الاوروبي "آريان" بعد قليل من اطلاقه من مركز كورو الفضائي في غيانا الفرنسية. هنا صحافي أمريكي شهد إطلاق "تشالنجر" وانفجاره، يتأمل الاخطاء التي سبقت الحادث ويدعو وكالات الفضاء الى التعلم من الكارثة.

Illustrations: John Solie

شاطىء كوكوا، فلوريدا: ست ساعات وثماني دقائق قبل موعد الاطلاق، والعد العكسي مستمر.

خرجت الى شرفة غرفتي في الفندق فلفحني الهواء القارس على نحو لم أعهده سابقاً في تغطياتي الصحافية لاحدى عشرة طلعة للمكوك الفضائي. كانت الساعة تشير الى الرابعة والدقيقة الخمسين من صباح الثلثاء في ٢٨ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦، وهو اليوم الثالث أجر نفسي ناهضاً من سريري في دغشة ما قبل الفجر استعداداً لاطلاق "تشالنجر" في رحلته الخامسة والعشرين.

وكان ارجاء الاطلاق مرتين أثار في نفسي نفاد صبر أخذ في التنامي. وساورتني خشية من ان يؤدي الطقس البارد الى تأجيل آخر لرحلة "معلمة في الفضاء".

ولنفاد صبري آنذاك سبب خاص. فلو جرت الامور بحسب ما خططت له وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) للعام ١٩٨٦ فان صحافياً أمريكياً سيطير على متن المكوك في شهر سبتمبر (أيلول). وقد تقدمت مع كثيرين من زملائي لاكون ذلك الصحافي، وأي تأجيل آخر لاطلاق "تشالنجر" ربما أدى الى ارجاء "رحلتي" أو الغائها. كنت متلهفاً لاصبح مؤرخ تلك الرحلة.

تلفحت بردائي وأنا أحدق الى الظلمة في اتجاه ذلك المنحنى القاتم الذي يمثل "رأس كانافرال". واذا كان للمكوك ان ينطلق في ذلك الصباح فيجب أن أتمكن من رؤية الانوار الكاشفة الساطعة التي تنير منصة الاطلاق. وفجأة لاح لي ذلك الهرم الساطع من النور على بعد ٣٢ كيلومتراً شمالا. وهتفت في نفسي: والله انهم مصممون على الاطلاق! وهذه كلمات يعبر بها الصحافيون عن التفاؤل بما تستطيع "ناسا" تحقيقه.

[illegible] الخطر — مركز كينيدي الفضائي: ساعتان و٢٧ دقيقة قبل موعد الاطلاق، والعد العكسي مستمر.

كنت دائماً أسعد برؤية الساعة الكبرى المخصصة للرحلات في الصباح للاطلاق. فتلك الساعة الرقمية تنتصب على مرتفع الاطلاق منذ طلعات "أبولو" وكأنها جزء من ذلك الاقدام المفعم بالثقة. فبرنامج "ناسا" الفضائي منفتح ومشاهدته متاحة لكل الناس، واذ تعلن الوكالة تاريخ الاطلاق والموعد المحدد بالثانية فكأنها تقول انها تستطيع تحقيق ما تنويه في الموعد المحدد مهما حدث.

قد نكون نحن الامريكيين مغرورين ومتسرعين، لكننا سعينا دائماً الى ارتياد أقصى الحدود الطبيعية والفكرية لهذا الكون. وتلك الساعة النابضة بصمت في العد العكسي كانت تأكيداً لهذه الروح الرائدة. وبرنامجنا الفضائي الذي حفزه هذا المكوك الحديث كان يبشر بقيادة بلادنا الى نهضة علمية وتجارية اخرى.

في السابعة والدقيقة الثامنة والاربعين شاهدت "خروج رواد الفضاء". كان بجانبي صحافي يافع من مسقط رأس المعلمة كريستا ماكوليف، راح يتأمل طاقم "تشالنجر" المؤلف من سبعة رواد وهم يخرجون من مهاجعهم مزهوين ببذلاتهم الفضائية الزرقاء.



وهمس: "بعد كل هذه المضايقات، ترى هل هم خائفون؟"

كنت أعلم أن كل فرد في الطاقم واجه الخطر بطريقته الخاصة: ديك سكوبي ومايك سميث خاضا غمار الحرب في فيتنام وسلمًا. واليسون أونيزوكا خدم في سلاح الجو طياراً يجرب الطائرات الجديدة. ودرجة الدكتوراه في الفيزياء التي نالها رون ماكنير من معهد مساتشوستس للتكنولوجيا أوحت اليه أفكاراً غير مطمئنة في شؤون مثل "الخلل البنيوي". وجودي رسنيك، على غرار أونيزوكا وماكنير والقائد سكوبي، دارت حول الارض من قبل وتقبلت المخاطر التي تتلازم مع كل رحلة في الفضاء الخارجي. وغريغ جارفيس كان مهندساً فضائياً

أدرك أن جهازاً معقداً مثل "تشالنجر" معرض للاصابة بعطل في احوال كوارثية. أما كريستا ماكوليف فواجهت رحلتها الاولى كما واجهت الحياة، بعينين صافيتين متفتحتين.

عودة طارئة – تسع دقائق قبل موعد الاطلاق، والعد العكسي مستمر.

على رغم الريح القارسة غادرنا ملجأنا في القبة المخصصة للصحافة وتوجهنا الى المنصة الكبرى. كانت الساعة تشير الى الحادية عشرة والنصف وقد تأخر الاطلاق ساعتين عن موعده. ولكن في الدقيقة التاسعة السابقة للاطلاق عاودت "ناسا" العد العكسي، وبدا أنها واثقة من أن أي مشكلة يسببها الليل المصقع "لا تؤثر في الرحلة."

ففيما كان الصحافيون حولي يرتجفون من لفح الهواء بلغ العد العكسي ٩ ثوانٍ... ٨... ٧... ٦.. ودار المحرك الرئيسي واشتعل صاروخا الدفع وانطلقت المركبة.

ارتفع "تشالنجر" في السماء الزرقاء الصافية. وكما يحدث دائما في عمليات الاطلاق شعرت كأني داخل تلك المركبة الانيقة اللاهبة.

بدا صعود المركبة طبيعياً لنظري المجرد. وأتم المكوك مناورة الدوران واستمر في صعوده. ولكن عندئذ بدا الذيل البخاري المنبعث من الصاروخ يومض ويغشى. وأمسكت منظاري وصوبته الى الجسم المتوهج في البعد. فبان لي كأن صاروخ الدفع الايمن ينفصل وينسلخ مبتعداً في دوامة من الدخان. وألقيت نظرة خاطفة على ساعة الاطلاق: كانت تشير الى دقيقة واحدة و١٧ ثانية من التصعيد، أي نحو دقيقة كاملة قبل موعد الانفصال.

وارتفع صوت مذيع في الراديو: «RTLS! RTLS!» وهو تعبير يعني "عودة طارئة الى منصة الاطلاق." وسألني الصحافي الواقف بجانبي: "ماذا يجري؟" فصحت به: "انهم عائدون!" وتعثرت وأنا أهبط درجات السلم الخشبية المهتزة. لكن ساقيّ جمدتا حين سمعت صوت ستيف نسبيت المتحدث باسم مركز المراقبة في هيوستن: "لدينا خبر من ضابط مسار الرحلة يقول ان المركبة الفضائية انفجرت."

رفعت بصري ثانية الى تلك السحابة فاذا بها منتفخة في شكل قطعة سجق غبراء قذرة. ورأيت قطعتين كبيرتين من صاروخي الدفع تنطلقان في خطين متقوسين متوازيين وكأنهما حصانان مجفلان ينطلقان على غير هدى.

ارتميت في أول مقعد وجدته وأنا لا أقوى على الحراك. وتمتمت: "فقدنا تشالنجر... لترقد أرواح رواده في سلام."

وسأل أحدهم: "أين هم الآن؟"

فصرخت به: "لقد ماتوا!" وتملكني شعور بالخوف والاسى أعقبه احساس بالحيـ ه وأخيراً استبد بي الغضب... غضب انصب على نفاد صبري وعلينا جميعاً نحن الذين توقعنا أن تكون رحلات المكوك الفضائي – وهو أكثر الاجهزة التقنية التي صنعها الانسان تعقيداً – مجرد رحلات عادية مثل تمثيليات مسرحية في سيرك وليست أحداثاً زاخرة

بالاخطار في اجرأ استكشافاتنا الفضائية.

تسرع وارتياب – منذ ذلك الصباح من شهر يناير (كانون الثاني) استخدمت عبارة "كارثة وطنية" على نطاق واسع. ولكن ما معنى هذه العبارة حقا؟ حين كنت مدرساً اعتدت أن أحاضر حول ما دعاه أرسطوطاليس "العنصر الحاسم في المأساة" وهو ان الاشخاص ذوي الطبيعة الجريئة المجازفة يقعون في "خطأ فاجع". وهذا الخطأ يتناول عادة التصرفات "الصحيحة" التي يبنونها على المعرفة الناقصة.

في أوائل الستينات ألزم قادتنا هذه الامة استكشاف الفضاء. وفي الثمانينات جاء المكوك الفضائي ليكون مركبة هذه الريادة وأصبح بالنسبة الينا طائر الفينيق، فرفع كبرياءنا الوطنية من رماد الهزيمة العسكرية في فيتنام والصراع السياسي في فضيحة ووترغيت. كان المكوك حلم كل فرد، ولكن بعد انفجار "تشالنجر" اتضح لنا ان استكشافنا الجريء خاطىء على نحو فاجع.

وخلال الفترة المضطربة التي أعقبت حرب فيتنام وفضيحة ووترغيت حاولنا أن نصنع أكثر الآلات تعقيداً بأرخص الاثمان. فجاء التصميم منطوياً على خطأ منذ البداية تقريباً. فصمم صاروخ الوقود بحيث يسقط في المحيط ويستخدم ثانية. وحُرمت المركبة المدارية من المحركات التي تسمح لها بالهبوط كطائرة نفاثة عادية، وكانت تلك نية فريق التصميم الاصلي. وعلى نقيض مشروع "أبولو" الجريء مُوِّل تطوير المكوك الفضائي وأدير على نحو شاذ. كما أعلن أن المكوك أصبح "جاهزاً تماماً للعمل" في مرحلة مبكرة جداً من أجل أن يبدأ تسديد نفقاته. ووضعت خطط لطلعات تجارية على أساس جدول زمني منتظم. وبدا أن هذا الجدول غير الواقعي يزداد طموحاً مع كل موازنة تقدمها "ناسا".

وكما جاء في المعلومات الصحافية التي كانت تسربها وكالة الفضاء، أضحى بلوغ حدود الفضاء الخارجي عملية "روتينية". فقد انطلقت تلك المركبات التي يبلغ وزنها ٢٢٥٠ طناً ٢٤ مرة من فوق هذه الكثبان الرملية في رأس كانافرال وعادت بسلام الى الارض. ولم يزعج أحد نفسه فيأخذ في الاعتبار خلال هذه الطلعات "الناجحة" الحوادث التي كادت أن تكون كارثية، كالمحركات التي أوشكت أن تنفجر قبل الانطلاق ووقف العملية في الثانية الاخيرة على منصة الاطلاق وتعطل الادمغة الالكترونية في المدار.

ثقة عمياء – كنا متسرعين ومعتزين بالمنظر المذهل للمركبة الفضائية وهي ترتفع بذيلها الناري، وبرواد الفضاء وهم يرقصون في الفراغ المغمور بأشعة الشمس ويستعيدون الاقمار الاصطناعية المعطلة ويصلحونها.

وكان المسؤولون في "ناسا" يعبرون سراً عن شكوك ساورتهم حول مدى أهلية المكوك ويستنكرون ألاعيب دائرة العلاقات العامة الساعية الى الدعاية

الذاتية، كاعلان تنظيم رحلات "ريادية ممتعة" لرؤساء اللجان في الكونغرس الامريكي وللضيوف الاجانب ذوي النفوذ ومشروعي "معلمة في الفضاء" و"صحافي في الفضاء".

وفي الثامن والعشرين من يناير (كانون الثاني) مضت "ناسا" في عملية اطلاق "تشالنجر" على رغم اشارات الخطر. وحذرتها الهيئة الاستشارية للسلامة في الفضاء تكراراً من أن ارهاق طواقم العمل يمس بكفايتها في قاعات التجميع ومنصات الاطلاق. وشكت الهيئة من أن برنامج "ناسا" أخذ يظهر "انحيازاً قوياً مستمراً" الى تحسين اداء المكوك لمصلحة الزبائن الذين يدفعون بدلا من الاهتمام بتحسين كفاية الجهاز المعقد. وقدم أحد المحللين في "ناسا" مذكرة عام ١٩٨٥ حذر فيها من عطل "كارثي" في احدى وصلات صاروخ الدفع. وكانت برزت مشاكل في الحلقات المطاطية التي تحكم اغلاق هذه الوصلات الحيوية خلال الطلعات السابقة.

لكن قيادة "ناسا" التي طغت عليها عقلية "المقدرة على عمل أي شيء،" لم تلتفت الى هذه التحذيرات. وأخيراً تقرر اطلاق المكوك على رغم تحذيرات المهندسين العاملين في شركتي "مورتون تيوكول" و"روكويل انترناشونال" المتعهدتين الرئيسيتين لمشروع المكوك، من أن أحوال البرد والصقيع القياسيين في ليلة ٢٧/٢٨ يناير (كانون الثاني) قد تعرض الطلعة للخطر.

وفي اعادة نظر الآن يبدو شبه واضح أن "ناسا" كانت تمط القواعد المشدودة لسلامة الاطلاق بغية مواصلة تنفيذ برنامجها المثقل هذه السنة.

قليلون منا في وسائل الاعلام كانوا يدركون هذه المشاكل في ذلك الحين. ولكن حتى ان علمنا بها لكنّا انجرفنا مع نفاد صبرنا وتسرعنا للاطلاق على غرار ما فعلت وكالة الفضاء الامريكية؟ أترانا كنا معصومين من الثقة العمياء والغرور؟

الرحلات الريادية – المأساة الحقيقية تعلم الناس دروساً أدبية ومعنوية. ففي الدراما المأسوية تدرُّج من الايمان الاعمى الى المعرفة، والمشاهد يتعلم من الكوارث التي يواجهها الابطال الذين يمثلون على المسرح. هكذا علينا أن نتعلم من كارثة "تشالنجر".

اننا في حاجة الى برنامج فضائي. ولا يسعنا أن ننكفىء عن تلك الحدود أو نتخلى عن مستقبل التكنولوجيا العالية نتيجة اخفاق واحد. ولكن علينا أن نتعلم الصبر. ينبغي الا "نعجِّل" من دون وعي للتقيد بجدول مواعيد غير واقعي وألا نرضخ لضغوط رجال العلاقات العامة الذين يتجاوزون الادراك السليم. فمن أجل استثمار الفضاء ينبغي أن نوازن بين الحذر والجرأة ونحل الحكمة مكان التهور. ولا يجوز في أي حال أن نتنازل عن تراثنا الريادي.

سفن كريستوفر كولومبوس انطلقت نحو الحدود المخيفة للعالم الجديد ثم آبت الى موطنها تحمل شحنات من الاكتشافات. والظفر الريادي لكولومبوس لم يأته من دون ثمن. فهو انطلق بثلاث

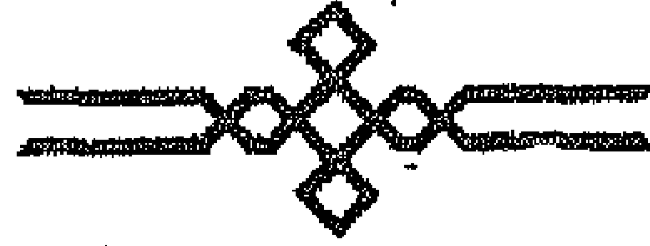
سفن: "نينيا" و"بنتا" و"سانتا ماريا"، عادت اثنتان منها فقط.

النهضة التي قامت قبل ٥٠٠ سنة تطلبت اندفاعا مغامراً. وخلال أسفار الاستكشاف الغربية العظمى كان المستكشفون في الشرق الاقصى منكفئين على أنفسهم. فالصينيون الذين نعموا يوماً بأكثر الحضارات تقدماً في العالم تخلوا عما كان يحتمل أن يغدو نصيبهم الاعظم. انتظروا لكي تأتي السفن الكبرى اليهم وتجمدوا.

نحن في الغرب لم نكن من الذين ينتظرون. وكثير من روّادنا، مثل فاسكو دا غاما وفرديناند ماجلان وفرنسيس دريك وجيمس كوك قضوا في تلك الاسفار. وأفادت حضارتنا كثيراً من مغامراتهم.

بُعيد وقوع الحادث ولجت مبنى تجميع المركبات الفضائية في مركز كينيدي الفضائي. ورأيت عمالا شباناً في سراويل جينز وبعضهم في ملابس بيضاء يعملون في صيانة المكوك الفضائي "ديسكافري". حدّقت الى ساعة الاطلاق وأدركت أن غداً عكسياً آخر سيبدأ ذات يوم وسنرى مركبة فضائية أخرى تصعد في الفضاء. وسنراقبها بشعور أرهف كسبناه من درس قاس.

مالكوم ماكونيل ■



كرسي الكتابة

الكاتب المسرحي ديفيد ماميت، رابح جائزة بوليتزر الادبية، يدأب على الكتابة يومياً. واذا لم يكن موضوعه مسرحية فقد يكون بحثاً أو مقالة أو رسالة.

وهو كتب مرة: "فكرة أن يصبح المرء كاتباً أفضل أو أشهر أو أغنى، كانت السبب في انهيار كتاب كثيرين. أنا لا آمل أن أصبح واحداً من هؤلاء. فوضعي يشبه وضع رجل يصنع الكراسي: الكرسي شيء يمكنني أن أصنعه وأجيد صنعه. واذا واظبت تحسن عملي تدريجاً. غير أن المهم ليس أن أصبح صانع كراس أكثر براعة، بل المهم هو الكرسي نفسه. أنا لا أتحسن، بل الكرسي هو الذي يتحسن.

ص.ف.

متعة لم تُستحق

ترك شاب عائلته ليعيش وحده. وبعد ثمانية أشهر جاء أمه يشكو من أن دخله يكاد لا يكفي سد حاجاته فلا يبقى له شيء للمتعة.

فقالت الام بحزم: "ينبغي أن يسدد الرجل ما يتوجب عليه قبل أن يستحق المتعة."

وفكر الشاب هنيهة ثم قال: "جربت ذلك حين قبضت راتبي يا أمي. وما يضايقني هو أني لم أستحق غسل ملابسي هذا الاسبوع."

د.ب.

قبل أن تشتريَ سَــيّارة جَديدة...



وكلاء بيع السيارات لا يتساهلون، لكن ثمة مرونة في السعر أكثر مما تظن

تخيّل هذا الموقف: أنت جالس في مكتب لبيع السيارات. يطرح عليك الوكيل سعراً، فتسأله: "هل هذا أفضل عرض لديك؟" فيسألك بدوره: "ما هو المطلوب لنعقد صفقة؟"

أنت الآن في موقف حرج. واذا كنت في بداية بحثك وتفكر في زيارة معارض أخرى للسيارات، والوكيل يعرف ذلك، فقد يعرض عليك سعراً منخفضاً لكي تعود اليه. لكن هذا السعر "المنخفض" قد يتلاشى في زيارتك الثانية. اما اذا كنت لا تزال تستكشف أسعار السيارات وأجبت بعرض سعر سارع هو الى التقاطه، فستنقم على نفسك لأنك ربما دفعت أكثر مما ينبغي.

أهلا بك في نادي شراء السيارات الجديدة.

ان شراء سيارة جديدة ينبغي أن يكون أحد المباهج الصغيرة في الحياة، لكنه قد يتحول ازعاجاً ممضاً. وخوفك لا يتعلق بالسعر الباهظ الذي دفعته بمقدار ما هو خوف من أن تكون دفعت أكثر من زبون آخر. غير أن الفرق بين صفقة جيدة وصفقة سيئة قد يعني مئات الدولارات أو أكثر اذا كنت تشتري سيارة فخمة أو سيارة يصعب الحصول عليها.

لذلك اليك بعض قواعد هذه اللعبة التي يمكن أن تحفظ لك كبرياءك ومالك.

• قبل أن تبدأ البحث قرّر ماذا تريد: النوع والحجم والضمانات وطريقة الدفع. جرب عدداً من السيارات وتحدث في شأنها مع أصدقائك واستشر المنشورات المتخصصة بهذا المجال.

• كوّن فكرة عمّا ستكلفك هـذه السيارة. ثمة كتيبات تحدّد أسعار البيع

بالجملة والضمانات وطرق الدفع. انتق الخيارات التي ترغب فيها وأعد لائحة بها على ورقة. بعد ذلك أحسب كم يجدر بك أن تدفع زيادة على سعر البيع بالجملة.

اذا كانت السيارة من طراز رائج فقد يصر الوكيل على التزام السعر المعلن أو على سعر قريب منه. فاذا لم تشتر تلك السيارة فثمة من يشتريها سواك. واذا كان النوع والطراز نادرين فقد يعمد الوكيل الى رفع السعر. وقد يضيف بطاقة سعر ثانية تبين زوائد وخدمات تدر عليه ربحاً وافراً. فهذه "الزوائد" - مثل طلي السيارة بموانع الصدأ ووضع أغطية اضافية للارضية - قد تكون زوائد لا تحتاج اليها ولا تريدها بذلك السعر المرتفع.

تذكر أن الوكلاء يمكنهم أن يضيفوا أي مبلغ يشاؤون الى ثمن السيارة. ومستوردو السيارات يرغبون في البيع مع الزوائد.

لا تدفع التكاليف الاضافية الا اذا كانت تلك هي السيارة التي تريدها.

● ابحث عن سيارتك المطلوبة لدى ثلاثة وكلاء على الاقل، وافحص الطراز الذي ترغب في شرائه. تذكر ان الوكلاء في المناطق ذات الاسعار المرتفعة يطلبون أسعاراً عالية كذلك، والوكلاء الكبار يعرضون أسعاراً أدنى من الوكلاء الصغار. فاذا كان الثمن لدى الوكيل الذي يبيع بكميات كبيرة أقل من الثمن لدى صديقك الوكيل المحلي، صارح الصديق وبيّن له الفرق بين السعرين. فربما اقترب هو من ذلك الرقم. ولا بد من أن الوكلاء القدامى يحسنون العمل، ولهذا السبب ما زالوا يعملون في تلك التجارة.

والى ذلك فان الازعاج من اجراء اعمال الصيانة لدى وكيل بعيد عن منطقة سكنك قد يرجح على أي توفير يقدمه ذلك الوكيل. كما أن سمعة دائرة الصيانة لدى الوكيل ينبغي أن تؤخذ في الحسبان.

تذكر أيضاً أن الوكلاء لا يقدمون شيئاً من دون مقابل. انهم يجنون بعض الربح من مكان ما، مثل الحسم الذي تمنحه الشركة لوكيل البيع. ثم هناك "الاحتياط" وهو العملة التي يتقاضاها الوكيل في مقابل تمويله الصفقة. وهذه تساوي بضع مئات أخرى من الدولارات. لذلك في وسع الوكيل أن يبيع سيارة بثمن يبدو وكأنه سعر المبيع بالجملة ويحقق مع ذلك بعض الربح.

● ابحث عن العروض الخاصة. من حين الى آخر يقدم صانعو السيارات عروضاً بأسعار خاصة لزيادة مبيعاتهم، أو يقدمون مكيّف هواء مجاناً او علبة تروس اوتوماتيكية.

● ادرس الزوائد. قد يحاول البائع إقناعك بشراء سيارة قد يكون فيها من وسائل الراحة اكثر مما تطلب. وقد تراوح كلفة هذه الوسائل بين ٢٥ و٣٠ في المئة من الاسعار المعلنة في كثير من السيارات. ليس من ضير في كثير منها طبعاً. ولكن هل أنت راغب حقاً في دفع ثمن جهاز راديو من النوع الذي تتحرك ابرته آليا بحثاً عن المحطات، أو ثمن فتحة في السقف أو كراس تتحرك في ستة اتجاهات؟

لا تتسرع في الشراء. يقول أحد حماة المستهلكين: "اخرج من الوكالة اذا شعرت انك تتعرض لضغط قوي يحملك

على اتخاذ قرار سريع، أو اذا تبين لك أن ثمة تحولا في العملية، كأن يعرض عليك البائع سعراً ثم يقول ان المدير رفض الموافقة عليه."

● ابحث في اماكن عدة عن التمويل. ان المصارف تحاول ان تسترد هذه التجارة من الشركات التي تمول صناعة السيارات ولذا تخفض معدلات فوائدها. قد توفر مقداراً أكبر من المال اذا حصلت على قرض جيد مما لو ساومت على سعر السيارة ذاتها.

● احصل على تقدير صحيح لقيمة سيارتك القديمة. راقب الاعلانات المبوبة في الصحف. فمن المحتمل أن يعرض عليك الوكيل سعراً أقل من الذي قد تحصل عليه اذا بعت سيارتك من دون وسيط. ولكن اذا كان ذلك يجشمك مشقة كبيرة، اتفق مع الوكيل على سعر السيارة الجديدة قبل مساومته بابدال سيارتك القديمة.

● بعد أن تشتري السيارة الجديدة لا تسأل أحداً يملك مثلها عن الثمن الذي دفعه في شرائها. فقد يزعم أنه دفع أقل مما تكلف فعلا، وليس من شأن ذلك سوى اشعارك بالغبن.

جيري فلينت ■



زبون أخضر

في زيارته الاولى لمتجر البقالة رأى المتسوق غير المجرب رجلا يقف أمام واجهة الخضر ويرفع كل صندوق فيتفحصه ويقلبه ثم يهزه. وتاق الى تعلم أسلوب جديد في شراء الخضر، فتقدم من الرجل وسأله هل يتكرم بكشف سر هذا التصرف الغريب. فأجاب الرجل: "ليس في الامر سر، اني أبحث عن مفاتيح سيارتي."

ا.ن.

أيام شكسبير

هل تعرف أن شكسبير لو عاش في زماننا لما أتيح له أن يكتب رواية "هاملت"؟ لانه كان سينشغل بالتجوال في محطات الاذاعة والتلفزيون لترويج روايته "روميو وجولييت".

الطفل والجيلاتي

قال الطفل: "أريد قرناً من الجيلاتي."
فسألته أمه: "ماذا ينبغي أن تضيف بعد هذه الجملة؟"
أجاب: "الآن!"

سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا
عزلت السود عن البيض ورسخت الحقد بينهم
وتسببت في حوادث دامية.
لكن أولئك السيدات الشجاعات أقمن جسوراً بين العرقين
وحملن راية الاصلاح واحلال العدل

سَيّداتُ «الوشاح الأسْوَد»

في ٢٠ يوليو (تموز) ١٩٨٥ توافد عشرات آلاف السود من أنحاء جنوب افريقيا الى ملعب ترابي لكرة القدم في بلدة كرادوك شرق منطقة الكيب لدفن أربعة زعماء سود عثر عليهم مقتولين.

وكان الغبار يتصاعد مُدوِّماً فيما المحتشدون يتمايلون على وقع أناشيد الحرية. وراح كثيرون يتهمون الزّمر المؤيدة للحكومة بارتكاب هذه الجرائم. وبدا الهواء مثقلا بالغضب. واعترى الذهول المحتشدين عندما رأوا ١٤ امرأة بيضاء في خريف العمر يمشين في الملعب ببطء ويقفن صامتات مع النائحين. فتوقفت الأناشيد ودوى التصفيق والهتاف: "تعيش منظمة الوشاح الاسود!"(١)

أولئك الاربع عشرة كن أعضاء في مجموعة نسائية ناضلت بعناد طوال ٣١ سنة لتحرير جنوب افريقيا من سياسة التمييز العنصري. فساعدن السود على الاهتداء الى طريق سالكة وسط متاهة القوانين التي تكبلهم، وعملن على تعقب موظفي الحكومة ورجال الشرطة والكشف عن المظالم التي يرتكبونها والعذاب الذي يتسببون فيه والاحتجاج المستمر على ما يفعلونه.

ويقول الاسقف ديسموند توتو الفائز بجائزة نوبل للسلام: "إن هؤلاء النساء اللواتي يتمتعن بشجاعة خارقة عرضن حياتهن للخطر منذ سنوات وأظهرن للسود أن هناك بيضاً يأبهون لهم."

(١) Black Sash

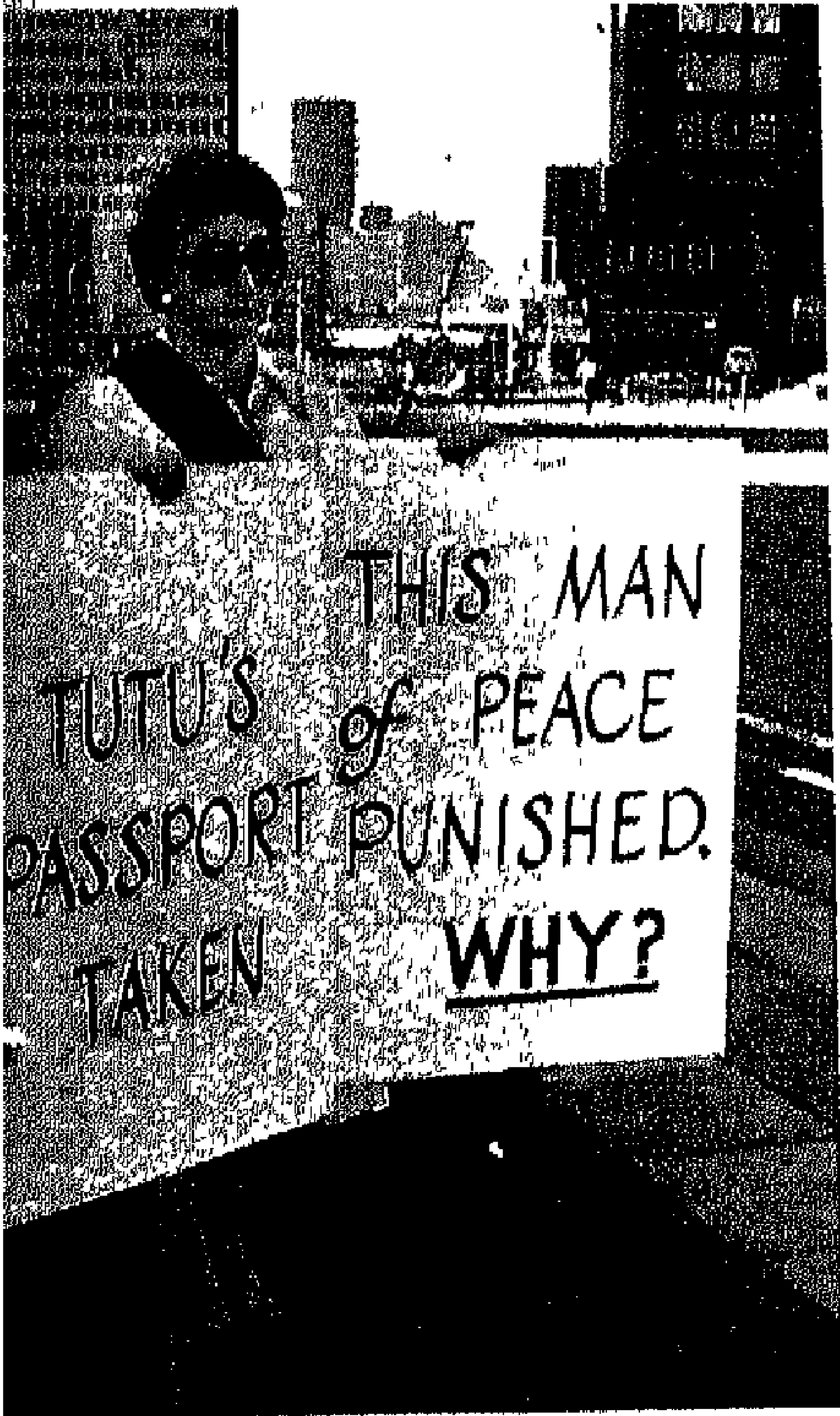
وفي العام ١٩٨٤ طلب ما يزيد على ٣٦ ألف أسود المساعدة من مكاتب الارشاد التابعة لمنظمة "الوشاح الاسود" في المدن الثماني الرئيسية في جنوب أفريقيا. وبين هؤلاء ١٥ ألفاً في جوهانسبورغ وحدها. وبات مألوفاً أن يشاهد المرء في جميع أيام الاسبوع أعداداً كبيرة من الناس جالسين على أرائك وكراس منتظرين بصبر أن يشرحوا مشكلاتهم لمرشدات الوشاح الاسود.

احدى هؤلاء المرشدات بولاه رولنيك (٦٠ عاماً) جلست في مكتب صغير "تخربش" حانقة في دفتر. ثم دخلت جورجينا مهلانغا، وهي امرأة حسناء في الثلاثينات، حاملة ملفاً ضخماً. وسبق لجورجينا ان أتت الى المكان في أثناء كفاحها لتثبت أنها ولدت في جوهانسبورغ وأن لها الحق في العيش هناك. وهي مثل كثيرين من السود لا تملك وثيقة ولادة. وتشرح رولنيك الامر: "إنها مشكلة ضخمة. فمعظم الذين يقاربون جورجينا في العمر ولدوا في المنازل ولم يكن أحد حاضراً عند ولادتهم سوى أفراد الأسرة."

ولادة المنظمة — ليس في وسع جورجينا، من دون وثيقة ولادة، أن تتقدم بطلب للحصول على تذكرة الهوية التي تعطى لمواطني جنوب افريقيا السود الذين يزيد عمرهم على ١٦ عاماً. واذا هي لم تحصل على هذه الوثيقة الرسمية فلا يسعها العيش أو العمل على نحو قانوني في المدينة التي ولدت فيها. وكلما ضُبطت سُجنت فترة تراوح بين سبعة أيام وثلاثين يوماً. وتمكنت جورجينا باشراف منظمة "الوشاح الاسود" من جمع عدد من



فوق: سكان ماغوبا عادوا الى الصلاة في المقبرة القديمة. الى اليسار: متظاهرة وحيدة في جادة جان سموتس.



Photos: The Star, Johannesburg

الرسائل كتبها أشخاص يعرفونها منذ عهد بعيد، ومن بينهم رجل دين ومعلمون وموظفون.

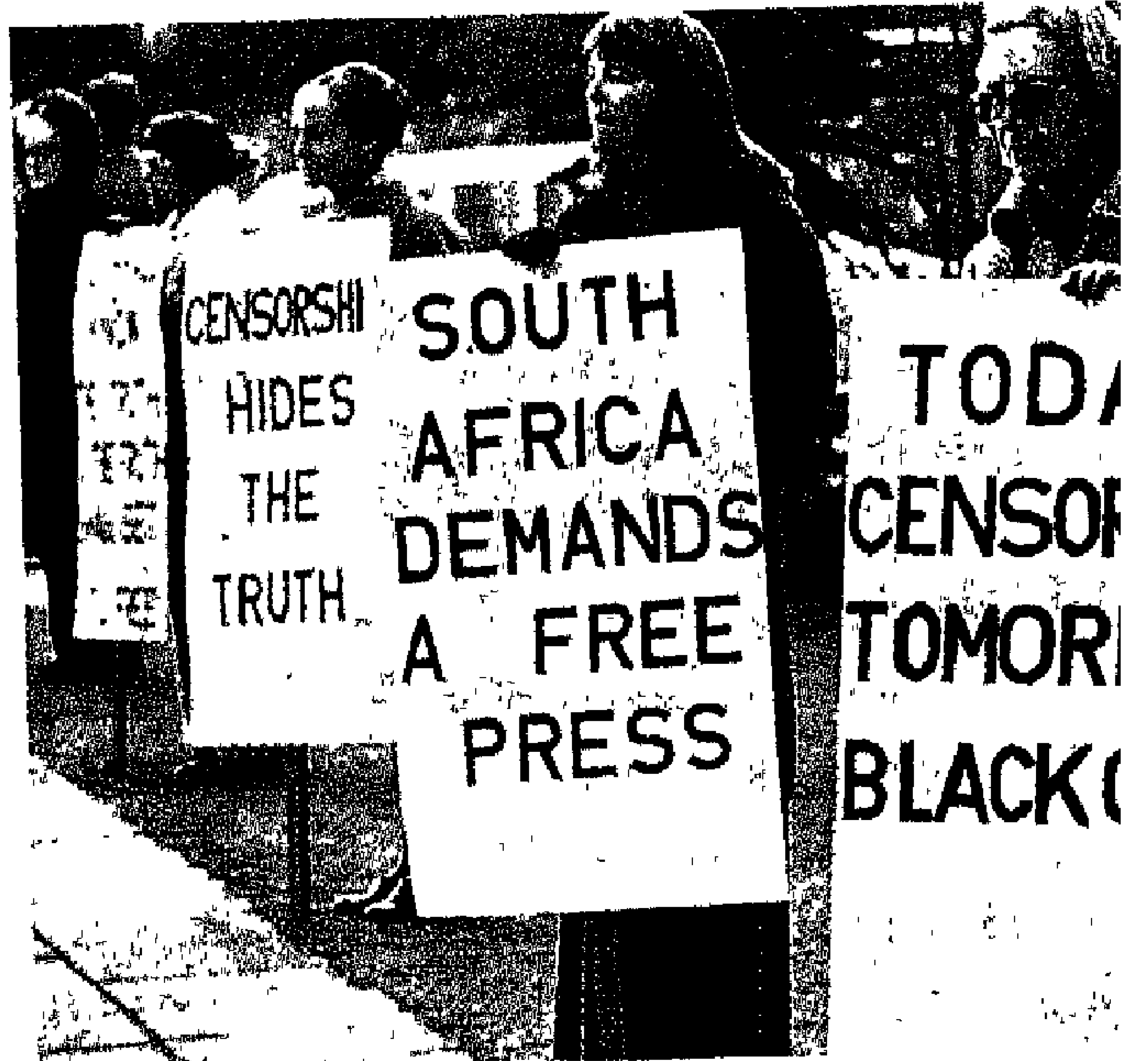
وتقول رولنيك "إن مجرد البرهان على أن للناس حقوقاً يوفر علينا كثيراً من المشقة." ولجورجينا أخ يتمتع بالحقوق المدنية، وهذا عنصر مساعد. وهي ستكتب الى السلطة المعنية طالبة الوثيقة الرسمية استناداً الى المعلومات التي جمعتها. فهل تحصل عليها؟ تقول رولنيك: "إن هذا ممكن اذا حالفها الحظ."

ويقع بيت رولنيك في الضاحية الشمالية الغنية، وهو لا يبعد كثيراً عن البيت الذي ولدت فيه منظمة الوشاح الاسود. فقبل ثلاثين سنة التقت ست سيدات موسرات لتناول الشاي. ودار الحديث عن محاولات الحكومة تجريد "الملوّنين" من حق الانتخاب بعدما تمتعوا به ما يزيد على مئة سنة. واستبدّ بهنّ الغضب كما استبدّ بكثير من مواطني جنوب افريقيا الناطقين الانكليزية، إلا أنهن، بخلاف كثيرين سواهنّ، عزمن على جبه هذا الأمر.



تحت: السيدة جين سنكلير احدى مؤسسات المنظمة. أسفل اليمين: سيدات "الوشاح الاسود" في تظاهرة ضد تعديل قانون الصحافة عام ١٩٧٤. الى اليمين: شينا دونكان رئيسة المنظمة.





وفي غضون ساعة كنّ اتصلن هاتفياً بعشرات من أصدقائهن ومعارفهن ونظّمن اجتماعاً عاماً. وفي ٢٥ مايو (أيار) ١٩٥٥ شوهد أكثر من ألفي امرأة يمشين بصمت خلف فتاة تقرع الطبل عبر شوارع جوهانسبورغ ووجهتهن دار البلدية. ونشأت من هذه المسيرة حملة وطنية. وأطلقت النساء على حركتهن اسم "الرابطة النسائية للدفاع عن الدستور" وكتبن عريضتين وطنيتين. وخلال عشرة أيام حصلن على مئة ألف توقيع هي كلها تواقيع نساء.

على أن الحكومة لم تغيّر موقفها. ولم تعترف أعضاء الرابطة بالهزيمة. فتوشحن بالاسود "حداداً على الدستور" واعتصمن مدة ٤٨ ساعة في مبنى الاتحاد الحكومي في العاصمة بريتوريا ونمن في البرد القارس أمام الصرح الضخم. وترك هذا العمل أثراً كبيراً في الناس وهتف لهنّ ألوف المواطنين عندما اجتمعن اليوم التالي في دار البلدية في جوهانسبورغ. ودعت الصحافة هذه المنظمة "الوشاح الاسود" وهي لا تزال تعرف بهذا الاسم.

مكاتب استشارية - دفعت حماسة الجمهور النساء الى اعتماد سبل في الاحتجاج جديدة. فبتنا نرى نساء صامتات، على أكتافهن اليمنى وشاحات سود، يتبعن الوزراء ويتعقبنهم في محطات القطار والمطارات وقاعات الاجتماعات.

وفي فجر ٩ فبراير (شباط) ١٩٥٦ بدأت ٦٠ سيارة مزخرفة بشعارات الوشاح الاسود "رحلة الاحتجاج الكبرى" الى البرلمان في الكيب، قاطعة مسافة ١٦٠٠ كيلومتر. وغادرت قوافل مماثلة المدن في ترانسفال الشمالية والشرقية. وتلاقت نساء من أنحاء جنوب افريقيا على الطريق الرئيسية عبر كارو المجدبة التي تبدو لامتناهية.

ولدى وصول القافلة الى كيب تاون كانت انضمت اليها ثلاثمئة سيارة. واصطفّ ألوف الناس في الشوارع مهللين وملوحين بالمناديل ورامين قبعاتهم في الفضاء. ولم يكن مواطنو جنوب أفريقيا رأوا احتجاجاً مماثلا. وتقول جين سنكلير (٧٧ عاماً) احدى مؤسسات الجمعية: "لقد كنا على مقدار كبير من السذاجة إذ ظننا أننا سنتسبّب في سقوط الحكومة."

إلّا أن هذه التظاهرات لم تؤد الى أي تغيير. وفي ٢٨ فبراير (شباط) أقرّ مشروع القانون الذي يحرم الملونين حق التصويت. وهكذا ربحت الحكومة المعركة وأثر عن أحد الوزراء قوله ساخراً: "حسناً، إن هذا يضع حداً لحركات أولئك النائحات."

والحق أن معظم الناس توقعوا عزوف أولئك النساء عن متابعة عملهن والرجوع الى منازلهن المريحة. وفي السنتين التاليتين صحّ هذا التوقع بالنسبة الى كثيرات منهن. غير أن الألف اللواتي بقين كن يتحلين بالصلابة، وكانت كثيرات منهن يدركن خطورة القضايا الأخلاقية والسياسية الكبيرة التي ستترك مجتمعهن في نهاية الأمر ممزقاً بالعنف ومعزولا عن المجتمع العالمي.

واتبعت هؤلاء النساء أسلوباً جديداً، لكنّ عزيمتهنّ لم تهنْ. وأتيحت لهنّ

الفرصة عام ١٩٦٠ عندما ضاعفت الحكومة سياسة "ضبط الدفق"(٢) التي تتضمن مجموعة من القوانين لا تزال تمنع حرية الحركة عن ثلاثة أرباع سكان جنوب أفريقيا. وتحت وطأة هذه القوانين بلغ عدد السود الذين قبض عليهم أو غُرّموا أو سجنوا ٣،٥ ملايين. وشرعت سيدات الوشاح الاسود في إقامة مكاتب استشارية دائمة لمساعدة السود وارشادهم، تحفزهن على ذلك تجربة رفيقة لهن في كيب تاون كانت تدبر كفالات مالية للنساء اللواتي يقعن ضحايا سياسة ضبط الدفق.

حق البقاء - نويل روب زوجة خبير مالي شهير في كيب تاون وأم لخمسة أولاد. وهي في أواسط العقد الرابع من عمرها. تولت إدارة مكتب الارشاد في المدينة وسرعان ما أدركت تعقيدات القوانين خيراً من "البرلمانيين" الذين أقرّوها. وهي اليوم في الثانية والسبعين وتؤدي عملها الاستشاري أربعة أيام أسبوعياً في بيت متداع قرب محطة السكة الحديد في موبراي. وتراها تتحرك برشاقة عبر أكوام الملفات والأثاث البالي مصغية الى عدد لا يحصى من القصص الحزينة ومعينة أصحابها على اجتياز متاهة القوانين المناهضة لهم.

وتبدو في عينيها أمارات الغضب عند سماعها قصة رجل طرد من شركة كبري في كيب تاون من دون أن ينال معاش تقاعد على رغم خدمته في الشركة مدة ثلاثين سنة. فتعمد الى الاتصال هاتفياً بمدير الشركة وتسأله بصوت من لا يطيق سماع الهراء: "لماذا؟" فيعرض المدير معاشاً بسيطاً ويتحقق نصر طفيف لا تجد السيدة روب وقتاً لتذوق طعمه لأن هناك أكثر من عشرة أشخاص آخرين ينتظرون مساعدتها.

وترى شينا دونكان، رئيسة منظمة الوشاح الاسود، أن المكاتب الاستشارية أفلحت في حل المشكلات القانونية بالنسبة الى ستة في المئة فقط من الذين طلبوا المساعدة. وواحد في المئة فقط من هؤلاء يحالون على محامي الحقوق المدنية الذين كثيراً ما يربحون قضاياهم في المحكمة. اما الخمسة في المئة الآخرون فيحالون على مراكز أخرى كالنقابات والمحاكم الصناعية والعيادات. وتعمل منظمة الوشاح الاسود على مساعدة كثير من الناس بالاصغاء العطوف الى مشكلاتهم وبإرشادهم الى سبل الكفاح لنيل حقوقهم. ولا ريب في أن القضايا التي ناضلت مكاتب الارشاد التابعة للمنظمة في سبيلها قد حسّنت حياة عشرات الآلاف وليس فقط حياة المئات من الناس.

وفي بداية ١٩٨٠ شرعت منظمة الوشاح الاسود في معالجة قضية مهلولو توم ريكهوتو، وهو عامل تعاقد مع شركة "جرمينستون" الهندسية ما يزيد على عشر سنين. وكانت الشركة تجدد له العقد سنوياً. ولكن عندما تقدم ريكهوتو بطلب للحصول على إقامة دائمة قال له موظفو الحكومة إنه غير مؤهل لذلك إذ يعوزه شرط "العمل المستمر" مدة عشر سنين.

على أن المحكمة العليا قررت أن

(٢) Influx control

ريكهوتو يستحق الحصول على إقامة دائمة. وبات هذا القرار أهمّ ما أصدرته المحكمة لمصلحة السود منذ وصول حزب الوطنيين الى السلطة. ويقدّر المحامون أن نحو ستين ألف أسود كسبوا حق البقاء في المدن نتيجة لهذا القرار.

تأجيل التنفيذ – انتقد بعض السود المتطرفين سيدات الوشاح الاسود "لعملهن ضمن النظام" و"تمويه" سياسة التمييز العنصري بالمساهمة في جعلها سائغة للسود. غير أن هناك آخرين يرفضون هذا الكلام. ويقول الدكتور نثاتو موتلانو وهو عضو في لجنة سويتو العشرية ومن قادة المناهضين للتمييز العنصري: "أنا معجب بالعمل الذي تنجزه مكاتب الارشاد. فعلى رغم كونها لا تثير أي ضجة فانها تقدم خدمات جليلة." أما ايلين كوزوايو، وهي كاتبة تنتمي الى سويتو وتعدّ من قادة المجتمع، فتقول ببساطة: "لقد كانت منظمة الوشاح الاسود ملجأ الألوف من أبناء قومي، فلنشكر الله على وجود أولئك النساء."

والحق أن جزءاً كبيراً من امكانات الوشاح الاسود بُذل في الكشف عن الثمن الانساني لسياسة "الاوطان" التي تجتث ٣،٥ ملايين أسود من المجتمعات القائمة وتجردهم من حقهم كمواطنين في جنوب أفريقيا وتحكم عليهم بالبقاء في "ولايات وطنية" كثيراً ما تكون أراضي قاحلة مهملة.

وقبل سنتين واجه سكان قرية ماغوبا الواقعة في منطقة ترانسفال الغربية مصيراً مماثلا. ففي العام ١٩١١ اشترت القبيلة المحلية الأرض وأنمتها من دون مساعدة خارجية في السنوات السبعين اللاحقة. وبنى أهل القرية مدرسة ابتدائية وأخرى ثانوية وحفروا آباراً وأقاموا طواحين هوائية وأتقنوا زراعة الأرض فبلغت وفرة محصولها حداً مكّنهم على نحو مستمر من بيع فائض كبير إلى تعاونية المزارعين المحليين. إلا أن هذه الجماعة المسالمة المستقرة بدت في نظر الحكومة "بقعة سوداء" أي ارضاً يملكها السود في منطقة احتفظت بها للبيض!

وعام ١٩٨٢ طُلب من سكان القرية الانتقال الى باشسدراي، وهو موقع طُوّر قرب ولاية بوبهوتاتسوانا الوطنية. وفي ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٨٣ راحت جرافات الحكومة تقعقع داخل ماغوبا وتهدم المدرستين والمنازل ومضخات الماء. غير أن معظم السكان رفضوا الانتقال فأمهلتهم الحكومة أسبوعين لإخلاء الارض. وتمكنت منظمة الوشاح الاسود من الحصول على تأييد ديبلوماسي وصحافي وقانوني لجبه الحكومة وطلبت من المحكمة العليا إصدار حكم عاجل بايقاف الانتقال. وعشية انتهاء المهلة المحددة اعتصم مؤيدو الوشاح الاسود وامضوا الليل كله في ماغوبا. وفي اليوم التالي انتظروا ومعهم مراسلو التلفزيون والصحف، لكن شيئاً لم يحدث إذ أصدرت المحكمة قراراً بتأجيل تنفيذ الحكم.

وظن سكان ماغوبا أن المعركة انتهت فجمعوا مبلغ ٢٠٠٠ رند (نحو ٥٠ دولاراً) وبدأوا اعادة بناء المدرستين. وبعد بضعة أشهر عاد رجال الشرطة الثلاثمئة

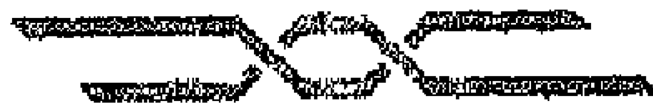
بسلاحهم وحمّلوا الناس والمقتنيات الى باشسدراي ولم يعد لقرية ماغوبا وجود.

وأصاب الذهول سيدات الوشاح الاسود. لقد خسرن المعركة، الا انهن لفتن العالم بأسره الى محنة هؤلاء القرويين فاضطررن الحكومة الى اعادة النظر في سياستها الاسكانية. وأثمرت ضغوطهن عام ١٩٨٥ فأعلنت الحكومة قراراً يقضي بتأجيل نقل السكان ريثما تنتهي من الدراسات الخاصة بتغيير سياستها هذه. وسيكون للتأجيل أثر في كثير من "البقع السوداء" التي يتجاوز عددها المئتين وكانت الحكومة قررت نقلها. ومن سوء الحظ أن الحكومة لم تلتزم قرار التأجيل وأكملت بهدوء عمليات نقل السكان في المناطق التي لا تصل اليها ضجة الصحافة.

وقبل مدة قصيرة في إحدى زوايا جادة جان سموتس في جوهانسبورغ وقفت رئيسة منظمة الوشاح الاسود شينا دونكان وحيدة غير هيّابة وهي تحمل لافتة احتجاج على موت القائد العمالي اندريز راديتسيلا في معتقله. وكان قانون الأمن الداخلي حظر عام ١٩٨٣ أي تظاهرة تضمّ أكثر من شخص واحد، لذلك كثيراً ما تقف سيدات الوشاح الاسود وحيدات. غير أن هناك رابطاً قوياً يجمع بينهن هو سخطهن على الظلم. وفي هذا تقول جين سنكلير إن ما أمّن استمرار منظمة الوشاح الاسود ثلاثين سنة هو الحنق، "فأنا أذهب للنوم غضبى واستيقظ غضبى. فالغضب يملأنا جميعاً."

وها هي المنظمة تدخل عقدها الرابع في زمن استبدّ به القلق على نحو لم يسبق له مثيل. ومع ذلك فإن شينا دونكان التي تتحلى بإيمان عميق لا تزال تجد أملا وسط الغضب. فهي تحسّ أن في الجو أخيراً ملامح تغيير حقيقي، "فالأزمة الاقتصادية والاضطراب المدني ولّدا في نفوس البيض خوفاً من المستقبل. لكنّ هناك كثيرين يتطلعون الى بداية جديدة ولا يعلمون من أين يبدأون." وهذا يعني وجود فرص جديدة للتأثير في الأحداث وتوجيهها نحو الأفضل. وتضيف دونكان: "ونحن لدينا النيّة التامة لتحقيق ذلك."

فيكتوريا باتلر ■



مفهوم الاجماع

قالت رئيسة وزراء بريطانيا السيدة مارغريت تاتشر في خطاب لها في ملبورن (أوستراليا):

"الاجماع هو المفهوم الذي نلوذ به حين نعجز عن الاتفاق. وهو عملية تقتضي التخلّي عن جميع العقائد والمبادىء والقيم والمخططات سعياً الى موقف لا يؤمن به أحد، كما لا يعترض أحد عليه. انه عملية اجتناب المسائل التي ينبغي حلّها لعجزنا عن الاتفاق على حل لها."

ا.ش.

«اغفِري له

قضى ابنهما في حادث سيارة





في الساعة ١٠،٤٠ من مساء الخميس الواقع فيه ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢، تلقّت اليزابيث موريس (٣٧ عاماً آنذاك) وزوجها فرانك (٤١ عاماً) اتصالا هاتفياً في بيتهما في بيدي بولاية كنتاكي. وكانا ينتظران ابنهما الوحيد تيد (١٨ عاماً) الذي يعمل في مخزن للآلات الموسيقية خلال عطلة الاعياد.

وسمعت اليزابيث صوت امرأة على الطرف الآخر: "هنا مركز جيني ستيوارت الطبي. نحن في حاجة الى إذن منكم لمعالجة ابنكم الذي أصيب في حادث."

بدت الكيلومترات الخمسة والعشرون الفاصلة بين المنزل والمستشفى كأنها لن تنتهي. وانحنى الوالدان فوق تيد لكنه كان في غيبوبة تامة. وبعدما عمل الأطباء كل ما في وسعهم نُقل في سيارة اسعاف الى مستشفى في ناشفيل القريبة من حدود الولاية. فربما استطاع جرّاحو الأعصاب هناك تقديم المساعدة. ولكن أعلنت وفاة تيد في الثانية والثلث من صباح يوم الميلاد.

Illustration: Nicole Dunay

يـا أمي!»

أرادا أن يلقى قاتله ذاك المصير

وأخبر رجال الشرطة آل موريس أن تيد لم يكن قادراً على تجنّب الحادث. لقد انحرفت سيارة عن خط الوسط وصدمت مقدم سيارته. وأصيب سائق السيارة الصادمة تومي بيكاج (٢٤ عاماً) بجرح بالغ في جبينه وكانت تفوح منه رائحة الكحول. وأظهر تحليل دمه مستوى من الكحول بلغ ٠،٢٨ أي نحو ثلاثة أضعاف المستوى المسموح به. ووجّهت الى بيكاج تهمة القتل وأطلق بكفالة قيمتها ١٠ آلاف دولار.

وفي الجلسة التي عقدتها المحكمة بتاريخ ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣ علم آل موريس أن بيكاج تناول الكحول حتى الثمالة ليلة الحادث بعدما انتهى من عمله في مستودع للتبغ.

ولم يكن بيكاج يذكر شيئاً عن الحادث. وعندما أُخبر أنه تسبّب في وفاة رجل أخفى وجهه في حضن أمّه وأجهش بالبكاء وهتف: "ربّاه، لماذا لم أكن أنا بدلا منه؟" ولكن في المحكمة دفعته غريزة البقاء الى التملص من المسؤولية فأعلن براءته من تهمة القتل.

واضطربت اليزابيث كأنها تلقت صفعة وفكرت: "أيزعم أنه بريء؟ أيدّعي أن اللوم يقع على تيد؟ تومي بيكاج هو الذي ينبغي أن يكون تحت التراب."

وعندما خرجت من المحكمة نظرت الى زوجها بغضب وقالت له: "اذا صادفت تومي بيكاج يمشي على رصيف الشارع، فسوف أدهسه بسيارتي."

فأجاب فرانك: "هذا لن يؤدي الى نتيجة." فهو كان يفضّل أن يحاكم بيكاج ويثبت جرمه ويلقى عقابه بواسطة القانون. أمّا اليزابيث فكانت تريحها صورة بيكاج في الكرسي الكهربائي. وقالت بكآبة: "اني مستعدة لادارة المفتاح الكهربائي بكل سرور."

المنبوذ – كانت اليزابيث تزداد كراهية وحزناً على مرّ الأسابيع. وبعدما كانت امرأة مرحة أصبحت منطوية على نفسها تقضي ساعات في غرفة ابنها تذرف الدمع على وسادته.

وفي فترة يأس راودت اليزابيث فكرة الانتحار. فرفعت مسدساً محشواً وصوبته الى رأسها، لكنها اسقطته وبكت بخجل.

أمّا والدا بيكاج فأقنعاه بالانضمام الى برنامج لتأهيل مدمني الكحول مدته ٣٠ يوماً، وبقي أسبوعين من دون كحول، لكنه كان يعيش حال ندم شديد.. وبغية التخفيف من آلامه تجرع كأساً من الجعة واتبعها بأخرى. وسرعان ما عاد الى تناول الكحول كل ليلة أملا بالنوم. وفي طريقه الى العمل كان يمشي مطرقاً تجنباً لنظرات الناس، فالجميع احتقروه كما احتقر هو نفسه.

وفي فبراير (شباط) ابدلت هيئة محلّفين تهمة القتل المتعمد بالقتل غير المتعمد. وبعد ذلك أجّلت المحكمة تكراراً النظر في القضية.

وكلما طال الانتظار زاد عذاب اليزابيث من جرّاء تمنياتها موت بيكاج. ووجدت عزاءها الوحيد في حملة لكتابة رسائل مع أولياء آخرين هدفها معارضة المعاملة المتساهلة التي يلقاها السائقون السكارى في محاكم كنتاكي حيث العقاب متروك لتقدير المحلفين.

وانضم آل موريس الى عضوية "جمعية الامهات المناهضات للقيادة في حالة السكر." وكانت الجمعية تعمل جاهدة من أجل اقرار قوانين مناسبة. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٤ اعتمدت قوانين جديدة في هذا الشأن، منها ما يقضي بسجن السائق الثمل لدى التسبب في جرح إنسان.

كلمات مذهلة – لم يصدر حكم في القضية إلاّ في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤ اي بعد ٢١ شهراً من الحادث. فقد دين بيكاج بالجرم مما خفّف من سورة اليزابيث، ولكن لم يؤخذ بطلب الادعاء القاضي بسجنه لمدة عشر سنين، وحكم القاضي إدوين وايت بدل ذلك بأن يقضي بيكاج يومين في سجن الولاية في نهاية كل أسبوعين لمدة سنتين.

والتقى والدا تيد وغيرهما من أعضاء جمعية الامهات القاضي وايت بعيد اصدار الحكم وطالبوه بتشدّد أكثر في العقوبة. كذلك طالبوا باخضاع بيكاج لفحص خاص كلما حضر الى السجن للتأكد من عدم تناوله الكحول، وطالبوا ايضاً بان يشارك في برامج الجمعية التي تقدم في المدارس.

وعدّل القاضي وايت العقوبة لتصبح عشر سنين مع وقف التنفيذ، على أن يؤخذ بجميع توصيات جمعية الامهات وأعلن أن أي انتهاك للعقوبة سيؤدي الى سجن بيكاج.

وكانت روز جفكوت وبات صديقة اليزابيث ونائبة رئيسة الجمعية أحبّت تيد موريس كابن لها وشاركت والدته في قلقها لعدم ارسال بيكاج الى سجن الولاية. لكنها أعدت له عقاباً تنفذه بنفسها: سيظهر بيكاج للمرة الاولى في ٥ ديسمبر (كانون الاول) في المدرسة التي تخرّج فيها تيد في كاديز بكنتاكي.

ذهبت اليزابيث الى المدرسة متوقعة أن ترى الارتباك بادياً على وجه بيكاج. وظهرت صورة تيد على شاشة العرض في الوقت الذي كانت وبات تعيد الى الاذهان الحدث المروع الذي وقع قبل نحو سنتين. بعدئذٍ وقف بيكاج وخاطب ألف تلميذ بخجل وبصوت خافت ومتردد.

بدأ بيكاج كلامه: "أنا قتلت تيد موريس، وهو حدث لن أستطيع التغلب عليه. لا أذكر شيئاً عن الحادث لأنني كنت ثملا وأنا اقود سيارتي. انها غلطتي. ففي صباح اليوم التالي توفي تيد. لم أعرف ماذا أفعل. تيد ابن وحيد وقد توفي لأنني كنت ثملا خلف عجلة القيادة."

كانت إليزابيث تتوقع سماع أعذار وليس اعترافاً صريحاً. وبعدما قرأ بيكاج عقوبته بصوت عال أضاف: "انه حكم مخفّف جداً. كان ينبغي سجني لكن الحظ أسعفني، وما من شيء يستطيع أن يغير الحياة التي سأعيشها منذ اليوم."

عندما أنهى بيكاج كلامه وانصرف التلاميذ بهدوء من مبنى الألعاب الرياضية، اقتربت اليزابيث من قاتل

وحيدها. وعرفها، وكان القلق بادياً عليه بوضوح. وخاطبته: "لا تخف يا تومي. لن أصفعك لأنني قدرت عن حق ما قلته بعدما اعترفت بذلك. وهذا ما يريحني."

رأت إليزابيث الدموع تنهمر من عيني تومي. واقتربت منه لتهوّن عليه لكنها أجفلت، فقد كانت تفوح منه رائحة الكحول. وعندما واجهته بتلك الحقيقة تذرع بأنه تناول دواء. لكن اليزابيث استدعت شرطياً من البهو وطلبت منه اجراء فحص نَفَس. لكن الشرطي رفض تنفيذ الطلب لأن لا مبرّر له.

عقاب خفيف – واجهت اليزابيث تومي خارج منزله في الليلة التالية وسألته: "لماذا كذبت عليّ؟"

فأجابها بصراحة: "لم أرد الذهاب الى السجن."

وعلى رغم أن رائحة الكحول كانت تفوح منه آنذاك أيضاً، شعرت اليزابيث بوجوب البقاء والتكلم معه. وبعدما طرحت عليه بلطف جملة أسئلة أفضى اليها تومي بهمومه. كان مدمناً الكحول منذ السادسة عشرة من عمره، وزاد من ادمانه الاسى الذي سبّبه لعائلته وأصدقائه، وما استطاع تحمل العار وهو في حالة صحو.

وبينما كان تومي يتكلم ظهرت على وجهه علامات البهجة. فهو شعر بأن اليزابيث مهتمة لما يقول، فوعدها بأن يكلم روز ويات ويعتذر اليها لتناوله الكحول قبل القاء كلمته.

وبعد يومين توجه تومي الى السجن لقضاء نهاية الاسبوع فيه. ونفخ في كيس فحص النَفَس. وجاءت النتيجة ٠،١٢ وهو الحد الفاصل بين السكر والصحو، لذا أمر القاضي وايت باستبقائه في السجن.

ويوم الاثنين اتصل ضابط السجن ستيف تريبل بآل موريس وقال: "ان الشاب شعر بأنه لم يلق العقاب الذي يستحقه فاراد أن يعتقل من جديد.

وسألت اليزابيث الضابط: "هل تومي في السجن منذ نهار السبت؟ وهل زاره أحد؟"

فأجابها: "لا."

وراود اليزابيث أن تومي في عزلته تلك سيستمر في تناول الكحول وربما أدى ذلك الى جريمة أخرى. وهكذا يذهب موت تيد عبثاً. ان تومي في حاجة ماسة الى مساعدة بمقدار ما تحتاج هي الى ابن ترعاه. وأخبرت تريبل أنها تريد زيارة تومي في السجن.

شعرت اليزابيث برهبة وهي تدخل السجن، لكنها رأت تومي يشعر بالرهبة نفسها. وخاطبته بتردد: "تومي، أنت تعلم أنه عندما يطلب امرؤ الغفران فيجب أن يعطى له."

وسألها تومي بارتياب: "هل تغفرين لي؟"

– نعم، ولكن ينبغي أن تغفر لنفسك وان تغفر لي الحقد الذي امتلك قلبي.

"فليكن كذلك."

وأخبرت اليزابيث زوجها فرانك باجتماعها مع تومي وهي تأمل أن يغفر له هو أيضاً. لكنه رفض لأن الغضب المتأجج داخله منعه من الغفران.

"اغفري له يا أمي" – بعد شهر بينما كان والدا تيد يصطحبان تومي الى السجن

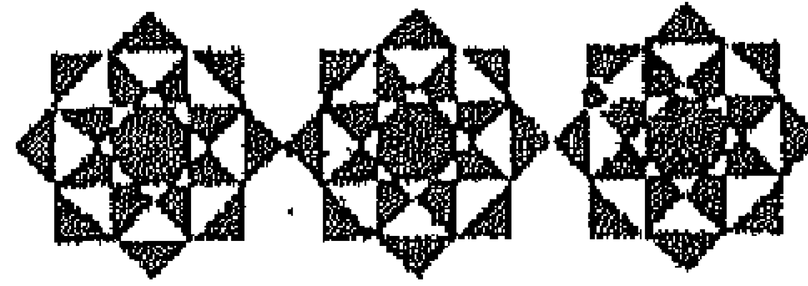
بعد القائه كلمة برنامج جمعية الامهات، أخذ يتكلم على العبر التي استقاها من الحادث وقال انه يكرّس نفسه منذ ذلك الحين لله. ثم طوق عنق فرانك بذراعيه ورجاه أن يغفر له. "نعم أغفر لك،" قالها فرانك والدموع تنسكب من عينيه.

بعدما قضى تومي ثلاثة أشهر في السجن أعيد تطبيق العقوبة الاولى. واليوم تعج حياته التي كانت فاسدة في الماضي بواجبات ترتبط بجمعية الامهات المناهضات للقيادة في حالة السكر. وفي مستودع التبغ يتلقى تدريباً ليصبح مراقباً. وهو يتصل يومياً باليزابيث ويزورها باستمرار. ويقول: "أنا راض عن نفسي لأنني أقوم بأعمال ترضي الله."

أما بالنسبة الى فرانك موريس فالمحنة لم تنته بعد ولن تنتهي ما دام حياً. وهو يقول: "لقد غفرنا لقاتل ابننا لأن ذلك عين الصواب، لكننا لا نستطيع أن ننسى. وما زلنا نعتقد أنه كلما جاءت العقوبات صارمة قلّ عدد السائقين السكارى."

وما زالت اليزابيث تذكر النصائح التي كان ابنها تيد يقدمها الى أصدقائه حين كانوا في حاجة الى تلك النصائح. وفي غمرة الحقد الذي اعتمر قلبها سمعت صوته يخاطبها: "أمي، يجب أن تغفري له." وعندما غفرت لقاتل ابنها في نهاية المطاف عاشت في سلام.

بيتر مايكلمور ■



شابلن والتلفزيون

يتذكر المضيف التلفزيوني روبرت ماكنيل انه حاول مرة اجراء مقابلة مع تشارلي شابلن:

كان شابلن يمقت التلفزيون ويصفه بانه "شاق وقاس ووحشي وعارٍ، ليس فيه شِعْر، بل انه فضّاح."

وشابلن على حق. فالتلفزيون لا يضيف أي رواء الى اسمه، بل الى اسمي أنا اذا حصلت من ضيفي على ما أريد. وكان هذا درساً آخر تعلمته بعد انقضاء وقت طويل. فالمقابلات التلفزيونية تبرز الشخص الذي يجريها وليس الضيف المعني.

اجتماعات القمة

يقول هيلموت شميت المستشار السابق لالمانيا الغربية: "لا تحقق اجتماعات القمة انجازات كبيرة ولكنها تمنع الامور من أن تزيد سوءاً."

م.ل.



تدريب خشن!

أخذ رجل ابنه في رحلة تخييم ليريه حياة البرية. وحين غرف الأب ماء الجدول بيديه صرخ الولد: "لا تقل لي انك ستشرب ذلك يا أبي!"
"بالطبع،" أكّد الوالد وهو يفرغ الماء في فمه. عندئذ قال له ابنه: "لم أقصد الماء يا أبي، بل بيوض الضفدع!"

ر.د.

مفاجأة زوج!

رافقت جارتنا أمها في جولة في بلاد أوروبا. وبعد مضي بضعة أيام على رحيلها أراد زوجها مفاجأتها باتصال هاتفي. لكنّه اكتشف انه لا يعرف مسار رحلتها. فاتصل بمكتب السفريات الذي زوّده المعلومات الوافية.
وبعدما انتظر حلول الصباح في ايطاليا أجرى الاتصال، لكنّ الشخص الذي رد عليه لم يحسن الانكليزية فاستعان بزميل له فهم مراد الزوج ووصله بزوجته.



"صباح الخير،" قالها الزوج بمرح مصمماً ألا يبدو خائباً بعد التأخير المكلف والمصاعب الجمة، "لقد آن وقت استيقاظك."
"شكراً،" أجابت الزوجة على الطرف الآخر. وأقفلت الخط!

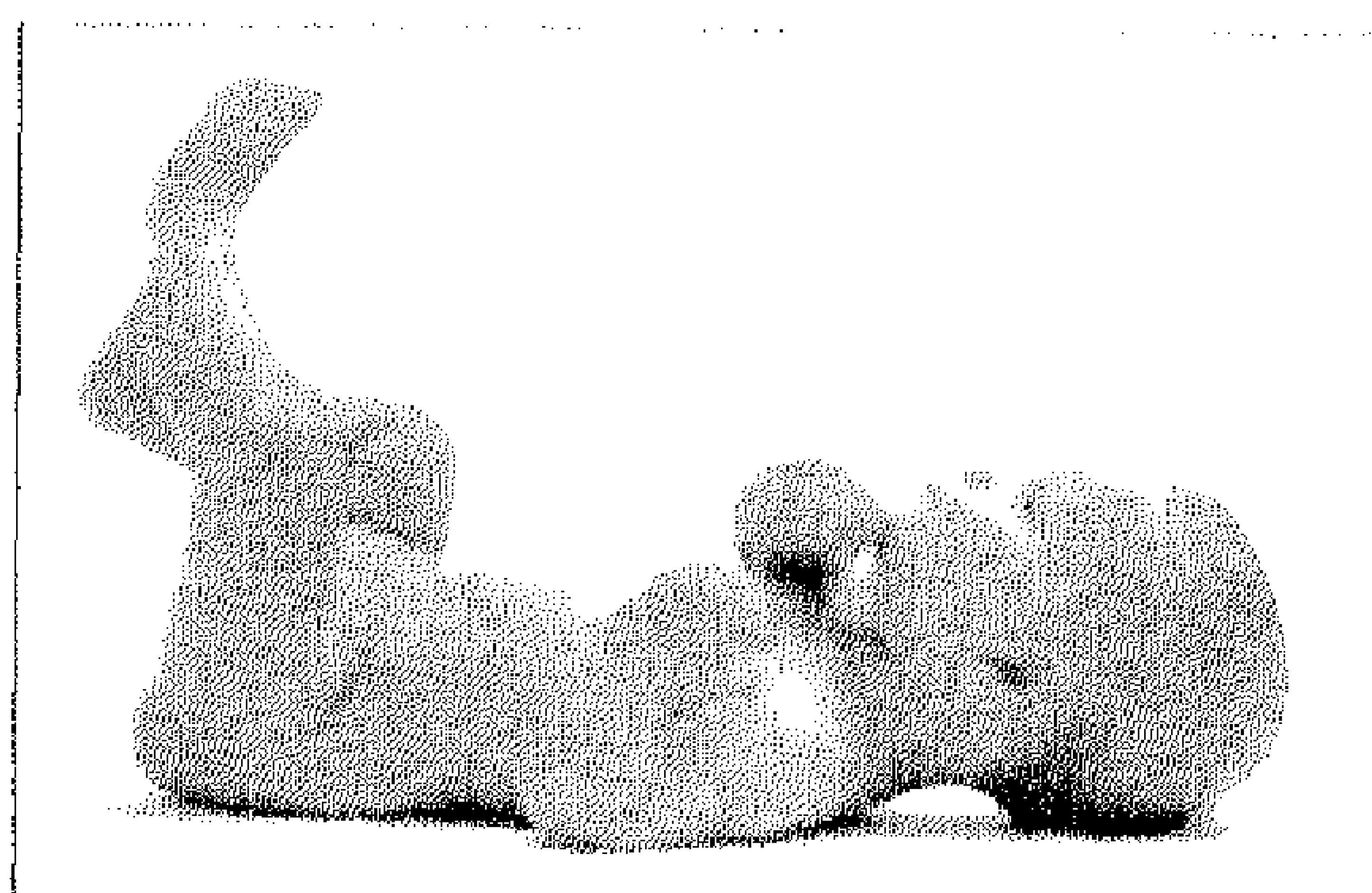
ر.ت.

أجنبيان في باريس

أثناء زيارتنا لفرنسا ذهبنا الى السوق لنتبضّع. وفي متجر قريب من الفندق رأينا أثواباً معلقة وإشعاراً باعطاء حسم ٥٠ في المئة. ولما دخلنا المتجر تقدمت منا امرأة وعرضت مساعدتنا، لكنّنا أبلغناها أننا نفضل مشاهدة الثياب لوحدنا. فرمقتنا المرأة بنظرة استغراب.
ولمّا لم نجد ما يناسبنا شكرنا المرأة وخرجنا. وفجأة انفجر زوجي بالضحك وأشار الى لافتة صغيرة كتب عليها: "مصبغة لتنظيف الملابس."

ب.ف.

ان الاحتفاظ برونق الشباب يعني، بالنسبة الى معظم الناس، المحافظة على نضارة الجلد. وتتوقف سرعة تقدمك في السن ظاهراً على عنايتك باهاب جسمك. لكن كثيرين منا يعتبرون تدهور حال الجلد أمراً لا مفر منه ما دمنا نفركه ونغسله من دون مبرر ونتلفه بممارسة العادات المؤذية ونعرضه لعوادي العناصر الطبيعية. وهنا تعليمات مفيدة مستقاة من أفضل المصادر، تساعدك في وقاية النضارة الطبيعية للجلد.



ان المبدأ الاساسي في العناية بجلدك هو ألا ترهقيه أكثر مما ينبغي. فاغسلي وجهك بالصابون اللطيف غير المعطّر، اذا كان عليك أن تستخدمي الصابون اطلاقاً. استعملي الصابون "الكثير الدهن" أو المصنوع من مادة الـ"غليسرين" اذا كان جلدك جافاً، وصابوناً طبياً اذا كانت بشرتك زيتية. شطفي بشرتك بالماء جيداً ثم رشيها بالماء البارد وربتيها لتجف.

اغسلي وجهك مرتين فقط يومياً ومرة واحدة اذا كان جلدك حساساً. فالاكثار من الغسل يزيل الزيت الذي يجعل بشرتك حافظة للماء (تمنع التبخر المفرط للرطوبة) ومانعة للتسرب (تحول دون امتصاص الشحم والسموم من الخارج.)

photo: Anita Schmidt



وربما كان الصابون غير مناسب اذا كان جلدك جافاً أو حساساً أو كنت تزيلين مساحيق التجميل. واذا كان الصابون والماء يجعلان جلدك جاف الملمس ومشدوداً، فعليك بتنظيفه بمستحضر طبي(١).

المواد المرطبة(٢) تضاعف زيت الجسم وتقويه وتؤدي دوراً مهماً في العناية بالجلد اذا استعملت بانتظام وبطريقة حكيمة. وعلى رغم كل المزاعم الاعلانية فليس ثمة مواد مرطبة "تغذي" جلدك. فالطعام هو الذي يوفر الغذاء الذي يمتصه الدم وينقله الى خلايا الجلد. فمن الافضل لك ان تأكلي البيض والعسل والفيتامينات والمعادن بدلا من أن تطلي بها وجهك.

الخلايا التي تلبث مدة طويلة على سطح الجلد تكون غبراء وباهتة، وقد تتقشر وتسد المسام الجلدية مما يؤدي الى ظهور البقع أو البثور السوداء التي تسبغ عليك مظهراً مرقطاً. والقَشر، أو نزع الطبقة الخارجية الميتة من الخلايا، قد يكشف الانسجة الدقيقة التي تحتها. ويقول بعض الخبراء في هذا الشأن ان جلد الرجل يتجعد حول الفم وفوق الخدين على نحو أبطأ من جلد المرأة لان الحلاقة تنزع القشرة الخارجية على نحو طبيعي.

وقد اعتمد المصريون القدماء وصفة مركبة من المرمر والعسل ودقيق الشوفان كعقار للقشر. وفي وسعك أن تحضري مثل هذا المرهم بنفسك من طريق مزج دقيق الشوفان المحمّص بعصير الليمون الحامض وعجن الخليط. والطرق الاخرى للقشر تشمل استخدام القفازات الخشنة وفرشاة "الحك" الدوارة المخصصة للوجه والقناع السالخ(٣).

يجب أن تستخدمي المواد القاشرة بحذر على وجهك. والنساء اللواتي لهن بشرة حساسة أو ميّالة الى التفسخ ينبغي أن يمتنعن عن استعمالها. لكن الجلد القاسي يمكنه أن يتحمّل جلسات السلخ مرتين أسبوعياً باستعمال اسفنجة كاشطة لجعل الجلد يتقشر تلقائياً ولتنشيط الدورة الدموية في الاوعية الدقيقة في البشرة.

وبما أن الجلد يتبدل باستمرار نتيجة للمؤثرات المختلفة، فان ما يكون صالحاً في أحد الاسابيع قد لا يكون مناسباً في الاسبوع التالي. ينبغي أن تعني بجلدك. واذا بدا لك جافاً ومشدوداً عند الملامسة، فربما كنت تعاملينه بقسوة.

ديبورا هوتون

في صحيفة "فوغ كومبليت بيوتي" ■

---

(١) Cleansing lotion
(٢) Moisturizers
(٣) Peel-off mask

Photos: Nancy Brown and William Kennedy



الشمس عدوّة الجلد

اذا كان للعناية بالجلد أن تلخص بجملة واحدة، فالاطباء يقولون: "ابتعدي عن أشعة الشمس." فليس ثمة ما يعجّل في تقدم الجلد نحو الهرم أكثر من الاشعة فوق البنفسجية. والجلد الذي تجففه أشعة الشمس يتخدّد ويتجعد. والاسوأ من ذلك أن الشمس تفقد الياف الـ"كولاجين"(٤) مرونتها.

في النهاية يغدو جلدك خشناً وقاسياً كالجلد المدبوغ وتضعف الاوعية الدموية الدقيقة وتفقدين النعومة والمرونة ويزداد احتمال اصابتك بسرطان الجلد. واذا لم تقتنعي بتأثير أشعة الشمس، قارني بين الاجزاء المغطاة جيداً من جسدك، مثل أسفل البطن وباطن الذراعين، والاجزاء المكشوفة كالوجه والعنق وظاهر اليدين.

أشعة الشمس هي السبب الرئيسي للتجعد الذي يمكن درء تأثيره، وكلما بكرت في تحاشيه كان ذلك أفضل لك. وعلى نقيض الوهم الشائع، فان الاسمرار الشمسي ليس مفيداً. حتى الجلد المدبوغ قليلا يكون أصيب بمقدار كاف من الطاقة يجعله يشيخ قبل الاوان.

اذا سترت وجهك وجسمك بغطاء واق من الشمس منذ نعومة أظفارك ولم تفرطي في التعرض للشمس، فمن المحتمل ألا يختلف جلدك في منتصف عمرك الا قليلا عما كان في السن العشرين.

ولكن يجب ألا يعطيك أي غطاء واق من الشمس شعوراً كاذباً بالأمان، فحتى أقوى المستحضرات تسمح لمقدار مهم من الاشعاعات الشمسية بالوصول الى الجلد.

الدكتور فريدريك هابرمان ودنيز فورتينو في "جلدك: دليل الى حياة جمال وصحة" ■

حَبّ الصبا

العُدّ أو حب الصبا هو أوسع أدواء الجلد انتشاراً. انه عرض طبيعي، لكنه علة يمكن تخفيفها الى مدى بعيد أو حتى ازالتها بالمعالجة المناسبة. وعلى الاهل أن يأخذوا أبناءهم الى خبير لدى ظهور أولى علائم هذا الداء لتجنب التشويه الذي يحدثه. ومعظم الندوب التي تنتج من هذه العلة لا ينشأ من البثور ذاتها بل من المحاولات الخاطئة للقضاء عليها.



القذارة لا تسبب العُد، والفرك من شأنه أن يزيده سوءاً. تجنبي استعمال المنظفات الحبيبية والاسفنج الكاشط ومماسح الغسل التي قد تفقأ احدى البثور فتتفاقم الحال. وبدل ذلك ادهني الجلد بمنظف لطيف محضّر خصوصاً للجلد

(٤) الكولاجين هو المادة البروتيينية التي في النسيج الضام وفي العظام.

Photos: left, Jawitz; right, Janeart Ltd. and Rich... Steedman

المعرض لبثور العُد، مستخدمة كتلة نظيفة من القطن الطبي. ثم اغسليه بالماء البارد.

الكحول يزيل الزيت عن الجلد ويجففه ويسبب تشققه وتراكم الجلد الميت. استعملي مستحضراً يحتوي على مواد مجففة لطيفة مع عقار مضاد للجراثيم مثل حمض الـ"ساليسليك" والكبريت مع الماء للترطيب.

وعلى رغم ما يقال من أن العد ينشأ من أطعمة كالشوكولاتة والبطاطا المقلية، فلم يثبت أحد صحة هذه المزاعم بالنسبة الى مجموعات كبيرة من المصابين.

وفي ما يختص بالعقاقير التي تباع من دون وصفة طبية، فان الـ"بنزويل بيروكسيد" يساعد في تخفيف قروح العد، لكن كثيرين من الناس لا يحتملون قسوة هذا العقار. جرّبيه على بقعة من جسدك واطلي به منطقة صغيرة من ذراعك وانتظري ٢٤ ساعة لتري هل ستعانين رد فعل عكسياً. ثمة مستحضرات مثالية تحتوي على الـ"ريسورسينول" والكبريت ويبدو أنها تشفي القروح ولا تسبب كثيراً في احداث تهيج بالجلد.

الـ"آكوتان" عقار مشتق من الفيتامين "أ" وقد أقرت ادارة الغذاء والدواء الامريكية عام ١٩٨٣ استخدامه فقط في معالجة العُدّ الحاد. وحقق هذا العقار نجاحاً كبيراً في شفاء القروح، لكنه لا يخلو من أعراض جانبية، منها جفاف الاغشية المخاطية والتهاب الملتحمة (باطن الجفن) وآلام المفاصل والعضلات وتساقط طفيف في الشعر وارتفاع مستوى الاحماض الدهنية ("تريغليسريد") في الدم. ولا يجوز أن تتعاطاه النساء الحوامل أو اللواتي يخططن للحمل خلال فترة المعالجة. وكثيرون من الاطباء يطلبون من النساء المصابات اجراء فحوص مخبرية قبل وصف هذا العقار لهن.

ويأمل الباحثون في تطوير عقار يحرز نجاح الآكوتان من دون أن يسبب أعراضه الجانبية.

ليا شور وشاري ميلر
في "دليل العناية بالجلد للرجال" ■

الشيخوخة المبكرة

مع التقدم في السن تفرز الغدد في جسمك مقداراً أقل من الزيت، ولذا يصبح جلدك أجف ويبدو كصحيفة خشنة. الطبقة السطحية تتجدد مرة كل ٣٠ الى ٣٥ يوما بدلا من (٢١ الى ٢٣ يوماً)، والأدمة الجلدية (dermis) تستغرق وقتاً أطول لانتاج مادة الكولاجين فيبدو جلدك مترهلا. ثم ان التعرض لاشعة الشمس على مدى سنوات يمكن أن يطلق تفجرات مركزة من الـ"ميلانين" تعرف ببقع الشيخوخة.

المواد المرطبة التي تحوي الحمض الـ"رتينوي"(٥) وهو نوع اصطناعي من الفيتامين "أ"، هي أقرب المستحضرات الى ازالة التجاعيد. والحمض الرتينوي يزيد من جريان الدم ويحفز خلايا الجلد لانتاج الكولاجين فيكسبه نضارة. وهذا قد يزيل التجاعيد الطفيفة ويجعل التجاعيد العميقة أقل ظهوراً للعيان. وفي الوقت

(٥) Retinoic acid

الحاضر لا يتوافر الحمض الرتينوي الا بوصفات طبية.

قد لا يمكنك اليوم ان تشتري أي عقار يزيل التجاعيد من دون وصفة طبية، لذلك فالسبيل الافضل المتاح لك هو منع حدوثها أو منع ما هو قائم من التفاقم. ويمكنك أن تباشري ذلك باستعمال النظارات الشمسية ذات النوعية الجيدة في مواجهة النور الساطع لكي لا تضطري الى تقليص جفونك. فالعبوس والابتسام والنظر بعينين نصف مغمضتين تؤدي الى تفاقم التجاعيد. ولن يوصيك أحد بالامتناع عن الابتسام، لكنك تستطيعين الاستغناء عن العبوس دونما ازعاج. واذا كنت معتادة زم شفتيك أو التجهم فيما أنت تفكرين، حاولي التخلص من هذه العادة.



والتمرين عموماً مفيد لجلد جسمك لانه يحسن جريان الدم والمغذيات الى أنسجة الجلد. غير أن بعض التمارين المخصصة للوجه يزيد التجاعيد، هكذا يقول الطبيب البرت كليغمان مدير عيادة شيخوخة الجلد في مستشفى جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا. ويضيف: "ان لعضلات وجهك غاية واحدة فقط وهي فتح فمك وجفونك واغلاقها. وهكذا فان وجهك يحصل على مقدار كاف من التمرين.

واليك بعض التدابير التي تستطيعين اتخاذها لحماية جلدك:

١. اذا كنت تدخنين، أقلعي عن التدخين. فالمدخنون تظهر على وجوههم تجاعيد أعمق وأوضح عند الزوايا الخارجية لأعينهم، كما ان الجلد الخلفي لرقابهم يبدو مرقعاً. ويكون جلد المدخن باهتاً شاحباً بدلا من أن يكون مورداً. والتدخين يجعل الجلد أكثر تعرضاً لضرر أشعة الشمس.

٢. اختاري الوزن الذي يناسب جسمك والزميه، فالحمية العنيفة والتقلبات في الوزن تجعل الجلد مترهلا ومتجعداً.

٣. خففي الحرارة وزيدي الرطوبة. البيئة الباردة والرطبة (بدرجة رطوبة بين ٥٠ و٦٠ في المئة هي التي توفر خير راحة لجلدك. والجلد الذي يتعرض في الشتاء للهواء المدفأ الى درجة حرارة عالية داخل البيوت وللهواء القارس في الخارج قد يفقد الماء بمعدل ١٤٠ ضعفاً مما يفقده في الطقس الرطب، الامر الذي يجعله جافاً وخشناً.

٤. ابقي على مسافة مناسبة من مصادر الحرارة كالمواقد المكشوفة، ولا تستعملي العاكسات الشمسية للتعجيل في اسمرار جلدك.

شارون فيلتن

في "حياة من الجمال" ■

كلمة أخيرة

لكي تبقي شابة نضرة، يجب أن يتغذى جلدك من الداخل. ويعتقد بعض العلماء ان من الممكن ابطاء معدل فقدان الجلد مرونته ورطوبته بتناول أطعمة غنية

Photo: Nancy Brown

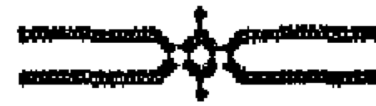
بالمواد المقاومة للتأكسد(٦) وهذه تشمل الفيتامينات "أ" و"ج" و"هـ" و"ب - ١" و"ب - ٥" و"ب - ٦" (٧) ومعادن التوتياء (الزنك) والـ"سيلينيوم" والحمض الاميني "سيستين" المتوافر في البيض والـ"بيوفلافونويد السيتري" المتوافر في الثمار والاحماض الدهنية غير المشبعة مثل زيت دوار الشمس ونبات العصفر. وهذا يعني تناول غذاء يشدد على الثمار والخضر النيئة (مصادر الفيتامينين "أ" و"ج") والحبوب الكاملة غير المقشورة (للحصول على الفيتامين "ب" المركب والفيتامين "هـ" والسيلينيوم والالياف) ومقدار مخفف من البروتيينات الحيوانية والدهون.

ان الضمان الافضل ضد الجلد المخدّد المدبوغ هو العناية اليومية العاقلة داخل البيت وخارجه، فقصّري مدة الاستحمام في المغطس وبالمرشة (الدوش) واستعملي المواد المرطبة بعد تعرض جلدك للماء وحافظي على صحتك وراحتك وتناولي غذاء جيداً.

هذه التدابير البسيطة تعود عليك بفائدة مهمة، فيبقى وجهك في أوج نضارته بعد عشر سنين أو عشرين أو خمسين سنة.

هابرمان وفورتينو
في "جلدك" ■

(٦) Anti-oxidants
(٧) Vitamins A, C, E, B-1, B-5, B-6



مكنونات الصدور

- .اني متحرقة الى الافضاء بمكنونات صدري.

"هيا، فأنا صديقتك الحميمة."

- لا، لا، أنا أعرفك جيداً.

د.م.

عصر الالكترون

قال المدير لطالبة العمل: "آسف يا آنسة فخبرتك بهيكلية الدماغ الالكتروني وبرمجته وتحليل عملياته لم تعد كافية. اننا نطلب الآن درجة دكتوراه في الميكانيكا الكمية من السكرتيرات اللواتي يعملن لدينا."

إ.ش.

«ثمَـرة الخُلودْ»



كان الفطر في الماضي حكراً للعائلات المالكة. أما اليوم ففي وسع كل من يهواه أن يتلذذ به مثل فرعون

بين ليلة وضحاها يبرز الفطر بغموض من أديم الارض مثل مظلة صغيرة تتفتح من دون أوراق ولا جذور ولا حاجة الى أشعة الشمس. ليس الفطر في حقيقته خُضاراً. والفطر الصالح للأكل يعتبر واحداً من أفخر الاطعمة وأكثرها تغذية وأوسعها شعبية.

يعتبر البحث عن الفطر البرّي هواية خطرة يمارسها متذوقوه. وعائلة الفطر

Illustrations: Howard S. Friedman

ضخمة حقاً(١) ومعقدة وتضم بعض الاصناف السامة وقلة منها قاتلة. ومن سوء الحظ أن التمييز بين هذه الاصناف أمر عسير.

وقد تكون المطاعم الايطالية والفرنسية أفضل الاماكن وآمنها لتناول الفطر الفاخر، مثل السيب والشانتريل والغريسيه والموريل والبورشيني. فطهاة هذه المطاعم، الاوروبيون أو المدربون في أوروبا، ما زالوا يجعلون منها طعاماً شهياً وأمينا منذ قرون. ولما كانت هذه الانواع الفاخرة باهظة الثمن، فمن الأفضل لك أن تشتري من متجر البقالة الفطر المعلّب من نوع "آغاريكوس بيسبوروس"(٢) وهو نوع شعبي يزرع وينتج منه ثلاثة أصناف: الأبيض بقبعته المستديرة الناعمة والبني والقشدي اللون.

واعداد الفطر يتطلب عناية خاصة. وقد سمعت مرة أحد المتسوقين يقول لآخر: "لا تشتر هذه ذوات الرؤوس المغلقة، انها غير ناضجة."

هذا خطأ. فالفطر لا ينضج، بل انه يبلغ وفي النهاية يذوي. والنوع الجامد الرأس هو الذي يجب أن ينتقى. تجنبي الفطر ذا "الخياشيم" المكشوفة تحت جوانبه الا اذا كنت تنوين أن تطهيه على الفور. هذه الخياشيم تدل على فقد الرطوبة وسرعة التلف. تحاشي كذلك الفطر الهش المبقع واللزج لأنه موشك على التلف.

قيمة غذائية – يدوم الفطر موضباً مدة سبعة أيام فقط، غير أن التبريد قد يبطىء الاهتراء. ويمكنك أن تبقي الفطر النيء في علبة بشرط أن تفتحي فيها ثقوباً للتهوئة. ويمكن وضعه كذلك في كيس ورق غير محكم الاغلاق أو على طبق مغطى بمنشفة ورق مبللة. ضعي الفطر على رف يسمح للهواء بالمرور حوله، ولا تضعيه أبداً على الرف الأسفل.

لا تقشري الفطر أو تنقعيه في الماء، فانك بذلك تزيلين ما فيه من مغذيات وتفسدين نكهته. واذا دعت الضرورة فيمكنك أن تغسليه بالماء بسرعة ثم تجففينه أو أن تمسحيه بقطعة قماش مبللة. ولا تفرطي في طهوه. وحينما تشرع قطع الفطر في نضح رطوبتها في المقلاة تصبح جاهزة للاكل. ويخطىء كثيرون اذ يطهون قطع الفطر حتى تسبح في مائها وبعد ذلك يرفعون درجة الحرارة ليتبخر الماء، فتكون النتيجة أقراصاً مطاطة تؤكل مع اللحم.

يستحق الفطر ما يتطلبه من عناية اذ انه طعام لذيذ. وهو يكاد يخلو من الدهن والسكر والصوديوم، ومع ذلك فهو يوفر الكربوهيدرات الصحية والألياف. ويحتوي الفطر على الكلسيوم والحديد والبوتاسيوم والفوسفور والمغنيزيوم، وهي كلها مواد مغذية أساسية، اضافة الى الثيامين والريبوفلافين والنياسين والحمض الفولي. وفي الكيلوغرام الواحد من الفطر ٢٢٠ وحدة حرارية فقط، وفي ملء كوب منه ٢٠ وحدة حرارية.

وقد عُرف الفطر البري في الحضارات القديمة في مصر وروما والصين. وكان الفراعنة يحتكرونه لأنفسهم مقررين انه رهيف جداً بحيث لا يلائم العامة الذين

(١) هناك نحو ٣٨ ألف نوع من الفطر.
(٢) Agaricus bisporus

يمكنهم أن يأكلوا الثوم. والرومان على غرارهم حصروا استهلاك الفطر بالنبلاء. وبعد اقتناعهم لاحقاً بأن الفطر يوفر القوة لجنودهم سمحوا لهم بأكله. أما الصينيون القدماء فدعوا الفطر "ثمرة الخلود".



الشيتاكي الثمين - يعتقد أن القدماء كانوا يأكلون ما يسمى اليوم "فطر الحقول" لأن زراعة الفطر لم تعرف الا في القرن السابع عشر في فرنسا. ففي العام ١٦٧٨ أوضح العالم النباتي الفرنسي مارشان أمام هيئة أكاديمية العلوم كيف أن الشعيرات البيضاء التي تنمو في التربة تحت الفطر تنتج مقادير وافرة منه اذا نقلت الى تربة ملائمة. وباريس هي من الناحية الجغرافية المكان الافضل لزراعة الفطر. وتحوط المدينة مغاور للمقالع، وحين استهلك ما فيها من حجار جاءها الحدائقيون الفرنسيون وبدأوا يزرعون الفطر في التربة المماثلة للتي كانوا يزرعون فيها الشمام، بعدما عززت طبقتها العليا وسُمدت بروث الخيول. وأول أنواع الفطر المزروع دعي "فطر باريس" ولا يزال يزرع حتى اليوم.

المعالج النباتي غاري شرودر صاحب مزرعة للفطر في ولاية بنسلفانيا الامريكية، حقق اكتشافاً مهماً في زراعة أحد أكثر أنواع الفطر رواجاً في العالم، وهو البني الباهت الآسيوي الذي يدعى شيتاكي. وكان هذا النوع يستورد مجففاً من الخارج، ومن اليابان على نحو رئيسي. والشيتاكي الذي يدعى أيضاً "فطر الغابة السوداء" ينمو عادة على جذوع الاشجار. وقد ابتدع اليابانيون طريقة لزرعه على جذوع طبيعية مقطوعة، لكن قطاف المحصول كان يتطلب سنتين من الانتظار مما يجعله باهظ الثمن.

يمزج شرودر نشارة الخشب المشبعة بالمواد المغذية مع كمية مكملة من الحبوب مخصبة ببذار الفطر، ويصنع من المزيج أشباه جذوع. وفي أقل من مدة شهرين يبدأ قطاف الشيتاكي الامريكي.

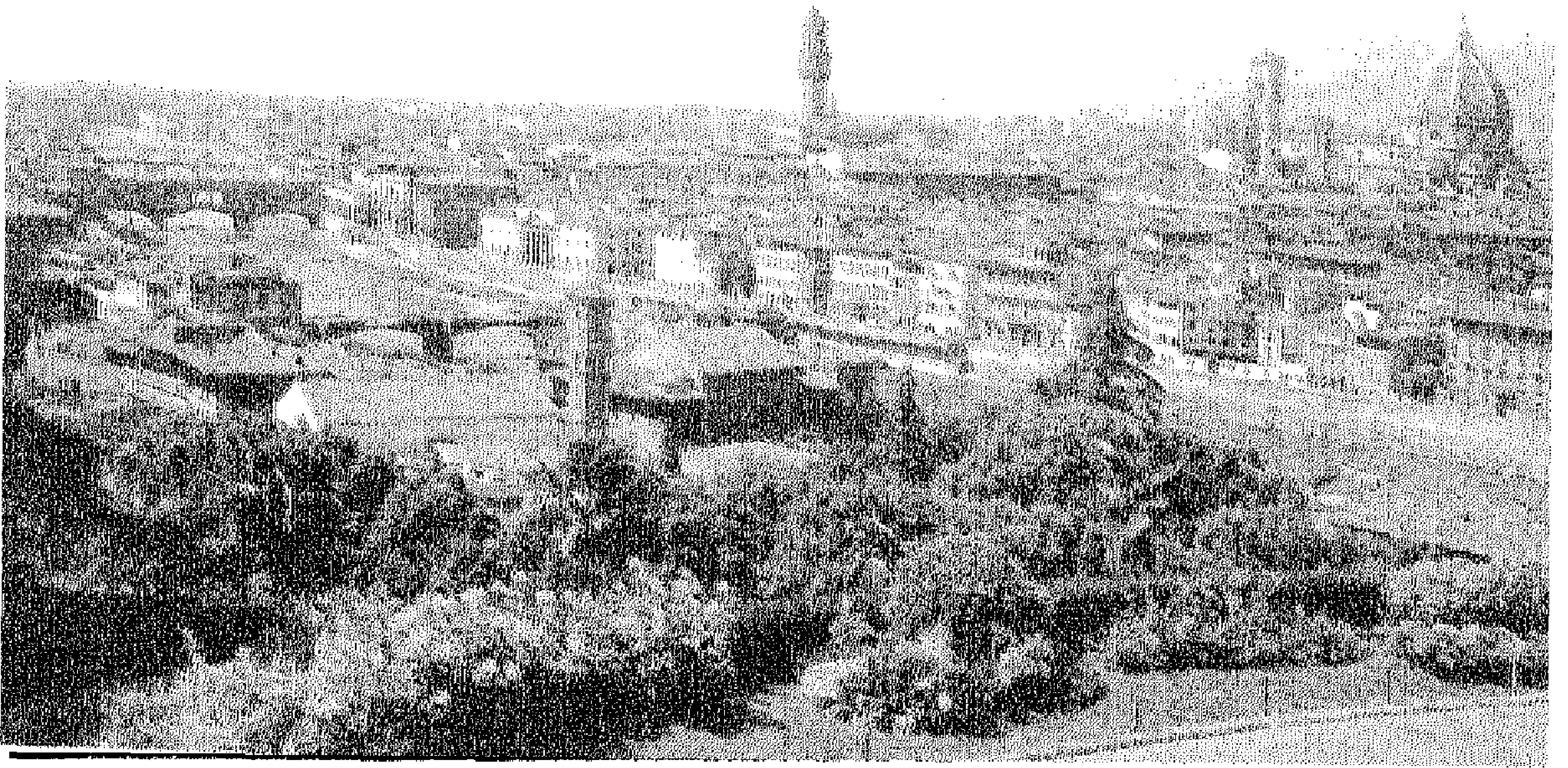
وقد أدهش شرودر مزارعي الفطر الآخرين، خصوصا اليابانيين، بتوضيب نحو ٣٠٠٠ كيلوغرام من الشيتاكي وشحنها كل أسبوع.

قال لي شرودر: "من دواعي سروري أن يأتيني اليابانيون ليروا كيف استطاع مزارع من بنسلفانيا أن يبزهم في زراعة الفطر."

الفطر طعام يليق بالملوك... وبنا جميعاً. وقد قال طاه بريطاني شهير في مقابلة تلفزيونية: "ان للفطر قدرة سحرية، فهو يصنع من المبتذل شيئاً رائعاً."

جاك دنتون سكوت ■

ايجابيات الحمية انها تحسن قابليتك للاكل. أ.و.



آرنو يقسم المدينة قسمين، وتبدو وراءه التلال الزرقاء. nley / Shostal Associates

756716

فلورنسا زهرة إيطاليا

الزهرة شعارها والجاذبية من سمات أهلها وأوروبا اختارتها لتكون عاصمتها الثقافية

صباح أحد أيام الربيع المشرقة وقفت في ساحة "سان مينياتو آل مونتي" فوق تلة مشرفة على مدينة فلورنسا الايطالية، فبدا منظر المدينة أمامي مجللا بالمجد. شاهدت القبة السامقة وبرج الناقوس والى يسارهما حافة جدار "بالاتسو فيكيو " وهي دار البلدية التي بنيت في القرون الوسطى. وشاهدت أيضاً نهر آرنو الذي يقسم فلورنسا قسمين غير متساويين، وبدت خلفه أشجار الزيتون وكروم العنب على التلال. وظهرت فلورنسا في أبهى صورها تنتظر قدوم ملايين السياح.

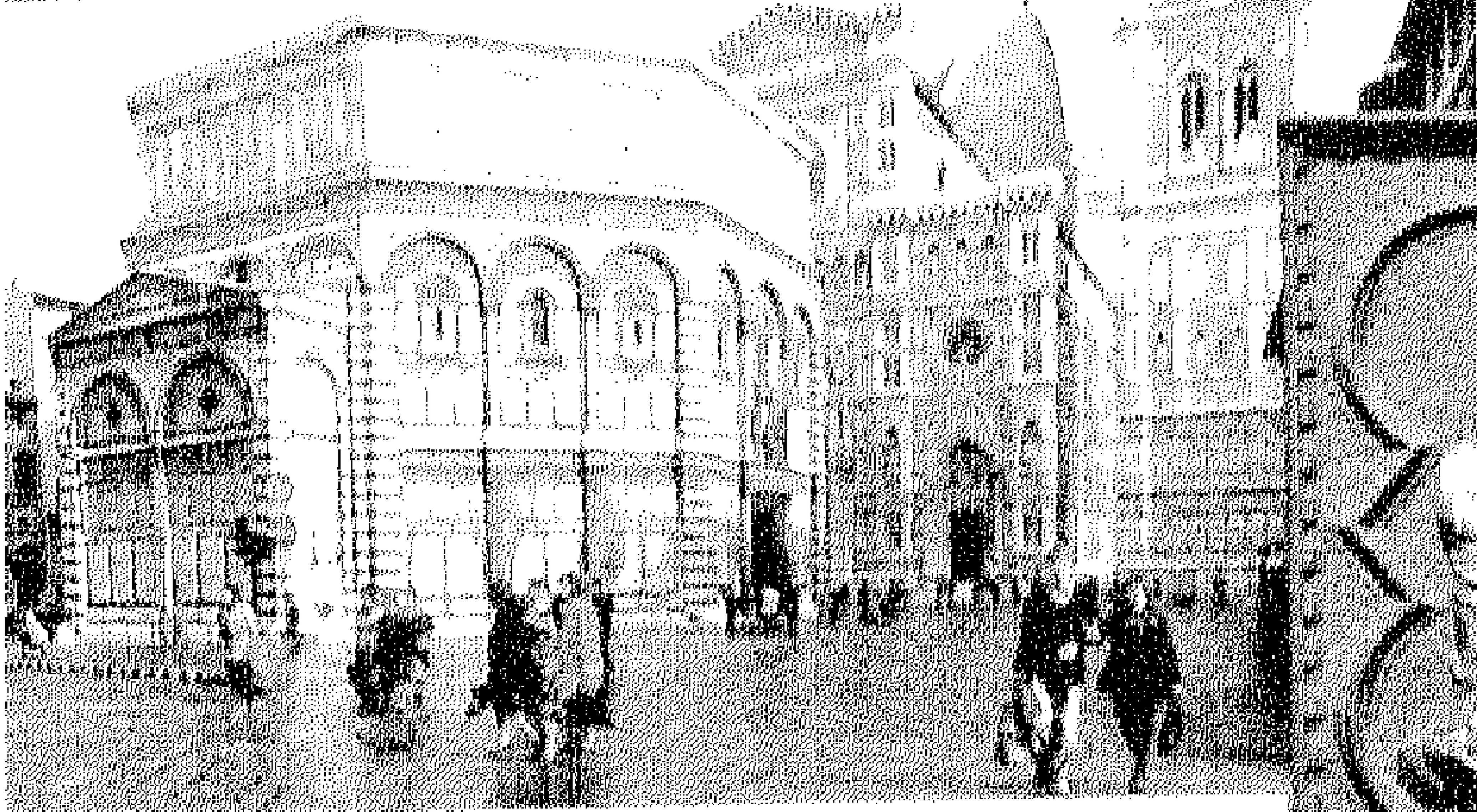
ويبلغ عدد سكان هذه المدينة النبيلة ٤٤١ ألفاً. وهي تبعد عن روما نحو ٢٧٠ كيلومتراً. والمعلوم أن عدد العظماء

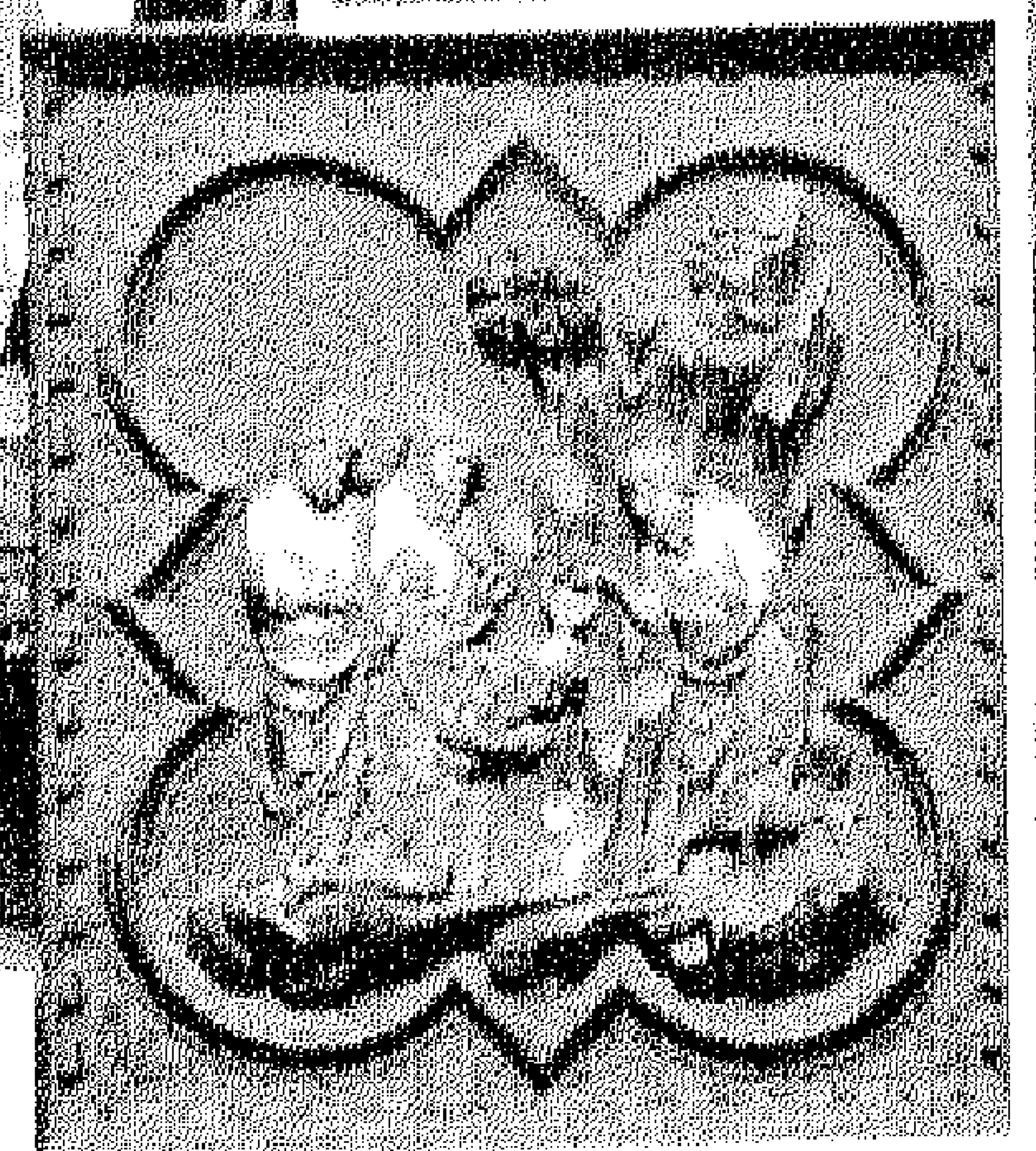
الذين ارتبطت بها أسماؤهم كان كبيراً جداً وقلّ أن نجد له مثيلا في أماكن أخرى. ففي فلورنسا نظم دانتي قصائده الأولى. وفيها رسم رافاييل أروع لوحاته ونحت ميكلانجلو عدداً من تماثيله الرائعة واكتشف برونلسكي قوانين الرسم المنظوري.

واستلهم الرومان القدماء وادي آرنو الذي يكثر فيه الزهر فاطلقوا على مستعمرتهم هناك اسم فلورنتيا أي "المزدهرة" ولا تزال الزهرة هي الشعار الرسمي لفلورنسا والملحوظ أن المقاعد الحجرية البارزة من أساسات القصور القديمة حُوّلت منصات للزهر بحيث يبدو الزنبق طالعاً من الحجر البارد. ولا ريب في أن فصل الربيع هو أهم فصول السنة في المدينة حيث يقدّم المهرجان السنوي للموسيقى باقة من الاوبرات والحفلات الموسيقية وعروض الباليه فيما تصدح العنادل وطيور الصُّفْنَج في حدائق الفيلات الفخمة القديمة.

قوم تجّار – من السمات التي تميز أهل فلورنسا حب الخصام وسرعة البديهة





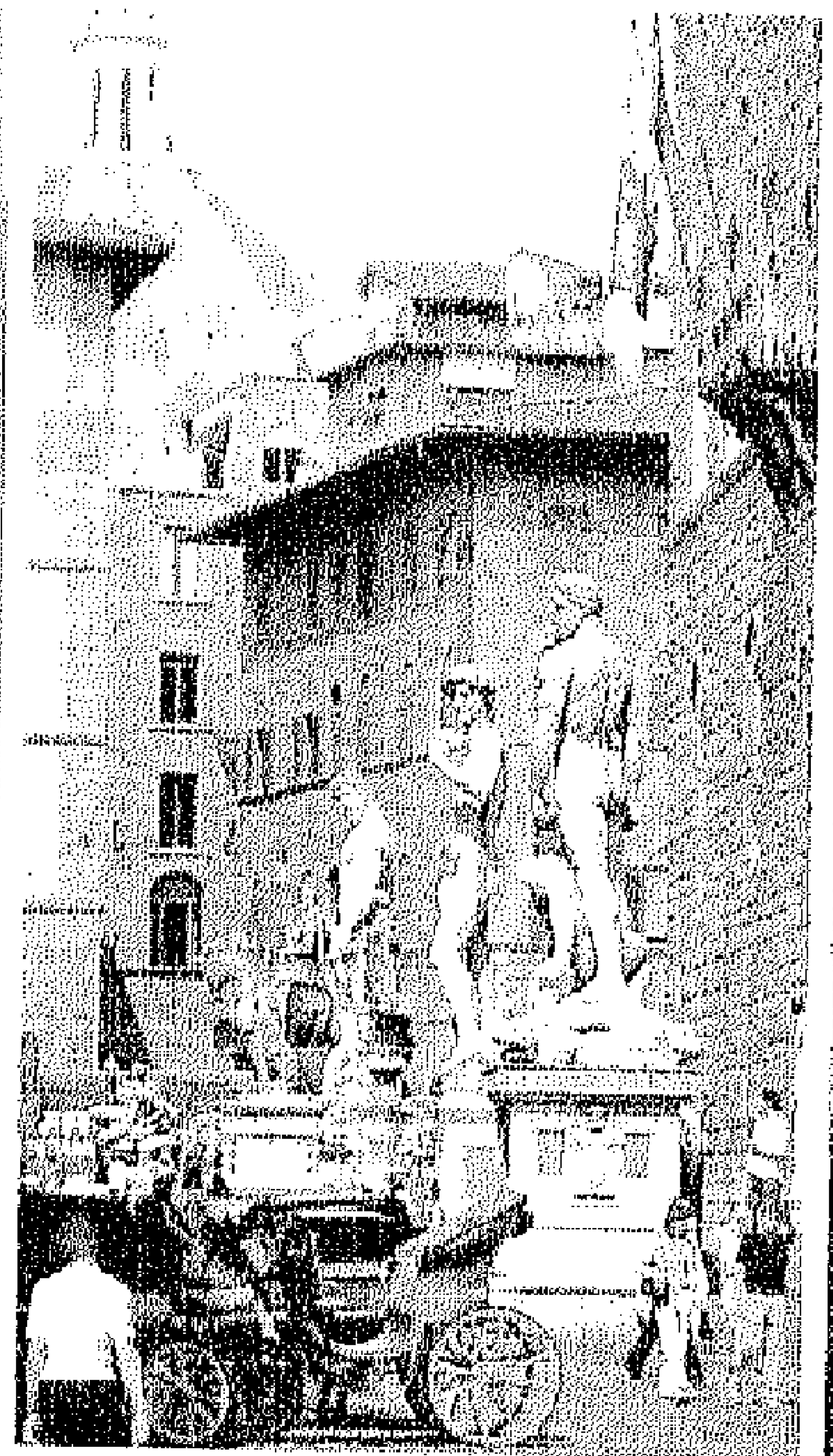


بيت المعمودية وجزء من بابه الجنوبي. وفي خلفية الصورة منـ
المدينة وقد غطاها ضباب الصباح الباكر.

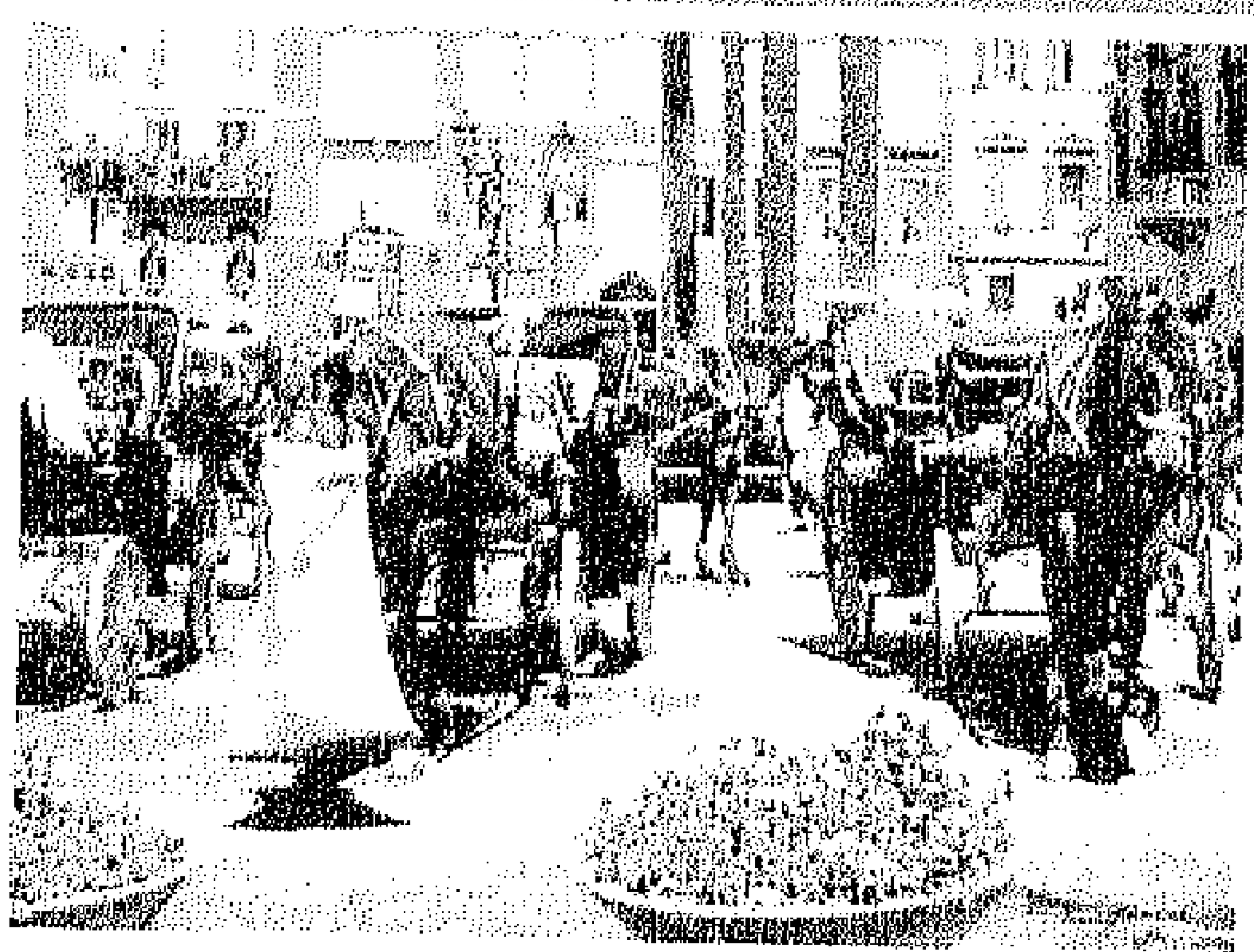
والمظهر الحسن والعمل الدائب والجاذبية. والى ذلك فهم متفوقون في التجارة وناجحون في مهنهم ويحافظون على مستويات ثقافية عالية. فالمكتبات والمسارح مزدحمة دائماً والناس يحفظون أشعار دانتي غيباً. ومن الواضح أن الوعي الطبقي في فلورنسا لا يزال عاملا مؤثراً. فعلى رغم أن منح الألقاب النبيلة توقف فالمواطنون ما زالوا ينادون الكونت والبارون بلقبيهما وجرت العادة أن تخالط النخبة من أهل المدينة السكان الأجانب ومن المألوف أن نجد هؤلاء وأولئك عند الظهر في مقهى بروكاتشي يرثون الحال التي آل اليها العالم.

ويرى محبو الفن والهندسة المعمارية أن فلورنسا هي رحلة إلى الماضي. فقد خلّفت فيها القرون الوسطى متاهة من الازقة تقوم فيها بيوت ذوات واجهات ضيقة وافريزات متدلية تكاد تتلاقى في الوسط لتوفر ظلالا في الأيام الحارة.

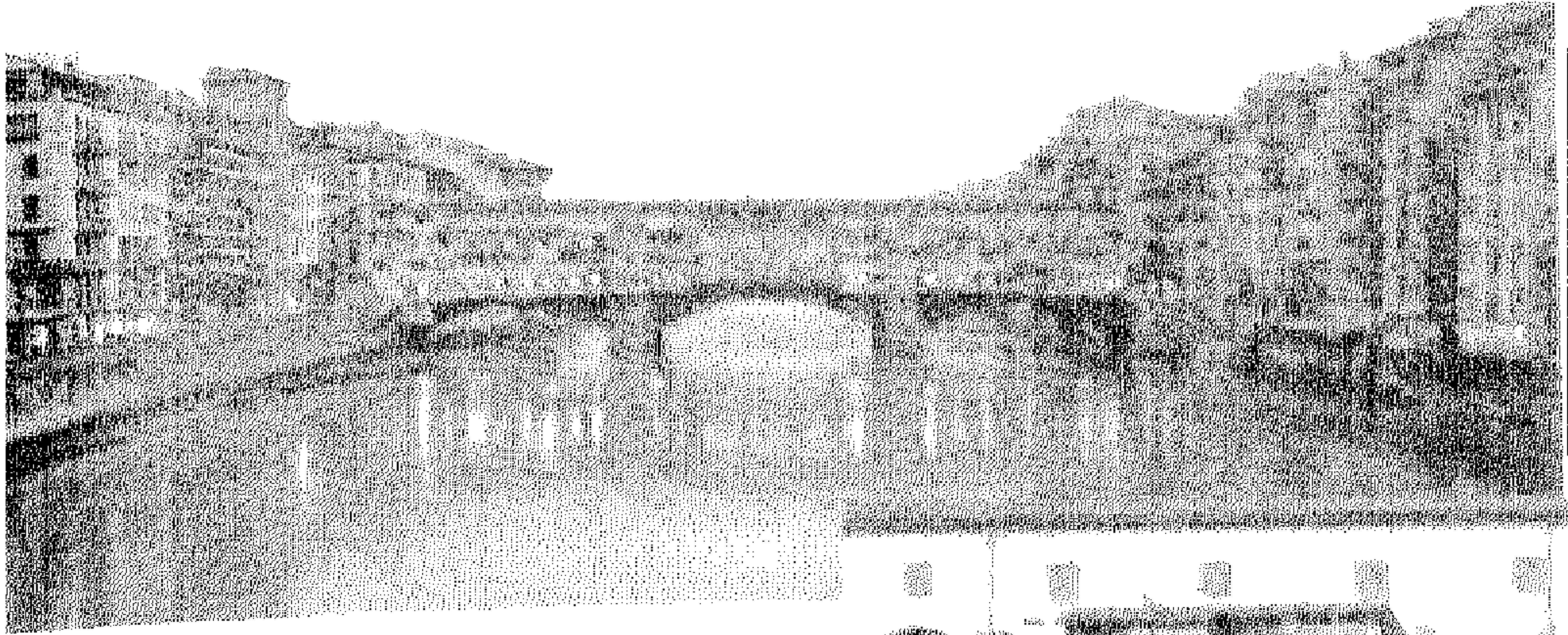
ويرجع قسم وافر من تراث فلورنسا إلى عصر النهضة ويتجلى في كثير من أبنيتها العامة وفي نحو مئة قصر خاص لها واجهات فخمة وفناءات تقوم فيها



الساحة الرئيسية "بياتسا دلا سنيوريا".



عربات تنتظر الركاب في "بياتسا دلا سنيوريا".





"البونتي فيكيو" ممتداً على طول نهر آرنو. والى اليمين، أحد المحلات القائمة على الجسر.

أعمدة. والواقع أن الأراضي الواسعة التي تكثر فيها زراعة القمح والفاكهة جعلت فلورنسا مدينة غنية. وساهم في هذا الغنى أيضاً نزوع الاهالي الى التجارة على نحو غريب. وقد بقي النزوع سمة مميزة للمدينة. واللافت أن فلورنسا التي كانت تستورد الصوف من اسبانيا وبريطانيا سرعان ما أخذت تزوّد العالم المتمدن القماش. والسفن الفلورنسية كانت تحمّل من شرق المتوسط كنوزاً مثل صدف المرّيق (الموركس) الذي يستخرج منه الصباغ الأرجواني الثمين. أما أصحاب المصارف الفلورنسيون فكانوا يسلّفون الحكام الأجانب مبالغ من المال كبيرة كي يظل هؤلاء محتفظين بعروشهم. وأما القطع النقدية الذهبية الخاصة بمدينة فلورنسا فقد سُكّت للمرة الأولى عام ١٢٥٢ ونقشت عليها صورة زهرة. ومن ثمّ دعيت "فلورين"، وهي باتت الوسيلة المفضلة للتبادل النقدي في التجارة.

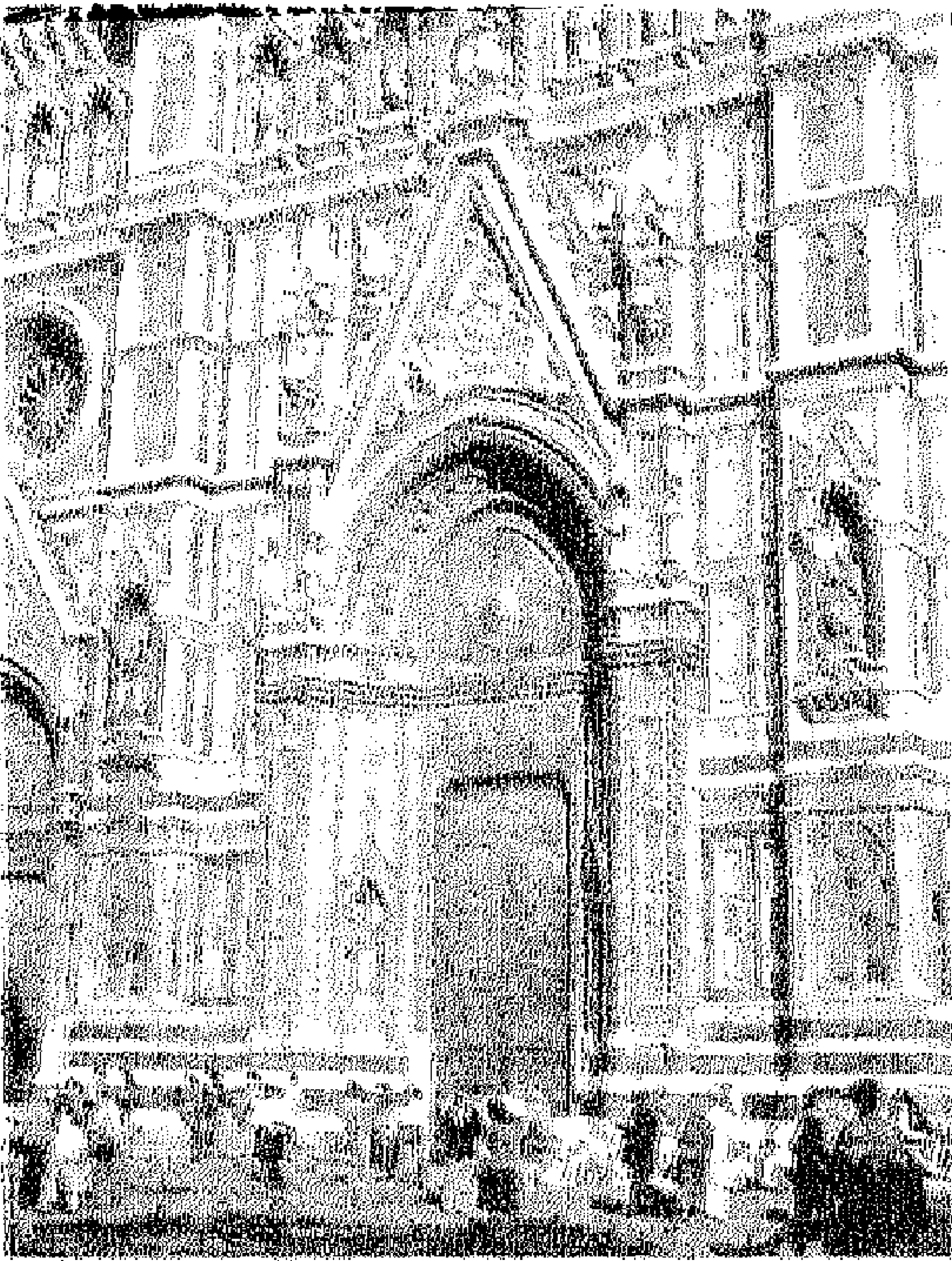
من عجائب العالم - علينا التروّي في تذوق طيبات فلورنسا. وأنا أودّ أن أبدأ جولاتي فيها بالساحة الرئيسية "بياتسا دلا سنيوريا" حيث نرى الفلورنسيين جالسين في المقاهي في الهواء الطلق وهم يشربون قهوة الاسبريسو ويقرأون الصحف. وفي الساحة نفسها نشاهد العربات واقفة في الظل وهي تنتظر من يستأجرها وقد غلب سائقيها النعاس. وتحت قناطر "لوجيا دي لانتسي" ينتصب تمثال فرساوس البرونزي الذي صنعه بنفينوتو تشليني عام ١٥٥٤ حاملا رأس المدوزة ذات الشعر الأفعواني. وفي مكان قريب يلوح بناء بالاتسو فيكيو الذي يشبه منحدراً صخرياً والذي شيد للمرة الأولى بين ١٢٩٩ و١٣١٤. ويشتمل هذا البناء على كتل من الحجار الرملية انعكس عليها ضوء أصفر باهت، وفيه برج دقيق يرتفع ٩٤ متراً ويعلوه أسد واقف على قائمتيه الخلفيتين. وفي هذا القصر كان نيكولو ماكيافيلي يجلس في مكتبه في الطبقة الثانية ويساعد في رسم السياسة الخارجية لتوسكانا.

وإذا مشينا نزولا مدة عشر دقائق انتهينا الى "فيا دي كلتسيولي" أي شارع بائعي الجوارب، وهو عريض وفيه ثلاثة أبنية ضخمة هي بيت المعمودية وبرج الناقوس والكاتدرائية. ولا أحد يعلم متى شيّد بيت المعمودية، لكننا نعلم أن دانتي عُمِّد فيه وأنه بلا ريب أقدم الصروح التي لا تزال قائمة في فلورنسا. وهذا الصرح الرائع في تناسبه والمغطى بالرخام هو مثمّن كامل وله سطح واطىء مظلي الشكل. وفي الداخل يبدو السقف مزيناً بفسيفساء ذهبية وامضة. على أن أعظم ما في هذا البناء ناحيته الشرقية حيث مجموعة الأبواب البرونزية التي صنعها الحداد الفلورنسي لورنتسو غيبرتي.

أما برج الناقوس (كامبانيلي) الذي يبلغ علوه ٨٥ متراً وصممه جيوتو فهو أيضاً مغلف بالرخام. ويشتمل على نوافذ ذوات قناطر عالية على الطراز القوطي مزينة بزخارف رخامية بيضاء وزهرية وخضراء وتبدو من صنع رجل مارس استعمال الفرشاة أكثر مما مارس استعمال الخط العمودي.

وأما الكاتدرائية التي يبلغ طولها الداخلي ١٣٥ متراً فهي واحدة من أكبر كنائس أوروبا. ولا شك في أن أروع ما فيها القبة الضخمة القفيرية الشكل التي شيدها بين ١٤٢٠ و١٤٣٦ فيليبو برونلكسي، العالم الرياضي والشاعر والحداد والمهندس المعماري والنحات الذي حوت عبقريته براعات عصر النهضة جميعاً. ويبلغ قطر فتحة هذه القبة ٤٢ متراً وترتفع ١٠٧ أمتار. والمذهل أنها شيدت من دون سقالات وصُنِّفت في وقت مضى في عداد عجائب العالم. وهي تشتمل على هيكل داخلي وآخر خارجي تفصل بينهما سلّم لولبية. والزائر الذي يغامر بالوصول إلى أعلاها يكافأ بمشاهدة منظر شامل أخّاذ للسطوح المسفوعة والآفاق الخضراء.

عاصمة الفن – كانت مدينة فلورنسا في القرون الوسطى دولة حرّة وأحرزت نجاحاً باهراً في تجربتها الديموقراطية. ثم أصابها الاختناق بعد العام ١٤٠٠ إذ تسلّطت عليها أسرة ميديتشي الغنية وحكمتها ثلاثة قرون ونصف قرن. وتمكن المواطنون من طرد أعضاء هذه الأسرة ثلاث مرات، إلا أنهم كانوا يعودون كلّ مرة الى حكم المدينة وينتقمون من خصومهم أشد الانتقام. وهؤلاء الحكام جعلوا



K. Reinhard / FPG

واجهة "سانتا ماريا دل فيوري".

فلورنسا المحور الفني والثقافي لاوروبا. وفي عهد لورنتسو الكبير (١٤٤٩ - ١٤٩٢) عرفت فلورنسا عصرها الذهبي وبدت قريبة الى ما هي عليه اليوم.

والواقع أن الوقت الذي يمضيه السائح العادي في فلورنسا يكاد لا يسمح له بالتمتع على نحو تام بالكنوز الكثيرة التي في متاحفها. ومن معالم المدينة "الاكاديمية" التي تضم تمثال ديفيد الرخامي الضخم للنحات ميكلانجلو، و"بالاتسو بيتي" حيث لوحات رفاييل وتيتيان، والاوفيتسي حيث تعرض لوحتان من روائع ساندرو بوتيتشلي هما "الربيع" و"ولادة فينوس" اللتان كلفته أسرة ميديتشي رسمهما، كما تعرض روائع فنية كثيرة أخرى.

وعلى رغم شهرة فلورنسا كعاصمة للفن في أوروبا فهي في المقام الأول مدينة عمل. انها موطن اميليو بوتشي مصمم الازياء العالمي والمركيز الذي يرجع نسبه إلى سبعمئة سنة خلت (يُظنّ أن أجداده كانوا في عداد أوائل التوسكانيين الذي استعملوا السكين والشوكة في طعامهم.) وهي أيضاً موطن السيدة فاندا فيراغامو التي أظهرت حزماً وقوة حين أدارت بمساعدة أولادها الستة مشروع زوجها الراحل لصناعة الأحذية والملبوسات الجاهزة، ذلك المشروع الذي تقدّر قيمته بملايين الدولارات. وفلورنسا هي أيضاً مركز امبراطورية "غوتشي" الشهيرة ببضاعتها الجلدية. فهذه الشركة العائلية تضم الآن تسعمئة موظف وتسوّق منتجاتها في ١٥٠ مكاناً في العالم وتقدر مبيعاتها سنوياً بنحو مئتي مليار لير إيطالي (١٣٥ مليون دولار).

لا يزال حائكو فلورنسا ينتجون الحرير المطرّز الذي يباع بالمتر ويرسمون عليه أنماطاً من الزهر الرقيق كتلك التي نشاهدها على ثياب عذارى بوتيتشلي. وفي مشاغل المنمنمات(*) ينشط العمال في نشر الخشب والتغرية واستخدام المطارق وسبائك اللحام فيحوّلون الأُطر الخشبية المنقوشة باليد فسيفساء ملونة. ونجد في محلات الطرائف أثاثاً من خشب الجوز صنع في القرن السادس عشر ولوحات وتماثيل وشمعدانات كانت تزين بعض القصور. وفي شارع "بونتي فيكيو" الزاخر بالمحلات التجارية يعرض اثنان وثلاثون من باعة الجواهر بضائعهم التي تشتمل على سلع مبهرجة زائفة كما على أساور من الياقوت والألماس. وفي "السوق الجديدة"، وهي عبارة عن قاعة سامقة أُكمل بناؤها عام ١٥٥١، نجد كتاناً مُطرزاً وأدوات مصنوعة من القش ومظلات خضراء كبيرة يستعملها سائقو العربات.

والمأثور عن أهل فلورنسا أنهم يحبون تناول العشاء خارج بيوتهم. ولئن تكن المدينة تعجّ بالأماكن التي تقدّم الطعام السريع فانها مفعمة أيضاً بالمطاعم المريحة التي تقدّم ألواناً من ألذّ أطعمة منطقة البحر الابيض المتوسط. وكثيراً ما تجتمع عائلات برمتها في هذه المطاعم في جوّ يسوده الفرح لتناول وجبة توسكانية مكونة من حساء الفاصوليا

(*) رسوم ونقوش صغيرة على عاج او معدن او غير ذلك.

البيضاء و"لحم فلورنسا" الشهي والسلطة المشوية بنكهة الزيت الصافي المستخرج من زيتون توسكانا وجبنة الغنم والاجاص اللذيذ.

وفي المساء الأخير الذي سبق مغادرتي فلورنسا شاركت في وليمة مماثلة فتذوّقت حلاوة الحياة بالطريقة التوسكانية.

وفي صباح اليوم التالي، قبل أن أركب القطار السريع الى روما، انطلقت إلى مقهى "جياكوزا" حيث يتلاقى المثقفون والفنانون لتناول الفطور. وألفيت المكان مكتظاً كعادته. وكان بجانبي مواطنون يتحدثون بحماسة عن اختيار المجموعة الاوروبية فلورنسا عاصمة أوروبا الثقافية للعام ١٩٨٦. فصفقت بصمت. فأنا مثلهم ومثل ملايين آخرين حول العالم متيّم بهذه المدينة الريفية التي تؤوي هذا المقدار من الإرث الثقافي. وهي دائماً مكان تصعب مغادرته. فإلى اللقاء يا فلورنسا الحبيبة في ربيع آخر.

ارنست هاوزر ■



هل تحبني؟

الجواب عن هذا السؤال لا يكون: "أنا تزوجتك، أليسَ كذلك؟"
ولا يكون: "هل يمكن ان نبحث في هذا الامر بعد انتهاء مباراة كرة القدم؟"
ولا يكون: "يتوقف الامر على ما تعنين بالحب."
ولا يكون: "تعالي الي وسأبرهن لك أني أحبك فعلا."
ولا يكون: "كيف لي أن أتحدث عن الحب وقد احترق طعام الفطور والبيت في فوضى مطلقة والاولاد يزعقون والحافلة تكاد تفوتني؟"
الجواب ينبغي أن يكون: "نعم."
الجواب ينبغي أن يكون: "نعم."
الجواب ينبغي أن يكون: "نعم."

ج.ف.

ضحكة الاميرة ديانا

قبل مدة استحقت الاميرة ديانا، زوجة ولي العهد البريطاني، نظرة صارمة من الملكة اليزابيث لأنها ضحكت علانية في اثناء عزف النشيد الوطني "اللهم احفظ الملكة." والواقع ان زوجها الامير تشارلز كان المسؤول عن ذلك، اذ حين بدأت الموسيقى تصدح بالنشيد مال نحو أميرته وهمس في أذنها: " يا عزيزتي، انهم يعزفون أغنيتنا."

"نيوزويك"

بيلاجيا نوكتيلوكا.

السمك الهلامي اللاسع غزا البحر الابيض المتوسط بالمليارات فهدد السابحين وأخلى الشواطىء ودفع علماء الحياة البحرية الى العمل لايجاد السلاح الكفيل بالقضاء عليه

قنديل البَحْر يَكويْ السَابحين!

راحت الفاتنة البنفسجية الرشيقة كراقصة باليه تنفض تنانيرها الرقيقة وترقص باغراء حتى وصلت أمام قناع السباحة الذي ألبسه. وسرت قشعريرة في جسمي عند رؤيتها لأنني عرفت أن مجسّاتها الشبيهة بالشعر والمزودة سماً لاذعاً يمكنها ملامستي مثل أسلاك شائكة. لقد سبحت وجهاً لوجه مع البلاء الذي يسكن شواطىء البحر الأبيض المتوسط، أي مع السمكة الهلامية (١) الجميلة الملعونة في آن. وسبحت بعيداً عنها على مهل كي لا أحدث اضطراباً في الماء قد يجذب الكائنة الكسولة نحوي.

تلك الكائنة الغادرة ذات الجسم الهلامي المخطط بشعيرات ذات لون ارجواني وليلكي لها اسم علمي هو "بيلاجيا نوكتيلوكا" لكنها تدعى أيضاً "الخطر الارجواني". فمن كوستا برافا الى الريفييرا مروراً ببحر الادرياتيك والجزر

(١) Jellyfish أو قنديل البحر.

Photo: Tom McHugh / Photo Researchers

اليونانية وأجزاء من افريقيا الشمالية، ينتشر السمك الهلامي الذي يشبه في حجمه وشكله مصباحاً كهربائياً منزلياً ويحوّل شواطىء عدة على البحر الابيض المتوسط رقع ارض شائكة شبيهة بغابات الثعابين.

تجربة باباندريو – معلوم أن لسعة السمكة الهلامية تولّد لهيباً كما اتضح لألوف السابحين. ويصف الدكتور زفونيمير ماريتيك (٦٥ عاماً) الخبير اليوغوسلافي في الكائنات السامة، رد فعل جسم الانسان على تلك اللسعة بالآتي: "تشعر أولا بألم شديد ومن ثم باحساس ملهب. بعد ذلك ينتفخ الجلد ويضرب لونه الى الحمرة ويتقرح أحياناً. أما الألم والحكاك فيدومان لأيام عدة."

ويقول البروفسور كارميلو سكاربا رئيس أطباء الجلد في جامعة تريستنه بايطاليا أن حدة رد فعل الجسم تتوقف على كمية سمّ البيلاجيا التي تدخله، فضلا عن تركيبة الجسم ذاته. أما المفعول الطويل الامد فقد لا يكون أسوأ من لسعة النحلة، ولكن بالنسبة الى الذين لديهم حساسية إزاء السمكة الهلامية، فانها قد تشكل خطراً حقيقياً.

ثمة ضحية أشرفت على الموت هي مارغاريتا باباندريو زوجة رئيس وزراء اليونان. فبينما كانت تسبح بعيداً عن الشاطىء الصخري قرب أثينا في يوليو (تموز) ١٩٨٣ شعرت فجأة بألم شديد في مؤخر ركبتها. وتقول: "كان ألماً شبيهاً بالالم الذي تحدثه لسعة مكواة حامية. وسبحت الى الشاطىء من فوري. وبعد ربع ساعة شعرت بما يشبه وخز الدبابيس في رأسي كله ثم أغمي علي."

ووصل طبيب بعد خمس دقائق ووجد أن ضغط دم السيدة باباندريو يقارب الصفر، فحقنها مادة مضادة لـ"الهيستامين"(٤) قبل نقلها بسرعة الى المستشفى. وهي بقيت متوعكة لمدة عشرة أيام. وتقول: "من حسن حظي أن الطبيب حضر بسرعة وأنقذ حياتي."

مليارات في كيلومترين – ما من أحد يعرف كم عطلة أفسدت نتيجة لسع السمك الهلامي أو كم حجزاً ألغي خوفاً منها، ولكن قد يكون لهذا النوع من السمك تأثير اقتصادي في المنتجعات الواقعة على شاطىء البحر. لقد رفعت رايات حمراء للانذار في صيفين متتاليين على مسابح نيس وموناكو وسواهما من منتجعات الريفييرا الفرنسية حين غزت أسراب البيلاجيا مياه الشاطىء الضحلة. ونتيجة ذلك يفضل كثير من السابحين الآن منتجعات أخرى.

تنساق الاسماك الهلامية بطريقة لا يمكن توقعها بحسب اتجاه الرياح والتيارات، وهي تظهر على الشاطىء غالباً في أعداد كبيرة بحيث يصعب على المرء المشي بينها. وفي شمال الادرياتيك يرتدي صيادو السمك الايطاليون بذلات مطاطية متينة تستعمل عادة لمواجهة العواصف وقفازات وأقنعة غوص للاحتماء من

(٤) "هيستامين" مادة في الانسجة النباتية والحيوانية تتسبب في انخفاض ضغط الدم وتقلص الرحم كما تثير تفاعلات حساسية.

السمك الهلامي الذي تلتقطه شبكاتهم بالأطنان. وقدّر العلماء امكان وجود ٣٥ بيلاجيا في كل متر مكعب من الماء، وأن سرباً يبلغ قطره كيلومترين يمكنه احتواء مليارات من حاملات الخطر الارجواني.

وتتجمع هذه الكائنات الحيوانية على مقربة من الشاطىء لفترة تراوح بين ساعات قليلة وأيام عدة حتى يجرفها التيار او الأمواج أو الرياح بعيداً من جديد.

ويتفق علماء الحياة البحرية على ان ليس ثمة منطق واضح لتحركات السمك الهلامي، اذ ليست له مسالك ثابتة كالتي تسلكها الطيور المهاجرة. وفي امكانه الانتشار أينما كان وفي أي وقت.

تحرك عمودي – الاسماك الهلامية بأجناسها الألف حيوانات بطيئة الحركة تطفو على سطح الماء. وهي تنتسب الى شقيق البحر والبولب الذي يبني المرجان. وتتفاوت بين أجناس بالغة الصغر وأخرى كبيرة الحجم كتلك التي يبلغ قطرها مترين وتتنقل في المحيطين الهندي والهادىء. وعلى رغم أن البيلاجيا وديعة مقارنة ببعض أجناس أخرى، اذ ان لسعة السمك الهلامي الاوسترالي مثلا تؤدي الى الهلاك فيّ غضون دقائق، فانه أخطر أنواع السمك الهلامي الموجود في حوض البحر الابيض المتوسط.

تتوالد البيلاجيا على الشواطىء وفي الداخل، وتنضج يرقاناتها في غضون شهرين أو ثلاثة أشهر. وهي جميلة المنظر لكنها مغفّلة. وليست للبيلاجيا أعين أو آذان أو أدمغة، وأجسامها شبه شفافة يراوح عرضها بين ثمانية سنتيمترات وعشرة ويشكّل الماء ٩٨ في المئة من تركيبتها. والصيادون الذي يجرفون أعداداً من البيلاجيا في شبكاتهم ويكومونها على الشاطىء يجدون ان المادة الهلامية تتبخر في غضون ساعات تاركة وراءها كتلا صغيرة لزجة على الرمال.

إن الخفق المتواتر لجسم البيلاجيا يشبه عملية فتح مظلّة واغلاقها. وهو يوفر حركة بطيئة ويشبه أيضاً دفعاً من نافورة ماء، لكنه ليس قوياً بحيث يستطيع مقاومة التيارات. والبيلاجيا تتحرك عمودياً في الاساس، ويمكنها الغوص عميقاً خلال النهار والطفو على سطح الماء ليلا، ويصدر عنها نور اذا ما تعرّضت لمضايقات.

خلايا لاسعة – تتدلى من جسم السمكة الهلامية مجسّات سامة دقيقة مثل الخيوط تصعب رؤيتها، و"المجسّات قابلة للتمدد على نحو مذهل، لذا يتوجب الابتعاد عنها،" هكذا يحذر عالم الحياة البحرية ماسيمو أفيان الذي استولد البيلاجيا في أحواض مخبرية في تريستنه منذ العام ١٩٨١. ويضيف: "وأثناء البحث عن الطعام قد تتمدد المجسّات حوالى ٨٠ سنتيمتراً. وفي اللحظة التي تلمس كائناً طافياً دقيقاً تشل الفريسة بسبب السم وتتقلص المجسّات الى حوالى سنتيمترين حاملة الطعام الى الفم."

ولدى السمك الهلامي سلاح فعّال هو خلايا لاسعة في جسمه ومجسّاته. وكل خلية هيَ غاية في الصغر بحيث تعادل

الوف منها حجم رأس دبوس، وفي داخلها خيط دقيق مجوّف ملفوف في شكل نابض (رفاص) له زند شعيري لاطلاقه. ولدى أدنى ملامسة تطلق ملايين الخيوط دفعة واحدة. وهكذا تنفجر كل خلية وينغرز كل نابض في جلد الفريسة ويضخ سماً ذا تركيبة بروتيينبية. فسواء لمست مجسّات البيلاجيا أو جسمها، فأنت واقع في مأزق.

ما سبب الغزو الكبير للبيلاجيا؟

استجابة لمبادرة من الحكومة اليونانية، عمد علماء في برنامج الامم المتحدة للبيئة الى العمل على تحديد السبب. وفي اجتماعات العمل التي عقدت في أثينا في يونيو (حزيران) وأكتوبر (تشرين الاول) من العام ١٩٨٣ جاء التخمين الارجح لعلماء الحياة البحرية أن تكاثر البيلاجيا يعود الى الدورة الطبيعية التي تؤثر في الكائنات الحيوانية وترتبط بتغيرات حادة في درجة ملوحة مياه البحار او حرارتها أو وفرة الغذاء فيها. والى ذلك اكتشف ماسيمو أفيان أنه في حين تتوالد البيلاجيا لفترة شهرين أو ثلاثة أشهر فقط سنوياً في المحيط الاطلسي، فانها تتوالد على مدار السنة في مياه البحر الابيض المتوسط الدافئة "فالمتوسط يوفّر إقامة دافئة للسمك الهلامي."

خطة عمل - أما في شمال الادرياتيك حيث لم تعرف البيلاجيا فعلا قبل العام ١٩٧٧، فان توالدها في الفترة الأخيرة، في رأي البروفسور فرنكو سترافيسي من معهد ثالاسوغرافيك في تريبسته، يعود الى هبوب الريح الجنوبية باستمرار. وهذه الريح تُحدث تيارات سطحية تجرف البيلاجيا الى جيوب الادرياتيك حيث تتمتع بفصول شتاء دافئة لم تألفها من قبل، اذ لا تنخفض حرارة المياه هناك تحت سبع درجات مئوية. وهكذا تعيش اعداد كبيرة من البيلاجيا وتتوالد في فصول الصيف اللاحقة. ولاحظ البروفسور سترافيسي انخفاضاً مفاجئاً في اعدادها بعد شتاء بارد في العام ١٩٨١. لكن اعتدال الحرارة في فصول الشتاء اللاحقة قد يزيد أعداد البيلاجيا من جديد.

وفي الاجتماعات التي عقدت في أثينا عام ١٩٨٣ وضع برنامج أبحاث للسمك الهلامي مدته سنتان، وفي طليعة البلدان التي شاركت فيه إيطاليا واليونان ويوغوسلافيا ومالطا. ويأتي البرنامج ضمن خطة عمل (٣) ترعاها الامم المتحدة ويقوم بموجبها ١٧ بلداً (٤) الى جانب المجموعة الاوروبية، بالتصدي لمشاكل التلوّث في البحر الابيض المتوسط. ومنذ ذلك التاريخ عكف كل بلد معني على متابعة العمل ووضع مشاريعه الخاصة التي تلقى دعماً من خطة العمل. فاستخدمت يوغوسلافيا واليونان غواصين لجمع معلومات موثوق بها عن الخطر الارجواني. ويقول طرزان ليغوفيك العامل في مركز الابحاث البحرية في زغرب بيوغوسلافيا: "لقد حان الوقت ليرتدي الناس بذلات الغوص ويراقبوا سلوك البيلاجيا في البحار."

---

(٣) Mediterranean Action Plan

(٤) اسبانيا وفرنسا وموناكو وايطاليا ويوغوسلافيا واليونان وتركيا ومالطا وقبرص وسوريا ولبنان ومصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

قواعد للسلامة - السؤال المطروح الآن هو: ماذا يمكن عمله للتغلب على الخطر الارجواني؟

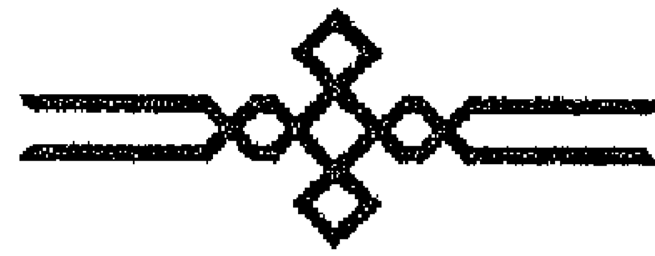
في مالطا، الجنود الذين يعملون في قوارب الاستكشاف لتنظيف مياه البحر من بقع النفط مستعدون لمحاولة جمع السمك الهلامي في براميل. أمّا الفنادق القريبة من أثينا فقد حاولت تسييج مسابحها الخاصة بواسطة شباك، غير أن مجسّات البيلاجيا قادرة على تقطيع خيوط الشباك والنفاذ منها. ومعلوم أن السمك الهلامي لا تقتله، انتقائياً، أي مادة كيميائية معروفة.

ويظن الأطباء أن التلقيح قد يحمي الأجسام البالغة الحساسية من تأثير لسعة السمك الهلامي. والى أن يكتشف اللقاح الفاعل يطلب من السابحين اتخاذ اجراءات وقائية. كذلك يستحسن وضع أنبوب من المادة المضادة للهيستامين أو من مادة الـ"كورتيزون" (متوافرة في معظم الصيدليات) في حقيبة النزهة للمعالجة الآنية. كذلك ينبغي للسابح ان يبحث عن السمك الهلامي، واذا ما وجد بعضاً منه فمن الافضل أن يلبس بذلة غوص أو ثياباً خفيفة، أو على الاقل أن يضع قناعاً على عينيه لحمايتهما ولرؤية السمك الهلامي الذي يقترب منه. وقد وجدت مارغاريتا باباندريو أن ثياب الباليه المحكمة على الجسم توفر لرجليها وذراعيها حماية تامة. وهي تكسو يديها بقفازين وتضع على وجهها قناع غوص.

اذا واجهت سمكة هلامية في الماء ابتعد عنها بهدوء. وفي حال تعرّضك للسعة منها اتبع هذه القواعد البسيطة:

- نظّف موضع اللسعة جيداً لازالة آثار المجسّات الملتصقة بالجلد. أغسل الموضع بماء البحر من دون فرك وامتنع كلياً عن استعمال مياه الشرب لأن ذلك ينشط ما تبقى من خلايا سامة.
- أبطل مفعول السم بصب ماء النشادر (الامونيا) المخفف او الخل بوفرة على الجلد.
- ضع على مكان اللسعة مرهماً يحتوي على مادة مضادة للهيستامين أو مادة الكورتيزون.
- احذر الحك أو الفرك على موضع اللسعة. وراجع طبيباً اذا ظهرت تقرحات أو اذا شعرت بالوهن أو اذا واجهتك صعوبة في التنفس.

جون دايسون ■



طويل العمر

سأل أحدهم الفنان المزلي جورج بورنز عن شعوره بعدما بلغ الخامسة والثمانين من العمر.

فأجاب بهدوء: "عندما أشعر اني بلغت الخامسة والثمانين، سوف أخبرك."

س.ب.



صور من الحياة

فسحة الحب

انني أرملة أعيش مع ابن مراهق وأعاني مصاعب مالية كثيرة، لذلك أقطن واياه بيتاً نقالا على سيارة قديمة ونقاسي كثيراً من العناء. وحين هرب أحد رفاقه من بيت أهله، وهو بيت جميل، استغربت ذلك العمل وتساءلت: "لماذا فعل ذلك؟ ان لديه كل ما يمكن أن يتمناه."

فأجابني ابني بلهجة واقعية: "لكن يا أماه، الحال هي كالآتي: لدى رفيقي فسحة وافرة وقليل من الحب، أما أنا فلدي فسحة ضيقة وحب وافر."

ك.ل.

جاذبية رجل "عادي"

الممثل جاك نيكولسون (٤٨ عاماً) شارك في ٤٠ فيلماً سينمائياً وربح جائزتي أوسكار. وهو لا يخجل من الظهور أمام الجمهور في دور رجل متقدم في العمر. انه يقول: "ليس للممثل ما يقدمه الى الناس سوى حياته. وأنا لا يمكنني أن أمثل اليوم دور ابن ١٨ ربيعاً، اذ انني أختلف كثيراً عما كنت في السن الثامنة عشرة. وكل ما لدي لاقدمه هو ما أراه الآن وما أحسه الآن."

وأحد الاسباب التي لا تدع الرجال يغتاظون من جاذبية نيكولسون أنه يجعل النجاح مع الجنس اللطيف متاحاً للجميع. لقد دب الصلع في رأسه قبل زمن طويل. وفي أحد أفلامه الاخيرة كشف عن بطن مكوّر مثل قبة قصر الكرملين. وهو ينتعل الاحذية العادية ويعقد ربطة العنق الشائعة.

انه رجل عادي الى حد غير عادي.

ب.أ.، في الـ"واشنطن بوست"

ما حك جلدك...

بعد شتاء قاس وجد رجل أن الطريق الى بيته أصبحت مليئة بالحفر. وكانت أمام بيته حفرة واسعة. وحين لم تجدِ التماساته المتكررة الى البلدية لردمها قرر أن يعالج الامر بنفسه.

أحضر شجيرة وغرسها في الحفرة وأحاطها بالعشب والازهار.

وعلى الفور سارعت البلدية الى ردم الحفرة.

س.ك.

جان هنري فابر
شاعر العلم

رحلة في فكر جميل لمستكشف جريء
ارتاد أسرار الحياة العميقة

التقيت جان هنري فابر للمرة الاولى في صف أدب. وتسعدني هذه الحقيقة لأن أسلوبه الانيق في الكتابة يتفق مع الادب كاتفاقه مع علم النبات أو علم الحيوان او أي فرع آخر من العلوم التي كانت في زمانه تعرف بالفلسفة الطبيعية. كان في الواقع شاعر علم شاهد جمال الطبيعة ووحشيتها بنسبة متساوية من البهجة والرهبة وكتب عنها بأسلوب لا ينسى.

اسم فابر أضحى مرادفاً لعلم الحشرات. وبعض من كتبه مثل "حياة ذبابة" و"الزنبور البنّاء" و"الحياة الاجتماعية في دنيا الحشرات" (١) اصبح من التراث العالمي. وهو عمل منفرداً ولقي التجاهل والحسد من العلماء الآخرين، فساعد في تحويل الاستقصاء العلمي عن النماذج النافقة المسمرة في المختبرات الى مراقبة سلوك الكائنات الحية في الحقول عن كثب. وموسوعته الشهيرة "ذكريات من عالم الحشرات"(٢) التي تتألف من عشرة مجلدات تحظى باعجاب القراء في ١٣ لغة. ولا تزال كتاباته جديدة وموضوعية ومثيرة ومفعمة بمواقف الترقب المثير. تأمل هذا الفصل حول سفاد (تزاوج) العقارب الذي كتبه عام ١٩٠٤:

"عقربان من الجنسين يواجه كل منهما الآخر ومخالبهما مشرعة وبراثنهما منقبضة. تمشي العقربان بخطوات موزونة

(١) The Life of the Fly, The Mason-Wasps, Social Life in the Insect World

(٢) Souvenirs Entomologiques



وزنابتاهما ملتفتان في عقدة بديعة. الذكر في المقدم يسير القهقرى والأنثى تتبعه مطيعة وعالقة من أناملها وهي تواجه قائدها. ومن حين الى آخر يتحول الذكر برشاقة يمنة ويسرة ويأخذ مكانه بجانب رفيقته. بعد ذلك يلامس ظهرها هنيهة وذنبه منبسط. انها تقف هادئة بلا حراك. أراقبهما لأكثر من ساعة ثم يحدث أمر ما. لقد عثر الذكر على ملاذ يروقه. يفلت رفيقته من يد ويظل ممسكاً بها باليد الاخرى، ثم يبدأ حفر فتحة غير عميقة بقوائمه وذنبه في الرمل تحت احدى قدوري الزراعية. يلج الفتحة على مهل ومن دون عنف ويجر وراءه رفيقته الصابرة. ثم تقفل كرة من الرمل مدخل هذا الملاذ. هكذا أصبح الزوجان داخل بيتهما."

تتسم كتابات فابر بموهبة تصويرية ساحرة. فيصف العنكبوت العملاقة التي يدعوها "القاتلة" و"قاطعة رقاب النحل"، في مقامها المفضل وردة الصخور ذات الاوراق البيضاء والزهور الكبيرة المتجعدة التي لا تدوم سوى صباح واحد ثم تبدل في اليوم التالي. ويمتدح العنكبوت لأنها "مخلوقة جميلة على رغم كرشها البشع." ويضيف ان بعضاً من بنات جلدتها "سيدات جميلات يزينّ سيقانهن بخلاخيل وردية وظهورهن بزخارف قرمزية."

سنوات الفقر - ظل فابر طوال حياته يتحاشى المجتمع الفرنسي الرسمي بتركيبته وقيوده. واللقب الوحيد الذي رضي به كان "مراقب بيوت العنكبوت."

ولد فابر عام ١٨٢٣ وتوفي عام ١٩١٥ (بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى. وشهدت فترة حياته ظهور الشريط الشائك والسيارة والطائرة والهاتف والحليب المعقم. وكانت عائلة جان هنري كازيمير فابر قاسية وصارمة كالصوان الرمادي البارد في منطقة أفيرون. كانت عائلة فقيرة ومعظم أفرادها أميون. أما جان فأوكل اليه في سن مبكرة أمر العناية بالبط مما أتاح له أن يقضي وقتاً طويلا متجولا في الحقول ومتمدداً على ظهره يراقب الغيوم ومتدحرجاً ومنبطحاً يدرس سعي النمل وهندسة كثبانه. وهكذا بدأ نمط حياة كاملة.

المدرسة كانت شيئاً ساحراً بالنسبة اليه، اذ انها زودته صيغة للأشكال والاصوات والوشائج التي اكتشفها وحده في الحقول. والى روعة خفق جناحي طائر العقعق وصرير الجدجد أغرم الصبي بجمال شعر فرجيل وبعلم الهندسة.

وأضحت حياته سعياً دائباً الى الموازنة بين تحصيل الثقافة والعمل الوضيع الذي أبقاه طوال سنوات أعلى قليلا من مستوى الفقر. فعمل في خدمة أبيه وجدّه ثم مع فريق عمال لشق الطرق. وباع الليمون في معرض بوكير. وكان يؤدي خدمات مختلفة بأجر في كل مدرسة انتسب اليها. وأخيراً عمل في التعليم، في مدرسة ابتدائية اولا في كاربنتراس ثم في مدرسة ثانوية في آفينيون. غير أنه لم يعلم في الجامعة قط، مع أنه ظل سنوات يتوق الى بلوغ ذلك المستوى.

كان أجر فابر من التدريس ضئيلا. فاذا اشترى كتاباً كلفه ذلك أجر شهر



"لارما" بيت فابر في سيرينيان دو كوانتا.

والاستغناء عن الطعام. وحتى بعد نيله شهادة الدكتوراه (٣) ظل دائماً يقوم بعمل اضافي كمدرّس وأستاذ رسم ودليل متحف لكي يعيل زوجته ماري التي اقترن بها عام ١٨٤٤ وأولادهما السبعة. وخلال العقدين الاخيرين من عهده في التعليم بين ١٨٥٢ و١٨٧١ لم يتقدم في الرتبة ولا في الراتب.

مختبر الحقول – أحد المربين القليلين الذين قدّروا مواهب فابر العظمى كان فيكتور دوروي الذي عين وزيراً للتعليم في عهد الامبراطور نابوليون الثالث. وكان دوروي أول من حض فابر على تأليف كتبه العلمية الرائجة للاطفال، ومنحه وسام جوقة الشرف. والأهم من ذلك أن دوروي هو الذي دعا فابر في ربيع ١٨٧٠ الى تقديم سلسلة من المحاضرات العامة في آفينيون أمام جمهور ضم عدداً كبيراً من طالبات المدارس الثانوية. وجاء هذا الحدث نقطة تحول في حياة فابر. كان حينئذ في السابعة والاربعين من العمر وقد نشر عدداً من المقالات الاكاديمية الرائعة في مجلات علمية، لكن محاضراته الاثنتي عشرة في آفينيون كانت المناسبة الاولى التي أبرزت فابر المغمور

(٣) وضع أطروحته حول النبتات السحلبية والدويبات المئينية أو أم أربع وأربعين.

أمام جمهور من غير الاختصاصيين أمكنه ان يشاركه أخيراً في شعره العلمي.

لا نعرف سوى القليل عن موضوع محاضراته ما خلا أنها أبهجت بعض الناس وصدمت آخرين. واحتج عدد من زملائه المعلمين الحسودين على مناقشته مواضيع مثل عملية التلقيح في عالم النبات ودعوته العلنية الى تدريس العلوم للبنات. وللحال أثيرت فضيحة عامة. وكان فابر قارب الخمسين من عمره حين غدا بلا عمل ولا مأوى فاضطر الى تحصيل ما يقيته بالوسيلة الوحيدة التي بقيت له: تأليف الكتب التي لا تزال تقرأ حتى اليوم.

ومن بين الذين حضروا محاضرات فابر الفيلسوف البريطاني جون ستيوارت ميل الذي رافقه في نزهات لدرس الطبيعة وأعطاه قرضاً غير مشروط بقيمة ١٢٠ جنيهاً استرلينياً. هذا المال مكّن فابر من الانصراف الى الكتابة طوال الوقت وبالتالي، في العام ١٨٧٩، من تحقيق حلم حياته بامتلاك بيت مع قطعة صغيرة من الارض في سيرينيان على بعد ٢٥ كيلومتراً من آفينيون. وأطلق فابر على ذلك المكان اسم "الارما"(٤) وأضحى البيت الصغير والارض التي لا تتعدى مساحتها هكتاراً واحداً "مختبر الحقول" الشهير وعالم حبة الرمل الذي قرأ عنه ألوف الاطفال في كتبهم المدرسية. كان هذا المكان بالنسبة اليه "جنة من السعادة عزمت أن أعيش فيها وحيداً مع الحشرات."

وخريطة عالمه الشخصي صغيرة جداً. انها ضمن قطعة صغيرة من ريف فوكلوز الغربي ذات شعاع طوله ٣٢ كيلومتراً حول مدن كاربنتراس وآفينيون وأورانج. وتشمل جبل فنتو المعروف باسم "جبار بروفانس" وهو أقصى الجبال غرباً في الارض الفرنسية قبل جبال الالب وقد تسلقه فابر مراراً.

كلمة البعوضة – ذهبت في رحلات عدة الى "لارما" محاولا أن أكتشف ليس عالم فابر الطبيعي فحسب، بل مدى اتساع فكره كذلك. في أوج فصل الصيف حين تثمل الاحاسيس بأريج الازهار وألوانها تدب الحياة في حديقة فابر بأزيز الحشرات. ويبدو انه الفصل الافضل للعثور على الشاعر.

غير أني بدأت أعثر على فابر أخيراً في يوم شتائي تحت شمس يناير (كانون الثاني) الضعيفة، وكنت وحيداً في جزء قصي من الحديقة. ففي فصل يمثل الموت كانت حديقة فابر تزخر بالحياة. وأدركت أن هذا هو الوقت الذي يمكن المرء فيه أن يرى ما في لب الاشياء ويلاحظ أنماطها وينظر حقاً الى الاشكال التي تحجبها أوراق الشجر في الصيف.

وذهبت الى آفينيون أيضاً. ووقفت في باب حانوت في جادة فابر لانظر عبر الشارع الى بناء سان مارسيال. هنا ألقى فابر محاضراته العامة. وفي الداخل، في الضوء الخافت، خيل الي أني أرى وجوهاً عاشت قبل مئة سنة وقد ارتسمت على بعضها أمارات الصدمة وعلى البعض الآخر علامات الاهتمام.

---

(٤) l'Harmas أي الارض الصخرية الجرداء.

وكل من يود أن يسير على خطى فابر عليه أن يتسلق جبل فنتو. الرحلة تستغرق أقل من نصف ساعة في السيارة، لكنها بالنسبة الى فابر على متن عربة يجرها حصان كانت رحلة استكشافية كاملة. وبعد تسلقه الثالث والعشرين عام ١٨٦٥ كتب: "ان رحلة نصف نهار صعوداً تعرض أمام عيوننا تعاقباً من أنواع النباتات بمقدار ما قد نجده في رحلة طويلة شمالا عبر أوروبا الى دائرة القطب الشمالي."

كان فابر يهوى بنوع خاص مشاهدة شروق الشمس والاحساس بلمع العواصف الماطرة هناك. ففوق القمة في مهب الريح الازلية التي أعطت جبل فنتو اسمه، تمكن مشاهدة جبال الالب السويسرية والهضبة الوسطى وفوكلوز وعالم فابر كله. "لارما" ليس سوى نقطة في حجم ذبابة، وبعوضة وصراصيره وعقاربه لا يمكن أن ترى. انه الموقع المناسب تماماً لرجل يريد أن يكتب: "ان للحياة أسراراً لا تسبر أغوارها. ومعرفة الانسان ستمحي من محفوظات العالم قبل أن نعرف الكلمة الاخيرة التي تريد البعوضة أن تقولها لنا."

آن هاسكل ■



هواية امرأة

استُخدمت فتاة لتعمل "متسوقة سرّية" في متجر للثياب وأدوات التجميل. وكان عملها يقتضي الاحتكاك بالبائعين كشارية وتقديم تقرير الى المراقبين عن اداء كل منهم. ومن يومها الاول سألتها أمها هل تحب عملها الجديد.

فردت:"اني أعشقه. تصوري انهم يدفعون لي أجراً في مقابل ممارستي أحب هوايتين الي: شراء الثياب وانتقاد الناس."

ل.ر.

سر النجاح

كان أحد كبار الاثرياء يتبجح متحدثاً عن سر نجاحه في الحياة، فقال: "كنت دائماً أؤمن بأن الاجر هو أقل أهمية من أي اعتبار آخر في العمل. فانجازك العمل بجد وبأقصى طاقتك يعود عليك بالرضا أكثر مما يفعل المال."

وسأله أحد الصحافيين: "وهل اصبحت ثرياً بعدما اقنعت نفسك بأن هذا صحيح؟"

فأجاب: "لا، بل بعد اقناع العاملين لدي بذلك."

ج.أ

الاداب كالصفر في الحساب، يمكن ألا تكون شيئاً في ذاتها، لكنها قادرة على زيادة قيم عظيمة الى أي شيء آخر.

فريا ستارك

أنشودة الحياة

الشجاعة التي استقتها الممرضة الشابة من المقعدين والمحتضرين علمتها كيف تجتاز وادي الظلام



تمسكت يان توبين بمعطفها الواقي من المطر وهي تمشي الى المستشفى ذات مساء ماطر من يناير (كانون الثاني). قوامها الممشوق وعيناها الكبيرتان القاتمتان، ووجنتاها المرتفعتان جعلتها فتاة جذابة.

واذ وصلت الى وحدة العناية القلبية باشرت مراجعة جدول كل مريض. إنها في السادسة والعشرين وفي السنة الرابعة من عملها رئيسة لفريق وحدة العناية القلبية في مستشفى مارين العمومي في ولاية كاليفورنيا. والاسم على الجدول ١٦ يأسر انتباهها. لقد اعتنت بغاري قبل شهرين لدى ادخاله الوحدة وهو يشكو ألماً في الصدر. وكان التشخيص اصابة بسرطان الرئة. وها هو عاد الآن.

دخلت يان غرفة غاري وصدمت لتغير

Illustration: Deborah Chabrian

حاله. فالشعر الكثيف الأشقر زال، وبدا كأن العضلات تحت اللحم ذابت مخلفة هيكلا عظمياً.

"مرحباً غاري. جئتك بالأدوية." وأشاح غاري بوجهه: "حسناً، أحضري مزيداً من العقاقير لتبقي الرجل المحتضر هادئاً."

– لا، بل كي تجتنب الألم فتحيا بأفضل ما تستطيع.

قال غاري ووجهه يتلوى مغضباً: "أنت لا تدركين كيف يكون الامر. أنا في الخامسة والأربعين ولا وقت متبقياً لدي. لا تحدثيني عن الحياة يا سيدتي." وتلت هياجه لحظة صمت.

قالت يان وهي تجلس في مواجهته: "سأخبرك أمراً ما. أنا مصابة بالسرطان أيضاً. كنت في نقاهة، لكني انتكست. لذا فاني أدرك مشاعرك. لا تدع الغضب يسلبك الحياة التي تعيشها الآن."

وتكلم غاري بصوت منكسر: "ليس ذلك سهلا علي. كيف تفعلين أنت؟

– إني اجتاز المراحل العصيبة وأنا متشبثة مقدار استطاعتي بالمراحل الجيدة. وأحاول أن أستغل وقتي على أفضل نحو.

كآبة داخلية – في الاسابيع التالية ازدادت أوجاع غاري وازدادت كذلك جرعاته من المورفين. وراقبت يان بحزن حياته وهي تنساق الى سديم شفيف.

وبعد ظهر ذات يوم فيما الرجل المحتضر يجاهد ليتنفس جلست قريباً منه تتحدث برقة عن أمور تحدث كل يوم. وخلال ساعة أنهى الموت آلام غاري. كان ذلك في فبراير (شباط) ١٩٧٩.

مشت يان الى الحاجز الأمامي لوحدة العناية القلبية حيث كنت أنا الممرضة الجالسة الى المرقاب التلفزيوني. قالت: "ها أنا كنت أعظه لمواجهة الموت بسهولة، في حين لم أواجه أنا نفسي تلك الخاتمة. لقد أجلت الأمر في ذهني تكراراً. أين أصبحت؟ وكم علي أن أمضي؟" وأخذت تستعيد المشهد الأليم في أغسطس (آب) ١٩٧٥ وهي تنظر من النافذة:

أخبرها الطبيب بهدوء: "أنت مصابة بداء هوجنكنز (★) ". وفجرت فيها تلك العبارة صدمة وخوفاً. وكانت يان علمت بالورم في عنقها قبل أشهر، لكنها اذ خالته غير مؤذ فقد تجاهلته.

وأعدت نفسها للمعركة. فاستكشفت وسعها عن داء هوجنكنز. ومع انه في العادة نوع من السرطان قابل للشفاء، الا ان حالتها تم تشخيصها في طور متأخر. والتمست العون من عيادة ستانفورد لعلم الأورام حيث باشرت علاجاً كيميائياً وآخر اشعاعياً.

أدركت يان منذ البداية أنها لن تترك وظيفتها، "فثمة أمور علي أن أتعلمها وأمنحها الآخرين." غير انها حين عادت الى العمل كانت تقطع فترات هدوئها نوبات ثوران ونفاد صبر. فكأن كآبة داخلية أرخت سدولها ولونت أحاسيسها، وحاقها الغضب كجدار من ثلج.

وبحثت عن إرشاد فاضطلعت بمهمات في قسم الحالات الخطرة في الوحدة القلبية كي تعمل مع المرضى الأكثر

(★) داء هوجكنز (Hodgkins disease) مرض خبيث يؤدي الى تضخم العقد والانسجة اللمفاوية والطحال وقد سمي نسبة الى مكتشفه البريطاني الدكتور توماس هوجكنز.

إعضالا. وأمضت اسابيع تطرح أسئلة وتصغي الى الاجوبة.

هذا هو اليوم الثالث تعتني فيه بإرني، وهو مريض بالقلب في التاسعة والاربعين. أخذ يراقبها وهي تعمل. وبعد دقائق نظرت اليه لتلمح على وجهه عبوساً مصطنعاً ولم تتمالك نفسها عن الضحك وسألته: "ماذا تفعل؟"

فابتسم قائلا: "إنني أقلدك. فأنت تبدين وكأن حياتك، لا حياتي، تعتمد على ما تفعلين. أنا مستمع جيد، وقد اتفق ان لدي متسعاً من الوقت الآن، فافضي إلي بمكنون صدرك."

قالت يان: "لدي مشكلة مستعصية وأنا لا أحسن معالجتها."

انحنى إرني الى الأمام هامساً: "أعرف ذلك، فحين يصبح المرء حبيس الفراش ولا عمل يؤديه فان غرائزه تعمل وقتاً اضافياً. ومهما تكن فداحة المشكلة فلن تبدل من كونك حساسة وتهتمين للآخرين. أنت كرست وقتك وطاقتك للمرضى، وهذا وحده ينبغي أن ينبئك بأمر ما."

الامل أو اليأس - استجابت يان فأخبرت إرني كل شيء. انهمرت الكلمات منها وكأنها كانت محشورة في حيز ضيق والضغط يزداد حولها ويستفحل. ثم قص عليها إرني حكاية مرضه: "أخبروني أني سأمضي بقية عمري في كرسي المقعدين. وأعلمتهم بأني لن أذعن لذلك. وبدأت البحث لاجراء زراعة للقلب. سيقولون لي ذات يوم: يا إرني، أدخل وتسلم قلبك الجديد. سيحدث ذلك، أنا أحسه في قلبي.

"وسأخبرك يا يان، حينما وعيت ما جرى لي فزعت. لكن أموراً قليلة حالت بيني وبين القيام بما آمنت به. اني أنقب في نفسي وأختار الأسباب الأكثر اقناعاً للقيام بأمر ما أو الايمان به. ثم أهبها كل طاقتي وأخرج مكافحاً."

بدا كأن قوة إرني تنساب الى يان. كان عليها هي أيضاً أن تختار: أن تحيا بالامل والشجاعة او ان تموت يأساً وحنقاً من دون أن تخلف وراءها شيئاً ذا قيمة.

واختارت يان. وأعطت المعالجة الكيميائية والاشعاعية ثمارها. ولمدة سنتين أمضت فترة نقاهة، فتلاشت كآبتها الداخلية وتفتحت لها الحياة وباتت دنياها ملأى باثارة المسارح والرحلات وبدفء الاصدقاء والعائلة.

جلسات الاشعة وفحوص الدم وحدها سلبتها الطمأنينة. ومع كل تقرير طبي ايجابي شعرت يان بأنها تفلت من شيء ما.

اشترت منزلا مجاوراً للمستشفى، وهو مكان صغير كثير النوافذ كي تغمر الشمس جميع حجراته.

"كل الأمور جرت على ما يرام في حياتي. وتلك السنوات كانت أول فترة ألعب فيها حقاً وأكتشف من أنا. ثم حلت الكارثة." في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٨ ظهر ورم تحت ذراعها اليمنى.

أخذت اجازة لبضعة أيام وانسحبت الى ملجأها المشمس لتفكر. "لمت نفسي وبكيت حتى طلع علي النهار. فقبلت بنصيبي ثانية ولكن على نحو آخر. سأستمر في شن الحرب على الموت، لكني الآن أشنها من دون آمال او أحلام. علي أن أحيا كل ثانية بأحداثها."

طعم الهزيمة - ارتعشت يان وكأن قشعريرة مباغتة انتزعتها من ذكرياتها في ذلك اليوم من فبراير (شباط). قالت لي: "اذ رأيت غاري يموت بدأت أرتاب في قناعاتي. أنا أخاف أن اواجه ميتة مماثلة. لكن لا تجزعي. سأجتاز هذه المشاعر وأصبح أكثر استعداداً للتجربة. سأتفاهم مع نفسي مرة أخرى."

بعد وفاة غاري ركزت يان على وهب الناس ذخرها الكبير من المعارف. وكنت ألقاها في وحدة العناية القلبية تلقي دروساً في أحد الصفوف أو تنشىء عيادة جديدة. وبدلا من ارتياد المسرح أخذت تمضي أمسياتها في اعداد الدروس. لقد تعلمت يان كيف تنفذ الى قلوب الناس وتستخرج منها أفضل ما فيها.

وعند وفاة والدها عام ١٩٨٠ أصبحت يان سلوى أمها وشقيقتها. وبدا أن لديها مخزوناً من القوة لا ينضب. وكان جسدها، على اعتلاله، عوناً لها. كانت استجابتها للعلاج الكيميائي غير مريحة لكنها مقبولة.

وفي نهاية ١٩٨٢ بدأت يان تتعب بسرعة اكثر. وأصيبت بسعال متواصل وبات نفسها قصيراً. ولم يكن جسمها ليواكب روحها.

وفيما هي جالسة في مكتب الممرضات عشية يوم من مارس (آذار) ١٩٨٣ اخبرتني انها، حسبما تتذكر، لم تشعر بالانهاك أكثر من أي وقت مضى. ومع ذلك بقيت لتعتني بعجوز محتضرة. دخلتْ غرفة تلك المريضة وتفرست في وجهها الشاحب، فأخذت العجوز يدها قائلة: "لن أنجو هذه المرة."

وسألتها يان وهي ترفع شعرة رمادية عن وجنتها: "ما الذي يجعلك متيقنة من أنك ستموتين الآن؟"

فأجابتها العجوز: "انها الغريزة. المرء يدرك متى يحين وقت اطلاقه. جسمه يخبره."

أحسّت يان خوفاً ممعناً لدى سماع كلمات المرأة، لكنها نفضته وانصرفت إلى اداء مهماتها. ثم دهمتها نوبة غثيان اذ تحرك ألم من أسفل عنقها فأصبح موضع انتباهها.

قصدت ردهة الممرضات. وفي مواجهة المرآة رأت كم ان عينيها غائرتان. وتفحصت مؤخر حنجرتها: الالتهاب هناك قد نما ونصف حنجرتها متقرح على نحو خطير. وللمرة الاولى ذاقت يان طعم الهزيمة.

كان اليوم التالي الجمعة، يوم عطلتها. قادت السيارة مع امها الى مركز "بالو آلتو" الطبي. وجلست قبالتها طبيبتها وصديقتها الدكتورة باولا كوشلان وهي تحمل ملفاً: "أنا آسفة يا يان، لكن مخ العظم يظهر اصابة مستشرية والداء ينتشر بسرعة."

جلست يان مذهولة وعبارة "ميؤوس منه" تلتمع في ذهنها. ثم احاطت الطبيبة بذراعها قائلة: "شكراً لك على كل ما فعلته."

ومن داخل سيارتها التي قادتها عائدة الى المنزل نظرت بصمت عبر النافذة الى الهضاب الربيعية الخضر. وبعد فترة متطاولة التفتت إلى والدتها قائلة: "أنا سعيدة يا أماه. لقد فرّج عني. الأمر سينتهي أخيراً. لشد ما كنت مرهقة."

شجرة الخوخ - كانت صبيحة اليوم التالي، السبت، جميلة. سجلت يان قائمة بالاشخاص الذين ستتصل بهم هاتفياً ووضعتها على طاولة قرب السرير. الحب يغدق عليها. لم تكن تتصل لتقول وداعاً، إنها تتصل لتشارك في الحب.

قالت لي: "أفضل ما يسعك أن تفعليه لأجلي أن تجعليني أضحك. فأنا ما زلت قادرة على الضحك كما تعلمين. كنت أفكر في أن ليس علي أن أزور طبيب الأسنان ثانية أو أن أقف في صف الانتظار في المصرف. ياه، أيمكنك أن تتخيلي شعوري اذا ما اتصلت بي باولا وأعلمتني أن لدي متسعاً آخر من الوقت؟ سأرتبك جداً. أظن علي أن أموت الآن بعدما أخبرت الجميع.

"لست خائفة الآن وقد أصبحت قريبة جداً من الموت. استرجع الماضي وأفكر: اسمعي يا يان، لقد كافحت لثماني سنوات وقمت بعمل حسن. لا أحد يستطيع القول اني لم أهب كل ما عندي."

وكان يوم ثلثاء. النهار حافل بأحاديث مع العائلة وبالضحك مع الأصحـاب. وراجعت يان الورقة التي كتبت عليها آخر الامنيات بخطها المنمق. وكان المساء في أوله حين طلبت من أمها أن تساعدها للذهاب إلى الفراش.

تناولت يان قرصين لتسكين الألم. وتكلمت مع أمها لوقت قصير قبل ان تغمض عينيها. وفي السادسة فجراً استيقظت وطلبت قـرصين آخـرين. ولاحظت أمها أن يديها ترتعشان، واذ همت بمغادرة الغرفة ابتسمت يان ونادتها: "شكراً يا أماه... تصبحين على خير."

بعد ساعتين سمعتها أمها تئن، واذ هرعت اليها ألفتها لا تجيب.

واستدعيت شقيقتها. وفي العاشرة الا خمس دقائق صباحاً، والكل متحلقون وقوفاً حول السرير، توقفت يان عن التنفس. وحدقت أمها الى وجهها وعجبت للطمأنينة المرتسمة عليه.

في ٣ ابريل (نيسان) ١٩٨٣ وقفت جماعة من الناس أمام شجرة الخوخ (البرقوق) المغروسة حديثاً في حديقة المستشفى. وتقدمت ممرضة خطوة إلى الامام لتلقي هذه الكلمات:

أين السيدة الرقيقة السوداء الشعر،
المكافحة من دون تذمر،
العازمة على التحسن؟
لقد بذلت طاقتها للمحتاجين،
متناسية الزمن المسرع.
قالت انها هي المحظوظة
اذ تخلصت من الآلام،
لكنها تأسى لأحزاننا
بعد رحيلها.
أيتها السيدة الجميلة السوداء الشعر،
ستحيين فينا أبداً.

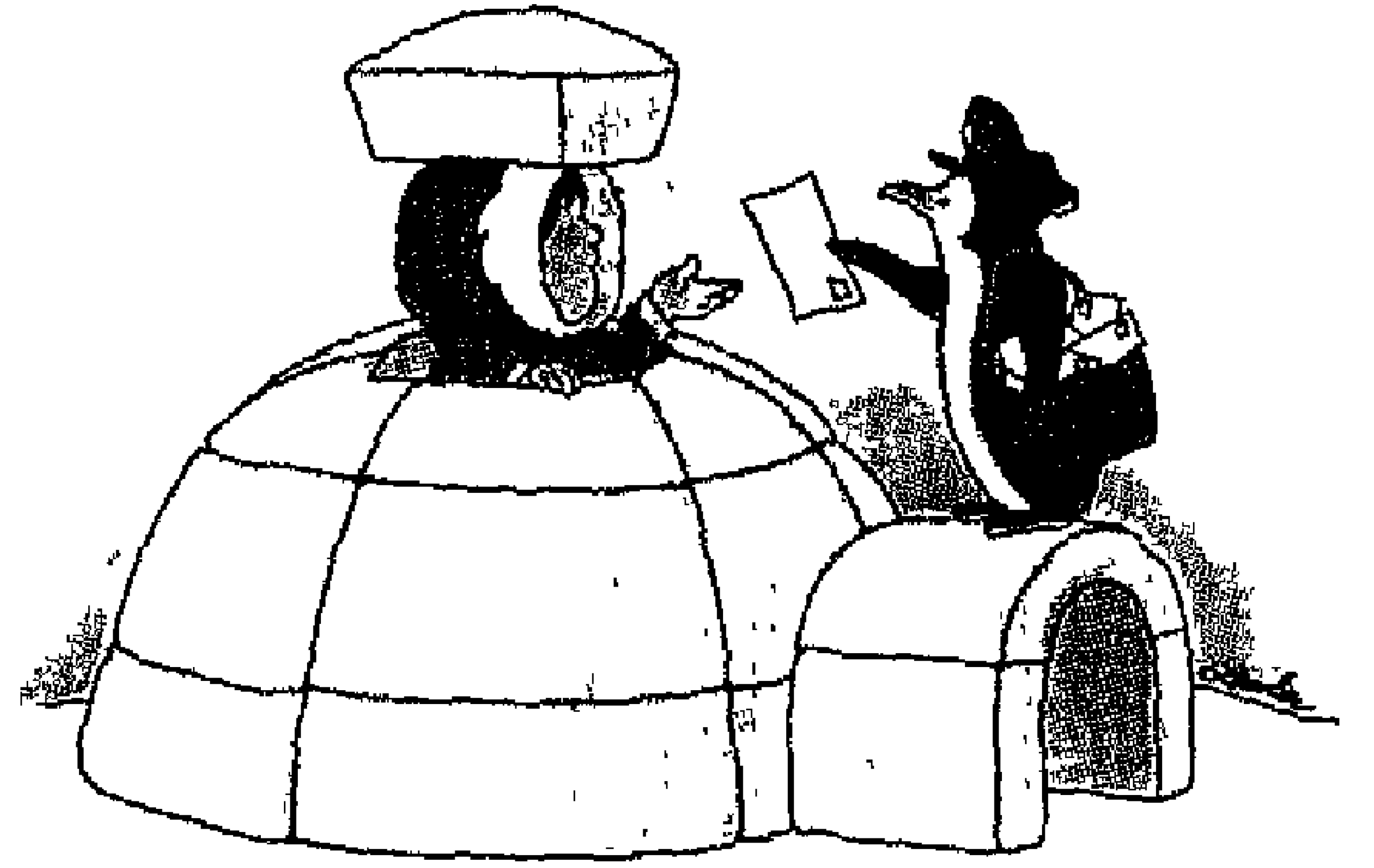
ايكو هيرون ■



كان الناس يصفرون أثناء العمل. أما اليوم فانهم يضعون سماعات الراديو على آذانهم.

م.ب.

حكايات من العالم



رحلة ضريبية

لجأت السلطات في مقاطعة ستيرلينغ، غرب أوستراليا، الى طريقة فذّة لحث المواطنين على دفع ضرائبهم في الوقت المحدَّد. فقد عمدت الى إشراك كل من يدفع الضريبة قبل موعدها الأخير في مباراة، وجعلت جائزتها رحلة الى الخارج لشخصين، مع دفع جميع التكاليف. وسجّلت الطريقة نجاحاً عظيماً حدا عدداً من المحافظات الاخرى على تبنّيها.

أ.ف

الرفق بالطيور

اعتادت الطيور في مقاطعة بورغنلاند في النمسا، طوال قرون، أن تبني أعشاشها في مداخن البيوت وسط المزارع. وحين عمد أهالي المنطقة في السنوات الأخيرة الى تجديد مداخنهم لتعمل على نحو أفضل، أدّى ذلك الى اختناق أعداد كبيرة من الطيور المعشّشة بسبب احتراق أعشاشها.

ولم تجد الطيور بدّاً من اللجوء الى الأعمدة الكهربائية التي مُدَّت فوقها أسلاك ذات تيار منخفض. غير أن ذلك أدّى الى هلاك المزيد منها. فما كان من شركة الكهرباء إلّا أن استشارت خبيراً في الطيور حول ما ينبغي فعله، فأعطاها الحلّ الآتي: نقل الأعشاش الى أعمدة تُبنى للطيور وتشبه الأعمدة الكهربائية.

مجلة "تايم"

قاموس اكسفورد

داخل المبنى الذي يؤوي مؤسسة قاموس أكسفورد للغة الانكليزية في مدينة اكسفورد البريطانية، يتلقى الموظفون مكالمات هاتفية طوال أوقات الدوام من أمكنة مختلفة في العالم، يسأل أصحابها عن تهجئة كلمة أو إمكان استعمال كلمة أخرى وما الى ذلك من الأسئلة اللغوية. وبدلا من الاشمئزاز يرحب رئيس التحرير الحالي للقاموس روبرت بورتشفيلد بهذه المكالمات التي خص بها شبكة هاتف. وفي إمكان الراغب أينما وُجد هاتف فعال أن يطلب الرقم الآتي: (٠٨٦٥) ٥٦٧٦٧ ويطرح سؤاله اللغوي على بورتشفيلد أو أحد معاونيه.

صحيفة "كريستشن ساينس مونيتور"

لا معابد منحوتة بفخامة هاهنا ولا أجداث ملوك، غير أن هذه السلسلة من الجدران المتداعية والسلالم والأعمدة القائمة على ضفاف الهندوس والتي تبعد ٤٠٠ كيلومتر عن كراتشي في باكستان هي محور عملية انقاذ دولية.

الخرائب المكونة من ألواح قرميد أحمر متماثلة هي كل ما تبقى من مانجودارو،



منظر جزئي يظهر التصميم المنتظم للطرق والابنية في المدينة القديمة.

احدى كبرى حواضر العالم القديم. وكان اكتشاف هذه المدينة التي ترقى إلى ٤٥٠٠ سنة خلت في بواكير هذا القرن انجازاً رئيسياً في علم الآثار، مما ثبّت وادي الهندوس كواحد من مهود الحضارة. وهي حضارة رائدة سابقة لحضارتي مصر وبلاد ما بين النهرين بزمن قصير، وقد انتشرت في مساحة اكبر منهما

مجتمعتين. وكانت من أوائل الحضارات التي أحدثت تخطيط المدن وانشاء شبكة جوفية لتصريف المياه. ويقدّر أن أول ثوب قطني نسج في ذلك المكان.

كانت مانجودارو كبرى حواضر شبه القارة الهندية، وهي مصممة في صفوف أبنية مستطيلة وجادات حسنة الرصف تمتد من الشمال إلى الجنوب وأزقة

مانجودارو سبقت مصر وبابل الى حضارة المدن

أطلال هي كل ما تبقى من نظام حكم ديموقراطي بدائي في شبه القارة الهندية

تتقاطع في زوايا قائمة. وكل بيت فيها موصول بشبكة تصريف ومجارٍ تحت الشوارع. أما حواضر مصر وبلاد ما بين النهرين في الحقبة نفسها فلم تكن تضاهيها تخطيطاً وكانت فيها شبكات صحية بدائية.

وبما أن النصوص المكتوبة في مانجودارو لم تفك مغاليقها بعد، فليس لدى علماء الآثار تصور واضح لتركيبتها الاجتماعية. لكن الخرائب تلمّح إلى مجتمع مساواة قطن فيه ٤٠ ألفاً في منازل تفاوتت بين أبنية بطبقتين ومساكن بسيطة بغرفة واحدة. والمباني الكبيرة القليلة، وهي حمام عمومي وهري للحبوب وقاعدة ذات أعمدة، كانت مشاعة للاستعمال العام. ويستند بعض الخبراء إلى هذه الدلائل فيستنتجون أن نظام الحكم في مانجودارو كان ديموقراطية بدائية.

كان لمانجودارو تأثير واسع بعيد المدى في وادي الهندوس. فكانت الأوزان والمقاييس موحدة في المنطقة، كما أن المستعمرات التي تبعد مئات الكيلومترات عن مانجودارو تبنت التخطيط المديني الأساسي نفسه مستخدمة حجار البناء القرميدية من الحجم ذاته. وهذا تماثل غير عادي نظراً إلى بطء وسائل النقل والاتصال آنذاك.

وكان لسكان مانجودارو حس بالجمال وروح دعابة. ويقول السير جون مارشال عالم الآثار البريطاني الذي أشرف على الحفريات الأولى: "كانت النسوة يتزيّنّ بالجواهر وحليهنّ المذهبة مصقولة جيداً ومجلوة باتقان وكأنها من صنع أحد الصاغة القديرين في لندن."

وثمة احتمال أن يكون تم تصدير الاثواب الزاهية الالوان من المدينة إلى بلاد ما بين النهرين. وكان سكان مانجودارو يلعبون نوعاً بدائياً من الشطرنج ويبتكرون لأطفالهم ألعاباً جميلة من الصلصال على هيئة حيوانات.

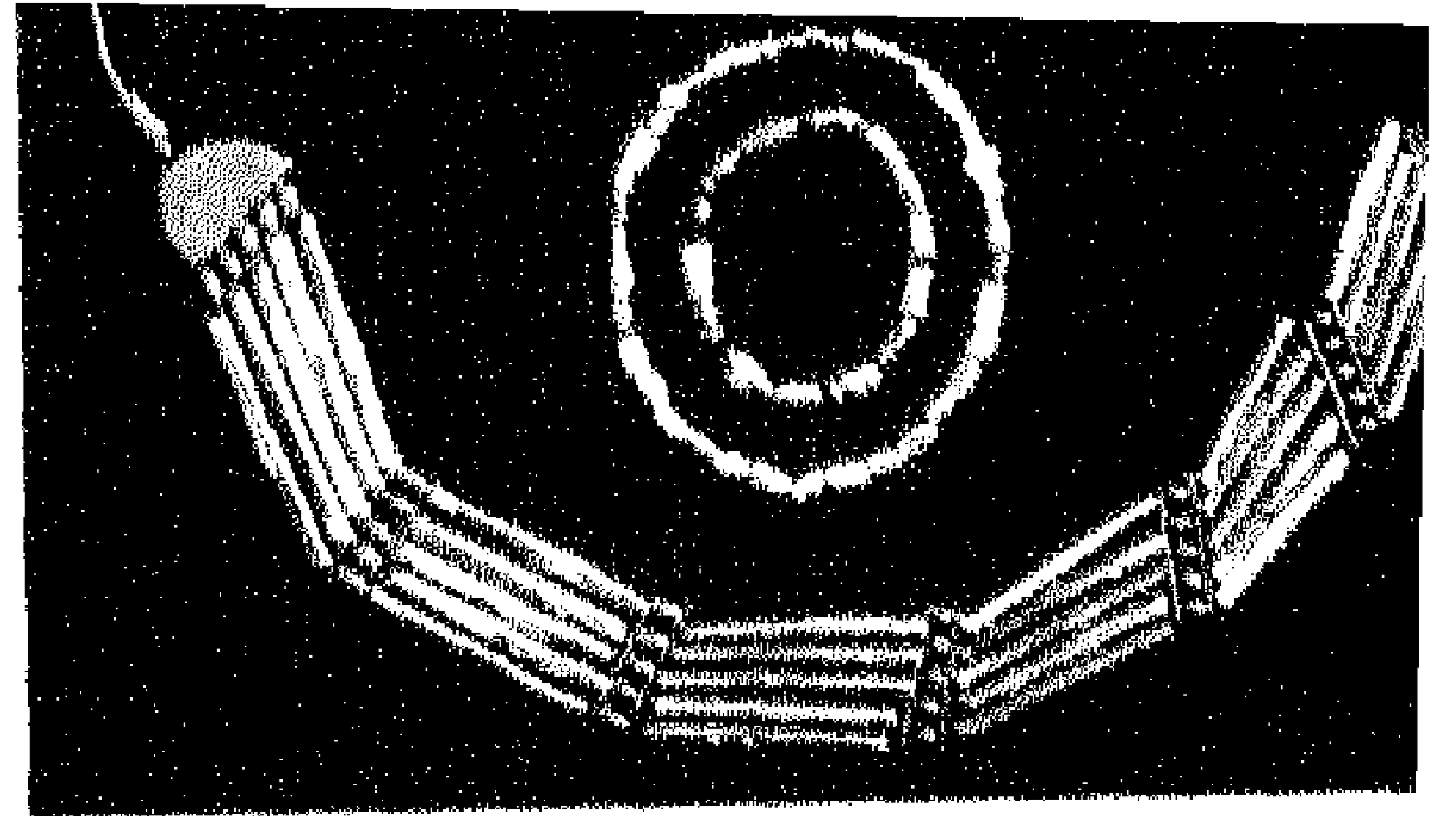
والباعث على السخرية أن علماء الآثار

اذ استخرجوا روائع مانجودارو من تحت الأرض في عشرينات هذا القرن، دمروها – أو كادوا – إلى الأبد. فتربة المنطقة تتخللها الأملاح. وكلما هطلت الأمطار تسربت المياه التي تمتصها التربة إلى مباني القرميد سائقة الأملاح معها. واذا ما عريت الخرائب وعرضت للهواء، فإن الأملاح المتأكسدة في المباني تتبلر متسببة في انحلال المنشآت عند هطول المطر. ويقول السير جون مارشال ان التبلر كان سريعاً جداً بحيث انه "خلال ساعات قليلة بعد انهمار وابل من المطر تكتسي الأبنية المنبوشة حديثاً غلافاً أبيض يشبه الثلج الجديد."

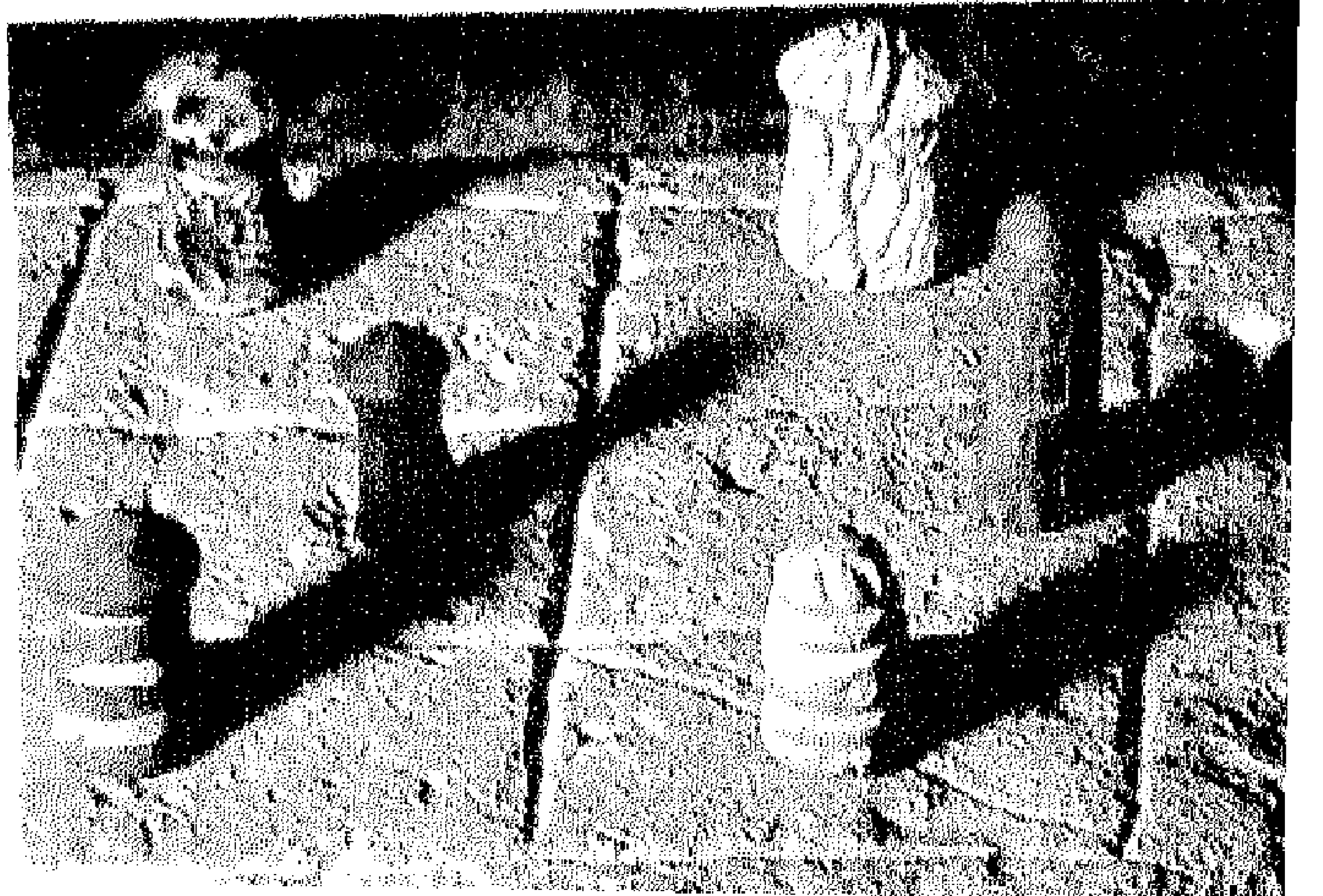
وتسارع الانحلال بعد العام ١٩٣٢ حين بني سد للري عبر نهر الهندوس على مبعدة ١٢٥ كيلومتراً شمال مانجودارو، مما أدى إلى اشباع المنطقة بالمياه واستحالة متابعة الحفريات.

أما البقايا المنبوشة فترقى إلى القرون الاخيرة من تاريخ المدينة قبل هجرها قرابة العام ١٥٠٠ قبل الميلاد. وستتبدى صورة اكثر وضوحاً عن نمو المدينة إذا ما أمكنت دراسة الطبقات السفلى على عمق حوالى ١٨ متراً تحت سطح الأرض.

لقد بليت الاطلال على مر العقود الماضية مع ان علماء الآثار الباكستانيين جربوا تقنيات عدة لصيانتها. وكانت احداها، وهي الابسط، كنس بلورات الملح بانتظام عن ألواح القرميد. وثمة طريقة أخرى تقضي بالتطيين للحفاظ على الخرائب. وعلى امتداد المساحات المتضررة جداً يتم ابدال القرميد الأصلي.





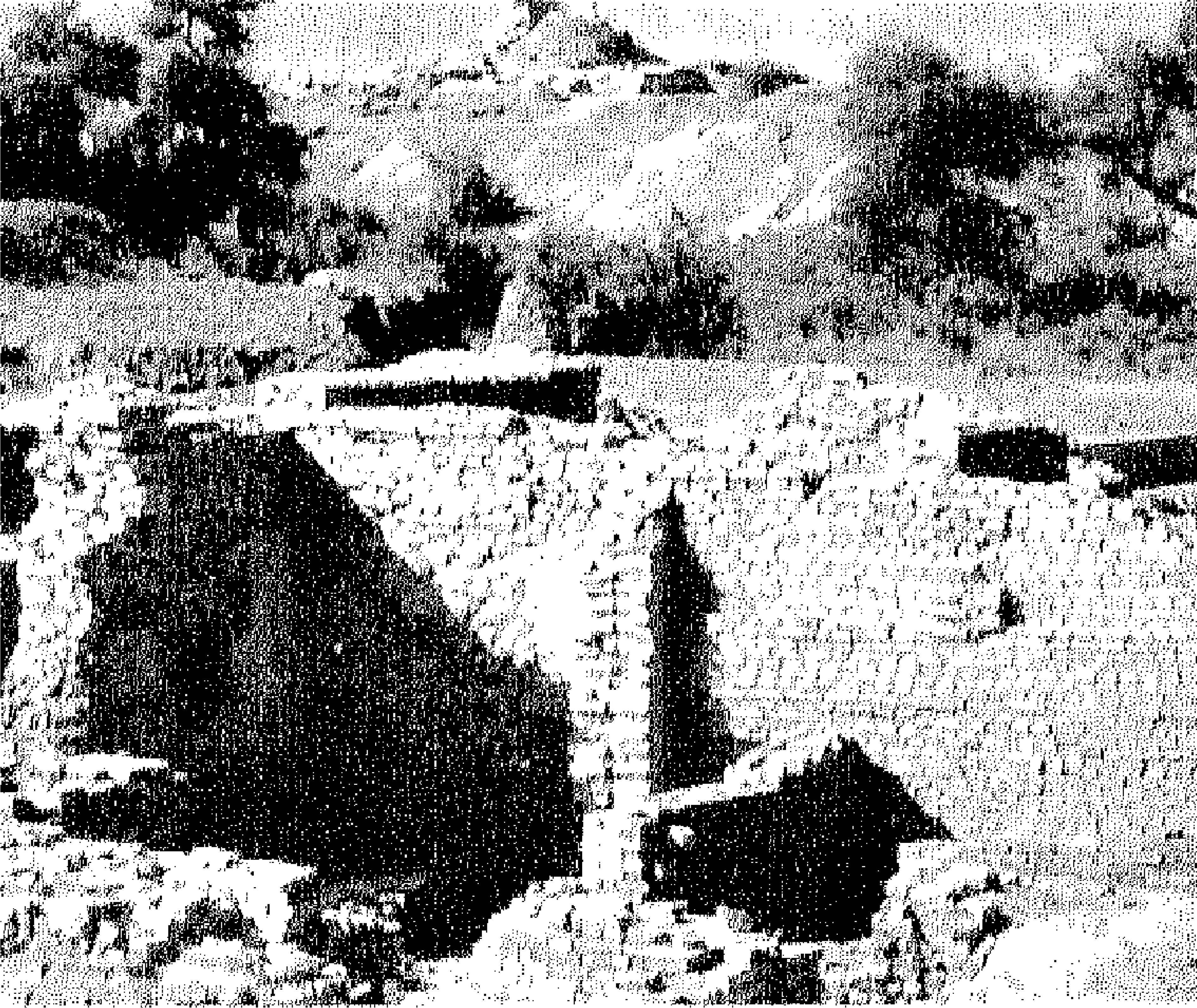


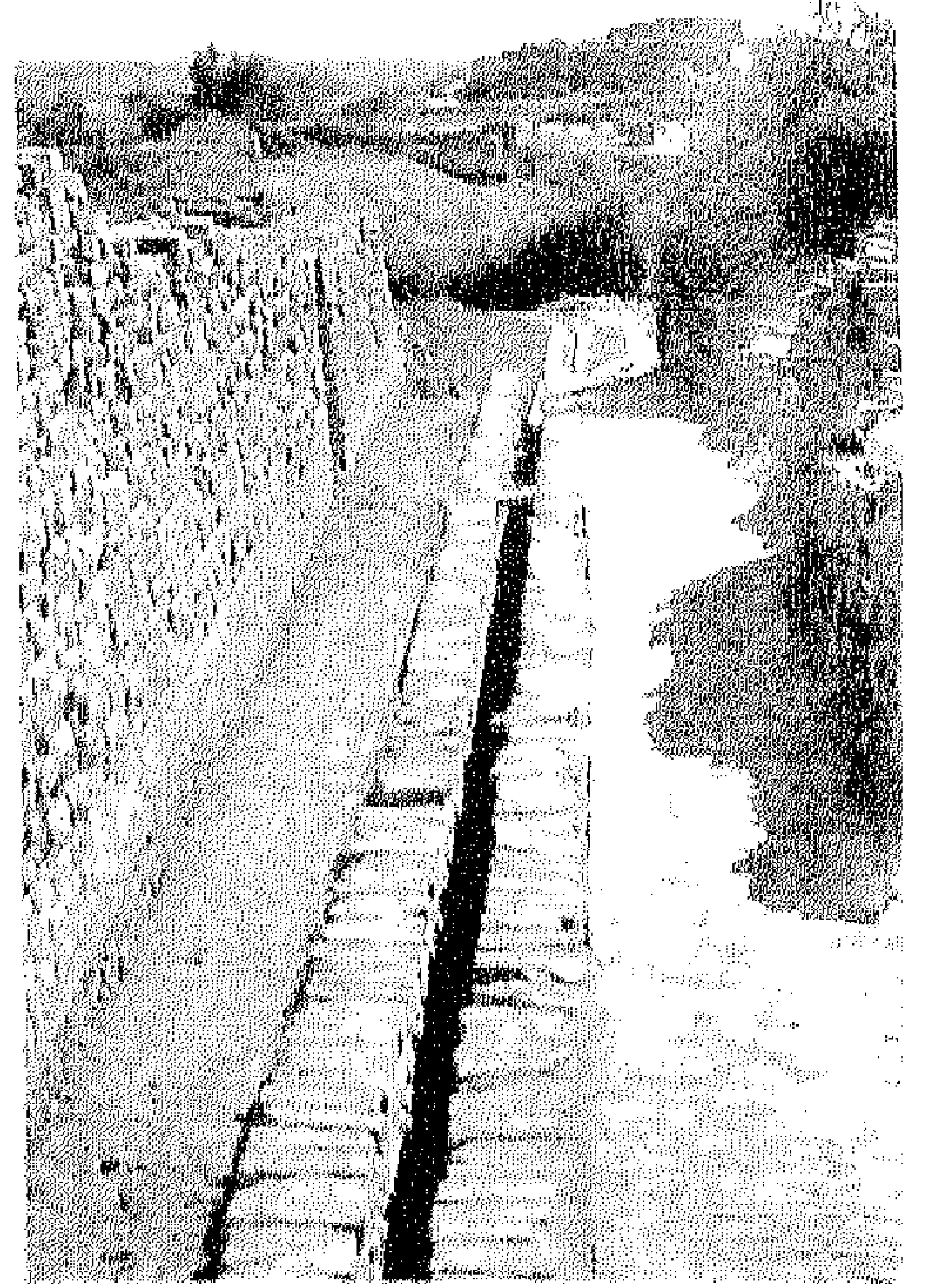
بقايا عثر عليها في البقعة تشير إلى تذوق للجمال وروح دعابة لدى سكان المدينة، وهنا حيوان من الطين وقلائد من خرز. وإلى اليمين مجموعة شطرنج بدائية.

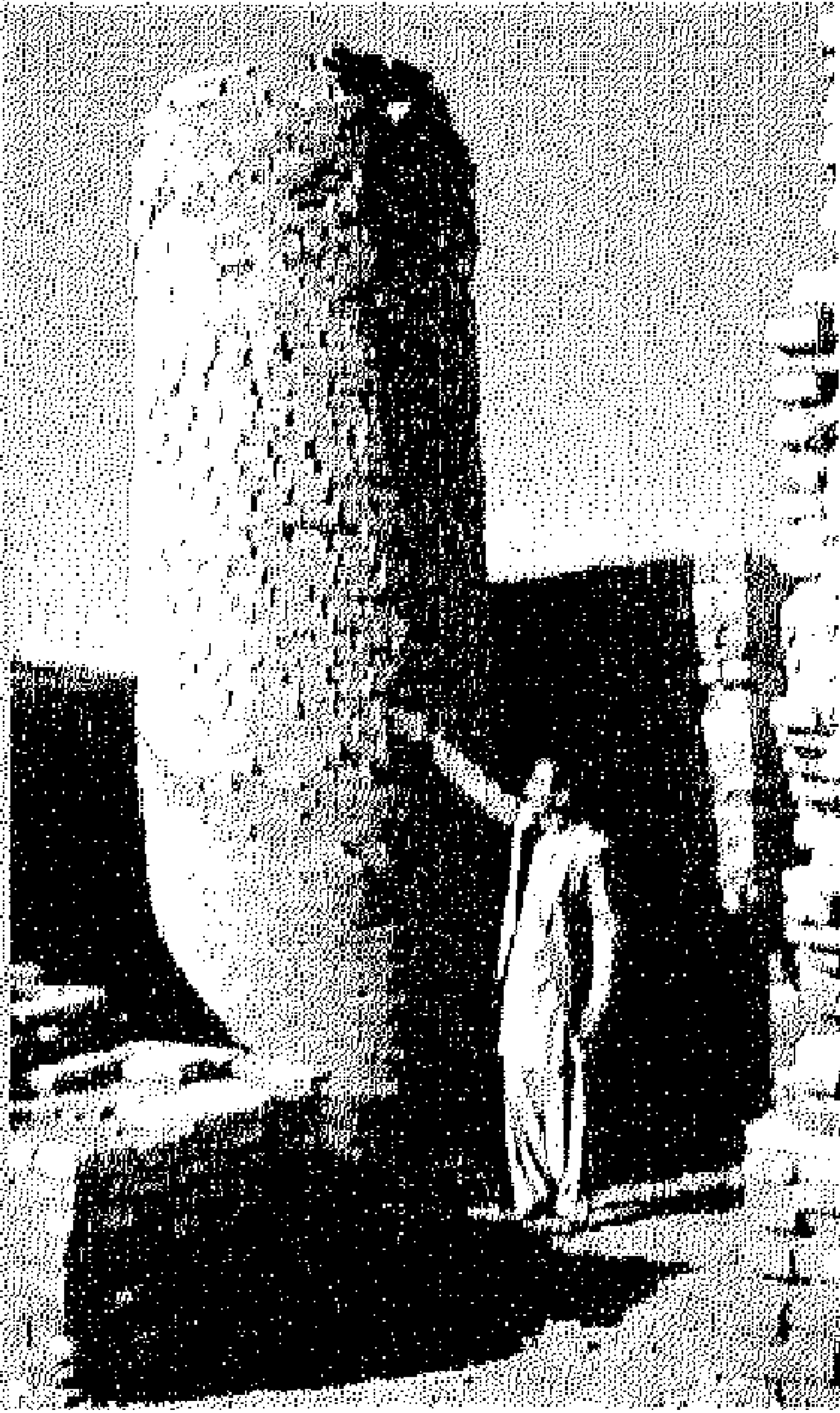
Photos: Department of Antiquities, Pakistan / UNESCO

UNESCO / E. Hattori

NESCO / Banri Namikawa







Raoul Zamora

قناة لتصريف المياه وجدران متداعية في بقعة الحفريات. والقناة برهان على المهارة الفنية لاهالي مانجودارو. والى اليسار مَهْوى بئر يدل على العمق الذي طمرت تحته المدينة بعدما رفعت الفيضانات المتتابعة مستوى الأرض.

وأثبتت هذه التدابير جدواها، لكن نقص التمويل أدى إلى صيانة جزء من المباني فقط. وكان تجفيف المكان اقتراحاً مرتفع الكلفة لا تقدر باكستان عليه.

وثمة مشكلة أخرى تعين على الباكستانيين معالجتها، هي الهندوس. فالنهر يجري على بعد كيلومتر فقط من الطرف الشرقي للمكان. وقربه مزعج. وقد تكون الفيضانات المتكررة سبب هجر مانجودارو. وبحلول العام ١٩٦٠ أضحت الحال بالغة السوء، فالتمست باكستان العون من منظمة الأونيسكو. وحذّر هارولد بلندرليث مدير المركز الدولي لصيانة الآثار الحضارية واحيائها، ومقره روما، من أنه ما لم تتخذ اجراءات جذرية فإن "كل الآثار المنبوشة ستنهار خلال السنوات العشرين او الثلاثين المقبلة، وبذا يضيع الى الابد واحد من أروع معالم فجر الحضارة البشرية."

بدا التحدي مريعاً حتى ان بعض الخبراء الاجانب أيدوا تغطية جزء كبير من الآثار وترك قسم صغير جداً مكشوفاً وعرضة للفساد. ويتذكر محمد اشتياق خان وهو اليوم رئيس دائرة الآثار

والمتاحف في باكستان: "لم نستطع القبول بذلك، إن تخطيط المدينة هو سر فرادتها، ولن يتوضح ذلك برؤية بعض المباني فقط."

وختاماً أعد فريق من علماء الآثار والمهندسين والجيولوجيين خطة جريئة عام ١٩٧٣. فأوصوا بحفر حلقة من الآبار حول البقعة والضخ لخفض النطاق المائي(★) وتشييد خنادق لمنع نهر الهندوس من تغيير اتجاهه والدنو من الآثار. كما أوصوا بزرع أشجار وأعشاب خاصة لحماية الآثار من الأملاح التي تذروها الريح.

وقدرت كلفة هذه العمليات جميعاً بسبعة ملايين ونصف مليون دولار، تتولى باكستان دفع ثلثها. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ عمد رينيه ماهو المدير العام للاونيسكو آنذاك الى مناشدة "ضمير العالم للتبرع بخمسة ملايين دولار بغية انقاذ البقعة التاريخية." ولكن بحلول يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠ لم يجمع الا ٣،١ مليون دولار من المساهمات الحكومية والخاصة.

وجدد خليفة ماهو، أحمد مختار مبو، الالتماس في ١٩٨٣، لكن كلفة المشروع ارتفعت إلى ١٩ مليوناً. واليوم تبلغ قيمة المال المجموع ستة ملايين دولار فقط. وقد انشئت لجنة خاصة لجمع التبرعات برئاسة الأمير تاكاهيتو ميكاسا شقيق الامبراطور الياباني والخبير في حضارة وادي الهندوس. وحسبما رأيت في زيارة أخيرة لي إلى مانجودارو، فان اعمال الصيانة بدأت. وفي رأي عبد القادر الشيخ صاحب المحكمة العليا في باكستان ورئيس هيئة الحفاظ على مانجودارو، "نحن لا نقوى على الانتظار وقتاً أطول."

الآن ثمة أربع عشرة بئراً تفرّغ المكان من الماء على نحو متواصل، مما خفض النطاق المائي إلى عمق أربعة أمتار تحت سطح الأرض. ومع توافر ١٢ بئراً أخرى سيباشر العمل فيها، ينخفض النطاق المائي إلى عشرة أمتار. ويتم ضخ المياه المفرغة إلى قناة للري تبعد أربعة كيلومترات. ولضمان عدم عودة الماء إلى المكان حظرت زراعة الرز ضمن دائرة قطرها أربعة كيلومترات، على أن يتحوّل المزارعون إلى محاصيل أخرى أقل حاجة الى الماء كالقمح.

غير أن أعمال الحماية من النهر تخلفت عن الموعد المضروب لنقص الاموال المرصدة. ويقول القاضي الشيخ: "هذه الخطة وحدها تكلف عشرة ملايين دولار. ولو كان المال بين أيدينا لأنجزنا العمل في سنتين."

في آخر عصر أمضيته في مانجودارو جلت بين خرائبها المهجورة متخيلا شكلها قبل ٤٠٠٠ سنة. فجأة انحدر بصيص من شعاع الشمس على جدار متداع فجعله يتوهج خفيفاً.

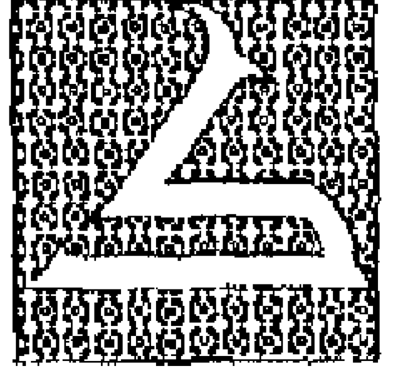
وفيما أنا واقف هناك مسحوراً خطر لي أننا سنكون شعباً نكرة ان لم نحافظ على هذه الآثار المتبقية من روائع تلاشت قبل أمد بعيد.

آشوك مهاديفان ■

(★) النطاق المائي هو المستوى الذي تكون الارض تحته مشبعة بالماء.

مأساة واقعية

نهايَة مِحْنَة



كانت الساعة الثالثة صباحاً عندما وصل فلوريان ويلز الى منزل آل بارسلي في سياتل بولاية واشنطن. وهو مهندس فضائي في الثالثة والثلاثين، وقد انطلق في سيارته من المدينة تاركاً زوجته وابنته نائمتين بهدوء. أما كريغ بارسلي (٣٥ عاماً) وهو اختصاصي بالبيئة، فحرص على عدم ازعاج زوجته عند استيقاظه.

وأثناء الفطور ناقش الرجلان خطّتهما لليوم الواقع فيه ١٤ مايو (أيار) ١٩٨٣. كانا متوجهين لتسلّق احدى القمم الغربية في جبل غارفيلد، وهي قمّة صخرية غير مرتفعة جداً. انما محفوفة بالمخاطر.

انزلقَ المتسلّقان على الجدار الصخري بسرعةٍ جنونيّةٍ فحاولا التشبّث بأيّ غصنٍ أو نتوء لتجنّب السقوط في الهاوية

Illustrations: Christopher Magadini

وهذا التسلق عادي بالنسبة اليهما حتى ان أياً منهما لم يخبر زوجته بمكان وجوده تحديداً.

انطلق الرجلان في شاحنة كريغ نحو الجبال. وفي الطريق راحا يتحدّثان عن أهميّة التكيّف الجسدي والمعنوي وكل منهما يتمتّع بخبرة سنين في رياضة التسلّق. فقبل سفر فلوريان الى الولايات المتحدة مع عائلته عام ١٩٧٩ كان عضواً في الفريق الروماني للانقاذ في حوادث الجبال. أما كريغ وهو من مواليد كاليفورنيا فشرع في هذه الرياضة منذ كان في المدرسة الثانويّة.

عندما وصل الرجلان الى الجبل كانت السماء مليئة بالغيوم والحرارة درجة مئوية واحدة فوق الصفر. وهكذا لم تكن الاحوال الجوية مثالية، لكن الزميلين قرّرا الاستمرار آملين الا يزداد الطقس سوءاً. فقطعا مسافة ثلاثة كيلومترات عبر الصخور والاخاديد حتى بلغا منطقة التسلّق. وكانت الساعة الثامنة صباحاً حين ثبّتا الحبال وشرعا يتسلّقان الجدار الصواني الذي يرتفع ٧٥٠ متراً ويؤدي الى القمة التي تعلو ١٤٩٢ متراً.

استهلّ كريغ عملية التسلّق وأخذ يبحث عن الشقوق والصدوع الصغيرة ليقحم فيها أصابعه ومقدّم حذائه. وهكذا تسلق بجهد خمسين متراً من حبله. ثم غرز رزات كبيرة تحمل حلقات معدنيّة في أحد الشقوق وأولج حبله فيها وأشار الى فلوريان ببدء التسلّق. وبعدما وصل هذا الى مستوى كريغ تولّى المركز القيادي بدوره.

وطوال فترة قبل الظهر تناوب الصديقان المركز القيادي. وبلغ انحدار السطح نحو ٧٠ درجة أي ما يعادل انحدار سلّم ركّزت على حائط منزل.

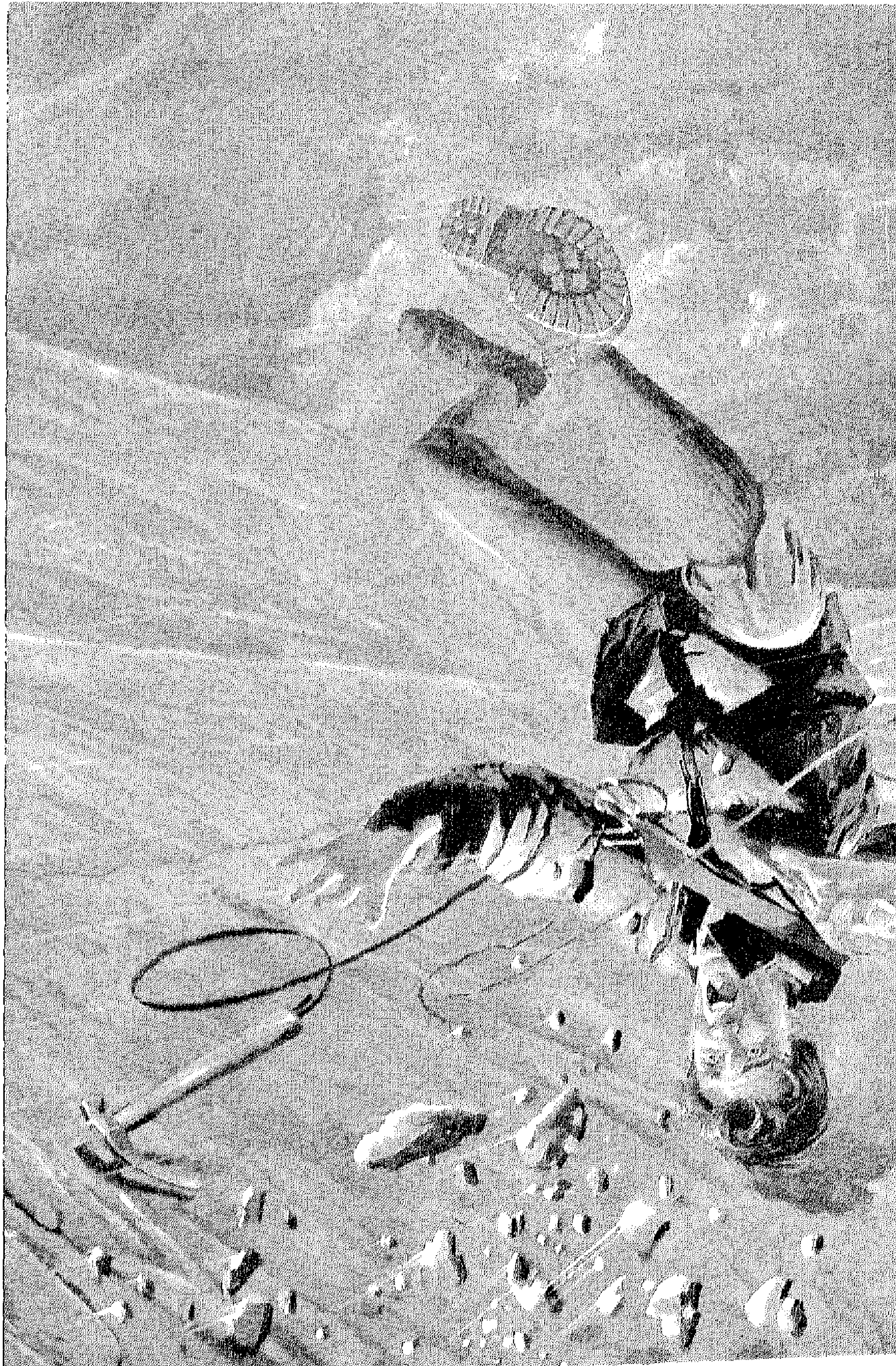
وكان فلوريان ينصِت الى أنفاسه للتأكد من عدم وجود اشارات اجهاد مفرط.

بداية المصاعب – بدأ المطر ينهمر قطرات مبعثرة في البداية ثم غزيراً. فاضطرب فلوريان. اذا استمرّ الطقس على هذا النحو فسيضطّرهما الى العودة. وكانت الساعة الحادية عشرة وقد تسلّقا نصف المسافة من سفح الجبل.

كان فلوريان متشبّثاً بالجدار على مسافة ١٨ متراً أعلى من كريغ. وفي شقّ على مستوى الكتف غرز عزقة تثبيت، وهي أداة غريبة الشكل ـ عرضها ٢٠ مليمتراً لها حلقة يولج فيها الحبل. وفي حال تثبيتها على نحو لائق فانها تتحمّل وزناً يبلغ ٢٣٠ كيلوغراماً. لكن مظهر الشقّ الذي أدخلت فيه لم يعجب فلوريان، فانحنى ليغرز عزقة أكبر في شق أفضل على مقربةٍ من قدميه. وما ان فعل حتى سمع فرقعة: لقد اقتلِعت العزقة الاولى.

وسرعان ما فقد فلوريان توازنه فصرخ: "انتبه!" ثم سقط الى الوراء ورأسه الى أسفل وهو يرتطم بالصخر. ثم دار على نفسه غريزياً وقدماه الى أسفل باحثاً عن شيء يتمسّك به.

رأى كريغ صديقه ينزلق وسمع صراخه. واذ هبط فلوريان حوالى ٤٠ متراً، أي ضعفي مسافة الحبل بين الرجلين، استجمع كريغ قواه وفكّر: "سأضطر الى



تحمل ضربة قوية حين أوقفه." وما لبث الحبل ان اشتدّ محدثاً صريراً عنيفاً وانتزع كريغ من الجدار ثم قذفه الى الامام على بطنِه. وحاول هذا أن يتشبّث بشيء فتخدّشت راحتاه.

وعاد فلوريان ينزلق بسرعة مخيفة على الصخر. وكان يردّد في نفسه. "ترى هل سيؤدي بنا ذلك الى الموت؟"

وعلى غرار فلوريان أدار كريغ جسمه حتى أصبحت قدماه في الاسفل. ثم اصطدم بنتوءٍ صغير ودار على نفسه كدمية بالية واندفع ثانية الى الامام ورأسه في المقدّم. وحاول باهتياجٍ شديد ان يتعلق بأي نتوءٍ في الصخر الأملس، فانتزِعَت أصابع عدة من تجويفِها المفصلي.

في هذه الاثناء كان فلوريان يحاول يائساً وقف سقوطه. فتمسّك بنتوء صغير بقدمِه. وبينما هو ينظر الى أسفل رأى نتوءاً أكبر يبلغ عرضه ١٥ سنتيمتراً وفكّر: "انها فرصتي الاخيرة." فضرب ركبته اليمنى بالنتوء ليخفّف سرعة سقوطه بحيث يتمكن من امساك النتوء بيديه الاثنتين. ولمّا نظر أبعد من قدميه المتدليتين رأى سقطة عمودية الى بحيرة صغيرة. عندئذ أغمض عينيه متوقعاً أن يجذبه جسم كريغ الهاوي فيسقط صارخاً نحو القعر.

نزف وكسور – لكن الجذبة المميتة لم تحدث أبداً. وبدلا منها سادَ الصمت وتبعته صرخة ألم مبرح. فنظر فلوريان الى فوق ليرى كريغ يتدلّى من نتوءٍ صغير متمسّكاً بذراعٍ واحدةٍ. انها لمعجزة حقاً!



كان كريغ تمسّك بغصن لا يتعدّى طول الاصبع برز من الصخر وأوقف سقوطه. وشعر وهو عالق من ذراعه اليمنى أن موجة من الالم تجتاحه، عندئذٍ أدرك ان كتفه كسرت، فأمسك رزّة بيده اليسرى وأقحمَها حتى مقبضِها في شق مكسو بالطحلب مستعيناً بمطرقته، ثم أقحم رزّة أخرى وأولج فيها حبل الرفع وحزام الامان.

في هذه الاثناء جرّ فلوريان نفسه الى النتوء. وبعدما ثبّت نفسه في مكانه بذراع واحدة وساق واحدة حاول البحث عن عزقات في عدّته وأقحمها في شقوق صغيرة. لقد أصبح المتسلّقان في مأمن وان موقتاً، على رغم انهما لا يتشبّثان الا بطرف نتوء صغير يرتفع ١٥٠ متراً عن سطح الارض.

وشعر فلوريان بألم في ساقه اليمنى حمله على الصراخ. ونز الدم من ركبته، ففكّ رباط سرواله المزموم وذعِر لرؤية عظامه الناتئة. وبرزت عظمة من حذائِه فصرَخ في كريغ: "لقد كسرت ساقي."

مدّ كريغ الحبل الى فلوريان. وأدرك هذا أن جروح زميله أبلغ من جروحِه. فالى الكتف المكسورة كان رسغ كريغ الايمن وكاحلاه ممزقة، وقد نتأت عظام كاحله الايمن من جوربه وكانت مكسوة بالدم والاوساخ، وكان الكاحل ملوياً بزاوية ٩٠ درجة، فحزم كريغ رباطاً لوقف النزف. وتناول فلوريان من سترته بعض الاقراص المهدئة لألم الرأس وتقاسمها ورفيقه.

رفض الاستسلام – بدا الوضع كئيباً. كان المطر ينهمر بغزارة وربما هبطت درجة الحرارة الى ما دون الصفر ليلا. ولم تكن زوجتا المتسلقين تتوقّعان عودتهما الا في ساعة متقدمة وهما تجهلان مكان وجودهما. واذا بقيا على جدار الجبل فقد يموتان من جراء النزف والتعرّض للعوامل الجوية.

ونادى فلوريان صديقه: "سوف أنزل. وحين أصل الى الشاحنة أدير اللاسلكي على موجة المدنيّين وأطلب النجدة."

وحزم فلوريان حبله حول خصرة وخفضه كريغ على طول الحبل، انما بقي على فلوريان أن يهبط ست مرّات على حبل مزدوج طويل ليبلغ أسفل المنحدر فلفّ طرفاً من حبله حول رزّة والطرف الآخر حول جسمه وبدأ ينزل. وحين نفد الحبل ثبّت نفسه موقتاً على الجدار ودفع بالحبل الى أسفل واتّخذ وضعاً جديداً. كانت ساقه تؤلمه كثيراً، وكلّما اصطدمت بالجدار كان الالم يبهر انفاسَه.

وبعد ساعتين ونصف ساعة بلـغ فلوريان قاعدة الصخر. وسار متعثراً الى البحيرة التي رآها من عل وغطّس وجهه في مائها ليروي ظمأه. وكان جبل شديد الانحدار يمتَدّ تحته، وعليه أن يزحف كالسلطعون متكلا على أطرافه الثلاثة السليمة ورافعاً ساقه المصابة.

وعلى مستوى الاشجار كان الانحدار خفيفاً فصعب على فلوريان استخدام يديه. فبحث عن قطعة خشب يتعكّز بها، لكن الاغصان التي وجدها كانت إمّا نخرة فلا تتحمّل وزنه وإمّا شديدة الاخضرار فلا تكسر بسهولة.

وخشي فلوريان أن تصاب ساقـه السليمة بأذى، اذ كان يثب عليها ويجرُّ

الاخرى. وقد سقط غير مرّة وفي كل مرّة كان يصيح من الالم حتى كاد أن يفقد وعيه. ولو حدث ذلك لمات حتماً بالتعرّض للعوامل الطبيعية. ولم يضع نصب عينيه سوى فكرة واحدة: "لا تستسلم، واصل التحرّك."

وبدأت عضلات ساقه السليمة تتشنّج وتقاربت سقطاته. عندئذ قرّر سلوك جدول صغير كمنزلق مائي، لكن انزلاقه كان سريعاً، وحين حاول ابطاءه انسلخ الجلد في أنحاء من ذراعيه. وتوصّل أخيراً الى تثبيت قدمه اليمنى في قاع الجدول باذلا جهده للتوقّف، ثم رفع جسمه وشرع يثب من جديد. الا أنه انزلق على صخر فالتوى كاحله السليم وسقط على جنبه وقد انتابه ألم مرير. ووقف مجدداً وكرّر الوثب. وانقضت ساعات حتى فترة متقدّمة من بعد الظهر وبهت ضوء النهار.

أما على الجبل فقد بدأ كريغ يفقد الحسّ. وخشي أن تهبط حرارة جسمه. كان عليه أن يستمرّ في الحراك. وعلى غرار فلوريان أخذ ينحدر عن الجدار ببطء وجهد أليم. وعندما وصل الى مسافة ثلاثة أمتار فوق قاعدة الصخر خارت قواه وسقط وهو يلهث من الوجع.

كان كريغ عاجزاً عن السير، فبدأ ينزلق على المنحدر الصخري وهو جالس على مؤخرته. وما لبث سرواله أن تمزق فانسلخ جلده وسال دمه.

وانتقل كريغ الى الكرج والزحف. وكانت كل حركة تتطلّب منه جهداً أليماً. ولم يسعه الاستسلام للنعاس الذي دهم جفونه، ففكّر في زوجته آمي وزحف على ركبتيه متكئاً على ذراعه السليمة.

صوت داخلي – عندما وصل فلوريان الى مقربة من الطريق، كان الظلام بدأ يهبط لكنه لم يبلغ المكان حيث أوقفا الشاحنة. وتساءل عمّا اذا كانت قواه الباقية تكفي للبحث عنها. عندئذ سمع هدير شاحنة تقترب، فاندفع على قدم واحدة نحو الطريق وهو ينادي: "النجدة!" لكن الشاحنة أغفلته اذ كانت نوافذها مغلقة بسبب المطر. وبعد دقائق سمع هدير شاحنة أخرى يقترب منه، فنادى من جديد لكن الشاحنة توارت أيضاً وسط الظلام.

واقتربت شاحنة ثالثة، وكان فلوريان جالساً على حافّة الطريق. فاستجمع قواه وقفز يلوّح بذراعه ويصرخ. وتوقفت الشاحنة وترجّل منها أربعة أشخاص فقال لهم لاهثاً: "تعرّضنا لحادث ونحن نتسلّق... لا يزال زميلي عالقاً فوق... انه يحتاج الى مساعدة... سريعا."

وبعد مضي ساعة وصل المنقذون الى أقرب بلدة. وأصَرّ فلوريان على الانتظار ريثما يتجمّع المنقذون فيعيّن لهم موقع كريغ بالضبط. ولم يرض بأن ينقل الى المستشفى الا بعد اتمام ذلك.

اما في الغابة فكان المطر يهطل بغزارة متزايدة مع هبوط الليل. وبدأ النعاس يتغلّب على كريغ على رغم تقدّمه دبيباً على الاربع. وهو اذا لم يرفع حرارة جسده لن يبقى على قيد الحياة.

وزحف الى جذع شجرة أجوف بعيد عن الهواء والمطر ومملوء بالنشارة الجافّة. وسحب من جيبه علبة ثقاب مانعة للماء واشعل عوداً وقرّبه من النشارة، فاندلعت النار. وكسر بعض الأغصان اليابسة ورماها في النار فشعر بالدفء يؤاسيه في

وحشتِه، وكاد حافز النوم يغلبه، لكن صوتاً داخلياً حذّره: "لا! يجب أن تبقى مستيقظاً!"

حنين وإقدام – كانت الساعة التاسعة ليلا حين سمع كريغ أحدهم يناديه باسمِه: "كريغ! أأنت هنا؟"

فصرخ: "أنا هنا!"

لقد وجده المنقذون على بعد نصف كيلومتر من الطريق وهو في الطور الاول من الصدمة العصبية. فجرعوه الشوكولاتة الساخنة ولفّوه في كيس نوم أدخلوا فيه قوارير من الماء الساخن. ثم رفعوه على نقّالة وأخرجوه من الغابة. وهكذا انتهت المحنة التي طالت!

كانت جراح كريغ بارسلي أكثر خطورة من جراح زميله، لكنها شكلت مقداراً أقل من الاعاقة على المدى الطويل. وهو أمضى خمسة أيام في المستشفى وتحمل الجبائر في ساقيه وذراعه طوال ستة أسابيع. ودهش طبيبه لسرعة تعافيه ووصفه بالشاب المحظوظ جداً. لكن كريغ تخلّي عن رياضة تسلّق الجبال قائلا: "لن أتسلّق أي صخر يتعدّى ارتفاعه المترين." وهو يعترف بأنه يشعر بوخز الحنين كلما رأى قمة مهيبة.

أما فلوريان ويلز فواجه خطر فقدان الحركة الى الابد في قدمه المصابة. وأخبره الاطبّاء أنه قد لا يتمكن من ممارسة التسلّق بعد ذلك اليوم، وأنه سيكون محظوظاً إن استطاع السير على نحو طبيعي. الا أن فلوريان لم يكن ليقبل بمثل هذا المصير، فأفضل ذكرياته وأعز اصدقائه على ارتباط بالجبال، وهو لا يستطيع التخلّي عنها بسهولة. ومضى أكثر من ستة أشهر قبل أن يتمكن من السير بلا عكازات، ثم بدأ يعمل على استعادة قوة عضلاته وعافيته.

وفي ربيع ١٩٨٤ تسلّق فلوريان ويلز الجدار الشرقي لجبل ويتني الذي يبلغ ارتفاعه ٤٤١٨ متراً.

اميلي وبير أولا دولير ■



واحدة بواحدة

لم يحترم الرسام الفيكتوري جيمس ويسلر التسلسل الهرمي لأي مهنة. ومرة أصيب كلبه بعدوى في حلقه فأرسل في طلب السير موريل ماكينزي، الاختصاصي الأول في بريطانيا بأمراض الأذن والأنف والحلق. ولم يسرّ الطبيب الشهير لرؤية مريضه، لكنه أجرى له فحصاً دقيقاً وكتب وصفة طبية وغادر بعدما قبض أجره.

وفي اليوم التالي تلقى ويسلر رسالة تطلب منه الاتصال بالدكتور ماكينزي من دون تأخير. فهرع ويسلر الى دارة الطبيب وقد تملكه الخوف من تطورات مستجدة في صحة كلبه.

"أهلا وسهلا بك يا سيد ويسلر،" بادر ماكينزي ضيفه، "أردت مقابلتك في شأن طلاء باب منزلي."

ب.م.

أوراق النقد المزورة تتسلل الى الاسواق وتتحسن نوعيتها مع تقدم التكنولوجيا وهنا مثل من الولايات المتحدة

العملة المزورة النسخة تضاهي الأصل؟

إنها الثامنة مساء. موظف إداري صغير متأخر في تسديد مدفوعات عائدة الى رهن عقاري يتنقل بين مكاتب شركة اعلانات في نيويورك للتأكد من وجوده وحيداً فيها. يقترب من ناسخة (فوتوكوبي) جديدة تعمل بأشعة "ليزر" ويضع خمس قطع نقدية من فئة العشرين دولاراً على الرقعة الزجاجية ويضغط الأزرار بغية الحصول على عشر صور بوجهين. وبعد أن تتوقف الآلة يجمع الأوراق النقدية وصورها ويتوجه الى منزله ليقص قرابة ألف دولار تقرب من الكمال.

إن مثل هذا السيناريو يلازم أفكار جو كارلون رئيس قسم مكافحة التزوير في الاستخبارات السرية في الولايات المتحدة. لكن من يرى ما تنتجه الناسخات الحديثة من صور تختلف في لونها عن الاصل يرى ان كارلون قلق أكثر مما يلزم. بيد أن هذا الرجل شاهد في مصنع "زيروكس" في باسادينا بكاليفورنيا نموذجاً لآلة جديدة تدعى "الناسخة السريعة الاستجابة المتعددة الألوان"(١) صنعت لمصلحة وزارة الدفاع الامريكية من أجل تصوير الخرائط بسرعة فائقة. والنموذج الأصلي هذا يستخدم أشعة ليزر للحصول على صور بألوان تطابق تماماً الوان المستندات الأصلية. وقد تعمّ هذه الآلات المكاتب في السنوات القليلة المقبلة.

يقول كارلون: "إن امكان تصوير ورقة

(١) Quick Response Multicolor Printer «QRMP»

Condensed from Discover (November '85), © 1985 by Time Inc., New York, N.Y.

نقدية بما يقرب من الكمال قد يحوّل التزوير من عملية تستلزم خبرة في التنفيذ الى جريمة تخضع لنزوات موظفي المكاتب."

ويعتبر التزوير حتى الآن عملا مربحاً قدّر بـ٨٩ مليون دولار في العام ١٩٨٤. وهو يتطلب عادة مطابع غالية الثمن وآلات تصوير خاصة وشبكات للترويج تخلّف كلها أثراً تقتفيه الاستخبارات السرية. ويظن كارلون أن عملاءه يصادرون حالياً ما يزيد على ٩٠ في المئة من النقد المزيّف قبل ترويجه في السوق.

العملة الرديئة – المشكلة بالنسبة الى المزورين تكمن في عملية الطبع حيث تخونهم تكنولوجيا متطورة. فنقد الولايات المتحدة معالج بطريقة تنتج أوراقاً نقدية لها أحرف نافرة يمكن تحسسها وتشبه الى حد بعيد الاحرف النافرة في البطاقات المعدة للدعوات.

بيد ان المزورين يلجأون غالباً الى الطباعة بطريقة "أوفست" التي تعتمد التصوير. ويشعر هؤلاء بخطأ طريقتهم لأن الأوراق تمتص الحبر ولا تبدو جلية كالأصلية. ومن بين سبعة ملايين ونصف مليون دولار مزورة طرحت في الأسواق عام ١٩٨٤ كان مليون فقط مصمماً باحكام بحيث تعذر على أمناء صناديق المصارف تمييز الاوراق المزورة عن الاصلية. ويقول جو دزموند المدير السابق للبحوث والانماء في دائرة الحفر والطباعة في العاصمة واشنطن: "هنا يصح المثل القديم: اذا بدت العملة رديئة فهي رديئة فعلا."

بيد أن الناسخات الملونة تستطيع اظهار العملة الرديئة مظهراً حسناً. وخلافاً للآلات المستخدمة حالياً والتي تعتمد طرقاً ميكانيكية، فان الآلات الجديدة هي أدمغة الكترونية فعلا، اذ في استطاعة أدواتها الفاحصة التي تعمل بأشعة ليزر "قراءة" محتوى المستند وتجزئته أجزاء متناهية في الصغر تدعى "بيكسل" (pixel) . والدماغ الالكتروني فيها يقرر نسبة مزج الألوان الأساسية والمغايرة والاضاءة لكل بيكسل.

ومن أجل طباعة المحتوى ترسل الآلة شعاع ليزر عبر اسطوانة ذات تكيّف ضوئي حساس، فترسم عليها ذاك المحتوى بواسطة شحنة كهربائية من طريق كل بيكسل بمفرده. من ثم يأتي دور أصباغ جافة تتكوّن من الأحمر والأصفر والأزرق والأسود، ترش رذاذاً على الاسطوانة وتلتصق حيثما وجدت شحنات كهربائية. بعد ذلك تدور لفافة ورق على الاسطوانة وتلتقط الرسم الذي شكلته الاصباغ. وبغية مزج الألوان ونقل الصورة تضغط الآلة وتذيب الاصباغ الجافة.

إن الميزة الحقيقية للناسخات الجديدة، والخطر فيها، يتمثلان في قدرتها على تحليل نقاط ملوّنة متناهية في الصغر. ففي استطاعتها تصوير الخيوط الحريرية الحمراء والزرقاء الدقيقة المستخدمة في الاوراق النقدية الامريكية منعاً للتزوير. كما يمكنها اخراج أحرف نافرة بتذويب الاصباغ، فتتشابه الاوراق المزورة والاوراق الصحيحة ملمساً على رغم ان الخبراء يصرّون على أن الاوراق المزورة تبدو لزجة عند لمسها.

عنصر سحري – ما فتئت وزارة المال الامريكية تراقب بقلق تطور آلات النسخ منذ العام ١٩٧٨. وهي تعد لاتخاذ اجراءات مضادة. ويدرس الخبراء في دائرة الحفر والطباعة أساليب تضمن دمج مقومات دقيقة لاعاقة تزوير جميع الاوراق النقدية، من فئة الدولار الواحد الى فئة المئة دولار. ومن الاحتمالات المطروحة في المرحلة الاولى دمج علامات مائية أو مسحات خاصة وموشورات (Prisms) رفيعة جداً تولد أشكالا يتغيّر لونها. ويقول روبرت ليوفر مدير الدائرة انه في حال اتخاذ قرار بهذا الشأن فستطرح في الاسواق أوراق نقدية متضمنة عناصر تردع التزوير، وذلك بعد فترة تراوح بين ١٢ و١٨ شهراً.

إن الاوراق النقدية الجديدة ستتضمن بالتأكيد خيوطاً من أولها الى آخرها، وهي تتكوّن عادة من قطع بلاستيكية رفيعة تُدخل الاوراق لدى انتاجها. وقد تدمغ الاوراق بخيط يشكل الاحرف الاولى من اسم الولايات المتحدة الامريكية (USA) وتمكن رؤيتها عندما يُنظر الى الاوراق وخلفها ضوء ساطع.

بيد أن الخيوط تبين اذا قصد الناس رؤيتها. أما وزارة المال فتبغي اكتشاف "عنصر سحري يدل على أن الاوراق أصلية،" هذا ما قاله أنطوني لاكابريا نائب رئيس قسم البحوث في شركة النقد الامريكية. والعنصر السحري هو الهولوغرام وهو صورة ملوّنة ثلاثية الأبعاد تبدو نافرة في الاوراق النقدية.

لقد استخدمت شركة النقد الامريكية الهولوغرام في بطاقات الاعتماد والوثائق العسكرية وغلاف مجلة "ناشونال جيوغرافيك". وطلبت وزارة المال من الشركة اجراء تجارب على هولوغرام بلاستيكي في سماكة رقاقة ذهب مكبوس ساخناً على اوراق نقدية أمريكية.

ويقول لاكابريا إن الهولوغرام يصعب تصويره ليطابق الاساس، وان أي محاولة قد تكلف المزورين مئات ألوف الدولارات في حين تتكلف الحكومة جزءاً من السنت لكل ورقة نقدية.

ذهب الثقة – بول جاكوبس رئيس العلماء في شركة "زيروكس" يعتقد ان لدى فريقه حماية أفضل هي مجموعة خطوط بلاستيكية متوازية ونافرة تدعى "محزّزة الحيود المضاعفة" (٢). فبعد أن تُحزم الوف من هذه الخطوط في السنتيمتر الواحد، تبدو المجموعات وكأنها سطح أملس في حين تقارب المسافة بين مجموعتين منها الطول الموجي للضوء المنظور. وهذا يعطي المجموعات قدرة تشبه قدرة الموشور على تجزئة الضوء الأبيض سبعة أنوار ملوّنة. واذا أُمسكت الورقة أفقياً فقد يبدو سطحها أحمر، وأي إمالة تحيلها صفراء أو خضراء. ويشرح جاكوبس ذلك: "عندما تُميّل الورقة النقدية فانك تدخل لوناً آخر الى عينيك."

إن في امكان الهولوغرام ومحززة

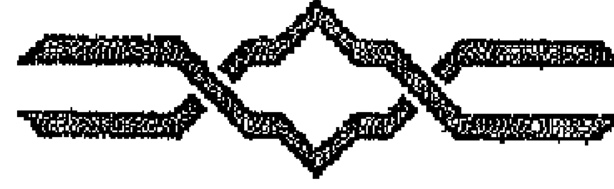
---

(٢) Multiple — diffraction grating . والحيود انحراف الضوء قليلا عند مروره بحافة حادة أو حول جسم بالغ الصغر أو خلال ثقب ضيق. ومحزّزة الحيود أداة تستخدم للحصول على الاطياف استناداً الى ظاهرة الحيود، وهي تُتخذ من لوح زجاجي أو معدني مصقول تُحز على مسطحه خطوط مستقيمة متوازية.

الحيود المضاعفة احباط جهود المزورين لسنوات عدة، لكنّ المسؤولين في وزارة المال يتساءلون عن قدرة هاتين الوسيلتين على تحمل الاستعمال الخشن الذي تواجهه الأوراق النقدية. ويقول روبرت تشارلز نائب رئيس شركة النقد الامريكية: "نحن نختبر الهولوغرام على آلات تثني الاوراق المالية وتطويها، ونضعه في الافران ونغسله مئات المرات ونعرضه لكل شيء، من الكلور الى البنزين." وشركة "زيروكس" تقوم بالعمل نفسه.

وزارة المال تحيط خططها الجديدة بالكتمان، وثمة أناس يعترضون منذ الآن على إحداث أي تغييرات. لكن الخيار الآخر يبعث على الهلع. ويقول بول جاكوبس: "عندما تخلينا عن معيار الذهب وبات متعذراً مبادلة الذهب بالمال، بقي شيء واحد هو الثقة." والى أن يتم ادخال العناصرَ المانعة للتزوير في الاوراق النقدية، في امكان آلات النسخ الجديدة جعل التزوير عملية تسلية على المستوى الوطني.

مايكل سكولر ■



الحقيقة الجارحة

جدتي مزارعة لطيفة ورزينة، لها أسلوب بسيط وعذب في التعبير عن رأيها. وذات مرة زرتها أثناء عطلتي الجامعية. وفيما نحن نعرض أخبار العائلة والأصدقاء أعربت لي عن أسفها لطلاق صديقين قريبين. وتعجبتُ كيف يمكن أن يحدث ذلك لشخصين طيبين ومحبين مثلهما. وكنت انتهيت حديثاً من مادة الاستشارات الزوجية، فألقيت عليها محاضرة مطولة اعتقدتها تفسيراً ثاقباً لحيثيات اخفاق زواج الصديقين وأسبابه. ولما فرغت من محاضرتي فكرت جدتي لبعض الوقت ثم قالت: "الحقيقة، ولا أنا أعلم!"

غ.ا.

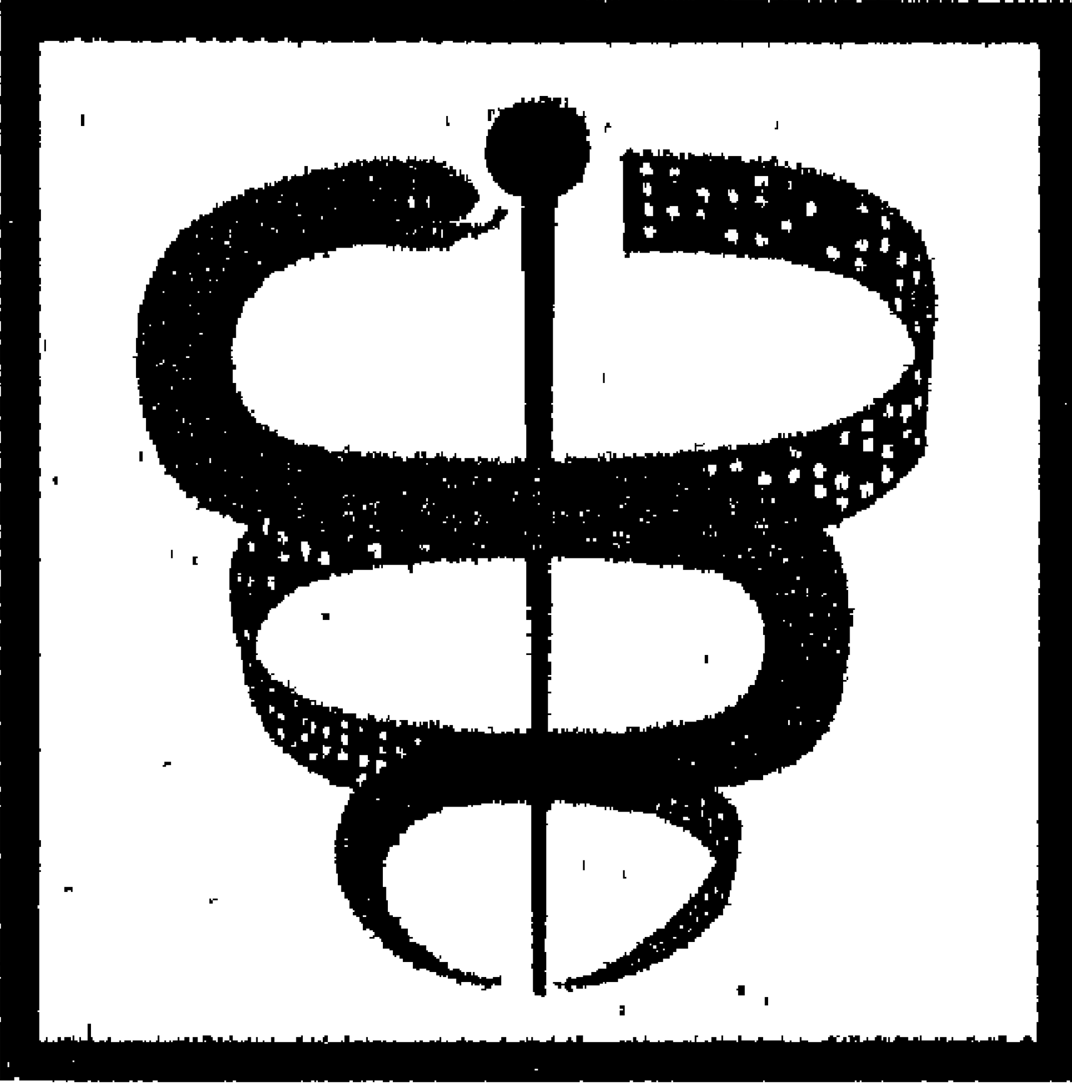


العين بالعين

أقوم أحياناً بأعمال تصوير مستقلة لبعض الصحف والمجلات وأفتخر كثيراً بهذه الأعمال. وذات مساء تعرفت في حفلة الى رجل متبجح يحرر مقالة أسبوعية في مجلة نشرت احدى الصور التي التقطتها. وبعدما أخبرني أنه أعجب بتركيبة الصورة وانسجامها "الممتعين الى حد ما" قال: "لا بد من أنك تملك آلة تصوير رائعة."

وعلى الفور أخبرته أنني استمتعت بقراءة مقالته الأخيرة، وأضفت: "لا بد من أنك تملك آلة كاتبة رائعة."

أ.ف.



أصداء من عالم الطب

تجنّب سرطان المعي الغليظ

على رغم ان سرطان الامعاء من أشدّ أنواع السرطان التي تؤدي الى الوفاة، الا أنه في الوقت نفسه من أكثر أنواع هذا المرض قابلية للشفاء.

وهناك أورام كثيرة في أغشية الامعاء المخاطية يمكن ان تتحول سرطاناً على مرّ السنين اذا أهمل المرء علاجها. وقد ابتكر الاطباء حديثاً طريقة خالية من الالم نسبياً لتحري ورم الامعاء واستئصاله وهو صغير خوفاً من أن يصبح مرضاً عضالا مع الوقت.

وحتى خمس سنوات فقط كان فحص الامعاء يتمّ عبر اقحام منظار سيني في المستقيم والقولون، اي الجزء الاسفل من المعي الغليظ، مسافة ثلاثين سنتيمتراً. أما الطريقة الحديثة فتعتمد أنابيب ليفية أقلّ صلابة، وفي امكان الطبيب النظر عبرها الى القولون كله. والفحص يحصل في عيادة الطبيب ولا يحتم دخول المستشفى.

وقد باشرت جمعية السرطان الامريكية والمعهد الامريكي الوطني للسرطان حملات هادفة الى اطلاع الاطباء والجمهور على الطريقة الحديثة وحثهم على فحص المعي الغليظ للكشف عن الاورام المحتملة وتجنب تضخمها. وقد نُصح جميع الاشخاص الذين يتجاوزون الخمسين باجراء هذا الفحص مرة كل ثلاث سنوات أو خمس. كما لُفت الاطباء الى أهمية الفحوص الاصبعية لتحري الدم المخبوء في البراز الذي قد يكون دليلا على سرطان القولون.

صحيفة "نيويورك تايمس"

البروتيين ومرض القلب

منذ مدة غير قصيرة والاطباء يأخذون من وجود البروتيين في البول علامة مرض في الكلى. وقد ظهرت شواهد اليوم على ارتباط هذه الظاهرة بالسكتات القلبية والدماغية. وأهم ما في الأمر أن البروتيين البولي يظهر قبل حدوث السكتة أو الجلطة.

والشواهد المذكورة استمدت من دراسة شهيرة أجريت في فرامنغهام، مساتشوستس، على ١٥ ألف مريض. وتبين أن البروتيين البولي لدى ذوي

ضغط الدم المرتفع هو ثلاث مرات أكثر منه لدى الآخرين. كما أن معدل وفاة الرجال والنساء الذين ترتفع نسبة هذا البروتيين لديهم يزيد مرتين او ثلاثة عليه لدى الآخرين. ومعظم أولئك يقضون نتيجة أمراض الاوعية الدموية كما يقول الدكتور وليم كانل استاذ الطب في جامعة بوسطن.

ولكن أيكون البروتيين البولي سبباً أم نتيجة لمرض القلب؟

في حين يبقى هذا السؤال مفتوحاً، يشير الدكتور كانل الى أن ارتفاع البروتيين في البول يرافقه "تلف واسع النطاق في الاوعية الدموية." وينصح زملاءه الاطباء باخضاع مرضاهم لقياس بروتيين البول، وهو فحص سهل ولا يكلف كثيراً، مرة كل سنتين على الاقل. فاذا أظهرت الفحوص ارتفاع كمية بروتيين البول، تعين على المرضى تجنب كل ما من شأنه تهديد القلب كالتدخين وارتفاع ضغط الدم والكولستيرول وتضخم نسبة السكر.

مجلة "الصحة"

فحوص ما قبل الجراحة

كل من ذهب الى مستشفى لاجراء جراحة تساءل عما اذا كانت كل تلك الفحوص التي تجرى قبل العمليات الجراحية ضرورية حقاً. وقد كشف مسح أجري في المركز الطبي بجامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو وشمل ٢٠٠٠ مريض جاؤوا لاجراء جراحات اختيارية، ان نحو ٦٠ في المئة من الفحوص السابقة للجراحة، بما فيها فحص تخثر الدم ومستوى سكر الغلوكوز، غير ضرورية وهي مكلفة أيضاً.

وقال الدكتور جورج لندبرغ رئيس تحرير مجلة الجمعية الطبية الامريكية التي نشرت هذا الاستقصاء: "لا يمكن أحداً أن يستهين بالفحوص المخبرية المناسبة. ولكن في هذه الايام، اذ تبذل جهود متزايدة للحد من التكاليف، تصبح الفحوص الروتينية غير الموصى بها قبل الجراحة أمراً يمكننا الاستغناء عنه."

اذاعة "وستنغهاوس"

الحقن في الذراع

قبل أن يجاز استخدام اللقاح "ب" ضد التهاب الكبد عام ١٩٨١ أظهرت استقصاءات واسعة أنه فاعل جداً ضد الفيروس "ب" في البالغين الاصحاء. لكن شركة "ميرك، شارب ودومي" صانعة الدواء والمراكز الامريكية لمراقبة الامراض أخذت تتلقى عدداً من التقارير التي تنبىء باستجابات ضعيفة لهذا اللقاح. وفي كثير من الحالات كان اللقاح أعطي في الردف، خلافاً للطريقة الاكثر نجاحاً وهي الحقن في الذراع التي اعتمدت في دراسات سابقة.

وكانت هذه أولى المعلومات التي تشير الى أن الاستجابة لاي لقاح مهمد الفاعلية يحقن في العضل يمكن أن تختلف باختلاف موضع الحقن. والتفسير المرجح لهذه الظاهرة هو أن المادة التي تحقن في الردف لا تصل غالباً الى العضل بل تترسب في الدهن. وبانتظار دراسة أوفى، تنصح مراكز مراقبة الامراض بالحقن في الذراع كموقع أفضل لجميع لقاحات البالغين.

التقرير الاسبوعي للامراض والوفيات

أولاد الانتظار

ظل الفتى سنوات يتوق الى بيت يؤويه وعائلة تحنو عليه

في المطبخ الاصفر الذي زادته شمس الصيف اشراقاً وقفت فرنكي غودمان تقلي دجاجاً وتهيىء خبز الذرة والخضر التي قطفتها من الحديقة التي زرعها زوجها ماكس خلف منزلهما ذي الطبقة الواحدة والمسقوف بالقرميد. في مدينة كولومبوس بولاية مسيسيبي يتعشى الناس باكراً ليتوفّر لهم في المساء وقت للعب الكرة أو صيد السمك أو قطف الخوخ البري عن جوانب الطرق.

"العشاء جاهز" نادت فرنكي الامرأة الوسيمة ذات القد الفارع والبسمة العريضة. وتقاطر الاولاد من ردهة البيت حيث كانوا يبنون بيوتاً بأوراق اللعب. جيروم (١٦ عاماً) يزهو بشاربيه زهو الصبي الذي عرف أخيراً حاجته الى موسى الحلاقة، وكريتينا (١١ عاماً) ذات صوت ناعم ولها ابتسامة أمها، وكيندرا (٤ أعوام) أصغر أولاد العائلة تطفر من غرفة الى غرفة وتثب من حضيض الى حضن. انه بيت مليء بالاطفال.

كعادته كل مساء صلى ماكس غودمان شاكراً لله نعمته. ثم أكل الجميع بسرعة فيما عيون الاولاد تتجه الى قرص الحلوى الذي وُضع على طاولة المطبخ ليبرد. انه عشاء عائلي عادي في بيت آل غودمان لكن هذه الناحية ذاتها هي الامر غير العادي بالنسبة الى جيروم.

قبل أشهر فقط كان جيروم يعيش مع أسرة في مدينة نيويورك وقد تخلى عنه أهله صغيراً فعاش خمسة عشر عاماً من عمره في ثمانية بيوت متنقلا من عائلة الى أخرى. انها طريق مشاها كثير من الصغار التاعسين.

حاجات خاصة - لا يتذكر جيروم شيئا عن العائلة الاولى التي رعته. كان عمره شهراً واحداً عندما التحق بها. وقضى عمل الاب بانتقال العائلة الى الغرب الامريكي، فطلبت أن تأخذ الطفل معها. لكن جيروم لم يكن سُمح بتبنيه بعد، وتعين عليه أن يبقى في نيويورك. وأظهرت فحوص نفسانية بعض تخلف لديه مما جعل عائلة ثانية تحجم عن تبنيه. وفي منزل آخر ارتاب المسؤولون في اساءة معاملته، فعهد به الى امرأة وحيدة تعتني بأطفال عدة.

المرأة ذات الاعوام السبعين أَمّنت للطفل محبة وتشجيعاً ما زال يتذكّرهما حتى اليوم. وانتهت اقامته عندها بعد ست سنوات عندما توفيت السيدة الفاضلة. ويقول جيروم بصوت يقطعه

التأثر: "كنت أحسب أن نانا هي أمي الحقيقية."

ماتت "نانا" وجيروم في الثانية عشرة، فبدأ يحنّ الى عائلة خاصة به: "كنت أرى الاطفال الآخرين يُتَبَنّون، فأقول لنفسي: هذا ما أنا في حاجة اليه أيضاً."

كل طفل يحتاج الى عائلة تكفل له الحب والاعالة والدعم. لكن جيروم كانت له مشاكل تجعل الامر نوعاً خاصاً من التحدّي. فمعظم الذين يفكرون في التبني في الولايات المتحدة يضعون في تصوُّرهم طفلا ابيض ذا صحّة جيّدة. وكان جيروم أسود وبطيء التعلم وفي سن الشباب تقريباً. وتعتبر مؤسسة التبني أمثاله "أولاداً ذوي حاجات خاصة." وايجاد متبنّين لهم يتطلب جهداً اضافياً.

وكانت مؤسسة "سبنس - شابين لخدمة العائلات والاطفال" في نيويورك والمسؤولة عن العناية بجيروم ذكرت الصبيّ لاناس راغبين في التبني. وقليلون منهم أرادوا مراهقاً. ونشرت احدى الصحف صورة جيروم ونبذة من حياته في باب أسبوعي تحت عنوان "طفل ينتظر". لكنَّ أحداً لم يتقدم لتبنيه. بعد ذلك سجل على لوائح وسائل الاعلام الاقليمية التي تصل الى أوساط يحتمل فيها وجود متبنين من رجال عازبين ونساء عازبات وأزواج أيضاً.

في هذا الوقت أبقي جيروم على علم بأن جهود المؤسسة قد تخفق في العثور على عائلة تتبناه. وكثيرون من الفتيان الذين ربوا في دور الرعاية ينتقلون الى العيش المستقل لدى بلوغهم السن الثامنة عشرة. ويفضل بعض المراهقين مثل هذا الاجراء على المخاطرة بالتزام عائلة أو مواجهة الرفض مرة أخرى. فالقول: "أنا لا أريد عائلة" أسهل من مواجهة الحقيقة: "لا عائلة تريدني."

لكن جيروم لم يكن من هؤلاء الاولاد: "أريد عائلة تقوم على مساعدتي وتصحيح أخطائي" هكذا صارح جين أدامس أحد الموظفين في مؤسسة "سبنس - شابين" آنذاك. وأضاف: "أريد أماً وأباً يهتمان بأمري."

ويتذكّر جيروم: "لم يكن جين أدامس ليستسلم، ولم يتركني انا أستسلم. وكلما أخفق مشروع تبنٍّ قال: علينا أن نحاول مرّة أخرى."

في يونيو (حزيران) ١٩٨٤ رعت دائرة الصحة والخدمات الانسانية في نيويورك مؤتمراً وطنياً حول التبني ووسائل الاعلام. وتحدث المشاركون عن دور الصحف والتلفزيون في ابراز الاطفال ذوي الحاجات الخاصة الذين هم برسم التبني. وأثناء المؤتمر صوِّر جيروم بسرواله الجينز وقميصه القصير الكمين الى جانب ملصق يحمل صورة مكبرة تظهر وسامة الصبي. وبعد مدة قصيرة نشر تقرير عن المؤتمر في مجلة (★) لرابطة رعاية الطفل في أمريكا. وأرفقت بالمقال صورة جيروم وملصقه وقد كتب في أسفلها: "ما زال ينتظر فرصة الانضمام الى عائلة دائمة."

آل غودمان - في ٣ أكتوبر (تشرين الاول) كانت فرنكي غودمان في جامعة

(★) Permanency Report (Fall 1984)

مسيسيبي للاناث تدرس لنيل اجازة في العمل الاجتماعي. وخلال محاضرة عن التبني والرعاية مرر المحاضر النشرة التي تحمل صورة جيروم، فحملتها فرنكي الى البيت ليراها ماكس. وتقول: "لم نستطع ابعاد الصورة عن مخيلتنا." وصلّى الزوجان طلباً للهداية، وكان قرارهما تبني الصبّي.

وبعد يومين اتصلت فرنكي برابطة رعاية الطفل في نيويورك، التي اتصلت بدورها بمؤسسة "سبنس - شابين". وفي مساء اليوم نفسه كلم جين أدامس آل غودمان.

وفي ١٠ أكتوبر (تشرين الاول) اتصلت جوان ستينوبر ثانية، وهي منسقة التبني في "سبنس - شابين". وتقول: "أطلعت السيدة غودمان على ضعفات جيروم وقدراته. وهي ظلّت على حماستها فشرحتُ لها اجراءات التبني."

في حجرة الجلوس درس عامل اجتماعي وضع زواج ماكس وفرنكي غودمان وباعثهما على التبني. وسألهما هل يستمتعان بلذة "انقاذ طفل" أم يريدان "انقاذ زواجهما"؟ وهل هما مطّلعان جيداً على حقيقة تربية فتى لم يعرفاه منذ ولادته؟ وشمل الاستقصاء البيتي صحة الزوجين ووضعهما المالي وسمعتهما الاجتماعية.

من هما الزوجان غودمان؟

فرنكي في الثالثة والثلاثين ومن مواليد رولنغ فورك في ولاية مسيسيبي. وهي واحدة من ثلاثة أولاد، رباها جدّاها فيما كان أبواها يعملان في أنحاء أخرى في الولاية. وماكس في الحادية والاربعين، نشأ واحداً من تسعة أبناء في مدينة بوماريا بولاية كارولينا الجنوبية.

التقى ماكس فرنكي عام ١٩٧٢ عندما كانا يخدمان في سلاح الجو. وتزوجا في السنة تلك ورزقا ابنتين.

وأصبح ماكس واعظاً. وراح يشدّد على أهمية العائلة والمسؤولية فيقول: "لو كنت مليونيراً لكان لي بيت من عشرين غرفة وفي كل غرفة صغيران." لكنه لم يكن مليونيراً. وبعد تقاعده من سلاح الجو بات موظفاً مدنياً في قاعدة كولومبوس الجوية. وهو في بعض الاوقات كافح لتسديد ايجار البيت الذي يسكنه منذ سنتين.

هذه هي العائلة التي وصفتها فرنكي لجين ادامس. وما لم تقله هو ان احساساً خالجها لزمن طويل بأن طفلا آخر، ذكراً، "سيدخل دارنا." وهي في البداية اعتقدت أنه سيولد لهما.

من وقت الى آخر كان الزوجان يتابعان برنامجاً تلفزيونياً يبرز الصغار ذوي الحاجات الخاصة الذين يعرضون للتبني. وفي أحد الايام فيما هما يشاهدان البرنامج سأل ماكس فرنكي: "ما قولك في ولد أكبر سناً؟"

"لا!" أجابت فرنكي. وهي كانت لا تزال تفكر في طفل.

فعلّق ماكس: "كل انسان يحتاج الى العطف." وتوقفا عند هذا الحد الى أن رأيا صورة جيروم.

"أمي وأبي" — مع تقدم التحري عن العائلة بدأ تحضير جيروم. فتبني ولد كبير هو كالزواج، وعلى الطرفين أن

يوافقا ويتجانسا ويعملا على انجاحه.

هل كان جيروم موافقاً على الانتقال الى ولاية مسيسيبي، وهي عالم يختلف كثيراً عن ذلك الذي عرفه في نيويورك؟ كان الولد في حاجة الى أجوبة عن عدد من الاسئلة منها: ما هي الحرارة في الصيف؟ وهل للعائلة حيوانات مدللة؟ وأكثر ما شغل تفكيره سؤال: هل ستكون له غرفته الخاصة؟

يقول جيروم: "اعتدت أن أعيش مع ولدين أو ثلاثة أو أربعة في غرفة واحدة. كانوا يسرقون ثيابي. واضطررت الى اخفاء جواربي ليلا واخراجها صباحاً. ولم أرد أن يستمر ذلك."

وأخبر جيروم أن غرفته الخاصة تنتظره، وأن منطقة المسيسيبي حارّة صيفاً، وأن آل غودمان يقتنون كلباً. وأرسلت اليه صورة للعائلة وحديث مسجل.

في ١٤ ديسمبر (كانون الاول) طار جيروم مع جوان ستينوير الى مدينة جاكسون (ولاية مسيسيبي) ومن ثم قطعا ٣٢٠ كيلومتراً في السيارة الى كولومبوس التي وصلا اليها ليلا فنزلا في فندق تعبين. واتصلا بمنزل غودمان، وبعد أقل من ربع ساعة كانت العائلة كلها في صالة الفندق.

وذهب جيروم مع آل غودمان الى بيتهم. وأعلنت كيرينا ملكيتها لهذا الاخ الكبير فقادته الى غرفة جانبية نظيفة وقالت له: "هذا هو سريرك."

لقد وصل جيروم أخيراً الى بيته.

اليوم التالي كان موعد تزيين شجرة



آل غودمان يبنون بيوتاً من ورق ، ويبدو جيروم في أقصى اليسار.

الميلاد. وتقول فرنكي: "كنا أخبرنا جيروم أننا لن نزين الشجرة قبل وصوله. وهكذا انتظرناه."

ويتحدث جيروم عن ذلك اليوم: "للمرّة الاولى عرفت أنه سيكون لي أم وأب واخوة حول شجرة الميلاد. كنت أعلم أني أستطيع العودة الى نيويورك اذا أردت، لكنني قلت في نفسي: ابقَ يا ولد." واتصل بالعاملة الاجتماعية المسؤولة عنه ليطلعها على قراره وكلمها مسمياً فرنكي وماكس "أمي وأبي."

قبل عودة جوان ستينوير الى نيويورك

Photo: Michael P. Smith / Black Star

طلبت من ماكس وفرنكي غودمان توقيع عقد يؤكد عزمهما على المضيّ في التبني. فسأل جيروم: "هل يمكنني أنا ايضاً أن أوقّع؟" وكتب اسمه بكل اعتزاز في ذيل الوثيقة: "جيروم غودمان."

دروس ولاء – لم تنته قصة جيروم بعد. فليس من السهل على مراهق وعلى عائلة جديدة أن يتكيّف واحدهما مع الآخر. ففي بعض نواح كان جيروم رأى أكثر مما يراه صبي في مثل سنيه الست عشرة. وفي نواح أخرى رأى أقل بكثير. وفي عيد ميلاده يوم ٢٣ فبراير (شباط) أطفأ الشموع على أول كعكة عيد أهديت اليه.

وتقول "أمه": "ما يدهشني أن أحداً لم يفسر له مفاهيم مثل اليوم وساعاته الاربع والعشرين وما يكون الندى. انه يحتاج الى مساعدة في القراءة والرياضيات ونحن نعمل على ذلك يومياً. جيروم سيتعلّم وسينجح في الحياة. أنا واثقة من ذلك."

وضايقه رفقاؤه الجدد في المدرسة لانه وضع في صف خاص بالاولاد الذين يواجهون صعوبة في التعلم. فتورط في مشاكل وعارك وسبّ. ولم تكن فرنكي معتادة أن تدعى الى المدرسة، لكنها ترددت اليها كثيراً، مرتين وثلاثاً وأربعاً أسبوعياً في البداية.

وأزعج جيروم عائلته بغاراته الليلية على الثلاجة لاختلاس الطعام. وليس ذلك بمستغرب من الاولاد الذين يُتبنّون في سن متقدمة. وغالباً ما نكث بوعوده، فباتت العائلة تجد صعوبة في تصديقه.

ويتلقى آل غودمان اعانة للتبنّي لا تغطي تكاليف شخص يضاف الى العائلة. لكنهم يحسّون أن هناك لحظات من البهجة لا يمكن أن تشترى. وهذه اللحظات بالنسبة الى ماكس هي حين يأتيه "ابنه" طلباً للرفقة أو للمشورة.

أما فرنكي فهي واضحة حول اللحظات الخاصة بها: "كان جيروم أمضى شهرين بيننا وكنت أقرأ له القصص. وذات ليلة حان موعد نومه فقال لي: شكراً يا ماما، هل أستطيع معانقتك؟ وأجبت: طبعاً تستطيع ذلك، بل اني اريده أكثر من أي شيء آخر. وها هو يعانقني كل ليلة مذذاك."

ويقول ماكس ان العائلة قد تتبنى يوماً ولداً آخر، "ولن يكون صغيراً، فالاولاد الكبار لا يأخذون الامور على علّاتها. انهم أكثر تقديراً للبيت. وكل من على هذه الارض يحتاج الى بيت وعائلة ينتمي اليهما."

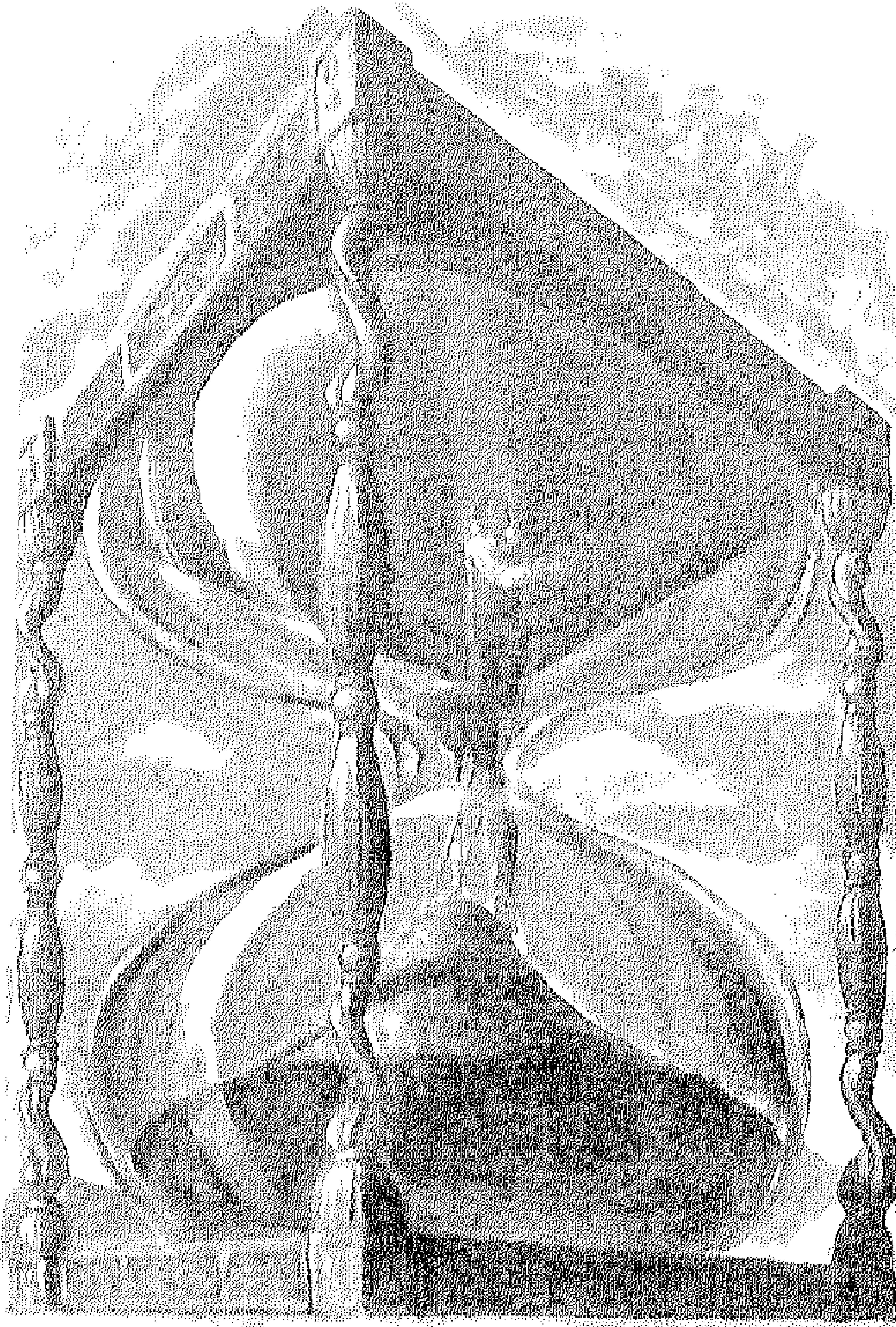
لقد حقق جيروم انتماءه أخيراً بفضل أناس عمرت قلوبهم بالايمان والحب فلم يتوقفوا عن المحاولة ولم يتخلوا عن الامل.

لكن ألوفاً من الاولاد أشباهه لا يزالون ينتظرون عائلات تواجه حاجاتهم الخاصة بعناية. فهل يجدون من يفتح لهم قلبه وبابه؟

كلير برمان ■



ما المنفعة من شجرة عائلة لا عصارة فيها؟ ل.ا.ت



عادات تطيل العمر وعادات تقصّره...

حين تدقق في أجوبتك عن الاسئلة الآتية يمكنك أن تكشف النواحي التي تستطيع فيها - بتحسين عاداتك - أن تضيف سنوات الى عمرك الباقي. وعندما تقبل على هذا الاختبار (★) اقسم ورقة أمامك عمودين، وضع في رأس أحدهما العلامة "+" وفي رأس الآخر العلامة "−". ارسم دائرة حول جواب واحد عن كل سؤال ثم دوّن الرقم في العمود المناسب.

١ . هل أنت عازب ودون الاربعين من العمر؟ (صفر) متأهل؟ (صفر) عازب أو مطلق وفوق الاربعين؟ (− ٦) مطلق ودون الاربعين؟ (− ٦) أرمل او أرملة؟ (− ٦) عازب أو أرمل او مطلّق وعلى علاقة مستمرة؟ (صفر) عازب أو أرمل أو مطلّق وتعيش وحيداً وتقتني حيواناً اليفاً؟ (صفر)

٢ . هل حياتك البيتية سعيدة جداً وهادئة؟ (+ ٦) متوسطة؟ (صفر) متوترة

(★) نُظم هذا الاختبار ليعطي تقديراً تقريبياً للعمر الطبي المقابل للعمر الزمني. وهو مصمم للتشديد على التدابير الوقائية. انه لا يناسب الذين هم دون الخامسة والعشرين او فوق الخامسة والستين ولا اولئك الذين يعانون أمراضاً مزمنة مثل الاعتلالات التاجية في القلب أو السرطان النشط أو انتفاخ الرئتين أو تشمع الكبد.

كثيراً والخصام العائلي أمر عادي؟ (– ٩)

٣. هل لديك أصدقاء حميمون أو أفراد عائلة يمكنك أن تبحث معهم في مشاكلك؟ نعم (+ ٣)، لا (– ٦)

٤. هل لك ولد أو أكثر دون السادسة عشرة؟ (– ٣) هل لك أولاد دون السادسة عشرة وأنت وزوجتك تعملان بدوام كامل؟ (– ٩)

٥. هل أنت راضٍ في حياتك الجنسية؟ نعم (+ ٩)، لا (صفر)

٦. هل أنت ذو طبيعة طيبة وتأخذ الأمور بمرح؟ (+ ٣) هل أنت عصبي المزاج ومتوتر غالباً؟ (– ٦) هل أنت مرن؟ (+ ٣) هل تصر دائماً على أن تجري الامور كما تشاء؟ (–٣) حالك لا تنطبق على أي من التعريفات السابقة (صفر)

٧. هل أنت ذو شخصية من الفئة "أ"؟ (– ٦) من الفئة "ب"؟ (+ ٦) بين الفئتين؟ (صفر)

الفئة "أ"	الفئة "ب"
عنيف	لطيف
مستعجل دائماً	نادر الاستعجال
تعبّر عن مشاعرك	تكتم مشاعرك
تعمل أموراً عدة في وقت واحد	تعالج الامور واحداً بعد آخر

٨. هل تقطن في مدينة؟ (– ٦) في ضاحية؟ (صفر) في بلدة صغيرة أو في الريف؟ (+ ٣)

٩. هل تقوم بتمارين نشطة لمدة ٢٠ أو ٣٠ دقيقة ثلاث مرات في الاسبوع على الاقل؟ (+ ١٢) مرة في الاسبوع أو دون ذلك؟ (صفر) نادراً أو أبداً؟ (– ١٢)

١٠. هل وزنك ضمن الحدود المثالية بالنسبة الى الجنس والطول والبنية؟ (+٣) أضف لكل كيلوغرامين زيادة(– ٢)

الحدود المثالية للوزن

الطول (بالسنتيمتر وبلا حذاء) — الوزن *(بالكيلوغرام وبلا ثياب)

للرجال	ناحل	متوسط	ضخم
١٥٥	٥٦ - ٥٩	٥٧ - ٦٢	٦٠ - ٦٦
١٥٧	٥٧ - ٦٠	٥٨ - ٦٣	٦١ - ٦٧
١٦٠	٥٨ - ٦٠	٥٩ - ٦٤	٦٢ - ٦٩
١٦٣	٥٩ - ٦١	٦٠ - ٦٥	٦٣ - ٧٠
١٦٥	٦٠ - ٦٢	٦١ - ٦٦	٦٤ - ٧٢
١٦٧	٦١ - ٦٤	٦٢ - ٦٨	٦٦ - ٧٤
١٧٠	٦٢ - ٦٥	٦٤ - ٦٩	٦٧ - ٧٦
١٧٢	٦٣ - ٦٦	٦٥ - ٧٠	٦٨ - ٧٨
١٧٥	٦٤ - ٦٨	٦٦ - ٧٢	٧٠ - ٨٠
١٧٧	٦٥ - ٦٩	٦٨ - ٧٣	٧١ - ٨١
١٨٠	٦٦ - ٧١	٦٩ - ٧٥	٧٢ - ٨٣
١٨٣	٦٧ - ٧٢	٧٠ - ٧٧	٧٤ - ٨٥
١٨٥	٦٨ - ٧٤	٧٢ - ٧٩	٧٦ - ٨٧
١٨٧	٧٠ - ٧٦	٧٤ - ٨٠	٧٨ - ٩٠
١٩٠	٧٢ - ٧٨	٧٥ - ٨٣	٨٠ - ٩٢

للنساء	ناحلة	متوسطة	ضخمة
١٤٥	٤٤ - ٤٩	٤٨ - ٥٤	٥٢ - ٥٨
١٤٧	٤٥ - ٥٠	٤٩ - ٥٥	٥٣ - ٦٠
١٥٠	٤٦ - ٥١	٥٠ - ٥٦	٥٤ - ٦١
١٥٣	٤٧ - ٥٢	٥١ - ٥٧	٥٦ - ٦٢
١٥٥	٤٨ - ٥٤	٥٣ - ٥٩	٥٧ - ٦٤
١٥٧	٤٩ - ٥٦	٥٤ - ٦٠	٥٨ - ٦٦
١٦٠	٥٠ - ٥٧	٥٦ - ٦٢	٦٠ - ٦٧
١٦٣	٥٢ - ٥٨	٥٧ - ٦٣	٦١ - ٦٩
١٦٥	٥٣ - ٥٩	٥٨ - ٦٤	٦٢ - ٧١
١٦٧	٥٥ - ٦١	٥٩ - ٦٦	٦٤ - ٧٣
١٧٠	٥٦ - ٦٢	٦١ - ٦٧	٦٥ - ٧٥
١٧٣	٥٧ - ٦٣	٦٢ - ٦٨	٦٧ - ٧٦
١٧٥	٥٩ - ٦٥	٦٣ - ٧٠	٦٨ - ٧٧
١٧٧	٦٠ - ٦٦	٦٥ - ٧١	٦٩ - ٧٩
١٨٠	٦٢ - ٦٧	٦٦ - ٧٢	٧٠ - ٨٠

* Ideal Weight Range Courtesy Metropolitan Life Insurance Co.

١١. هل تتناول - أو تشرب - الاشياء الآتية كل يوم (ارسم دائرة حول علامة المواد المنطبقة): الحليب المقشود أو القليل الدسم فقط؟ (+ ٣) الاطعمة الغنية بالالياف؟ (+ ٣) اللحم ثلاث مرات يومياً؟ (- ٦) أكثر من ٤ فناجين قهوة أو شاي او كولا؟ (- ٦) هل تضيف الملح الى الطعام دائماً؟ (- ٦)

١٢. هل تدخن؟ أبداً (+ ٦) أحياناً (صفر) باعتدال، أي نحو ٣١ سيجارة يومياً (- ١٢) بافراط (- ٢٤) تتعاطى المخدرات (- ٢٤)

١٣. هل تشرب الكحول؟ أبداً أو نادراً (+ ٦) باعتدال (- ٦) بافراط (- ٢٤)

١٤. هل ضغط دمك فوق الحد العادي (فوق ١٤/٩)؟ (- ١٢)

١٥. هل الكولسترول في الدم فوق المستوى العادي (أكثر من ٢٢٠ دون السن الاربعين وأكثر من ٢٥٠ فوق السن الاربعين)؟ (- ٦)

١٦. هل رضاك عن عملك فوق الوسط؟ (+ ٣) وسط؟ (صفر) دون الوسط (- ٦)

١٧. هل تعمل في مدينة؟ (- ٦) في ضاحية؟ (صفر) في بلدة صغيرة أو في الريف؟ (+ ٣)

١٨. هل تشارك بانتظام في نشاطات أو هوايات خارج العمل؟ نعم (+ ٣)، لا (- ٣)

١٩. هل تقود السيارة مسافة تقل عن ٣٢ ألف كيلومتر سنوياً وأنت تشد أحزمة السلامة؟ (+ ٣) نادراً ما تستعمل أحزمة السلامة؟ (صفر) تقود مسافة تزيد على ٣٢ الف كيلومتر مع شد أحزمة السلامة؟ (- ١٢) مع شد أحزمة السلامة نادراً؟ (- ١٥)

٢٠. هل تتمتع باجازة من العمل مرة واحدة في السنة على الاقل؟ نعم (+ ٦)، لا (- ٦)

٢١. هل تتعاطى الادوية حين توصى بتناولها فقط وتتقيد بالتعليمات؟ (صفر) هل تتعاطاها من غير ضرورة مع التقيد بالتعليمات؟ (- ١٢) كثيراً ومن دون التقيد بالتعليمات (- ٢٤) هل تستخدم عقاقير غير طبية؟ (- ٣٦)

٢٢. هل أنت مصاب بلغط (١) في القلب؟ لغط غير خبيث، أي وظيفي؟ (صفر) خبيث، اي عضوي او ناتج من مرض؟ (- ٢٤) هل أصبت سابقاً بالحمى الرثيية، أي الروماتيزم؟ (- ٤٨)

٢٣. هل تعاني الربو؟ تصاب بنوبات ربو أحياناً؟ (- ٣) تعاودك النوبات بانتظام؟ (- ٦) هل هي حالة مزمنة؟ (- ١٢).

٢٤. هل أنت معرض للتلوث في الهواء؟ أبداً (صفر) بانتظام (- ٣) بانتظام وبمقادير كبيرة (- ٩)

٢٥. هل أنت مصاب بداء السكري؟ نعم، وغير خاضع للانسولين (- ١٨) نعم وخاضع للانسولين (- ٢٤)

٢٦. هل تجري فحوصاً طبية منتظمة؟ كاملة (+ ١٢)، جزئية (+ ٦)

٢٧. هل تجري فحصاً لاسنانك مرتين في السنة؟ نعم (+ ٣)، لا (صفر)

٢٨. هل والدك حي وعمره يزيد على ٧١ سنة أو توفي بعد بلوغه الحادية

---

(١) Murmur

والسبعين؟ (+ ١ لكل سنة عاشها بعد الحادية والسبعين) حي ودون الحادية والسبعين (صفر) توفي لاسباب مرضية وليس بحادث قبل بلوغه الحادية والسبعين؟ (- ١ لكل سنة قبل الحادية والسبعين)

٢٩. هل والدتك على قيد الحياة ويزيد عمرها على ٧٣ سنة أو متوفاة بعد الثالثة والسبعين؟ (+ ١ لكل سنة عاشتها بعد الثالثة والسبعين) على قيد الحياة ودون الثالثة والسبعين (صفر) توفيت لاسباب مرضية وليس بحادث قبل الثالثة والسبعين (- ١ لكل سنة قبل الثالثة والسبعين)

للنساء فقط

أ. هل في تاريخ عائلتك أي اصابة بسرطان الثدي؟ أمك؟ اخواتك؟ (- ٦)

ب. هل تتفحصين ثدييك شهرياً؟ (+ ٦)

ج. هل تجرين فحصاً سنوياً للثديين لدى طبيب؟ (+ ٦)

د. هل تجرين فحص المسحة المهبلية (٢) بحسب توصية طبيب (+ ٦)

(٢) Pap Smear

المجموع

١. اجمع الارقام في العمود "+" وفي العمود "-".

٢. اطرح الرقم الاصغر من الرقم الاكبر واقسم الباقي على ١٢.

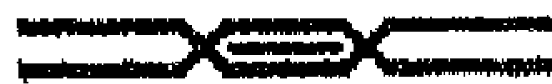
٣. ضع علامة الرقم الاكبر في الفقرة "١" اعلاه (+ أو -) للرقم في الفقرة "٢". وهذا يكون رقمك في حاصل الاختبار.

والآن انظر الى بيان العمر المتوقع أدناه. اطرح رقمك من رقم العمر المتوقع - أو اجمعهما - وفقاً للنتيجة التي حصلت عليها اذا كانت سلبية أم ايجابية. هذا يعطيك تقديراً جيداً لطول عمرك ضمن النمط الحالي لحياتك.

بيان العمر المتوقع

اذا كان عمرك (سنوات): العمر	فستعيش (سنوات): للرجال	للنساء
٢٥ - ٢٩	٧٣ عاماً	٨٠ عاماً
٣٠ - ٣٤	٧٣	٨٠
٣٥ - ٣٩	٧٤	٨٠
٤٠ - ٤٤	٧٤	٨٠
٤٥ - ٤٩	٧٥	٨٠
٥٠ - ٥٤	٧٥	٨١
٥٥ - ٥٩	٧٦	٨٢
٦٠ - ٦٤	٧٨	٨٣

Source: National Center for Health Statistics, 1983 figures



فروض اليوم

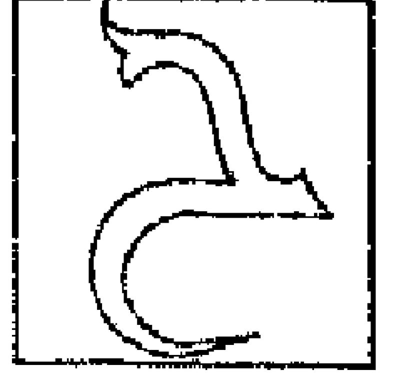
بالأمس كان عذر التخلف عن أداء الفروض المدرسية: "التهم الكلب دفتري." أما اليوم فهو: "امّحت اسطوانة الدماغ الالكتروني."

قصة قصيرة

إكسير الحبّ

اذا أردت أن توقع فتاة في حبك،
أضف الى قهوتها عصير ثمرة الجوبة





حدثني أوم شاك لورنز قال: الكل يعرف نبتة الجوبة، فهي تنمـــو في أعـــالي الاجراف. ويقال ان ثمرها التوتي الصغير يجب أن يقطف في منتصف الليل وتحت بدر كامل. وان كنت شاباً هائماً بفتاة وتريد ايقاعها في حبك، فما عليك سوى عصر ثمرة جوبة فوق قهوتها.

ويقال انه بعد أن تتجرع الفتاة تلك العصارة فانها تنسى كل شيء. فلا تعود تذكر أن جبهتك ضيقة وأن أذنيك ناتئتان وأن فمك كبير. وتنسى أنها اكدت لك مرة أنها لن تتزوجك وان كنت الرجل الوحيد في مقاطعة ترانسفال(★) فكل ما تدركه الآن هو أن الرجل الذي تراه خلف فنجانها الفارغ أمسى بارع الجمال.

ذات ليلة خرجت الى الصيد في مرج مشجر وقد ربطت مصباحاً الى قبعتي. ولا شك في أنك تعرف نوع الصيد هذا. ففي وهج المصباح لا ترى سوى عيني الشيء الذي تصوب اليه. وان ضُبطت احتُجزت ثلاثة أشهر. وقد حُظر الصيد في ضوء المصابيح مذ أصيب شرطي في رجله أثناء ملاحقته بعض مهربي الماشية.

(★) الترانسفال مقاطعة في شمال شرق دولة جنوب افريقيا.

لذا مشيت تلك الليلة على الجرف بتأن شديد. وفينة بعد فينة أضأت مصباحي وتسمرت بين الأشجار منتظراً للتأكد من أن أحداً لا يلاحقني. وفي الأحوال العادية ليس الأمر في هذه الخطورة، ولكن قبل يومين شوهد شرطيان يندسان في الأجمة. وبدا من نظراتهما انهما شابان يطمحان الى الترقية ولا يعلمان أنه حري بهما شرب عصير فاكهة ينتجه مزارع شريف عوض اعتقاله بتهمة الصيد في ضوء المصباح.

وبينما أنا أمشي وقع نور مصباحي فجأة على عينين تبعدان عني نحو مئة خطوة. وحين رأيت حولهما خوذة شرطي تذكرت أن ليلة مقمرة كتلك لا تصلح لاصطياد الوعول.

فعدت أدراجي الى البيت.

صياد جوبة

سلكت الطريق الأقصر المحاذية للجانب الشديد الانحدار من الجرف. وأثناء نزولي تعلقت بأغصان وجذور وطنوف حجرية وحشائش متنوعة. وحين وصلت الى سفح الجرف وجلست لالتقط أنفاسي فاجأني ذلك الشرطي منحنياً فوق رأسي.

وبادرني: "أوم شاك، كنت أتساءل هل تعيرني مصباحك."

ورفعت نظري لأرى جدعون فان دير ميروي، وهو شرطي التقيته غير مرة واستلطفته كثيراً.

وأجبته: "يمكنك استعارة مصباحي، ولكن عليك توخي الحذر. فاعتقال شرطي يخالف القانون أسوأ من اعتقال مدني."

وهزّ جدعون رأسه: "لا، لست مهتماً للصيد بالمصباح. أريد أن..." وسكت متردداً ثم ضحك بعصبية وتابع: "ما سأقوله سخيف، لكنّك قد تتفهم الوضع. أنا أبحث عن نبتة جوبة أحتاج اليها في دروسي، وتحديداً في امتحاني المقبل لرتبة رقيب. والليل يكاد ينتصف وأنا لم أجد أثراً لهذه النبتة في أي مكان."

وأسفت على جدعون. وصدمني أنه لن يصبح شرطياً ناجحاً. فاذا عجز عن العثور على نبتة الجوبة النامية بالالوف على الجرف، فكيف سيتمكن من اقتفاء آثار مهربي الماشية؟

وسلمته مصباحي وأرشدته الى المكان. فشكرني وانطلق مسرعاً. ثم عاد بعد نصف ساعة.

وأخرج توتة حمراء من جيب سترته وأراني اياها. وتحاشياً لسماع المزيد من الاكاذيب حول حاجته الى تلك الثمرة لدروسه، تكلمت أولا.

سألته: "ليتي كورديه؟"

وهزّ جدعون رأسه ايجاباً. إلا أن الخجل أخذه فلم يفصح عن مشاعره في البداية. وكنت خمّنت قبل زمن بعيد أن جدعون فان دير ميروي لا يعرّج على منزل كريسيان كورديه لمجرد الاستماع الى قصة حياته.

ومع ذلك ذكرت قصة حياة كريسيان كورديه.

وردّ جدعون: "نعم، لقد وصل والد ليتي في حكايته الى سنه السابعة. واستغرق ذلك شهراً حتى الآن."

وقلت: "لا شك في أنه سعيد بأنك تسمع قصصه. فلم يسبقك الى ذلك سوى

بائع سندات تأمين. لكنه لم يحتمل أكثر من أسبوعين وصل كريسيان في غضونهما الى أحداث سنه الخامسة."

جواب بسيط

تابع جدعون: "لكن ليتي رائعة يا أوم شاك. أنا لم أكلمها أكثر من بضع كلمات. وطبعاً من السخف التوقع أنها ستهتم لشرطي. إلا أن جلوسها في الدارة هناك فيما والدها يروي ما كان يفعله قبل بلوغه السادسة، واحضارها بين الحين والآخر مزيداً من القهوة، هذا هو الحب يا أوم شاك."

ووافقته على ان الامر لا بد هو كذلك.

وأوضح جدعون: "لقد حسبت انه اذا استمر والد ليتي على هذا المنوال فسينهي قصة حياته بعد سنتين. وعندئذ لن يبقى لي عذر لزيارة العائلة، وذلك يقلقني."

فوافقته على ان الامر لا شك مقلق.

وأضاف جدعون: "حاولت مراراً اخبار ليتي كم أفكر فيها. ولكن كلما باشرت ذلك تملكني شعور بالحماقة. فتستحيل بزتي أسمالا ويتجعَّد مقدم حذائي ويتهدَّج صوتي، فلا أقول لها سوى انني سأعود قريباً لأسمع ما تبقى من قصة حياة والدها."

وسألته: "وما هي توقعاتك من عصير الجوبة؟"

فردَّ جدعون بكآبة: "قد يدفعها عصير الجوبة الى المبادرة بالافصاح عن مشاعرها."

وبعد قليل افترقنا. وحملت مصباحي وسلاحي مراقباً ظل جدعون يختفي بين الأشجار. وتأملت كم هو طيب ذلك الرجل وكم هو بسيط. ووجدت حسناً أنه شرطي. فلو كان مهرب ماشية لاعتقل كلما حاول اجتياز الحدود.

وصبيحة اليوم التالي يمَّمت شطر مزرعة كريسيان كورديه لاذكره بصفيحة المحلول المبيد للجراثيم التي لي بذمته من الموسم الماضي.

ومكثت هناك ساعة لم أتمكن في غضونها من تمرير كلمة واحدة عن المحلول، لكنَّ كريسيان نجح في اخباري الكثير عما فعله في سنه التاسعة. وحين أتت ليتي بالقهوة أوْرَدْتُ لوالدها ملاحظة عرضية عن جدعون فان دير ميروي.

وردَّ كريسيان كورديه: "أجل، انه شاب رائع، ومتوقد الذكاء أيضاً. ويسعدني أن أقصَّ عليه تفاصيل حياتي. وهو يعترف بأن الاحداث التي أرويها له ليست مثيرة فحسب، بل مفيدة أيضاً."

ولم أهتم كثيراً لتعليقات كريسيان، انما راقبت ليتي عند ذكري اسم جدعون. وهي لم تظهر الكثير، لكنني سريع في ملاحظة تلك الأمور، ورأيت ما فيه الكفاية: اللون الذي تسلل الى وجنتيها، والضوء الذي التمع في عينيها.

شاب محظوظ

في طريق العودة التقيت ليتي واقفة تحت شجرة زعرور. وبدت فاتنة بساعديها الأسمرين ووجهها الهادىء العذب وصدرها الملآن. ولم يكن من الصعب فهم مشاعر جدعون نحوها.

وسألتها: "ليتي، هل تحبينه؟"

فأجابت: "أحبه يا أوم شاك."

وكان الأمر بتلك البساطة!

عرفت ليتي أنني قصدت جدعون فان دير ميروي على رغم انني لم أذكر اسمه. وهكذا سهل عليّ اخبارها بما حدث الليلة الماضية عند الجرف. وأطلعتها على الاحداث التي قد تهمها، مثل ارشادي جدعون الى حيث يجد نبتة الجوبة. غيري كان ليزعجها بوصف طويل وغير ضروري لتفاصيل نزولي الجرف وتعلقي بالاغصان وجذور الأشجار. لكنني مختلف، فقد أخبرتها أن جدعون هو الذي نزل الجرف.

وفي أي حال، انها قصة حب جدعون وليتي، ولم أشأ ابراز دوري فيها.

ونبهتها: "تعرفين ما عليك عمله الآن يا ليتي. اتركي قهوتك على الطاولة في متناول جدعون وامنحيه الوقت الكافي لاضافة عصير الجوبة اليها."

وعقّبت ليتي: "قد يستحسن أن أراقبه عبر ثقب الباب."

وربّتُ رأسها موافقاً. وأضفت: "ثم عودي الى الدار وارتشفي قهوتك."

وأجابت ببساطة: "نعم يا أوم شاك."

وختمتُ توجيهاتي: "وبعد أن تشربي القهوة تعلمين ما عليك فعله. انما حاذري الانسياق كثيراً."

وسررت لرؤية الدم الدافىء يتدفق الى وجنتيها. وفي طريق العودة قلت في نفسي ان جدعون شاب محظوظ.

هذا جلّ ما يمكن قوله.

والتقيت جدعون بعد أيام وكان مبتهجاً كما توقعت. وسألته: "هل فعلت نبتة الجوبة فعلها؟"

وأجاب: "كانت رائعة يا أوم شاك. وأعظم ما في الامر أن والد ليتي كان غائباً حين أضفت العصير الى قهوتها. فقد أتته ليتي قبيل ذلك برسالة تسأله التوجه الى حقل الذرة."

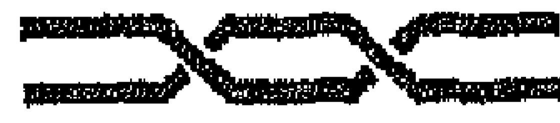
واستفسرت: "وهل حقاً يفعل عصير الجوبة كل ما يروى عنه؟"

فقال: "لن تصدق سرعة مفعوله..."

ثم غمزني جدعون بعينه ففهمت انه ليس بتلك البساطة.

وأضاف: "كنت أعلم أن عصير الجوبة سيفلح، خصوصاً بعدما أخبرني والد ليتي أنك زرتهما ذاك الصباح."

هرمان تشارلز بوسمان ■

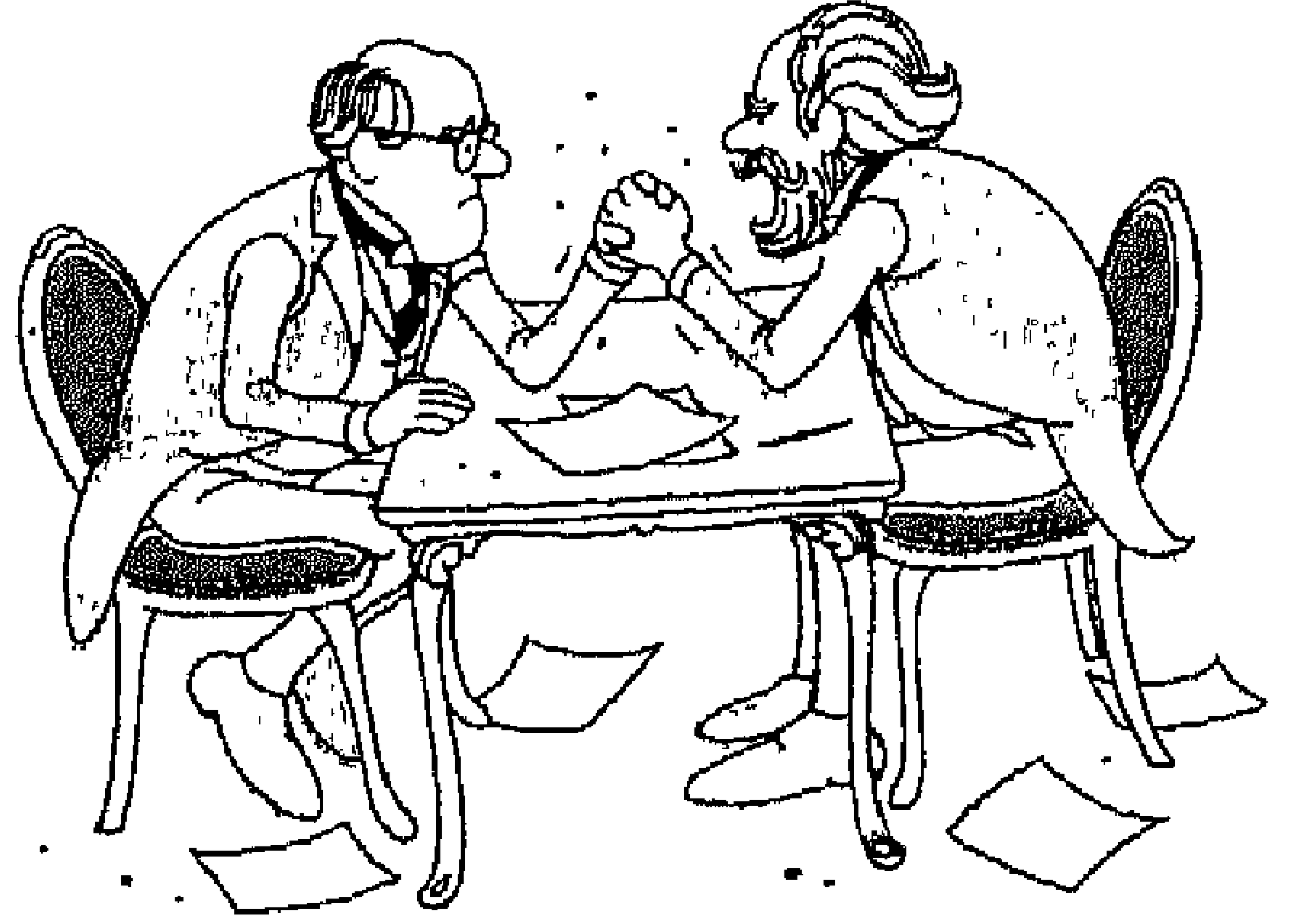


قلب رقيق

كان رجل لين الطباع يحب الصغار والحيوانات ولم يسعه قط أن يقسو في تربيتهم أو تربيتها. وحين نفق كلب العائلة، وهو الاخير في سلالة من الكلاب السيئة السلوك، اشترت العائلة جرواً صغيراً وأصرت الام على ارساله الى مؤسسة تعنى بتربية الكلاب وتدريبها.

وفي اليوم الثالث عاد الرجل والجرو من المؤسسة باكراً. وقدم الرجل الى زوجته، بوداعة وحياء، رسالة حملها اليها من المدرب وجاء فيها: "أرجو ارسال الجرو الينا مع شخص غير هذا."

ل.م.



دَائِرَةُ المَعَارِف

تتضمن الدائرة في هذا العدد كلمات مختارة من كتاب "الالفاظ الكتابية" للشيخ عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني (توفي عام ٣٢٧ هجرية). وقد ورد في معجم الادباء: "كان الشيخ إماماً في اللغة والنحو ذا مذهب حسنٍ. وكان كاتباً سديداً شاعراً فاضلا." وقال الصاحب بن عبّاد: "لو أدركتُ عبد الرحمن بن عيسى مصمم كتاب الالفاظ لأمرت بقطع يده." وسئل عن السبب فقال: "جَمَع شذور العربية الجزلة في أوراق يسيرة فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ورفع عن المتأدبين تعب الدروس والحفظ الكثير والمطالعة الكثيرة الدائمة."

وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارئ أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. زَوِر: سمن – نظر شزراً – اعوجّ – نزف.

٢. فنَّد: خطَّأ ولام – فلَّ ومزق – مدح – قال الشعر.

٣. ارعوى: تواقح – كفَّ – استدار ورجع – جَبُن.

٤. جريرة: شفة – هرة صغيرة – ابريق – ذنب.

٥. رِفْد: ورك – جدول – عطاء – ارتفاع ماء البحر.

٦. مَحْتِد: أصل – خيمة – قبر – غضب.

٧. توسَّم: تشاءم – تبيَّن – تلقى خبراً – تزيَّن.

٨. سنح: أذن – غفا – مال – تيسَّر.

٩. خريد: بكر – صندوق جواهر – عتيق – نادر.

١٠. موئل: ملجأ – عرين الاسد – موقد – أرض خصبة.

١١. شاحَنَ: نافس – لاعب – باغض – جادل.

١٢. سوَّل: استجدى – زيَّن وهوَّن – صفَّى – فقأ العين.

١٣. اجترح: طعن – لفَّق خبراً – افترى – ارتكب.

١٤. تضمَّخ: تلطخ بالطيب – تضمن – تبلل – أنتنت رائحته.

١٥. استتبَّ: شتم – استقام وتبيَّن – قعد – وثب فجأة.

١٦. راز: رجح – رمق – وزن – صفع.

١٧. مآخذ: مَقاتل – مواطن قوة – مصادر – أولى أيام السنة.

١٨. إملاق: تزلف – كذب – تدجيل – فقر.

١٩. رِفاء: رتق – اتفاق – بحبوحة – ندب.

٢٠. ضارع: غلب – صافى وآخى – قاتل – شابه.

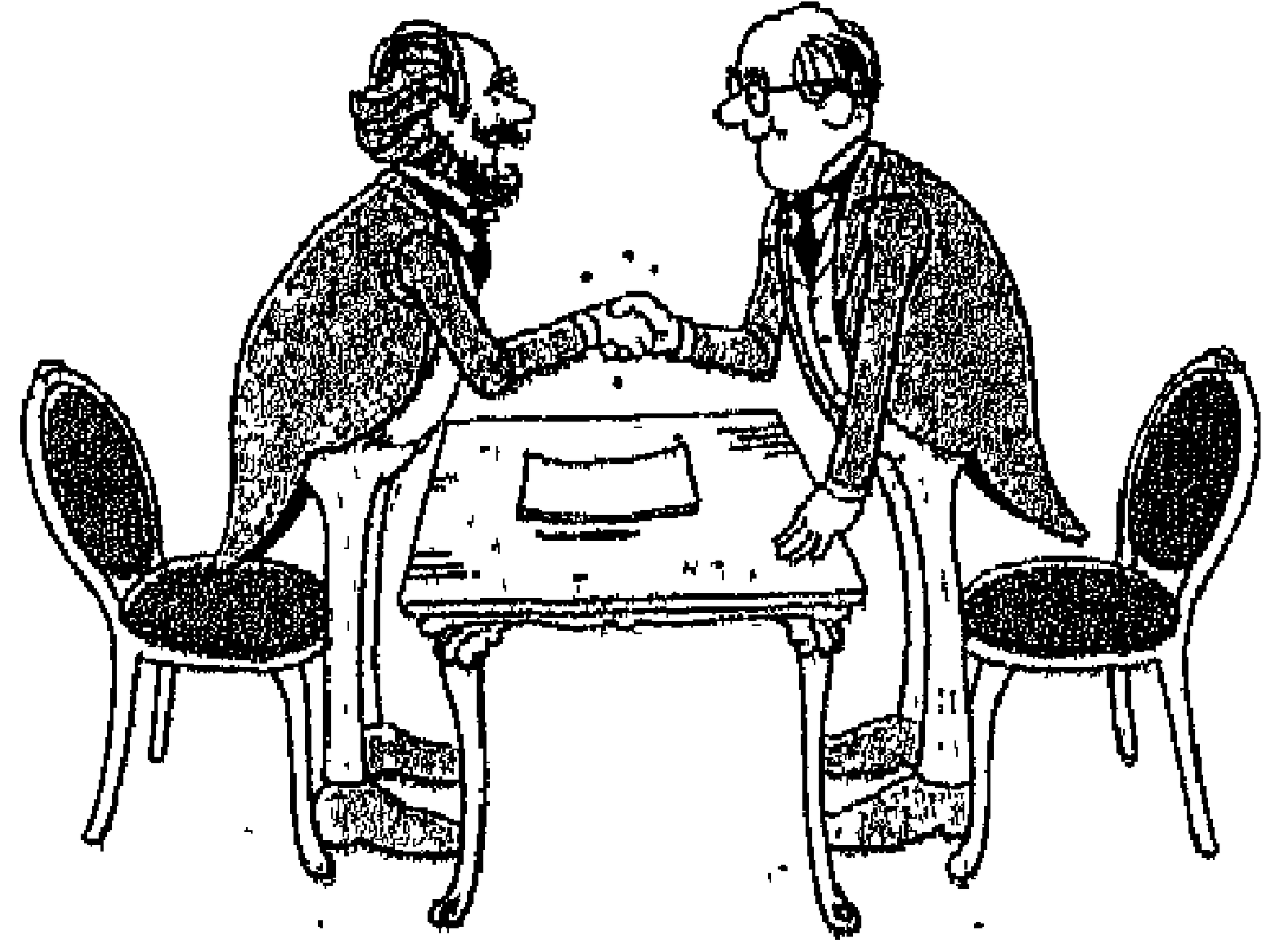
٢١. أوغر الصدر: أوقده من الغيظ – أحزن – شوَّق – أفرح.

٢٢. سبر: مشى وئيداً – وزن الذهب – تأمل – امتحن الغور.

٢٣. وارب: تلوَّى – خبأ – خاتل وداهى – خاصم.

٢٤. سمق: أفلت – علا – ضرب – رنا.

٢٥. الموبقات: المهالك والمعاصي – الاكاذيب – النوادر – الرياح.



الأجوبة الصحيحة

١. زَوِر: اعوجّ ومال. الزَّوْر: أعلى وسط الصدر.
٢. فنّده: خطّأ رأيه وضعّفه. أيضاً: لامه. أفند: خرف وضعف عقله.
٣. إرعوى عن الجهل: كف عنه. أيضاً: رجع.
٤. الجريرة: الذنب والجناية. يقال: جرَّ على نفسه جريرة، أي ارتكب إثماً.
٥. الرِفْد: المعونة والعطاء. الرَّفْد: الصَحْن. يقال: أريق رَفْدُه، أي مات.
٦. المَحْتِد: الاصل. يقال: فلان كريم المحتد والمنبت والعنصر والمغرس.
٧. توسَّم فيه الخير: تبيَّن فيه أثره.
٨. سنح الامرُ: عرض وتيسَّر. والطائرُ أو الظبيُ: مر من المياسر الى الميامن.
٩. الخريد: البكر والحييَّة الخافضة الصوت. لؤلؤة خريد: لم تثقب.
١٠. الموئل: الملجأ.
١١. شاحنه: باغضه. الشَحْناء: العداوة امتلأت منها النفس.
١٢. سوَّلت له نفسه كذا: زينته وسهلته وهونته.
١٣. اجترح الاثم: ارتكبه. جوارح النهار: مصائبه، ومنها: نعوذ بالله من طوارق الليل وجوارح النهار.
١٤. تضمَّخ بالطيب: تلطخ به.
١٥. استتبَّت الطريق: ذلت وانقادت. أيضاً: وضحت واستبانت. استتبَّ الامر: استقام واستمر وتبيَّن، وأصله من الطريق المستتبة.
١٦. راز الحجرَ: وزنه ليعرف ثقله، والرجلَ: جرَّبه وخبره.
١٧. مآخذ الكتاب: مصادره. والمآخذ المصائد أيضاً.
١٨. الاملاق: الفقر.
١٩. الرِفاء: الاتفاق. يقال للعروسين: بالرفاء والبنين، أي بالالتئام والاتفاق واستيلاد البنين.
٢٠. ضارعه: شابهه. ضارعت الشمس: دنت للغروب.
٢١. أوغر صدره: أوقده من الغيظ.
٢٢. سبر الجرح أو الماء أو الامر: امتحن غوره.
٢٣. واربه: خاتله وداهاه. الوِراب: الانحراف والالتواء.
٢٤. سَمَق النبات: علا وطال فهو سامق. السُمَاق: الخالص البحت. يقال: أحبك حباً سُماقاً، أي خالصاً.
٢٥. الموبق: المهلك. يقال: فلان يركب الموبقات أي المهالك، ويفعل الموبقات أي المعاصي.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول

في منطقة الباسك الاسبانية البائسة تنشط
شبكة تعاونيات يملكها العمال، وقد باتت محط إعجاب كثيرين

تعاونيات موندراغون

تبدو موندراغون على الخريطة نقطة صغيرة في بلاد الباسك الفقيرة الواقعة شمال اسبانيا. لكن المظاهر خادعة، فهذه البلدة هي العصب الحيوي لشبكة من المصانع والأعمال والخدمات الاجتماعية التي يملكها العمال. وهي تشكل نظاماً تعاونياً ناجحاً اجتذب اهتمام العالم وتقديره.

وهذه الحركة الفريدة التي بدأها خمسة أعضاء قبل ٣٠ سنة توسعت لتضم حالياً ١٧٣ مؤسسة يشغّلها أكثر من ١٩ ألف عامل عضو، وتمتد من وادي ليبنيز الى مجمل بلاد الباسك ونافار. وعمودها الفقري ٩٤ تعاونية تصنع كل شيء من الآلات الثقيلة الى الدراجات، وتسع تعاونيات زراعية تنتج الخضر الطازجة والمعلبة.

والمشروع التجاري الاول من هذا القبيل هو "ألغور" (ULGOR) الذي يضم حالياً ٣٢٥٣ عاملا أعضاء، وهو من كبرى التعاونيات الصناعية في البلدان الغربية ومن كبرى الشركات الاسبانية المنتجة للبرادات والغسالات والأفران الكهربائية. وحتى في ظل الركود الاقتصادي السائد حالياً تضاعفت المبيعات السنوية للمجموعة التعاونية الى أكثر من ١٤١ مليون بيزيتا (نحو ٩٨٠ مليون دولار).

وأعظم معجزات موندراغون أنه في الوقت الذي يعتبر ٢٠ في المئة من سكان الباسك عاطلين عن العمل، وهي أعلى نسبة اقليمية للبطالة في اسبانيا، لم يسجل أي صرف دائم في التعاونيات. بل ان ٥١ وظيفة جديدة أحدثت عام ١٩٨٤ و٣٦٦ وظيفة أخرى عام ١٩٨٥.

والمجموعة أوسع كثيراً من التعاونيات الانتاجية. فهي تضم مصرفاً ومدارس ابتدائية وتقنيـة ومجمعات سكنيـة ورياضية ومعهداً للابحاث الصناعية ونظام ضمان إجتماعي مستقلا. وهناك أيضاً ٩٤ مؤسسة تعاونية تبيع سلعاً مختلفة، من المأكولات الى الاقمشة والأدوات المنزلية والمفروشات وسواها. وتشتري ١٥٥ ألف عائلة مساهمة حاجاتها من هذه المتاجر.

ويقول خبير التعاونيات البريطاني روبرت اوكشوت: "ان الانجاز الذي تحقق في موندراغون رائع فعلا. فالناس يعملون لمصلحتهم وللمصلحة العامة في آن."

صوت مسموع - بدأ كل ذلك عام ١٩٤١ بعد سنتين من انتهاء الحرب الأهلية الاسبانية، حين ظهر في موندراغون رجل مثقف ربي في بيت مزارعين اسمه خوسيه ماريا أريزمنديـاريتا. وكـان له آنذاك ستة وعشرون ربيعاً. وعلى رغم بنيته الناحلة فانه تميز بنشاطه الدائم. وهو تأثر بانعكاسات الحرب الاهلية



حجار الزاوية في مجمّع موندراغون: المدرسة المهنية (أسفل اليسار) ومركز إكرلان (الى يمينها) والمصرف (فوق) وتعاونية ألغور (أعلى اليسار). الى اليمين: خوسيه ماريا أريزمندياريتا.



المربكة للباسكيين الذين كانوا في غالبيتهم من الجمهوريين. وشعر أن من الواجب عليه مساعدة العمال الشباب وتقوية الروابط الاجتماعية في المنطقة. وباشر تنفيذ افكاره في موندراغون.

اتجهت أولى اهتماماته الى التعليم المهني. فمهارات التعدين ضرورية لضمان مستقبل زاهر للشباب في مقاطعة يعتمد اقتصادها في الدرجة الأولى على الصناعة. لكن المدرسة المهنية الوحيدة في المنطقة كان يديرها مصنع كبير للادوات المعدنية ولا يُقبل في صفوفها سوى أبناء العمال والموظفين. لذا أسس دون خوسيه ماريا مدرسة تجارية شرعت أبوابها عام ١٩٤٣ لكل راغب في التحصيل العلمي. وبات خريجوها يحظون بوظائف في المعمل.

لم يكن لدى دون خوسيه ماريا مخطط متكامل لانهاض الحس الجماعي ونشر التنمية الاقتصادية، لكنه رأى أن احدى الوسائل الفاعلة هي التعاونيات. وعاد بالذاكرة الى مصنع في إيبار التي تبعد ٣٠ كيلومتراً الى الشمال من موندراغون، أداره عماله بنجاح طوال ١٧ عاماً وحتى اندلاع الحرب الأهلية.

وفي اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٥٥ وبدعم معنوي من دون خوسيه ماريا افتتح خمسة من خريجي مدرسته مشغلا لصنع مدافىء الكاز سموه "تاليريس ألغور". وساهم كل منهم بخمسين ألف بيزيتا (نحو ٣٥٠ دولاراً) من مدخراته لبدء الانتاج فبات مالكاً وعاملا في آن. وسجل ألغور رسمياً كتعاونية في أبريل (نيسان) ١٩٥٩.

أما اسم الشركة فمركب من الأحرف الأولى لأسماء عائلات المؤسسين وهي أوساتوري ولارانياغا وغورونيوغويتيا وأورمايكيا وأورتوباي (★). وعُيِّن دون خوسيه ماريا مستشاراً من دون راتب، لا يحق له التصويت لكن صوته مسموع. ويتذكر خيسوس لارانياغا: "كان عنيداً في مواقفه، لكنه خضع دائماً لقرار الاكثرية."

ووضع دون خوسيه ماريا مسودة دستور ألغور، وهو نموذج العقد الذي اعتمد لاحقاً لتنظيم أمور المجموعة التعاونية. والدستور هذا مبني على المبادىء الديموقراطية الأصيلة التي تنص على صوت واحد لكل شخص. كما أنه يشترط ألا يتجاوز الراتب الأعلى ثلاثة أضعاف الراتب الأدنى الذي حُدِّد بمتوسط ما تدفعه الشركات الصناعية الخاصة. وما زالت نسبة ٣:١ قائمة حتى اليوم على رغم أن بعض الرواتب قد يصل الى ٤،٥ أضعاف الحد الأدنى للأجور، وذلك بفعل ساعات العمل الاضافية ووسائل أخرى.

لا تسلّط – حالياً يتولى عمال التعاونيات التي أنشئت على مثال ألغور انتخاب مجالس إداراتهم لمدة أربع سنوات. وكل مجلس هو نخبة من موظفي الشركة من جميع المراتب والمستويات. وينتخب المجلس بدوره مديراً عاماً للشركة ويراقب كل قراراته عن كثب.

أما القرارات المتعلقة بالسلامة العامة وسلم الرواتب وشؤون الانعاش الاجتماعي

(★) Usatorre, Larrañaga, Gorroñogoitia, Ormaechea and Ortubay

فيضبطها المجلس الاجتماعي المؤلف من مندوب منتخب لكل ١٥ أو ٢٠ عاملا. وهنالك مجلس مدققي الحسابات، وهو جسم منتخب آخر يدقق في حسابات الشركة نيابة عن كل الموظفين.

ويقول المدير العام لتعاونية قرب تولوسا متخصصة بصنع أسلاك المحركات الكهربائية، وقد باتت من أهم الشركات الأوروبية في هذا الحقل: "لا مكان في التعاونية لشخص متسلط يدير الدفة كما يشاء من دون استمزاج آراء الآخرين." ويضيف: "على المدير المسؤول أن يتقرب من موظفيه ليكسب ثقتهم ودعمهم."

ورافق ارتفاع مستوى الانتاج في ألغور ازدياد مطرد في عدد العمال الاعضاء. وبحلول العام ١٩٥٨ باشر معمل جديد بنته ألغور في أطراف موندراغون إنتاج أفران الغاز. وفي السنين التالية اتحدت ألغور مع عدد من مصانع القطع، وبينها مَسْبَك ومشغل لصنع الآلات، لتشكل معاً مجموعة "ألاركو" (ULARCO). واستمر أعضاء المجموعة في تبادل الخدمات. لكن الادارة الذاتية أعطت كلا منهم حرية التنافس في أسواق خارجية أيضاً مولدة بذلك كثيراً من الوظائف الجديدة. وبنهاية ١٩٧٨ وصل تعداد القوة العاملة في تعاونيات ألاركو الى ٦٥٠٠ عامل عضو.

والعمال في كل التعاونيات أعضاء وليسوا موظفين، وهم يدفعون حصة نسبية (كوتا) للانضمام الى الشركة. وعوض أن يقبضوا راتباً فانهم يتقاضون سلفة شهرية من حصصهم في الأرباح المستقبلية. كما أن سبعين في المئة، كحد أقصى، من أرباح شركتهم تقسم بينهم وتوضع في حسابات فردية تدفع عليها فوائد سنوية ثابتة. أما اذا خسرت الشركة فان الخسارة تقتطع من هذه الحسابات. وهناك عمال يتقاعدون حالياً فتدفع لهم معاشات التقاعد إضافة الى خمسة ملايين بيزيتا (نحو ٣٥ ألف دولار) من رأس المال المتراكم. أما بالنسبة الى الثلاثين في المئة المتبقية من الارباح، فان ما لا يقل عن عشرين في المئة تودع اعتماداً احتياطياً وتدفع العشرة في المئة الباقية كاعانة مالية للتعاونيات المدنية والاجتماعية المرتبطة بالحركة.

مجتمع متكامل — حين وصل دون خوسيه ماريا الى موندراغون كان عدد المقيمين فيها ثمانية آلاف. أما اليوم فهي بلدة ناشطة يسكنها ٢٦ ألفاً و٦٠٠ نسمة وتعتبر مقر الخدمات الحيوية للمجموعة التعاونية. وبالقرب من ساحة البلدة ينبسط على مساحة واسعة حرم المدرسة المهنية التي انبثقت من الصفوف الأولية التي أسسها دون خوسيه ماريا. ويجدُّ طلابها الـ١٣٧٤ للحصول على درجات كحرفيين واختصاصيين ومهندسين تقنيين. وتركز المدرسة على العمل التطبيقي داخل حرمها وخارجه. فنحو من ٥٧٠ تلميذاً ممن تجاوزوا السن الثامنة عشرة يقسمون يومهم بين الدراسة النظرية والتمرين التطبيقي في "أليكوب" وهي شركة الكترونيات وميكانيك تقع قرب الحرم. ويقول أحد طلاب السنة الثالثة في فرع الهندسة: "انه ترتيب مثالي. وأعظم ما فيه أنني

أكسب خبرة عملية وفي الوقت نفسه أدفع أقساط دراستي." ويلتحق أكثر من نصف الخريجين بتعاونيات مجاورة.

وعلى منحدر إحدى التلال فوق المدرسة يقوم "ايكرلان" وهو مركز عصري للابحاث يعمل فيه ستون مهندساً ويزود التعاونيات الصناعية والشركات الأخرى في المنطقة إبتكارات التكنولوجيا الحديثة. وبالقرب من إيكرلان يقوم "لاغون - أرو" مركز الضمان الاجتماعي للمجموعة الذي يفيد منه نحو أكثر من ٤٨ ألف شخص. وبما أن العمال يملكون التعاونيات فانهم يعتبرون رسمياً أرباب العمل ويتمتعون بحق اختيار نظام الضمان الاجتماعي الخاص الذي تقدمه الولاية. ويكمل لاغون - أرو أي نواقص في خدمات هذا الضمان، فيقدم تعويضات عائلية سخية إضافة الى التطبيب المجاني وتعويضات المرض والترمل. كما يدفع ما لا يقل عن ستين في المئة من راتب الموظف كتعويض له عند تقاعده يضاف الى ما تقدمه الولاية.

وعلى المنحدر عينه يلوح بناء عصري من أربع طبقات هو المركز الرئيسي لمصرف التوفير العمالي. وترتبط كل التعاونيات بالمصرف وبعضها ببعض في بوتقة فريدة من التعاون المتبادل. وقد افتتح المصرف عام ١٩٦٠ لخدمة المجموعة حين أدرك دون خوسيه ماريا أن السيولة المالية اللازمة لتوسيع نطاق عمل التعاونيات أخذت تنضب. وأول ايداع مصرفي بقيمة ٣٥ بيزيتا وضعه رجل باسم ابنته ذات السنتين. أما اليوم فللمصرف ١٦٣ فرعاً في بلاد الباسك ونافار وفرع يتيم في مدريد. وفي أبريل (نيسان) ١٩٨٤ وصل حجم الايداعات الى ١٤٧ مليار بيزيتا (نحو مليار و٩٠ مليون دولار) كما فاق عدد الزبائن ٦٢٥ ألفاً. والى الخدمات المصرفية التي يقدمها المصرف فانه يؤدي دور المنسق والمراقب لكل المؤسسات المشاركة. كما يقدم أفضل الاستشارات الادارية.

ويقول لويس أوليباري من قسم الادارة في المصرف: "نحن منفتحون لدراسة أي طلب لانشاء تعاونية جديدة في المنطقة." ويصل الى المصرف نحو خمسين طلباً سنوياً، ينتهي اثنان أو ثلاثة منها الى افتتاح تعاونيات جديدة. وآخر تعاونية صناعية افتتحت تحمل الرقم ٩٥ وهي "اويناكار" التي تصنع الرافعات الآلية في أوات.

محط اعجاب - ان التحدي الاكبر الذي يواجه الحركة التعاونية هو التحول من الأساليب القديمة التي تعتمد اليد العاملة الى الأساليب الحديثة المرتكزة على التكنولوجيا. والمعروف أن إدخال التقنية الأوتوماتيكية الى المصانع يعني ازدياد البطالة. لكن اتفاقاً مبرماً بين التعاونيات في موندراغون يلزم كل تعاونية تشغر لديها وظائف أن تعطي الأولوية للعمال المصروفين من التعاونيات الشقيقة. وفي الوقت عينه يتقاضى العمال العاطلون دفعات شهرية، تقارب دخلهم العادي، من برنامج الانعاش الاجتماعي لمكافحة البطالة.

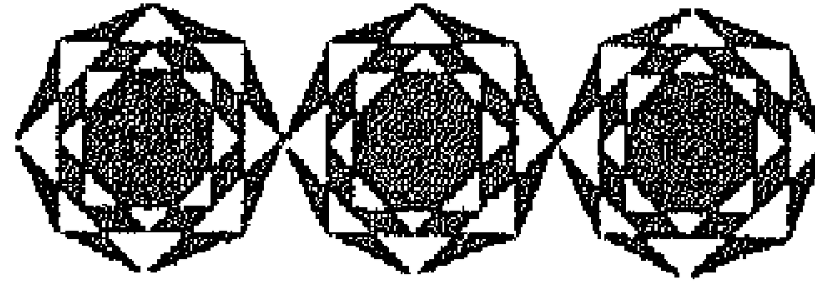
لقد اعتبر دون خوسيه ماريا حركته "تجربة" خاصة بمجتمع الباسك. ولكن

نادراً ما يمر أسبوع من دون أن يتفقد المنطقة صحافي أو رجل اقتصاد أو شخصية نقابية.

وفي اسبانيا أصبحت موندراغون محط إعجاب الكثيرين. ففي العام ١٩٨٤ سُجِّل في البلاد نحو ١٥٠٠ تعاونية جديدة فارتفع العدد الاجمالي للتعاونيات الى أكثر من ٩٥٠٠. ويعمل في التعاونيات نحو ١٣٠ ألف اسباني. ويدرس البرلمان الاسباني قانوناً جديداً لتنظيم التعاونيات يعتمد في بعض نواحيه تجربة موندراغون مما قد يفضي الى ثورة حقيقية في حقلي التسليف والتعويضات الاجتماعية.

في ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٦ توفي دون خوسيه ماريا أريزمندياريتا عن ٦١ عاماً نتيجة مرض قلبي عاناه لفترة طويلة. وترك لشعبه ذخراً لا يقدر بثمن هو الوسيلة الصحيحة لمساعدة الآخرين والاتكال على النفس.

راول فاسكيس دي بارغا ■



طالب نعسان

في إحدى الأمسيات راح أستاذ علم الانسان يحاضر برتابة لمدة ثلاث ساعات عن مجتمعين بدائيين. وقبيل انتهاء المحاضرة سُمع شخير خفيف من طالب هو أب مولود جديد.

وأراد الأستاذ أن يلقّن الطالب درساً ويجعل منه أمثولة للآخرين، فسأله أن يذكر بعض الخصائص التي تميز أفراد القبيلتين.

ففكّر الطالب هنيهة ثم أجاب مغالباً النعاس: "النساء في أي من القبيلتين لا يرسلن أزواجهنّ في الثالثة فجراً لشراء حفاضات الأطفال."

ك.ك.

الارملة الطروب

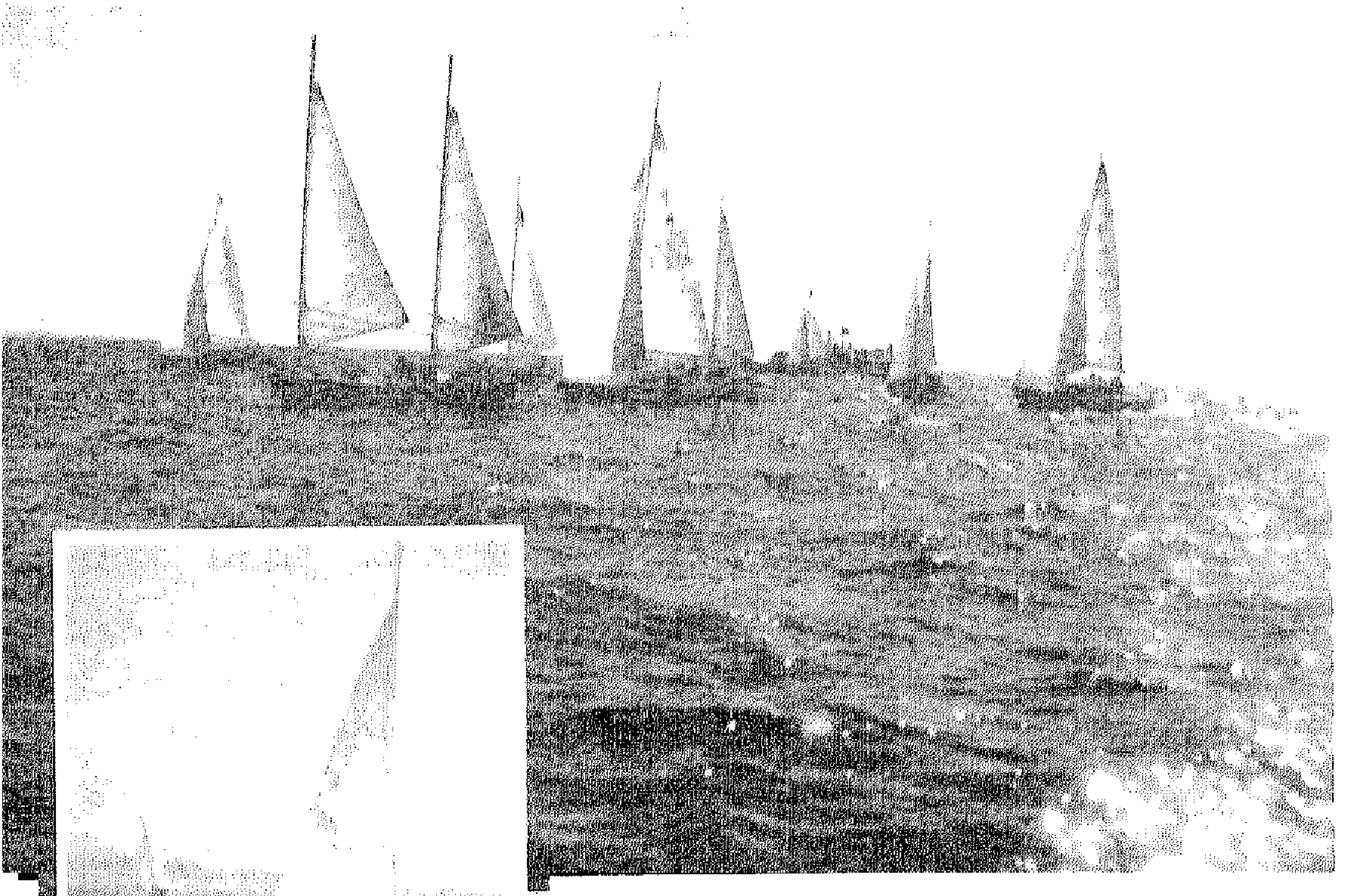
اقترب رجل من سيدة تنتحب فوق قبر زوجها وبادرها باحترام: "سيدتي، أنا متأسف جداً لما سأقول في هذا الظرف العصيب. ولكن عليَّ ان ابوح لك بأنني وقعت في حبك من النظرة الاولى."

فصرخت السيدة ساخطة: "أيها المغفل! أغرب عن وجهي وإلا استدعيت الشرطة. أهذا وقت كلام الغرام؟"

فاستدرك الرجل بلطف: "إنني لم أشأ الافصاح عن عواطفي في هذا الوقت الحزين. لكنك سحرتني بجمالك الاخّاذ فلم أستطع ضبط نفسي."

وللحال تغير مزاج المرأة فهتفت بغنج: "وكيف لو رأيتني وأنا غير باكية؟"

هـ.س.





المراكب الشراعية تتنافس في سباق للمعاقين.
الى اليسار، فرانك غولدنر ربان "كيستريل".

الأشرعة تحرر المعاقين!

انهم معاقون جسدياً.
لكنهم متأهبون لمواجهة العواصف
ومنافسة أمهر البحارة.
وهذا الشهر يشهد سباقهم السادس

أشرعة تقرع كالطبول اذ تنفخ فيها الريح. رذاذ متطاير يعطي المطر مذاقاً مالحاً. زوارق شراعية يبلغ طول الواحد منها ٣٨ متراً تتسابق عبر أحد الخلجان على ساحل بريتاني الفرنسي. الربابنة والملاحون يصرخون لمتسع في البحر فيما اليخوت تستدير حول راية عائمة لتخوض أمواج الأطلسي.

هذا الاندفاع العاصف جزء من سباق "بطولة المعاقين". والزوارق التي يقودها هواة أبحرت من أنحاء أوروبا في أيلول

Photos: John Dyson

(سبتمبر) ١٩٨٥. وهي السنة الخامسة يجرى فيها هذا السباق(★).

ولكلمة "معاق" معنى خاص: فكل ملاح من هؤلاء معاق جسدياً على نحو ما. غير أن السباقات شاقة ويتطلب خوضها خبرة كأي سباق لكأس البطولة.

زورقان لا يفصلهما سوى بضعة سنتيمترات ينقضان على الأمواج الرمادية. أحدهما يدعى "مكارو" له صاريان ويبلغ طوله ثمانية أمتار ويتدفق اليه الماء فوق الحاجز، فيما يتمايل الزورق الآخر على جانبيه في الريح.

وبساعدين أنمت عضلاتهما حياة في كرسي للمقعدين، يلقي تيو باومان (٣٢ عاماً) بثقله على ظهر المركب المترجح وهو يجر ساقين أوهنهما الشلل. أما يوهان دوكيسر (٣٢ عاماً) المشلول أيضاً فيمسك الحبل بيده ويجعل الشراع في الوضع الملائم موازناً الزورق كي يحصل على الدفع الاقصى إلى أمام.

وعلى الدفة مرغريت سوارت (٢٨ عاماً) وهي ربانة الطاقم الخليط من هولنديين وبلجيكيين، وتسمع هدير تموج المياه اذ يشقها الزورق الألماني "كيستريل". إنها لا تستطيع الانعطاف لتلقي نظرة، لأنها مقعدة بفعل تصلب الأنسجة المضاعف وساقاها مطويتان تحتها على وسادة.

واذ يندفع "كيستريل" في الرياح يبتسم ربانه فرانك غولدنر مسروراً. إنه طالب هندسة في الثالثة والعشرين، وهو قزم يعتبر التنقل في الزورق المكشوف على ساقين ملويتين، توقف نموهما، كالجري في طريق وعرة معدة لمغاوير الجيش. ومع ذلك فهو بحار متمرس يجعل "كيستريل" "يحلق" بلمسته السحرية.

لكن "ماكارو" وملاحيه لن يستسلموا. واذ يصل اليختان إلى المنعطف التالي، تتقدم مرغريت وبحارتها. لكن الفوز في سباق الـ٢٢ كيلومتراً ليس مضموناً بعد.

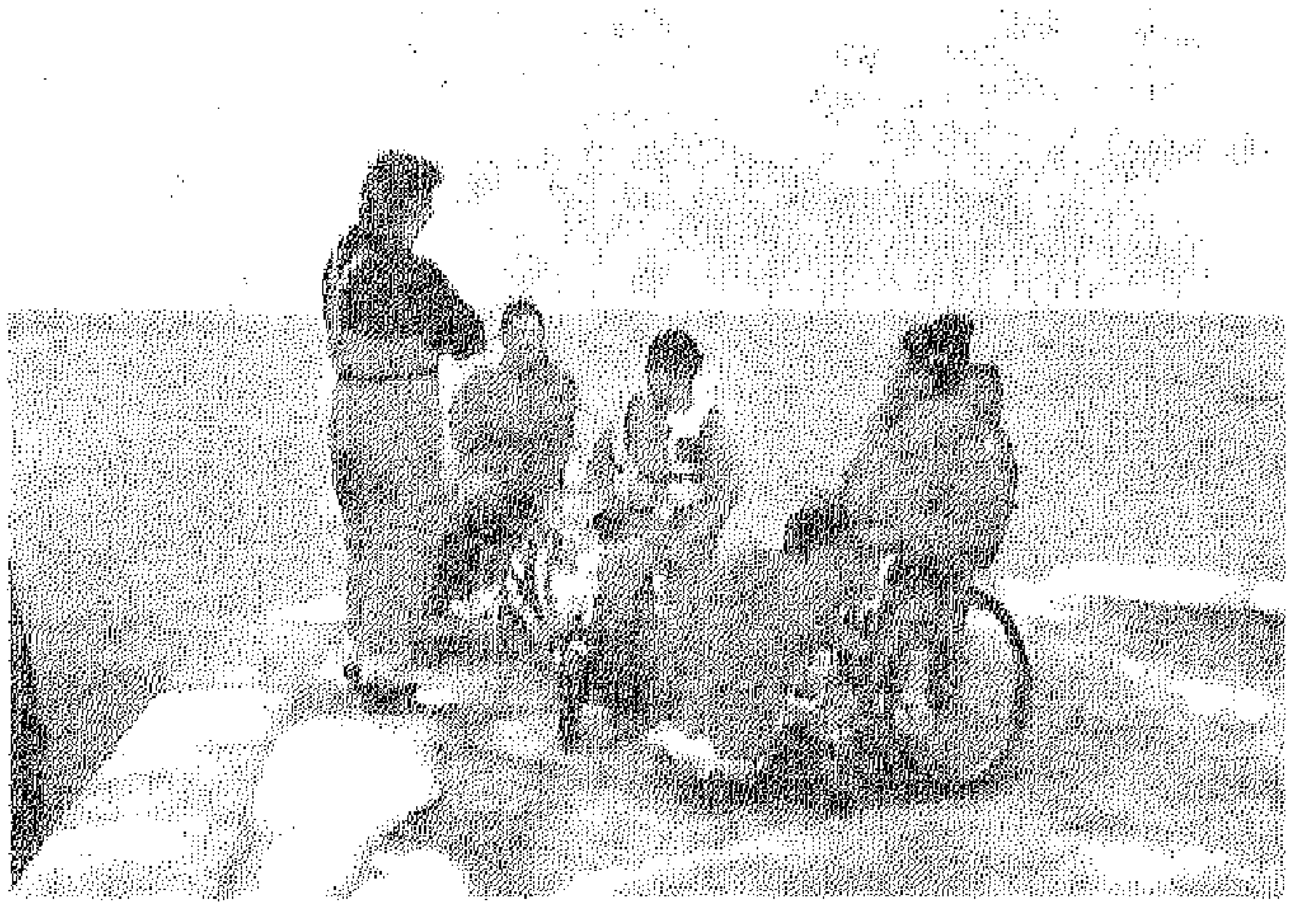
منعتقون كالريح – سباق الزوارق هذا يستمر اسبوعاً ويتألف من أشواط تمهيدية وسباقات أربعة رئيسية، ومركزه بورلاي وهي قرية قديمة فاتنة لصيد السمك في جزيرة دوغروا قرب لوريان. ويشترك فيه ٥٦ متسابقاً يدفع كل منهم ٢٥٠ فرنكاً فرنسياً (نحو ٣٥ دولاراً) ويبيتون في معهد للملاحة البحرية يستعملون زوارقه وستة يخوت معارة من البحرية الفرنسية.

والسمة الفريدة لسباق المعاقين هي أن طواقم الملاحين المتنافسين، على رغم عاهاتهم، تم تنظيمها كي تكون قدرات البحارة متممة بعضها لبعض. وتتوافر أيد ماهرة وأرجل وعيون كافية في كل زورق لأداء عمل الملاح العادي. والمصابون بالكساح الذين يقوون على الجلوس من دون حركة، يتبادلون المهمات فيما ينعطف الزورق من جانب الى آخر منساقاً مع الريح. وأولئك الذين لا يتحركون اطلاقاً يتولون إدارة الدفة. وثمة ملاح واحد، على الأقل، رشيق على نحو كاف يمكنه من توجيه القلوع والرسو.

ويتجلى العمل الجماعي لهؤلاء البحارة

(★) يجرى السباق السادس لبطولة المعاقين بين ٦ و١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ في نيوبورت في رود آيلند بالولايات المتحدة.

الرائعين في التدافع للانعطاف حول المعالم المائية من دون الارتطام بالعوامات المرتفعة. وفيما يترجح "فلورا" في الريح يحرر الملاح المشلول يان هان (٤٧ عاماً) حبل الشراع الخلفي من الوتد بجانبه. وفي مواجهته يغير مواطنه الهولندي سيز فان فلزن (٣٤ عاماً) اتجاه الزورق بسرعة كي يتقدم تدريجاً من دون أن يضيع ثانية. لكن جانب سيز الأيمن مشلول، وذراعه مطوقة



المتسابقون على رصيف بورلاي.

بإطار بلاستيكي فلا يسعه أن يجذب يداً بعد يد. وعوض ذلك يضغط الحبل بين ركبتيه فيما يبدل قبضته وتبقى يده السليمة دامية من اثر القروح التي لا تندمل.

لا أخبار جديدة عن البحارة المقعدين. في زمن القراصنة كانت الساق الخشبية أو كلّاب اليد شارة للشجاعة. والجديد اليوم هو مدى المغامرة والتشويق والمنافسة الرياضية التي يوفرها الابحار للمعاقين جسدياً. فمنذ عقد بلغ تعداد البحارة المعاقين أكثر من خمسة آلاف في اوروبا. والبينة على نجاح هذه الرياضة كراسي المقعدين والعكازات التي تترك كل صباح على رصيف ميناء بورلاي.

واذ يصبح المعاقون على متن الزورق يشعرون بأنهم منعتقون كالريح. ويقول فرانك غولدنر: "في الزورق أنسى تماماً اني معاق، وكأني أخلف كرة الحديد والسلسلة ورائي."

ومن نواح شتى يعد الزورق مكاناً مثالياً للمعاقين. وحتى الملاحون الاصحاء الاقوياء البنية يمشون بصعوبة على متن سفينة مترنحة، وفي الطقس العاصف يدبون من مكان إلى آخر أو ينزلقون على مؤخراتهم.

يقول اندريه شيفرييه (٦١ عاماً) وهو سويسري مقعد منذ العام ١٩٧١: "نحن قادرون على منافسة أفضل البحارة."

وثبت ذلك عام ١٩٨٤ في سباقات المعاقين التي أجريت في فلنسبرغ بألمانيا الغربية. ففي أحد السباقات وسط ريح عاصفة هوجاء فاز زورق يقوده هواة معاقون على آخر يقوده أغرار من البحرية في ألمانيا الغربية.

فكرة رائدة – كان من أوائل الذين روجوا لفكرة ابحار المعاقين دزموند سليتولم رئيس تحرير مجلة بريطانية مختصة باليخوت. وهو نشر عام ١٩٧٢ سلسلة من المقالات تنطوي على دروس في الملاحة للمكفوفين في بريطانيا وتبين أن الملاحين العميان يستطيعون القيام بكل أعمال الملاحة عدا الابحار. فهم قادرون مثلا على ادارة الدفة بمساعدة جهاز صوتي متصل بالبوصلة أو

ذي شعورهم بالريح تداعب وجناتهم.

واقتبست الفكرة بلدان أخرى. ففي العام ١٩٧٥ بسويسرا راح بروسبير دوبوا ريمون، وهو رجل نشيط في الثالثة والستين من عمره مشلول الساقين يدير مركب قطر عتيقاً، يبحث عن مكفوفين يؤلف بهم طاقم ملاحيه. وأذهله ما رأى، وهو يقول: "ما ان مشيت على الرصيف ونفخت الصفارة لتحديد الاتجاهات حتى هب مدير الدفة الكفيف فعطف الزورق وأقلني معه."

بعد ست سنوات نظّم دوبوا ريمون أول سباق للمعاقين قبالة الشاطىء النمسوي لبحيرة كونستانس. وعرض أحد نوادي الابحار في بريغنز خدماته وتسهيلاته، وقدم حوض ألماني لبناء السفن الزوارق التي ركبها المتسابقون. ونمت شعبيته منذ قدم سباق الزوارق عروضه للجمهور في هولندا ومن ثم في المانيا الغربية مرتين. واجتذب السباق ما يزيد على ٣٠٠ متسابق. واليوم تدعمه اللجنة الدولية للرياضة المائية للمعاقين، وهي مؤسسة صغيرة أسسها دوبوا ريمون مع مجموعة من زملائه أصحاب اليخوت والاطباء.

ويوضح الدكتور فرنر كون وهو سويسري اختصاصي بإعادة تأهيل مرضى الكساح وعضو في اللجنة، ان "ثمة منظمات رياضية للمصابين بالكساح والصمم والمكفوفين وسواهم، ويتم تكييف أنواع الرياضات بحسب العاهة، كلعبة الكرة الطائرة في كراسي المقعدين." غير أن الابحار يحشر أناساً ذوي عاهات مختلفة في زورق واحد. انهم يتنافسون بتساوٍ بعضهم مع بعض ومع الأصحاء كذلك.

والمعاقون مجهزون على نحو مدهش للتغلب على المشكلات الطارئة في الماء. والكثير منهم سباحون أقوياء اذ ان السباحة جزء من علاجهم الفيزيائي. لكن بعضهم يعاني مشكلات غير عادية. ففي الفريق البلجيكي على متن الزورق "ستيرن" أربعة ملاحين مبتوري الاطراف وليس لهم سوى ثلاث سيقان سليمة، لكن



بحار هولندي أقعده الشلل يمشي على رصيف الميناء.

انقلاب الزورق لا يعد كارثة قاصمة وان يكن بالتأكيد حادثاً مكلفاً.

ايلي سميث (٣٥ عاماً) ركبت أطرافاً اصطناعية مخصصة للسباحة، فيما يعتمد الآخرون سيقاناً ذوات مفاصل حركية مركبة. ويقول الربان دانييل فانديفن (٣٨ عاماً): "بعض المفاصل فائق الحساسية للتأكل بتأثير الملح. وفي مقدورنا أن نسبح كالأسماك، لكن ثمن كل ساق يناهز ٧٥ ألف فرنك بلجيكي (١٦٠٠ دولار) وفواتير الترميم قد تكون أرقامها

ضخمة. لذلك نأمل ألا يقع أحدنا في البحر."

الايدي العاملة – على رغم الصعاب يغدو ابحار المعاقين أكثر ذيوعاً في أرجاء أوروبا. ولدى هولندا مركب كبير للرحلات يطوف فيه المعاقون بحيرة إيسل. وثمة اسطول من مراكب أعدت للابحار نهاراً ومراكز للألعاب المائية. وقد وضعت جداول بلغة "بريل" لمساعدة المكفوفين على معرفة موقعهم في البحر.

وتشجِّع برامج ابحار مماثلة في الدانمرك وأسوج (السويد) والنمسا.

وتركز فرنسا على دمج البحارة المعاقين مع نظرائهم الأصحاء. والجمعية الأكثر نشاطاً في هذا الميدان هي "نافيسبور" التي حملت نحو ألفي معاق على الابحار منذ انشائها عام ١٩٧٧، فيما تدير هيئة أخرى هي المعهد الوطني للرياضة الشراعية برامج ملاحية خاصة على أطواف معدَّلة. أما مركز غلينان البحري، وهو أحد أكبر معاهد الملاحة في فرنسا، فيضم بحارة معاقين في صفوفه منذ العام ١٩٧٩. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ نظمت جماعة صغيرة من المعاقين المتحمسين رحلة بحرية بين لاروشيل (فرنسا) والبرازيل ذهاباً واياباً. وقام بها طاقم من تسعة ملاحين، اثنان منهم معاقان. وقاد المركب الذي يبلغ طوله ٢٠ متراً، الربان خوسيه غونكالفس وهو كسيح في الثامنة والعشرين.

وثمة مشروع طموح مشابه نظمه اتحاد "جوبيلي" للملاحة في بريطانيا، حيث يسيِّر طاقم من الملاحين المعاقين سفينة مربعة الأشرعة في رحلات إلى فرنسا ومنها.

وتعاقد أصحاب الشراعية "سورين لارسن" البالغ طولها ٤١ متراً مع ٦٠٠ ملاح معاق (وعدد مماثل من الأصحاء) في السنوات الثلاث الماضية. وسبب استخدام سفينة مربعة الأشرعة، بحسب قول بيتر طومسون المدير العام لمشروع اتحاد "جوبيلي" للملاحة، "أنها في حاجة إلى أيد عاملة كثيرة، ففيها ٩٧ حبلا متنوعاً للجذب. لذا على البحارة مهمات كثيرة يؤدونها ويشعرون بأنهم منهمكون."

وفيما تنزلق الشراعية في قناة سولنت جنوب بريطانيا لترسو في كاوس بجزيرة وايت، يعتمر الاطفائي السابق المقعد مارتن جاكسون الخوذة ليقود السفينة في الانواء. ويتولى بيل شورتر المصاب في نخاعه الشوكي لف الحبال من كرسيه المتحرك. وفي طريق الاياب ترتقي جولي سناودن (١٨ عاماً) التي أضعفها الشلل المخي، سلم الحبال إلى المنصة الرئيسية في منتصف الطريق إلى الصاري الذي يرتفع ٣٠ متراً. وتقول: "كنت أود دوماً أن أبحر، لكني لم أظن أني أقدر على ذلك. وتلك كانت عشرة من أروع أيام حياتي."

كل بحار بطل – في يوليو (تموز) ١٩٨٦ انطلق المركب الجديد ذو الصواري الثلاثة والمسمى "اللورد نلسون" تيمناً بأشهر بحار معاق عرفته البلاد والذي فقد ذراعاً وعيناً في المعارك البحرية، في رحلته الأولى بطاقم مختلط من ٤٠

شخصاً، عشرون منهم معاقون بينهم ثمانية مقعدون.

هذا المركب الفريد الذي يبلغ ٥٤ متراً طولا، مزود مصاعد بين طبقاته وأحد الصواري الثلاثة كي يتمكن المعاقون من التنقل بين الأشرعة والصواري. وفي الطقس العاصف تسلك كراسي المقعدين سبيلا مستقيماً على سطح مائل باستعمال أداة خاصة تثبت على سكة معدنية. وحتى الوصول إلى رأس الدقل في مقدم المركب ممكن في كرسي المقعدين.

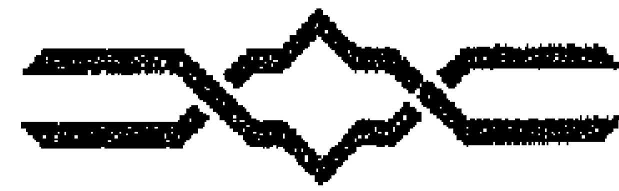
ولكن ليست هناك امتيازات خاصة. ويقول أستاذ الملاحة جو كلاي: "نحن ندعو الناس إلى تأدية أدوارهم في الابحار، لكننا لا نوفر لهم الحماية. وإن سألت أحدهم أن يلف حبلا فقد يستغرق الأمر نصف ساعة، لكن الوقت ليس مهماً. المهم أن يشعر المرء بالاعتزاز لأنه أنجز عملا صعباً ضمن مجموعة تخوض المغامرات."

العزم هو السمة المميزة لهؤلاء المعاقين ذوي المقدرة. فالحياة على متن السفينة اختبار للانسان في أفضل الاوقات، وإن نقصت أعضاؤه طرفاً أو اثنين أو وظائف أو عضلات حيوية.

وهذا العزم يبين اذ تنطلق اليخوت العشرون في سباق المعاقين وسط ريح عاتية مطيرة في الأطلسي.

واذ ينطلق فرانك غولدنر وطاقمه في "كيستريل" بأقصى سرعة فإنهم يسعون إلى حيازة التفوق بعد سباق شاق. ولكن لا يهم كثيراً من يربح، ففي سباقات المعاقين كل ربان وكل بحار بطل.

جون دايسون ■



بين المدينة والريف

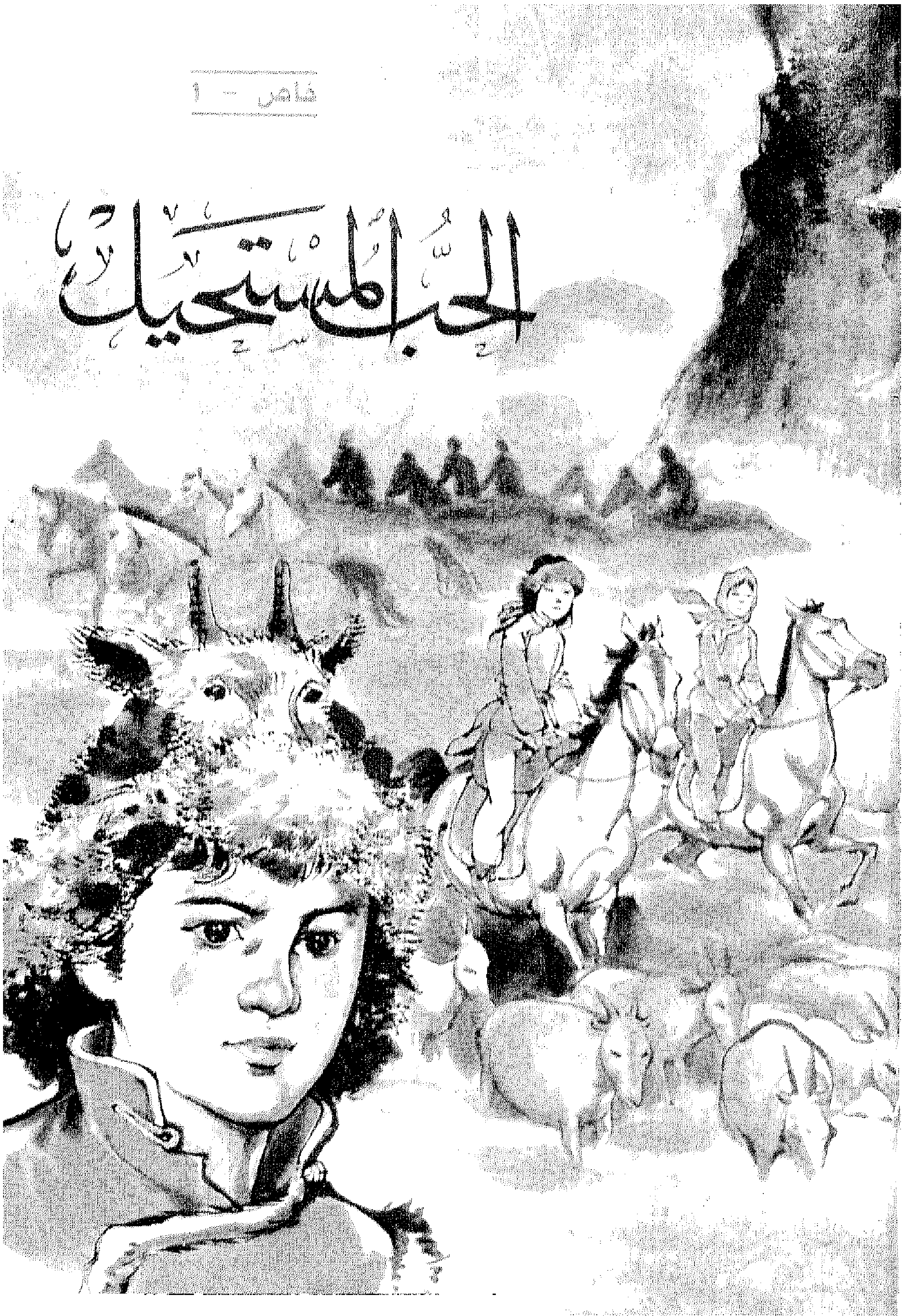
جاءت امرأة وابنها الصغير من المدينة لزيارة قريبة تقطن في بلدة ريفية. وذهب الجميع الى مطعم لتناول العشاء، وحين جلس الصغير في الكرسي كان الخوان أعلى من متناول يديه. فطلبت أمه من النادلة أن تحضر دليل الهاتف ليجلس الطفل عليه. ولبت النادلة الطلب وأحضرت دليل البلدة الريفية الذي لا تزيد سماكته على مليمترين.

ك.ب.

جهاز العروس

خطب أحدهم أرملة أم ولدين أورثها زوجها الراحل ثروة لا بأس فيها. وسألته أمه: "ماذا تحتاج أنت وخطيبتك لكي أقدمه اليكما كهدية عرس؟" فأجاب: "أماه، اننا لا نحتاج الى شيء. فهي جاءتني بجهاز كامل."

ج.ف.


خاص — ١
الحب المستحيل

الحب المستحيل

في براري منشوريا شمال الصين نشأت قبل نصف قرن صداقة متينة بين فتى صيني وابنة اريستوقراطي من المغول البدو. ومع السنين تحولت صداقتهما حباً. ولما ذهب الفتى إلى المدرسة كانت للفتاة ثلاث أمنيات: ألا ترتحل عائلتها، وألا يغادر الفتى تلك النجود، وألا يكبرا أبداً

حول منزلي في مروج منطقة هيلونجيان الواقعة في ما كان يسمّى "الشمال العظيم" جُنّ العشب وكثف وبدت سلسلة جبال هنغان الكبرى كأنها لوحة تخريمية تفصل بين البرية الخضراء والسماء الصافية الزرقاء.

وعند منعطف صغير لنهر باكالون انتصب بيت كبير. إنّه بيتي المبنيّ بكتل مرصوصة من التراب وجذور الاعشاب، وهو دافئ في الشتاء وبارد في الصيف. وكان جد أبي كسب بجهده المتواصل قطعة الأرض تلك وقاوم الحيوانات الشرسة واللصوص فطردهم بعيداً عن النهر. وما لبث أن أسس مزرعته الكبيرة فأضحت مركزاً برياً منيعاً. وفي العشرينات من هذا القرن كانت "مزرعة آل ماي" تتألف من مزرعة رئيسة وست مزارع فرعية وفيها أكثر من مئتي عامل.

أما أنا، فتى البرية، فكان يحلو لي أن أعدو بفرسي مع شقيقتي فوق الأرض المكسوة بالثلوج. وكان الافق الشرقي عند الفجر يبدو وكأن كائناً ما أضرم ناراً في السماء. فأستيقظ وأختي في الصباح الباكر ونمتطي فرسينا متحدّيين البرد القارس لنعدو في البرية إلى حيث يجلس الرجال ليلا يحرسون ويذكون النار في مخيماتهم. وعندما يكون الطقس جيداً والريح ساكنة نركب عربة جليد ونطوف في الريف. وكانت أمي تعلّق الأجراس في أعناق الاحصنة فترافق موسيقاها الرائعة ضحكة أختي الرنّانة.

لكن الخطر كان يترصّد المرء في البرية. فهبوب الريح الشمالية ليلا وعواء الذئاب كفيلان بجعل القشعريرة تسري في الجسم. فغالباً ما نسمع بمسافر مستوحد هاجمه ذئب. ويروي سكان الجبل حكاية الذئب الذي دخل منزلا وخرج منه بطفل. ومن حين الى آخر كان ذئب يسرق إحدى النعاج على رغم الاحتياطات الشديدة التي اتخذناها.

Condensed from «Great Wild North,» © 1978 by Mei Chi-min, published by Ching Shan Publishing Campany, Taipei, Taiwan and «The Prairie,» © 1978 by Mei Chi-min, published by Hsing Kuang Publishing Co., Taipei, Taiwan. Illustrations: Tsui Shing On

كان الشتاء مرحلة صعبة، لكننا اتبعنا تقليداً في الاحتفال بعيد رأس السنة. فبعد العشاء ليلة العيد يقود جدي العائلة بكاملها إلى أحد أبراج المزرعة ويؤدي كلّ واحد منا حركة رمزية كأنه يذكي نار مخيم باضافة الحطب الى المواقد. ثم تمسك عمتي إناء الشراب وأمي الفنجان واخوتي واخواتي الصغار المصابيح وأنا البخور. ونسير متنقلين من مجموعة حيوانات الى أخرى، فيصب جدي على الارض فنجان شراب تلو آخر. وهي حركة ترمز الى امتناننا للحيوانات، إذ كنا نعتمد عليها في سبل رزقنا.

رفيقة اللعب

في الربيع تكسو سحب من الزهر الابيض ضفتي النهر الصغير، وكانت أمي تأخذنا الى البرية لنعمل جميعاً على زرع الخضر والفواكه في قطعة أرض. وسرعان ما تنمو مزروعاتنا تحت أشعة الشمس الدافئة. وكنّا أحياناً نرى قطيعاً من النعاج ينظر الى الخضر من خلف السياج بأعين صغيرة شرهة. وذات يوم في أوائل الخريف عثرت شقيقتي على غزالة بريّة تأكل وصغارها الملفوف في الحديقة. فهرول أحد العمال إلى المزرعة ليأتي ببندقيته. لكن أمي أوقفته، ثم ذهبت الى الحديقة وطردت الغزالة برفق. وفي المساء قالت لنا: "يحتاج الناس الى أن يأكلوا، كذلك الغزلان البرية. ولا يجوز أن نقتلها لمجرد أنها أكلت بعض نبتات الملفوف."

وفي أحد أيام الصيف الجميلة، وكنت في السابعة من عمري، رجوت عمي أن يصحبني إلى المراعي البعيدة حيث يأخذ الأحصنة لترعى. فرفقاء اللعب قليلون وحياة البرية موحشة. وامتطيت صهوة فرسي المرقّط وعدوت إلى جانب عمي ورجاله على طول النهر في اتجاه الطرف الجنوبي للغابة. وعندما أصبحنا عند منعطف النهر الصغير خرج من الغابة على الضفة الأخرى للنهر فريق من الكلاب الرعاة وهي تعدو وتنبح.

فتساءل عمي: "ترى من أين تأتي تلك الكلاب الضارية؟"

وفجأة خرجت فتاة صغيرة من الغابة راكضة. وصرخت آمرة الكلاب بالسكوت ثم لوّحت لنا بيدها. كان بريق يشعّ من عينيها وابتسامة تعلو ثغرها. لكننا لم نفهم ما كانت تقوله. كانت ترتدي ثوباً أزرق وتشد وسطها بحزام أحمر وتحمل سلة حيكت من أغصان شجرة الصفصاف. فقال عمي: "يا لها من مغولية فاتنة! لقد وجد ابن أخي رفيقة ليلعب معها."

وساعدني في قطف باقة من الازهار البرية واجتزنا النهر على حصانينا. وكان سرور الفتاة شديداً فراحت تقفز. وأومأ اليها عمي محاولا إفهامها أنه لا بدّ من أن ألعب واياها. ففهمت للحال وأومأت برأسها موافقة. فقال عمي: "يا لها من صغيرة ذكيّة."

وشرعت الفتاة الصغيرة تقطف العشب وتحزمه رزماً ترسلها مع الكلاب إلى خيمتها. وأنا ساعدتها.

وأعجبت بفرسي فراحت تربّت قائمتيه الخلفيتين بيدها الصغيرة. وغسلت وجهه ودست أزهاراً برية في سرجه. ولعبنا طوال فترة ما قبل الظهر فعثرنا في

الغابة على أرنب بري وثمر عليق لذيذ وعنب بري. ولمّا أتى عمي ظهراً ليصحبني لم تشأ الفتاة أن تترك يدي.

وسرّت أمي كثيراً عندما علمت بصديقتي الجديدة. فسلقت بيضاً ورتبت بعض الفطائر لآخذها اليها بعد الظهر. وقالت لنا ان البدو المغول نادراً ما يربّون الدجاج، فلا بدّ من أن يجدوا البيض لذيذاً. وقلّما تتاح لهم فرصة تناول الفطائر والمعجّنات.

لمّا وصلنا إلى طرف الغابة كانت الفتاة الصغيرة في انتظارنا وقد بدّلت ملابسها فانتعلت جزمة حمراء وضفرت شعرها بشرائط حمراء. ولمّا رأتنا أتت إلينا راكضة.

ترجلت وعمي فبسط هو على العشب جلد خروف أبيض نظيفاً ووضع عليه الطعام الذي حضّرته والدتي ثم دعا الفتاة الصغيرة لتجلس وتأكل. وتماماً كما توقعت أمي، حاز البيض إعجابها الشديد وراحت تدقق في شكل كل فطيرة قبل أن تضعها في فمها بعناية.

وبينما نحن نتمتع بتناول وجبتنا الخفيفة رأينا رجلا يتجه نحونا على حصان أبيض. كان يرتدي ثياباً سوداء وقبعة مغولية من الحرير الاسود. فترجّل وفتح ذراعيه وهو يبتسم لنا بامتنان.

وخاطبني بالصينية: "ها! شكراً لك، شكراً جزيلا." ولمّا اقترب عمي على جواده، جمع الرجل يديه وكأنه يحييه: "شكراً لك يا أخي الصيني لأنك أضفت ابنتي هالينا." فترجّل عمي وردّ التحية: "إنهما يلعبان معاً. لمَ لا تأتي إلى مزرعتنا يوماً؟"

– أين مزرعتكم؟

"إنها تبعد بضعة كيلومترات عن طرف الغابة شمالا. فنحن نملك ست مزارع فرعية ضمن نطاق ٥٠ كيلومتراً على مقربة من نهر هوما."

– أوميتاباه! لقد انتهكنا حرمة أراضيكم إذاً.

ثم انحنى المغولي وأضاف: "إرغون، العلَم الايسر، تايجي من الرتبة الثانية، نالونبولي يعتذر اليك والى اخوتك. فقد أصاب القحط أراضينا قبل سنوات ولم يبقَ لنا إلاّ أن نتجه شرقاً لنعثر على مروج خضراء."

فقال له عمي: "تفضل بالجلوس."

الزيارة الاولى

فيما الرجلان يتحدثان رحت أنا وهالينا نلعب بالقرب من النهر. ولمّا أتى عمي ليأخذني كان الظلام خيّم على الارض. فأخبرني أن والد هالينا كان عضواً رفيع المرتبة في الاريستوقراطية المغولية، وقد ساءت أحواله. وأضاف أنه دعاه وابنته الى مزرعتنا في اليوم التالي.

لمّا سمعت أمي نبأ زيارة تايجي من المغول أمضت المساء كلّه تحضّر وليمة للغد. وأرسل أبي فارسين إلى إحدى المزارع الفرعية ليأتيا بالعجوز سولان الذي يتقن لغة المغول.

وفي صباح اليوم التالي وما أن جفّ الندى عن العشب حتى ذهبتُ وعمي ننتظر ضيفينا. وقرابة التاسعة رأينا شخصين على جواديهما يخرجان من الغابة.

ودنا منا زائرانا بأناة كما درجت العادة

في البريّة. وكانت هالينا تركب فرساً صغيراً أبيض وتتبع والدها.

وكان التايجي في لباسه الرسمي الخاص وهو عباءة طويلة سوداء وقبعة سوداء تزينها شرّابات حمراء. أما هالينا فكانت ترتدي ثوباً أحمر يزيّن خرز صغير ياقته وكمّيه ووشاحه. وتدلت من عنقها سلسلة ذهبية عُلّقت بها محفظة من الحرير الأصفر. ورحت أراقبها وهي تضع على العشب الأخضر قدماً بعد أخرى. ولم أجد يومذاك عبارات تصف أناقتها.

وسارع عمي فعرّف أبي بهما. فركع التايجي على ركبة واحدة محيياً، وتفوّه بعبارات مباركة. ثم عرّف بهالينا التي ثنت ركبتها محيية. وكانت طريقة تصرفها تجعلها تبدو أكبر سناً مما هي في الواقع.

منذ ولادتها عاشت هالينا في الخيم، فراحت تنظر إلى بيتنا بفضول عظيم. وأثار الزجاج اهتمامها على نحو خاص: النوافذ الزجاجية ومرآة أمي وآنيتنا. وعلى مائدة الغداء سكبت لها أمي الرز في طبق صغير من الزجاج الأحمر، فأخذت به وما وَسِعَها الّا أن تلهو به وهي تأكل.

وأصرّت أمي على أن تمضي هالينا بضعة أيام بيننا. فكنّا نلتقط الفراشات ونلعب بين أزهار الليْلك، وقد أغرمت بهريراتنا. وأحبّت حديقة خضرنا، فهي لم ترَ من قبلُ الخيار والذرة الخضراء. ولمّا أتت أمها لتحضرها أعطيناها هريراً. وكانت والدة هالينا تتقن الصينية هي أيضاً، فقالت لنا ان هالينا طفلة وحيدة للعائلة وان ليس لها رفقاء لعب غيري.

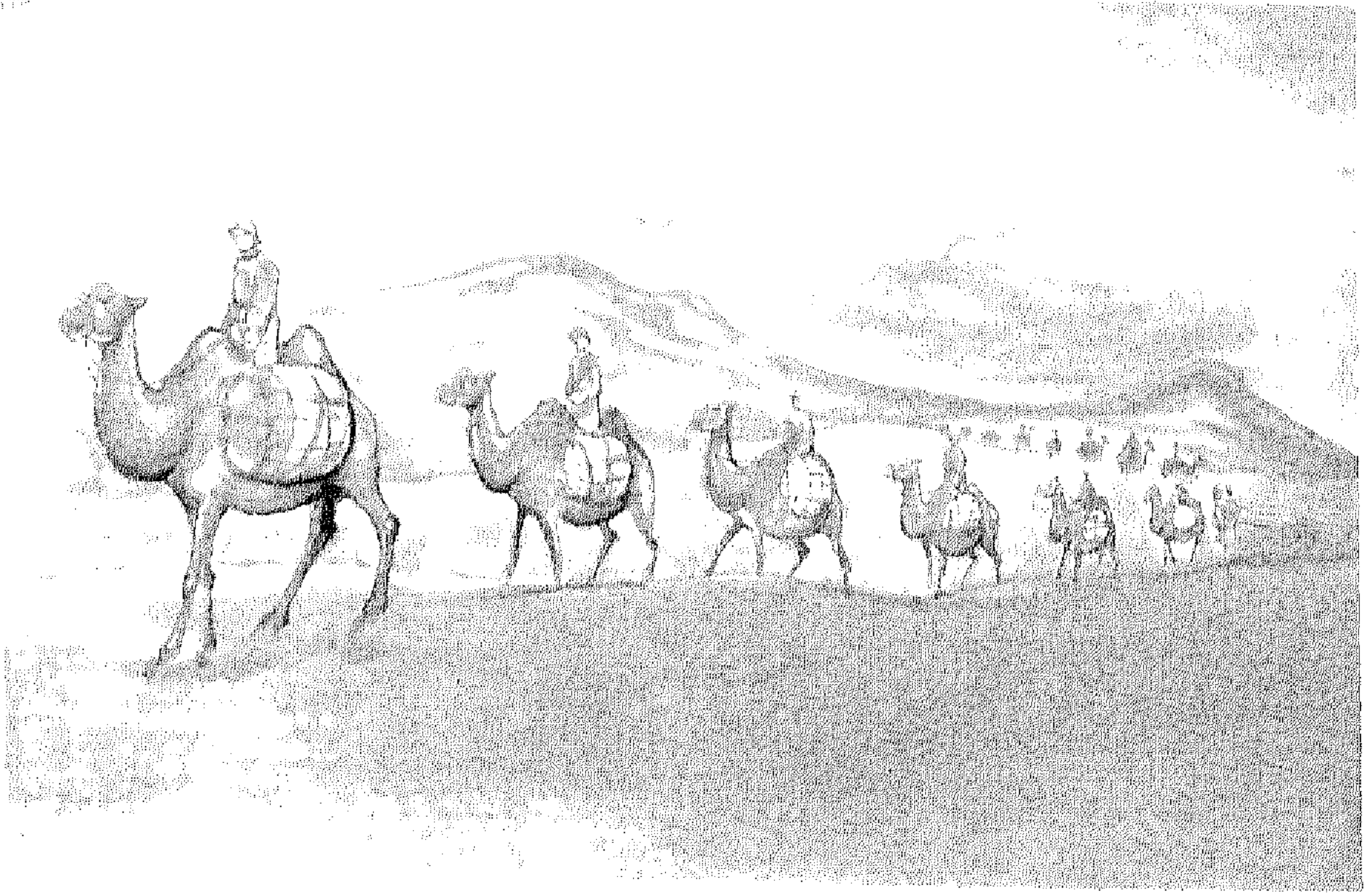
ومنذ ذلك الحين بدأ عمي يأخذ جياده لترعى عند المنعطف الصغير للنهر كي تتاح لي ولهالينا فرصة اللعب معاً. فما ان نصل الى هناك حتى تخوض هالينا النهر حاملة هريرها في سلّتها. وعلى هذا المنوال أمضينا شهراً سعيداً. ثم حان وقت ارتحال عائلتها. فانطلقت وأمي على فرسينا في اتجاه المنعطف الصغير لنشهد رحيل افراد العائلة. وقدّمنا اليهم أرغفة الخبز والبيض المسلوق. وكانوا فكوا خيمتهم وطووها وحزموها على ظهر جمل.

وودعت هالينا: "إلى اللقاء يا هالينا." أما هي فجلست على مطيتها ممسكة بهريرها وعيناها تترقرقان بالدموع.

قافلة التجار

دينغ دونغ!دينغ دونغ!حمل إلينا نسيم الصيف العليل رنين الاجراس وهي تترجع في البعيد. إنها قافلة التجار في طريقها إلينا! جمالها تحمل كل ما يحتاج اليه المرء وييسر به من طعام صيني وغربي وأوان منزلية وثياب وحلى وألعاب. وكان أهالي أورونشون يتوقعون زيارة التجار، فأتوا بالفرو الثمين وساقوا غزلانهم الأليفة من الجبال العالية التي تبعد نحو مئة كيلومتر. أما أهالي سولون فأتوا على أحصنتهم حاملين معهم قرون الغزلان وعظام النمور وأقدام الدببة، وهي سلع باهظة الثمن تستعمل في الطب الصيني.

ما إن وصل التجار حتى استُقبلوا وكأنهم من أفراد العائلة. وتحلقت نساء المروج حول الحرائر والحلى المعروضة. فكنّ يجرّبن حلية وينظرن في مرآة التاجر. يا للفرحة! أما الأولاد الذين حملوا السلال



المصنوعة من أغصان الصفصاف فكانوا يشيرون بحياء الى ما تهواه قلوبهم غافلين عمّا يدسّه التجار في سلالهم من حلوى وألعاب.

وحلّت الظهيرة وانتهى عرض السلع. وبعد وليمة عامرة أصبح البائعون شاربين وأهالي المروج بائعين. كم حصاناً لديهم برسم البيع؟ وكم من صوف الحملان؟ وكم في حوزة الصيادين من جلود الفيزون والسمّور والذئب والنمر؟

وفي المساء قدم التجار في ضوء نار المواقد عرضاً ترفيهيا تضمن قرداً راقصاً ودمى متحركة. ولم ينته عرض الدمى المتحركة إلاّ قبيل طلوع الفجر، عندئذٍ قدمنا الى التجار وليمة أخرى وأرسلناهم في سبيلهم.

وذات يوم خريف بعد مرور سنتين على رحيل هالينا، كنت وشقيقتي عند منعطف النهر نقطف ورق القيقب الأحمر فأشارت شقيقتي إلى البعيد قائلة: "أنظر."

ونظرت فرأيت شخصين يتجهان نحونا على حصانين. إنهما هالينا ووالدها. فاندفعنا للقائهما، ولمّا رأيانا ترجلت هالينا وأعطت أباها لجام حصانها وهرولت نحونا. لقد كبرت. أما شعرها فما زال مضفوراً بشرائط مزينة بالخرز. وقبضت على يدي وراحت تقفز وهي لا تدري كيف تعبر عن فرحها. وكم كانت دهشتي عظيمة عندما سألتني بالصينية: "كيف حال الخالة؟ كيف حال الجميع في المزرعة؟"

كان مخيمهما يبعد أكثر من ١١٠

كيلومترات. وهما انطلقا ظهر الامس وأمضيا الليلة في البرية. وأخرجت هالينا أرنبين صغيرين من سِلتها وأهدتهما إلى شقيقتي. وأخبرنا والدها أنها افتقدتنا كثيراً. ففي السنة السابقة نصب أفراد العشيرة مخيمهم بالقرب من نهر نان، ورغبت هالينا في أن ترانا. لكنهم كانوا ملزمين حراسة حيواناتهم طوال الوقت لان البرية حافلة بالذئاب. لذا لم تتح لهالينا وأبيها فرصة زيارتنا. أما الآن وقد أتيا فان هالينا تمنت أن تمضي بعض الايام معنا.

في ذاك المساء أقمنا عشاء عامراً تكريماً لضيفينا. وأخبرنا والد هالينا أنها سألته، فور مغادرتهما مزرعتنا، أن يعلّمها اللغة الصينية. فعلمها مدة سنتين وبات في امكانها تدبّر أمرها. وهكذا لم تنفك هالينا طوال العشاء تهمس في أذني بالصينية.

وبقيت معنا مدة خمسة أيام. ولما حان موعد الرحيل امتطت حصانها وقد أجهشت بالبكاء. وظلت تستدير وتلوّح لنا إلى أن غابت عن أنظارنا.

الى المدرسة

في الثامن عشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٣١ اجتاح اليابانيون منطقة منشوريا. فغادر الشبان المزارع للدفاع عن الارض. فوقع على عاتق أمي عبء إدارة المزرعة الكبيرة والمزارع الست الفرعية.

وحين بلغت العاشرة من عمري بات في وسعي أن أعتني بأمري، فأرسلتني أمي لاتعلم في هاربن. وصباح رحيلي مشت أمي معي ووقفت على الثلج المتلألىء تبتسم لي وهي تخفي الكآبة في قلبها. وقالت لي بثقة: "أنا على يقين من أنك تعرف كيف تعتني بنفسك." ولمّا ابتعدت عربة الجليد رأيت أنها لم تبرح مكانها.

ويوم عودتي إلى المزرعة لقضاء عطلة الصيف ساقت أمي القطيع إلى الطريق التي كنت سأسلكها. وأكدت لي شقيقتي في ما بعد: "هي لم تكن تسوق القطيع، بل كانت تنتظرك. ولولا المسافة البعيدة لساقت القطيع الى مدينة نان."

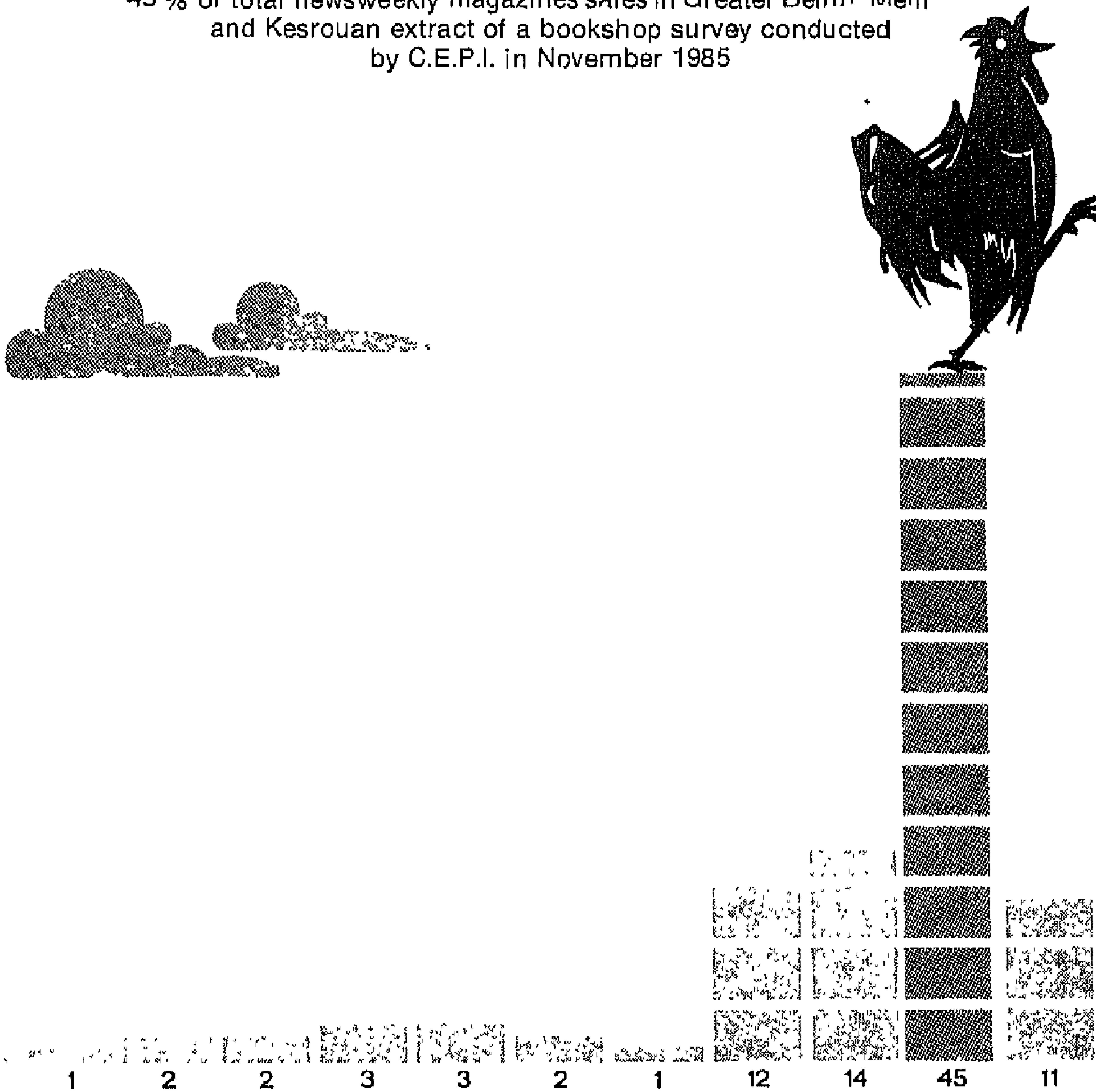
وأخبرتني أمي أن هالينا ووالدها أتيا إلى المزرعة في شهر مايو (أيار) ليودعانا. فقد وهبهما زعيم عَلَم آرهورشن قطعة أرض في جنوب سلسلة جبال هنغان الكبرى. وتوجهت العائلة بحيواناتها الى القسم الجنوبي الشرقي من منغوليا الداخلية. فقضت هالينا ثلاثة أيام عندنا، وحين جاء موعد الرحيل راحت تذرف الدموع سخيّة وتقول لأمي: "أماه، لا أريد أن أترككم. فأنا أحب زهر البرية وزرقة النهر. أريد أن أبقى هنا وأنتظر عودة أخي الكبير من هاربن." ولكن توجب عليها أن ترحل. وأمضيت الصيف بطوله أفكر في هالينا وفي الحياة البدوية التي تعيشها مع أهلها في براري منغوليا الداخلية وصحاريها الخطرة.

وكنت كلّما عدت الى المزرعة في عطلة الصيف أرسل الي الجيران الدعوات. فأولئك "الأعمام والعمات" الذين يعيشون طوال السنة في البرية يريدون أن يروا كم كبرت وكم من الكتب قرأت وهل زاد ضجيج هاربن.

وفي أحد صباحات يوليو (تموز) ركبنا الخيل أنا وأمي وشقيقتي مسافة ٤٠

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted by C.E.P.I. in November 1985



النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

exclusive advertising representative

كيلومتراً قاصدين أقرب جيراننا. ووصلنا إلى مزرعتهم ظهراً فأضافونا وأكرمونا ولم نبدأ رحلة العودة إلا قرابة الرابعة بعد الظهر.

طاب لنا أن نمشي على العشب الندي، فقدت أنا وأختي حصانينا في ريف يزدان بأغمار من الازهار الحمراء والصفراء والبيضاء. أما أمي فتبعتنا وهي تتحدث إلى مضيفينا الذين أرادوا أن يرافقونا مسافة من الطريق. وتوقفنا عند نهر لتشرب الاحصنة. ثم قطفت أختي بعض أغصان الصفصاف وسألت أمي أن تحوك لنا سلّتين للزهر. ولمّا أنجز العمل رجت أمي مضيفينا أن يعودوا أدراجهم إذ كنّا اجتزنا نصف المسافة. وسرعان ما بدت البرية موحشة فهمزنا الجياد لتسرع.

حصار الذئاب

حين أصبحنا على مسافة عشرة كيلومترات من المنزل رأينا نار المواقد المشتعلة في المزرعة. وفيما نحن نعبر النهر شبّ فرسي فجأة فسقطت بندقيتي في الماء. وتمسكت بعنق الحصان فلم أسقط.

أطلقت أمي نار بندقيتها بينما قبضت أختي على لجام فرسي المذعور. ولمّا استعدت السيطرة على أعصابي رأيت في أجمات الصفصاف أزواجاً لا تحصى من عيون وامضة. فروّعني المشهد وراح العرق البارد يتصبب مني. كنت على وشك الاصطدام بمجموعة من الذئاب. ونبّهتني أمي إلى ضرورة ترجّلي حالا والعثور على بندقيتي. فقدت حصاني إلى وسط النهر.

تراجعت الذئاب إلى الغابة حالما سمعت الطلقة النارية. وحشت أمي بندقيتها من جديد وقادتنا بأناة في مياه النهر. قالت إنه لا بدّ لنا من أن نجد مكاناً قليل الاشجار. وبعد هنيهة أشارت إلى مكان عند ضفة النهر. ولكن ما ان عدونا اليه حتى اندفعت الذئاب من الغابة وتوجهت نحونا. وانطلقت الاحصنة مسابقة الريح وهي تلهث بشدة. وقالت أمي إنه علينا أن نبطىء قليلا. فقد أصبح في امكاننا أن نرى بوضوح أكبر نار المواقد المشتعلة في المزرعة. ولعلنا ننطلق إلى المنزل بعدما تكون الاحصنة استردت أنفاسها.

وبقيت الذئاب تحاصرنا ولا تبعد عنّا إلّا حوالى مئة خطوة. فان تقدمنا خطوة تراجعت خطوة، وان توقفنا توقفت. وكانت عيونها الوامضة شنيعة في ضوء القمر.

صوبت أمي بندقيتها إلى تلك الأعين وراحت ترمي الذئب تلو الآخر وبدا أن الذئاب لم تعد تأبه لاطلاق النار، بل كانت تدنو منّا وتطبق علينا الحصار أكثر فأكثر. وأعطتني أمي بندقيتها بعصبية وأخذت معطفها الفرو من سرجها فأشعلت فيه النار، ثم قادتنا خارج حلقة الذئاب وهي تلوّح به في الهواء.

كان فرسي على وشك الانهيار وعجز عن مجاراة الحصانين الآخرين في عدوهما. فأبطأت أمي وأختي. وفي غضون ثوان اقتربت الذئاب منا وأصبحت على بعد ٣٠ أو ٤٠ خطوة فقط. وراحت الاحصنة المروّعة تشب وتطلق صرخات ذعر. وكاد معطف أمي ان يحترق بكامله. وكان معطفي ومعطف أختي مصنوعين من فرو

ثعلب الماء الثمين، فأحسست أن أمي تتردد في أشعال النار فيهما. وما لبثنا أن سمعنا عواء مجموعة أخرى من الذئاب يتصاعد في البعيد. رباه، كم من الذئاب تنتظر للنيل منا؟ وأصبح بعضها على بعد خمس خطوات أو ست منا، يشقّ طريقه



إلينا على نحو متلوّ. أطلقي النار! أطلقيها! وأطلقت أختي النار تكراراً لكنها اخطأت الهدف لشدة ذعرها. أما أمي فكانت تشعل معطف أختي ويداها ترتجفان فكادت أن تكسر عود الثقاب. وفي تلك اللحظة تناهت إلى مسامعنا صيحات رجال وعواء كلاب.

"أطلقي النار في الفضاء يا ابنتي. وحاذري أن تجرحي الرجال!"

كنا نرى ضوء المشاعل الكهربائية في الافق ونسمع في البعيد أصوات اطلاق نار. ورأينا نحو اثني عشر حصاناً وعشرين كلباً تعدو في اتجاهنا. ولشدة اهتياجها وارتياحها في آن، أطلقت أختي النار على ثلاثة ذئاب فأصابتها. أما الذئب الذي صرعته أمي فقد عضّ ساق فرسها قبل أن ينفق. وبدأت الذئاب تعدو مبتعدة.

وصرخت أختي وهي تمسح العرق عن وجهها: "لقد أحدقت بنا مجموعة هائلة من الذئاب يا أبي." فقال لها أبي: "أعرفت الآن يا ابنتي لمَ جعلتك تتمرنين على الرماية بهذه الجديّة؟"

ما إن دخلنا المزرعة حتى انهار حصاني وسقط أرضاً. وكان الدم ينزّ من فمه وجسمه يرتعش بشدة، فنفق مع الفجر. ولامست جلده الابيض كالثلج وأسفي عليه لا يوصف، وكسوت رأسه بالزهر الابيض. ولما طلع النهار ساعدني رجال المزرعة على دفنه في الغابة. ورحت كلّ يوم من أيام عطلتي أضع على قبره باقة من الازهار البرية.

ليلة مقمرة

أزهرت أشجار الليلك صيفاً بعد صيف وودعت أوراق القيقب الحمراء المتساقطة خريفاً تلو آخر وسقطت الثلوج وتمازجت. ومرّت سبع سنوات ولم يعد "الشمال العظيم" برياً، بل انتصبت المصانع حيث كانت قرى الصيادين



وشقت الطرق ومدّت الخطوط الحديد عبر الغابات لتصل إلى المناجم والارصفة البحرية والمطارات.

وفي أحد أيام الربيع تلقيت وانا في هاربن رسالة عاجلة من أمي كتبت فيها: "يا ولدي! لقد عادت هالينا التي افتقدتها كثيراً. وهي اصبحت شابة جميلة. ونصب أهلها خيمهم على بعد ٢٢ كيلومتراً من مزرعتنا والبهجة تغمر قلوب الجميع."

وانتابني طوال فصل الربيع شعور بالسعادة والاضطراب. وأخيراً بدأت عطلة الصيف. فركبت قطاراً سريعاً الى الشمال. وفي المحطة كانت أختي وأمي في انتظاري.

وعندما خرجنا من المحطة أشارت أمي إلى فتاة تقف بخفر إلى جانب فرسها وقالت لي: "انظر من هناك. هل نسي واحدكما الآخر؟"

وعرفت للحال أن الصبية المغولية الجميلة إنما هي هالينا. لكنها لم تعد رفيقة اللعب التي عرفتها في طفولتي. فكأن أحدهم لوّح بعصا سحرية فغدت هالينا شخصاً آخر. لم أتعرف إلّا على الوشاح الأحمر المزدان بالخرز الذي ضفرت به شعرها. كانت ترتدي زياً مغولياً مطرزاً أزرق اللون وتضع حول عنقها صفين من اللؤلؤ وفي حزامها قراب مسدس. وكمّل ذلك الزي النموذجي لابنة عائلة بدوية سروال أسود مطرز وجزمة زرقاء. وابتسمت لي هالينا بخجل. فصرخت: "هالينا!"

وللحال اضمحل تحفظها فتقدمت مني. وكما في الماضي أمسكت بيدي والدموع

تفيض من عينيها. ثم تلمّست بذلتي المدرسية وأنعمت النظر إليّ.

ورحنا نجوب البرية على أحصنتنا لمدة يومين. وكانت هالينا تعرف أسماء الازهار البرية كلّها، فأخبرتني عن تلك التي يمكن استعمالها في صبغ صوف الغنم وتلك التي يصنع منها الشاي. وتحدثنا وضحكنا وكل منا يحاول أن يخبر الآخر كلّ ما حدث له منذ اللقاء الاخير.

ودعتني والدة هالينا لأمكث مع عائلتها بضعة أيام. وأتت هالينا في اليوم السادس بعد عودتي لتأخذني إلى أهلها. ولمّا دنونا من مخيمهم نادت أمها وخالتيها فهرعن الى استقبالنا. وأخذن قبعتي ولجام فرسي ورحن يحدقن إلي وكأنهن يتفحصن عملا فنياً. ثم دعونني الى دخول خيمتهن والجلوس على حرام من الفرو الابيض.

وتناولنا طعام العشاء على العشب في جو مرح جداً. وجلست هالينا الى جانبي تؤدي دور المترجم. ثم شرعت خالتها داير تنفخ في المزمار، فتصاعدت موسيقاه في الغابة وبدت لي في ضوء القمر بالغة الروعة.

"لست سوى بدوية"

كانت تلك الليلة الاولى التي اقضيها في الغابة. فكنت وهالينا من الاضطراب والغبطة بحيث لم نستطع أن نأوي إلى فراشينا. فرحنا نتمشى على العشب والهواء عابق بشذا الازهار البرية. وكان ضباب خفيف يغلّف الغابة وشعاع القمر ينفذ إليها كالابر. وتناهت إلى مسامعي موسيقى من البعيد. فأعلمتني هالينا انها موسيقى الخالة نيبولون التي تحرس الاحصنة ليلا. ولم أكن أدرك من قبل مبلغ سحر الليلة المقمرة في الغابة.

خرجت من خيمتي صباح اليوم التالي فوجدت هالينا جاثمة عند ضفة البحيرة تتمرّى فيها وتمشّط شعرها الطويل. ولمّا انتهت وضعت صندوق زينتها بين اغصان شجرة. ان الحياة بالنسبة إلى البدو غاية في البساطة.

وركبت النساء أحصنتهن بعد الفطور وراحت الخالة نيبولون تعزف على عودها. فتبعتها الخراف ثم الخالة داير وهي تخيط جالسة على صهوة جوادها. أما والدة هالينا فكانت تعدّ خرزات سبحتها. وقطفت هالينا زهرة حمراء ودستها في شعرها ثم راحت تهمهم أغنية مغولية.

وبقيت وهالينا طوال الوقت لا نفترق أبداً. ومرّ شهر بسرعة وحان موعد مغادرتي البرية وعودتي إلى أضواء هاربن الباهرة. وعشية رحيلي أتت هالينا لتودعني. وفيما نحن نمشي في تلك الليلة المقمرة المفعمة بأريج الليلك أخبرتني أن لها أمنيات ثلاثاً: ألّا ترتحل عائلتها وألّا أغادر أنا البرية وألّا نكبر أبداً. وأسرّت الي بما يقلق نفسها: "أخشى ألّا أكون جديرة بك. فأنا لست سوى بدوية من البراري. ولو كبرنا لواجهتنا المشاكل." وبدأت تنتحب.

فقلت لها: "ارجوك يا هالينا لا تتفوهي بمثل هذه الكلمات. لقد كبرنا معاً فكيف لي أن أنسى ماذا يعني واحدنا للآخر؟ لا تبكي يا عزيزتي."

وفي صباح اليوم التالي ودعتُ عائلتي. ورافقني عمي ورجلان من المزرعة حتى

مدينة هايمي. وبعدما اجتزنا بضعة كيلومترات رأينا ثلاثة أشخاص مقبلين نحونا على احصنتهم. وتبيّن لنا أنهم هالينا وخالتاها. كانت هالينا تمسك منديلا زهري اللون والخالة داير تنفخ في مزمارها والخالة نيبولون تحمل اناء شراب من الفضة. وترجلت هالينا وسحبت من ثنيات منديلها قدحاً من الفضة. فسكبت فيه الخالة نيبولون الشراب وقدمته هالينا إلي والدموع في عينيها.

ثم همست بصوت منفعل: "سيمرّ عام قبل أن نلتقي."

وحذرتني الخالة نيبولون: "لا تنسَ هالينا بعد عودتك الى المدينة الكبيرة."

فقلت: "لا تقلقي يا هالينا، واعتني بنفسك."

وخشيت الخالتان أن يغمر الحزن هالينا فادارتا حصانيهما وانطلقتا.

ومضت السنة بسرعة واقتربت عطلة الصيف من جديد. فعزمت ابنة عمي وصديقاتها على قضاء العطلة في مزرعتنا. وهكذا، حين بدأت العطلة، ركبتُ القطار برفقة خمس فتيات ومجموعة هائلة من الحقائب وآلات التصوير ومعدّات الرسم وآلات الفونوغراف والاسطوانات والكتب والغيتارات. كانت أمي وشقيقتي وهالينا في انتظارنا. وما ان نزلت من القطار حتى هرولت هالينا إليّ وأمسكت بيدي كما في السابق. فبدت لي ناحلة أكثر منِ ذي قبل، لكن جمالها قد زاد. وساعدتُ الفتيات على امتطاء جيادهن، ثم ركبت أنا وهالينا فرسينا ورحنا نسير خلفهن متلكئين.

وسألتني هالينا: "هل فتيات هاربن كلّهن بمثل هذا الجمال؟"

وشرحت لها الامر: "إنهن صديقات ابنة عمي، وأنا لا أعرف أياً منهن."

عند الظهر توقفنا لتناول طعام الغداء. وكانت هالينا شديدة الارتباك فلم تقل الكثير ولم تأكلِ الكثير. ولكن كلما التقت نظراتنا نجحتْ في رسم ابتسامة على ثغرها.

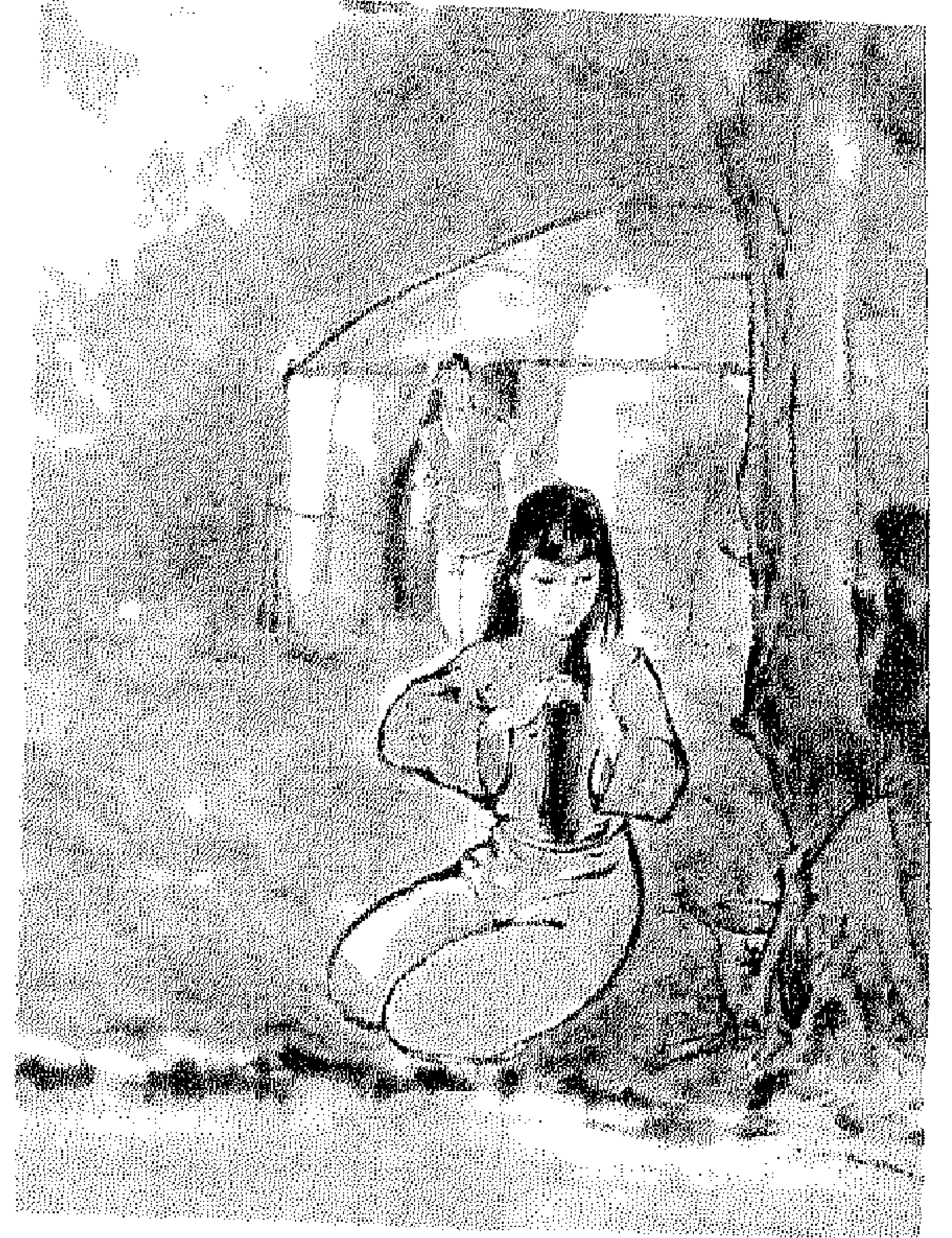
دموع الغيرة

أضفت الفتيات على المزرعة جواً من البهجة والمرح. فكنّ يعزفن على غيتاراتهن تحت أشجار الليلك ويرقصن على العشب ويغنين ويتحدثن ويضحكن ويلتقطن الفراشات في الغابة ويرسمن. ولمّا كان رجال المزرعة منهمكين في أعمالهم فقد وقعت على عاتقي مهمة مرافقتهن وحمايتهن عندما يخرجن. وهكذا، كثيراً ما كانت هالينا تأتي فأكونْ أنا غائباً عن المزرعة.

لكني في احيان أخرى كنت أسألها الانضمام إلى المجموعة والاستماع إلى الاسطوانات. وذات مرة حاولت أن ألقنها أصول الرقص، لكن حياءها منعها من تحريك قدميها. وأخبرت الفتيات عن الأيام الجميلة التي أمضيتها وهالينا عندما كنّا طفلين.

وقالت ابنة عمي بشيء من السخرية: "ستكون زوجة ابن عمي العتيدة ابنة بدوي من المغول." فضحك الجميع وبدا الارتباك على هالينا.

كنت أعرف أن هالينا هادئة الطباع. فهي مختلفة تماماً عن أولئك الفتيات



الملبئات بالحيوية والمرح. ولمّا رافقتها عند الغسق أخذتها بين ذراعي وقلت لها: "لا تعذبي نفسك. علينا أن نثق أحدنا بالآخر، فالكثير من السعادة ينتظرنا."

وذات عصر تحلقنا أنا والفتيات حول موقد وراحت احداهن تداعب أوتار غيتارها وأنا أرقص مع فتاة أخرى. وفجأة رأينا هالينا على حصانها الابيض تقف على بعد مئة خطوة وتحدّق الينا مذهولة.

وناديناها: "هالينا!" لكنها استدارت وانطلقت مبتعدة. فهي لم تدرك أن تصرفنا كان اجتماعياً لا غير. وأسفت الفتيات لما حدث. وفي اليوم التالي ذهبنا الى الغابة نبحث عنها لنشرح لها الامر، لكننا لم نعثر عليها. فنحن لم نعرف الى أين أخذت العائلة حيواناتها لترعى.

وغابت هالينا عن المزرعة أياماً. وذات يوم رأيتها مقبلة نحونا. فامتطيت جواداً وذهبت للقائها. ولكن ما ان رأتني حتى أدارت حصانها وابتعدت. وهكذا كانت كل يوم تأتي لتلقي نظرة على ما يحدث في المزرعة ثم تبتعد من جديد.

وذات يوم عند العصر أخذت أسرع جياد والدي واختبأت في الغابة أنتظرها. وما ان مرّت بالقرب مني حتى انتزعت اللجام من يدها وأنزلتها عن حصانها.

ثم قلت لها: "أصغي إلي، هل جننت؟" ولم تكن لكلامي فائدة. فعلى رغم شرحي وتبريري ما وسعها الاّ أن تبكي.

فرحت أهدئها ثم ساعدتها على ترتيب شعرها الذي ذرته الريح وعلى مسح الدموع عن وجهها. ولم تنبس هالينا بكلمة. ولم نفترق الاّ عندما طلعت أولى نجوم المساء.

ثلاث فارسات

عندما عدت الى المزرعة كانت الساعة تقارب منتصف الليل. فقررت ألا أسيء الى هالينا بعد اليوم. وفي الصباح أخبرت أمي أني سأبتعد عن الفتيات، وعلى عمي أن يرافقهن من الآن وصاعداً. أما أنا فسأتذرع بحجة أخذ الخيل الى المرعى. وغادرت المزرعة قبل أن يستيقظن.

كنت غاية في القلق أمام ما يحدث لهالينا. فأنا في الثامنة عشرة من عمري ولا أدري كيف أعالج ظرفاً كهذا. وفيما أنا مستلق على العشب أفكر في الأمر ملياً، سمعت صوت حوافر فرس يعدو مسرعاً. وما لبثت أن رأيت الخالة نيبولون تبتسم لي بودّ. بدت وكأن لديها الكثير



لتقوله لي، لكنها لم تكن تجيد الصينية فلم تفضِ بما في سرّها الّا عندما أتى سولان العجوز ليترجم لي. قالت انها كانت تبحث عن مهر ضال عندما رأتني آخذاً خيلنا. وأضافت انها والخالة داير راغبتان في زيارتنا، فهما لم تتحدثا طوال السنة الّا عني، لكنهما لم تأتيا لاننا نستضيف زواراً مهمين وهما تخشيان أن يسخروا منهما. وختمت: "عليك أن تكون صريحاً معي. ما هي علاقتك بالفتيات؟"

وشرحت لها الامر بأفضل ما استطعت.

"آه، إن هالينا لفتاة عنيدة جداً. عندما رأتك تستحم في النهر مع الفتيات أذهلها المشهد. كنّ يرتدين ثياب سباحة وأنت كنت معهن تتشمس. فبكت هالينا مريراً. كما انها رأتك تراقص فتاة."

وودعتني الخالة نيبولون بالعبارات الآتية: "أعرف انك لست متقلب المزاج، لكن هالينا لن تتزوج سواك." وفي ما بعد، بينما كنت أتناول الغداء مع رجال المزرعة، ظهرت الخالة داير وصرخت لي: "أنت لم تنسني، أليس كذلك؟"

كانت تعلّمت اللغة الصينية، فاقتربت مني وأمارات الود على محياها وسكبت لي اللبن في وعاء صغير من النحاس وقالت: "إذا كان نهار الغد مشرقاً، انتظرنا هنا بأحصنتك، فسأحاول مع الخالة نيبولون اقناع هالينا بلقائك."

ولمّا كان الصباح التالي مشرقاً ارتديت بذلتي المدرسية البيضاء ووقفت على العشب أنتظر هالينا. وقرابة الساعة التاسعة رأيت في الافق سحابة من الخراف البيض يتبعها ثلاثة أشخاص على أحصنتهم.

كانت هالينا ترتدي لباس فارسة أرجوانياً والخالة داير تنفخ في المزمار والخالة نيبولون تبتسم لي بسعادة. وسارعتُ الى هالينا فغمزت لي الخالتان بعينيهما واختفتا.

الغابة الصامتة

ساعدت هالينا على الترجّل. ولاحظت أن شعرها لم يعد مضفوراً بل مشدود الى الوراء بوشاح من الحرير الأحمر وأنها كانت تعلّق في أذنيها قرطين من الفضة. لم أرها بمثل هذا الجمال من قبل. وعلى رغم كآبتها كانت الرقة تنبعث منها والتأثر يشعّ من عينيها. فأخذتها بين ذراعي وضممتها إلي. فتنهدت عميقاً

وانهالت الدموع من عينيها مرة أخرى.

ثم جلسنا على العشب. وكانت تبكي ورأسها على كتفي وكأنها تحاول بدموعها أن تسرّ الي بكل شكاويها. فحضنتها وكأنني أمنع زوال حلم. فان لم تكن الحياة سوى حلم فليتوقف الزمن فلا يتغيّر شيء.

وفجأة سمعت حوافر حصان. ورأينا سولان العجوز يجتاز المرعى. وما هي الاّ هنيهة حتى بانت الفتيات اللعينات. كنّ يبحثن عني. أما أنا فكنت في منتهى الغيظ حتى اني تمنيت لو تظهر مجموعة من الذئاب وتلتهمهن جميعهن.

وحاول العجوز سولان أن يحول دون اقترابهن، لكنهن لم يبتعدن. وربما لم يرين هالينا وأنا أحتضنها. فرحن ينادينني ويلوحن لي، فانفجرت هالينا بالبكاء من جديد. وفي النهاية انفصلت عني وركضت إلى حصانها فامتطته وابتعدت.

وفي اليوم التالي أخبرتني الخالة نيبولون أن هالينا مريضة. فعمّ القلق نفوس الجميع، وصرّحت لي الفتيات أنهن لم يرينها عندما أتين يبحثن عني. وبعد الغداء نصحتني أمي بالذهاب مع شقيقتي لزيارتها. فتبعتنا الفتيات. وحدها والدة هالينا استقبلتنا، فأعلمتنا أن هالينا متوعكة وأنها لا تستطيع مقابلتنا.

وبعد خمسة أيام ذهبنا لزيارتها ثانية. ولكن حينما وصلنا الى البحيرة الصغيرة في الغابة لم نرَ أي خيمة وقد اختفت الحيوانات كلّها. وعلى الشجرة التي كانت هالينا تخبىء فيها صندوق زينتها ربطت منديلها الزهري. وفي طياته عثرت على خصلة شعر أسود برّاق. تلك كانت طريقتها في توديعي. فبدت لي الغابة عندذاك ساكنة كالموت.

لم يتحقق أي من أمنيات هالينا الثلاث. اذ لم أرها بعد ذاك. وسرعان ما عدت الى هاربن. أما فترة صباي في البرية فقد أصبحت من الماضي. وبعد مدة قصيرة دخلت الجامعة.

ماي تشي – مين ■

الشعر والقصيدة

الشعر في قصيدة هو ما يجعلك تضحك وتبكي وتتلوّى وتتألق وتخبو وتشعر بوخز وتلزم الصمت وتعرف أنك وحدك ولست وحدك في هذا العالم المجهول.

دیلان توماس، شاعر بريطاني

هاتف القلوب

قالت الفتاة: "لا تتصل بي الليلة، فقد اتصلت بي أربع مرات ليلة أمس."
فردّ الشاب: "حسناً، ولكن تذكري: عندما لا يرن جرس الهاتف عندك أكون أنا على الخط."

ب.م.ع.

خاص - ٢

هدية والد



هديّة والد



ماذا تسمّي المرض عندما يضربك وأنت في السن الثامنة عشرة؟ أتسمّيه ظلماً أم قدراً؟ جان - مارك جايني تلقّى ضربة ضعضعته، لكنه انطلق في حرب لا هوادة فيها لاسترداد صحته. ولأن المرض أعطب كليتيه فهو كان في حاجة الى كلية جديدة تمنحه الحياة. تلك كانت هدية والده

"استيقظ! استيقظ!"

تناهت الكلمات الي سمعي عبر ضباب كثيف. أردت أن اتكلّم لكن الكلمات لم تخرج من فمي. أين أنا؟ سمعت همهمات وصراخاً ورأيت أشكالا بشرية ترفرف حولي. وأخيراً أمكنني ان أميّز بعض الاصوات المألوفة وان تكن مشوّشة.

"هل تسمع؟ إنها تعمل. لقد بدأت الكلية تؤدي وظيفتها للحال."

وشعرت أني أطفو الى السطح. وأحسست ثقلا في رأسي. أردت ان أتحرّك لكن جسدي تمرّد علي. وأخذت الاشكال حولي تتجسّد. خلت نفسي في حلم، إلا ان الالم الذي اخترق احشائي سرعان ما أعادني الى الواقع. حاولت أن أنظر الى مصدر الألم، فطالعتني ضمادات كثيفة برز منها أنبوبان وصل كل منهما بزجاجة.

بدأت أخرج تدريجاً من سباتي العميق، واستيقظت مراكز الالم، كل بدوره. أدركت أخيراً أن كليتيَّ التالفتين أبدلتا بكلية أخرى صالحة. لكنها ليست مجرّد "أخرى"، بل هي كلية والدي.

Condensed from «A Transplant for the Right to Live,» © 1981 by Jean-Marc Jahény and published by La Pensée Universelle, Paris. Illustration: Jeff Cornell

والدي؟ أين هو؟ حاولت أن أناديه، ولا بدّ من ان بضع كلمات خرجت من فمي لان احدى الممرضات جاءت اليّ وقالت: "والدك بخير وكل شيء سار على ما يرام."

فجأة اختلطت الامور في ذهني ثانية. أمور كثيرة حصلت وبسرعة كبيرة تجاوزت مقدرة عقلي على تسجيلها، خصوصاً بعد تلك السنوات الخمس الاخيرة الملأى بالشك والكوابيس.

بداية المحنة

كان ذلك في يوليو (حزيران) ١٩٦٦ وأنا على وشك إنهاء تدرّبي كاختصاصي بالادوات الكهربائية المنزلية. علمت ان مصنعاً لقولبة البلاستيك في لومان (فرنسا) بالقرب من منزلي كان في حاجة الى مستخدمين.

وقدمت طلبا وجاءني الجواب وفيه موعدان، أحدهما لاجراء مقابلة والثاني لفحص طبّي. أمر مضحك، لكنني شعرت بالخوف. كنت في صحّة جيدة لولا انتفاخ حول كاحليّ لاحظته منذ شهر.

"إخلع ثيابك،" جاءتني التعليمات في المستوصف وامتثلت ببطء وشعرت بألم في رأسي. ومن الغريب أن هذا الألم كان يعاودني في المدة الاخيرة وفي البقعة نفسها من مؤخر العنق.

"سوف أقيس ضغط دمك،" قال الطبيب وهو يلفّ الشريط حول ذراعي ويضغط المنفخ. وشعرت بانتفاخ الشريط وبنبض الدم في شراييني. وبدا الطبيب متعجباً وقال لي وهو يخرج: "استرخِ، وسوف أعود بعد خمس دقائق."

مرّت الدقائق الخمس كأنها ساعات. وأخيراً عاد الطبيب وقاس ضغطي مجدداً. وأخبرتني ملامحه أن شيئاً ما لم يكن على ما يرام.

"أنت في الثامنة عشرة من عمرك؟"

– نعم.

"حسناً، انما ضغطك الدموي هو ١٨ على ١٢ والضغط الطبيعي ١٣ على ٧. دعنا نفحص عينة من بولك."

وخرج الطبيب ومعه العينة ثم عاد بعد عشر دقائق وكان وجهه خالياً من أي تعبير.

وبادرني: "يجب أن تراجع طبيبك للحال. ربما الامر ليس خطيراً، لكنه يحتاج الى علاج سريع."

بعد ظهر ذلك اليوم قصدت طبيب العائلة وسلمته رسالة من طبيب المصنع. ورحت أراقب وجهه وهو يقرأها. لم تختلج فيه أي عضلة. فحصني بالسماعة من دون أن ينبس بكلمة ثم جسّ كاحليّ.

"هل مضى على هذا الانتفاخ وقت طويل؟"

– شهر أو ربما شهران.

بعد ذلك فعل ما فعله طبيب المصنع قبله: قاس ضغط الدم وأجرى تحليلا للبول وحصل على النتائج ذاتها. بدا قلقاً، وتضاعف خوفي.

– الامر ليس خطيراً، اليس كذلك يا دكتور؟

تردد برهة ونظر الي بانعام قبل أن يجيبني: "ربّما لا، ولكن يجب أن تدخل المستشفى."

وقعت كلمة "مستشفى" علي وقع المقصلة. فقلت باحتجاج: "انا لا أفهم."

"انك قطعاً في حاجة الى معالجة، لكنها لن تستغرق وقتاً طويلا. ليس اكثر من ثمانية أيام أو عشرة. من المحتمل أنك مصاب بالتهاب الكليتين."

– وماذا يعني ذلك؟

"انها جرثومة في الكليتين. ويمكن القضاء عليها من دون أي مشكل إذا ما اكتُشفت باكراً. لكننا نحتاج الى فحوص اكثر شمولا. لهذا السبب أود أن تدخل المستشفى."

سيطرة المرض

مكثت في المستشفى الاول ما مجموعه ثلاثة أشهر. وكانت الايام تنساب ببطء مريع. ولجأت الى القراءة بضع ساعات في اليوم، اما بقية الوقت فكنت امضيها في انتظار نتائج الفحوص اليومية. ونشأ بيني وبين مرضي نوع من الاتصال وشعرت به يستوطن داخلي ويستولي عليّ مع أني حاربته بكل قواي.

وظلّت حالتي على ما هي. وفي شهر سبتمبر (أيلول) تركت المستشفى بناء على رغبتي لانني كنت في حاجة الى تغيير الجو. وسمح لي الاطباء بالذهاب بشرط أن أتناول جرعات منتظمة من مضادات الحيوية (انتبيوتيك) التي سببّت لي حالا من الغثيان. وزاد الامر سوءاً انه تعين عليّ أن أتبع نظام حمية خاصاً يقضي بعدم تناول الملح في الطعام. ووجدت صعوبة في التقيّد بهذا النظام.

وفي شهر أكتوبر (تشرين الأول) أُجريت لي فحوص جديدة إثر ظهور دم في البول، وأبلغت أن حالي غير قابلة للشفاء.

وقال الطبيب لوالديّ: "ليس في وسعنا ان نفعل المزيد." وشرح لهما أن مرضي مزمن.وأن كليتيّ على وشك الانهيار. كنت مصاباً بالتهاب حادّ في الكليتين(١) وهو مرض خطير وغير قابل للشفاء.

لم أستطع تصديق ذلك، بل لم أرد أن أصدّقه. وعندما عدت الى البيت عزمت على التفتيش عن عمل وان أضرَّ ذلك بصحتي. كنت راغباً في الحياة حتى لفترة وجيزة. فأنا لم اكن تجاوزت الثامنة عشرة من عمري.

وجدت عملا في مصنع للادوات الالكترونية. ولم أبخل على عملي بأي جهد، لكنني كنت أتعب بسرعة. ولم أود أن يرثي أحد لحالي، ولكن كان من الصعب اخفاء حقيقة وضعي. كنت أتقيأ باستمرار، ولم يكن الصداع يفارقني.

أما في البيت فقد تغيّر تصرّفي كثيراً. وبت اسمع شقيقاتي يشتكين: "انه ضيّق الخلق ونكد المزاج دائماً." وكنت أعلم ذلك. وحاولت جهدي أن أضبط نفسي لكنني لم أقوَ على ذلك. في هذه الاثناء لم يستسلم والداي للأمر ولم يسلّما بتقديرات المستشفى لفرص شفائي، وعادا الى استشارة طبيب العائلة الذي حوّلهما على اختصاصي اسمه الدكتور لوران(٢) يعمل في مستشفى فوش في سورين. وحُدد لي موعد في الثالث من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٧.

ذهبت الى الطبيب برفقة والدي، وهو موظف في السكك الحديد الوطنية بفرنسا. وفي الثاني من يناير (كانون

(١) Subacute nephritis

(٢) أسماء الاطباء مستعارة.

الثاني) غادرنا لومان الى باريس حيث مكثنا عند أحد أعمامي. وكان والدي مرحاً، أما أنا فشعرت بتقلص في معدتي.

وللوصول الى سورين تعين علينا أن نركب القطار العادي ثم المترو. ولاح لنا المستشفى الى اليسار كتلة من الاسمنت الاصفر منتصبة تحت سماء زرقاء باردة. وجاء دوري بعد انتظار نصف ساعة فاستُدعيت الى غرفة الفحص ودخل والدي في اثري.

وجدنا في انتظارنا رجلا ابيض الشعر تلفّه هالة من الرقّة. بدا أبوياً وواثقاً من نفسه، وبادرني: "اخبرني والدك بحالك، ولقد قرأت الملفّ. استلقِ هناك."

أمضى وقتاً طويلا يجس كاحليّ المنتفختين ثم قال: "الامر خطير وعليّ أن أدخلك المستشفى."

حطام انسان

لم أجزع هذه المرة لدى سماعي كلمة مستشفى، لا بل شعرت بالارتياح لوجودي بين يدين أمينتين لطبيب يبعث الاطمئنان في النفس. وأقنعت نفسي بأن كل شيء سيمرّ بسلام.

كانت لغرفتي شرفة، ومن النافذة المطلّة على المدينة رأيت باريس كلها. كان مسموحاً لي بالتجوّل في أروقة المستشفى، وهكذا تعرّفت الى عدد من جيراني. وأمضيت معظم وقتي في القراءة، وسرعان ما انتهت إقامتي هناك.

أعلن الدكتور لوران: "لقد انتهينا يا بُنيّ وعملنا كل ما علينا. ستتناول البريدنيزون وهو دواء يستدعي مراقبة شديدة. وله أحياناً بعض التأثيرات الجانبية لكنها ليست فائقة السوء. عُد الينا بعد شهرين من أجل فحص عام."

وانقضى شهران ولا أسوأ.

التأثيرات الجانبية فاقت كل تصوراتي. كانت مريعة، بل ساحقة. انتفخ وجهي وتبدلت سحنتي يوماً بعد يوم. أصبحت عبارة عن رأس ضخم جاثم فوق جسد ناحل. وأرعبتني صورتي في المرآة، والادهى من ذلك كله أنني لم أشعر بأي تحسّن.

أسرعت في العودة الى المستشفى حيث بقيت ثلاثة أشهر. وحاول الاطباء طمأنتي زاعمين انها مجرّد مرحلة موقتة، ورددوا علي: "وجهك الجميل هذا سيعود كما كان."

وتساءلت: ما الذي حصل لوجهي؟ أصبحت حطام انسان. ومرت الايام والليالي وأنا مستلق في سريري أو جالس في كنبة. وحين استغرق في النوم بعد محاولات يائسة كنت أرى كوابيس فيها مسوخ ذوات رؤوس ضخمة.

كنا في شهر يوليو (تموز) وقد مضت سنة على مرضي. وأثارت كآبتي قلق الدكتور لوران فارتأى وقف البريدنيزون واقترح عليّ أن أمضي شهراً في مصح في هوت غارون فوافقت فرحاً.

غادرت المدينة في قطار باريس - تولوز السريع. كان وجهي ما زال منتفخاً غير ان الورم بدأ يخف، خصوصاً حول العنق، وهذا ما جعلني أشعر بتحسن ضئيل.

وصلت الى مصح قصر فيرن الذي يبعد ٤٠ كيلومتراً عن تولوز. إقامتي فيه

ALHASNA

الحسناء

مجلة كل بيت

صحافة الغد في مجلة اليوم

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة

تهتم بشؤون كل بيت:

- تحقيقات
- مقابلات
- طب
- تجميل
- ثقافة
- فن
- مشكلة وحل
- حديث الابراج
- مطبخ
- اناقة
- طبيعة
- بالاضافة الى عدة ابواب اخرى



في الأسواق صباح كل يوم جمعة

افادتني كثيراً، والنزهات في حدائقه الرائعة ولعب البـولينغ على أرضـه المكسوة بالعشب اشاعت في نفسي شعوراً بالعطلة. واستعاد وجهي شكله الطبيعي وارتفعت معنوياتي. وفي نهاية الشهر حضر والدي لاصطحابي الى باريس كي أخضع لبعض الفحوص.

استراحة قصيرة

رأيت مقدم الحافلة القديم وهي تقترب لاهثة. وسمعت صريف الكوابح ولاحظت الغبار الذي أطارته العجلات. وانفتح الباب وخرج منه ثلاثة ركاب تعلّق بصري كلياً بأحدهم، وكان والدي.

شعرت أني أراه بعينين جديدتين. نظرت الى الوجه الذي أحببت والى العينين اللعوبتين العابثتين في الرأس الذي اعتراه الصلع. وبقفزة واحدة كنت بين ذراعيه. وانسابت الدموع على خديّ وشعرت بدموع والدي أيضاً.

تناولنا الغداء معاً. ومع أن طعامي كان خالياً من الملح إلا أنني اقبلت عليه بشهية افتقدتها منذ زمن. وتبادلنا الحديث بشوق وحماسة، خصوصاً حول أخبار العائلة.

ذاك المساء توجهنا الى تولوز حيث اضطررنا الى الانتظار ساعتين قبل وصول قطار باريس وسألني أبي: "اذا كنت لا تشعر بتعب شديد، فلماذا لا نذهب في جولة في المدينة؟"

ووافقت بفرح. ومشينا. لم أشعر بكاحليّ ينتفخان. كنت في أحسن حال.

وصل القطار وانطلقنا في طريقنا الى باريس، الى مستشفى فوش. كانت مقصورتنا خالية ممّا أتاح لي فرصة للتمدد. ورحت أسترجع في ذاكرتي أحداث النهار دقيقة دقيقة. كان ذلك أجمل يوم قضيته منذ مرضي، وما زالت عيناي تغرورقان بالدمع كلما تذكرت عناقي الحار لوالدي.

أمضيت ثلاثة ايام في المستشفى وجاءت النتائج مرضية. شهر آخر من الراحة أعود بعده الى العمل، هكذا قال لي الدكتور لوران.

وهذا بالضبط ما فعلته. وفي شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٧ عدت الى عملي. وكانت صحتي تصعب علي العمل، لكنني أصررت على المداومة تسع ساعات في اليوم. كنت طموحاً أعمل حتى في العطل الاسبوعيـة، على ان الشعور بالارهاق عاودني من دون رحمة، وعاد اليّ التقيؤ بمعدل مرة كل يومين مصحوباً بصداع رهيب.

مرّت سنة على هذا المنوال خضعت خلالها لفحوص عامة كل ثلاثة أشهر. ومع نهاية السنة أرجعني الطبيب الى نظام حمية أكثر صرامة. حتى والداي لاحظا أن المرض تمكّن مني. وعلى رغم ان العمل أصبح عبئاً ثقيلا عليّ فانني لم أعطّل وأصبحت على وشك الانهيار التام.

يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩.

ذات صباح بارد شعرت بارهاق شديد وبألم رهيب يطرق داخل رأسي. لكني نهضت وتهيأت للذهاب الى العمل. وضجت أصوات في رأسي وشعرت بغثيان وبسخونة في رأسي وبجليد في بقية أعضائي. يجب أن أفتح النافذة... يجب ان اذهب الى العمل... ولفّني فراغ مطلق.

عدت الى وعيي في مستشفى ألفته جيداً. وجاء الدكتور لوران يعودني وجلس على حافة السرير وأخذ يدي بين يديه ونظر في عيني وسألني: "هل تعرف ما هو الزرع؟"

- سمعت به. ولقد التقيت عدداً من المرضى الذين أجريت لهم هذه الجراحة هنا.

"وكيف وجدتهم؟"

- في حال جيدة. ما الذي تبغي قوله يا دكتور؟

"لقد توقفت كليتاك عن العمل، او انهما على وشك التوقف. علينا أن نفكّر بجراحة زرع."

ومع أنه تكلّم برقّة إلا ان كلماته أحدثت دوياً داخل رأسي ولم افقه لها معنى، لا بل رفضت أن أفهم، ولم استطع لملمة تفكيري فبكيت.

المرحلة ما قبل الاخيرة

لا بدّ من أنني بكيت الى أن غلبني النوم. وكان رأسي ما زال يؤلمني عندما استيقظت. أردت ان أنادي الممرضة لكني تريثت قليلا. ان ثقتي كبيرة بكرم الاطباء الذين تولوا معالجتي وبانسانيتهم كذلك. انهم لن يدعوني أموت وعملهم لن يكون سهلا ما لم أساعدهم.

في الاسابيع التي تلت أُخضع والداي لفحوص شتى وأجريت لهما تحاليل بول ودم وأدركت أنهما صمّما على التبرّع لي بكلية. وأبى عقلي تقبُّل الفكرة مع ان جسدي تاق اليها. ومعرفتي الوطيدة بوالديّ اكدت لي أن شيئاً لن يثنيهما عن عزمهما، وان عملهما ذاك كان بالنسبة اليهما محتوماً ومنطقياً. فهما منحاني الحياة مرة، ومن الطبيعي جداً في نظرهما أن يمنحاني إياها مرة ثانية.

أنا لم يكن لدي ما أخسره، لكن هذا القول لا ينطبق على والديّ. أردت أن أتأكد من عدم تعرضهما لأي خطر أو سوء، طبّياً أو جراحياً. وبعد معاناة طويلة أجبرت نفسي على مناقشة الامر مع الدكتور لوران. كان جوابه قاطعاً وصريحاً: "والداك ليسا في خطر البتّة. والاثر الوحيد الذي ستتركه الجراحة ندبة بسيطة. يجب أن توافق على إجراء الجراحة."

كان الطبيب في منتهى الحزم بالنسبة الى نقطة أخرى. قال لي: "قبل أن نقرّر إجراء الزرع وقبل أن نختار متبرعاً، يجب أن نرسلك الى مصحّ مجهّز بكلية اصطناعية تعالج بواسطتها. فمن الضروري جداً تطهير كليتيك وجعلهما تعاودان وظيفتهما الطبيعية موقتاً."

ونقلتني سيارة اسعاف الى العيادة وبدت غرفتي الزرقاء هادئة ومريحة تحت أشعة الشمس التي دخلتها من النافذة. وجاء رجل في الاربعينات وقدّم نفسه: "انا الطبيب المناوب. بعد الظهر سنجري لك ديلزة صفاقية(٣). لا تقلق، انها مسألة بسيطة."

"لا تقلق!" عبارة بسيطة، لكن عقلي المضطرب وجد فيها خداعاً وتضليلا. ومع أني لا أجزع بسهولة إلا انها جعلتني أتوجّس شراً. ثم استمعت الى شرح عملية

(٣) Peritoneal dialysis. والصفاق هو الغشاء المصلي الشفاف المبطن للتجويف البطني.

الديلزة الصفاقية: انها إجراء لنزع السموم من الدم، تنوب الكلية الاصطناعية أثناءه عن الكليتين الطبيعيتين للتخلّص من مادة البولة (urea). والاسلوب المتّبع هو بسيط فعلاً، والعمليّة تتطلّب ادخال محلول ملحي خاص الى البطن بواسطة إبرة، فيتولى هذا المحلول امتصاص البولة الفائضة من التجويف الصفاقي قبل ان يسحب خارج الجسم بإبرة ثانية حاملا الفضلات.

ربما هو فعلا أسلوب بسيط، إلا انني كنت مُحقاً في التخوف منه. ففي كل عملية تصريف كنت أشعر بألم رهيب يعصر صدري. وطال ليلي. وشعرت بعطش شديد لكن الشرب كان محظوراً عليّ. وتُقت الى النوم لكنه جفاني.

انتهت العملية عند منتصف الليل وأُنزل الجهاز. "تهانينا!" قال الطبيب، واضاف: "لقد انخفضت نسبة الحمض البولي على نحو ملحوظ، والآن يمكننا ان نثبّت تحويلة (shunt) من اجل اجراء جلستي ديلزة كل أسبوع."

رحلات مكوكية

للتحويلة التي تمّ زرعها في ساعة متقدمة من بعد ظهر اليوم التالي تحت مخدّر موضعي مبدأ بسيط: تدخل أنابيب بين شريان ووريد في أسفل الذراع وتوصل عبر خرطوم خارجي بالكلية الاصطناعية التي تنقي الدم.

بعد ذلك يغطى الجهاز كله بالشاش المطهّر الجاف الذي يمكن نزعه بسهولة من أجل مراقبة الخرطوم. والمراقبة مهمّة جداً لانها تساعد في تجنب ثلاث مضاعفات محتملة: الورم الدموي والنزف والجلطة.

ولم أكن أخشى الورم الدموي والنزف لانهما لا يحصلان الا اثناء الديلزة، وهي عملية تستدعي مراقبة طبّية مكثفة. أما الجلطة فيمكن أن تتكون في أي وقت بسبّب الدم المتخثّر انسداداً في الانابيب. لذا كان عليّ ان أجري فحصاً ذاتياً ثلاث مرات في اليوم لاكتشاف أي تخثر يمكن أن يؤدي الى انسداد وبالتالي الى جلطة.

لون الخرطوم، في حاله الطبيعية، أحمر صاف خال من أي رقشة سوداء أو مصل مصفر، وملمسه دافىء وهذا يعني أن الدم يجري فيه كما يجب. وكانت التعليمات تقضي بأن أستدعي الطبيب عند أقل ارتياب.

هذه التدابير أخرجتني من دائرة الخطر. حتى نظام الحمية عن الطعام أصبح أقل صرامة. وأحسن ما في الامر أنه بات في وسعي أن أقضي في البيت الوقت الفاصل بين ديلزة وأخرى.

مضى على هذه الحال شهران وعلى مرضي نحو ثلاث سنوات. وأصبحت الديلزة محفوفة بالمشاكل وتضاءلت طاقتي على تحملها. وتكرر انسداد التحويلة بين جلسة وأُخرى مما استدعى انتقالي الى باريس من أجل ازالة التخثر منها. وأرهقتني تلك الرحلات المكوكية.

آخر يونيو (حزيران) ١٩٦٩.

كان الطقس حاراً. وأثناء وجودي في العيادة لتلقي العلاج قال لي الطبيب: "كلّمني الدكتور لوران. ابتداء من الغد

سنجري لك سلسلة من الفحوص والتحاليل هي الاجراءات الاولية التي تسبق الزرع."

دخل والدي المستشفي في الاسبوع التالي ومكث أربعة أيام أجريت له فيها بعض الفحوص. اذاً هو من سيتبرع لي بكليته.

وثرتُ على الفكرة مجدداً. وللمرّة الثانية أقنعني الدكتور لوران بحججه.

كان الطقس رائعاً في ١٤ يوليو (تموز)، وهو عيد اقتحام سجن الباستيل. ومن سطيحة المستشفى ذلك المساء شاهدت الالعاب النارية فوق باريس: أنواراً متفجّرة تتلألأ في السماء السوداء وتضيء زوايا المدينة. كان الهواء رقيقاً ورطباً وكأنه ينبئُ بعاصفة.

وفي اليوم التالي التقيت الدكتور كوستر بوجهه المتألق بالحيوية والنشاط وشعره الاشقر الذي وخطه الشيب. فخاطبني: "سأجري لك الجراحة غداً، وكل شيء سيكون على ما يرام. سترى."

بعد ذلك جاء اختصاصي التخدير وأجرى لي فحصاً بالسماعة وردد بعض كلمات التشجيع ثم انصرف. حاولت ان استغرق في القراءة لكنني لم أستطع التركيز. فتوجهت الى الغرفة ٦٢١ حيث أنزل والدي وتحدثنا في كل شيء الا في جراحة اليوم التالي. بدا سعيداً، الا أنني كنت على يقين أنه قلق عليّ.

ظهر ١٦ يوليو (تموز) جاء الممرضون يحضرونني للجراحة. فألبست قميصاً أبيض وخفّين أبيضين وأُعطيت العقاقير التي تُعطى عادة قبل الجراحة. وشعرت بفراغ في رأسي، وبدأت أرى الممرضين عبر ضباب لفهم وهم يأخذونني الى غرفة العمليات.

سمعت احدهم يقول: "سننزل الآن."

وسألتهم: "وأبي؟"

فأجابوني: "مضى عليه اكثر من ساعة في غرفة العمليات."

سواعد قوية دفعت العربة النقالة. وفُتح باب ودخلنا غرفة كبيرة بلاطها أخضر والاطباء داخلها في ثياب خضراء. سواعد أربع رفعتني الى طاولة العمليات، ومن خلف القناع كلمني الدكتور كوستر: "سأجعلك تنام."

طعم لاذع ملأ فمي. أبي...!

الحليفة والصديقة

"حسناً يا بُنيّ، كل شيء مرّ بسلام. انك الآن انسان جديد."

– شكراً يا دكتور لوران. وأبي، كيف حاله؟

"انه بخير ويمكنك أن تراه قريباً. والآن يمكننا أن ننزع هذه التحويلة. أنت لم تعد في حاجة إليها على ما أظن. وحالما يصبح في وسعك تناول الطعام، يمكنك أن تأكل منه ما تشاء، اذ سنعيدك الى نظام الغذاء الطبيعي. في أي حال يمكنك أن تشرب الآن."

قال هذا وخرج من الغرفة والسرور باد عليه. وغمرتني سعادة اشتقت اليها منذ زمن طويل.

ضمادات كثيفة لفّت بطني الذي حمل ثلاث ندب: جرحاً في الوسط امتدّ من قاعدة الصدر الى أسفل البطن، وجرحين جانبيين صغيرين خرجت منهما أنابيب.

وعلمت في اليوم التالي أن جراحة

أخرى لزرع كلية أُجريت في اليوم نفسه الذي أخضعت فيه أنا للجراحة، لكنها لم تنجح لأن جسم المريض نبذها.

وغرزت كلمة "نبذها" في ذهني. وفي انتظار نتائج فحصي الدم والبول اللذين أجريا لي كل يومين كنت أشعر بدوار شديد وتملكني قلق رهيب. وأصبحت ميداناً لمعركتين من نوع جديد: واحدة لاسترداد مناعتي وأخرى لاسترداد معنوياتي. على انني خضت الحرب من موقع قوة لأن كليتي الجديدة، وهي سلاحي الرئيسي، أعطيت لي بكثير من المحبة، ولن ينبذها جسدي لأنه يدرك أنها حليفته وصديقته وليست عدوة.

في اليوم الثالث انتُزعت ابر المصل من أوردتي وبقي المسبار (probe) وأنابيب التصريف. على أن هذا لم يثنني عن التوجه وحدي الى غرفة والدي. وما ان قطعت الامتار العشرين بين غرفتينا حتى باغتني ألم كطعن الخنجر في رأسي كان توقف بعد الجراحة، فارتميت في أقرب كرسي في الغرفة.

وفتحت عيني، فرأيت والدي راقداً في سريره والفرح يشعّ من وجهه. ونظر الواحد منا الى الآخر ثم ضحكنا.

قال: "لم تضع أي وقت."

– كيف حالك؟

"انني بخير. مجرّد ألم في الرأس. وأنت؟ يقولون لي ان كليتك تعمل جيداً."

كليتك. نطقها هكذا وكأنها فعلا ملكي. أنا أيضاً شعرت انها ملك لي. وفي أي حال، كان أقصى ما أتمناه هو أن يحتضنها كياني كلّه ويتبنّاها.

مرّت الايام بعد ذلك رتيبة وبدأت أستعيد قوتي وأتناول الطعام. وأظهرت التحاليل أن كليتي تعمل على نحو جيد جداً. وشاركني الاطباء في بهجتي. كل شيء بدا مختلفاً، ورحت اكتشف العالم من جديد: الناس والطعام ونور الشمس، حتى الحياة نفسها. كنت كمن يولد ثانية.

حياة جديدة

في غياب أي مضاعفات غادر والدي المستشفى بعد أسبوعين. اما انا فبقيت اشعر بألم مبرح في منطقة الكلية. ومع أن التحاليل والفحص بالاشعة لم تظهر شيئاً، فان الاطباء أشاروا علي بجراحة استكشافية وحددوا موعداً لها.

وعندما استعدت وعيي بعد الجراحة الثانية – وهذه المرّة كان الامر أسهل بكثير – أُبلغت أن كل شيء طبيعي وأن الامر لم يكن سوى انذار خادع.

اليوم الحادي والعشرون.

جسدياً، شعرت بحال جيدة، وملأت أيامي بالقراءة وبلعب الشطرنج وأصبحت شهيتي شديدة فكنت أجبر نفسي على التمهّل في ازدراد الطعام. ورحت أقوم ببعض التمارين الرياضية لأقوي عضلات بطني، وكل صباح اهبط السلالم الست قاصداً كشك الصحف ثم أعود واصعدها. وعادت الي قوتي تدريجاً ولم يعد نفَسي ينقطع ولم تعد ساقاي كالمطاط تحتي.

وفي اليوم الستين أعطيت اجازة ثلاثة أيام. وذكرتني إحدى الممرضات: "لا تنسَ ان تعود يوم الاثنين."

وصل والدي لاصطحابي بعد ظهر ذلك اليوم. وفي طريقنا الى المحطة توقفنا نصف ساعة في أحد مقاهي الارصفة.

وصعدنا القطار الذي انطلق بنا. وعلى ايقاع العجلات نظمت أغنية رحت ارددها: "إني شفيت... اني شفيت."

في لومان ركبنا سيارة أجرة. الى أين؟ الى البيت! الى بيتنا! استقبلتنا والدتي وأخواتي على السلم بهرج ومرج وصيحات ودموع ونشيج. يا له من استقبال حافل!

وسألتني والدتي: "ماذا تبغي للعشاء؟"

– فاصولياء.

بعد ثلاث سنوات من الحمية وجدت طعم الفاصولياء ولا أشهى. لكنني أقبلت على الطعام بوجل. هل سينتفخ كاحلاي كالعادة كلّما "خبصت" الطعام؟ هل سيعاودني الصداع؟ هيا، انسَ الماضي يا فتى. انك الآن انسان طبيعي. انسان في صحته الكاملة.

في المستشفى، يوم الاثنين التالي، جاءت النتائج ممتازة وأعطيت "علامة" ١٠٠ وقيل لي اني لا أختلف عن اي انسان آخر له كليتان طبيعيتان.

على انني لم أخرج بعد من نطاق الخطر.

لمسات أخيرة

سبتمبر (ايلول) ١٩٦٩.

عدت الى المستشفى لاجراء فحص عام. وعشية اليوم السابق لمغادرتي اياه جاءني الدكتور غوتييه، أحد مساعدي الدكتور كوستر، وغليونه في يده. كانت عيناه تبتسمان على رغم التواء في زاويتي فمه.

"علينا ان نجري لك جراحة أخرى."

– لماذا؟

"تصوير قناة البول أظهر بداية تضيُّق في الحالب (٤)."

استحوذ عليّ خوف كدت أنساه وطلبت من الطبيب شرحاً لما قاله.

أجاب: "أنت تعلم أن الحالب هو القناة التي تحمل البول الى المثانة. وهذه القناة هي، في حالها الطبيعية، ضيّقة. والذي حصل أننا لاحظنا لديك انقباضاً في نقطة منها، وهي حال تُعرف بالتضيّق وتستدعي اجراء جراحة لا تنطوي على أي خطر. بالطبع هي جراحة دقيقة، لكنها ممكنة."

ولاحظ الطبيب مبلغ اضطرابي فأضاف: "لا تقلق. الدكتور كوستر سيجري لك الجراحة. فهو كغيره من الفنانين يحتاج الى وضع اللمسات الاخيرة على اعماله لتخرج من يديه غاية في الكمال."

انقضى على الجراحة يومان وجاء الدكتور لوران ليعودني وربت يدي. فسألته: "ماذا عن كليتي يا دكتور؟"

فرد: "كل شيء على ما يرام، وكليتك تعمل بانتظام. ولكن يجب أن تحترس. تجنّب الحركة ليبقى المسبار في موضعه أطول فترة ممكنة."

أسبوعان من الألم أعقبهما شعور بحريق لاهب وحاجة مفاجئة وعنيفة الى التبويل ما لبثت أن خفت. وأخيراً جاءني الجواب الذي طال انتظاره وتقت الى سماعه. لقد أظهرت صور الاشعة لمجاري البول أن "كل شيء حسن والكلية تعمل تماماً وليس من مشكلة في الحالب."

أُبلغت أنني في حاجة الى شهرين من النقاهة قبل أي تفكير في العودة الى

(٤) Ureteral stenosis

العمل. أما كمية البريدنيزون فستنقص تدريجاً لتصل الى عشرة مليغرامات يومياً، وهي جرعة عليّ أن أتناولها طوال عمري.

وغادرت المستشفى وحدي هذه المرة. ولم أشعر بخوف. فكليتي الجديدة حرصتْ على البقاء معي بمقدار ما حرصتُ على الاحتفاظ بها.

مفاجأة مرة

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩.

أمضيت عيد الميلاد مع العائلة ومع بياريت رفيقة الطفولة التي عرفت كل تفاصيل معاناتي واصبحت بمثابة فرد من العائلة. كنت في حال جيّدة وليس ما يحول دون استمتاعي بوجبة شهية.

وجاءت نتائج الفحص النهائي في مستشفى فوش جيدة ففتحت امامي طريق العودة الى العمل. تلك الاشهر الثمانية الخالية من أي نشاط جسدي تركت آثارها، ولكن مع مرور الايام عدت قادراً على العمل ثماني ساعات في اليوم من دون انزعاج.

أهم حدث ميّز الاشهر الثلاثة الاولى من العام ١٩٧٠ عزمُنا أنا وبياريت على الزواج. حددنا موعد العرس في ٢٤ ابريل (نيسان) ١٩٧٠ وهو يوم عيد مولدي الثاني والعشرين.

كان العرس مناسبة للفرح وكنّا غاية في السعادة وهو لم يكن مجرد احتفال، بل قمة انتصار كبير تضافرت كل جهود العائلة لتحقيقه بعزم نابع من اليأس.

إلا ان جعبة الحياة لم تفرغ من المفاجآت المرة.

ففي شهر يونيو (حزيران) قضت شقيقتي مونيك في حادث سيارة وهي لم تتجاوز ربيعها السابع عشر. ومرّت علي أيام رهيبة. لماذا خطف الموت هذه الصبية التي أحبّت الحياة كثيراً؟ لو كنت أنا من اختارته المنية لبدا الامر طبيعياً أكثر.

على ان ما قالته لي والدتي يوم الجنازة ما زال صداه يتردد في ذهني: "لن تصاب بنكسة، يا حبيبي، ليس لك الحق في ذلك."

شدت هذه الكلمات عزيمتي. كنت مرتبطاً بعقد عليّ أن أنفذه، والاستسلام ليس من حقي. من أجل والديّ، وأبي بالتحديد، كان علي أن أفي بالتزامي.

أكملنا مسيرتنا في الحياة بالتي هي أحسن.

وحلّ العام ١٩٧١. لقد انقضت ستة اشهر وكنت في اتم الصحة. وأعدت طلي المنزل الذي استأجرته أنا وبياريت وفرشنا ارضه بالسجاد. لم يكن لدي متسع من الوقت لانجاز كل ما تقت الى اكماله.

ودرجنا على تناول طعام الغداء كل يوم أحد في منزل والدي، مما اتاح لهما أن يراقباني عن كثب. وكل أحد كنا نتبادل عبارات كأنها شعائر مرسومة، فكانا يسألانني: "هل أنت بخير؟"

فأجيب: "بالتأكيد، أنا كما تريان قوي كجبل إفرست."

- انما يبدو عليك التعب.

"التعب؟ لا، أبداً. انني ممتلىء نشاطا."

بهذا كان ينتهي الاستجواب حول صحتي. وكنت أعرف أن أبي لا يرغب في

اطالة هذا الحديث. كان يكتفي بالنظر الي، فأقرأ في عينيه فرحاً عظيماً ممزوجاً بالفخر.

واشتريت وزوجتي قطعة أرض في الريف لنشيد عليها منزلا. وللحال غرقت في العمل الشاق. كنت أملأ عربة اليد بالاسمنت والخشب والاكياس وأجرها. كانت ارادتي اقوى من جسدي الذي طالما رجاني لاتوقف. والواقع اني كنت اسجّل أول انتصار لي من دون مساعدة أحد.

ثم اعتدت الجهد الجسدي ولم أعد أشعر بألم في عضلاتي من جراء العمل. وجاءت نتائج الفحوص جيدة وكانت كليتي تعمل حسناً على رغم الاجهاد الذي تعرّضت له.

وانتقلنا الى البيت الجديد بعد أربعة أشهر من العمل المضني.

وجه في الذاكرة

كان شهر فبراير (شباط) من العام ١٩٧٦ بارداً ومثلجاً. عدت من عملي الى المنزل واصطحبت زوجتي الى السوق. بدا كل شيء طبيعياً في ما عدا شعور داخلي غريب.

في طريق عودتنا الى البيت عرجنا على أصدقاء لنا في لومان لنأخذ سيارتنا الثانية التي تركناها عندهم. كانت السيارة متوقفة في مرأب خاص خلف المنزل. وما ان اقتربنا منها حتى لفتتني رقعة من الورق مثبتة تحت مسّاحة الزجاج الامامي. فتوجست شراً وتملكني رعب غريب وراحت يداي ترتجفان ولم أجرؤ على التقاط الورقة.

حملت الرسالة توقيع اصدقائنا أصحاب المنزل، وكل ما فيها كان هذه العبارة: "الرجاء الاتصال بنا حالا."

وخلت الامتار القليلة الفاصلة بين المرأب والباب الامامي للمنزل كيلومترات.

سألتهم ما الامر.

فجاء الجواب موجزاً ومتقطعاً: "حصل حادث في محطة السكة الحديد حيث يعمل والدك، وعليك ان تتوجه حالا الى منزل ذويك."

لم نجد أحداً في منزل والديّ. فاندفعنا الى محطة السكة الحديد حيث رحّب بنا أحد الحرّاس. فبادرته: اسمي جايني وأريد بعض المعلومات عن الحادث. أظن أن والدي بين المصابين.

رفع الحارس سماعة الهاتف ثم ادار القرص وانتظر قليلا ثم سمعته يقول: "عندي سيد اسمه جايني، وهو يريد ان يستعلم عن الرجل الذي أصيب عندنا. انتظر قليلا، سأدعه يكلمك."

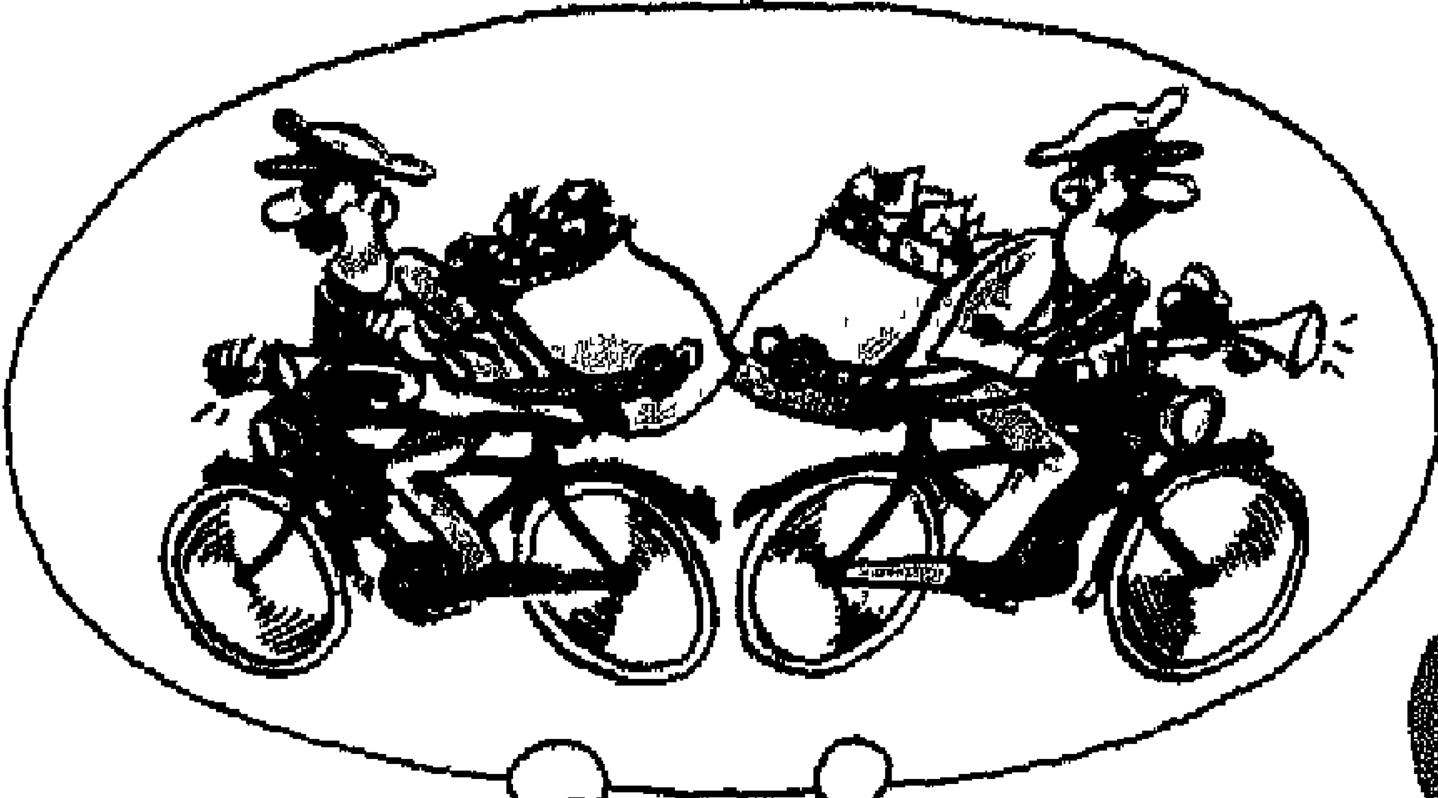
انتزعت سماعة الهاتف بانفعال لأسمع ما خشيت أن أسمعه: "حالما اكتشفنا الحادث نقلنا جثمان السيد جايني الى البراد."

استندت الى بياريت ونحن في طريقنا الى الخارج. لن أرى بعد الآن وجه أبي الباسم وعينيه العابثتين ولن أسمعه يروي النكات التي طالما أضحكته. لقد رحل أبي، لكن وجهه سيظل محفوراً في ذاكرتي، وسيظل جزء منه حياً فيَّ يمدّني بالحياة.

شكراً لك مرة أخرى يا أبي.

جان - مارك جايني ■

اكتب واربح





هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.



- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٣٨، المتن الشمالي، لبنان.



"قاطفة الدراق" للفرنسي إيف غان

سبتمبر (ايلول) ١٩٨٦، محرَّم ١٤٠٧

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest September 86 N° 94



خرافات عن الهررة

(ص ٧٥)

أين الصعوبة في خفض الوزن؟

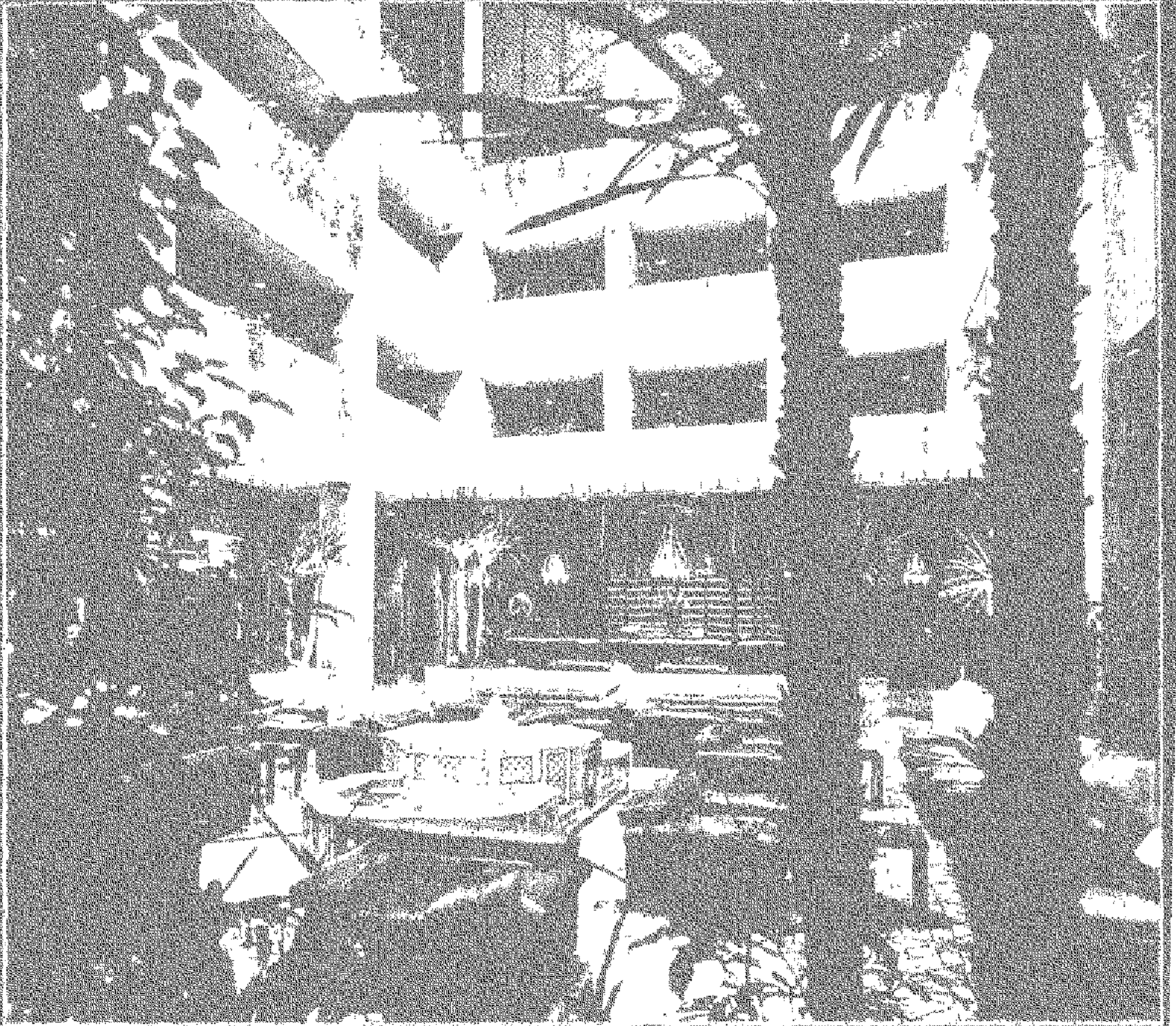
(ص ١٨)

من روائع القصص
لا كازا نوسترا

(ص ١٢٠)

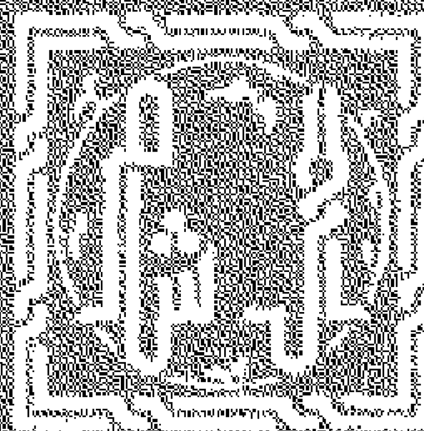
اكثر من مئة مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٩ بلداً بـ١٥ لغة

فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة، بل إنه مدينة قائمة بذاتها... صُمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت تستريح في غرفتك، أو كنت منهمكاً في عملك... فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية... ولا ننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفتخر بها ونحافظ عليها.



للحجز: فندق الشام - ص.ب: ٧٥٧٠
تلكس: ٤١١٩١١
رقم الهاتف: ٢٣٢٣٠٠ (٤٠ خط)
تلكس [illegible]: ٤١١٩١٠ (٤٠ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠
التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب٨٧٠٧ بيروت – لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE .
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630
P.O.Box 55228, El-Metn. Lebanon.
MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

September 86 N° 94 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

لبنان ١٠ل – سورية ١٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٤ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٦٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د



سيتيزن
CITIZEN



حديقة أفكار

■ لعبة الحياة تشبه قذيفة البمرنغ المرتدة، اذ ان أفكارنا وأعمالنا وكلماتنا ترتد الينا عاجلا أم آجلا وبدقة مذهلة.

فلورنس سكوفل شين، رسامة أمريكية

■ تحصّن بالقناعة، فانها قلعة لا تقتحم.

ابيقطيتس، فيلسوف يوناني

■ الآباء هم العظام التي يشق عليها الاولاد أسنانهم الاولى.

بيتر اوستينوف، ممثل ومنتج بريطاني

■ الفضول هو المدرسة الاولى التي ابدعتها الطبيعة.

سمايلي بلانتون

■ الضحكة النابعة من القلب هي رياضة داخلية لا تضطر المرء الى الخروج من بيته.

نورمن كوزنز، صحافي أمريكي

■ أعظم حق في الوجود هو حقك في أن تكون على خطأ.

هاري واينبرغر

■ القطط تحظى بكل شيء، بالاعجاب والنوم الطويل والرفقة، ولكن حينما ترغب هي في ذلك.

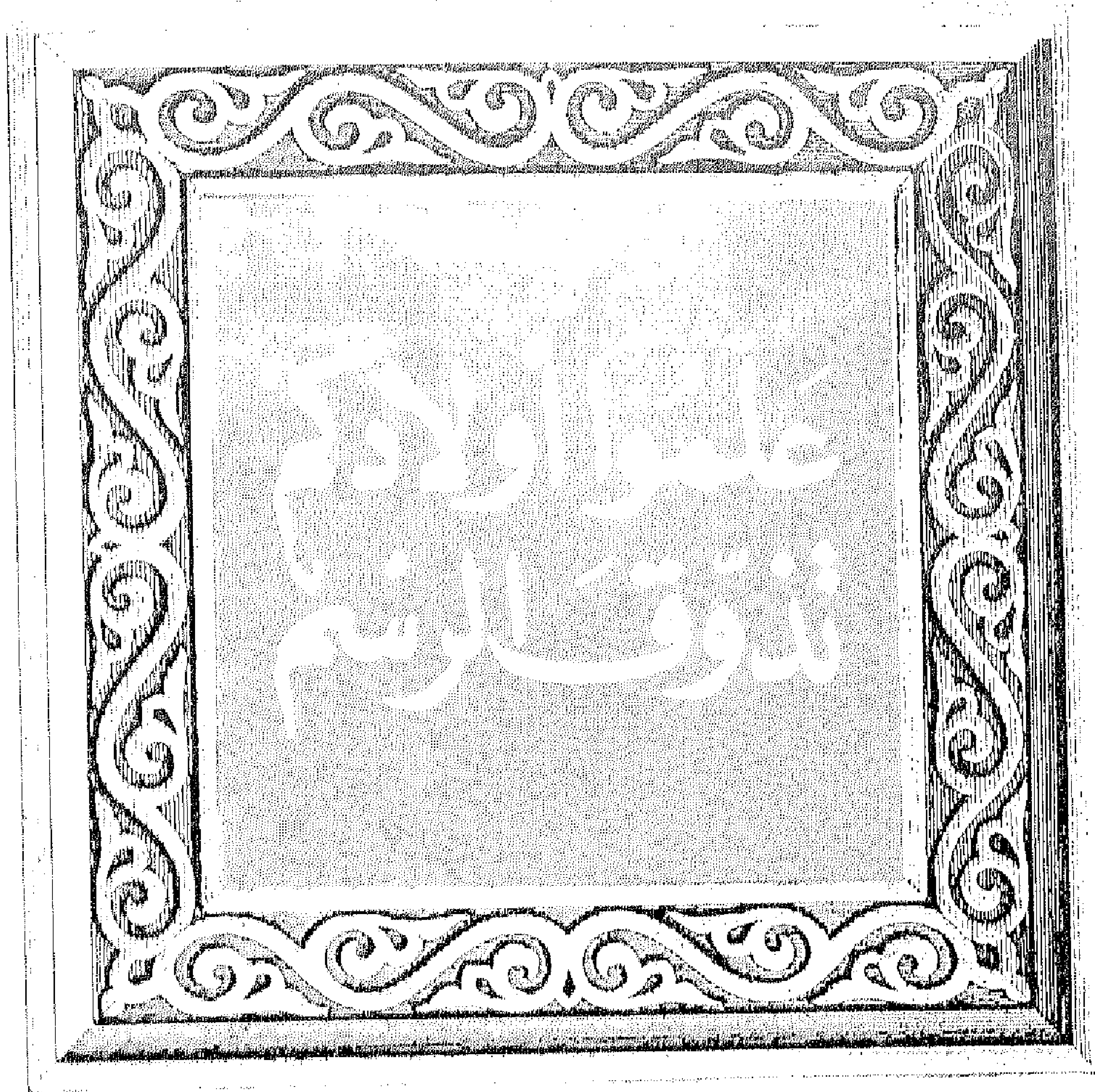
رود ماكوين

■ الأصدقاء هم أولئك النادرون الذين يسألوننا كيف نحن ثم ينتظرون لسماع الجواب.

إد كاننفام

■ الافكار لا يمكن أن تزول فكل فكرة جديدة تنطوي على معنى من الخلود.

ادوار دي بونو



كيف تهب أسرتك عمراً كاملا من متعة النظر والرؤية؟

سألتني ابنتي جيني ذات السنوات الثماني خلال تناولنا العشاء ذات مساء: "ما غاية اللوحات؟"

كان ذلك سؤالا عسيراً، فقلت: "أظنها وجدت ليستمتع الناس بها". وتذكرت بامتنان ساعات السعادة التي جادت عليّ اللوحات بها، إذ أتاحت لي النظر الى بشرة طفل في نعومة الحرير، أبدعتها بإحساس فائق ريشة الفنان رينوار، أو الى وجه متجعّد لامرأة عجوز صوّره رمبرانت بخطوط وألوان معجونة بالشفقة، أو جعلتني أندمج في مسرحية سموات مقاطعة سافولك البريطانية التي تجتاحها السحب كما رأتها عين كونستابل النفاذة. ترى أي هدية تدوم مدى العمر يمكن أن نهديها الى أطفالنا أفضل من تعليمهم كيف يحبون اللوحات؟ يقول تيري ميشام، مساعد مدير متحف

"تيت غاليري" في لندن: "افتح عيني الطفل على الفن، تدفع به في رحلة اكتشاف ذاته والآخرين."

في بيتنا معرض فني مرتجل، لوحاته ملصقة على باب الثلاجة. وفي ذلك المعرض الآن بطاقة بريد عليها صورة كلبي صيد بريشة الفنان "ستابس"، اختارتها جيني الشغوفة بالكلاب خلال زيارة قمنا بها لمعرض تيت، ولوحة سوريالية لماغريت ارسلها الينا من الكلية ابني أندرو الذي يدرس النحت، وصورة لليوناردو دافينشي تمثل حسناء من فلورنسا جلست ساهمة مستغرقة في التأمل، وقد قصتها كلير من احدى المجلات، وملصق زاهي الألوان عن الفن الشعبي في فنزويلا، جاءت به ابنتي أليسون الكثيرة الأسفار. وتتغير الصور باستمرار في ذلك "المعرض" المنزلي، وقد تجد لوحات لهوغارت في شهر من أشهر السنة واخرى لهوكني في الشهر التالي. فكلّ منا يضيف الصور التي تجتذبه ليراها الآخرون بهدف التذوق والنقد خلال ترددهم على الثلاجة طلباً للطعام والشراب. والحق اننا عملنا على تنشئة أولادنا بحيث يشعرون ان الفن جزء مغذ وممتع من حياة كل يوم، كالحليب والبيض والزبدة.

وهناك اماكن اخرى كثيرة في المنزل يتاح لأبنائنا أن ينظروا فيها الى الصور الفنية - في المجلات ونشرات المعارض الموضوعة في غرفة الجلوس، وعلى لوحات في غرف نومهم يمكن كلا منهم أن يلصق عليها الصور التي تثير اعجابه، وفي الكتب الضخمة التي تضم صورا للوحات الفنية، والموضوعة في متناول الجميع على رف منخفض وملاصق لمنبسط السلّم.

وفوق جدران بيتنا الصغير مجموعة منوعة من نسخ اللوحات الكلاسيكية ولوحات أصلية مطبوعة بالليتوغراف (على الحجار) وصور رسمها الأولاد أنفسهم، وهذه الاخيرة تحظى بالعناية نفسها التي نوليها للصور الاخرى. ومما يجعل هذه العملية سهلة وقليلة الكلفة اننا نستخدم مجموعة متباينة الاحجام من الأطر التي يمكن تغيير الصور الموضوعة فيها بسرعة. ان هذه المعاملة المبنية على الاحترام توفر مقداراً كبيراً من التشجيع لهواة الفن الصغار، وتساعد على اقامة معبر فوق الهوة التي تفصل عادة بين "دروس الفن" في المدرسة والفن الكلاسيكي الذي تمثله لوحات الفنانين الكبار. وفي أسرتنا نشترك جميعا في مناقشة المكان الذي ينبغي أن تعلق فيه الصور، وكثيرا ما نغير مواضعها. فقد لاحظت ان اللوحة او الصورة عندما تظل في موضعها على الجدار سنوات بأكملها، تفقد تأثيرها وتكاد تصبح غير مرئية لمن ينظر اليها.

عشق اللوحات - أليسون، أكبر بناتي، عشقت لوحات الانطباعيين منذ طفولتها. وعاشت وعلى جدران غرفة نومها مجموعة من البطاقات البريدية تمثل لوحات دوغا ورينوار. وقد رافقتني وهي مراهقة لزيارة متحف "جو دو بوم" في باريس حيث مجموعة اللوحات الانطباعية الرائعة. واوشكت ان تصيح فرحاً وهي تتمشى في ارجاء المتحف وترى صوره المفضلة

(التتمة في الصفحة ٨)

الصغيرة المعلقة فوق فراشها في البيت تتحول أمام عينيها الى روائع كاملة الأحجام. ولم تتمالك نفسها من الهتاف: "يا الله! انها كلها حقيقية!"

ويعود عشق أليسون للوحات الى الفترة التي تابعت فيها دروس الباليه. وقد اشتريت لها آنذاك كتيباً يضم نسخاً للوحات الراقصات بريشة الفنان دوغا. أما كلير فقد شعرت بالميل الى مشاهدة اللوحات بتأثير من حبها للجياد. وأياً يكن نوع الولع لدى الطفل، فمن الممكن اتخاذه مدخلا شائقاً الى الفن العظيم. فعالم الحشرات المولع بعمله، حري به ان يحملق في لوحات الزهور للفنانين الهولنديين بحثا عن الحشرات المختبئة في تلك الزهور. وعشاق الملاحة ستخلب ألبابهم من دون شك لوحات تيرنر التي صور فيها العواصف البحرية. وعازفو القيتار يمكن أن يبحثوا في اللوحات عن القيثارة والماندولين والعود، فضلا عن العود القديم المزدوج العنق. أما أصغر بناتنا، جيني، فقد أحبت الكلاب دائما. وهكذا، فانها خلال زيارة قمنا بها اخيراً للمعرض القومي للفن، ظللنا واياها ننتقل من قاعة الى قاعة لعقد أواصر الصداقة مع الكلاب في لوحات مشاهير الفنانين: مع كلب صيد من فصيلة "ترير بروكسل" في لوحة فان آيك المعنونة "عرس أرنولفيني"، والكلب المتبسم المضطرم رغبة من فصيلة "سبيتز" في لوحة غينزبورو "نزهة الصباح"، والكلب الوديع الهادىء في لوحة سورات المعنونة "المستحمات".

وبعد عثورنا على نحو ست صور من صور الكلاب، اختتمنا زيارتنا للمعرض وتوجهنا الى الخارج لنلقي الطعام الى الحمام. فاللوحات العظيمة كقطع الحلوى الدسمة، يستمتع المرء بتناول واحدة منها او اثنتين اكثر من تناوله اياها بالدزينة واصابته بعسر الهضم.

مشاركة الاطفال – ان معرض ساوثامبتون للفن واحد من عشرات المعارض في مختلف أنحاء بريطانيا العظمى التي تبذل قصارى جهدها لاشراك الأطفال في نشاطاتها. فقد تولت مجموعة من الأطفال في السابعة من أعمارهم اختيار اللوحات لاحد المعارض التي اقيمت حديثاً وتحرير الدليل الخاص بها. كما تعد للصغار مسابقات مبنية على تفاصيل وأجزاء من مختلف اللوحات لاختبار مدى معرفتهم اياها. وقد اشترك ١١ الف طفل في مسابقة المعرض القومي التي اقيمت صيف ١٩٧٧ حول موضوعات تثير اهتمام الصغار في لوحات الفنانين. ولا يتطلب الأمر الا دقائق معدودة للاتصال بالمعرض القريب من مكان السكن، والاستفهام من القسم التربوي فيه عن مختلف النشاطات الممتعة المعدة للصغار في ذلك المجال.

وقد بدأت جيني تستمتع بمسابقاتنا العائلية المفضلة التي ترمي الى اكتشاف الرموز التي تمثلها الحيوانات والزهور والفاكهة في اللوحات: فالكلب يرمز الى الوفاء، ووحيد القرن الى النقاء، والوردة رمز الحب، والتفاحة الخطيئة، والرمان البعث والنشور، والكرز جنات النعيم.

ونظرا الى اني عملت على غرس محبة

الفن في نفوس اطفالي منذ الصغر، فانني الآن أجني الثمار الطيبة الممتعة بتعلمي منهم. فعندما اذهب لزيارة المعارض الفنية مع ابني اندرو الذي يدرس الفن، يصبح هو دليلي، فيشرح لي المسائل المستدقة المكنونة في ما أراه، وينقل اليّ عدوى حماسته.

وأطفال اليوم ينشأون أمام الصور المتحركة التي تجتذب العين على شاشة التلفزيون. ولذا، فانهم يجدون التركيز على الصورة الثابتة في اللوحة الفنية امراً صعباً. وحتى الخبير المتمكن، السير كينيث كلارك، يعترف في كتابه "النظر الى اللوحات" بأنه ليس من السهل أن يفعل المرء ذلك، اذ يقول: "وفي تصوري، لا يستطيع المرء أن يستمتع باحساس جمالي خالص وقتاً أطول من الوقت الذي يسعه أن يستمتع فيه برائحة برتقالة. وهذا الوقت، بالنسبة الي، يقل عن دقيقتين."

كيف يسعنا، اذاً، ان نساعد محبي الفن من الصغار على النظر الى اللوحات الفنية، واطالة النظر اليها، ثم اعادة النظر، حتى يتذوقوا الصورة حقا؟

معرفة الميول – في رأيي – ولا أدعي أنه رأي خبير – يكاد يصلح لذلك أي أسلوب نلجأ اليه. فالطفل ذو الميول الحسابية يمكن أن نشده الى فن التصوير ونحببه اليه عن طريق شرح المنظور. وقد يساعدنا على ذلك استخدام لوحة من لوحات غواردي التي صور فيها مناظر مدينة البندقية لنبين له كيف أن الخطوط المتوازية جميعا سوف تتلاقى عند نقطة واحدة في الأفق. اما الطفل الشغوف بالتصوير فربما ودّ ان يكتشف الوسائل الأخرى التي يستخدمها الفنانون لجعل خلفية الصورة تبدو أبعد من اقسامها الامامية. ومن تلك الوسائل، على سبيل المثال، استخدام تكوينات مفصلة في الاقسام الامامية وتكوينات أقل تحديدا للموضوعات البعيدة.

ان أي طفل يتمتع بحس لوني جيد سيسحره أن يعلم ان الخيالات في اللوحات الانطباعية هي في الواقع ظلال متعددة تعكس الاشياء القريبة منها، وأن يكتشف بنفسه عدد الالوان التي توجد فعلا في مظلة سوداء بريشة رينوار، أو ثوب أبيض بريشة ويسلر، أو تفاحة خضراء في لوحة لسيزان؟ وقد تحديت أليسون ذات مرة أن تحصي عدد الألوان في تصوير مونيه لجذع صفصافة بنيّ، فوصلت الى ثلاثين ثم توقفت. الا أن تلك المحاولة اكسبتها نظرة جديدة الى مونيه، وفي الوقت ذاته الى طبيعة جذوع الأشجار.

وبالمثل، فان رواد معارض فن التصوير من ذوي العقول المنجذبة الى النواحي التقنية قد يلذ لهم أن يكتشفوا كيف يبدع الفنانون اللوحات الجصية وأعمال الحفر في الخشب ولوحات "الكولاج" (القص واللصق) وأعمال الفسيفساء. وفي اللوحات الزيتية يمكنهم البحث عن النقط اللونية المختلفة التي يجاور الفنان ما بينها بالطريقة التنقيطية التي استحدثها المصور سورات أو لطخ اللون الأبيض في لوحات كونستابل التي عرفت باسم "ثلج كونستابل" في تصويره

شارب بالتأكيد



"لروك الصاخب يتطلب قوة!"



"زواج الفيغارو" يتطلب ٤ ساعات
من الاستماع المتواصل!

اسأل أي هاو للموسيقى ثم اطلب شارب WF-939Z

٤٠٠ واط إقصى قوة خرج (PMPO) موسيقية مدوية، عكس اوتوماتيكي مزدوج لأربع ساعات من الاستماع المتواصل.

٤٠٠ واط اقصى قوة خرج تفوق متطلبات موسيقى الروك المدوية، نظام كاسيت مزدوج وعكس اوتوماتيكي مزدوج يحافظان على تواصل المقاطع السمفونية لأربع ساعات متتالية.

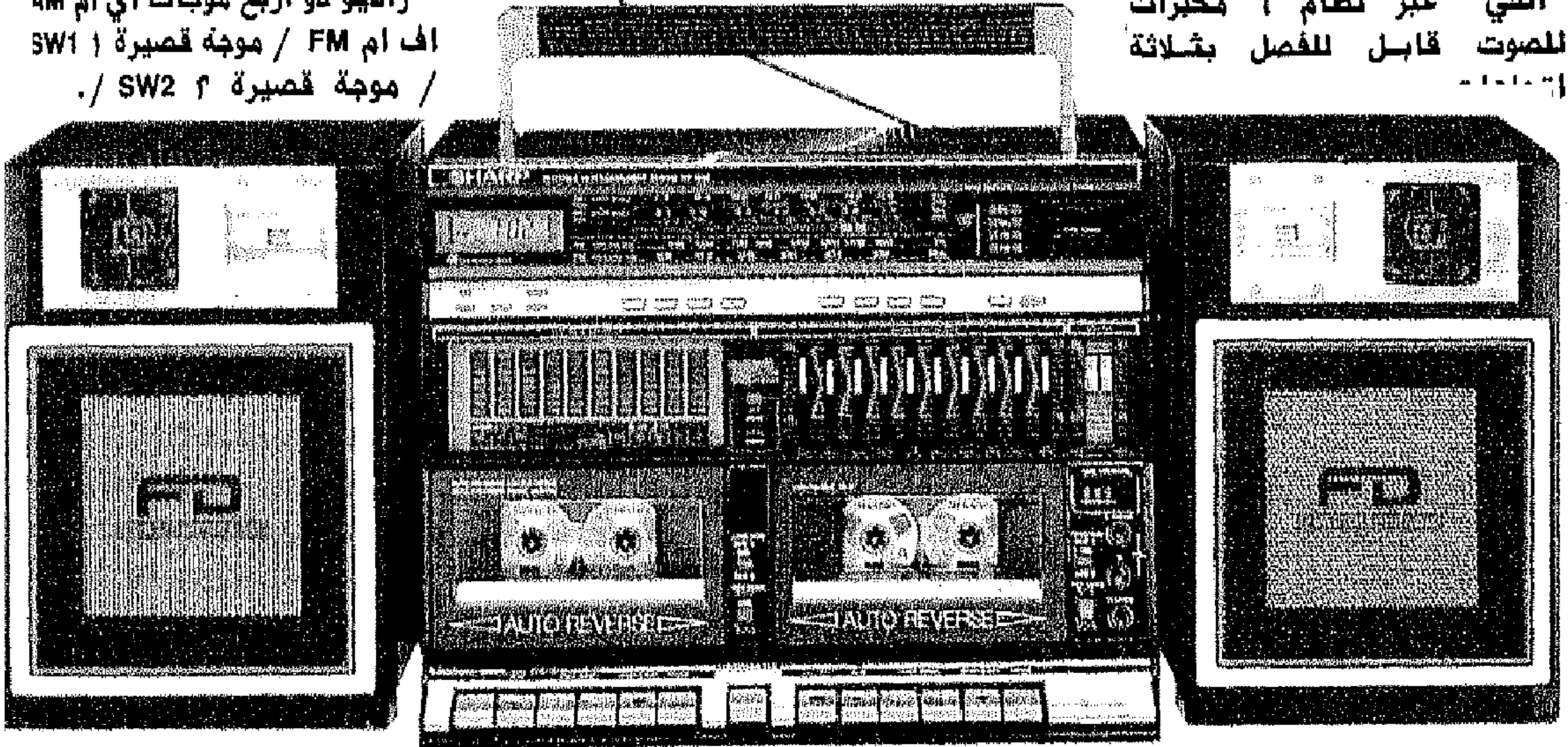
صوت مجسم مذهل يضاهي الأداء "الحي" عبر نظام ٦ مكبرات للصوت قابل للفصل بثلاثة ا...

النظام المتطور لمكبرات الصوت الستة ذو الاتجاهات الثلاثة والعشاء المسطح هو قابل للفصل من اجل افضل عرض صوتي مجسم ومهيأ لاستعمال النطاق الواسع والمتغيّر باستمرار من الاسطوانات المدمجة.

موازن تخطيطي ذو ١٠ موجات ومحلل موجي ذو ١٠ نطاقات للتردد يؤمنان ضوابط للنغم شبيهة بمواصفات ضوابط

استعملهما لتوليف الصوت ا الاستماع الى اصوات او آلات ممي لخلق الصوت الذي يناسبك.

WF-939Z نظام هاي - فا نقال مزدوج الكاسيت.
- ساعة كوارتز ومؤقت برامج.
- جهاز تحديد موقع البرنامج اوتوماتيكيا (APLD)
- نظام الايقاف اللحظي الاوتوماتيكي للبرنامج (APPS)
- نظام بدء النسخ بلمسة واحدة.
- راديو ذو اربع موجات اي ام AM اف ام FM / موجة قصيرة ١ SW1 / موجة قصيرة ٢ SW2 /.



شارب
SHARP
شركة شارب اليابان

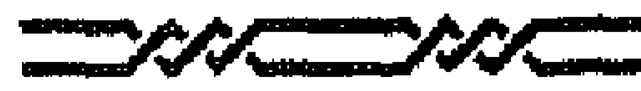
للمناظر الطبيعية، كما انه قد يشوقهم أن يخبرهم أحد عن عادة المصور غينزبورو الغريبة المتمثلة في الوقوف على بعد أمتار من اللوحة التي يرسمها واستخدامه فرشاة ممعنة في الطول، أو عن أسلوب "التصوير بالفعل" الذي ابتدعه جاكسون بولوك لرسم لوحاته التجريدية مستخدما في ذلك وسائل خارجة على المألوف كسكب الطلاء اللوني مخففا على عصا واسقاطه كقطرات أو في أشكال دائرية على قماش اللوحة المفروش على الأرض.

والأطفال يحبون أن يناقشوا مع الآخرين ما تستثيره فيهم اللوحات الفنية من عواطف. ولذا، فاني غالبا ما أسأل: "ما الذي تحملك هذه اللوحة على الشعور به؟" وقد يكون الجواب: "تجعلني أشعر بالغرابة والخوف"، أو: "تملأني توثبا ورغبة في الرقص."

وأحياناً يراودني شعور بأننا نشغل أنفسنا أكثر مما ينبغي في محاولة تفسير "معنى" اللوحات الفنية للأطفال. فالصغار يمكن أن يكون لديهم شعور غريزي بالصواب والتوازن. وما زلت أذكر يوم أخذت جيني الى معرض سوريالي. فبعدما شاهدت عددا من اللوحات التي تبهر العقل، وقفت أمام لوحة من لوحات سلفادور دالي وقالت: "هذه لا أفهمها". والمعنى الضمني الواضح لقولها أنها فهمت اللوحات الاخرى كلها بلا مشقة. والحق أني شعرت أنا حيال تلك اللوحات بحيرة بالغة.

وقد قال الفنان التعبيري الفرنسي النشط فلامينك: "ان التصوير كالطهي - يمكن ان نذوقه، ولكن لا سبيل الى شرحه". واظن ان هذا حكم باعث على الراحة في ما يخص الآباء الذين لا تتجاوز معرفتهم للفن حدود الهواية. فلا حاجة بنا الى ان نكون من المنظرين الكبار في مجال علم التغذية كيما ندع أطفالنا يتذوقون الطهي الجيد. وكذلك لا حاجة بنا الى أن نكون خبراء متخصصين كيما ندع أطفالنا يتذوقون اللوحات الفنية العظيمة. يكفي أن نجعلهم يرون الافضل: بضع لوحات قليلة كل مرة، وأن نشجعهم على أن يطيلوا الوقوف لمام اللوحة وينظروا اليها، سواء كانت في معرض كبير أو ملصقة على باب الثلاجة.

جانيت غراهام ■



الأم مدرسة...

كانت طالبة طب تقضي اجازة مع عائلتها. لكنها بقيت منشغلة معظم الوقت بحيث لم يتسنّ لها أن تجلس الى المائدة لتناول وجبة مكتملة. واستعانت أمها بكل ما لديها من سلطة لتشدد على أهمية التغذية الصحيحة، وأنهت كلامها يوماً بالقول: "على كليات الطب أن تعلم أطباء المستقبل أهمية التغذية الصحيحة."

وضمت الفتاة أمها الى صدرها وقالت: "انها ليست في حاجة الى تعليمنا ذلك. فالامهات يقمن بهذا الواجب على خير وجه."

ف.ل.

المختار
من ريدرز دايجست
سبتمبر (ايلول) ١٩٨٦ السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة



**تقول كوراسون أكينو
إنها كانت امرأة خجولة
لا تولي الشؤون العامة أي اهتمام
وانها بقيت "مجرد ربة منزل"
حتى اغتيال زوجها.
وهي اليوم تعمل على سنّ
نهج جديد لشعبها الذي يبلغ
تعداده ٥٥ مليوناً**

في شهر مارس (آذار) ١٩٨٦ تعالى في أرجاء الفيلبين هتاف يقول: "كوري! كوري!" معبّراً عن قوة الشعب الجارفة التي أنهت أكثر من عشرين سنة من طغيان فرديناند ماركوس ورفعت الظلم عن كوراسون أكينو وحملتها الى سدة الرئاسة.

وقالت الأرملة ذات الرداء الأصفر "إن العالم شاهد شعباً اعترض سبيل الدبابات الزاحفة وأخضع بمحبته الجنود الذين أُرسلوا لتفرقته وحطّم قيود الذل وأحل مكانها العزة والأنفة." ويبدو أن أكينو التي يؤيدها شعبها تأييداً عارماً هي في وضع يمكّنها من مواجهة المشكلات السياسية والعسكرية والاقتصادية التي تشلّ الفيلبين.

وتعوّل أكينو في إنجاز هذا العمل الشاق على شجاعة جمة وظرف كثير

وقدرة على الاحتمال عظيمة، لكنها لا تتمتع بتجربة سياسية مباشرة كما أنها لا تملك فريقاً سياسياً منظماً. فالسيدة انديرا غاندي كان والدها هيأها لتكون خليفته. ومارغريت تاتشر سياسية محترفة شقت طريقها في صفوف حزبها لتتولى مركز القيادة. أما كوري اكينو التي غلب التردد على ترشحها للرئاسة فقد باتت رئيسة الفيلبين في ٧٦ يوماً فقط.

في ظل الزوج – الحق أن جزءاً كبيراً من نجاح كوري أكينو له مدلول رمزي. فملابسها الصفراء تحيي ذكرى اغتيال زوجها الذي استقبله الفيلبينيون بأشرطة صفراء يوم رجوعه الى الوطن. وعليها الآن إخضاع نفسها لامتحان يومي يتعلق بالأعمال التي تزمع تنفيذها. وسيتعين عليها خلال تعاطيها السياسة الفيلبينية أن تتعلم التعامل مع الرجال الذين يحيطون بها. وهؤلاء لم يتعودوا العمل المشترك مع النساء، فكيف يمكنهم العمل بامرة احداهن؟ ولا ريب في أن حلفاءها وخصومها جميعاً سيعمدون الى امتحان خبرتها السياسية. فاليسار سيعمد بلا شك الى سبر شخصيتها. و"جيش الشعب الجديد" الذي يقوده الشيوعيون سيعمل على اختبار صلابتها. غير أن الذين يرون فيها مجرد ربة منزل محتشمة ستعروهم الدهشة عندما يدركون أنها تتمتع بمزايا كثيرة أخرى. ويقول وزير الزراعة الجديد رامون ميترا: "لم تعد كوري السيدة التي كانت تقدم الينا القهوة."

إن كوراسون أكينو التي يبلغ طولها ١٥٨ سنتيمتراً ربما بدت في دقة خيط حرير، الا انها ذكية صلبة قلما تتراجع عما تعزم عليه. فهي مكثت ٢٨ سنة في ظل زوجها بنينيو أكينو الابن ذي الموهبة القيادية التي حببت به الشعب. ولم تكن ترى أن لها شأناً في السياسة، إذ كانت "مجرد ربة منزل." وقد كرّست نفسها لأسرتها. فعندما سُجن "نينوي" انبرت الى متابعة عمله. وعندما نفي عام ١٩٨٠ رافقته الى منفاه. وعندما اغتيل لدى عودته الى الفيلبين في أغسطس (آب) ١٩٨٣ أبرزت هذه المرأة المفرطة في خجلها في واجهة الاحداث، فبدأ ترملها وحياتها السياسية في اللحظة نفسها، والواقع أنها لم تكن على أهبة لأي من هذين الأمرين.

إلا أنه كان في داخلها امرأة أخرى تتمتع بقوة فائقة. ولم يكد ماركوس ينهار في فساد نظامه حتى تحولت فجأة قائدة حازمة لشعب يبلغ عدده ٥٥ مليون نسمة.

أعياد في السجن – ولدت كوراسون كوجوانكو قبل ٥٣ عاماً في أسرة غنية ذات علاقات اجتماعية جيدة في جزيرة لوزون بالفيلبين. وكانت الاسرة تعيش من زراعة قصب السكر وتملك أراضي واسعة. وكان أقارب كوري أعضاء في الكونغرس ومجلس الشيوخ والجمعية الوطنية. وحين التحقت بكلية ماونت سانت فنسنت في مدينة نيويورك بفضل غنى أسرتها وتقاليدها، لم تكن لها أهداف مختلفة عن أهداف أترابها المنتسبات الى أصل

كريم. فقد تخصصت باللغة الفرنسية وكان طموحها آنذاك أن تصبح معلمة أو مترجمة. وتذكر جانيت هانون التي كانت تسكن معها في المبنى الخاص بالطالبات انها "كانت تبدو ناعمة رقيقة سهلة الانقياد، لكنها كانت دائماً تنمّ عن أنها تتمتع بقوة داخلية."

وعندما رجعت الى وطنها في أثناء العطلة وقعت في حب نينوي أكينو الذي كان صحافياً شاباً. وانتهى بهما المطاف الى الزواج. وفيما انهمك نينوي في الحياة السياسية أنجبت كوري خمسة أولاد وبقيت بعيدة عن الحياة العامة. وفي هذا يقول رامون ألكاراز الذي كان أحد رفقاء نينوي في المعارضة: "كنت أنا ونينوي نتحدث في الخطط السياسية فيما كانت هي تطبخ. ولم تكن تقاطعنا إلا لتسألنا ماذا نودّ أن نأكل."

على أن هذه الحياة الهادئة الخاصة انتهت عام ١٩٧٢ عندما فرض ماركوس الأحكام العرفية وسجن ألوفاً من خصومه السياسيين. وأمضى نينوي نحو ثماني سنوات في السجن بعد اتهامه بالقتل والتدمير واستخدام أسلحة نارية على نحو مخالف للقانون. وبات على زوجته الوادعة أن تتحلى بالصلابة ففعلت. وكانت تزوره ثلاث مرات أسبوعياً. وقد احتفلت الاسرة بأعياد الميلاد في معتقل مطوق بالاسلاك الشائكة ونام أفرادها على حُصر فرشت في زنزانة نينوي.

بطة صينية – عام ١٩٧٨ سمح ماركوس للمعارضة بالمشاركة في الانتخابات، فأعلن نينوي ترشحه من زنزانته وتولت كوري شؤون حملته الانتخابية. ويقول همرسون ألفاريز أحد أصدقاء الاسرة "إن كوري أخذت على عاتقها توحيد المعارضة." وتضيف كوري: "لقد أعدّتني تلك السنوات لأعظم مأساة في حياتي."

وحين أطلق نينوي عام ١٩٨٠ انتقلت الاسرة الى بوسطن (ولاية مساتشوستس). وسعدت كوري بالرجوع الى تدبير منزلها. وأمضت أسرة أكينو ثلاث سنوات في نيوستن، وهي إحدى ضواحي بوسطن الغنية. وكانت كوري تربي أولادها وتشاهد التلفزيون وتقرأ القصص وتطبخ للعائلة. وكان لديها فرن مستقل تستعمله في طبخ طبقها الخاص، أي البطة الصينية. وقد قدمت هذا الطبق الى زوجها عشية عودته الى الفيلبين.

وعندما علمت باغتيال نينوي جمعت أولادها ورجعت الى الفيلبين. وعلى رغم أن همها الوحيد كان الاعداد لدفن زوجها فقد حضها الفيلبينيون الذين اغضبهم الاغتيال على متابعة عمل نينوي. فقاومت رغبتهم في بداية الأمر وقالت: "ليست هذه طريقي."

واضطر ماركوس الى الرضوخ للضغط، فحاكم الجنرال فابيان فير وخمسة وعشرين آخرين بتهمة التآمر لتنفيذ الاغتيال. وعندما أعلنت براءتهم جميعاً ازداد تأييد الجمهور لزوجة الضحية. ومنحها هذا التأييد الشجاعة والقدرة اللازمتين للاضطلاع بمعارضة عنيدة. ولما كانت المعارضة منقسمة حول مقاطعة الانتخابات النيابية في مايو (أيار)

١٩٨٤ فقد عارضت كوري القادة الذين كانوا يحبذون المقاطعة وزيّنت لهم المشاركة في الانتخابات. وكان أن صدق ظنها ففازت المعارضة بثلث المقاعد النيابية وأنشأت قاعدة لها في السلطة الاشتراعية.

"أنا أتخذ القرارات!" - مع أن كوري كانت لا تزال تريد العودة الى "عالمها الخاص" فإن الفيلبينيين لم يدَعوها تحقق هذه الرغبة. فحين دعا ماركوس الى انتخابات رئاسية متسرعة في فبراير (شباط) ١٩٨٦ كانت حجة مناصري كوري أنها هي وحدها تستطيع توحيد المعارضة. فسألت: "وماذا أعرف عن شؤون الرئاسة؟" غير أن القوتين الأساسيتين في حياتها - زوجها وإيمانها العميق - دفعتاها الى أمام. وتذكرت قول نينوي قبل عودته الاخيرة الى الفيلبين إنه لن يسامح نفسه إذا هو لم يفعل وسعه في سبيل قضيته.

والى ذلك كانت لترشيح كوري لانتخابات الرئاسة أسباب روحية. فعندما وقّع ١،٢ مليون فيلبيني عريضة يحضونها فيها على الترشيح، اعتزلت الناس يوماً واحداً للصلاة وأخبرت أصدقاءها أنها تأمل أن يعفيها الله من تحمل هذه المسؤولية الثقيلة. غير أن مشيئة الله أتت مخالفة لرغبتها فرجعت من عزلتها وأعلنت انها ستترشح. وكان سلفادور "دوي" لوريل منافسها في قيادة المعارضة يأمل أن تكون كوري رمزاً في الحملة الانتخابية وتتخلى عن الترشيح لمصلحته. إلا أن لوريل هو الذي تراجع في نهاية المطاف.

وفي أثناء الحملة أجهدت كوري نفسها كثيراً وأعرب مساعدوها وأفراد أسرتها عن قلقهم على سلامتها. غير أنها اتخذت موقفاً مختلفاً وقالت: "ما دمت أرى أن عليّ إنجاز أمور معينة فسأمضي قدماً لانجازها." وبدا واضحاً أنها تمكنت من استيعاب دورها الجديد فلم تعد تقول بخجل: "إنك حقاً تسألني سؤالا صعباً،" وشرعت في وضع خططها السياسية. وكانت تعمل ١٦ ساعة يومياً. ولاحظت بسرور أنها فقدت ٤،٥ كيلوغرامات من وزنها.

وحين زوّر ماركوس نتيجة الانتخابات باتت مواجهة ذلك الامر امتحانها الاعسر. فأعلنت أنها هي الفائزة ورسمت خطة عصيان مدني أطاحت ماركوس في خاتمة المطاف. وكانت كوري أعلنت خلال حملتها الانتخابية: "إنني امرأة عنيدة. فأنا أستشير كثيرين من الناس لكنني أتخذ القرارات بنفسي."

عصر أكينو - إن القوى التي اجتمعت على مناهضة الرئيسة الجديدة هي مذهلة حقاً. وبعد سنتين من الركود المدمر نجد أربعين في المئة من القوة العاملة عاطلة عن العمل أو هي تعمل على نحو متقطع. والى ذلك فهناك سبعون في المئة من الأسر لا تحصل على كفايتها من الطعام.

ولا شك في أن الرئيسة أكينو تملك الوسائل الكفيلة بتحسين وضع الفيلبينيين العاديين. وقد يستغرق ذلك وقتاً طويلا، الا أن الاقتصاديين يرون أن الفيلبين يمكنها استئناف النمو السريع الذي كانت تتمتع به في منتصف

السبعينات إذا وجدت حكومة نزيهة مستقرة.

فإذا حدث ذلك، ونجحت أكينو في إصلاح الفساد داخل المؤسسة العسكرية، فالضغط السياسي والعسكري سيتضاءل ويبدأ "عصر أكينو." فهل تتمكن كوري من تحقيق هذا؟

من حسن الحظ أن الرئيسة الجديدة محاطة بمستشارين موهوبين ومدعومة من فاعليات شعبية قوية. وهي بارعة في استعمال القوة كما أدرك ماركوس متأخراً. وعلى رغم احتفاظها ببعض مظاهر سيدة المنزل المتزمتة (ومن هذه المظاهر ارتداؤها ثياباً متواضعة حتى عندما تخلع الثياب الصفراء) فمن الواضح انها بدأت تتعود لقب "السيدة الرئيسة." وعندما تُسأل لماذا انتُخبت تجيب: "لأنني أرملة نينوي." ثم تضيف: "ولأنني أيضاً كوري أكينو."

مجلة "نيوزويك" ■

حارس النسيان

ترجل ضابط امريكي من سيارته أمام ثكنة عسكرية في ساعة متقدمة من الليل وأسرع الى مهجعه، لكن الحارس اعترضه صائحاً: "قفا عرِّف بنفسك!"

وأذعن الضابط للامر وأعلن اسمه ورتبته ورقمه والوحدة التي ينتمي اليها وجعل ينتظر بطول أناة ان يكمل الحارس المهمة فيدعوه الى التقدم منه للتعرف اليه.

ولما طال انتظاره قطع الضابط الصمت قائلا: "أليس من واجبك أن تضيف شيئاً آخر بعد هذا؟"

فرد الجندي: "بلى، واياك أن تتحرك قبل أن أتذكر ماذا ينبغي أن أضيف."

ك.ب.

هرة مدللة جداً!

ضم فريق من السياح امرأة نباتية التزمت أكل الخضر من دون اللحوم. وهي مضت تتحدث عن هرتها المدللة واعترفت بأنها تطعمها لحوماً معلبة غالية الثمن. وحين سئلت كيف يصلح اللحم للهرة ولا يصلح لها، أجابت: "ان لها نظرياتها كما ان لي نظرياتي."

د.غ.

استمرارية...

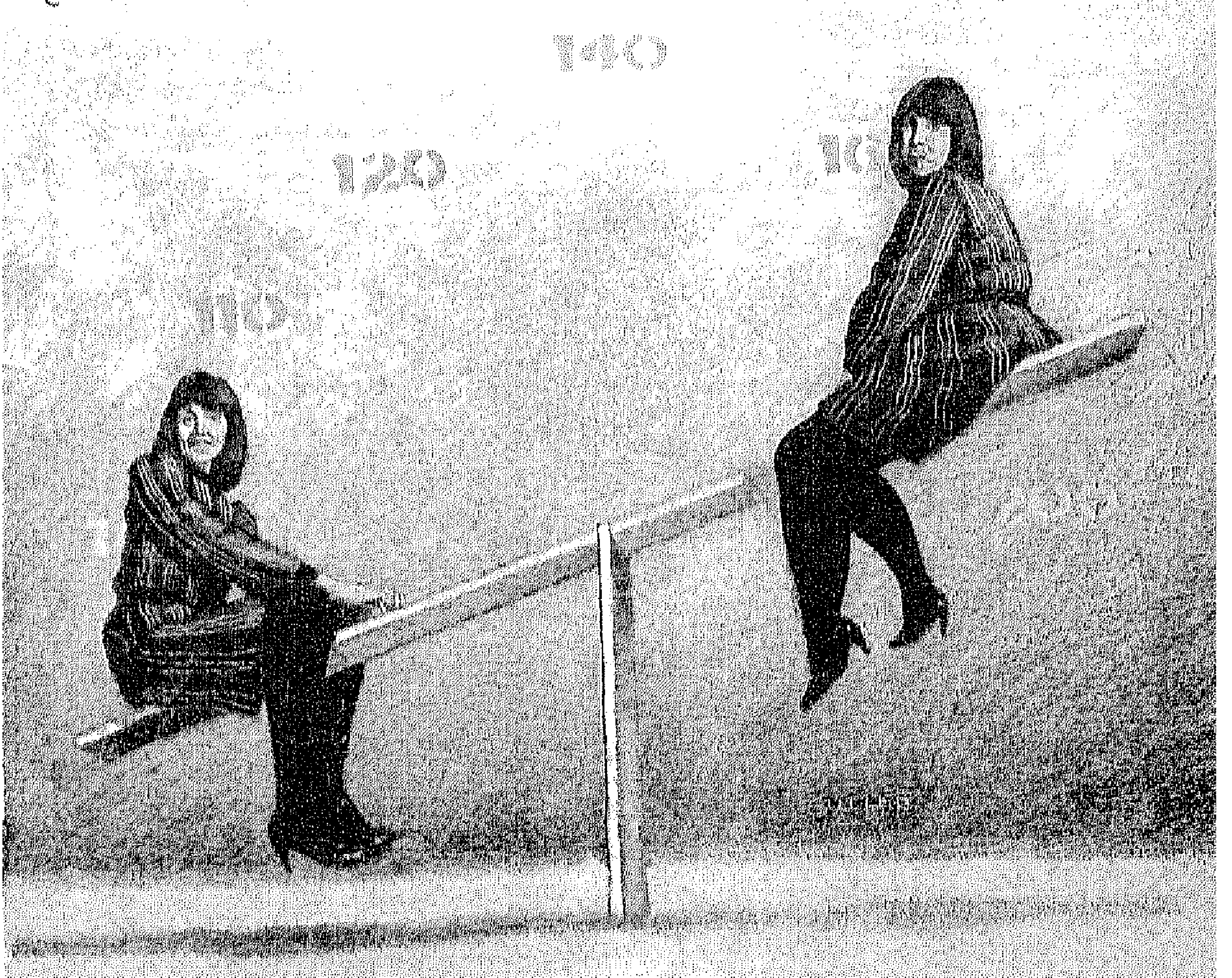
عندما عاد المعلق الرياضي ستانلي وودورد الى عمله السابق في صحيفة "نيويورك هيرالد تريبيون" بعد ١١ سنة من طرده، افتتح مقالته الاولى بالعبارة الآتية: "كما كنت أقول حين قوطعت بفظاظة..."

ر.ك.

السّمنة: المعركة طويلة

كثيرون من متبعي الحمية لا يلبثون أن يستعيدوا الكيلوغرامات التي فقدوها، بل يزيدون وزناً. فهل تشهد السنوات المقبلة اكتشاف عقار سحري للنحافة يحوّل ذوي البدانة أشخاصاً ممشوقي القوام؟

بدأت معاناة سوزان غولدسامت في سبيل خفض وزنها يوم أخذت تتناول كميات كبيرة من الموز. أما ممارستها الفعلية للحمية فبدأت في سنها الرابعة عشرة. وتلا ذلك عقد من الزمن كان وزنها ينخفض ثم يعود الى ما كان. ومع كل فترة حمية أخذت سوزان تواجه صعوبة أكبر في خفض وزنها. وفي العام ١٩٧٢ وصل وزنها الى ١٠٨ كيلوغرامات، فعادت الى ممارسة الحمية للمرة الخامسة و... الاخيرة. وبعد مضي ما يقارب الست السنوات تدنى وزنها الى اثنين وستين كيلوغراما. لكن السنوات التي قضتها متبعة نظام الحمية ومترجحة بين ارتفاع



وهبوط شديدين في الوزن تركت بصماتها عليها. فهي لا تقدر حاليا على تناول أكثر من ١٢٠٠ وحدة حرارية اذا رغبت في الاحتفاظ بوزنها كما هو. وفي سبيل ضبط النفس وتسهيل اتباع الحمية بدقة تامة، فانها تنظّم كل صباح قائمة بأصناف الطعام وكميته التي ستتناولها في ذلك اليوم، وتدوّن فيها كل ما يدخل فمها مهما يكن قليلا.

ان قصة سوزان غولدسامت مألوفة لدى الملايين من الناس الذين يحاولون تكرارا اتباع الحمية. لكن فيها نواحي تحير الباحثين الطبيين الذين بدأ ينجلي لهم السرّ الذي يبيّن لماذا يظل بعض الاشخاص بدينين ولماذا تزداد صعوبة إنقاص الوزن لدى تكرار اتباع الحمية. ان الأبحاث الحديثة لا تعدنا بعد بالشفاء من السمنة او الحد من الزيادة في الاكل، لكن لدى العلماء املا ان يتوصلوا من خلال ابحاثهم الى ايجاد العلاج.

خلايا لا تزول – ساد الاعتقاد طويلا أن السمنة ناتجة من اضطراب عاطفي، اذ يلجأ الناس البدينون الى الاكل ليخففوا عنهم الشعور بالقلق والاحباط. لكن ألبرت ستنكرد العالم النفساني الذي يرئس "هيئة أبحاث السمنة" في جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا، يقول إن الباحثين بدأوا يشكون في أن "الاضطرابات العاطفية التي تنسب اليها البدانة هي عادة نتيجة لتلك البدانة وليست مسببا لها. وربما كانت هذه الاضطرابات الى حدّ ما نتيجة محاولة الحدّ من البدانة باتباع الحمية."

لقد أخذت أبحاث السمنة منحى جديداً عندما بدأ الباحثون يدركون مغزى حقيقة معروفة لديهم منذ وقت طويل، وهي أنّ معظم الحيوانات تحاول، كما يبدو، الحفاظ ما أمكن على وزنها الطبيعي. فإن أعطيت كامل حاجتها من الأكل بقي وزنها ثابتاً. أما اذا حرمت الاكل أو أجبرت على تناول زيادة على حاجتها، فإنّ وزنها ينقص أو يزيد تباعاً. ثم اذا سمح لها ثانية بتناول حاجتها الطبيعية فانّ وزنها يرجع الى مستواه الأصلي.

فلماذا اذاً يجد الكثيرون من الناس صعوبة في الاحتفاظ بوزن ثابت عندما يكون الاحتفاظ به أمراً طبيعياً؟

يعتقد خبراء السمنة جول هيرش وإرفنغ فوست ورودولف ليبل من جامعة روكفلر في مدينة نيويورك، أن الوزن الثابت للانسان أو الحيوان له علاقة بالخلايا الدهنية في الجسم، ويستنتجون من ذلك ان الاشارات الحافزة على زيادة الأكل تصدر عن هذه الخلايا. ويضيف فوست أن عدد الخلايا الدهنية في الجسم غير محدّدة لكنها متى تكونت في جسم الانسان أو الحيوان فانها تبقى فيه ولا تفارقه لاحقاً. ويظهر أنّ ما يمكن ضبطه بدقة هو مدى نموّ حجم الخلايا الدهنية.

حين يُتلف العلماء ذلك القسم من دماغ الجرذ الذي ينظّم عادات أكله فانه يزداد سمنة. ونتيجة ذلك يزداد حجم الخلايا الدهنية في جسمه أربعة أو خمسة أضعاف حجمها الطبيعي. ويؤكد فوست أنه "يمكننا انقاص حجم الخلايا الدهنية في أي حيوان الى الحد الادنى من طريق منع الطعام عنه. ولكن اذا ترك الحيوان

- أو الانسان - وشأنه فان حجم الخلايا الدهنية في جسمه يبقى ثابتا لا يتغيّر. وهذا ما يبعث على الاعتقاد ان هناك إشارات تنظيمية بين الأنسجة الدهنية والجهاز العصبي المركزي." ويفترض فوست وهيرش انه يمكن تعطيل هذه الاشارات لدى الاشخاص الفائقي السمنة والذين يزيد حجم خلاياهم الدهنية مرتين أو مرتين ونصف مرة على حجم خلايا الناس العاديين.

أتون بشري - بدأ هيرش وليبل دراسة شملت عدداً من الاشخاص ينتمون الى جمعية "الاكولين المجهولين" وكلهم كانوا بدينين سابقاً لكن وزنهم بات عادياً. ومع أنهم جميعاً يبدون كأناس عاديين فان كيمياء أجسامهم معاقة وخلاياهم الدهنية صغيرة جداً كخلايا الناس المصابين بعلة فقدان الشهية(١). فالنساء في الجمعية لا يأتيهنّ الحيض، ومعدل النبض وضغط الدم لديهنّ منخفض. والاشخاص الذي شملتهم الدراسة يشعرون بالبرد على الدوام ويستهلكون وحدات حرارية أقل بـ٢٥ في المئة من المعدل، وفقاً لطول قاماتهم وأوزانهم. وتشبه بيوكيمياء أجسامهم تلك التي لدى ضحايا المجاعات، وسلوكهم شبيه بسلوك هؤلاء كذلك. من هنا يقول هيرش "انهم يفكّرون دوماً في الطعام."

لذا طرح هيرش وليبل هذا السؤال: "هل تحدث لدى ذوي الوزن الطبيعي تغيرات في بيوكيمياء أجسامهم لو زاد وزنهم ثم عاد فانخفض؟"

ولذلك أجريا لمدة سنة دراسة على طالب كان يحتاج الى ٢٨٥٠ وحدة حرارية في اليوم للحفاظ على وزنه الطبيعي البالغ ٨٦ كيلوغراماً، وكان يستهلك منها ١٨٣ وحدة في هضم الطعام. في الفترة الاولى من التجربة زاد وزن الطالب ثمانية كيلوغرامات ونصف كيلوغرام، ووجد صعوبة في الاحتفاظ بهذه الزيادة. وعندما قوّم هيرش وزملاؤه حاجة الطالب بعد زيادة وزنه، وجدوا أنه يحتاج الى ٤٦٢٠ وحدة يومياً لمجرّد الحفاظ على وزنه الجديد، وأن ٥٦٩ وحدة منها تستهلك في هضم الطعام. وشبّهوه وهو يحرق الوحدات الحرارية بأتون يلتهم الوقود.

وكانت الخطوة التالية أن طُلب من الشاب أن يلتزم حمية حتى يصبح وزنه أقل بـ١٧ كيلوغراماً - أي بعشرين في المئة - من الوزن العادي. وعندئذ تباطأ أيضه، أي التحولات الكيميائية في جسمه، وأصبح يحتاج الى ٢٥٠٠ وحدة حرارية في اليوم كي يحافظ على وزنه المنخفض، يستهلك منها ١٠٩ وحدات في هضم الطعام.

ما تبيّنه هذه الارقام هو أنه عندما يزداد وزن الجسم بالاطعام الالزامي تزداد طاقته الحرارية اللازمة لهضم الطعام الزائد. كذلك تنخفض الطاقة اللازمة لهضم الطعام عندما ينقص الوزن أكثر من عشرة في المئة من المعدل الطبيعي. وبعبارة أخرى فان الجسم يكيّف الايض لمعادلة أي تغير في وزنه الأساسي.

وتوصلا الى فهم هذا الاستنتاج ابتكر ليبل طريقة لقياس مدى استعداد الخلايا

(١) Anorexia nervosa

الدهنية لتكديس الدهن أو استهلاكه. فتبيّنت له نتيجة مثيرة، وهي أن الناس العاجزين عن تخفيف السمنة في ناحية معينة من أجسامهم، كالنساء اللواتي لا يستطعن التخلّص من السمنة في أوراكهنّ، ربما كانت خلاياهم الدهنيّة في ذلك الجزء من الجسم لا تطلق المادة الدهنية.

عقار للنحافة – يعمل ليبل على دراسة الجزيئات الصغيرة المدعوة اللاقطات "ألفا" واللاقطات "بيتا" (٢) على سطوح الخلايات الدهنية. فاللاقطات "ألفا" تنشّط تكديس الدهن فيما تنشّط اللاقطات "بيتا" انحلال المادة الدهنية. وقد وجد ليبل وزملاؤه أن الخلايا الدهنية في أوراك النساء وأفخاذهن عليها غالباً لاقطات "ألفا" مما يدل على أنها تنزع الى الاحتفاظ بالدهن. وبين الخاضعين للمعالجة في جامعة روكفلر امرأة نقص وزنها تسعة كيلوغرامات لكن هيئتها أصبحت أسوأ مما كانت قبل الحمية، لأن الخلايا الدهنية في وركيها وفخذيها حملت لاقطات "ألفا" ولذلك لم ينخفض الدهن الا قليلا جداً في هذه المناطق بينما نقص الوزن الاجمالي لجسمها.

واذا أدّت هذه المعرفة بخصائص اللاقطات "ألفا" و"بيتا" الى اختراع "عقار للنحافة" يجبر الخلايا الدهنية على حرق الدهن فيها وإنقاصه، فسيكون ذلك عملا رائعاً. لكن هيرش وزملاءه يشكّون في امكان التوصل الى مثل هذا العقار في المستقبل القريب. والذي يتوافر لديهم الآن في المختبر لا يعدو كونه عقاقير تجمّد عمل اللاقطات "ألفا" أو تنشّط اللاقطات "بيتا". وفي تصوّر هيرش أنه سيأتي يوم تستعمل هذه العقاقير لتُمكّن متبعي الحمية من خفض وزنهم في أي ناحية يريدونها من أجسامهم.

وبما أن معظم البدينين لا يتبعون الحمية مرة واحدة، بل مراراً، فان الباحثين باتوا يتساءلون عما اذا كانت الحمية تهدم غايتها بنفسها. وفي جامعة بنسلفانيا ينسق كيلي براونل دراسة تجرى في جامعات عدة حول التغيرات الايضية التي تحصل في الجسم عندما ينقص الوزن تكراراً ثم يستعاد.

أجرت مجموعة براونل اختبارات على الجرذان، مما أثبت أن الحيوانات التي يترجح وزنها بين ارتفاع وهبوط تكتسب فاعلية في استخدام الطعام. فحين خفض وزن الجرذان للمرة الثانية بلغت كمية الوحدات الحرارية التي استهلكتها في هضم الطعام نصف ما استهلكته في المرة الاولى، مع أنها أعطيت العدد الاجمالي نفسه من الوحدات في كلتا المرتين. وعندما سمح للجرذان باستعادة وزنها بلغ ما استهلكته من وحدات حرارية لهضم الطعام ثلاثة أضعاف الكمية في التجربة الاولى. ويقول براونل: "يبدو كأن الحيوانات تجهد للاحتفاظ بوزنها الطبيعي."

في انتظار المعرفة – هل تنطبق هذه المعلومات على البشر؟

يرئس جورج بلاكبرن في كلية الطب بجامعة هارفرد في كمبريدج (ولاية

(٢) Alpha and beta receptors

مساتشوستس) قسم الايض حيث يخفّض وزن الاشخاص الفائقي البدانة باخضاعهم لنظام حمية دقيق يتناولون فيه طعاماً يحتوي على مقدار منخفض من الوحدات الحرارية. ويرجع عدد من زبائنه الى القسم ثلاث مرات أو خمساً لانقاص وزنهم، وفي كل مرة ينقص وزنهم على نحو أبطأ من المرة السابقة. ويظهر أن هؤلاء الناس، كالجرذان المخبرية، أصبحوا ذوي فاعلية في استهلاك الطعام نتيجة الترجح الشديد بين الارتفاع والهبوط في أوزانهم.

والموضوع المشترك الذي أجمعت عليه الأبحاث والتجارب في المستشفيات والمختبرات واضح: ان الخلية الدهنية هي المذنب الرئيسي. ولم يعرف الباحثون حتى الآن لماذا يحوز بعض الاشخاص خلايا دهنية أكثر من آخرين. أو ما هو مصدر هذه الخلايا. لكنهم يأملون عندما تزداد معرفتهم بهذه الخلايا أن يعطّلوا الاشارات التي تحض على زيادة الأكل.

أما سوزان غولدسامت فانها تشعر بالاطمئنان اذ ترى الاختصاصيين يبحثون بجدّية عن الاسباب البيوكيميائية التي تسبّب السمنة. وهي تقول: "أفضّل أن يقال لي انني بدينة بسبب بيوكيمياء جسمي على أن يقال لي إنني بدينة لأنني ألجأ الى الغش في الأكل لدى اتباعي الحمية."

جينا كولاتا ■



الضربة الاولى

قبل مدة وجيزة بدأ أبي يمارس لعبة الغولف. وذات يوم عاد الى البيت يغمره الفرح والحماسة بعدما أدخل الكرة في الحفرة من الضربة الاولى. وانحصرت الاحاديث في بيتنا بعد ظهر ذلك اليوم باعادة تفاصيل الحدث. وكل من زارنا أجبر على سماع قصته.

وفي المساء سمعنا طرقاً على الباب، ففتحت أمي وفوجئت بباقة ورد مرفقة ببطاقة موجهة اليها كتب فيها: "لك مني عميق العطف والمؤاساة. أنا أعلم صعوبة الفترة التي تجتازينها. وهبك الله القدرة على الاحتمال."

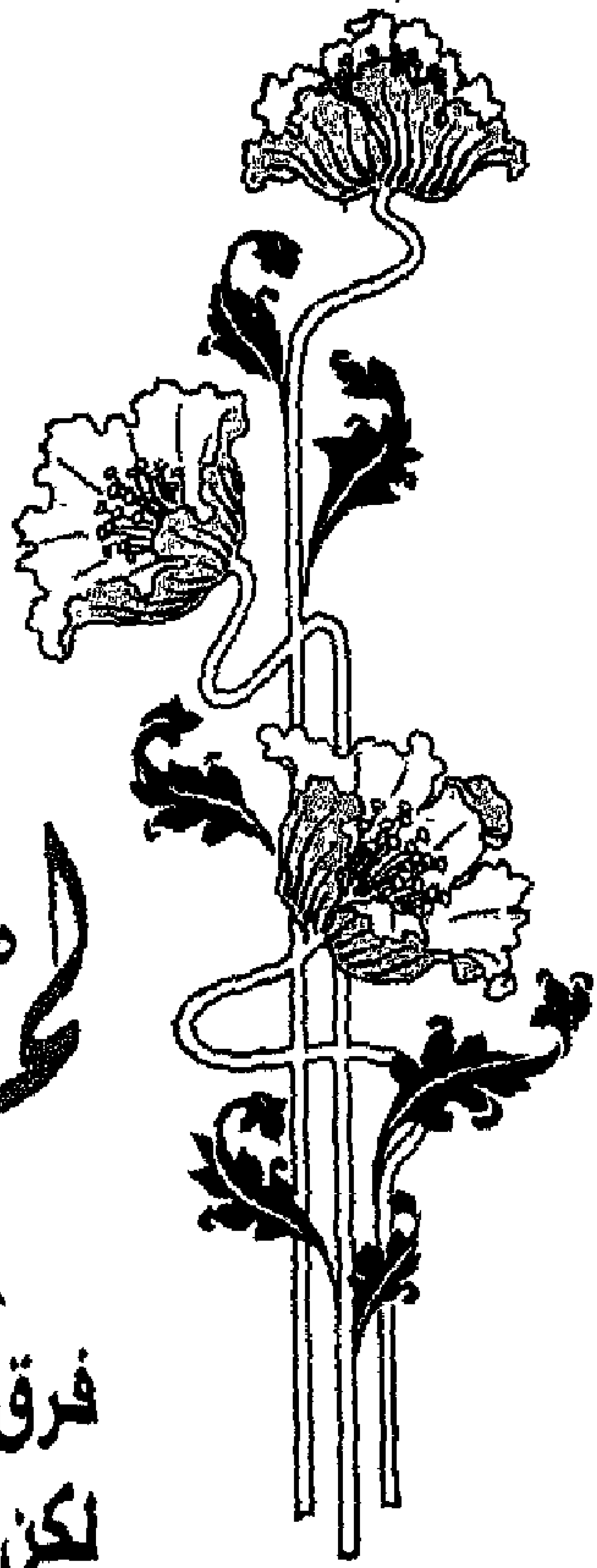
ش.ب.

زد وبارك

انطلق رجل وزوجته وأولادهما الستة في رحلة في سيارة العائلة. وكان الناس ينظرون الى السيارة معجبين بهذه العائلة الكبيرة. ثم تجاوزتهم سيارة "ستايشن" بان فيها عدد كبير من رؤوس الاطفال. فصاح أحد الستة: "كم ولداً لديهم في هذه السيارة؟"

ولحقت العائلة بالستايشن وزال عجبها عندما رأت في النافذة الخلفية لافتة كتبت عليها العبارة الآتية: "لا تتعب نفسك في العد، لدينا ١٤ ولداً."

أ.ر.



حُبٌّ لم يمُت

فرق الطلاق بينهما مدة نصف قرن، لكن جذوة حبهما لم تخمد

بدأت قصتهما في العام ١٩٢٩ عندما كانت الازمة الاقتصادية في الولايات المتحدة تلوح في الافق. فذات يوم خرج فريد ماكوي من محل الادوات الكهربائية الذي يملكه في مدينة باين بلاف بولاية أركانساس، وقطع بسيارته ٦٥ كيلومتراً ليفحص براداً تعطل في منزل السيدة بيتي هوراس في بلدة ليتل روك. وما زال فريد يذكر أن بيتي صاحبة عينين زرقاوين جميلتين. ويتابع: "فلما قالت ان لها شقيقة في باين بلاف أفصحت عن رغبتي في لقائها. فأعطتني بيتي رقم هاتفها."

كان فريد في الثلاثين وقد خدم في الجيش إبّان الحرب العالمية الاولى على متن السفينة الحربية "اوكلاهوما" ثم أبحر الى أمريكا الجنوبية خلال عمله في الاسطول التجاري، وبات راغباً في الاستقرار. أما هنريبيتا شقيقة بيتي فكانت في التاسعة عشرة تتدرب لتصبح ممرضة.

وفي يوم سبت من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٢٩، ارتدت هنريبيتا ثوباً من الكتان الازرق أظهر جمال عينيها الواسعتين الزرقاوين. أما فريد عندما أتى لزيارتها، فكان يبدو أنيقاً بشعره الأشقر الاجعد وبذلته السوداء وابتسامته الواثقة. ودعاها الى العشاء.

في بادىء الامر رفضت هنريبيتا الدعوة. فهي لم ترغب في الخروج مع

شخص لا تربطها به معرفة سابقة. "فجلسنا وتحدثنا، وأعجبتُ بابتسامته وكلامه الرقيق."

وما هي الا ثلاثة أشهر حتى تزوجا. وعاش العروسان في بيت قرميدي من طبقتين في شارع هاردينغ في منطقة باين بلاف وانضما الى نادي البريدج. وغالباً ما كانا يخرجان للسهر. وكانت هنرييتا تحمل في اصبعها بفخر خاتم زواجهما المصنوع من البلاتين والمزدان بالماسة صغيرة. وتتكلم عن سنوات زواجها الست: "لقد عشنا سعادة يومية، الى أن ولجنا عتبة السنة السادسة."

ولا تزال نبرة صوتها تتقد دهشة وسخطاً نشأا قبل نصف قرن، وهمست: "لقد أتى فريد عملا لا يجوز أن يأتيه رجل متزوج ابداً. قلت له آنذاك انه يمكنه أن يقترف جريمة ولكن ليس ذاك الأمر! لقد خانني!"

وتطلقا في العام ١٩٣٥. وبعد فترة وجيزة تعرّفت هنرييتا الى ستيوارت روزنيلانتر الذي يكبرها بتسع سنوات ويعمل بائعاً في شركة للحومكبرى. وهي قالت فيه: "دام زواجنا ثلاثين سنة. لكنني لم أحبه حقاً، انما تزوجته نكاية."

أما فريد فلم يستسلم لليأس فبعث اليها رسائل حب على أمل ان تعود اليه.

هذه الرسائل التي أصبحت الآن صفراء بفعل الزمن مليئة بالشوق. كتب فريد في التاسع من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٦: "عزيزتي هنرييتا، أنا ما برحت أفكر فيك باستمرار، ولا أظن ان لحياتي أي معنى من دونك."

وتقول هنرييتا متذكرة ما حدث في العام ١٩٣٧ أي بعد سنتين من طلاقهما: "اتصل بي فريد وقال انه سيتزوج سواي ان لم أعد اليه. فعبّرت له عن أسفي لانني ما زلت أشعر بوطأة الألم. وهكذا تزوج فيبي."

وانتقلت هنرييتا وزوجها الى موبايل في ولاية ألاباما، ثم الى أورلاندو وجاكسونفيل في ولاية فلوريدا فالى سانت لويس في ولاية ميسوري فالى شيكاغو في ولاية إيلينوي واخيراً الى فورت لودرديل في فلوريدا عام ١٩٥٣.

وتقول: "بعد وفاة ستيوارت في العام ١٩٦٥ عشت وحيدة جداً. لم أخرج مع أي رجل. فالأمر لم يعد يهمني. كنت لا أزال أحب فريد وأفكر فيه كل يوم."

وفتحت هنرييتا محلا للوازم الرياضة على شاطىء فورت لودرديل. وغالباً ما كانت تزور شقيقاتها في ليتل روك على أمل أن تلتقي فريد. لكن ذلك لم يحصل قط. وهي احتفظت طوال نصف قرن بثلاث من رسائل الحبّ التي كتبها اليها في صندوق امانات بأحد المصارف، ثم في مخبأ لم تفصح عنه. وضعتها في ظرف أصفر كتبت عليه: "لقد أحببته طوال حياتي." وغالباً ما كانت تقول: "كنت أقرأها فأذرف الدمع سخياً."

واستمر زواج فريد وفيبي ٤٧ عاماً وحقق فريد مشروعه التجاري في ليتل روك فكان يبيع معدات سمعية. ورزق ابنة لكن فيبي أمضت معظم حياتها في سرير المرض وتوفيت أخيراً في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤.

وبعد مدة وجيزة اتصل فريد ببيتي هوراس التي كانت أعطته رقم هاتف



هنريبيتا في العام ١٩٢٩. فسألها عن رقم هاتفها مجدداً وقال لها: "ما زلت أحبها."

وفي احد ايام فبراير (شباط) ١٩٨٥ كانت هنريبيتا تلعب البريدج مع صديقاتها في النادي عندما رن جرس الهاتف. ونادوها، فسمعت صوتاً يقول لها: "حبيبتي."

وللحال عرفت المتكلم فردت: "مرحباً يا حبيبي." وبعد قليل أعادت السماعة الى مكانها ويداها ترتجفان.

"قال لي انه ترمل وانه مزمع على زيارة شقيقته في كاليفورنيا. وفي اليوم التالي اتصل وسألني: أيمكنني أن آتي لزيارتك؟"

وبقيا على اتصال يومي طوال ثلاثة أشهر قبل الزيارة. فكتب فريد: "الى حبيبتي الغالية. أيام قليلة لا تتعدى الثلاثة عشر وأكون معك الى الابد." وكتب قبل وصوله مباشرة: "أحبك، أحبك، أحبك. فريد."

وفي أوائل مايو (ايار) ذهب الى فورت لودرديل. فأمضيا ١٩ يوماً معاً.

وتزوج فريد هنريبيتا في فورت لودرديل بعد ٥٠ عاماً على طلاقهما الذي اعتبراه غلطة العمر. ووضعت هنريبيتا في اصبعها خاتم الزواج المصنوع من البلاتين والذي أعطاها اياه فريد عام ١٩٢٩:

"لقد خبأته طوال هذه السنين وظللت أتأكد من انه ما زال في مخبأه."

وعن القبلة التي تبادلاها بعدما قطعا عهود الزواج تقول: "شعرت برعشة بسيطة. لقد كانت قصة حب محزنة. لم يتوقف أحدنا يوماً عن حب الآخر. وأنا تمنيت ملايين المرات لو نعود لنعيش معاً، لكنني لم أظن أن ذلك سيحدث فعلاً."

وكما في العام ١٩٢٩ انهمك فريد وهنريبيتا في حياتهما الجديدة فلم يذهبا في رحلة شهر العسل، بل سوّيا حساباتهما المصرفية. وباعت هنريبيتا منزلها في فورت لودرديل لان فريد كان يود العودة الى ولاية أركانساس، الى ليتل روك، ليبدأا من جديد.

مايكل كابوزو ■



الأبنية القديمة كالأصدقاء. فهي تطمئن الناس وتواسيهم في أزمنة التغيير.

س.هـ.



مأساة واقعية

بين أنياب دُبّين ثائرين

مضى الدبّان الغاضبان ينهشان جسد الصياد، فأيقن أن أمله الوحيد يكمن في تظاهره بالموت

راح داريل روزن ورولن برايدن يزيحان الاغصان والشجيرات ليشقا طريقهما عبر الأجمة، وسلكا الدرب المؤدية الى الكوخ. وعاتب داريل صديقه: "قلت لي انني سأصادف بعض الدببة. لقد رأيت الكثير من وعول الموظ في الاسبوعين الماضيين، لكنني لم أرَ أثراً لدب."

وفكّر رولن: "هكذا أفضل."

كانا في منطقة الدببة وسط الأجمات والمستنقعات التي تزخر بها سهول التوندرا الجرداء في ألاسكا على بعد ٢٠٠ كليومتر جنوباً من أنكوراج و٨٠ كيلومتراً من سولدوتنا حيث يعيش داريل (٣٢ عاماً) ورولن (٢٩ عاماً). انه منتصف شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤، ورولن يعلم أن دببة ألاسكا البنية اللون تطوف بكثافة بحثاً عن الطعام في هذا الوقت من السنة قبل أن تدخل كهوفها لتمضية فصل الشتاء. ولم يكن يطيب له أن يلتقي أحدها. لكن أفكاراً أخرى جالت في خاطره.

لقد شارف موسم الصيد نهايته ولم يصطد رولن موظاً بعد، في حين اصطاد داريل واحداً، كذلك وين شقيق رولن ووالدهما ويس اللذان بقيا في الكوخ الذي يبعد حوالى كيلومتر.

فجأة خامر رولن احساس ما، لكنه لم يسمع إلّا صوت نسيم خفيف يتسلل عبر أشجار الصنوبر الباسقة. ثم سمع حفيفاً في الأجمة على بعد ثلاثين متراً وراءه.

وهمس داريل: "إنه موظ لك."

فرد رولن: "لقد حان الوقت. سأتقدم للقائه."

مشى رولن في اتجاه الصوت. وما لبث

أن أصبح على بعد ٣٠٠ متر ثم ٤٠٠ متر داخل الغابة. وسرت قشعريرة في جسده إذ عنّ له أن الحيوان الذي سمع حركته ربما كان يراقبه.

وانكسر غصن إلى يمينه تبعه غصن آخر أقرب اليه. فتشبث رولن ببندقيته. ويا لهول ما رأى!

على بعد ١٢ متراً كان دبّان بنيان عملاقان يندفعان نحوه وهما يزمجران وقد ارتسم الغضب على وجهيهما القاتمين. ولاحظ ان ارتفاع الواحد منهما لا يقل عن مترين ووزنه يقرب من ١٨٠ كيلوغراماً.

"رؤية" الموت - صرخ رولن وراح يلوح بذراعيه ليخيف الدبين. ففتح كلّ منهما فمه الكبير واسعاً، وأمكن رولن أن يرى أنيابهما المخيفة. وأطلق النار بعدما أسند بندقيته إلى وسطه، لكن الرصاصة انغرزت في أحدى الأشجار. وسرعان ما أبرز الدبّان مخالبهما ولوحا بها في الهواء. ولمّا لم يكن للصياد الوقت ليلوذ بالفرار أو يحشو بندقيته فانه ألقاها أرضاً وغطى عينيه بيديه.

وتلقى ضربتين قويتين أسقطتاه. وشعر بثقل هائل على ظهره ثبّته. وراح يتخبط بيديه وقدميه ليصدّ الضربات. وكان يسمع أصواتاً صادرة عن حنجرتي الدبين ويشم رائحة أنفاسهما الكريهة. وشعر بألم حاد في جانب رأسه فصرخ بلا وعي: "أذني! الدبّ يعلك أذني!"

وتذكّر أن أفضل دفاع بعد هجوم الدبّ هو التظاهر بالموت، فلا يعود الحيوان يشعر بأن مملكته مهددة فيفقد اهتمامه. وأرغم نفسه على التمدد وعدم اتيان حركة.

رباه، لكن كيف؟ كان يسمع تمزّق اللحم في جانب رأسه. فغرس ابهاميه في الارض لئلا يصرخ. وشعر بالألم يحفر في ردفيه وعلى طول عموده الفقري وكأن إبراً تخزه. وخدر جسده.

ينبغي ألاّ أتحرك مهما كلّف الامر!

وفكّر رولن في ولديه اللذين يقيمان في سولدوتنا مع والدتهما. لقد انتهت معاملات الطلاق قبل أسبوع، وقرر رولن الذهاب في هذه الرحلة ليبتعد عن الوضع المتأزم. وها هو الآن يتخبط في وضع أسوأ.

يا إلهي، دعني أرى ماكس ومليندا من جديد.

وأعادته الآلام المبرّحة الى الواقع، فقد كان أحد الدبين يعمل مخالبه في ظهره بينما راح الآخر يقضم جمجمته. وبعد استراحة وجيزة سمع رولن الوحشين يتحركان حوله. يا إلهي! انهما يبدلان مكانيهما. لم يعد الرجل يشعر بالألم.

هكذا يكون الموت إذاً. رباه! ليت الأمر ينتهي بسرعة!

الهجوم الثاني - فجأة توقف اللطم والمضغ. وسمع رولن الدبين يلهثان ويرتاحان بالقرب منه. وشعر بوخز في رأسه وظهره ورجله. وقاوم كي لا يتقيأ الدم والعشب والطحلب الذي ملأ فمه. وأدرك انه لو غاب عن وعيه لتشنجت عضلاته مما قد يؤدي الى هجوم آخر.

وبينما راحت الثواني تمرّ بطيئة بقي رولن ينتظر بلا حراك. لقد عُرف عن الدببة أنها تبدأ التهام وعول الموظ مباشرة بعد قتلها، لكنها تعمد أحياناً الى تغطية

فريستها بالاوراق والاغصان الصغيرة وتركها لوت آخر. وأدرك رولن أن هذا هو أمله الوحيد.

وهمد لهاث الدببين. أرحلا؟ أدار رولن رأسه ببطء ونظر في نور الشفق الشاحب فرأى الدببين على بعد ستة أمتار يحدّقان إليه بأعينهما الصغيرة وقد بانت أسنانهما المتقطرة دماً. وما ان رآياه يتحرك حتى جأرا واندفعا نحوه ثائرين يمزّقان ما تبقى من لحم جمجمته.

كلاّ! ليس مرة ثانية!

وقاوم رولن الألم المتّقد.

إبقَ جامداً كالميت، جامداً كالميت.

كرر هذه الجملة مراراً فيما راح الدبّان يمزقان الجلد الطري على جانب معدته. وأحسّ أنه يكاد يفقد وعيه.

لن استطيع الصمود... أكثر من ذلك.

وتسلل الصمت إلى وعي رولن وعالمه المظلم. وتوقف القضم والنخر والمضغ. وساد السكون المكان. وبدا للصياد أن جسمه المضرّج بالدم ملتصق بالارض. وتملكه نوع من الطمأنينة مَدّه بالشجاعة الكافية ليرفع رأسه.

لم يرَ الدببين، ترى هل يترصّدانه في مكان قريب، مستعدين للهجوم من جديد؟

لقد أدرك رولن أنه عاجز عن الصمود أمام عملية هرس ثالثة. وعليه أن يجد طريقة ليبتعد قبل عودتهما. وبعد جهد وقف على قدميه. شكراً لله! ما زالت قدماه على الاقل تصلحان للسير. ورفع يده الى رأسه فانزلقت أصابعه تحت فروته الساخنة الندية وكأنها قبعة. فأمسكها ليبقيها في مكانها واستعان بيده الاخرى ليفكّ أزرار قميصه الصوفي وينزعه. ثم لفّ القميص حول رأسه ليبقي فروته في مكانها.

طريق وعرة – كان وارن يعرف أن الكوخ لا يبعد إلّا حوالى كيلومتر. ولكن في أي اتجاه هو؟ ونادى بصوت ضعيف: "النجدة!" ثم أخذ نفساً عميقاً ونادى بصوت أعلى: "داريل! النجدة!" وراح يثب ببطء ثم بسرعة متوجهاً نحو البقعة التي رأى فيها داريل للمرة الاخيرة. وتناهى اليه صوت ما. أهما الدبان؟ فتسمّر في مكانه وخشي أن ينادي مجدداً وما لبث أن سمع صوتاً: "إنني قادم!"

خرج داريل من الغابة.

ولما رأى رولن شحب لونه. وقال له بالحاح وهو يلفّه بذراعه: "لا تستسلم!"

كانت كل خطوة يخطوها رولن تتطلب منه جهداً كبيراً. ولمّا وصل الرجلان أخيراً الى الكوخ كان الظلام حلّ.



وراح داريل يعمل برشاقة. فلفّ منشفة حول جبين رولن كي يحول دون تسرّب الدم الناز الى عينيه. ونظف ويس وجه ابنه وجسده وهو غير مصدق ما يرى، فالجانب الخلفي من رأس رولن سلخ بكامله من الاذن الى الاذن. وكان فروته تتدلى على جبينه فتظهر أجزاء من جمجمته. أما ظهره ورجلاه فاكتست جروحاً بالغة اذ نهشت أسنان الدبين ردفيه بعمق أكثر من سبعة سنتيمترات.

وقال له والده: "يمكنك أن تصمد يا بني ولكن عليك أن تقاوم، فالطريق أمامنا طويلة." كان عليهم أن يمشوا عشرة كيلومترات في طريق وعرة قبل أن يصلوا إلى شاحنتهم ليعودوا بها الى سولدوتنا حيث يستأجرون طائرة تقلهم الى مستشفى في انكوراج.

لكن الامور لم تجر كما توقعوا. فأحد اطارات الشاحنة كان مفرغاً من الهواء. وأبدلوه ثم أسرعوا الى سولدوتنا ليكتشفوا أن عليهم أن يطلبوا طائرة من أنكوراج. وهكذا لم يصل رولن الى المستشفى قبل الساعة الثالثة صباحاً، أي بعد نحو ثماني ساعات من الهجوم.

امثولة من الحياة – أمضى رولن خمس ساعات في غرفة العمليات. فهو فقد ثلاثة ليترات من الدم أي نصف ما يتوافر في جسم الانسان عادة. ولزم أكثر من مئتي قطبة لاغلاق جروحه كلّها. ودهش الطبيب لبقائه حياً على رغم جروحه البالغة.

وأمضى رولن ثمانية أيام في المستشفى بما فيها يومان في غرفة "العناية الفائقة". أما اليوم فقد شفي وتحوّل رجلا مختلفاً عن الذي ذهب للصيد في ذلك اليوم المشؤوم من العام ١٩٨٤.

وهو أدرك التبدل الذي أصابه في خريف ١٩٨٥ عندما عاد برفقة داريل وويس ووين ليصطاد الموظ في المنطقة نفسها التي حصل فيها الهجوم. وهذه المرة بنى كل صياد منصة في الاشجار تشرف على أرض واسعة خالية من الشجر.

وكان رولن على منصته عندما سمع دباً يزمجر بالقرب منه. وهو يعترف: "في تلك اللحظة عاودتني ذكرى الهجوم فبدأت أرتجف من دون أن أستطيع السيطرة على نفسي." ولم يهدأ الاّ حين أدرك أنه في مأمن وأنه يتمتع بالهيمنة.

ويضيف: "في رحلة الصيد تلك ورّطت نفسي في وضع غير صحيح. والامثولة التي تعملتها هي الآتية: "مهما حصل، إبقَ في موقع سيطرة. وهذا لا ينطبق على الصيد فقط بل على كلّ أمر في حياتك."

وما هي الاّ دقائق حتى سلك الدبّ غير المنظور درباً آخر. لكن خوف الصياد كان تلاشى قبل رحيله.

مارغريت ريس ■



من دروس التاريخ انه ما من شيء يستحسن فعله غالباً، وما من شيء يصح قوله دائماً.

ويل دوران، مربٍّ ومؤرخ امريكي

طابة جدّي وايقاع الحياة

كان جدي على قابي قوس أو أدنى من الموت، لكنه ما برح يضغط طابة المطاط ويأمل

سمعت جدتي تقول لي على الطرف الآخر: "إني أتصل بك لأنقل إليك خبراً مؤسفاً يا بيل. لقد أصيب جدك بنوبة قلبية." وتشنجت قبضتي على سماعة الهاتف: "نوبة قلبية! أنا آت للحال."

وقدت سيارتي الى المستشفى وأنا لا أصدق ما سمعت. جدي! نوبة قلبية! هذا مستحيل!

كان جدي لا يزال رجلا ضخم الجثة على رغم أعوامه السبعين. طوله ١٩٣ سنتيمتراً وهو صاحب صدر عريض وذراعين قويتين وشعر أحمر تماماً كالذي ورثته. وكان فكه ينتأ الى الامام بعناد، لكنه عناد هادىء يمكنك تسميته عزماً وتصميماً.

كانت زيارته إشراقة صيف في طفولتي. فكان يوقظني في الصباح البارد لننطلق حافيين الى البحيرة وكل ممسك بقصبة صيد.

وكنا لا نتحادث كثيراً، فجدي ليس من الذين يجعلون الكلمات تذهب هباء. وهو علّمني تنظيف السمك بالتطبيق العملي أكثر منه بالشرح والتفسير: فذاك أسلوب جدي، هو أن يجعلك تفقه الأمر بنفسك، اذ كان يقول: "في امكانك أن



Condensed from © 1986 by Barbara Bartocci, Catholic Digest (March 86), St. Paul, Minn.

تفعل أي شيء تقريباً اذا صممت على الأمر."

وها هو الرجل الطيب ممدد في سرير مستشفى، وصدره العريض يكاد لا يتحرك تحت الأغطية. يستلقي لا حيلة له ولا قوة تحوطه الأنابيب وزجاجات تتقطر منها السوائل المختلفة.

طابة المطاط – لكن ثبات جدي أتى من إيمان بالله لا يتزعزع، ايمان لم يلبث أن برز الى العيان. فمع أن الجانب الايمن من جسده مشلول، فانه بدأ خلال أيام يعزز الحركة البسيطة التي بقيت له في أصابع يده اليمنى.

وذات صباح أعطاه أبي علبة فيها طابة صغيرة من المطاط تستطيع اليد أن تقبض عليها بسهولة.

وقال له أبي: "اضغط الطابة، فذلك يقوي أصابعك."

ولكم حاول جدي! ساعة بعد ساعة راح يضغط تلك الطابة. وكان وجهه ينضح بالعرق. وبمرور الاسابيع بدأت أصابعه تتجاوب تدريجاً الواحدة تلو الأخرى.

ولما ذهبت لزيارته في نهاية الاسبوع قال لي بفخر: "أنظر يا بيلي!" ورحت أصفق له وهو يرفع ملعقته ببطء ويأكل بنفسه.

وبعد أسابيع قليلة بينما كان جدي جالساً في كرسيه النقال بالقرب من النافذة أطلق فجأة صرخة خافتة. وتدحرجت طابة المطاط من يده. ولما وصلت جدتي اليه وجدته مسترخياً في كرسيه.

وأسرعت الى المستشفى مرة أخرى وأنا أفكر في مجهوده العظيم الضائع. لكنني لم أقدر قوة عزمه حق التقدير. فمع أنه لم يقوَ على الكلام الا أنه كان يومىء بعينيه كأنه يريد أمراً ما.

وصرخت: "طابتك!"

وارتسم شبح ابتسامة مجهدة على ثغره. فضممت أصابع يده اليمنى على طابة المطاط.

ومرت الايام وتبعتها الاسابيع واخضرّ عشب المروج بفعل حرارة الصيف. وبقي جدي يضغط الطابة. ومع أن نطقه ظل بطيئاً ومتقطعاً فقد توصل مرة اخرى الى ان يرفع الملعقة بفخر ويأكل بنفسه.

وراح الخريف يتحول شتاء عاصفاً وتعرّض جدي لسلسلة من النوبات القلبية خلّفته شاحباً هزيلا مسمراً في سريره لا يقوى على النطق أو الحراك، لكن بريق العناد ظل يشعّ في عينيه حتى الرمق الاخير. وبقيت يده اليمنى تمسك الطابة برخاوة.

عاش جدي سنتين بعد نوبته الاولى. وما زلت أنا أفكر في طابة المطاط وأذكر كيف أن جدي لم يستسلم قط.

ومرّ عشرون عاماً. وفي أحد أيام الربيع ذكرت طابة جدي أمام والديّ اللذين جاءا لزيارتنا. واذ رحت أسرد الحكاية على أولادي ترقرقت الدموع في عيني. وقلت لهم: "انه لم يستسلم قط. ظل يضغط طابة المطاط حتى الرمق الأخير."

وقال أبي: "لم أدرك يوماً كم أثرت فيك تلك الحكاية."

رمز الامل – كانت السنة التالية صعبة على عائلتي. فقد تركت وظيفتي وبادرت

الى تأسيس عمل مستقل كمستشار زراعي. لكن الركود الزراعي استفحل فبدا لي كأن عملي قد يؤول الى الاخفاق والافلاس.

وبينما أنا أتخبط في مشاكلي الجمة وأدنو من اليأس جاءتني علبة صغيرة من طريق البريد.

كتب أبي بخطه المنمق: "عزيزي بيل. لقد أخذت طابة جدك الى البيت بعد الدفن. ويبدو أن الوقت حان لتؤول إليك."

ولبضع لحظات لم استطع أن أنبس بكلمة. ثم سحبت طابة المطاط الصغيرة برفق من غلافها ووضعتها على طاولتي.

وكافحت طوال أشهر لأنقذ عملي. لكن يوماً حلّ علمت فيه أن كل شيء انتهى. فجلست وحيداً الى طاولتي وشعور عارم بالاحباط يطغى علي. وإذا بشعاع شمس ينفذ عبر ستارة النافذة ويستقر على طابة جدي. فرحت أحدّق الى رمز الأمل ذاك ثم أمسكت به وبدأت أضغطه.

وفجأة خلت أني أسمع صوت جدي: "أبذلت كامل جهدك يا بيلي؟" وظل السؤال يتردد في خاطري. وهمست: نعم! نعم! لقد ضغطت الطابة بأقصى قوتي.

ثم ترجع في أعماقي صدى كلمات: "ما من أحد يمكنه ان يفعل أكثر." وشرعت أبكي. لكنها كانت دموع عافية. فلقد اضمحل الشعور بالاحباط وحلت الطمأنينة في نفسي. اني بذلت جهدي كاملا وضغطت حقاً مقدار ما استطعت. وما من أحد يمكنه أن يفعل أكثر.

لحياتنا ايقاع. والايام السيئة تثمر أياماً جيدة. وهكذا قادني اخفاقي في عملي الى مشروع آخر كتب له النجاح. وسارت حياتنا على ما يرام. وذات يوم علمنا أن صديقة عزيزة عادت الى المستشفى بعدما أجريت لها قبل سنة جراحة لاستئصال ورم خبيث.

ولما دخلتُ غرفتها رأيتها مستلقية على وساداتها شاحبة اللون واكفهرار الألم في عينيها وهمسة الانهزام في صوتها.

تمتمت: "قد حاربت المرض قبل الآن، لكنني اليوم..."

ولما خفت همسها سرت قشعريرة في جسمي. لقد كانت على وشك الاستسلام.

فأمسكت بيدها وقلت: "مارجوري، أريد أن أعطيك شيئاً." وأخرجت من جيب معطفي طابة جدي. وأخبرتها قصة العجوز الشجاع الذي أبى أن يستسلم. وتابعت: "أنا واثق من أن الله يسبغ نعمة خاصة على الذين لا ينفكون يحاولون. عديني بأن تضغطي الطابة."

وللمرة الاولى منذ دخولي الغرفة رأيت نوراً ضئيلا يشع من عينيها. وابتسمت وضغطت.

وبعد ثمانية أسابيع توفيت مارجوري. لكنني علمت أنها بقيت تضغط الطابة حتى الرمق الاخير.

ما من أحد يمكنه أن يفعل أكثر من ذلك.

بيل شيرلي ■

العجلة التي تبعث صريراً لا تحظى بالشحم دائماً، وهي تبدل احياناً. فيك غولد

هركولانيوم
مَدينَة الأموات




بلدة إركولانو الحديثة تحوط حفريات هركولانيوم. والى اليمين تمثال أبولو.

طمرت الحمم هذا المنتجع فحفظت آثاراً تعِد بفك بعض ألغاز روما

على امتداد خليج نابولي كان الطقس صافياً ومشمساً صباح ٢٤ أغسطس (آب) عام ٧٩. وفي المخبز في بلدة هركولانيوم كان سكستوس باتولكوس يعرض أرغفة من الخبز وفطائر حمّلها الحروف الاولى من اسمه، فيما راح البقّال أولوس فوفروس يرش الماء على الفاكهة والخضر في كشكه. وانهمك أحد الصائغين في نحت رسم بارز على جوهرة بالغة الدقة فيما راح سبّاك يصلح شمعداناً من البرونز. كذلك انصرف الخياطون والفنانون وأصحاب الحانات الى أعمالهم. وكانت البلدة تغصّ بالزوار الذين وفدوا اليها لمشاهدة المباريات التي ستجرى

Photos: Jonathan Blair / Woodfin Camp & Assoc.

في ميدان "باليسترا" الرياضي احتفالا بذكرى مولد أغسطس أول امبراطور على روما.

غير أن البهجة لم تعمّ الجميع. ففي غرفة ذات نوافذ مدعمة بالقضبان الحديد داخل مقام أغسطس احتجز شخص نبيل المحتد. وفي الغرفة الخلفية من دكان الصائغ رقد فتى مريض على سرير من خشب. وفي ساحة بناء المراكب عبد قصير القامة ممتلىء الجسم ينوء تحت حمل ثقيل. وفي قصر قريب حاضنة في الرابعة عشرة تحمل طفلا.

عند الظهر شعر أهل هركولانيوم وزوارها بهزّة وسمعوا انفجاراً عنيفاً أعقبه صوت متواصل كقصف الرعد. وعلى بعد ستة كيلومترات ونصف كيلومتر شرقاً شاهدوا عموداً متموجاً من الرماد الابيض والخفّاف (١) ينطلق من قمة جبل فيزوف. ارتفع العمود الى علو ٢٦ كيلومتراً قبل أن ينفلش طرفه كالفطر حاجباً الشمس ومحولا نور النهار حمرة تنذر بالشؤم.

لم يُعثر بين الخرائب على أي كلب أو قط أو جرذ نافق مما يوحي أن تلك الحيوانات لاذت بالفرار في الوقت المناسب. ومع ذلك يشكّ خبير البراكين هرلدور سيغوردسن من جامعة رود آيلند الامريكية في ان يكون سكان هركولانيوم تنبهوا الى الخطر المحدق بهم. فعلى رغم الارتجاجات التي شعروا بها ورائحة الكبريت التي انتشرت في الجو لم يسقط على البلدة أكثر من حفنة رماد. أما سكان بومبيي التي تبعد ١١ كيلومتراً جنوباً فشاهدوا غيمة ضخمة كثيفة تنجرف في اتجاههم.

وبعد الظهر تدفق على هركولانيوم سيل من اللاجئين من بومبيي في طريقهم الى نابولي شمالا، وراحوا يروون قصصاً فظيعة عن سماء أمطرت مدينتهم وابلا من الرماد والخفاف. وخوفاً من مصيبة مماثلة بفعل تحول الريح انضم بعض أهالي هركولانيوم الى الجموع المهاجرة. ولدى وصولهم الى نابولي استقروا في قسم من المدينة ما زال يعرف باسم حي هركولانيوم.

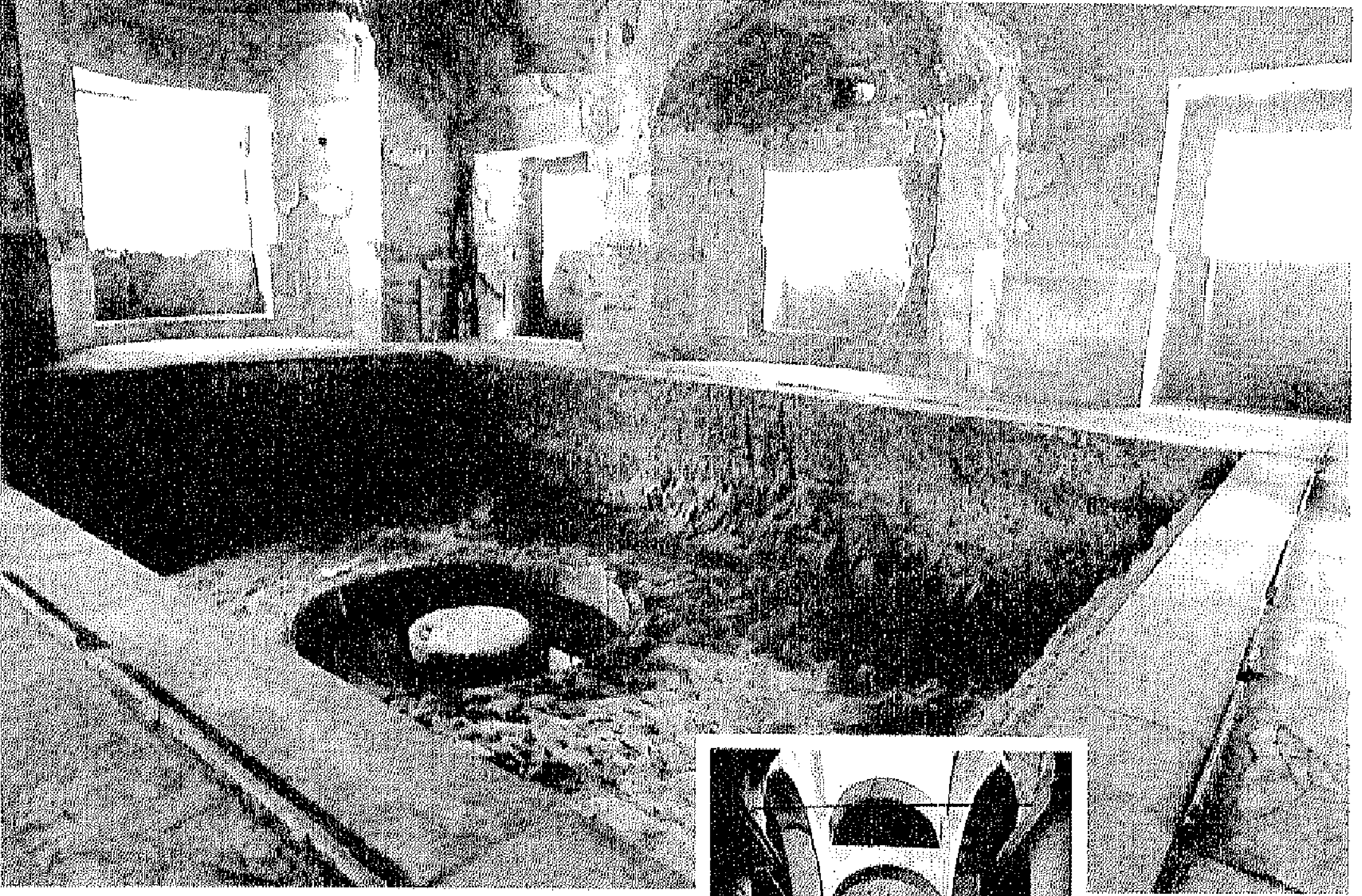
استمر الثوران حتى بعد هبوط الظلام وزادت رهبته الحمم المتصاعدة من فوهة البركان. وذاك المنظر أشاع الخوف في نفوس السكان الذين هرع عدد كبير منهم الى الشواطىء استعداداً للهرب في الزوارق أو عبر الطريق الساحلية وتحسباً لأي جديد. وتجمّع بعضهم تحت القناطر الحجرية التي ارتكزت عليها جدران الواجهة المائية وأبنيتها المشيدة على جرف مطل على البحر.

شلال الحمم – بعيد منتصف ليل ٢٥ أغسطس (آب) في حساب سيغوردسن، هوى عمود النار فجأة وشاهد أهل هركولانيوم الذي دبَّ فيهم الذعر تيهوراً (٢) نارياً يتألف من رماد فائق الحرارة ومزيج من الخفاف والهواء والغازات البركانية راح يندفع كالشلال في اتجاه المدينة بسرعة تزيد على مئة كيلومتر في الساعة وبحرارة بلغت ٤٠٠ درجة مئوية.

---

(١) الخفاف زجاج بركاني خفيف جداً مليء بالنخاريب.

(٢) التيهور (avalanche) ما ينهار من رمل أو ثلج أو صخر.





حوض سباحة داخل حمام عمومي في هركولانيوم. والى اليمين ردهة مرممة ونافورة ماء.

٢٠ متراً من الصخر الاسود الصلب جعلت خطّها الساحلي يتمدد نصف كيلومتر في البحر. أما بومبيي فدفنت تحت ستة أمتار من الرماد. ومرّت قرون وطوى النسيان المدينتين.

في العام ١٧٠٩ وفيما بعض العمال يحفرون بئراً كشفوا منصّة لأحد المسارح القديمة وراحوا يخرجون قطعاً من الرخام المصقول وتماثيل يونانية وأخرى رومانية. وعلى اثر ذلك سَرتْ بين الناس حُمّى التفتيش عن الكنوز المدفونة. فشقوا الانفاق وتحولت الحفريات على مدى نصف قرن منجماً ضخماً أخرجت منه روائع من الفن الكلاسيكي تأثر بها كل شيء تقريباً، من تصاميم الثياب والاثاث الى أشكال الابنية.

وراح من تبقى من أهل هركولانيوم يتدافعون نحو الشاطىء. وفي الهرج الذي أعقب الحادث نسي الناس الفتى المريض في دكان الصائغ والسجين في مقام أغسطس وغيرهما كثير.

وبعد دقائق أعقب هذا الفيضان الناري الذي اجتاح المدينة بأسرها وابتلع كل شيء في طريقه طمو ثان أشد تدميراً اقتلع السقوف وأوقع الجدران والاعمدة وحملها الى البحر.

عندما همد فيزوف أخيراً بعد ١٩ ساعة من الثوران كانت هركولانيوم ترزح تحت

لكن الحفارين الأول أحدثوا أيضاً أضراراً بالغة. فالنهابون قوضوا الابنية واقتلعوا الجدران وأتلفوا لوحات جدارية وأعمال فسيفساء. ولم يهتموا بسوى الاشياء التي سهل بيعها. ولأن الادوات اليدوية لم تكفِ لاختراق الطبقة المتحجرة التي غطّت هركولانيوم، فانهم انصرفوا عنها وتحوّل اهتمامهم في العام ١٧٦٥ الى مومبيي لسهولة ازاحة الرماد الذي غطاها.

ولم تستأنف أعمال الحفر جدياً في هركولانيوم الا عام ١٩٢٧ حين توافرت الحفارات التي تعمل بالهواء المضغوط والادوات الكهربائية والجرارات. وهذه المرة أشرف علماء الآثار على العمل.

حكاية حضارة - زيارة المدينة كأنها انعطاف في سير الزمن. فالمادة البركانية التي غطّت هركولانيوم حفظت معظم البيوت وصانت محتوياتها، خلافاً لمدينة بومبيي التي انهارت أبنيتها. حتى الابواب ومصاريع النوافذ في هركولانيوم ما زالت تدور حول مفاصلها، وصنابير المياه المصنوعة من البرونز ما زالت تعمل.

وقبل أن تجمع الآثار وتوضع في صناديق لحمايتها من النهب، بدت الغرف كأن شاغليها خرجوا منها لتوهم. وبالقرب من السرير حيث رقد الفتى المريض وجد طبق فيه فخذ دجاجة محروقة. وعلى طاولات الزينة في بيوت أخرى نُثرت الامشاط وأدوات التجميل وامتلأت علب المجوهرات بالخواتم والاساور.

وغطّت جدران المنازل كتابات شتى. فعلى أحد الجدران تواريخ تسليم دفعات من الشراب، وعلى آخر قائمة ببعض المفردات لحفظها في البيت كفرض مدرسي، وعلى مدخل بيت ثالث العبارة الآتية: "بورتمنوس يحب امفياندا."

لم يقتصر توقف الزمن على البيوت، بل شمل كذلك الحوانيت ودكاكين الحرفيين. ففي دكان الصائغ بقيت الجوهرة نصف المنجزة على منضدة العمل. وظل الشمعدان البرونزي في دكان السبّاك ينتظر من يصلحه. وداخل الفرن في مخبز سكستوس باتولكوس وجد ثمانون رغيفاً.

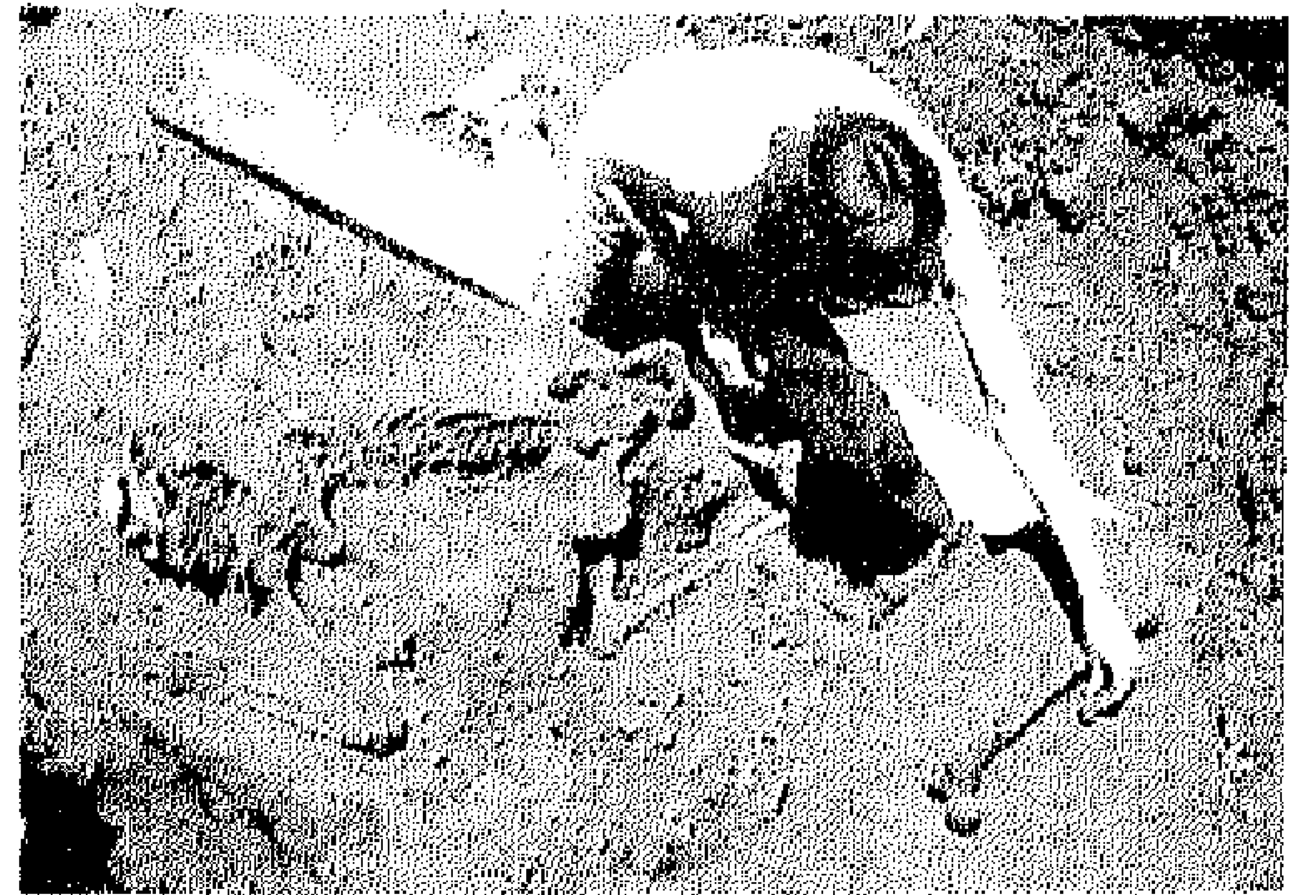
كانت هركولانيوم تفاخر بتسهيلات حديثة مدهشة. فكانت فيها مثلا شبكة مجارٍ فاعلة. وكانت المياه تصل من الجبال الى خزانات عامة والى معالف الخيل والمطابخ والمراحيض عبر انابيب من رصاص أو طين. وكان فيها حمامان عامان في كل منهما حجرة مهوأة للملابس زينت أرضها بالفسيفساء، وملعب رياضي وغرف بخار وسونا وبرك منحوتة.

هياكل محفوظة - على أن جزءاً مهماً من كبسولة هركولانيوم الزمنية ظلّ ناقصاً: الناس. ولأنه لم يُعثر خلال ٢٥٠ عاماً من الحفر إلا على تسعة هياكل بشرية، ظن الجميع أن معظم السكان تمكنوا من الهرب. ولكن لماذا يتخلى أصحاب الدكاكين عن نقودهم ولا يحملونها معهم؟ وأصحاب البيوت لماذا لم يأخذوا معهم ما خف حمله وغلا ثمنه؟

بدأت خيوط هذا اللغز تنكشف في العام ١٩٨٠ عندما عثر بعض العمال،



هيكل عظمي لامرأة؛ وقد ظهر خاتماها الذهبيان المرصعان بالجواهر. والى اليمين ساره بيسل أمام حفرية.



فيما هم يركبون مضخة تحت الارض على الشاطىء، على هيكلين بشريين أحدهما لرجل قصير القامة ممتلىء الجسم لقبه علماء الآثار "مدير الدفة" لأنه وُجد قرب قارب مقلوب، والثاني لامرأة أصبحت تُعرف بلقب "السيدة الجميلة". وفي العام ۱۹۸۲ أثناء استكمال أعمال الحفر على الشاطىء عثر علماء الآثار على ۱۳ هيكلا بشرياً أحدها لجندي كما استُدِلّ من السيف والغمد اللذين وجدا بالقرب منه.

وإذ راح العمال يحفرون في الصخر الذي سدّ المدخل الى القناطر الحجرية تحت الجدار البحري، عثروا على بقايا بشرية تبين أنها لستة أشخاص بالغين وأربعة أطفال وحاضنة تحمل طفلا وقد احتموا جميعهم تحت قنطرة واحدة. وتحت قنطرة أخرى عثر على ٤٨ هيكلا ممددة في صفوف. وتكدست بقايا ۱۹ شخصاً وحصان واحد تحت قنطرة ثالثة.

ويذكر عالم الآثار غيسيب ماغي الذي يشرف على اعمال الحفر، أن المشهد كان "عاطفياً مثيراً." فالضحايا تعذبوا كثيراً قبل أن يلفظوا أنفاسهم كما يُستدل من فكوكهم الملتوية وأطرافهم المعوجّة. وتدل الاوضاع التي وُجد بعضهم فيها على أن خوفهم لم يكن على أنفسهم بل على سواهم. فاحدى الأمهات وُجدت منحنية فوق طفلين، واحد شدته الى صدرها

والثاني غطته بيدها. وتعانق رجل وامرأته مشكلين بجسميهما حاجباً يحمي طفلهما الذي وجد بينهما.

والهياكل البشرية التي يقارب عددها المئتين وُجدت محفوظة على نحو رائع حتى ان بعضها احتفظ بأجزاء من الانسجة وخصل من الشعر. والسبب في ذلك ان الصخر البركاني الذي غطاها باحكام منع عنها الهواء تماماً فيما أبقتها المياه المتسرّبة من التربة رطبة. ولكي لا يصيبها الانحلال لدى تعرضها للهواء، أوصت عالمة الآثار سارة بيسل من مؤسسة "سميثسونيان" بغمسها في محلول من راتينج الاكريليك (٢).

عظام ناطقة – الدراسات التي أجرتها بيسل لاحقاً على تلك الهياكل أفرزت معلومات حول عادات الرومان ومميزاتهم الجسدية لم تكن معروفة من قبل. فتبين مثلا أن متوسط الطول كان ١٧٢ سنتيمتراً للذكور و١٥٧ سنتيمتراً للاناث.. وكان الرومان عموماً ذوي أجسام سليمة وعضلات مفتولة، وان ظهرت لدى بعضهم دلائل تشير الى اصابتهم بأمراض كالتهاب المفاصل وفقر الدم. وكانت أسنانهم سليمة على نحو لافت للنظر، ويعود ذلك جزئياً الى خلو طعامهم من السكر.

"عظامهم تروي قصة حياتهم،" تقول بيسل. "السيدة الجميلة" كانت فعلا جميلة الوجه رشيقة القدّ كما يُستدل من محيط الجمجمة وعظام الجذع والساقين. وكانت في قرابة الخامسة والثلاثين وقد ولدت أطفالا. وتنم عظام الذراعين عن عضلات نامية مما حمل بيسل على الاعتقاد ان صاحبتها كانت تعمل حائكة.

والجندي الذي وجد على الشاطىء كان متين البنية في نحو السابعة والثلاثين من العمر، طوله فوق المتوسط وعظام ذراعيه متضخمة من جراء حمل أشياء ثقيلة كالترس والسيف. وعلى كتفه اليمنى برزت قنّة عظمية بفعل قذف الرماح معظم سنوات حياته. وهو حمل على فخذه الايسر أثر جرح عميق من ضربة رمح تركت نتوءاً غير طبيعي على عظمة الفخذ.

العبيد فقط لم يتمتعوا بحياة جيدة في هركولانيوم، تقول بيسل. فعظام الساق لمدير الدفة الذي كان في السادسة والاربعين من عمره مسطّحة بسبب العمل من دون انقطاع وسوء التغذية. والضغط المتواصل على ظهره ترك التواء في عموده الفقري ولَحَم ستاً من فقراته. وتضيف بيسل: "ربما لم يحظ يوماً بما يكفيه من الطعام. وأسنانه المهترئة أبقته في ألم متواصل."

وستبقى هركولانيوم مادة خصبة للأخبار عشرات السنين. وما زال ثلاثة أرباع البلدة مطموراً. والاقسام التي ترزح تحت الصخر تضم مسرحاً ومعابد ودارات رائعة وسوقاً مسقوفة وألوف الامتار المربعة من المساكن والحوانيت.

ويلاحظ ماغي: "في مكان ما على الشاطىء وتحت القناطر، أعتقد أننا سنعثر على الباقين من سكان هركولانيوم المفقودين."

رونالد شيلر ■

(٢) Acrylic resin solution

في يوم صافٍ...

كل ساعتين تدور حول الارض، من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي، خمسة أقمار اصطناعية من طراز "لاندسات" لها شكل فراشات، ويبث اثنان منها سيلا من الصور الى ١٣ محطة أرضية في الولايات المتحدة وكندا والبرازيل والارجنتين وايطاليا وأسوج (السويد) وجنوب أفريقيا وتايلاند واندونيسيا والهند واليابان وأوستراليا.

في الوقت الذي استغرقته قراءة الفقرة السابقة سجلت معلومات جديدة عن ١٠ آلاف كيلومتر من كوكبنا وأرسلت الى الارض. ومَراقب (تلسكوبات) الأقمار الاصطناعية هي من الفاعلية بحيث ان أجساماً في حجم ملعب كرة مضرب تظهر في الصور الملتقطة عن بعد ٧٠٥ كيلومترات في الفضاء.

ومن العجائب التقنية الحديثة أن الاقمار الاصطناعية اكتشفت الماء في سلطنة عمان وتانزانيا، كما اكتشفت أراضي تصلح للزراعة والرعي في مالي وبوليفيا. ويمكنها التكهن بحدوث الفيضانات ومواسم الحصاد ومراقبة تلوث المياه والهواء والاكتشاف المبكر لانتشار الآفات الزراعية في الاحراج. وكما تظهر الصفحات اللاحقة، ففي امكانها أيضاً ارسال صور عن ألغاز وعن جمال فائق.

وعلى رغم أن الصور تبدو كأنها فوتوغرافية فان الأقمار الاصطناعية ليست مجهزة بآلات تصوير تقليدية، بل بآلة أوتوماتيكية فاحصة تسجل باستمرار أشعة الشمس المعكوسة التي تضرب مرآة داخل مرقب موجه نحو الأرض. وتجزىء الآلة الضوء سبعة نطاقات طيفية، بعضها ذو طول موجي مرئي بالعين المجردة وبعضها الآخر ذو طول موجي دون الأحمر فلا نراه. ويحوّل الضوء في كل نطاق اشارات الكترونية تبث الى الارض بمعدل يزيد على مليون معلومة في الثانية. وعلى الأرض تعيد الادمغة الالكترونية بناء المعلومات في شكل صور شبيهة بالفوتوغرافية. وبغية استعمال الاطوال الموجية دون الحمراء وغير المرئية، تستخدم "الالوان الزائفة" في الصور النهائية. وهكذا تبدو المناطق النباتية في الصور اللاحقة حمراء زاهية والمدن زرقاء ضاربة الى الرمادي والصخور رمادية قاتمة أو بنية والمياه سوداء أو زرقاء بحسب عمقها ونظافتها.

نيويورك. تظهر هنا جزيرة مانهاتن، الشهيرة في عالمي الاغنية والسينما، كأسفل شكل الرقم "٧" المكون من مضيق لونغ آيلاند والنهر الشرقي (الى اليمين) ونهر هدسون (الى اليسار). وتحوط مانهاتن الاقسام الادارية الاخرى لمدينة نيويورك، وهي برونكس في الشمال (ووراءها وستشستر) وكوينز وبروكلين في الشرق (ووراءهما لونغ آيلاند) وجزيرة ستاتن في الجنوب ونيوجرزي عبر نهر هدسون. وفي وسط مانهاتن يبدو شكل مستطيل أحمر هو متنزه "سنترال بارك".

أثينا. هذه المساحة من جنوب اليونان الممتدة بطول ٤٢ كيلومتراً وعرض ٢٨ كيلومتراً كانت المسرح الرئيسي لانبلاج فجر الحضارة الغربية. وتبدو أثينا ومرفأها بيرايوس بقعة كبيرة باللون الازرق الرمادي في أعلى يمين الصورة. والى الغرب من أثينا تقع جزيرة سالاميس والمضيق حيث هزم الأسطول الاغريقي جحافل الفرس عام ٤٨٠ قبل الميلاد. وفي أسفل الصورة يبدو شبه جزيرة بيلوبونيز كورقة شجر، حيث التلال الكلسية الرمادية والبنية مكسوة بالاشجار الخفيضة.

كيب تاون. تقع في الطرف الشمالي لشبه جزيرة رأس الرجاء الصالح في دولة جنوب أفريقيا. والمدينة الزرقاء الرمادية تنبسط تحت القمة المسطحة لجبل "الطاولة" الذي يعلو ١٠٨٧ متراً ويظهر هنا بالاحمر. وفي جنوب المدينة على ساحل خليج فولس يمتد خط أبيض طويل لأحد شطآن أفريقيا.

بحر المانش. في يوم صيفي لا يعتريه ضباب ولا غيوم تتجلى المدن والبلدات العريقة الممتدة على طول بحر المانش (القناة الانكليزية)، من ليمنغتون في اليسار وعبر قناة سولينت من جزيرة وايت الى ساوثامبتون وراء المدخل الفسيح لمياه ساوثامبتون أما تضاريس مرافىء بورتسموث ولانغستون وتشيشستر فتشكلت كأودية ومجار بفعل أنهار الجليد الذائب.

هولندا. تظهر مدينة أمستردام بوضوح هنا الى الجنوب من قناة بحر الشمال التي تربط بحر الشمال (في اليسار) بالماركيمير (في الوسط) الذي كان جزءاً من بحيرة زودر زي. أما الخط الابيض في الأعلى فهو سد يربط الاقليم الشمالي في هولندا (الى اليسار) بالأراضي المستصلحة (الى اليمين).

يوتاه. لابراز الفوارق بين الصخور في هذا الجزء من وسط ولاية يوتاه الامريكية عولجت الالوان بطريقة خاصة في الدماغ الالكتروني. والشكل البيضوي المهيمن في الوسط هو هضبة سان رفاييل، وهي نجد مكون من قبة متآكلة مخرمة بالأخاديد. وفي أعلى اليمين نطاق من الصخر الصلصالي يظهر باللون الازرق. وفي أسفل اليمين صحراء سان رفاييل بالبني والأصفر.

بوينس آيرس. على الضفة الجنوبية لنهر ريو ديلا بلاتا العريض الضحل تقع مدينة بوينس آيرس عاصمة الارجنتين. وهي تظهر هنا كتلة منبسطة زرقاء ضاربة الى الرمادي. والى شمال ريو ديلا بلاتا تقع الاوروغواي، وتظهر حقول القمح فيها بالرمادي والأخضر والمراعي بالاحمر.

أوسلو. هي عاصمة النروج واحدى العواصم الثلاث الأقصى الى الشمال في العالم، والاثنتان الاخربان هما هلسنكي (فنلندا) وريكيافيك (آيسلندا). وتبدو اوسلو التي تعد ٤٥٠ ألف نسمة، كرقعة زرقاء في وسط الصورة عند رأس زقاق أوسلو البحري(★) وتحوط المدينة نجود القرانيت والصوان، وهي من أقدم صخور أوروبا، وأزقة بحرية عميقة مصقولة بمجلدات العصر الجليدي والمناطق الحمراء الضاربة الى البني هي غابات، أما الرقع البيضاء فهي أراض زراعية. وفي الزاوية اليمنى في أسفل الصورة تبدو منطقة سترومستاد في أسوج (السويد).

(★) fjord زقاق بحري تكتنفه الصخور.

جاوة الوسطى. هناك ما لا يقل عن ٣٧ بركاناً ناشطاً في جزيرة جاوة. وفي الصورة يشكل جبل موريو الرأس الارضي اللافت للنظر. وتبدو مدينة سيمارانغ الى الغرب على بحر جاوة.

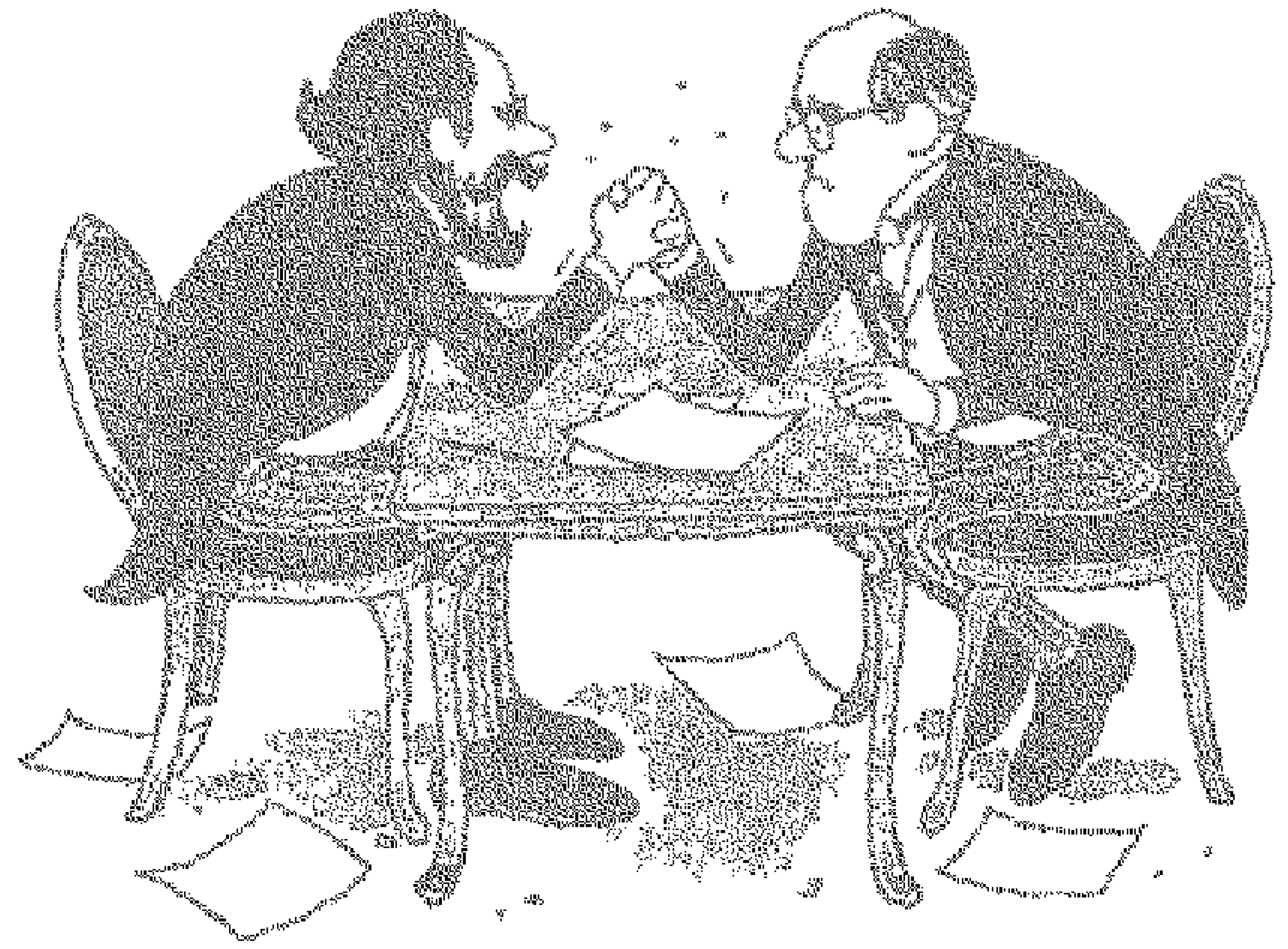
مضيق جبل طارق. لا يفصل أوروبا عن افريقيا في الطرف الغربي للمتوسط سوى ١٣ كيلومتراً. وتشمخ فوق المضيق صخرة جبل طارق الكلسية التي تعلو ٤٢٦ متراً ويحتفظ بها البريطانيون منذ العام ١٧١٣. وهي تنتأ بحدة في الجهة الشمالية الشرقية للمضيق. والى اليسار يمتد سهل اشبيلية الخصب، وفي أعلى اليسار تبدو مدينة قادش الاسبانية العربية الاصل.

وجنوب المضيق تقع المملكة المغربية، ومدينة سيتا الاسبانية في طرف شبه الجزيرة الصغير. أما الرقعة الزرقاء على الشاطىء الشمالي الغربي فهي مدينة طنجة المغربية.

شانغهاي ونهر يانغتسي. ان دلتا يانغتسي العظيمة هي من أكثر مناطق العالم زراعة. والنمو الكثيف والمتـــواصـل للنبـاتـات، كـالـرز والقـطن والتوت، يبدو هنا باللون الاحمر. وشانغهاي هي المرفأ الصيني الرئيسي للتجارة الخارجية، وتبدو في أسفل اليسار كلطخة بنية على نهر هوانبو.



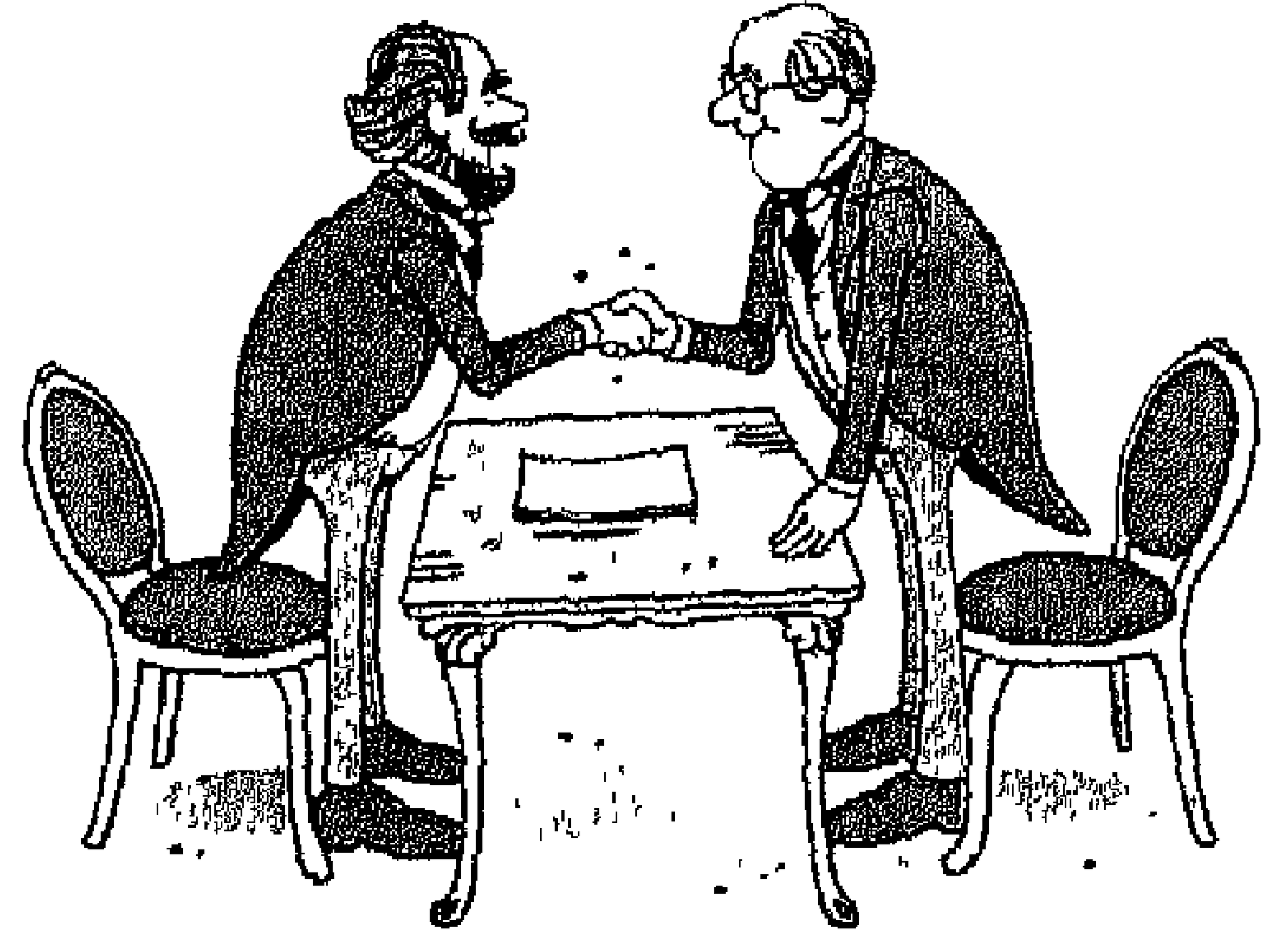
باريس. المقياس هنا سنتيمتر لكل نصف كيلومتر. هذه الصورة الناتجة من تظهير رسائل الاقمار الاصطناعية بواسطة الادمغة الالكترونية تبين التفاصيل الدقيقة التي سنحصل عليها من الأقمار الاصطناعية في المستقبل. والقطاع الأحمر الكبير في أعلى اليسار هو غابة بولونيا. ويرى "ظل" برج ايفل في أعلى اليمين في الطرف الشمالي لموقع "شان دو مارس" الذي يبدو بالاحمر.



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد كلها على وزن "استفعل". وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. استأثر: استبدَّ بالشيء - عطف - فضَّل - طلب الثأر.
٢. استرقّ: تعثّر - ضاع ماله - سرق - مشى سريعاً.
٣. استماح: أخذ عنوة - سأل عطاء - محا - اعتذر.
٤. استغلق: اشتد بخله - استغلى - كتم السر - عسر.
٥. استحكم: صار محكماً متقناً - استشفى - تملّك - حاز حكمة.
٦. استضاف: أجار وألجأ - زاد - طلب الضيافة - بلغ الضفة.
٧. استنكف: عاد خائباً - خاصم - خاف وجبن - امتنع.
٨. استفزّ: وثب هلعاً - أزعج - فاجأ - استمات للفوز.
٩. استعر: اقترض - اتّقد - جُنَّ - أصيب بحكاك.
١٠. استباح: جعل الشيء مباحاً - أفشى - تغزّل - استخفّ.
١١. استنبط: زرع - جمع قواه - اخترع - تكلم بلؤم.
١٢. استأنف: اعتزّ - أبى - عاود واستكمل - ابتدأ.
١٣. استشرى: اندلق - تفاقم - تسلل - طلب الرأي.
١٤. استحْيَن: جازف - صوَّب - توقع الحين المناسب - تحوَّل.
١٥. استهوى: تنفس - استهان - ذهب بالعقل وحيَّر - تظاهر بالسقوط.
١٦. استشفّ: تبيَّن المستور - رق - برىء - انتقم.
١٧. استنفد: اخترق - أنجز - قوي نفوذه - أفنى واستفرغ.
١٨. استحيا: انتعش - احتشم - رد التحية - ابتسم.
١٩. استشاط: ركل - نشط - التهب غيظاً - ضرب بظاهر يده.
٢٠. استمزج: غش - أغضب - استحسن - امتزج بالآخر ليعرف هواه.
٢١. استرسل: تدلى - كتب رسالة - ائتمن - نظر طويلا.
٢٢. إستحوذ: استولى - انتعل حذاء - قلّد - قاد حصاناً.
٢٣. استغل: أهمل - تحيَّن غفلة - استصغر - غض الطرف.
٢٤. استكان: هدأ - لزم بيته - ذل وخضع - سكت.
٢٥. استهجن: أعجب - ركب الجمل - وبخ - استقبح.



الأجوبة الصحيحة

١. استأثر بالشيء: استبد به وخص به نفسه. آثر: اختار وفضّل.
٢. استرق منه الشيء: سرقه. والسمع: استمع مستخفياً.
٣. استماحه: سأله العطاء أو أن يشفع له.
٤. استغلق الباب: عسر فتحه. والكلامُ على فلان: أرتج عليه فلم يجد وجهاً للتكلم.
٥. استحكم الامرُ: صار محكماً متقناً.
٦. استضاف: طلب الضيافة. أيضاً: استغاث. أضاف: أجار وألجأ.
٧. استنكف من الشيء: امتنع انفة وحميَّة واستكباراً.
٨. استفزَّه: أزعجه وجعله يضطرب. أيضاً: قتله.
٩. استعَرَ: اتّقد. استعر الشرُّ: انتشر.
١٠. استباح الشيء: جعله أو اعتبره مباحاً. أباحه: أجازه.
١١. استنبط: اخترع وأظهر بعد خفاء. واستنبط البئرَ: استخرج ماءها.
١٢. استأنف: ابتدأ، وهي تستعمل خطأ بمعنى عاود أو أكمل. والمستأنَف ما لم يُسبَق اليه.
١٣. استشرى: غضب. وفي الامر: لجَّ فيه. استشرت الامور: تفاقمت وعظمت.
١٤. استحيَن وتحيَّن: توقع الحين المناسب.
١٥. استهواه: ذهب بهواه وعقله وحيَّره وزيَّن له هواه.
١٦. استشفَّ له السترُ: تبين له ما وراءه. استشفَّ الامرَ: نظر فيه وتبينه. والكتابَ: تأمل ما فيه.
١٧. استنفد الشيء: أفناه. ووسْعَه: استفرغه.
١٨. استحيا، واستحى منه: احتشم وخجل. استحيا أيضاً انقبض وامتنع.
١٩. استشاط عليه: التهب غيظاً.
٢٠. استمزجه: امتزج به ليعرف هواه وميله.
٢١. استرسل الشَعْرُ: تدلى. والشيءُ: سلس. وفي الكلام: اتسع وانبسط.
٢٢. استحوذ عليه: غلبه واستولى عليه.
٢٣. استغفله: تحيَّن غفلته. أغفل: اهمل. تغافل: تظاهر أنه غافل.
٢٤. استكان: ذل وخضع. استكنَّ: استتر ورجع الى كنه أي بيته. الكنين: المستور.
٢٥. استهجن فعله: استقبحه.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول

تقرير خاص

السلع المزيفة تغرق الاسواق العالمية، وبينها ثياب وحلى وساعات وأدمغة إلكترونية وقطع سيارات وعقاقير وعطور وسواها كثير. فاحذروا التقليد!

قراصنة التجارة

كلمة "مزورة" دعتنا يوماً الى الاسراع في تفحص الاوراق النقدية في محافظنا وحقائبنا. واليوم قد تكون تلك المَحَافِظ والحقائب مزورة أيضاً هي وعشرات المنتجات الأخرى، من الادمغة الالكترونية الى قطع السيارات وسراويل الجينز والحلى والعقاقير والعطور. وثمة عشرات العلامات التجارية الشهيرة تمّ تزييفها مثل "كارتييه" و"ليفي شتراوس" و"كريستيان ديور" و"أديداس" و"رولكس".

□ في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤ وصل مستوعب (كونتينر) طوله ١٢ متراً الى محطة للشاحنات في احدى ضواحي بوسطن بولاية مساتشوستس، وكتب عليه "خزف صيني من تايوان." وحين فتح موظفو الجمارك المستوعب بعدما شكوا في أمره، وجدوا داخله ٦٠٠٠ دمية مزيفة من نوع «Cabbage Patch» مخبأة خلف صناديق تحتوي على خزف صيني.

□ ثمة ٣٥ نسخة من الاغنية الشهيرة "نحن العالم"(١) تمّ تزويرها في الولايات المتحدة الامريكية وروّجت في آسيا والشرق الأوسط عام ١٩٨٥. وقد حصل المزيفون على نحو مليوني دولار من الأموال المخصّصة لاغاثة الجياع عبر بيعهم قمصاناً رياضية زائفة طبعت عليها عبارة "نحن العالم."

□ لاحظ أحد الصيادلة على علب حبوب

(١) «We Are the World» اغنية رائجة تضمنها برنامج «USA for Africa» الذي أحيته مجموعة من الفنانين الامريكيين وعاد ريعه الى ضحايا المجاعات في افريقيا.

لمنع الحمل كلمة "سيبل" بدلا من كلمة "سيرل" (٢). وكشفت المكالمة التي أجراها مع شركة "سيرل" وجود مليون حبة زائفة في أنحاء الولايات المتحدة.

تقول فرجينيا كنور مستشارة الرئيس الامريكي رونالد ريغان لشؤون المستهلكين: "إن التزوير لحق جميع المنتجات المستهلكة تقريباً، وسوقنا التجارية لم تواجه تحدّياً كما هو حاصل اليوم." وقدرت نسبة المنتجات المزورة في التجارة الدولية في العام ١٩٨٤ بثلاثة الى تسعة في المئة، أي بنحو ٣٦ مليار دولار.

ويحذر جيمس بيكوف رئيس التحالف الدولي لضبط التزوير في الصناعات الخاصة: "ما يخيف هو المدى الذي وصل اليه التزوير في تهديد حياة المستهلكين وسلامتهم، وليس جيوبهم فحسب."

لقد أبلغ عن بضع حالات من النزف غير الطبيعي ابتليت بها نسوة كن يستعملن حبوب منع الحمل الزائفة، ولم توفر الحبوب وقاية كافية لمنع الحمل. وحشيت الدمى الزائفة بخرق بالية رشّت بمادة سامة تحتوي على الكاز. وثمة حادث وقع لطائرة مروحية في الولايات المتحدة كان سببه قطعة غيار مقلدة. كما وقع حادث اصطدام لحافلة في لندن أدّى الى مصرع عدد من الركاب وكان سببه أحذية كوابح(٣) مقلدة.

ووجدت قطع غيار مقلدة في طائرات حلف شمال الأطلسي. وقبل سنوات قليلة استرجعت ادارة الغذاء والدواء في الولايات المتحدة ٣٥٠ مضخّة طبيّة للقلب من ٢٦٦ مستشفى لأن احدى الرقائق كانت مقلّدة. ويحذّر عضو الكونغرس الامريكي جون دنغل، وهو رئيس لجنة فرعية في الحكومة الامريكية أجرت تحقيقات في قضية التزوير، من أن كل من يقود سيارة أو يركب طائرة أو يستعمل أدوات طبية كثيرة، أكانت مستحضرات تباع في الصيدليات أم منتجات للعناية الشخصية، هو عرضة للخطر بسبب المصنوعات الزائفة.

"تزييفات أصلية" — ان سرقة التصاميم والتكنولوجيا والاختراعات والعلامات التجارية، والتي يشار اليها بأنها "قرصنة فكرية"، ليست بالشيء الجديد. كذلك التزوير الذي يوصف بفن بيع المنتجات الزائفة التي تعرض على أنها أصلية. لكن الجديد في الأمر هو توافر البضائع الزائفة بكميات كبيرة في السنوات الخمس عشرة الماضية. وهذه ظاهرة تعود الى جنوح المستهلك الى استعمال سلع ذات أسماء تجارية شهيرة والى قرارات اتخذها صناعيون كثيرون بانتاج البضائع وتسويقها في الخارج.

في البداية كانت الاسطوانات وأشرطة التسجيل والملابس والسلع الجلدية والساعات الغالية أهدافاً أساسية للتزييف. وانطلاقاً من هنا، توسع التزييف ليصبح استراتيجية غير رسمية للانماء الوطني ومصدراً رئيسياً للتوظيف في عدد من بلدان العالم الثالث حيث تتسم القوانين التي تتناول التزييف بالوهن والتساهل.

(٢) Seable بدلا من Searle
(٣) Brake shoes

إن معظم المنتجات الزائفة يصنع حالياً في جنوب شرق آسيا وفي أمريكا اللاتينية. لكن ايطاليا أصبحت مركزاً لتقليد الأزياء والسلع الجلدية الغالية، كما أصبحت بريطانيا مركزاً لتقليد العطور.

والولايات المتحدة هي أيضاً منتجة للسلع الزائفة. فقد صودرت في هيوستن بتكساس في العام ١٩٨٤ محركات للسيارات مقلدة لمنتجات "جنرال موتورز"، وكانت في طريقها الى خارج البلاد.

كيف يتم تزييف سلعة ما في الولايات المتحدة؟

يسافر أحد المستوردين الامريكيين الى تايبه في تايوان ويطلب صنع قمصان شبيهة بمنتجات شركة شهيرة. وتشحن القمصان المقلّدة الى الولايات المتحدة من دون أن تحمل أي علامات تدل على صانعها كي لا يرتاب مفتشو الجمارك في أمرها. وعندما تصل الى هناك ترسل الى عمال التجميع، وقد يكونون جماعات من نساء مهاجرات يعملن في مستودعات في نيويورك أو نيوجرزي، فيلحقن بها تعليمات الغسيل وعلامة المصمم الشهير. ومن ثم يتم بيع القمصان التايوانية الى تاجر الجملة الذي يوزعها على بائعي المفرّق (القطاعي) ويحصل الزبائن عليها من أسواق السلع الرخيصة وزوايا الشوارع والمخازن التي تقدّم حسومات.

أثناء قيام أحد رجال المباحث في مدينة نيويورك بالتحقيق في معلومات سرّية حول تقليد سترات تحمل اسم "غلوريا فاندربلت" قصد مصنعاً مشبوهاً في لونغ آيلاند بولاية نيويورك. وبعدما تظاهر بأنه زبون يريد شراء سترات، وجد كميات كبيرة منها ولكن من دون اسم "فاندربلت" عليها. واذ همّ بالانصراف سأله صاحب المصنع: "بالمناسبة، ما العلامة التي تريدها على السترات؟" وأبرز له علامات لا تعود فقط الى "غلوريا فاندربلت" بل أيضاً الى "كالفن كلاين" و"جورجيو أرماني" و"جورداش" وسواهم.

لقد تم تهريب الدمى المزيفة الى الولايات المتحدة من طريق شحن أجسامها الى مرفأ ما ورؤوسها الى مرفأ آخر. والسلع المزيفة تحمل أسماء تجارية يسهل تعديلها. فساعات «ASEIKON» تصبح ساعات «SEIKO» بعد حذف الحرف الاول والحرف الأخير، وساعات «BOLEX» تصبح «ROLEX» بسهولة. وفي بعض الأحيان لا يعمد الى أي محاولة لخداع الزبائن. وحتى في الولايات المتحدة تعرض الاعلانات "مجوهرات طبق الأصل" أو "تزييفات أصليّة" وقد صادرت الشرطة ٥٠٠ ألف رقعة تجارية لنحو ١٠٠ ماركة بعدما أعلن مصنع في نيوجرزي عن "تسليم فوري" لرقع تجارية.

الاحتيال على الخبراء - التكنولوجيا الحديثة تصعّب محاربة السلع الزائفة. ويقول ليندسي كيانغ نائب الرئيس والمستشار العام في شركة "لوتس دفلوبمنت" إن نسخ برنامج للدماغ الالكتروني يستغرق دقيقتين فقط، وفي الامكان تقليد التوضيب على نحو كامل تقريباً.

وتبلغ مهارة بعض المزيفين أنهم يخدعون أحياناً من ينبغي أن يعرف أكثر من سواه. لذا استخدمت شركة "رولكس" في الولايات المتحدة الامريكية وكالة للبحث عن ساعات "رولكس" الزائفة. ودهش محامي الوكالة عندما أخبره المسؤول في الشركة أن ساعة "رولكس" التي في يده أصليّة لكن طوقها الذهبي مزور. ولقد كان مقلدو نظام محوّل للفيديو من الدقة بحيث أنهم قلّدوا أخطاء مطبعية وردت في نشرة التعليمات الأصلية.

ولكن، من جهة أخرى، كيف يقع المرء ضحية أشياء مزوّرة مثل سروال جينز ذي شهرة واسعة خيطت علامته التجارية في موضع مغاير وأشرطة فيديو "كوازار" عليها رموز غير نظيفة وقمصان "ايزود لاكوست" عليها رسم تمساح مشوّه القسمات.

حتى بالنسبة الى الصناعات الفردية يمكن أن تكون مبيعات المزيفين كبيرة جداً. ويقدّر اتحاد صناعة الساعات السويسرية أن ١٠ ملايين ساعة مزورة يتم انتاجها سنوياً، كما قدّر صانعو قطع غيار السيارات قيمة القطع التي ضاعت من دربهم في الولايات المتحدة بثلاثة مليارات دولار، وباثني عشر ملياراً خارجها. وتشير احدى الدراسات إلى أن الصناعة الزراعية الكيميائية تخسر ما يراوح بين ١٥٠ مليون دولار و٣٠٠ مليون سنوياً.

ويعترف كيانغ من شركة "لوتس" بأن التقليد دمر صناعة الادمغة الالكترونية. ويدعي أن في مقابل كل نسخة أصلية من برامج "لوتس ١ - ٢ - ٣" هناك نسخة زائفة. ويقدّر ان الشركة خسرت ١٦١ مليون دولار في العام ١٩٨٤ بسبب التزييف. ويحذّر من أن خسارة ثمرة سنين من العمل ومليارات الدولارات التي صرفت على الابحاث والتحسينات قد تحد من نشوء تكنولوجيات حديثة وشركات ومنتجات جديدة.

والمستهلكون هم خاسرون أيضاً. فنحن ندفع الثمن مباشرة لدى شرائنا قميصاً ينفتق في موضع الدرزة بعد غسله مرتين، أو ساعة تتوقف بعد أسابيع قليلة. ونحن ندفع الثمن على نحو غير مباشر عندما ندفع دولاراً اضافيا عن كل سروال جينز لتعويض النفقات التي يتكبدها صانعه في محاربة التزييف. ويمكن ان تكون الكلفة الفردية أعلى إذا أدى شامبو مزيّف الى إثارة جلدة الرأس أو أدّت عقاقير زائفة الى مرض مستعملها أو اخفقت كوابح السيارة في ايقافها.

تدابير متشددة – إن الطريقة الافضل لمكافحة السلع الزائفة هي التوجه الى مصدرها. ولسوء الحظ، يقول دنفل عضو اللجنة الفرعية في الكونغرس الامريكي، "ليست ثمة طريقة ناجعة أو متماسكة لحماية حقوق امتلاك السلع في الاسواق العالمية."

ومع ذلك تمارس الولايات المتحدة ضغطاً على تايوان وكوريا الجنوبية وغيرهما من البلدان الضالعة في التزييف، مما أدى الى تحقيق بعض التقدم. ففي تايوان مثلا بدأ التشدّد في وضع القوانين وتنفيذها.

وأطلق "الاتحاد الدولي لمكافحة التزوير" برامج لارشاد المستهلكين مشدّداً على أن السلع الزائفة قلّما تكون بالجودة التي توحيها في الوهلة الأولى. وتعكف الشركات الاعضاء في الاتحاد على تطوير تكنولوجيا جديدة لكشف المنتجات الزائفة، بما في ذلك رقائق بالغة الصغر تتضمن رموزاً شفرية وتوضع داخل السلع ويمكن اكتشافها بواسطة أداة فاحصة، كذلك مادة بصرية تتألف منها العلامات التجارية وتعطي أشكالا ثلاثية الأبعاد حين ينظر اليها بمنظار خاص.

في غضون ذلك، كيف تحمي نفسك من السلع الزائفة؟

□ اشتر من مخزن تثق به. واذا عرضت عليك حقيبة "غوتشي" في زاوية الشارع أو ساعة "كارتييه" في محلّ يدّعي "تصفية بداعي السفر" فكّر في أن الحقيبة والساعة مزيفتان. أشترِ من محل يتمتع صاحبه بسمعة طيبة ويمكنك إعادة السلع اليه.

□ تحقّق من العلامات التجارية والملصقات والعلب. فتِش عن طباعة ملطخة أو ذات ألوان فاسدة، وعن تغليف غير مرتب وانتاج رديء للصور وأحرف غير سليمة خصوصاً على الاسطوانات والاشرطة والالعاب والساعات ومستحضرات التجميل. وغالباً ما تكون البطاقات المزيفة الخاصة بالاسعار مجعّدة وضعيفة الالوان وتهجئة كلماتها غير صحيحة، أو يكون شكل العلامات التجارية مغايراً للشكل الصحيح وتكون هي غير معلقة باحكام.

□ إبحث عن النوعية. تأكد مما اذا كانت السلع سيئة الصنع أو رديئة المحتوى ومما اذا كانت علامتها التجارية موضوعة عليها باهمال. الدرزة والسحّاب يدلان على نوعية الجينز. فالسلع الرديئة لها دلائلها.

□ إحذر الصفقات. إنّ حسماً على الاسعار يتعدى ٤٠ أو ٥٠ في المئة يدل على التزييف، خصوصاً عندما يعطيه بائع مشكوك في أمره. واذا بدا أن سعر سلعة ما متدن جداً فالارجح أنها زائفة.

إن وعي المستهلكين وحده سيؤدي الى الفوز في الحرب المعلنة على التزييف. وحتى يتعقل المشترون، فان ما شهدته الجادة الخامسة في مدينة نيويورك أخيراً سيبقى أمراً مألوفاً. كان هناك بائع يعرض في الشارع سترات متطابقة ما خلا أن بعضاً منها يحمل اسم "رالف لورن" وبعضاً آخر يحمل اسم "أيزود لاكوست" والبقية تحمل اسم "كالفن كلاين." وسأله أحد الزبائن: "هل لديك سترة تحمل اسم جورجيو أرماني؟" فأجابه البائع: "لا تقلق. سآتيك غداً بكنزة عليها الاسم المطلوب."

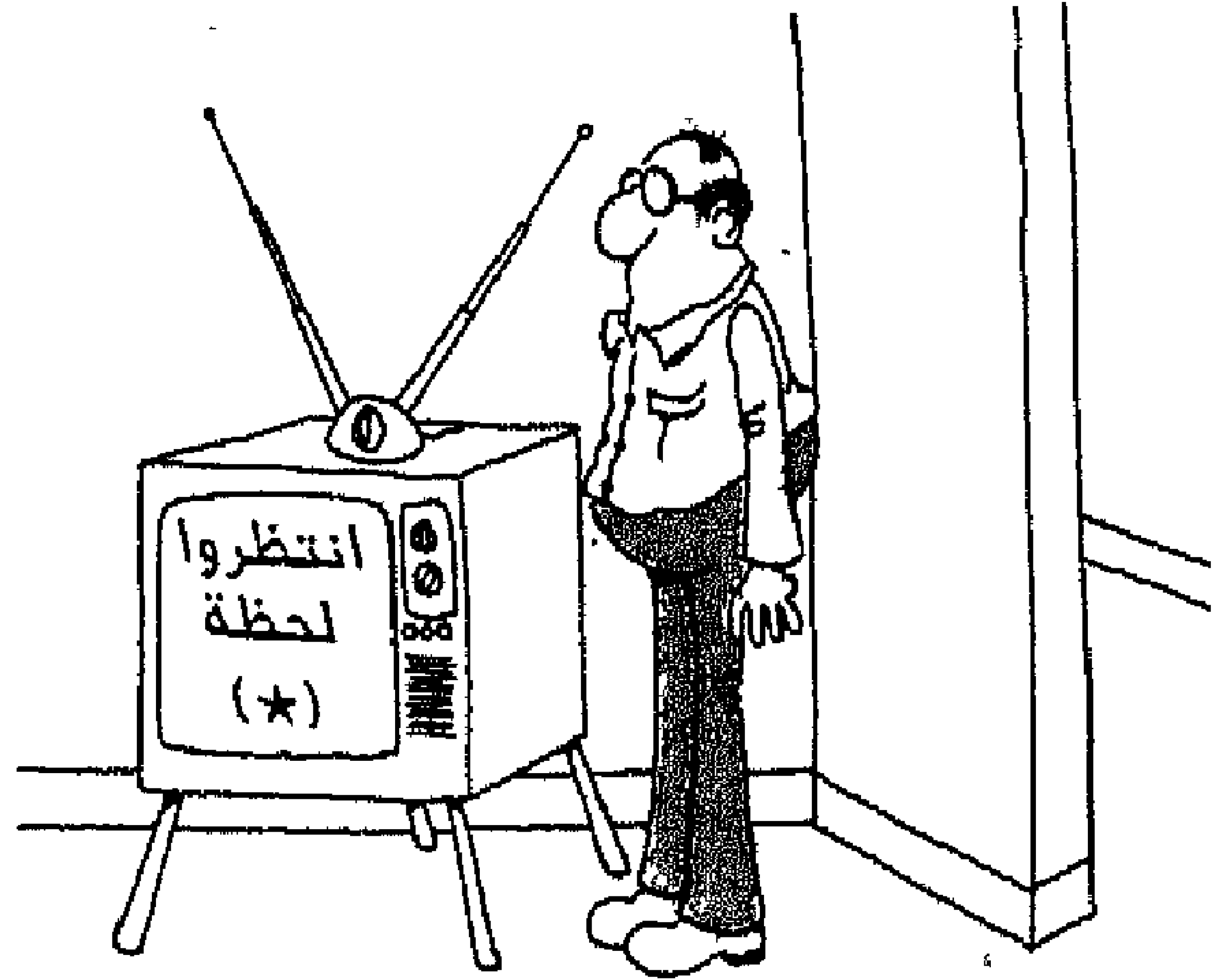
كارل روان وديفيد مازي ■

قيمة الرسالة

الرسالة الجيدة في هذا العصر المعقد تشبه رداء محوكاً باليد أو مربّى منزلية. انها نعمة صغيرة، هدية مكتوبة باليد ومقدمة من انسان الى آخر.

و.س.

جنون التلفزيون



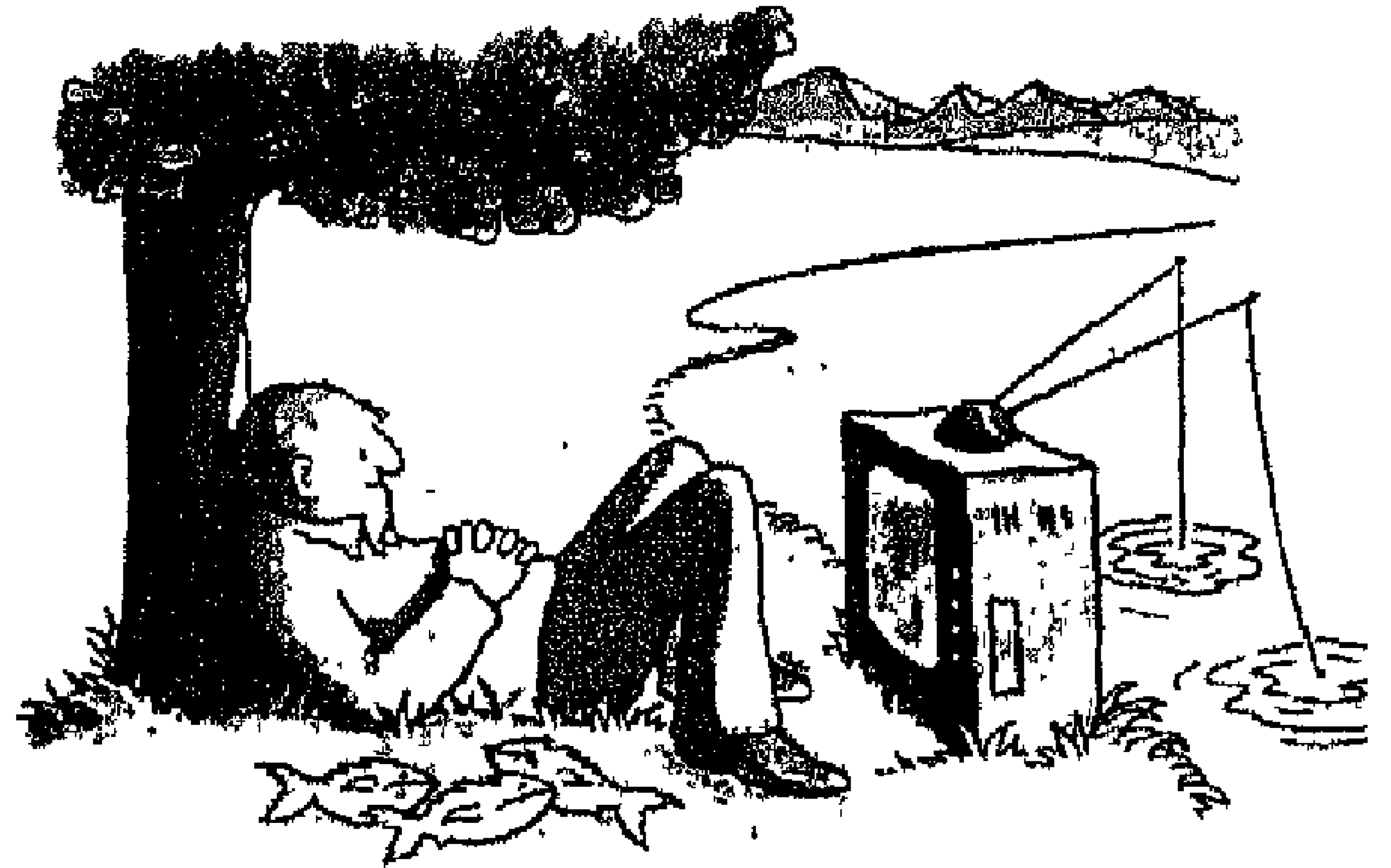
Bucella in Cal

(★) عبارة Please stand-by تعني قفوا بقربنا أو بجانبنا.

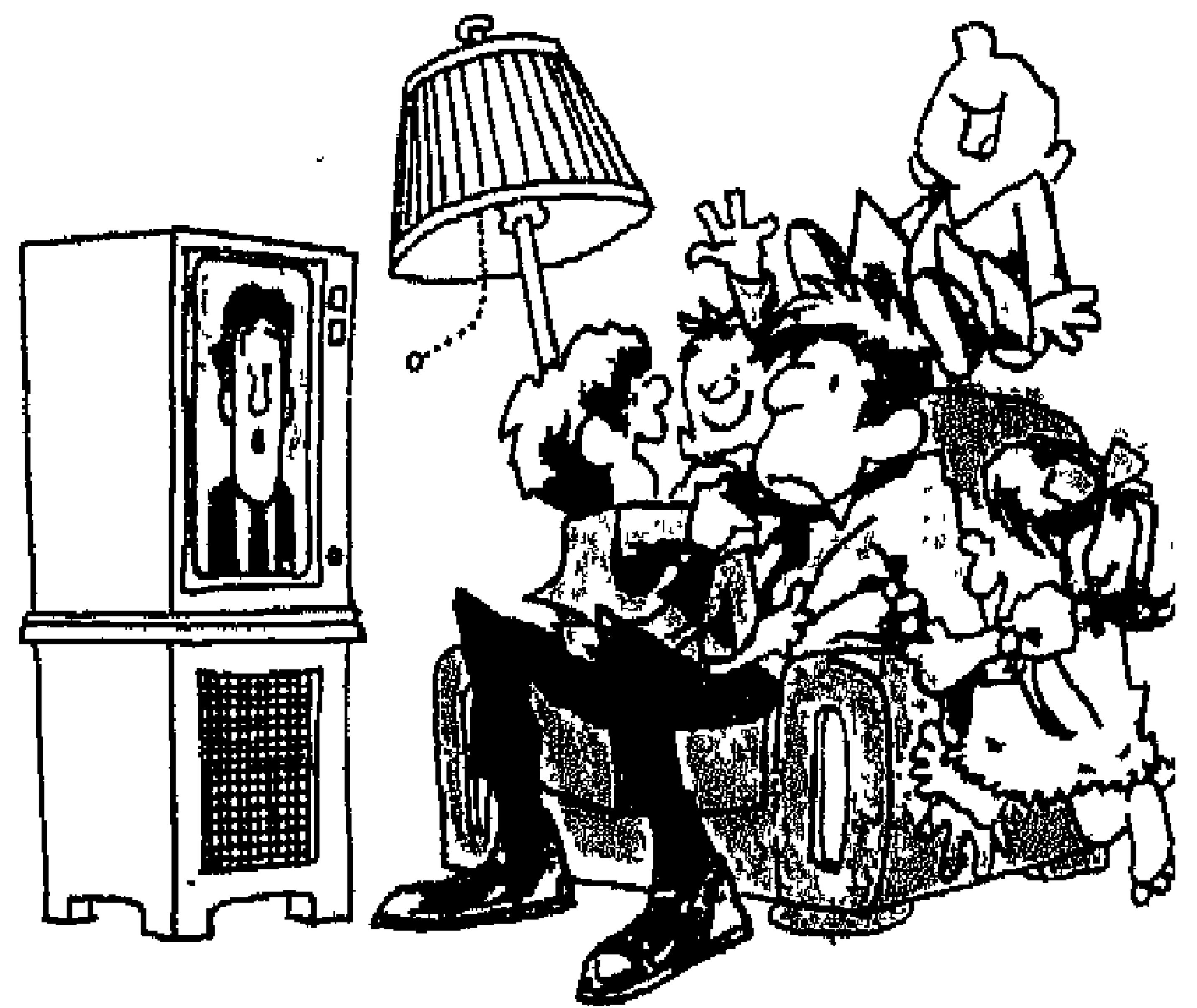


"لا توهمني بأنك كنت تقرأ، فجهاز التلفزيون لا يزال حامياً."

Joe Mirachi in TV Guide

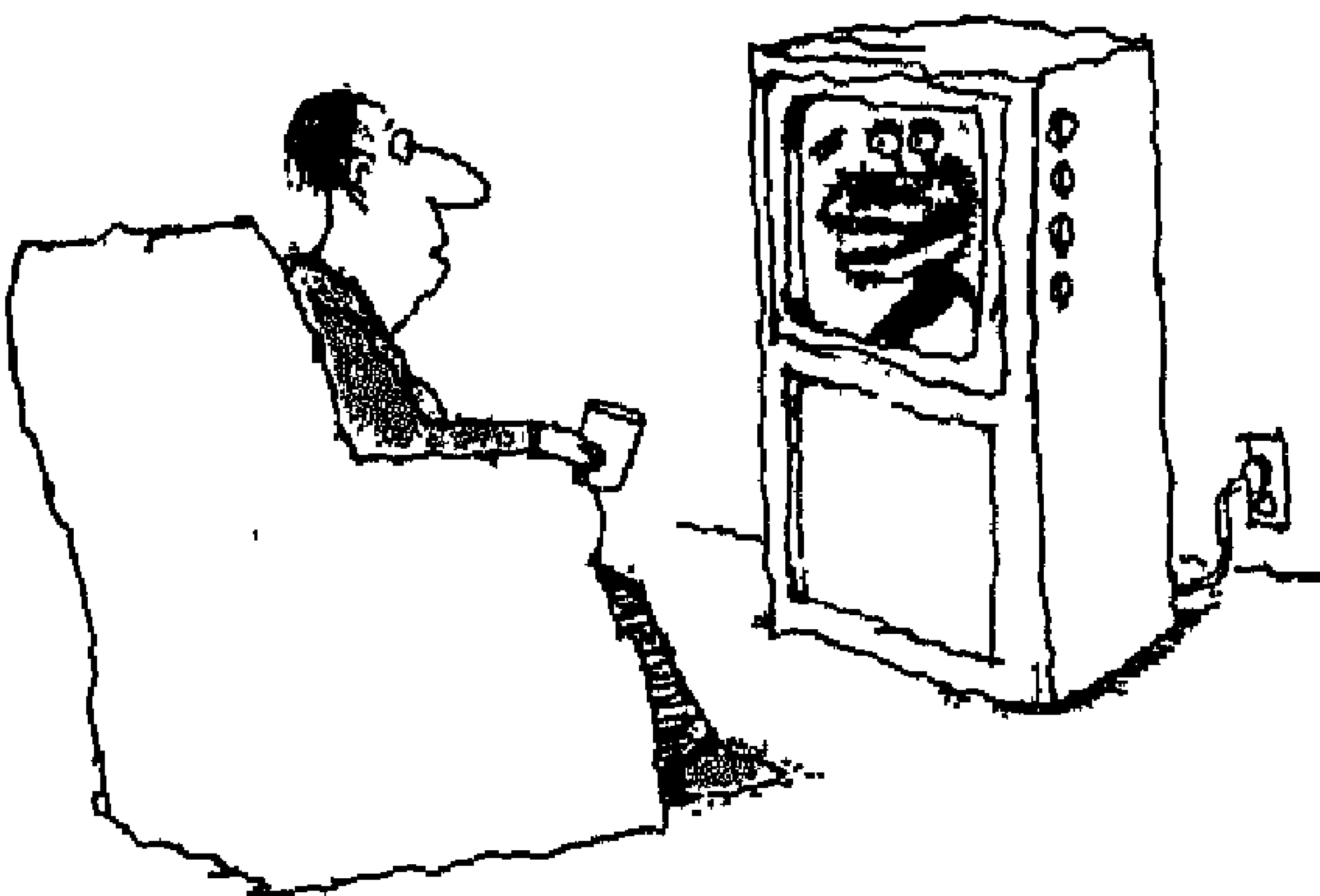


Jonik in Modern Maturity



المذيع: "انها العاشرة ليلا. هل تعرفون حقاً أين أولادكم الآن وماذا يفعلون؟"

Singer Communications Inc.



"البرنامج الآتي ينقل اليكم عبر الاقمار الاصطناعية."

Jared in The Saturday Evening Post
© BFL & Ms., Inc.

اسرار التفوق

شروط التفوق متوافرة فينا جميعاً، وهنا خمسة مبادىء تتيح لنا استغلالها

عام ١٩٦٧ كنت في عداد فريق "غرومن" الفضائي بصفة مبرمج مبتدىء للدماغ الالكتروني. وهو الفريق الذي أوكلت اليه مهمة تصميم، وصنع، العربة القمرية التي حملتها المركبة الفضائية "أبولو - ١١". وتلك العربة هي الاولى التي حملت على متنها انساناً وهبطت به على سطح القمر.

وعندما بدأ العمل حدث أمر مفاجىء وغريب، إذ تحوّل ألوف الرجال والنساء العاملين في المشروع - مديرين وسكرتيرات وتقنيين - موظفين أعطوا أفضل انتاج في حياتهم.

في غضون ١٨ شهراً حقّقت شعبتنا أداء متقدماً جداً بعدما كان ضعيفاً نسبياً. وسألني المدير: "هل تريد أن تعرف سبب ذلك؟" وأشار الى القمر الشاحب الذي كاد يحتجب في السماء

Condensed from «Peak Performers: The New Heroes of American Business,»
copyright © 1986 by Garfield Enterprises, Inc., published by
William Morrow & Co., Inc., New York, N.Y.

الشرقية وقال: "ما فتىء الانسان منذ آلاف السنين يحلم بالوصول الى هناك. ونحن سنحقّق له حلمه."

أردت أن أتعلم المزيد عن الدوافع التي تحض الناس على بذل جهود خارقة، فأصبحت محللا نفسياً. بعدئذٍ عملت فترة مع مرضى مصابين بالسرطان في مراحله المتقدمة. وعلى رغم أن حالاتهم كانت أكثر تعقيداً مما يتطلبه العمل العادي، فان الناجين – مثل زملائي القدامى في غرومن – تكلّموا عن مهمة خارقة ألهمتهم. وأخبرني أحدهم، وهو عازف بيانو، أنه كان يعتمد على طاقات جسدية وفكرية وعاطفية لم يعلم بوجودها لديه من قبل. وأضاف: "ان بقائي حياً في هذه الأيام أصعب كثيراً من عزف مقطوعات موزار أو شوبان، وهو أصبح انجازي الأهم."

وبعد الانجازات التي شاهدتها في مجال الرياضة وفي المجالات الاخرى، اقتنعت بأن الحافز على التفوق يأتي في الدرجة الاولى من داخل الانسان. وتساءلت هل في الامكان اكتشاف سبل تتيح السيطرة الارادية على الأداء المتميز وتستهل العمل الذي يحقق انجازاً مميزاً؟ وعقدت العزم على معرفة الجواب.

علمت خلال السنوات الثماني عشرة التي قضيتها في دراسة المتفوقين أن هؤلاء ليسوا فوق البشر ولا يتمتعون بموهبة فريدة مشتركة أو ببراعة مكتسبة. فما يجمع بينهم براعة مميزة في تعزيز النقاط الايجابية بواسطة أساليب بسيطة يمكن أي شخص ممارستها. وهنا أهم المبادىء:

١. تطلّع الى هدف ما. يطمح المتفوقون الى اكثر من الفوز في المباراة المقبلة. انهم يتطلعون الى نيل البطولة، ولديهم هدف بعيد المدى يلهمهم التزامه والعمل من أجله.

كان السير توماس واطسون في الاربعين عندما أصبح مديراً عاماً لشركة صغيرة تصنع مشرّحات اللحم وساعات ضبط الدوام وآلات تثقيب البطاقات. وهو أدرك امكانات الآلة في استيعاب المعلومات وخزنها قبل عشر سنين من انزال الدماغ الالكتروني الى الاسواق. وتماشياً مع تطلعاته أطلق على شركته الصغيرة اسم "الشركة الدولية للآلات التجارية" (IBM). ولدى سؤاله في نهاية حياته عن المرحلة التي توقع فيها لشركته أن تصبح بهذا الكبر أجاب: "منذ البداية."

عندما يزمع المتفوق على الشروع في العمل يسأل نفسه: "ماذا أحب أن أفعل؟ ما هو العمل الذي أحسنه؟" المتفوق قليل الاهتمام باظهار جدارته في كل شيء ويفضل استخدام مهارته في سبيل هدف معيّن. والمبدأ الاساسي يتمثل في ألّا تكون آينشتاين بالضرورة، بل أن تكون ذاتك الاكثر انتاجاً.

٢. ضع النتائج نصب عينيك. إنّ مدمني العمل يكرسون أنفسهم للعمل

النشيط، والمتفوقون تهمهم النتائج، وهم يعملون من أجل أهداف تساهم في تحقيق ذواتهم. وفي امكانهم رؤية النهاية التي ينشدون والسبل التي تؤدي اليها.

كان جيم غراي عامل أسلاك في مصلحة الهاتف ورغب في أن يصبح مشرفاً على الصيانة، إلا أنه كان يفتقر الى الاقدمية ولا أمل له في الترقية. وبغية لفت نظر رؤسائه ركّز كل طاقته ليكون أفضل حرفي في مجموعته. وهو يقول: "جلّ ما توجّب علي فعله أن أثبت أن جيم غراي والعمل الجيّد صنوان."

لاحظ الموظفون الكبار في الشركة انجازات جيم، وعرفوا انه حتى حين يعمل في فتحة أرضية للهاتف فلم يكن أحد يدخل لمساعدته لأنه يؤدي عمله على أكمل وجه. وهكذا نقل جيم من قسم التركيب الى قسم الصيانة، ثم عين مدرباً لتقنيين جدد. وسرعان ما رقي الى رتبة مشرف على الصيانة فحقق الحلم الذي كان يدغدغ مخيلته منذ وقت بعيد.

إن المتفوقين لا يعيرون اهتماماً للثغرة المثبطة بين ما هم عليه وما يرغبون في الوصول اليه. وهم – مثل جيم – يضعون نصب أعينهم أهدافاً تتماشى مع تطلعاتهم، وهذا ما يدعوه أحد أصحاب شركة كبرى للمحاسبة "أحلاماً لها مواعيد قصوى للتحقيق."

٣. استغلّ قدراتك الكامنة. يعتقد عالم النفس إبراهام ماسلو أن ثمة نزوعاً في كل فرد الى "تحقيق ذاته." ويشير الى "طاقات تطالب باستغلالها" والى عزم متواصل على تطوير الذات واحترامها وتحقيق الانجازات. ان طاقة الفرد الكامنة لا تبرز من خلال تعوُّد المهارات، بل من خلال تشريع الأبواب أمام القدرات التي تنتظر استغلالها.

لقد ظن خبراء كثيرون في العام ١٩٥٣ أن اجتياز ١٦٠٠ متر ركضاً في أربع دقائق أمر مستحيل جسدياً. لكن البريطاني روجر بانيستر امتلك قدرات كامنة دعته الى عدم الاخذ بالاعتقاد الشائع. وفي العام ١٩٥٤ حطم بانيستر الرقم العالمي وقطع المسافة في ثلاث دقائق وتسع وخمسين ثانية وأربعة أعشار. وبعد العمل البطولي الذي حققه أخذ العداؤون في أنحاء العالم يقطعون مسافة الـ١٦٠٠ متر في أقل من أربع دقائق.

٤. نَمِّ روح العمل الجماعي. الانجازات العالية المستوى، خصوصاً في مواقف تنافسية داخل مؤسسة ما، يمكن أن تبرز من خلال دعوة المرء الآخرين الى المشاركة في عمله الخاص وتقديم قدراتهم الدفينة.

أحد المشرفين على العمال في مصنع حراري أعطى تفسيراً لتميُّز وحدة من التقنيين بأدنى نسبة من الصرف أو التخلي عن العمل وبسجل ممتاز للفاعلية. ومهمة تلك الوحدة التحقق من درجات الحرارة والضغط في الآلات الدقيقة، وهو

عمل رتيب يتسم بالتكرار. فأشار الى قمصانهم الخضر التي تشبه قمصان الجرّاحين وقال:

"لقد جئت بالقمصان من عند ابني وهو جرّاح قلب. وأخبرت عمالي: إننا نهتم بهذه الانابيب مثلما يهتم الطبيب بقلوبكم، ولن تكون ثمة سقطات في هذا المصنع ما دمنا نحن نعمل على صيانة شرايينه." وبمزيج من الدعابة والفخر كان واحدهم ينادي الآخر بكلمة "دكتور."

ثمة شركات عدة تبرز وتتفوق لأنها تدع موظفيها يشعرون وكأنهم شركاء في مشروع. وعندما يمنح هؤلاء الموظفون مزيداً من الاستقلالية والمسؤولية وفرص التقدم، يتحقق ارتفاع في الانتاج وتحسن في نوعيته.

٥. أنظر الى العقبات وكأنها مواطىء قدم في طريق النجاح. خرجت المركبات الفضائية "أبولو" عن مسارها الصحيح أكثر من ٩٠ في المئة من الوقت أثناء رحلاتها بين الارض والقمر. وكان على طواقمها تصحيح المسار على الدوام. فهل تعلم أن الخروج عن المسار أمر لم يحفل به الرواد؟ إن التقدم في المسار الصحيح لا يعني الكمال، بل يعني أنك تتقدم في الاتجاه الصحيح وإن لم تسر أمورك في طريق الكمال.

وفي دراسة عن ٩٠ طليعياً في مجالات التجارة والسياسة والرياضة والفنون، ذكر كثيرون منهم بدايات خاطئة من دون التكلم عن "إخفاق" أبداً. والخيبات التي يواجهها الانسان تحض على بذل مزيد من العزيمة وتحقيق مزيد من التطوير أو التغيير.

ومهما ساءت الامور يشعر المتفوقون دائماً بأن ثمة سبلاً أخرى يستطيعون سبر أغوارها، وأن لديهم فكرة أخرى لاختبارها.

حين أصبح طوم فاتجو في السادسة والثلاثين، كان حوّل مبلغ ٥٠٠ دولار وشاحنة مستعملة للقمامة أكبر شركة للتخلص من النفايات في الولايات المتحدة. لكنه عرف أيضاً مدى التعب الذي نهك صحته. فعمد الى ممارسة رياضة الهرولة ومن ثم اخذ يشترك في مباريات الركض. وفي غضون سنة عادت قوته اليه وباع شركته لتمويل بناء مركز للمؤتمرات ونادٍ صحي لكبار الموظفين في مدينة هيوستن بولاية تكساس. بعد ذلك أسس شركة محلّية دعاها "شركة العيش الهنيء" وهي توفر تسهيلات صحية وبدنية للشركات وللجمهور على السواء.

مهمتي الخاصة كانت البحث المستمر في الدافع الى نجاح المتفوقين. وهي أدت الى استنتاج حتمي: فما يفعله هؤلاء المتفوقون ليس شأناً غير عادي. انهم في غالب الاحوال أشخاص عاديون أصبحوا متفوقين بعدما بذلوا جهودهم لاستخدام ما دعاه الكاتب الالماني غوته "العبقرية والقوة والسحر" الموجودة فينا جميعاً.

تشارلز غارفيلد ■



الرجل الذرّي

في ظرف دقيقة خاطفة تعرّض عامل الذرّة هارولد ماكلسكي لمقدار من الاشعاع النووي يزيد خمسمئة مرة على الكمية التي يجوز أن يتعرض لها الانسان طوال حياته. فكيف بقي على قيد الحياة؟

كان الطقس مشمساً يوم ٢٩ أغسطس (آب) ١٩٧٦ في جنوب شرق ولاية واشنطن. وجلس هارولد "ماك" ماكلسكي (٦٤ عاماً) على شرفة منزله في مدينة بروسر يتحدث الى زوجته إيلا حول عطلتهما المقبلة التي ستبدأ صباح اليوم التالي حالما يعود ماك من عمله في "مركز الابحاث والانتاج النووي" في موقع هانفورد بالقرب من ريتشلاند. وكان عليه أن يعمل نيابة عن أحد العمّال الغائبين في عطلة، من منتصف الليل حتى الثامنة صباحاً. وقرر الزوجان أن يمضيا عطلتهما التي ستدوم ستة أيام في قطيرة متنقلة.

وفي طريقه الى العمل حاول ماك أن يصرف ذهنه عن أي تفكير في العطلة. كان عمله يقتضي المداومة في المبنى "٢٤٢ - ز" حيث مادة الـ"امريسيوم". وهو يتذكّر: "بصراحة، كانت هذه المادة تخيفني." والامريسيوم مادة تُنتج اصطناعياً وهي مشعّة أكثر بخمسين مرة من الـ"بلوتونيوم - ٢٣٩" الذي يولدها.

ولقد أنشىء موقع هانفورد عام ١٩٤٣ لانتاج البلوتونيوم من أجل استخدامه في صنع القنابل النووية. وفي العام ١٩٥١ انضمّ اليه ماك كمتدرّب وما لبث أن تدرّج حتى أصبح في مركز يتطلب مهارة خاصة، وهو مدير العملية النووية.

أما المبنى "٢٤٢ - ز" فصُمّم أساساً لاسترداد المنتجات الجانبية المشعّة من مجرى النفايات التي تفرزها عملية التصنيع الرئيسية. فالامريسيوم المستخرج هنا مثلا يُستخدم في أنواع شتى من المنتجات الصناعية، بدءاً بالمؤشرات التي تحدد كميّة الوقود في خزانات الطائرات وانتهاء بكاشفات الدخان التي تستخدم في المنازل.

وتتم عملية الاستخراج عبر سلسلة من الانابيب أو الأعْمدة. وفي ساعات الصباح الاولى من يوم ٣٠ أغسطس (آب) كان ماك يراقب الانبوب "١٤ - أ" الذي كان يتلقى حمض النتريك المركّز من خلال طبقة من الراتينج (resin) وذلك لانتزاع الامريسيوم. وهذه العملية تدعى "ازالة التلوث بواسطة الغسل" ومعظم الادوات المعدنية موضوعة داخل خزانة مصفّحة من الفولاذ الثقيل تدعى "صندوق القفازات" ولها نوافذ ذات زجاج رصاصي ثخين وفتحات من البلاستيك تسمح للمراقب بأن يشاهد ما يجري في الداخل ويعدّل الصمامات إذا لزم الامر.

قبل الانفجار

نتيجة الاضراب الذي نفّذه اتحاد العمال في هانفورد، بقيت النفايات المشعّة تملأ جزءاً من الانبوب "١٤ - أ". وظل الراتينج المشبّع راكداً في القعر طوال خمسة أشهر، الى أن بدأ العمّال الذين كانوا في الخدمة مساء ٢٩ أغسطس (آب) يرسلون حمض النتريك صعوداً في الانبوب. وكانت الساعة الثانية عشرة الا ربعاً.

قرابة الثانية فجراً، وبحسب المنوال المتبع، أرسلت عيّنة من المادة المكررة الى المختبر لتحليلها. ويقول ماك: "كان لونها برتقالياً قاتماً ضبابياً على نحو غير عادي، ربما بسبب تحلّل مزيج الراتينج والامريسيوم كيميائياً خلال فترة الانتظار الطويلة تلك."

وفي أي حال أوقفت عملية التكرير، كذلك عملية ارسال الحمض الى الانبوب ريثما تقوّم نتيجة التحليل.

وفيما ماك ينتظر التقرير مرّ به مارفن كلوندت وهو موظف متدرّب في دائرة أخرى. وكان كل من الرجلين يرتدي البذلة الواقية المتينة الخاصة بالمعمل. والى ذلك غطى ماك وجهه بقناع يقيه التنشق العرضي للادخنة المشعة.

فجأة جمد الرجلان وهما في منتصف الحديث، إذ تصاعد في الغرفة هسيس كصوت البخار المتسرب من مرجل. واقترب كلوندت من النافذة ونظر من

خلالها فلم يرَ سوى دخان بني كثيف، فنادى ماك: "من الافضل أن ترى ذلك بنفسك."

أسرع ماك الى جانبه. وهو يتذكر: "علمت للحال أن الدخان المتصاعد كان مادة اليود وسببه انحلال الراتينج. ولكن لم يسبق أن رأيته يتصاعد بتلك السرعة."

وهرع كلوندت لطلب النجدة فيما تسلق ماك سلماً من درجتين ووضع يديه في فتحة القفاز البلاستيكية. وشعر بحرارة غير عادية، وكان يعلم أن ذلك مؤشر خطر. كانت الادخنة البنيّة من الكثافة بحيث حجبت عنه الرؤية مما اضطره الى تلمّس الصمامات ليتأكد من أن المنافذ مفتوحة.

فجأة انطلق من قاعدة الانبوب صفير حاد راح يعلو. فصرخ ماك: "هذا الانبوب سينفجر!"

ويتذكر ماك أن باباً قريباً كان مفتوحاً جزئياً ويضيف: "أردت أن أغلقه لئلا يُعرّض الدخان المشعّ العمال الآخرين للخطر في حال انفجار الانبوب." واتجه في هذا السبيل نحو الباب، لكنه لم يخط أكثر من خطوتين.

"انني لا أرى!"

وهج خاطف يعمي البصر فجّر النوافذ وفتحات القفازات في الخزانة وأوقع القناع عن وجه ماك وأمطره وابلا من حمض النتريك وأصاب وجهه وعنقه وكتفيه بشظايا مشعة من المعدن والزجاج والراتينج. وراح ماك يلهث طلباً للهواء، لكنه عوض ذلك تنشق أدخنة الامريسيوم العابقة بالاشعاع. وخلال لحظات قصيرة امتصّ هارولد ماكلسكي كمية من الاشعاع لم يسبق أن تعرّض لها أي عامل ذرة، وهي تفوق بخمسمئة مرّة ما أقرّه العلماء كحدّ أقصى للاشعاع الذي يجوز أن يتعرض له الانسان خلال حياته كلها من دون أن يشكّل عليه خطراً.

وعلى رغم الانبهار الذي أصابه ظل ماك واعياً أن عليه أن يجد طريقه الى أقرب مرشة ماء (دوش) ليغسل الركام المشعّ الذي غطاه. وراح يزحف في اتجاه أحد الاروقة لكن الحمض قرّح جفونه فراح يصرخ: "النجدة! انني لا أرى!"

ومع أن كلوندت لم يكن مرتدياً القناع الواقي إلا أنه اقتحم سحابة الدخان وجرّ ماك مسافة ١٥ متراً داخل الرواق. وفي تلك الاثناء راحت الاجهزة الكاشفة تطلق صفارات الانذار وترسل ومضات التحذير.

وهرع الى المكان عدد كبير من المراقبين والممرضات ونزعوا عن ماك ثيابه المشعّة والمبقعة بالدم ووضعوه في مغطس لازالة التلوث. وراحت احدى الممرضات تغسل جسده بالماء والصابون. ومع بزوغ الفجر نقل الى سيارة إسعاف مجهزة تجهيزاً خاصاً.

أيقظ رنين الهاتف الدكتور برايس بريتنستين في الساعة الثالثة والدقيقة الثامنة فجراً. والدكتور بريتنستين الاختصاصي بالامراض والحوادث المهنيّة يعمل في مؤسسة هانفورد للصحة البيئوية في ريتشلاند. ويقتضي منه عمله أن يكون تحت الطلب لدى استدعائه الى غرفة الطوارىء لازالة التلوث. وغرفة الطوارىء هذه من المراكز القليلة التي

تعنى بمعالجة ضحايا حوادث الاشعاع الذري. وكونه يعمل "تحت الطلب" في غرفة الطوارىء فان ذلك لم يمنعه في الماضي من أن ينعم بنوم هادىء نظراً الى ندرة الحوادث الطارئة. ففي اكثر من عشر سنين لم يعالج هذا القسم أي حالة ليليّة. وارتدى الطبيب ملابسه على عجل وانطلق مسرعاً.

خمسون في المئة

في قسم الطوارىء وقف حشد من الاطباء والممرضات في قلنسواتهم وأقنعتهم وأثوابهم وقفازاتهم وأخفافهم على أهبة لاستقبال ماك. ورُبطت الحمالة التي نقلته الى سكة حديد مفردة وجُهّت عن بُعد عبر أبواب ثقيلة مبطّنة بصفائح من رصاص لتستقرّ في غرفة خاصة معدّة لازالة التلوث الاشعاعي. ووضع ماك تحت مرشة ماء لمدة طويلة قبل أن يبدأ الفريق الطبي انتزاع جسيمات المعدن والزجاج والراتينج من وجهه وعنقه وكتفيه بواسطة ملاقط خاصة.

ويفيد الدكتور بريتنستين: "مع أن كميّة الاشعاع التي تعرّض لها ماك والتي لم يسبق أن تعرّض انسان لمثلها كانت همّنا الاساسي، إلا اننا واجهنا مشاكل طبيّة أخرى خطرة أهمّها الضرر الذي ألحقه الحمض بعينيه."

وفيما الفريق الطبي منصرف الى عمله سمع ماك حديثاً يتناول وضعه. وقدر أربعة من الاطباء أن حظّه في النجاة لم يتجاوز الخمسين في المئة، أما الاربعة الباقون فلم يقولوا شيئاً.

لم يسبق لأي بشري أن تنشق هذا المقدار من الامريسيوم. ولم يكن الاطباء على بيّنة من رد الفعل لدى ماك، إن لجهة الاشعاع الذي تعرض له أو لجهة العلاج الذي تلقاه. فالمشكلة لم تكن في الحروق الناتجة من الحمض ولا في انتزاع الاجسام الغريبة المشعّة التي استقرت في وجهه، فهاتان المشكلتان عولجتا بالاساليب التقليدية. المشكلة الحقيقية كانت الاشعاع الذي تسرّب داخل جسده الى رئتيه وكبده وعظامه. وتولى اختصاصي بأمراض العين العناية بعينيه اللتين أحرقهما الحمض، والغسل المتكرر خفض نسبة الاشعاع في جلده. أما في ما يتعلق بالاشعاع داخل جسده فقد تعين على الاطباء أن يعملوا في مجال غير مطروق.

في حالات سابقة من التعرّض للاشعاع النووي وجد الاطباء أن حمض الكلسيوم «DTPA» (★) أعطى نتائج جيدة لكونه عاملا كلّابياً يلتصق كيميائياً بالمعادن الثقيلة مثل الامريسيوم ويدفعها نحو الفضلات التي يفرزها الجسم، لذلك لم يترددوا في استخدامه على ماك.

وبعدما بيّن التحليل المخبري لفضلات ماك أن الـ«DTPA» كان يحمل معه بانتظام كميات ضئيلة من الامريسيوم، زاد الاطباء الجرعة بحيث أصبح ماك يأخذ كميّة من الدواء لم يختبر مفعولها في انسان من قبل.

وخلال عشرة أيام برزت مشكلة جديدة. فالجرعات الكبيرة من الـ«DTPA» استنزفت الزنك في جسم ماك. ومعلوم ان افتقار الجسم الى الزنك يؤدي الى نزف معوي قاتل أو الى عطل في الكليتين.

(★) Calcium diethylenetriaminepentaacetic acid

وتذكّر الاطباء أن اختبارات أجريت في الولايات المتحدة على الحيوانات بواسطة مركّب مماثل هو الزنك «DTPA». ومع أن سلامة استخدامه لم تكن مؤكدة، إلا أنه بقي الخيار الافضل. فحصلوا على اذن من "ادارة الغذاء والدواء الامريكية" وأعطوا ماك المركّب. وكان للدواء مفعول جيد ولم يحدث تأثيرات جانبية.

الانتصار

في الشهر الاول تلقى ماك عناية طبّية مستمرة على مدى ٢٤ ساعة. فالى حقن الـ«DTPA» في الوريد مرات عدة في اليوم، كان يخضع لعمليات غسل متكررة يستغرق كل منها ٣٠ دقيقة ولفحوص دم وتحليل بول وعلاج لعينيه وفحوص لتقصي الاشعاع في جسمه وجلسات طويلة لازالة القشور والاجسام الغريبة التي يلفظها وجهه. وكانت كميّة الامريسيوم في جسمه من الكثرة بحيث جعلت ابرة الجهاز الفاحص تقفز صعوداً كلما أخضع ماك للفحص.

ولما كان الحمض أحرق قرنيتيه فقد ظن الاطباء أن ماك فقد بصره الى الابد. ولكن في اليوم العاشر أيقظه من نومه نور ومض أمام عينيه واستطاع أن يميّز بعينه اليسرى حركة خفيفة. وغسل الطبيب عينيه ثم رفع سبابته واصبعه الوسطى أمام وجهه وسأله: "كم هذه؟"

فأجابه ماك وهو ينظر بعينين نصف مغمضتين: "اثنتان."

ولكن على رغم هذا التقدم ظل القلق يساور الاطباء. ويتذكر ماك: "كانوا كل يوم يتوقعون أمراً رهيباً، كأن أصاب بغثيان الاشعاع أو بعطل في النخاع الشوكي أو أن يتساقط شعري نهائياً أو أي مصيبة أخرى. على أن شيئاً من ذلك لم يحصل."

وبعد ثلاثة أشهر سمح لماك بالتجول في أرجاء قسم الطوارىء حيث كان نزيلا. وفي غرفته المعزولة بدأ يتمرّن على دراجة ثابتة ليستعيد لياقته البدنية. وفي منتصف نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٦ سمح له ولزوجته وكلبهما بالاقامة في قطيرة متنقلة قرب المركز مساحتها عشرة أمتار مربعة.

وفي أواخر يناير (كانون الثاني) عاد ماك الى منزله. واقتنع الاطباء بأنه سينجو على رغم ضرورة استمرار تلقيه العلاج وأجراء الفحوص الخاصة بالاشعاع بانتظام لسنوات طويلة. فحالة ماك قلبت الموازين.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ زرت ماك في منزله في بروسر. ولم أرَ من آثار الكارثة سوى ندوب في وجهه من جراء الحروق بالحمض ونظارات ملوّنة على عينيه الحساستين تقيهما الضوء.

هل شعر ماك بالخوف؟

"أبداً،" يجيب من دون تردد. ويتابع: "كنت دائماً مؤمناً بالله. وأيقنت أنه لن يتخلى عني. على أن العودة الى المنزل حملت بعض المفاجآت."

عندما أطلقت الصحافة عليه اسم "الرجل الذري" ظن كثير من الناس أنه خطر مشعّ متنقّل. وامتنع هو عن الذهاب الى حلاقه المعتاد لئلا يخسر هذا زبائنه. ولم يكن أهل حيه يرتاحون الى وجوده بينهم حتى طمأنهم الاطباء الى أنه لم

يعد يحمل خطر الاشعاع. ومع ذلك أظهر بعض أصدقائه تردداً قبل أن يهزوا يده مصافحين.

علامات الصدّ خفّت الآن. وأصبح ماك يحيا حياة مختلفة هادئة. فهو يتصيّد السمك ويعمل في باحة منزله ويقوم أحياناً باعمال النجارة. ويعترف: "لي أيام جيّدة وأخرى سيئة." وهو خضع قبل سنتين لجراحة استئصال السد (الماء الازرق) من عينه اليمنى، ولكن حساسية عينيه للضوء ما زالت تعوق نظره. وهو يشعر أحياناً بما يشبه وخز الابر في أجزاء من جسمه، وهي حالة عجز الاطباء عن فهم سببها.

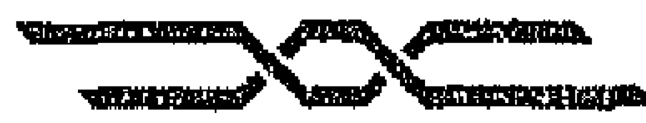
هل يشعر ماك بالمرارة حيال الصناعة النووية؟

في هذا الصدد يقول: "الصناعة النووية لا تقل سلامة عن غيرها من الصناعات إذا روعيت فيها الأنظمة والقوانين. ومن المؤسف أن يُستغل الحادث الذي حلّ بي للعمل ضد انتاج الطاقة النووية."

وما زالت في جسم ماك كميات هائلة من الامريسيوم وربما بقيت فيه الى الابد. وقد مهد الحادث الطريق أمام المعالجة من الاشعاع. وكل حادث مقبل سيفيد من الخبرة التي اكتسبها الاطباء في معالجة ماك.

شيء واحد لن يستطيع الاطباء أن يمنحوه للمصابين في المستقبل وهو قوة ماك الداخلية. ويقول الدكتور بريتنستين: "انه انسان صلب مؤمن رفض الاستسلام. قد يكون في نظر سواي الرجل الذرّي، لكنه في نظري انسان مميّز."

ستانلي إنغلبارت ■



نجارة معقّدة

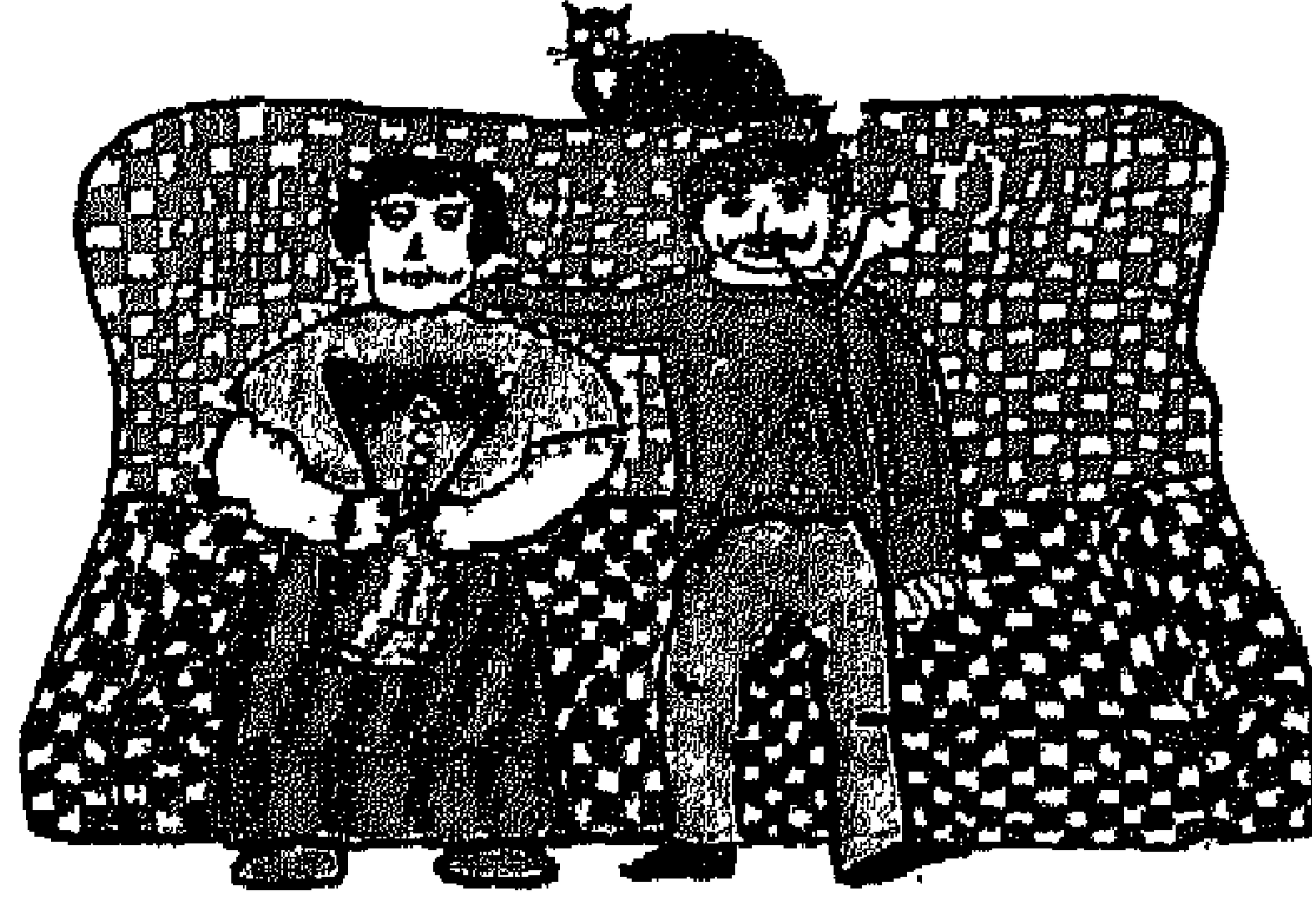
أردت مرة اصلاح النوافذ والابواب في المنزل، فقصدت المنشرة لاحضار بعض الاخشاب. وبينما أنا ابحث عن ألواح جيدة تقدم مني موظف عارضاً خدماته، فأبلغته أنني ابحث عن ألواح خالية من العقد. فرمقني بنظرة حادة وقال: "العقد من الاغصان، ومن دون الأغصان أين تحط العصافير الصغيرة وتغني؟"

ت.س.

فرص متكافئة

شجعت معلمة الصف الابتدائي الثاني تلاميذها على تخيّل قصصهم الخرافية الخاصة، وحضتهم على أن يمنحوا البنين والبنات فيها فرصاً متكافئة. فكتبت احدى التلميذات: "في قديم الزمان أحبت فتاة صبياً، فبادلها الصبي الحب. وهاجم تنين الفتاة وأسرها. فقلق الصبي وانقذها، لكنها قتلت التنين. وتزوجا ولم يرزقا اطفالا فانطلقا في قتل التنانين.

ل. هـ.



أنا أحبّ جدّي وجدّتي

الجدود والاحفاد يرمزون الى الماضي والمستقبل ويشكلون معاً دورة الحياة ويجمعهم الحب كما تظهر هذه العبارات

كتب هذه العبارات تلاميذ مدارس ابتدائية في مدن نيويد وسولينجن ووبرتال وكولونيا بألمانيا الغربية، ونسقتها مونيكا زابك المحررة في دار "غوستاف لوب فيرلاغ" للنشر.

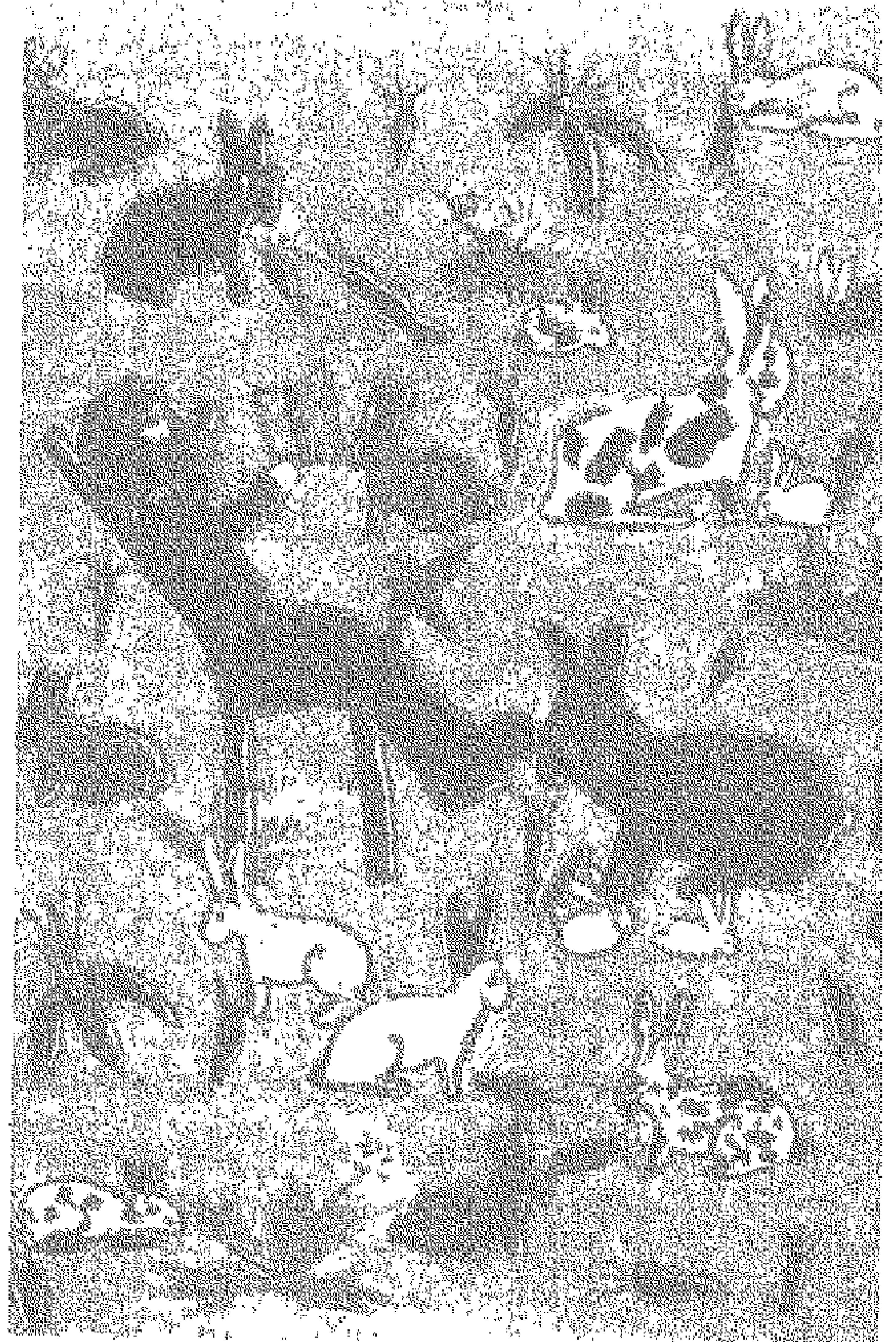
يربي جدي الارانب. وهي بيضاء وسوداء وبنية ومرقطة ومخططة وجلدها ناعم. وجدي لا يحجزها في الأقفاص، بل يتركها تسرح وتمرح في المرج. وحول المرج سياج كي لا تعض الابقار الارانب الصغيرة. وأرانب جدي تأكل الاعشاب في الصيف والجزر والخس في الشتاء. وفي كل يوم يجلس جدي في الحديقة وسط أرانبه ويقرأ الجريدة.

أليكسا، ١٠ سنين

جدتي مريضة جداً. ويزداد ألمها كل يوم، لكنها لم تتذمر الى الآن. وحين نعودها في المستشفى يومياً تستجمع قواها وتمازحنا. وتغدق علينا الهدايا دوماً على رغم انها فقيرة. وأغلى هدية عندي انها ما زالت على قيد الحياة.

كارمن، ١٠ سنين

جدي وجدتي يهويان السباحة. ويتخيَّل جدي نفسه دائماً غطاساً محترفاً وجدتي حورية بحر. وفي السابق كان جدي غطاس محار ولؤلؤ ودرس علم المحيطات. وما زال يذكر بعض الانواع والفصائل. وجدي وجدتي أسمران دائماً لانهما يسبحان ويستلقيان تحت الشمس كل يوم تقريباً.
تيل، ١٢ سنة



جدي رئيس ناد للمهرجانات. وهذا عمله الاساسي الذي يشغله كل الوقت. وهو من ناحية أخرى موظف حكومي لكنّه لا يعمل الكثير في هذا المجال. واكثر ما ينشغل جدي حين يوزع الحلوى في المهرجانات. وحينذاك أساعده.
مايك، ٨ سنوات

في المساء ترفع جدتي غطاء سريري وتقول لي: "أحلام سعيدة." وأشكو اليها كل همومي وهي ترشدني الى حلها.
موريبل، ١١ سنة

جدي نشيط جداً. وهو يضبط ساعاتنا دائماً الى وقت متقدم، حتى انني وصلت مرة الى المدرسة قبل رن الجرس.
كريستينا، ١٠ سنين

عندما تطهو جدتي الطعام يجلس جدي في المطبخ ويدخن غليونه. ويثير ذلك حفيظة جدتي فتنهره: "أيها الجد العزيز، لا تلازم هذا المكان وتزعجني!" ويذعن جدي. وكلما تشاجرا فانهما يتصالحان بعد عشر دقائق.
سوزان، ١٠ سنين

تعلمت جدتي التزلج لدى بلوغها التاسعة والستين. وهي الآن تنتظر الثلج وتراقب السماء باستمرار. وحين تكسو الثلوج الأرض تنطلق برشاقة على مزلجتيها. وأحياناً تفقد توازنها وتقع، فأحرص على ألا أقهقه آنذاك.
كارينا، ١٢ سنة

في وقت ما كان والد جدي بطلا في الجمباز. وأنا أطمح الى ان اصبح عظيماً في الجمباز مثله. وهو ما زال مفتول العضلات قويها. لكنه لم يعد قادراً على المشي على يديه في الحديقة وسوى ذلك. فهو أشبه بالمدرب الآن، ويعلمني دائماً كيف أفعل الأشياء.
تيني، ٨ سنوات



أم جدتي من مخلفات القرن الماضي اذ انها في السابعة والثمانين من عمرها. وقبل سبع سنوات خطبت لأن زوجها الاول توفي قبل ٣٠ سنة. وكلنا مسرورون لانها حظيت بزوج جديد.

سيمون، ١٢ سنة

عندما كان جدي حياً كانت له مزرعة فيها الكثير من الأبقار والاوز. وكان يردد دائماً: "من يرعَ القطعان في الأرض فسيرعاها في السماء ايضاً." والآن أتخيل جدي في مرج في السماء محاطاً بالقطعان وحاملا في يده عصا ضخمة.

بترا، ١٣ سنة

جدي وجدتي ما زالا عاشقين. فهما يتنزهان معاً ويطبخان معاً، وفي الصباح يتصفحان الجريدة معاً. ويقول جدي لجدتي أحياناً: "تعالي أيتها الفتاة العجوز." فيجلسان جنباً الى جنب على الاريكة ويتغازلان. وأعتقد أن أجمل ما في الحياة أن ترى عجوزين عاشقين.

مارتينا، ١٣ سنة



تاكسي الى واترلو

أوقف سائح سيارة أجرة في أحد شوارع لندن وطلب من السائق أن يأخذه الى واترلو. واستوضحه السائق: "تقصد محطة واترلو؟"

فرد السائح ببرودة: "نعم، لقد تأخرنا قليلا عن المعركة اللعينة، أليس كذلك؟"

ل.أ.

بعد السن والوزن

بعد انتهاء دورة في الشطرنج بادر أحدهم متبارية ارتسمت الخيبة على وجهها: "مرحباً يا سيدتي، عسى أن تكوني سجلت نقاطاً جيدة."

فردت السيدة متجهمة: "بل أفضل إطلاعك على سني ووزني."

ش.ل.



المتحفُ الأسوَد والألغاز الخمسَة

ضابط سابق في اسكوتلنديارد يتحدث عن أغرب متحف في العالم ويعرض مفاتيح ٥ ألغاز

القيم على المتحف الاسود في اسكوتلنديارد.

في العام ١٩٥٣ كنت في مستهل عملي كضابط قليل الخبرة حديث السن، عندما فُصلت لمهمة حراسة زنزانة في مخفر هامر سميث غرب لندن. وكان نزيلها رجلا في منتصف العمر، أصلع، يبلغ طوله حوالى ١٧٥ سنتيمتراً، عادي المظهر لولا تجهم يعلو تقاسيم وجهه.

على ان جون ريجينالد هاليـداي كريستي لم يكن بالرجل العادي، فقد قتل ست نساء بينهن زوجته واكتشفت جثث بعض ضحاياه قرب شقته والبعض الآخر داخلها. والشقة مستأجرة تضم ثلاث غرف وتقع في الطبقة الارضية من بناية في ١٠ رلنفتون بلايس في ناحية نوتنغ هيل وحوّلتها افعاله مقبرة رهيبة.

لم أتصور قط ان انساناً له هذا المظهر العادي يمكن ان يأتي تلك الاعمال الوحشية. وهذا التناقض الظاهري شكّل لدي حافزاً دفعني الى دراسة علم الجريمة وأوصلني الى جامعة لندن وانتهى بي في اسكوتلنديارد حيث عُينت قيّماً على "المتحف الاسود".

ان هذا المتحف في نوعه يُعتبر اكبر مستودع في العالم للشواهد على الجريمة الخائبة والتحري الناجح. وهو أنشىء في العام ١٨٧٥ كمعرض دائم للمستندات المقدمة الى المحاكم في الجرائم غير العادية التي تحقق فيها شرطة المدينة. وهذا المعرض الذي يستقبل كل جديد، تغطي موجوداتـه الارهاب والتجسس والخطف والمخدرات والرذيلة والتزوير والسرقة وانواع جرائم القتل المختلفة.

Colour photographs: Mike Taylor. Black and white photographs: Courtesy of The Commissioner of the Metropolitan Police, Hulton Picture Library, Popperfoto,

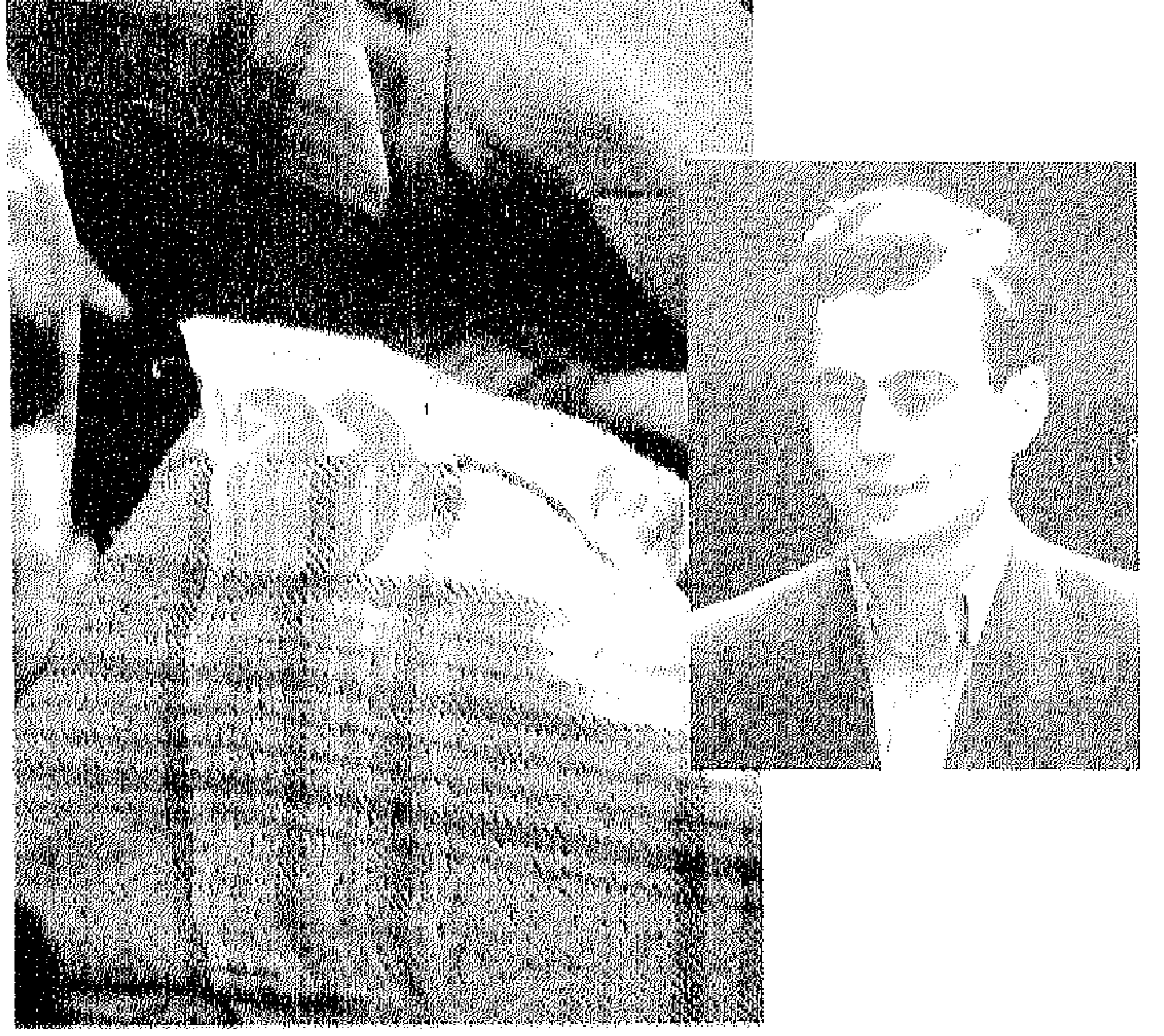
ويضم المتحف الذي انتقل الى المقر الجديد لاسكوتلنديارد نموذجاً طبق الاصل للغرفة التي عرضت فيها مجموعة الموجودات، للمرة الاولى، وكانت تتألف من ٣٧ رأساً من الجص لرجال من العهد الفيكتوري اعدموا شنقاً ويبدون في التماثيل شاردي الذهن يتأملون مجموعة من الانوف تمثل عدداً من الجلادين. وفي المجموعة ايضاً صور مرعبة لضحايا جاك السفاح. وهذه الصور هي جزء من تاريخ الجريمة كما هو المسدس المعروض والذي اطلقت منه روث اليس النار على عشيقها فأردته. وروث اليس كانت آخر امرأة أعدمت شنقاً في بريطانيا. وفي المجموعة كذلك أدلة حية على الثمن الذي يدفعه المجتمع من ارواح بنيه لاستتباب الامن والسلام فيه. فهناك مثلا الثياب الملطخة بالدم التي كان يرتديها مفتش الشرطة الذي احبط محاولة خطف الاميرة آن في العام ١٩٧٤ واصيب بثلاث رصاصات غير قاتلة.

والمتحف الذي لا يستقبل سوى الاختصاصيين، يجذب سنوياً قرابة خمسة آلاف زائر من انحاء العالم بينهم ضباط شرطة واختصاصيون بالقضاء الشرعي وباحثون في علم الجريمة ومحامون وموظفون في المحاكم. ومن الثلاثمئة قضية التي تولتها اسكوتلنديارد وجعلتها في متناول الزائرين لدراستها، اخترت خمس جرائم قتل مشهورة مع اللغز الرئيسي لكل منها.

بفضل معطف واق من المطر اوقف ثلاثة مسلحين مطلوبين في جريمة قتل في الطرف الغربي من لندن في شهر ابريل (نيسان) ١٩٤٧.

عقب هجوم فاشل على متجر للمجوهرات في شارع شارلوت، وجد الثلاثة شاحنة تسدّ الطريق على السيارة التي اعدوها للهرب مما اضطرهم الى الفرار على ارجلهم. وسعيا منه للتصدي لهم، ركب اليك دو انتيكس (٣٤ عاماً)، وهو اب لستة اولاد ويملك مرأباً صغيراً للدراجات في جنوب لندن، دراجة نارية وحاول اعتراضهم فعاجله احدهم بطلق ناري من مسدسه فاصابه في رأسه ثم اختفى مع رفيقيه في الجمع المحتشد هناك.

لم يكن لدى مدير التحري روبرت فابيان المعروف بـ"فابيان اسكوتلنديارد" الاسطوري والذي اصبح في ما بعد موضوعاً لتسعة وثلاثين شريطاً تلفزيونياً، الكثير ليهتدي به في مطاردتهم. الا انه بعد فترة افاد احد سائقي سيارات الاجرة انه يوم الجريمة شاهد رجلين ملثمين بمنديلين يدخلان مبنى ضخماً يضمّ مجموعة مكاتب ويقع في شارع توتنهام كورت. وبعد التفتيش وجد رجال التحري معطفاً واقياً من المطر انتزعت عنه رقعة القماش التي تلصق عادة على السلعة تبياناً لسعرها او نوعها أو مصدرها. وقادت الرموز التجارية الملصقة على البطانة فابيان الى المعمل الذي صنع المعطف وكان في يوركشاير. وهناك تمّ التعرف الى المعطف وأفيد انه واحد من مجموعة ارسلت الى ثلاثة متاجر في لندن. وهكذا حصل فابيان من صاحب احد المتاجر على اسم الشاري وعنوانه.



الرموز التجارية على بطانة معطف مستعار أوقعت بالقاتل تشارلز جنكنز.



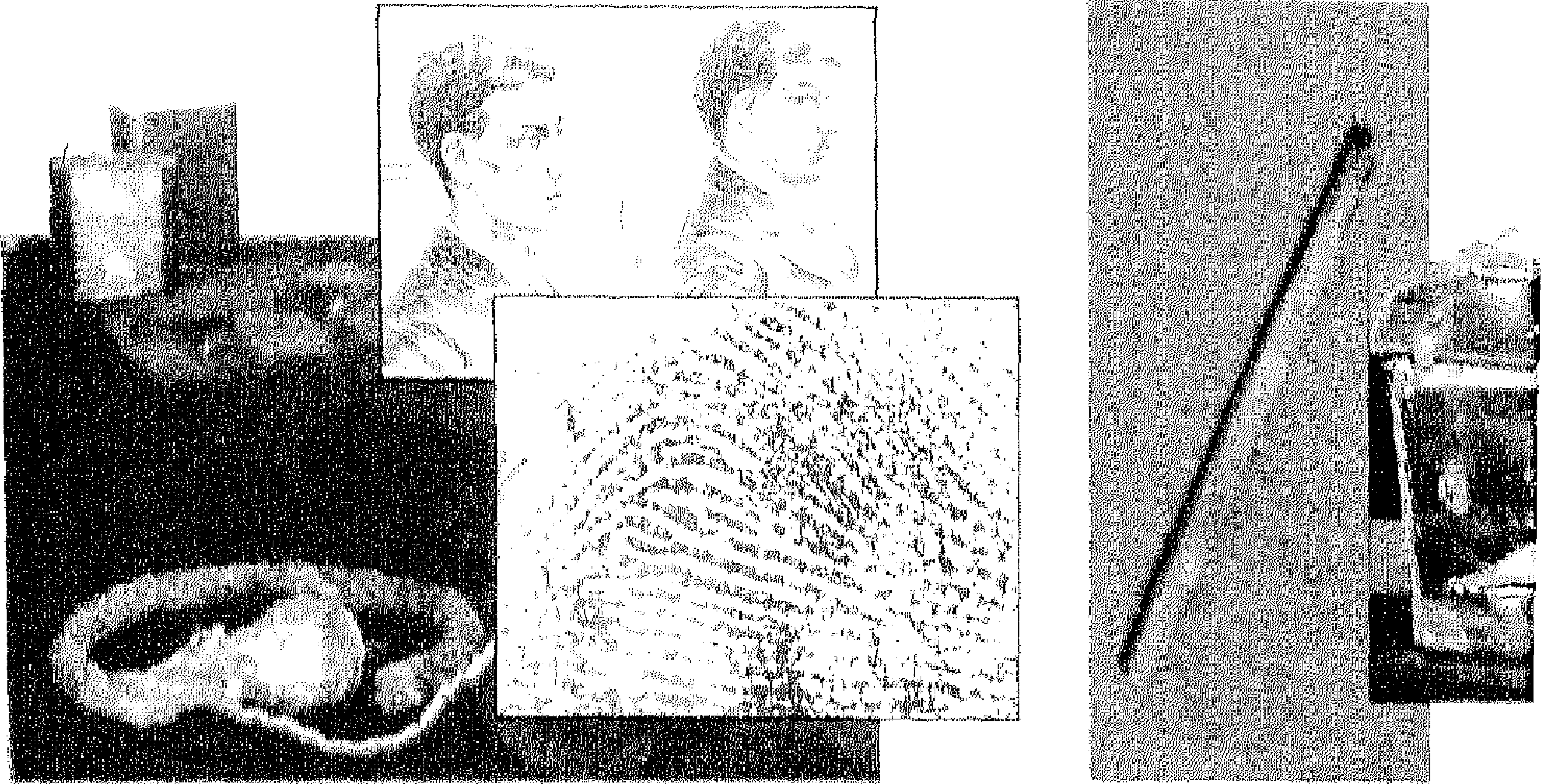
عود ثقاب ملطخ بالدم
ساق جون روبنسون الى المحكمة بتهمة قتل ميني بوناتي.

عندئذ اتخذ التحقيق منحى غريباً إذ ربط الجريمة بأخرى تشبهها ارتُكبت في شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٤ عندما حاول، رالف بني، وهو ضابط في البحرية متقاعد، التصدي لاربعة لصوص سطوا على متجر للمجوهرات، فاجتاحه احدهم، وكان يقود السيارة التي اعدوها للهرب، وجرّه تحت العجلات مسافة تزيد على ١٥٠٠ متر متسبباً في وفاته.

واظهر التحقيق ان صاحب المعطف الواقي من المطر هو زوج شقيقة شخص يدعى توماس جنكنز احدِ السجناء في جريمة قتل النقيب بني. وأُفيد ان تشارلز جنكنز (٢٣ عاماً) الشقيق الاصغر لتوماس هو الذي استعار المعطف. فقبض عليه مع شريكيه في الجريمة كريستوفر جيراغتي (٢١ عاما) وتيرنس رولت (١٧ عاماً). ومع ان جيراغتي هو الذي اطلق الرصاصة القاتلة، بحسب ما اظهر التحقيق، الا ان الثلاثة دينوا بجريمة القتل. وحده رولت افلت من حبل المشنقة لصغر سنه.

عود الثقاب الملطخ بالدم سجل تقدماً آخر في حقل التحري القائم على العلم الذي اعتمدته اسكوتلنديارد.

ففي شهر مايو (ايار) ١٩٤٧، وُجدت جثة مشوهة لامرأة في صندوق داخل المكتب الخاص بحقائب السفر المتروكة في محطة تشارنغ كروس في لندن. ومن ثياب المغدورة توصل المفتش العام في التحري جورج كورنيش الى تحديد هويتها. وهي كانت مومساً في السادسة والثلاثين من عمرها تدعى ميني بوناتي وتعمل في تشلسي. وأوحت الادلّة ان المرأة قتلت داخل احد المكاتب في روشستر راو في ناحية وستمنستر وان الشبهة الرئيسية في القضية تحوم حول



بصمة ابهام على صندوق النقود أوصلت الاخوين ستراتون الى العدالة.

صاحب مكتب عقاري فاشل يدعى جون روبنسون وكان آخر مستأجر للمكتب. إلا انه انكر اي معرفة بالقتيلة.

مع ان كورنيش نجح في اكتشاف صاحب الحانوت الذي باع الصندوق إلا ان سائق سيارة الاجرة التي نقلت الصندوق من روشستر راو الى محطة تشارنغ كروس والحمّال الذي حمله الى مكتب حقائب السفر وتذمّر من ثقل وزنه، لم يتعرفا الى روبنسون بين مجموعة اشخاص عرضوا لهذه الغاية. وهكذا ظل التحقيق مفتقراً الى ادلة مباشرة تثبت علاقة روبنسون بالسيدة بوناتي وعلاقة هذه بالمكتب.

لم يكن في المكتب الذي بدا انه نُظّف بعناية، اي اثر للدماء. ولكن اثناء حملة تفتيش ثانية قام بها تحريان وجد عود ثقاب عالقاً في نسيج سلّة المهملات وعليه لطخة بنية اللون طولها ثلاثة مليمترات ربما كانت من دم الضحية.

وبالفعل اظهر التحليل المخبري انها نقطة دم ومن فئة دم السيدة بوناتي.

عندئذ اعترف روبنسون بان السيدة بوناتي اعترضته ذات يوم في الشارع ودار بينهما حديث ثم رافقته الى المكتب حيث نشب بينهما جدل حول المال، فما كان منه إلا ان ضربها فوقعت ارضاً وارتطم رأسها بالكرسي، وادى ذلك الى وفاتها.

على ان الادلة الطبيّة اظهرت ان روبنسون كان يكذب. فلقد بيّن التقرير الطبي ان السيدة بوناتي قضت اختناقاً. وبعد ثبوت التهمة حكمت المحكمة باعدام روبنسون.

بصمة الابهام المبلّلة بالعرق شكّلت مفتاح اللغز الذي اتاح كشف جناية القتل الوحشية الذي ذهب ضحيتها صاحب متجر طاعن في السن وزوجته وذلك في

ديبتفورد في شهر مارس (آذار) ١٩٠٥. وهو الانجاز الذي بدأ به عهد جديد في اسكوتلنديارد، عهد التحرّي القائم على العلم.

وفي اثناء الند ـ في القضية اوقف لصان معروفان بالسطو على المنازل هما الاخوان الفرد والبرت ستراتون، ويبلغ عمر الاول ٢٢ عاما والثاني ٢٠ عاما. والادلة المتوافرة في شأنهما كانت في معظمها ظرفية ما عدا تفصيلا حيوياً وحيداً وهو ان البصمة على علبة النقود العائدة الى صاحب المتجر القتيل كانت لابهام مبللة بالعرق. وتطابقت هذه البصمة مع بصمة الابهام اليمنى لألفرد ستراتون. وكانت هذه المرة الاولى تنظر هيئة المحلفين في بريطانيا في أدلة من هذا النوع.

والفضل في اعتماد بصمات الاصابع للكشف عن الجرائم يعود الى مفوض الشرطة في المدينة السر ادوارد هنري الذي كان رائداً في هذا المضمار. ولقد اقنعته التجارب التي قام بها بأن الخطوط المميزة للاخاديد والنتوءات على الاصابع يمكن ان تحدّد هوية المجرم على نحو قاطع وان تربطه بالجريمة التي اقترفها. وعمل هنري على تطوير اساليب لتسجيل اثار البصمات وتصنيفها بحيث ضمن امكان استخدامها بفاعلية في اعمال التحري.

وفي محاكمة الاخوين ستراتون قدم مفتش التحري ستوكلي كولنز رئيس دائرة بصمات الاصابع في اسكوتلنديارد شرحاً وافياً امام هيئة المحلفين مُبيّنا ان الخطوط الموجودة على جلد الاصبع الواحدة يمكن ان تفرز ما يقارب العشرين خاصِّيّة تنفرد بها كل أصبع. وهو كان تولى طوال عشر سنين فحص نحو مليون بصمة ولم يعثر بينها على اكثر من ثلاث خصائص متطابقة في بصمتين لشخصين مختلفين، مما يعني، في نظره، ان احتمال وجود شخصين يملكان بصمات متشابهة لا يتعدى واحداً في المليار. ولقد بيّن كولنز لهيئة المحلفين ان بصمة ابهام الفرد ستراتون وتلك الموجودة على صندوق النقود متطابقتان في ما لا يقل عن ١٢ خاصية. وابدى استعداده، استناداً الى هذا الاثبات، لأن يقسم بأن البصمة الموجودة على الصندوق هي لستراتون.

اما محامي الدفاع فبذل جهده لابعاد الصدقية عن "علم البصمات" من طريق التشكيك في صحته، خصوصاً ان هذا العلم لم تكن ثبتت صحته بعد وان القاضي نفسه عبّر عن شكه حياله. على ان هيئة المحلفين غيّرت وجه التاريخ الجنائي بتبنّيها الدليل المسوق ضد المتهم. وكان احد اعضائها قَبِل أن تستخدم بصماته في الدلالة على صحة نظرية البصمات. واصدرت المحكمة حكما قضى باعدام الاخوين ستراتون شنقاً.

طعم أسنان الارملة كان مفتاح اللغز في جريمة ارتكبت عام ١٩٤٩ وعليه توقف مصير جون جورج هيغ احد امكر المجرمين واقساهم. وهو كان يتخلص من ضحاياه بواسطة مادة حمضية (اسيد).

آخر ضحاياه كانت ارملة ثرية في التاسعة والستين من العمر تدعى اوليف دوران - ديكون. وكانت تقيم في فندق



طقم أسنان السيدة دوران - ديكون كان الدليل الذي جرّم جون هيغ.

ينزل فيه جون. وقد انتحل ذات يوم صفة مخترع ودخل معها في حديث حول مشروع لانتاج أظفار اصطناعية ثم دعاها الى زيارة ورشته في كرولي بناحية ساسكس. ومنذ ذلك اليوم لم تعد السيدة دوران - ديكون الى الفندق.

وعندما اعربت احدى نزيلات الفندق عن قلقها لغياب السيدة دوران - ديكون ابدى جون استعداده لمرافقتها الى مخفر الشرطة في تشلسي للابلاغ عن امر اختفائها. على ان شيئا ما في جون الانيق ابن التسعة والثلاثين عاما اثار ريبة السيدة الكسندرا لامبورن وهي شرطية برتبة رقيب. ومن مراجعة السجلات، تبيّن لها انه سجن ثلاث مرات في جرائم احتيال وسرقة.

واظهرت التحريات ان جون باع مجوهرات عائدة الى السيدة دوران - ديكون وانه ارسل معطفها المصنوع من فراء الحمل الفارسي الى المصبغة بقصد بيعه في ما بعد. وبعدما عثر رجال الشرطة في الورشة على مسدس "اينفيلد ٣٨" أُطلقت منه النار حديثاً، وعلى ثلاث قوارير كبيرة كانت تحتوي على حامض الكبريت وعلى مضخّة وبرميل تبلغ سعته ١٧٠ ليتراً، بات واضحاً كيف حصل جون على ممتلكات السيدة دوران - ديكون. وهو اعترف بالآتي: "لقد تخلصت منها بواسطة الحامض الكبريتي." وسأل رجال الشرطة بهدوء: "كيف يمكنكم ان تثبتوا وجود جريمة قتل من دون جثة؟"

الا ان الحامض خذله اذ كان اقل فاعلية مما امل. فقد اظهر فحص المادة المترسبة في البرميل وجود تسع حصى مرارة بشرية وكسر عظم وطقم اسنان السيدة ديكون الذي كان من السهل التعرف عليه.

وبعد انهيار دفاعه تظاهر جون بالجنون واعترف باقتراف خمس جرائم قتل وقال انه كان يتخلص من جثث ضحاياه بواسطة مواد حمضية. وقد حكم عليه بالاعدام شنقاً في سجن واندسورث وكان جلاده بيتر بيار بوينت.

حبّة السم كانت مفتاح اللغز الذي احاط بوفاة الكاتب البلغاري جورجي ماركوف في لندن في شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٨.

وحبة السم هذه معروضة في المتحف الاسود تحت منظار مكبّر لصغر حجمها اذ لا يتجاوز قطرها ١،٥ مليمتر وهي



حبة السم (مكبّرة في أعلى اليمين) التي قتلت جورجي ماركوف.

مصنوعة من مزيج من البلاتين والاريديوم وفيها ثقبان مجهريان تتعذر رؤيتهما بالعين المجردة. وعندما اطلقها القاتل، - ويظن انها خرجت من اسطوانة تحوي هواء مضغوطاً مثبتة في مظلة - اخترقت فخذ ماركوف وتسرّب منها السم الى جسده واحدث لديه حالة معروفة باسم "تكاثر كريات الدم البيض" (Leucocytosis) على نحو سريع، يرافقها نزف مميت من كل جزء من جسم الضحية. وشخّص الاطباء حالة ماركوف بالسبتيسيميا (septicaemia) أو التعفّن في الدم. وقد فارق الحياة بعد اربعة ايام من ظهور الاعراض الاولى.

وقد اثبت الاطباء البريطانيون ان السم المستخدم في العملية كان من مادة الريسين المستخرجة من بزر نبات الخروع وهي مادة شديدة الفتك يكفي جزء من عشرة آلاف من الغرام منها لقتل انسان. وهذه المادة التي اعطت تلك الحبة الصغيرة مفعولها القاتل، ربما استخدمت قريباً لمنح الحياة. ففي التجارب التي أجريت في جامعة تكساس تبيّن ان مادة الريسين نجحت في القضاء على مرض اللوكيميا او ابيضاض الدم في النخاع الشوكي لدى الفئران. وتحولت التجارب الى البشر على امل التوصل الى شفاء دائم من بعض امراض السرطان. وإذا صح ذلك فستكون تلك الحبّة الصغيرة ليست اغلى مستند معروض في المتحف فحسب - إذ تُقدّر كلفة انتاجها بمليوني دولار - بل كذلك الاكثر فائدة للانسانية.

ربما اصبحت اساليب القتل اكثر تطوراً وتنوعاً مما كانت عندما كُلفتُ انا حراسة السفاح كريستي في زنزانته في هامر سميث، على ان دور الشرطة ظل واحداً وهو مكافحة الجريمة والقبض على المخلّين بالأمن. وادوات الجريمة والمستندات المعروضة في المتحف الاسود هي خير دليل على نجاح الشرطة في حربها الطويلة خلال قرن من الزمن.

بيل وادل ■



لا تسرق!

في تحذير لسارقي المتاجر علق داخل مركز هوغن التجاري بمدينة جيرارد في ولاية أوهايو الامريكية: "لا تسرق، الله سيراك وهوغن قد يراك أيضاً."

ج.غ.


Reinhard / Prenzel — IFA

مئات الملايين
من الهررة تخر وتموء،
ومع ذلك لا نجد
حيواناً أليفاً أحيط بما
أحيط به الهر من خرافات

خرافات عن الهررة

"الهررة حيوانات مخاتلة" قول يردده كثيرون. وغيرهم يزعم أن "الهررة تجد طريقها الى المنزل بسهولة" وأنها "تسمع بعيونها وتبصر في الظلام الحالك" وانها "تفتك بعصافيرنا المغرّدة" وانها "تُرسل خريراً رتيباً من حناجرها دليل سرورها." جميع هذه الاقوال، الا الاخير، تحتاج الى تصحيح واعادة نظر لأن مصدرها تلك الخصائص التي تنفرد بها هذه الحيوانات. وفي اي حال، هذا ما تشير اليه الدراسات الحديثة.

في وسعنا القول ان الهر الأليف أو المنزلي يشغَل في عالم الحيوان مركز "رولز رويس" في عالم السيارات. يقول الطبيب البيطري فرديناند برونر من فيينا (النمسا) ان للهر أجهزة حيوانية تميزه عن سواه وانه أفضل الحيوانات

المفترسة تكويناً وتطوراً. من ذلك انه يملك ثلاثة اجهزة إعلامية بالغة الاحساس يكمِّل بعضها بعضاً: عيناه وأذناه وشواربه.

عيناه تنعمان بقوة نظر ثاقبة تمكنه من التعرف الى صاحبه عن بُعد مئة مترٍ أو أكثر. بُؤبؤ عينه قابل للتمدد والتقلّص الى حد بعيد وفقاً لما يقتضيه تبدل النور. وهو شديد الانجذاب الى اللون الاحمر.

في بواكير حياته يجرى تعليم الهر بطريقة التجربة والخطأ، كما هي حال سواه من الحيوانات. لكنه يفيد أيضاً من الملاحظة الذاتية. الهرة الام تنظم لجرائها دروساً متقنة في الهواء الطلق. تستخدم فريسة صغيرة لتعليمها عضة الموت. وتمرّنها على اصطياد السمك في الانهر والبحيرات. وتعتمد طريقة التكرار والاعادة مع الجراء البطيئة الفهم، مما يثير التأفف والملل عند الجراء السريعة الفهم.

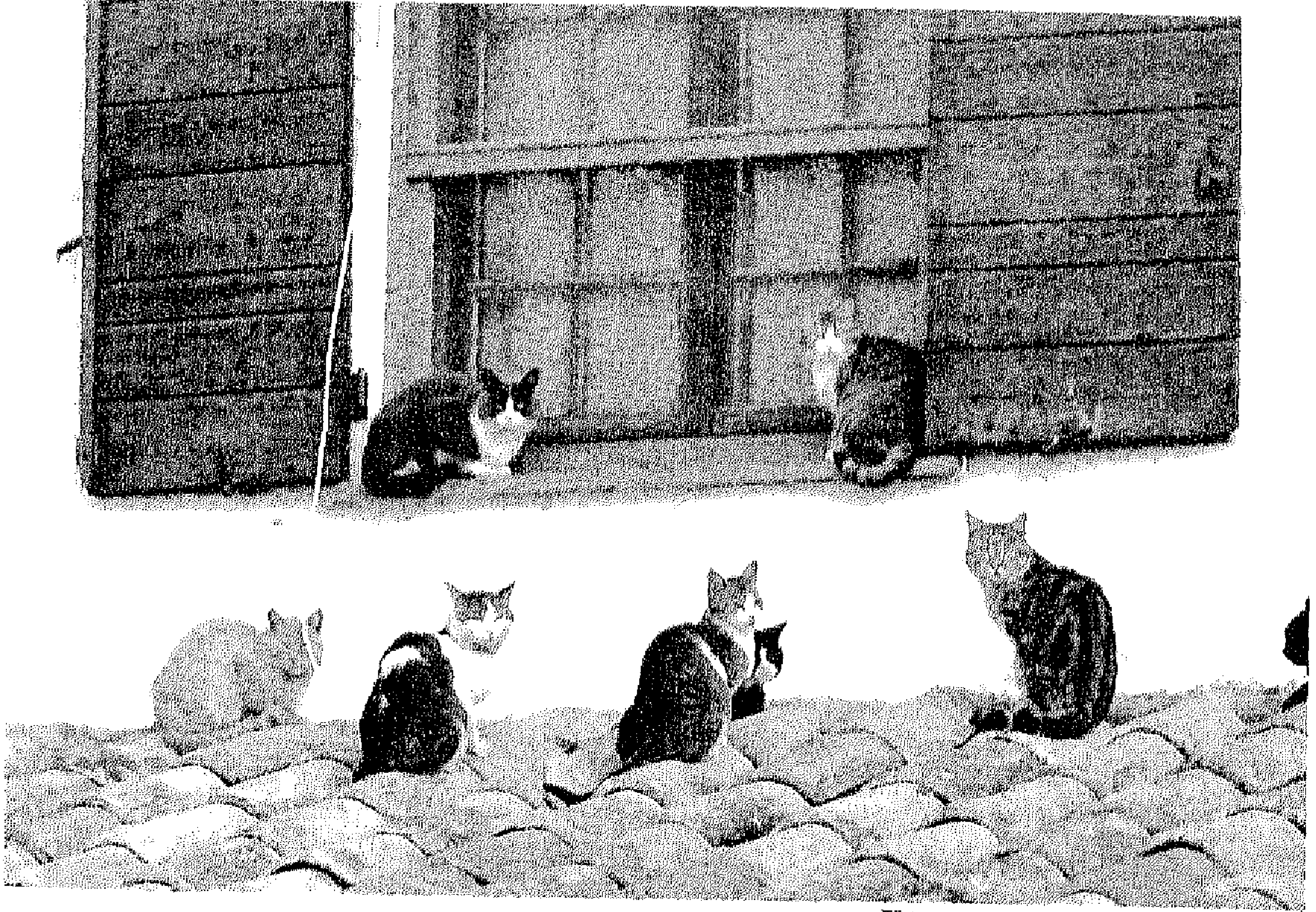
تركيب أذني الهر يجعله قادراً على سماع الاصوات الآتية من كل الجهات من غير ان يحرّك رأسه. حاسة السمع لديه أقوى منها لدى الانسان، وهي تذهب بعيداً في منطقة ما فوق الصوت المسموع. الهر الناعم يُحس وجود الفأرة على بُعد ١٥ متراً. وفي حال اليقظة يلاحظ وجودها على بُعد ٢٠ متراً. كذلك في وسعه تحديد مكانها مختبئة بين الاعشاب العالية، وقد يقف على قائمتيه الخلفيتين لتحديد افضل. حينذاك نراه يتقوس من مسافة نحو مترين ويُطبق على الفأرة فيصيبها بنسبة ٦٠ في المئة.

أما "شواربه" الصلبة النابتة حول الانف، والأقل ظهوراً تحت الذقن وفوق العينين. فهي أدوات استشعار عظيمة الفاعلية تُزود الهر كل ما يحتاج اليه من معلومات توجيهية.

الحركة في الفضاء – كان عندي هرة عاشت حتى عمر الثامنة عشرة. وفي سنها السابعة عشرة لم يتبدل شيء في سلوكها. كانت تقفز بدقة عظيمة الى سطوح الخزائن وتتسلق شجرة للوصول الى سطح منزل وتجيد احكام توازنها فوق سياج عالٍ. انما حين أخذت رفيقاتها الثلاث يعاملنها باحتقار تبين لي أنها اصبحت عمياء صماء كلياً.

في معهد "ماكس بلانك" للفيزيولوجيا السلوكية اكتشف الاستاذ بول ليهاوزن أن جهاز شوارب الهر ذو قدرة عظيمة على التحرك. فحين يحمل الهر فأرة يلفُّ حولها شواربه. وحين لا يستعمل شواربه فانه يديرها مُسطحة في اتجاه الرأس. انها في الواقع نوع من الرادار القصير المدى، قابلة للنمو باستمرار ومتأهبة دائماً لخدمة الهر. وهي تدله على الجهة التي ينمو فيها الشعر على ظهر الفريسة. حتى الهر الأعمى لا يأكل الفأرة في عكس اتجاه شعرها.

الدكتور فرانك موريل الاختصاصي الامريكي بالدماغ ركز مُوصلات كهربائية في اجزاء من الدماغ الامامي وظيفتها ضبط السمع والنظر. ثم ترك الهررة تسرح حرة في الظلام معرضاً اياها لجملة اصوات منوعة. وكانت المفاجأة حين وجد ثلاثين في المئة من الخلايا العصبية الخاصة



لقاء الهررة قد يطول ساعات وقد يدوم الليل كله.

بالنظر قد استجابت ايضا للصوت. من هنا يُرجح ان العينين والاذنين والشوارب، وهي المراكز الثلاثة للتحسس عند الهر، تتبادل الاحساس في ما بينها او يقوم الواحد منها مقام الآخر وفقاً لأهمية المعلومات، وأنها تواجه المؤثرات متماسكة متآزرة كفريق واحد، كما هي الحال عند العميان الذين تقوى لديهم حاستا السمع واللمس.

نظام التبادل هذا يفسّر لنا قدرة الهر الاعمى على صيد الفئران والتحرك من غير صعوبة في كل مكان. هنا يبدو أن الشوارب تمثل الدور الرئيسي. ففي تجربة اجراها معهد ماكس بلانك للكيمياء البيوفيزيائية في غوتنفن تبين ان هراً أعمى يقدر على التقاط فأرة، ولكن حين قصت شواربه أصيب بالعجز التام.

وفي أواخر الستينات واجهت وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) مشكلة تزويد الرواد وسيلة لضبط حركاتهم أثناء سباحتهم الحرة في أحوال تنعدم فيها الجاذبية. فاستخدمت لحل المشكلة أفلاماً تُمثل هررة تسقط من أماكن عالية سقوطاً حراً تنفتل معه أجسامها وهي في وسط الهواء فتبلغ الارض واقفة على مخالبها، من هذه التجربة استنتج رواد الفضاء انهم يقدرون على ضبط حركاتهم بفتل اجسامهم وتدويرها كالهررة. لكن الذين شاهدوهم يفعلون ذلك في عربتهم الفضائية لم يسعهم الا تهنئة الهررة لتفوقها عليهم في هذا المجال.

الفريسة المتحركة - الهر الأليف في اوروبا يتحدَّر من سلالة الهر البري

الافريقي(*). كذلك الانواع الاصغر حجماً في الشرق الاوسط والهررة الفارسية الطويلة الشعر. وجميعها في زعم الاساطير التي يتداولها الناس وحشية الطباع. ويعلل هذا الزعم بأن الهررة آخر الحيوانات التي تم تدجينها. لكن الواقع يخالف هذا القول، لأن الهررة اصبحت اليفة الانسان قبل ١٧ الف سنة بينما الكلب الامين لم يتبع الصياد الا قبل عشرة آلاف سنة.

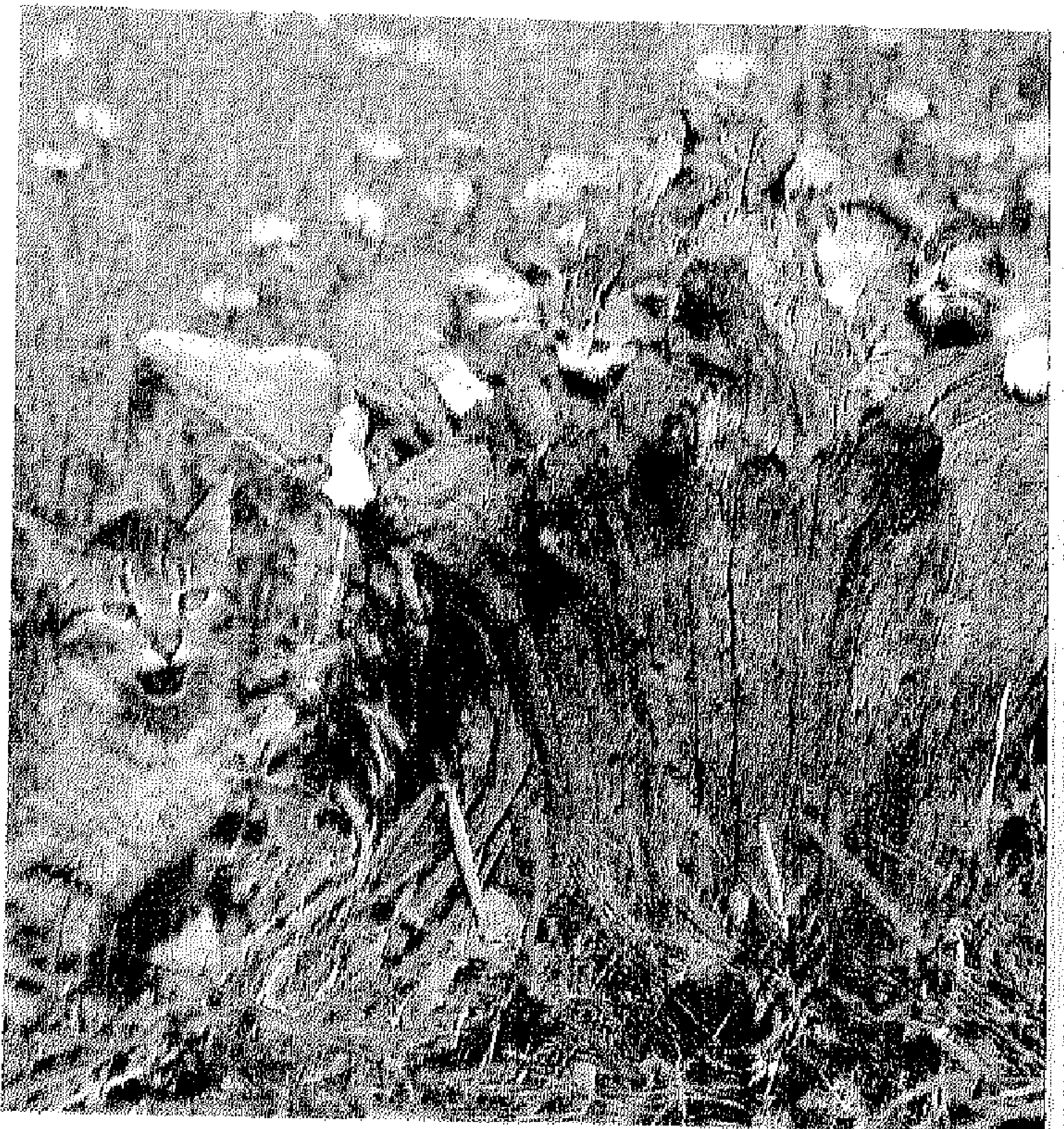
في كهوف العصر الحجري المتقدم نجد الى جانب الخطوط التي تملأ الجدران رسوماً تمثل عشرة حيوانات: الحصان وثور البيزون والأرخُص (ثور بري منقرض) والوعل والماموث وابو منجل والأيل والدب والكركدن والهر. وفي فرنسا يضم كهف "لاسكو" الشهير "صالة هررة". اما حفريات روزنبرغ أنابرغ فقد كشفت أقدم منحوتات للهررة وجدت في المانيا وتعود الى ٣٠٠٠ و٦٠٠٠ سنة.

ان احتكاك الهررة بالآدميين يثير فيها انجذاباً يدفعها الى ابتداع لغة خاصة بهذه العلاقة، منها عادة حكّ الهر رأسه بأرجل الناس ومد رأسه لمداعبته والقرقرة أي ارسال صوت كخرير الماء. كل هذه الاساليب الودية يكاد الهر يخص بها الانسان. ويقول ليهاوزن: "ان علاقة الهر ببنات جنسه تنحصر في الدفاع عن الارض والمنافسة والتزاوج. اما العلاقة بين الانسان والهر فهي أكثر تعاطفاً من أي علاقة بين هر وآخر."

من جهة أخرى يلاحظ ان الانسان سبّب للهر مشكلات عدة. ففي المانيا الغربية حيث يعيش اكثر من ٤ ملايين هر، يقتل الصيادون نحو ٣٥٠ الف هر سنوياً. وكل هر يتخطى مسافة مئتي متر او نحوها بعيداً عن بيته يطلق عليه الرصاص بحجة انه يسطو على العصافير. وهناك مدن مثل هامبورغ، تمنع الهررة من التنقل فيها بين شهري مارس (آذار) وأغسطس (آب) بقصد حماية العصافير المغردة.

أصحيح أن الهررة تسطو على العصافير؟ ان العالم غونتر هايدمن من معهد كيل لدراسة الحيوانات الاليفة تولى

(*) Felis Libyca



Robert Maier / Prenzel

أم تعلم جراءها خارج المنزل.

فحص ١٥٦ هراً بيتياً قتلت بحجة سطوها على العصافير. فوجد في معد ٨٩ في المئة منها بقايا فئران حقول. وفي حالة واحدة وجدت بقايا أرنب صغير وعظام بط بري وريش تُدرُج. اما بقايا العصافير المُفردة فانحصرت في ٤،٤ في المئة من المجموع.

ويقدم الدكتور برونر التفسير الآتي: "الهررة تجد في أي شيء صغير مادة صالحة للافتراس بشرط ان يكون شيئاً متحركاً." وبما ان العصفور هو من هذا النوع، فان الهررة ترغب في اصطياده. لكنها قليلا ما تنجح لأن العصفور يبادر الى الطيران. ومع ذلك فلا ننكر أن بعض الهررة يتمتع ببراعة مدهشة في صيد العصافير.

أصوات من البيئة – في مطاردة الفريسة وصيد الفئران يقوم الهر بعمله منفرداً. واذا حدث أن هرّين تنافسا على فأرة واحدة في حقل مُعشِب، فإن هجومهما عليها في وقت واحد قد يؤدي الى اصطدام رأسيهما واصابتهما برضوض مؤلمة.

وفي أحوال أخرى تُظهر الهررة مقداراً كبيراً من الروح الجماعية. وفي العشايا كثيراً ما تجتمع بأعداد تراوح بين العشرة والعشرين، وأكثر احياناً، لا هدف لها الا لذة الاجتماع. فتجثم مُطمئنة مُتحلقة غير متقاربة ولا متباعدة كثيراً. ويقول ليهاوزن الذي راقب هذه الاجتماعات ان وجوه الهررة عبرت عن رضا ظاهر لا أثر فيه للتنافس، بل هناك انفراج واسترخاء، واجتماعها على هذه الصورة قد يدوم ساعات وأحياناً الليل كله.

ومن الاعتقادات الشائعة ان الهررة شديدة الألفة لمنازلها. ونسمع احياناً اخباراً عن هر وجد طريقه الى البيت بعد ضياع دام اشهراً بل سنوات وقطع خلاله مئات الكيلومترات. لكن تحري بعض هذه الاخبار لم يُسفِر عن التأكد تماماً من هُوية الهر العائد.

وفي معهد علم الحيوان بجامعة كيل تم امتحان قدرة الهررة على الاهتداء الى منازلها بعد غياب. فوضعت في أقفاص كبيرة تضم متاهات داخلية ولها مخارج عدة، ثم نقلت الى اماكن تبعد عن منازلها مسافة ثلاثة كيلومترات أو اربعة. معظم الهررة تجاهلت منعطفات المتاهة وتوجهت رأساً الى المخرج المؤدي الى منازلها. فما الذي هداها؟

يرى ليهاوزن أن الهررة تستوحي أصواتاً تتذكرها في بيئتها، كصفّارة مصنع أو جرس باب او خرير نهر. فحالها شبيهة بحال طائرة تقترب بهدي الرادار في المطار فتجد المنفذ الصحيح قبل هبوطها مباشرة.

ضيف قديم – يُحكى أن عائلة خيمت في جزيرة منعزلة خالية من مصادر صوتية متميزة. واضاع افراد العائلة هرتهم في رحلة تبعد عشرة كيلومترات عن مُخيمهم، لكن دهشتهم كانت عظيمة حين رأوها مقبلة نحوهم بعد عودتهم الى المخيم ببضع ساعات.

كيف حدث ذلك في أرض غريبة؟ الجواب ان الهرة اهتدت لأن اصحابها كانوا هناك.

تبقى ثمة أسئلة: كيف استعملت الهرة أجهزتها الاعلامية الثلاثة مُضافة الى ذاكرتها؟ وأي مسافة تُغطيها غريزة الألفة المنزلية في الهر؟ وهل يُصبح تعلق الهر بمنزله من القوة بحيث يحول دون نقله الى مكان آخر ويُرغم أصحابه على تركه في المنزل القديم؟

كثيرون يعتقدون ان نقل الهررة الى منطقة جديدة بعيدة عن منزلها الاول أمر متعذر لشدة تعلُّقها بالقديم. وفي برلين الشرقية رأيت جماعات من الهررة التي تركها أصحابها مجتمعة حول مركز تدفئة قرب معبر "هينريك – هين – ستراس" الحدودي. ماذا حدث لغريزتها الاسطورية في ألفة المنزل؟ وماذا يحدث لملايين الهررة التي تضيع سنوياً؟

قد تكون هناك أسباب اخرى للاعتقاد بقدرة الهررة على قطع مئات الكيلومترات للرجوع الى منازلها المألوفة. ففي كل بلد هررة خبيرة بلعبة "الثقة بالآخرين". أعني أنه يحدُث احياناً ظهور هر يحتل منزلك من غير دعوة ويرفض الخروج منه. لنفرض أن هراً مبرقشاً دخل بيتك فجأة وتصرّف فيه كضيف قديم. الدهشة تغمر أهل المنزل ويبدو لهم أن هذا الضيف ليس الا هرهم "بوسي" المبرقش الذي اختفى قبل ثلاث سنوات. ان اصناف الهررة لا تزيد على ٣٩ في حين ان هناك ٣٢٨ صنفاً من الكلاب. وبين هررنا الاليفة ٩٠ في المئة مبرقشة باللون الاشقر أو الرمادي أو هي بلون اسود خالص او مختلطة السواد بالبياض.

من هنا يصبح الالتباس بينها امراً متوقعاً في بعض الاحيان.

نك باركوف ■

صحافي اقتنى هررة طوال حياته. له ستة مؤلفات منها "حكايات عالمية عن الهررة" و"حكايات المانية عن الهررة".

طبيب في الريف

افتتح طبيب شاب عيادة في منطقة ريفية. وفي اليوم التالي قُرع بابه في الرابعة والنصف فجراً. فنهض متعثراً تتجاذبه أفكار سوداء. وفتح الباب ليفاجأ بمزارع لائق المظهر فبادره: "بحق السماء! ما الأمر يا رجل؟"

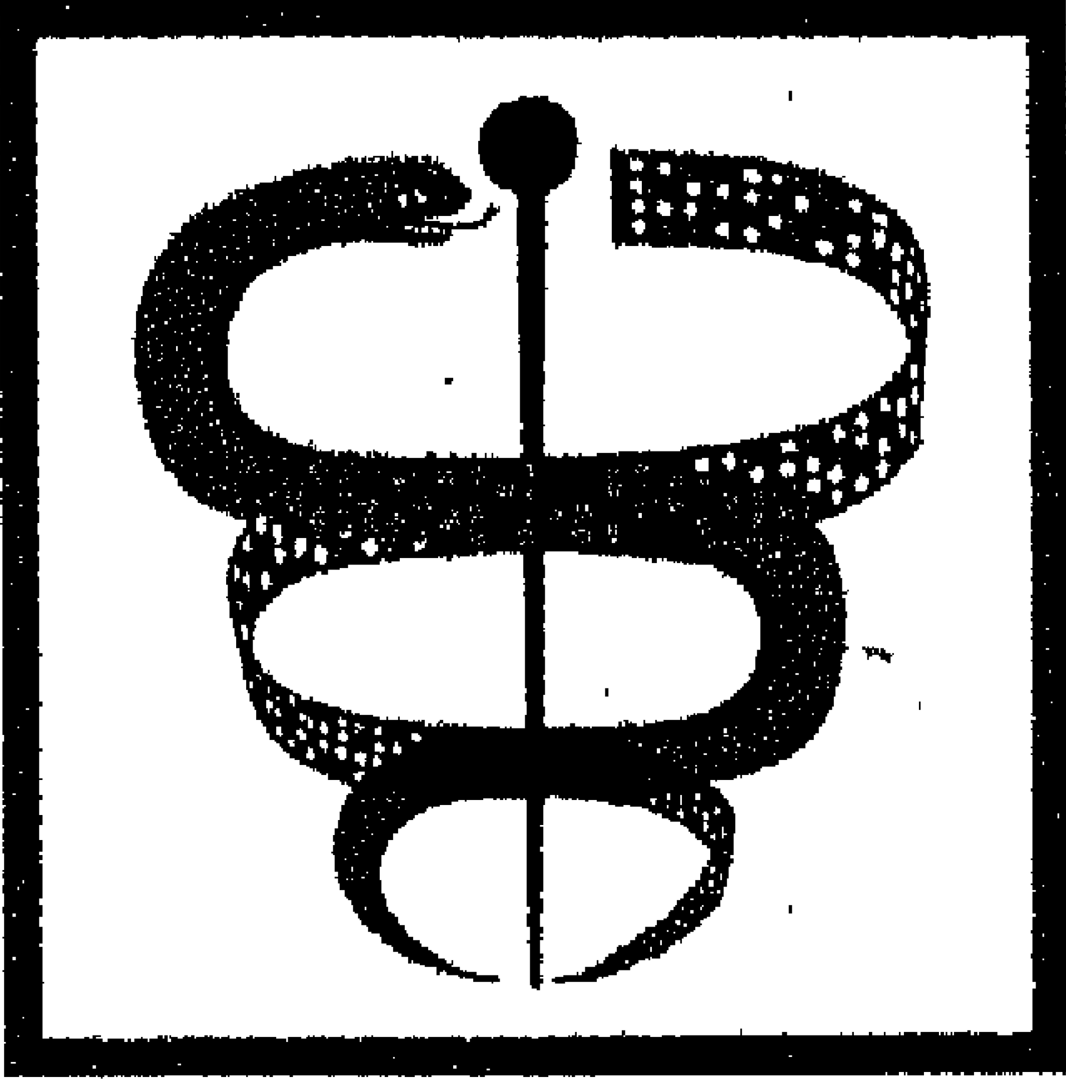
فأجاب المزارع ببرودة: "لا شيء يا دكتور، فأنت طلبت مني الحضور لفحص الدم قبل تناول فطوري، وها أنذا."

الذاكرة

عجيب كيف تسجل ذاكرتنا أدق تفاصيل الاحداث التي واجهتنا ولا تسجل عدد المرات التي رويناها للشخص نفسه.

ل.ر.

أصداء من عالم الطب



علاج سرطان الصدر

خلصت دراسة حديثة الى ان الكثير من النساء اللواتي يعانينَ سرطان الصدر في مراحله الاولية لا يحتجنَ الى استئصال الثدي المصاب كلّه.

وهذه الدراسة اشرف عليها الدكتور برنارد فيشر أستاذ الجراحة في كلية الطب التابعة لجامعة بيتسبورغ بولاية بنسلفانيا الأمريكية. وقد أجريت على ١٨٤٣ امرأة لا يتجاوز قطر الورم لدى الواحدة منهنّ أربعة سنتيمترات. وأخضع بعضهنّ لاستئصال الثدي المصاب كلّه، فيما اكتفي باستئصال الورم لدى الاخريات. ومن الفئة الثانية عدد أخضع للعلاج بالأشعّة بعد الجراحة. وبعد متابعة النساء مدّة معدّلها ٣٩ شهراً، تبيّن أن اللواتي خضعنَ للاستئصال الجزئي، سواء منهنّ اللواتي أسعِفنَ بالأشعّة واللواتي لم يتلقّينها، لم يكنَّ أسوأ حالا من أفراد الفئة الاخرى.

وفي رأي الدكتور آرنولد ريلمان رئيس تحرير مجلة "نيو انغلند" الطبية أن هذه "أدَقّ دراسة للموضوع حتى اليوم. الا أننا لن نحصل على الجواب النهائي قبل تحرّي النساء المعنيّات مدّة أطول."

صحيفة "نيويورك تايمس"

تنبيه الى مستخدمي العدسات اللاصقة

تعقّب جرّاح طفحاً جلدياً ظهر على راحته فانتهى به المطاف الى محلول يستعمله لتنظيف عدساته اللاصقة. هذا ما جاء في رسالة نشرتها مجلة "نيو انغلند" الطبيّة. والمادة الجانية تدعى "تيميروسال"، وهي مادة حافظة تدخل مركّبات عدة لتنظيف العدسات اللاصقة.

ومعروف عن هذه المادة أنها تسبب حكة واحمراراً في العينين، ولكن لم يكتشف الا أخيراً أن لها علاقة بمضاعفات جلدية. وهي تدخل المركبات المطهرة وعقاقير العين والاذن والانف وبعض مستحضرات العناية بالاسنان. فعلى مستعملي هذه الادوية أن يتنبهوا الى الصلة المحتملة بين مادة تيميروسال والطفح الجلدي الذي لا يعرف سببه.

نشرة كلية الطب في هارفرد

تقدم طب القلب

أعلن المسؤولون في وزارة الصحة الامريكية تحقيق تطويرات مهمة في كشف أمراض القلب والاوعية الدموية والوقاية منها ومعالجتها.

■ فحوص الجينات. اكتشف العلماء في مؤسسة كاليفورنيا للتكنولوجيا البيولوجية في الولايات المتحدة وفي جامعة وستفاليا في ألمانيا الغربية "علائم" كيميائية في الحمض النووي «DNA» في كريات الدم البيضاء، من شأنها الافادة في التعريف بدقة الى الاشخاص المعرضين للاصابة بأزمات قلبية. ولدى ٤٠ في المئة من أصل ٥٧ شخصاً أجريت عليهم الفحوص وكانت لديهم علائم علة قلبية، ظهرت اختلالات في الجينات الوراثية لها علاقة بنقل الكولسترول والدهون في الدم. فاذا أتاح فحص دم بسيط تحديد هذه العلائم والتكهن بالاولاد الذين يحتمل أن يصابوا بعلة قلبية في وقت لاحق من حياتهم، فان تدابير وقائية - مثل التزام حمية ذات مستوى مخفّض من الدهن والكولسترول واتباع تمارين مقوّية - تمكن مباشرتها في وقت مبكر.

■ حبة أسبيرين كل يوم. تصادق ادارة الغذاء والدواء الامريكية بحذر على وصفات الاطباء بتناول حبة اسبيرين من عيار ٣٠٠ مليغرام يومياً للذين يعانون آلام الذبحة الصدرية غير المستقرة أو الذين أصيبوا بنوبة قلبية. فقد أظهرت ست دراسات أن هذا العقار يقلّل من احتمال الاصابة بنوبة قلبية أخرى بنسبة ٣٠ في المئة.

■ "ايقاظ" القلب. يتوفى ٤٥٠ ألف أمريكي سنوياً في حوادث موت فجائي ناجم عن نبض سريع غير عادي ووجيب مضطرب. ان جهازاً يمكن زرعه في الجسم، أجازته أخيراً ادارة الغذاء والدواء الامريكية، يمكنه أن يوقف هذا الخفقان ويراقب قلوب المعرضين لاعلى درجات الخطر، فيصدم القلب ويعيده الى النبض الرتيب اذا حدث الوجيب المضطرب. ويزرع هذا الجهاز تحت جلد البطن ويوصل بأسلاك الى العضلة القلبية. ونسبة الوفاة خلال سنة بعد التوقف القلبي المفاجىء تراوح بين ٣٧ و٦٦ في المئة. أما في التجارب السريرية التي استخدم فيها هذا الجهاز المضاد للخفقان فقد تناقصت النسبة الى ٣ في المئة.

مجلة "نيوزويك"

عقار يشوه الاجنّة

النساء الحوامل اللاتي يتعاطين عقار "الاكوتان" Accutane لمعالجة حب الصبا المتكيس يواجهن احتمال ٣٠ في المئة أن يلدن أطفالا مصابين بتشوه في الدماغ أو الوجه أو القلب، كما يتعرضن أكثر لخطر الاجهاض..هذا ما جاء في دراسة أجرتها مراكز مراقبة الامراض في اتلانتا بولاية جورجيا الامريكية وشركة "هوفمان - لاروش" للصيدلة.

وهناك بضع مئات الالوف من النساء في سن الحمل تناولن هذا العقار خلال السنوات الثلاث الاخيرة. وحقق الباحثون في حالات تعرض الجنين للعاهات الخلقية الناجمة عن ذلك بحيث أتيح لهم الحصول على تقدير دقيق للخطر الناشىء.

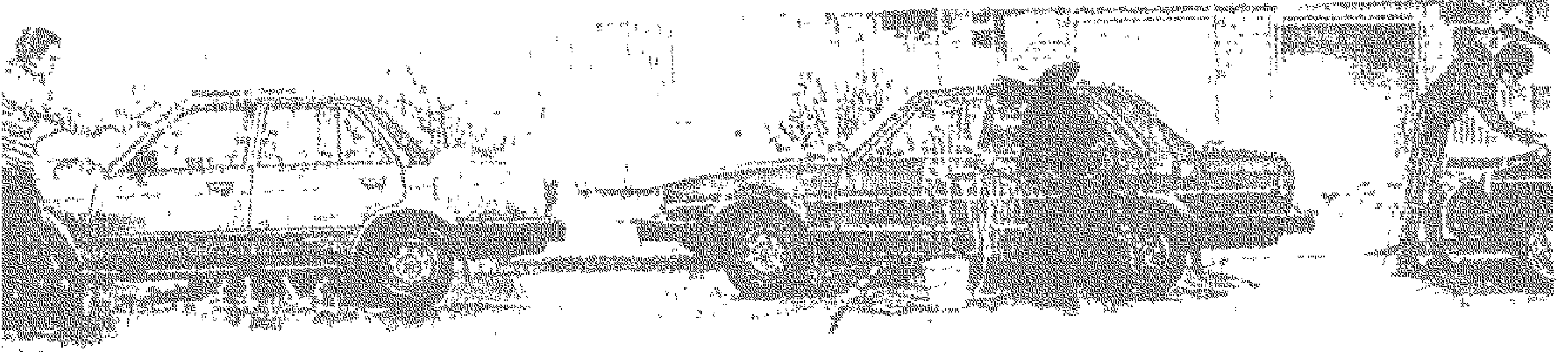
انهم يؤكدون الآن أنه ينبغي عدم وصف عقار الاكوتان للنساء الحوامل.

صحيفة "نيو انغلند الطبية"

جَـدّدْ شَبـابَ سَيّارتك

ان كل ثلاثة من أربعة سائقين في بريطانيا لا ينظفون سياراتهم تنظيفاً كاملا أو تنظيفاً ينمّ عن دراية ومعرفة. هكذا يقول أريك براون من هنليس وهو احد كبار بائعي السيارات. ويشير الى أن السائقين لا يخسرون بذلك لذة قيادة سيارة نظيفة برّاقة فحسب، بل انهم يَدَعون المال ينزلق من أيديهم بينما تزدهر سوق مبادلة السيارات (*).

على الراغبين في بيع سياراتهم المستعملة ان يتذكروا أن صاحب المرأب الذي يعرض ثمناً لشرائها يخفض من



ماذا تفعل في عطلة الاسبوع؟ خبراء ينصحونك بالانصراف الى غسل سيارتك

قيمتها مجمل المصاريف اللازمة لصقلها كي تصبح في مستوى يؤهلها لتُبرز في صالة العرض. ويرى براون انّ من الممكن تفادي هذا الخفض. وتبيع شركته سنوياً ثلاثين ألف سيارة مستعملة من جميع الانواع.

ويضيف: "ان التنظيف المنتظم يزيد ثمن السيارة العائلية نحو ٥٠٠ جنيه استرليني. وفي احدى الحالات دفعنا ١٥٠٠ جنيه اضافية، وكان البائع ضابطاً

(*) trade in أي ابدال السيارة المستعملة بأخرى جديدة مع دفع فرق القيمة.

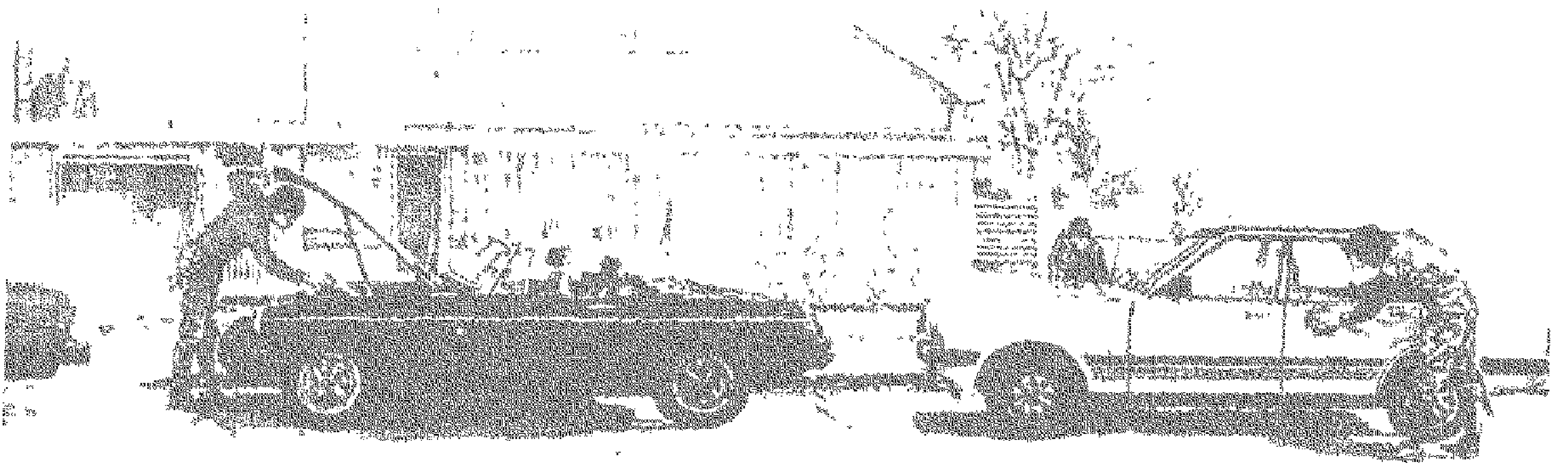
Illustration: Gary Keane

في الحرس الملكي وكان الصقل الجيّد polish جلياً على سيارته".

يجب غسل السيارة مرة كل اسبوع، وأكثر من ذلك اذا كان الطقس رديئاً، مع تخصيص ساعة كل شهر لجعل الداخل نظيفاً وأنيقاً. والتنظيف الدقيق والكامل في ابريل (نيسان) ضروري لحفظ السيارة في حال جيدة. "شهر ابريل (نيسان) هو الوقت المفضّل لازالة الملح الأكّال والاوساخ التي علقت على السيارة اثناء الشتاء." هذه نصيحة ليس سيمس المدير الفني لجمعية السيارات. ويضيف: "انتبه خصوصاً للثنيات المعدنية في هيكل السيّارة، وايضاً للحافات الناتئة ومفاصل الأبواب."

الماء ليس عدواً – يؤكد تشارلز لافيل مستشار شركة فورد الذي يجوب بريطانيا مرشداً وكلاء بيع سيّارات الشركة: "ان التنظيف الفعال يتطلّب صبراً وطول أناة. فاحذر اللجوء الى الطرق المختصرة." ان تسليط خرطوم ماء بزخم وبزاوية قائمة مع السيارة على دهان تغطيه طبقة متراصّة من الوسخ الجافّ يزيل الوسخ، لكنه في الوقت ذاته يخلّف خدوشاً رفيعة كالشعر في طبقة الدهان. وهذا ما يحصل عندما تحفّ الدهان الجافّ بقطعة قماش ناشفة او باسفنجة لصقت عليها حبيبات رملية.

وينتقد لافيل الغسل الأوتوماتيكي في الباحة الخارجية للمرأب: "ان هذا الغسل صُمّم أصلا للسيارات الامريكية ذوات الصقل الخشن ويمكن أن يتسبب في نزع الهوائي والزخرفة الخارجية للسيارة، فضلا عن انه لا ينظّف العجلات ولا يطاول ما تحت الابواب وما تحت مخفّفات



الصدمة. وبما أن حبيبات الوسخ من سيارات الزبائن السابقين تلتصق كهربائياً بالفراشي، ففي أيام الصقيع عند غسل السيارة في الخارج لا بدّ من أن تتكوّن على رؤوس الفراشي كرات صغيرة من الجليد. ويكون غسل سيارتك عندئذ بمثابة ادخالها آلة للحف بورق الزجاج."

ويعتقد خبراء آخرون ان الآلات الاوتوماتيكية الجديدة للغسل داخل المرأب والمجهّزة لتنظيف العجلات وحفها مفيدة في كونها تؤمن خدمة سريعة لتنظيف الهيكل الخارجي للسيارة.

بعد الرش الرفيق بالخرطوم لترطيب الوسخ وتليينه يستعمل تشارلز لافيل في تنظيف سيارته اسفنجة ودلواً فيه شامبو (صابون) خاص. (لا تستعمل الفرشاة أبداً لان الوسخ المخدِّش يتجمع على شعراتها.) ثم يعمد الى الغسل بدءاً بظهر السيارة نزولا الى المقدم فالجانبين فالمؤخر. ويزيل الغبار الاسود المستعصي المحروق بفعل الحرارة والملتصق بالعجلات، بادخال الشامبو الزوايا المعدنية بواسطة فرشاة للدهان. ويصلح مقبض الفرشاة أيضاً لازالة الوحل العالق تحت أقواس (رفاريف) العجلات، وينتج من ذلك ملء مجرفتين للسيارة العادية. ويقول لافيل: "إن الاهتمام بالتفاصيل أمر بالغ الاهمية. لا تنس الاماكن المخفيّة وراء مخفّفات الصدمة والحافات وأي نقطة يتصل فيها الدهان بالزجاج."

ومن ثم يزيل لافيل الشامبو بتسليط ماء الخرطوم، وهو يقول: "في البيت أغسل سيارتي أحياناً تحت المطر فيحرجني الجيران بنظراتهم، لكن ماء المطر نقي يزيل الشامبو وأوساخ الطريق. انها لخرافة أن كثرة استعمال الماء تسبّب الصدأ للسيارة. فالعدو الحقيقي هو الملح الذي يتأكّل الحديد."

الصقل المعقول – ان كثيرين من المحترفين يستعملون نوعاً خاصاً من الشامبو يحتوي على مادة منظّفة ونوع من الشمع قابل للذوبان يترك طبقة صقل رقيقة. وهذا الشامبو ليس مرغوباً لدى الجميع. إن ليس سيمس من جمعية السيارات يضيف الى الماء قليلا من

سائل منظف خفيف. أما كولن ترنر وهو مالك مرأب في "سنبري - أون - تايمس" فيستعمل "ماء ساخناً صرفاً" في غسل سيارته الفولكسفاغن "شيروكو" الذهبية اللؤلؤية اللون. وينصح سائقو سيارات قصر بكنفهام الذين يعتنون بسيارة الملكة الرولز رويس باستعمال"الماء البارد والتنظيف باليد."

ان مادة الصقل التي تضاف الى الشمع في الشامبو تعتبر عاملا لتلميع الدهان اكثر منه لحفظه، والافضل استعمالها مرة كل ستة أشهر وانتقاؤها بعناية. والتقدم الذي احرز في تكنولوجيا الدهانات أوجد أنواعاً مختلفة من "اللمسات الاخيرة" التي تتطلّب مواد صقل متنوّعة. راجع كتاب الارشادات الخاصة بسيارتك أو اطلب من وكيل البيع ان يرشدك الى أفضل المواد لصقلها مع اعتبار تاريخ الصنع ومدة الخدمة واللون. ان بعض مواد الصقل يعتبر قاسياً على الالوان المعدنية (metallic) ومنها اصناف قد تترك لطخات بيضاء على اللون الاسود أو الازرق الضارب الى السواد. تجنّب استعمال مواد الصقل التي تدعي التنظيف والصقل في وقت واحد. فالصقل وتنظيف الأوساخ عمليتان منفردتان لا يمكن جمعهما من دون خطر تخديش الدهان.

ان كثيراً من السيارات تخرج من المصانع وعليها طبقة من ورنيش اللّك (Lacquer) الذي يحفظ الهيكل برّاقاً لمدة أربع سنوات واكثر. وتوصي شركة فوكسهول بعدم صقل الطرازات الحديثة من سياراتها ما لم يبهت لونها ويعلوه غشاء من الأوساخ.

ويقتصد تشارلز لافيل في استعمال الصقل: "انها لخرافة أنه كلما تكرّر الصقل كانت النتيجة أفضل." ولكونه مثالياً فانه ينشد الكمال، فيضع مادة الصقل على قطعة قماش: "لا تضعها أبداً على السيارة اذ يمكن ان يترك ذلك بقعة." ثم يصقل متّبعاً خطوطاً مستقيمة لا دائرية، وبذلك يخفّف من خطر تخديش الدهان من دون انتباه. إن الدهان الذي بهت وتآكل حتى أصبح مجرّد بقع باهتة يمكن علاجه باستعمال مادة الصقل «T — Cut» تذيب الطبقة السطحية المتآكلة من الدهان. إنها معالجة جائزة ويمكن اللجوء اليها تسع مرات كحد أقصى قبل ان تنكشف الطبقة الاساسية.

الانطباع الجيد - للمحترفين تعليماتهم الخاصّة بشأن اللمسات الأخيرة. فلازالة الطبقة التي تغشّي داخل الزجاج الأمامي والزجاج الخلفي، يوصي ليس سيمس باستعمال محلول نصفه كحول ونصفه الآخر ماء ساخن. أما تيم غوس المدير العام للخدمات في شركة أوستن روفر فيقترح استعمال البنزين أو الكحول لازالة بقع الشحم والزفت عن الدهان وعن الزخرفة البرّاقة.

أما كولن ترنر الذي حازت سيارته "إم - جي" من العام ١٩٦٩ جائزة معرض حديث للسيارات الكلاسيكية فانه ينصح باستعمال مادة الصقل «T-Cut» لتنظيف الزجاج. ويعيد لافيل اللمعان الى لوحة أجهزة القياس (التابلو) واللوحات الداخلية للأبواب باضافة نقط من منظّف المحرّك الى الماء في مضخة يد. وينظّف

الفرش والسجادات بالشامبو الذي يستعمل لتنظيف هيكل السيّارة مخفّفاً بالماء.

اذا كنت راغباً في بيع سيارتك فمن الحكمة ان تتذكّر أن المحرّك النظيف يترك انطباعاً جيّداً لدى الشاري. ويقول تشارلز لافيل: "ان الكثيرين من مالكي السيارات لا يريدون أن يتعلّموا طريقة تنظيف المحرّك لاعتقادهم ان هذا العمل صعب. ولكن في امكانهم احراز تقدم كبير سهولة في هذا المجال."

انّه يرش المحرّك بمنظّف يزيل الشحوم ويغلّف جميع أجزاء المحرّك مع الزوايا والشقوق، ومن ثمّ يزيله مع الوسخ بماء الخرطوم فيبدو المحرّك كأنه عاد جديداً. ان تسليط ماء الخرطوم على محرّك ذي صيانة جيدة مأمون ولا ينجم عنه أي ضرر لان المحرّك مُصمَّم ليكون مانعاً للماء. أما الموزع (distributor) والاجزاء الكهربائية فيجب ان تُنضَح بقليل من الماء، وخصوصاً تلك التي في سيارات الـ "ميني". تخلّص من الماء المتبقّي على الأجزاء الكهربائية برش مادة لامتصاص الرطوبة مثل «WD-40»:

ربح أكيد – ليكن وقت تنظيف سيارتك فرصة مثالية كي تجري فحصاً منتظماً لتزييت الدواسات وللاضاءة والعجلات وأحزمة المقاعد. ويضيف بيتر لافيل رئيس مهندسي النادي الملكي للسيارات: "وهي فرصة تتاح لك كي تتخلّص من الاغراض التي لا حاجة اليها في الصندوق. فالوزن الخفيف يؤدي الى الاقتصاد في استهلاك الوقود."

اذا كانت سيارتك اجتازت سنوات شبابها فمن الافضل التفكير في اعادة تأهيلها لدى خبراء محترفين. وهذه الطريقة (valeting) مثيرة ولا شكّ وتتطلب رجلين يعملان معظم النهار. وفي بريطانيا بضع مئات من الشركات تتنافس في تقديم خدمات للتجميل تراوح بين رش الشامبو على الفرش والسجّادات واعادة طلي العجلات مع تنظيف البنية التحتية للسيارة بالبخار، وهذا الجزء من السيّارة مهمل عادة لصعوبة الوصول اليه.

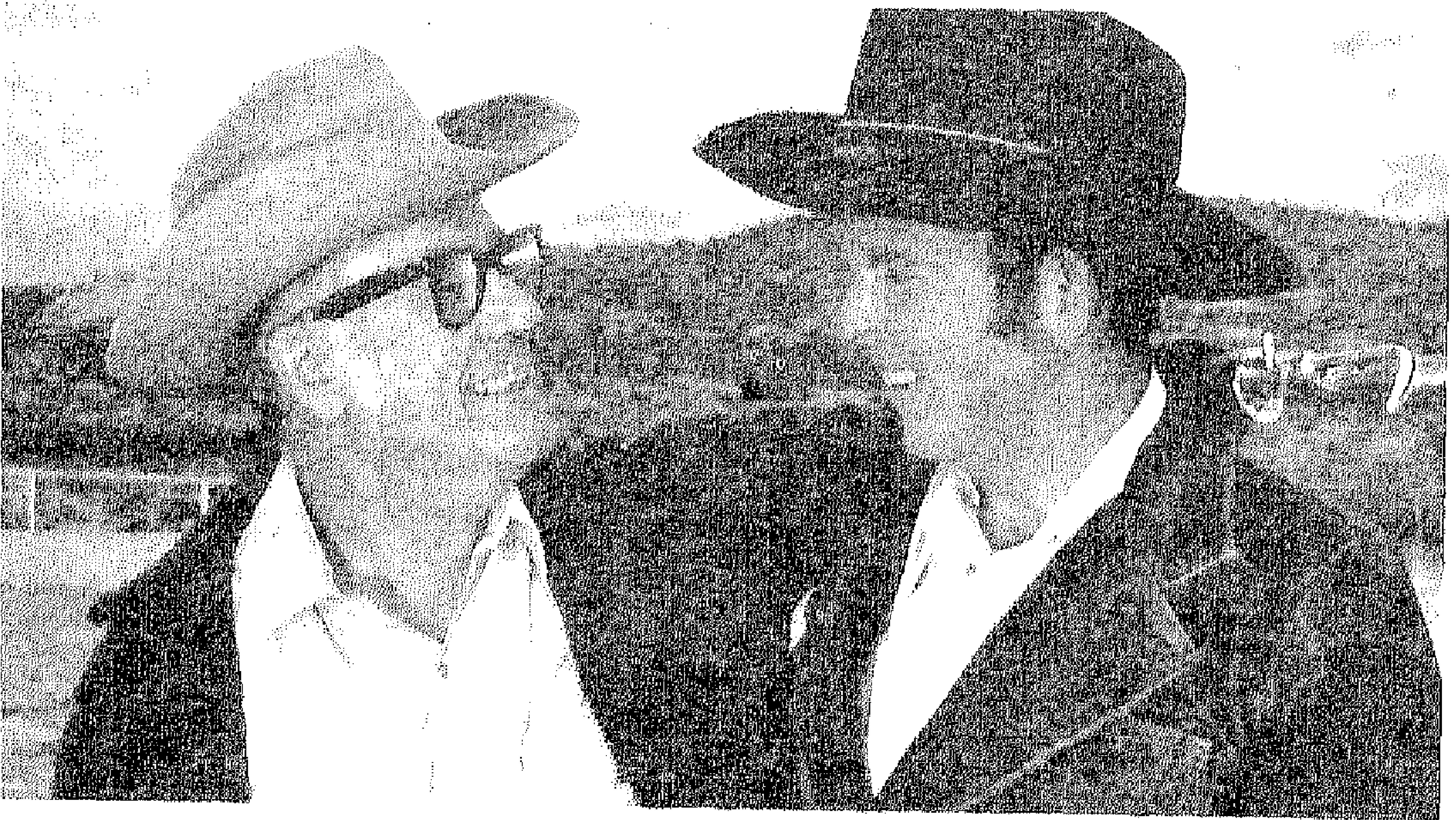
ان تجديد مظهر سيارة العائلة، بما فيها المحرّك والاقسام الخارجية والداخلية، عمل مكلف حقاً. واذا كانت متعة قيادة سيارة برّاقة "جديدة" لا تجعل منها صفقة رابحة، فان سعرها عند المبادلة لا بدّ من أن يعوّض التكاليف التي دفعتها لتجديد مظهرها. ويقول غراهام فولر صاحب شركة "غليم كلين" في ورتنغ: "بعدما جدّدنا مظهر سيّارتنا ارتفع ثمنها من ١٢٠٠ جنيه الى ٢٢٠٠."

ان مظهر سيارتك يوحي الكثير عنك. ويقول جيمس غيلمور من دائرة شرطة السير في ستراتكلايد: "إن السائق الذي يفتخر بسيارته يفتخر كذلك بقيادتها. فالرؤية الواضحة من زجاج نظيف وفي ضوء مصابيح أمامية نظيفة تشكل الفارق بين الرحلة الممتعة والرحلة التي تنتهي بحادث. وعندما يكون الطقس رديئاً فان سائق السيارة النظيفة يبتعد تلقائياً عن العجلتين الخلفيتين للسيارة التي أمامه مسافة كافية لتفادي الحوادث."

جون هارمان ■

كلنا سواسية. وكلنا يبغي الاشياء ذاتها.
انما يتعين على البعض منا
ان يبذل جهداً أكبر للحصول على مبتغاه

مزارع خلف النجوم



رالف شورز وديفيد بطلر.

كان المطر يتساقط كالسياط على السيارة المستأجرة وهي تشق الطريق المتلوية في قلب الصحراء شمال أريزونا بعد ظهر ذلك اليوم من شهر أغسطس (آب) ١٩٧٤. وفي المقعد الامامي جلس لورين بطلر وهو مدير مبيعات من كاليفورنيا والى جانبه زوجته جين. وفي المقعد الخلفي جلس ابنهما ديفيد المتخلف عقلياً.

كان ديفيد في الثانية والعشرين من عمره، وحاصل ذكائه دون الخمسين بينما يراوح المعدل الطبيعي بين ٩٠ و١١٠. وعلى رغم انه أمضى خمس عشرة سنة في معاهد خاصة بالمعاقين، فقد كان مستواه في القراءة موازياً لمستوى الصف الابتدائي الثاني ان لم يكن دونه. كان ديفيد مزاجياً ولا أصدقاء له، وكان يمضي معظم وقته في الاستماع الى الموسيقى.

وما ان انعطف لورين من الطريق العامة بالقرب من بلدة كامب فيردي

Photo: Dr. Ronald Wright

الصغيرة حتى وقع بصره على ثلاث قطائر(١) وحظيرة قديمة ولافتة كتب عليها "مزرعة قوس قزح"(٢).

"أين منها قوس قزح!" قالت جين في نفسها. وكانت في مخيلتها صورة مختلفة تماماً، اذ نُصحت العائلة بالمزرعة كمكان اختباري لرعاية البالغين المتخلفين عقلياً، وقد توقعت جين اكثر مما رأت عيناها.

فُتح باب احدى القطائر وخرج منه رجل دين اسمه رالف شورز وتوجه بخطى واسعة نحو عائلة بطلر مرحباً. كان يرتدي سروال عمل وينتعل جزمة راعي بقر يعلوها الغبار. انه رجل في الثامنة والثلاثين، قصير القامة، حسن المظهر، على عينيه نظارتان اطارهما ثخين ادكن وعلى جانبي وجهه سالفان طويلان، وفي مكان اليدين خطافان من المعدن.

قال شورز بحنان وهو يلف ذراعه حول كتفي الشاب: "لا بد من انك ديفيد."

أومأ ديفيد برأسه ايجاباً ويداه "ترفرفان" حوله وجسده يترجح الى الامام والى الوراء وعيناه مسمرتان على الارض.

تجمعت عائلة بطلر في ركن الاستقبال داخل القطيرة وراحت تستمع الى خطط رالف لمزرعته الجديدة. قال للشاب: "لا يهمني من تكون ولا كيف هو عقلك. جميعنا في حاجة الى القيام بأعمال بناءة لتحصيل معيشتنا. وجميعنا في حاجة الى أصدقاء وجميعنا في حاجة الى اتخاذ القرارات. هذا ما نعلّمه هنا وهو يعني اتاحة الفرصة للمتخلفين عقلياً لكي يبنوا حياة مثمرة من غير زجهم في مؤسسات خاصة أو تركهم حيث هم في مجتمع لا يحسنون التعامل معه. انهم هنا مزارعون."

راق هذا القول لورين وجين بطلر وسجل ذلك اليوم في حياتهما نهاية بحث استغرق عشرين سنة عن فرصة يقدمانها الى ابنهما. أما بالنسبة الى ديفيد ورالف فتلك كانت البداية.

مزرعة في الصحراء

كصبي في فينكس بولاية اريزونا وجد رالف شورز الحياة كفاحا مستمراً. كان فتى قصير القامة هزيلها يعاني معوقات تعليمية جعلته موضع مضايقة مستمرة من سائر الاولاد. وكان حاصل ذكائه ٨٤ وهو في الصف الابتدائي السابع. ومرة قالت له احدى المدرسات: "إنسَ موضوع المدرسة. انك ببساطة عاجز عن التعلم."

لكن رالف تعلّم شيئاً واحداً من جده الذي كان معدِّناً وعضواً في الادارة المحلية، تعلّم كيف يحلم. وكان يعشق الحكايات التي قصها عليه جده عن الغرب القديم في الولايات المتحدة. كان يقول له: "لا تزال اريزونا مكاناً يستطيع الانسان فيه تغيير الامور، انما عليك أن تثق بنفسك وأن تعمل بجد."

وهكذا راح رالف يكد ويكافح. وبعد معاناة طويلة أنهى دراسته الثانوية وكان بين الاواخر في الصف واحتاج الى ست سنوات لاكمال دراسته الجامعية تخرّج بعدها بشهادة في علم النفس.

بعد زواجه الفتاة التي أحبها في

(١) بيوت متحركة على دواليب.
(٢) «Rainbow Acres»

الجامعة رُسم رالف قساً. وعمل في البدء في ادارة مركز للشباب في حي فقير مزدحم في قلب فينكس. وبعد ذلك عمل في هاواي. أما في كاليفورنيا فكان عمله مساعدة المراهقين الذين يعانون اضطرابات نفسية. على انه غالباً ما اصطدم باشخاص في محيطه كان همهم الحصول على مخصصات مالية لاقامة الابنية فيما هو يريد المال لانفاقه على الناس. وكان الجنوب الغربي يشده، وتاق الى العودة اليه لتأسيس مزرعة خيرية. ورفض رؤساؤه الاستجابة فما كان منه إلا أن قدم استقالته. وقال لزوجته مارلين: "آن الاوان لتأسيس تلك المزرعة."

قرر لاري غونر مساعد رالف أن ينضم اليه. وفي ربيع ١٩٧٣ انتقلت عائلتا شورز وغونر الى ولاية أريزونا. وهناك بالقرب من كامب فيردي وجد رالف ولاري قطعة أرض صحراوية تبلغ مساحتها اربعة هكتارات معروضة للبيع.

واستدانا من المال ما يكفي لدفع العربون وشراء قطيرة لرالف وزوجته وأبنائهما الثلاثة. أما لاري وزوجته وابنه فسكنوا منزلا في مكان قريب.

بعد الانتهاء من الاعمال الرعوية كان رالف ولاري ينقبان الارض ويزرعان الخضر. ولطالما تساءلت مارلين: "لمن المزرعة؟"

فكان رالف يجيبها: "لست أدري. الامر في يد الله."

وبعد ظهر أحد الايام تناولت عائلة شورز طعام الغداء مع القس غرانت بيتمان وزوجته جين في فينكس. ودار الحديث حول ابن بيتمان وكان شاباً متخلفاً عقلياً في الحادية والعشرين من عمره واسمه روني. قال والده: "لم نجد مكاناً يناسبه." ثم استدار نحو رالف وسأله: "هل في استطاعتك مساعدته؟"

وللحال لمعت في رأس رالف فكرة. أخيراً تبيَّن الهدف من مزرعته.

"كلنا متشابهون"

في الثالث والعشرين من أكتوبر (تشرين الاول) قبيل افتتاح المزرعة رسمياً حدث أمر غيَّر حياة رالف. فبينما كان يركِّب سقفاً معدنياً فوق حظيرة قديمة تم نقلها الى المزرعة في شاحنة، اضطر الى رفع شريط للهاتف. وحدث أن لامس ظهره سلكاً كهربائياً، فاخترقت جسده شحنة كهربائية بقوة ٧٢٠٠ فولت ألصقت يديه بالشريط وأحرقت لحمهما حتى بان العظم.

وبعد أربعة أيام من الحادث ظهرت على يدي رالف علامات الغنغرينا مما اضطر الاطباء الى بترهما. وعرضت عليه شركة الكهرباء تعويضاً مقداره ٣٧٥ ألف دولار. ونصحه المحامي بمقاضاة الشركة وطلب مبلغ أكبر، لكن رالف أبى ذلك وسأل المحامي ان يبلِّغ شكره الى الشركة ويقبل عرضها.

خصص رالف عشرة في المئة من المبلغ لاعمال البر والاحسان و٦٠ ألف دولار ثمناً لمسكن له ولعائلته والبقية لمشاريع مختلفة بما فيها انشاء صندوق خاص بالمزرعة.

لم ينس رالف قولا ردده جده مراراً: "كل ما تأتي به الحياة هو لمصلحة الفرد." ومع أنه آمن بهذا القول الا أنه

أدرك الآن معنى الاحباط الذي يشعر به المعاقون. وقال لزوجته مارلين ذات صباح وهو يكافح ليشرب فنجاناً من القهوة: "أريد ان يقبلني الناس كما يقبلون الانسان الطبيعي. أنا ادرك الآن ان هذا هو ما يريده المتخلفون عقلياً أيضاً. نحن في أعماقنا متشابهون."

بدأ رالف يلقي العظات ويجمع الاموال. وفي شهر مارس (آذار) عاد يزاول الاعمال الشاقة ويقيم الاسيجة ويمهد الارض على رغم الالم والنزف من جدعتيه.

وأخيراً في شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٤ استقبلت مزرعة "قوس قزح" العمال الاربعة الاول وبينهم روني بيتمان. والى رالف، تشكلت هيئة موظفي المزرعة من لاري وزوجته جوي ومارلين ووالدة أحد العمال الوافدين التي وقعت عليها مسؤولية اعداد الطعام والاشراف على الصغار.

حلب المعزى

ما كاد ديفيد بطلر ينتهي من تفريغ حقيبته ويرتاح قليلا حتى دعاه رالف الى جلسة محادثة. قال له: "يمكنك أن تتخذ من هذا المكان بيتاً دائماً لك. والامر يعود اليك في ما تود أن تجعل منه ومن نفسك."

في الصباح كان ديفيد يفلح الارض وبعد الظهر يحضر صفوف الرياضيات والقراءة والكتابة، وكان يرتب غرفته وينظفها ويساعد في الاعمال المنزلية المختلفة.

وتميز عمله بالبطء في البداية. وشكل عجزه عن الاتصال الكلامي عقبة كبيرة واقتصر كلامه على تسميع النشرة الجوية بعد سماعها.

ووجده رالف ذات يوم متكئاً على سياج الحديقة ورأسه مطأطأ على صدره. سأله عما به فأجابه: "اني لا أعمل جيداً."

أحاط رالف الشاب بذراعه ومشى به الى البيت. وتسلق الاثنان التلة المؤدية الى بيت رالف الجديد وجلسا الى طاولة المطبخ. وبدأ رالف الكلام: "أنت تعلم يا ديفيد انك مختلف عن غيرك."

فرد ديفيد بهدوء: "نعم."

فتابع رالف: "معنى هذا انك ربما احتجت الى وقت أطول مما يحتاج اليه سواك لاتمام عمل ما. لكنه لا يعني انك لا تستطيع القيام بهذا العمل." قال رالف ذلك وألقى خطافيه المعدنيين على الطاولة وأضاف: "انني مختلف أيضاً. ويصعب علي القيام بالاعمال التي يقوم بها سواي. أنا وأنت لدينا الشعور نفسه."

رفع ديفيد عينيه وحدق الى وجه رالف ثم سأله: "هل الامر صعب بالنسبة اليك ايضاً؟"

فأجابه رالف: "كل انسان يجد صعوبة ما. والجميع يشكون من البطء في بعض الامور. ولكن يجب أن تتذكر دائماً ان الله لا يصنع نفايات، بل انه يصنع أقواس قزح."

راح ديفيد يكد ويجتهد. وتعلّم زراعة الذرة واتسع عمله تدريجاً حتى شمل تعشيب المرج والاهتمام بحيوانات المزرعة. ومن بين العمال الذين بلغ عددهم ١٦ عام ١٩٧٩ كان ديفيد الاشد حدباً على الجياد والمعزى.

وفي أحد الايام قصد رالف في منزله وبادره: "لقد تعلمت زراعة القرع."
وتابع ديفيد: "ونظفت غرفتي."
ولما لم يتلق جواباً شد قامته وقال: "أريد أن أرعى المعزى."
واذ لم يسبق ان طلب ديفيد عملا اضافياً، صمت رالف برهة قبل ان يجيب ببطء: "انها مسؤولية كبيرة. فالمعزى تحتاج الى الحلب مرتين في النهار. وعليك ان تراقب العلف جيداً وتتأكد من اطعامها لئلا تجوع. هل يمكنك ان تفعل كل ذلك؟"
أومأ ديفيد برأسه ايجاباً. وقرأ رالف توسلا صامتاً في عيني الشاب ولم يملك الا أن يلبي طلبه. وبعد ظهر ذلك اليوم تلقى ديفيد درسه الاول في حلب المعزى.
لاحظ والدا ديفيد من مكالمتهما الهاتفية الاسبوعية معه بعض التغيرات الصغيرة. ففي حين تعين عليهما في الماضي أنه يتوليا معظم الكلام، لم يجد ديفيد الوقت الكافي لاخبارهما بكل الاعمال التي يؤديها. ولمناسبة عيد الميلاد ركب الطائرة الى كاليفورنيا لزيارة عائلته. ولم يكن في رفقته أحد.
وبدأ ديفيد تدريجاً يرتاح الى الناس. وفي المساء كان يلعب البايسبول (كرة القاعدة) مع ابناء رالف الثلاثة. واصبح روني بيتمان وجورجيا مويرز، وهي امرأة في العشرينات، صديقيه المفضلين، وكان الثلاثة يتنزهون في الصحراء على الاقدام ويرتادون دور السينما في المدينة. وقال ديفيد لرالف مرة: "أحب وجود الناس حولي وأحب أن أتحدث اليهم. لم أعد أشعر بالوحدة كالسابق."

وعندما ألف رالف فريق عمل لتجميل المنظر خارج المزرعة كان ديفيد أحد خمسة مزارعين عملوا في اقتلاع العشب واقامة الاسيجة وتشذيب الاشجار لعائلات تقيم في كامب فيردي. وكانوا يعملون اربعة أيام في الاسبوع.
وذات يوم توجه ذلك الشاب الذي كان في وقت من الاوقات لا يعرف حتى فك العملة، الى مصرف في المحلة وفتح حساب توفير شخصياً. وكان رالف الى جانبه.

حياة جديدة

في العام ١٩٧٨ أسرّ ديفيد الى رالف: "أريد أن أعمل اكثر وأكون أوفر استقلالا."
وأومأ رالف برأسه وقال: "حسناً، ولكن عليك أولا أن تثبت مقدرتك على العيش من دون رقابة."
وأصبح ديفيد بعد ذلك يمضي كل دقيقة من وقته وعلى مدى ثلاثة أشهر، في تعلم طريقة اشعال الفرن وقلي البيض وادارة الغسالة والنشافة.
وارتقى ذلك الصيف مرتبة نعم فيها بدرجة من الاستقلال، اذ سُمح له بأن يمضي عطل نهاية الاسبوع مع ثلاثة من رفقائه في منزل مستقل. وكان عليهم أن يحضروا الطعام بانفسهم ويعتنوا بنظافة البيت ويستقبلوا الزوار.
وكانت "قوس قزح" في تلك الاثناء تحولت مزرعة تضجّ بالعمال والموظفين. أصبح فيها ٣٦ عاملا ونحو ٣٥ موظفاً، وضمت بركة صغيرة للسباحة ومدرسة وقاعة للرياضة. وشكل انتاجها الزراعي

نصف غلتها تقريباً. واتاحت لها أرباحها من خمسة مشاريع تجارية كانت تديرها، دخلا كانت تحتاج اليه، كما اتاحت للعامل ان يتقاضى دولاراً ونصف دولار عن كل ساعة عملا.

ومع ذلك كان على رالف أن يكافح ويثابر لتبقى المزرعة قادرة على الاستمرار والوفاء بالتزاماتها. فرسم الخمسمئة دولار الذي كانت تتقاضاه شهرياً من العائلات الميسورة التي التحق ابناؤها بالمزرعة لم يكن يغطي اكثر من نصف الموازنة التي بلغت ٤٠٠ الف دولار. وقد عجز رالف اربع مرات عن دفع رواتب الموظفين وأجور العمال مما اضطره الى الاستدانة وجمع التبرعات وطلب المساعدات المالية.

واخيراً في العام ١٩٨٢ حصل رالف على قرض كبير مكنه من فك رهن المزرعة واعادة تمويلها. واشترى بالمال الباقي قطعة ارض تبعد ١١ كيلومتراً الى الشمال من "قوس قزح" وتبلغ مساحتها ثمانية هكتارات. وهو خطط لاقامة منازل هناك للعمال الذين بلغوا مرحلة الاستقلال، وأطلق على الارض الجديدة اسم "اشراقة شمس"(٣). أما "قوس قزح" التي تبلغ مساحتها أربعة هكتارات فظلت تستقبل الوافدين الجدد لتدريبهم.

كان ديفيد وجورجيا بين أوائل المنتقلين الى "اشراقة شمس". وفيما كان ديفيد يركب الشاحنة التي أخذته الى بيته الجديد صاح في رالف وعيناه السوداوان تلمعان وعلى محياه ابتسامة واثقة: "سأكون رئيساً جيداً للمعزى."

وكان عندئذ، بعد مضي قرابة ثماني سنوات، تخلّص من معظم حركاته العصبية.

بدأ ديفيد حياته الجديدة في الرابعة والنصف من صباح اليوم التالي. ارتدى ملابسه على عجل وانطلق ليحلب ٣٥ ماعزة. وعندما انتهى من عمله الذي استغرق ساعتين قدم العلف الى قطيعه. وكان عليه أن يعيد الكرة في المساء. وقبل انقضاء السنة الاولى استحق المنصب الجديد الذي عينه فيه المشرف اذ جعله مسؤولا عن فريق الحلب المؤلف من أربعة اشخاص.

شخص حقيقي

بلغ عدد سكان المزرعة في العام ١٩٨٣ ستين شخصاً. واحتاج رالف الى مساحات اضافية لتربية الماشية من بقر وغنم. وبعيد ذلك أجازت له مؤسسة ج.و. كيكفر في بريسكوت بولاية اريزونا ان يستغل قطعة من الارض البكر تبعد ١٤٥ كيلومتراً الى الغرب من مزرعة "قوس قزح" وتبلغ مساحتها ٨١٠ هكتارات. وقال رالف لزوجته: "انه امر يفوق الخيال. وسأطلق على تلك الارض اسم شركة ضوء النجوم للماشية(٤)."

في ذلك الصيف انتقل خمسة عمال الى "ضوء النجوم" وراحوا يرممون الابنية المتداعية. وفي مطلع ١٩٨٤ انضم اليهم ٢٧ عاملا. ثم اتصل مارك ريم مدير "ضوء النجوم" برالف وطلب منه ان يرسل اليه

(٣) «Sunburst»
(٤) «Starlite Cattle Company»

ديفيد ليساعده في العناية بقطيع الماشية الذي كبر وأصبح يضم نحو ٢٠٠ رأس.

وعندما سأل رالف ديفيد هل يرغب في الذهاب الى المزرعة الجديدة اجابه بحماسة والعزم يغمره: "بالتأكيد وسوف أنجح."

فقال رالف: "اعلم ذلك."

أصبح ديفيد عاملا بدوام كامل في شركة "ضوء النجوم للماشية". ولديه غرفة خاصة به وعمل ثابت كراعي معزى ودخل شهري بلغ ١٥٠ دولاراً. وهو موعود بالترقية الى رتبة موظف مساعد حالما تخلو الوظيفة. ومن شأن ذلك أن يمنحه استقلالا مادياً. وهو راض عن نفسه ويقول: "أشعر الآن بانني شخص حقيقي."

مثل يحتذى

جلس رالف شورز حديثاً في غرفته في مزرعة "قوس قزح" وراح يحدق الى صورة جده قرب الطاولة. لقد نجح في أن يصنع من لا شيء مشروعاً يستوعب ٩١ بالغاً من المتخلفين عقلياً وتقدّر قيمته بأكثر من مليوني دولار. وأصبح مثلا يحتذى. فلقد أنشئت حتى الآن سبع مزارع على غرار "قوس قزح"، ثلاث منها في أريزونا والاربع الباقية موزعة في ولايات واشنطن وكنتكي وماساتشوستس وميشيغن.

وهناك مشاريع لاقامة ٣٢ مزرعة أخرى. ويتوافد المربون والمرشدون الاجتماعيون الى مزرعة "قوس قزح" ليروا بانفسهم حلماً تحقق، حلماً ساورتهم الشكوك سابقاً في امكان تحقيقه.

جلس رالف شورز منحنياً وراء طاولته يرسم ويخطط ويضع التصاميم لمشروع "قوس قزح" الرابع الذي سيحمل اسم "الحلم الامريكي"(٥). وتدور فكرة المشروع الرئيسية حول حديقة عامة مساحتها حوالى ٢٤ هكتاراً ومصممة بحيث تضم متاجر تستهوي السياح وأعمالا تجارية أخرى يديرها عمال المزرعة. وهذا المشروع اذا نجح سيدر على المزرعة ربحاً يؤمن لها الاكتفاء الذاتي.

وانتهى رالف من عمله مع حلول الغسق. كانت جدعتاه تنبضان ألماً، لكنه لم يأبه اذ كان عليه أن يسرع لئلا يفوته اجتماع عقد آنذاك.

قطع رالف موقف السيارات المفروش بالحصى وقفز الى شاحنته. كان نسيم المساء عليلا، وكانت الصحراء التي عرفها جدباء قاحلة تضج بالحياة من عشب وشجر وخضر ومحاصيل. وفيما هو يدير المحرك فكر في ديفيد. انه لم يره منذ أسابيع، وكان مشتاقاً الى زيارته في "ضوء النجوم". لكنه كان يعلم في قرارته أن المزارع ديفيد بطلر على أحسن ما يرام.

باتريشيا سكالكا ■

(٥) «The American Dream» .

لا تبحث عن الخطأ بل عن العلاج. هنري فورد

بولينيزيا:
لآلئ طافية في المحيط الهادئ

شواطئ بيضاء وبحيرات بلورية
ونخيل جوز هند يتمايل في النسيم العليل

على بعد ١٨ ألف كيلومتر من باريس وفي منتصف الطريق بين كاليفورنيا واوستراليا، تتناثر جزر بولينيزيا الفرنسيّة التي تعدُّ اسطورةً فريدةً لم يبدّلها الزمن ولا التطوّر ولا السفر الجماعي. وقد صوّرت لنا مجموعة متألّقة من الفنّانين، امثال ماتيس وغوغان وسومرست موم ولوي دو بوغنفيل وجاك بريل، هذه الفسحة الفردوسيّة.

تتألف بولينيزيا عموماً، تماماً كما وصفها هؤلاء الفنّانون، من شواطئ بيضاء وبحيرات بلّورية ونخيل جوز هند يتمايل في النسيم العليل. الا ان كلا من الجزر المئة والثلاثين المأهولة تشكّل عالماً مستقلا في ذاته.

وخلف الفتنة الظاهرة تنتظرنا مفاجآت عدّة: فجر بارد من شهر يوليو (تموز) على ريفافي النائية، وخيول بريّة تعدو على طول شواطئ اواهوكا الصغيرة، وقمم موريا الجبليّة ذات



بورا بورا لؤلؤة جزر سوسايتي.

الاجراف، وجوقة نساء يتردّد صدى أصواتهنّ فوق بحيرة صغيرة في تاهيتي صباح يوم أحد.

بولينيزيا لوحة محيطيّة من خمسة مشاهد عظمة تؤلف عقداً سعيداً يتركّز في تاهيتي ثم يمضي على طول أرخبيل سوسايتي حتى تواموتوس وماركيساس، فيصل اخيراً الى جزر توبواي الطافية في الاعماق الزرقاء عند نهاية العالم.

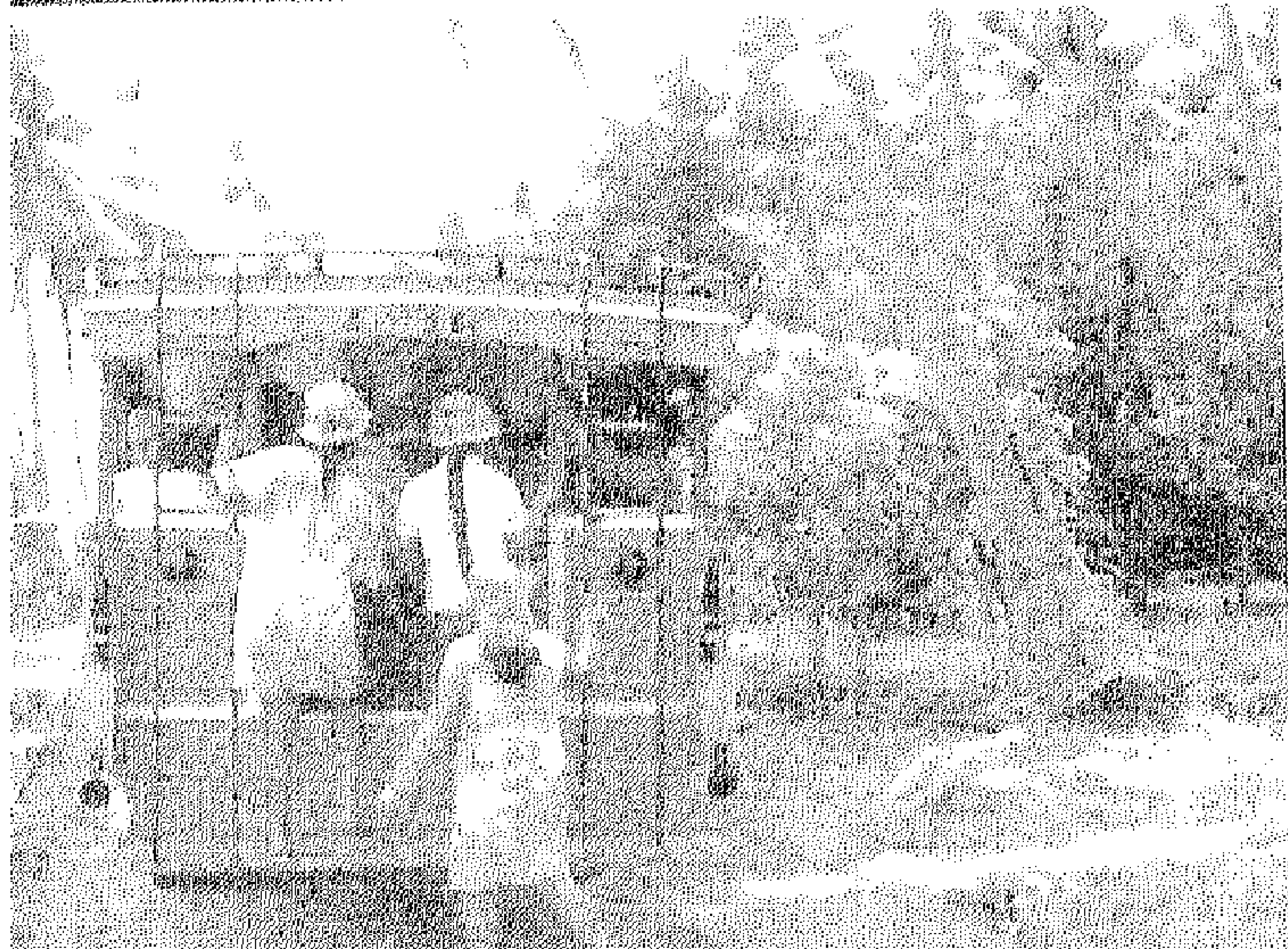
انها خمس لآلئ نفيسة.

تاهيتي. عند مغادرة المطار تدخل حديقة تعبق بعطر زهر الأكاليل والبوغنفيليّة والياسمين. ولكن في غضون دقائق تنقضّ عليك شوارع بابيتي الصاخبة بسيّارات تصيخ كالإوز ومطاعم للوجبات السريعة ومنشآت اسمنتيّة شاهقة.

بابيتي عاصمة بولينيزيا الفرنسية وتضم نحو ٢٣ ألف نسمة. وهي تفتقر الى الجمال الذي تتوقّعه في جنوب المحيط الهادىء. وعلى رغم ذلك فإن الحوانيت


Photo: Image Bank / Bryson

قمم جبال موريا التي
تحتمي وراء أجراف متاخمة.



Vloo / M. Peiny

الحافلة المحليه أفضل وسيلة
نقل بالنسبة الى سكّان راياتيا
البالغ عددهم ٦٠٠٠.

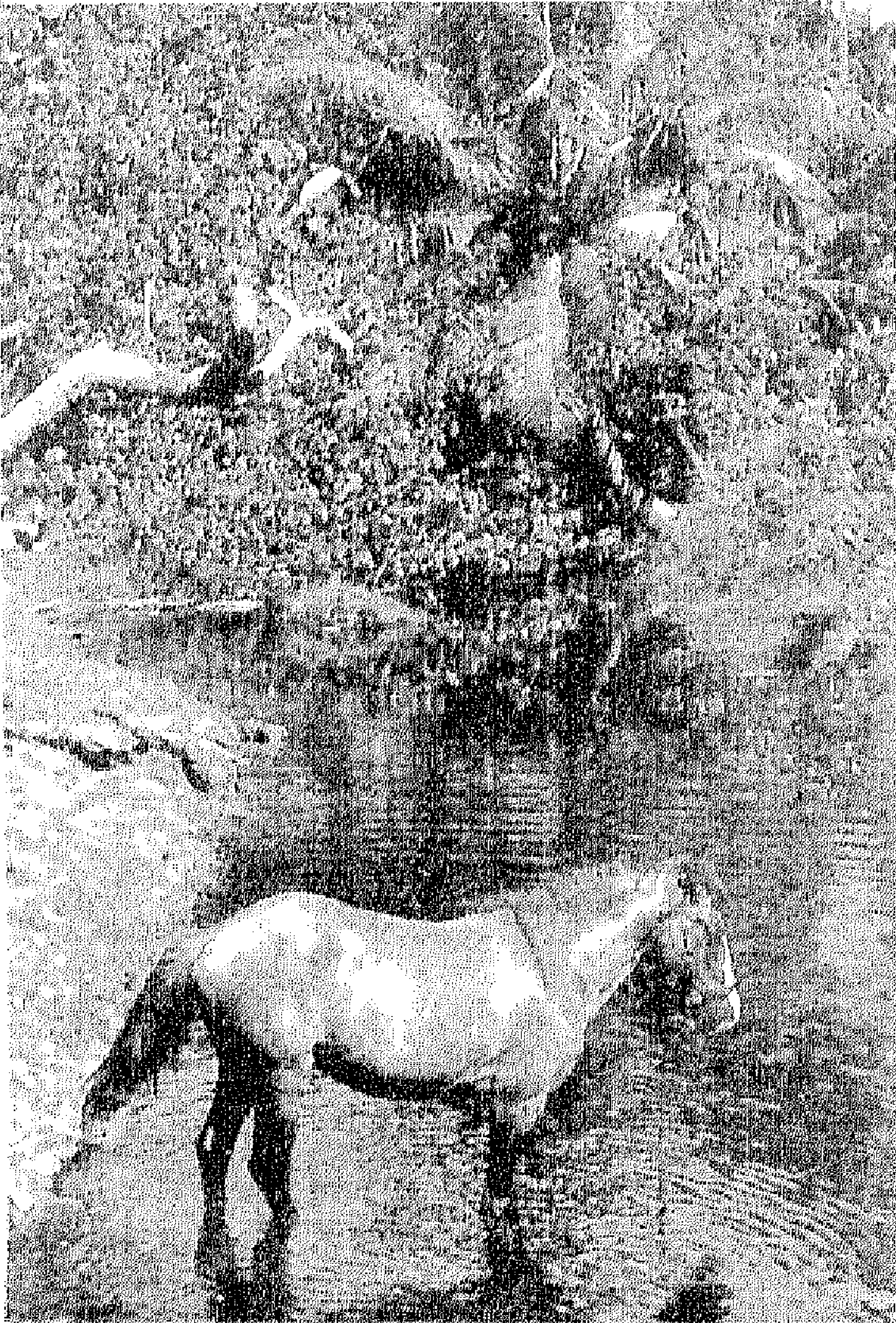
الصينيّة التي تطفح بالازهار والمنازل الخشبيّة الصغيرة التي تحوطها النباتات الخضراء، كلها تبعث سحراً خاصّاً. هنا بلدةٌ ريفيةٌ حقيقيّةٌ تغرق شوارعها المظلّلة في حدائق متوارية.

ومن بابيتي تنطلق حافلات بلا ابواب، فتجوب شوارع الجزيرة التي يبلغ طولها ١٢٠ كيلومتراً وسط موسيقى الديسكو والانغام الريفية الصاخبة. ويتّسع مقعدان طويلان لقرابة ٤٠ راكباً جالسين، يترجّلون لدى الوصول الى حوض سمك القرش أو المتحف الاثنولوجي (*) ومتحف غوغان وسط حديقة النباتات او خليج ماتافي حيث ألقى القبطان كوك مرساته ذات مرّة.

(*) الاثنولوجيا علم الاعراق البشرية.

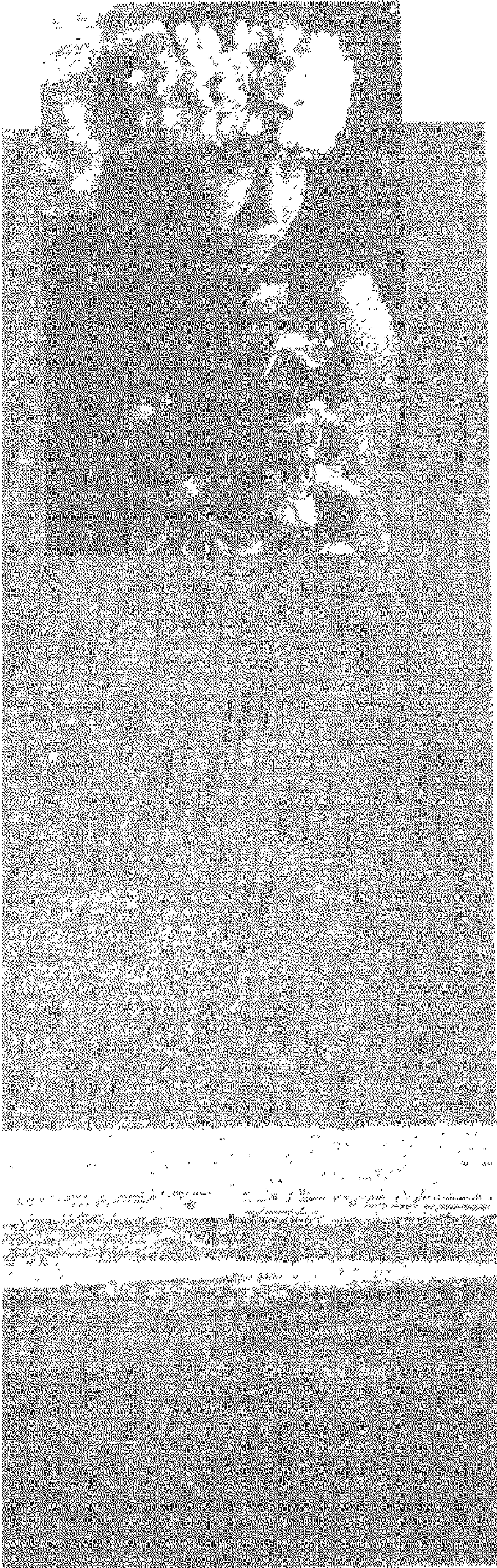


Image Bank / F. Dardelet



Marina Cadri / C. Rives

حصان برّي
في جزيرة توبواي.



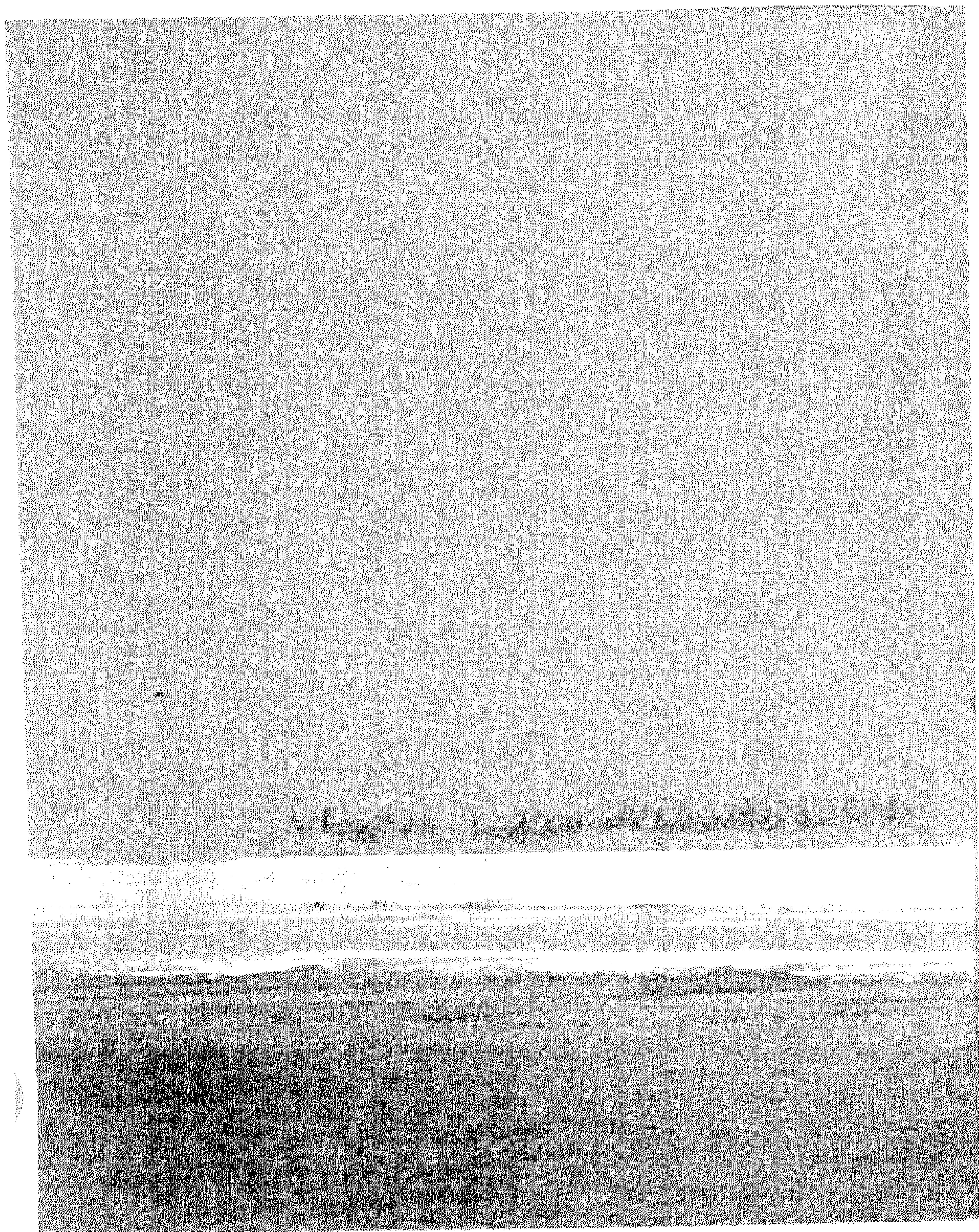
وسط الجزيرة جبليّ تخدّده أودية ضيقة وعميقة يمكنك أن تعبرها سيراً في ممر منحرفٍ وغير منتظمٍ. وبعد بضع ساعات قد تصل الى مشتل لشجر الافوكاتو عند منحدر التلّ او الى بستان ليمون. ويجني المزارعون في تاهيتي أرباحاً كبيرة لأن الاسعار محدودة، ومع ذلك فان ٦٥ في المئة من المواد الغذائية المتوافرة في الجزيرة مستوردة من الخارج.

تاهيتي هي أيضاً شبه جزيرة باري، وهذه رابية صغيرة من الارض تتمسّك بالقسم الاساسي من الجزيرة. وقلّما يؤمّها زائر لأن دخولها صعبٌ. ويكشف شبه جزيرة باري عدداً من القرى الصغيرة المليئة بالازهار والتي يسهل العيش فيها. انما لا يمكنك قيادة سيارة حول شبه الجزيرة، اذ تنتهي الشوارع من الجانبين على بعد كيلومتر عند قائمة وضعت عليها علامة «O» والغابات الممتدة وراءها محظور دخولها الا على المتمرسين في المشي والتسلق. وفي باري لا يزال ممكناً قراءة تاريخ الاوقيانوس على الصخور المنحوتة وجدران الكهوف والخلجان التي يهاجمها البحر الهائج.

وقد سمّى السياح تاهيتي حفلة أنس وسمرٍ لا تنتهي أبداً. وفي الامسيات تجتمع العائلة والاصدقاء والزائرون فيشوون السمك الطازج فوق الحطب الذي أضرمت فيه النار. ويتحلّق الرجال حول

بحر وسماء وسلام: جزيرة تيتيارو المرجانية الحالمة قبالة تاهيتي.
وفي أعلى اليمين،
لؤلؤة أخرى في المحيط الهادىء.

بولينيزيا



مـزايـا فـائـقـة

ترتكز صيانة الخطوط الجوية الفرنسية على أحد أفضل ما تم تجربته من وسائل متقدّمة ومتطوّرة في العالم. فنظام الصيانة هذا مثالي لدرجة أن عددًا كبيرًا من شركات الخطوط الجوية العالمية الاخرى قد اعتمدته لها في صيانة طائراتها.

نظام الصيانة في الخطوط الجوية الفرنسية: انه واحد من الامثلة العديدة للمزايا الفائقة والكفاءات العالية التي يمكنك لمسها عندما تسافر مع طيران الخطوط الجوية الفرنسية.



غيتار وقيثارة ويشرعون في الغناء. وتطفو الاغاني العاطفية العتيقة على ضوء القمر المنعكس في البحيرة.

جزر سوسايتي. انها الاقرب الى بابيتي، وتمتد على مسافة تزيد على ٣٠٠ كيلومتر الى الشمال الغربي من تاهيتي. وفي أقرب مسافة، تمتد الشواطىء المرحبة والقمم الخضراء الشاهقة لجزيرة موريا شقيقة تاهيتي. وفي نقطة ابعد الى الشمال تقع تيتيارو الهادئة التي يملكها الممثل مارلون براندو، وهو يحافظ فيها على فندق يديره وفق التقاليد البولينيزيّة الاصيلة. وقد شيِّدَتْ مبانيها من جذوع جوز الهند التي أوثق بعضها ببعض بواسطة دوال، وزخرِف كل نزل بنسيج نثرت عليه الازهار واستخدِمت فيه أصداف عملاقة كمغاسل. وعلى مقربة من الفندق جزيرة صغيرة تكسوها الاشجار الخفيضة وتتّخِذُ منها ألوف الطيور البحرية مخدعاً.

وأبعد منها تقع جزيرة بورا بورا التي قد تكون رد الطبيعة على هؤلاء الذين لا يكفّون عن الارتياب في كمالها. وتقودك جولة هادئة على الدرّاجة الى ماتيرا بوينت الذي قد يكون أجمل شاطىء في العالم. ومن المجهول تظهر فتاة تضحك فتزرع زهرة خبازى في شعرك ثم تتوارى.

وفي ساحة فايتابي، أكبر ضيعة في الجزيرة، قد تلتقي المستكشف القطبي الفرنسي الجنسيّة بول إميل فيكتور، يرتدي "تنورة" تاهيتيّة ويتوقّف برهة وجيزة لمراقبة الاولاد وهم يلعبون بكرة القدم قرب قبر البحار ألان جيربو.

التواموتوس. طوال عقود خاف البحّارة أرخبيل تواموتو الذي ينحني في شكل قوس تمتد ٢٠٠٠ كيلومتر نحو شمال تاهيتي وشرقها. وكثير من جزره الـ٧٦ يضطجع في محاذاة مستوى الماء. ولهذا السبب كان البحّارة يقصرون عن رؤيتها قبل الوصول الى سطحها. وهناك مئات الجزر الاخرى، معظمها مهجور وبعضها مأهولٌ بعدد ضئيل من العائلات التي لا تتصل بالعالم الخارجي الا لماماً. ويعيش السكّان الاصليّون على اقتصاد ضعيف قوامه جوز الهند والسمك الذي يصطادونه من البحيرات. وتندر المياه العذبة وتنعدم الكهرباء، فلا تجد سوى طبيعة متسامية جميلة. وقد قال احدهم ان سكان التواموتوس لا يملكون شيئاً، بينما قال آخر انهم يملكون كل شيء.

الماركيساس. هي ست جزر شامخة من البحر شمال التواموتوس. وجزيرة نوكوهيفا الواقعة في أقصى الشمال هي العاصمة الاداريّة. اما أواهوكا التي لا تتعدّى مساحتها ٨٠ كيلومتراً مربعاً فهي موطن ٤٠٠ شخص فقط، مع أن علماء الآثار وجدوا فيها آثار مستوطنة تعود الى القرن الرابع. وفي أوابو، وهي على الارجح أروع الجزر ضمن المجموعة، تنتصبُ خنادق من الصخر الاسود تشبه الخرائب الجليلة في قلعة قديمة.

وتملك فاتوهيفا تحفة طبيعية الا وهي خليج العذارى. هنا ينفتحُ مدخل في الصخر الاسود على شاطىء صغير هو أقرب الى الكمال، تسيّجه نباتات نامية ويمتد عند سفحِه محيطٌ ازرق قاتم يلطّخه

زبدٌ قشدي. ويصنع الحرفيّون في فاتوهيفا قماش التابة الخاص بجزر الماركيساس، وهو عبارة عن اشكال مخطّطة بالاسود رسِمَت على لفائف من لحاء شجر التوت وتين البنغال.

تاهواتا هي جزيرة الاحتلال حيث استسلَم سكان الماركيساس للفرنسيّين في شهر يوليو (تموز) من العام ١٨٤٢. وتأتي أخيراً هيفاأوا التي تعتبر المركز الاقتصادي في الطرف الجنوبي من الارخبيل. وتعَد ضيعة أتيونا مرفأ مقصوداً لليخوت الاوروبيّة. وفي مقبرة الضيعة يرقد الرسّام بول غوغان والمغنّي جاك بريل في ظلال الياسمين الهندي.

التوبواي. يقع هذا الارخبيل في أقصى الجنوب ويمتدّ عبر مدار الجدي على بعد حوالى ٦٠٠ كيلومتر من جنوب تاهيتي. وهو آخر بقعة أرض صالحة للسكن في بولينيزيا الوسطى قبل أن يكسو الجليد القطب الجنوبي. ويعيش نحو ٦٠٠٠ نسمة على هذه التلال المكوّرة التي تكتسحها الرياح. ويتيح لهم المناخ الأكثر برودةً زرع البطاطا والبندورة (الطماطم) والهليون.

وعلى جزيرة روروتو تزدهر الحرف اليدويّة. ففي كل منزل تقريباً تنسجُ النساء والبنات القماش التخريمي والبسط التي تُعدّ اليوم تحفاً فنية أصيلة. وهي تشحن الى بابيتي وتعود بالربح على الجزيرة وتنال جوائز في العاصمة خلال الاحتفال السنوي بيوم سقوط سجن الباستيل.

ولا يمكن الوصول الى ريماتارا التي لا تبعد أكثر من أربعة كيلومترات الاّ في ذروة المدّ، عبر قناة متلوية وضيقة بين الصخور المرجانيّة. ويمرّ مركب بابيتي الشراعي مرتين شهرياً، انّما لا يصعد اليه أو يترجّل منه أحد تقريباً. والسبب المحتمل واحد وهو ان على المسافرين الوافدين الخضوع لأحد تقاليد ريماتارا: المشي وسط دخان يتصاعد من أغصان أضرِمت فيها النار. فسكان الجزيرة يعتقدون أن جميع الغرباء أنجاس، والتعريض للدخان وحده كفيل بان يجعلهم أطهاراً وجديرين بالارض.

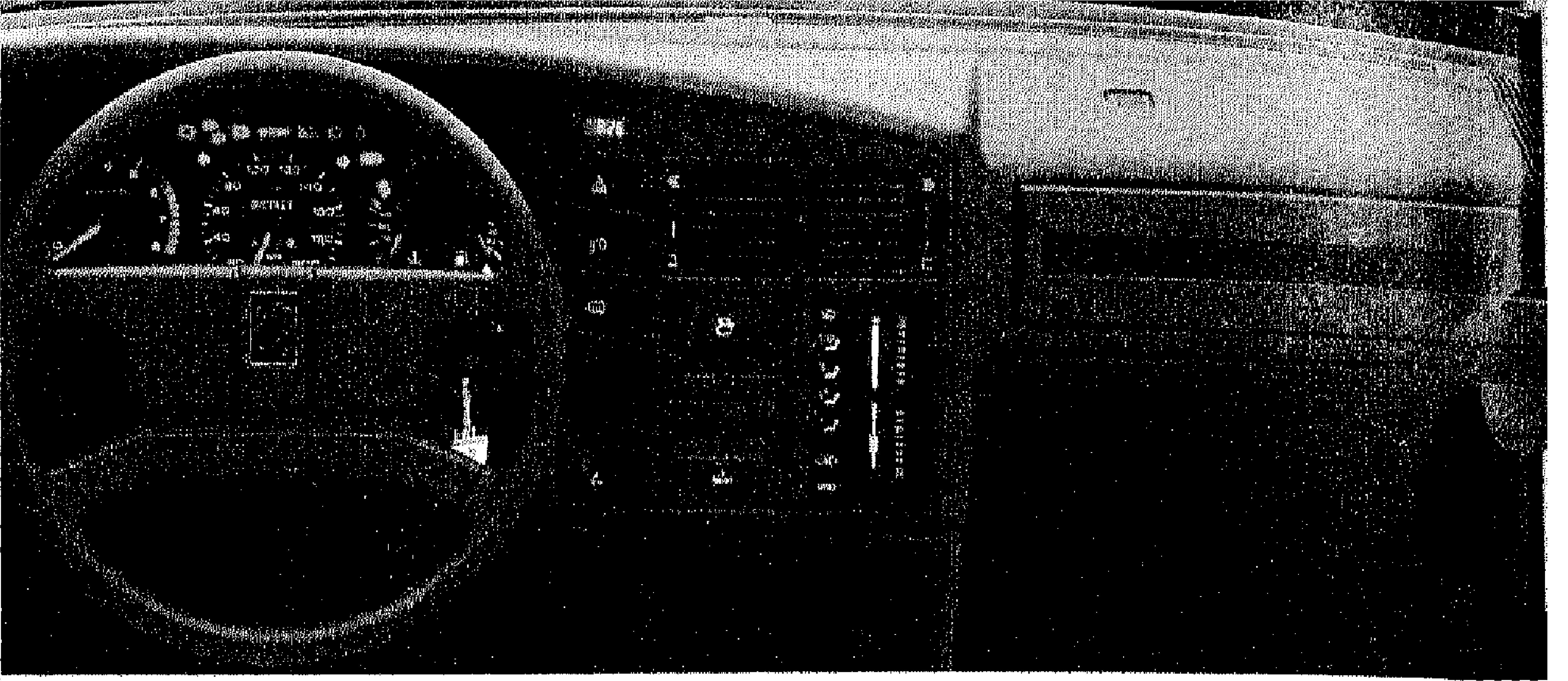
وآخر عجائب توبواي هي ريفافي التي يقطنها نحو ألف نسمة واسراب هائلة من الطيور البحرية. وتتجنّب ريفافي العالم. ويفرض على الشباب فيها ممارسة الرياضة يومياً. وفيها، اكثر من بقية الجزر، يشتبه بالوجوه الجديدة.

وقد نبش تمثالان كانا دفينين في أرض ريفافي. فارسل التمثال الانثى الى المتحف في تاهيتي وبقي التمثال الذكر مغروساً بين الشجيرات المتاخمة لاحدى البحيرات. ويزعم انه يمكن سماعه خلال الليل وهو يندُبُ زوجته، وان نفيها الى دنيا السيارات والضجيج عقوبة ظالمة لمن تأصّل في السكون النائي السائد في فردوس هذه الجزائر.

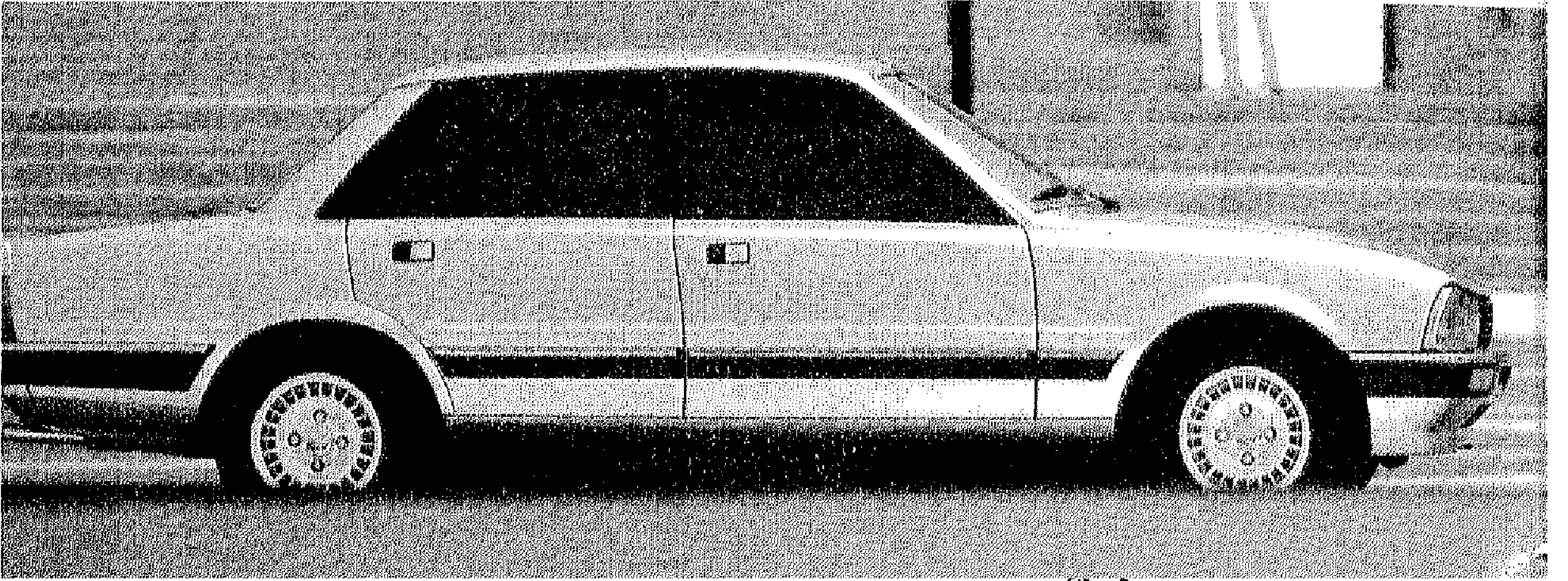
جان بيار شانيال ■



الموسيقى هي الحب يبحث عن كلمة. سيدني لانييه، شاعر وموسيقي أمريكي



أنت في الداخل



والأسد في الخارج
ستبقى دائماً في الطليعة

بيجو ٥٠٥ جي تي آي: إجلس داخل هذه السيارة الفاخرة وثيرة واعلم أنك داخل سيارة في طليعة المتنافسين.. سيارة تميزك عن الجميع.

وعندما تبدأ بالقيادة تدرك أننا لم نبخل بأي تحسينات .. أنظر إلى لوحة أجهزة القياس، المس أجهزة التحكم وأشعر بقوة المحرك بخاخ وهو يدفعك إلى الأمام.

وجرب الأداء الممتاز واستمتع بالقيادة، وتحسس الخطوط الأنيقة تشق الهواء.. عدّل مكيف الهواء وأدر الموسيقى وأطرب لهذه التجربة الفريدة الفائقة في قيادة السيارات.

سيارة بيجو ٥٠٥ جي تي آي .. سيارة تجلب قيادتها متعة عظيمة.. سيارة تفخر بإتقانها.. انها ليست سوى سيارة بيجو.



PEUGEOT

بيجو

وثبة الجودة

البروسي



الحرب ضد المخدرات تحتاج الى إيمان واخلاص، فضلا عن إدراك خطر المخدرات الكبير على الناشئة والمجتمع. هنا قصة ضابط عنيد طارد تجار المخدرات ومروجيها ولم تنفع معه الرشاوى والاغراءات. انه نموذج لما هو مطلوب في الدول التي ابتليت بهذه الآفة المدمرة

وقف ثلاثة من مروجي المخدرات في مرأب فندق "امبيريال" في بانكوك وبحوزتهم ثلاثة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام من الهيروبين. كانوا ينتظرون الساعي الذي سيصل بين لحظة وأخرى ليتسلم المخدّر ثم يشحنه الى سنغافورة عبر جنوب تايلاند وماليزيا. وعيل صبر الثلاثة إذ كانوا موعودين بمبالغ ضخمة.

وصل الساعي. وما ان بدأت عملية التسليم حتى قفز نحوهم رجل ناحل الجسم قوي المظهر كان مختبئاً في الظل وصرخ فيهم: "اجمدوا حيث أنتم ولا تتحركوا!"

حاول أحد المروجين وهو صيني أن

Photo: Mangkorn Khamreongwong

يسحب مسدسه لكن المقدّم في الشرطة فيراج جوتيميتا كان أسرع منه وأطلق عليه النار فأصابه في ساقه.

وقال فيراج باقتضاب: "كان في وسعي أن أقتل ذلك الابله، لكنني لم اشأ أن أوقع الفوضى في فندق من الدرجة الاولى ينزل فيه عدد كبير من الناس." ودعابته اللاذعة لن ترسل الابتسامة الى ثغور مروجي المخدرات الذين يطاردهم من دون رحمة. فهذا الشرطي الأنجح في مكافحة المخدرات في تايلاند عوّدهم ألا يأخذوه إلا على محمل الجد.

بين العامين ١٩٧٣ و١٩٨٤ نجح فيراج مع فريقه الصغير في ارسال ٣٣٥ من تجار المخدرات ومروجيها الى السجن وضبط ٢٩٥٥ كيلوغراماً من الافيون و١١٨٥ كيلوغراماً من الهيروبين و٣٣٤٠ كيلوغراماً من الماريوانا و٢٥٠ كيلوغراماً من المورفين. وتساوي هذه المخدرات، بأسعار اليوم، اكثر من مليار دولار وهي تكفي ٥٨ ألف مدمن سنة كاملة.

يقول ريموند ماكينون المدير السابق للوكالة الامريكية لمكافحة المخدرات في جنوب شرق آسيا، ان فيراج هو "الاكثر خبرة ومعرفة وفاعلية بين رجال شرطة المخدرات في تايلاند."

ففي مجتمع تسوده الحلول الوسطى واحترام من هم اعلى مرتبة، نجد فيراج رافضاً أي مساومة، لاذعاً وصريحاً. حتى ان زملاءه التايلانديين اطلقوا عليه لقب "البروسي".

ويقول فيراج (٤٥ عاماً) الذي يشغل حالياً رتبة مقدّم في الشرطة: "كثير من الناس يودون التخلص مني لانني ألحقت بهم أضراراً كبيرة." وهو لا يتنقل من دون مسدس اوتوماتيكي من نوع "سميث وويسون" عيار ٩ مليمترات. وفي غيابه يتولى شرطيان حراسة زوجته وأولاده الثلاثة.

رئيس النخبة - كان حلم فيراج في مطلع شبابه أن يصبح طياراً في سلاح الجو. لكن تحصيله في الرياضيات لم يخوله ذلك، فالتحق بكلية سان هوسيه الرسمية في الولايات المتحدة حيث اقترح عليه أحد المستشارين الاكاديميين أن يدرس علم الشرطة الادارية. وبعد تخرّجه التحق بجامعة كاليفورنيا في بيركلي حيث نال شهادة ماجستير في علم الجريمة. ولما عاد الى بلاده في العام ١٩٦٨، وبسبب افتقاره الى "الصِلات" الاجتماعية والمهنية، لم يحظ بأكثر من وظيفة شرطي عادي براتب ٢٠ دولاراً في الشهر. وبعد انقضاء ثمانية عشر شهراً عيّن ضابطاً مبتدئاً في دائرة المخدرات ومكافحة التهريب.

وفي أواخر الستينات وأوائل السبعينات كان الهيروبين يتسرّب عبر تايلاند كتسرب الماء من المنخل، ومعظمه وجّه الى الولايات المتحدة والجنود الامريكيين في فيتنام وغيرهم من المدمنين في آسيا. ويقول فيراج: "كانت الرشوة متفشية جداً بين رجال شرطة المخدرات في تلك الايام. ولقد جنى بعض كبار الموظفين في الحكومة وبعض الضباط العسكريين ثروات هائلة من الافيون والهيروبين."

واخفاق تايلاند في ضبط تدفق

المخدرات عبرها كان موضع تنديد المجتمع الدولي، ومع ذلك اعتبر قادتها أن الهيروبين مشكلة تعني الاجانب ولا تعنيهم هم إلا إذا وجدوا الامر مناسباً ودفع سواهم التكاليف. على أن بعض ضباط الشرطة الناشئين، ومن بينهم فيراج، ساءهم أن تكون صورة تايلاند في الخارج على هذه الرثاثة.

وفي العام ١٩٧٢ عمد باو ساراسين وهو حاليا مساعد مدير الشرطة، وبراشواب سنترنفكون وهو شرطي سابق يشغل الآن منصب نائب رئيس الوزراء، الى الاقتراح على فيراج أن يرئس وحدة تضمّ نخبة من العناصر مهمّتها شن حرب على المخدرات وملاحقة جميع المروجين وان كانوا من الرسميين أو من رجال الشرطة. وقال فيراج لرؤسائه: "أعطوني الدعم فأقوم بالمهمة." وشرع في اختيار حفنة من الرجال (ارتفع عددهم الآن الى ١٥) وفرض عليهم نظاماً قاسياً لم يزدهم إلا اخلاصاً لرئيسهم وتفانياً في العمل. ويقول ماكينون من الدائرة الامريكية لمكافحة المخدرات: "صحيح ان فيراج يرهق رجاله، لكنه لا يتخلى عنهم أبداً. وفي كل عملية حرجة نجده بينهم في الشوارع."

عمليات التعقب – من الامور التي ساهمت في النجاح الفوري لفيراج في مهمته، التعاون الوثيق مع الدائرة الامريكية لمكافحة المخدرات ومع الشرطة الاوسترالية وهيئات أخرى أجنبية تعمل على مكافحة المخدرات في بانكوك. وانشأ داخل تايلاند شبكة من المخبرين تضم أفراداً من كل الطبقات، من الرسميين الى رجال الاعمال وفتيات الشوارع ومروجي المخدرات التائبين او الذين يبغون تدمير منافسيهم. والساعي الذي اشترك في عملية فندق "امبيريال" هو من "المتعاونين" كما يسميهم فيراج. والدقة المتناهية في جمع المعلومات قبل الاعتقال التي تعتمدها الوحدة العاملة مع فيراج، جعلتها تفاخر بنسبة مرتفعة من الإدانات للمتهمين بلغت ٦٠ في المئة.

ومن الامثلة النموذجية على الخطط الاستراتيجية والخدع التي يلجأ اليها فيراج ليوقع بالمجرمين، قصة تعقّبه لو بنغ – كيا أحد أخطر تجار المخدرات في آسيا. ففي صيف ١٩٧٣ تخلفت سفينة محمّلة طنين ونصف طن من الافيون و٧٧ كيلوغراماً من المورفين عن موعد لقائها مركباً آخر مهمته تسلم البضاعة في مكان يبعد قليلا عن هونغ كونغ، واضطرت الى العودة الى تايلاند. وعلم فيراج من بعض المخبرين أن لو متورط في العملية، وشك في ان السفينة عائدة لا محالة الى نقطة غير خاضعة للقانون جنوب شبه جزيرة تايلاند. ولابقاء لو وشركائه "على أعصابهم" أشاع فيراج أخباراً ملفّقة عن اشتراك قطع بحرية وجوية تابعة للسلاح الامريكي في عملية المطاردة واطلق أقاويل عن مكافأة مالية ضخمة لاستدراج أصحاب المعلومات. وما لبث أن تقدّم احد الاشخاص بمعلومات مفيدة.

اجتمع فيراج ورجاله بالمخبر في ليلة مظلمة وتوجهوا معه الى جزيرة صغيرة تبعد قليلا عن مقاطعة سورات ثاني في خليج تايلاند. وقادهم الرجل الى كهف ناء

حيث خُبّئت المخدرات. وبعد وقت قصير جبه فيراج لو واعتقله في بانكوك. وفي وقت لاحق قبض على عدد من المشبوهين بينهم مسلحون كانوا على رصيف بحري في بلدة تشامفون المعروفة بصيد السمك. ولو الآن في السجن ينفذ حكماً قضى بحبسه ٤٠ عاماً.

أحد آخر – يستعر فيراج غضباً كلما أتى على ذكر مروجي المخدرات. فهو يعرف نهاية المطاف في تعاطي الهيروويين، وقد شاهد رجالا يولولون ويعوون كالحيوانات حين يُنتزع منهم ذلك المسحوق الابيض الذي أضحى بالنسبة اليهم السبب الوحيد لوجودهم، كما رأى جثثاً لاشخاص قضوا بجرعات مفرطة وعرف مراهقين أجبرهم رجال العصابات على الادمان. واكثر ما يثير غضبه الأحكام التي تصدر في الاحداث وتقضي بسجنهم عشرات السنين حين يُضبطون متلبسين مرة واحدة، فيما يبقى ملوك السوق في منأى عن العقوبة لا يطاولهم القانون ويتمتعون بصورة براقة في المجتمع.

يتحرك فيراج في عالم موحش محفوف بالمخاطر ومليء بالاغراءات. ويقول: "كان في وسعي أن اكون مليونيراً الآن،" مذكّراً بأن راتبه ارتفع الى ٣٧٠ دولاراً في الشهر اضافة الى علاوة صغيرة يتقاضاها لحيازته شهادة الماجستير. والتهديدات جزء من حياته، مثلما هي عروض الرشوة.

وهو دائماً يتحرك بحذر ويلاحظ الوجوه الغريبة ويراقب السيارات والعربات على أنواعها لئلا تكون احداها في إثره.

لقد تبدل وضع تايلاند عما كان في منتصف الثمانينات، اذ ولّت الايام حين كانت قوافل البغال تنقل الافيون على التلال الشمالية. وانخفض انتاج الافيون من ١٥٠ طناً في السنة في منتصف السبعينات الى ٥٠ طناً. حتى مهمة فيراج طاولها التغيير وأصبحت تقتصر على التجار الكبار. وعلى رغم جهود تايلاند في هذا المضمار فما زال يتدفق عبر "المثلث الذهبي" نحو ٧٠٠ طن من الافيون سنوياً اي ما يعادل ٧٠ طناً من الهيروويين بعد التكرير، ومعظمه يأتي من بورما. والارباح المذهلة التي يجنيها المتعاملون بالمخدرات تجعل ايقاف هذه التجارة أمراً مستحيلا.

غير ان فيراج ثابت لا يتزعزع. ويرن جرس الهاتف في مكتبه الصغير المكتظ بالملفات وبعيّنات من المخدرات المصادرة وأشياء أخرى كثيرة جديرة بالحفظ. المتحدث شخص يملك معلومات: هناك أمر مشبوه في ثلاثة مسافرين من بانكوك الى اليابان.

ويقول فيراج: "قد تكون هذه قضية مخدرات تورط فيها بعض التجار الصغار، وربما كانوا كباراً. انه يوم احد آخر."

ويتناول مسدسه ويتوجه الى المطار.

دنيس غراي ■

الايمان هو أن تبني على ما تعلم بوجوده هنا، لكي تصل الى ما تعلم بوجوده هناك.
كالن هايتاور

مجلة المتعة الدائمة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

لاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي مسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز ايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى ـد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.
P.O. Box 15
Beirut — Leban

ـك المشرق ش.م.ل.
ـ.ب. ١٥٢٤
ـوت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.



قسيمة اشتراك

Name ________________ الاسم

____

Address ________________ العنوان

____

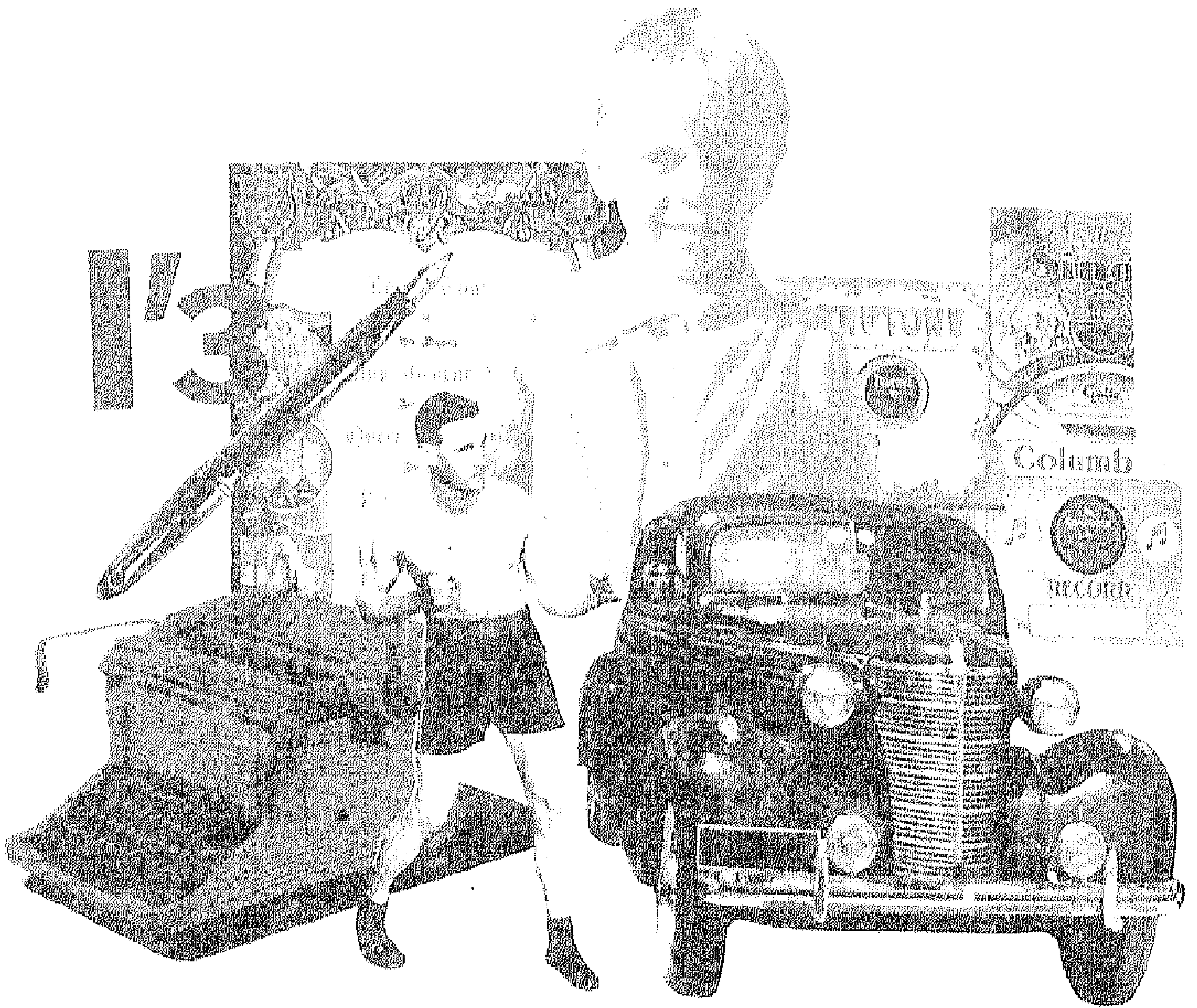
Profession ________________ المهنة

Date ________________ التاريخ

Signature ________________ التوقيع

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:

اشتراك في مجلة "المختار"



إنّما الحنين ذكرى

ماذا حلّ بالجوارب المرتوقة وأكياس الماء الساخن والمغنين الذين لا يحتاجون الى مكبرات للصوت؟

قبل زمن ليس ببعيد وجدت نفسي أشرح لاولادي معنى قلم الحبر: "تغمسون رأس القلم في قمقم حبر وتضغطون المطاطة الصغيرة وترخونها لضخ الحبر الى أنبوب رفيع داخل القلم..." ولما ارتسمت أمارات الاهتمام وعدم التصديق على وجوههم عقدت الدهشة لساني وشعرت كأنني عالم يميط اللثام عن انسان العصر الحجري.

كم من الامور اليومية المألوفة التي

سلّمنا بها واعتبرناها جزءاً من حياتنا بدأت تنساب رويداً الى العدم؟ المحرك البخاري؟ الآلة الكاتبة اليدوية؟ الهاتف ذو القرص؟ كيس الماء الساخن؟ موسى الحلاقة؟ صابونة الكربوليك؟ طابات المضرب البيضاء؟ الجوارب المحوكة؟ الجوارب المرتوقة؟

في جنوب افريقيا حيث نشأت وترعرعت كان سائق شاحنة المنجم هو حلّاق المحلة. كان يضع لوحاً خشبياً على ذراعي الكرسي لأجلس عليه ثم ينقض على رأسي وكأنه يعالج شحنة من المنجم.

في تلك الايام كان موعد قصّ الشعر يحلّ عندما يطول شعرك فينساب على سجيته. تلك كانت الاشارة لينقضّ سائق الشاحنة عليك مسلحاً بماكينته ومقصّه وبسحنة تصميم شرس.

كانت المرحلة الاولى تقضي بجعل الشعر ينتصب على الرأس. أما المرحلة الثانية فتجعله ينسدل من جديد. وكان الحلّاق يدور حولك مرتين وهو يبخ الصودا بمرشته السيفونية، فتختفي أنت وسط سحابة من الرذاذ. ثم يكسو يديه برغوة الـ"بريلكريم" ويلصقها على فروة رأسك. ولم يكن هذا العلاج ناجعاً إلا جزئياً. فما ان أصل الى البيت حتى تكون خصلات شعري استوت مجدداً على رأسي، فأبقى نحو أسبوع شبيهاً بأرض افريقية قاحلة تلقت وابلا غير منتظر من المطر.

عندما كنت صغيراً كانت الامراض كلها ناتجة من الكبد. من هنا نشأت "أقراص كارتر الصغيرة للكبد"(١). واذا كانت امعاؤك لا تؤدي وظيفتها بما يرضي والدتك فالعواقب قد تكون وخيمة حقاً وأخف ما تأمله من عقوبات تجريعك زيت كبد القدّ (زيت السمك).

وتلك كانت أيام الرسائل البرقية والسيارات من طرازات "أولدزموبيل" و"بونتياك" و"بويك" و"دي سوتو" ذوات العتبة على كل من الجانبين. أما الدراجات النارية فكانت من طرازات "أ.ج." و"رويال انفيلد" و"ب.س.أ." و"نورتن". في تلك الايام كانت كلمة "ياباني" مرادفة للمخدرات. وكان أهل بلدي يذهبون الى المسلاط السينمائي(٢) وبعد عرض الفيلم يقف نصف الجمهور صامتاً ليستمع الى النشيد الوطني فيما يتزاحم النصف الآخر نحو المخرج.

وفي تلك الايام كان معظمنا يسخن الماء على الموقد أو في المرجل اذا أراد الاستحمام. وكان الناس يرتشفون الشاي صباحاً وعصراً حتى ليمكن ضبط الساعة على موعدي الشاي: الحادية عشرة صباحاً والرابعة عصراً. ولم تكن تجد في البلد آنذاك فندقاً لا يفرض عليك ارتداء السترة وربطة العنق لتناول العشاء. وكانت القمصان كلها بيضاء، على الأقل تلك التي ترتديها في العمل. وكنت ترتدي السروال القصير تحت ثيابك. أما تعبير "مساحيق زينة للرجال" فكان تناقضاً صارخاً.

وكانت النساء يرتدين جوارب حرير يثبتنها بالرباطات أو المشدّات. فيا له من منعطف حقيقي في التاريخ!

وتسألون كم عمري؟ عمري أكثر من أربعين عاماً وأقل من خمسين. لي من

(١) Carter's Little Liver Pills

(٢) المسلاط السينمائي (bioscope) آلة عرض قديمة.

العمر ما يكفي لأكون أولعت بحب الممثلتين كلير بلوم وانغريد برغمان.

أحببتهما حباً حقيقياً، حباً طاهراً وبريئاً. أما أوهامي الاولى فألهمتني اياها ريتا هيوارث وعززتها مارلين مونرو.

لي من العمر ما يكفي لأكون حاولت أن أتعلم الرقص على أنغام تنبعث من فونوغراف يدار باليد. وما زالت الذكرى تهزّ كياني وتشنج معدتي. ففي حين رحت أتعثر في خطواتي وعرق الارتباك والخجل يتصبب مني، كان الشبان الأكثر رشاقة يراقصون أجمل الفتيات! فخلّف فيّ عقدة نقص استغرق محوها نصف عمر.

وربيت على أنغام موسيقى أمي التي كانت تعزف البيانو وترنم أغنيات مثل "القافلة الكبيرة" و"حيث استراحت عربتي." فقد ترعرعت أمي في عصر يقف المغني امام حشد ويغني ببعض الاعتزاز ومن دون مكبر للصوت.

كانت أيام... قبل أن يضمحل السعي الى التفوق ويفسح المجال للسعي الى البحبوحة. أيام كان الناس يقدمون خدمات يمكن الاعتماد عليها وينتجون سلعاً تدوم ويفتخرون بأنفسهم وبما فعلوه وصنعوه.

ولكن تلك هي مشكلة الحنين، فهو ليس سوى ذكرى. فهلموا نأكل ونشرب ونرقص الـ"بريك دانس" قبل أن يحلّ الامس.

جون كونديل ■



الصبر مفتاح الفرج

اصغى البائع بصبر الى شكوى زبونته الساخطة. وفيما هي ماضية في التعبير عن عدم رضاها عما اشترته قاطعها بتهذيب قائلا: "سيدتي، افترضي أننا أعدنا اليك مالك وبدلنا مشترياتك بلا مقابل وأغلقنا المتجر وأطلقنا النار على المدير، فهل يكفيك ذلك؟"

ج.هـ.

اغسل والبس

من طرائف عصر "أغسل والبس" الذي نعيش فيه أن امرأة فتحت لوح الكي مرة في مطبخها، فهرع كلبها الصغير اليها واتخذ وضعاً هجومياً وراح ينبح بشدة مجفلا لمنظر ذلك الجسم الغريب. فهدأه زوجها قائلا: "لا تغضب يا كلبي. فأنا أيضاً كدت لا أعرفه."

ن.م.



كم أتمنى لو أجد ساعة منبّهة توقظني ثم تخبرني لماذا ينبغي أن أستيقظ.

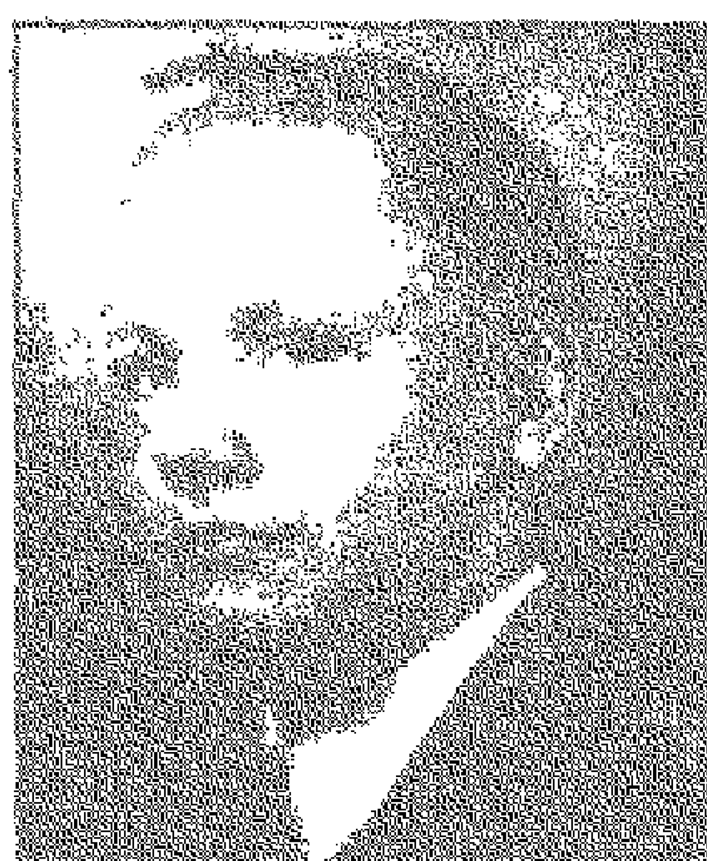
أ.ب.

كتابُ المشاهير

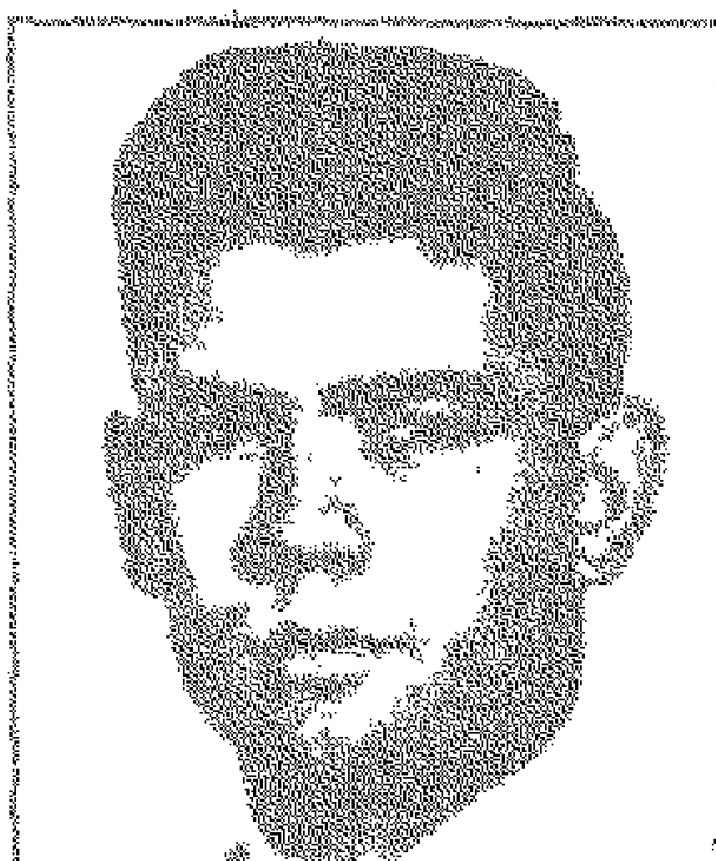
هل تصفحت مرة الكتاب السنوي لمدرستك القديمة وتساءلت عما صارت اليه حال أولاد صفك؟



أكاديمية فيليبس ١٩٤٣
أندوفر، مساتشوستس
أفلام



ثانوية بلوم ١٩٤٧
واباكونيتا، أوهايو
فضاء



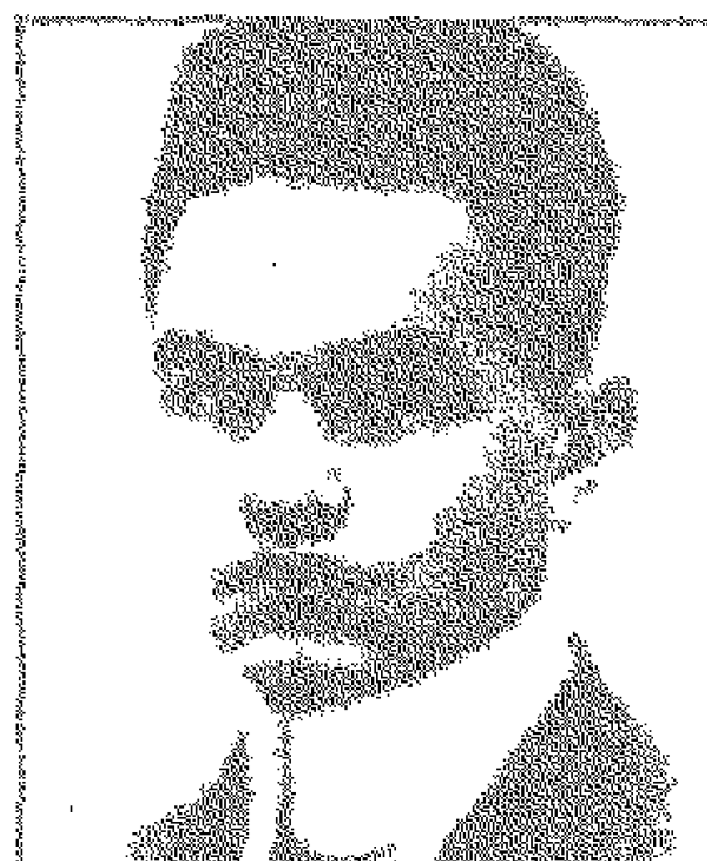
جامعة سام هيوستن الحكومية ١٩٥٣
تلفزيون



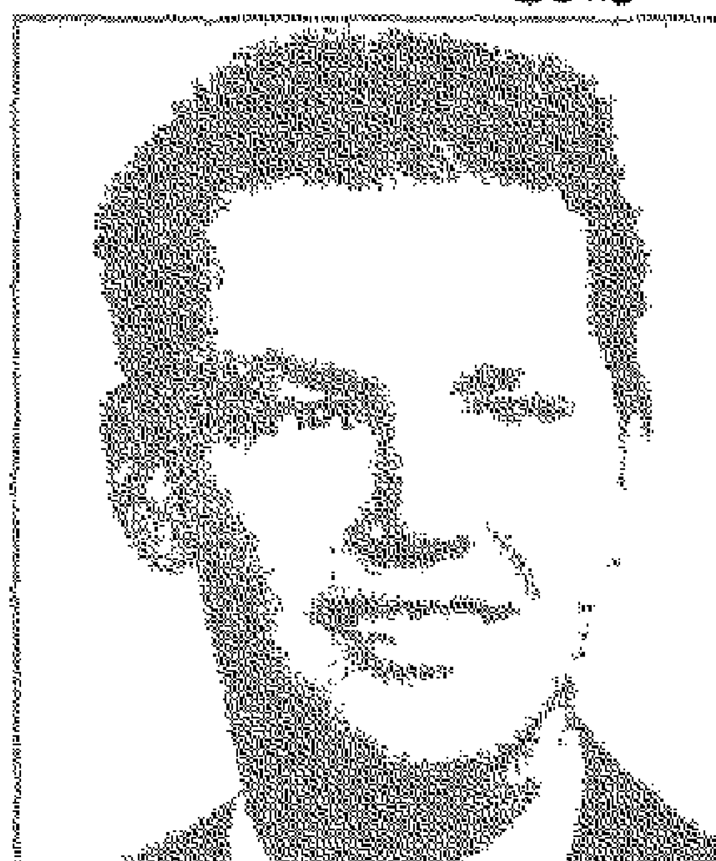
ثانوية لاهويا ١٩٥٨
لاهويا، كاليفورنيا
أفلام



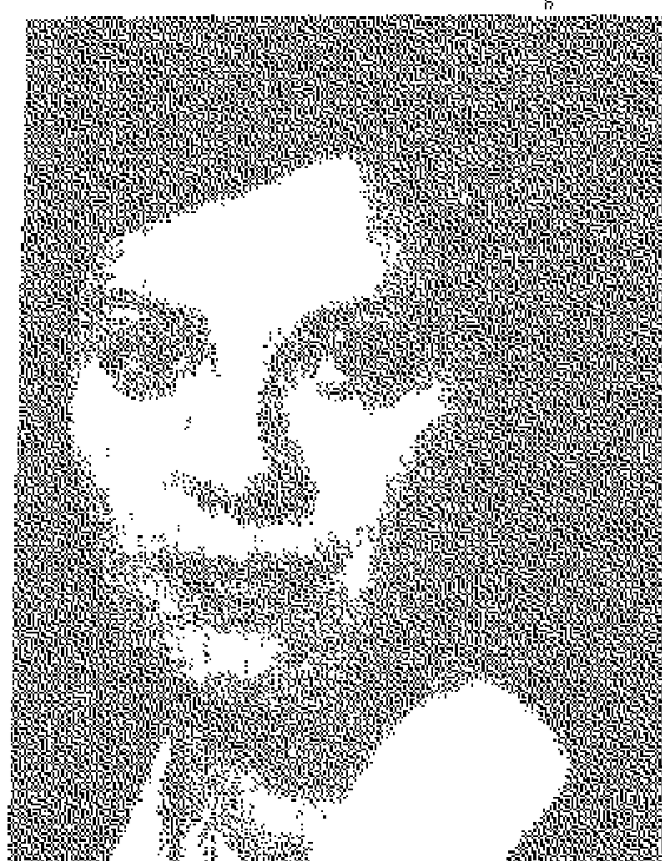
ثانوية فريهولد ١٩٦٧
فريهولد، نيوجرزي
موسيقى



الاكاديمية الامريكية للفنون المسرحية ١٩١٣
أفلام



ثانوية ماناسكوان ١٩٥٤
ماناسكوان، نيوجرزي
أفلام



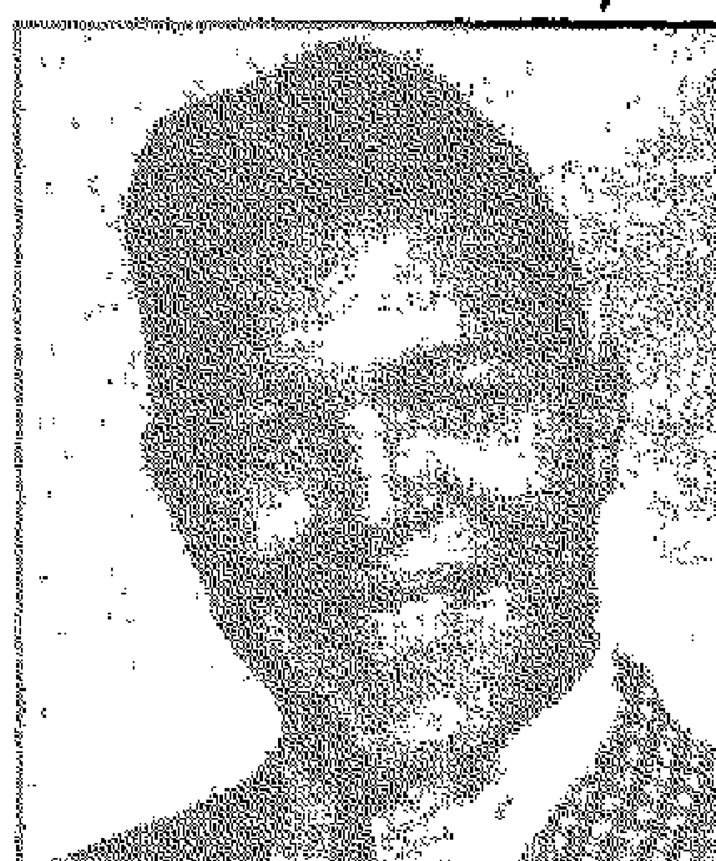
جامعة فاندربلت ١٩٣٨
موسيقى



ثانوية و.ب.راي ١٩٦٥
تكساس
تلفزيون



ثانوية نيوتن ١٩٦٨
ساندي هوك، كونتيكت
رياضة



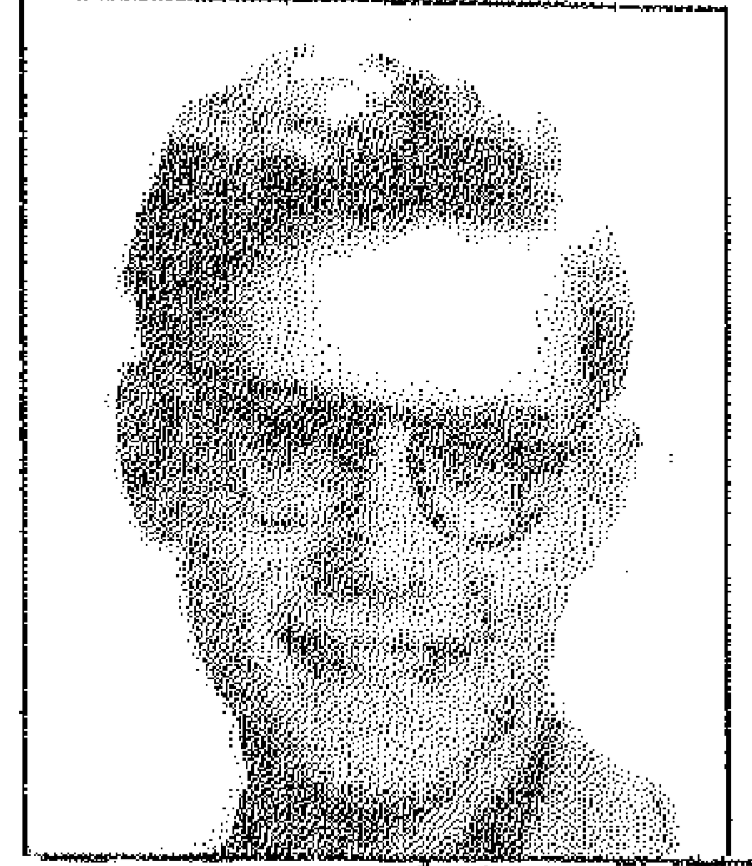
ثانوية جنوب فيلادلفيا ١٩٦٠، بنسلفانيا
موسيقى

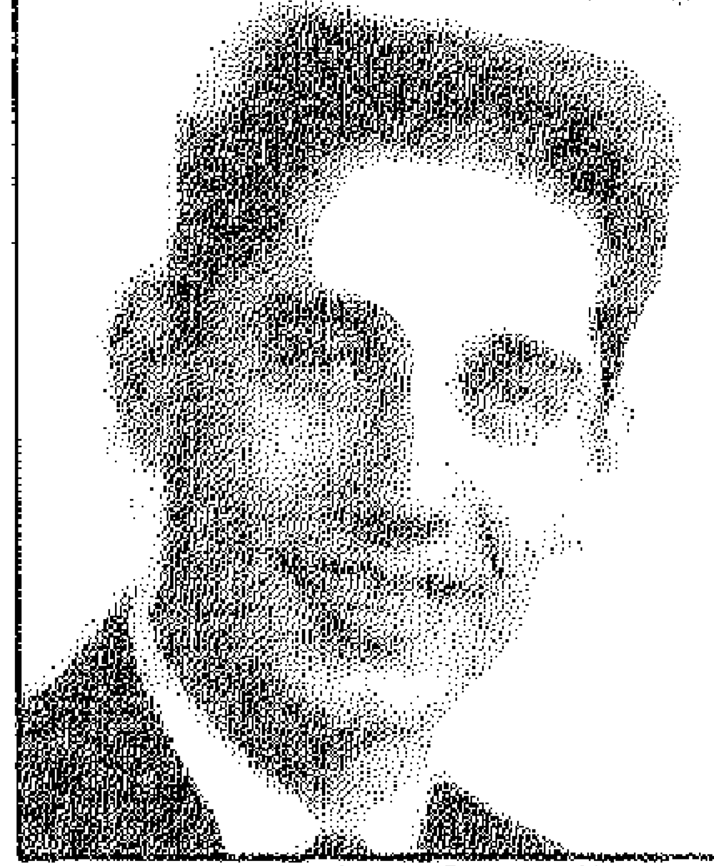


كلية برين ماور ١٩٢٨
أفلام

فوق: جاك ليمون، نيل أرمسترونغ، دان راتر، راكيل ولش. في الوسط: بروس سبرنغستين، ادوارد روبنسون، جاك نيكولسن، دينا شور. تحت: فرح فاوست، بروس جينر، تشابي تشيكر، كاترين هيبورن.

هنا صور ٢٤ شخصية من عالم الفن مأخوذة من الكتب السنوية المدرسية. وقد ذكر تحت كل منها اسم المعهد وعنوانه واختصاص الطالب المعني. فهل يمكنك التعرف الى أصحاب هذه الصور؟ (الاجوبة في أسفل كل صفحة)


ثانوية ويذرفورد ١٩٤٩
ويذرفورد، تكساس
تلفزيون


ثانوية بيفر فولز ١٩٦١
بيفر فولز، بنسلفانيا
رياضة


ثانوية ميدوود ١٩٥٣
بروكلين، نيويورك
أفلام


كلية سميث ١٩٤٣
علوم سياسية


ثانوية سيفير ١٩٦٤
سيفيرفيل، تنيسي
موسيقى


جامعة ايلينوي ١٩٤٩
تلفزيون


الجامعة الامريكية ١٩٥٥
تلفزيون


ثانوية غلنديل ١٩٢٥
غلنديل، كاليفورنيا
أفلام


ثانوية غرينفيل ١٩٤٧
كارولينا الجنوبية
أفلام


كلية كنيون ١٩٤٩
أفلام

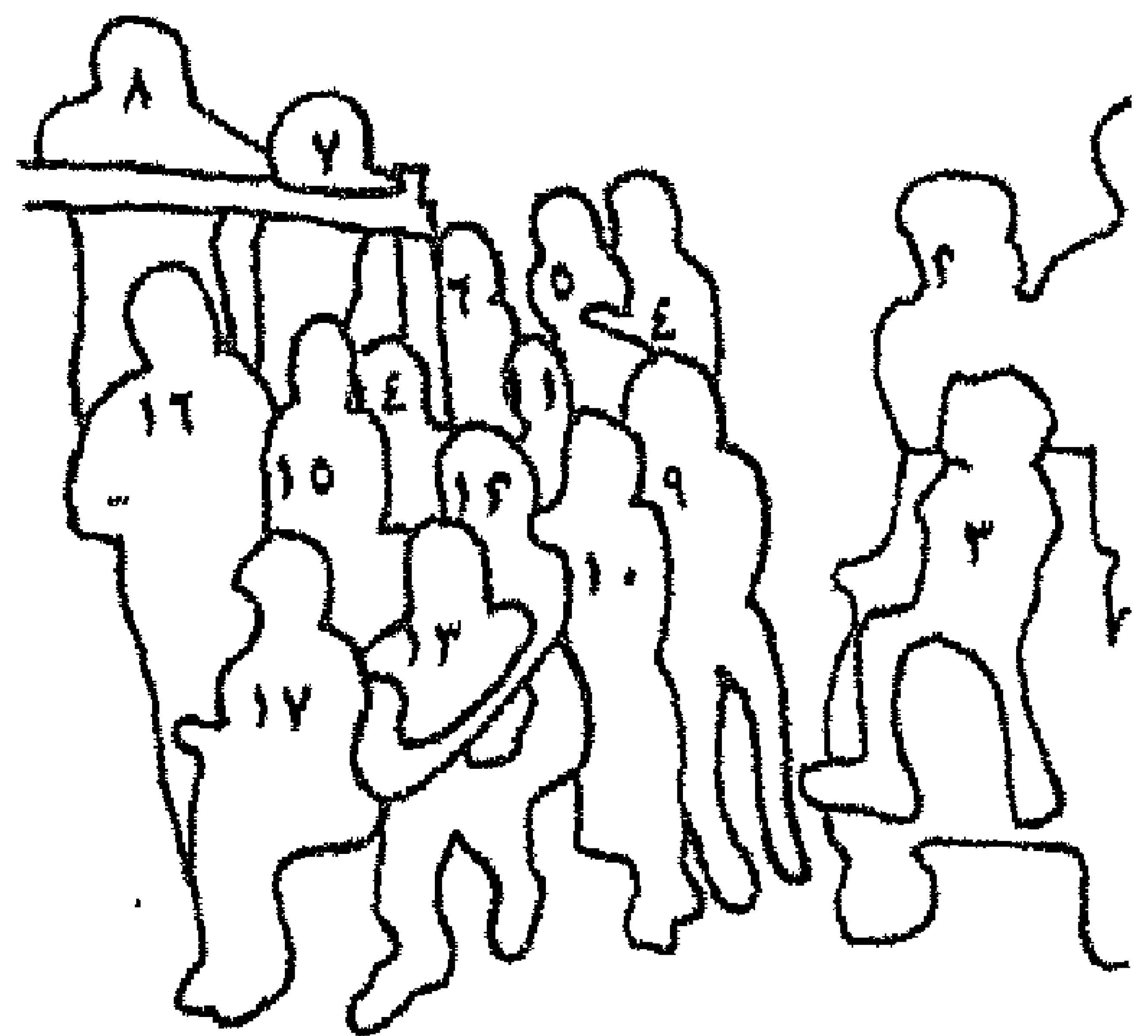

كلية بوسطن ١٩٣٦
علوم سياسية


ثانوية نورفوك ١٩٤٣
نورفوك، نبراسكا
تلفزيون

فوق: لاري هاغمان، جو ناماث، وودي آلن، نانسي ريغان. في الوسط: دولي بارتون، جين شاليت، ويلارد سكوت، جون واين. تحت: جون وودوارد، بول نيومان، توماس أونيل، جوني كارسون.

ن أروع القصص

لاكازا نوسترا



ٍزبورن: ١. توم ٢. ليزا ٣. ميشيل
اي ٥. باتريك ٦. جوشوا ٧. تايسي
بندا ٩. فيليس ١٠. ديڤيد ١١. جون
جينا ,١٣. تالي ١٤. دورين
مايكل ١٦. جيمي ١٧. كريسي

Photos: Richard Pierre





من أروع القصص

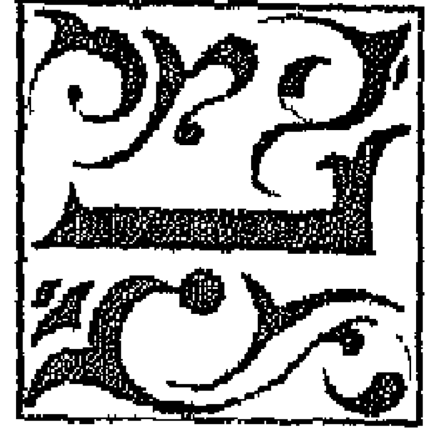
الأكازا نوسترا

حين كانت جينا تعيش في ايطاليا قرأت قصة عن امرأة تتبنى الاطفال المعاقين، فلامست القصة المؤثرة التي تروي حياة تلك المرأة مع عائلتها، وتراً حساساً في قلب جينا.

فقالت في نفسها: "ذلك ما أريد أن أفعله في حياتي." وهاجرت في ما بعد الى كندا حيث تزوجت راي أوزبورن

وهو شاب من برامبتون بمقاطعة اونتاريو. وعندما أفصحت جينا لزوجها عن الحلم الذي يراودها في تنشئة "عائلة خاصة" هلع اول الامر، ثم تملكته الاثارة حول ما ينطوي عليه مستقبل مثل هذه العائلة.

وهنا فصول من تلك المغامرة التي تبنى فيها الزوجان خمسة عشر ولداً بينهم عدد من المعاقين، واكتشفا الغنى في حقيقته



بعد ظهر يوم سبت من شهر أغسطس (آب) كانت أشعة الشمس تنعكس متـألقة عن لوحة تحمل عبارة "لا كازا نوسترا" التي تعني "بيتنا" بالايطالية، مرفوعة على مدخل بيت فسيح مبني بالقرميد الاحمر في احدى ضواحي مدينة برامبتون بمقاطعة اونتاريو الكندية. في الباحة الجانبية كان رجل وخط الشيب رأسه يرتدي سروالا عتيقا وقميصاً أزرق، مكباً على تبديل شموع الاشعال في سيارة خضراء مقفلة. هذا الرجل يدعى راي أوزبورن، وهو راح بين فينة وأخرى ينظر الى باب المنزل حيث وقف طفل صغير يطوقه جهاز معدني للمشي ويعتمر خوذة واقية حمراء لماعة.

في الجهة الاخرى من الباحة كان بضعة أولاد يلعبون بهدوء غير عادي وكأنهم يستشعرون أن شيئاً ما سيحدث. وفي نافذة المطبخ وقفت جينا أوزبورن وهي امرأة رشيقة القوام ذات عينين بنيتين وشعر فاحم. كانت ترتدي سروال جينز وقميصاً مخططاً وتمسك في يدها خسة. لقد نسيت السلطة التي كانت تحضرها، فهي على غرار زوجها راحت تراقب "ابنهما" جوشوا جوناثان البالغ من العمر اربع سنوات.

يأمل جوشوا أن يتمكن ذات يوم من اللعب بكرة القدم. غير انه وُلد من دون ساقين وله جدعتان في مكان الذراعين وعليه أن يتعلم المشي. وحين تبنته عائلة أوزبورن قبل سنة كانت ذراعاه الاصطناعيتان غير مناسبتين ويكاد وزنهما يساوي وزن جسمه. وحصل له راي وجينا على أطراف اصطناعية جديدة وجهاز مشي وعكازين خفيفين. وراح الزوجان يوماً بعد يوم يربطانه بهذا الجهاز المعدني ويحضانه بصبر وأناة على محاولة المشي بساقيه الجديدتين. واذ يندفع جوشوا خطوة واحدة الى الامام، وأحياناً خطوتين تهتف العائلة عالياً ابتهاجا بنجاحه.

اليوم ثمة أمر مختلف بالنسبة اليه. فبعدما رُبط بجهازه، وقف ساكنا وقد اختفت تلك الومضة الشيطانية من بريق عينيه. وبدا وجهه شاحباً تحت خوذته الحمراء وارتسمت على تقاطيعه سيماء التصميم. لقد عزم على أمر ما، واليوم هو يومه.

أخذ نفساً عميقاً، ثم تحركت ساق وتبعتها الاخرى ببطء ممض. ثلاث خطوات... أربع.... خمس... ألقى بعدها راي أدواته من يديه فأخذ العرق يتصبب من وجه جوشوا لكنه واصل الجهد. وحين اقترب من والده تقدم راي وربت كتفه وقال له بثقة: "كنت أعرف أنك قادر على ذلك يا بني." وابتسم جوشوا وتابع سيره حتى اجتاز الباحة المعبّدة. لقد افلح حقاً في مشيته الاولى وحده. وصاح الاولاد بعفوية: "رائع. رائع."

داخل المنزل أحست جينا أن التوتر الذي شد عضلات فقارها تلاشى، وترقرقت الدموع في عينيها. كان حقاً شبه معجزة.

حدث ذلك عام ١٩٧٩. والآن، بعد انقضاء سبع سنوات على تلك الخطوات الاولى المترددة، يلعب جوشوا بكرة القدم فيركلها بقدمه الاصطناعية ويجعلها ترتد

عن خوذته الواقية. انه حقق هدفاً آخر من اهدافه الكثيرة.

بهجة خالصة

"لا كازا نوسترا" هو بيت راي أوزبورن (٤٣ عاماً) وزوجته جينا (٣٩ عاماً) وأولادهما الستة عشر، وبينهم ١٥ ولداً بالتبني ولجميعهم مشاكل خاصة على نحو او آخر. وضخامة هذه العائلة لا تدهش أحداً أكثر مما تدهش الأبوين انفسهما.

في شهر مارس (آذار) ١٩٧١ حين وضعت جينا طفلهما جون رفع راي علماً أزرق على سارية امام المنزل ليعلم الجيران أنه رزق صبياً. والآن تقول جينا: "لو ان أحداً قال لي حينئذ انه في غضون السنوات الاثنتي عشرة التالية سيرتفع العلم خمس عشرة مرة اخرى لقلت له: لا سبيل الى ذلك، فأنا لست من هذا الصنف."

ولدت جينا في جوار سالرنو بايطاليا. وكانت في الخامسة عشرة حين هاجرت الى كندا واستقرت في تورنتو مع والديها وشقيقها الاصغر. كانت فتاة ناحلة في السادسة عشرة حين دخل راي أوزبورن مطعم والدها ليشتري مرطبات لزملائه في محطة وقود مجاورة، فاعجبت جينا للحال بالشاب المرح المفتول العضلات كما اعجب هو بها. وفي غضون أربعة أشهر شرعا يخططان للزواج.

قبل اي خطوة كان لدى جينا شأن مهم عليها أن تحسمه وهو: ما رأي راي في انشاء "عائلة خاصة"؟ فقبل سنوات قرأت جينا قصة عن امرأة تبنت أولاداً معاقين. ومست تلك القصة المؤثرة عصباً حساساً في قلبها. وقالت في دخيلة نفسها: "هذا ما أريد أن أفعله في حياتي."

بالنسبة الى راي كانت فكرة تبني أولاد ذوي حاجات خاصة أمراً مقلقاً. لكن جينا جعلت الفكرة تبدو مثيرة بحيث وافق راي عليها معدّلة بعض الشيء: "قد يمكننا أن نتبنّى طفلا معاقاً أو طفلين ثم نرزق أولاداً من صلبنا." لكنهما لم يحلما قط أن يكون لهما أكثر من أربعة اولاد.

اقترنا عام ١٩٦٧ ولمّا تكد جينا تبلغ العشرين وراي الثانية والعشرين. وخلال سنة بينما كانت تراودهما الاحلام الساذجة باشرا تبني عائلة. ولكن لدى مراجعة "جمعية مساعدة الاطفال" اكتشفا انه لا يكفي أن يكون لديهما بيت ورغبة صادقة في الرعاية لتحقيق بغيتهما. وقال لهما المسؤولون في الجمعية انه لم يمض على زواجهما وقت كاف كما لم يقم أي دليل على انهما عاقران، لذلك لا يمكن وضع اسميهما على لائحة الانتظار لتبني أطفال. ولم تثبط هذه الخيبة عزيمتهما فقررا أن يعكسا مسار خطتهما بانجاب طفل طبيعي أولا ثم يتبنيان آخرين.

عام ١٩٦٩ أسقطت جينا. وقال لها الطبيب انها قد لا تقوى على الحمل بجنين الى اكتمال نموه. ولكن في شهر مارس (آذار) ١٩٧١ وضعت ابنا هو جون، وُلد مكتمل النمو وفي صحة جيدة. ولازمت بيتها لتكون أماً بدوام كامل تكرس وقتها لابنها. وزاد هذا الطفل رغبة الزوجين في طفل آخر.

كان جون بلغ الشهر التاسع حين قصد

الزوجان ثانية جمعية مساعدة الاطفال فرفض طلبهما مجدداً. وتضحك جينا وهي تتذكر ذلك: "استبد بي القنوط نحو خمس دقائق، ثم أدركت أن ثمة مؤسسات أخرى يمكننا أن نتصل بها." واتصلت بـ"الجمعية الكاثوليكية لمساعدة الاطفال" وسألت هل ثمة امكان للنظر في طلبهما. وكان الجواب نعم. وأخيراً حصل الزوجان على الموافقة على أن يصبحا والدين بالتبني.

ومع ذلك تعيّن عليهما أن ينتظرا. وأسقطت جينا حملا آخر. وكان هذا الحدث حاسماً خصوصاً بعدما أخبرها طبيبها أن أي حمل لها في المستقبل سيسقط كذلك.

بعد سنتين حين كان جون في قرابة الثالثة من عمره تلقت عائلة أوزبورن اتصالا من الجمعية وسئلا هل يرغبان في تبني طفلة سوداء جميلة اسمها كريستان. كان عمر الطفلة ١١ شهراً ويقل وزنها عن ستة كيلوغرامات وهي في عهدة مؤسسة حكومية وكانت مصابة بالكساح وربما بسرطان العظم. ولم يتلكأ الزوجان في اتخاذ القرار. وقالت جينا للموظفة التي اتصلت بهما: "اذا كانت كريستان تعاني ما قلت، فانها في حاجة الى أبوين الآن اكثر من أي وقت. اننا نريدها أن تكون معنا في البيت."

كانت الطفلة كريسي معضلة حقاً. وبدا انها لا تريد أن تعيش. وتعيّن على جينا وراي أن يرغماها على تناول طعامها. كان يرعبها أن يلامسها انسان وقاومت كل من حاول حملها. وأدرك الزوجان أن عليهما ايجاد رابطة تشدها اليهما، فدأبا على حملها بين أذرعهما على الدوام. وحين كانت جينا تقطع أعشاب المرجة أمام البيت كانت تحمل كريسي على ظهرها في رباط من قماش.

وحين بلغت كريسي شهرها الثامن عشر زالت مخاوفها. وتذكر جينا انها "أخذت تمشي وتتكلم وتفعل كل شيء. لقد أصبحت بهجة خالصة." ومن حسن الحظ لم يظهر لديها أي أثر لسرطان العظم.

طفلة من سايغون

أضحى منزل آل أوزبورن بيتا سعيداً زاخراً بالمحبة. كان راي وجينا يقضيان أصباحهما مع جون وكريسي سعيدين بتقدمهما. وفي فترات بعد الظهر كان راي يذهب الى عمله في محطة وقود للسيارات. وبقي امر واحد ينغص حالهما، اذ كانا يرغبان في عدد أكبر من الاولاد. واتصلا بالمؤسسات المعنية فمنيا بالخيبة. وقيل لهما: "أنتما محظوظان، فلديكما طفلان. كثيرون من الناس ليس لديهم طفل واحد." وكان الزوجان يدركان حسن حظهما لكنهما لم يفهما سبب تلكؤ الموظفين المسؤولين. كانا يقرأان ويسمعان باستمرار عن أولاد "يتعذر تدبير شؤونهم" وهم يعانون مشاكل خاصة. وكان الجواب دائماً: "أنتما صغيرا السن ومثاليان في تفكيركما وليست لديكما الخبرة لرعاية مثل هؤلاء الاطفال."

أصبحت جينا عضواً مؤسساً في جمعية "الآباء المهتمين بالتبني" وهي جماعة من المتطوعين تتعاون مع الأزواج

الراغبين في التبني. كانت هذه الجماعة ترسل ثياباً وطعاماً الى الاطفال في فيتنام. وذات يوم بادرت جينا زوجها: "لا مفر من الامر. اذا كنا عاجزين عن الحصول على طفل هنا فعلينا أن نتبنى واحداً من الخارج."

أجريت لهما دراسة بيتية وحصلا على الموافقة. ومن طريق وكالة مجازة لتدبير تبني الاطفال الفيتناميين اختيرت لهما طفلة من ميتم في مدينة سايغون. وحصلا على صورة لابنتهما المقبلة وأخذا ينتظران. وانقضت ثمانية عشر شهراً قبل أن يتلقيا إشعاراً بأن الفتاة في طريقها اليهما.

في ٦ مارس (آذار) ١٩٧٥ جلس راي وجينا وجون وكريسي ووالدة جينا وبعض أصدقاء العائلة في قاعة مطار تورنتو الدولي ينتظرون الطائرة الواصلة من سايغون في السادسة صباحاً.

شبك راي وجينا ذراعيهما وهما يراقبان الركاب النازلين من الطائرة. وكان الايتام الفيتناميون رضعاً يحملهم مرافقون، اما ابنة أوزبورن الجديدة التي بلغت من العمر ما يمكنها من السير فخرجت أخيراً وهي تمسك بقوة يد الدليل المرافق.

ما ان اقتربت الفتاة حتى لاحظت جينا أنها جميلة. كانت خلاسية متحدرة من امرأة فيتنامية وجندي أمريكي أسود. كان جلدها ذهبياً أدكن وشعرها أسود تتواثب عقصاته حول وجهها. وركضت جينا اليها وضمتها الى صدرها وقبّلتها، لكن الصغيرة اعرضت عنها ثم مدت يدها لتشد القرطين المتدليين من أذني والدة جينا.

في البيت غسلت الفتاة المتعبة وأطعمت ثم وضعت في السرير. وبعدما ودع آل أوزبورن الصحافيين والمصورين تنهدت جينا قائلة: "نحن الآن عائلة."

محامٍ في البيت

قرر الزوجان أن يسميا الفتاة تايسي، وهو اسم بطلة قصة عن امرأة أمريكية مستعبدة دعيت تايسي قبل أن تعتق في جنوب الولايات المتحدة.

رأت جينا تشابهاً في الحالين. فعلى غرار العبدة الآبقة نقلت تايسي الى بلاد جديدة وتعين عليها أن تنسجم مع أساليب جديدة في حياتها. وعلى غرار العبدة الآبقة أيضاً قاست مشقات عظيمة.

وبحسب ما ورد في جواز السفر كانت الفتاة في الثانية من العمر، ولكن بدا للزوجين جلياً أنها في الرابعة بل الخامسة. ولم يتسنّ لهما قط أن يعرفا ماذا جرى لها خلال تلك السنوات، وبدا أن الفتاة قد محت تلك الفترة من ذاكرتها تماماً. ولا ريب في أنها لقيطة تخلّت عنها أمها وعثرت عليها ممرضة أوسترالية اعتنت بها ورعتها حتى استعادت صحتها وأدخلتها الميتم. وبين مجموعة الاولاد هناك تعلمت تايسي أن الطفل الذي يبكي بأعلى صوته يحظى بأوفر مقدار من الاهتمام. وهكذا قيض لها أن تنجو وتعيش.

منذ البداية اتخذت الصغيرة موقف التحفظ دفاعاً عن نفسها. وكان راي وجينا درسا قاموساً باللغتين الانكليزية والفيتنامية وحاولا مخاطبتها، غير أنها

لم تستجب لاي منهما كما لم تستجب لمحاولات جون وكريسي إشراكها في اللعب. وأخيراً أخذ الزوجان يشيران اليها باسماء الاشياء بالانكليزية فتلقنت اللغة سريعاً.

واتفق الزوجان على ان "كل ما تحتاج اليه هو المداعبة والمحبة." غير أن تايسي لم تسمح لاحد بأن يحبها. وظلت سيماء الحزن منطبعة على معالم وجهها على رغم كل ما بذله أبواها الجديدان. وظلت، حين لا تلبى احدى رغباتها، تنفجر للحال في ثورة صاخبة من الغضب. وهكذا لم تكن السنوات القليلة التالية سهلة، اذ كانت تايسيْ عدائية في طباعها وضنينة بما لها من اشياء. وكانت أحياناً تتحدى أبويها، وحين يأمرانها بالذهاب الى غرفتها والانفراد هناك لمدة ٢٠ دقيقة عقابا لها على خشونتها كانت تضرب الارض بقدمها وتصيح: "لا أفهم لماذا يجب أن أذهب الى غرفتي لمدة ٢٠ دقيقة من أجل هذا الامر!"

وكانت جينا تجيبها: "أنت تتمردين يا تايسي، وتعرفين ماذا يترتب على ذلك. الآن عليك أن تبقي نصف ساعة في الغرفة بدلا من ٢٠ دقيقة." وعندئذ تذهب تايسي الى غرفتها وهي تدمدم محتجة لتقضي ٣٠ دقيقة كاملة.

ومع تقدم تايسي نحو النضج اخذت مثل هذه الحوادث تتضاءل. وعلى رغم ذلك ظلت تثير قلق أبويها. ويقول راي: "حين تطلب من تايسي أن تفعل شيئاً ينبغي أن تقول ما تعنيه تماماً. أما مع الآخرين فيمكنك أن تقول: اصعد الى فوق، فيفهمون أنك تأمرهم بالذهاب الى غرفهم. ولكن اذا قلت ذلك لتايسي فانها تصعد السلّم وتقف على الدرجة الاخيرة. يتراءى لنا أحياناً كأن لدينا محامياً في البيت."

"اتبع هواك"

قال راي لزوجته ذات يوم: "جينا، انظري الى هذا،" مشيراً الى صورة في صحيفة أتبعت بقصة في باب "طفل اليوم" المخصص للاطفال الذين ينتظرون التبني. كان ذلك في شهر أكتوبر (تشرين الاول) من العام ١٩٧٤. والطفل الذي اجتذب انتباه راي كان يدعى ديفيد، وهو صيني – كندي عمره خمس سنوات، أصم جزئياً ويعاني كذلك علة الغلوكوما (الماء الاسود) والسد (الماء الازرق) في عينيه. كان السد في العين اليمنى قابلا للازالة والغلوكوما فيها قابلة للعلاج، أما العين اليسرى فلم يكن ممكنا تصحيحها وتعيّن استئصالها. والى ذلك كان ديفيد مصاباً بداء في المفاصل جعل يديه وقدميه كمضارب الكرة، وخامر الاطباء شك في أنه مصاب بعلة وراثية يخشى أن تقصر أمد حياته.

واذا كان ثمة طفل في حاجة الى رعاية خاصة، فان ديفيد هو ذلك الطفل. غير أن عائلة أوزبورن كانت لا تزال تنتظر وصول تايسي. وانقضت أربعة اشهر ولم يتقدم أحد لتبني ديفيد. حينئذ قرر الزوجان بدافع عاطفي البحث في امكان تبنيه.

في شهر مارس (آذار) من العام ١٩٧٥، وهو الشهر عينه الذي وصلت فيه تايسي، ذهب الزوجان الى معهد للمتخلفين للقاء ديفيد. وكان يساور جينا

ريب في الامر، لكن شيئاً ما في الطفل استهوى راي. وكانت تلك المرة الاولى يلاحظ أحدهما صفة معينة في طفل، شيئاً ما لم يستطع الآخر أن يدركه على الفور. وكانت جينا تثق بفراسة راي، وهكذا تقدما يطلبان تبني الطفل.

في أوائل السبعينات كان معظم طالبي التبني ينشدون أطفالا رضعاً، وأي طفل مصاب بعاهة تعسّر أن يقبله احد. في هذا الجو جاءت عائلة أوزبورن تنشد الطفل الاكبر سناً والذي يعاني مشاكل وله حاجات خاصة. وساورت الشكوك مارلي مانغ وهي مساعدة اجتماعية لا علاقة مباشرة لها بطلب عائلة أوزبورن تبني ديفيد، وحسبت أنهما مهووسان وشككت في دوافعهما. ففي عهدتهما طفل أسود مريض وطفلة يتيمة من فيتنام تعاني اضطرابات، وها هما الآن يرغبان في تبني طفل ثالث مبتلٍ بمجموعة من المشاكل.

لا غرو اذاً في أن تشكك مؤسسة "مترو تورنتو الكاثوليكية لمساعدة الاطفال" المسؤولة عن ديفيد ومؤسسة "مساعدة الاطفال"، كلتاهما في دواعي هذا الطلب. وفي أحد الاجتماعات احتقن وجه راي غضباً وضرب بقبضته طاولة الاجتماع بينما كانت جينا، الصريحة حتى في غضبها، تقرّع المسؤولين: "لو قلتم لي: لا تقلقي يا جينا فسنأخذ هذا الطفل على عاتقنا، لما كنت أبالي، لكنكم لا تقولون هذا والطفل ليس له بيت يؤويه."

لم تكن في الامر غرابة. فالطفل ولد في كندا لابوين هاجرا من هونغ كونغ، ووضع في مؤسسة لرعاية الاطفال فور ولادته وبقي هناك حتى بلغ الرابعة. بعد ذلك توالت محاولات تبنيه من غير طائل. لم يكن من السهل أن يحب أحد ذلك الطفل، ناهيك بأن يتبناه. وبدا أنه كان يصرخ دائماً ولم يتدرب قط على قضاء حاجاته الطبيعية.

ومع أن التشخيص اعتبر ديفيد معاقاً، فان جينا وراي اللذين يمقتان السمات المطلقة رفضا أن يصدقا ذلك. وقالت جينا لراي ذات يوم: "ترى بماذا يفكر هذا الطفل؟ انه لا يسمع جيداً ويكاد لا يرى شيئا. أظنه منطوياً على نفسه."

ووافقها راي مضيفاً: "ثمة شيء في عينيه. اني غير مقتنع بأنه على هذه الدرجة من السوء كما يعتقدون."

العين الضائعة

أخيراً أوتي اصرارهما ثماره. ففي شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥ سمح لآل أوزبورن بأخذ ديفيد الى لا كازا نوسترا، ومرة أخرى ارتفع العلم الازرق فوق السارية في باحة البيت. والتقطت جينا صورة للعلم لتضعها في "سجل حياة" ديفيد، وهو سجل يفتح لكل طفل يكون في رعاية الدولة، وتدون فيه كل الوقائع المهمة في حياته ويرسل معه الى بيت من يتبناه. ولكن كان من المستحيل افهام ديفيد مغزى هذا السجل حين جاء الى منزل آل أوزبورن.

لم يتجاوب ديفيد مع جهود الزوجين لجعله يستخدم المرحاض لقضاء حاجته. وهو في الواقع لم يكن يستجيب لاي شيء. كانت جينا تمسك برتقالة وترفعها امام عينيه مفترضة انه يستطيع تمييز شكل الثمرة، وتمسك يده كي يلامس

البرتقالة وتقول له: "يا ديفيد، هذه برتقالة... وهذه طاولة... وهذا معطف." ولكن لم تظهر على ملامح ديفيد ومضة تشير الى أنه استجاب.

وعلى رغم ذلك ظل راي وجينا مقتنعين بأن ثمة امكانات كامنة في الصبي. فطيبة قلبيهما ورغبتهما الشديدة في مواصلة الجهد مكنتاهما من الاستمرار. غير أن ذلك كان عسيراً بحيث حسبا أحياناً أنهما لن يتبنيا طفلا بعد ذلك.

وأخيراً لاح بريق من الاستجابة. أخذ ديفيد يتعرف الى ملابسه وبدأ تدريبه على قضاء حاجته يحقق نجاحاً. ومن طريق "المعهد الوطني الكندي للعميان" تمكن الزوجان من الاستعانة بطالبة جامعية كوسيط. وطوال فصل الصيف كانت هذه الطالبة تقضي النهار مع العائلة وترافقها في نزهاتها وتساعد ديفيد على ادراك كنه الاشياء التي يعجز عن رؤيتها والاصوات التي يتعذر عليه سماعها.

في العام ١٩٧٧ استؤصلت العين التالفة وركبت لديفيد عين اصطناعية قدر لها أن تصبح موضوع كثير من القصص العائلية.

ذات يوم حين كان ديفيد يغسل عينه الاصطناعية أسقطها في مصرف المغسلة. واتصلت جينا هاتفيا بالمرأب حيث كان راي يعمل في تصليح سيارة أحد الزبائن. واستدار راي ونادى زميلا له قائلا: "علي أن أركض الى البيت لفترة دقيقة اذ ان ديفيد أضاع عينه." فرد الزميل: "حسنا، سأحل مكانك حتى تعود." وبدا كأن صاحب السيارة أصيب بصدمة وسأل: "أي نوع من الرجال يتلقى بمثل هذه الخفة خبراً بأن ابنه فقد عينه؟"

حين بلغ ديفيد العاشرة أجريت له جراحة لاستئصال السد من عينه اليمنى. وباستخدام نظارة مزدوجة العدسة استعاد بعض نظره. وبعدما ركب له جهاز قوي للسمع تعلم كيف يتكلم.

وتقول جينا: "كان ديفيد أول ولد معاق عندنا، وكان تبنيه عسيراً في اعتبارات عدة. ولكن بدا أن الأمور تتوازن. فحين يلاقي راي يوماً صعباً معه ألاقي أنا يوماً موفقاً، وبالعكس. انه الآن طفل ذكي ومحب يهوى الكتابة والرسم والعزف على الأرغن. ومهما تكن رعايته شاقة فاننا لا يمكن أن نتخيل حياتنا من دونه."

الافادة من كل قرش

خلال السنوات الاولى من حياتهما معا، حين كانا يعملان كلاهما، استمتع راي وجينا بنمط حياة مريح ماليا، أما الآن وقد أضحى لديهما أربعة اولاد فعليهما الافادة من كل قرش من أجر راي، كذلك اصبح توسيع البيت أمراً ضرورياً.

ان تبني الاولاد من طريق جمعيات مساعدة الاطفال في كندا يتم من دون مقابل. ولكن بما أن تايسي جاءت من الخارج فان الكلفة كانت باهظة. ففي فيتنام تفرض رسوم على التبني، وثمة أتعاب قانونية وأجرة السفر جواً، وهذه كلها بلغت نحو ٣٠٠٠ دولار كندي (نحو ٢٢٠٠ دولار أمريكي). وبما أن حال ديفيد الصحية استلزمت سفرات متكررة الى المستشفيات والعيادات فقد بات

الزوجان في حاجة الى سيارة ثانية.

في ذلك الوقت، كما الآن، دأبا على شراء حاجاتهما من متاجر الجملة، حيث يشتريان الدقيق والشوفان في أكياس من حجم ٤٠ كيلوغراماً ومواد التنظيف في أكياس من حجم ١٢ ليتراً ومقادير كبيرة من الجبن ولحم البقر المفروم والدجاج والديوك الرومية بصفقات خاصة. كذلك يشتريان الثمار من المزارع التي يقطف منها الزبون حاجته عن الشجر. وقطفا ثمار شجرة القبقب في باحة البيت لصنع الدبس.

وأفادت جينا من خبرتها في المطعم فعرفت كيف تخطط لاعداد وجبات الطعام وكيف تطبخ بطريقة اقتصادية. كانت تخيط ثياباً للاولاد وتقايضها مع أمهات اخريات. وفي أحد متاجر الاحذية في برامبتون اشترت ستة أزواج بسعر منخفض جداً. وعرض عليها فرع تسويق لاحد مصانع ثياب الاولاد سترات تنقصها سحابات، فاشترتها بسعر زهيد وخاطت لها سحابات.

ولم يكن راي يعتبر نفسه حِرفياً، لكنه اكتشف في نفسه مهارات لم يحلم بها قط. بنى حديقة زجاجية لزراعة الخضر ووصل بها مصرف مجففة الثياب وغدا الهواء الدافىء الرطب يتيح لهما زرع الخضر طوال أشهر السنة. كما بنى ملعباً للاولاد مجهزاً بمنزلق، وعرزالا وأرجوحة من اطارات المطاط.

وسدد الزوجان القرض لشراء البيت، وهكذا استحصلا على قرض بقيمة ٤٢ ألف دولار يكفي لشراء سيارة ثانية وتغطية نفقات تبني تايسي وكلفة الجزء الذي أضيف الى البيت. وأنجز راي الاعمال الداخلية بنفسه، وهكذا أعاد تنظيم البيت بحيث أصبح يتألف من خمس غرف نوم بدلا من ثلاث. وفي غرفة الجلوس الملاصقة للمطبخ الموسع أفردا مكاناً لموقد كبير يحرق الحطب ورثه راي من جدته. وفي الجهة الثانية من المطبخ بنيا مكتباً لحفظ القيود التي بات يتوجب عليهما اعدادها.

بعد اتمام هذه التجديدات حان الوقت للتفكير في تبنٍ جديد. ومن طريق عملها في "جمعية الآباء المهتمين بالتبني" تعرفت جينا الى فتاة اسمها دورين. كانت في السادسة من عمرها وهي هجينة نصفها من قبيلة "انويت" ونصفها الآخر من قبيلة "كري". وكانت مصابة بعاهة انكشاف الفقار(١) التي جعلتها مشلولة من الخاصرة نزولا. كما كانت مصابة بالاستسقاء الدماغي(٢) الذي حد من قوة بصرها الى المستوى الادنى. وكانت تقضي أيامها في كرسي ذي عجلات. وصنفت الفتاة في فئة الاولاد الذين يتعذر تبنيهم، ولم تكن تعرف شيئاً عن العالم خارج جدران المؤسسة التي تعيش فيها. كانت كذلك بدينة مترهلة ومصابة بالسلس(٣). وصدمت جينا حين رأتها في المؤسسة للمرة الاولى. وتتذكر: "كانت ضخمة الجثة ولها وجه كبير قمري الشكل وشعر مقصوص قصيراً."

أدرك الزوجان أن دورين لا مستقبل لها

(١) انكشاف الفقار او الصلب المفلوح (spina bifida)

(٢) Hydrocephalic

(٣) السلس (incontinence) هو عدم استمساك البول والبراز.

في المؤسسة فتقدما بطلب لتبنيها. وقالت جينا: "سنخضعها لنظام حمية وندع شعرها يطول وستغدو أجمل فتاة في العالم. وسنؤمن المعالجة لساقيها ونخرجها من الكرسي وان يكن ذلك آخر شيء نفعله في هذه الحياة."

تبدلت صورة دورين وأشرقت حياتها في رعاية عائلة أوزبورن. وصممت لها جبائر ومشابك خاصة كانت تشد حولها فتبقي ساقيها ثابتتين بحيث تقوى على تعلم المشي بمساعدة عكازين. والجبائر يمكن فكها عند الركبتين حين ترغب دورين في الجلوس. وسرعان ما بدأت تتنقل داخل البيت وتؤدي نصيبها من الاعمال المنزلية، حتى انها باتت تحمل الثياب المغسولة صعوداً وهبوطا على السلم. وللمرة الاولى في حياتها خرجت الى المدرسة كسائر الاولاد.

في شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٨١، حين بدأت بربارة ريدل تقود السيارة المقفلة التي تنقل دورين الى المدرسة، لم تدرك أن الفتاة الجديدة لا تبصر الا بعد انقضاء بضعة أسابيع. وهي تقول: "حين كنت أنزل السلم الكهربائية كانت دورين ترتقيها وتجلس في مكانها من دون ارتباك. وأخيراً لاحظت أنها بدلا من النظر للبحث عن أحزمة السلامة كانت تتلمس بيديها. عندئذ عرفت. أما هي فلم تفه بكلمة واحدة."

خارج البيت تركب دورين دراجة تسيّر باليد، وتركب الكرسي ذا العجلات للخروج في نزهات طويلة، مثل زيارة حديقة الحيوان، عندما تكون المسافة التي ينبغي أن تقطعها طويلة جداً بالنسبة الى المشي على عكازين. وأجريت لها جراحة مكنتها من التحكم بالمثانة. ويرجو راي وجينا أن تجرى لها ذات يوم جراحة مماثلة لضبط حركة الامعاء.

اكتشفت دورين كذلك متعة القراءة. انها تستخدم مطبوعات "برايل" المخصصة للمكفوفين، والتي تقرأ بملامسة الانامل، في البيت وفي المدرسة. وهذا يمكنها من مجاراة رفقائها في الصف. والآن تعرف دورين ماذا تريد أن تفعل في هذه الحياة: "سأعلم طريقة البرايل للمحرومين نعمة البصر."

صاحب الصورة

في يونيو (حزيران) ١٩٧٨ جاء الولد السادس ليستحوذ على قلبي الزوجين أوزبورن. انه جوشوا جوناثان، طفل عمره ثلاث سنوات ذو عينين زرقاوين وابتسامة عريضة، وليست له ذراعان ولا ساقان. ولم يكن والداه الطبيعيان قادرين على تحمل عبء طفل بلا أطراف فوضعاه في بيت رعاية. ومن طريق جمعية الآباء المهتمين بالتبني عممت جينا وراي صور الطفل عل أحداً يرغب في تبنيه.

شاهد الزوجان أوزبورن جوشوا للمرة الاولى بينما كانا ينقلان دورين في مصعد مستشفى الاطفال في تورنتو، ووقعت أعينهما على صبي الصورة التي كانا يعممانها. واستهوتهما على الفور نظرته الشقية وسرعة بديهته. وكانت السجلات تشير الى انه متخلف، لكن الزوجين لم يقتنعا بذلك للحظة واحدة.

وفي كل مرة زارا المستشفى كان

جوشوا هناك أيضاً. ولم يمض وقت طويل قبل أن يدركا أنهما يريدان ضمه الى عائلتهما.

قال لهما الاطباء: "انها فكرة سيئة. جوشوا يحتاج الى الكثير من الاهتمام الشخصي. وأنتما، مع خمسة أولاد، وديفيد ودورين معاقان، لن تتمكنا من النجاح في هذه المهمة." غير أن جينا وراي شعرا بأنهما قادران على القيام بما يجب، وأحسا أن ذلك يناسب جوشوا ويناسبهما.

تأهبا لمواجهة اعتراض المساعِدة الاجتماعية المحلية، الا أنهما ابتهجا حين وجدا أنها تعضدهما. وأوضحا للاولاد الآخرين العجز الذي يعانيه جوشوا وبحثا معهم في أي غرفة يُعطى وأي مكان الى الطاولة يناسب كرسيه ذا العجلات. وأعد له الاولاد لوحات ترحيب. وفي آخر أيام الدراسة في يونيو (حزيران) أحضر راي وجينا الطفل جوشوا جوناثان الى البيت.

كان راي بنى منزلقاً عند نافذة الطبقة العليا لتسهيل اخراج دورين في حال شبوب حريق في البيت. ووضع جوشوا في غرفة مجاورة للسبب عينه. وفي ما بعد، حين أصبح الزوجان قادرين على تحمل الكلفة، بنيا مصعدا في زاوية البيت قرب المدخل الرئيسي بحيث يتمكن الطفلان من النزول الى الطبقة الارضية والخروج لوحدهما. كما أكمل راي تعبيد الباحة الخلفية والفسحة الامامية حيث يمكن أن تتحرك الكراسي ذوات العجلات بسهولة. ولما كان جوشوا يعاني علة هضمية تتطلب أن يشرب حليب المعز فقد أضافت العائلة معزاً الى الدجاجات التي تربيها في السقيفة.

أوكل الى جون أمر الاهتمام بالمعز. انه الآن في السابعة من عمره ولديه اهتمام جدي بالحيوانات والطبيعة. وفي أثناء التنزه كان يمطر أباه بالاسئلة ويطلب منه التوقف ليتفحص حشرة أو زهرة. وكان راي يجيب عن الاسئلة بصبر ويساعد جون في جمع ما يملأ جيوبه من الحصى الملونة التي يأتي بها الى البيت.

ولد نموذجي

في ذلك الخريف، وقد أصبح في البيت ولد معاق دون سن المدرسة، كانت جينا تستعين بمدبرة منزل من الصليب الاحمر حين تخرج لمقابلة الاطباء والمدرسين. والمدبرة المنزلية مادلين ستينغ على رغم خبرتها، ساورها شيء من الخشية وهي تقود سيارتها الى البيت. فانها لم تلتق الزوجين أوزبورن من قبل ولم يكن لها اتصال بالاولاد المقعدين. غير أنها أحست منذ البداية وكأنها في بيتها. قال لها راي: "حين يستيقظ جوشوا اخرجيه من سريره ودعيه يدب حيث يشاء."

بعد دقائق من مغادرة راي نادى جوشوا قائلا انه استيقظ وأصبح مستعداً للذهاب الى الحمام. وحين رأت مادلين الجسد الضئيل على السرير شهقت دهشة. وفكرت في نفسها: "كيف يستطيع ولد كهذا أن يجلس في كرسي المرحاض من دون ذراعين وساقين تحفظ توازنه فلا يسقط؟"

واتخذت تايسي صفة الاخت الكبرى وقالت: "ارفعيه هكذا... وامسكي به حول الخصر واسنديه... هكذا."

اكتشفت مادلين انها تغلبت بسرعة

على خشيتها من حالة جوشوا وأضحت جزءاً متمماً لعائلة أوزبورن.

حين أتى جوشوا الى لا كازا نوسترا كانت ذراعان اصطناعيتان ركبتا له الا انهما كانتا ثقيلتين وعسيرتي التشغيل. ولم تركب له ساقان اصطناعيتان قط. وقرر راي وجينا أنه ينبغي تزويده مجموعة جديدة من الاطراف. وحين أحضرت الاطراف الاصطناعية مع العكازتين الخفيفتين وجهاز المشي أضحى كل شيء متوافرا لجوشوا كي يمشي. الا أن الامر لم يكن سهلا. ويوماً بعد يوم دأب راي وجينا والطبيب المعالج في مركز اونتاريو للاطفال المقعدين على اجراء تمارين تقضي بأن يتدحرج حتى يقعد وبعد ذلك ينتصب واقفاً. كانوا يحضونه: "هيا يا جوشوا قوِّم عجزك لكي تؤمن توازنك. قف منتصباً بطول قامتك. هل تستطيع وضع ثقلك على القدم اليمنى؟ على قدميك كلتيهما؟ افعل هذا مرة ثانية. هيا يا جوشوا."

ظهرت تورمات مؤلمة على جسم جوشوا من أثر الاحزمة التي تثبت الاطراف الاصطناعية. وظلت جينا تنقله في السيارة أسبوعاً بعد أسبوع الى مركز اونتاريو للاطفال المقعدين حيث يجري له الفنيون تجارب على أجهزة مختلفة. الاحزمة التي تثبت ذراعيه كان ينبغي أن تتقاطع مع الاحزمة التي تثبت الساقين، وكان كل هذا عسيرا جداً على الزوجين. كان نزع ملابس الطفل لكي يذهب الى الحمام يستغرق ٢٠ دقيقة.

وأخيراً ركبت لجوشوا ساقان متصلتان بحقّين (تجويفين) مثبتين حول وركيه وجدعتيه. وكانت الساقان مجهّزتين بمفاصل عند الركبتين يمكن أن تقفل فتتصلب لتسهيل المشي. ومن أجل القعود كان على جوشوا ان يجذب حبلين ليفك مفاصل الركبتين. ولكن حين اكتسب قدرة كافية على الوقوف منتصبا بحيث يقوى على الركل بساقه الى الامام والدوران على وركيه واستخدام العضلات في الجدعتين، لم يعد في حاجة الى قفل مفاصل الركبتين. لكن تشقق الجلد بقي مشكلة.

وتبين أخيراً أن طوقاً من المعدن يحوط الخصر ويبطن بالجلد يحل المشكلة. وهكذا، بعد الكثير من الجهد والالم، حان ذلك اليوم السعيد في شهر أغسطس (آب) ١٩٧٩ حين خطا جوشوا أولى خطواته.

ومنذ ذلك اليوم لم يعد ثمة شيء يقف جوشوا دونه. أصبح قادراً على اللعب خارجاً مع أصدقائه، وصمم له مركز اونتاريو للاطفال المقعدين دراجة كهربائية. وكانت تلك خطوة عظيمة الى الامام. وأصابت فراسة آل أوزبورن في شأن فطنته. لم يكن جوشوا متخلفاً عقليا على الاطلاق. وحين بلغ السن المناسبة بدأ يحضر الصفوف العادية في المدرسة الرسمية.

وبدأت بربارة ريدل التي كانت تنقل دورين في السيارة، تأخذ معها جوشوا كذلك. وتهز رأسها حين تتذكره في كرسيه الكهربائي ذي العجلات: "حسبت أن علي أن أنظم في حقه محضر مخالفة لسرعة السير. انه يندفع بسرعة على منزلق الصعود ويدخل السيارة حتى يكاد

يخرج من الجهة الاخرى، ثم يضغط الكابح. انه الولد النموذجي."

ذات صباح واجه جوشوا صعوبة في ساقيه الاصطناعيتين. فساعدته بربارة في ركوب السيارة ثم تنفست الصعداء قائلة: "ياه، أصبحت ثقيل الوزن. كم وزنك الآن؟"

فأجابها بلامبالاة: "اثنان وعشرون كيلوغراما مع الاجهزة وأربعة عشر من دونها." لقد اضحت الاطراف الاصطناعية حقيقة حياتية بالنسبة اليه.

وباستخدام الذراعين الاصطناعيتين الكهربائيتين اللتين صنعتا له في مركز اونتاريو للاطفال المقعدين، وهما تشبهان اللحم البشري لونا وبنية ومجهزتان بيدين تعملان ببطاريات صغيرة، أصبح جوشوا قادراً على القيام بمعظم ما يستطيع الاولاد الآخرون القيام به. وحين يرتدي سروال الجينز ويتقدم مترنحاً على عكازتيه يبدو كصبي كسرت له ساق في أثناء التزلج.

خلال استراحة الغداء في المدرسة يلعب جوشوا بكرة القدم مستعيناً بالكرسي الكهربائي للانطلاق بسرعة، وبكرة اليد مستعيناً بعكازه. حتى انه تعلم السباحة. وعندما رأى بركة السباحة التي بناها الزوجان أوزبورن في الباحة الخلفية أراد أن يسبح كالآخرين، ولكن بما ان لا ساقين له، وذراعاه عبارة عن جدعتين، فقد بدت هذه الرغبة مستحيلة التحقيق. عندئذ تدخلت دائرة الاطراف الاصطناعية في المركز لتحل المعضلة، فصنعت له زعنفة تشبه زعانف حوريات البحر مثبتة بحزام مطاط. وحين يحرك وركيه كانت الزعنفة تدفعه في الماء بين جنبات البركة بسرعة اخوته وأخواته.

وسجله أبواه لتلقي دروس في السباحة لدى جمعية خيرية. وعلّمه مدربه حركة خاصة تتيح له أن يسبح من دون الزعنفة.

وهتفت أمه وهي تراقبه يلعب: "هذا لا يصدق! تصور، لو لم نره ذلك اليوم في المصعد لما كان معنا الآن."

خمسة أولاد جدد

سألت ليندا أمها وهي تأوي الى فراشها، وكانت ترغب في سماع القصة مرة بعد مرة: "أخبريني يا أمي كيف جئت لاعيش معكم هنا؟"

فردت الام: "كنت هدية قدمت الينا لمناسبة السنة العالمية للطفل."

كانت ليندا في الثامنة من عمرها حين تبنتها عائلة أوزبورن في شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٩، وهي هجينة متحدرة من دم ايرلندي وهندي امريكي. وأساء والداها الطبيعيان معاملتها، ثم بدأت تنتقل من بيت رعاية الى آخر حتى تم تبنيها. ولكن حين انتقلت عائلة ليندا الى اونتاريو انفسخ التبني. وتركت هذه الصدمة في نفس الفتاة جروحاً لما تندمل تماماً بعد.

ونتيجة اضطراب تلك المرحلة المبكرة من حياتها تعذر على ليندا أن تشعر بالاطمئنان. ولكن في ليلة عيد الميلاد عام ١٩٨١ قالت لجينا: "يا أماه، هذا ثالث عيد ميلاد لي هنا. انتهى الامر. لن انتقل من هنا بعد الآن."

بعد عشر سنين مضطربة شعرت ليندا أخيراً أنها في أمان.

راي فخور بتقدم ليندا نحو النضج وهو يقول: "طلبت منها أن تحضر لي كوباً من عصير الفواكه الى الحديقة بعد ظهر ذات يوم. وفي حين كان أي ولد آخر ربما أحضر كوباً واحداً، أخرجت ليندا صينية وضعت عليها غطاء وعصيراً لجميع الجالسين هناك. فعلت ذلك بكل لباقة."

والى احتفال رفع العلم أبدع آل أوزبورن تقليداً عائلياً آخر، وهو أن يختار كل طفل يأتي الى لا كازا نوسترا شجرة تزرع له في الحديقة. واختارت ليندا شجرة اجاص. واذ هي تراقبها تنمو وتنشب جذورها في الارض فانها تشعر ان قوة تلك الشجرة ترمز الى قوتها هي.

في ٤ يوليو (تموز) ١٩٨٠ رن جرس الهاتف في منزل آل أوزبورن وقالت موزعة الهاتف: "هل أنت السيدة أوزبورن؟ لك مكالمة من كينورا."

وانبهرت أنفاس جينا، فالمخاطبة كانت بربارة كلارك منظمة شؤون التبني في المكاتب الاربعة لـ"جمعية مساعدة الاطفال" في كينورا. وهي لم تبقِ جينا متلهفة اذ بادرتها: "لقد أقر طلب التبني." وهتفت جينا فرحاً. انهما سيحصلان على خمسة أولاد جدد من الهنود الامريكيين. انهم اخوة من شمال اونتاريو كانوا موزعين على أربعة بيوت رعاية.

سمع الزوجان أوزبورن بهذه العائلة المشتتة في أحد اجتماعات التبني في السنة السابقة وسعيا الى العثور على عائلة تقبل أن تتبنى الاولاد الخمسة معاً. وكما حدث في السابق، كلما ازدادت معرفتهما بالاولاد عظمت رغبتهما في تبنيهم. وفي انتظار وصول الوافدين الجدد رفع الزوجان قيمة القرض ليتمكنا من بناء ملحق جديد بالبيت. وبينما كان المتعهد ينجز الاشغال الخارجية انهمك راي في اتمام الاشغال الداخلية. وأضحى للعائلة بيت من ثماني غرف.

وللمرة الاولى قدمت اليهم مساعدة مالية بموجب قانون اعانة الاطفال في مقاطعة اونتاريو، وذلك لان جمعية مساعدة الاولاد في كينورا أدركت أن عائلات قليلة يمكنها أن تتحمل تكاليف اعالة خمسة أولاد جدد دفعة واحدة. وصرف آل أوزبورن ذلك المال لشراء خمسة أسرّة وبعض الملابس ومباشرة معالجة أسنان ولدين.

جينا المجنونة

حين وصلت جيمي (١٥ عاماً) وتوم (١٣ عاماً) وفيليس (١٢ عاماً) وليزا (١١ عاماً) ومايكل (٨ أعوام) الى لا كازا نوسترا كان راي يدق المسمار الاخير في طاولات غرف النوم التي صنعها بنفسه. وكانت جينا ناشطة في تهيئة الملابس التي سيرتديها الاولاد في عرس ابن عم لها في تورنتو في اليوم التالي. وحين دخلت قاعة الاحتفال مع عائلتها المتضخمة حديثاً، شعرت ببعض الحيرة. وهي تقول الآن: "كنت معتزة بكل هؤلاء الاولاد وسعيدة لان الجدد منهم كانوا معنا حينئذ. ولكن في الوقت عينه كنت ألاحظ حواجب الاقارب ترتفع استغرابا لدى رؤيتنا، وأحسست أن الناس كانوا يعدّونهم ويقولون: هاكم جينا المجنونة قد فعلتها مرة أخرى."

في يونيو (حزيران) ١٩٨١ أضيف عضو آخر الى عائلة أوزبورن. كان اسم الطفلة الجديدة تالي، وهي فتاة نابهة في الثانية من عمرها متحدرة من اصل مغربي لفتت نظر الزوجين أوزبورن من طريق شبكة التبني. لم يكن لها ذراعان، بل جدعتان تشبهان الجناحين. ولم يكن لها فخذان ولا ركبتان، بحيث اتصل أسفل ساقيها بوركيها مباشرة. وعلى رغم نقص اصبعين في قدمها اليمنى فانها كانت قادرة على الرسم والتلوين وحل الاحاجي وتسليك عقد من الخرز بتلك القدم.

عملية تبني تالي اقتضت وقتاً طويلا. وطلب الزوجان العون من مارلي مانغ المساعدة الاجتماعية التي كانت انتقدتهما وانتقدت جمعيات مساعدة الاطفال معهما لأنها وضعت هذا العدد الكبير من الاطفال المشوهين في بيتهما. وكانت التقت جينا وراي في اجتماعات التبني غير أنها لم تحضر قط الى كازا نوسترا. ومع أنها احبت الزوجين فقد ظلت على اقتناع بأنهما تحملا أكثر مما يطيقان.

وبحلول العام ١٩٨١ أضحت مارلي مانغ من مؤسسي الوكالة الخاصة الاولى للتبني في أونتاريو. وطلبت منها جينا اجراء دراسة جديدة عن وضع بيتها لارسالها الى الوكالة التي تنظر في قضية تالي. الا أن مارلي أحجمت عن تحمل هذه المسؤولية واقترحت على الزوجين أن يتصلا بجمعية مساعدة الاطفال.

لكن هذا التهرب لم يجد، وعادت جينا تتصل بها هاتفياً. هذه المرة أدركت مارلي مانغ أن عليها أن تفعل شيئاً.

وبدافع من شعورها بأن الزوجين أعطيا أسباباً غير صحيحة لرفض طلبهما وانهما يستحقان أن يصارحا بالحقيقة، قررت أن تجري معهما مقابلة وجاهية. وهي تقول: "المرة الاولى التي ذهبت الى بيتهما كانت لكي اقول لهما: أولا، انكما تعانيان عُصاباً. ثانيا، أنا أجزع من وجود كل هؤلاء الاطفال في العائلة. ثالثاً، أنا لا أظن أنكما قادران على توفير كل حاجاتهم كما لا أشعر بأنكما تدركان قصور امكاناتكما."

خلال ١٥ دقيقة من وصولها، تحوّل موقف مارلي تماماً. وهي تعترف: "ان قبولهما غير المشروط بالاطفال، مهما تكن حالهم، وروح الكفاح الهائلة التي يتحليان بها، والطريقة التي يتصديان بها لكل ما يتعلق باولادهما، هذه الاعتبارات كلها قهرتني."

وانبرت مارلي للمساعدة في تبني تالي وغدت صديقة لآل أوزبورن. وهي تقرّ: "قد يبدو ذلك غريباً، ولكن حين أشعر بحاجة الى الهدوء والراحة أو الى حافز عاطفي أذهب للقاء راي وجينا وأغادر بيتهما ونفسي مطمئنة الى أن كل شيء على ما يرام في هذا العالم."

على غرار سائر الاطفال، ألِفت تالي بيتها الجديد بسرعة. وأخذت تتنقل وحدها وتزحف متلوية على الارض بسرعة مدهشة. امر واحد لم تكن قادرة عليه حين جاءت، وهو تسلق السلم مع أنها كانت ترغب في ذلك. جوشوا يعرف كيف يتسلق السلم، لكن الامر اقتضى من ابويه اسابيع عدة ليعلماه كيف يرتقي السلم وحده الى الطبقة العليا.

كانت تالي تمثل نوعاً من التحدي لجوشوا. فهو بقي طفل العائلة المدلل وقطب الاهتمام حتى مجيئها. وبدا أن تالي الفطنة والثرثارة والمعتدّة بنفسها ستحل مكانه. غير أن حاجتها الى المهارات التي كان هو يتمتع بها وطدت العلاقة بينهما.

خلال خمس دقائق علمها جوشوا ما قضى هو أسابيع مضنية ليتعلمه. ومن دون أي اطراف اصطناعية اقتربا من أسفل السلم. قال لها جوشوا: "تمددي على الدرجة السفلى ووجهك الى أسفل... هكذا. ثم اقعدي على هذا النحو وضعي كتفيك على الدرجة الاعلى. والآن ارفعي عجزك وكرري العملية لتتسلقي الدرجة التالية."

اخذ جوشوا يدفعها من الوراء بجدعة ذراعه. واخيراً استطاعت تالي أن تصعد. وسرعان ما انطلقت على السلم لوحدها. أما جوشوا الذي كان تقدم كثيراً بحيث أضحى قادراً على صعود السلم بأطرافه الاصطناعية، فقد وجد الرضا في دوره الجديد كأخ كبير.

رفيق الحضانة

عندما يكون هناك طفل جديد سينضم الى عائلة أوزبورن، يتناقش راي وجينا في الامر مع جميع الاولاد. وفي العادة ينتهي البحث بموقف حماسي للجميع.

وعلى غرار جوشوا، أبدت جيمي، وهي مراهقة يافعة وجميلة، بعض التحفظات عن تالي: هل ستحتاج الى مقدار كبير من الرعاية؟ وهل سيتعين على جيمي، باعتبارها الاكبر سنا، أن تخصص لها جانباً من وقتها الضيق مما يبعدها عن مدرستها وأصدقائها وقيادتها لفرقة الترتيل؟ غير أن تالي سرعان ما استحوذت على قلبها كما فعلت بالآخرين جميعاً. والآن تتولى جيمي تمشيط شعر أختها الصغيرة كجزء من واجباتها الصباحية وتنضم الى الآخرين في التفكير بأسماء تدليل لها: "الانسة فأرة" أو "طائر البطريق" كما يدعوها عمها روبي. ويقول راي مداعباً: "تالي ثرثارة." فتحتج الصغيرة وهي تترجح بين ذراعيه: "لا! يا أماه، قولي له. تالي جميلة وليست ثرثارة!" فتضحك جينا موافقة.

تالي أصغر فتاة ابداً مبتورة الذراعين فوق المرفق تركب لها ذراعان اصطناعيتان تعملان بالبطاريات. انها عاملة نشيطة ولذا تعلمت بسرعة كيف تشغلهما. وحين لا تستعين بهما فانها تتناول طعامها بمهارة ونظافة من طريق وكز الصحفة أو الكوب بفمها، ثم تلتقط طعامها أو تحتسي الحليب من دون أن تهرق شيئاً.

انها كذلك فخورة بالسيارة المصغرة الحمراء المسيّرة ذاتياً والتي تبلغ سرعتها القصوى ثلاثة كيلومترات في الساعة. ولها مقود معدّل بحيث تستطيع تالي تحريكه بأصابع قدميها. هذه السيارة صممها "معهد اونتاريو للاطفال المعاقين" وكانت نموذجاً اختبارياً قدم اليها مجاناً. وفي المقابل يحفظ أبواها ومدرسوها سجلا يبين مدى تقدمها في استعمال السيارة يرفعونه الى مصمميها مرة كل ثلاثة أشهر.

وفي دار الحضانة التي تذهب اليها

تالي تتطلب قيادة سيارتها مساحة لا تتطلبها السيارة العادية لذلك هي تتنقل بدفع جسمها. أما سلوكها فعادي الى درجة مشجعة. وبعدما سمعت اخوتها وأخواتها يتحدثون عن رفقاء لهم بدأت هي تتكلم عن صبي صغير تحبه في صف أطفال السن الثانية. وحول مائدة العشاء ذات مساء مازحها أحدهم في هذا الشأن فقاطعته بحدة: "لقد تخاصمنا. ولا أريد أن أسمع كلمة أخرى عنه." وكانت لصوتها رنة فتاة بالغة.

أحبت طلاء الاظافير الذي وضعته أختها الكبرى فيليس على أظافير قدميها ويدها الاصطناعية. وهي ترتدي ثوبها المخملي الاحمر مع سروال يناسبه خاطته أمها، وتدفع برأسها الى الوراء لتظهر الشريط الاحمر المربوط في شعرها.

وتقول جينا: "بعض الناس يعتبرون تالي معاقة جسدياً. لكننا لا نعتبرها كذلك. انها أي شيء سوى هذا."

حاسة سادسة

روبرت، شقيق جينا، كان في البيت ذلك اليوم من شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨١ حين وصل الطفل الرابع عشر. كان باتريك هذا، وهو في الشهر الثامن عشر ويعاني عطلا حاداً في البصر والسمع، يزعق من دون توقف. وهز روبرت رأسه قائلا: "يا جينا، لقد تجاوزت الحد هذه المرة. انك لا تقوين على انقاذ العالم كله."

سُحرت جينا بوجه باتريك المستدير ولفائف شعره الاشقر حين ذهبت الى البيت الذي تعهده نيابة عن أصدقاء لها كانوا يفكرون في تبنيه. ورأته ممدداً ومستغرقاً في النوم على الارض بجانب كلب ضخم أخذ ينبح في وجهها عالياً. ولم يكن باتريك يسمع نباح الكلب، لكنه استيقظ ومال غريزيا نحو جينا. كان لمعطفها حزام موشى أعجبه. وأخذ يتبعها حيثما تسير متعلقاً بالحزام.

قالت جينا لاصدقائها: "باتريك مصاب بالحبسة (٤) ويشبه مريضاً بجلطة دماغية تعطلت قدرته على الكلام." ولكن كان لديها حدس بأن في باتريك شيئاً أبعد مما حسبه الاطباء.

ويقول راي: "ان جينا ايطالية وتصغي اليك اذا اردت أن تشرح لها أمراً ما ولكن لا شيء يقنعها متى اتخذت قرارها."

وقرر أصدقاء آل أوزبورن ألا يتبنوا الطفل بسبب العطل العصبي الذي قيل ان باتريك يعانيه. وحين سمع راي بقرارهم ذهب هو كذلك للقاء باتريك. واستدارت جينا نحوه وعيناها تعبران بجلاء عن أفكارها: "الا نستطيع نحن... أعني هل تظن...؟"

كان يخامره شك. وبدا له أن رعاية طفل معطوب الدماغ، اضافة الى العبء المرهق الذي يحمله وزوجته سيكون جنوناً مطلقا، غير أنهما تعلّما أن يثق كل منهما بغريزة الآخر.

الاشهر القليلة الاولى كانت كابوساً. كان بتريك يزعق بلا انقطاع ولم يتح لهما ان يناما الّا لماما. واذا هما حاولا مداعبته كان يدفعهما بعيدا عنه. وقالت جينا:

(٤) الحُبسة أو الخَرَس (aphasia) هي فقد قوة التعبير بالكلام او الكتابة او الايماء.

"انه يتألم يا راي. أنا واثقة من ذلك." وأخذت موعدا من طبيب وجاء التشخيص: انسداد في الجهاز الهضمي. وبعد اصلاح هذه العلة توقف باتريك عن الصراخ.

في البداية بدا كأن باتريك يتعرف الى الناس بملامسة شعرهم ويتنقل من مكان الى آخر مهتدياً بحاسة سادسة. فيركض بين جنبات البيت ونادراً ما يصطدم بشيء. وعندما يشعر أن هناك كوباً من الحليب له على طاولة المطبخ، يتسلّق كرسياً ثم يمد يده الى الكوب ولا يخطىء. وتبتسم جينا قائلة: "الا تظن أن هذا القرد الصغير يستطيع أن يرى؟"

جهز باتريك بعدستين مكبرتين قويتين وفرتا له بعض الرؤية. واذ هو ينمو ويبقى سليماً من العدوى في أذنيه فيمكنه أن يسمع أصواتاً ذات نغمة وقوة معينتين. وأفاد الاطباء انه يتصرف على مستوى متأخر سنة واحدة عن سنه الحقيقية. وهو الآن يذهب الى دار حضانة مع تالي.

"حياة تناسبني"

تقول جينا: "الفضل لتالي في احتمالنا باتريك خلال الاشهر القليلة الاولى. فحين كان يرفضنا كانت هي تسبغ علينا حبها. كانت طيبتها شاملة تفسح مجالا للجميع." وتتوقف جينا عن الكلام لحظة لتفكر ثم تضيف: "ان كل شيء يسير نحو الاحسن. لو لم نحصل على ديفيد لما كانت لنا الشجاعة الكافية ربما لنفكر في تبني باتريك."

بينما كانت جينا تقود سيارتها في زحمة السير في طريقها الى موعد آخر مع أحد مستشفيات الاطفال في تورنتو، وجدت فرصة نادراً ما تتاح لها للتأمل في ما هي تعمل. وتساءلت: "ماذا تراني أفعل بحياتي؟ لماذا أواصل العمل على هذا المنوال؟" واذا بها تجيب نفسها: "ان الناس الذين يرهقون أنفسهم هكذا يفعلون ذلك من أجل أنفسهم فحسب، وليس من أجل انسان آخر. يمكنني ان انقطع على تبني الاطفال وأنكفىء الى نفسي مكتفية بالقاء محاضرات في الجامعات ومؤتمرات التبني. لكن ذلك لن يرضيني. فما دام هنالك طفل يمكن ان تتحسن حاله مع عائلة مستقرة كعائلتنا فيصبح جزءاً صالحاً من هذا المجتمع، فان هذه هي الحياة التي تناسبني."

يشعر الزوجان أوزبورن غالبا بالضيق من التأخيرات البيروقراطية في نظام التبني. وفي رأيهما ان المتطلبات تكون غالباً أشد مما ينبغي. وتقول جينا: "قد يعتبر الزوجان اللذان يتقدمان للتبني غير متقاربين في السن، او ان نمط حياتهما على غير النهج المتبع، او ان وزنهما أكثر او أقل مما ينبغي. ولكن لا ريب في ان ليس بين هذه الاعتبارات ما يؤثر حقاً في صلاحيتهما ليكونا أبوين صالحين للطفل."

يتمنى راي وجينا أن تعطي الوكالات اصحاب العلاقة المعلومات الكاملة عن كل طفل مرشح للتبني. وثمة أسباب طبية حقيقية لذلك، اذ ربما كان في عائلته داء سكري مثلا. وهما يؤمنان بأن الزوجين المتبنيين ينبغي ان يعرفا أكبر مقدار ممكن عن أحوال والدي الطفل وأشقائه. وتقول جينا: "يبدو مناسباً أن نعرف هذه

الخلفيات كي نخبر الاولاد بها حين يصبحون مؤهلين لذلك."

انهما يتطلعان الى اليوم الذي تقوم وكالة مكرسة لخدمة اهالي الاولاد ذوي الحاجات الخاصة. وتضيف جينا: "ان المعضلات لا تبرز فقط بين الساعة التاسعة والساعة الخامسة. ومن المغالاة أن نطلب من المساعدين الاجتماعيين أن يتحملوا عبء الدعم الذي يحتاج اليه مثل هؤلاء الاهالي."

أغنى الناس

من طريق اختلاطهما بجماعات الآباء الراغبين في التبني يقدم راي وجينا أقصى ما في طاقتهما من مساعدة. انهما يخططان لانشاء غرفة فسيحة يتاح فيها للاولاد الزائرين ان يلعبوا بينما الآباء يستريحون ويبحثون في مشاكلهم. هؤلاء الآباء يفدون في كل يوم، ويسعى الزوجان اوزبورن الى تدبير شؤونهم. وتقول جينا ضاحكة: "ان جدران بيتنا قابلة للاتساع."

وعلى رغم غناهما العاطفي فان المال يبقى مصدر قلق دائم. والزوجان يقدران العون الحكومي الذي يتلقيانه. فجوشوا الذي يعاني صعوبة في تدوين أفكاره على الورق بالسرعة الكافية حصل على دماغ الكتروني معدل ليلائم حاجاته، جهز بمفاتيح عريضة مسطحة بحيث يستطيع ملامستها باصابع يده الاصطناعية الكهربائية. والوكيل الذي يبيع هذه الآلات يعرف آل اوزبورن وهو قدّم سعراً خاصاً.

ان الاطراف الاصطناعية التي جهز بها جوشوا ودورين وتالي يجب إبدالها في فترات منتظمة تبعاً لنموهم. وتتحمل الحكومة الكندية تكاليف هذه الاطراف من طريق "برنامج الاطفال المبتوري الاطراف" التابع لـ"الادارة الكندية لمشوهي الحرب." ومن دون مثل هذا العون لا تستطيع سوى عائلات قليلة تحمل النفقات التي يتطلبها اولاد اوزبورن. ويقول راي في ذلك: "اننا اخرجنا هؤلاء الاولاد من مؤسسات تكلف دافعي الضرائب اموالا طائلة لابقاء الأطفال قاعدين في كراسيهم ذوات العجلات، في حين ان اطفالنا جميعهم هم الآن في المدارس النظامية وسيصبحون ذات يوم أعضاء منتجين في المجتمع."

يتلقى آل اوزبورن كذلك عوناً من هيئات اجتماعية ومن فاعلي خير اصبحوا الآن جزءاً من حياة الزوجين. وثمة امرأة تقطن في بلدة براماليا المجاورة تحوك ألبسة صوفية للاولاد، وأخرى شبّ اولادها وغادروا بيتها وهي تصنع لاولاد اوزبورن الحلوى فيدعونها "سيدة الحلوى". وهناك كذلك السيدة آنا غنجيمي وهي في الثانية والثمانين وتقطن في ولاية نيويورك وقد قرأت عن هؤلاء الاولاد وسألت راي وجينا هل يمكنهما ان يتبنيا عضواً جديداً في العائلة، جدة عجوزاً.

اتخذ راي استعدادات لضمان مستقبل الاولاد. فحصل على شهادة تأمين شاملة الحوادث والحياة بحيث انه في حال وفاته يسدد ثمن البيت ويبقى كل ولد مؤمناً حتى بلوغه الحادية والعشرين. والتسوية المالية التي تستحق في هذه الحال توفر النفقات الكاملة لمن يتحمل مسؤولية العائلة طوال عشر سنين على الاقل أي

حتى يبلغ الاولاد الكبار سن الرشد.

وتقول جينا جازمة: "نحن لا نفكر ابداً في اعادة اي من اولادنا الى مؤسسة رعاية!" ولكل طفل "عرّاب". وعين منفذان للتركة ووكيلان. وتفكر جينا في كل شيء بواقعية: "اذا قتلت في حادث سير فان مدبرة منزل من الصليب الاحمر ستتسلم العائلة حالا. نظام هذا البيت سيبقى."

حيث العمل متعة

وعلى غرار كل الآباء يصاب الزوجان اوزبورن بالارهاق. انهما يضطران الى النهوض في الليل تكراراً لتهدئة روع طفل يبكي او آخر بلل فراشه. ويساورهما القلق احياناً. وتفكر جينا وهي مستلقية في سريرها "بدا لي أن ليزا كانت حزينة خلال العشاء، ربما حدث لها ما ساءها في المدرسة." وهما لاحظا اخيراً ان جون كان يبدو مضطرباً. وكشف لهما طبيب نفساني ان ابنهما الطبيعي يعتبر نفسه كأي منهما ويأخذ على عاتقه مسؤولية الأب البديل للاولاد الآخرين. فبحثا في هذا الامر مع ابنهما وأوضحا له انه ليس مضطراً الى العناية بسائر الاولاد لان هذا عبء لا يقوى على تحمله من في سنه.

وعلى رغم مخاوفهما لم يساورهما قط اي شعور بالندم على ما فعلاه. وتوضح جينا الامر: "ليس اولادنا عبئاً علينا، بل هم فرحتنا. انهم في صغرهم كل حياتنا، وهكذا نريدهم ان يكونوا. لا يشعرنّ احد بالأسف من أجلنا، فنحن أغنى الناس."

انه نهار السبت. أخذ راي بضعة اولاد في نزهة الى الغابات. وتولت جيمي رعاية الآخرين فيما راح توم يساعد في اعمال مزرعة مجاورة. وحان وقت الغداء وراي هو الطاهي ذلك اليوم. انهم سيتناولون طعاماً صينياً. دورين تعد الشوك والسكاكين فيوزعها جوشوا وكريسي على الطاولة المصنوعة من خشب الصنوبر وطولها ثلاثة امتار، وقد صنعها راي لكي تتسع لهم جميعاً. فيليس وليزا وديفيد ينظفون المنزل بعد انتهاء عملية الخبز ذلك النهار، وثمة ٤٠ فطيرة جاهزة لتوضع في الثلاجة. وفي الخارج يعلف جون وتوم المعز والدجاج.

وعلى لوحة الاعلانات المعلقة على حائط المطبخ، بين نماذج الرسوم التي حققها الاولاد، لوحة صغيرة في اطار كتب عليها: "الجنون وراثي ويمكن ان ينتقل اليك من اولادك."

ويتعالى صوت صارخ: "هيا الى الطعام!" وتجلس العائلة الى المائدة وتسند العكازات الى زاوية الغرفة. وتتلى صلاة شكر قصيرة تفسر بالاشارات للصم وبملامسة الايدي للعميان ويستقر الجميع!

بين هؤلاء الآن الولد الخامس عشر في عائلة اوزبورن، وهي فتاة تدعى ميشيل في العاشرة مصابة بشلل دماغي التحقت بالعائلة في شهر اغسطس (آب) من العام ١٩٨٣. انها فتاة صغيرة زرقاء العينين ذات ابتسامة عريضة وشعر احمر مربوط في شكل ذيل حصان. وهي تجلس في كرسي ذي عجلات بجانب أمها كي يتسنى لها ان تساعدها في تناول طعامها.

انضم الى العائلة كذلك طفل بلا يدين

يدعى دانيال وعمره أربع سنوات، وهو جاء من هونغ كونغ في اغسطس (آب) ١٩٨٤. وبعد خبرة جينا وراي مع جوشوا وتالي فانهما لم يترددا في طلب تبني دانيال. فلديهما كل الاجهزة التي لم تعد تناسب جوشوا بعدما كبر، وكانا يعرفان انهما سيحظيان بكل ما يحتاجان اليه من عون من مركز الاطفال المعاقين.

بعد الغداء يرفع الاولاد الصحاف ويضعونها في آلة غسل الصحون ويمسحون الطاولة ثم ينظفون المطبخ. وثمة واجبات اخرى "ولكن - تقول جينا - اذا كان الطقس جيداً فاننا نحضّ الاولاد على الخروج، فتنظيف البيت بالمكنسة الكهربائية يمكن ان ينتظر الى الغد."

ويلاحظ الزوار الروح المرحة التي تنجز فيها هذه الاعمال. وتضيف جينا: "يسهو عن بالهم أن الوضع هنا يختلف عن بيت ليس فيه سوى ولد واحد يتعين عليه القيام بالعمل وحده. هنا، حين يكب اربعة اولاد أو خمسة على العمل يصبح الامر متعة ومرحاً ومناسبة اجتماعية." وينبغي انجاز العمل قبل أن يحين وقت مشاهدة التلفزيون. ويسمح لهم في العادة بنصف ساعة لبرنامج يرغبون جميعاً في مشاهدته. وآخر عمل تقوم به جينا قبل ان تأوي الى فراشها هو اعداد مائدة الفطور لكي توفر وقتاً في الصباح.

همّام خاص

انها السادسة والربع من صباح يوم عمل وأجراس المنبهات تقرع كلها في لا كازا نوسترا. جينا - أو جيمي اذا استيقظت باكراً - تحضر القهوة. وهناك عصير الفواكه والخبز المحمص والاجبان والبيض والزلابية. بعد ذلك يساعد الكبار الصغار في ارتداء ملابسهم. وثمة جدول مطبوع ملصق على جدار غرفة جوشوا يحدد من عليه ان يساعده في ذلك النهار.

كل من يحمل معه الى المدرسة علبة غداء يغسل علبته ويجففها في اليوم السابق. ووجبات غداء اليوم التي يحضرها اثنان من الاولاد دورياً في اشراف جينا، تُصرّ وتحفظ في البراد في الليلة السابقة.

وبعد ساعة تتوقف اربع حافلات مدرسية في الباحة المعبدة امام البيت، ويركب جوشوا ودورين وميشيل حافلة مجهزة بمصعد للذهاب الى مدرسة رسمية، ويلحق بهم فيليس وليزا وجون وكريسي ومايكل وليندا وتايسي في حافلة مدرسية عادية. جيمي وتوم يركبان الحافلة ذاتها لكنهما ينتقلان منها الى حافلة اخرى للذهاب الى مدرسة ثانوية. ويركب ديفيد حافلة الى "المركز الاقليمي للمعاقين سمعياً" ومنها الى مدرسة خاصة. وتنقل سيارة مغلقة باتريك وتالي في الثامنة والنصف الى مركز للمعالجة.

في الايام التي تخرج فيها جينا مع أحد الاولاد الى موعد طبي في تورنتو تغادر البيت في الثامنة صباحا. وعندما تعود تتناول مع راي فنجان قهوة ثانياً وتغتنم برهة للمسامرة بعد أن يكون الاولاد ذهبوا الى مدارسهم. ثم تهبط الى الطبقة السفلى لتضع الدفعة الاولى من عشر دفعات يومية من الثياب في الغسالة.

ولما كان راي يعمل في نوبة مسائية

فانه يحتاج الى ساعات الصباح لينجز اعمالا لا حصر لها في البيت وحوله. ها هو أنجز الآن تلميع خزائن وصنع رفوفاً في حمام الطبقة السفلى.

ومرة ثانية اصبح آل اوزبورن في حاجة الى توسيع البيت. فغرف النوم أصغر مما ينبغي وعندهم حمامان يستعملهما ١٨ شخصاً ولا بد من الوقوف في طابور. وتحلم جينا بحمام خاص لها ولزوجها، "حمام له قفل." والسيارة المقفلة والسيارتان الاخريان في حاجة دائماً الى صيانة. ولكن ثمة نقطة جيدة هنا، فهذه السيارات قديمة ولا يقودها احد من الاولاد، لذلك فان قيمة التأمين عليها جميعاً هي ٥٠٠ دولار سنوياً.

"جميعهم لي"

قبل ثلاث سنوات كان راي يمضي ساعة او نحوها كل صباح في الدرس لاكمال برامجه في علم السلالات البشرية وعلم النفس. وهو يقول: "كان عسيراً ان اعود الى الدرس بعد انقطاع دام عشرين سنة. وحاولت ان أقرأ اثناء العمل وفي فترات الراحة لكن هذا لم يوفر لي وقتاً كافياً، اما في المنزل فمن العسير غالباً التركيز على اي شيء." وهكذا اضطر الى صرف النظر عن الدرس. وجينا كذلك تابعت برامج دراسية وكلاهما يأملان الآن استئناف الدراسة حين يتاح لهما بعض الوقت. ان الزوجين اوزبورن يعتبران الآن اختصاصيين بشؤون التبني استناداً الى خبرتهما العملية، ولكن ما داما لا يحملان درجات علمية فليسا مخوّلين رسمياً تقديم المشورة الى الآباء الآخرين، ولديهما مشاريع كثيرة للمستقبل حين يكبر الاولاد، اما الآن فهما قانعان بعائلتهما.

الصيف هو أفضل الفصول بالنسبة الى عائلة اوزبورن. فأديم الارض ليس مجلداً فيعوق العكازات والكراسي ذوات العجلات. وفي الطقس الحار تحلو النزهات بجانب برك السباحة وقضاء النهارات على الشاطىء.

خلال اجازة راي السنوية اشترك الجميع في عملية تحضير البندورة (الطماطم) ونزع النوى من ثمار الكرز واعدادها للتجليد وكان الكل يعمل في السقيفة الامامية عند مدخل البيت. وهم اقتصدوا ٣٠٠ دولار لانفاقها على متعة للجميع. واختيار هذه المتعة لم يكن عسيرا، وجاء الاقتراع باجماع الاصوات: "مدينة العجائب في كندا." ان الرحلة التي اختارها الاولاد الى "مدينة الملاهي" القريبة من تورنتو قد تكلف الـ٣٠٠ دولار كلها، ولكن اذا كان الاولاد شاؤوا ذلك فسيكون لهم ما يريدون.

قال الابوان: "حسناً، وعليكم ان تبدأوا التفكير في ما يجب ان نأخذه معنا من طعام للغداء."

كان رسم الدخول في العادة ١٥،٩٥ دولاراً يخفض الى ١١،٩٥ دولاراً لكل فرد بقسيمة من "ادارة مشوهي الحرب". وهذا يجعل مجموع رسم الدخول يزيد قليلا على ٢٠٠ دولار. اذا في وسعهم الذهاب في هذه الرحلة. واتصل راي هاتفياً بمدينة العجائب ليتأكد من امكان ايقاف السيارات في مكان قريب من المدخل بحيث يستطيع جوشوا ودورين وتالي

وميشيل ان يبلغوها في كراسيهم ذوات العجلات.

سئل راي على الهاتف: "هل أنتم من مؤسسة رعاية اجتماعية؟" فاجاب: "كلا، بل نحن عائلة واحدة." وران صمت مشوب بالريبة على الطرف الآخر من خط الهاتف ثم تابع المتحدث: "حسناً، لدينا رسم خاص للبيوت الكبيرة. والاولاد المعاقون يدخلون مجاناً. سنرى اذا كان في وسعنا ان نفعل شيئاً من اجلكم."

لكن ادارة مدينة العجائب الكندية فعلت شيئاً تجاوز ما كانوا يحلمون به. وفي مقابل رسم بلغ ١٠٠ دولار فقط سمح لهم بركوب جميع عربات اللهو ومشاهدة كل الاستعراضات.

وعندما ركب الاولاد القطار الافعواني السريع(٥) وقف راي وجينا يراقبانهم. وحين انطلقت المركبة كان تفكير الزوجين متطابقاً: "ان جوشوا محروم أي وزن في ساقيه، وحين تهبط المركبة على المنحدر فانه سيسقط منها."

وصاحت جينا وهي تلصق وجهها بكتف زوجها: "اوه يا راي، لا أقوى على النظر. انا واثقة بأنه سيسقط من المركبة." وحاول المشرف على تسيير المركبة ان يوقفها، لكن الوقت فات.

ولكن لم يكن ثمة داع الى القلق. فجوشوا المعتمد على نفسه دائماً تعلق بالمركبة بقوة. وليندا الجالسة الى جانبه طوقته بذراع واقية فوق ركبتيه لتبقيه في أمان.

كان يوماً مدهشاً. وعاد الجميع الى السيارات مرهقين ومبتهجين بعدما أقفلت بوابات مدينة العجائب منهية اثنتي عشرة ساعة لا تنسى.

نهار الأحد جلست جينا الى مكتبها في غرفة ملاصقة للمطبخ واخرجت ملفاً آخر. انه ملف طلبات للمساعدة من اجل تسديد ثمن اطراف اصطناعية.

وفيما هي تعمل غفا باتريك في اريكة بجوارها وهو يقبض على دمية دب محشوة وجلست تالي على ارض الغرفة وهي تمسك بقلم بين اصابع قدمها اليمنى. انها تخط رسالة ايضاً، لكن فقدان النشاط في البيت أضحى مضجراً.

وتقول تالي: "أماه، أشعر بصداع." وتضيف وفي ظنها ان امها لم تستوعب خطورة الأمر: "الصداع يعني ان ثمة الماً في الرأس." وتضحك جينا وتمد يدها لتداعبها. لقد عملت جينا ما يكفي ليوم احد، وعليها ان تنظم النزهة التي خططت لها العائلة بعد الظهر في الحديقة العامة القريبة.

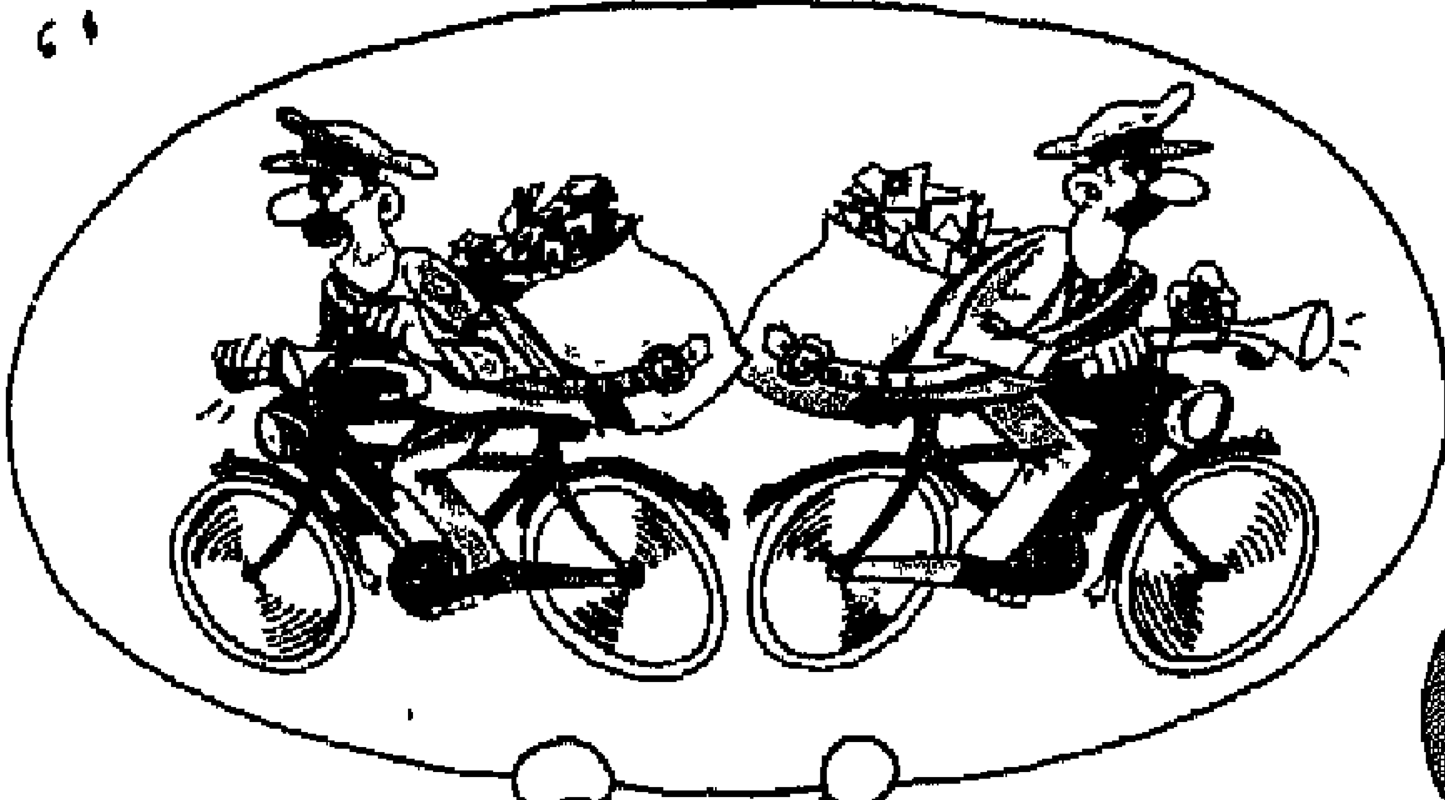
احتل الاولاد وراي وجينا وصديقان للعائلة بضع طاولات في الحديقة. وبعدما جلست جينا مع الصديقين لتستمتع بكوب من المرطبات، التفتت الى حيث كان راي ينظم لعبة كرة القدم وهي تتساءل كيف عثر على العدد اللازم من اللاعبين. وفجأة ومضت الفكرة في بالها وشهقت: "يا الهي! انهم جميعا لي! الفريق كله من أولادنا!".

واستراحت وهي تبتسم. ماذا يخبىء لها الغد؟ لا أحد يعلم. لكن اليوم كان سعيداً، بل انها ثماني عشرة سنة سعيدة.

ايلين بتيفرو ■

(٥) Roller coaster

اكتب واربح





هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

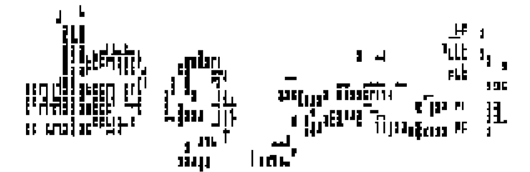
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.



- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.



"أوراق الكرمة" للهولندي هانس كروندر

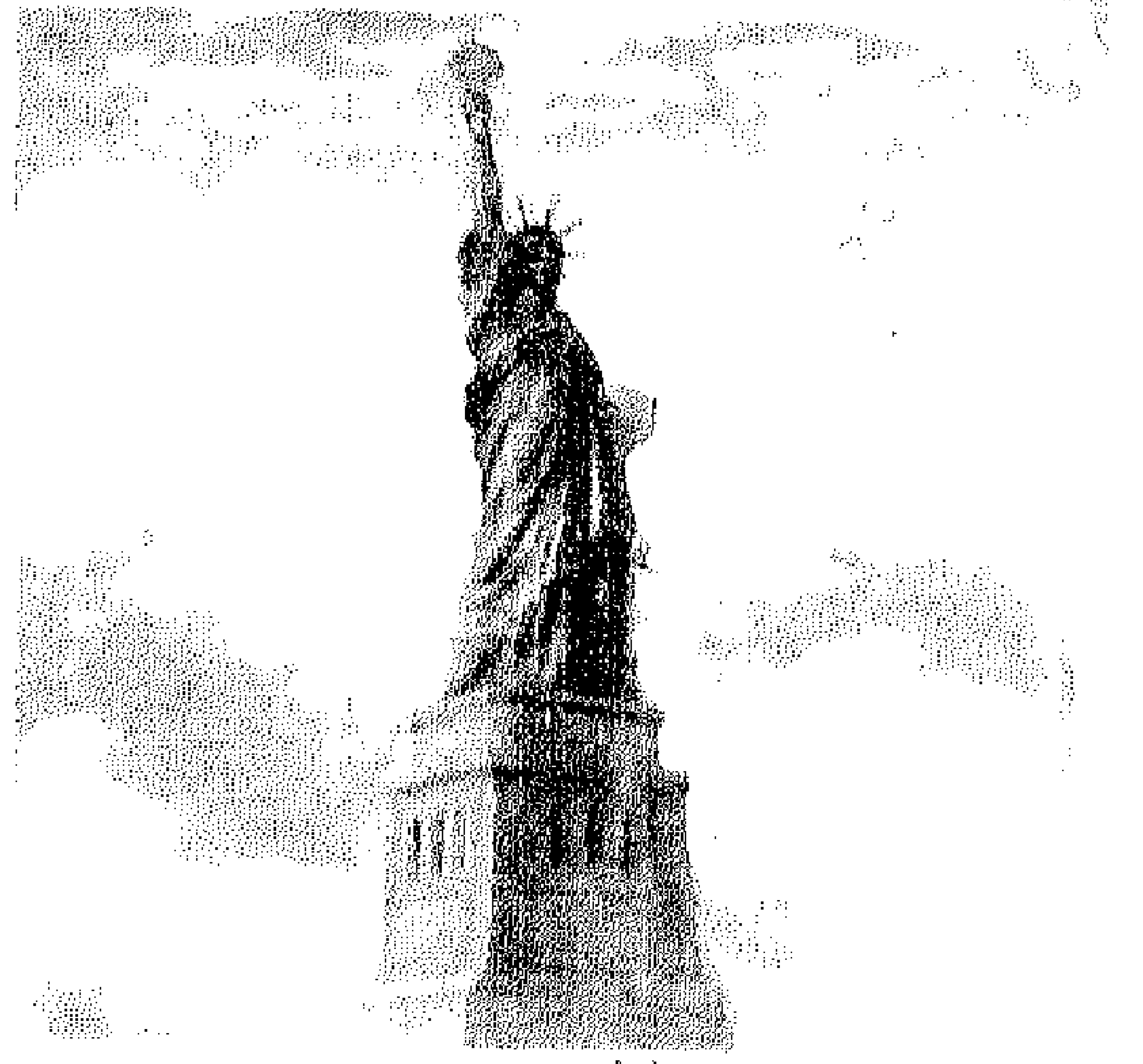
أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦، صفر ١٤٠٧

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest October 86 N° 95



سيدة الحرية

(ص ١١٢)

(ص ١١)

الرشاقة العصرية
فطور شهي
وغداء رياضي!

(ص ٤٢)

اكثر من مئة مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٩ بلداً بـ ١٥ لغة

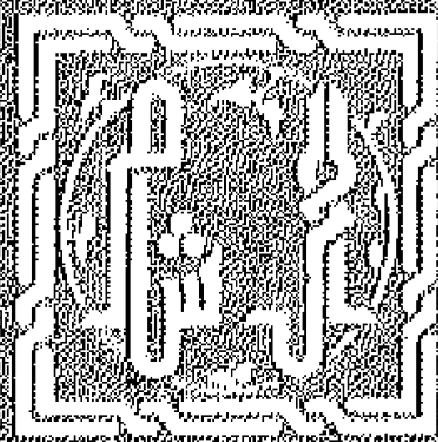
فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة، بل إنه مدينة قائمة بذاتها .. صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت تستريح في غرفتك أو كنت منهمكاً في عملك .. فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية .. ولا تنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار فنية تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها.

للحجز: فندق الشام – ص.ب [illegible]
تلكس: [illegible]
رقم الهاتف: [illegible]
تلكس الرسائل: [illegible]



فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠
التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22286 LE.
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630
P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.
MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

October 86 N° 95 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

ثمن العدد

لبنان ١٠ل - سورية ١٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

شارب بالتأكيد



"الروك الصاخب يتطلب قوة!"



"زواج الفيغارو" يتطلب ٤ ساعات من الاستماع المتواصل!

◄ اسأل أي هاو للموسيقى ثم اطلب شارب WF-939Z

٦٠٠ واط إقصى قوة خرج (PMPO) موسيقية مدوية، عكس اوتوماتيكي مزدوج لأربع ساعات من الاستماع المتواصل.

٦٠٠ واط اقصى قوة خرج تفوق متطلبات موسيقى الروك المدوية، نظام كاسيت مزدوج وعكس اوتوماتيكي مزدوج يحافظان على تواصل المقاطع السمفونية لأربع ساعات متتالية.

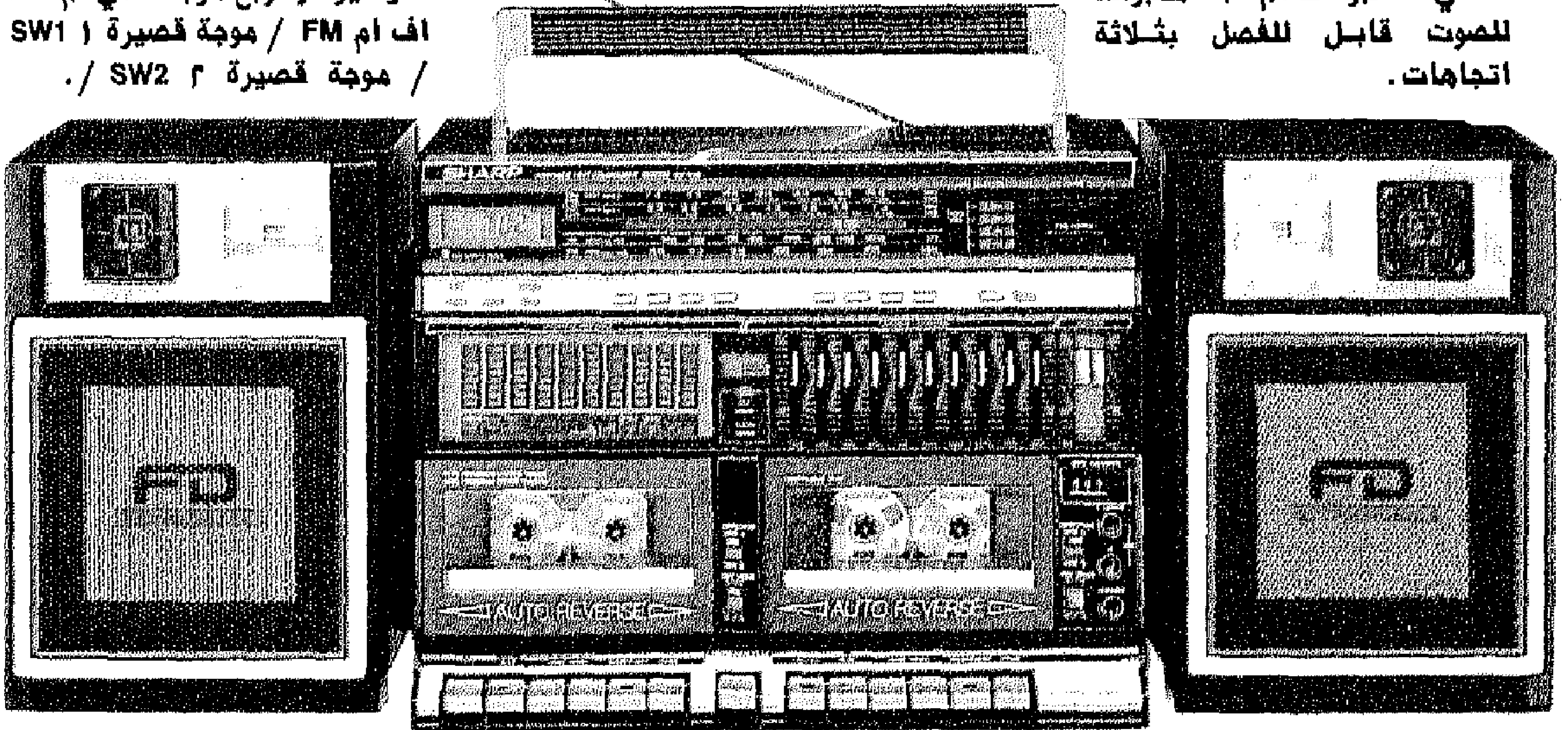
صوت مجسم مذهل يضاهي الأداء "الحي" عبر نظام ٦ مكبرات للصوت قابل للفصل بثلاثة اتجاهات.

النظام المتطور لمكبرات الصوت الستة ذو الاتجاهات الثلاثة والغشاء المسطح هو قابل للفصل من اجل افضل عرض صوتي مجسم ومهيأ لاستعمال النطاق الواسع والمتغيّر باستمرار من الاسطوانات المدمجة.

موازن تخطيطي ذو ١٠ موجات ومحلل موجي ذو ١٠ نطاقات للتردد يؤمنان ضوابط للنغم شبيهة بمواصفات ضوابط الستديو.

استعملهما لتوليف الصوت او الاستماع الى اصوات او آلات معينة لخلق الصوت الذي يناسبك.

WF-939Z نظام هاي - فاي نقال مزدوج الكاسيت.
- ساعة كوارتز ومؤقت برامج.
- جهاز تحديد موقع البرنامج اوتوماتيكيا (APLD)
- نظام الايقاف اللحظي الاوتوماتيكي للبرنامج (APPS)
- نظام بدء النسخ بلمسة واحدة.
- راديو ذو اربع موجات اي ام AM اف ام FM / موجة قصيرة ١ SW1 / موجة قصيرة ٢ SW2 /.



شارب
SHARP
شركة شارب . اليابان



حديقة أفكار

■ الايمان هو المرشد الذي يَفْضُل العقل. فللعقل حدود، أما الأيمان فلا حدود له.
بليز باسكال، فيزيائي وفيلسوف فرنسي

■ أفضل ما تمنحه للاولاد، بعد العادات الصالحة، هو الذكريات الجميلة.
سيدني هاريس

■ الحسد لا يلتهم الا ذاته.
مثل الماني

■ الصديق هو الشخص الذي لا يفيدك شيئاً وعلى رغم ذلك تستمتع بوجوده.
ا.م.

■ معظم الناس يقولون ان المرء حين يتقدم في السن يتعيّن عليه أن يتخلى عن أشياء كثيرة. لكني أعتقد أن المرء يتقدم في السن لانه يتخلى عن هذه الأشياء.
السناتور تيودور غرين

■ الامتنان الصامت لا خير فيه لأحد.
ج.ب. ستيرن

■ احذر الصبور اذا غضب!
جون درايدن

■ عندما تكون أفكار جميع الناس متشابهة فان أحداً منهم لا يفكر كثيراً.
و.ل.

■ مآسي التاريخ الكبرى تحصل ليس عندما يواجه الحق الباطل، بل عندما يواجه الحق حقاً آخر.
هنري كيسنجر

أصدقاء النهر

لكل قرية أو مدينة أبطال لا ينسون.
وهنا سيرة ثلاثة منهم

حلم مليونير

أدرك المليونير العصامي فجأة وهو على المنصة في قاعة الاجتماعات في احدى مدارس حي السود "هارلم" في نيويورك أن كلمة التخرج التي أوشك أن يلقيها في ٥٩ طالباً هي هراء. كان عازماً أن يقول لهم انه هو أيضاً درس قبل نصف قرن في تلك المدرسة الرسمية وكد واجتهد وجنى أموالا كثيرة بسرعة، وإن في وسعهم ان هم حذوا حذوه وسهروا الليالي واضطروا أحياناً الى تعاطي العقاقير المنبهة، أن يبلغوا ما بلغه من نجاح.

لكن يوجين لانغ الصناعي اللامع ذا التوجه العملي الجاد، بدل أن يقول لهم هذا الكلام وقف أمامهم ليعلن من المنبر استعداده لدفع الاقساط الجامعية عن كل طالب منهم يتابع دراسته. انه باختصار عرض أن يعلمهم في الجامعة على حسابه.

خيم على القاعة ذهول قطعته شهقات مسموعة، ثم انطلق الجميع من أهل وأساتذة وطلاب في هتاف صاخب واندفعوا نحو الخطيب يعانقونه ويقبلونه حتى انه أعلن لاحقاً أنه لم يسبق أن قبل هذا العدد من الاغراب من قبل.


يوجين لانغ

انقضت على هذا الخطاب خمس سنوات. والطلاب هم الآن في السنة قبل الاخيرة من الدراسة الثانوية. وجميعهم، ما عدا تسعة انتقلوا مع عائلاتهم الى خارج مدينة نيويورك، يقصدون مكتب يوجين من وقت الى آخر ليتباحثوا معه في موضوع الجامعة. وكل واحد من الطلاب الخمسين

الذين بقوا في المدرسة حصل علامات تخوله دخول الجامعة، وهو أمر لافت نظراً الى ارتفاع نسبة الطلاب من ذوي الدخل المحدود الذين يغادرون المدرسة باكراً.

في اعتقاد الطلاب أن هذه الخطوة أثمرت نتائج جيدة لان معظم الذين يقطنون في جوار المدرسة يتخلون في سن مبكرة عن فكرة دخول الجامعة ليقينهم انها فوق طاقتهم المادية. وفي ذلك يقول يوجين، وهو رجل مقتصد يؤمن بادخار المال ويفضل ركوب الحافلة على ركوب سيارات الليموزين الفخمة: "لا أحب أن أرى لجاماً على الانسان. واعتقاد الطالب أنه عاجز عن تحمل تكاليف الجامعة - فلا طائل إذاً من محاولة دخولها - هو في ذاته لجام."

والاهتمام المستمر الذي يحظى به الطالب عند يوجين (٦٧ عاماً) ومساعده في "برنامج الشباب" جوني ريفيرا (٤٣ عاماً) يؤدي دوراً مهماً. وعمل يوجين يقتضي أن يظل على اتصال مستمر مع الطلاب وأهلهم. ويقول أحد الطلاب: "لا تنفك والدتي تذكرني بفروضي البيتية وتردد علي أنها ستنكرني ان لم أفد من هذه الفرصة المتاحة لي."

الوعد الذي قطعه يوجين على نفسه وجد له عنوانا: مشروع "عندي حلم." ويعتقد لانغ أن الفكرة أثبتت نجاحها. ويسره جداً أن يتمثل الاخرون برئيسه ويحذوا حذوه في هذا المضمار.

وليم غيست

في "نيويورك تايمس" ■

أصدقاء النهر

اذا قصدت بلدة كنكاكي الصغيرة في ولاية ايلينوي جنوب مدينة شيكاغو في أي من عطل نهاية الاسبوع في شهر يونيو (حزيران) من كل سنة، فسترى جماعات من الرجال والنساء والاطفال مكبين على تمشيط ضفاف نهر كنكاكي. وربما تبادر اليك أنهم يبحثون عن الذهب. لا، انهم يبحثون عن القمامة. وفي نهاية النهار يكون بضع مئات من سكان المنطقة أزالوا نحو عشرة أطنان من الاوساخ وحطام السفن وحرروا ذلك الجزء من النهر الذي يمر في ولايتهم على امتداد ٩٧ كيلومتراً من كل ما علق به من شوائب.

حملة التنظيف هذه من بنات أفكار ستانلي جيمس وزملائه أعضاء "جمعية الصيد بالصنارة" في شمال ايلينوي الذين سئموا رؤية القمامة تطفو على مياه النهر وتغطي ضفافه فعقدوا العزم على التخلص منها.

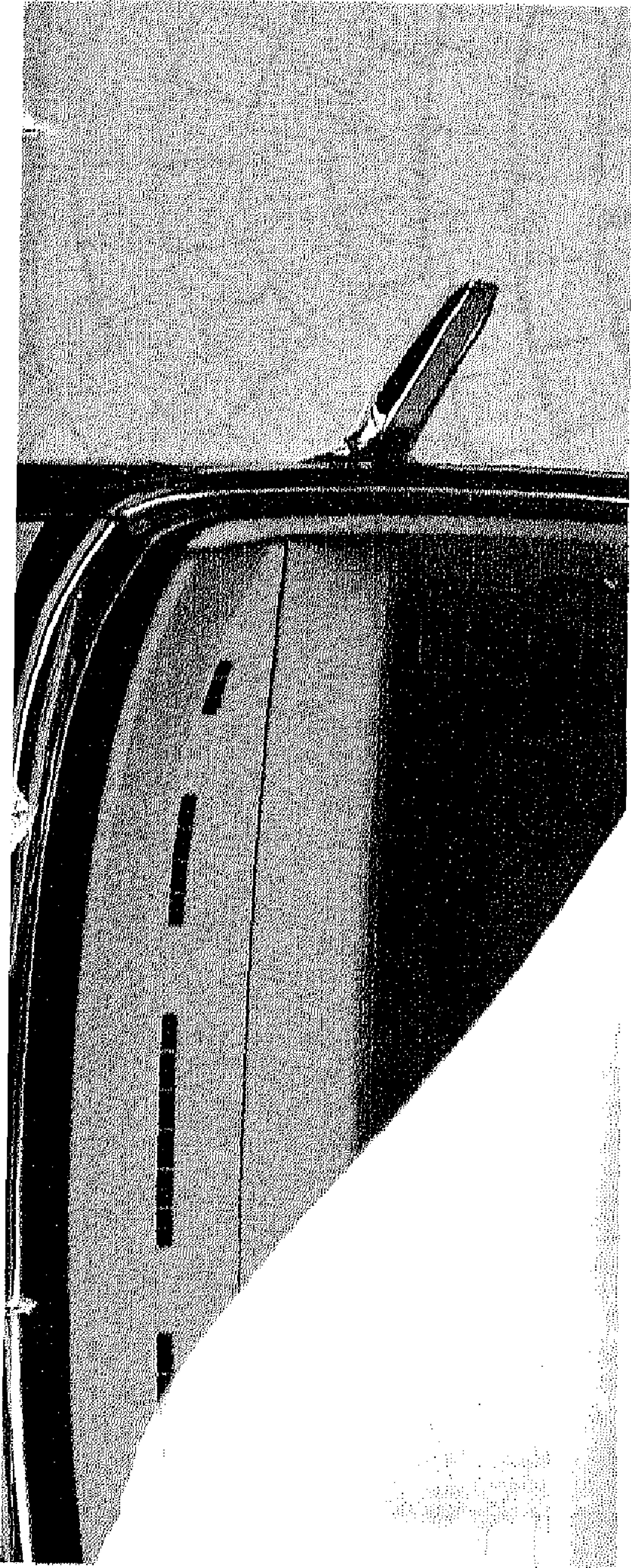
من أجل ذلك اجتمع ستانلي بالوجهاء المحليين وأقنعهم بأن "النهر في حاجة الى من يعتني به." وفي اليوم المحدد لبدء حملة التنظيف حظي ستانلي بتغطية إعلامية إذ احتلت أخبار الحملة الصفحات الاولى في الصحف المحلية



ستانلي جيمس

Photo: Catharine Reeve

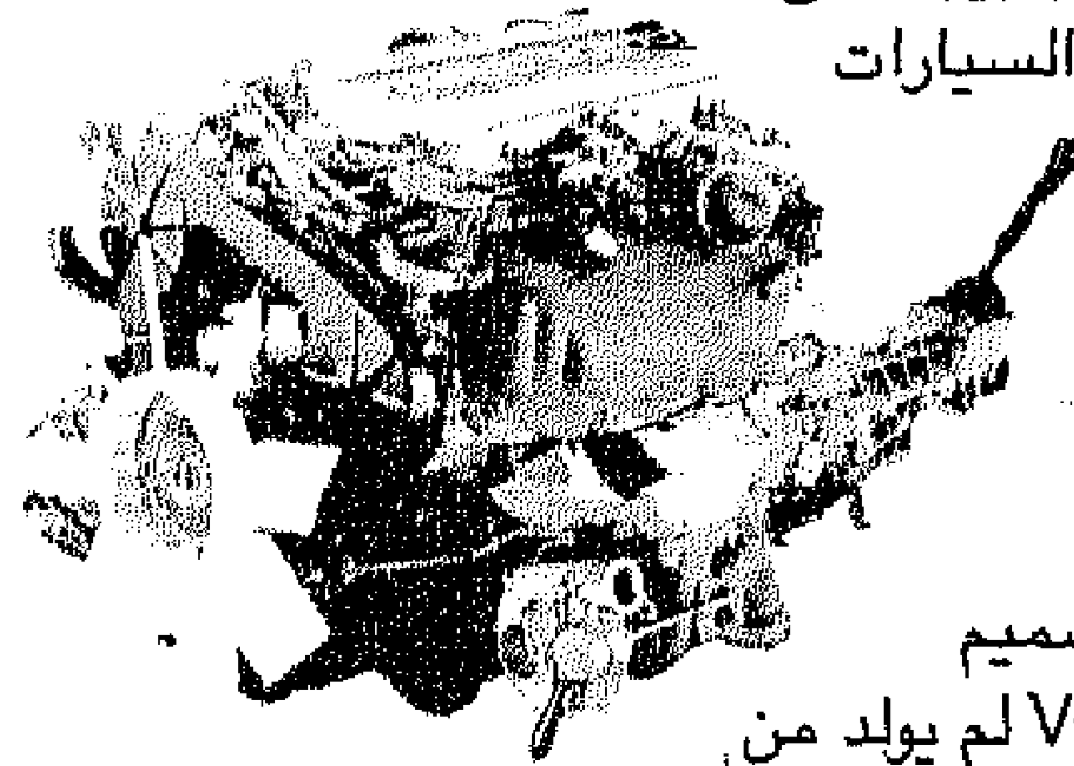
آفاق ن



الابتكار

يختار الناس سيارات نيسان لأسباب مختلفة.

فبعضهم يرى فيها القوة والاداء، ويرى فيها البعض الاخر أناقة الشكل والتكنولوجيا المتقدمة. وكل من هؤلاء على حق. لأن سيارات نيسان تحتوي على كل هذه العناصر مجتمعة. فمحركات VG30ET مثلاً، ليست قوية وحسب بل تجمع بين القوة والهدوء والدقة. لقد قدم المحرك V6 ذو القوة الهائلة والذي يعمل بالكومبيوتر على انه فتح جديد في تكنولوجيا السيارات ومع ذلك فهو صغير الحجم، خفيف الوزن، اقتصادي في الوقود وهادىء جداً أثناء تشغيله.



إن محركات VG30ET تستخدم احدث منجزات التكنولوجيا لتحقيق ادائها ودقتها غير العادية

وباختصار فإن التصميم المبتكر للمحرك VG30ET لم يولد من مجرد الرغبة في نيل اعجابك بقوته فقط، بل هو ابتكار يمنحك الافضل في كل شيء.

فلا عجب إذن أن يكون مطلوباً بشكل كبير من جانب سائقي السيارات الذين يرغبون في الموازنة بين القوة ورهافة الحس التكنولوجي.

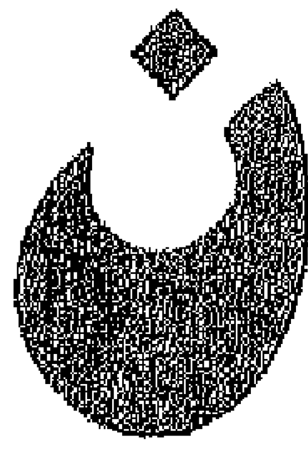
ومثل ملايين السائقين في جميع أنحاء العالم، إجعل نيسان إختيارك الأمثل ففي كل سيارة منها يمكنك إيجاد مزايا غير مرئية لكنها حقيقية وتتفرد بيها نيسان عن الاخرين — إنها آفاق نيسان.

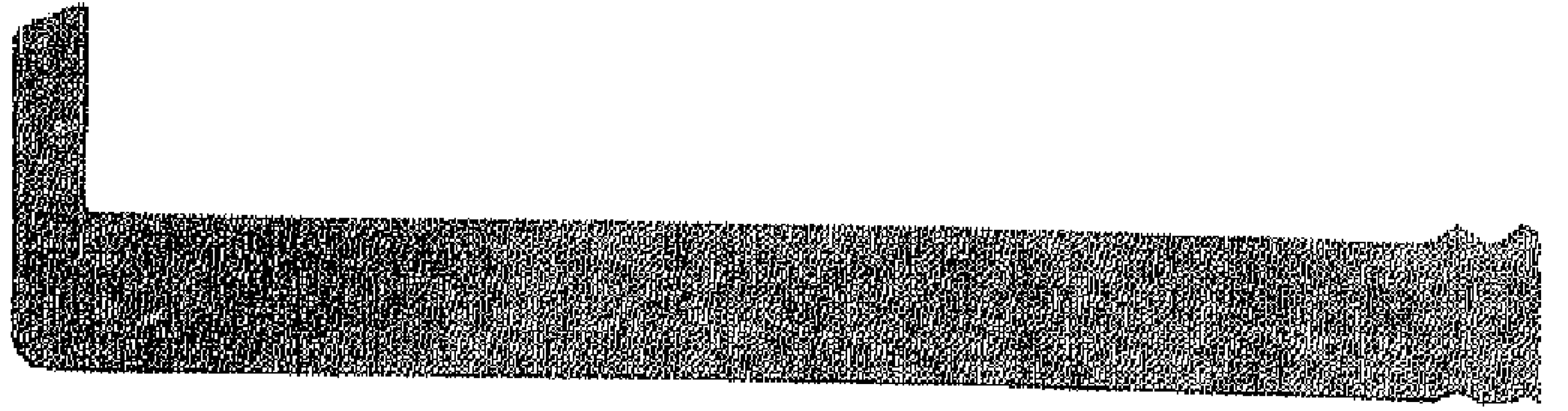
الجودة في حركتها



نيسان

نيسان
الاختيار الأمثل





واستقطبت الكثير من المتطوعين وعدداً من الزوارق لنقلهم ومئات الصناديق لجمع النفايات وعدداً من عمال التنظيفات الصحية. ولكي يخفف من مشقة العمل ويجعل المتطوعين أكثر تقبلا حصل على تبرعات بالمرطبات والشطائر.

أولى حملات النظافة نفذت عام ١٩٨٣ واقتصرت على ٨١ كيلومتراً من النهر المتعرج. وفي العام ١٩٨٥ أضيفت اليها الكيلومترات الستة عشر المتبقية. وكمية النفايات الملتقطة من النهر تقل سنة بعد سنة، ويعتبر نهر كنكاكي الآن من أنظف الانهر في الولاية.

وستانلي رجل نشط مديد القامة في الخمسين من عمره، وهو يرى تحسناً ملموساً ويقول: "دع الناس يلمسون اهتماماً لينتفي شعورهم باللامبالاة. عندما وصلنا في العام الماضي وجدنا أن كثيرين من مالكي الارض عملوا على تنظيفها، وهم بادرونا: لقد انتهينا من العمل هنا ويمكنكم متابعة الطريق."

كاثرين ريف

في "شيكاغو تريبيون ماغازين" ■

الصديقة شيلا

كارين ماكنز (١٦ عاماً) مصابة بداء لافورا النادر الذي يصيب الجهاز العصبي المركزي ويتلفه. وهي أمضت تسعة أشهر في المستشفى. وتدهورت حالها يوماً بعد آخر الى أن سألت والديها: "هل سأموت؟" وأخبرتها والدتها بربارة الحقيقة. فلم تعد كارين تبغي سوى العودة الى البيت. ومع علم والديها أن صندوق الدولة الذي ساهم في دفع تكاليف المستشفى لن يغطي تكاليف المعالجة في المنزل، فانهما أرادا أن يحققا لها امنيتها. وعندما اجتازا بها الباب الامامي للمنزل ابتسمت كارين للمرة الاولى منذ أشهر.

علمت شيلا بيترسن صديقة آل ماكنز بالمصيبة التي حلت بهم وعرضت عليهم المساعدة. ولما كان العثور على ممرضات استغرق معظم وقت بربارة ولم يترك لها متسعاً للاهتمام بابنتها فانها قبلت العرض شاكرة.

أخذت شيلا على عاتقها ليس فقط العثور على ممرضات، بل أيضاً جمع التبرعات لتأمين العناية بكارين. والنداء الذي وجهته في الصحف لقي استجابة عارمة، وانهالت التبرعات مما اقتضى اقامة صندوق خاص اطلقت عليه شيلا اسم "أصدقاء كارين."

بقيت كارين ١١ شهراً على قيد الحياة بعد مغادرتها المستشفى. وتقول بربارة انها "كانت أشهراً سعيدة" لابنتها. وتضيف: "وذلك بفضل شيلا."

استمر الناس في إرسال التبرعات بعد وفاة كارين مما حدا شيلا على البحث عن شخص آخر يحتاج الى مساعدة. ثم ارسلت اليها بربارة قصاصة من صحيفة كتبت عليها: "هاك ولدك الثاني." وتضمنت القصاصة خبراً



شيلا بيترسن

Photo: Courtesy Friends of Karen

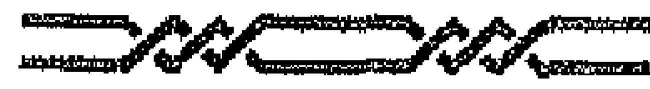
عن عائلة على وشك ان تخسر منزلها لمعالجة احد أبنائها.

العمل الذي بدأ كبادرة تعاطف وصداقة سرعان ما أينع ليتحوّل جمعية تلتزم تقديم العون المادي والمعنوي الى ذوي الاشخاص المصابين بداء عضال.

وفي شهر مارس (آذار) ١٩٨٦ كان صندوق "أصدقاء كارين" يقدّم العون الى ٧٠ عائلة. وتقول شيلا: "انني أقيم علاقات شخصيّة مع كل عائلة تعاملت معها. ولدينا الآن أربعة أولاد على شفير الموت، وأريد أن أكون الى جانبهم." وتعترف بأن عملها صعب أحياناً، لكنها تضيف: "ان الابتسامة التي ترتسم على وجه طفل هي ما يجعل العمل يستحق العناء."

فيليبس بوكفار

في "فاميلي سيركل" و"نيويورك تايمس" ■



قصص الأشباح

يبدو أن قصص الاشباح المحببة الي تحدث في البيوت القديمة القائمة على شاطىء البحر. وتبدأ هذه القصص عادة على هذا النحو: "كان ذلك بيتاً قديماً تصدر عنه قرقعة كلّما هبّت عليه الريح. وكان الضباب يضغط نوافذه وكان نواح صفارة الضباب ممضاً وحزيناً كصوت وحش ضخم يحتضر في المستنقعات."

لكن ما سأرويه الآن حدث تماماً. كان ذلك حقاً بيتا قديماً قرب البحر، وكان يقرقع ويجري فيه كل ما ذكر أعلاه. ووقع هذا الحادث لي. وكل كلمة فيه صحيحة.

أطفأت النور بجانب سريري وغفوت مدة ساعة أو نحوها قبل أن توقظني صفارة الضباب وهمسة زوجتي: "ثمة شخص ما على الشرفة."

هبطت الى الطبقة السفلى وولجت وراء الستارة ثم نظرت الى الخارج. أمكنني أن أرى شكل رجل في الظلام. بدا بحاراً قديماً من سفينة غارقة، وقد التصقت نباتات مبللة بمعطفه الذي يقطر ماء، واستنتجت على الفور أنها طحالب بحرية. وكان خيط من الدم يسيل على جبهته، وارتسمت على وجهه علائم اختلط فيها الارتباك بالقنوط.

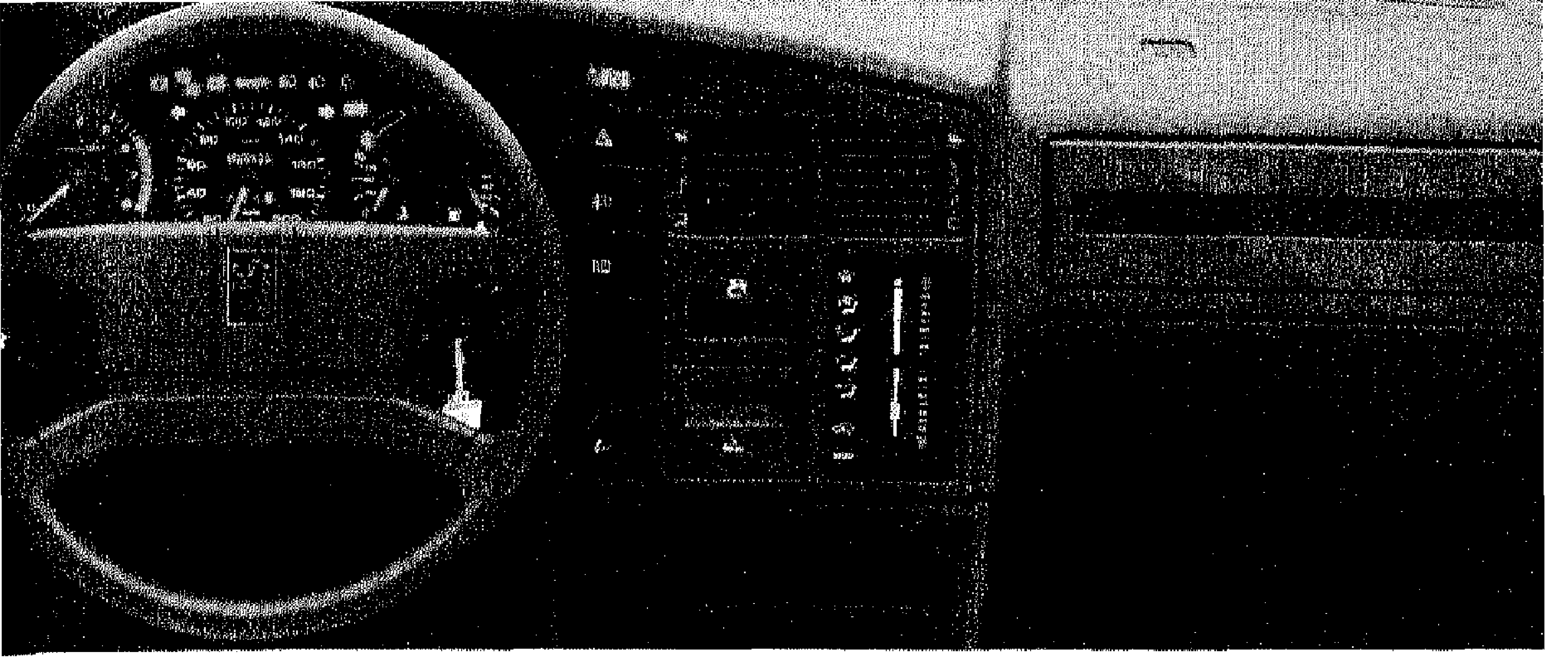
فتحت الباب على مهل وقلبي يخفق بسرعة. وخاطبت الشبح بقلق واضطراب. كان الأجدر بي أن أقول: "ما أنت؟" غير اني قررت أن أكتفي بالتحية المتبعة فقلت: "مرحباً." وكنت قرأت الكثير من قصص الاشباح لأدرك في هذا الموقف أن الشبح يرفع يده ليمسح جبينه، ويتردد وهو يجهد نفسه ليتكلم ثم يتلاشى ببطء. لكن هذا الشبح رد علي: "عفواً، هل استطيع استخدام هاتفك؟"

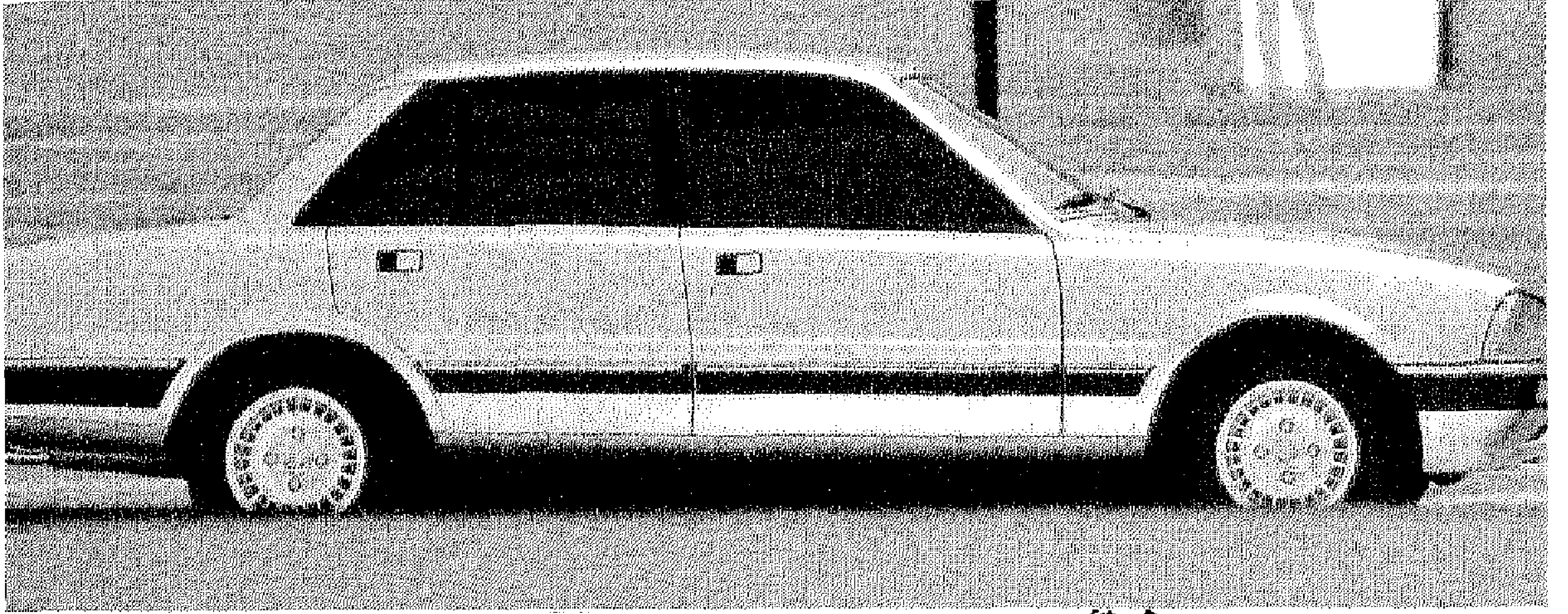
كلمة الخيبة لا تفي بوصف شعوري. كان ذاك صياداً من نوفاسكوشيا (كندا) اصطدم زورقه بالشاطىء في الضباب حين نام الرقيب، واضطر الى شق طريقه وسط الاشواك الى أقرب بيت لاح له ليعلم خفر السواحل بما أصابه. وأخفت اللياقة ما اجتاحني من خيبة مريرة فسمحت له باستعمال هاتفي.

سررت لأني لم أتصرف بغباء كلي. ماذا كان حدث لو لم أتمالك نفسي وصحت به: "تكلم... اني أدعوك... هل أنت من العالم الآخر؟"

فيرد "كلا، بل من المجمع السكني الجديد شمال هاليفاكس."

د.ك.







المختار
من ريدرز دايجست
اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

نهضة الإسلام في الصين

انتشر الاسلام في الصين منذ القرن السابع، حمله اليها التجار العرب. وواجه المؤمنون هناك صعاباً كثيرة من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وفي العام ١٩٨٤ حدث انقلاب جذري في سياسة الحكومة وبات المسلمون ينعمون باستقلال ذاتي في مناطقهم

■ في لانزهو مسجد للمسلمين على سفح إحدى التلال على ضفاف النهر الاصفر مهد الحضارة الصينية.

■ في كسيان، العاصمة السابقة لاحدى عشرة سلالة، نشاهد الجامع الكبير وهو واحد من أكبر مساجد الصين وأقدمها، ويؤمه الزائرون باعتباره جزءاً من التراث الوطني الصيني. ونشاهد في الجوار تماثيل من الفخار بالحجم الطبيعي تمثل جيش الامبراطور كين شي هوانغدي الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد.

■ في واحة توربان الواقعة على طرف صحراء غوبي نرى الفتيان يقلبون قبعاتهم الماوية استعداداً للصلاة ثم يسجدون في اتجاه مكة المكرمة في مسجد يشبه فسطاطاً لسلالة كينغ.

والاسلام في الصين عريق ويعود الى القرن السابع حين بدأ التجار العرب يبحرون في الرياح الموسمية عبر المحيط

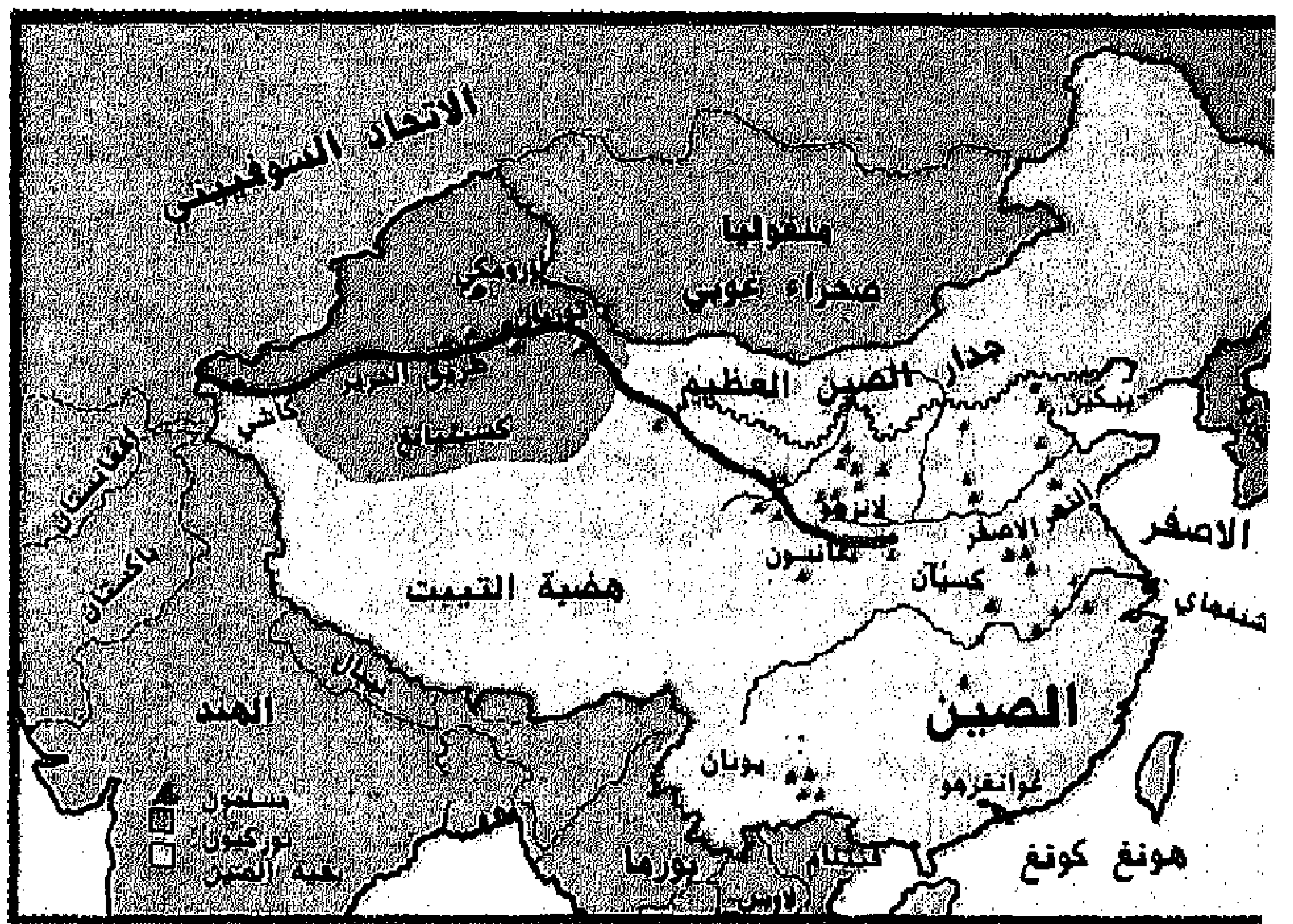
الهندي ويعرّفون سكان المدن الصينية الساحلية بالدين الجديد. ولم يلبث الاسلام ان انتشر في الداخل بواسطة تجار مسلمين آخرين كانوا يعبرون "طريق الحرير" القديمة. وهو اليوم دين عشر فئات من الاقليات الصينية التي يبلغ عددها خمساً وخمسين. وجاء في آخر إحصاء سكاني أجري عام ١٩٨٢ أن عدد المسلمين في الصين يزيد على ١٤ مليوناً.

مصلّون وحجاج - الاسلام في الصين هو الآن في طور نهضة. فخلال الثورة الثقافية (١٩٦٦ - ١٩٧٦) تعرض كثير من المساجد للتشويه والهدم والاغلاق. أما اليوم فلا يقتصر الامر على اعادة فتح المساجد، بل تعدى ذلك الى تجديدها وإعادة بنائها. وتحملت الحكومة جزءاً من النفقات وأعيد طبع القرآن وتم توزيعه. ويمكن المرء أن يعثر على نسخ منه مثلا في إحدى الساحات الرئيسية بعاصمة أورومكي الريفية حيث يُبذَل جهد كبير لترميم ثلاثة من مساجد المدينة التي يبلغ عددها مئة وخمسة وستين.

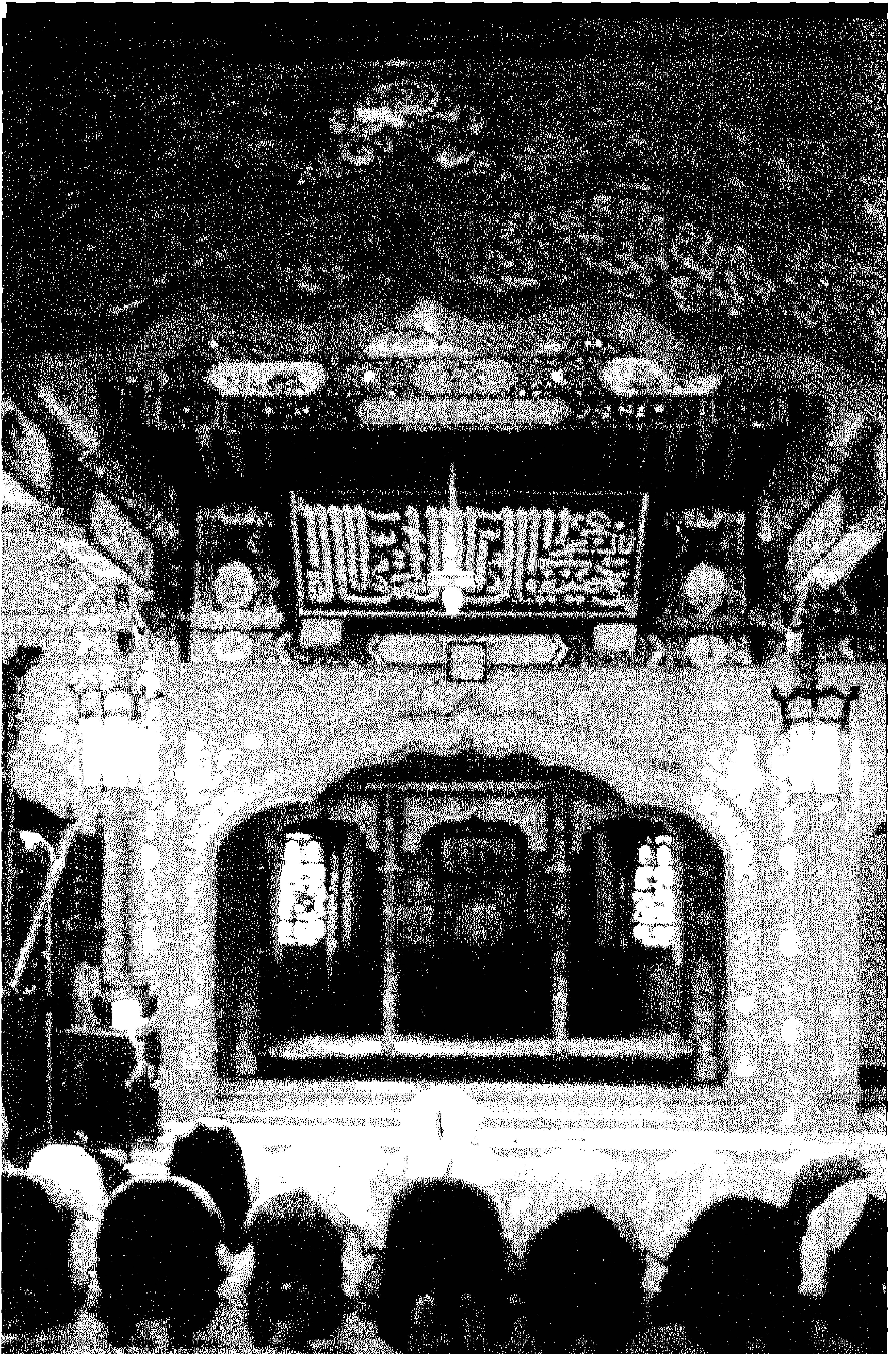
ويذكر شيوخ الدين أن عدد المصلين الآن يزيد على ما كان قبل الثورة الثقافية. وفي مسجد نيوجي، وهو أكبر المساجد الستة والاربعين التي يؤمّها مسلمو العاصمة بيكين الذين يبلغ عددهم ١٨٠ ألفاً، يحضر صلاة الجمعة ما يراوح بين خمسمئة وستمئة مؤمن. وفي اقليم كسينيانغ الصحراوي الواسع يسمع صدى دعاء المؤذّن في الواحات، وتمتلىء المساجد بالمصلين في مدن ممر غانسو.

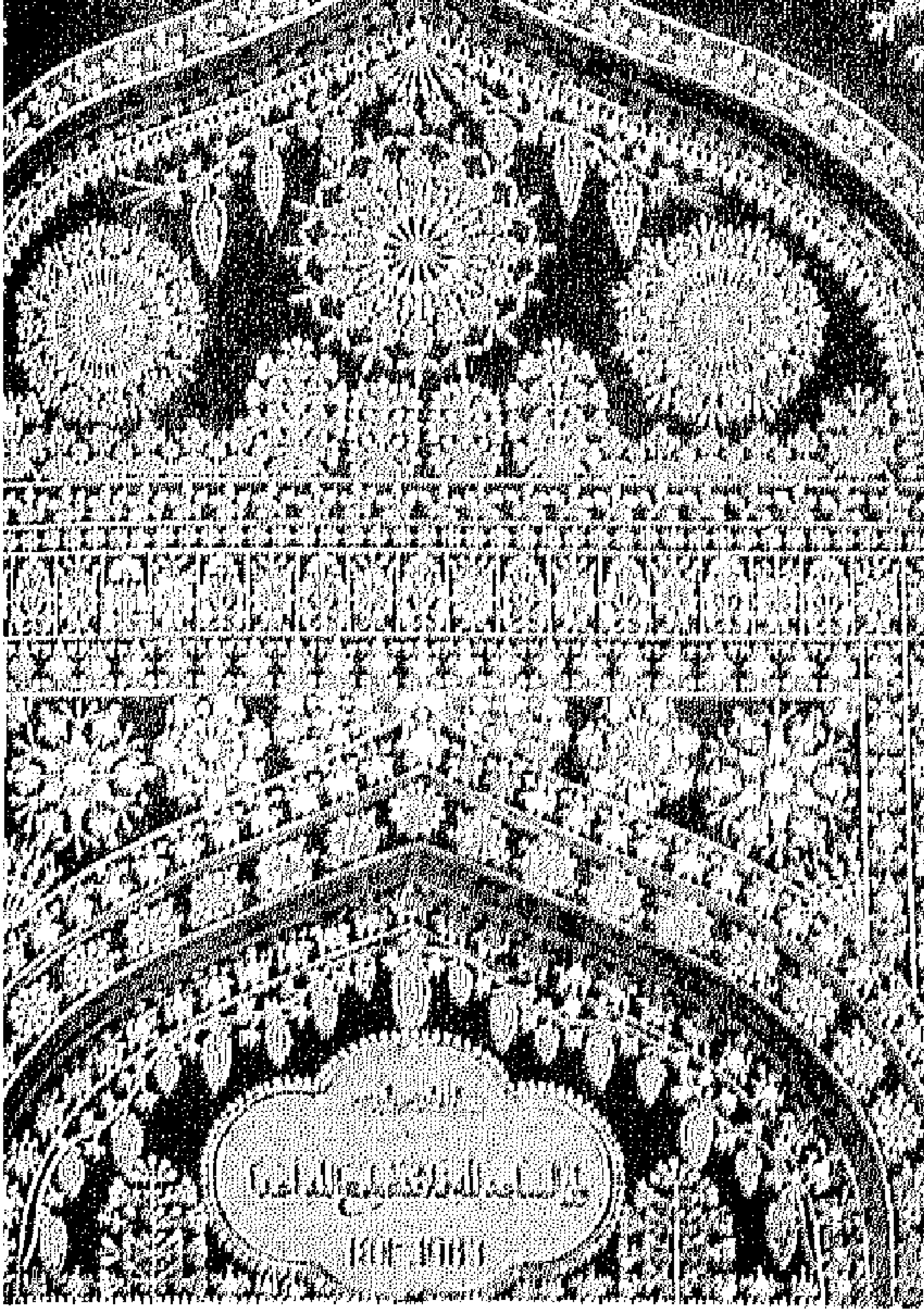
وعدد الحجاج الى مكة المكرمة آخذ في الازدياد(★) على رغم القيود التي تضعها الحكومة على المواطنين الذين يغادرون البلاد. وتشهد الصين اليوم دفقاً جديداً من الشباب المنصرفين الى الدراسات الاسلامية. فمدرسة لانزهو الاسلامية تستوعب أربعين طالباً وليس فيها أي

(★) أكثر من ١٩٠٠ حاج عام ١٩٨٥.



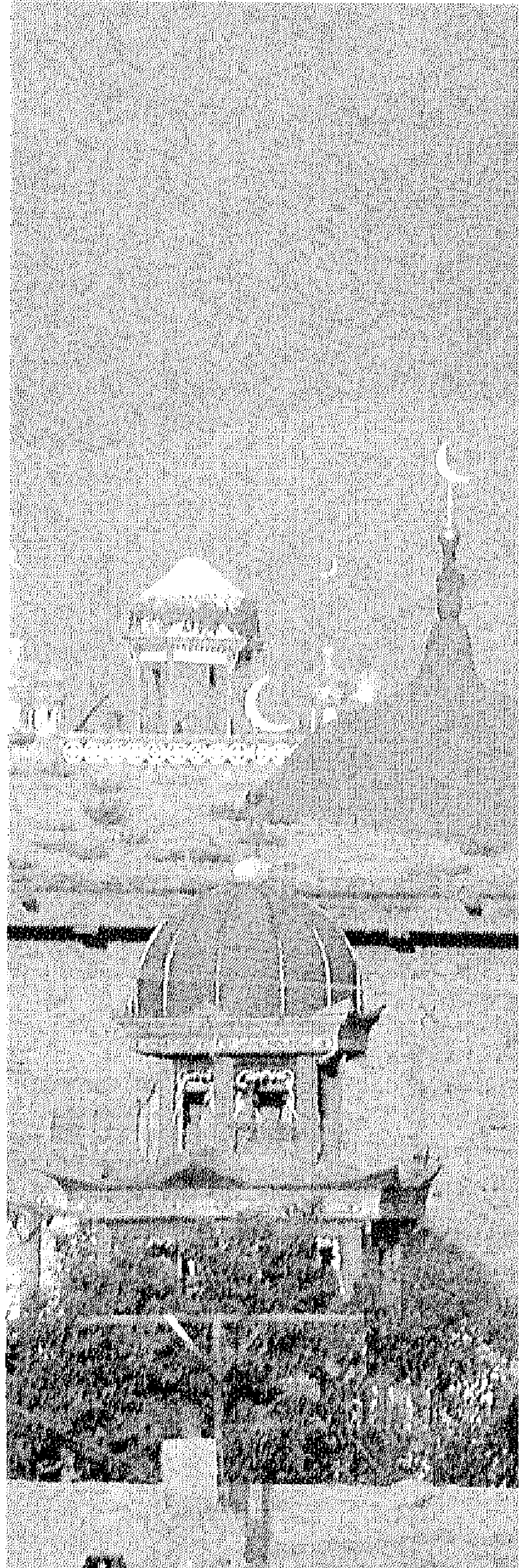
مسلمون صينيون يصلّون تحت مصابيح شرقية في مسجد نيوجي في بيكين الذي بني في القرن العاشر وتمّ تجديده قبل بضع سنوات.



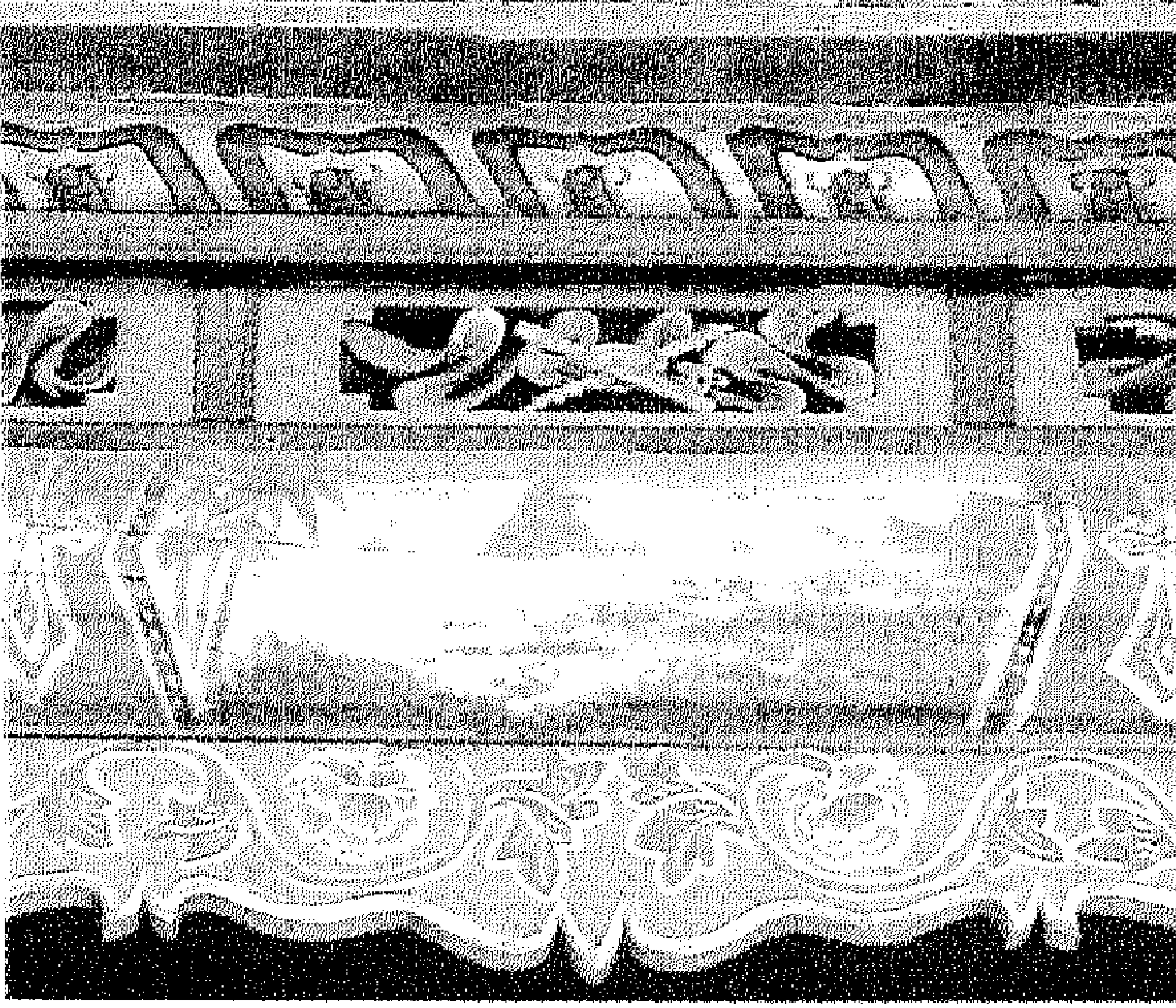




قبعة من الطراز الماوي قلبت للصلاة



في أورومكي قرب الحدود السوفييتية تبدو قباب المساجد بألوانها الزاهية تسطع في الافق.



الى اليسار، نقوش وزخارف داخل المساجد تعكس تأثير تقليدين فنيين عظيمين، أحدهما اسلامي والآخر صيني.

لى اليمين، نقوش العنب الذي شتهرت به الواحة تزيّن المدخل لزجاجي المزخرف المؤدّي الى سجد أويغور في توربان.

تحت،
حجار قرميد تكوّن أشكالا هندسية لى مئذنة مسجد ايمين في توربان الذي شيد في القرن الثامن عشر.



وجوه مسلمة في الصين: من اليمين، إمام وعجوز من الكيرغيز وفتاة من الاويغور وامرأة من الكازاك.

مقعد خال. وفي أحد المعاهد الاسلامية الملحقة بجامع دونغسي في بيكين يثابر أربعون طالباً على الدراسة كي يصبحوا أئمة أو شيوخاً.

وأفاد المسلمون من التساهل الذي أبدته الحكومة الصينية حيال الممارسات الدينية. ففي المناطق التي تضم أكثرية من المسلمين تحظر الحكومات المحلية على غير المسلمين تربية الخنازير. وللمسلمين مقابر مستقلة، ويحق لكل زوجين مسلمين أن يعقدا قرانهما على يد مأذون. أما العمال المسلمون فيحق لهم التعطيل في الاعياد الدينية الرئيسية.

والى المكاسب الدينية حصل المسلمون على تنازلات مدنية قدّمها حكام الصين. وهم الآن يؤدون دوراً ذا أهمية متزايدة في الادارة الاقليمية والمحلية. وفي اقليم كسينيانغ ذي الاكثرية المسلمة يتولى المسلمون معظم المناصب الحكومية.

واقع جديد — المسلمون الصينيون هم في معظمهم فلاحون أو رعاة، وقد حققوا نجاحاً على الصعيد الاقتصادي منذ اعتماد الحكومة سياسات زراعية أكثر تحرراً وزيادتها التوظيفات الصناعية في المناطق الفقيرة — والمتمتعة باستقلال نسبي — حيث يقطنون.

وتجدر الاشارة الى أنهم حققوا أيضاً مكاسب في المجال الثقافي. فهناك صحف وكتب وبرامج تلفزيونية وأفلام تطبع وتنتج بلغاتهم الخاصة. فصحيفة "كسينيانغ ديلي" تنشر بلغتي أويغور وكازاك كما تنشر بالصينية. وفي وسع الطلاب التعلم في المدارس وتقديم امتحانات الدخول الى الجامعات بلغتهم الأم. والحكومة لا تألو جهداً في المحافظة على الرقصات والاغاني الشعبية الخاصة بأقليات كسينيانغ. ومعلوم أن معظم أفراد هذه الأقليات هم من المسلمين.

والواقع أن غالبية هذه الامتيازات التي سرت سابقاً تمت المصادقة عليها في "قانون الاستقلال الاقليمي للأقليات" الذي وضعته "الجمعية الوطنية الشعبية السادسة" عام ١٩٨٤. ويقضي هذا القانون بأن يكون الرئيس الاداري

لمنطقة مستقلة - مقاطعة مستقلة أو إقليم مستقل - منتمياً الى الفئة المتمتعة بالاستقلال الذاتي في تلك المنطقة. ويحق للمناطق المستقلة أن تنمّي اقتصادها على نحو مستقل، في إطار مخططات الدولة طبعاً، وأن تسنّ قوانين تلائم خصائص تلك المناطق وحاجاتها.

إن هذا الانقلاب في سياسة الحكومة الصينية يعكس موقفاً أكثر واقعية حيال الأقليات التي تشكل ٦،٧ في المئة من السكان وتشغل ستين في المئة من أراضي الصين. ولكثير من هذه الأراضي أهمية استراتيجية (راجع الخريطة) وهي تزخر بالموارد الطبيعية. فمنطقة كسينيانغ غنية بالمعادن ومن ضمنها النفط. أما يونان التي يشكل المسلمون نسبة كبيرة من سكانها فتحوي أحد أكبر احتياطات الخشب في الصين. وقد تكون الحكومة رأت من الحكمة إبقاء هذه الاقليات سعيدة في مناطقها على أن تظلّ جزءاً من الشعب الصيني.

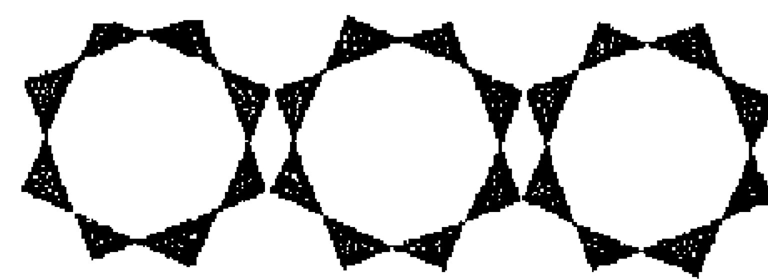
وأياً يكن الأمر فإن مسلمي الصين رابحون من هذا الواقع الجديد. وللاسلام



كتابة بلغة الاويغور في كسينيانغ.

عزة كبيرة اليوم في الجماعات التي مارست إيمانها وجبهت صعاباً كبيرة منذ القرن السابع.

جون لاوتون ■



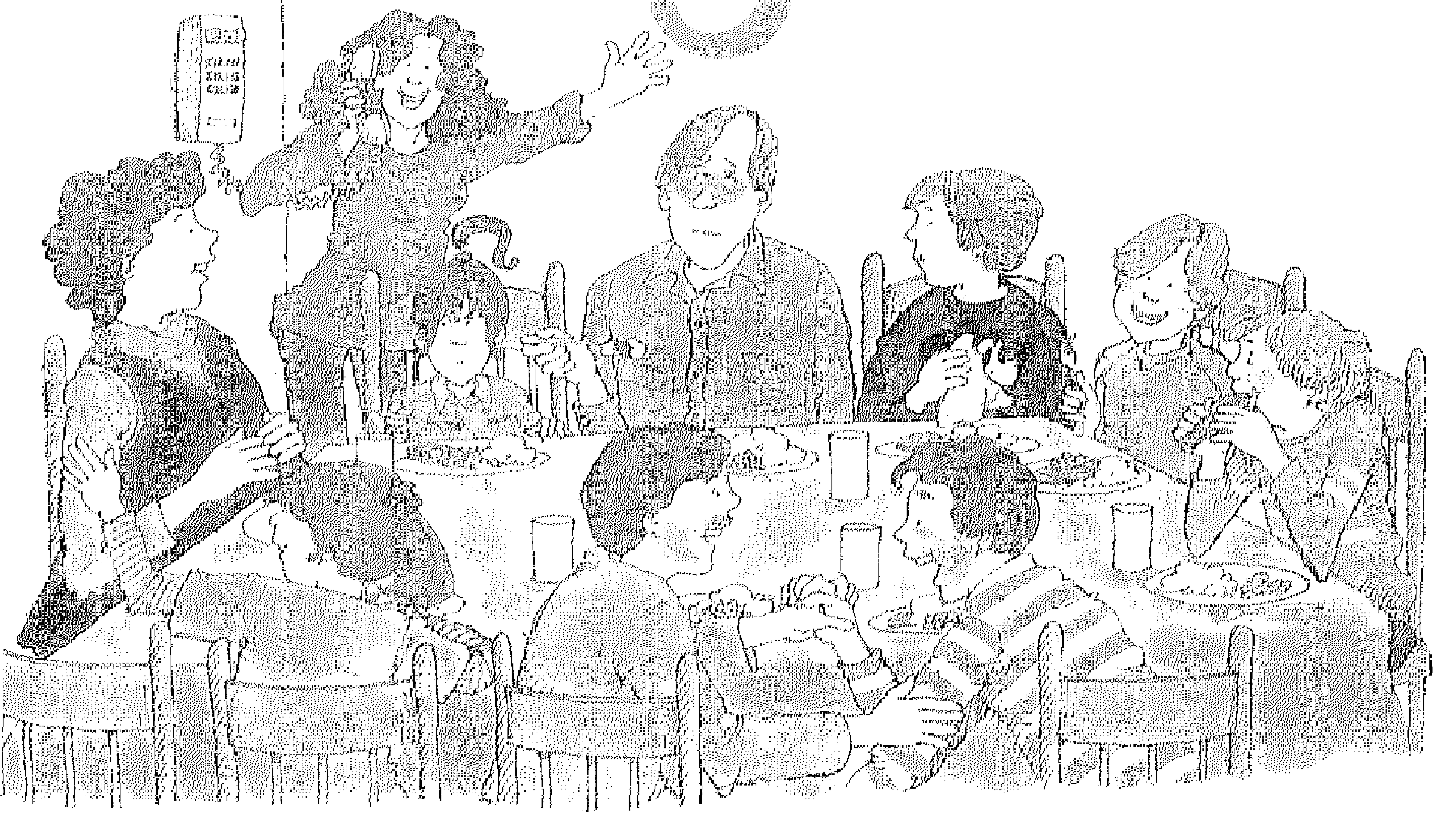
النظافة من الايمان

نهى زوج امرأته عن الدفع للخادمة الموقتة ان لم تتمكن من ازالة أنسجة العناكب المتدلية من السقف. وعزمت الزوجة على مفاتحة المرأة بالموضوع بلباقة، فبادرتها: "وبّخني زوجي الليلة الماضية بسبب تدلي خيوط العناكب في غرفتي النوم والجلوس." فردت المرأة: "يجدر به ان يزور منزلي. فهناك لا يمكنه أن يمشي ويرفع رأسه."

ل.ب.

مفاجأة مفرحة للاب الذي أرهقته مسؤولية أولاده الثمانية

الطفل التاسع



قالت لي زوجتي: "إحزر!" وكانت عيناها تشعّان حبوراً كعادتها عندما تودّ أن تنقل إليّ خبراً مثيراً. فأجبتها: "لا أعرف بماذا أبدأ."

فقالت: "لقد بدأت. لا بل انّك انجزت دورك في الواقع."

ونظرت بحذر الى المرأة الواقفة أمامي. وتحرّكت ذاكرتي فشعرت بقلق لست أدري مصدره. لقد كانت لنا عبر السنين محاورات مماثلة، ثمان بالتحديد، تلا كلا منها خبر سار عن اضافة جديدة الى العائلة. لكن هذه الاخبار السارة لا يعلنها رجل وامرأة مضى على زواجهما عشرون عاماً ولهما ثمانية أولاد أصغرهم في الثامنة من عمره.

وطرحت تلك الفكرة المستحيلة جانباً. فعندما كنت أغازل زوجتي أيام الخطبة أخبرتني أنها تريد ١٢ أو ١٨ ولداً. فحسبتها تمازحني وأجبتها: "ومن لا يريد ذلك؟" وتزوجنا ورزقنا الله ثمانية أولاد في احدى عشرة سنة، ولم يكن ذلك مزاحاً. وما زال الأمر يذهلني، لكنني أرى الآن أن

Illustration: Blanch Sims

دوري كأب لثمانية أولاد يلائمني تماماً. فأنا في الواقع لا أتصور أسرتي ناقصة أحدهم.

وقلت لزوجتي وقد نبذت فكرة "الخبر السار" المستحيلة: "لن أحزر. أخبريني!"

فصاحت: "سوف نرزق طفلا! أليس ذلك مثيراً؟"

وقبضت على يدي وراحت تتراقص أمامي مرددة: "ألا تشعر بالتشويق؟"

لم أكن لأصف ما خالجني بالمثير أو المشوّق، بل بالمذهل والمدهش. لكنني في الواقع حسبت أن زوجتي تمازحني وتمنيت لو تنتهي المزحة.

لكنها لم تنتهِ. وها زوجتي تخبرني بفرح جنوني أنها لم تنفك منذ مدة طويلة تفكّر في أن علينا أن ننجب ولداً آخر قبل أن نصبح عجوزين. وكانت تتساءل هل سيرزقنا الله صبياً أم بنتاً. ولكن ما همّ، المهم اننا سنرزق طفلا، أوليس ذلك رائعاً؟

يا إلهي، أدركت أنها لم تكن تمازحني بل تقول الحقيقة. سوف نرزق طفلا! وكاد أن يغمى عليّ.

وسألتها محاولا أن أرجعها الى صوابها: "لكن ألا تفهمين؟ لستُ في حاجة الى مزيد من الأطفال، فلي منهم ثمانية."

وأجابتني: "ليس لك أي طفل. فأصغر أولادك أصبح في السنة الثالثة من المرحلة الابتدائية."

ودافعت عن قضيتي: "لكننا نعيش حياة مريحة مع أولاد ثمانية. أما الطفل التاسع فيشكّل مرحلة جديدة، مرتبة جديدة يجب بلوغها، مسألة مختلفة تماماً. لقد خدعنا أنفسنا ولن ينجح الامر."

عند ذاك وقفت زوجتي غاضبة وصاحت: "ماذا تعني؟ اننا نتحدث عن طفل وليس عن مرحلة أو مرتبة أو مسألة. وسينجح الأمر بالتأكيد."

كانت على حقّ بلا شك وكنت أعرف ذلك. وإنّما كان عليّ أن أقنع نفسي بأنني أعرف أنها محقة. وكنت في أعماق أعماقي أتوق الى مشاطرتها ابتهاجها، فأضمّها وأعانقها وأراقصها في الغرفة وأصيح: "انه لأمر رائع!" لكنني وجدتني لا أزال ألحّ عليها: "لسنا مهيأين الا لثمانية أولاد. لسنا مستعدين جسدياً ولا مزاجياً لتدبّر شؤون تسعة أولاد."

فابتسمت وردت: "اعتقد أنك تسيء فهم الطبيعة. ففي سنّك ما زلت قادراً جسدياً ومزاجياً على معاملة طفل جديد. وأنا فخورة بك."

فرحت أنتحب مردداً: "في سنّي؟"

وصاحت بي: "أيها الشقي!" وراحت تضحك.

فسألتها: "ألا يمكنك أن تكوني جادة؟"

فردت: "أيها الشاب، دعني أؤكّد لك أنني لم أكن يوماً أكثر جدية مني الآن. لطالما أحببتَ الأطفال، وها أنت تحظى بطفل إضافيّ. ليس هذا وقت قلق. إنه وقت احتفال، احتفال هادىء. فنحن لا نريد أن يعرف الأولاد بالأمر الآن."

– ولمَ لا؟

"لأن الجنين اذا حبل به في سن متقدمة قد لا يعيش أكثر من أشهر الحبل الاولى."

– لن يعيش؟ في البدء صعقتني بالخبر وأكدّت لي أنني سأصبح أباً للمرة

التاسعة، والآن تقولين لي إن طفلي قد لا يعيش!

وانتابتني موجة من الحزن، فقالت: "لا بدّ لنا من أن نكون واقعيين. لقد أكد الطبيب أنه لا يرى سبباً لظهور صعوبات. لكنني أحاول فقط أن أفهمك انه في سنّي ليس من الغريب أن أسقط..."

– سوف يعيش طفلي! أخبري طبيبك ذلك!

وما كان مني الاّ أن رحت أشاطر زوجتي اغتباطها بالطفل الجديد.

قلقٌ وشك – كالعادة بدأت زوجتي تشعر بدوار صباحي. وكالعادة كانت السعادة والبهجة تشعّان من شخصها فتنيران أرجاء المنزل. وسعيت جهدي لاشاركها في حبورها، لكن الرعب دبّ في اعماقي. فقد كنت على يقين من أنني أصبحت في سن لم تعد لتسمح لي بالنجاح في التعامل مع هذا الفرد الجديد. وكنت أبقى يقظاً لیالي طويلة تراودني أفكار متنوّعة: ماذا لو كان الجنين صبياً؟ سيتعين عليّ ان أعلّمه هو أيضاً لعبة البيسبول(*). وماذا لو كان بنتاً؟ ما الذي أفهمه من شؤون البنات في اي حال؟ دروس الموسيقى ودروس الرقص والحفلات! رباه، ماذا لو استهواها تعلّم الهبوط بالمظلّة؟

وماذا لو كان الجنين طفلا؟ يا الهي! الوجبات الليلية والتشنج والبكاء وتغيير الحفاضات. الاطفال يلائمون الازواج الذين يصغرونني سناً لا الازواج المرهقين أمثالي. لا شك في أني ما زلت قادراً على انجاب الاطفال، ولكن عليّ في هذه المرحلة أن أركّز طاقاتي على تربية الكائنات البشرية وتلقينها أساليب البقاء خارج السجن وتزويجها. وهذا الطفل آت ليرجعني الى نقطة الصفر. رباه! ماذا أفعل؟

وذات يوم قالت لي زوجتي: "بدأ حبلي يظهر للعيان. وأعتقد ان الوقت حان لنشرك الاولاد في سرّنا."

وأعترف أنني لم أكن أتوق الى تلك اللحظة. كيف سيستقبل الاولاد مثل هذا الخبر المذهل؟ أيشعرون بالحرج؟ وسألت زوجتي: "انها مسألة حسّاسة، كيف نخبرهم بالأمر؟"

فردت: "أعتقد أنّه علينا أن نقول لهم اننا سنرزق طفلا. وسوف تغمرهم البهجة."

وعندما اجتمعنا الى مائدة العشاء جرّبنا نصيحتها وأخبرناهم. فوثبت ماري لويز (١٦ عاماً) من الفرح وألقت بذراعيها حول عنق والدتها وقالت والدموع تترقرق في عينيها: "آه يا أمي! يا له من خبر رائع! لقد بدأت أيأس من حدوث ذلك!" أما مارجي (١٣ عاماً) فلحقت بأختها وراحت تحضن أمها. ثم هرولت الصبيتان الى الهاتف لتتصلا برفيقاتهما.

ووقف وودي، وهو كبير أبنائنا وطالب جامعي في السنة الثانية، وج.ب. الذي كان على وشك التخرّج في المدرسة الثانوية، يتصافحان ويهنىء واحدهما الآخر. أما جوي (١٤ عاماً) فراح يراقب الكلّ ثم أعلن: "أخيراً! لقد بدأت أملّ هؤلاء الاغبياء."

(*) البيسبول أو كرة القاعدة لعبة كرة ومضرب.

وسأل آندي (٩ أعوام) شقيقه بيلي (١١ عاماً): "ماذا لو كان الجنين بنتاً؟ "فأجابه بيلي بكل ثقة: "لن يكون بنتاً. سيكون صبياً."

وقال جوي: "علينا أن نبدأ منذ الآن عملية تسمينه."

فسألت كاتي (٨ أعوام): "ومن قال إنه سيكون صبياً؟ لدينا خمسة صبيان، أليس هذا كافياً؟"

عند ذاك ابتسمت الام وقاطعتهم قائلة: "وما همّ؟ سنغدق الحبّ على الآتي، أكان صبياً أم فتاة!"

الولادة المنتظرة – كان حبل زوجتي طبيعياً الى أن أتت الليلة حين توجهنا الى المستشفى. ولم أشعر بالعصبيّة الاّ عندما لم يحصل شيء. فقد ظننت أنها ستلد الطفل قبل أن يتسنّى لها دخول غرفة العمليات. فهذه كانت طريقتها في الولادة. ولكن هذه المرّة وجدتني جالساً في غرفة الانتظار أراقب عقارب ساعتي وألاحظ أن ١٥ دقيقة مرّت من دون أن يأتيني أي خبر. وبدأت أروح وأجيء في الغرفة، فرمقني أب آخر يصغرني سناً بنظرة ودّية وسألني: "أهو طفلك الاول؟"

فأجبته بلهجة لاذعة: "التاسع!"

وغمر الصمت المكان لحظات وجيزة. ثم سألني الشاب ثانية: "أنجبت ثمانية أولاد قبل هذا الطفل؟"

"صحيح!"

– أيتمتعون بصحة جيّدة؟

"نعم، بالطبع."

ولم ينفك يحدّق إليّ حتى قال: "حسناً، ما دمت رزقت ثمانية أولاد يتمتعون بصحة جيّدة، فلمَ أنت بهذه العصبيّة؟"

اذاً. ليس عليّ أن أكون عصبياً في رأيه. الأحمق!

وهرولت في أثر طبيب زوجتي وقد لمحته يمرّ في الرواق وسألته: "ما الامر؟"

فأجاب: "ليس في الامر خطب. فهي مرتخية الاعصاب، وستلد في حينها."

ورجعت الى غرفة الانتظار وعاودت ذهابي وايابي ورحت أحادث نفسي: "المسألة كلّها خطأ بخطأ. لم يكن علينا أن ننجب طفلا آخر. انها حالة مختلفة هذه المرة. أنا على يقين بأن الولادة ستكون عسيرة، وستتفاقم الامور بعد ذلك. طفل صعب المراس، وسنوات شقاء تنتظرنا."

أبصرت ماري – جان النور بعيد الثالثة فجراً. وكم صعب علينا بعد ذلك أن نكتفي من البقاء معها. كانت دائمة الضحك والابتسام، تحبّ الناس والحيوانات حباً جمّاً ويملأها العطف والمرح الى حد انها أضاءت حياة كلّ من دنا منها. ودلّلها اخوتها وأخواتها، ولكن بدل أن تصبح طفلة مدلّلة فاسدة الطبع دلّلت هي الآخرين في المقابل. وخلاصة القول ان ماري – جان كانت حلما وطفلا اضافياً حقيقياً وفرحاً يسرّني أن أجعله يتكرّر.

والواقع أنني اشرت الى والدتها قبل مدة أنها قاربت عيد ميلادها الثامن وأنه حان لنا أن... فقالت لي زوجتي: "مهلك أيها الشاب. الا تذكر ما بلغناه قبل ثماني سنوات من مرحلة جديدة ومرتبة جديدة؟ الآن يا بابا لم يعد عليك الاّ ان تسترخي وتتمتع بما حولك. فهذه هي نهاية المطاف."

جون هوبل ■

بيكاديلي سيركوس

أجمل مكان للاسترخا

عرفت شُرطياً أصابه السأم من السؤال المتكرر الذي يطرَحهُ عليه السُيَّاح القادمون الى مستديرة بيكاديلي (١) في لندن: "ولكن أين المستديرة؟" فأخذ القاموس واستخرج منه تعريفاً للكلمة كتبه بأربع لغات على بطاقة يهزُّها في وجوههم: "المستديرة ساحة مُدوَّرة مَفتوحة في المدينة تلتقي عندها الشوارع."

وعلى رغم ذلك بقي السياح متحيّرين. فالمستديرة كانت، ولا تزال، محافظة على شكلها منذ مئة سنة. وهي في الواقع ساحة مكشوفة تلتقي فيها ستة شوارع ويتدفق عليها كل ساعة - كما يدّعي الاحصائيون - ثلاثون الفا من البشر يقصد اكثرهم اشهر ملتقى طرُق في العالم.

لكن السياح طوال عشرات السنين الاخيرة أصيبوا بخيبة مريرة. فهذا المكان الذي دُعي "محور الامبراطورية" والذي تصطخب فيه بهارج الاعلانات الكهربائية وصرعات الحياة الليلية في "الطرف الغربي" قد تحوّل بؤرة فساد وانحلال. حتى تمثال إروس المجنح، رمز الحب ورمز العاصمة لندن الذي يرتفع على مِنَصَّتِه وسط دوّامة السير، تخاله يستعدّ للطيران بعيداً من دكاكين الفسق ومطارح الهيبيّين وحوانيت النقانق.

لكن تحوُّلا خطيراً بدأ يطرأ على الساحة. ففي العام ١٩٨٤ دبَّت الحياة عند تمثال إروس وانتشر البناؤون في العمارات التي حَوله. وها هو ربيع ١٩٨٦ يشهد التمثال الصغير وقد رأس المراحل الاخيرة لعملية التجديد التي تُرجع الى مستديرة البيكاديلي رونقها لتعود نقطة ارتكاز في المدينة الكبرى.

ملتقى الناس - سكّان لندن يقصدون ساحة ترافلغار (الطريق الاغرّ) اذا أرادوا التظاهُر. لكن مستديرة البيكاديلي تختص بالحفلات. وفي العام ١٩٠٠ اجتمع فيها ألوف الناس لاحياء سهرة في الهواء الطلق على اثر انفراج أزمة مافكينغ في جنوب افريقيا التي حاصر فيها البُوير (٢) جيوش الانكليز في حرب شرسة. وبعد ٤٥ سنة من ذلك التاريخ زحفت لندن بأسرها الى المستديرة للاحتفال بيوم النصر، وغرقت الجماهير في نشوة غامرة تموج ملابسها بألوان أعلام الحلفاء كأنها حديقة مُزهرة.

الى المستديرة تتسارع الجموع لحضور المباريات النهائية بكرة القدم أو الرُكبي أو لقضاء سهرة رأس السنة في جَوّ مُثير.

(١) Piccadilly Circus

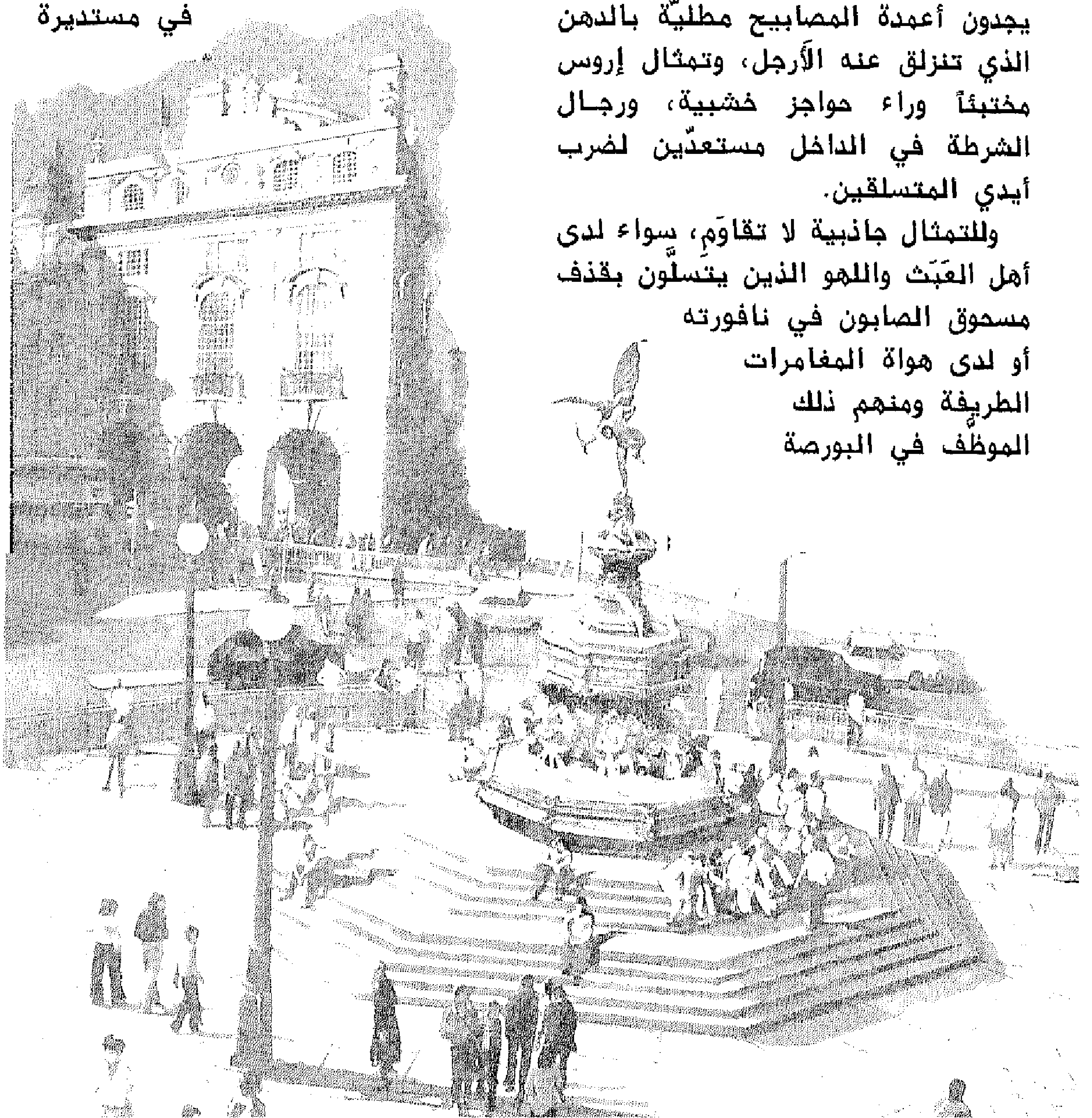
(٢) البوير افريقيون من أصل هولندي.

حورُ الامبراطوريّة

ولمشاهدة الدنيا تسير

عشّاق مباريات الرُكْبي يأتون بالالوف ويتسلّقون ما يمكن الوصول اليه من مرتفعات، لكن حماستهم تتضاءل حين يجدون أعمدة المصابيح مطليّة بالدهن الذي تنزلق عنه الأرجل، وتمثال إروس مختبئاً وراء حواجز خشبية، ورجال الشرطة في الداخل مستعدّين لضرب أيدي المتسلقين.

وللتمثال جاذبية لا تقاوَم، سواء لدى أهل العَبَث واللهو الذين يتسلّون بقذف مسحوق الصابون في نافورته أو لدى هواة المغامرات الطريفة ومنهم ذلك الموظف في البورصة الذي دار حول التمثال طوال ١٢ ساعة! هناك قول شائع مَفادُه أن كل من يطيق الانتظار مدة طويلة في مستديرة



البيكاديلي لا بد من أن يلتقي جميع الذين يعرفهم. وهذا القول لا يخلو من صحة لأن تدفّق الناس على هذا المكان لا يعتريه نقص في أي وقت من النهار. وفي ساعة من الازدحام الخانق تدور حول المستديرة نحو خمسة آلاف سيارة. ويقطعها خمسة عشر خطاً للحافلات الحمر. وسائق سيارة الاجرة الآتي من الطرف الغربي يخطط لاجتيازها ست مرّات في كل نوبة عمل. وفي محطة المترو تحتها احدى عشرة سلماً متحركة تنقل ٢١ مليوناً من الركّاب سنوياً ومئة قطار تعبرها صباحاً ومساء في ساعات الازدحام الشديد.

كل هذا النشاط يجري في بقعة صغيرة لا تزيد مساحتها المائلة على أربعة آلاف متر مربّع، بحيث يمكنك الدَوَران حولها مشياً في خمس دقائق واجتياز قطرها بمئة وخمسين خُطوة. ومما يثير الاستغراب أن المتاجر والمقاهي والمطاعم القائمة حول إروس تأخذ عناوينها من الشوارع المتاخمة: بيكاديلي وجادّة شافتسبري وريجنت وريجنت الاسفل وكوفنتري وغلاس هاوس. وفي مركز البريد لا تقبل رسالة تحمل عنوان "المستديرة".

رمز الحب – لهذا المكان "غير الموجود" تاريخ حافل، ففي العام ١٥٠٠ كان سوقاً مزدهرة لبيع التبن(٣) قرب طاحونة أعطت اسمها لشارع "الطاحونة الكبرى". أما كلمة "بيكاديلي" فأول ما تظهر في سجلات الرعية للقرن السابع عشر، ويرد فيها ذِكرُ خياط يدعى روبرت بيكر اشترى قطعة أرض قرب المطحنة وبنى قاعة البيكاديلي. وهي كلمة قد تكون مشتقّة من "بيكاديل" أي الياقات العالية المزخرفة التي صنعها ذلك الخياط للمتأنقين من أهل لندن في عهد الملك جيمس الاول. وبمرور الزمن أصبح أول كيلومتر ونصف كيلومتر من الطريق القديمة التي شيدت القاعة على جانبها يدعى "بيكاديلي".

عام ١٨١٣ أصدر الوصي على العرش، والذي صار في ما بعد الملك جورج الرابع، أمراً الى المهندس جون ناش ببناء طريق ملكية ينتقل عبرها من قصره في كارلتون هاوس الى الدارة التي كان مزمعاً تشييدها في متنزه ريجنت (٤). وعند تقاطع شارعي ريجنت الجديد وبيكاديلي شيد ناش صَفّاً من المنازل الانيقة ذات الواجهات المتقوسة التي تؤلف دائرة مقسمة. وسمّاها "جنوب مستديرة ريجنت" وأطلق عليها اللندنيون اسم "مستديرة البيكاديلي".

وفي ١٨٨٦ اختلّ التناسق الذي أوجده ناش، إذ شُقّت جادّة شافتسبري وسط أحياء الفقر في سوهو لتَنفُذ الى المستديرة وتحدث مزيداً من الازدحام في ذلك الموضع المكتَظ. وقبل ذلك بسنة توفي إيرل شافتسبري الشهير باصلاحاته الاجتماعية ومبرّاته الانسانية، فاختيرت مستديرة البيكاديلي موضعاً لاقامة نُصُبه التذكاري الذي عهد به الى النحّات ألفرد غلبرت.

---

(٣) هناك اليوم منطقة تدعى Haymarket أو سوق التبن.

(٤) Regent بالانكليزية تعني الوصي على العرش.

أراد غلبرت أن يجعل من النصب رمزاً لفكرة طريفة، فنحت تمثالا مجنحاً ينثر العطاء في كل ناحية.

وأطلق الناس على التمثال اسم "إروس" رمز الحب عند اليونان. وقد اعتمد فيه صانعه فتى ايطالياً كنموذج. ويبلغ ارتفاعه مترين ونصف متر، وهو أول تمثال مهم صنع من الالمنيوم، في قالب وزنه ١٨٠ كيلوغراماً مفرّغ من الداخل. وهو منصوب على قاعدة من البُرونز أمامها عين ماء يتراقص فيها السمك وحولها أكواب مربوطة بسلاسل تُروي عطشَ المُشاة وفيها حَوض في شكل صدفة.

مشاريع متبخرة – عام ١٨٩٣ أزيح الستار عن التمثال وسط عاصفة من الجدل. وقال كثيرون ان تخليد ذكر شافتسبري بمثل هذا التمثال أمر ينافي الاخلاق. وفي رسالة موجهة الى صحيفة "التايمس" وُصف بأنه "أقبح تمثال في عاصمة أوروبية." والى ذلك وقَع ألفرد غلبرت تحت دين فاحش لأن الحكومة أخلفت وعدها بتزويده الكمية اللازمة من البرونز وتركت له أمر الاهتمام بالصفقة، وكانت النتيجة أن العمل الذي كوفيء عليه بثلاثة آلاف جنيه استرليني كلّفه سبعة آلاف.

وعلى رغم ذلك أصبحت المستديرة بتمثالها المحلّق أهم مراكز اللهو في المدينة. وفي ١٩١٠ شيّدت ستة مسارح في جادّة شافتسبري وحدَها. وتظهر الصوَر الفوتوغرافية المأخوذة عام ١٨٩٧ سيلا من العربات والحافلات التي تجرُّها



الخيول، تدور حول تمثال إروس المحوط بالمتاجر الناشطة والمطاعم الانيقة.

في السنين التي تلَت تقاطَر الناس الى المستديرة لمشاهدة اللافتات الاعلانية الكهربائية الشهيرة. أولاها ظهرت عام ١٨٩٠ دعاية لـ"بوفريل". ثم تكاثر عددها وأُطلق عليها اسم "سينما الاسكوتلندي".

حين اندلعت الحرب عام ١٩٣٩ طُبّق على جميع اللافتات نظام التعتيم ولم تمضِ سنتان حتى عاد خمسون ألف شخص ليشاهدوا اللافتات تضاء من جديد وليسمعوا المغنية زو غيل تنشد من شرفة مشعة بالأنوار أغنية اشتهرت بها مدة الحرب: "سوف تراني متألّقة حين تشتعل لندن بالانوار."

وعاد الى المستديرة زهوها السابِق. وتَجدّدت اللقاءات السعيدة خارج محلّات

"سوان وإدغار" ذات الشعبية الكبيرة في لندن. ورجع صبيان الشوارع وباعتُها يغزون المكان، منهم ماسحو الاحذية الذين زادوا أجرهم من أربعة بنسات الى ستة. وعادت بائعات الزهر يعرضن بضاعتهن في ظِل إروس.

ثم حدث في الخمسينات أن أخذت المستديرة تنزلق الى مهاوي الفساد، فارتادتها جماعات من المتشردين الهيبيين الذين كانوا يمضون لياليهم حول إروس، حتى لُقبت "هيبيديلي". وراحت دور السينما تبدل بأفلام الاخبار أفلاماً خلاعية لأنها أضمن للأرباح. وفي منتصف الليل كان مُدمنو المخدّرات يتجمهرون في صف طويل خارج احدى الصيدليات منتظرين دورهم لأخذ أول جرعة يومية.

وفي السبعينات ابعد قسم كبير من الرعاع عن المكان. لكنه بقي مكتظّا رخيص المظهر. وهو يواجه مشكلة ازدحام الناس والسير منذ العام ١٩٠٣ حين وُضع اول مشروع لتجديده. وأعقبته مشاريع أخرى خلال السنوات السبعين التالية، كان من ضمنها إنشاء معابر مرتفعة وبناء للمكاتب يبلغ ارتفاعه ١٣٠ مترا وفندق يحوي ألف سرير. لكن المشاريع تبخّرت وسط خلافات المصمِّمين والانمائيين والمحافظين.

ورشة تغيير – أخيراً تقرر مصير المستديرة حين اتخذ مجلس لندن الكبرى قراراً بحمايتها من التبديل الجذري والاكتفاء بإخضاعها لتحسينات واسعة النطاق.

وعولج موضوع الازدحام بانشاء شبكة طُرُق ذات اتجاه واحد في جادّة شافتسبري بعيداً من المستديرة تمتد نزولا الى شارع الطاحونة الكبرى الموسع. أما محطة المترو فيجري تجديدها وترتب فيها فُسحات للدكاكين وشبكة ممرات تحت الارض للمشاة. أما المواقع الرئيسية فيجري ترميمها أو يعاد بناؤها خلف الواجهات المجدَّدة للأبنية القائمة.

مطعم "كرايتيريون" يبرز بملء روعته، تزيّنه الشمعدانات الفخمة من العصر الفيكتوري مصفوفة حول سقف من الفسيفساء الذهبية. "مقصورة لندن"(٥) التي كانت مسرحاً شهيراً للمنوعات والموسيقى تتحوّل مركزاً تجارياً ذا ثلاث طبقات. ويقوم مجمع للملاهي خلف ساحات مطعمي "سكوت" و"تروكاديرو".

هناك في وسع المرء أن يأكل أو يرقص أو يزور معرضاً مستوحى من "كتاب غينيس للارقام القياسية" أو يتذوّق "تجربة لندن" في رحلة ممتعة للعين والأذن عبر تاريخ العاصمة.

وعاد إروس نفسه نظيفاً مصقولا بعدما أُجريت له الاصلاحات اللازمة وخلص من آثار النفثت وركلات عشاق كرة القدم. لقد زوّده الحرفيون قوساً وستة أوتار احتياطية لحين الحاجة، فهذه القطع هي الاكثر تعرضاً للاذى حين يتدلى منها متسلقو التمثال ويترجحون، وهيأوا له قفصا خفيف الوزن يحميه من أذى الجماهير المتدافعة في المناسبات. وفي موضعه الجديد جنوب المستديرة يقف إروس معاينا ساحة جميلة مبلّطة للمشاة

(٥) London Pavilion

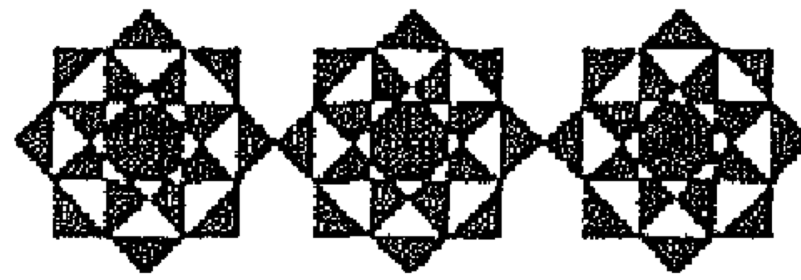
ازدادت مساحتها بمقدار الثلثين، ينتصب محفوفاً بالانوار وسط لافتات الاعلان التي تمثل آخر مبتكرات التكنولوجيا.

كل ما ذكرناه يؤلّف جزءاً من أضخم ورشة تغيير حدثت منذ افتتاح جادّة شافتسبري قبل مئة سنة. وتبلغ تكاليف هذه الورشة ٤٠٠ مليون جنيه استرليني والغرض منها جَعْل المستديرة مركز لهو ومتعة في مأمن من الانحلال. لكنه لا يحجم عن استقبال بائعين وحِرفيّين من أمثال جماعة الكوكني(٦) باعة التّحف الصغيرة والتذكارات أو الموسيقيين الجوّالين الذين يعزفون ألحانهم على ملعقتين أو الرسامين الفوريين الذي يرسمون صورتك في لحظة.

أخيراً، في هذه البقعة، يجد اللندنيون والسيّاح على السواء موضعاً يمتاز بطابعه الحضري، قد يكون أجمل مكان للاسترخاء ومشاهدة الدنيا تسير.

بيتر براون ■

(٦) الكوكني سكّان الطرف الشرقي من لندن.



نزهات الملوك

حين يخرج ولي عهد بريطانيا الامير تشارلز وزوجته الاميرة ديانا في نزهات عامة معاً، كثيراً ما يضطر الامير الى ازاحة رأسه لتفادي الايدي الممتدة أمامه والملوّحة لزوجته الجميلة. وهذا ما يحمل الملك المقبل على الاعتذار تكراراً: "آسف يا عزيزتي، هذا أنا."

"نيوزويك"

خطيب الفجر

انشغل رجل الاعمال قبل سفره، فاضطر الى تأجيل اعداد خطاب كان عليه أن يلقيه في اجتماع، الى حين وصوله الى الفندق.

وباشر العمل حال وصوله، فأنجز الخطاب قبيل منتصف الليل. ثم راح يتدرب على القائه بصوت عال. ومرت ساعات وهو دائب على ذلك، يرفع صوته حيناً ويخفضه حيناً آخر.

وفي الخامسة فجراً عاود التدرب على مطلع الخطاب لكن نحنحة قوية قاطعته أعقبها صوت جهوري يقول: "وختاماً..."

أ.ب.



علقت الفتاة بمروحة المركب
وبقيت ثماني دقائق تحت الماء. لكن قلبها لم يعرف الخوف

Illustration: Ron Defelice

سينقذني أبي!

انه اليوم الاوّل من رحلة التخييم. وكان ادوارد ودمان وولداه ديفيد (١١ عاماً) واليزابيث (٨ أعوام) ركبوا متن مركبهم المعدّ للسكن ظهر العاشر من أبريل (نيسان) ١٩٨٥ وتوجهوا نحو بحيرة اوروفيل في كاليفورنيا. وفي وقت متقدم عصراً راحوا يدورون من دون تقدّم ضمن المياه المقفرة قبالة سييرا نيفادا.

وفي قمرة القيادة كان ودمان (٣٩ عاماً) يمسك الدفة بيدِه. وهو وسيط في شركة تأمين معتاد العيش في الهواء الطلق. وبينما هو يوجه المركب نحو الكهف حيث قرّروا قضاء ليلتهم راح ينظر أمامه بحثاً عن أخشاب عائمة على سطح الماء الذي غضّنته الريح.

وكان ديفيد أمام مقبض الدفّة الى جانب والده. ولم ير أي منهما اليزابيث التي تسير نحو مقدم المركب. وهي لمحت خشبة غليظة طافية، فأخذت شبكة صيد وخرجت على رؤوس أصابعها لتلتقطها. لكن مقاومة الخشب داخل الشبكة جذبت الفتاة الى الامام من فوق حافة المركب من دون احداث أي ضجّة، فسقطت في الماء.

أخذت اليزابيث تتقلب بين عوّامات الالمنيوم عند سافلة المركب، ثم هبطت لولبياً نحو المروحة المسيِّرة في المؤخر وهي عاجزة عن المقاومة. فاصطدمت بالدعامة وأخذت شفرات المروحة تمزّق ذراعها اليمنى حتى علقت في كتلة متشابكة من قماش سترتِها.

وبينما الفتاة عالقة تحت الماء راحت تحاول تحرير نفسها والمحافظة على هدوء أعصابها. وكان والدها سبّاحاً متمرّساً وقد أخبرها مراراً: "الأمر الوحيد الذي قد يؤذيك في الماء هو الذعر."

وانحنت اليزابيث الى الخلف لتتكىء على المروحة، فطفت ساقاها على سطح الماء ممّا يتيح رؤيتهما من ظهر المركب. وقالت لنفسها: "سوف ينقذني والدي."

اللطخة الزهرية – أصاخ ودمان بعد سماعه صوت ضربة مكتومة تحت المركب. وفي الوقت نفسه توقّف المحرك، فأصابته الحيرة. ومشى نحو مؤخر المركب ولحق به ديفيد، ثم أخذ يحدّق الى الماء القاتم محاولا رؤية مروحة المحرك الضخم. فاسترعت انتباهه لطخة زهرية اللون،

وخيّل اليه أن قطعة من البلاستيك عاقت دوران شفرات المروحة.

لكن ديفيد الذي كان يحدّق من نقطة واقعة عند الزاوية صرخ: "يبدو كأنه جسم ما."

عندئذ انتقل ودمان الى موضع ابنه، ولمح شكل ساقين تترجحان تحت الماء، لكنه فكّر في أنهما لجثة غرقت قبل زمن اثر حادث ما وقد طفت الآن من عمق ١٢٠ متراً.

واطلق ابنه الواقف الى جانبه صرخةً: "أين اليزابيث؟" فخفق قلب ودمان وردّ: "ان سترة اليزابيث زهرية اللون!" وسرعان ما انطلق راكضاً على ظهر المركب البالغ طوله ١٤ متراً وهو ينادي ابنته، لكنه كان يعرف في صميمه أنها لن تجيب. وفي مؤخر المركب خلع حذاءه وسرواله وقفز من فوق الحافة بحركة دائرية، وفي خلال ثانية واحدة كان تحت جسم ابنته الناحل.

كانت اليزابيث عالقة وشعرها البني الطويل يتماوج في الماء الملطخ بالدم وذراعها اليمنى تتدلّى من كتفها حيث اشتبكت سترتها بالشفرات. كان واضحاً ان الذراع مكسورة، لكنها غير مقطّعة.

ودنا ودمان من ابنته ليرى عينين بنيتين واسعتين تحدّقان الى عينيه. لم يكن فيهما ألم ولا خوف، بل وميض رجاء. وكانت رباطة جأشها تزيد من فرص النجاح. فوضع يديه تحت ذقنها وشفتيه على شفتيها وفتحهما قليلا. وفهمت الابنة ما يعنيه وفعلت مثله. وبكل هدوء زفر داخل فمها فأخذت الهواء وأطبقت شفتيها مشيرةً الى أن الكمية كافية.

وعاد ودمان الى السطح وأخبر ديفيد القلق: "انها عالقة بالمروحة، وعليّ أن أواصل مدها بالهواء."

محاولات يائسة – ألقى الأب نظرة فوق سطح الماء آملا رؤية مراكب أخرى ثم الى الشاطىء بحثاً عن أناس. لكنه لم يلمح أحداً. فاعتراه شعور مخيب بالوحدة وهو يغطس ثانية. كانت حياة ابنته رهن يديه، لكن عقله عجز عن التفكير في خطّة انقاذ. فاذا حاول سحبها بعيداً عن المروحة فسينتزع ذراعها حتماً.

وحين زفَر في فمها للمرة الثانية أمسك الشفرات محاولا ادارتها في اتجاه معاكس لالتفاف السترة. لكنها لم تتزحزح. ثم رأى اليزابيث تطلق فقاقيع هواء وعرف أن رئتيها سليمتان.

وللمرةالثالثة ثم الرابعة طلع ودمان الى سطح الماء ثم غطس. كان ينقل الهواء الى اليزابيث بتمهّل وعناية، لكنه ازداد اهتياجاً كلّما لمست أصابعه المروحة: كانت السترة مشبوكة كحبل داخلها.

أمّا ديفيد الذي كان يراقب من ظهر المركب فجعل يصلّي بصوت مرتفع: "أرجوك يا ربّي، لا تدعها تموت." وكان يريد أن يقفز ليمدّ يد المساعدة، لكنه عرف أنه لن يشكّل سوى عائق اضافي.

وأرهق عقله بالتفكير... السكين!

وأخذ سكين جيب من سرواله وفتح النصل. وسرعان ما ارتفع رأس والده فوق الماء فاستعجله قائلا: "خذ هذا السكّين."

مزق ودمان بالسكين سترة ابنته، فظهرت خيوط القماش العالقة بمحور

المروحة. لكنه لم يجرؤ على تقريب السكين من الذراع المصابة. وأصبح أمله أن يحلّ بيديه ما تبقى من خيطان عالقة. فطفا الى السطح ورمى السكّين الى ظهر المركب.

وبعدما غطس من جديد لاحظ أن سكون الفتاة التي لم تتجاوز الثامنة من عمرها تحوّل الى ما يشبه النشوة. فتذكر أن الهواء الذي يعطيها اياه مرة أو اثنتين في الدقيقة يحتوي على كمية من الاوكسيجين تقل عن تلك الموجودة في النفس الطبيعي مما سيؤدي بها قريباً الى فقدان الوعي. وفكر بألم في أنها لن تتمكن من الاستمرار على هذه الحال.

كفاح مر – جذب ودمان بأصابعه ما بقي عالقاً من السترة الزهرية على المروحة، وهي الدرزة المزدوجة الممتدّة من العنق الى الكتف. لكن جهده لم يثمر.

ولا يذكر ودمان عدد غطساته تحت الماء، لكنه أحسّ بالثقل في أطرافِه التي نهكها التعب.

وفي الماء تغيّر كل شيء. فقد ارتخت ذراع اليزابيث اليسرى وتدلت على جنبها لا حسّ فيها، وأغمضت الفتاة عينيها. وعندما اقترب منها الوالد بشفتيه المرتجفتين وزفَر برقة انبعث الهواء فقاقيع من الجانب الآخر من وجهها.

وتصارع ودمان بضراوة مع المروحة دافعاً الشفرات في اتجاه ثم في اتجاه معاكس. لكنها كادت لا تتحرك.

واندفع بقوة الى سطح الماء وصرخ: "ديفيد! أعطني السكين ثانية بسرعة. لقد توقفت اليزابيث عن التنفس وعليّ أن أوقظها." وعزم على تحرير ابنته من قيودها أو اطلاقها بالقوة.

فتح نصل السكين ووجّهه مباشرة الى ذراع اليزابيث وسدّد ضربة قاطعة الى بقايا السترة. لم يكن واثقاً ممّا أنجزه، لكنه وضع السكّين بين أسنانه وشبك أصابع يده اليمنى في القماش، وثبّتَ قدميه على المروحة ثم شدّ بكل قواه.

عندئذ أفلتت قطعة من السترة وتحرّرت اليزابيث.

بين الحياة والموت – حمل ودمان ابنته الى سطح الماء وكان ديفيد منتظراً قرب المحرّك. وحين رفع والده اليزابيث أمسكها باحكام ريثما يصعد الوالد الى متن المركب.

مدد ودمان ابنته بعناية على لوح لركوب الامواج جعل منه ديفيد نقّالة جرحى. وبدأ الأب عملية انعاش بالتنفّس ورأسه يغطي رأس ابنته.

وجاء ردّ اليزابيث غمغمة تبعها صوت متقطّع في حنجرتِها. ثم انتظم تنفسها وفتحت عينيها، فهمس والدها في أذنها: "لا تقلقي، ستتحسنيّن سريعاً."

بقيت اليزابيث تحت الماء نحو ثماني دقائق، لكنها حصلت على الهواء معظم الوقت. لذلك اعتبر ودمان أن إمكان تلف الدماغ شبه معدوم. لكن الذراع المصابة كانت تشكّل كل الخطر.

كانت المروحة غرزت في الجزء العلوي من الذراع حتى بلغت العظم، محدثة جرحين بالغين طول أحدهما ثمانية سنتيمترات. فأطبق ودمان الجرحين بيديه مدة عشر دقائق فيما انطلق ديفيد

مسرعاً ذهاباً وإياباً حاملا تجهيزات الاسعافات الاولية وبطّانيات ومناشف. فتوقّف النزف وبقي الجرح الكبير مطبقاً بعدما رفع ودمان يديه عنه.

كانت اليزابيث تئنّ فيما والدها يعتني بها. لكنها أغمضت عينيها واستلقت بهدوء بعدما عصب جروحها بمناشف وأحكم ضمّ ذراعها الى جسدها. ثم رفع ودمان رأسه فرأى المركب يتحرّك. كان ديفيد أدار المحرك وانطلق في طريق العودة.

واعترت ودمان موجة من الذعر وأنّبه ضميره: "كيف سمحت لذلك بأن يحدث؟ أنا المسؤول عن كل ما حصل."

وسرعان ما خمد شعوره بالذنب، فقد تخطّوا معاً مرحلة الخطر. وتلاشى اضطرابه وقال لديفيد: "حسناً فعلت، تابع قيادة المركب."

هل خافت؟ – بعد فترة بدت دهراً اقتربوا من المرسى. فتناول ودمان المقود وجعل المركب ينزلق دفعةً واحدة نحو الرصيف. وأسرع ديفيد نحو مكتب مدير المرسى.

وصلت سيارات الاسعاف الى المكان خلال دقائق حاملةً الاوكسيجين والسوائل الوريدية. وعمد فريق طبي مساعد الى وضع اليزابيث على نقالة جرحى للاسراع بها الى مستشفى أوروفيل المجاور.

وحين جاء ودمان لتوقيع اذن بادخال ابنته المستشفى، وجد أنه يمسك القلم بصعوبة ووهن، فهو لم يلحظ قبل الآن أن شفرات المروحة انغرزت في راحتيه وأصابعه.

وعلى رغم تهشم العظمة في ذراع اليزابيث فقد حدّد الجراحون أن الاعصاب والشريان الأساسي بقيت سليمة. وبعد تثبيت العظمة في مكانها وتضميد الجروح أعلن الاطباء أن الامل كبير بشفاء الذراع تماماً.

وفي الصباح كان الوالد قرب سرير ابنته عندما رنّ جرس الهاتف. كان المتكلم صحافياً أراد التحقيق في عملية الانقاذ. وسأل: "هل شعرت إليزابيث بالخوف؟" فاقترح عليه الأب أن يسأل الفتاة نفسها، وأمسك لها سمّاعة الهاتف.

وبعد صمت وجيز قالت اليزابيث: "آه! كنت أعلم أن أبي سينقذني." ورمقت والدها بعينيها البنيتين الواسعتين وأضافت: "وهو فعل ذلك حقاً."

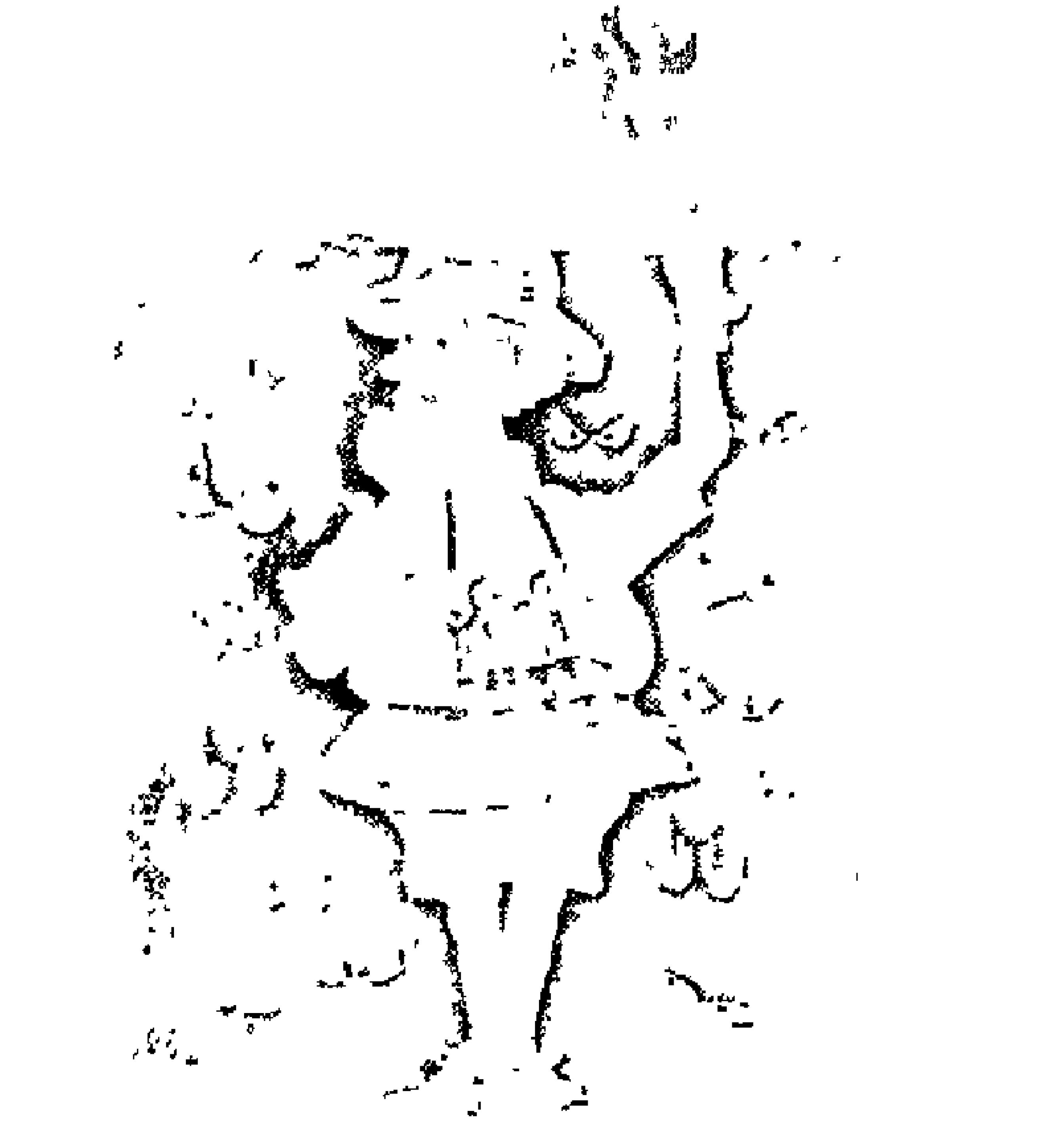
بيتر مايكلمور ■



ورشة بيتية

أخذ أحدهم على عاتقه مهمة ترميم مطبخ بيته. فأخليت الخزائن وجمعت محتوياتها في غرفة ملاصقة. وباتت القدور والمقالي والاواني وأكياس الطحين والسكر والالواح والمسامير والمطارق والادوات الاخرى، مبعثرة في غرفتي السفرة والجلوس. وذات يوم وقفت زوجته تتأمل هذه الفوضى ثم هتفت: "آه! سأكون في منتهى الخجل لو مت الآن!"

س.ك.



أخبار العالم

مستعمرة فضاء سوفييتية؟

عبارة "كوزموغراد" التي يستخدمها منظمو برنامج الفضاء السوفييتي المأهول تعني "المستعمرة الفضائية". وتجدر الاشارة الى أن محطات "ساليوت" الفضائية كانت كل مرة تؤوي عددا من الرواد يقضون فيها وقتاً أطول من المرة السابقة. وفي "ساليوت ٦" عام ١٩٨٠ أمضى أحد الرواد ١٨٥ يوماً في الفضاء محطماً الرقم السابق الذي سجله هو أيضاً بصموده ١٧٥ يوماً. ومع الوقت استطاع رواد الفضاء السوفييت غرس النبات في "ساليوت". وفي امكان الحدائق الفضائية ان تزود الرواد نسبة ٢٠ الى ٤٠ في المئة من الطعام الذي يستهلكونه في مدارهم. وهم يحصلون على نصف كمية الماء المطلوبة عبر تكرير الماء المستهلك. واذا عمدوا الى تكرير البول ايضاً، فهذا يعني أن ٩٠ في المئة من الماء تأتيهم من طريق التكرير. وفي الاختبارات الارضية تمّ استخدام مقادير كبيرة من الطحلب لامتصاص ثاني أوكسيد الكربون وتوليد الاوكسيجين. وهذا من شأنه أن يؤدي الى تنقية الهواء في المركبات الفضائية.

غير أن الامور لم تجر حسناً على الدوام. ذلك ان الرواد الذين تطوعوا لكسر الرقم القياسي على متن "ساليوت ٤" طلبوا العودة الباكرة بعد انتشار العفن الاخضر داخل مركبتهم.

مجلة "الطبيعة"، انكلترا

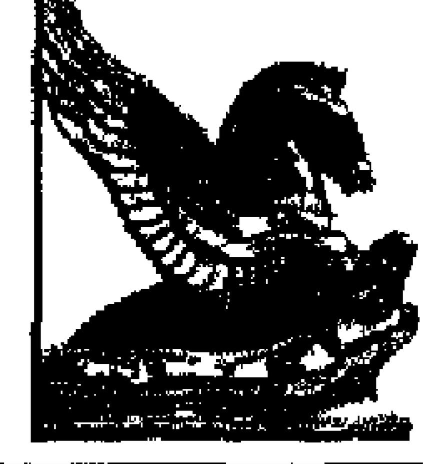
اليد العاملة

في أواسط السبعينات ابتكر الاستاذ هيروياسو فوناكوبو من جامعة طوكيو ذراعاً آلية تؤدي معظم وظائف الذراع البشرية. إلا أنها لم تنتج على نطاق تجاري لارتفاع كلفتها.

وأخيراً تمّ صنع بديل من تلك الذراع موصول بعربة الكترونية تتحرك بين أسرة المرضى وخزاناتهم. ويمكن تشغيل الآلة بالكلام او بالاصوات والاشارات في حال الاعاقة عن النطق. وهي تتحرك الى الخزانة، وهناك تمتد الذراع لتأتي بصحيفة أو بشيء من الطعام أو الفاكهة وبكل ما يريد المريض الحصول عليه من خزانته. وأصابع هذه الآلة لا يمكنها قشر الفاكهة حتى الآن. لكن فوناكوبو يقول انها ستستطيع ذلك قريباً.

مجلة "نيوزويك"

معرض فرنكفورت عيد سنوي للكتاب العالمي




السوق العالمية لصناعة النشر

قالت اليزابيث سيفتن محذرة: "من الضروري أن ننتعل دائماً حذاءً مُريحاً ونأخذ مقداراً كبيراً من الراحة ونحافظ على نشاطنا العقلي."

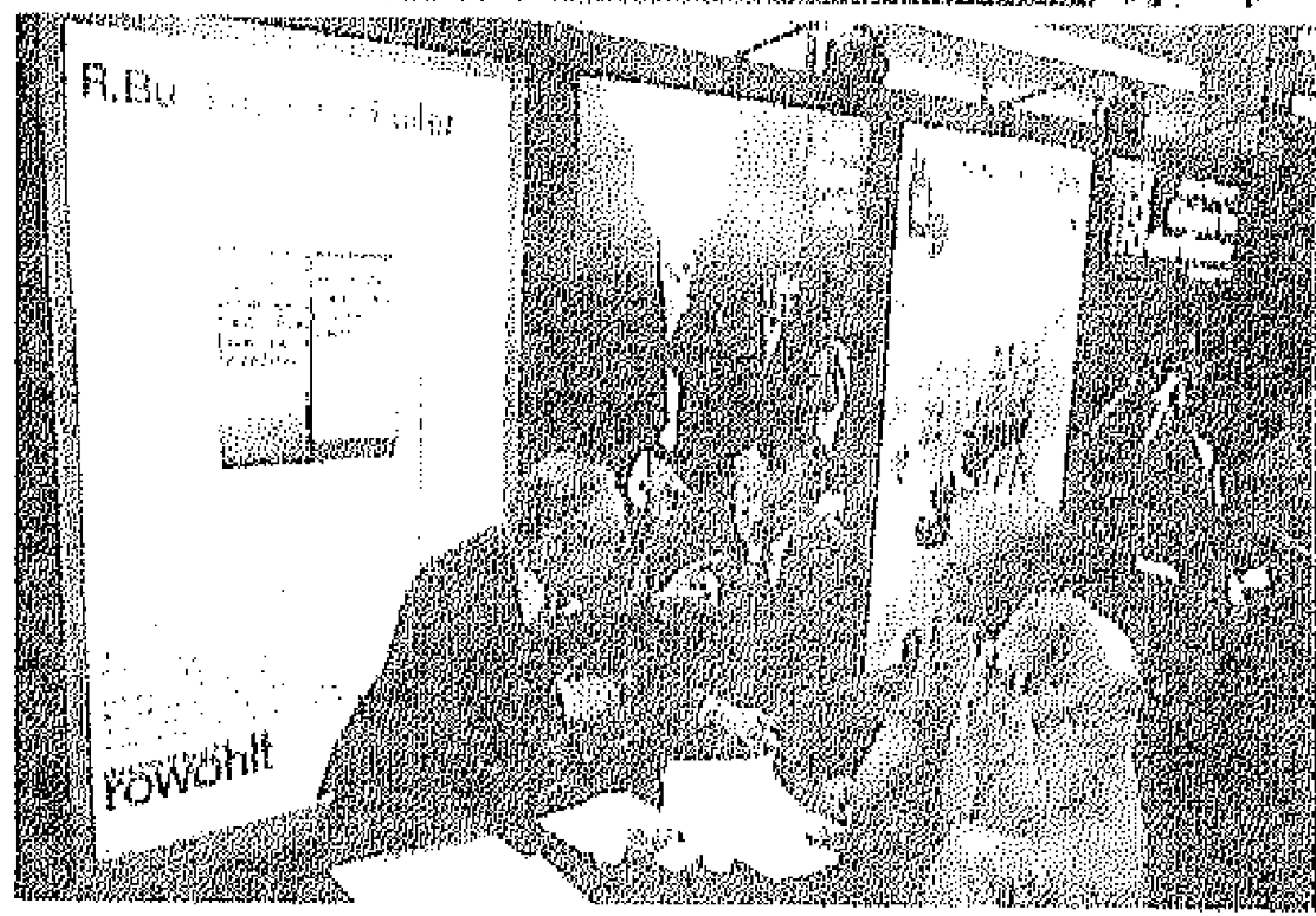
وأقرت آنيا شوفالبيه: "حين ينتهي المعرض أعود مخنوقة الصوت منهوكة، ثم أنام أربعاً وعشرين ساعة."

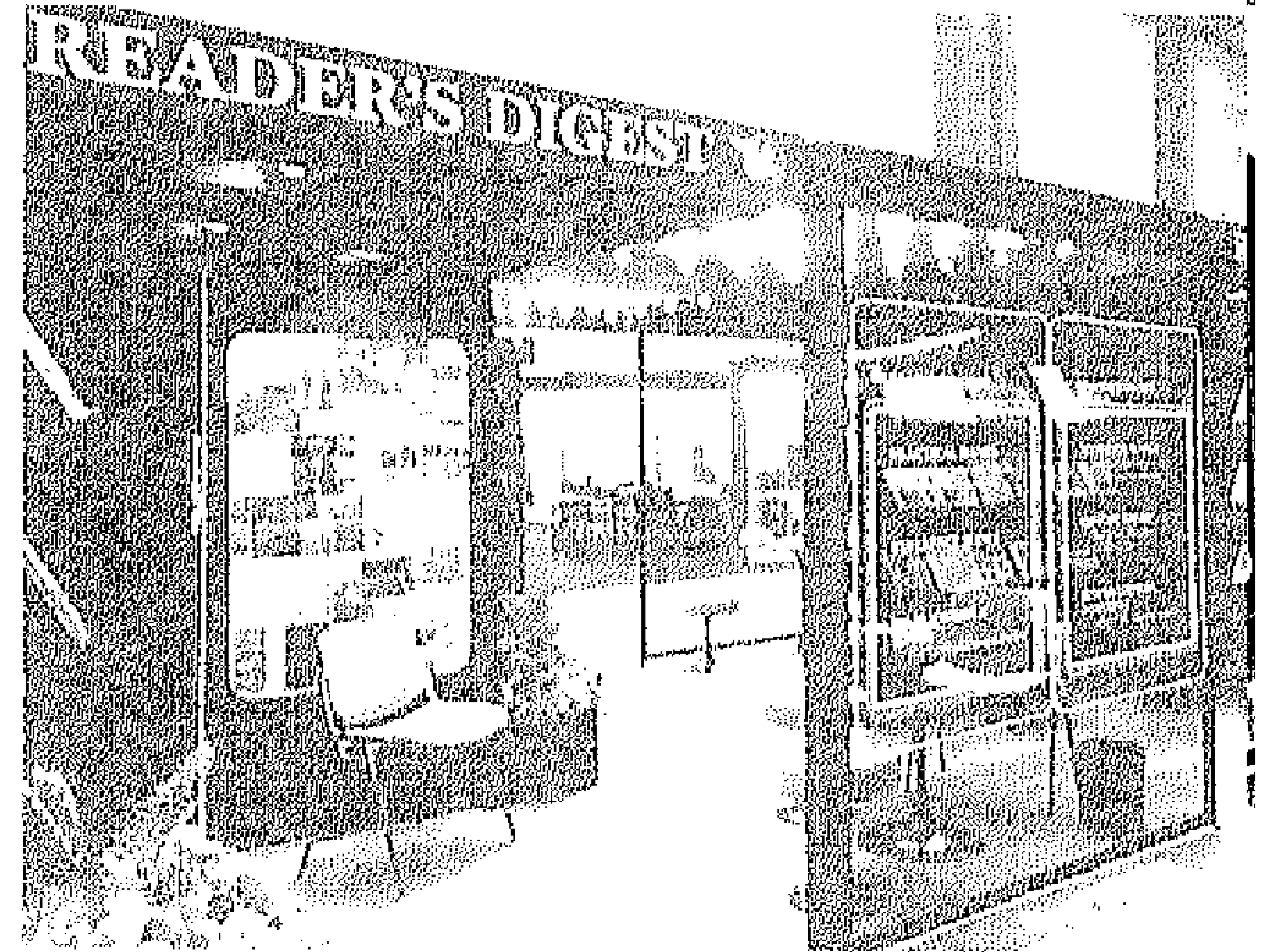
وأفصح جورج هوفمن: "السرُّ يكمن في فطور جيّد." وانطلق في سيارته ليواجه مرّة أخرى العمل المرهق والضروري الذي تفرضه صناعة النشر العالمية: معرض فرنكفورت للكتب.

هوفمَن مختص بشؤون كتُب الادب. وشوفالبيه وسيفتن مديرتان في صناعة النشر. ويعودون ثلاثتهم في شهر أكتوبر (تشرين الاول) من كل سنة الى ألمانيا الغربية، كعشرات الالوف من زملائهم الآتين من كل العالم. ذلك لأن معرض فرنكفورت هو إلى حد بعيد الحدث الاهم في لعبة النشر. ستة أيام محمومة تشهد أكبر عدد من الصفقات والمعاملات التجارية وعقود الانتاج المشترك التي يشهدها العالم. والمعرض هو الميدان الدولي لبيع حقوق النشر الاجنبية.

حتى التاريخ يساهم في اعطاء فرنكفورت وضعها المميز. فعلى مسافة ٤٠ كيلومتراً تقع مدينة ماينز حيث وُلد غوتنبرغ مخترع الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر. كانت تلك بداية قصة النشر، ولم تمض بضع سنوات حتى انبثق معرض فرنكفورت للكتب. في تلك الايام كان العمل يجري بحذر ورفق ورزانة علمية، وينحصر في ندوة من العلماء تخاطبوا على الارجح باللاتينية. لكن التاريخ واصل سَيرَه. وتحوّل المعرض شرقاً الى مدينة ليبزيغ. وطوال ثلاثة قرون انحصر معظم تجارة الكتب في تلك المدينة. وفي نهاية الحرب العالمية الثانية حدّت الرقابة التي وضعها هتلر كمّيات الكتب التي يُتاح للالمان قراءتها.







فوق: منظر لقاعة نموذجية في المعرض.
أسفل اليسار: على منضدة كهذه تبرم الصفقات بين عمالقة النشر.
أسفل اليمين: جناح الـ"ريدرز دايجست".

للجميع اطلاقاً - عام ١٩٤٨ عمد أحد باعة الكتب في فرنكفورت المهدّمة يدعى هنريك كوبت، بمعاونة بعض زملائه، الى اعداد مشروع لاعادة جَمع الناشرين وأصحاب المكتبات. وهو شرح موقفه: "بما أن الحرية مفقودة في بعض أجزاء ألمانيا، ارتأينا أنا ورفاقي أن نحصل على مقدار من الحرية في فرنكفورت. وبدا لنا أن الكتب وسيلة لتأمين حرية التعبير كيلا يظهر عندنا هتلر جديد. وتدريجاً تكشفت لنا فكرة مَعرِض للكتُبُ."

بفضل الجهود التي بذلها كوبت أُقيم في سبتمبر (أيلول) ١٩٤٩ أول معرض "عصري" للكتب واتخذ يومئذ شكلا ارتجالياً موقتا. واشترك فيه مِئتان

Photos: Top, Mauritius / Cash; insert, Mauritius / Gräfingholt; right, Reader's Digest

وخمسة من عارضي الكتب الألمان. وبما أن الحرب العالمية الثانية دمرت معظم المطابع، فقد أصبح رصاص الطباعة نادراً كالورق. لكن تعطش الجمهور الى القراءة ضمن للمعرض نجاحه الفوري. على أن سَنَتَه الأولى كانت أيضاً الاخيرة التي احتفظ فيها بصفته الالمانية. ففي ١٩٥٠ تدفّق عليه عارضو الكتُب من فرنسا وبريطانيا وهولندا والنمسا وأسوج (السويد) وسويسرا والولايات المتحدة، وبلغ مجموعهم ٤٦٠. وبعد سنة ألجأهم ضيق المكان الى بناية كثيرة الدهاليز ومجاري الهواء في ساحة فرنكفورت على بُعد دقائق قليلة من نهر ماين. وفيْ اوائل الستينات غدت سوق فرنكفورت، بعدد محتوياتها وتأثيرها العالمي، المُلتقى السنوي لتجارة الكتب والسوق الوحيدة التي يُعد حضورها امراً لازماً. وفي العام ١٩٨٤، وللمرة الاولى، زاد عدد العارضين على ستة آلاف، جاؤوا من ٩٣ بلداً مختلفاً ومعهم نحو ٣١٣ ألف عنوان كِتاب.

تقول ماريا هولت وهي أوسترالية تعمل في نيويورك ووظيفتها الاهتمام بمصالح الناشرين في الخارج: "في العالم عدد كبير من أسواق الكتب، لكن هذه السوق هي الوحيدة التي تجتذب الجميع على الاطلاق. هنا تولد الافكار الموجِّهة ويلتقي كبار الوسطاء. وهناك من يقول انك اذا لم تأتِ الى هذا المكان فأنت غائب عن عالم النشر!"

الخبز اليومي – اقتربنا من ساحة معرض فرنكفورت. وفيما كانت سيارتنا تنتقل الى الشارع الواسع المؤدّي الى المدخل رأينا المُلصقات في كل مكان ولافتات ضخمة من القماش تعلو الشوارع مثل أقواس نصر. نحو مئتي الف من أرباب الصناعة وصلوا في الصباح وتولت نقلهم مركبات لا يُحصى عددها، كما نقلَت جماهير الناس المتدفقة بعد الظُهر لمشاهدة المعروضات المغرية وإعداد لوائح مطالعاتها للسنة المُقبلة.

داخل الساحة، الى اليسار، يرتفع مبنى ضخم من طبقتين لعرض كتب العلوم والتكنولوجيا والطِب. الى اليمين تقوم القاعة – ٥ وهي أكبر من ملعب لكرة القدم وتحوي كُتب القِصَص من ألمانية وسواها. وعلى بُعد بضعة أمتار بناية تتصل أقسامها بجسور هوائية وتتألف من ثلاث طبقات، فيها كتُب الفن والدين والرحلات وكتب الاولاد. وأمامها تماماً القاعة – ٤ المبنية برخام أبيض وراء واجهة من الزجاج والالمنيوم، وفيها مساحة ٤٤ ألفاً و٦٠٠ متر مربع لايواء حصة الاجانب من المعرض. وفي الطبقة الارضية تنحشر إيطاليا واسبانيا والنمسا بين العالم الثالث والكتلة السوفييتية. وفي الطبقة التي فوقها فرنسا وهولندا والدول الاسكندينافية تحتل القسم الاكبر من المساحة بجانب الصين واليابان ومجموعة أقطار أقل مقدرة في صناعة النشر. أما الطبقة العليا فهي مخصصة بأجمعها للولايات المتحدة وللمعروضات البريطانية المتفوقة عليها في الحجم. هذا القسم "الانكلوفوني" من المعرض يثير عادة أكبر مقدار من الحماسة ويحتوي على أضخم العناوين وأغلى الصفقات في تجارة الكتب.

عندما تحوّلت هذه التجارة ظاهرة عالمية أصبحت الكتُب تتصدّر الاخبار والاعمال. في بريطانيا وألمانيا الغربية والولايات المتحدة بات النشر صناعة تشمل أقطار الكرة الارضية وتوظّف فيها مليارات الدولارات وتوفر مئات الالوف من الوظائف. وهناك أدباء أمثال الامريكيين نورمان ميلر وجيمس ميتشنر معروفون في بريطانيا وفرنسا كما يُعرف فريدريك فورسايت في اليابان وفرنسواز ساغان في أمريكا الشمالية.

الاسماء الكبيرة ذات جاذبية عالميه وتستدر مبالغ عظيمة من المال. ويجد فيها الناشرون تعويضاً لخساراتهم المحلّية من خلال صفقات يعقدونها مع ناشرين من الخارج يبيعونهم حقوق النشر في بلدانهم. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٣ حين نشرت شركة "بانتام" الامريكية سيرة ذاتية للممثلة شيرلي ماكلين لم ينتظر الناشر استعادة ماله بتوزيع الكتاب في الولايات المتحدة فحسب، بل باع حقوق الطبع والترجمة في جميع الاقطار التي تُقرأ فيها كتُب ماكلين. وعقدت الشركة هذه الصفقات في سوق فرنكفورت التي أقيمت في السنة التالية لنشر الكتاب.

هكذا تجري الامور في فرنكفورت، حيث الصفقات الكبرى التي توظّف فيها مئات ألوف الدولارات تحتل العناوين الرئيسية، بينما الصغرى تؤمن الخبز اليومي لتجارة الكتب.

لآلىء كامنة - مهما تنوّعت المداخل التي تَعبُر منها الى زحمة السوق، فلن تجد فرقا بين جو وآخر الا من ناحية اللغات وأزياء الثياب وحروف الطباعة فيما أنت تنتقل من منصّة الى أخرى. تجد السوفييت في بذلات محافظة يعرضون كتبهم في ترتيب كلاسيكي خاص بالمكتبات. لينين هناك مع الشعر والشطرنج والرياضيات. وفي جوارهم البولونيون، اقرب الى الحداثة في عرض كتبهم، بينما الايطاليون يقيمون عرضا لتجارة الكتب هو اقرب ما يكون الى معرِض فني. البريطانيون يُظهرون تفوقهم في جودة كتُبهم ذات القيمة العملية. والفرنسيون في مؤلفاتهم التقنية والاكاديمية، والامريكيون في روايات العُنف لمؤلفين عالميين.

وبين المنصات وحولها ينتقل المتمرسون في المهنة، مسارعين من مكان الى آخر وفي ايديهم لوائح وبرامج سبق إعدادها على الهاتف أو التلكس. أطلقوا على مفكراتهم اسم "بطاقة رقص" لكن الرقص الذي يقومون به مرهق لا يرحم. يقتنصون الفرص لبيع الكتاب اذا كان لدى الشاري عنوانه الصحيح.

أحد الناشرين البريطانيين يذكر الوقت الذي استخدم الشرفة لبيع كتاب كان احد زملائه يرغب في شرائه، اذ كتب الثمن المطلوب على ورقة مطوية رماها الى صاحبه الواقف تحت الشرفة ففتحها هذا وقرأ ما فيها ثم رفع إبهامه علامة الموافقة. ويقول ناشر هولندي: "في وُسعي ان أؤدي وظيفتي في الساعة الحادية عشرة، في مقهى أو في مكتب. كل ما عليَّ فعله هو مقابلة الناس ومحادثتهم. ان إصدار الكتب ليس الا

قسماً من عملية النشر. فهناك النشاط الدائم الذي لا يعرف حدوداً. ليس الانجاز هو المهم بل التحضير لمزيد من الانجازات."

الفنادق المزدحمة لا تسلم من حُمّى سوق الكتب. كل غرفة فوق مستوى "فندق جيش الخلاص" - الذي يقصدُه الفقراء - يجري حجزها ليس فقط داخل حدود المدينة بل أيضا في البلدات المحيطة. في شُقق أنيقة أو في غُرف بسيطة يجلِس الناشرون والوكلاء المعتمدون لاستقبال الزبائن والمنافسين والذين قد يصبحون شركاء. يجلسون لعقد صفقات تمَّ التفاوض بشأنها خلال السنة بواسطة البريد أو التلكس او الهاتف، او جرى إعدادها في ساحة السوق بواسطة العملاء. وفي المقاهي وغرف الانتظار يلتقي "جنود" المهنة وجها لوجه، فيشترون ويبيعون أو يبحثون في الاعداد للتطورات الجديدة.

تجارة النشر تخالف أكثر انواع التجارة المعروفة في كونها تفتح مجالا واسعاً للمراهنة على أكثر الكتب حظاً في الرواج. إذ لا يمكن أحداً أن يتكهن بما ستكون استجابة الجمهور لكتاب جديد. لماذا يحظى كتاب في موضوع التنجيم بأكبر نصيب من البيع في حين تلقى تتِمَّة له بقلم الكاتب نفسِه اخفاقاً ذريعاً؟ لماذا يتهافت الناس على شراء "برنامج تمارين" لاحدى نجمات السينما ويُعرِضون تماماً عن شراء برنامج لنجمة اخرى؟ لا ندري، سوى أن الوفاً من أرباب المهنة يُنفِقون ساعات يقظتهم في فرنكفورت باحثين عن اللآلىء القليلة الكامنة في مكان ما من "أصداف" ٣٠٠ ألف أو اكثر من العناوين.

أسلوب تجاري؟ - يشتهر رُوجر شتراوس، وهو ناشر أمريكي كبير، بقُدرته على التعرُّف الى الخصائص الواعِدَة في مؤلِّفٍ ما. ففي سوق ١٩٨٠، قبل اعلان فوز شزلاف ميلوز، الكاتب البولوني المغمور، بجائزة نوبل للادب، كانت شركة شتراوس اضافت روايته الى لائحة مُشترياتها. وما لبث الناس أن تدفّقوا على رُكن شتراوس في المعرض للاستعلام عن حقوق النشر الاجنبية. وسيطر شتراوس على حقوق النشر العالمية. لكن هذا الناشر الكبير لا يَعتبر هذا الانتصار أعظم مُنجزاته، بل يرى أن أهمَّ فوز حَقَّقَهُ هو الوصول الى السوفييتي سولجنتسين، وهو يَعدُ في الاتحاد السوفييتي، بواسطة ناشر ألماني.

تلك ميزة فرنكفورت: تقريب المسافات بين الناس. لنأخذ مثلا آخر. ميخائيل مورو رجل في التاسعة والثلاثين ومدير دار نشر في هونغ كونغ تدعى "آسيا ٢٠٠٠". كان رُكنه في سوق الخريف الماضي أصغر بقعة يمكن الحصول عليها: مترين بثلاثة أمتار، في مؤخّر الصفوف، بكلفة ٢٣٢٠ ماركاً ألمانياً(*) يضاف اليها ٣٠ ماركا لاستئجار طاولة ومئة أخرى لثلاثة كراسي. كان مورو حتى ذلك التاريخ نشر كتابا واحداً ومجموعة صُوَر شمسية عن "الصين بعد ماو." وبواسطة سوق فرنكفورت السابقة حصل على اتفاق

(*) الدولار يعادل نحو ماركين.

مشترك مع احدى دور النشر البريطانية. والآن بين معروضاته خريطة جيولوجيّة للصين. وفي ظرف ثلاثة أيام باع منها ٦٠ نسخة ثمن الواحدة ٣٨٥ دولاراً لناشر أمريكي، وأخذ يفاوض ناشراً أسوجياً حول صفقة مماثلة.

لكن كل صفقة رابحة قد تقابلها مغامرة سيئة العواقب. أذكر كلمة "دلالة" أو وظيفة الدلّال في سوق فرنكفورت، وللحال تصفَرُّ الوجوه لذكرى فترة من السبعينات كان فيها شخص واحد يحتكر حقوق نشر اكثر الكتب مبيعاً، والويل لدار النشر التي تزاحمه. "كان عهد جنون،" يقول رونالد بلوندن وهو ناشر فرنسي ويضيف: "في ذاك الحين كان أحد الوكلاء يأتي وفي يده خلاصة شروط، ويدعو الناس الى غرفته في الفندق ويأخذ منهم عهداً بالكتمان، ثم يطلب منهم أن يقرأوا الورقة ويقرروا ما يريدون ويوقّعوا. في هذه الحال كثيرون أخذوا على حين غفلة فاتّخذوا قرارات فوريّة جرّت عليهم الخسائر. أما الآن فالسوق تبدو اكثر نُضجاً وأقرب الى الهدوء والاسلوب التجاري الصحيح.

على أن هنريك كوبت، صاحب فكرة المعرِض، لا تُعجبه عبارة "أسلوب تجاري". فهو يتحسَّر على ذهاب أيام الاتفاقات السهلة ذات الاسلوب "الادبي" بين باعة الكتب والناشرين. وهناك أيضاً هنريك - ماريا لديغ - روهولت أكبر ناشري المانيا سِناً وخبرة، الذي يشاطر كوبت بعض تحفُّظاته في شأن الحجم الضخم الذي بلغته السوق. لكنه يرى في التضخم نقطة ضعف لا تُذكر في مقابل الازدهار والانتشار العالمي الذي أحرزته السوق، في حين ترتفع في أنحاء العالم أصوات داعية الى خنق حرية الفكر والوقوف في وجه التبادُل الفكري.

ويضيف روهولت: "السوق تتحسن باستمرار. لقد وُجدت للخير، ولا ريب في أنها تصنع خيراً كثيرا."

روودلف شلمنسكي ■



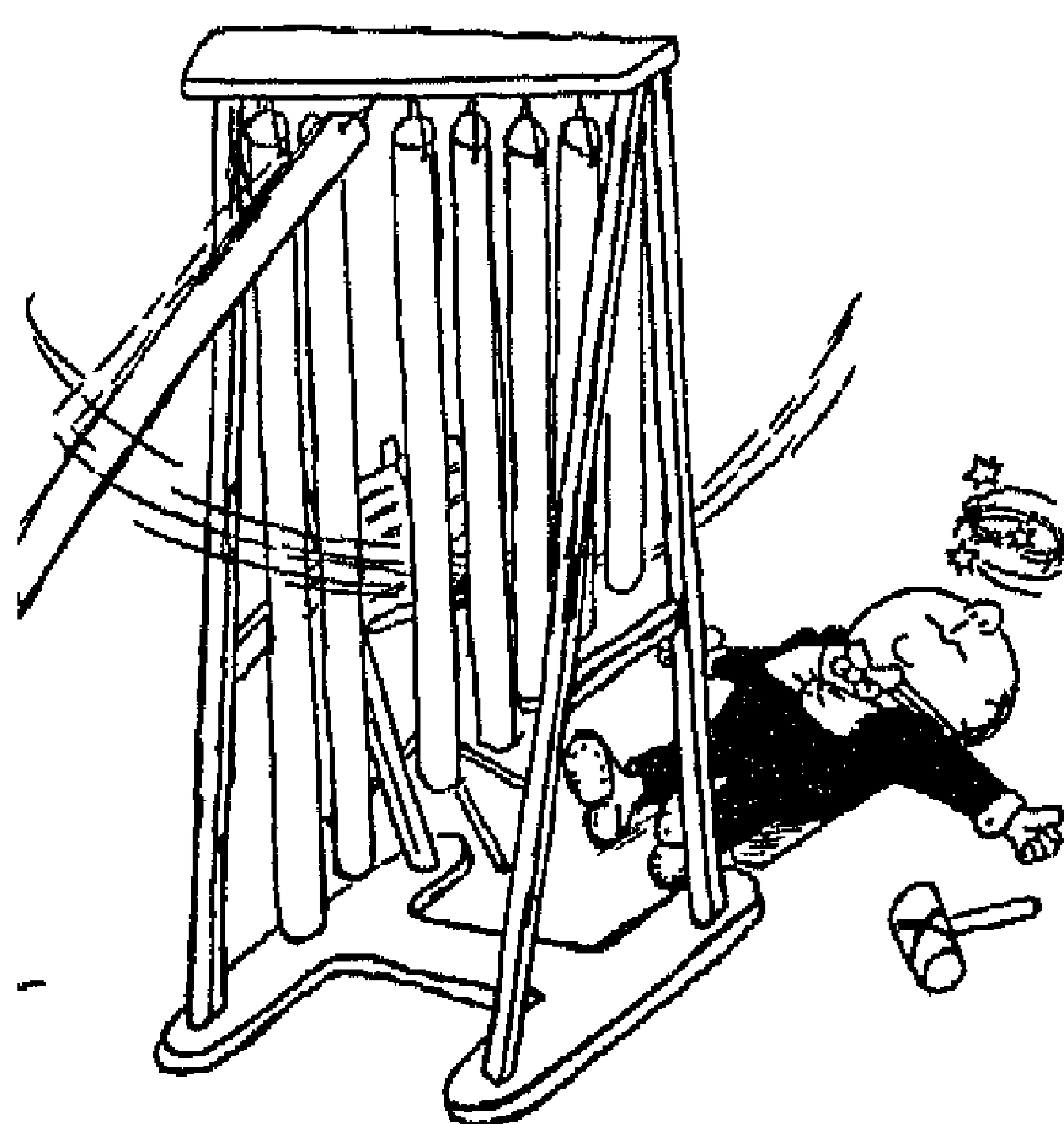
سيارتان توأمان

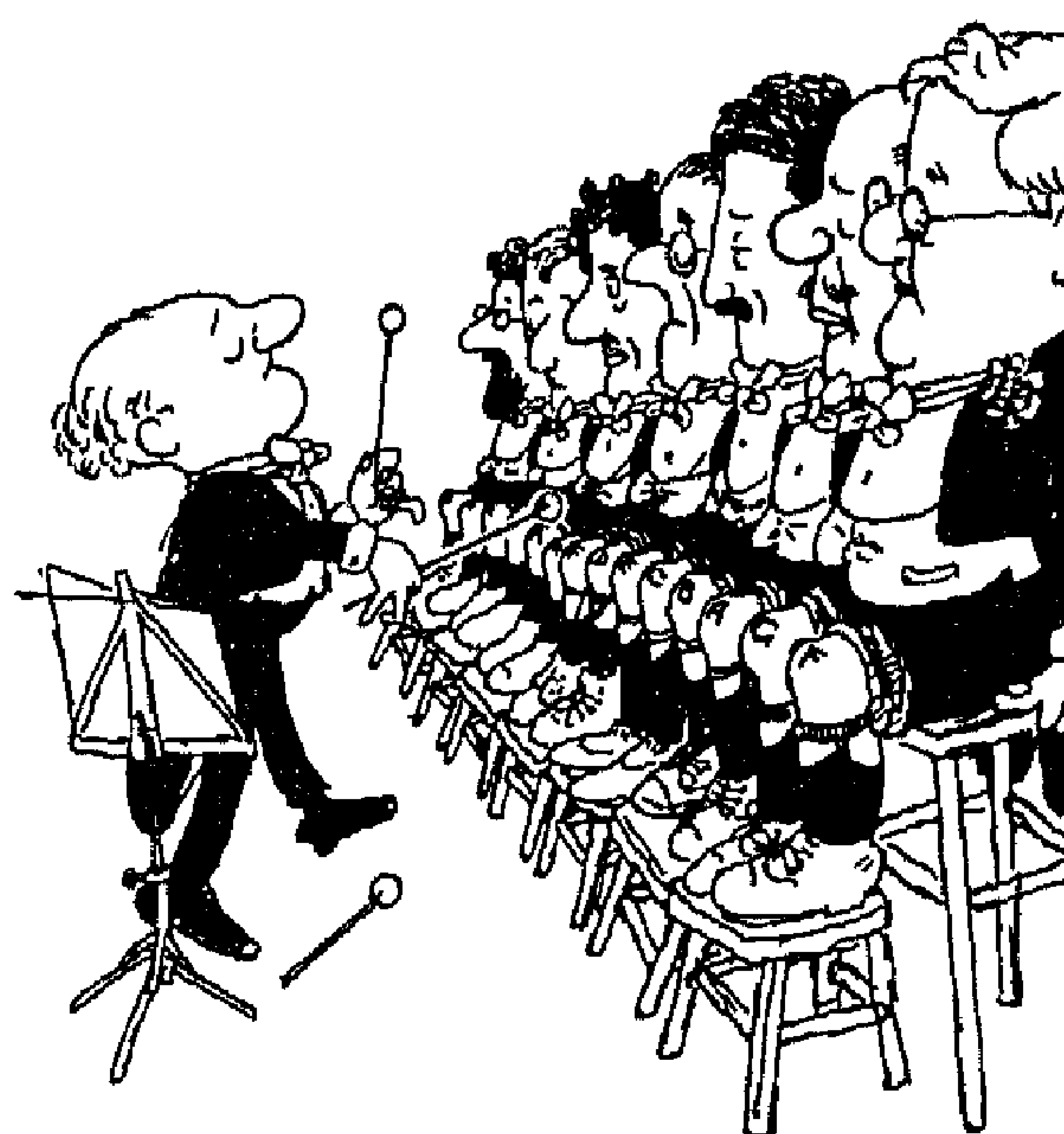
كانت سيدة وابنها يملكان سيارتي "ستايشن" متماثلتين تماماً. وذات يوم أصيبت سيارة الابن في حادث فتحطمت واجهتها الامامية. وفي اليوم التالي قادت الام سيارتها لنقل ابنتها من المدرسة. وفي الغد اخذ الابن سيارة والدته فاضطرت هذه الى استعمال سيارته المتضررة لاحضار ابنتها. وباتت تقود سيارتها يوماً وسيارة ابنها يوماً آخر.

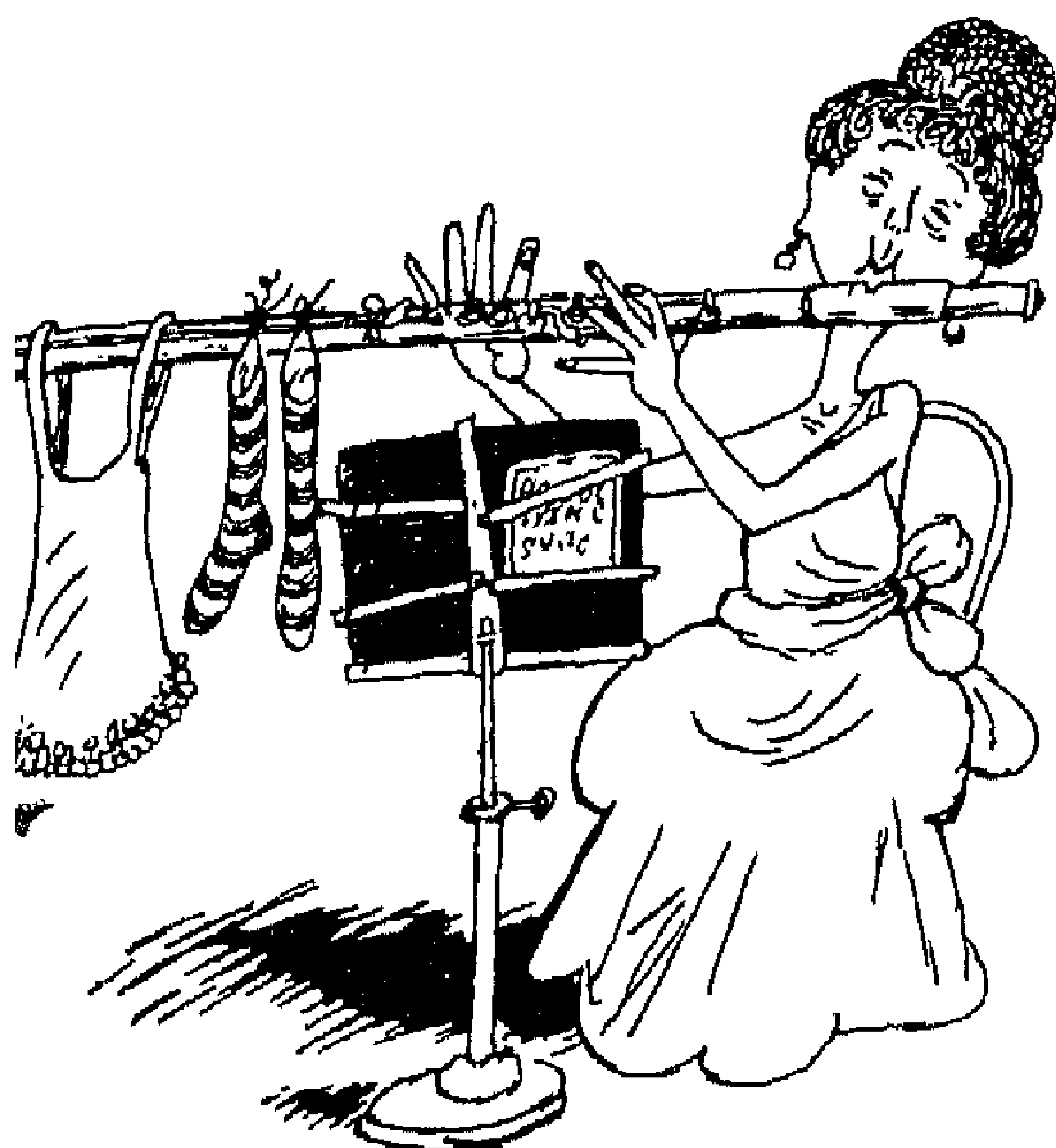
وبينما الام تنتظر ابنتها أمام باب المدرسة تقدم منها الحارس وقال لها: "الاسبوع الماضي كدت أجنّ. آمل الا يكون أحد أصيب في كل حوادثك يا سيدتي. ولكن ما أريد معرفته حقاً هو اسم ذلك العبقري الذي يصلح سيارتك."

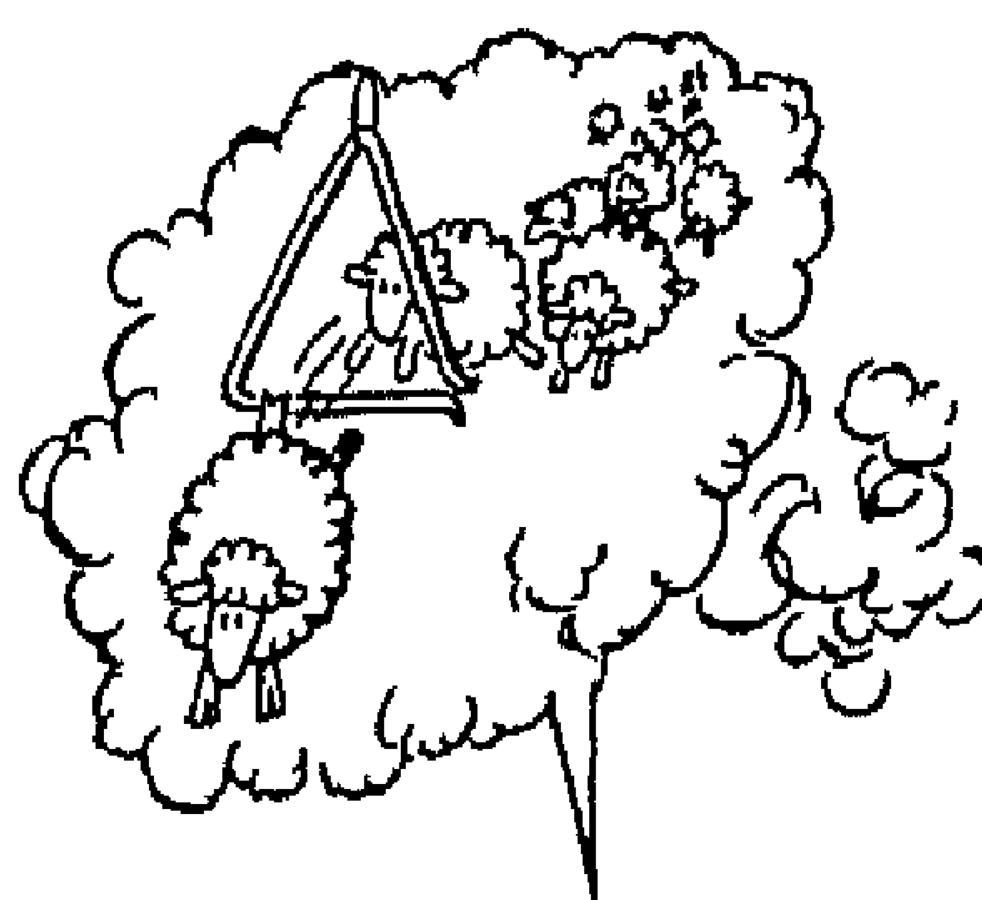
أ.هـ.

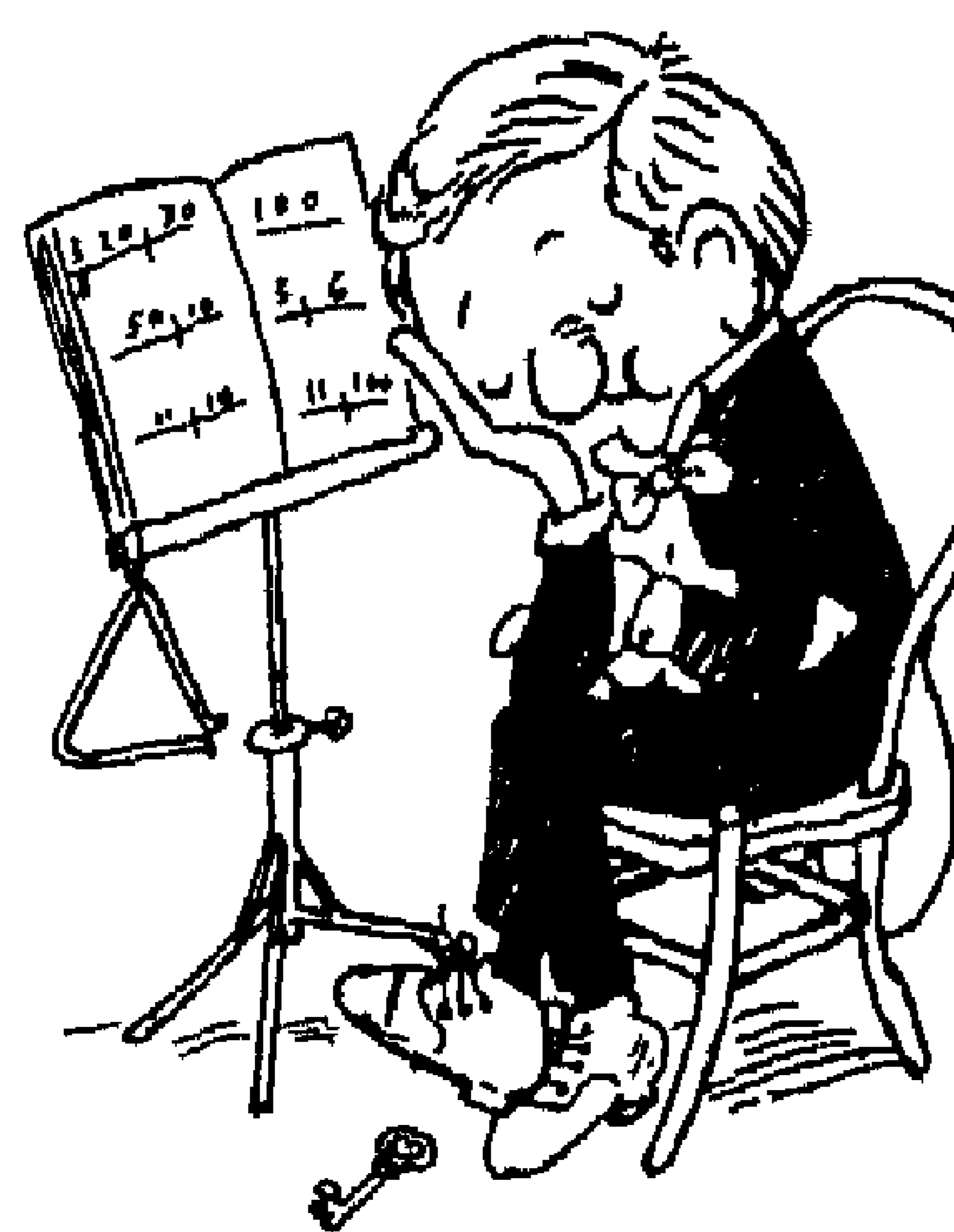
سرعة الريح تزداد بازدياد كلفة تصفيف الشعر. م.ل.

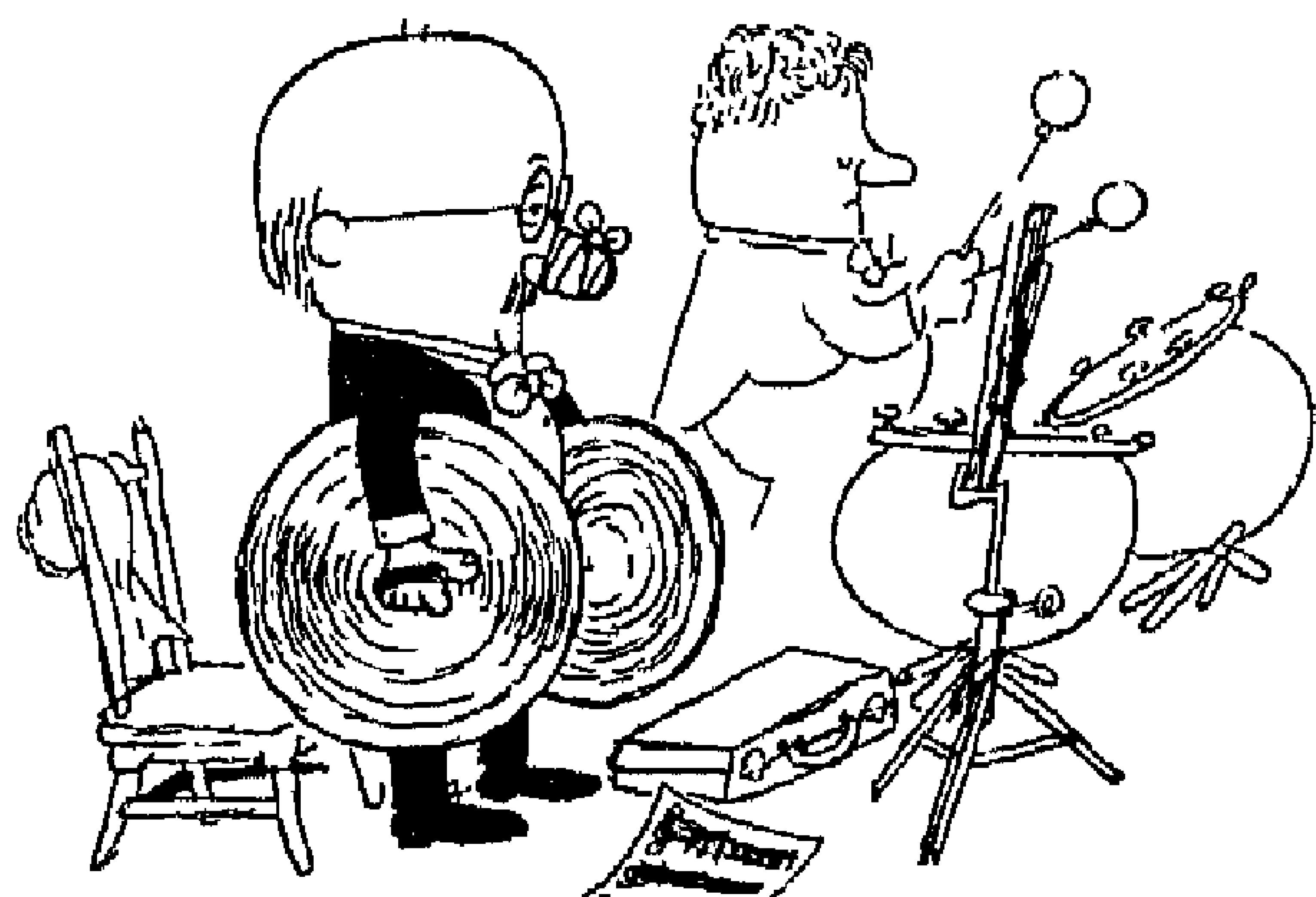






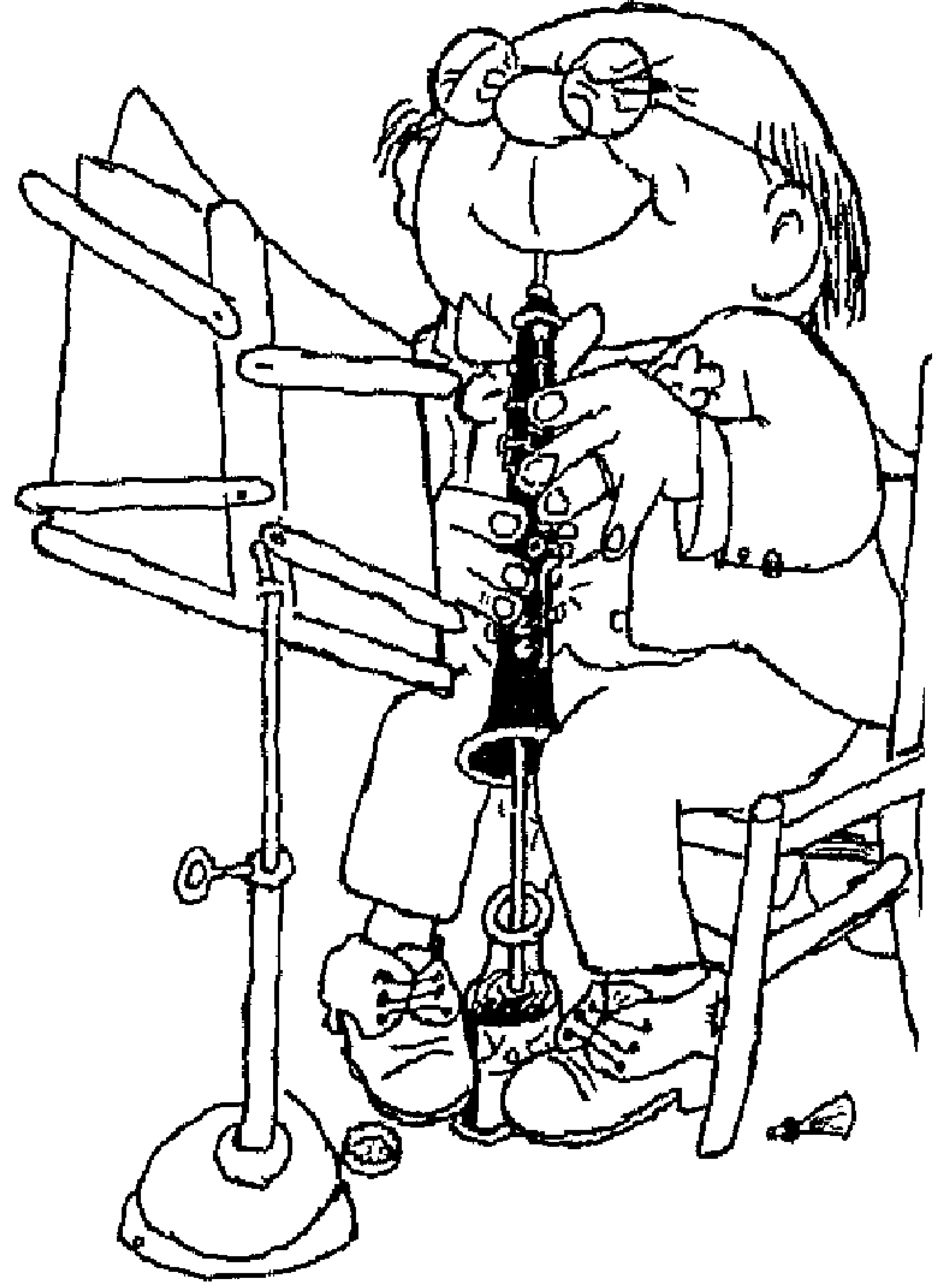


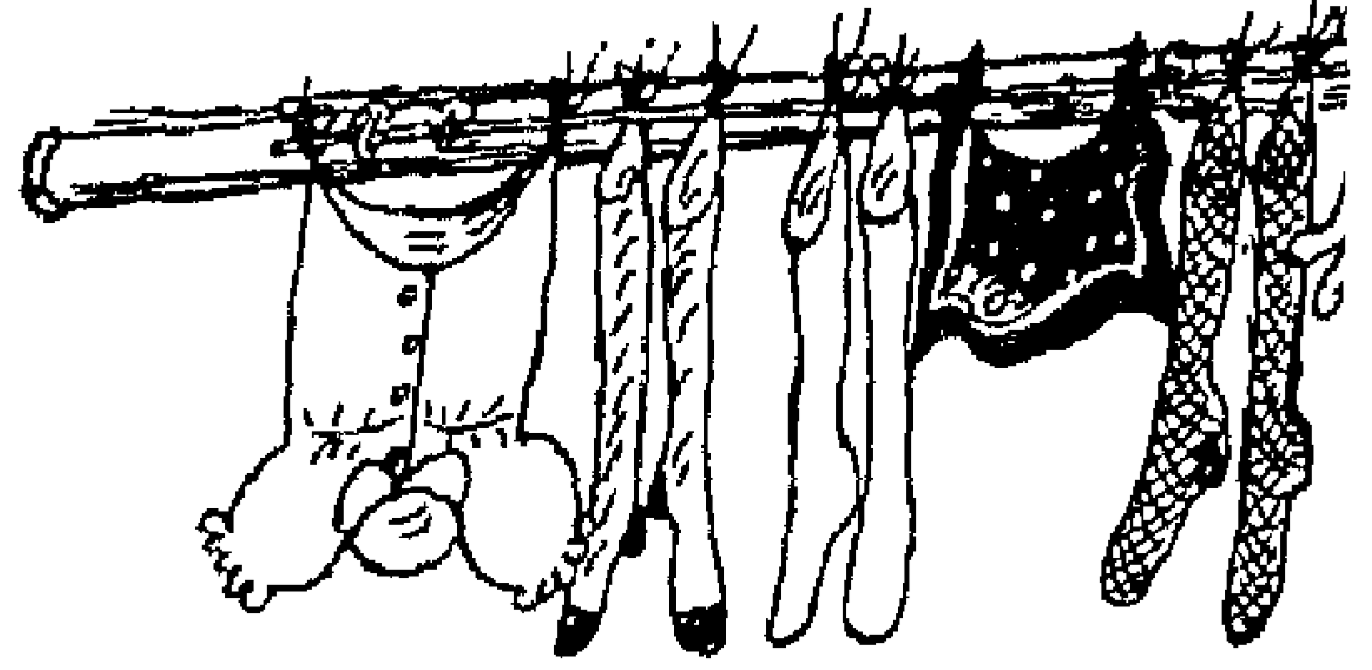




طرائف موسيقية

الرسام والموسيقي والفكاهي جيرار هوفنانغ، انغرس حبه في قلوب جيل كامل لرسومه الكاريكاتورية الشهيرة حول الموسيقى. وهو بقي يرسم لقطات ضاحكة حتى وفاته الباكرة عام ١٩٥٩ وهو في الرابعة والثلاثين من العمر. وهنا مختارات منها.



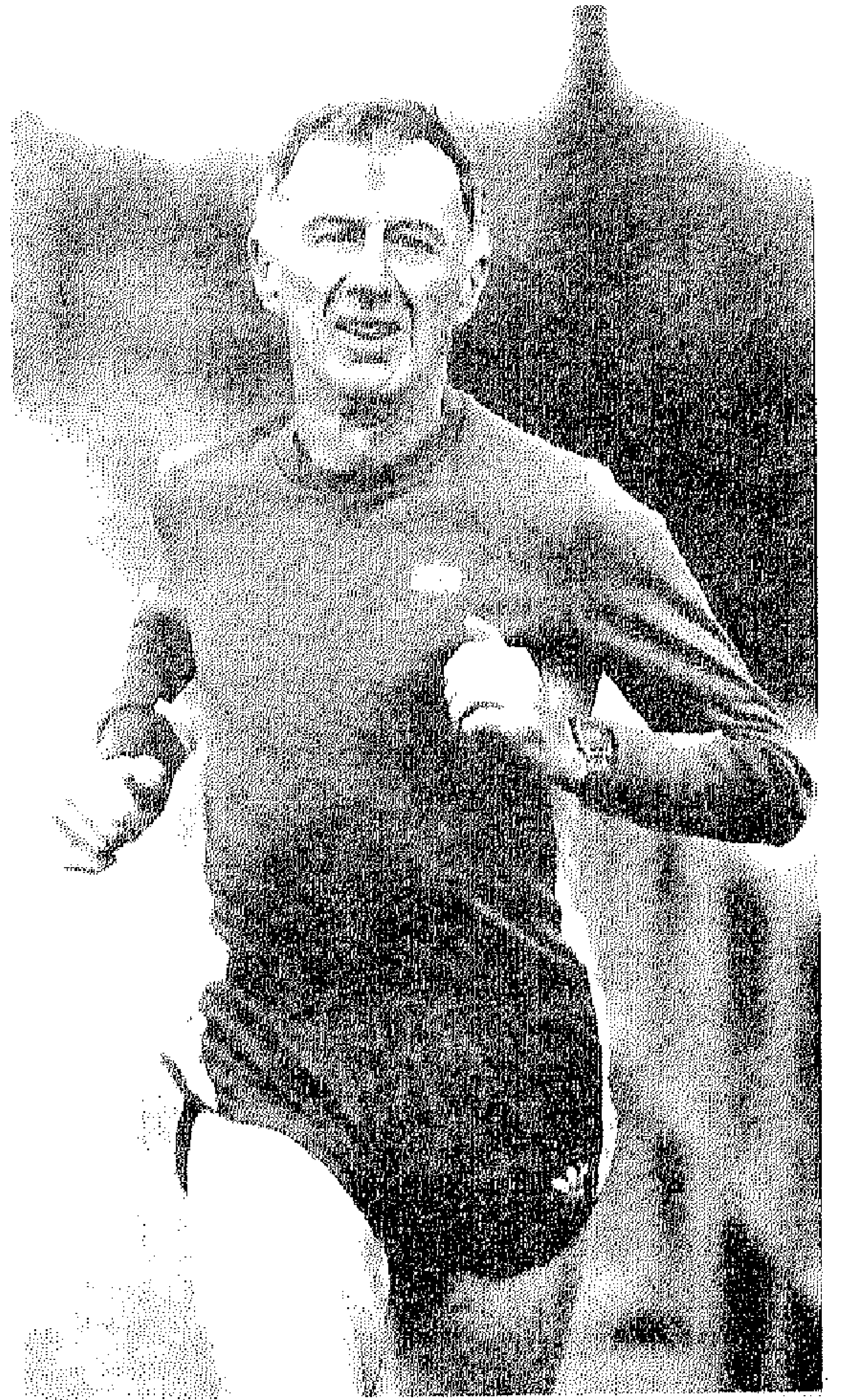






الرشاقة العصرية فطور شهي وغداء رياضي

أنت رياضي؟
إذاً أنت لا تنظر بل ترى،
ولا تتلمس بل تحس،
ولا تتذوق بل تستمتع



في مطلع السبعينات تحول كثير من الناس جذرياً عن طريقة الحياة التي كانوا يحيون. فأقلع الملايين عن التدخين وابتدأوا يتمرنون فهبطت أوزانهم. وراح ملايين آخرون يهتمون بتهذيب أجسامهم لتصبح أنيقة تعمل بالكامل وتوحي بالرفعة المعبّرة والتقدير الذاتي.

لقد أطلقت برنامج تجديد شبابياً في السن الخامسة والاربعين. ومع أنني كنت طبيباً ناجحاً فقد بدأت أشعر انني أعيش حياة لا تعمل بنظام كامل. كنت أغفو أمام التلفزيون وأتكاسل في نهايات الاسبوع. وتملكني شعور بأن السنين تمر من دون أن أنجز شيئاً. وكطبيب كنت أعرف أنني فريسة أحد أمراض الحضارة المترفة: قلة الحركة.

ما الذي يمكنني فعله. لقد ولدت أخرق في كل ما يتطلّب تناسقاً. وهناك أيضاً جدول عملي المكتظ.

وفي ليلة تذكرت ما كتبه الروائي

البريطاني أرنولد ببنيت: "لن يكون لدينا أبداً وقت أكثر.فلدينا الآن، كما كان لدينا دائما، كل وقت العالم." عندئذ فقط قرّرت أن أمسك بحبل اللحظة الطارئة فأقفز من القطار الموهن الذي كنت فيه.

تغيرات مثيرة - صباح اليوم التالي بدأت ما أصبح عنصراً مهماً في برنامجي للياقة: تناولت فطوراً مغذياً. الوجبة الاولى حيوية لمد النشاط الجسماني وجزره خلال ٢٤ ساعة. وحين بدأت تناول وجبة صحية متوازنة في الصباح أصبحت لا أحسّ الحاجة الى الاكل ظهراً. ولان طاقتي في ذروتها، فمن المنطق أن يكون هناك بديل آخر من النشاط. وهكذا انتعلت زوجاً من أحذية الرياضة وانطلقت في الشارع وقت الغداء.

ومنذ البداية حصلت أمور جديدة رائعة. أولا، حلّت مشكلة تخوفي من كوني أخرق، فالعدو سهل، وكان جسمي قادراً تماماً على تأدية جميع الحركات اللازمة. ثانياً، اكتشفت أن ما لا يحصى من همومي اليومية أصبحت اهتمامات عملية. كانت تحفزني طوال نصف ساعة العدو وتتبدد مع اصطدام المطاط بالارض. وانخفض وزني تدريجاً من ٧٣ كيلوغراماً الى ٦٢.

واكتشفت ما هو أفضل: أصبح ركضي اليومي نوعاً من الاختلاء التأملي. وغدا جسمي ربّاناً ذاتياً لا يحتاج الى ارشاد أو أوامر. وغدا عقلي حراً في الانطلاق، وفي بعض الايام شلالا من أفكار. المشاهد والاصوات والملمس والمذاق والآلام والمباهج وحياتي بكاملها أصبحت في تصرفي، وكأنني أقرأ مذكرات لم أكتبها قط. وهكذا بمصاحبتي الصحة تلاقيت مع الافكار الحسنة. واذا كان لا بدّ من كلمة للتعبير عن الواقع او الشعور فالكلمة هي "النشوة" (ecstasy) التي يعني أصلها اليوناني "الوقوف خارج الذات."

واصلت الركض لانه كان الشيء الذي أستطيعه والذي أحب أن أعمله. والواقع اني وضعت منهاجاً لأيّ امرىء، ذكراً كان أم أنثى وفي أي سن، اذا رغب في أن يكون رشيقاً: نصف ساعة من جهد متواصل أربع مرّات في الاسبوع وبخطى مريحة. لم ارَ حاجة الى عد كيلومترات أو دورات في ملعب، فقط نصف الساعة هذا من التمرين المنتظم يكفي للانخراط في نمط حياة يتسم بالطاقة والحركة وينبىء بتغيّرات فيزيولوجية مثيرة.

من أبرز هذه التغيرات نوعية النوم. فمن المعروف جيّداً أن الجسم الذي يتمرن ينام أفضل، ولكن ما أصبح بمثابة كنز لي هو كيف أستغرق في النوم. وبعد الركض يكون وقتي المفضّل للتفكير. فلا أصدق كيف أمدد أطرافي وأسلم جسدي الى الراحة وأستمتع بتشغيل عقلي. ان وقت ما قبل النوم يجب أن يعاش بكل ثوانيه.

فن الحياة - من فوائد الركض ما يتعين تصنيفه بين الفيزيولوجي والنفساني. فالراكض يدرك بوضوح أن نزعته الحاضرة الى وقف التدخين والشراب هي نزعة ارتجاعية. فالجسم المتمرن لا يريد التدخين وهو يشرب باتّزان. والجسم المتمرن يحافظ عادة على الوزن الصحيح. والجسم المتمرن

٦ قواعد ذهبية بسيطة للرشاقة

كانت لرياضيي دلفي الاغريق القدامى قاعدة ذهبية: "لا إفراط." تذكر أيضاً أنك لا تستطيع إيداع الرشاقة مصرفاً. انها تتطلب جهداً، والا كانت فوائدها عارضة. المبادىء الآتية نفعتني، وقد تنفعك أنت أيضاً:

١. **تناول فطوراً مغذياً.** ابدأ يومك بزودة نشاط.
٢. **لا تأكل بين الوجبات.** هذا هين إذا اتبعت المبدأ الأول.
٣. **حافظ على وزنك.** في اعتقادي، يجب أن تزن ما كنت تزن في العشرينات من عمرك.
٤. **لا تدخن.** تجنب الملوّثات ما أمكن.
٥. **نم الليل جيداً.**
٦. **تمرّن بوعي وانتظام.** هذا المبدأ هو ما يجعل المبادىء السابقة كلها تعمل.

يقلل احتمالات الاصابة بالسكري وينزع الى خفض ضغط الدم. وقد كشفت دراسة شملت ١٧ ألفاً من الخريجين الذكور في جامعة هارفرد بولاية مساتشوستس أنّ استهلاك ٢٠٠٠ وحدة حرارية وأكثر أسبوعياً في تمرن نشط كالركض والسباحة وركوب الدراجة والتجذيف، يترافق مع انخفاض في نسبة الاصابة بأمراض القلب التاجية وارتفاع ضغط الدم الشرياني.

مع ذلك فان التأثير الرئيسي للتمريز هو في الرشاقة لا في المرض. والرشاقة ذات علاقة بنوعية الحياة أكثر منها بطول سنيها. انها تجعل الحياة أكثر بهجة.

ما هي الرشاقة؟ انها، ببساطة، المقدرة على العمل. انها الحركة والطاقة، لا الطاقة العضلية فقط، بل الادراكية أيضاً. وفي امكاني سرد أسماء أطبّاء وجدوا أن الرشاقة تنقص عوامل الخطر التي تهدد الحياة، وأسماء علماء نفسانيين يرون فيها مهمداً للعدائية والتوتر والقلق. والحقيقة ان الرشاقة تحقق هذه الامور الرائعة كلها، لكنها تفعل أكثر. فعالم النفس الامريكي ابراهام ماسلو كتب مرّة أنّ الناس الذين يحققون ذواتهم يستمعون الى أجسامهم ويكتشفون طبيعة تركيبتهم البيولوجية واحتياجاتها. واذا امكنك أن تفعل ذلك فسيمكنك الوصول بجسدك الى حيث تبدأ مزاولة مَن الحياة الحقيقي مستغلا ساعات يومك الاربع والعشرين.

الجائزة الكبرى — هناك سؤال طالما طرحته على نفسي: "ما الذي يفعله غبي مثلي في ركض المسافات الطويلة؟"

حسناً كان ذاك خياراً شخصياً. فقد بدأت بالركض نصف ساعة، وزدت المدة الى ساعة اذ وجدتني قادراً على الركض الى أبعد محتفظاً بملكة تفكيري. ومع ازدياد جَلَدي قرّرت أن أصبح رياضياً. والرياضي ينمي قدراته الى أقصى حدود الافادة من مواهبه الطبيعية الموروثة.

وان لذلك مكافآته المجنية بجهد. فبعد كل سباق لم أعد أنظر، صرت أرى. أنا الآن لا أتلمّس، بل أُحس. أنا لا أتذوق، بل أستمتع. أصبح نور الشمس ثميناً والنسيم متعة. بتّ أعرف معنى المصافحة وأستشفّ الكنز في البسمة. أصبح عيشي اختباراً روحياً ذا معنى.

الرشاقة تساعدك في التفتيش عن الحياة التي تريدها. وكونك رياضياً يعني أنك وجدتها.

لم أعد أذكر خمولي السابق. وأعيش في بلدة تواجه المحيط. مجتمعنا مجتمع كبار، فالبلدة يقطنها مواطنون متقدمون في السن. وعندما أخرج الى الشرفة أرى مشاة وراكضين وراكبي درّاجات. الجسر الخشبي على الشاطىء يعجّ بأناس يبقون أجسامهم في حركة. لقد تعلّمنا نحن كبار السن أن ننصرف عن التوافه ونتمسك بما هو مهمّ.

ما يفعله كل منا، أصغيراً كان أم كبيراً، هو صنع ذاته. وهل من جديد في ذلك؟ كلا. فحتى في القرن الخامس قبل الميلاد أعلن افلاطون ضرورة تمرين الجسم والعقل معاً.

الرشاقة ممارسة مرحة بهجة. والبهجة هي ما نريده كلنا. جد إذاً شيئاً يكون لك فيه من البهجة مقدار ما في الركض لي، شيئاً تحب أن تعمله. إنتقِ رياضتك لتتناسب مع شخصيتك. هل أنت أفضل في القوّة أم في التحمّل؟ هل أنت محب للبراري قد يستمتع بركوب الدراجة أو بجولات التنزلج؟ هل أنت اجتماعي "شعبي" قد ينجذب الى الكاراتيه أو الرقص؟ اذا وجدت التمرن مضجراً، فتش عن رفيق ودود.

قد تكون الرشاقة أساس تعلّمك فنّ الحياة، فنّ وضع جسدك وعقلك وروحك في تناغم. من ثم أعد صوغ قول الفيلسوف الرواقي ماركوس أوريليوس: يمكنك النهوض صباحاً والقيام بعمل كائن بشري. وستتخلّص من الخوف الملحّ بأنك تعمل أقلّ من الافضل.

وختاماً نتكلم في القدرة على الابداع. يقول النحّات البريطاني هنري مور ان سر النحت هو في الحجر. وحين تتمرن تكتشف الذات التي فيك. تكابد معاناة التركيز والصبر وبهجة التحول الى تلك الذات. ان النضال هو لنيل تلك الجائزة التي هي ذاتك.

الدكتور جورج شيهان ■

الكاتب الذي تظهر صورته في أول المقال طبيب قلب شهير لقب "الطبيب العدّاء". وهو في السابعة والستين وله مؤلفات عدة في التمرين الرياضي.



خدمة جيدة

بعدما دفعت ثمن مشترياتي بادرتني أمينة الصندوق بعبارة لم أفهمها تماماً، فطلبت منها اعادتها. عندئذ صاحت بحدة: "قلت لك نهاراً سعيداً. أأنت أصم؟"

أ.ر.

عيون الليل

في سماء الليالي الصافية تطل علينا نحو ٢٥٠٠ نجمة. لكن هذه ليست سوى نموذج بسيط من مليارات النجوم في مجرتنا. أما المجرات الأخرى فتمتد الى ما وراء حدود الكون المرئي

قال الشاعر الامريكي والت ويتمان في واحدة من اجمل قصائده:

واصطفت البراهين والارقام في اعمدة أمامي،
وعُرضت علي الخرائط والرسوم البيانية لأجمع وأقسم وأقيس،
وسمعت التصفيق للمحاضر في القاعة،
لا ادري لماذا طفح كيلي فجأة،
وانسللت وحدي خارجاً،
ورحت أمشي في الليل البهيم،
ومن وقت الى آخر
أنظر بصمت الى النجوم.

في اعتقادي أن أناسا كثيرين يقولون لأنفسهم بجذل بعد أن يقرأوا هذه

الابيات: "كم هو صحيح هذا القول، فالعلم حقاً يُفرّغ كل شيء من الجمال ويحوّله أرقاماً وجداول وبيانات. لماذا أشغل رأسي بكل هذه التفاهات في الوقت الذي يكفيني أن أتأمل السماء في الليل لتغمرني نشوة عارمة."

المشكلة هي أن ويتمان تناول أموراً لم يعرف عنها الكثير.

أنا لا أنكر ان السماء في الليل جميلة آسرة. وكم من مرة استلقيت على ظهري ساعات طويلة أحدّق الى النجوم برهبة واجلال. لكن تلك البقع البرّاقة في صمت ليست الجمال كله. هل أوخذ بورقة نبات واحدة وأنسى الغابة كلها؟ أيعقل أن تأسرني حصاة واحدة تلمع تحت أشعة الشمس فتحجب عني الشاطئ كله؟

نقط الضوء تلك التي تلمع في السماء ونسميها كواكب وأقماراً انما هي عوالم وأكوان: عوالم مضطربة مكوّنة من غازات حارة في حالة سيلان يمكنها أن تبتلع الارض بكاملها، عوالم ميتة فيها آثار حفر وفوهات براكين، عوالم فيها حمم تقذف سحباً من الغبار والغاز في أجواء خالية من الهواء، عوالم لكلٍ منها جمالها الغريب الخارق تختصره نقط الضوء تلك التي لا نراها إلا في الليل.

أما النقط المشعّة الأخرى، النجوم لا الكواكب، فانما هي في الحقيقة شموس. بعضها متوهج بفخامة وعظمة كألف من شمسنا وبعضها عبارة عن كتل متراصة مدمّجة لها كثافة شمسنا على الاقل لكن حجمها لا يتجاوز حجم كوكب صغير وعرضها لا يزيد على بضعة كيلومترات. وبعضها الآخر أكثر كثافة واكتنازاً ويشتمل على "الثقوب السود" التي تتميز بقوة جاذبة تبتلع كل شيء ولا ترجعه وتدفع المادة الى فراغ لا قعر له وتبث أشعة سينية قاتلة.

وهناك النجمات التي تنبض باستمرار نافثة أنفاساً كونية عظيمة. وهناك غيرها تتمدد وتحمّر وتبتلع أي كوكب يدور في فلكها بعد أن تستنفد وقودها. وغيرها أيضاً تتفجّر كالزلزال وتنبثق منها عاصفة من الاشعاع المدمّر الذي يخترق الفضاء ليطاول رذاذة الأرض.

والى تلك النجمات القليلة التافهة التي يبين نحو ٢٥٠٠ منها في أشد الليالي صفاء، هناك مليارات من النجوم لا نراها تسبح في الفضاء كدولاب هواء هائل يدعى مجرة "الدرب اللبني" (★). ويستغرق الضوء المسافر بسرعة ٢٩٩٧٨٤ كيلومتراً في الثانية الواحدة ١٠٠ ألف سنة ليقطع المسافة التي تفصل بين طرفيها. وهذه المجرّة بالنجمات التي تؤلفها، وضمنها الشمس والأرض ومن عليها، تدور حول نقطة مركزية وتستغرق مئات الملايين من السنين لكي تتم دورة كاملة.

مجرّة الدرب اللبني ما هي الا واحدة من عشرات المجرّات التي تؤلف معها وحدة مترابطة تشبه العنقود. ومعظم هذه المجرات صغير لا يضمّ اكثر من مليار نجمة، لكن هناك مجرة واحدة على الأقل تدعى "أندروميدا" أو "المرأة المسلسلة" وتضاهي مجرّة الدرب اللبني حجماً. وفي الكون عناقيد أخرى يضمّ بعضها مئات المجرّات ويمتد الى ما وراء حدود الرؤية.

(★) The Milky Way Galaxy

ولقد أمكننا أن نتبين تحركات عنيفة في مراكز بعض المجرات ودفقاً هائلا من الاشعاع الذي ربما اشار الى "موت" ملايين النجوم واندثارها. وثمة اضطرابات وسط مجرتنا تحجبها عن نظامنا الشمسي سحب هائلة من الغبار والغاز تقطع الطريق بيننا وبين الوسط الجائش.

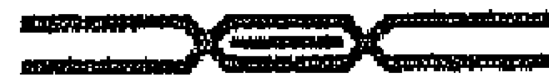
والكون الذي كان قبل أن "ينفجر" كتلة مستعرة مضغوطة ما زال في حال تمدد منذ ١٥ مليار سنة، أي منذ حدث ذلك الدوي الهائل الذي انبثقت منه المجرات وما زالت تتباعد بفعله.

ربما استمر "تمدد" الكون الى الأبد، وربما توقف وأخذ في الانقباض وعاد الى ما كان ليبدأ العملية ذاتها من جديد.

هذه الرؤيا التي تتخطى تصور البشر ما كانت لتتحقق لولا عمل مئات العلماء الفلكيين. والـواقع ان جميـع هـذه الاكتشافات تمّت بعد وفاة ويتمان في العام ١٨٩٢ وبالتحديد في السنوات الخمس والعشرين الاخيرة. ولم يدر في خلد الشاعر أن الجمال الذي سحره عندما "تأمله بصمت" ما هو إلا جزء محدود مما هو موجود.

حتى نحن لا يمكننا أن نتصور الجمال غير المحدود الذي سيتكشف أمامنا بفضل العلم.

اسحق عظيموف ■



ازهار الوظائف

يعمل احدهم مسؤولا عن التوظيف في شركة. وتتنافس وكالات التوظيف على خطب وده فترسل اليه الهدايا من أقلام حبر وعلّاقات مفاتيح وسواها.

وذات أسبوع أرسلت اليه باقات زهر متنوعة: يوم الاثنين جاءته باقة قرنفل ويوم الثلثاء باقة ورد ويوم الاربعاء باقة مشكلة من أزهار الربيع. ويوم الجمعة تلقى باقة أقحوان مع بطاقة كتب عليها الآتي: "مهما يكن عملك فنحن نرجو أن تواصل هذا العمل." وكانت الباقة مرسلة من محل بيع الازهار.

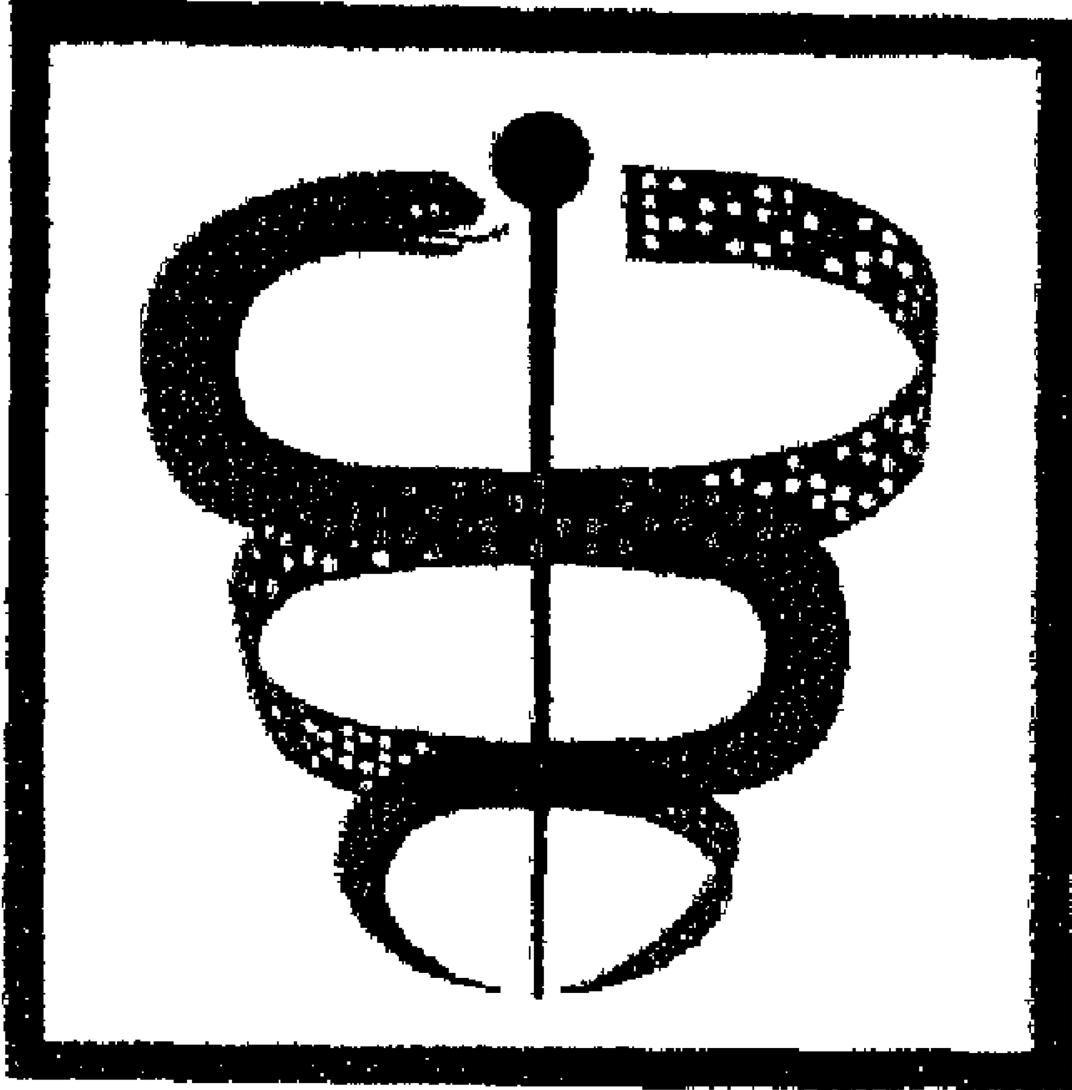
ل.م.

أم عاملة

أنا أمّ ومعلمة في آن. ولكثرة انشغالي دأبت على توزيع الأعمال المنزلية على أفراد العائلة. ولم أعِ ندرة قيامي ببعض الاعمال إلا حين دخل ابني الصغير البيت مرة ووجدني أمسح أرض المطبخ. فحدق الي باهتمام شديد ثم سألني بجدية: "ماذا كسرت يا أمي؟"

ن. ط.

أصداء من عالم الطب



الشلل المستعاد

نحو عشرة في المئة من الملايين الذين أصابتهم عدوى شلل الأطفال في هذا القرن قضوا قبل اكتشاف اللقاح الملائم لها في الخمسينات. الا أن الكثير ممّن صمدوا عانوا بعض الشلل قبل أن يشفوا منه ويعيشوا حياة طبيعيّة، لتعاودهم أعراضه الرئيسية بعد عقود من الزمن. وظنّ الأطبّاء بادىء الأمر أن تلك الأعراض وهمية. لكن الجسم الطبّي بات يعرف أن هناك مرضاً عضلياً يصيب ٢٠ إلى ٢٥ في المئة من ضحايا الشلل البائدة.

ولكن من حسن الحظ أن هذا المرض العضلي لا يقضي على أعصاب الحركة كما يفعل الشلل ولا يؤدّي البتّة الى الوفاة. وكثيرون هم ضحايا الأعراض المستعادَة الذين باتوا، بفضل وسائل العلاج الحديثة، يتغلّبون على أسوأ العواقب من غير أن يحتاجوا، معظم الأحيان، الى أكثر من عكّاز خفيف الوزن وآلة تنفس. وينصحهم الاختصاصيون بأخذ قسط بسيط من الراحة لاتّقاء المضاعفات والمحافظة على طاقتهم.

مجلّة "تايم"

الالياف والزائدة الدودية

أظهرت دراسة نشرت في المجلة الامريكية للصحة العامة أن الاولاد الذين يكثرون من تناول الخبز الكامل والحبوب (cereals) يكونون أقل تعرضاً لالتهاب الزائدة الدودية .

وقد أجرى الدكتور جين برندر وزملاؤه في كلية الصحة العامة والطب البيئي في جامعة واشنطن في سياتل مقارنة بين النظم الغذائية التي يتبعها ١٣٥ ولداً أدخلوا المستشفى بسبب التهاب الزائدة الذي يتطلب عموماً جراحة مستعجلة، ومجموعة أخرى من الاولاد الذين ادخلوا المستشفى بسبب كسور في العظم أو لاجراء جراحات بسيطة. وأظهرت مقابلات أجريت مع الآباء والامهات أن المصابين بالتهاب الزائدة الدودية كانوا يتناولون كمية من الخبز الكامل والحبوب أقل من الآخرين. وبين الاولاد الذين تجاوزوا السن السابعة كان احتمال الاصابة بالزائدة الدودية لدى الذين يتناولون أقل كمية من الالياف ضعفي ما هو لدى الذين يتناولون أكبر كمية منها.

صحيفة "واشنطن بوست"

مملكة الحيوان في الهند

تؤوي الهند إحدى أغنى مجموعات الحيوانات البرية على وجه الأرض. فصحاريها وجبالها وجزرها وغاباتها مساكن لعدد من حيوانات الاساطير العالمية، بما فيها حية الكوبرا المقلنسة والنمر البنغالي الملكي.

غير أن ملايين الكنوز الحية في الهند حوّلت تذكارات بالية ومحافظ جيب جلدية لماعة وعقاقير ذات قوة "سحرية". وما يزيد على نصف الغابات الضرورية لبقاء الحيوانات بدده التطور. وهناك اليوم ٦٩ صنفاً من الحيوانات الثديية و٤٠ صنفاً من الطيور و٢٢ صنفاً من الزواحف والحيوانات البرية معرضة للخطر الى حد كبير. وآخر الفهود الهندية (الشيتا) أردي في العام ١٩٤٨. أما الاسد الآسيوي أو "السينه" فتضاءل عدده وانحصر في مساحة صغيرة معزولة في غابات غير بمنطقة غوجارات، وهي نهاية حقيرة لوحش نبيل يزيّن علم البلاد.

وتحاول الهند التوصل الى توازن دقيق

النمر (Panthera tigris)

ثمة قصص قليلة في سجلات الحفاظ على الحيوانات توازي بنتائجها قصة نجاح مشروع الحفاظ على النمور في الهند الذي بدأ العمل به عام ١٩٧٣ بهدف حماية نمر البنغال الملكي. ففي وقت من الاوقات كانت عشرات الآلاف من هذه الحيوانات تطوف غابات الهند. لكن بين ١٩٠٠ و١٩٧٠ تراجع عددها الى قرابة ألفين، وأصبح أمير الغابة نادر الوجود بحيث بات جلده يساوي عشرة آلاف دولار في السوق السوداء الاجنبية. وبمباركة من رئيسة الوزراء الراحلة أنديرا غاندي أنفق المشروع ١٣،١ مليون دولار لإقامة ١٥ محمية للنمور.

وفي غضون عقد من الزمن زاد عدد النمور في الهند أكثر من ضعفين، واليوم ثمة ٤٠٠٥ نمور، منها ١١٢١ تعيش في المحميات. ولكن فيما كان عددها يزداد طافت جماعات منها في حقول قصب السكر وافترست القرويين الذين اعترضوها. وتبذل جهود حالياً لاقامة منطقة محايدة بين القرى ومحميات النمور.

ان الحفاظ على النمر يعد أكثر من مجازفة في علم الجمال. وفي هذا الصدد يقول هـ.س. بانوار المدير السابق لمشروع النمور: "لكي تحافظ على النمر عليك الحفاظ على الغابات وعلى الغزلان التي هي فرائسه. ولكي تحافظ على الغزلان ينبغي الحفاظ على الأعشاب، وهذا يعني الحفاظ على التربة والماء. فباسم النمر نقدم الى الناس مشروعاً متكاملا للحفاظ على البيئة."



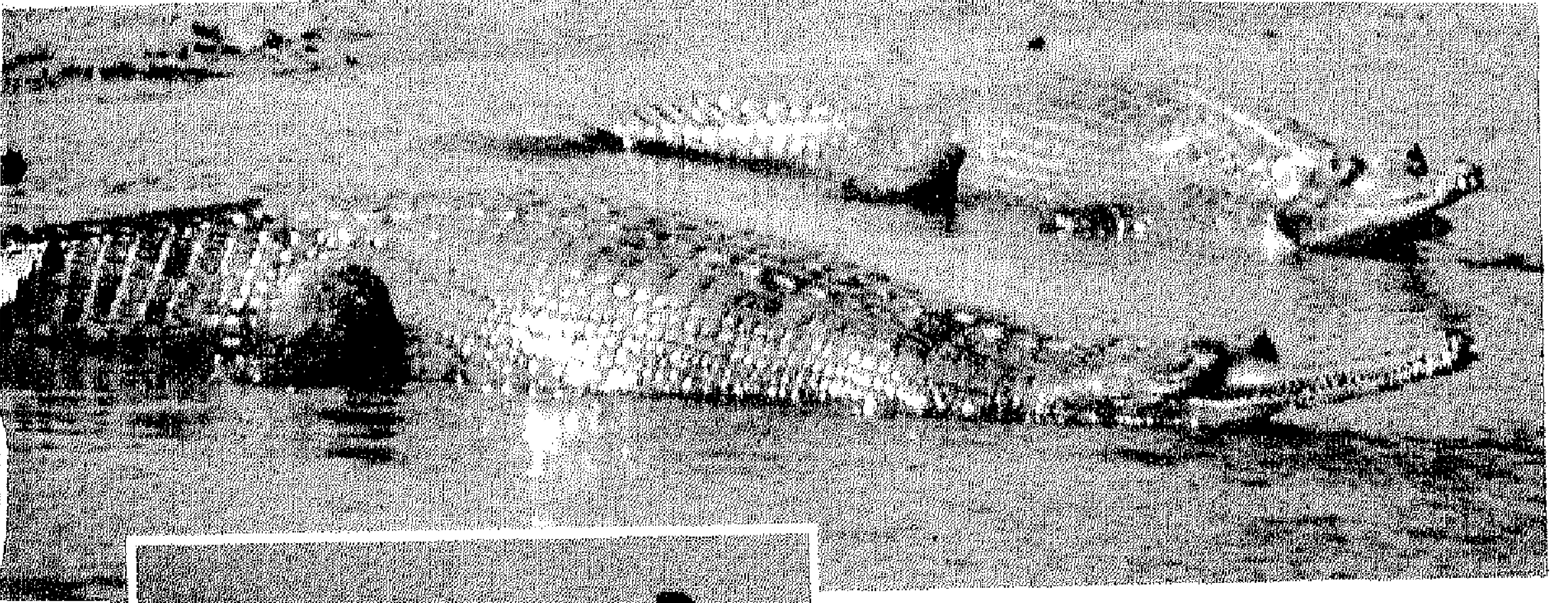
بين ضروريات الازدهار لشعب يزيد ١٤ مليون نسمة سنوياً، ومتطلبات حياتها البرية الرائعة. وبغية قلب التيار المتجه نحو الهاوية، ثمة ٥٤ متنزهاً وطنياً و٣٤٧ محمية للحياة البرية وما يزيد على ١٠٠ ألف كيلومتر مربع تحت الحماية الرسمية.

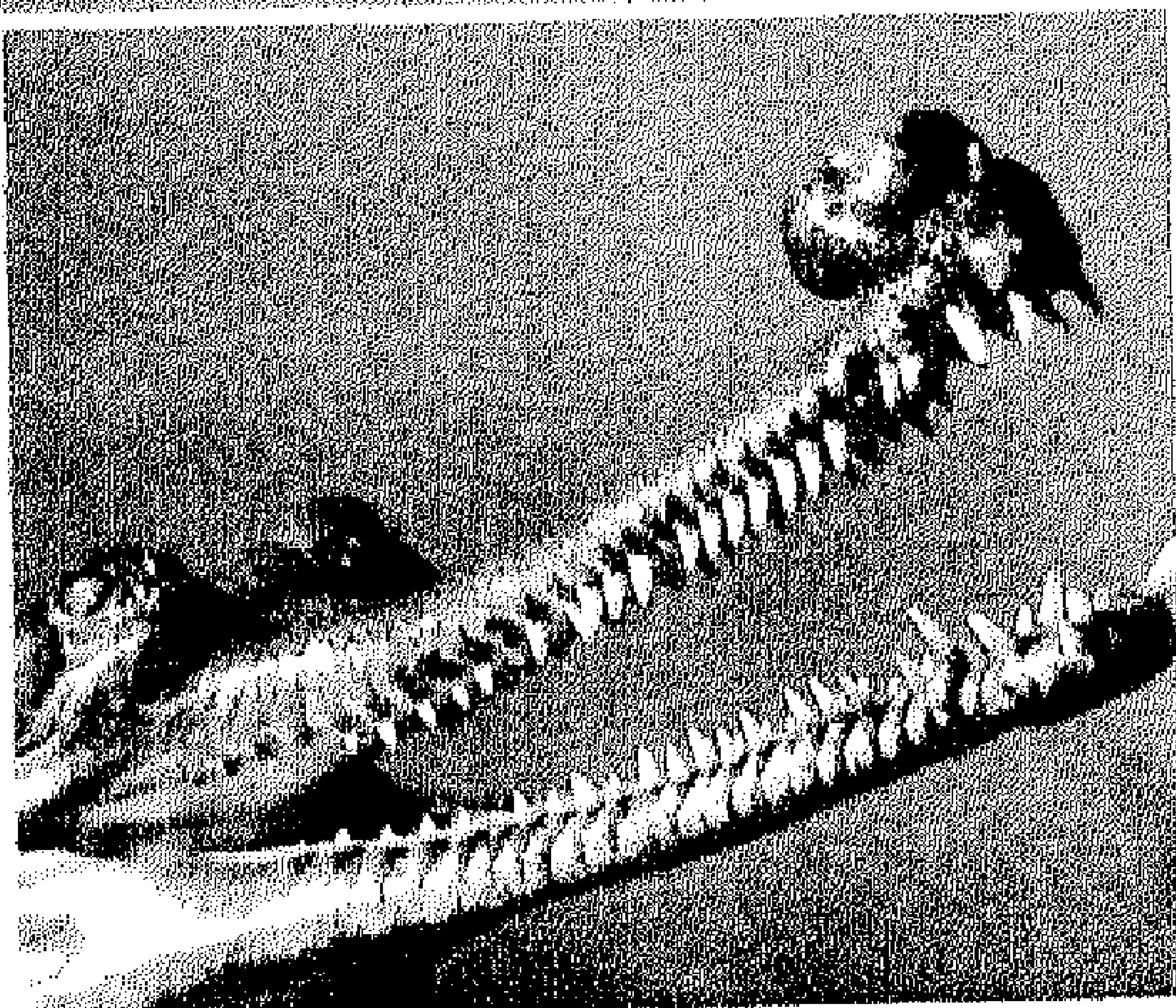
المصور راجيش بيدي الذي سافر مئات الوف الكيلومترات بحثاً عن الحياة البرية يحاول من جهته ان يصون التراث الطبيعي للهند من خلال التقاطه صوراً فوتوغرافية. وصوره الحية التي سنعرضها هنا تمثل ست قصص لكائنات كانت انقرضت قبل زمن بعيد لولا برنامج المحافظة على البقاء التي اتبعته البلاد.

مارك والترز ■

ترك أربعة من هذه التماسيح في نهر الفانج وأحصي ٤٤ في غاغرا وناریاني ورامفانغا وهي مجاري أنهر في أوتار براديش.

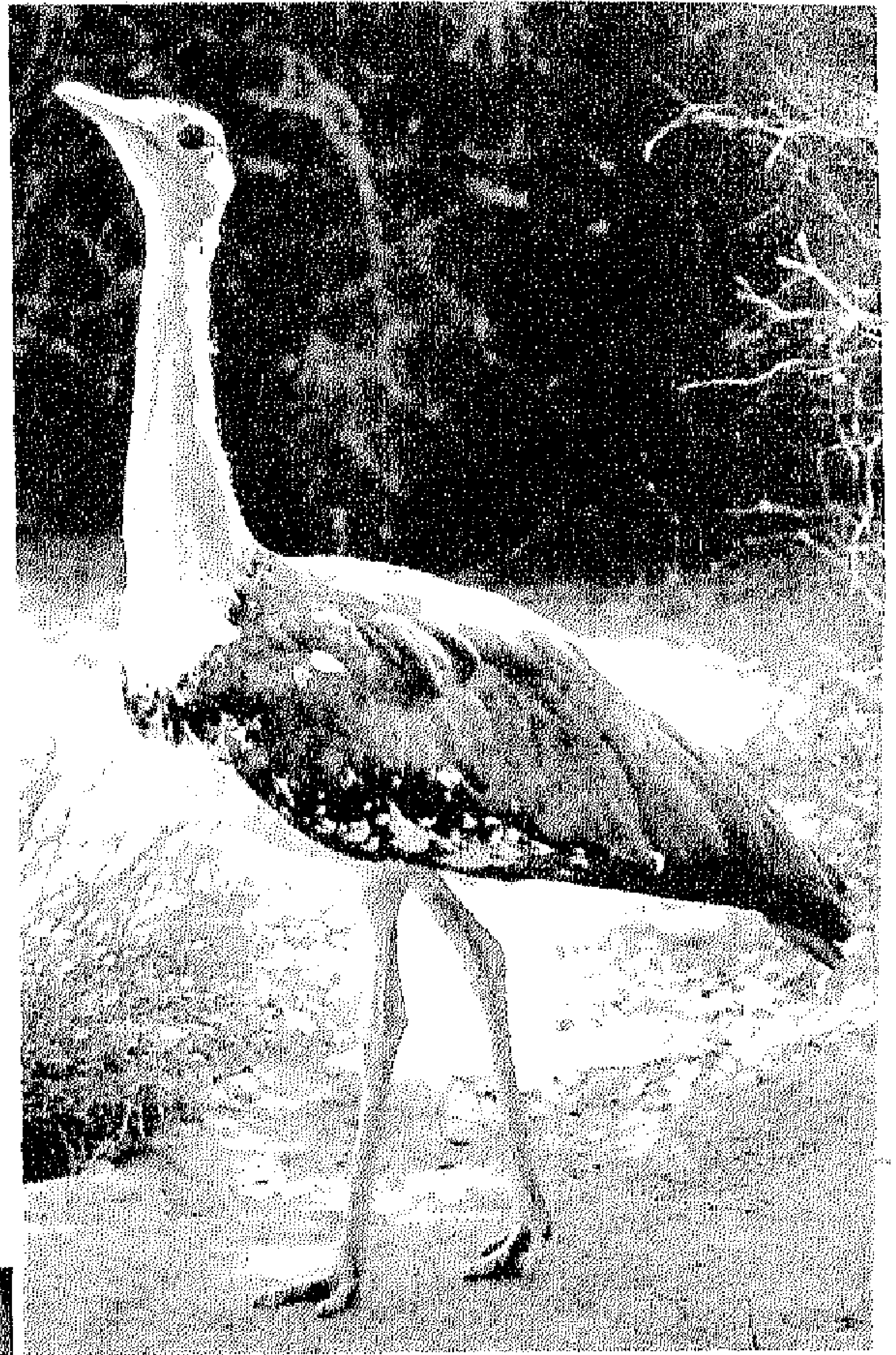
وبسبب ضخامة أحجام هذه التماسيح يكثر الطلب خصوصاً على ذكورها بسبب جلدها الذي تصنع منه سلع من الاحذية الى محافظ الجيب. وبموجب قانون حماية الحياة البرية الصادر عام ١٩٧٢ حظّرت الحكومة قتل الغريال وصيده والاتجار به وتصديره. وفي ١٩٨٠ نجح العلماء للمرة الاولى في استيلاد اناثه في الأسر في محمية أوريسا ناندانكانان. واليوم يتوالد هذا الحيوان طبيعياً في غانداك وغيروا. وعلى رغم أنه ما زال معرّضاً للخطر، فقد وصل تعداده الى قرابة ٢٥٠٠.





الغريال (Gavialis gangeticus)

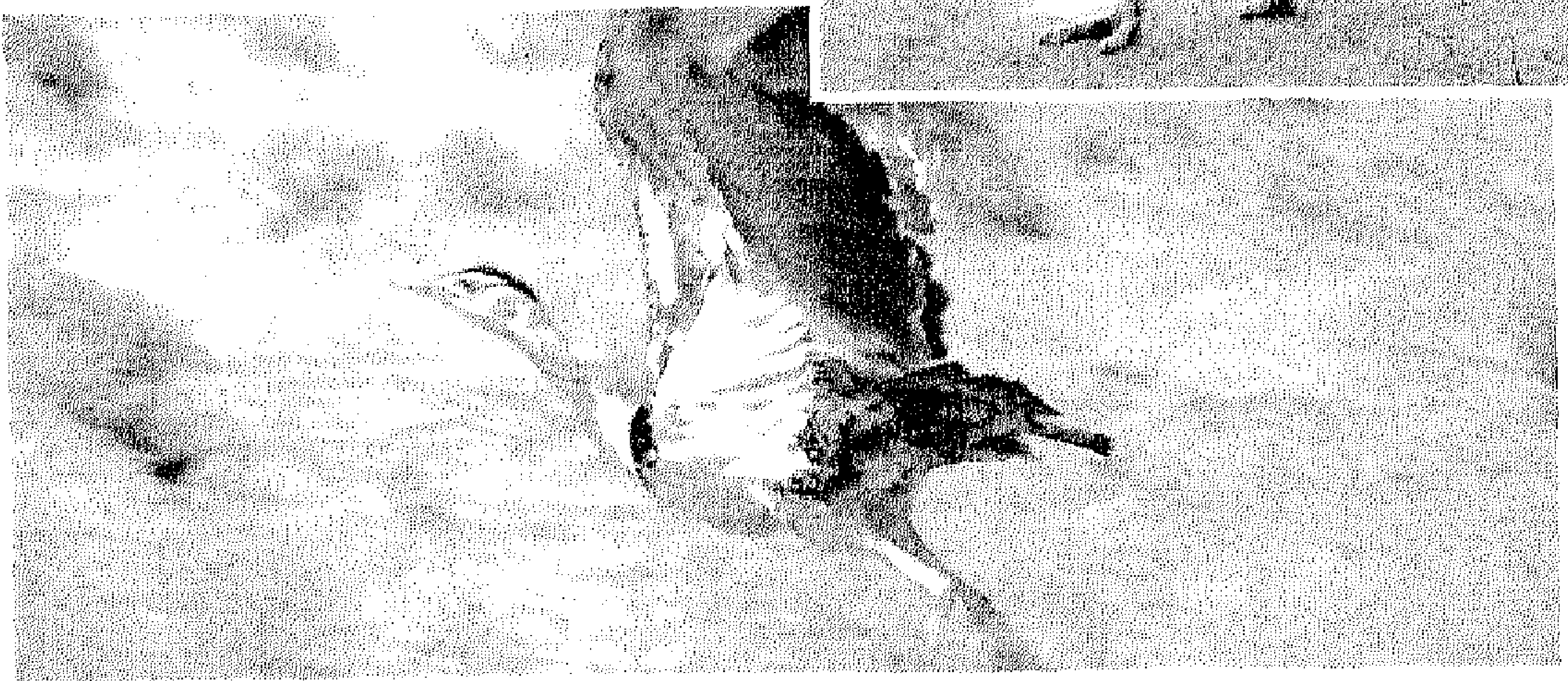
الغريال واحد من عائلة التماسيح يصل طوله الى خمسة امتار.
ويظهر على رأس أنف الذكر البالغ نتوء يشبه ابريقاً مقلوباً. وفي العام ١٩٧٥



الحُبارى (Choriotis nigriceps)

من يتطلع الى الحُبارى يخال للوهلة الاولى أنها تشبه نعامة صغيرة. والحقيقة أنها طائر شبيه بالغرنوق (الكركي) له شهية شديدة للحشرات والحبوب. وبقاء الطائر في العراء يعتمد على مظهره الغريب المموّه، ففي فصل التزاوج يتحوّل تماماً: ينتفخ جيب حنجرته الى حجم بالون ويتدلى بين قائمتيه. من ثم ينصب الطائر ذيله فوق ظهره ويحرّكه بسرعة صعوداً وهبوطاً عارضاً الوبر الابيض تحته. عنقه الابيض البارز تراه الانثى عن بعد أكثر من كيلومتر، ويمكن سماع ندائه من مسافة ٥٠٠ الى ٦٠٠ متر.

منذ بداية القرن الحالي أدى نشاط [illegible]



الحيوان الى خفض عدد هذا الطائر المدهش من عشرات الآلاف الى بضع مئات فقط. وأخيراً أفردت الحكومة في العام ١٩٨٠ مساحة ٣١٦٢٠ كيلومتراً مربعاً من مناطق جيسالمير وبارمر في راجستان وأقامت عليها المتنزه الصحراوي الوطني. ويعود الحُبارى الى هذه المناطق بأعداد وافرة.



اللنغور الذهبي (Presbytis geei)

انه صنف متوحد من القرود التي تقطن التلال السفحية في جبال حملايا الزاخرة بالغابات على حدود بوتان. لذلك بقي مجهولا لدى العلماء حتى العام ١٩٠٧. وأول من كتب عنه بالتفصيل كان عالم الطبيعة البريطاني المولد إ.ب.غي.

يبدو اللنغور "ذهبياً" في فصل الشتاء فقط. أما في الصيف فيتغير لون "شعره" الطويل المتطاير الى الابيض الزبدي. وهو ينتمي الى عائلة كبيرة من القرود التي تعرف باسم أكلة اوراق النبات، ونسيبه هو اللنغور العادي الجليل في الهند.

يبدو اللنغور قرداً مكبوتاً، ونادراً ما يصرخ ويقفز من غصن الى آخر مثل الغيبون أو المكاك. ويمضي فترات بعد الظهر الطويلة في أعالي الشجر ينتظر زوال حرّ النهار قبل الشروع في جمع اوراق الاشجار. ومع أنه حيوان ودود وذكي وسهل الترويض فانه يبقى كائناً غامضاً.

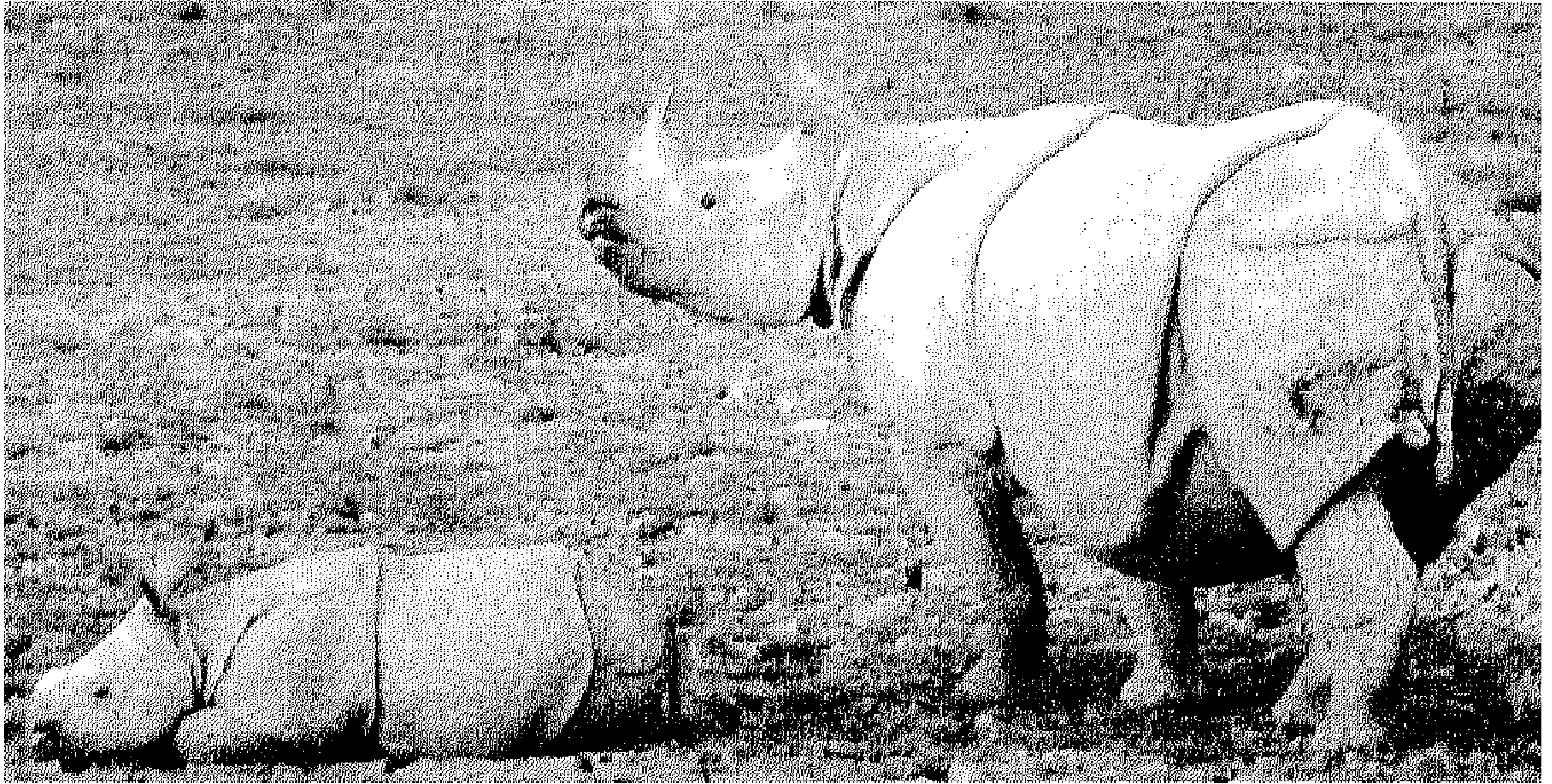
وفي العام ١٩٦٠ كان ثمة ٥٥٠ لنغوراً ذهبياً على حدود بوتان بين نهري سانكوش وماناس. واليوم هناك قرابة ١٠٠٠ لنغور تعيش في التلال السفحية في جبال حملايا. وفي حين يظن ان ثمة ألوفاً تسكن في بوتان، فان موطنها في الهند يصغر يوماً بعد يوم بفعل العمل على تأمين مراع للماشية. والسد المزمع انشاؤه سيؤدي الى القضاء على وجود اللنغور في الهند. وما لم نفرد مساحات كافية للعيش، فان ما نبقى منه سيلجأ الى أماكن آمنة في بوتان.



الكركدن (Rhinoceros unicornis)

قبل قرون كانت أعداد من الكركدن الهندي الضخم تسود المستنقعات بين السند وبراهما بوترا. أما اليوم فقد انحصر وجودها في مساحة ضيقة في التلال المنخفضة الواقعة شرق حملايا. والمعروف أن الكركدن الهندي واحد من أصناف خمسة من الكركدن معرضة للخطر. وخلافاً لصنفي الكركدن الافريقي ذي القرنين،
فان الاصناف الآسيوية الثلاثة أصغر ولها قرن واحد. وفي حين يتميز الكركدن بقوة خارقة فان جلده سهل الاختراق برصاصات فولاذية. وأكبر دفاع

يصبح مسحوقاً ويجعل منه دواء يثير الشهوة الجنسية. وقد يبلغ سعر الكيلوغرام الواحد من مسحوق قرن الكركدن في بعض البلدان الآسيوية ٨٠٠٠ دولار. والحقيقة أن القرن يتألف من القرتين (المادة القرنية) فقط، وهي المادة ذاتها الموجودة في أظافير الانسان.
وكل جزء من الكركدن تقريباً يُعتقد دواء لمرض أو لآخر. وهكذا بقي في بداية القرن الحالي اثنا عشر كركدناً فقط في كازيرانغا. وبحلول العام ١٩٧٨ أحصي هناك ٩٦٠ من البهيموث (أفراس البحر) فضلا عن عدد آخر من الحيوانات في ماناس.
لكن قدر الحيوان يبقى غامضاً في



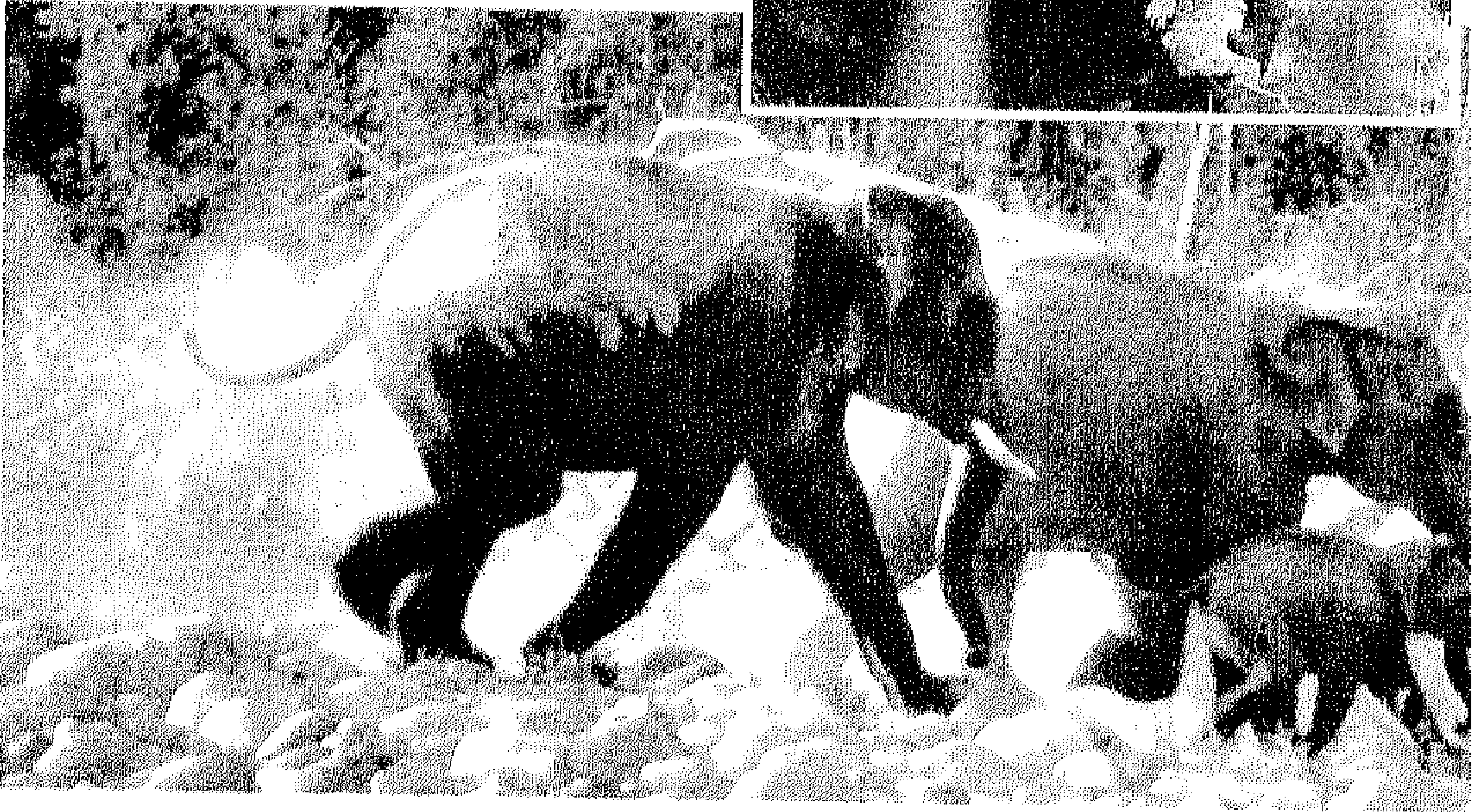
يمتلكه هو سرعته في الجري، حتى ان في استطاعته مجاراة "ابن عمه" النشوئي الحصان.
لقد أدت الخرافات حول القدرات الخارقة التي يتميز بها قرن الكركدن. الى انقراض هذا الحيوان تقريباً.
فطوال قرون كان قرنه يطحن حتى

أسام والبنغال. وعلى رغم أن صيده حظر في العام ١٩١٠، ويقف اليوم خفراء بسلاحهم يحرسون الكركدن ليلا ونهاراً، فقد استطاع منتهكو حرمة الصيد قتل ٤٣ كركدناً في العام ١٩٨٤ وفرّوا بعد انتزاع قرونها.

الفيل الهندي (Elephas maximus)

الفيل الهندي أو الآسيوي ينتسب الى فيل الادغال في افريقيا، لكن أذنيه أصغر حجماً. وأنيابه العاجية ثمينة للغاية وتنعت أحياناً بالذهب الأبيض. أما الناب المتوسط الحجم فيباع بما يراوح بين خمسة وعشرة آلاف دولار، أي ما يعادل دخل فلاح لمدة عشر سنين. ومنتهكو حرمة الصيد يطلقون النار على الفيلة من بنادق رشاشة، ومن ثم يقتلعون أنيابها ويتركون الباقي للضباع والنسور. لقد أهلك صياديو القرن التاسع عشر معظم الفيلة في الهند. أما

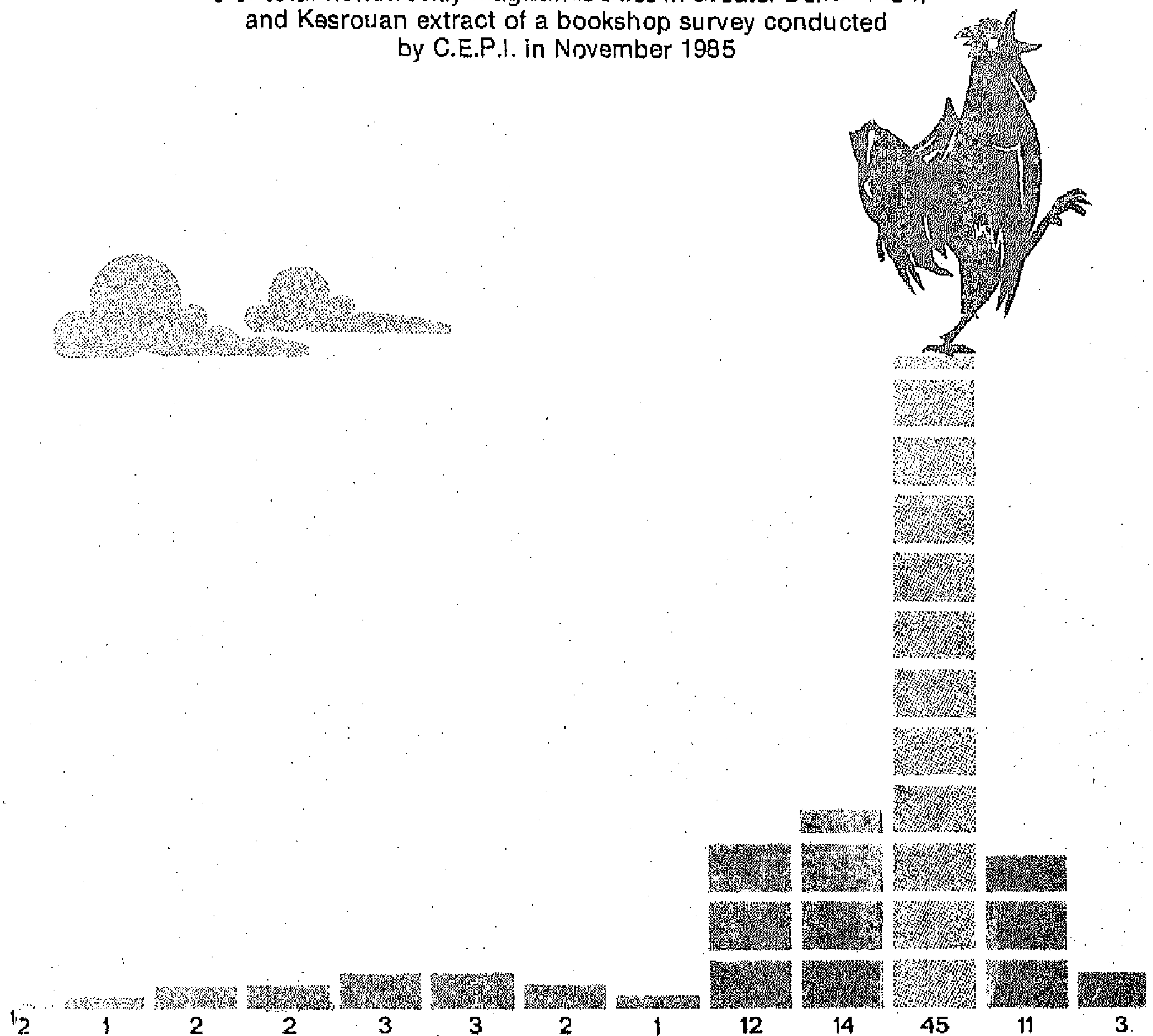




اليوم فعادت أرقامها لتبلغ الآلاف. الا أن الكثير ما زال غير معروف عنها، خصوصاً في ما يتعلق بعاداتها بغية حمايتها على المدى الطويل. وهكذا تجري مراقبة الفيلة بدقة في متنزهات غاتس الغربية بهدف وضع تدابير تكفل حمايتها.

The sky is still our limit

45 % of total newsweekly magazines sales in Greater Beirut Metn
and Kesrouan extract of a bookshop survey conducted
by C.E.P.I. in November 1985



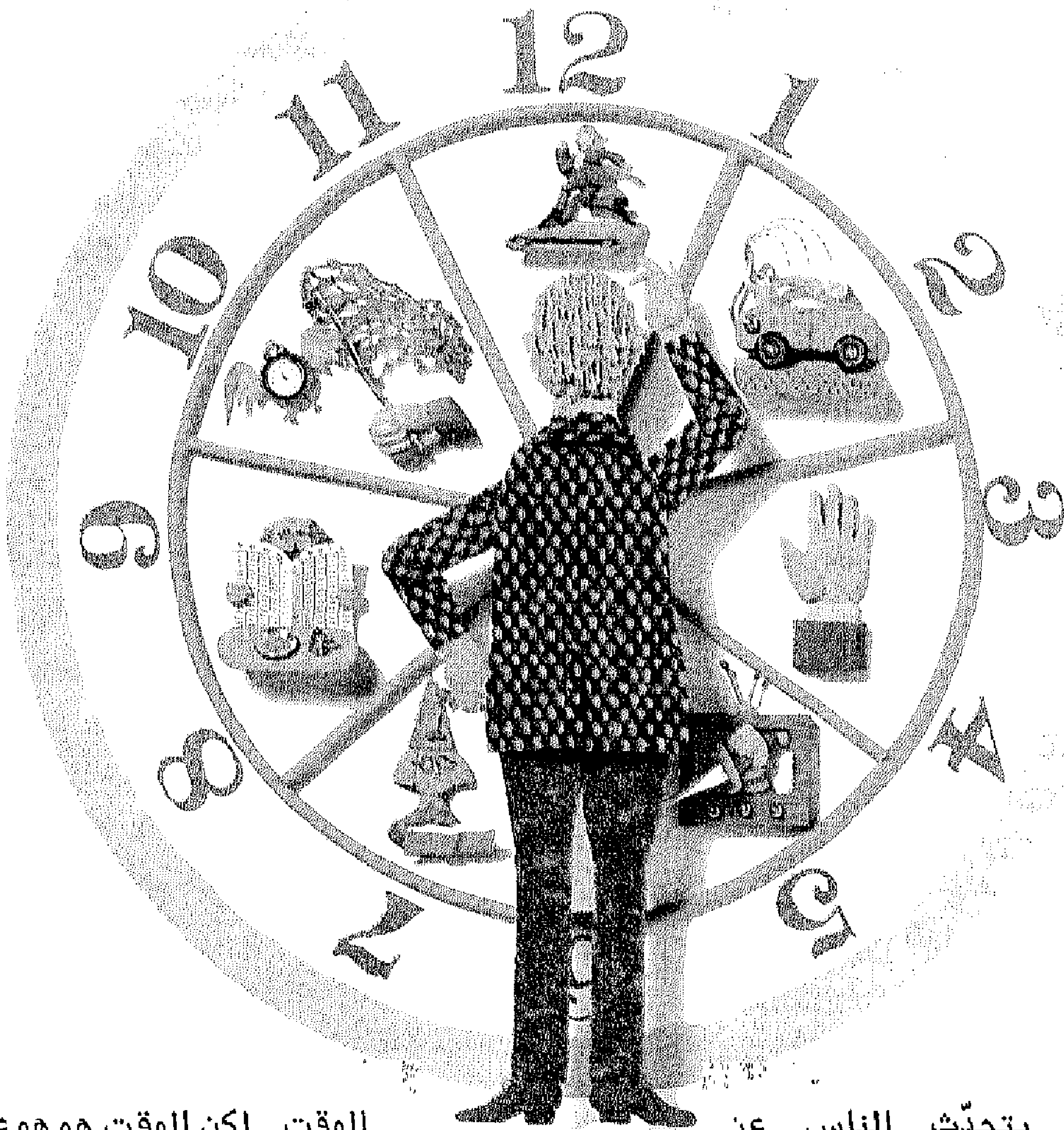
النهار العربي والدولي

an nahar arab & international

مجلة كل لبنان، مجلة كل اللبنانيين

exclusive advertising representative TAMAM S.

بعض الناس يحسّون الساعة دهراً، وغيرهم يرونها تمر مرور الثانية. هنا عالمة نفسانية تحذرنا من الاخطاء الاكثر شيوعاً في التصرف بالوقت الثمين



حين يتحدّث الناس عن الوقت ينقسمون فريقين، أحدهما يقول دائماً: "ما عندي وقت!" والآخر يُظهر حيرته في طريقة قتل

الوقت. لكن الوقت هو هو عند الجميع. وكل منا يحصل على ستين دقيقة في الساعة وعلى أربع وعشرين ساعة في اليوم. انما التفاوت في

التوزيع يتناول الاعمال التي نقوم بها، فبعضها يرينا اليوم قصيراً والبعض الآخر يجعله غير متناهٍ في الطول.

لنتصور تلميذاً يتسلّم جدول وظائفه الاسبوعية دفعة واحدة: "ليوم السبت يجب أن تنجز مئة عملية حساب وتقرأ عشرين صفحة وتكتب قطعتي إملاء وموضوعي إنشاء وتعرف كل شيء عن جغرافية البحر الابيض المتوسط وعن الحرب العالمية الاولى وتتعلّم أغنيتين وتشترك في الالعاب الرياضية وتجد وقتاً للرسم."

الأرجح ان الولد سيصاب بصدمة حين يعاين هذا الجبل من الوظائف منتصباً أمامه، فيفضّل البقاء في فراشه مدّعياً أنه مريض. ولكن حين تقسّم الاعمال موضوعات ودروساً، تهون معالجتها ويصبح في وسع التلميذ انجازها كما يتاح له بعض وقت فراغ.

كذلك فان وضع برنامج عمل يساعد البالغين في شق طريقهم وسط واجبات وارتباطات عدة ويبيّن لهم بالتفصيل كيف يصرفون ١٦٨ ساعة في الاسبوع. يريهم مثلا أنهم ناموا ٣٠٢٠ دقيقة وخصّصوا بالوظيفة ٢٨٧٥ دقيقة وصرفوا ١٨٨٥ دقيقة في أعمال مختلفة مثل التسوق وزيارة الطبيب وبقيت لهم ٢٣٠٠ دقيقة فراغ.

بفضل هذا التحليل يتاح لنا أن نلاحظ بجلاء تلك الظواهر التي نحبها وتلك التي لا نحب. وربما شعرنا بصدمة أمام النتائج التي ترينا مثلا طول الوقت الذي نُنفقه أمام التلفزيون وقِصَر الوقت الذي نُبقيه لأقرب الناس الينا.

كثيراً ما تكون العوامل الخارجية سبباً لمشكلات الوقت، ففي أعمالنا نجد أنفسنا عادة مضطّرين الى تحديد مواعيد وتعيين لقاءات ضرورية. لكن مشكلات الوقت تَنجُم عن مخاوفنا ورغباتنا وليست نتيجة الحظ التعس. إنها من صنعنا، على الأقل جزئياً. نحن نقع دائماً في الأشراك التي ننصبها حين نبالغ في إثقال أوقاتنا بالمواعيد والساعات المحجوزة، ثم بعد هذا نغضب لأن حادثاً غير منتظر أوقعنا في وَرْطة. ولكي نجتنب هذه الأشراك دعُونا نتفحَّصها بدقّة:

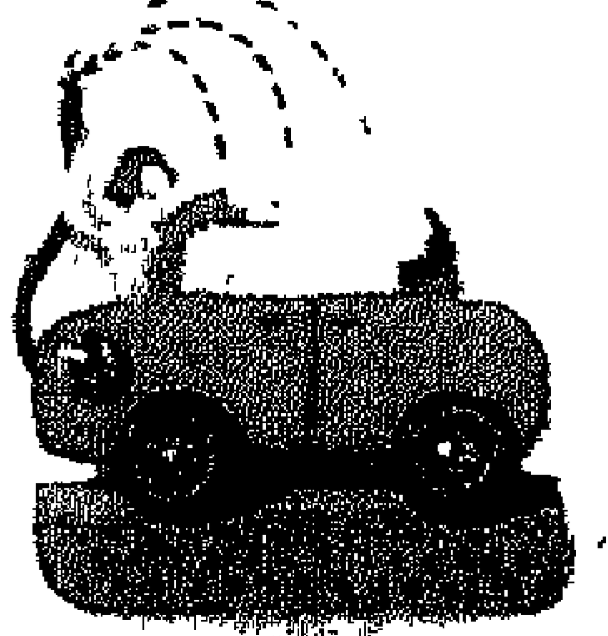


الشَرَك الاول: النشاط الاجباري. من أفظع الخطايا عند العقائديين البيوريتانيين تضييع الوقت أو تبذيره، وهذا الموقف يعبّر أيضاً عن فلسفة الحياة العصرية التي تسيطر عليها الصناعة وتزعم أنه كلما زاد عملنا زاد اعتبارنا أعضاء نافعين في المجتمع وأن أحَقَّ الناس بالاحترام هم "المشغولون الذين ليس لديهم وقت."

لنفرض أن أمامك ست ساعات عمل في هذا اليوم وأن في وسعك اتمام عملك في أربع. هل تتمّه بسرعة وتستمتع بالوقت الباقي؟ الأرجح لا. فرئيسك أو ضميرُك يحسَب هذا التصرُّف تكاسلا. ولكن إذا أنفقتَ الساعات الستْ في اتمام الوظيفة فستشعر بأنك مجتهد وناجح.

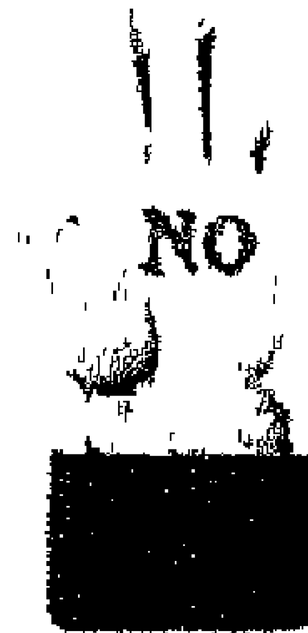
"الشغل يتمدد ليملأ الوقت المُعَد لاتمامه." هذا ما جاء في رأس "قوانين باركنسن" التي صاغها الصحافي

البريطاني نورثكوت باركنسن. ومع أننا غالباً مُرهَقون بالعمل، فما زال معظمنا يتوهم أن الالتزامات الكبرى وحدَها تُشعره بأنه ذو أهمّية ونفع في المجتمع.



الشَرك الثاني: الخوف من الفراغ. في غرفة انتظار لدى طبيب أو في صالون حلّاق، لماذا يُسرع الناس الى التقاط مجلّة؟ لماذا يغضبون اذا اضطرّوا الى الانتظار وإن اتسع لديهم الوقت؟ كثيرون يكرهون الجمود. فاذا أرادوا الاسترخاء لجأوا الى التلفزيون أو الكتاب أو حياكة الصوف. بعض ربات البيوت لا يجسرن على الخروج في يوم ربيعي جميل من دون دلو ماء وإسفنجة لغسل السيّارة، بهذا يبرّرن رغبتهن في الاستمتاع بالشمس. وهناك مَن يبرّرون اشباع حاجتهم الى التنزه بقولهم انهم يأخذون الكلب للنزهة. كل هذا يعني أن كثيرين منا يحسبون الفراغ أمرا مستقبحاً.

نحن نخاف الفراغ لأنه يجعلنا ننكفىء على نفوسنا ونغرق في التفكير. وكل نوع من النشاط يزوّدنا العُذر اللازم لرفض التفكير في معالجة أي مشكلة ولاجتناب التحدُّث عن رغباتنا أو مناقشة اختلاف الرأي بيننا. وهكذا يصبح اللجوء الى العمل ذريعة للهرب من المشاكل.



الشرك الثالث: العجز عن قول "لا". كثيرون يأخذون على عواتقهم مسؤوليات تجاوز طاقاتهم، لا لرغبة ذاتية في المساعدة بل لأنهم يخافون اغضاب الآخرين أو لأن شعورهم بعدم الاطمئنان يجعلهم متكلين على رضا الناس. فهم مستعدّون لتلبية كل طلب مهما يكن مُزعجاً. ولشدّة رغبتهم في كسب المدح والتقدير فانهم يغفلون الاشارة الى ما كلّفهم العمل المطلوب من وقت ومشقة.

بهذا الانتقاد لا نقصِد تحذير الناس من ممارسة العَون والخدمة وحُسن الجوار، لكن مشكلة العاجزين عن قول "لا" هي أنهم يرتبطون بالتزامات ووعود يعجزون عن تنفيذها، فيشعرون بالغبن والارهاق وينقمون على أنفسهم وعلى الآخرين.



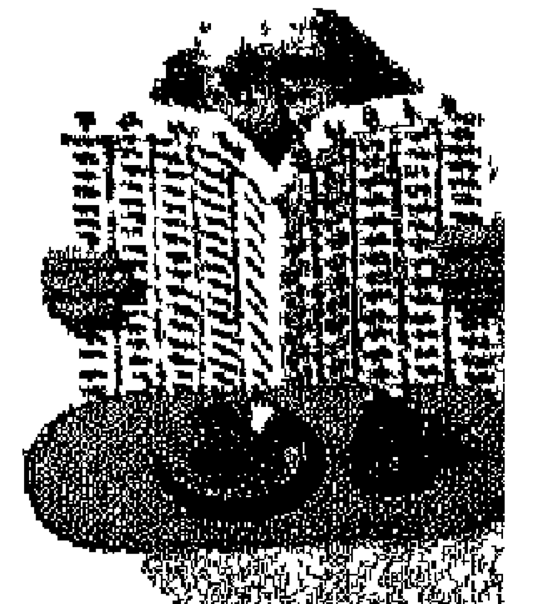
الشرك الرابع: تضييع فرص للعمل. نحن غالباً نسارع الى الانتقال من نشاط الى آخر، لكن الفترة القائمة بين عَملَين كثيراً ما تضيع. ونقول لأنفسنا: "لا فائدة من بدء عمل جديد بين هذا وذاك." فاذا كان علينا مثلا كتابة تقرير يستغرق في نظرنا أربع ساعات، فلا يخطر لنا أن نعالج هذه الوظيفة بتجزئة الوقت ثمانية أنصاف ساعة. ونبرّر موقفنا بالادعاء ان الاندماج في العمل يتطلّب أوقاتاً أطول. وننسى أنه سبق لنا برمجَةُ النشاط التالي الذي قد يكون الاستماع الى نشرة الأخبار أو حضور برنامج مثير في التلفزيون. إن أكثر الذين يشكون من ضيق الوقت: على رغم ازدياد أوقات الفراغ، هم الذين لا يحسنون الافادة من الاوقات العارضة والفرص



الشرك الخامس: رفض التخطيط. الطلاب الذين يتوجب عليهم أن يدرسوا لامتحان أو يُعِدُّوا رسالة فصلية يزعمون أنهم لا يقدرون على الدرس الا اذا كانوا في حال نفسيَّة ملائمة. وغالباً ما تكون النتيجة أنهم يؤجّلون الشغل الى ما شاء الله ولا يستمتعون بأوقات فراغهم لأنهم دائمو القلق على الشغل الذي ينتظرهم. أخيراً يدهمهم الوقت ويُرغمهم على الجهد المُضني. وعلى رغم التجارب التي يمرّون بها فلا يَخطر لهم أن التخطيط المُتقَن هو أقرب الى الصواب، بل ينتهون الى الاعتقاد أنهم لا يستطيعون العمل الا تحت تأثير الضغط.

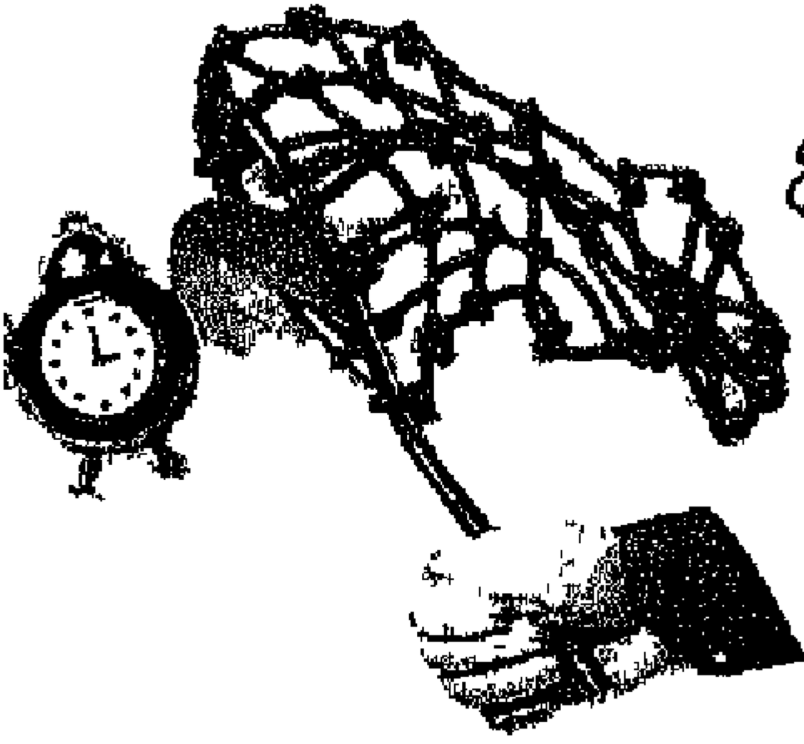
ان الذين يكرهون التخطيط هم الذين يتخيَّلون صورتين: الاولى صورة المخطط المُفرط في الدقة الذي يحاصره التفكير في الموعد الاخير لانجاز العمل، والثانية صورة المتهاون المنكر للتخطيط الذي يعمل طوال الليل حين يطيب له العمل لكنه لا يحجم عن ترك عمله فجأةً ليذهب في نزهة تدعوه اليها شمس مُشرقة.

كلتا الصورتين تفتقر الى الدقَّة والصواب. فالمخطط الصالح هو الذي ينظّم أوقاته وفقاً لحاجته ويُقيم توازناً حسناً بين العمل والفراغ والاسترخاء. ومُنكِر التخطيط يخسر حريته تماماً عند اقتراب المواعيد والاستحقاقات.



الشرك السادس: البداية الصعبة: كلُّنا يعرف التجربة الآتية: في ساعة مباركة قرَّ رأينا على انجاز مراسلاتنا صباح السبت. ولكن بدلا من الشروع فوراً في العمل نتمهَّل في تناول الفطور ثم نقرأ الجريدة من أوّلها الى آخرها. نراجع رسائلنا واحدة واحدة لنري أيها يحتاج الى جواب عاجل، ثم نجري مكالمة هاتفية، وأخيراً نقرّر أن الأسراع في كتابة رسائلنا أمر غير ضروري يمكن تأجيله الى سبت آخر. ولكن حين نجلس للعمل نجده لا يستغرق سوى وقت يسير، فنأسف لأننا لم نباشره من قبل.

المشكلة ذاتها تعرِض لنا حين نتورَّط في عدد من الوظائف الصغيرة قبل التركيز على الوظيفة الرئيسية. وفي توزيع جهودنا على هذا المنوال نُضيع وقتاً كثيراً.



الشَرك السابع: الاحساس الخادع بالوقت. لبعض الناس إحساس قوي بالوقت يُغنيهم عن استعمال المنبه لايقاظهم في ساعة معيَّنة. لكن هذا الاحساس ليس دائماً موضع ثقة. مثلا، اذا كنا ننتظر حدثاً ما بفارغ الصبر فان الدقيقة تبدو لنا مثل ساعة في الطول. اما اذا كنا مبتهجين برفقة أصدقاء فالساعات تمرُّ مرور الدقائق.

وفي تذكُّر أمور سابقة تنعكس الآية. فذاكرتنا تسجّل صورة مطوَّلة ومفصَّلة لسهرة ممتعة أو رحلة موفَّقة قمنا بها في إحدى العُطَل، أما الحوادث اليومُية مهما

طالت فلا تحظى بسوى صورة باهتة ضئيلة في مخزون الذاكرة. هذا يعني أن الذاكرة البشرية لا يمكنها اعطاء الحكم الصحيح على الوقت. فهي تبالغ في تضخيم الوقت الذي قضيناه في أعمال مهمّة ومثيرة لكنها تسرف في تحقير الوقت الذي قضيناه في التسكّع أو ملاحقة أمور تافهة.

الذين عندهم وقت لا يعملون عادة أقل من الذين ليس لديهم وقت، لكنهم يعرفون كيف يميّزون الأوّليات ويتقيّدون بما يتخذونه من قرارات. ونحن لو تعلّمنا حُسْن استعمال وقتنا لالتزمنا منهجاً يبدّل حياتنا بكاملها ويساعدنا على حُسن إنجاز أعمالنا.

في كتاب لميخائيل إند عنوانه "مومو" حكاية فتاة لم تملك من الدنيا شيئا سوى "الوقت". وبمساعدة أصدقائها حرصت على حمايته من اللصوص. في هذا الكتاب نقرأ: "الحياة تتضمن سرًّا عظيماً وبسيطاً في آن، يشارك فيه كلّ منّا. هذا السر هو الوقت. يقيسونه بالساعات والتقاويم، لكن هذه المقاييس باطلة أو هي قليلة الفائدة، لأن الوقت هو الحياة كلّها."

ريفولا شرادر - نايف ■

الريح والسفينة

قبل سنين دمر الاعصار "كاميل" جزءاً كبيراً من ساحل خليج مسيسيبي. وجلس فريق من رجال الاعمال يتحدثون عن الخسائر التي لحقت بهم. وسمعت أحدهم يعدّد كل شيء جمعه في حياته ليفقده في ليلة واحدة رهيبة.

فقال صديق له بعدما سمع قصته كاملة: "هنري، الله يعطي والله يأخذ." وفكّر هنري هنيهة ثم قال بهدوء يائس: "انك على حق يا فريد. الا اني تمنيت لو انه أخذها مني كما اعطاني اياها: شيئاً فشيئاً."

ب.س.

نور العالم

بعدما روّضنا الهواء والريح والمد والجزر والجاذبية، سنتمكن ذات يوم من السيطرة على طاقات الحب. وعندئذ للمرة الثانية في تاريخ العالم، سيكتشف الانسان النار.

تيار دو شاردان، فيلسوف فرنسي

صبيان وبنات

قالت فتاة صغيرة لصاحبتها وهما تشاهدان الصبية يلعبون: "ذات يوم سنتوقف عن اللعب بدمانا وألعابنا، اما هم فسيواصلون اللعب بالكرة."


صَبَاح الخَيْر!
NESCAFÉ
café instantané
instant coffee
نسكافه
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة بالحليب ،
تجعل نهارك مليئاً بالحيوية والنشاط .
إشرب نسكافه في الصباح وفي اي وقت ، وتمتع بطعمها اللذيذ ونكهتها الفنية .
نسكافه ، قهوة ..١ بالمئة صافية سريعة التحضير .
نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

دراجتي العزيزة

درّاج مبتدىء يستجيب لأهوائه ويلبي دعوة الطرق

في الربيع المنصرم مرّ أمام بيتنا في الريف راكب دراجة ذات عشر سرعات (*) وبدا أنه يستمتع بوقته.

وقلت لزوجتي ليزا: "يمكنني أن أفعل ذلك أنا أيضاً. يمكنني اخراج دراجتي وركوبها الى العمل."

وأجابت ليزا: "فكرة رائعة! لكنَّ المسافة تتجاوز العشرين كيلومترا كما تعلم."

– وما هَمّ! فدراجتي بعشر سرعات أيضاً. وهذه السرعات تبسط المرتفعات.

"وعليك قطع عشرين كيلومتراً في طريق العودة أيضاً."

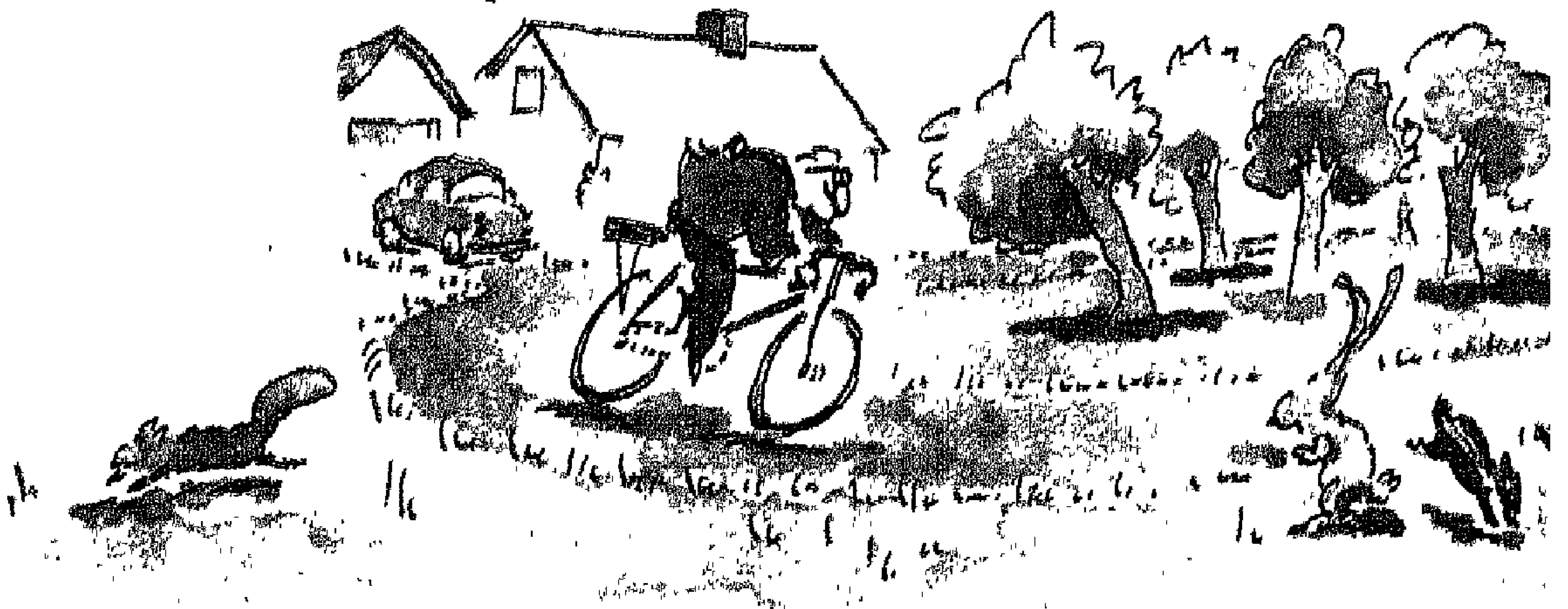
وأوضحت متجاهلا منطقها التحذيري: "يمكنني دائماً استخدام السرعات الأقوى."

وهرعت الى سلم القبو. وعدت بعد دقائق ومعي دراجتي الصفراء التي اشتريتها في الجامعة. وكانت صدئة قليلا لكنها رائعة.

وخاطبت زوجتي: "ما هي إلا لحظات وتنزل هذه الساحرة الى الطرق. وبالطبع سأركب في البداية مرتين أسبوعياً ثم أزيد تدريجاً. وسأوفر الكثير من المحروقات."

ووافقت ليزا. فتلك طريقة لتوفير المال واستخدام طاقة متجددة هي قوّتي

(*) Ten-speed bicycle



Condensed from News Herald (July 17,'85), © 1985 by the News Herald, Morganton, N.C., with additions by the author. Illustrations: Chris Demarest

وتحسين حالي البدنية والاستمتاع بالمناظر. وبدا الامر مثالياً.

ونهار السبت نظّفت الدراجة وزيّتّ سلاسلها وركبتها مسافة كيلومتر ونصف كيلومتر. وبدا الامر ممتعاً.

واستيقظت باكراً فجر الاثنين وركبت دراجتي مقتحماً نهاراً جديداً. وكانت الكيلومترات الاربعة الاولى رائعة. فالنسمات العليلة تلفح وجهي والدراجة سهلة الركوب، حتى انني وجدتني انزل المنحدرات في معظم الاحيان. وأدركت لماذا يحب الكثيرون ركوب الدراجات. وتخيلت حيوانات الغابة الصغيرة تنظر الي وتهز رؤوسها استحساناً، وشعرت بالفخر بسنيَّ الاربعين.

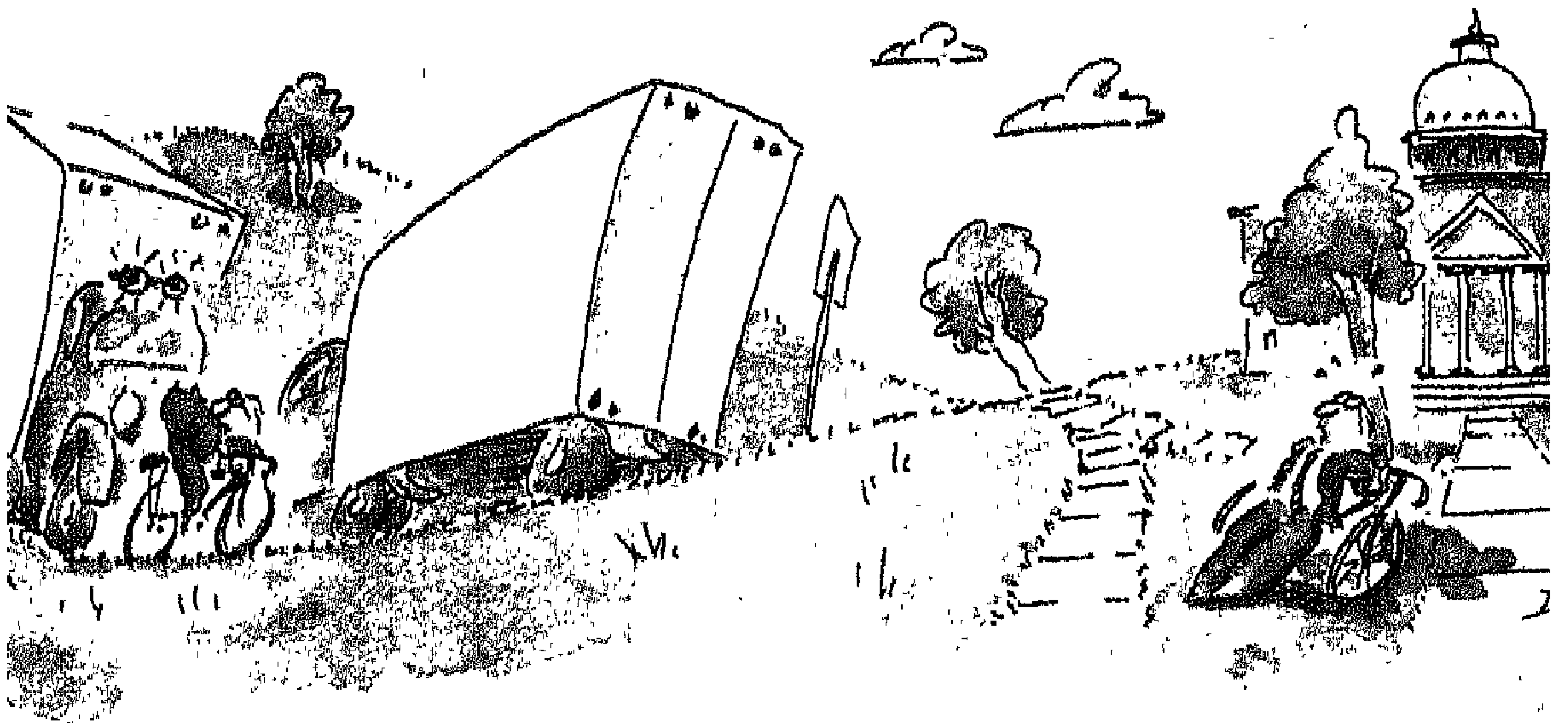
وبعدما اجتزت جسر المدينة تبدلت وجهة نظري جذرياً حين أدركت انني حتى ذلك الوقت كنت أنحدر حقاً.

وأعتذر الى الساكنين على جانبي الطريق العامة والطريق الجانبية المحاذية لها. فالصوت الذي سمعوه يعبر أمام منازلهم ذلك الصباح لم يكن آلة تنظيف كهربائية بل كنت أنا أحاول أن أتنفس.

واعتمدت السرعة الاقوى، التي لم تكن لتكفي، وصممت على صعود التلة. ووددت لو أنزل عن الدراجة وأجرها، لكن كبريائي أقنعتني بأن التلة تحد يومي لمعظم راكبي الدراجات. وأبيت أن أرتقيها مشياً في استسلام مذل.

ونجحت في عزمي. ولكن ما إن رجوت متعة تنشق الاوكسجين حتى تبددت آمالي. فقد هاجمني كلب ضخم من احدى المزارع المجاورة. وضاعفت سرعتي، الامر الذي يعتبر انجازاً أولمبياً اذ كنت أدوس بقدم واحدة فقط، أما القدم الاخرى فكنت أبعد بها الكلب. وتذكرت أنني قرأت مرة أن بعض العدائين ينجون من وحوش كهذه بمخاطبتها بخشونة. واستحق الامر المحاولة.

فصرخت بعنف: "أيها الكلب اللئيم! عد الى بيتك."



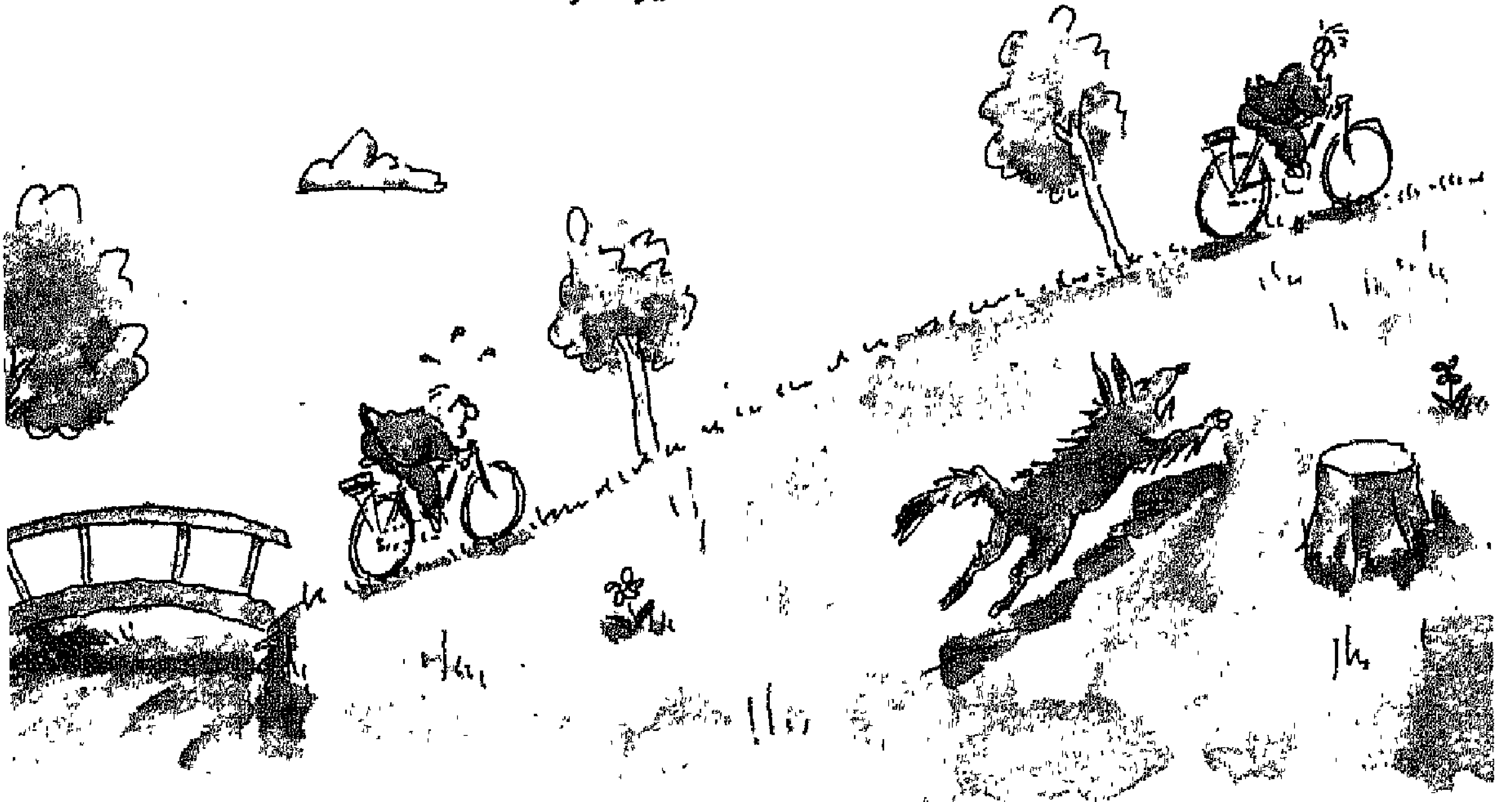
وأطاع الكلب أمري! فانطلقت مسرعاً وعاد تنفسي الى طبيعته عند انعطافي الى الطريق العامة التي بدأت انحداراً طويلا. وكنت آنذاك قطعت تسعة كيلومترات.

وتمتعت قدماي ورئتاي وقلبي بفترة من الراحة، لكن أعصابي ما لبثت أن تعرضت لامتحان قاس. فقد اندفعت نحوي قاطرة ضخمة، ولاحظت في لفتة خاطفة أن شاحنة أخرى عملاقة تحاصرني من الخلف. وما هي إلا لحظات حتى امتلأت الطريق بالشاحنتين وبي في خط عرضي. وكنت أستطيع لمس القاطرة بمرفقي وهي تندفع بسرعة جنونية. وأصر سائقها على التأكد من أنني أحسست بوجوده، فأطلق بوق قاطرته. وكاد قلبي يقفز من بين ضلوعي رافضاً السكنى في هيكل مشؤوم مهما يكن مليئاً بالهواء. لكنني تمسكت بمساري الخطر فيما اندفع السائق كالبرق في علبته الحديد الأمينة.

وأخيراً وصلت الى مكان عملي. ولحسن حظي لم أجد شهود عيان يعرفونني جيداً. وأوقفت دراجتي واتكأت عليها وقد أعياني التعب والغثيان. وصعدت درجات السلم ببطء وعضلات رجلي تتمدد وتتقلص وكأنها قطع حلوى طرية. ورداً على "صباح الخيرا" من أحد الحراس خرجت مني كلمات بصوت أجش مثير للشفقة.

وجاهدت النهار كله محاولا ألا أفكر في رحلة العودة. لكنني نجحت في تلك الرحلة أيضاً، ورجعت على مهلي ما عدا المسافة قرب الكلب التي طرتها بسرعة جنونية. وبينما أنا أتجاوزه صرخت فيه: "تنشق غباري يا كلبا"

وولجت باب البيت وأنا أبدو كأنني خرجت لتوي من مغسل للسيارات. كان العرق يتصبب مني وأنا أمتص الهواء بنهم. وعاجلتني ليزا بكوب شراب بارد فتناولته شاكرا وارتميت في الاريكة من غير حراك.



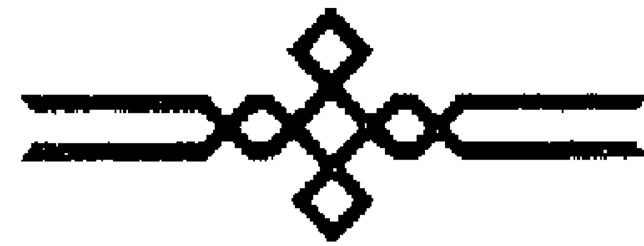
ومذذاك ركبت الدراجة غير مـرة وأمسيت أقوى وأشد عزيمة. ونظراً الى المحاولات المتكررة من الشاحنات لمعانقتي اشتريت خوذة مزودة مرآة للرؤية من الخلف. وفي الطريق أنظر في المرآة فأرى نفسي أكشر وأعبس ووجهي يتحول أرجوانياً. ويبدو أن المرآة دائماً ليست في الوضع المناسب لارى الآتي من الخلف، ولكن اذا صدمتني احدى الآليات يوماً فسأتمكن من مراقبة قسمات وجهي في أثناء الحادث.

وحتى الآن قصرت رحلتي من ٦٣ دقيقة الى ٤١. والكلب "كلايد" أصبح متفهما بعد نهراتي المتكررة. وهو نادراً ما يلاحقني هذه الايام.

وركوب الدراجات مسافات طويلة لا يؤلم أسفل الظهر أو الركبتين. فأنا لم أشعر بأي آلام في هذه المواضع. ولكن يظهر أنني ارهقت يديَّ بحمل جسمي حين انحني الى أمام. ويتساءل أصدقائي لماذا أبدو وكأنني أنظر دائماً الى السقف، غير عالمين أن عظام رقبتي ملتصقة بعضها ببعض نتيجة مراقبة الطريق من الوضع الذي تتطلبه السرعة العاشرة.

والواقع انني أستمتع بركوب الدراجة أحياناً. وأنا أتطلع الى ركوبها حين يكون الطقس مشمساً ومنعشاً والوقت متسعاً. ولكن عليَّ الاعتراف بأنني بتُّ أقدِّر المطر الصباحي الذي يجبرني على ترك دراجتي في البيت وقيادة سيارتي الى العمل. ولا يهمني ماذا تقول عني حيوانات الغابة الصغيرة آنذاك.

جون كارنن ■



بطاقة الصباح

بعد ترقية الموظف المندفع الى رتبة مدير، أبلغ الى مرؤوسيه ان كل اتصال معه يجب أن يتم كتابة. وصباح اليوم التالي التقى المدير الجديد موظفاً قديماً محنكاً سحب بطاقة من جيبه وقدمها اليه. فقرأ في البطاقة كلمتين: "صباح الخير."

و.ك.

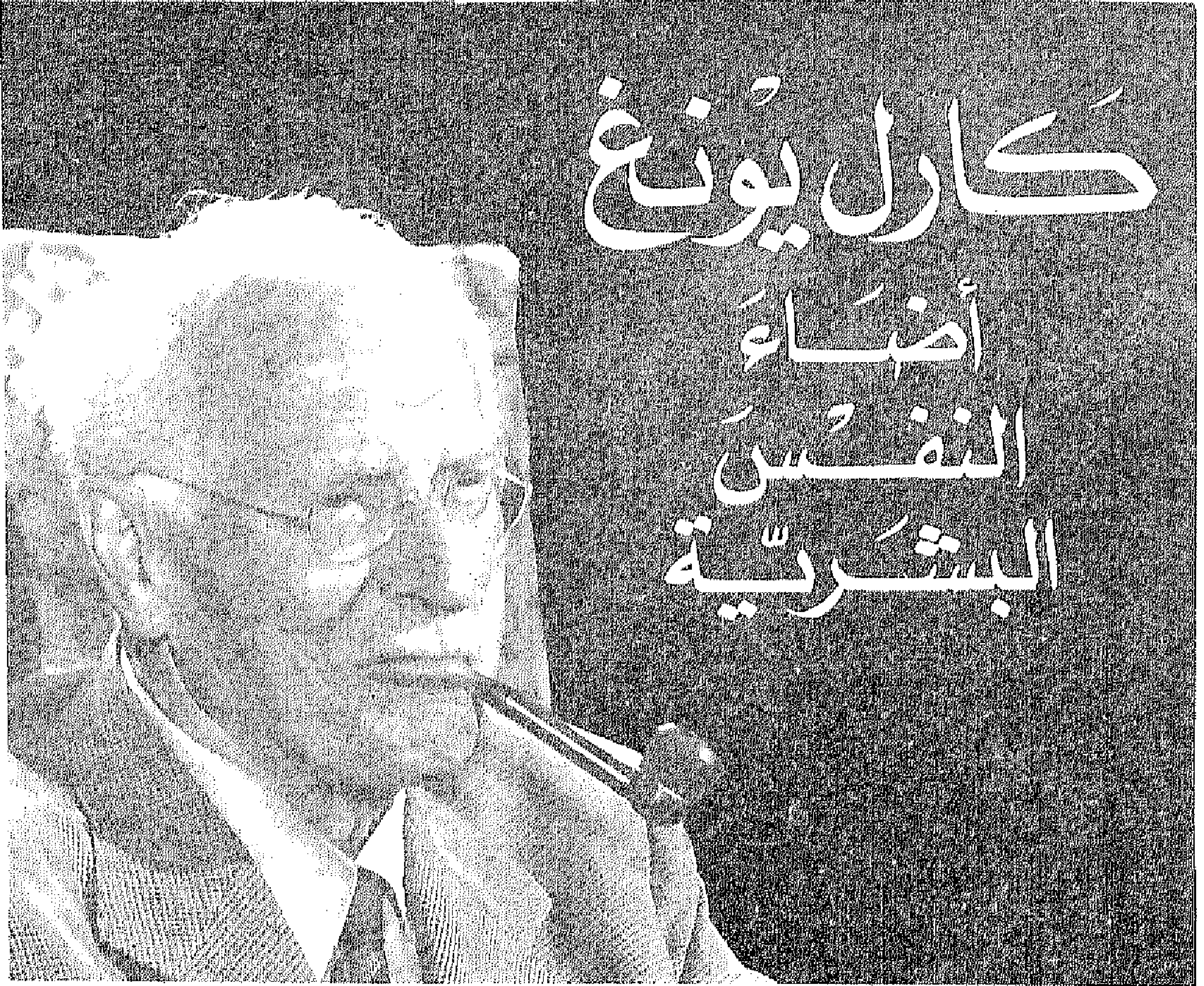
صور حية

المتكبر يمشي وكأنه يوازن شجرة العائلة على أنفه.

الواثق من نفسه، صلعته قبعة نفيسة، وكأنَّ من غير الوارد عنده أن يكتسي بالشعر كالآخرين.

زير النساء هو الرجل الذي تتمنى لو يكون ابنك وتخشى أن يلتقي ابنتك.

أ. س.



إن بصيرة ذاك الرائد في علم النفس ما زالت تعين الناس في كل مكان

لم تكن فترة بعيدة مضت عقب الحرب العالمية الثانية عندما وافق لورنس فان در بوست، وهو مستكشف ومؤلف من جنوب افريقيا، على لقاء الاستاذ السويسري الشهير ك.غ. يونغ، وذلك بناء على إلحاح زوجته. وبدلا من لقاء عالم معتدّ بنفسه حسبما كان يتوقع، وجد فان در بوست نفسه امام رجل يشد الناس اليه ويتسم بالنشاط والظرف.

وبعدما تبادلا الكلام حتى ساعة متقدمة من الليل "اضمحلت" الاختلالات النفسية التي كان فان در بوست يعانيها نتيجة سنوات من السجن في معسكر ياباني لأسرى الحرب، ومن تلك الاختلالات شعوره بالانعزال والوحدة. وكثيراً ما التقى يونغ بعد مقابلتهما الأولى ولم يبدّل رأيه أبداً في قدرة هذا الرجل على المداواة.

قال فان در بوست: "لقد عرفت كثيرين ممن يعتبرهم العالم عظماء، لكن كارل غوستاف يونغ هو الوحيد تقريباً الذي أثق بعظمته ثقة تامة."

Photos: Walter Verlag, Olten, Switzerland

أما اليوم، وبعد نحو ربع قرن من وفاة يونغ فما زال تأثيره يتنامى. وإن عبارات استحدثها، مثل "الانفتاحي" و"الانطوائي" و"المظهر الاجتماعي الكاذب" الذي يختبىء خلفه الفرد و"النموذج الأصلي"(١) أصبحت جزءاً من اللغات العالمية، والمؤسسات والجمعيات التي أقيمت تكريماً له تلقى ازدهاراً في أنحاء العالم. ومن يقرأ كتباً مثل "الرجل العصري الباحث عن النفس" و"الذكريات والأحلام والتأملات" (٢) يتأثر بما تمتع به يونغ من غنى فكري. وفي إحدى مقالاتها النقدية الادبية ذكرت صحيفة "نيويورك تايمس" أن "الناس يقرأون يونغ اليوم لأن اهتماماته تتشابه واهتماماتهم. فالبحث المستمر عن المغزى والكمال الذي شغل يونغ مدى حياته هو نفسه البحث الذي يشغل الناس اليوم أيضاً."

نوبات إغماء – إن قصة حياة يونغ هي تصوير واضح لتلك العملية المستمرة مدى الحياة. فقد ولد كارل في ٢٦ يوليو (تموز) ١٨٧٥ في كيسفيل على ضفة بحيرة كونستانس، وشبّ في قرية كلاين هونينغن الريفية. وكان والده رجل دين. وفي السن الحادية عشرة التحق باحدى المدارس الثانوية في بال المجاورة حيث كان زملاؤه الأكثر تكلّفاً يتكلمون لغة ألمانية "مصقولة" ويعيشون في منازل فخمة. وذكر يونغ بعد سنوات أنه وعى للمرة الاولى انه "ابن رجل فقير ينتعل حذاء مثقوب النعل."

كان يونغ يكره المدرسة. وعلى رغم انه تفوق في معظم المواضيع فقد واجهته صعوبة في الرياضيات والرياضة البدنية، وكان يفضل البقاء في البيت وحيداً. ورغبته تلك أفضت به الى مواجهة مشاكل.

عندما كان في الثانية عشرة من عمره طرحه احد زملائه أرضاً فاصطدم رأسه بحافة الطريق. وشعر كارل بدوار، لكنه سرعان ما تعافى الا من نوبات إغماء كانت تنتابه كلما حان وقت ذهابه الى المدرسة. حيال ذلك وقف الاطباء مكتوفي الأيدي. وبدا لهم أن شفاء كارل أمر مستعص. لكن تلك النوبات كانت حجة رحّب بها كارل للتهرب من حضور بعض الحصص المزعجة. وبعد أشهر قليلة سمع والده القلق يخبر صديقاً: "لقد أنفقت ما كنت مدخراً من مال قليل، فماذا سيحل بابني؟"

شعر كارل فجأة بالمعاناة التي سببها مرضه، فأقسم على مقاومة نوبات الاغماء ومعاودة تحصيله العلمي. وبعد أسابيع عاد الى المدرسة ولم يعان بعدئذ أي نوبات أخرى. لقد آمن بأنه تخطى امتحاناً بالغ الأهمية في فتوته، ورأى كم اقترب من الوقوع فريسة مشاكله. وهو أقرّ في ما بعد: "عندئذ عرفت معنى الاضطراب العصبي." فالتجربة التي مرّ بها زادت اهتمامه بالسلوك البشري وتعاطفه مع اشخاص يعانون القلق، وهو تعاطف لم يفقده طوال حياته.

طبيب ثوري – التحق كارل بجامعة بال ليدرس الطب وهو في العشرين من عمره،

(١) Extrovert, Introvert, persona, archetype
(٢) «Modern Man in Search of a Soul» and «Memories, Dreams, Reflections»

وبقي متردداً في اختيار حقل اختصاصه حتى السنة الاخيرة من دراسته. فبعدما قلّب صفحات قليلة من كتاب في علم النفس أخذ قلبه يخفق بعنف، "فقد اتضح لي في لحظة أن الهدف الوحيد الذي يمكن أن أسعى اليه هو علم النفس." انه رأى ان الاهتمامين اللذين يشغلانه، أي العلوم والسلوك البشري، يجريان سوية في علم النفس. وفي العام ١٩٠٠ أصبح الشاب طبيباً أصيلا في مستشفى برغولزلي للأمراض النفسية في زوريخ.

كان مستشفى برغولزلي موضع احترام كبير، لكن يونغ أصابته الدهشة لعدم فهم الاطباء هناك الأمراض العقلية وعلاجها بطريقة صحيحة. وهو أمضى معظم أوقات فراغه في التكلم مع أكثر المرضى اضطراباً، محاولا التوصل الى فهم آرائهم وتصرفاتهم الغريبة. وبغية وضع رسم بياني لحالاتهم النفسية كان يقرأ لكل منهم مجموعة من الكلمات المألوفة بصوت عالٍ ويسأله ان يقولَ الكلمة الاولى التي خطرت له لدى سماعه كلا من تلك الكلمات المألوفة. فاذا لم يظهر المريض تجاوباً مباشراً أو أعطى جواباً غير متوقع، توصل يونغ الى معرفة عقد مكبوتة يعانيها.

وذات يوم قابل يونغ امرأة شابة أدخلت المستشفى مصابة بفصام قيل ان لا شفاء منه. وقد أظهر ملفّها أن ابنتها توفيت بحمى التيفوئيد. ولدى اخضاعها لفحص ترابط الكلمات وتحليل الأحلام، توصل يونغ بسرعة الى معرفة المأساة التي كانت تعيشها. ففي احد الايام لم تكترث المرأة عندما ابتلعت طفلتها وهي تستحم بعضاً من ماء حوض الاستحمام المأخوذ من النهر. وكانت المرأة آنذاك تعاني حال كآبة شديدة لأنها لم تعش حياة زوجية سعيدة، وجاء موت طفلتها بحمى التيفوئيد يدفعها الى أعماق السوداوية ويسبب لها اضطراباً عقلياً.

واستنتج يونغ أن المرأة لم تكن مصابة بالفصام، بل كانت تشعر بأنها قتلت طفلتها لأنها لم تمنعها من شرب المياه الملوثة. لذا كبتت داخلها كل ما يتصل بالمأساة. فهل ينبغي ان يخبر يونغ مريضته بحقيقة حالها؟

وصمم على مواجهتها بالنتائج التي توصل اليها. وهكذا أخذت المرأة تروي قصتها وهي تبكي مظهرة الندم على ما حدث، فكان ذلك الخطوة الاولى نحو تماثلها. وبعد أسبوعين خرجت من المستشفى معافاة.

الامير المتوَّج – هذا النهج الجديد أثار اهتمام يونغ بكتابات محلّل نفسي نمسوي يدعى سيغموند فرويد أصرّ على أن وراء إدراكنا الفكري الواعي إدراكاً آخر أكثر قوة يسبب كل ما يتفوه به اللسان من تفاهات وزلّات، اضافة الى أعراض نفسية مُقْعدة. كانت تلك نظرية ثورية تتماشى مع آراء يونغ. وهكذا تبادل يونغ وفرويد الرسائل والتقيا عام ١٩٠٧ وسرعان ما أصبحا صديقين حميمين.

ولكن على رغم أن فرويد بوّأ يونغ مراكز تتصف بالمسؤولية داخل الحركة الدولية للتحليل النفسي ومنحه فيها لقب "الامير المتوّج" بدأ يونغ يظهر تحفظات على آراء فرويد.



بيت يونغ على ضفة بحيرة زوريخ. أول ما بني فيه البرج عام ١٩٢٣، وانتهى بناؤه عام ١٩٥٦. في هذا الملجأ الخالي من الهاتف والكهرباء والمياه الجارية أمضى يونغ ستة أشهر من كل عام بعيداً عن ملهيات المدينة وضوضائها.

فقد احتلت الدوافع الجنسية المكان الاول في نظريات فرويد حتى كادت ألّا تترك لغيرها مكاناً. لكن يونغ أدرك أهمية الحاجات البشرية الأخرى التي تضاهي الدوافع الجنسية، مثل الحاجة الى التعبير عن الابداع والحاجة الى التجربة الروحانية. فاللاوعي الذي يحمل فرويد على اكتشافه، يقول يونغ، كان ايضاً مصدراً لحوافز فنية وايمانية.

وأشار الكتاب الذي أصدره يونغ عام ١٩١٢ بعنوان "علم اللاوعي"(٣) الى نهاية ارتباطه بفرويد وبالحركة الدولية للتحليل النفسي. وإذ صمّم على شق طريقه بنفسه بدأ يمارس عمله في منزله في قرية كوسناخت على ضفة بحيرة زوريخ. وكان من مرضاه شخصيات شهيرة ومئات من الناس الأقل شهرة من أنحاء العالم.

تخلّى يونغ عن آداب العيادة كما أقرّها فرويد، حيث كان يتعين على المريض أن يستلقي على اريكة ويجلس المحلل خلفه من دون ان يتدخل الا في ما ندر ليلفظ أحكاماً موجزة. وبدلا من ذلك أخذ يونغ يجلس أمام المريض لأنه، على حد قوله، يريد أن "يواجه المريض كما يواجه الانسان انساناً آخر. فلدى الطبيب كلام يقوله، كذلك المريض."

(٣) «Psychology of the Unconcious»

وفي الوقت الذي كانت لغة المصابين بالذهان أو التشوش العقلي يتعذّر تفسيرها، فان نفاذ يونغ الى فهم الكلام الذي يتفوه به مرضاه واستعداده لقضاء أيام وحتى أسابيع في محاولة دخول عالمهم الغريب أثار دهشة زملائه. وأظهر نجاحه أساليب جديدة في معالجة المصابين بالأمراض العقلية. وأدى ذلك الى معالجة ألوف المرضى الميؤوس من شفائهم على أيدي تلاميذه في أنحاء العالم. وهو ألّف أكثر من ٣٠ كتاباً ووضع مئات المقالات التي تتناول جميع أوجه اللاوعي.

حوافز مشتركة – آمن يونغ، مثله مثل فرويد، بأن الأحلام هي مفتاح اللاوعي. فالأحلام ترمز الى مظاهر من شخصياتنا نرفضها أو نتجاهلها. وعلى سبيل المثال فإن حلم رجل بامرأة فاتنة قد يمثّل الجانب "الانثوي" منه، وحلم امرأة برجل قد يرمز الى صفاتها المستترة الأكثر "رجولة".

وميّز يونغ بين الاحلام "الصغيرة" المتصلة بتفاهات الحياة اليومية والاحلام "الكبيرة" التي تتصف بقوّة شاعرية وجمالية وترافقها تخيلات لافتة تتعلق بأبطال وكنوز دفينة وتنطوي على معان باطنية. قال يونغ ان "مثل تلك الاحلام تظهر غالباً خلال مراحل حرجة من الحياة، وخصوصاً في مرحلتي الفتوة والبلوغ وفي مستهل منتصف العمر وآخره." ويؤكد انه لو استمع الناس الى الرسائل التي تنقلها اليهم أحلامهم المهمة فسيجدون الطريق التي توصلهم الى تحقيق ذواتهم.

وحقيقة الأمر أن ثمة حلماً مميزاً ألهم يونغ في العام ١٩٠٩. فبعد تفكيره ملياً في الاتجاهات التي كان سيسلكها في بحثه، حلم انه في منزل غريب يخصّه، وأن في الطبقة العليا أثاثاً حديث الطراز وفي الطبقة الارضية أثاثاً من القرون الوسطى وفي القبو تذكارات رومانية، وأنه مجبر على نزول سلّم حجرية ضيقة أوصلته الى كهف يعود الى ما قبل التاريخ. وعندما استيقظ من نومه علم ما كان يعنيه الحلم، وهو أن هناك طبقات أخرى للاوعي الانساني أكثر قدماً ويتوجب عليه أن يكتشفها.

وأثناء الرحلات التي قام بها يونغ حول العالم درس معتقدات وأساطير مختلفة وطلب من أشخاص أن يدونوا أحلامهم بأدق تفاصيلها. وقد دهش عندما وجد حوافز معينة لافتة تعاد مراراً وتكراراً. واستنتج انه "مثلما يشترك الانسان في تركيب بنيوي واحد مهما اختلف عرقه، كذلك الامر بالنسبة الى النفس الانسانية التي تملك اساساً مشتركاً يتجاوز جميع الفروق في الحضارة والوعي." وقد سمى يونغ تلك الصفة المشتركة "اللاوعي الجماعي"(٤) الذي يسبّب ظهور رموز كالابطال والشخصيات التي تبنى عليها المعتقدات والأساطير والخرافات... والاحلام أيضاً.

الحلم رسالة – عندما تقدّم يونغ في السن أحس تغيراً في ذاته طالما لاحظه في مرضاه. ففي النصف الاول من حياتهم كانوا يجاهدون من اجل اثبات وجودهم في

(٤) Collective unconciousness

العالم واقامة علاقات مع الناس وترك أثر لهم. ومعظم المشكلات التي واجهتهم في تلك الفترة المتصفة بالانفتاح على الناس كانت نتيجة متطلبات المهنة أو الزواج او نتيجة الاخفاق في بناء حياة مستقلة.

كان يونغ يعتقد ان الناس حين يصلون الى منتصف أعمارهم يدخلون مرحلة جديدة تتمثل في الانطواء على الذات، ويبدأون طرح أسئلة مثل: هل تحققت أحلامي؟ هل انتهزت الفرص التي أتيحت لي؟ أي معنى لحياتي؟ وفي هذه المرحلة تظهر المشكلات عندما يحاول الناس تجنّب التفكير ملياً في تلك الاسئلة أو يتمسكون بعادات سابقة.

اما في المرحلة الاخيرة من حياة الناس فيتركز الاهتمام عادةً على الحاجات الروحية. وخلافاً لمنظّرين كثيرين في علم النفس، أصرّ يونغ على أن للانسان واجباً دينياً طبيعياً، وعدم تأدية هذا الواجب قد يترك في الانسان شعوراً بالتفاهة وصغر الذات.

وفي عمر السادسة والثمانين حلم يونغ بمشاهد أجمل لبيته الثاني، "البرج" الحبيب في بولينغن، تغمره أضواء مشعّة. وأخبره صوت أن البرج أصبح جاهزاً وهو في تصرّفه. وفي الحلم نزل الى ضفة البحيرة ورأى أنثى الشرِه(٥) تعلم صغارها السباحة. وعلم يونغ أن الحلم رسالة واضحة تنبئه بدنو أجله، أي الانتقال الى حال لا يألفها كما صغار الشّره لا تألف الماء.

وبعد اعتلاله لفترة قصيرة توفي يونغ في بيته في كوسناخت في ٦ يونيو (حزيران) ١٩٦١. وأوردت الصحف في أنحاء العالم نبأ وفاته تحت عناوين كبيرة. لكن أفكاره لا تزال حية. فكل عام يكتشف كتبه قرّاء جدد يشعرون ببهجة مفاجئة تولّدها فيهم رسالة الأمل التي وجهّها حكيم زوريخ الى العالم أجمع.

لورنس شيري ■

(٥) الشره (Wolverine) حيوان ثديي لاحم.



بائع الكلام

التقى تاجر محامياً. وبعد تحيته طرح عليه سؤالا يتعلق بعمله. وبعد أيام تسلم التاجر رسالة وجد فيها فاتورة قانونية بقيمة ٣٥ دولاراً. ولم يمض وقت طويل حتى التقى الاثنان مجدداً، فبادر المحامي التاجر: "صباح الخير."

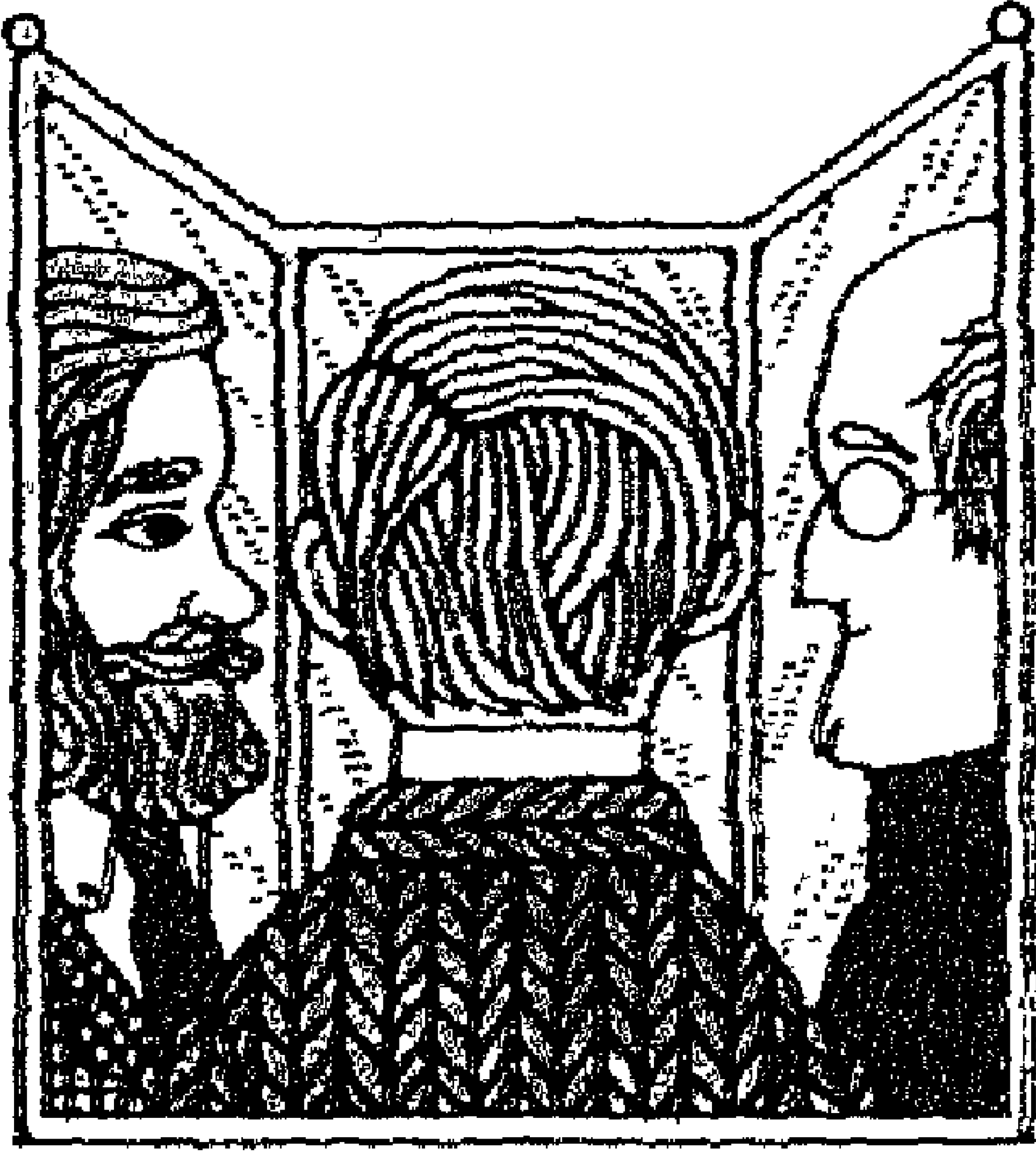
فرد التاجر: "صباح الخير." وأضاف: "ولكن تذكر أن هذه تحية وليست استشارة."

س.س.

المرء الذي يبدأ كلامه بالقول: "قد أكون مخطئاً،" يكون في غالب الاحيان على حق.

م.ك.

تأملات معاصرة



سحر الاطراء

تنهدت امرأة وقالت ان الاطراء أصبح قليلا ومتباعداً هذه الايام. وأضافت: "وهذا مؤسف جداً، لأن الاطراء عنصر خير في علاقاتنا."
هذا صحيح. فالاطراء جزيل الفائدة في رفع المعنويات، اذ انه يدعمنا في المواقف التي نضعف فيها قليلا.
ولاحظ الكاتب الفكاهي الامريكي مارك توين ذات مرة انه ينتعش مدة شهرين باطراء واحد جدّي.
لكن أعظم اطراء سمعته في حياتي قاله جوزف تشوت الذي كان سفيراً للولايات المتحدة في بريطانيا. فقد سئل من يحب أن يكون لو قيّض له أن يعيش ثانية، فأجاب من دون تردد: "الزوج الثاني للسيدة تشوت."

دوريس آن كوربنسكي

الموسيقى

الموسيقى التي تحتل مقاماً عالياً بين فنون الاتصال الانساني، هي أقدمها على الاطلاق وأبسطها في مراميها. انها تطورت من الايقاع الاساسي والنبضات الاساسية في الكوكب الذي نعيش على سطحه، مستمَدَّة من أصوات الريح والماء والهواء والنار. الانسان الاول تعلم الايقاع من هذه العناصر، وسمع النغمات الطبيعية في المد والجزر المنتظمين على الشاطئ وفي هبوب النسيم بين الاغصان

وليم مان، ناقد موسيقي

العطاء

سمع فلاح طموح بنوع جديد من بذور الذرة، فاشترى بعضاً منه انتج له محصولا أدهش جيرانه بغزارته فطلبوا منه أن يبيعهم شيئاً من البذور الجديدة. غير أن الفلاح أبى خوفاً من أن يفقد أفضليّة تنافسية مربحة.
وفي السنة التالية لم تنتج البذرة الجديدة محصولا جيداً. وعندما جاء الحصاد الثالث أسوأ مردوداً اتضح للفلاح أن نبتات الذرة الجيدة عنده كانت تتلقح من نوعية رديئة نامية في حقول جيرانه.

"ينابيع الحكمة"

بعدما أثبتت الدراسات أن التدخين مسبب رئيسي للوفاة ولأمراض القلب والسرطان، يسعى ملايين المدخنين في العالم الى الاقلاع عن عادتهم. ومع ذلك ما زال ملايين آخرون يقدمون أعذارا واهية لتبرير استمرارهم في التدخين. وهنا بعض المبررات

"كان عمّي يدخّن ٢٠ سيجارة يومياً، وهو عاش حتى بلغ الخامسة والسبعين."

كل منا يتبادر الى ذهنه صديق أو نسيب ينتمي الى هذه الفئة من المدخّنين لكن المعروف أن ٤٠ في المئة من الذين كانوا مدخنين مدمنين في السن الخامسة والثلاثين ماتوا قبل أن يبلغوا الخامسة والستين، يقابل ذلك ١٥ في المئة فقط ماتوا من غير المدخّنين. أما الستون في المئة من المدخّنين الذين بقوا على قيد الحياة فمعظمهم عاجز عن العمل بسبب اصابته بالالتهاب الشعبي أو بالذبحة الصدرية أو بضعف في القلب، أو بسبب بتر ساق أو ساقين. قلة من هؤلاء عاشت بصحة معتدلة حتى الخامسة والسبعين.

من المؤسف ألا تكون لدينا طريقة تمكّننا من معرفة الأشخاص الذين لا يصيبهم نسبياً ضرر من التدخين. والارجح ان ليس هناك أشخاص لا يتأثرون

بالتدخين، والامتناع عنه يبقى الضمان الوحيد لتجنب الضرر.

"عمتي ماتت بالسرطان مع انها لم تدخّن أبداً في حياتها."

معظم أنواع السرطان ليست ناجمة عن التدخين. لكن سرطان الرئة الذي يسبّب ٤٠ في المئة من وفيات الرجال الناتجة من السرطان نادراً ما يصيب غير المدخّنين. فمن أصل ٤٤١ طبيباً ذكراً في بريطانيا ماتوا بسرطان الرئة سبعة لم يدخنوا أبداً. أما أنواع السرطان الاكثر شيوعاً لدى المدخّنين فهي تلك التي تصيب اللسان والحنجرة والبنكرياس والمثانة وعنق الرحم.

"اذا مات أحدهم لإصابته بسرطان الرئة، فلا برهان على أن الوفاة حدثت بسبب التدخين."

الصلة بين سرطان الرئة والتدخين مبنية على دراسات احصائية، والاحصاء لا يقدم الدليل على حالة فردية. غير أن الدراسات تدل على أن سرطان الرئة لا يصيب الا واحداً من ٦٠ من الاشخاص الذين لم يدخنوا في حياتهم. وتزداد الاصابات كلما ثقل التدخين. فمن يدخّن بكثرة يصبح معرضاً للاصابة أكثر بـ٢٥ مرة ممن لا يدخّن. وقد أثبتت التجربة أن القطران الذي يحويه التبغ يسبّب السرطان حين تدهن به جلود الفئران، فلا شك إذاً في قدرته على التسبب في السرطان. ومن المعقول الاستنتاج من ذلك ان تعرّض الانسجة البشرية للقطران مدة طويلة قد يسفر عن اصابة بالسرطان. وتدل الاحصاءات أيضاً على وجود علاقة بين الامراض التاجية والتدخين. كذلك يزداد خطر الاصابة بالسرطان بازدياد عدد السجائر التي تحرق.

"الاشخاص الذين لا يدخّنون يصابون أيضاً بالنوبات القلبية."

ان انسداد الشرايين التاجية الذي يسبب الذبحة والنوبات القلبية مردّه الى تكثف طبقات الدهن داخل الشرايين. وهذا ما يحصل كلما تقدم المرء في العمر، لكنه يصيب عدداً أكبر من أصحاب الضغط العالي ومرضى السكري والذين يعانون ارتفاعاً في مستوى الدهن في الدم، كذلك المدخنين.

في إحدى المناطق كان ٧٠ في المئة من المرضى دون الخامسة والستين المصابين بنوبات قلبية والذين أدخلوا وحدات العناية بالقلب، من المدخّنين، وأثبتت دراسة حديثة ان ٩١ في المئة من المرشحين لجراحة تحويل الشريان التاجي (★) هم مدخنون.

"إنك معرّض للموت أيضاً بصدمة سيارة وأنت تقطع الطريق."

في بريطانيا يقضي ١٥ شخصاً يومياً في حوادث الطرق. وفي مقابل هذا العدد يموت ١٠٠ شخص يومياً بسرطان الرئة وعدد أكبر بالالتهابات الشعبية المزمنة والامراض التاجية. وبحسب التقديرات فان ستة من أصل ألف من الشبان الذين

(★) Coronary artery by-pass surgery

يدخنون يموتون في حوادث اصطدام و ٢٥٠ يموتون قبل الاوان بفعل التبغ.

"لا رغبة لي في العيش الى سنّ متقدمة."

التدخين طبعاً لا يسبب الوفاة بالمرض للمتقدمين في السن فقط، بل أيضاً للذين هم في أواخر العشرينات وما فوق، وذلك على نحو مأسوي وغير متوقع.

والوفاة التي يرجع سببها الى التدخين يمكن أن تحدث فجأة نتيجة نوبة قلبية في عمر الخمسين من دون أن يشعر المصاب بأي ضيق، لكنه يترك عائلة وأرملة (أو أرملا) تواجهان الضيق والوحدة لمدة ٤٠ أو ٣٠ سنة بعد وفاته. وربما حدثت الوفاة بعد خمس سنوات أو عشر سنين من العجز المطرد نتيجة الاصابة بالذبحة او الالتهاب الشعبي المزمن، ويكون المصاب غير قادر أثناءها على العمل او التمتع بالحياة وهو في منتصف عمره لشعوره بالألم وصعوبة التنفس.

"إني اعمل في جو مشحون بالغبار والدخان، واعتقد أن هذا ما يسبّب لي الالتهاب الشعبي، وليس التدخين."

الأشخاص الذين يعملون في جو من الغبار والدخان لا يصابون عادة بالالتهاب الشعبي ما لم يكونوا من المدخنين. واذا عمل المدخّن في محيط كهذا فإن رئتيه تبقيان معرّضتين دوماً للتلوث في العمل وفي البيت، وهو لا يتنشق هواء غير ممزوج بالدخان الا أثناء نومه. فعلى الذين يعملون وسط الغبار والدخان ألا يزيدوا الطين بلّة بالتدخين.

"ان تلوّث الهواء بدخان السيارات والمصانع قد يسبب اصابات كثيرة بسرطان الرئة."

ليس لدّينا برهان ثابت على أن هذا صحيح عموماً. لكن سرطان الرئة يغلب حدوثه في المدن أكثر منه في المناطق الريفية.

ان نسبة اصابات سرطان الرئة لدى الرجال هي أكثر بثلاثة أضعاف منها لدى النساء. فاذا كان تلوّث الهواء هو المسبّب، فان الاصابات لدى الجنسين يجب أن تكون متساوية.

ان مدينة جرزي البريطانية يقلّ فيها الدخان وتنعم بالهواء النقي، ومع ذلك فان فيها أحد أعلى معدل من الاصابات بسرطان الرئة لأن أسعار السجائر فيها رخيصة وهي تستهلك بكثرة.

"اذا امتنعتُ عن التدخين فسيزيد وزني."

هذا ما يحدث غالباً. ولكن من الممكن ضبط زيادة الوزن. أما خطر هذه الزيادة فيبقى أخف من خطر التدخين المستمر.

"السجائر المجهزة بفيلتر وتحتوي على كمية منخفضة من القطران هي الاكثر أماناً."

ان مدخني سجائر الفيلتر وفيها القليل من القطران هم أقل عرضة للاصابة بسرطان الرئة من مدخني السجائر من دون فيلتر والتي تحتوي على نسبة عالية من القطران. لكن بعضاً من سجائر الفيلتر ينفث في الجسم كمية من أول اوكسيد الكربون أعلى من تلك التي

تنفثها السجائر غير المجهزة بالفيلتر. أما اول اوكسيد الكربون فانه يخفض كمية الاوكسيجين التي يقدر الدم على نقلها، ويعتقد أنه يتلف الغشاء الداخلي للشرايين التي تغذي القلب والرجلين والدماغ، مما يتسبب في تصلّبها. لذلك لا يمكن القول ان سجائر الفيلتر هي أقل خطراً من سواها في ما يتعلق بالقلب والشرايين.

ان مدخّني السجائر الثقيلة يعتادون تناول جرعات معينة من النيكوتين والقطران. لذلك عندما يتحوّلون الى سجائر تحتوي على كمية أقل من هاتين المادتين فانهم يطيلون مدة استنشاقهم للدخان مع زيادة في عدد النفثات ليؤمنوا "الجرعة" المطلوبة. فهذه السجائر خفيفة، لكن "الجرعة" المضرة تبقى بالقوة ذاتها لا تتغير.

"اذا أقلع الجميع عن التدخين فان اناساً كثيرين يصبحون عاطلين عن العمل."

ان عدداً محدوداً من الناس يعمل حصراً في صنع السجائر وتوزيعها. وثمة آخرون يعملون جزئياً في بيع التبغ، كأصحاب المتاجر وأكشاك الصحف. ويهدر الناس مليارات الدولارات في شراء السجائر.

واذا امتنع الجميع عن التدخين فإن نقصاً سيحصل في فرص العمل في صناعة السجائر. ولكن عندما يتوقف الناس عن التدخين فانهم ينفقون ما قد يوفرونه من استهلاك السجائر لشراء حاجات اضافية ودفع أجور خدمات ضرورية، مما يساعد على إحداث فرص عمل في صناعات اخرى. ففي وسع العائلة التي يدخن فيها الوالدان علبة سجائر يومياً أن توفر من المال ما يكفي لشراء سجادة او غسالة ثياب أو لقضاء عطلة ممتعة خارج البيت.

"اذا أصبتُ بمرض عضال كمرض القلب مثلا، عندئذ أمتنع عن التدخين."

من المؤسف ان يكون أول دليل الى مرض القلب لدى كثير من الناس نوبة قلبية مفاجئة. ان ٤٠ في المئة من المصابين لا يبقون على قيد الحياة بعد النوبة الاولى، أما الستون في المئة الباقون فهم المحظوظون الذين منحوا فرصة تغيير عاداتهم. لكن لسرطان الرئة منحى أخطر من هذا لأن ٩٠ في المئة ممن يصابون به يموتون خلال مدة لا تزيد على خمس سنوات.

"ان تدخين الغليون والسيجار أكثر أماناً."

ان مدخّني الغليون والسيجار معرّضون لزيادة طفيفة في احتمال الموت قبل الأوان. لكن مدخني السجائر الذين يتحولون الى الغليون أو السيجار يظلون عرضة للاصابة بسرطان الرئة والالتهاب الشعبي، ربما لأن كثيرين منهم يستمرّون في عادة تنشق الدخان.

"مضت علي ثلاثون سنة وأنا أدخّن. لقد فات الوقت، فأنا غير قادر على الامتناع الآن عن التدخين."

ان احتمال اصابة شخص لم يسبق له أن عانى مرضاً في القلب، بنوبة قلبية قاتلة، يتضاءل بسرعة حين يمتنع عن

التدخين. فبعد بضع سنوات يصبح خطر اصابته أعلى قليلا من الخطر على شخص أمضى عمره كله من دون تدخين.

ان ٦٠ في المئة من المرضى الذين يبقون على قيد الحياة بعد النوبة القلبية الاولى يستطيعون خفض خطر الاصابة بنوبة قلبية لاحقة بنسبة خمسين في المئة، بامتناعهم كلياً عن التدخين بعد النوبة الاولى. وهذه الطريقة هي أكثر فاعلية من اللجوء الى العقاقير المتوافرة حالياً.

ان تقليص خطر الاصابة بسرطان الرئة يتطلب وقتاً أطول. ولكن بعد الامتناع عن التدخين لمدة تراوح بين عشر سنين وخمس عشرة سنة ينخفض الخطر الى نسبة أعلى قليلا من الخطر على الذين لا يدخّنون.

لذلك كلّما اسرعت في التوقف عن التدخين جاءت النتيجة أفضل.

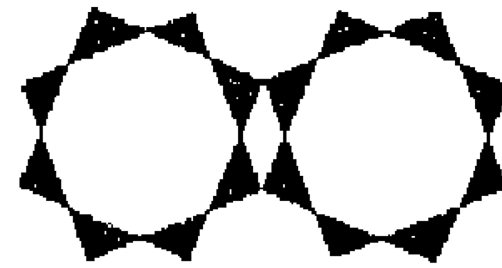
"التدخين لا يضرّ بالناس الآخرين."

ان الدخان المنبعث من سجائر الآخرين يهيّج الانف والعينين. وبعض الناس المصابين بالربو او بالذبحة الصدرية تسوء حالهم بسبب الدخان. ومن الثابت أن الزوجات اللواتي لا يدخّن فيما أزواجهنّ من المدخنين تزداد لديهنّ الاصابات بسرطان الرئة.

والتدخين بكثرة أثناء الحمل يضاعف إمكان موت الجنين قبل ولادته، ويغلب أن يأتي المولود صغير الحجم.

ان ألوف الأسِرّة في المستشفيات يشغلها أشخاص متوسطو العمر أصيبوا بأمراض نتيجة التدخين. واجتناب الاصابة بهذه الامراض يتيح تخصيص موارد أكثر لمعالجة أمراض أخرى كضعف الكليتين واللوكيميا (ابيضاض الدم السرطاني) والتهاب المفاصل الرثياني.

الدكتور باري سميث ■



زوجة رياضي

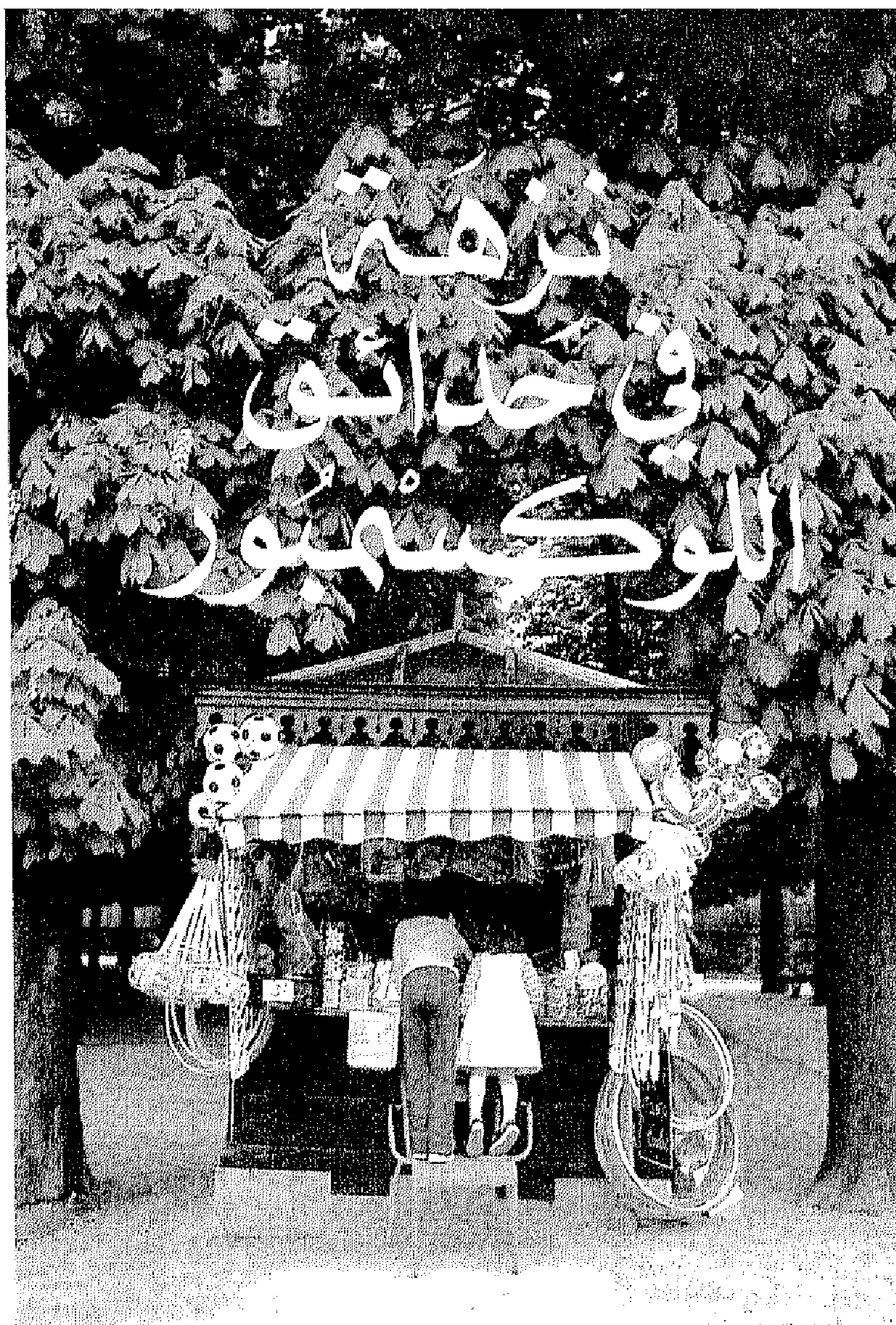
تأكد لزوجة مدرب رياضي، بعد ٣٤ سنة من زواجهما، أن لعبة الكرة لها الاولوية دائماً. وفي يوم محبط صاحت بزوجها: "لا شك في أنك ستتغيب عن مأتمي لتحضر مباراة كرة."

فرد الزوج بهدوء تام: "ماذا دهاك يا عزيزتي حتى ظننت اني قد أعين موعد دفنك في نهار تقام فيه مباراة؟

ر.ت.

في كل المطاعم تزداد قساوة مكعبات الزبدة بنسبة معادلة لطراوة الخبز.

ر.م.



كشك لبيع الحلوى والالعاب.

أجيال من الراشدين والأطفال تمتعت بواحة السلم والخضرة القائمة في قلب باريس

قال السناتور موريس شومن وهو يغلق نافذة مكتبه في قصر اللوكسمبور: "إن حدائق اللوكسمبور هي "أذكى" حدائق العالم من حيث تنسيقها والناس الذين يزورونها. وكثيراً ما أفكّر في لوي باستور الذي كان يصطحب زملاءه في الصف الى نافورة "ميديسيس" كي يتحدثوا في التجارب الأخيرة، كما أفكّر في فيكتور هوغو الذي كان يحدد مواعيده الرومنطيقية هاهنا. في هذا المكان

الحدائق المفعمة بالسلام والخضرة والواقعة في قلب الحي اللاتيني نحو مئة ألف شخص يومياً.

في هذه الأوقات يشعر وكيل الحدائق جان نويل بورت أنه سينتف شعره من شدة الضيق، وفي هذا يقول: "علينا الانتباه الى كل شيء وتسوية الحشائش ومنع الناس من السباحة في البركة. وعندما تشرق الشمس يخرج بائعو الشطائر من بيوتهم. ويجمع عمال الحدائق أسبوعياً مقداراً من القمامة يملأ ثلاث شاحنات أو أربعاً."

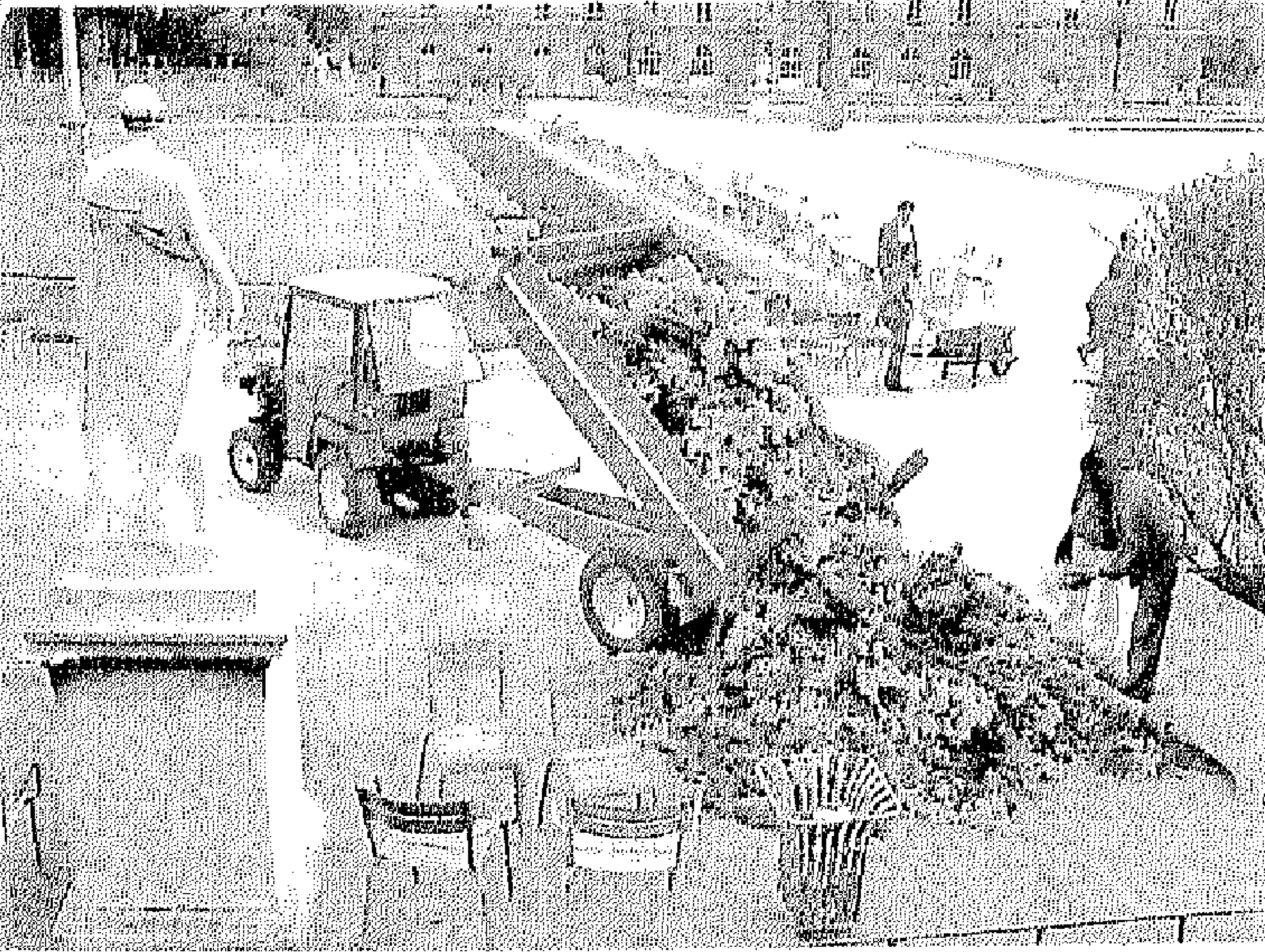
واذا نحن استثنينا مشكلة القمامة فإن عمال الحدائق، الذين يقارب عددهم الثلاثين اضافة الى بعض المتمرنين، يحبون وظائفهم. والواقع أن عليهم النجاح في امتحان خاص برعاية الحدائق والبساتين كي يسمح لهم بالعمل هنا. والملحوظ أن مساكب الزهر تصمّم قبل أشهر من زرعها، وتنمو الازهار في مستنبتات زجاجية تبلغ مساحتها ألفي متر مربع. وأخبرنا أحد العمال ان



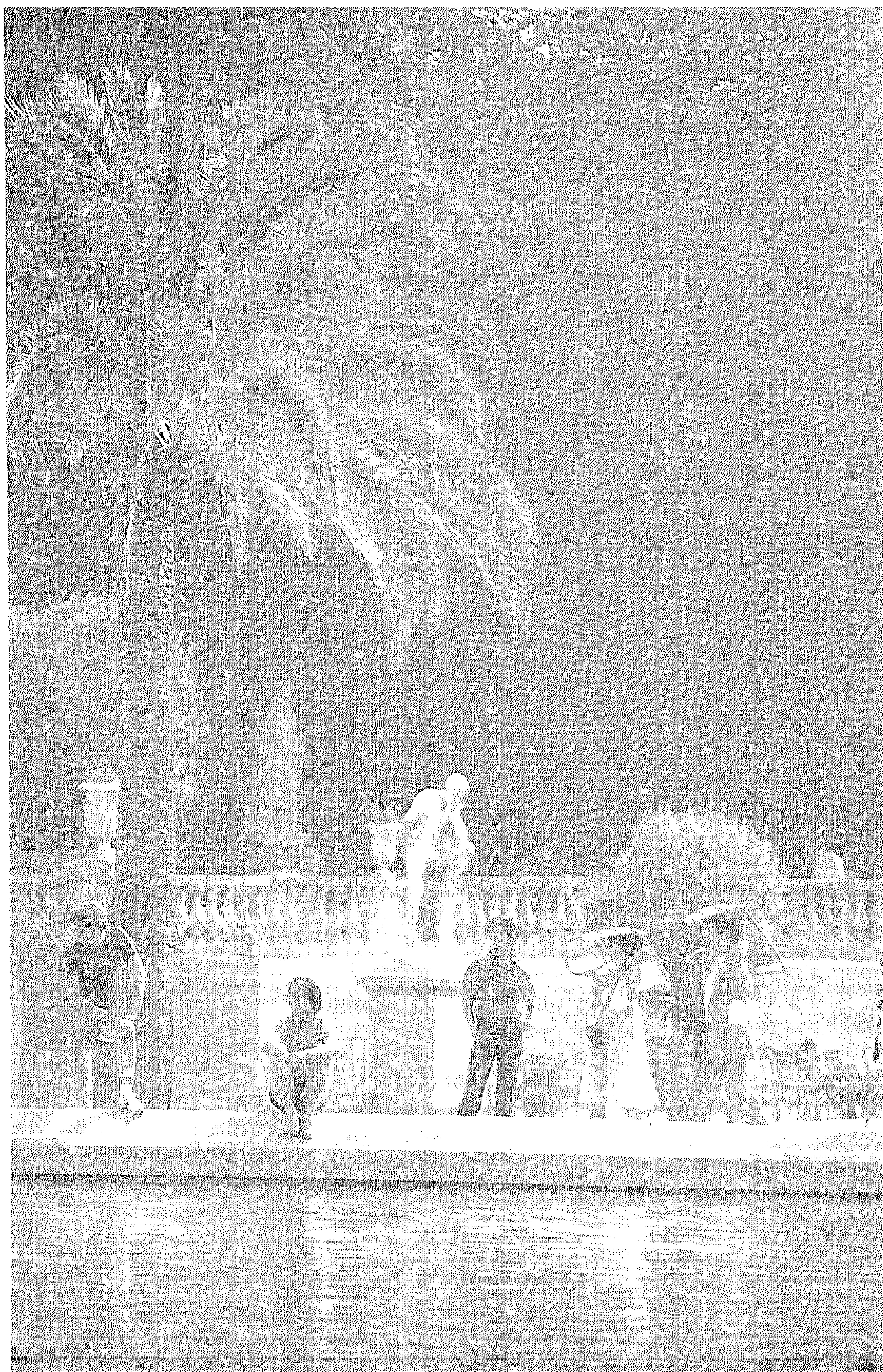
طفلان على لعبتهما المفضلة: الارجوحة.

تشابكت أفكار كثيرة. وأنا أمتع به نظري كلّ صباح آملا أن يتسع لي الوقت للتنزه فيه. غير أني خلال خمس سنوات لم أحقق أمنيتي هذه الا نادراً." ان قَدَر السناتور صعب حقاً.

وإذا لم يكن في وسع المقيمين في اللوكسمبور الانتفاع بهذه الإقامة، فان سكان الجوار يفيدون من قربهم الى هذا المكان. ففي فصل الصيف يبلغ عدد زائري



انزال شحنة من شتول الزهر لغرسها في المساكب.



٨٣ يتمشى السياح والرياضيون حول البركة في حر الصيف، وهنا زوجان
يحملان كرسييهما ويبحثان عن مكان ظليل.


لاعبو شطرنج في المقصورة المفتوحة غافلون عن كل شيء، حتى عن الفضوليين المتحلقين حولهم.

اللوكسمبور للبستنة" صفوفاً مجانية تقام في البساتين المقابلة لمدرسة مونتين الثانوية حيث يمكن أي شخص أن يتعلم أسرار زراعة التوت والعنب والخوخ وحتى الكيوي.

وكل عام تنتج هذه البساتين مئات الكيلوغرامات من الفاكهة "تقدّم على موائد رئيس الجمهورية ومجلس الشيوخ وكبار الموظفين. لكننا لا نصنع منها المربّى بعد" كما يقول بورت. ولكن اذا تعذّر عليك أن تأكل مربّى اللوكسمبور فإن في وسعك أكل عسلها. وفي شهري يوليو (تموز) وأغسطس (آب) يصطف المشترون للحصول على العسل الذي ينتجه نحل اللوكسمبور ويراوح وزنه بين أربعمئة وخمسمئة كيلوغرام.

وقد أنشئت "مدرسة تربية النحل" عام ١٨٥٦، وهي الوحيدة من نوعها في باريس. وتتولى شؤونها اليوم "الجمعية المركزية للنحّالين"، وهي تضم مئة طالب يدفع كل منهم ٥٠٠ فرنك (نحو ٧٠


الأخ رينيه جان يشرح أسرار تربية النحل.

"اللوكسمبور هي مخزن للنباتات النادرة كالسحلبيات وللنباتات المألوفة كأشجار البرتقال."

دوامة اللوكسمبور – يؤمّ الحدائق على نحو ثابت عدد ضخم من الناس الذين يطلبون نصائح تتعلق بالنبات والزهر. وكثيراً ما يكون هؤلاء من عابري السبيل الذين يجهلون أن في "مدرسة

دولاراً) سنوياً. ويلتقي هؤلاء أسبوعياً الاخ رينيه جان الذي يتولى الاشراف على القفران منذ ٣٥ سنة. وتقول امرأة متحمسة في منتصف العمر: "إن تربية النحل تثير دهشتي، وأنا آتي الى هنا كي أحسن تربية القفران الاربعة التي أملكها في مقاطعة بريتاني." ويقول الأخ رينيه جان: "لقد انتعشت النحالة لاهتمام الناس بعلم التبيؤ."

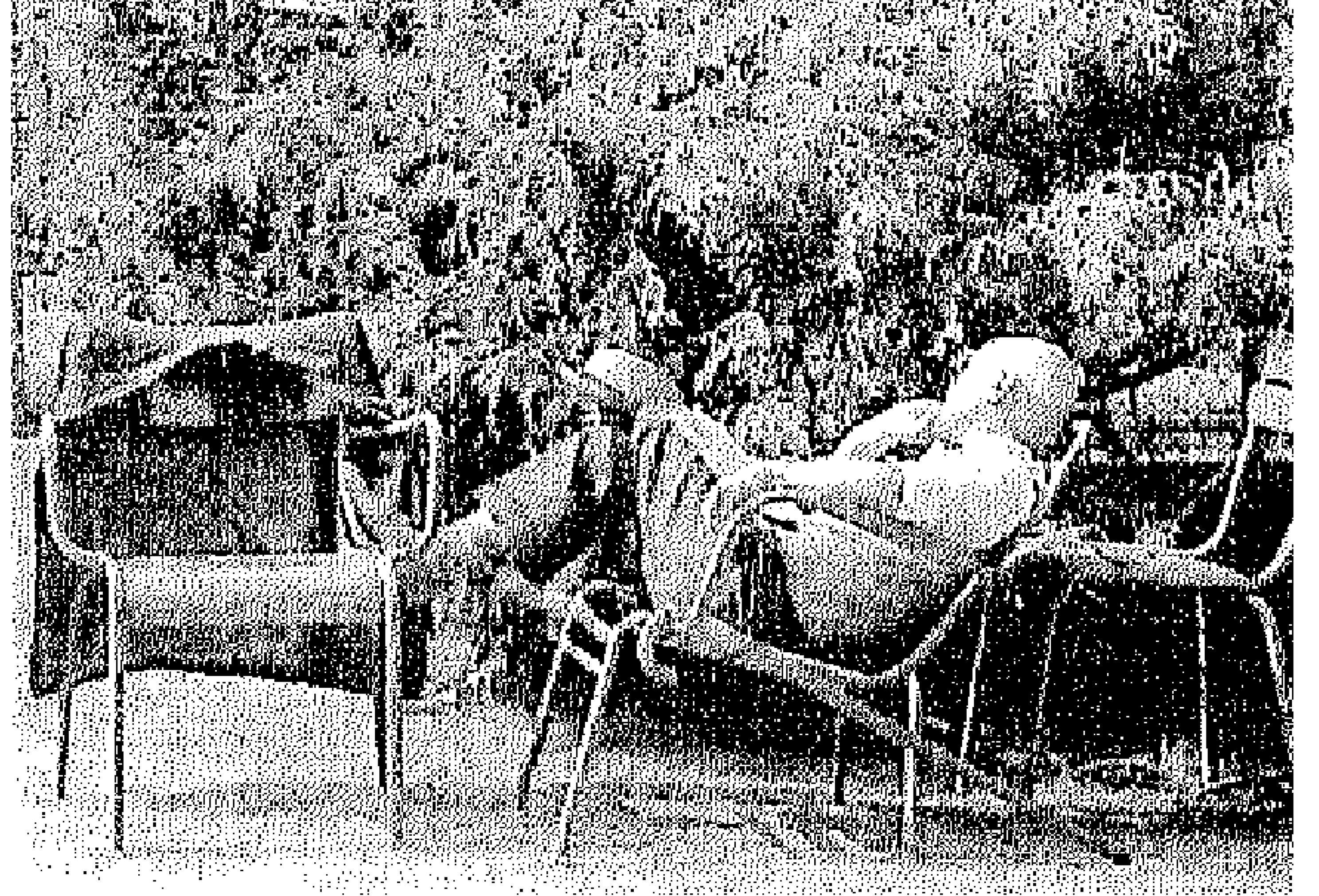
وفي ظل مستنبتة البرتقال يشاهد يومياً عدد من الرجال يمارسون نشاطات مختلفة تتسم بالرزانة، فيلعبون الشطرنج أو الورق (الكوتشينة) أو يكتفون بتبادل الاحاديث. وهم يفعلون ذلك تحت الظُلَل في الأيام الممطرة وفي الهواء الطلق في الأيام المشمسة. ويقول رجل في السابعة والثمانين يدأب على الاختلاف الى حدائق اللوكسمبور: "عندما يتجاوز المرء سناً معينة ينصحه الأطباء بعدم لعب البولينغ. ولهذا السبب آتي الى هنا."

وقد لا يلقى الأطفال ترحيباً في هذا الملعب الخاص بالراشدين، غير أن هناك نشاطات كثيرة تمكنهم ممارستها في أماكن أخرى من اللوكسمبور. ومنذ العام ١٨٦٠ تأتي المربيّات بالأطفال الذين في عهدتهنّ الى الحدائق طلباً للهواء النقي. وفي العام ١٨٧٩ وضع شارل غارنييه، مصمم دار الاوبرا في باريس، تصاميم دوّامة الحيوانات التي ما زالت تدور مبتهجة بعد مضيّ مئة وسبع سنوات.

ويتذكر جان لو صاحب الدوّامة حالياً:



قصر اللوكسمبور مقر مجلس الشيوخ الفرنسي. وأمامه مجموعة من الشبان تؤدي تمارين صينية.


استراحة للكبار.

"بقيت هذه الدوّامة في عهدة عائلتي منذ العام ١٨٧٩. وقد وعدت أمي والدتها بالمحافظة عليها، وكذا فعلت أنا. وهي ظلت حتى العام ١٩٦٣ تدار باليد، وكانت أجمل مما هي الآن. وكان للخيل رُكُب وألجمة، وفي الداخل كانت تعلّق ستائر حمراء. وقد نزعت أمي هذه الستائر خشية أن تضيع."

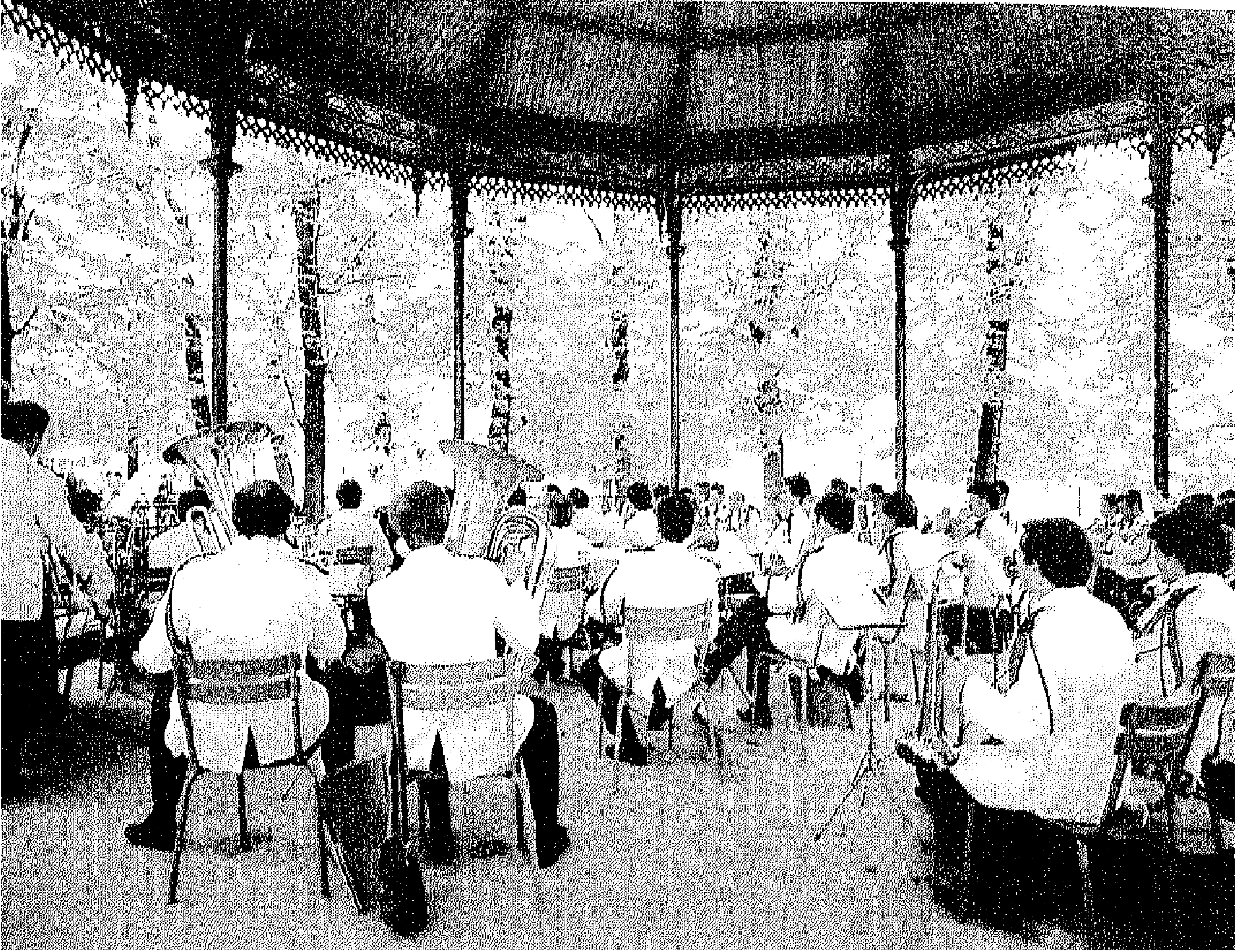
وتسمع الاطفال يصيحون: "أنا أريد الجمل!" و"الحصان الأزرق لي!" وتشاهد بائع البطاقات يجمع فرنكين من كلّ منهم ثم يدير الدوامة. ومن الواضح أن الحيوانات مقتبسة من رسوم دوانييه روسو. ويدعى أحدها "فوليت" وآخَر "ريتا". ويوضح صاحبها: "انهما اسما حيوانين ملكتهما وأحببتهما. وقد بليت سراويل أجيال من الأطفال لكثرة الركوب. وكان بيكاسو يأتي بأطفاله لركوب الدوامة، بل إن الشاعر الألماني راينر ماريا ريلكه نظم قصيدة بعنوان "دوامة اللوكسمبور."

وقد أبدى أشخاص كثيرون رغبتهم في شراء الدوامة، الا أن والدة جان لو كانت دائماً ترفض بيعها وتقول: "انها جزء من حياتنا، على رغم الصعوبة التي نجدها أحياناً في العثور على قطع الغيار وعلى رغم كلفة الصيانة الباهظة."

مدام بالانسوار - فرنسيس - كلود ديسارتيس الذي نجد اسمه معلقاً على بوابات اللوكسمبور هو المالك السعيد للمسرح الوحيد الدائم للدمى المتحركة في فرنسا كلها. وقد بناه والده عام ١٩٣٣ بعد فوزه في مسابقة لعرض الدمى المتحركة رعاها مجلس الشيوخ. وورث الابن عن أبيه ولعه بتلك الدمى.

واذا كنت شاهدت في حدائق أخرى عروضاً حزينة للدمى المتحركة، فعليك أن تمحو هذه الذكريات. فمسرح اللوكسمبور فريد في نوعه. فهو يشتمل على عشرة مشاهد مسرحية مختلفة. وكل عرض يقتضي اعداداً يستغرق سنتين وتمريناً لشهرين ويتطلب وجود ستة أشخاص


دوامة الخيل للصغار.



حفلة موسيقية على المنصة الخاصة في الحديقة.

يحركون الدمى. ويقول سيسيل دو ميل أحد نجوم عالم الدمى المتحركة: "في ذخيرتنا المسرحية ثمانون عرضاً ولدينا ألف دمية متحركة. وقد أمضيت سنة أدرس في قسم الدمى المتحركة الشهير في معهد الفنون الموسيقية بمدينة براغ (تشيكوسلوفاكيا). ونحن ننجز جميع متطلبات عروضنا بأنفسنا، من كتابة النصوص الى أساليب الأداء المسرحي."

وقبالة المسرح مرفق آخر للتسلية هو ملاعب كرة المضرب. ويبلغ عدد مستخدمي هذه الملاعب نحو خمسين ألفاً سنوياً. ويقول لاعب أحمر الشعر وهو يلهث والعرق يتصبب منه: "إنه لترف أن يلعب المرء كرة المضرب تحت الاشجار وفي وسط مدينة باريس."

وفي مكان آخر من الحدائق تقف "مدام بالانسوار"، التي أطلقت عليها هذا الاسم أجيال من هواة النوّاسة(★) فتبيع حلوى غزل البنات وتحنو على جميع أطفال اللوكسمبور. وهي مسؤولة عن النواسات

(★) النواسة (seesaw) لعبة تشتمل على مقعدين متقابلين يجلس عليهما ولدان فيهبط أحدهما ويرتفع الآخر.

منذ ٣٠ سنة. وتتذكر: "كنت فتاة ريفية ضائعة في المدينة. ولم أكد أطأ أرض الحدائق للمرة الاولى حتى انتابني شعور حقيقي بالسعادة. ورغبت في أن أعيش هنا فتوليت شأن النواسات."

وفيما الاطفال يرتفعون ويهبطون صاخبين كانت أمهاتهم يحادثن صاحبة النواسات حول رواية غابرييل ماتزنيف الاخيرة "لن نذهب الى اللوكسمبور ثانية" وحول معرض الرسامين الامريكيين الانطباعيين وحول فوائد الرضاعة من الثدي وتفضيلها على الرضاعة من الزجاجة. والحق ان مدام بالانسوار تبدي اهتمامها بكل شيء وتعرف الجميع وتقول: "انني ادعى الى حفلات الزواج وسواها من المناسبات، بل إن بعض زبائني أوقفوني في أحد شوارع مدينة هامبورغ بألمانيا."

وفي وقت متقدم من النهار غادر الاطفال الحدائق تباعاً بعدما طبعوا قبلاتهم على خدّي مدام بالانسوار. وكان الجو دافئاً فجلسنا في مقعد ورحنا نتحدث مع أناس بدوا مثلنا مترددين في مغادرة المكان. واستغرقت جدة في الذكريات فقالت: "بدأت أجيء الى "اللوكو" وأنا في الرابعة. وكانت هناك نساء يتولين أمر الجلوس في المقاعد. وكان لكل يوم من أيام الاسبوع بطاقة دخول خاصة يختلف لونها عن بطاقات الايام الاخرى. وكان من عادة أخي أن يجمع هذه البطاقات ويرسلني لمعرفة اللون المناسب كي يتمكن من الدخول والجلوس مجاناً. غير أنه لم يتمكن يوماً من خداع أولئك النساء. سيدات المقاعد اختفين من الحديقة، وفي ما عدا ذلك لم يطرأ أي تغيّر جدير بالذكر. وأنا لا أزال آتي الى هنا كل أسبوع، لكني الآن أحضر معي حفيدتي."

كريستيلا بيلي دويل
وكورين سيماما ■

"آلوها . . . ماهالو"

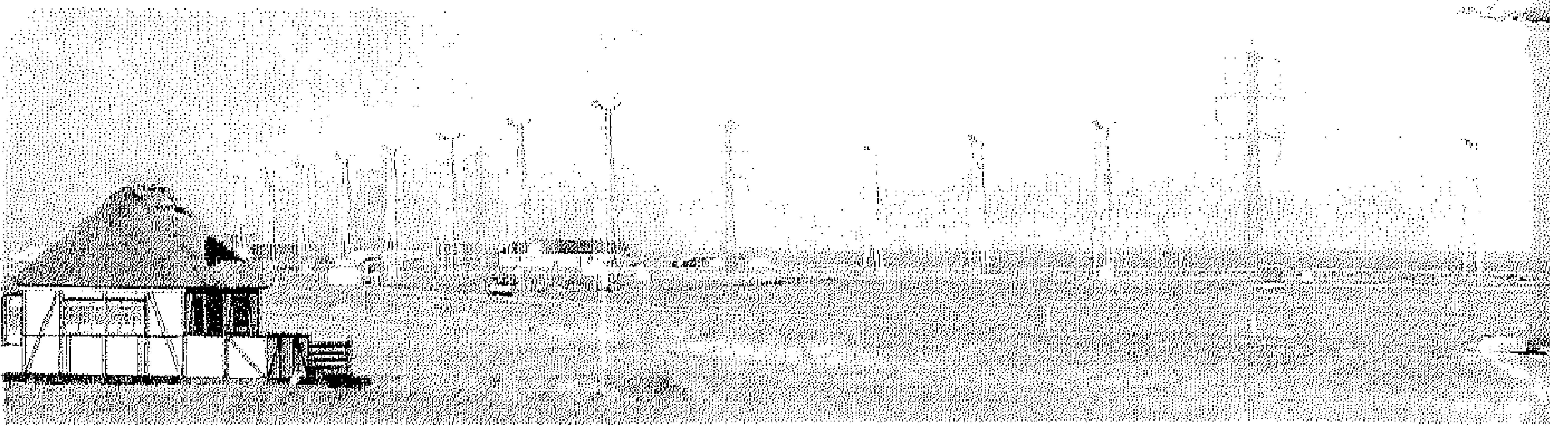
يتعلم الوافدون الجدد الى هاواي كلمتين جديدتين على الأقل: "آلوها" ومعناها "مرحباً" و"ماهالو" التي تعني "شكراً". لذا صدمت حين سمعت زائرة مداومة تخبر وافدة جديدة أن "ماهالو" تعني "نفاية". وسألتها أين تعلمت ذلك، فأجابت: "الأمر واضح. انها مكتوبة على كل سلال النفايات."

م.ف.

الأم لابنها على طاولة الطعام: "بالأمس كنا نضربك لتأكل الخضر، وها قد أمسيت اليوم نباتياً."

ج.ب.

في عالم يشهد نضباً مطرداً في الوقود تعود طواحين الهواء العتيقة لتولد طاقة كهربائية زهيدة الكلفة



عَـودَة الطَواحين

□ في الدنمارك على شاطىء قاحل تذروه الريح شرق جوتلاند، عمد المحرّر تورني مولر الذي يعمل في دار صغيرة للنشر الى نصب مروحة من ثلاث شفرات على برج معدني عال في حقل قمح في مزرعته خارج منزله. وتمكنت هذه المروحة، وقوتها ٣٠ كيلوواط، من تأمين الطاقة لكل ما في منزل مولر، من الآلة الحديثة لتنضيد الحروف المطبعيّة الى السخانة الكهربائية التي تدفىء مكتبه في الليالي حين تنخفض الحرارة الى ما دون الصفر والى الانوار في المنزل. وفي العام ١٩٨٥ لم يلبِّ هذا الجهاز كل الحاجات الكهربائية فحسب، بل مكّن صاحبه من بيع ما قيمته ٣٢ ألفاً و٤٠٠ كورون (٤٢٠٠ دولار) من فائض الكهرباء الى شركة الكهرباء المحلية.

□ في جنوب فرنسا قرب ناربون، شيّد اتيان رينييه بمساعدة الوكالة الفرنسية لضبط الطاقة "مزرعة ريح" اختبارية

Photos: Torbjörn Andersson, Pressens Bild

تؤمن الكهرباء لمنطقة لاستور التي حوّلها مركزاً للمعاقين. وتؤمن عشر طواحين هوائية، قوة كل منها ١٠ كيلوواط، نحو نصف الطاقة الكهربائية التي تستهلكها لاستور، ممّا يوفر على رينييه قرابة خمسين الف فرنك (٧٥٠٠ دولار) سنوياً.

▫ قبل خمس سنوات في هولندا ركّب يان بنينغز مولّداً هوائياً وجهازاً لصيانة المضخة الحراريّة في مزرعته التي تبلغ مساحتها ١٦ هكتاراً، وذلك للاقتصاد في العملية المكلفة لتجفيف تسعة ملايين بصيلة زهر وتبريدها سنوياً. وهو الآن يوفّر ٨٥٠٠ غيلدر (٣٧٠٠ دولار) سنوياً أي ٥٥ في المئة من فاتورة الكهرباء المتوجبة عليه.

مولر ورينييه وبنينغز ثلاثة من مئات "مزارعي الريح" الحديثي العهد في أرجاء العالم. وهم "يحصدون" الكهرباء التي تعتبر "محصول" الطاقة المتجددة في الثمانينات. وتشهد طاقة الريح عودة جديدة، فلا تفيد مصلحة الافراد فحسب بل مصالح المؤسسات والحكومات والوكالات العالمية.

ففي الولايات المتحدة شيّد المقاولون ثمانين مزرعة هوائية في معابر كاليفورنيا الجبلية، فجاءت النتائج مذهلة:

عام ١٩٨٤ أمّنت ثمانية آلاف تربينة (عنفة) هوائية في الولاية ١٨٨ مليون كيلوواط ساعي من الكهرباء في الشبكة المحلية العمومية، فوفّرت ٣١٠ آلاف برميل من النفط وحالت دون تسرّب نحو مليون كيلوغرام من الموادّ الملوّثة الى الجوّ. وتتوقّع لجنة الطاقة في كاليفورنيا ان يزيد انتاج الطاقة الهوائية ثلاثة أضعاف في سنة ١٩٨٦، وأن تبلغ كلفة هذه الطاقة خلال التسعينات نحو نصف كلفة الطاقة النووية أو الفحمية أو النفطية.

وفي الصين أنشأت الحكومة نحو مئة تربينة هوائية تؤمن الطاقة للمنازل الواقعة في المناطق المنعزلة، وذلك من دون وصلها بشبكة الكهرباء الوطنية.

وكندا اليوم في صدد بناء تربينة هوائية ضخمة تبلغ كلفتها نحو ٣٥ مليون دولار في شبه جزيرة غاسبي. وهي تؤمن الكهرباء لتدفئة نحو ٢٥٠ منزلا وانارتها.

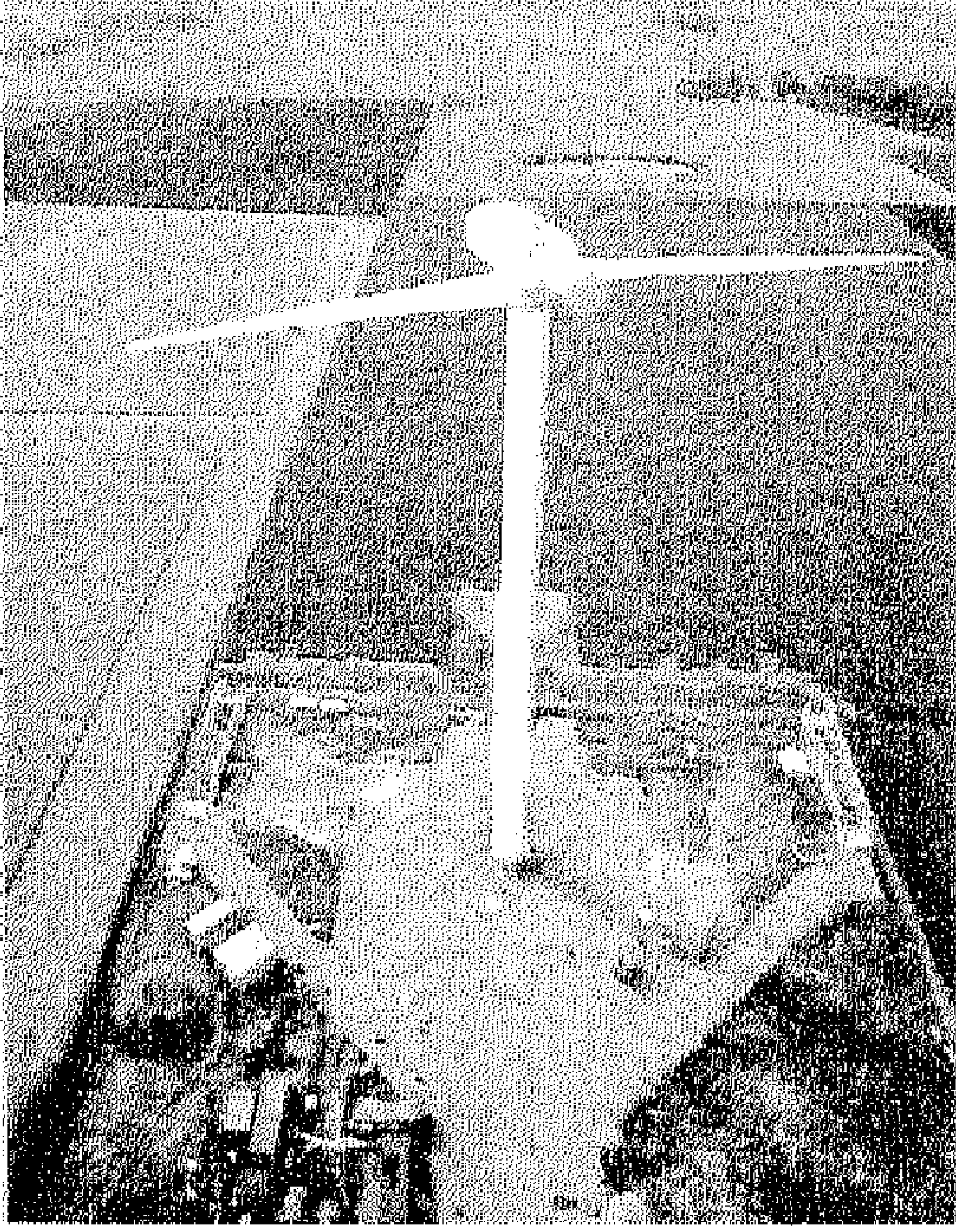
وفي جزيرة كيثنوس اليونانية كانت الشركة العمومية للطاقة تدفع سعراً يزيد ستة أضعاف على معدّل السعر الاوروبي للكهرباء المولدة من الديزل. أما اليوم فان "حديقة الريح" التي تحتوي على خمسة مولدات كهربائية قوة كل منها ٢٠ كيلوواط توفر ٣٠ ألف دولار سنوياً من وقود الديزل. ويقول هوبرت ناكفير منسّق برامج شرح الطاقة الهوائية في المجموعة الاقتصادية الاوروبية: "ان الريح بدأت تنافس النفط في انتاج الطاقة."

التكنولوجيا القديمة – خلال الثلاث السنوات الماضية خصّصت المجموعة الاوروبية، وهي أكبر مستورد للنفط في العالم، ٢٠ مليون دولار لتمويل ثمانين مشروعاً للطاقة الهوائية تنتشر في اثني عشر بلداً أعضاء. وهي تراوح بين الطاحونة الهوائية الصغيرة، كالتي تؤمن

١٩٨٦ الكهرباء لملجأ جبلي منفردٍ في مونتي كافالو بايطاليا، والتربينات الهوائية التي تقاس قوتها الكهربائية بالميغاواط في هولندا والدنمارك وأسوج (السويد). ويقدّر خبراء الريح في المجموعة الاوروبية أن في أوروبا قرابة ٤٠٠ ألف موقع تعصف فيها الريح بقوة تكفي لتغذية عدد من التربينات بالطاقة، فتوفّر معاً كمية من النفط تزيد على الكمية المستهلكة لاشباع الحاجات الكهربائية الحالية في القارّة. وتشير دراسات أخرى أجريت في أوروبا واليابان والولايات المتحدة الى أن التربينات الهوائية المنتجة على نطاق واسع وغير مكلف قد تصبح قريباً قادرة على انتاج ١٤ في المئة من كهرباء العالم.

وقد أدّت أزمات النفط في السبعينات والقلق المتزايد على البيئة من المصانع التي تعتمد الطاقة النووية والفحم المحروق الى اعادة الاهتمام بالتكنولوجيا القديمة للطاقة الهوائية. ثم ان مخزون النفط والغاز والفحم ليس متجدداً ولن يدوم الا لسنوات محدودة، في حين تبقى الريح، وهي شكل غير مباشر للطاقة الشمسية، لا تنضب ولا تسبّب تلوثاً ولا أمطاراً حمضية ويمكنها أن توجه كميات ضخمة من الطاقة داخل الشبكات العمومية وتعمل ترادفياً مع محركات الديزل في المناطق النائية.

أما الدنمارك، وهي بلاد صغيرة تعصف فيها الرياح وتضم خمسة ملايين نسمة وقد صوتت ضد بناء مصانع تنتج الطاقة النووية، فتحتل الصدارة في اعادة إحياء الطاقة الهوائية. وقد أنشئت فيها قرابة



في ماغلارب بأسوج (السويد) حيث الرياح تنفخ بقوة، قد يرى الزائر ويسمع هذين الجناحين يصطفقان فيزودان ألفي منزل الكهرباء.

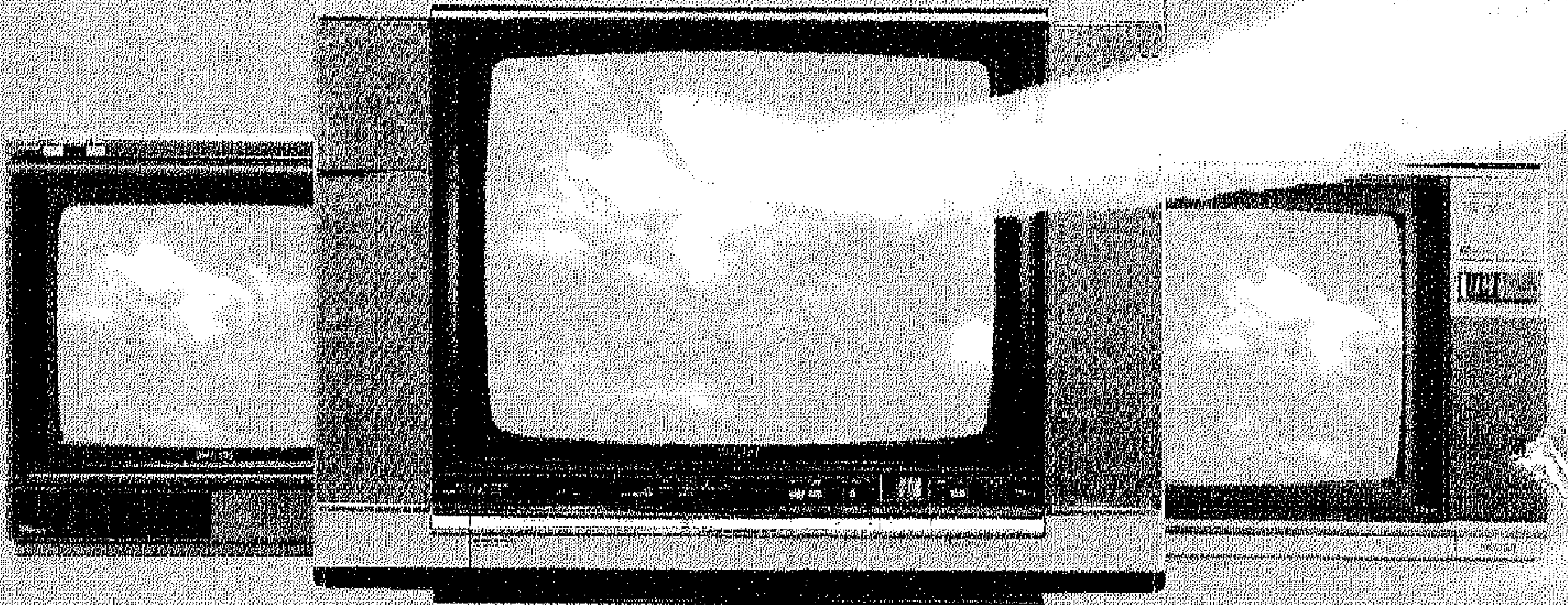
١٤٠٠ تربينة هوائية منذ العام ١٩٧٦ حين سجّل تورني مولر حدثاً تاريخياً بتشييد أول تربينة هوائية خاصة لتوليد الكهرباء في الفناء الخلفي لمنزله. وقد أنتج الدنماركيون حتى الآن أكثر من مئة مليون كيلوواط ساعي من الكهرباء المولدة من الهواء، والانتاج الفردي هناك يزيد عما هو في أي دولة أخرى.

تقلبات الريح – في الدنمارك يشتري المواطنون اليوم طواحين هوائية تماماً كما يشترون غسالة أو سيّارة، بالتقسيط ومع كفالة سنتين أو خمس سنوات. وقد ألغي العمل التخميني للمستهلك لدى شرائه الطاحونة أو تعيين موقع لها، بانشاء محطة للتجارب في مركز ريزو الوطني للبحث العلمي. وبعد تجارب دقيقة جداً على الاجهاد والضجة وتوليد الطاقة، يتمكن مركز ريزو من تقدير أداء


صيانة دولية مدتها سنة
خدمة على نطاق دولي



فيليبس الهولندية تقدم...
وسيلة فريدة للتحكم التام بالتلفزيون عن بعد فضلاً عن ضمانة عالمية النطاق



TRENDSET ١٦ بوصة - تلفزيون ملون نقال يتيح اختيار ١٦ قناة مجهز بشاشة مظللة تومن وضوح الرؤية في ضوء النهار مع جهاز للتحكم عن بعد

TRENDSET ٢٠ بوصة - تلفزيون ملون ستيريو دي لوكس بشاشة مظللة تؤمن وضوح الرؤية في ضوء النهار مع توصيلة امامية وخلفية للصوت والصورة، وجهاز للتحكم عن بعد.

TRENDSET ١٤ بوصة - تلفزيون ملون نقال مع سماعات وشاشة مظللة تؤمن الرؤية الواضحة في ضوء النهار وجهاز للتحكم عن بعد

للاستمتاع بأناقة المظهر، وروعة الابتكار الفني، وصورة ذات جودة طبيعية لا مثيل لها، ندعوك لمشاهدة تشكيلة «ترندسيت» فيليبس. إنّها تمتاز بخصائص عديدة رائعة منها جهاز تحكّم عن بعد يعمل بالأشعة دون الحمراء ويتيح لك القيام بكل ما يلزم، من اختيار القناة إلى التحكّم بالوضوح واللون والصوت عن بعد ... مما يجعل التحكّم بالتلفزيون في متناول يدك فعلاً.

فيليبس وحدها تقدّم هذه الخصائص المتطوّرة، فضلاً عن ضمان عالمي شامل يؤمن لك الاطمئنان على مدى ١٢ شهرًا ... هذا بالاضافة إلى مراكز خدمة فيليبس المتوفّرة في جميع أنحاء العالم.

أبو ظبي: شركة الخليج للالكترونيات، هاتف: ٨٢٤٨٦٢ دبي: الكندي للالكترونيات، هاتف: ٣٧٦٦٠٠ البحرين: محمد فخرو وإخوانه، هاتف: ٢٥٩٥٣٤ الكويت: يوسف احمد الغانم وأولاده ذ.م.م.، هاتف: ٨٤٢٩٨٨ لبنان: أ.ز. للالكترونيات ش.م.ل.، هاتف: ٣٩٢٣٢٢ بيروت عُمان: شركة مصطفى وجواد للتجارة، هاتف: ٧٠٩٩٥٥ مسقط، الشنفري وشركاه، هاتف: ٤٦١٨٠٥ صلالة قطر: محمد عبد اللطيف المانع وشركاه، هاتف: ٢/١/٤٢٢٦٩٠ المملكة العربية السعودية: رجب وسلسله، هاتف: ٧/٦٧٠٠٣٢٦ جدة اليمن: مؤسسة راشد للسفريات والتجارة، هاتف: ٢٢٦٠٦٧ صنعاء

فيليبس - أكبر إسم في عالم الالكترونيات

الآلة خلال معدل عمرها البالغ ٢٥ سنة. وبعد أن يحظى نموذج طاحونة ما بموافقة مركز ريزو، يؤهل الشارون لاعانة مالية من الحكومة تبلغ ١٥ في المئة من الثمن وقرض مصرفي يمتد ٢٠ عاماً وضمان واذن بالتثبيت داخل شبكة الكهرباء العمومية لبيع فائض الطاقة. ومن الناحية النظرية، اذا استخدمت ثماني صور تمثل المنطقة وعوائق الريح حول موقع محتمل، يتسنى لدماغ الكتروني ان يحدّد بوضوح كمية الكهرباء التي قد تولّدها تربينة هوائية سنوياً وما اذا كانت ستقتصد المال أم ستصرف منه مبلغاً أكبر.

وقد حذا الكثيرون حذو مركز ريزو. فوضعت برامج وطنية أخرى للطواحين الهوائية وأنشئت مراكز تجارب في بريطانيا وهولندا وفرنسا وألمانيا الغربية. وعمدت الحكومات الى تمويل الابحاث والتجارب على التربينات الهوائية الصغيرة والضخمة. لكن التقدم كان بطيئاً والارتباكات التقنية كثيرة.

تبدو مبادىء الطاقة الهوائية أوّلية: تدير هبّة الريح جهاز شفرات على عمود فولاذي متصل بعلبة مسنّنات يحرّك بدوره عموداً آخر يدير أسلاك مولّد في حقل مغناطيسي، فينتج الكهرباء. لكن ديناميكا التربينات الهوائية شديدة الدقّة. فبينما تعمل الآلات بفاعلية قصوى اذا زادت سرعتها وخفّت تبعاً للريح، يتوجب على المولّدات الكهربائية انتاج تيّار بتوتّر ثابت.

ويقول إيفرت مينن مدير مؤسسة "ستورك فدو – فيس" الهولندية الضخمة: "قد تتغير قوة الريح عشر مرّات في غضون ثوانٍ، ولكن يتعين على التربينة ان تولّد دفقاً من الطاقة ممتاز النوعية. من هنا كثرة المشاكل الهندسية."

وللمساعدة على حلّ هذه المشكلة صمّم المهندسون أصنافاً متنوعة من "الكوابح الهوائية" وشفرات دوّارة مختلفة الميلان يمكن ضبطها لكي "تسفح" الرياح العنيفة التي قد تسبّب أضراراً.

[illegible] الأعطال – على التربينات الهوائية أيضاً أن تقاوم الالتواءات والضغوط الناجمة عن القوى النابذة(★) وقوة الجاذبية الارضية، اضافة الى الصدأ والتآكل والبرق والثلج. ويشير مينن الى أن "معظم السيارات تباع للكسر بعد ٢٥٠٠ ساعة من الاستعمال، لكن المتوقّع أن تدوم التربينات الهوائية أكثر من ١٤٠ ألف ساعة ومن دون صيانة او بقليل منها."

والتربينات الأكثر فاعلية في العالم موجودة في أسوج، وهي دولة تنوي وضع حدّ لمصانع الطاقة النووية فيها خلال العقود الثلاثة المقبلة. وتتميّز التربينة الامريكية التي تبلغ قوتها أربعة ميغاواط والموجودة في ميديسين بو في ولاية ويومينغ بقدرة مولّدة أكبر، في حين لا يفيض عن أي مولد هوائي مقدار كهرباء يزيد على الذي تنتجه التربينات الهائلة في ماغلارب قرب مالمو في جنوب أسوج، وقوة كل منها ٣ ميغاواط. فكل تربينة منها قادرة على تزويد ألفي منزل الكهرباء.

(★) Centrifugal Force

ومن دواعي العجب أن التربينات الهوائية التي سجّلت سرعات قياسية ليست من النماذج الضخمة بل من الصغيرة نسبياً، وقد بنتها مجموعة متباينة من المصنّعين. ففي بونوي من ضواحي باريس تتخصّص شركة صغيرة تدعى "آيروات انترناسيونال" بالتربينات الهوائية التي تراوح قوتها بين ٦٠ واط و١٥ كيلواط وتستعمل لتغذية الطافيات والمنارات البعيدة عن الشاطىء.

وتعد شركة "فيستاس" الدنماركية اكبر مصنّع في العالم لطواحين الهواء. وقد بدأت العمل عام ١٩٧٨. وهي تبيع حالياً ١٥٠٠ وحدة سنوياً قوة كل منها ٩٠ كيلواط. ويشرح برجر مادسين رئيس قسم الابحاث والتطوّر في الشركة: "ان الطواحين التي تنتجها هي من نموذج ت - فورد بسيطة وثقيلة ومصممة لتدوم طويلا. اننا نحاول صنع آلات قادرة على تحمّل ٢٠ سنة من المناخ القاسي ومتنوّعة كتنوع الرياح."

وتبيع الشركة طواحينها الهوائية في أكثر من عشر دول، من جزر كاب فردي الى الصين. وهي تستقصي الأسواق في أماكن أخرى. ويقول مادسين: "ان القرى في افريقيا وآسيا في حاجة الى ضخ المياه للريّ، ونحن نعتبر الطواحين الهوائية أرخص الوسائل لذلك ويمكن التعويل عليها أكثر من سواها. والعالم الثالث ملائم لاستعمال الطاقة الهوائية."

- يتفق خبراء الطاقة على أن الاحتمال الفوري الأكبر للافادة من الطاقة الهوائية يكمن في المناطق الريفيّة النائية حيث تكلّف الأشكال الاخرى للطاقة ثمناً باهظاً وحيث تكثر الرياح. ففي منغوليا الداخلية تزوّد التربينات الهوائية المدن الصحراوية كهرباء يقلّ ثمنها عن تلك التي تنتجها مولدات الديزل. وفي الهند بوشر بناء "مزرعة ريح" ضخمة.

وفي أوستراليا الواقعة في منطقة يكثر هبوب النسيم عليها ويدعوها علماء الارصاد الجوية "الاربعينات الهادرة"، بدأ تشغيل عدد لا يحصى من التربينات الهوائية.

طوال قرون ركّزت تصاميم الطاحونة الهوائية التقليدية على المحاور الافقية. أما في العقود الاخيرة فقد أجرى المهندسون تجارب على الآلات العمودية المحور القادرة على العمل في النسمات الخفيفة غير آبهة باتجاه الهواء. فاستنتجوا مفهوماً عاماً كان رائده رجل فرنسي هو جورج داريوس الذي صنع آلة هوائية عام ١٩٢٥ تشبه ماكينة لصنع الحلوى في المطبخ. وبنى الالمان الغربيون في الارجنتين "خفّاقة بيض" قوّتها ٢٠ كيلواط تبعاً لنموذج داريوس.

ولا يمكن أن تحلّ التربينات الهوائية جميع مشاكل الطاقة في العالم. ولكن لا شك لدى العلماء في أن التكنولوجيا القديمة التي ضخّت مياه الآبار في بلاد فارس وطحنت القمح في بريطانيا القرون الوسطى وجفّفت أراضي زويدرزي في هولندا قد تصبح احد أهم موارد الطاقة الحديثة والمتجددة في العالم.

ستيوارت ماكبرايد ■

تدابير منزلية



أنا امرأة محبّة للكمال، كسولة. استجوب كل من ألتقيه بحثاً عن أسرع الطرق وأنجعها لانجاز الأعمال خارج المنزل وداخله بأقل جهد وأدنى كلفة. ومجموعة التعليمات التي جمعتها وقفتها من دون خجل على جعل الحياة أسهل. وكل واحدة منها تجعلني أتمنى لو عرفتها من قبل.

أفكار للبيت

لارتجال فرشاة للثياب بلّلي يديك بالماء وامسحيهما بقوة على الثوب، فالرطوبة تلتقط معظم ما علق به من غبار وأوساخ.

ولا بد من أن جدتي كانت تعرف أمراً ما عندما كانت تضيف مقداراً من الخل الى الماء قبل شطف الغسيل إذ ان المادة الحمضيّة في الخل تخلّص الثياب من المادة القلوية في الصابون.

ولقد ابتكرت ربات المنازل في أوروبا





الشمالية طريقة ممتازة لتلبيس اللحاف من دون كفاح. فبعد غسل الملحفة ينشرنها مقلوبة على قفاها، وعندما تجفّ يدخلن يديهين ليمسكن الزاويتين البعيدتين للملحفة المقلوبة ويقبضن بهما على الزاويتين المناسبتين للحاف ويرفعن الاثنين معاً وينفضنهما ممّا يجعل الملحفة تنسدل على اللحاف من دون عناء.

وللتخلص من الروائح العالقة في صندوق القمامة المعدني - ولبس البلاستيكي - أحرقي فيه بعض أوراق الصحف، فالنار تطرد جميع الروائح. وعندما قالت لي إحداهن ان اشعال عود ثقاب داخل المرحاض يزيل الروائح منه لم أصدقها، لكنها طريقة فاعلة حقاً.

التنظيف

آمن طريقة لازالة الغبار عن أدوات الزينة السهلة الانكسار هي أن ترتدي قفازين من القطن(١) وتمرري أصابعك برفق في الشقوق.

ومادة البارافين مفيدة لتنظيف الحمامات والمغاطس والصنابير، فهي تزيل عنها غثاء الصابون والكلس وتضفي عليها بريقاً جذاباً. ولكن عليك شطفها بعناية لئلا تترك رائحة. وفي بعض المناطق حيث المياه مالحة أو كلسية، تترك قطرات الماء المتساقطة من الصنابير والمتجمعة في المغاطس بقعاً بنية اللون تمكن ازالتها بمزيج من كميات متساوية من الخل والملح يُترك فوقها بضع دقائق قبل شطفها بالماء.

لتنظيف الادوات المصنوعة من الكروم، في المنزل أو في السيارة، أضيفي الى ماء الغسيل قليلا من مادة النشادور (أمونيا) واشطفي الادوات وجففيها جيداً لتصبح براقة. وطبقة الزنجار الأخضر التي تتكون أحياناً على النحاس تمكن ازالتها بسهولة وسرعة بقليل من النشادر والملح. اشطفيها وجففيها بعد ذلك.

خلال دقائق قليلة تصبح الزهريات المتسخة نظيفة برّاقة إذا مُلئت بماء مضاف اليه مقدار من مادة مُبيِّضة (bleach).

وما من مدبرة منزل قديرة إلا وتحتفظ باناء صغير مليء برماد السجائر، لأن قليلا منه مع مقدار مماثل من الزيت النباتي كفيل بإزالة الدوائر والبقع عن الخشب المصقول القاتم اللون. أما الدوائر على الخشب الفاتح اللون فيمكن اخفاؤها بواسطة جوز البرازيل الغني بالزيت، وسرّ استخراج الجوزة كاملة من داخل قشرتها هو تجليدها في الثلاجة لبضع ساعات.

خاص بالطهاة

تتجلد البندورة (الطماطم) في الثلاجة على أفضل وجه ان لم تنزع قشرتها. وعند الحاجة يكفي أن تضعيها وهي مجلّدة تحت صنبور الماء الساخن ممّا يتيح نزع القشرة بسهولة تامة.

وللحؤول دون اسوداد القدر لدى سلق البطاطا أضيفي الى ماء السلق قليلا من الخل أو عصير الليمون. كما ان بضع قطرات من عصير الليمون تضفي على الرز المطبوخ بياضاً رائعاً، ومقدار ملعقة من

(١) تباع هذه القفازات في الصيدليات بأسعار رخيصة.

الزيت يمنع التصاق حبات الرز بعضها ببعض. ولمنع تكتل الرز المطبوخ قبل تقديمه ضعي فوقه قطعة من القماش فهي تمتص البخار وتمنع التكتّل.

استخدام سكين محمّاة على النار يسمح بتقطيع الجبنة السريعة التفتت وكأنها زبدة.

بعض التوابل مثل الكري والكركم والكمون والكزبرة تضفي على الطعام نكهة أقوى إذا قُليت قبل اضافتها اليه.

وإذا اكتشفت وأنت تحضرين قالباً من الحلوى أنه تنقصك بيضة، فيمكنك الاستعاضة عنها بملعقة من الخل شرط أن يحتوي القالب على مادة مخمِّرة تجعله يرتفع.

وبما أن الملفوف يقوي نكهة الفريز (الفراولة) بمجرد أن يلامسه، تُلف هذه الفاكهة به وتغلف بغشاء رقيق لاصق لبضع ساعات. والفريز طعمه ألذّ مع الكريما الحامضة، كما أن رشة من الفلفل الاسود فوق الفريز المقطع تجعل طعمه غريباً شائقاً.

الحيوانات المدللة والطفيليات

لاختيار ببغاء اوسترالي ناطق(٢) انتق واحداً لا يحمل دائرة بيضاء حول احدى عينيه أو بقعاً سوداء على عنقه، إذ لا يكون قد بلغ الشهر الثالث من عمره بعد.

عبارة "يبدو مسروراً كالهرّة التي التهمت الكريما" مضللة لان الكريما شديدة الدسم بالنسبة الى القطط، وخصوصاً صغارها. وهي تسبب لها عسراً في الهضم، حتى انه من الافضل تخفيف الحليب بالماء الفاتر.

عند شراء كلب تذكّر أن الكلاب الصغيرة الحجم توزع عاطفتها من دون حساب. والذكور بين الكلاب الكبيرة الحجم تنزع الى حصر عاطفتها في انسان واحد بخلاف اناثها التي تصادق جميع أفراد العائلة. واذا استساغ جرو عض قطعة اثاث ثمينة، افركي المكان المختار بقليل من زيت الاوكالبتوس أو زيت الثوم، لأن أنفه الحساس ينفر من تلك الروائح الحادّة.

ولقد علمتني امرأة من يوركشاير كانت تربي كلاب صيد من نوع البيغل كيف تضفي على وبرها لمعاناً. والطريقة هي دلك وبرها بقطعة نظيفة من الحرير بعد تمشيطه.

يروى أن الصليبيين لاحظوا أن العث لم يكن يغزو ثياب العرب الذين كانوا يحفظون ثيابهم في صناديق صنعت من خشب أرز لبنان. والواقع ان الادراج (الجوارير) الجيدة كان تصنع من خشب الارز، وهي تطرد العث حتى اليوم. واذا استطعت الحصول على قليل من نشارة خشب الارز، ضعيها في كيس وعلقيه بين الثياب، ومع أن الاكياس أنيقة المظهر، إلا ان جورباً من النايلون يفي بالغرض.

افعلها بنفسك

قبل مباشرة طلي المنزل إحمِ نظارتيك من ذرات الدهان المتطايرة بلصق غشاء رقيق على العدستين، كما ان لصق أوراق الصحف المبتلّة على زجاج النوافذ يحميها من بقع الطلاء المتطاير. واذا تعذّر لصقها على الزجاج الخشن ذي

(٢) Melopsittacus undulatus

جمعة المتعة الدائمة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت - لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان.



قسيمة اشتراك

Name ______ الاسم

Address ______ العنوان

Profession ______ المهنة

Date ______ التاريخ

Signature ______ التوقيع

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المختار"

السطح المبرغل، إدهن الزجاج بطبقة سميكة من أي سائل للتنظيف. وحالما يجفّ الطلاء اغسل البقع بالماء الساخن.

وإذا أردت ان تسنّ منشاراً كليلا، افرك أسنانه بقليل من المادة الشمعية الصاقلة المستعملة في تلميع الاثاث. وقبل نشر الخشب المكسو من جانبيه بقشرة زينية، علّم مكان النشر بخط على الجانب السفلي ثم حزّزه بمدّية حادة لكي لا تفتت أسنان المنشار القشرة.

المسامير والبراغي يسهل دقها إذا غمست أسلاتها بمادة دهنية مثل الطلاء المصنوع من شمع النحل أو الفازلين أو حتى الزبدة. ولتثبيت برغي رخو ضع قليلا من الصمغ على عود ثقاب خشبي وادخله الثقب قبل ان تلولب البرغي ثانية.

الزراعة

"تفريخ" بزور البقدونس أمر ربما كان دقيقاً وصعباً. وأنا أنقعها طوال الليل في وعاء ماء ساخن في درجة الغليان تقريباً. وطريقة أخرى هي غلي الماء ثم سكبه على البزور بعد زرعها. ومن حسنات هذه الطريقة أنها تقتل الاعشاب الغريبة وهي تشطأ.

لحفظ الشتول سالمة أثناء نقلها من حديقة الى أخرى، ضعها داخل كيس من البوليثين وانفخ الكيس بالهواء ثم اغلقه بطريقة الفتل. من شأن الهواء الرطب أن يحمي الشتلة من الجفاف. والكيس يحميها من الصدمات.

تشكّل اسطوانات الكرتون التي يلف حولها ورق "التواليت" ومناشف المطبخ قدوراً مثالية لحفظ النباتات الجديدة. املأها بالتراب وضع البزور داخلها وضعها على صينية لا تخترقها المياه. وعندما يحين أوان الزرع ارفعها من تحت بواسطة سكين عريضة وادخلها كما هي في الحفرة المعدّة لها. ولن يلبث الكرتون أن يهترىء في التراب.

أما النباتات الخارجية فيجب غرس بصلاتها على عمق يبلغ ثلاثة اضعاف طولها، وهذا يؤمن لها الرطوبة باستمرار.

لارتجال قمع تحتاج اليه لدى استعمال مواد كيميائية خطرة، قص قعر قنينة من البلاستيك واقلبها، ثم تخلّص منها بعد الانتهاء من العمل حفاظاً على السلامة.

لتزييت جزّازة العشب من دون أن تقرب أناملك من شفراتها، استعمل ممسحة صحون عتيقة، فهي تنزلق بين الشفرات بسهولة.

بعض أنجع الافكار هي في الواقع أبسطها. قال لي بستاني قديم مرّة: "أوقفي عربة اليد الفارغة في وجهة الطريق التي تودين سلوكها لاحقاً." هكذا يتجنّب المرء "برقة" الظهر التي ربما سببها تحويل وجهة العربة المحمّلة.

مويرا برمنر ■

فواتير الأطباء

بعد إبلاله من مرض قال رجل لصديقه: "لا شك في أن الطبيب شفى قدميّ. فالفاتورة من الضخامة بحيث يتعين علي بيع سيارتي."

س.د.

الأخوات الثلاث



لم يكن الاخ الصغير ليغيب لحظة عن يقظتهن المروّعة

عندما كنت طفلا يانعاً آمنت بأن الأخوات عقوبة صارمة تفرض على الاشقاء الصغار. وقد كان لي أخوات ثلاث يكبرنني سناً. وكنت أخالهن كائنات غريبة قاسية مهمتها العمل على جعل حياة الشقيق على الارض في هناء عيشة السجناء.

كانت أمي منهمكة في التنظيف والطبخ ومداراة الايام الصعبة، لذلك أوكلت أمر رعايتي واطعامي الى أخواتي اللواتي كنّ يأخذن عملهن على محمل الجد. وكن شغوفات بالصابون الخشن والماء الساخن. فكنت، ثلاث مرات أو أربعاً في اليوم، أقاسي من إحدى تلك الحارسات الصغيرات الصارمات وهي تفرك جسمي. أما أختي الصغرى فكانت في الخامسة من عمرها تهوى الكمال، فتفرك وجهي بعنف بحجة أنها تشمئز من

Condensed from New York Times (April 7, 85), © 1985 by The New York Times Co., New York, N.Y. Illustration: Sheldon Greenberg

النمش، مؤكدة أن تلك العلامات التي تشبه الزبيب على وجهي هي وصمة عار على العائلة. وكثيراً ما اقترحت على أمي الّا تدعني أخرج من المنزل قبل أن أبلغ الثامنة والعشرين من عمري.

وكانت أخواتي يكرهن مضارب الكرة والعصي والحجار وكل ما أهوى تلويحه بعناد مجنون. ولم يكن مسموحاً لي أن ألعب بأي شيء يعتبرنه مميتاً. وسرعان ما أدركت أنهن يعتقدن أن اليدين إنما صنعتا لامساك الطعام وارتداء القفازات الصوفية الخشنة.

في تلك الايام تكوّنت لدي فكرة واضحة وعادلة عن الأخوات. فهنّ عملاقات ناحلات بشعات وجدن من أجل تحويل حياة الآخرين بؤساً. انهن يأكلن الخضر ويستسغن الحليب ويحملن مناديل صغيرة مطرّزة ويهوين الاستحمام والمدرسة والمعلمين ويؤدين فروضهن على أفضل وجه ولا يهرقن المداد أبداً.

في ظلّهن - تعاودني ذكرى أيام كانت تسطع الشمس في زرقة السماء ويفترض أن أكون خارجاً في الحقول الخضراء، ولكن بدل ذلك كانت أخواتي يسجنني على عتبة بيتنا. وكم كنت أتألم وأنا جالس هناك أحلم بالحرية.

وفي بعض الايام كنت ألوذ بالفرار بحثاً عن الاثارة والتشويق. أما أخواتي فكن يزعقن تشجعهن أمي، فيوجهن إلي أفظع التهديدات وهن يلاحقنني في الجوار وكأنني كلب مسعور.

وأحياناً كانت حارساتي يصحبنني رغماً عني الى دار السينما. ومع أنهن كنّ يطعمنني الكثير من الحلوى، فاني كنت أجول في القاعة مشجّعاً الأشرار على الشاشة إلى أن يأمرني الحاجب، ومن ثمّ المدير، بأن ألزم الهدوء.

وغالباً ما كانت إحداهن ترفع مقعدي فيعلق جسدي الناحل بينه وبين المسند. وكنت ارجوها أن تطلقني. وما ان يحرر جسمي المرضوض حتى أنطلق راكضاً في القاعة أطلق ناراً وهمية على الحاضرين محولا ابهامي وسبابتي مسدساً. فتعمد أخواتي بمساعدة الحاجب والمدير الى ملاحقتي عبر المماشي والصفوف حتى يوقعوا بي.

وعاجلا أم آجلا كن ينتقمن مني لجرائمي السينمائية. فما ان تخرج أمي للتسوّق حتى يقيدنني الى سور الباحة الخلفية أو يطعمنني السبانخ أو الملفوف المسلوق من البارحة.

وعندما بلغت الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمري وأصبحت غلاماً أحمر الشعر وأصبحت أخواتي يخرجن مع الاصدقاء، أذكر أن أمسيات السبت كانت كابوساً حافلا بالنشاط. كن يبدأن بالهرولة في المنزل باحثات عن أحذية وأحزمة وفساتين وشرائط. وكنّ يعبسن ويصحن ويتجادلن لمعرفة من تدخل الحمام أولا. لكنني كنت أستمتع بتلك الامسيات الحماسية. وكم فرحت بمشاهدة عصبيتهن، خصوصاً عندما يتذكرن شيئاً يحتجن اليه في المتجر، كجوارب أو دبابيس شعر أو طلاء أحذية. وكل مساء سبت كنت أجلس في كرسي المطبخ أنتظر بدء عملي وقلبي مفعم بالعاطفة الاخوية.

كنت أهرول الى المتجر مرة لكل أخت، فلا أشتري سوى سلعة واحدة كل مرة. وكانت كل رحلة تكلفهن عشرة قروش. كنّ يكرهنني، لكنني كنت أملهن الوحيد.

ومع أن قلقهن في تلك الأمسيات كان يدر عليِ مبلغاً لا بأس به كل أسبوع، فانني أبَيْتُ أن أقتنع بجدارة العيش مع أخوات.

فرنكنشتاين وكروفورد – لمّا ركّب الهاتف في منزلنا وأصبح صلة وصل بين أخـواتي والعـالم كلفت الـرد على المكالمات. ولدى عودة أختي الاكثر شعبية الى البيت كانت تسألني: "هل اتصل بي أحد اليوم؟" فأجيب: "اتصل شاب يدعى فرنك." وتعضّ أختي الطعم بتلهف وتسأل: "فرنك من؟" فأخفي ضحكتي وأنا أجيب: "فرنكنشتاين."

وكنت ألجأ الى خدعة هاتفية أخرى. فأتصل بالمنزل من متجر الحلوى وأطلب مكالمة أختي الصغرى التي كانت في ذاك الحين تعتقد أنها الممثلة جون كروفورد، فتمشي وتتكلم وتسرح شعرها تماماً كالنجمة السينمائية الشهيرة.

وعندما ترد كنت أشرح لها أنني وكيل شركة "مترو – غولدوين – مايـر" السينمائية، وأنني رأيتها في متجر الحلوى فأذهلتني مشيتها وتسريحة شعرها الطويل. ثم أسألها هل هي مستعدة للمجيء الى هوليوود لتأدية أحد الادوار. ولا تلبث أن تستفسر بصوتها السينمائي: "دور من؟" فأكتم فرحتي أمام سذاجتها وأجيب: "كينغ كونغ!" (★)

وبعد فترة خمدت نار حربنا الباردة فاكتشفت أن أخواتي جميلات ولطيفات ومليئات بالانسانية. وفجأة أصبحت حامياً لهن.

واكتشفت ان لأخواتي قلوباً طيبة، إذ كنّ يقدمن إلي هدايا لطيفة في عيد الميلاد وذكرى مولدي. وقد بكين عندما غادرت البيت للالتحاق بالبحرية عام ١٩٤١. وخلال خدمتي في المحيط الهادىء إبان الحرب العالمية الثانية كتبن إليّ رسائل مفعمة بالعاطفة وهدأن من روعي.

وكلما أتذكّر ما قاسين من متاعب مع أخيهن الصغير، أحيي صبرهن وتفانيهن وأشكر الله الذي أدخلهن حياتي.

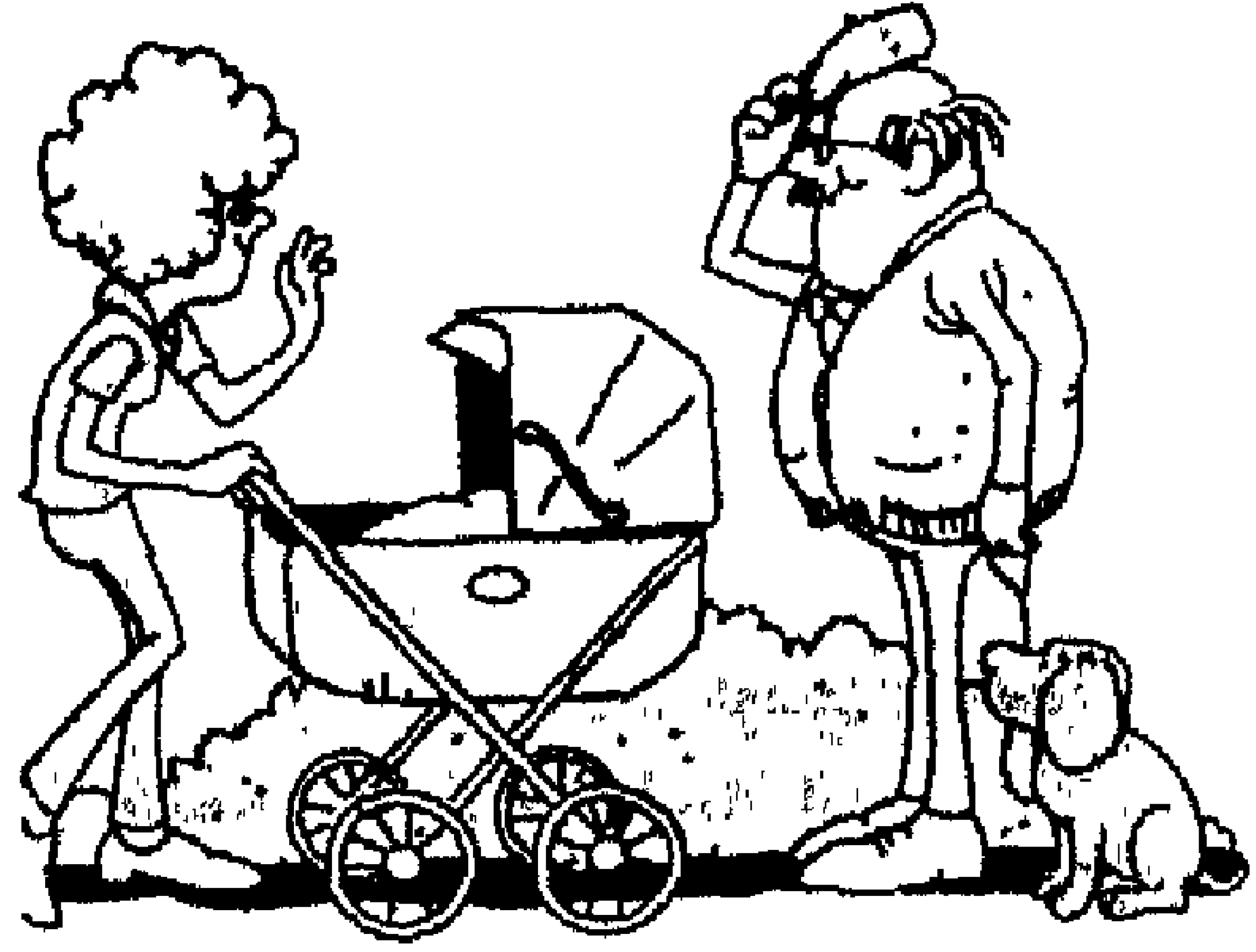
جيرميا ماهوني ■

(★) كينغ كونغ قرد عملاق في أحد أفلام الرعب.

تهنئة في غير محلها

كانت الرحلة بالطائرة طويلة ومتعبة، و"هبط" قلبي عندما أعلن القبطان أن الضباب يغطي مطار هيثرو في لندن وانه اذا لم ينقشع سريعاً فسنضطر الى الهبوط في مدينة مانشستر. وكان الى جانبي كاهن، فأغمض عينيه وتمتم صلاة صغيرة. وبعد دقائق طلب من الركاب ان يشدوا الاحزمة استعداداً للهبوط في مطار هيثرو. فحولت نظري فوراً الى جاري مهنئاً اياه على طلب الاستغاثة الناجح من "مقر قيادته". فأجابني متنهداً: "على العكس، فأنا اسكن في مدينة مانشستر."

ب.م.



دائرة المعارف

تتبع "المختار" في مقالاتها الاسلوب السهل الواضح، لكنها تحرص على إغناء عباراتها بكلمات يفيد منها القارىء ويصقل بها لغته. وهنا كلمات من هذه وردت في الاعداد الاربعة الاخيرة من "المختار". وقد وضع أمام كل منها أربعة معان، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. توعَّك: تعثَّر - أصابه المرض - توغَّل - تثاءب.

٢. سلَّف: اتهم - أطال سالفيه - حكى قصة - أقرض.

٣. ذَرَّ: نثر - انقلب وتدحرج - لطَّخ - بلغ الذروة.

٤. سفع: فاجأ - لفح - أزاح النقاب - وبَّخ.

٥. الصنو: النوع - طبق الطعام - الحذاء - الاخ الشقيق.

٦. الرشأ: العجلة - الحصى - ولد الظبية - الكلام الباطل.

٧. تأجج: اشتدَّ حرُّه - تبجح - غضب - سعل.

٨. أسدى: أصاب القلب - أحسن - عطش - أصغى بانتباه.

٩. الصوب: وتر القوس - الجهة - الصخر - أعلى الجبل.

١٠. السُدَّة: الحقّ - الزوجة - الرتبة والمنصب - الغطاء.

١١. الغبن: الخبز - التراب العطش - الاهدار - الخديعة.

١٢. الكَثَب: القرب - الرمل الكثير - الافتراء - الجبل الصغير.

١٣. شَبَّ: شابه - ابيضَّ شعره - تغزَّل - اتَّقد.

١٤. تشدَّق: مضغ - تكلم من غير احتراز - غصَّ - قهقه.

١٥. الساهِم: المهموم - الناسي - العابس - المشترك في أمر.

١٦. الافَّاك: الرحَّالة - عالم الفلك - الكذَّاب - صاحب المعرفة.

١٧. العلجوم: الضفدع الذكر - الجدول - الدواء - ولد البقرة.

١٨. المنوال: الطريق المستقيمة - العطاء - السيد الكريم - النَسَق.

١٩. السديم: الظلام - الضباب الرقيق - المطر - السراب.

٢٠. المبهرَج: الحسَن - الفرحان الصاخب - المزيَّن - المبهور.

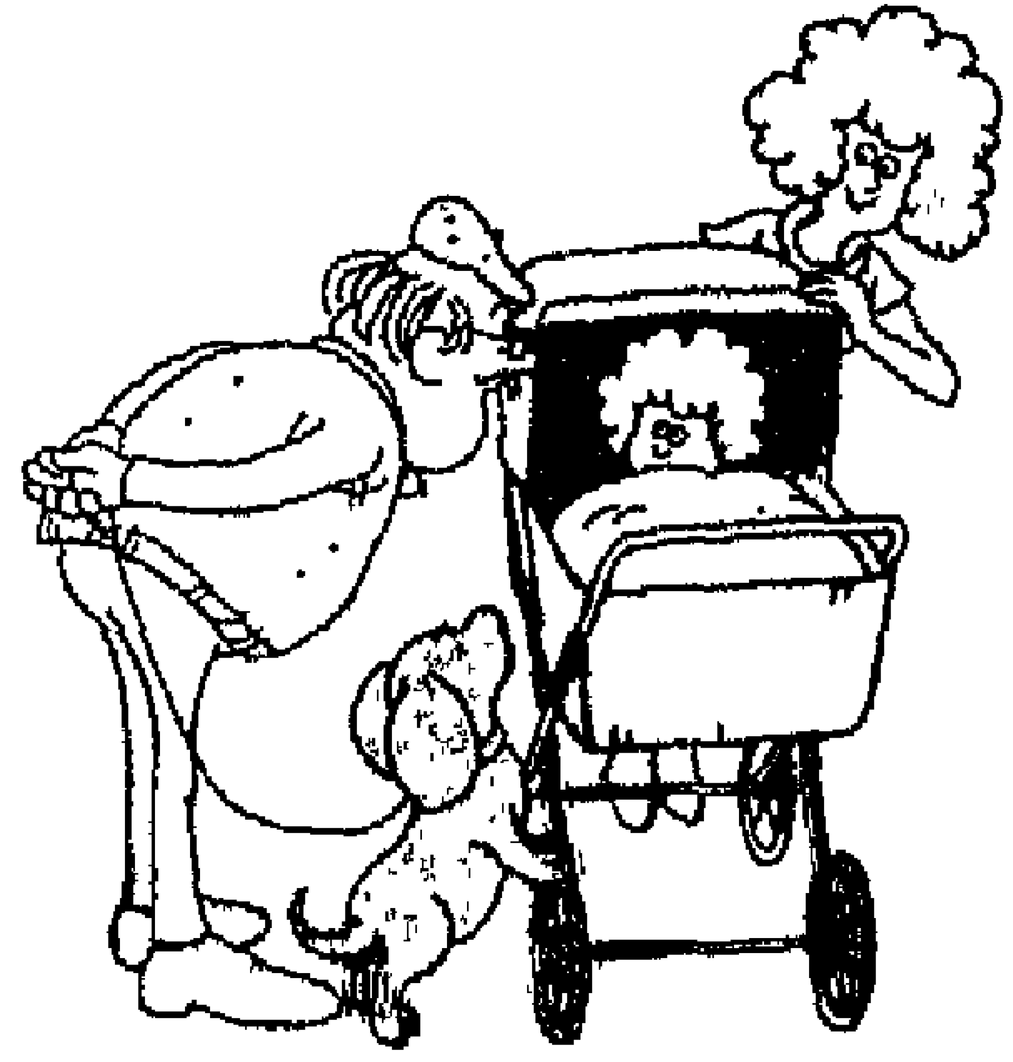
٢١. أحبط: أبطل - خدع وضلل - أغلق - هدم.

٢٢. تعتع: حرك بعنف - ثرثر - مزَّق - أخذته الحمى.

٢٣. الخرنق: الابريق - قصر الملك - الخابية - الارنب الصغير.

٢٤. الخلال: الرماح - الخصال - سلال الفاكهة - خيوط الحرير.

٢٥. جُزافاً: فجأة - باكراً - من غير تبصُّر - أحياناً.

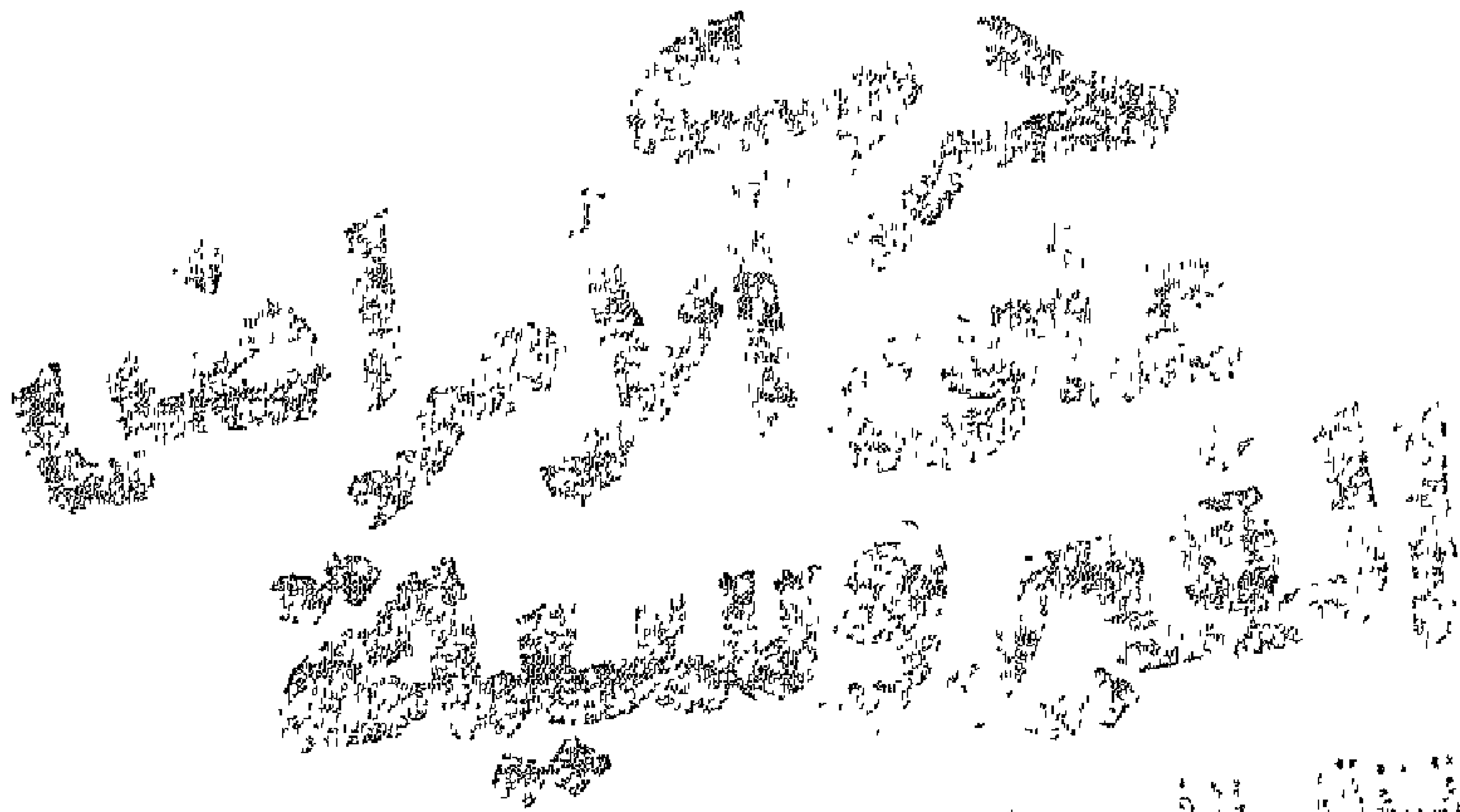


الأجوبة الصحيحة

١. توعّك: أصابته وعكة، والوعكة هي الشدة والالم من التعب أو المرض.
٢. سلّفه مالا: أقرضه، تسالف الرجلان: أخذ كل منهما أخت زوجة الآخر، فهما سِلْفان.
٣. ذرَّ الملحَ: نثره ورشه، والحَبَّ: بذره. ذرَّ الرجلُ: شاب مقدم رأسه.
٤. سفع: ضرب، وسم، لفح. تسفّع بالنار: اصطلى بها.
٥. الصّنْو والصِنْو: الاخ الشقيق، الابن، العم. جمعها أصناء وصِنْوان.
٦. الرشأ: ولد الظبية.
٧. أجّ النار: ألهبها. تأججت النار: اشتد حرها.
٨. أسدى اليه: أحسن. أسدى الأمر: أصابه، أهمله.
٩. الصَوْب: الجهة، الصواب. صاب المطرُ صوباً: انصبّ.
١٠. السُدّة: ما يُجلس عليه كالمنبر. أيضاً: الرتبة والمنصب وباب الدار.
١١. الغَبْن والغَبَن: الخديعة في البيع والشراء. أيضاً: ضعف الرأي والنسيان.
١٢. الكَثَب: القرب. يقال: رماه عن كثب. الكُثبة: الارض المطمئنة بين الجبال.
١٣. شبَّت النار: اتقدت، والفرس: نشطت أو حرنت.
١٤. تشدَّق: لوى شدقه للتفصح أو الاستهزاء. وبالكلام: توسع فيه من غير احتراز. والشدق زاوية الفم.
١٥. الساهِم: العابس.
١٦. الافّاك: الكذاب. حديث الإفك: الذي لا أصل صحيحاً له.
١٧. العُلْجوم: الضفدع الذكر. أيضاً: موج البحر وظلمة الليل والبستان.
١٨. المنوال: النسق والاسلوب.
١٩. السديم: الضباب أو الرقيق منه. أيضاً: الكثير الذِكْر.
٢٠. المبهرج: المزين. تبهرجت المرأة: تزينت. لؤلؤ بَهْرَج: رديء.
٢١. أحبط: أبطل وأذهب سدى.
٢٢. تعتعه: حركه بعنف وقلقله. تعتع في الكلام: تردد فيه من عِيّ.
٢٣. الخِرْنِق: الصغير من الارانب. الخَوَرْنَق: المجلس الذي يأكل فيه الملك ويشرب.
٢٤. الخِلال: الخِصال.
٢٥. باع أو تكلّم جُزافاً: أي من غير قانون أو تبصُّر.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول



في شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٢ أصيبت مارشا أندرسن، وهي ربة منزل في التاسعة والعشرين تقطن في ولاية كونتيكت، بعارض صحي ظنته زكاماً. غير أن هذا العارض أخذ يتفاقم. وفي ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) نقلت على عجل وهي غائبة عن الوعي الى مستشفى هارتفورد. وخلال اليومين التاليين، وبينما كان الاطباء منهمكين في اجراء الفحوص، بقيت في غيبوبة وحرارتها ٤٠،٥ درجة مئوية.

وأسرّ جوزف كليمك خبير الامراض المُعْدية في المستشفى الى زوجها أن ثمة احتمالا لوفاتها. وبدا أن مارشا تعاني اصابة متقدمة بالالتهاب الدماغي الحلائي(١) وهي عدوى نادرة نسبياً يسببها فيروس الحلاء (العقبولة) البسيط من الفئة ١ (حلاء الاعضاء التناسلية يتسبب عادة بفيروس مختلف هو الحلاء البسيط من الفئة ٢). وأعطى كليمك المرأة دواء يدعى "آرا - أ" أو "آدينين آرابينوسيد"(٢). وكان هذا أفضل ما لديه والامل الوحيد في مكافحة الالتهاب الذي يحدث في الدماغ تلفاً دائماً.

صباح اليوم التالي "استيقظت مارشا من نومها" حسبما قال كليمك. وهي تذكر: "جاء الاطباء والممرضات ليحدقوا الي.

(١) Herpes encephalitis

(٢) Ara-A, or adenine arabinoside

كانوا غير مصدقين أني ما زلت على قيد الحياة."

وانقضى ما يزيد على ثلاث سنوات ولم تظهر على مارشا أي أعراض تدل على أنها مصابة بضرر دائم.

كان العقار "آرا - أ" الاول بين مجموعة من الادوية نقضت شعاراً متعارفاً عليه في الطب: ما ان يصاب امرؤ بالفيروس حتى يغدو الطبيب عاجزاً عن عمل أي شيء سوى معالجة الاعراض ومراقبة الداء وهو يأخذ مجراه، آملا ألا ينطوي ذلك على الموت او العطب الدائم. ان ما رآه كليمك في شفاء مارشا أندرسن كان ثورة صغيرة وهجوماً معاكساً ناجحاً في حرب ظَل الانسان يخسرها منذ ألوف السنين.

ولا يزال أمامنا أن نجد أدوية لمعظم الامراض الفيروسية. ان تطوير عقار واحد استغرق عقوداً من الزمن، للسبب عينه الذي لم يتيسر به ايجاد حل سهل للارهاب أو حرب العصابات. فالفيروسات تتنقل بسهولة وتبدل أزياءها التنكرية غالباً وتسعى الى أهدافها بتصميم وتندمج في محطيها حتى يغدو من العسير عزلها وضربها من دون الحاق الضرر بالناس. وتسبب الفيروسات أمراض الزكام والنزلة الوافدة (الانفلونزا) والحصبة والتهاب الكبد وشلل الاطفال والجدري والحلاء والايدز (نقص المناعة المكتسبة). كما يمكن ان تتطور الفيروسات لتسبب أنواعاً عدة من ذات الرئة والتهاب الدماغ والسحايا، وهي تُكتشف على نحو متزايد كعامل كامن وراء أنواع عدة من السرطان.

مفتاح الجسم - عندما تصاب بالنزلة الوافدة اليك ما تحدثه الفيروسات في خلايا أغشية حنجرتك ومجاري الشُعَب في رئتيك. انها تغزو هذه الاغشية وتستغلها لتحقيق تكاثرها وانتشارها ومن ثم تدمرها وتغادر. ولا عجب في أنك تشعر بمعاناة من جراء ذلك، انه شعور يزداد سوءاً حين يخبرك طبيبك أن ليس في وسعه أن يفعل شيئاً ليشفيك.

في معظم الاحيان كانت اللقاحات الاسلوب الرئيسي لدى الانسان لمكافحة الفيروسات. فاللقاحات تُدخل فيروسات نافقة أو موهنة أو مولدات مضادات (antigens) منقّاة الى جهاز المناعة في جسم الانسان، مما يقيض له أن ينتج عدداً كبيراً من الاجسام المضادة (antibodies) التي يحتاج اليها لصد العدوى الفيروسية.

بعض اللقاحات حقق نجاحاً في الجدري وشلل الاطفال مثلا. لكن اللقاحات تنطوي على نواقص ومضار كذلك، أهمها أنك اذا أصبت بالداء بات اللقاح عديم الجدوى. والى ذلك ثمة فيروسات عدة تبدل أحوالها بسرعة حتى تصبح اللقاحات المضادة لها غير فاعلة، وان تيسّر إيجادها. وعلى غرار ذلك من العسير مكافحة الفيروسات بالعقاقير، لان هذه يمكن أن تسبب ضرراً يفوق ما يسببه الداء الذي تعالجه.

حين يلج الفيروس خلية بشرية معرّضة يبدو كأنه يخوض صراعاً مع خصم أقوى منه، اذ قد يبلغ حجم الفيروس جزءاً من عشرة آلاف من حجم الخلية التي تسلل داخلها. انه يشبه سمكة صغيرة ألقيت

في بركة سباحة. لكن الفيروس، الذي لا يعدو في حقيقته مجرد جزء من مادة وراثية داخل غلاف من البروتيين، له قدرة على تدبر شؤونه. فالمادة الفيروسية الوراثية تتألف اما من الحمض النووي «DNA» واما من الحمض النووي «RNA»(٣). وبما أن هاتين المادتين الكيميائيتين موجودتان في خلايا جسم الانسان، فان الخلية المضيفة لا تتنبه الى أن الجينات الفيروسية (٤) هي في حقيقتها عدو غاز.

الجينات الفيروسية لها "لغة" الجينات البشرية عينها. فالحمضان «DNA» و«RNA»يتألفان في سلسلة طويلة من وحدات صغيرة تدعى "المزدوجات الاساسية"(٥). والمعلومات التي يتضمنها الحمضان تعتمد على تعاقب هذه المزدوجات، تماماً كما يعتمد المعنى في كلمات أي لغة على تعاقب الحروف التي تتألف منها. والجينات الفيروسية تتألف من الحروف عينها التي لجينات الحمضين النوويين في الخلية المضيفة، انما في ترتيب مختلف. وهكذا فانها تمتلك وسيلة الوصول الى موارد الخلية. ويبدو الامر وكأن الفيروس يملك مفتاح "المصنع". وهكذا يتسنى له أن يشغل الآلات وينهب مخزون المواد.

عقاقير ناجعة - ما الذي يباشر الفيروس عمله حقاً؟ انه يبدأ بصنع مئة نسخة أو أكثر من مادته الوراثية. بعد ذلك "تطلب" هذه النسخ البروتيين التي تحتاج اليه لتشكيل نواها وغلافاتها الخارجية. وسرعان ما يصبح جيش جديد من الفيروسات على أهبة الانطلاق.

والادوية المضادة للفيروسات تفعل فعلها من طريق قطع عمل الفيروسات في احدى مراحل هذه السلسلة من التطورات المتعاقبة. فالعقار "آرا - أ" الذي أنقذ مارشا أندرسن يمكن أن يتعلق بالـ«DNA»الخاص بفيروس الحلاء بعد غزوه خلايا الدماغ. والواقع انه يحكم "قبضة" كيميائية عليه. وجينة الفيروس لا يمكنها أن تتناسخ حين يعترض العقار "آرا - أ" سبيلها. والعقار "أسيكلوفير" هو علاج احدث للحلاء ترافقه أعراض جانبية أقل، وهو يعمل بالطريقة عينها.

أما العقار "أمانتادين" وهو دواء للنزلة الوافدة، فما يعرف عنه أقل. ويقول جورج غالاسو الاختصاصي بالامراض الفيروسية في المعاهد الصحية الوطنية بالولايات المتحدة: "قد يعمل الامانتادين على جعل أغشية الخلايا غير قابلة للاختراق الفيروسي. وقد يتمكن الفيروس من التسلل داخل الخلية ولكن رموزه لا تنحل فيها." أي أن الدواء يمنع جينات النزلة الوافدة من طلب البروتيينات التي تحتاج اليها. ويضيف غالاسو: "فاذا حلنا دون تسلل الفيروس الى الخلية حققنا الغاية المنشودة. واذا عرقلنا تكاثر الـDNA حققنا الغاية عينها."

مثل هذا التدخل يتم كذلك بواسطة الانترفيرون، وهو المادة الكيميائية التي هلل لها الناس قبل سنوات كعلاج عجائبي للسرطان. ولم يثبت الانترفيرون حتى الآن أنه علاج ناجع لكل أنواع

(٣) Deoxyribonucleic acid (DNA) or ribonucleic acid (RNA)

(٤) Viral genes

(٥) Base pairs

السرطان. لكن الباحثين معجبون بفاعليته ضد الفيروسات. وثمة نوعان من الانترفيرون دعيا "ألفا" و"بيتا" ويبدو أنهما فاعلان ضد بضعة أنواع من الفيروسات، وليس بالضرورة مباشرةً، بحسب قول غالاسو، انما من طريق "حض الخلايا غير المصابة على انتاج شيء ما يتصدى للفيروس بطريقة ما."

وعدم وضوح طريقة أداء الادوية الجديدة وظيفتها يعكس الطريقة التي اكتشفت بها. ويشرح غالاسو: "انها العرضية. فكثير منها اكتشف بينما كان الناس يبحثون عن أشياء أخرى."

والخطوة التالية التي تمثل الامل الحقيقي في الصراع ضد كل الفيروسات هي الذهاب أبعد من الحظ. وبدلا من تجربة مئات الادوية المحتملة لايجاد واحد يصادف أنه يكافح مرضاً معيناً يختاره هو، "ينبغي أن نكون قادرين على العمل انطلاقاً من الفيروس الى الدواء، لنخرج بدواء يعمل ضد نوع محدد من البروتيين الفيروسي." ويضيف غالاسو: "الامر عسير، غير أننا نقف الآن في مرحلة نستطيع فيها أن نحقق ذلك الهدف."

سباق مع الوقت – في مختبر بيولوجيا خلايا الاورام في المعهد الوطني للسرطان في الولايات المتحدة، الواقع على مسافة قصيرة من مكتب غالاسو، صُفّت القوارير المملوءة بفيروسات الايدز الفتاك داخل غرف تحفظ حرارتها في ٣٧ درجة مئوية، وهي الحرارة العادية لجسم الانسان.

لقد حصل الباحثون على معلومات جمة عن داء الايدز منذ اكتشافه في هذا

المختبر وفي معهد باستور بفرنسا عام ١٩٨٣. فالفيروس الذي يشار اليه عادة باسم «HTLV-III» يقضي نهائياً على خلية الدم البيضاء التي تدعى "الخلية المساعدة – ت"(٦). ومن دون هذه الخلايا ينهار جهاز المناعة كله ويصبح المرضى فرائس للعدوى التي تقتل ضحاياها عادة. والباحثون الان يعرفون الفيروس «HTLV-III» معرفة جيدة حتى انهم حددوا تسلسل مادته الجينية. وثمة ٩٠٠٠ "مزدوج أساسي" لجينات الفيروس، وقد تمكن الاختصاصيون بعلم الفيروسات من التعرف اليها بحسب ترتيبها.

انهم يعرفون أيضا أن «HTLV-III» هو واحد من الفصائل النادرة التي تدعى "الفيروسات الردّية"(٧). وتدخل الفيروسات الردّية خلايا الجسم البشري وتطلق الـ«RNA» داخلها. وبعد ذلك تحوّل معلوماتها الوراثية الى «DNA» من طريق انتاج بروتيين غير عادي يدعى "ترانسكزيبتايز العكسي"(٨). وقد حضرت مركبات تصد هذا البروتيين بتقوية جهاز المناعة وزيادة عدد "الخلايا المساعدة – ت". وهذه المضادات الفيروسية (سورامين وأزيدوثيميدين وسواهما) تخضع حاليا للتجارب السريرية على مرضى الايدز.

في هذه الاثناء يبقى الزمن مستمراً. وقد أظهرت عيّنات حديثة من الدم أخذت من مرضى الايدز أن الفيروس يعدّل غشاءه كما يفعل فيروس النزلة الوافدة. وهكذا يجري سباق الآن لتحديد موقع مستقر على الغشاء الفيروسي. ومن طريق الافادة من ذلك يأمل العلماء أن يتوصلوا الى انتاج مولّد مضاد للفيروس، ومن ثم تطوير لقاح فعال ضده.

ولدى التوصل الى دواء ناجع ينبغي ألا يبقى الوقت مشكلة. والترانسكريبتايز العكسي، الذي هو أحد الاهداف التي سيحاربها العقار المضاد للايدز، ليس عنصراً يمكن أن يغيّره الفيروس بسهولة. لكن العقار لا يمكن أن يحل مكان اللقاح ولا العكس صحيح. فاللقاح يؤدي خدمة عظيمة بدرء عدوى الايدز، بينما الدواء يوفر المساعدة التي يحتاج اليها المرضى الذين أصيبوا فعلا بالعدوى.

روبرت غالو متفائل، وهو رئيس مختبر بيولوجيا خلايا الاورام في المعاهد الصحية الوطنية. ويقول: "أظننا سنجد لقاحاً ضد الايدز، وأحسب أن معالجته بالدواء ستتوافر كذلك." ويصمت قليلا ثم يضيف: "من الافضل أن يتحقق هذان الامران."

آلان سترنبرغ ■

(٦) T-helper cell
(٧) Retroviruses
(٨) Reverse transcriptase

كلب مبوّب

من اعلان مبوب في احدى الصحف الامريكية: "موجود: كلب أسود ضخم. الاولاد يطعمونه ويختارون له اسماً. على صاحبه الاتصال سريعاً بالرقم ٤٤٤٠ – ٥٥٥.

ج.ر.

كتاب الشهر

السيدة الحرية

ابتثقت الفكرة من مناخ الحرية
في قرية صغيرة بفرنسا
وبرزت الى الوجود عام ١٨٨٦ في مرفأ نيويورك.
وهكذا أصبحت "السيدة" رمزاً للحرية و"أم المنفيين"
بالنسبة الى الملايين في أنحاء العالم.
صنعت من ألواح النحاس والاربطة الحديد،
لكن المتطلعين اليها يشعرون
أن لها قلباً من نار.

هذه السنة تم ترميم السيدة
واحتفل بعيدها المئوي.
وها هي قصة القرن الاول من حياتها،
مستقاة من الكتب والمجلات
والصحف ومن المصادر الاصيلة.
انها تحية الى "سيدة الحرية" التي
تستعد لحمل مشعل الرجاء والحنين
على مدى السنين المقبلة.

سيدة الحرية



ان أول مشهد من امزيكا وقعت عليه عيون الكثيرين من المهاجرين كان تمثال الحرية. وهم لن ينسوا هذا التمثال أبداً. ولقد استبدت الرهبة بادوار كورسي حين كان صبياً ايطالياً أي العاشرة من عمره اذ وقعت عيناه على هذا التمثال:(١)

"كنا على متن الباخرة "فلوريدا" بعدما قضينا ١٤ يوما في البحر عقب خروجنا من مرفأ نابولي. وكانت الباخرة مكتظة بـ١٦٠٠ مسافر من أبناء ايطاليا. كان سرورنا عظيماً، كلنا اولاداً وكباراً، لاننا غادرنا عرض البحر ودخلنا أخيراً خليج نيويورك.

"احتشد المسافرون حولنا أمام الحاجز على متن السفينة. ورفعت الامهات والآباء صغارهم لكي يتاح لهم كذلك أن يروا تمثال الحرية.

"ونظرت الى ذلك التمثال وقد تملكني شعور بالذهول وخامرني شك في حقيقته. كان ينتصب كشبح غائم في الضباب، وفرضت مهابته الصمت المطبق على متن السفينة فلوريدا. فهذا الرمز الذي يمثل أمريكا، هذا التعبير العظيم عن كل ما تلقناه على انه المعنى الذي تنطوي عليه هذه البلاد الجديدة التي نحن آتون اليها، أثار الرهبة في نفوس المهاجرين المفعمة بالرجاء."[٣]

ويستعيد البولوني آرنولد فايس ذكرياته: "تمثال الحرية أعظم شيء رأيته في حياتي. يا له من منظر مدهش! وإدراكك أنك أصبحت في هذه البلاد... يا الهي، شيء يكاد لا يصدق!"

ساره آشر مهاجرة من روسيا لا تزال تتذكر الضوء والالوان: "نهض جميع المسافرين في الساعة الرابعة او الخامسة صباحاً. وخرجنا جميعاً. كان تمثال الحرية جميلا في ضوء الفجر الباكر وأشعة الشمس الوهاجة. وكانت الالوان جميلة ومياه البحر مخضرة. بدا كبيراً جداً، وكانت الدموع تنهمر من جموع العيون."[٣]

---

(١) المصادر التي اقتطفت منها هذه المعلومات مدرجة في الصفحة قبل الاخيرة من هذا الكتاب. وكل رقم يشير الى المقطع السابق بكامله.

رأى أرمنفيلدو مانشي تمثال الحرية للمرة الاولى حين وصل الى الولايات المتحدة قرابة العام ١٩٠٠. وأثاره المشهد بحيث أنه نذر أن يزور التمثال كل عام في عيد ميلاده. وكان هناك يبتسم والدموع تترقرق في عينيه، في عيد ميلاده المئوي عام ١٩٧٩.٤

"بالنسبة الينا جميعاً، نحن الذين ولدنا هنا وعدنا من رحلاتنا ومن حربين عالميتين، كان التمثال يعني: "الوطن، لقد عدت الى الوطن." وفي مجيئنا وذهابنا في الطائرات هذه الايام لا نزال نرنو الى التمثال بتأثر ونهتف: "ها هو تمثال الحرية! هناك، تحت!"

العودة الى الوطن مبهجة. "لم أر في حياتي شيئاً يضاهي جمال سيدة الحرية في نيويورك." هذا ما كتبه الكابتن هاري ترومان(٢)، وكان في الرابعة والثلاثين من عمره في رسالة الى حبيبته بيس والاس لدى أوبته من الحرب العالمية الاولى. وأضاف: "انك تدركين أن هؤلاء الشبان صمدوا في مواقع كثيرة كانت محفوفة بالاخطار، ولكن حين عزفت الفرقة الموسيقية لحن "وطني الجميل" بقيت مآق قليلة لم تتبلل بالدموع."٥

هذا ما تكرر بعد الحرب العالمية الثانية. "ما ان أخذت ناقلة الجند المسماة "الجنرال هاري تايلور" تمخر في خليج نيويورك بعد ظهر ذلك اليوم القائظ من شهر اغسطس (آب) حتى احتشد نحو ٣٠٠٠ جندي منا نحن العائدين أمام حاجز السفينة نرنو بلهفة الى ذلك المشهد الوحيد الذي يعني لنا الوطن. رفعنا رؤوسنا... ولاح لنا التمثال. انه تمثال امرأة مهيبة في ثيابها الخضراء الفاتحة ترفع المشعل مرحبة بنا. وبدا أن زفرة واحدة صعدت من ٣٠٠٠ حنجرة كادت تخنقها العواطف المتأججة.

"عدنا الى الوطن. أخيرا نحن في موطننا."٦

بالنسبة الى آخرين اضحى تمثال الحرية مزاراً ونصباً يحيي ذكرى رفقاء قضوا في سبيل الوطن.١

معنى خاص

كان جو هيدروسكو بحاراً على سفينة - مستشفى في الاسطول الامريكي رست قبالة مرفأ بيرل هاربر في جزر هاواي في ٧ ديسمبر (كانون الاول) عام ١٩٤١. وبعدما ألقت القاذفات اليابانية قنابلها أدت بطولته الى انقاذ ما يزيد على ٣٠٠ جندي أمريكي جريح بمن فيهم ٢٤ رجلا احتبسوا في البارجة "أوكلاهوما" المنقلبة. وفي العام ١٩٦٩، عند بلوغه الخمسين من العمر، أضحى جو طياراً مجازاً. وفي ٧ ديسمبر (كانون الاول) من كل عام دأب على التحليق بطائرته فوق تمثال الحرية والقاء باقات من الورد تكريما لرفقائه البحارة الذين لم يؤوبوا الى الوطن قط.

توفي هيدروسكو في شهر يوليو (تموز) من العام ١٩٨٣، وأقسم فريق من أصدقائه الطيارين على متابعة هذا التقليد الذي التزمه. وفي السابع من ديسمبر ١٩٨٥ قامت ١١ طائرة بهذه التحليقة. فحامت عشر منها في تشكيل

---

(٢) أصبح هاري ترومان في ما بعد الرئيس الثالث والثلاثين للولايات المتحدة.

واحد فوق التمثال بينما هبطت الحادية عشرة الى مستوى منخفض. وعندئذ انحنى مايك سافاريز، وهو واحد من البحارة الذين أنقذهم هيدروسكو، وألقى ٤٤ وردة حمراء واحدة عن كل من السنوات التي انقضت على الغارة على بيرل هاربر، مع زهرة وردية واحدة تكريماً لذكرى جو هيدروسكو.[٤]

يقول دانيال بورستين أمين مكتبة الكونغرس في الولايات المتحدة: "أحس أني أصبحت أمريكيا من جديد كلما رأيت تمثال الحرية."

ويتذكر المؤرخ البارز بول هورغان أنه جاء في طفولته من شمال ولاية نيويورك مع والده الذي احضره لمشاهدة التمثال لانه "كان يحاول أن يجعل مني مواطنا امـريكياً."[٥]

ان الرجال الذين عملوا على اصلاح ما فعلته عوادي الزمن والطقس في التمثال تتملكهم عاطفة قوية تشدهم اليه. وقد ساعد روبرت كونمي في انشاء سقالة ضخمة من الالمنيوم تحتضن التمثال في أثناء جهود الترميم الواسعة التي أجريت في أواسط الثمانينات. قال كونمي لمراسل صحيفة "نيويورك تايمس" انه "كان بين الاشخاص الاوائل الذين قيض لهم في غضون ٩٨ سنة من عمر التمثال أن يحدقوا عن كثب الى عينيه التي تتسع كل منهما نحو ثلاثة أرباع المتر." وحين اقترب من "السيدة" قبلها قبلة عظيمة.

كثيرون أحبوا "السيدة"، منهم ما يزيد على مئة ألف فرنسي رجالا ونساء وأطفالا تبرعوا بفرنكاتهم التي جنوها بالجهد المضني ليصنعوا تمثالها، وما يزيد على ١٢٠ ألف أمريكي من كل الاعمار جادوا بسنتاتهم ودولاراتهم لبناء القاعدة التي تليق بمقامها، وملايين المهاجرين الذين انتعشت قلوبهم لرؤية مشعل الترحيب.[٤] كذلك ملايين الزوار. فلكل من هؤلاء كانت السيدة تمثل معنىً خاصاً.[١]

قال تشارلي ديليبو وهو ميكانيكي صيانة في التمثال: "ان لهار شخصية خاصة بها، شخصية قوية، راعية. انها تخاطب الناس بلغة صامتة يفهمها الجميع. انها تنطق بما ناضل الناس من اجله عبر مئات السنين. هذا التمثال مزار يُقصد."[٤]

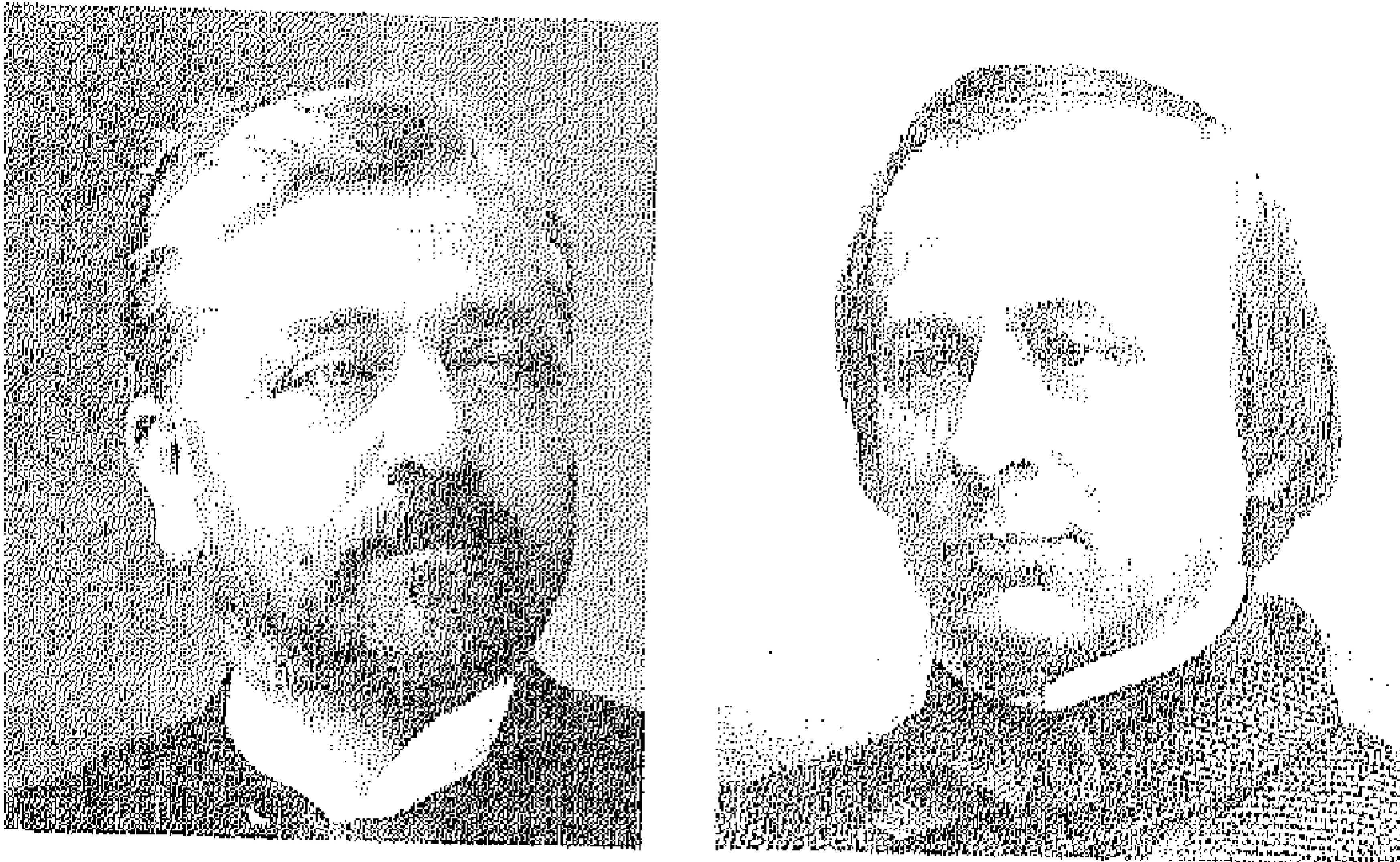
مزار، رمز موطن ورجاء، نصب تذكاري لرفقاء؟ التمثال لم يبدأ هكذا.[١]

ولادة حلم

كانت أشجار الحور ترتسم بلون قاتم على زرقة السماء عند الغسق ذات ليلة صيف من العام ١٨٦٥ في غلاتينيي القرية الفرنسية الصغيرة في ضواحي باريس، حين زرعت البزرة الاولى. كانت نوافذ القصر تشع بالانوار الصفراء المنبعثة من الشموع حين جلس فريق من الاعيان الفرنسيين بعد عشاء فاخر في مقاعد من الخشب المحفور يبحثون في شؤون بلادهم.

جميعهم كانوا من الاعيان البارزين، ولكن لم يكن بينهم من هو أبرز من مضيفهم ادوار رينيه لوفيفر دي لابولاي. كان استاذاً في القانون وأشد مناصري الولايات المتحدة في فرنسا. وكلما تعمق في تمحيص دستور الولايات المتحدة





(فوق) النحات بارتولدي وأمه التي كانت سيماؤها التقليدية نموذجاً لتمثال الحرية. (الى اليمين) ادوارد رينيه لوفيبر دي لا اقترح اقامة نصب للحرية ونظّم تمويل المشروع بين الفرنسيين. (الى اليسار) غوستاف ايفل مصمم هيكل التمثال الذي يعتبره المهندسون العصريون "رائعاً اليوم كما كان قبل مئة سنة."

ازدادت رغبته في اقامة ديموقراطية على النهج عينه في بلاده.

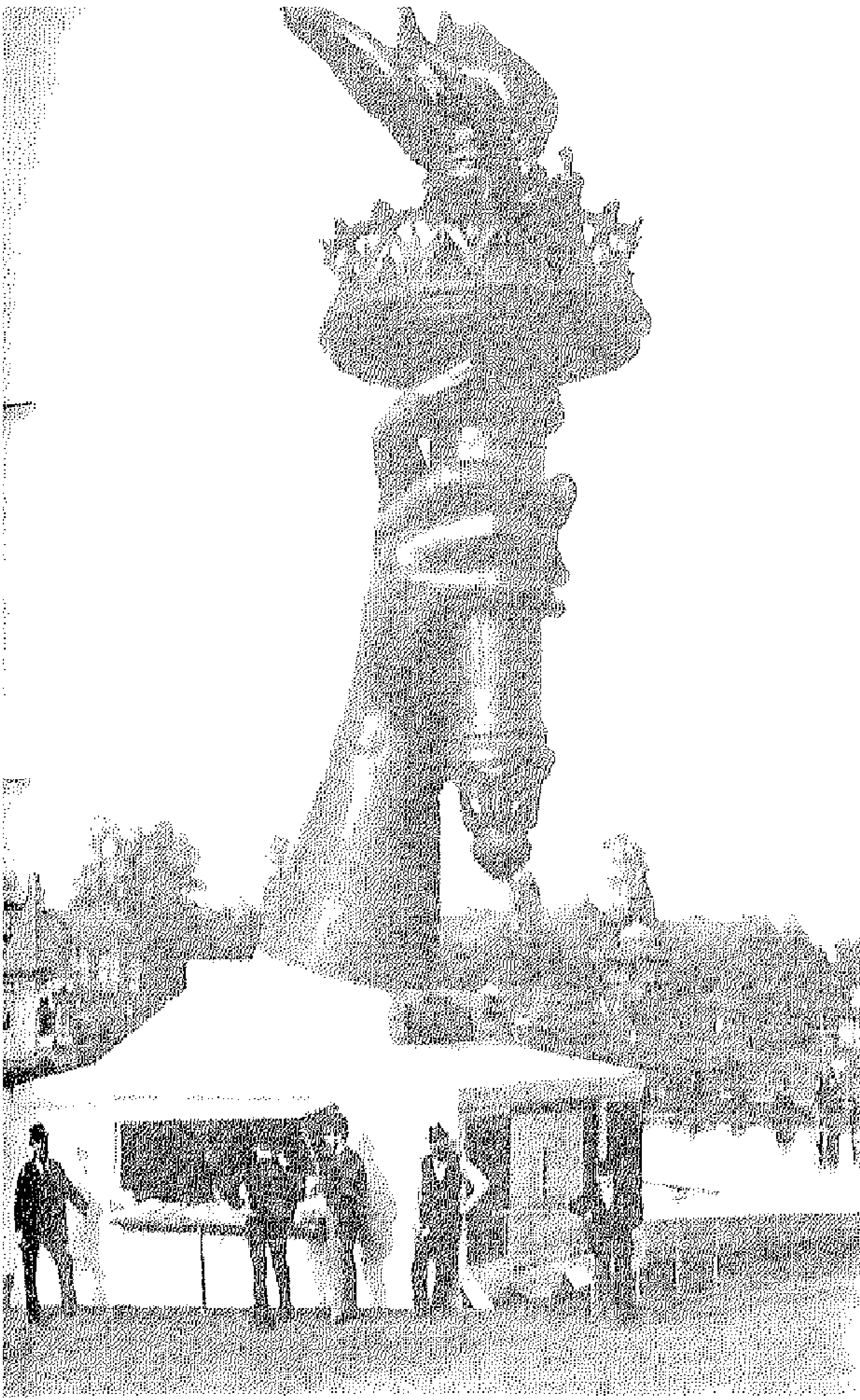
مع احتساء كؤوس الشراب تحول الحديث الى موضوع الاعتراف بالجميل بين الامم. وانتصب لابولاي واقفاً على قدميه وعيناه تلتمعان وقال: "ان الولايات المتحدة تكنّ عاطفة لفرنسا أكثر مما تكنّ لأي أمة اوروبية أخرى."[٦] ثم ذكر ضيوفه بأن الولايات المتحدة ستحتفل بعد وقت وجيز بالعيد المئوي لثورتها.[٤] وضرب الطاولة بيده وأضاف: "اذا كان لنصب تذكاري أن يقوم في الولايات المتحدة تخليداً لذكرى استقلالها فأنا احسب ان من الطبيعي أن يبنى هذا النصب بجهد مشترك تساهم في أمتانا معاً."

وكان شاب يافع من العاملين لدى المضيف يصغي بانتباه الى هذا الحديث. والكلمات الاخيرة التي نطق بها لابولاي اثارت اهتماماً خاصاً في الضيف الشاب، اذ انه كان نحاتاً. وكان اسمه فردريك اوغوست بارتولدي.[٦]

كان بارتولدي في الثامنة عشرة من عمره حين أوكلت اليه أول مهمة ذات صفة عامة، وهي نحت تمثال لقائد في جيش نابوليون الاول. وحين أزيح الستار عن التمثال بعد أربع سنوات حقق حجمه المثير وأسلوب نحته الديناميكي شهرة فورية لصانعه بارتولدي. وفي غضون العقد التالي صنع نصباً تذكارية بأحجام عملاقة لبضع مدن فرنسية. وكانت تسحره الاحجام الضخمة في النحت.[٤]

كان بارتولدي مثاليا بفطرته. واتخذ موضوع الحرية مغزى خاصاً في نفسه بعد الحرب الفرنسية – البروسية بين ١٨٧٠ و١٨٧١[١٤] التي انتهت بهزيمة ساحقة لفرنسا وابعاد الامبراطور نابوليون الثالث. وغدت فرنسا جمهورية مرة أخرى، غير أن الحكومة الجديدة كانت ضعيفة. وكانت القوى العظمى تأمل اعادة حكم الملوك.[٤] وهكذا حين اجتمع لابولاي وبارتولدي مع آخرين في غلاتينيي في

Photos: Top, courtesy Musée Bartholdi, Colmar; left, The Bettmann Archive, Inc.; right, Culver Pictures, Inc.



مطلع ربيع ١٨٧١ كان جو الاجتماع في قاعة الطعام مختلفاً تماماً عما كان قبل ست سنوات. في هذا الوقت خيم على هذا اللقاء ظل من التشاؤم فيما الحاضرون يفكرون كيف يستطيعون تحقيق حكم أكثر ديموقراطية في بلادهم على غرار حكومة الولايات المتحدة.

نظر لابولاي حوله وسأل هل الوقت غير مناسب لاقامة النصب التذكاري الذي اقترحه قبل ست سنوات.٦

عندئذ ذكّر بارتولدي بأن العيد المئوي لاستقلال الولايات المتحدة يحين بعد خمس سنوات، وسأل أي تذكار يمكن أن يكون أنسب لتخليد النضال المشترك في الثورة الامريكية. ألا يمكن أن تؤدي حملة في الامة الفرنسية لتخليد هذه الذكرى الى تعزيز مشاعر الفرنسيين تجاه النظام الجمهوري؟٤

قال: "أحسب من الخير أن نعرض على الامريكيين تمثالا... تمثالا للحرية." وتعالى الهتاف من الحضور وانهالت عبارات الاستحسان لاقامة تمثال يمثل "الحرية التي تنير العالم."٦

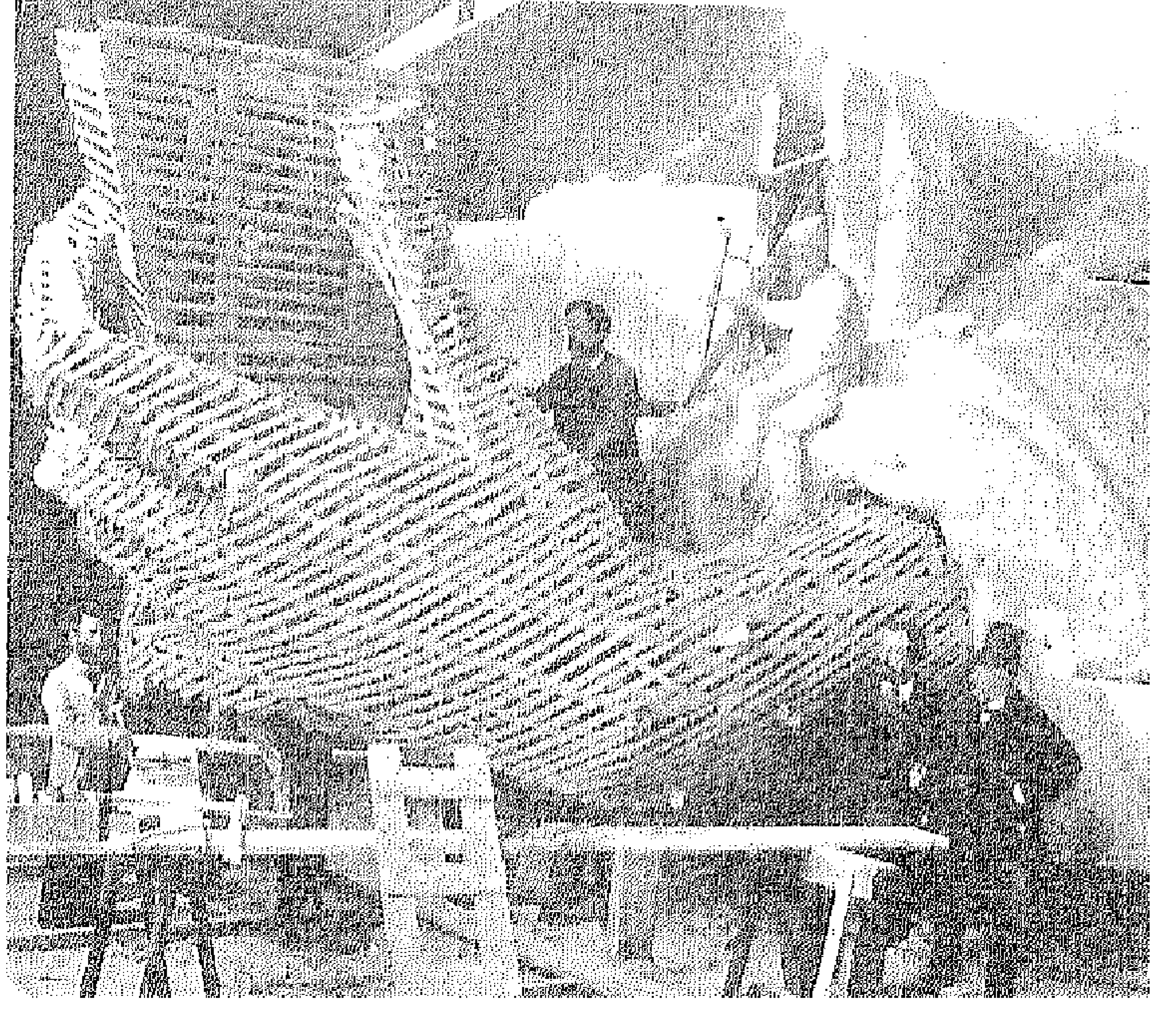
تطوع بارتولدي للقيام برحلة الى الولايات المتحدة على نفقته الخاصة، من أجل الاطلاع على مشاعر الامريكيين وآرائهم في هذا الصدد وايضاح تفاصيل الخطة لهم ومحاولة اقناعهم بالمشاركة في تحمل النفقات.

في شهر يونيو (حزيران) من ذلك العام وصل بارتولدي الى نيويورك. وأثار اعجابه مشهد المرفأ المهيب والاعمال التجارية الناشطة فيه. وحين كانت سفينته تعبر المضيق للوصول الى الخليج لاحظ وجود جزيرة هناك. كل من يصل الى هذه البوابة لامريكا يتحتم عليه ان يمر بها.

وأدرك بارتولدي حالا أنه عثر على الموقع المثالي للنصب الذي يسعى الى اقامته. ذلك الموقع كان يدعى آنذاك جزيرة بدلو. وابتهج بارتـولدي حين اكتشف، كما ذكر في كتابه الى لابولاي، أن ملكية هذه الجزيرة تعود الى الحكومة، اي انها أرض مشاع للولايات المتحدة كلها.٤

رسم بارتولدي بسرعة ما رأى. خلف مشهد الجزيرة كانت منطقة مانهاتن تمتد الى الافق المغشى بالضباب. والى اليسار يسار الصورة ظهر نهر الهدسون وزاوية من ولاية نيوجرزي. والى اليمين

Photo: The Bettmann Archive, Inc.



(فوق) في أسفل اليمين، بارتولدي (من دون قبعة) يراقب عملية صنع يد السيدة وهيكل ذراعها في مشغل في باريس.
(الى اليمين) ذراع "آنسة الحرية" ومشعلها، وقد اكتمل صنعهما في الوقت المناسب للعيد المئوي لقيام الولايات المتحدة وكانا من المعروضات التي احرزت شعبية في المعرض المئوي في فيلادلفيا عام ١٨٧٦.

امتدت أبراج جسر بروكلين غير المكتملة فوق النهر.

ووسط المرفأ رسم بارتولدي التمثال الذي تخيله فارعاً في السماء المضيئة: امرأة ضخمة من البرونز، تمثالا بحجم هائل.[٧]

الاصابع العملاقة

خطط بارتولدي لصنع تمثال قد يكون أضخم تمثال صنع أبداً. ولكن أي شكل سيعطيه؟

التقى بارتولدي في حفلة زفاف فتاة سمراء جميلة اسمها جان اميلي باهو دي بويزيو. ويعتقد كثيرون أنه استخدم هذه الفتاة، التي أصبحت في ما بعد زوجته، نموذجاً لصنع تمثال "الحرية التي تنير العالم." لكن التمثال الذي أخرجه شابه امرأة لها سيماء أشد تزمتاً وصرامة من سيماء زوجته. انه وجه أم بارتولدي.[٨]

وفي النهاية عزم بارتولدي على أن يحمل التمثال بيده وذراعه اليسريين لوحة تخلد ذكرى تاريخ اقرار اعلان الاستقلال، أي الرابع من يوليو (تموز) ١٧٧٦، وأن تخطو ساق السيدة الى الامام وكأنها تسير بعزيمة وتدوس أصفاد العبودية المحطمة. كما قرر أن تعتمر تاجاً تنطلق منه سبعة اشعاعات ترمز الى قوة الحرية التي تطلق أشعتها فوق البحار السبعة والقارات السبع.[٤]

حتى ذلك الحين بقي تمثال الحرية نموذجاً من الطين في مشغل بارتولدي. ترى كيف يتسنى له أن يضخمه ليغدو ذلك التمثال الجبار؟ الطريقة التقليدية المتبعة في صب التماثيل من المعدن المصهور لم تكن تفي بالغرض. اذ ان مثل هذا التمثال الثقيل، وإن قطع أجزاء، سيكون من المستحيل شحنه في سفينة، ناهيك باقامته على قاعدته.

تذكر بارتولدي عندئذ طريقة "التصويج" (repoussé) القديمة التي صنع بها، كما يقال، تمثال "جبار رودوس".[٦] التصويج بالمعنى الحرفي تعني تطريق رقائق معدنية من الداخل لتكوين الصورة

Photo: Photoworld / FPG

المكتملة في الخارج.[٩] والتماثيل المصنوعة بطريقة التصويج تكون أساساً أطباقاً مجوفة وداخلها هيكل ثابت له من الصلابة ما يمكنه من مقاومة أعتى العواصف. ولصنع بشرة التمثال فضل بارتولدي استخدام النحاس نظراً الى خفته وسهولة تطريقه. وحين يتعرض النحاس للهواء يكتسي طبقة خضراء جميلة من الزنجار، ويكفي أن تكون سماكته مليمترين.

واتخذ بارتولدي القرار الجسور بأن يصنع تمثاله بارتفاع لم يسبق له مثيل ويبلغ ٤٦ متراً. وأظهرت حساباته أن التمثال بذلك الطول يجب أن يكون قطر خصره ١١ متراً وطول أنفه متراً وربع متر، وطول سبابة يده مترين ونصف متر. ولم يكن في وسع بارتولدي سوى أن يخمن كم سيكون وزن هذا التمثال الضخم.[٤]

المشغل الوحيد الذي توافرت فيه التسهيلات لانجاز مثل هذا المشروع كان "موندوي وبيشيه" الذي دعي في ما بعد "غاجيه وغوتييه وشركاهما" في باريس.[٦] وحجز المشغل كله لصنع التمثال. واستخدم بارتولدي فريقاً من المحترفين المهرة.

الخطوة التالية كانت التعاقد مع مهندس معماري شهير هو أوجين ايمانويل فيوليه ليدوك، من أجل تصميم الهيكل الذي سيحمل التمثال. وخرج فيوليه ليدوك بفكرة بارعة لكنها مرهقة، تقضي بأن تكون العناصر الداعمة حجرات تملأ بالرمل. وكل حجرة يمكن أن تفرغ من الرمل كلما أصبح أي جزء من بشرة التمثال في حاجة الى اصلاح.[٤]

بينما كان بارتولدي منهمكاً في العمل للتوفيق بين الافكار والاشكال والاساليب التي تحقق له حلمه، تعهد لابولاي الاهتمام بتمويل المشروع. وكانت الخطوة الاولى تشكيل منظمة يكون هو رئيسها دعاها "الاتحاد الفرنسي الامريكي."

فتح الاتحاد حساباً مصرفياً وأسس مكتباً في موقع محترم في باريس. وفي ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٨٧٥ نشر دعوته العامة الاولى، وجاء فيها: "اننا سنقدم التمثال الى أصدقائنا الامريكيين عربون محبة، وهم بدورهم سيوفرون نفقات بناء قاعدته." حتى أزهد مساهمة كانت تقبل بامتنان.

الفورة الاولى من التجاوب بدت مشجعة. وتبرع أحد كبار صناعيي المعادن بتقديم جميع ما يتطلبه المشروع من النحاس. وعندما ذهب اليه بارتولدي شخصيا ليشكر له تبرعه قال الصناعي وهو يبتسم بخجل: "انا لست أميراً لكنني أحب الحرية. وأحب أمريكا. وأود أن اظهر للملأ أن الفرنسي يمكن أن يضاهي الامريكيين في الوطنية."

في زهو من الاستبشار بالتوقعات العظيمة قرر الاتحاد اقامة مأدبة في ٦ نوفمبر (تشرين الثاني). وكانت مناسبة مؤثرة أبرزت نموذجاً لـ"الحرية التي تنير العالم."

كان لنبل فكرة بارتولدي أثر بالغ في النفوس مما حرك المشاعر للتباري في الخطابة التي حملت لابولاي على اقتراح تحية الصداقة الابدية بين فرنسا والولايات المتحدة.

انطلقت الحملة الصاخبة حسناً. ولكن

بعد التبرع ببضعة ألوف أولى من الفرنكات أخذ الدفق يشح حتى غدا نذراً ضئيلا. وبدا أن مشروع التمثال الضخم سيجهض قبل ولادته.

ثم خرج بارتولدي بفكرة رائعة لاشراك القطاع التجاري الفرنسي في المشروع بأسلوب مربح. وقضت الفكرة "بأن يمنح كل من يرغب في الربط بين انتاجه وهذا النصب التذكاري حق نقل صورة التمثال وترويجها تجارياً." وبدأ بارتولدي يتلقى دعماً مالياً من عدد من المدن الفرنسية ومن الجمعيات والمؤسسات.[١]

"سوف تصمد"

بحلول العام ١٨٧٦ أدرك الاتحاد أن عليه أن يرسل على الاقل بجزء من التمثال غير المكتمل كهدية رمزية في العيد المئوي للولايات المتحدة.[٥] وتسارع العمل ونقلت الذراع التي تحمل المشعل على وجه السرعة الى معرض فيلادلفيا المئوي في شهر أغسطس (آب).

وتبين أن الذراع والمشعل كانا من أكثر المعروضات في الاحتفال المئوي غرابة وشعبية. وكان الزوار يلجون داخل الذراع ويتسلقون سلماً ضيقة لبلوغ قمة المشعل ليحظوا بمشهد رائع لاراضي المعرض.[٩]

بعد انتهاء المعرض نقلت الذراع والمشعل الى مدينة نيويورك. وهناك عرضا لبضعة أشهر في حديقة "ماديسون سكوير" فأثارا اهتماماً شعبياً واسعاً مما ساعد على استدرار التبرعات لاقامة التمثال. وأخيرا أعيد شحنهما الى باريس.[٤]

وانتقل بارتولدي الى المرحلة التالية وهي اعداد الرأس والكتفين لمعرض باريس العالمي الذي كان مقرراً صيف ١٨٧٨.[٥] ووصف مراسل لصحيفة "وورلد" النيويوركية المشهد داخل مشاغل "غاجيه غوتييه" فقال: "ثمة ٥٠ عاملا يطرقون النحاس بكل ما أوتوا من قوة. وقد تسلقت سقالة ووقفت على مستوى عينُ التمثال الرهيبة وطولها حوالى ثلاثة أرباع المتر من طرف الى آخر، فاستوعبتني بنظرتها الغامرة. وبدا أن عدداً من الاقزام من فصيلتنا كانوا يدبون في جوف بدا كأنه خلقين ضخم لتكرير السكر. وأدركت أنهم رجال يجهدون في صنع تاج لرأس التمثال."

عندما اكتمل صنع الرأس رفع على عربة ناقلة يجرها ١٣ حصاناً ونقل الى الموقع المحدد له في المعرض. وتجمع جمهور صاخب يهتف للحرية بينما كان التمثال يخترق شوارع باريس. وذكر أحد الصحافيين أن الرأس الضخم كان عند كل منعطف يميل قليلا على الدكة المصنوعة من القضبان والقش تحته، وكأنه يحيي المعجبين. وكتب هذا الصحافي: "رغماً عني رفعت يدي الى قبعتي لأرد له التحية."

ولكن بعد اقفال معرض باريس في نهاية ١٨٧٨ بقي الاتحاد الفرنسي - الامريكي في حاجة الى مبلغ من المال لتغطية تكاليف صنع التمثال.[٩] ولم يثبط ذلك من عزيمة بارتولدي، فبدأ العمل في صنع الجسم الضخم. ولكن في العام ١٨٧٩ توفي فيوليه ليدوك فجأة من دون أن يتم تصميم الهيكل. ولم يبقَ امام برتولدي

سوى أن يلجأ الى المهندس الوحيد في فرنسا القادر على مواجهة التحدي وتصميم الهيكل الداخلي الذي يجب أن يحمل ثقل التمثال ويبقيه صامداً في وجه العواصف الاطلسية التي تهب على شاطىء نيويورك.

كان غوستاف إيفل هو الخيار المناسب تماماً. ففي حين كانت أفكار فيوليه ليدوك ذات طابع قديم كان إيفل يفكر في نهج تقنية القرن العشرين بعدما أوكل اليه انشاء جسر عبر مياه نهر غارون المضطربة في جوار مدينة بوردو. ولم يكن إيفل بنى جسرا من قبل، فانصرف الى العمل لانجاز المشروع ضمن مهلة زمنية تكاد تكون مستحيلة. وفي أحد أيام فبراير (شباط) القارسة سقط أحد العمال في نهر غارون وجرفه التيار. وكان ايفل سباحا ماهراً فخلع معطفه الرسمي وحذاءه والقى بنفسه في المياه وأنقذ العامل. وبعد ذلك عاد ايفل وانتعل حذاءه وارتدى معطفه الرسمي فوق قميصه وسرواله اللذين كان يقطران ماء وعكف على متابعة عمله كأن شيئا لم يحدث.[٧]

ولولا مساهمة ايفل الخاصة لكان من المشكوك فيه أن نجد تمثال سيدة الحرية قائماً حيث هو الآن. وكان تصميمه لدعم التمثال من الداخل يقضي بأقامة برج قوي في الوسط يتألف من أربعة أعمدة رابطة ترتفع من القاعدة الى عنق التمثال. من هذا "العمود الفقري" تتشعب أعمدة أصغر حجما تصلها قضبان دقيقة شبيهة بالرفاصات بالجهة الداخلية من الالواح النحاسية التي تشكل بشرة التمثال. هذه الالواح في الواقع تبقى معلقة عند رؤوس القضبان التي تسمح لها بالتمدد والتقلص مع تبدلات الحرارة وضغط الريح.

هذا التصميم الفريد كان ابداعاً رائداً أوحى أسلوب ناطحات السحاب الحديثة. فالالواح النحاسية في التمثال لا يحمل بعضها ثقل البعض الاخر، لكنها تتعلق كلها على الدعائم الداخلية، تماما كالجدران الخارجية في ناطحات السحاب التي تتدلى من الهيكل الفولاذي.[٦]

على غرار بارتولدي لم يكن إيفل مفتقراً الى الثقة بنفسه. وحين سئل الى أي حد يستطيع هذا البناء الذي أبدعه الصمود في وجه عوادي الطبيعة اجاب ببساطة رائعة: "سيصمد."

شاعرة صاعدة

في تجربة أولية ولاستقطاب اهتمام المتبرعين بالمشروع قرر بارتولدي أن يجمع أجزاء التمثال في باريس موقتاً.

صادف ٢٨ سبتمبر (أيلول) ١٨٨١ الذكرى المئوية لمعركة يوركتاون. وكانت القوات الفرنسية أدت دوراً حاسماً في تحقيق الانتصار الذي أمن نجاح الثورة الامريكية. ومن أجل تخليد هذه المناسبة دعي الوزير الامريكي المفوض لدى فرنسا ليفي مورتون ليعاون في تثبيت أول لوحة نحاسية على الدرع الحديد. وتحت انظار بارتولدي وأعضاء الاتحاد الفرنسي - الامريكي دق مورتون أول رابط فولاذي في اصبع القدم اليسرى لتمثال الحرية.[٩]

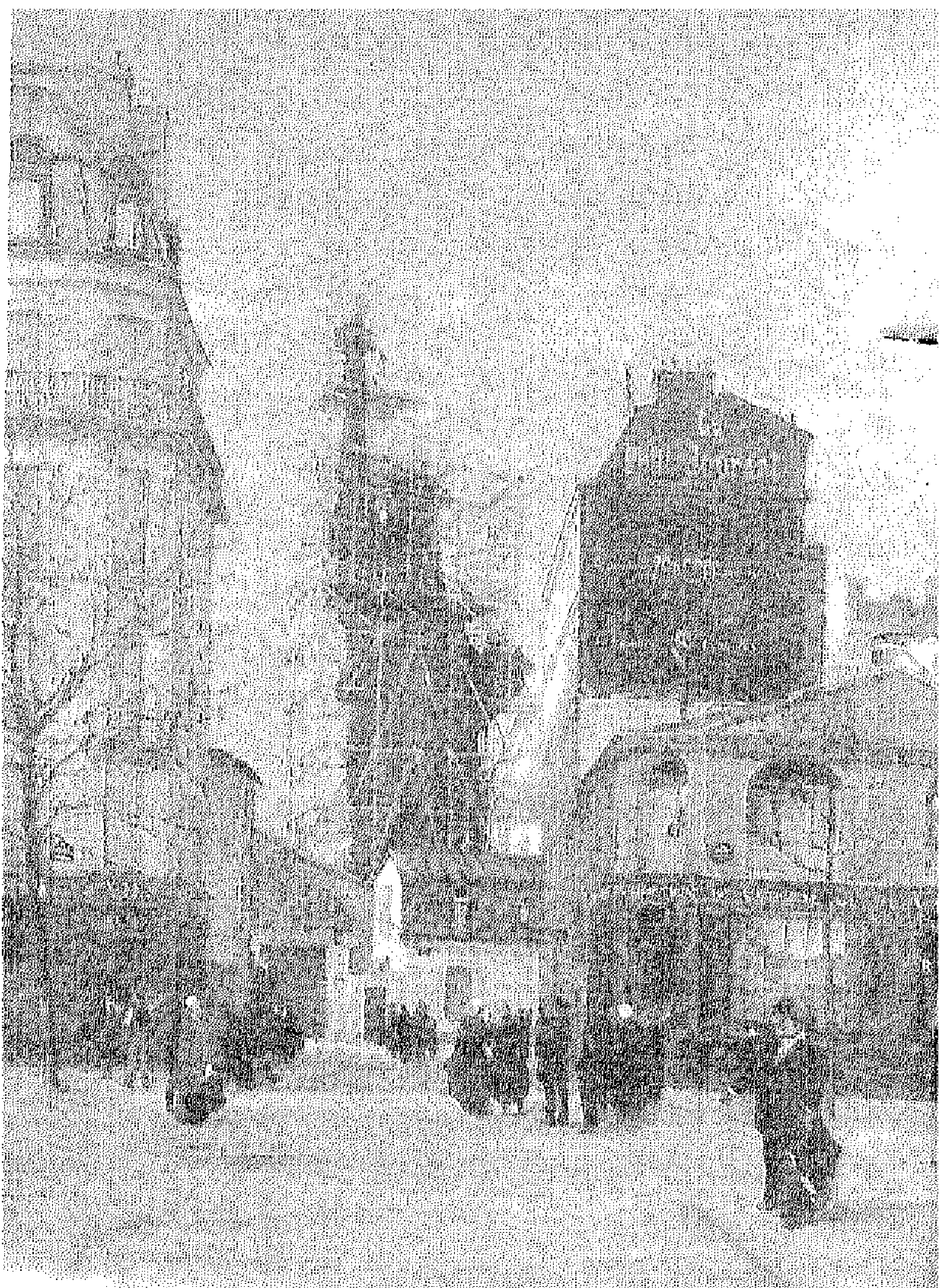
كان هذا الاحتفال بمثابة انتصار أخير بالنسبة الى لابولاي، إذ غدا يأمل أن يكون

عليه أن يرفع المشعل للتمثال الذي وصفه لابولاي بأن له: جسماً من حديد وروحاً من نار."[٦]

واستمر العمل طوال فصل الربيع ذاك. وفي الباحة خارج مصانع "غاجيه وغوتييه" بنى النجارون منصة خشبية ضخمة حول التمثال. وفي كل يوم دأب النحاسون والحدادون على تسلق عدد من السلالم لتثبيت الالواح النحاسية الرقيقة التي تؤلف جلد تمثال الحرية على الهيكل الحديد.

وبحلول شهر يوليو (تموز) اكتمل صنع التمثال حتى الخاصرة، وقرر بارتولدي أن يقيم احتفالا لعماله. وحمل الطعام والشراب الى طاولة وضعت فوق المنصة في جوف التمثال بين الحبال والاسلاك والرافعات. وكان في عداد المدعوين الى الحفلة المهندس إيفل والحرفيون البارزون العاملون مع بارتولدي وعدد من الصحافيين، اذ ان بارتولدي لم يفوت فرصة للترويج للتمثال.

هامة التمثال أمست في النهاية تهيمن على ذلك الجزء من باريس الذي يحيط بمشاغل"غاجيه -غوتييه". وبحلول ديسمبر (كانون الاول) كتب بارتولدي: "أخذ التمثال يعلو فوق المنازل. والربيع



التمثال وقد جمع موقتاً في مشاغل "غاجيه - غوتييه" يهيمن على مشهد شارع باريسي رسمه الفنان فكتور دارغو عام ١٨٨٤.

النصب جاهزا في الوقت المناسب للذكرى المئوية لتوقيع معاهدة السلام عام ١٧٨٣ التي وضعت رسمياً حداً للثورة الامريكية. الا أن صحته كانت واهنة وراوده شك في أنه قد لا يعيش حتى ذلك الوقت.[٤]

وحين توفي لابولاي في مايو (أيار) ١٨٨٣ خلفه كرئيس للاتحاد الفرنسي - الامريكي فرديناn دي ليسبس المهندس الشهير الذي شق قناة السويس. وأضحى

Photo: Giraudon / Art Resource

المقبل سيجده قد علا فوق المدينة."[٩]

في حين أوشك بناء التمثال على الاكتمال في باريس، نظمت اللجنة الامريكية لتمثال الحرية حملة لجمع المال في نيويورك من أجل بناء القاعدة.

وتقرر أن تباع بالمزاد مخطوطات لكتّاب مشهورين. كما طلبت اللجنة من ايما لازاروس، وهي شاعرة معروفة في الرابعة والثلاثين من العمر، أن تؤلف أغنية للمشروع.

في العام ١٦٤٩ هاجر أجداد لازاروس من البرتغال واستوطنوا نيويورك التي كانت في ذلك الحين مستعمرة هولندية تدعى أمستردام الجديدة. وازدهرت اعمال العائلة هناك عبر الاجيال. وفي طفولتها تثقفت لازاروس على مدرسين خصوصيين. وعندما بلغت السابعة عشرة نشرت أول كتبها. وكانت شهرتها كشاعرة تتنامى حين اتصلت بها اللجنة.

وجاء جواب لازاروس جازماً: "أنا لا أنظم الشعر على الطلب."

الجبار الجديد

لكن في ذلك الحين وصلت سفينة الى نيويورك ناقلة ٢٠٠٠ لاجىء من روسيا. ووضع هؤلاء في مساكن موقتة في جزيرة "وارد" في النهر الشرقي. وخرجت لازاروس من منزل عائلتها الفخم وأبحرت على طوافة لمشاهدة هؤلاء اللاجئين.

كانت جزيرة وارد مكسوة بالقمامة. ولم يكن يتوافر للاجئين وسائل تدفئة، وكانوا يقاسون البرد القارس في ملابسهم الرثة. ولم يكن في المهاجع مغاسل كما لم يتوافر طعام كاف.[٧]

وتبدلت حال لازاروس تأثراً بما رأت عيناها. وبدا أن تلك كانت المرة الاولى التي يقع نظرها على فقراء مضطهدين. وأطلقت مشاهدتها سيلا عارماً من الولاء.[٥] ووجدت نفسها متحدة مع أولئك الناس.

في ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨٣، بعد يومين من رفض لازاروس طلب اللجنة، نظمت القصيدة الآتية وارسلتها الى لجنة التمثال:

الجبار الجديد

على نقيض ذلك الجبار اليوناني العاتي
الذي تمتد ساقاه القاهرتان فوق الخليج،
ستقف هنا على عتبات أرضنا التي تغسلها الامواج
امرأة عظيمة ترفع مشعلا، نوره من البرق المحبوس،
اسمها أم المنفيين، ومن يدها التي تحمل القبس
ينطلق النور مرحباً بالقادمين،
وعيناها الرفيقتان تهيمنان على المرفأ.
انها تصرخ من خلال شفتيها الصامتتين:
"احتفظي ايتها الاراضي القديمة بأبهتك المأثورة،
وارسلي الي المرهقين والفقراء
وجماهيرك التي تتوق الى التنفس بحرية
والمخلفات البائسة على شطآنك الزاخرة.

The New Colossus.
Not like the brazen giant of Greek fame,
With conquering limbs astride from land to land,
Here at our sea-washed, sunset gates shall stand
A mighty woman with a torch, whose flame
Is the imprisoned lightning, and her name
Mother of Exiles. From her beacon-hand
Glows world-wide welcome, her mild eyes command
The air-bridged harbor that twin-cities frame.
"Keep, ancient lands, your storied pomp!" cries she
With silent lips. "Give me your tired, your poor,
Your huddled masses yearning to breathe free,
The wretched refuse of your teeming shore,
Send these, the homeless, tempest-tost to me,
I lift my lamp beside the golden door!"

Emma Lazarus.
November 2nd 1883.



ايما لازاروس التي هاجر أجدادها من البرتغال الى نيويورك عام ١٦٤٩ دفعتها مشاعرها المستثارة الى نظم قصيدة "الجبار الجديد" (الى اليسار) بعدما شاهدت الاحوال المزرية للمهاجرين الهاربين من حملات الاضطهاد عام ١٨٨٣.

ارسلي هؤلاء البؤساء الذين لا مأوى لهم
الذين تتقاذفهم العواصف. أرسليهم الي.
فها أنا أرفع مشعلي عند البوابة الذهبية.[٧]

لم يدر في خلد بارتولدي أو لابولاي ايجاد صلة بين التمثال والرجاء بحياة جديدة في امريكا للتعساء والمضطهدين، بل كان هدفهما فقط أن يكون التمثال رمزاً للحرية كمثل اعلى وقوة تاريخية.[١]

لكن ايما لازاروس رأت "الجبار الجديد" من زاوية اخرى تختلف تماما عن نظرتهما.[٥] والامريكيون الذين وجدوا في الرمز الاولي للتمثال معنى مجرداً فحسب، تقبلوا نظرتها اليه بحرارة.[٩]

بحلول العام ١٩٠٣ أضحى التمثال مرتبطاً على نحو لا ينفصم بموجة الهجرة المتدفقة التي تمر حوله. وفي تلك السنة تولت امرأة تدعى جورجينا شويلر، وكانت صديقة للشاعرة لازاروس، ترتيب عملية حفر قصيدة "الجبار الجديد" على لوحة

Photos: Facsimile of Poem, Museum of the City of New York;
Emma Lazarus, Library of Congress

معدنية داخل القاعدة. وهذه القصيدة التي طبعت ودونت ودرسها الطلاب أخذت تشتهر تدريجاً لتصبح مألوفة لدى الناس كالتمثال ذاته.[٥]

ومن المحزن أن ايما لازاروس لم يقيض لها قط أن ترى تمثال الحرية. فهي سافرت الى أوروبا عام ١٨٨٥ قبل أن يعاد تشييد التمثال على جزيرة بدلو. وحين رجعت الى أمريكا بعد سنتين دخلت سفينتها مرفأ نيويورك في ظلام الليل وكانت هي تعاني داء السرطان. ونقلت مباشرة الى بيتها حيث توفيت بعد وقت قصير من عودتها ولها من العمر ٣٨ عاماً.[٩]

تعثر المساعي

انتهى العمل في باريس في شهر يونيو (حزيران) ١٨٨٤.[٤] وفي ٤ يوليو (تموز) ازدانت ساحة مصانع "غاجيه - غوتييه" بالاعلام. وتجمع حشد من الاعيان حول قدمي سيدة الحرية بينما كانت جوقة موسيقية تعزف نشيدي "المارسييز" (النشيد الوطني الفرنسي) و"العلم المرصع بالنجوم" (النشيد الوطني الامريكي). وتولى دي ليسبس، ممثلا فرنسا، تقديم التمثال رسمياً كهدية الى الشعب الامريكي. وأعلن: "نرجو أن يبقى هذا التمثال الى الابد ميثاق صداقة بين فرنسا وجمهورية الولايات المتحدة العظيمة."

وبحلول عيد رأس السنة ١٨٨٥ أعلن بارتولدي أن التمثال أصبح جاهزاً للشحن الى أمريكا. وبدأت عملية تفكيكه وترقيم الاجزاء المختلفة بعناية فائقة ومن ثم توضيبها في ما يزيد على ٢٠٠ صندوق ضخم. وشحنت الصناديق على متن البارجة الفرنسية "إيزير" التي رفعت مراسيها وأقلعت في ٢١ مايو (أيار).[٤]

وصلت البارجة "إيزير" الى مرفأ نيويورك في ١٧ يونيو (حزيران). وبعد يومين توجهت تحت أشعة الشمس الوهاجة الى جزيرة بدلو لافراغ شحنتها. كانت تتقدمها أربع سفن من أسطول الولايات المتحدة ناقلة عمدة نيويورك وسواه من الاعيان. وكانت الجوقات الموسيقية والابواق البخارية في السفن والمدافع وهتافات الجماهير المحتشدة تحدث ضجيجا لا ينقطع.

بقيت ثمة مشكلة واحدة وهي أن القاعدة لم تكن انجزت بعد.[٥]

كان الاتحاد الفرنسي الامريكي أنهى بنجاح حملة لجمع الاموال للتمثال عام ١٨٨٠. وتوقع بارتولدي، فيما كان العمل جارياً بانتظام في باريس، أن الجهود في نيويورك لتحضير القاعدة ستلاقي نجاحاً مماثلا. لكن ذلك لم يتحقق.

بعد انطلاقة موفقة في ١٨٧٧ تعثرت مساعي اللجنة الامريكية لجمع الاموال،[١] اذ أخفق أعضاؤها في توضيح المغزى الشامل لتمثال الحرية كرمز، وطبيعته الخاصة كهدية فريدة.[٥]

لكن رئيس الولايات المتحدة آنذاك يوليسيز غرانت كان وقع القرار الذي حدد جزيرة بدلو موقعاً مناسباً للتمثال.[١] وبدأ العمل في انشاء القاعدة عام ١٨٨٣ في اشراف الجنرال تشارلس بومروي ستون الذي تدرب في كلية وست بوينت كمهندس. وحوَّل ستون الجزيرة كلها

معسكراً استقر فيه ما يزيد على ١٠٠ رجل. وتولى رجاله حفر الارض حتى بلغوا الطبقة الصخرية الصلدة لتكون أساساً للتمثال.

اكمل ستون بناء الاساس في شهر يونيو (حزيران)، وارتفع الهيكل فوق الارض المنبسطة حوله ١٦،١ متراً وابتلع ٢٤ ألف برميل من الاسمنت، كما ابتلع معظم الاموال التي جمعت حتى ذلك الحين.

في ٤ يوليو (تموز)، حين زُف تمثال الحرية رسمياً الى الولايات المتحدة في باريس، كان حساب اللجنة في المصرف يكاد لا يكفي لمد ثلاثة مداميك من حجار القاعدة.[٥] وفي نهاية شهر نوفمبر (تشرين الثاني) تضاءلت المبالغ المتوافرة الى حد أوجب وقف العمل. وكان ارتفاع القاعدة لا يتجاوز ٤،٥ أمتار وبقي منها ٢٣ متراً لتكتمل.

ولكن في حين بدت الامور في أحلك الظلمات لاح بريق من الامل اذ هبَّ الصحافي الشهير جوزف بوليتزر لنجدة المشروع.[٤]

قروش للقاعدة

كان بوليتزر، وهو ابن تاجر حبوب مجري وأم متحدرة من أصل نمسوي ألماني، هاجر الى الولايات المتحدة عام ١٨٦٤ وحارب تحت راية جيش الاتحاد (جيش الشمال) في الحرب الاهلية الامريكية التي اشتعلت بين ١٨٦١ و١٨٦٥ وأضحى مراسلاً صحافياً في مدينة سانت لويس بعد الحرب. وأخيراً انتقل الى نيويورك حيث اشترى صحيفة "وورلد" (العالم).[٦] وأثارت المصاعب المالية التي كان يعانيها مشروع تمثال الحرية غيظاً متزايداً في نفسه. وفي ١٤ مارس (آذار) ١٨٨٥ نشر مقالا افتتاحياً تحت عنوان "العار الوطني"[٤] منددأ:

"سيكون وصمة عار لا تمحى في جبين مدينة نيويورك والجمهورية الامريكية أن ترسل اليهما فرنسا هذا التمثال العظيم من دون أن نستطيع نحن حتى تقديم المكان الذي ينبغي أن يقف عليه. يجب أن نجمع المال! دعونا لا ننتظر أصحاب الملايين. اعتبروا هذا النداء شخصياً في دخيلتكم. أعطوا شيئاً مهما يكن قليلا. أرسلوا ذلك القليل الينا. دعونا نسمع صوت الشعب."[٧]

في ١٥ ابريل (نيسان) بعد أربعة اسابيع تماماً من بدء حملة جمع الاموال بلغت الحصيلة ٢٥ ألف دولار. وكانت أسماء المتبرعين تدرج على صفحة خاصة تحت صورة "العم سام" رمز الولايات المتحدة وهو يرفع قبعته الرسمية، والعنوان الآتي: "صندوق وورلد لقاعدة تمثال بارتولدي." كما كانت رسائل المتبرعين تنشر كذلك. ونشرت الصحيفة أحاديث لسعاة مكاتب صغار وفنانين مجاهدين ومهاجرين جدد وطلاب مدارس وأناس فقراء وعجزة.[٩]

جاء في احدى الرسائل: "أنا فتاة وحيدة في هذا العالم، أحصّل معيشتي بجهدي وبعرق الجبين. اني أرسل اليكم ٦٠ سنتاً هي محصلة انكاري لذاتي. وكم أتمنى لو استطعت أن أجعلها ٦٠ ألف دولار. لكن القطرة بعد القطرة صنعت المحيط."

وقال أطفال في عائلة انهم تلقوا ثلاثة دروس في اللغة الفرنسية، وأضافوا: "لم تحب اللغة الفرنسية، غير أننا نحب الشعب الفرنسي لانه أهدى إلينا هذا التمثال الجميل. ونرسل اليكم دولاراً واحداً هو المبلغ الذي ادخرناه للذهاب الى السيرك."

ومن بلدة دافنبورت النائية في ولاية آيوا أرسلت مساهمة من صف حضانة، جمعت بكل جهد وعناية وقيمتها ١،٣٥ دولار. وفي يوم واحد وردت مساهمات من ١٥٠٠ طالب في مدرسة عمومية.

وحقّ للفتى ادي بريمان أن يعتز اذ كتب: "نحن ١٤ ولداً أسسنا نادياً لجمع المال للتمثال. فبدل أن ننفق مالنا في شراء الحلوى اقتصدناه. وأكتب اليكم هذه الرسالة بنفسي. فأنا رئيس النادي."

وشاركت الصحف في أماكن أخرى في ما اصبح حملة وطنية. وهكذا اخذت "السيدة" تستحوذ على قلوب الامريكيين.[٤]

وجاء الاعلان العظيم في ١١ أغسطس (آب) حين نشرت صحيفة "وورلد" في صفحتها الاولى الخبر الاتي:

مئة ألف دولار! خاتمة ظافرة للحملة العالمية لصندوق وورلد لقاعدة تمثال الحرية.[٧]

آه، يا سيدة الحرية، باركك الله،

بما ان كل هذا المال أضحى متوافراً فلن تبتئسي بعد الآن لافتقارك الى مكان تقفين فيه."[٦]





جوزف بوليتزر، المهاجر الذي أصبح مالكاً لصحيفة "وورلد" النيويوركية، استنفر الناس "ليعطوا شيئاً مهما كان زهيداً" لتأمين كلفة اقامة قاعدة التمثال، وإلا فسيواجهون العار في عيون الفرنسيين الذين قدموا الكثير. العنوان في صحيفته هنا يعلن نجاح الحملة التي أطلقها.

وأرسل متبرع وهو خادم "يبلغ أجره خمسة دولارات في الشهر" ٥٠ سنتاً. وتعذر على ساع فقير في مكتب أن يقدم سوى نكلة واحدة. وجاء عطاء قيمته دولار واحد من "امرأة وحيدة ومسنّة جداً."

وجُمع المال من أكثر من ١٢٠ ألف شخص في حملة تبرعات عاصفة استمرت خمسة أشهر. والحقيقة الرائعة أن ٨٠ في المئة من المجموع جاء في تبرعات تقل عن دولار واحد.

Photos: Left, collection of Joseph Pulitzer, Jr., St. Louis; Right, New York Historical Society

١٩٨٦

أما وقد أصبحت المبالغ جاهزة، فقد أخذ العمل يتقدم نحو الاكتمال. ووضع الحجر الاخير في ٢٢ ابريل (نيسان) ١٨٨٦.[٤]

"مرحى للحرية!"

حان الوقت لفتح الصناديق التي بقي فيها تمثال الحرية محتجزاً مدة تقرب من سنة. وأعقب ذلك فترة أربعة اشهر لتجميع الاجزاء. وفي ١٢ يوليو (تموز) انتصب هيكل إيفل مثبتا بمسامير الى عوارض من الحديد تحتضنها القاعدة. وكان البناء قوياً الى حد ان احدهم قال انه يستحيل أن ينقلب من دون ان تنقلب الجزيرة معه.[٥] وحينئذ ثبت اللوحان النحاسيان الاولان في مكانيهما، وقد حفر على الاول اسم بارتولدي وعلى الثاني اسم بوليتزر.



رسم ادوارد موران لوحة "ازاحة الستار عن تمثال الحرية" كما بدا من خلال الضباب والمطر في ٢٨ أكتوبر (تشرين الاول) ١٨٨٦.

حين دق المسمار الاخير كان التمثال يرتفع ٩٣ متراً من مستوى البحر الى المشعل.[٤] وبدأت الاستعدادات لمهرجانات التدشين التي تقرر أن تجرى في ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول).[٩] وبدأت مشاعر الاثارة تتصاعد في النفوس منذ اللحظة التي شوهدت السفينة البخارية "بريتانيا" وعلى متنها بارتولدي ودي ليسبس في عرض البحر أمام "جزيرة النار" يوم الاحد الواقع فيه ٢٤ اكتوبر.[٧]

وفي صباح اليوم التالي مخرت "بريتانيا" مياه مرفأ نيويورك ميممة شطر جزيرة بدلو. وانقشعت الغيوم وهرع بارتولدي الى الحاجز فوق ظهر السفينة. كانت أشعة الشمس تلتمع منعكسة على الغلاف النحاسي لتمثال الحرية.

وتراءى لبارتولدي حين رأى التمثال للمرة الاولى منتصباً فوق القاعدة[٧] أنه يكاد يخطو نحوه مرحباً.[٦] انه حلم يتحقق. وتمتم النحات: "اني أشعر بالسعادة، بالسعادة الكاملة."[٧]

انبلج فجر ٢٨ اكتوبر (تشرين الاول) مغبراً ممطراً متجهما، لكن فرانك لسلي

Photo: Museum of The City of New York

المحرر في "الصحيفة الاسبوعية المصورة" كتب ملاحظا: "ان الطقس لا يقوى على اخماد حماسة الشعب الامريكي." وتقرر أن ينطلق أعظم عرض شهدته نيويورك أبداً من الجادة الخامسة وبرودواي، وأن تبحر السفن الحربية من نهر هدسون الى الخليج لتؤدي التحية لتمثال الحرية وهي تمر بالجزيرة.٤

في الساعة العاشرة والنصف استقبل رئيس الولايات المتحدة غروفر كليفلاند وكبار المسؤولين الامريكيين بارتولدي ودي ليسبس والبعثة الفرنسية على منصة العرض في ساحة ماديسون. وصافح كليفلاند بارتولدي بحرارة قائلا له: "انك أعظم رجل في أمريكا اليوم."

وضمت المسيرة ٢٠ ألف شخص. وسارت في المقدم ألوية الجنود الامريكيين وتبعتها فرق "رماة روشامبو" وبعدها المسؤولون في المدينة في عرباتهم. وكانت الابرز بينها عربة جورج واشنطن تجرها ثمانية جياد.٩

استغرق سير الموكب أكثر من ثلاث ساعات ليمر أمام منصة العرض. وحين وضع رئيس الجمهورية قدمه على أرض جزيرة بدلو دوت المدافع وأطلقت جميع السفن في المرفأ أبواقها.٥

وأقيمت منصة خطابة بجانب قاعدة التمثال. وألقى دي ليسبس خطاب الاهداء وتبعه عضو مجلس الشيوخ وليم ايفارتس رئيس اللجنة الامريكية.٩ وفي تلك الاثناء كان بارتولدي قابعاً داخل رأس تمثال سيدةالحرية ممسكاً بحبل متصل بعلم فرنسي كبير يغطي وجهها. كان ينتظر اشارة من صبي جلس على مستوى حوالى ٩٠ متراً تحته وكان عليه أن يلوح بمنديل حالما ينهي ايفارتس خطابه.

بعدما نطق ايفارتس عبارة "...والارادة التي لا تقهر للنحات العظيم بارتولدي" توقف برهة عن الكلام ليلتقط أنفاسه، فحسب الولد أن تلك هي نهاية الخطاب فلوح المنديل اشارة.٦ وفجأة سقط العلم المثلث الالوان وأطل الرأس الجبار من خلال الضباب والمطر المنهمر.٩ وهتف أحد الواقفين على المنصة: "مرحى للحرية!" وتعالى هتاف الجماهير.٦

عندئذ انطلقت كل المدافع المنصوبة في المرفأ، على الارض وفوق البحر، وأخذ كل ربان يتبارى مع انداده في اطلاق صفارات سفينته الصارخة. وهتفت كل الحناجر حتى بحت ولم يعد في وسع ايفارتس المسكين أن يفعل شيئا سوى أن يقعد في مكانه.٤

بعد ١٥ دقيقة انخفض الضجيج أخيراً ونهض الرئيس كليفلاند ليلقي كلمته٩ التي كانت من أفضل ما قاله في حياته: "لن ننسى أن الحرية اتخذت هذا المكان موطناً لها. فدعاتها المخلصون سيبقون نارها مشتعلة، وهذه ستشع فوق شطآن الجمهورية الشقيقة في الشرق وتنعكس من هناك لتلتقي اشعاعات متجاوبة وتؤلف معاً دفقاً من النور يخترق عتمة الجهل والظلم حتى تنير الحرية العالم."٦

كانت كلمات كليفلاند تعبيراً عن الفكرة الكامنة في بناء تمثال الحرية، وهي أن الحلف بين الجمهوريتين العظيمتين ينبغي أن يمارس نفوذاً قوياً على الحكومات الاخرى.١

ولاحظت صحيفة "هيرالد" النيويوركية أن باخرة ضخمة مزدحمة بالمهاجرين مرت في المرفأ أثناء الاحتفالات. وتساءلت الصحيفة: "ترى ماذا كان معنى تلك المناسبة في أعين أولئك المهاجرين المرهقين؟"[٤]

ايقاد المشعل

بدا تمثال الحرية في النهار رائعاً. وأبرزت أشعة الشمس كل حنية في اهابه النحاسي. وتحت الاشعة المنخفضة في الصباح الباكر والمساء بدت السيدة وكأنها تعتمر هالة من الضوء. ولكن اذا كان لها أن تبدو متألقة على هذا النحو في الليل أيضاً فلا بد من نظام اضاءة أقوى من أي نظام عرف حتى ذلك الحين.

وفكر بارتولدي كثيراً في هذا الامر. وأخيراً قرر أن من الواجب اقامة أنوار حول المشعل. وتوجه مرايا عاكسة وهج النور الى أعلى فتؤلف شعاعاً يرى من مسافة كيلومترات. ثم يقام نظام انارة آخر في شكل دائرة حول القاعدة، كما تنصب أنوار داخل التاج، ولكن هذه ينبغي ان تكون للزينة فقط وفي شكل اكليل مرصع.[٤]

قبل أسبوع واحد من التدشين أعلن مهندس تابع لسلاح الهندسة في الجيش الامريكي أن تلك الانوار من شأنها أن تبهر ربابنة السفن التي تمخر مياه الخليج. وتم تعديل شكل اللهب فوق المشعل بفتح صفين من الفجوات في غلاف المشعل ووضع الانوار داخله.[١٠]

وبعيد مغيب الشمس في يوم الاحتفال بتقديم التمثال أنيرت الاضواء. ومن متنزه "باتري" في الطرف الجنوبي لجزيرة مانهاتن كان من الممكن رؤية القاعدة والمشعل فقط في نور خافت.[٤] وعلقت صحيفة "وورلد" على ذلك بكآبة: "يبدو المشعل كأنه حباحب ليل اكثر مما هو منارة تضيء."

وعدّل جهاز الاضاءة عام ١٨٨٧ ثم عام ١٨٩٢ وظلت النتائج مخيبة للامال. وفي العام ١٩١٦ أعيد تصميم المشعل جذرياً.[٤] وأوكل العمل الى النحات غوتزون بورغلوم وهو وطني متحمس تاق الى المغالاة في كل شيء. وهو الذي حقق بعد ذلك نصب جبل راشمور التذكاري في ولاية داكوتا الجنوبية، حيث نحتت تماثيل ضخمة لرؤوس واشنطن وجفرسون ولنكولن وتيودور روزفلت في جرف صخري على جانب جبل شاهق. وكان أشبه ما يكون ببارتولدي آخر من القرن العشرين.[٥]

قطع بورغلوم أجزاء من الغلاف النحاسي الذي يشكل لهب التمثال. وأبدل هذه القطع بنحو ٦٠٠ لوح من الزجاج الملون صبت بطريقة تجعلها تحتفظ بالشكل الاساسي للهب الذي كان بارتولدي صممه للمشعل.[٤]

تم تدشين النظام الجديد في ٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩١٦ في أحد المهرجانات التي اتسم بها تاريخ التمثال. ومن متن اليخت الرئاسي "مايفلاور" ضغط الرئيس ودرو ولسون زراً لاسلكياً ارسل اشارة كهربائية أنارت الاضواء الجديدة. وأدت امرأة دوراً رئيسياً في الاحتفال بتكريم تمثال سيدة الحرية، انها الطيارة روث لو التي حلقت حول التمثال في طائرة تجر وراءها راية كبيرة كتبت عليها كلمة "الحرية."[٥]

وفي العام ١٩٣٦ حضر الرئيس فرنكلين روزفلت ليلقي خطاباً في العيد الخمسيني للتمثال. وكرر الرئيس التعبير عن امتنان الامة الامريكية لفرنسا لتقديمها هذه الهدية العظيمة. وقال عن المهاجرين الذين اجتذبهم نور التمثال: "انهم جلبوا لنا القوة والبنية المعنوية التي تطورت في حضارة تعدى عمرها قروناً وتأججت من جديد حين راودها حلم بحياة جديدة في أمريكا، أرض الفرصة الثانية" بالنسبة الى الناس في أنحاء العالم.[٤]

وحيا الرئيس المهاجرين الذين وفدوا الى البلاد وقال: "انهم وجدوا هنا الحياة لان حرية العيش وجدت هنا."[١٣]

تحققت ميلا مايسنر ليندسي من مدينة دنفر بولاية كولورادو أن هذا القول صحيح. وهي لا تزال تذكر ذلك الصباح القارس الممطر في ربيع ١٩٠٥ حين "جئت كطفلة مهاجرة وشاهدت تمثال الحرية للمرة الاولى." وحين القت السفينة مرساتها في خليج نيويورك "أخرجني والدي من جوف السفينة المظلم الى نور النهار في عالم جديد.

"عندئذ نظرت الي سيدة التمثال من عليائها، فصرخت وأنا اشير الى البحر الهائج تحت ستار الضباب: "آه يا ابي، ها هي السيدة تخوض المياه لملاقاتنا."

"ورد أبي: أجل، أجل. أنظري كيف ترفع المشعل وتحمل الكتاب. لا ريب في ان هذا هو جمال الحرية والمعرفة."[٦]



مهاجرون في جزيرة ايليس في بواكير هذا القرن. بعدهم وفد ملايين الناس ومروا تحت أنظار السيدة البقظة.

عرفت سيدة الحرية لحظات رائعة أخرى كثيرة، احداها عام ١٩٧٦ في مناسبة العيد المئوي الثاني لمولد الولايات المتحدة، وكان ذلك أروع عيد استقلال عرف أبداً في الرابع من يوليو (تموز). وخصص الدور الابرز لسيدة الحرية التي نعمت بأشعة ذهبية جديدة لمشعلها وتألق رأسها الجميل بنور ثلاثة عشر ضوءاً كاشفاً زنة كل منها طنان ونصف طن.

Photo: The Bettmann Archive, Inc.

في مساء الرابع من يوليو (تموز) توهجت سيدة الحرية بأنوار الالعاب النارية الباهرة، ونظم المحتفلون ليوم العيد عرض "عملية الشراع" وهو عرض رائع للسفن الشراعية التي بلغ عددها ٢٢٥ ترفع اعلام ٣١ دولة. وفيما كان ملايين الناس يتوافدون ليحجزوا أمكنة مشرفة على العرض فوق الشاطىء، وملايين آخرون يراقبون العرض على شاشات التلفزيون، ابحرت السفن في موكب مهيب عابرة أمام جزيرة الحرية، وهو الاسم الجديد الذي اطلق على جزيرة بدلو عام ١٩٥٦.

وللحال بدأ التخطيط على نطاق اعظم لعرض آخر للسفن الشراعية احتفالا بالعيد المئوي للتمثال يقام عام ١٩٨٦.[٤]

طفل عمره ١٠٠ عام

خلال مئة سنة تتعرض أي امرأة لكثير من الاحوال. وهذا ما حدث فعلا لتلك السيدة. لقد أدى لها مراسم التكريم جميع رؤساء الولايات المتحدة الذين حكموا في غضون القرن الذي انقضى. وجاءها رجال بارزون من أقاصي المعمورة ليعبروا لها عن احترامهم، كما أدت هي دورا بارزا في الاحتفالات الوطنية. كذلك فرض عليها دوراً غير مستحب بعض المتظاهرين الذين تسلقوا داخلها لينشروا شعاراتهم فوقها. ومنذ أزيح الستار عن التمثال ظل عدد زواره يزداد باطراد حتى بلغ نحو مليونين سنوياً.

ولا يمكن أن تتحمل السيدة كل هذه الاحوال من دون أن تصاب بأضرار. فقسم هنا أو جزء هناك كان يتطلب اصلاحا.

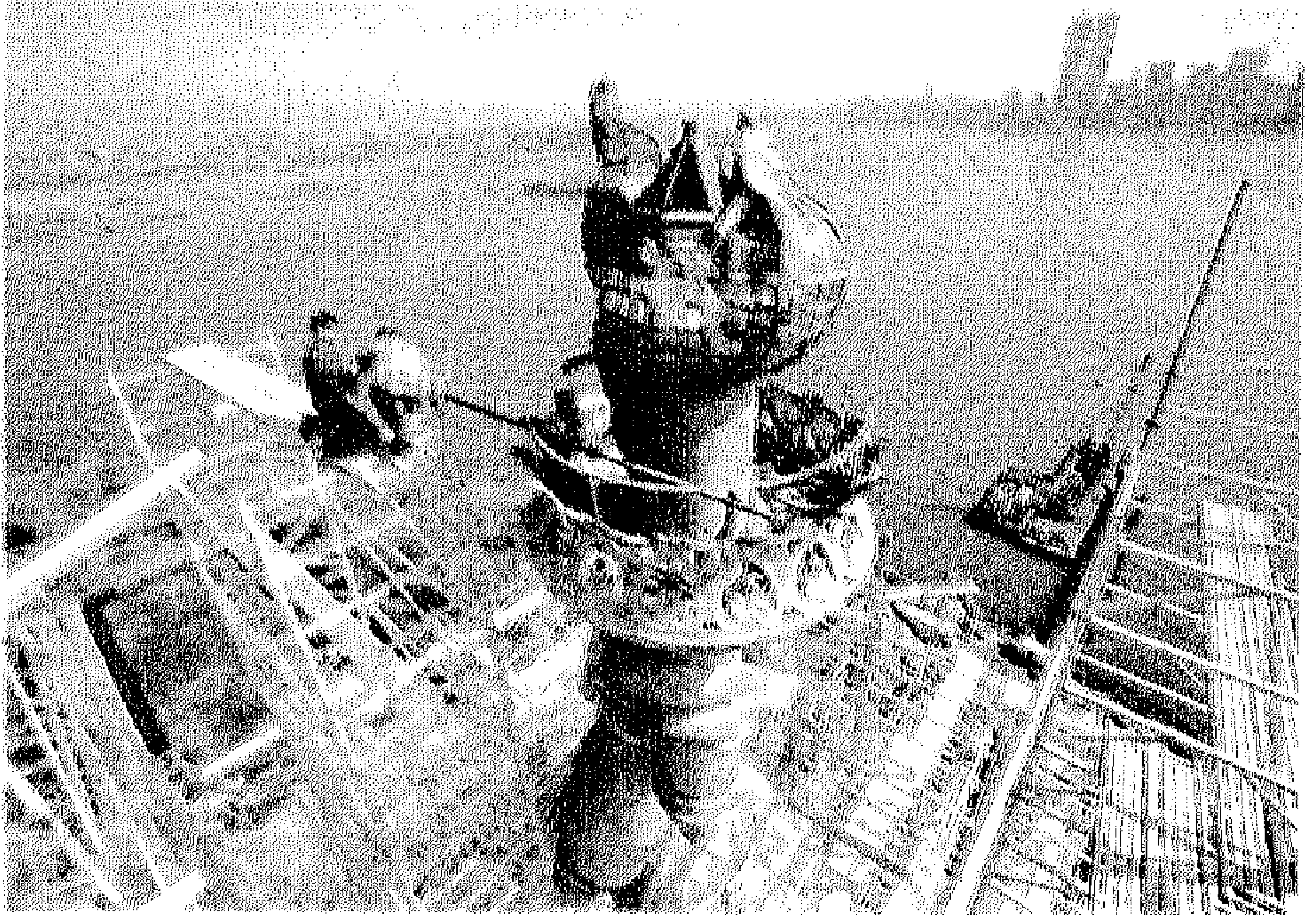
في مطلع الثمانينات أجري لسيدة الحرية فحص "جسدي" شامل، وأمضى مهندسون معماريون فرنسيون وأمريكيون سنتين في معاينة كل جزء منها، بدءاً بالمشعل وانتهاء بأصابع القدمين.

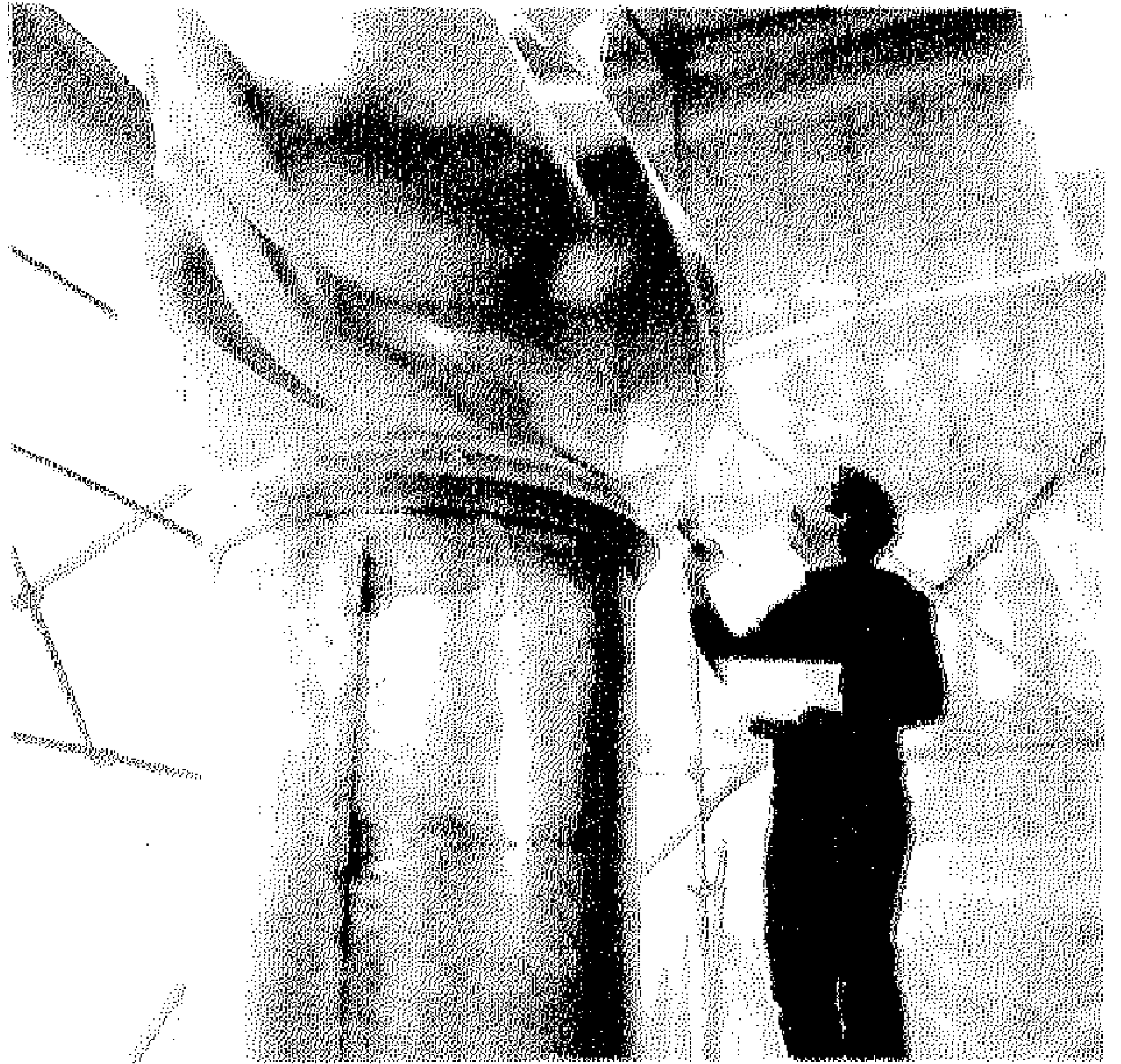
وكشف هذا الفحص مجموعة علل تبدأ من الاعلى. فالمشعل كله، من شرفته الصغيرة الى قمة اللهب فيه، وجب إبداله. والبنية الداخلية في الذراع اليمنى المرفوعة عدلت في وصلتها بالهيكل الداخلي. لكن هذا التعديل أضعف وصلة الكتف التي أخذت تزداد ضعفاً. ومن المذهل أن الرأس كان منحرفاً عن نقطة الارتكاز الوسطى نصف متر،[٤] فالثقل الزائد على الهيكل جعله ينحني قليلا الى اليمين فيخسف الذراع بإحدى الحراب المثبتة في التاج. وتبين أن نحو نصف الجذع الحديد الذي يدعم الصفيحة النحاسية قد تأكل.

قال ادوارد كوين المستشار الهندسي لمشروع الترميم: "لا يقتصر الامر على التجميل. فنحن لا يمكننا أن نشتري ثوباً جديدا للسيدة أو نطليها بمساحيق التجميل، بل كان علينا أن نصحح ما أصابها من مشاكل داخلية." ومهما يكن فان الخبراء المعاصرين أفهمونا أنه اذا تعين عليهم أن يعيدوا صنع التمثال فانهم يكتفون بابدال المواد المستعملة من دون أن يمسوا تصميم ايفل[١١] الذي لا يزال رائعا ان كما كان قبل مئة سنة.[١٠]

الخطوة الاولى في عملية الترميم كانت احتضان التمثال بأكمله في سقالة من الالمنيوم وزنها ٣٠٠ طن وقد تكون الاضخم في نوعها أبداً. هذه السقالة





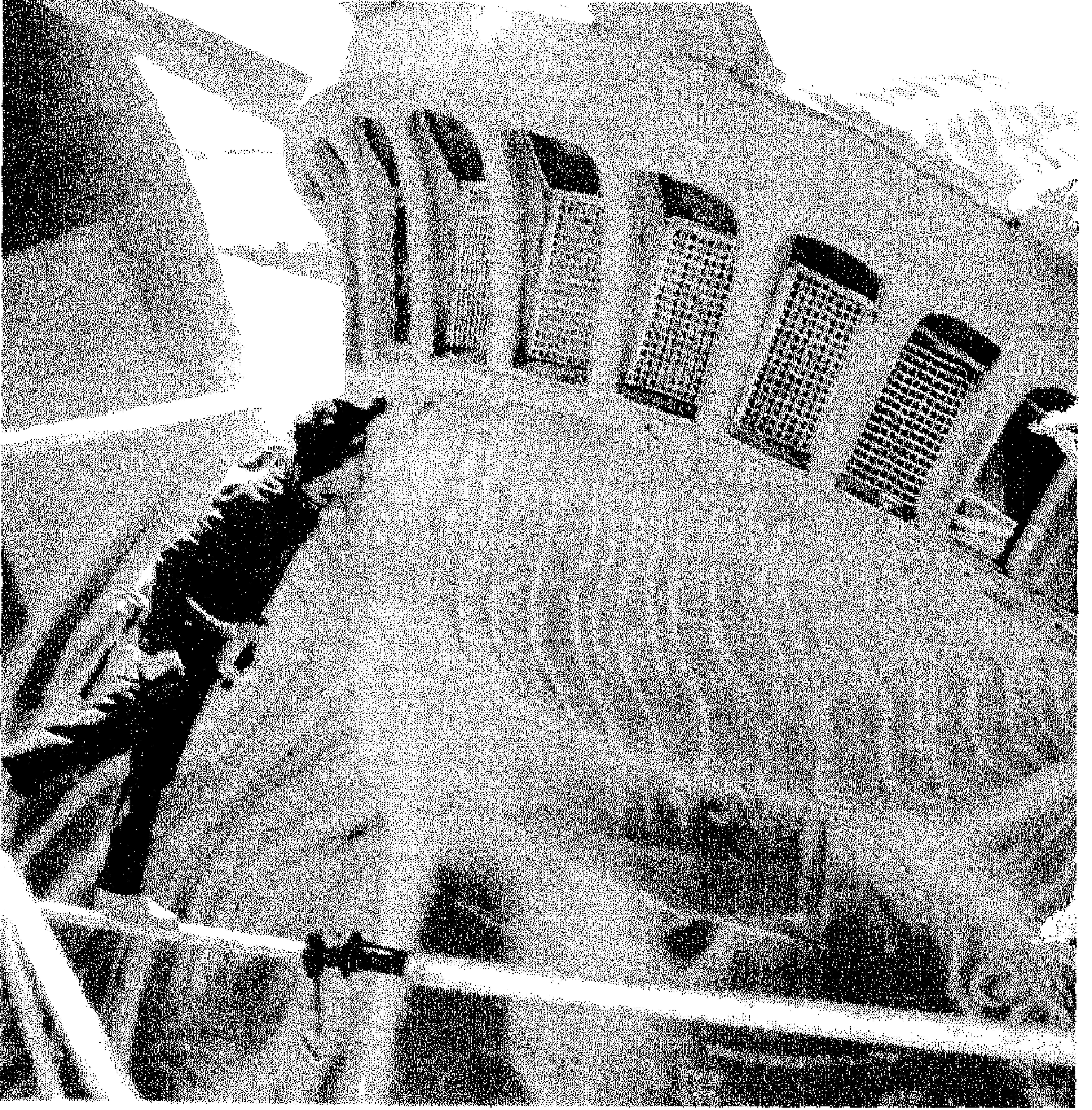


(فوق) منظر المرفأ قبل نزع المشعل القديم المهشم.
(الى اليمين) اللمسات الاخيرة على المشعل الجديد المصنوع من النحاس والمصفح بالذهب.
(الى اليسار) قبلة لـ"آنسة الحرية" من أحد العمال على منصة عالية من الالمنيوم أثناء عملية الترميم.

أتاحت للعمال أن يصلوا الى أي جزء من جوف التمثال ودعم المصعد المصنوع من الشباك السلكية أمام الواجهة.[٤]

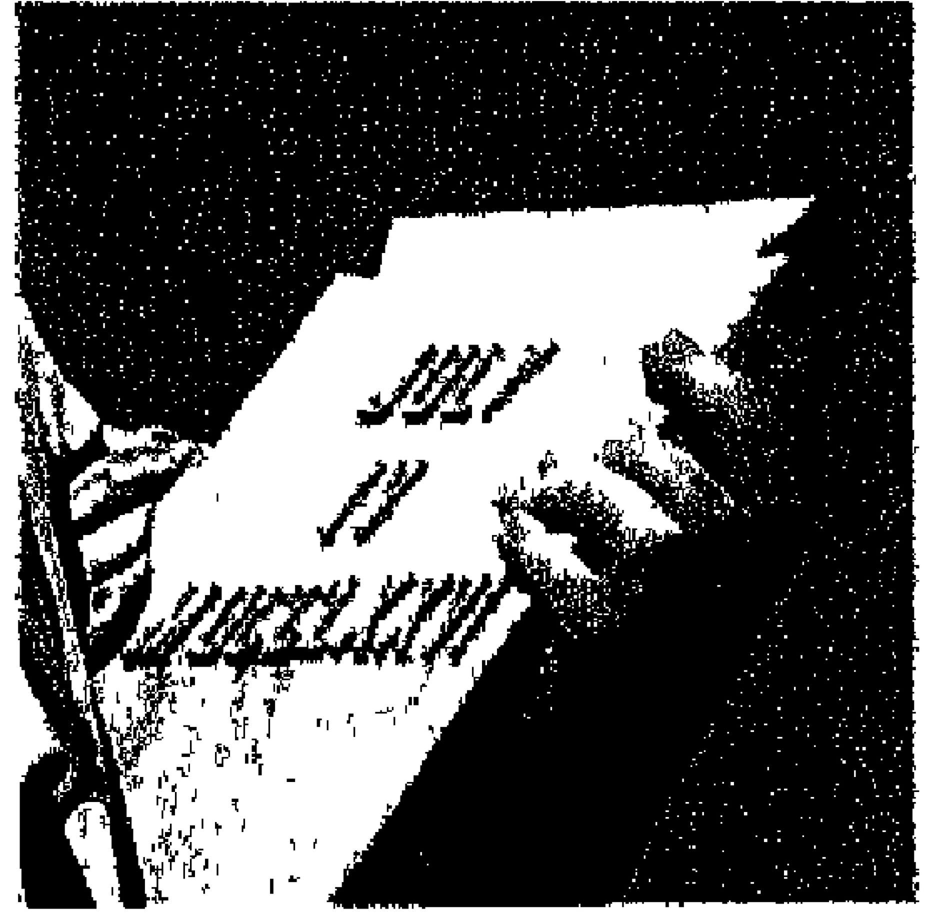
ويصف أحد المسؤولين الاحتفال باكتمال انشاء السقالة، الذي أقيم ظهر يوم ماطر، لكنه جميل، من (ابريل) نيسان ١٩٨٤. يقول ان الضيوف ملأوا المنطقة المطوقة بالحواجز عند قاعدة التمثال. وبعد خطاب قصير ألقاه لي ياكوكا رئيس مجلس الادارة في شركة "كرايزلر" للسيارات ورئيس مؤسسة تمثال الحرية وجزيرة ايليس، صعد مع مصوري التلفزيون في مصعد خارجي الى قمة الهيكل.

Photos: Top, Peter B. Kaplan / The Stock Market; Right, Bradford A. Hill / The Stock Market



"وحين هبط المصعد سألت مشغِّله المعتمر خوذة واقية عما اذا كان مسموحاً لي أن أصعد أنا كذلك. فأجاب: "بكل تأكيد، اقفز داخل المصعد. ووجدت نفسي متورطا نتيجة نزوتي المتهورة. فدخلت ذلك المصعد الرجراج. وأقفل الباب وتحركت الآلة ثم أخذنا نصعد في ذلك القفص الهش المترجح مبتعدين عن صلابة الارض المحببة.

"تسلق ذلك القفص الرجراج احد جوانب النصب الجبار متجاوزا القاعدة وثنايا الرداء واشعاعات التاج وأخيراً المشعل. وأعقبت ذلك الصعود خضة عنيفة قلبت احشائي.

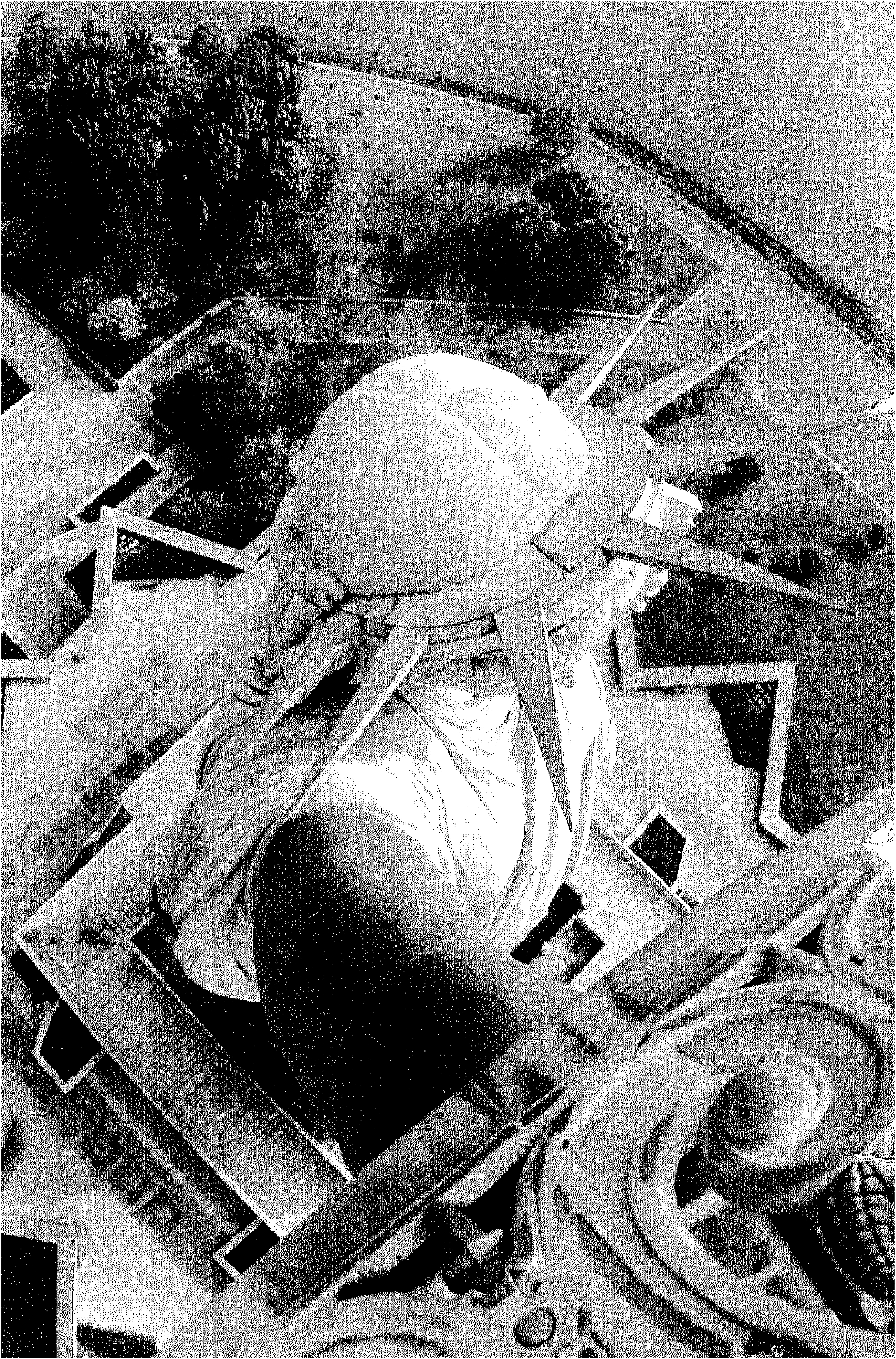


(فوق) الوجه الجديد للسيدة.
(الى اليمين) الكتابة على لوحتها: "٤ يوليو (تموز) ١٧٧٦" بالارقام الرومانية.
(الى اليسار) مشهد من أعلى قبل التجديد.

"انفتح الباب المواجه للتمثال وأشار عامل المصعد الى سلمين قصيرتين من الادراج تؤديان الى المنصة العليا القائمة فوق لهب التمثال. وأدركت أن لا مناص لي من الخروج، وليكن ما يكون.

"وشددت قبضتي علي الحاجز الواقي وأنا أتنفس في شهقات قصيرة متلاحقة، متجاهلا الذين كانوا حولي. وأكرهت نفسي على النظر بعيداً عبر المرفأ المزدحم بالسفن الى القسم الجنوبي من شبه جزيرة مانهاتن. ثم ألقيت نظرة الى

Peter B. Kaplan / The Stock Market



أسفل، فاستحوذ علي شعور غامر كاد يدفعني الى القفز خارجاً.

"ورفعت نظري الى السماء وأنا أشد قبضتي على الحاجز الواقي. وجررت نفسي الى الدرجات. وتمكنت على نحو ما من مغالبة الريح العاصفة والهيكل المتمايل والخوف المختلج في جوفي الى أن بلغت القمة. وألقيت نظرة على المشعل تحتي. لكن الخوف تملكني فجأة مرة أخرى. وعدت أدراجي متقهقرا الى المنصة وداخل القفص، وتكومت على نفسي في زاوية بينما كان المصعد يمتلىء بالناس.

"واخيراً ارتج القفص وتحرك وبدأ هبوطه المترجرج عائداً الى الارض.

"وحين بلغنا سطح الارض أرخيت قبضتي على القفص، وكان شعور غالب يعتلج فيّ بالاعجاب والامتنان تجاه العمال الذين بنوا تلك السقالة والحرفيين الذين. سيقضون السنتين المقبلتين في اصلاح التمثال من السقالة الدقيقة الهشة.

"سمعت في ما بعد أن ياكوكا شعر بالانزعاج كذلك عندما صعد الى القمة في ذلك اليوم. وهذا ما أشعرني بالراحة."[١٣]

في الرابع من يوليو (تموز) ١٩٨٤ نزع المشعل المهشم بعناية من ذراع سيدة الحرية. وقال مدير أشغال الترميم جين ماكغافرن ان المشعل أنزل الى الارض بحنان "كأنه طفل عمره مئة عام."[٤]

على رغم نظافة التمثال عموماً فقد بدت عليه لطخات عدة. لذلك تقرر أن يغسل بالماء كلياً ويفرك بعناية لازالة اللطخات التي تضر به، سواء بمنظرها أو بتأثيرها الكيميائي.[١٠]

وأخطر مشكلة داخلية كانت تأكل الدعائم الحديد التي تحمل الاهاب النحاسي للسيدة. وأبدل المهندسون هذه الدعائم قضبانا من الفولاذ الذي لا يصدأ مفصلة له خصوصاً، وعزلوا الدعائم الجديدة عن الاهاب النحاسي بغشاء من مادة التفلون. وبما ان الدعائم مهمة جداً في حمل الاهاب الخارجي للتمثال فلم يرفع في وقت واحد أكثر من ١٦ قضيباً من مجموع ١٨٠٠.[١١]

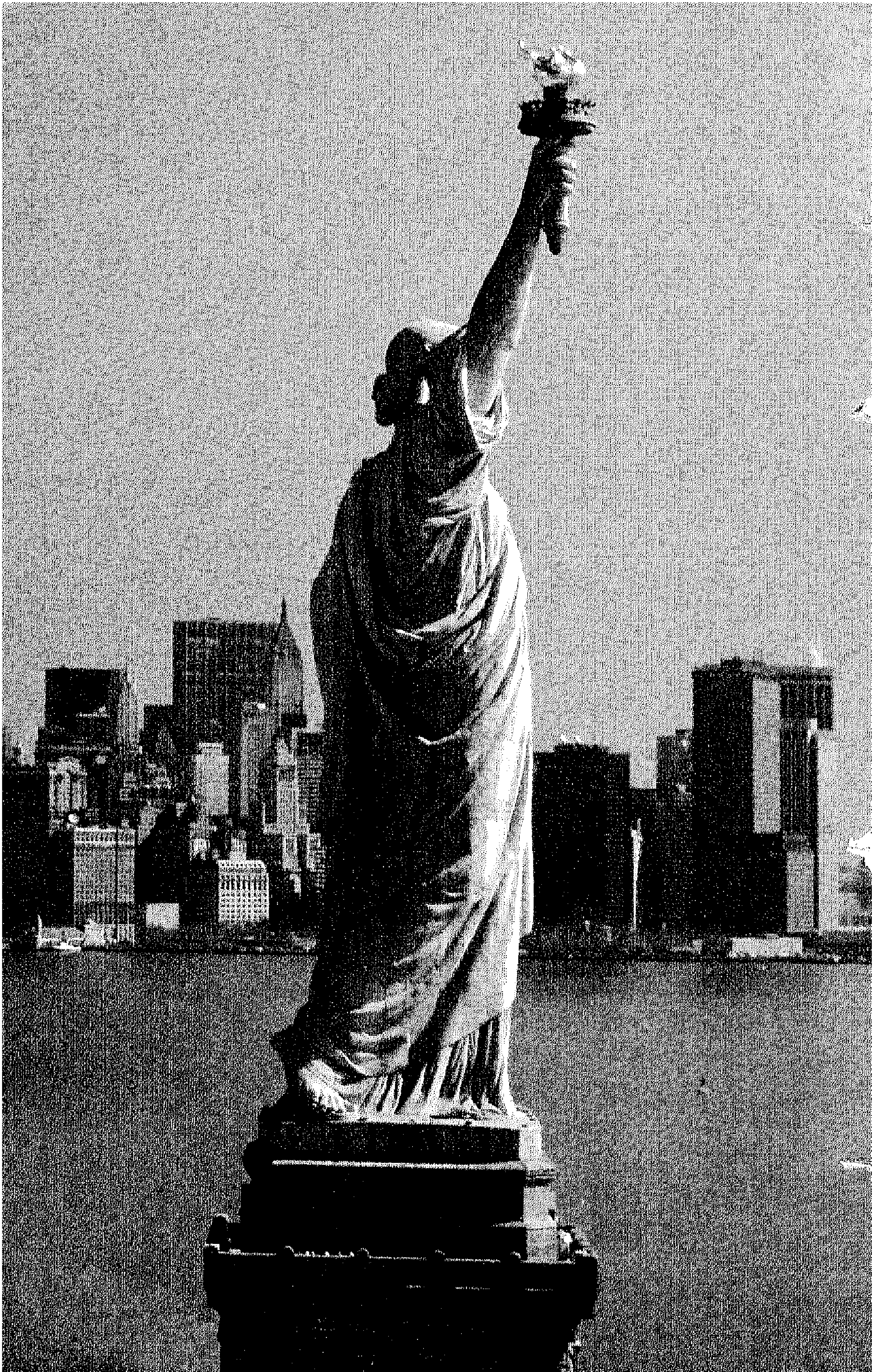
وأوضح المهندسان الرئيسيان في عملية الترميم ريتشارد سيث هايدن وتيري دسبونت: "كان هدفنا الرئيسي أن نكشف ما هو موجود ونحسنه: الروعة في الضخامة والجمال في البناء والاثارة في التسلق. واذا تسنى أن نبقي التمثال مبدياً سعة خيال بارتولدي وعبقرية إيفل الهندسية، نكون أفلحنا في مسعانا."[١٠]

"مرحبا يا سيدة الحرية"

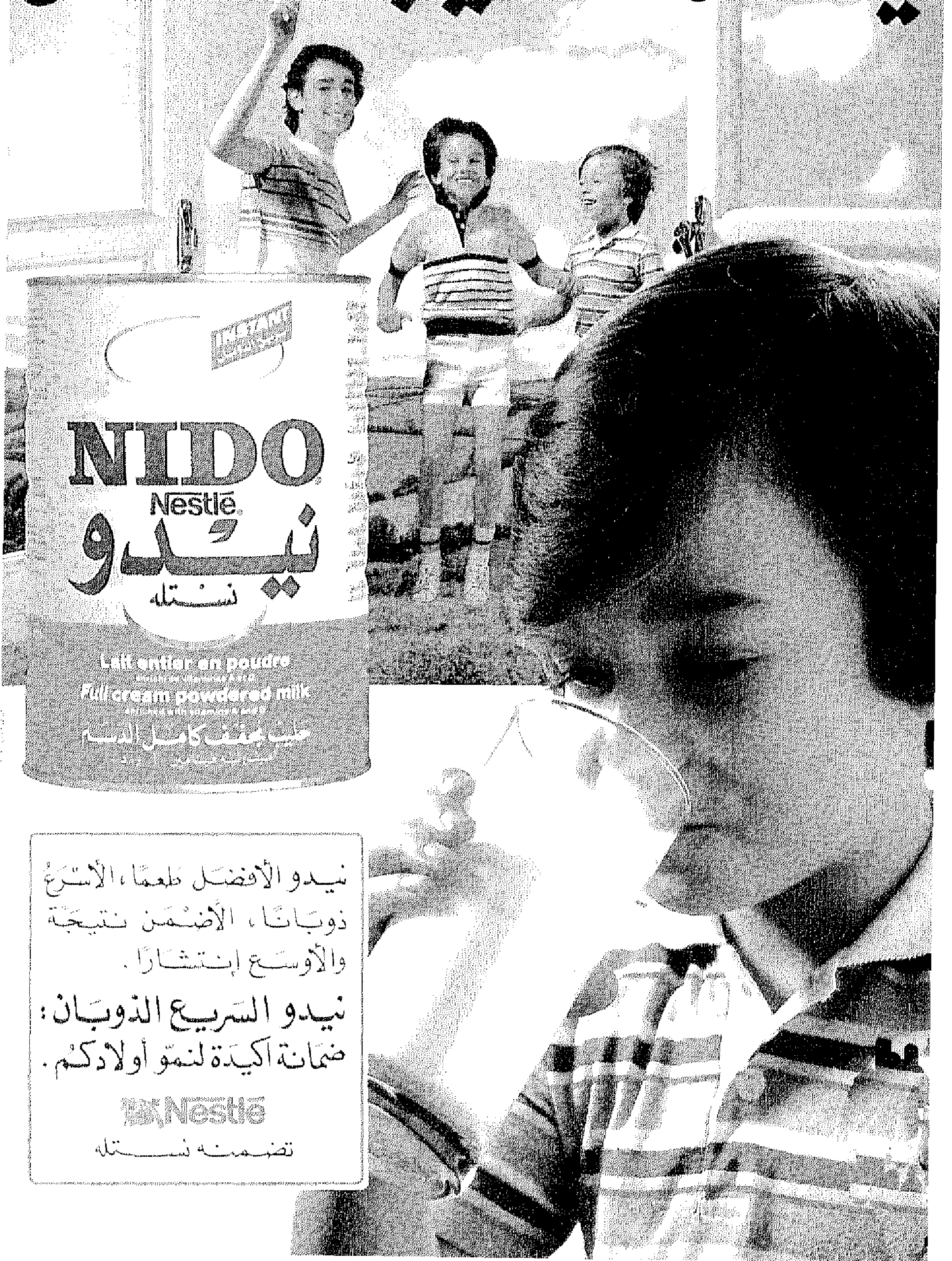
تبين أن شعور الرأي العام ازاء التمثال قوي جدا. فما ان نشر الاعلان الاول عن حملة جمع الاموال في أوائل العام ١٩٨٣ حتى انهالت التبرعات غزيرة. وبحلول شهر أغسطس (آب) ١٩٨٤ أي قبل نحو سنتين من الموعد النهائي، كانت مؤسسة تمثال الحرية جمعت قرابة ١٠٠ مليون دولار. وجاء نحو ثلاثة أرباع هذا المبلغ من شركات ومؤسسات أخرى، والربع الباقي من أفراد. أولاد المدارس وحدهم جمعوا ما يناهز ٤،١ مليون دولار.[٤]

"أم المنفيين" ترفع من جديد "المشعل عند الباب الذهبي" في مرفأ نيويورك.

Photo: Henry T. Kaiser



نيدو الحليب الأفضل



قد يعود نجاح حملة التبرعات الى قدرة سيدة الحرية على ايجاد علاقة حميمة بينها وبين الامريكيين كأفراد. وهذه القدرة وصفها صحافي على نحو رائع حين قابل عدداً من عمال الترميم وهم يحتسون القهوة في انتظار الباخرة التي تأتي في الساعة السابعة والنصف لتنقلهم الى العمل. جميع العمال كانوا يذكرون التمثال بعبارة "السيدة."

قال احدهم وهو مهاجر ايطالي الاصل: "بالنسبة الي أشعر أن لعملي مغزى خاصاً. فأنا آت من الجهة الاخرى من العالم." وقال حداد يعمل في قولبة الاضلاع الحديد: "أعتقد أننا جميعاً واقعون في حب هذه السيدة، سواء اعترفنا بذلك ام لا."[٥]

سحر السيدة كان دائماً يهز مشاعر محبيها. فلنعد بالذاكرة الى صيف ١٨٩١ حيث تدفقت حشود من العائلات المهاجرة الى مرفأ نيويورك. بين هؤلاء كانت طفلة ذات اثني عشر ربيعاً اسمها كاثرين براونلي، غادر والدها الارمل ايرلندا وهي في السادسة ليستقر في بورتلاند بولاية اوريغون. وفي أوائل العام ١٨٩١ حجز لها والدها سفرة على سفينة مبحرة من بلفاست، لكن ثمن بطاقة السفر لم يدفع في الوقت المعين ففاتت السفينة كاثرين. وفي وسط المحيط الاطلسي غرقت السفينة ولم ينجُ أحد من ركابها.

في هذا الوقت كانت كاثرين أمنت سفرة على مركب آخر. ولكن حين وصلت الى نيويورك لم يكن ثمة أحد في انتظارها. فوالدها، الذي أيقن انها هلكت في السفينة الغارقة، عاد الى أوريغون. ولم يكن في وسعها ان تصل اليه. ولم تكن تعرف أحداً في امريكا، كما لم يكن لديها مال. وهي لم تتناول طعاماً منذ يومين.

وبينما الفتاة جالسة وحيدة في جزيرة ايليس نظرت الى تمثال الحرية وزال خوفها. وتراءى لها أن "السيدة" تحميها.

وانقضى الليل بطيئاً. وأخيراً اقترب منها أحد العمال على الجزيرة وسألها عن اسمها. فردت: "كاثرين براونلي." وذهل الرجل. اسمه كذلك كان براونلي، وتبين أنه ابن عمها. ودفع الرجل نفقة انتقالها الى بورتلاند.

وأخيراً عثرت كاثرين على والدها في ولاية أوريغون. وهناك تزوجت ورزقت

Sources: 1. Reader's Digest summarization based on several sources. 2. *In the Shadow of Liberty: The Chronicle of Ellis Island*, © 1935 by Edward Corsi. 3. *Island of Hope, Island of Tears*, © 1979 by David M. Brownstone, Irene M. Franck and Douglass L. Brownstone, by permission of Wieser and Wieser, Inc., New york. 4. *A Statue for America*, © 1985 by Jonathan Harris, by permission of Edite Kroll Literary Agency, New York, on behalf of the author. 5. *Statue of Liberty*, by Bernard Weisberger, © 1985 by Christian Blanchet, Bertrand Dard and American Heritage Press, Inc., by permission of American Heritage, Inc. 6. *Freedom's Holy Light*, © 1985 by Richard H. Schneider, by permission of Thomas Nelson Publishers. 7. *Bearer of a Million Dreams*, © 1986 by Frank Spiering, by permission of Jameson books. 8. Nicolas Poulain, Reader's Digest, © 1977 by the Reader's Digest Assn., Inc., 9. *Gateway to Liberty*, © 1986 by Mary J. Shapiro, by permission of the author. 10. *Restoring Liberty*, © 1986 by Richard Seth Hayden and Thierry W. Despont, by permission of McGraw-Hill Book Co. 11. Calvin Sims, New York, *Times*, © 1985 by the New York Times Co. 12. From a speech by President Roosevelt, October 28, 1936. 13. John M. Allen, © 1986 by The Reader's Digest Assn., Inc., 14. *Liberty: The Statue and the American Dream*, by Leslie Allen, © 1985 by the Statue of Liberty-Ellis Island Foundation, Inc., by permission of Summit Books, a division of Simon & Schuster, Inc.

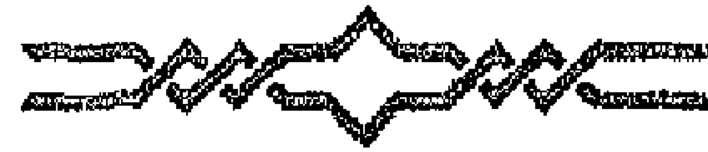
صبيانا وبنات أصبحوا رجال اعمال ومزارعين وممرضات ومدرسين. أحفادها أصبحوا موظفين حكوميين ومحامين وبنائين ومهندسين. وعلى رغم ذلك لم تنس حكايتها. وطوال حياتها ظلت تتكلم عن "السيدة" التي أنقذتها.[٧]

لي ياكوكا كان القوة الدافعة وراء حملة جمع الاموال.[١] كان هو نفسه طفلا فقيراً في عائلة ايطالية مهاجرة.[٤] وقد كتب: "كان تمثال الحرية أول معلم من أمريكا يلوح للملايين من المهاجرين الوافدين الى جزيرة ايليس. وهكذا غدا رمزاً دائماً للرجاء بالنسبة اليهم. كذلك بالنسبة الى مئات الملايين منا، نحن أبناء هؤلاء المهاجرين وأحفادهم، يبقى تمثال السيدة التي ترفع مشعلها رمزاً لما حبانا به أولئك المهاجرون وما أعطتنا اياه هذه الارض.

"ولما تنته القصة بعد. فتمثال الحرية لم يرمم كنصب تذكاري للماضي فحسب، بل كتحد للمستقبل كذلك. ستقف السيدة أقوى وأكثر تألقاً مما كانت أبداً، تذكرنا بما اعطتنا وبما نحن مدينون لها."

وحكى الرئيس الامريكي رونالد ريغان ان اجداده الاوائل جاؤوا من ايرلندا قبل أن ينتصب تمثال الحرية. وكان "المشعل الذي هداهم هو الحرية ذاتها. ومع ذلك جسّد تمثال بارتولدي قبل مئة سنة مثلهم العليا في شكل رائع.

"واذا شاء الله، سيبقى تمثال الحرية دائماً ينادي محبي الحرية هنا وفي أرجاء العالم. وفيما نحن نحتفل بالذكرى المئوية للسيدة، دعونا جميعاً، نحن الذين نحبها، نصرخ بصوت جهوري وواضح: "مرحباً يا سيدة الحرية" حيثما تستقر الحرية، هناك وطني."[٦]



اهداء الى زوجة

اهدى ألبرت مالفينو كتابه "مبادىء الكترونية": "الى جوانا، زوجتي الجميلة والذكية والتي لولاها لما انجزت شيئاً. فهي تريحني دائماً وتواسيني، ولا تتذمر أبداً ولا تتدخل في ما لا يعنيها، ولا تطلب شيئاً، وتحتمل كل شيء، وتكتب كل اهداءاتي."

دار "ماغرو – هيل" للنشر

على خطى دون كيشوت

ذات ليلة توقف سائق شاحنة عند مطعم يقدم وجبات خفيفة. ووجد هناك عدداً من سائقي الشاحنات يتبارون في الحديث عن بطولاتهم.

وانقضت بضع دقائق وهم يروون حكايات مثل: "كنت منطلقاً بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة على الطريق حيث السرعة القصوى ٩٠ كيلومتراً. وذلك الشرطي التعس عاد خائباً اذ لم يتمكن من اللحاق بي." وفي هذه اللحظة عبرت طائرة فوق المطعم. فقال الداخل الجديد: "لقد آن أن يلحق بي ذاك الطيار. فنحن انطلقنا معاً قبل ساعة."

ج.ف.

كاميرا التكنولوجيا المتقدمه لعالم السرعة الفائقة



إن الكاميرا التي تستطيع أن تلتقط صورة لأسرع سائقي سيارات السباق في العالم يجب بالضرورة أن تكون في نفس سرعة وتطور السيارات التي يقودها هؤلاء السائقين والأكثر من ذلك يجب أن تتيح لمستخدمها إلتقاط الصور في أقل من الثانية ببساطة وسهولة ودون جهد. إنها كاميرا كانون T 70 .

إنك ببساطة تدير برنامج العمل السريع وتعدل البؤرة وتلتقط الصورة ثم يقوم الكومبيوتر بالباقي.

إن تعبئة ودوران وإعادة الفلم في كاميرا T 70 يتم أوتوماتيكيا.

سائل الكريستال فيتيح لك قراءة المعلومات المتعلقة بالكاميرا باستمرار.

ببساطة كاميرا كانون T 70 تعني أفضل اللقطات في كل الأوقات.

Canon T70

كاميرات الفورميولا واحد



"القنطرة والقناة" للكندية سيلفيا آرمني

نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦، ربيع الاول ١٤٠٧

المختار



من ريدرز دايجست

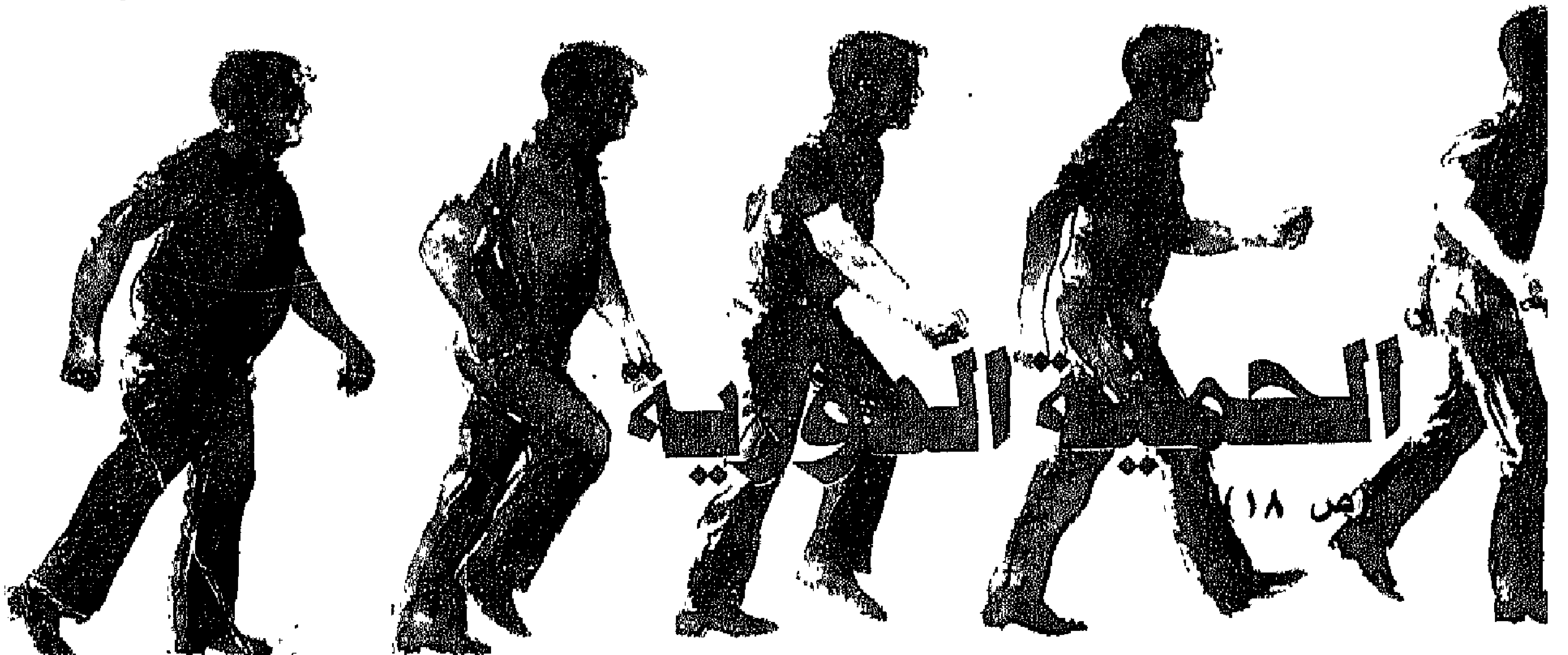
AL MUKHTAR min Reader's Digest November 86 N° 96

الجنس متعة نبيلة!

(ص ٣٦)

الكوكايين يقع في الفخ

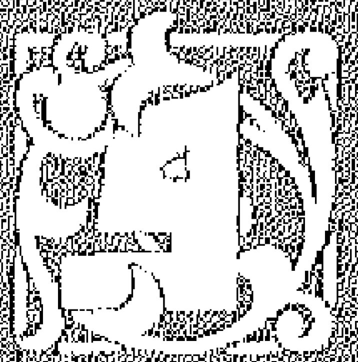
(ص ١١)



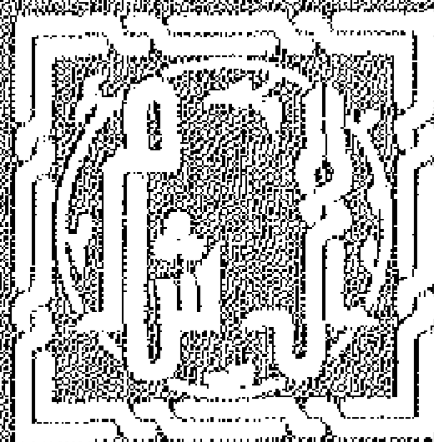
فندق الشام



أحدث مدينة في أقدم عاصمة



فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة، بل إنه مدينة قائمة بذاتها ... صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت تسترتاح في غرفتك، أو كنت منهمكاً في عملك ... فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية ... ولا تنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نفاخر بها ونحافظ عليها.



للحجز: فندق الشام - ص. ب. ٧٥٧٠
تلكس: ٤١١٩٦١
رقم الهاتف: ٢٣٢٣٠٠ (٥ خط)
تلكس الركاب ٤١١٨١٠٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار

من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
أمانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
الاشتراكات: فريال علاف.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠
التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE.
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.
مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630
P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

November 86 N° 96 (New Series) Vol. 8

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

لبنان ١٠ل - سورية ١٠ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٤ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٦٠٠م - المغرب ٥د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

جديد من سيريلاك





القمح ، الأرزّ والحليب المغذّي يجعل سيريلاك
أول طعام كامل يُعطى لطفلكِ بالملعقة بعد شهره الرابع .

وبينما ينمو طفلكِ دعيه يتذوّق سيريلاك الجديد بالموز وسيريلاك الجديد بالأربع فواكه ، وجميعها تحتوي على البروتين والاملاح والفيتامينات التي يحتاج اليها طفلكِ .

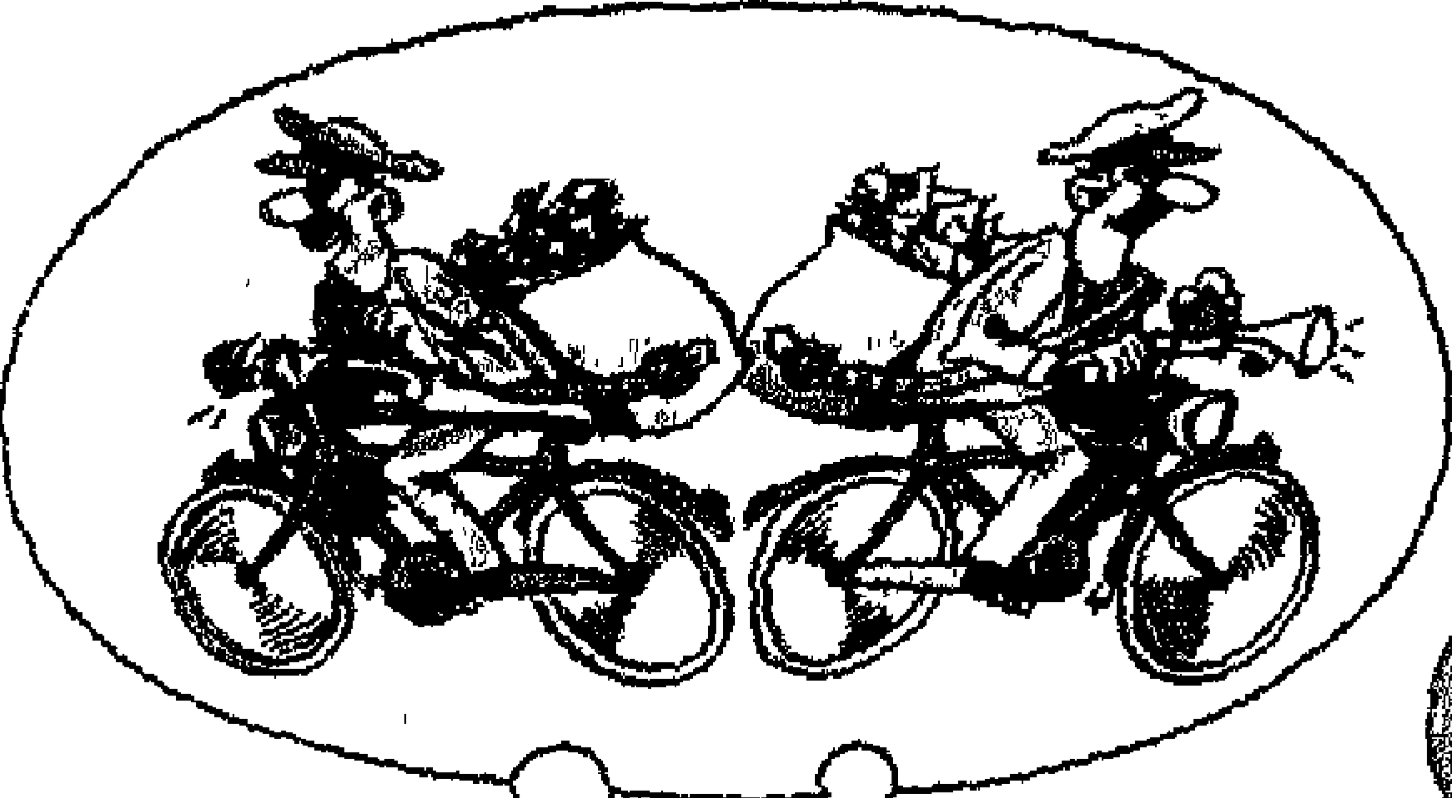
امزجي سيريلاك بالماء المغلي لحصولكِ على طعام كامل ومغذي .

سيريلاك الغذاء الكامل لطفلكِ ، متوفر الآن بأربعة أنواع .

سِيرّيلاك
أول طعام كامل
يُعطى لطفلكِ بالملعقة

تضمنه نستله
Nestlé

اكتب واربح





هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية
او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى
وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله
الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٢٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.

عناية الهية

كثيراً ما تحدث أمور لا تفسير لها ولكن لا يمكن نكرانها. تأمل هذه القصص الواقعية واستنتج ما بدا لك

نداء استغاثة

ظهيرة ذلك اليوم الصيفي الحار كنت أنا وزوجتي مدعوين من بعض الأصدقاء إلى حفلة حول حوض للسباحة. وفيما أنا واقف على لوح الغطس تعالى من جلبة الحفل صوت مسعور وسمعت صرخة امرأة: "الطفل! إنه في قاع الحوض!"

لا أحد يفعل شيئاً. الناس يحدقون الى المرأة فقط. واذ خلت أني رأيت شكلا ساكناً تحت الماء غطست، وكان ثمة طفل هناك. دفعته بعيداً عن القاع وطرحته على ظهر اللوح. لقد استحال لونه أزرق. لا نفس أو نبض. دعوت: "رباه، ساعدني لأقوم بذلك على نحو صحيح." وبعد لأي أخذ الصغير يسعل وتصاعد نفس ثم آخر. سيحيا!

واستدعى أحدهم سيارة إسعاف. وفيما نحن ننتظر سألت الآخرين: "لماذا تجاهلتم استغاثة المرأة؟"

فأجابني أحد الأصدقاء: "لم يفهم أحد منا ما تقول."

– ماذا تقصد بذلك؟

"لم يفهم أحد لغتها الاسبانية."

– الاسبانية؟ أنا سمعتها تهتف بالانكليزية.

"لم نسمع نحن ذلك. الاسبانية هي ما سمعنا."

وما زلت الى اليوم متحيراً، فأنا لا أفقه جملة إسبانية واحدة.

س.ب.، ولاية إيلينوي ■

مستمعة خفية

في يوم من يوليو (تموز) قبل سنين كنت أمشي متجهمة عبر قاعات جمعية «YWCA» في شيكاغو. لقد قدمت الى المدينة لاجراء جراحة في الأذن. وبما أني معلمة عزف على البيانو فقد كنت أخشى

Condensed from the monthly feature, «His Mysterious Ways,» in Guideposts Magazine (June '85, September '84, November '84, August '83, May '85),

شارب بالتأكيد





"الروك الصاخب يتطلب قوة!"

"زواج الفيفارو" يتطلب ٤ ساعات
من الاستماع المتواصل!

اسأل أي هاو للموسيقى ثم اطلب شارب WF-939Z

٣٠٠ واط إقصى قوة خرج (PMPO) موسيقية مدوية، عكس اوتوماتيكي مزدوج لأربع ساعات من الاستماع المتواصل.

٣٠٠ واط اقصى قوة خرج تفوق متطلبات موسيقى الروك المدوية، نظام كاسيت مزدوج وعكس اوتوماتيكي مزدوج يحافظان على تواصل المقاطع السمفونية لأربع ساعات متتالية.

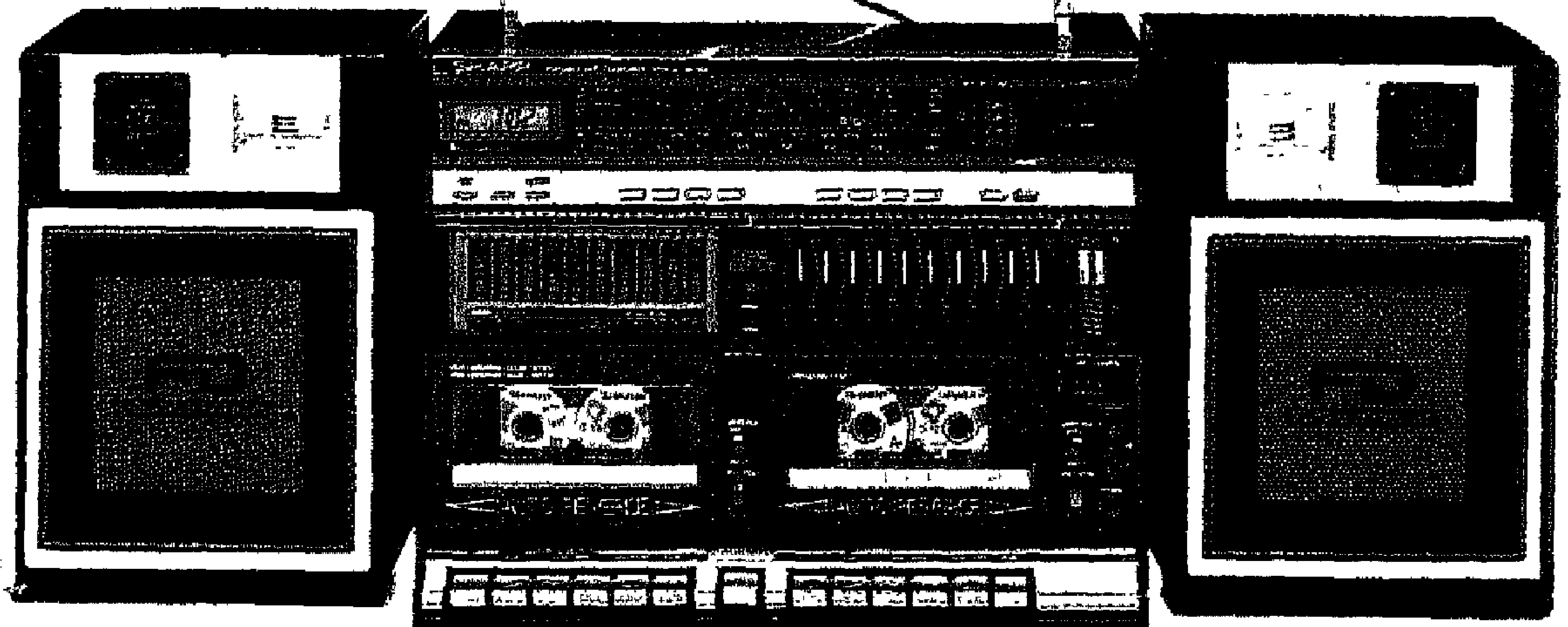
صوت مجسم مذهل يضاهي الأداء "الحي" عبر نظام ٦ مكبرات للصوت قابل للفصل بثلاثة اتجاهات.

النظام المتطور لمكبرات الصوت الستة ذو الاتجاهات الثلاثة والغشاء المسطح هو قابل للفصل من اجل افضل عرض صوتي مجسم ومهيأ لاستعمال النطاق الواسع والمتغيّر باستمرار من الاسطوانات المدمجة.

موازن تخطيطي ذو ١٠ موجات ومحلل موجي ذو ١٠ نطاقات للتردد يؤمنان ضوابط للنغم شبيهة بمواصفات ضوابط الستوديو.

استعملهما لتوليف الصوت او الاستماع الى اصوات او آلات معينة لخلق الصوت الذي يناسبك.

WF-939Z نظام هاي - فاي نقال مزدوج الكاسيت.
- ساعة كوارتز ومؤقت برامج.
- جهاز تحديد موقع البرنامج اوتوماتيكيا (APLD)
- نظام الايقاف اللحظي الاوتوماتيكي للبرنامج (APPS)
- نظام بدء النسخ بلمسة واحدة.
- راديو ذو اربع موجات اي ام AM اف ام FM / موجة قصيرة ١ SW1 / موجة قصيرة ٢ SW2 /.



شارب
SHARP
شركة شارب، اليابان

النتيجة، فالجراحة حديثة العهد ولم تجر الا لقلائل. وابتهلت الى الله: لو يرسل إلي إنساناً أتحدث اليه!

وفيما اجتزت الممر المشمس شاهدت بيانو وأحسستني منجذبة إلى لوحة المفاتيح. وبدأت العزف. انسابت الموسيقى بحيوية من تلقائها معبرة عن مشاعري الحبيسة. وفي الختام نهضت كي أغادر المكان، واذ بصوت يناديني: "أرجوك لا تتوقفي عن العزف." طوال تلك الفترة كانت امرأة تقبع في زاوية بعيدة.

تعارفنا وبدأنا نتحدث. هي أيضاً غريبة عن المدينة، وقد أجرت الجراحة نفسها مع الطبيب ذاته وفي المستشفى نفسه قبل سنة. وطمأنتني الى الجراحة التي سأتثبت من نجاحها في غضون أيام قلائل.

لقد سمعت المرأة موسيقاي، الله استجاب دعائي.

اوجينيا ايسون، ممفيس ■

"لقد أُصبنا!"

فيتنام في ١٤ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٦٧، قبيل الهجوم الأول. كنت في الكتيبة الأولى، قسم البرق الاستوائي الرقم ٢٥ قرب سايغون.

بعد الظهر هاجمنا الفيتكونغ وخلفوا عشرة قتلى. عند الغروب كنت عصبياً فذهبت في دورية. ونصب ثلاثة منا مركز تنصت يبعد ٥٠٠ متر عن المعسكر. في الاولى فجراً أبلغت عن "تحركات تجري هناك."

وفرقع المذياع على ظهري: "انخفض، سنطلق النار." وباشر جنودنا الرمي وقذفنا العدو بكل ما في جعبته. وابتهلت وأنا ألوك التراب: "أتوسل إليك يا رب، أخرجنا من هنا."

صوت مكتوم تلاه انفجار قنبلة يدوية. أحسست الدم يسيل رقيقاً على ظهري. وأذعت لاسلكياً: "لقد أصبنا. سنوافيكم." وعلى رغم جروحنا زحفنا في الظلام عبر حقل ألغام ورزم من الأسلاك الحادة كالشفرات، وتعثرنا في الدرب ثم ألفينا أنفسنا في أحضان المسعفين الطبيين.

بعد ثلاثة أسابيع غادرنا المستشفى عائدين إلى المعسكر. واستدعاني الرقيب المسؤول وبادرني: "كيف استطعتم ابلاغ الفريق الطبي أنكم مصابون؟"

فأجبته "بواسطة المذياع يا سيدي." وكنت دهشاً لسؤاله.

ورد وهو يمسك بصندوق مسوّد منبعج: "ليس بهذا أيها الجندي." انه المذياع الذي حملته على ظهري. لقد امتص قوة انفجار القنبلة اليدوية. البطاريات تالفة والغطاء الشفاف بال وكل اجزائه معطلة. كيف التقط الفريق الطبي استغاثتي؟

توماس كوفرديل، نيويورك ■

صوت باطني

بوجود أطفالنا الأربعة واثنين من أبناء أخي طال ميعاد النوم أكثر من المعتاد تلك الليلة.

وتلوت صلاة سائلة الله أن يسهر على كل طفل نائم. بعد ذلك أخلدت أنا وزوجي آندي إلى النوم.

عناية الهية

في الرابعة والنصف صباحاً استيقظت فجأة. سمعت أنين ابن اخي. وعلى نحو مباغت وجدتني خارج فراشي أهرع نزولا إلى الردهة. لكن ليس إلى الحجرة التي نام فيها ابن اخي. ومن دون أن أدري السبب جريت إلى غرفة أطفالي في الجناح الآخر من البيت.

وقفت عند المدخل أسمع قلبي يخفق في أذني. سوء ما على وشك أن يحدث. كنت متأكدة من الأمر. غير أن الاطفال كانوا ينعمون بنوم هانىء في أسرّتهم. لم هرعت إلى هنا؟

ثم، وأمام ناظري، تداعت الطبقة العليا من السرير. هرعت لأمسك لوح الخشب الثقيل والحشيّة قبل أن ينهارا على طفلتي الصغرى في السرير السفلي. وهتفت أطلب المعونة فجاء آندي. وفي لحظات قليلة كان كل شيء على ما يرام.

وخطوت وزوجي إلى الخلف. فسألني: "لم كنت هنا؟"

أجبت: "لا أدري."

قال: "حمداً لله أنك كنت موجودة."

لين لنك، مونتانا ■

البطاقة المنقذة

بعدما اعترفت لنفسي بأني مدمن التحقت بجماعة نذرت حياتها لمساعدة المدمنين في الاقلاع عن عادتهم. وفي احدى الليالي عند ارفضاض اجتماعنا تلقينا استغاثة من صاحبة فندق.

وتطوع اثنان منا. وإذ وصلنا الى الفندق تم إرشادنا إلى غرفة حقيرة حيث غط كهل رمادي الشعر في غيبوبة على أحد الأسرة وشـرع زميلي المتمرس يخاطب الرجل نصف الواعي. أوضح أنه هو نفسه كان مدمناً، لكنه بتسليم حياته وارادته إلى قوة سامية فاز بالاعتدال وسكون النفس.

قال صديقي مخاطباً الكهل: "سأدع بطاقة تعرف عني، وأودّ أن تحضر اجتماعاً على هذا العنوان."

قلت معلقاً فيما نحن نغادر الفندق: "هذه مضيعة للوقت."

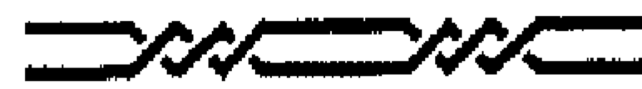
ورد زميلي مبتهجاً: "لا أحد يعلم."

في اجتماعنا التالي قصدنا فتى مرتعش الأعطاف لكنه متزن، وبادرنا: "أشكركما لزيارة فندق وينو تلك الليلة، لقد أنقذتما حياتي."

حملقنا فيه منذهلين، وقال شريكي: "الكهل المنطرح في ذاك السرير لم يكن أنت!"

وأجاب الفتى مبرزاً البطاقة التي تركناها: "صحيح! لكني سمعت كل كلمة تفوهتما بها. كنت راقداً تحت السرير!"

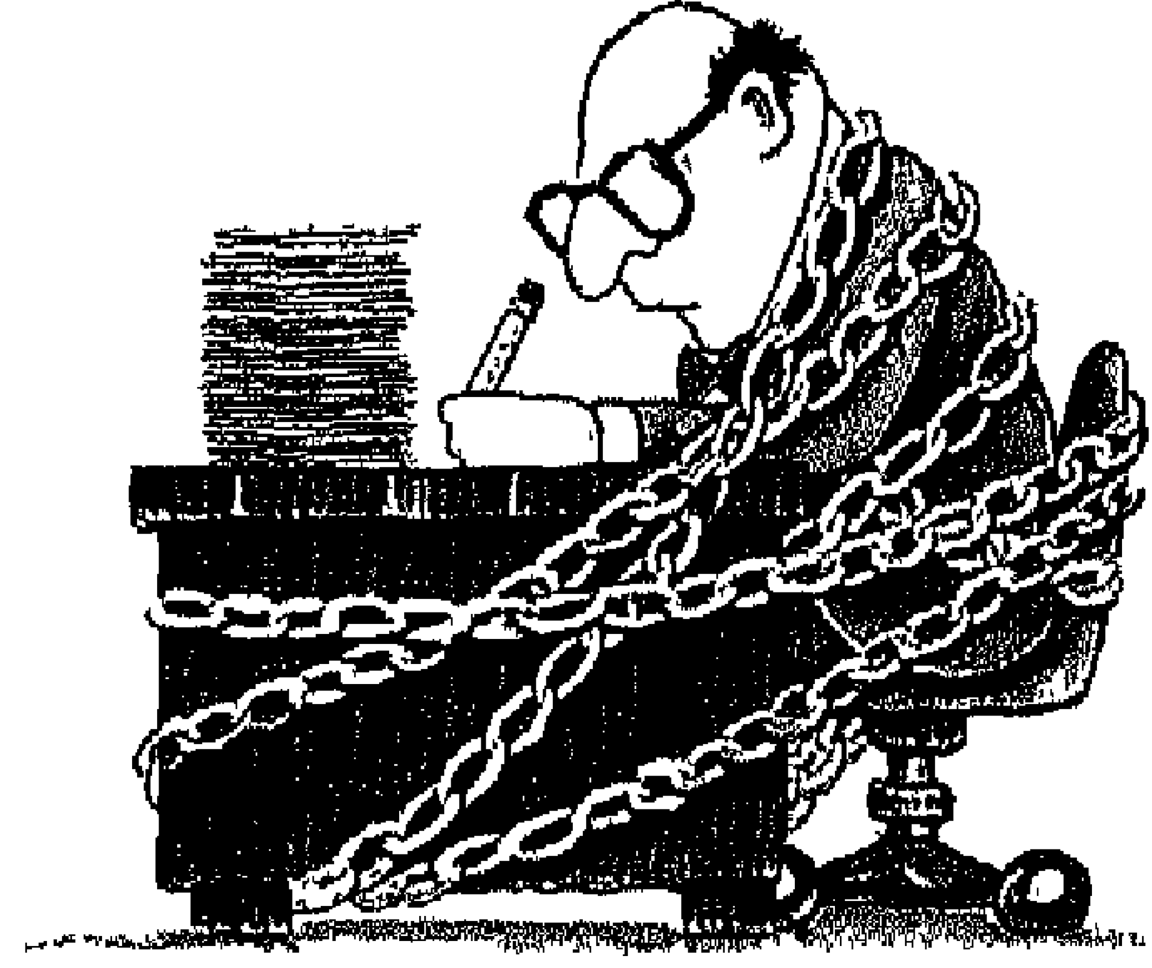
إ.س.، كاليفورنيا ■



قمصان الشباب

قرر أحد النوادي طبع شعاره على قمصان بيضاء. وأُرسل عضوان الى مخزن للثياب لشراء ستين قميصاً. وهناك راحا ينزلان القمصان عن الرفوف ويكدسانها على منضدة أمين الصندوق. فبادرهما هذا مشدوهاً: "أؤكد لكما انه يمكن غسل هذه القمصان!"

س.ز.



حديقة أفكار

□ ان معظم الأصوات في العالم، بما فيها أصوات المدينة وأصوات الريف لا تثير من الإهتمام ما يثيره قرع على الباب.

تشارلز لام، كاتب وناقد بريطاني

□ الفيلسوف الذي قال ان العمل المتقن لا يحتاج الى مراجعة لم يسبق له أن جز العشب في الحديقة.

راي ايفرسن

□ الواجب شأن شخصي. وتحسسه هو ادراك المرء وجوب قيامه بالعمل، لا حض الآخرين عليه.

الام تيريزا، حائزة جائزة نوبل للسلام

□ لا يمكنك استعمال الملح حين يكون السكر هو المطلوب.

مثل قديم

□ ليست الحرية سوى فرصة للمرء كي يصبح أفضل حالا.

البير كامو، كاتب مسرحي فرنسي (جزائري المولد)

□ الالفة العميقة قد تولّد الحب.

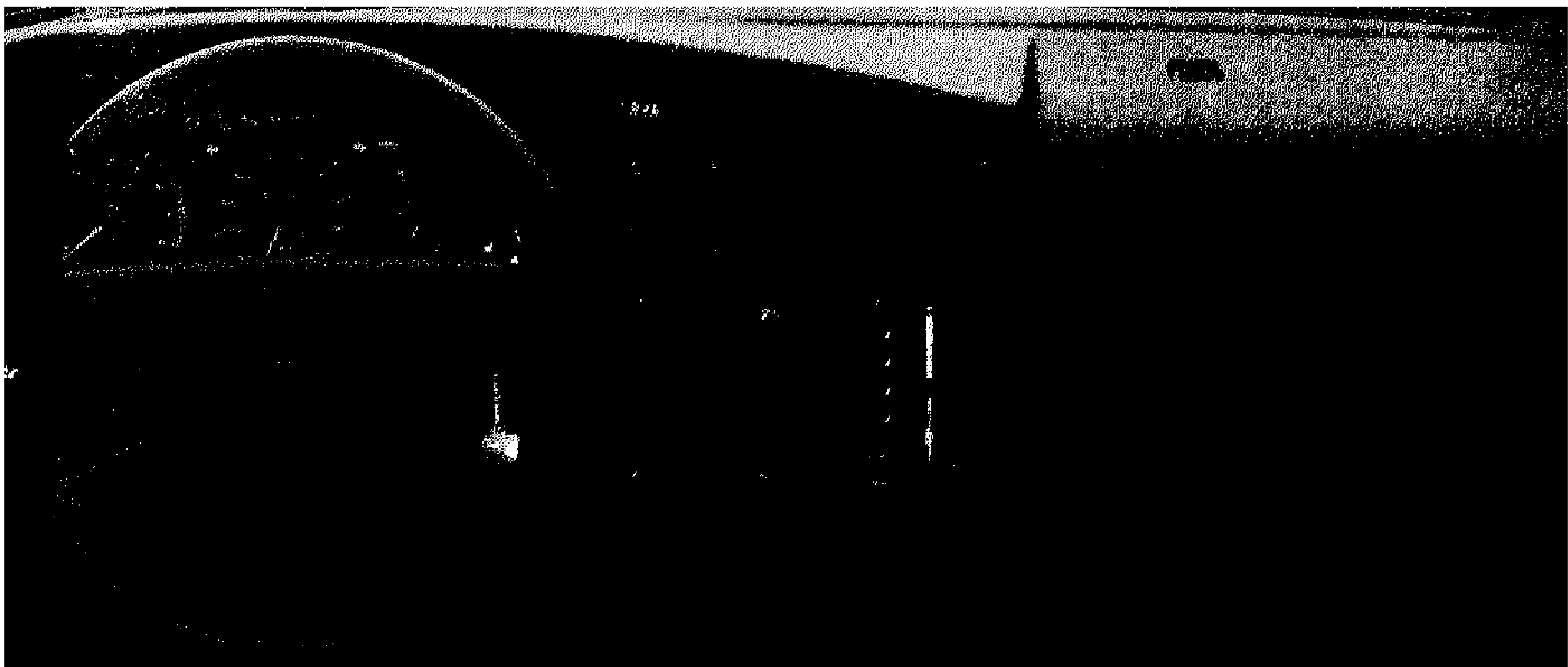
ج.ب.

□ معظم الناس يريدون الخلاص من الاغراء، ولكن ليس الى الابد.

روبرت اوربن

□ من السخف القول إن زيادة الرفاه تعني زيادة السعادة. فالسعادة تأتي من القدرة على الاحساس بعمق والتمتع ببساطة والشعور بأن العالم لا يزال في حاجة اليك.

ستورم جيمسون



انت في الداخل



والاسد في الخارج
ستبقى دائماً في الطليعة

بيجو ٥٠٥ جي تي آي : إجلس داخل هذه السيارة الفاخرة وثيرة وأعلم أنك داخل سيارة في طليعة المنافسين.. سيارة تميزك عن الجميع .

وعندما تبدأ بالقيادة تدرك أننا لم نبخل في تحسينات .. أنظر إلى لوحة أجهزة القياس: لمس أجهزة التحكم وأشعر بقوة المحرك حاخ وهو يدفعك إلى الامام .

وجرب الأداء الممتاز واستمتع بالقيادة، وتحسس الخطوط الأنيقة تشق الهواء.. عدل مكيف الهواء وأدر الموسيقى وأطرب لهذه التجربة الفريدة الفائقة في قيادة السيارات .

سيارة بيجو ٥٠٥ جي تي آي .. سيارة تجلب قيادتها متعة عظيمة .. سيارة تفخر بإقتنائها .. انها ليست سوى سيارة بيجو .



PEUGEOT
بيجو
وثبة الجودة

المختار
من ريدرز دايجست
نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ السنة الثامنة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

الكوكايين يقع في الفخ

في مدينة صغيرة، تشبه اي مدينة اخرى في عالمنا، استطاع شرطيان شجاعان كشف واحدة من اخطر شبكات تهريب المخدرات

أدرك الفتى البورتوريكي الناحل أنه في سبيله الى كشف أمر ما. لربما توقف الشرطيان عن مضايقته في بيع بضع من سجائر الماريوانا أو شرائها. قال ذات ليلة صيف عام ١٩٨٣ وهو يندفع إلى المقعد الخلفي في سيارة الشيفروليه: "اسمعا، لقد عرض علي شخص كولومبي غراماً من الكوكايين في شارع واشنطن. ووعدته بأن القاه بعد دقائق، لذا فأنا في حاجة إلى مئة دولار."

"ولم فعلت ذلك؟" قالها مايك وايت مهمهماً باستنكار. ومايك هو أحد رجال التحري الملحقين بشرطة بلدة سنترال فالز في ولاية رود آيلند.

وقاطعه الملازم رودي ليغنزا: "لا ينبغي أن تعد ترتيبات من دون ابلاغنا اولاً."

قال الفتى: "الرجل ينتظر."

حدق مايك ورودي واحدهما الى الآخر. كيف سيخبران هذا الجانح الحدث أن ليس في وسعهما أن يدفعا سوى ١٢ دولاراً إضافياً؟ والواقع انهما باشرا استقصاءهما في الشوارع وفي حوزتهما ٢٠٠ دولار هي كل ما استطاعا كسبه

بتملق رئيسهما جايمس كاليفان.

عمد رودي على مضض إلى نسخ الأرقام المتسلسلة عن بعض الاوراق النقدية من ماله الخاص. لا ريب في أن الرئيس سيتفهم ذلك.

وصباح اليوم التالي ألقى مايك نظرة عجلى من مكتبه في المركز الرئيسي لدائرة الشرطة. وبادره رودي: "سأهبط إلى الأسفل لأقابل الرئيس في شأن المئة دولار التي دفعتها."

مايك في الثانية والثلاثين، وهو أصغر من رودي بخمس سنوات. وقد أمضى في الشرطة نصف الأعوام الأربعة عشر التي قضاها رودي. وهو التحق خارج دوام العمل بدروس تنظمها الادارة الامريكية لمكافحة المخدرات في بروفيدانس عاصمة رود آيلند.

قدّر مايك أن الدولارات المئة غير ذات بال، وأن التخلي عن ذلك المال قرار على المرء أن يتخذه حين تسنح الفرصة. وعلى رغم ذلك شعر أنه ورفيقه قد يكونان في وضع محفوف بالخطر.

لم يدم اللقاء مع الرئيس أكثر من عشر دقائق. وخرج منه رودي ضاحكاً غاضباً. قال: "لم أسترجع مالي."

سيارات وعملات – ثمة وضع غريب. لم يكن أحد يعرف المدينة مثل مايك ورودي. ولم تكن لأحد الاتصالات التي لديهما. وهاهما في أصغر مدينة بأصغر ولاية أمريكية يجمعان المعلومات عن تجارة المخدرات، وكل ما عرفاه خيال من دون ريب. من الذي سيصدقهما؟

ونادى صوت عبر الهاتف: "رودي، أنا رالف موت. لقد أسديت الي معروفاً قبل بضع سنوات، لعلي أستطيع مكافأتك. هل يمكنك أن تلقاني أمام المتجر ٣٤ غدا؟"

وتذكر رودي رالف موت المتسكع، فقبل خمس سنوات أسقط تهمة موجهة إليه. وسأله رودي صباح اليوم التالي: "ماذا لديك؟" وبدا موت مدفوعاً إلى أقصى حدود الاحتمال: "بعض الأشخاص في البيت المجاور، وهم كولومبيون، أحدثوا جلبة فلم استطع النوم. لذا راقبتهم من النافذة. كانوا ينزعون أطر أبواب سيارة. وشاهدتهم ينقلون رزماً من مادة بيضاء في طرود يبلغ عرض الواحد منها ١٥ سنتيمتراً وطوله ٣٠ سنتيمتراً. وكنت شاهدت على التلفزيون طريقة إخفاء الكوكايين في أطر أبواب السيارات."

هذا الحديث عن الكوكايين والكولومبيين أقلق رودي ومايك. لقد بدأا يلاحظان سيارات غريبة فخمة بلوحات مرقمة من خارج الولاية.

ولم تكن ثمة مطاعم فاخرة في سنترال فالز أو مغريات تجذب السياح. لذا ألقم مايك ورودي أرقام اللوحات في الدماغ الالكتروني، فتبين أن بعض مالكي السيارات من أصحاب السوابق الذين قبض عليهم بتهمة ترويج الكوكايين.

قال رودي: "لقد تلقيت مكالمة هاتفية من صديق لي يعمل في أحد المصارف. وهو أخبرني أن أشخاصاً يجلبون معهم فئات صغيرة من أوراق النقد ويأخذون في مقابلها فئات كبيرة. وأضاف أنهم يتداولون عدداً كبيراً من الحوالات البريدية لا تبلغ الحد الأقصى وهو عشرة

آلاف دولار. لذلك لا يتم الابلاغ عنها كما هو متوجب قانوناً. وجميع هذه الأموال، بحسب قول صديقي، تنتهي إلى ثلاثة أشخاص لهم رقم الحساب المصرفي نفسه في ميامي بفلوريدا."

وسأل مايك: "هل هم كولومبيون؟"

وجاء الرد: "حتماً."



الملازم رودي ليفنزا (الى اليسار) والتحري مايك وايت.

الرواية المفتاح - تم تأهيل الكولومبيين الأول في سنترال فالز في بداية السبعينات للعمل في مصانع النسيج. وحالما بدأت الهجرة أضحت سنترال فالز موطىء قدم ثقافياً للكولومبيين. ثم انقلبت موجات الهجرة إلى الشمال طوفاناً. ويعتقد رودي ومايك أن الطوفان أتى بمقادير وافرة من الكوكايين أيضاً.

وسأل مايك: "كيف ينبغي ان نصل إلى شخص يتاجر بكميات كبيرة؟"

فأجاب رودي: "نحن نحتاج إلى معونة."

وأشار مايك إلى الادارة الحكومية لمكافحة المخدرات. فرد رودي: "أجل، لكننا نحتاج إلى أكثر من ذلك. يتوجب أن يكون في حوزتنا شيء محدد، والا اعتبرونا مجنونين."

كان فريق المناوبة لفترة ما بين منتصف الليل والثامنة صباحاً يغادر غرفة المناداة حين دلف مايك بخطى واسعة، طالباً إلقاء بضع كلمات: "أحسب أنا ورودي أن ثمة صفقات كوكايين مهمة تعقد هنا في سنترال فالز. وأعلم أن من الصعب تصديق ذلك."

وأخذ مايك يستقرىء تعابير الوجوه من حوله ثم أضاف: "لكن نريد أن نبقي عيونكم وآذانكم مفتوحة. احذروا السيارات الآتية من خارج الولاية. اننا نتحدث عن أشخاص ينقلون مخدرات بمئات ألوف الدولارات ولربما كانوا مسلحين."

وغمغم أحدهم: "لا شك في أنكما تفرطان في مشاهدة التلفزيون." وضجت الغرفة بالضحك.

كان مايك يؤدي مهمته ليلة السبت في ملهى "سبورتسمان" محور حياة الليل لدى الكولومبيين حين اندلع الشجار خارجاً.

أبعد مايك وزميله بين رجلين وقيداهما بالأغلال. وأذاع مايك نداء لاسلكيّاً طالبا سيارة شرطة، وفي غضون دقائق نقل الرجلان من المكان. وعادت حشود الناس

إلى داخل الملهى فيما اقترب من مايك كولومبي يعرفه قال له: "أحد اللذين قبضت عليهما الآن تاجر كبير، وهو يتسلم شحنات أسبوعية من ميامي."

رواية الرجل مألوفة، لكن من يرويها ليس حدثاً أو جانحاً. وأثار الأمر حماسة مايك. لعل سنواته التي أمضاها خارج ملهى سبورتسمان تؤتي ثمارها أخيراً.

وجاءت المعلومات موافقة. فقد عثر في حوزة أحد الكولومبيين اللذين قبض عليهما تلك الليلة على غرام من الكوكايين. ونسبة النقاوة في الكوكايين المتوافر في الشارع تراوح عادة بين ١٠ و٣٠ في المئة، لكن نقاوة هذا النوع، حسبما أظهرت الاختبارات، بلغت قرابة ٩٨ في المئة.

رجل الثلج – بقي مايك ورودي ساهرين طوال تلك الليلة من نوفمبر (تشرين الثاني) في مراقبة أخرى عقيمة. وفيما هما في سبيلهما لتناول الفطور صباحاً مر بهما والتر ألفاريز بسيارته في وجهة معاكسة.

من الصعب ألا يلاحظا والتر. فهما استقيا المعلومات عن تجار الكوكايين المشبوهين بصعوبة عبر الكلمات المهموسة والاثبات البطيء. وبقيت أسماء مهمة تتوالى: كارلوس آرويف زوج السيدة المرحة في لنكولن، وروبرتو تاباريز رجل الأعمال الفارغ ذو البطن المنتفخ في باوتكت. لكن لا ضرورة لأن يخبرهما أحد عن والتر. كان مايك ورودي يعلمان أن المتاجرين الكولومبيين لا يخشون شرطة سنترال فالز. غير أن والتر تخطى ذلك. ومنذ عهد قريب أخذ يطلق على نفسه لقب "رجل الثلج". وهو يقود سيارة سبور بيضاء ويرتدي بذلات بيضاء وقمصاناً وأحذية بيضاً.

وذات ليلة من أغسطس (آب) ١٩٨٤ شق مايك طريقه وسط جلبة ملهى سبورتسمان ودخانه ليبلغ الحمام. وجذب باباً خفياً فانفتح وألقى نفسه وجهاً لوجه مع ألفاريز.

وصمت الرجلان اللذان كانا مع ألفاريز ليريا ماذا سيحدث ثم لاذا بالفرار. كان رجل الثلج يقبض بيده اليمنى على مقدار ضئيل من المسحوق الأبيض.

لم ينو مايك أن يقبض على والتر من أجل نصف غرام فقط. لذا تردد وفي تقديره أن الرجل سيقذف بالكوكايين في المرحاض، فيصبح في وسع مايك أن يبدي عناداً ويصيح: "اذا أمسكت بك متلبساً مرة أخرى، فسأرميك في السجن."

لكن رجل الثلج وقف هناك فاغراً فمه. ولما كان في الغرفة أشخاص يتفرجون، فقد تعين على مايك أن يعتقله.

حينما جلس مايك ورودي إلى طاولتهما دخل والتر الذي أطلق بكفالة وطلب فنجان قهوة. وقال مايك: "لقد عاد كي يعلمنا أنه لا يبالي بمراقبتنا."

وخرج والتر متبختراً وهو يقول: "تحياتي!"

وثمة أمر جديد: والتر صبغ شاربيه باللون الأبيض.

أكبر من التوقعات – سألت المرأة الاسبانية عن مايك وايت هاتفياً ورفضت

أن تبوح باسمها. قالت: "أود أن أتحدث، ولكن من دون أن يرانا أحد." وتواعدا على اللقاء في موقف سيارات تابع لأحد فنادق بروفيدانس ويبعد خمس عشرة دقيقة بالسيارة.

المرأة في العشرين من عمرها، أنيقة الملبس. وحين جلست في المقعد الخلفي قاد رودي السيارة نحو الطريق العام ودخل ولاية مساتشوستس.

تكلمت المرأة بعزم هادىء وهي تصف رجلا يتاجر بكميات كبيرة من الكوكايين مصدرها كولومبيا عبر ميامي ومنها إلى سنترال فالز، في تسليم منتظم بالسيارة. وذكرت أن لديها أسباباً شخصية لاعتقال الرجل. وهو نفسه زود المتاجرين الكبار في نيويورك وبوسطن وبروفيدانس وأرجاء نيوانغلند.

وسألها مايك: "ما مقدار الكميات الكبيرة؟"

فأجابت: "أحد الزبائن في بوسطن يتلقى عشرين كيلوغراماً في الشهر، ولدى الرجل زبائن عدة على شاكلته."

تبادل مايك ورودي النظرات: "انها كمية كبيرة حقاً."

ورسمت المرأة المخطط: الاسماء والتواريخ والعناوين والكميات. وأصرت: "ينبغي أن تدركا أنهم اذا علموا بلجوئي إليكما فسيقتلونني. سأتوارى الآن، كذلك عائلتي في أمريكا وكولومبيا. انهم يحفظون لوائح بأسماء الأقارب وحتى الاطفال."

وطمأنها مايك ورودي. ولكن اذا صح ذلك كله، فتجارة الكوكايين في سنترال فالز أكبر من توقعاتهما.

تعاون مثمر — مايك ورودي قلقان، فقد جلس إلى مكتب رودي رجل يرشف القهوة هو دان ماكارثي رئيس ادارة مكافحة المخدرات في بروفيدانس.

لم يدر مايك ورودي ما سيحدث. هل سيبدي ماكارثي اهتماماً بما يعرفان؟ أم لعله حصل على هذه المعلومات قبلا، فيبدوان عندئذ أحمقين، مجرد شرطيين محليين يتعثران حيث لا شأن لهما.

أخبر مايك قصة الفتى البورتوريكي وروى حديث رودي مع رالف موت، وعن الرجل في سبورتسمان ونتائج فحوص المختبر. وحكى عن صديق رودي في المصرف، عن رجل الثلج وكارلوس آرويف وروبرتو تاباريس. وختم باللقاء الذي جرى مع المرأة.

كان وجه ماكارثي الايرلندي ينم عن دخيلته: "ما أخبرتماني اياه ليس صحيحاً فحسب، بل هناك المزيد."

كل ليلة تقريباً طوال الشهرين التاليين ساعد مايك ورودي عملاء ادارة المكافحة. وعلما في اللقاء الاول مع ماكارثي أن للادارة عملاء في سنترال فالز. كانت الحكومة تتلمس طريقها في الموضوع. لقد عاين ماكارثي أشهراً من أعمال التجسس تذهب سدى. لكن مايك ورودي يمكنهما أن يرشدا هؤلاء العملاء. فاذا كان هو يعرف وجهاً، فلديهما للوجه اسم أو عنوان أو اتصال أو نسيب. لقد أحرزوا تقدماً بالعمل معاً.

تسليم البضاعة — في ١٦ ابريل (نيسان) ١٩٨٤، قبل يوم الاعتقال الكبير، كانت مهمة عميلة ادارة

المكافحة، بيغ كافولا، أن تتصل بالكولومبيين اللذين كانت تشتري منهما "البضاعة" طوال الأشهر الستة الفائتة. ولمحت كارلوس آرويف أولا، أعطاها كيلوغراماً من الكوكايين وقال ان في وسعها أن تدفع له ٣٠ ألف دولار في اليوم التالي حين يلتقيان لتناول الغداء. ثم اتصلت بروبرتو تاباريس لتنظيم صفقة كبيرة أخرى.

كان الظلام لا يزال مخيماً صبيحة اليوم التالي حين عرج رودي على مايك وأقله معه في السيارة. وذهبا إلى بروفيدانس لحضور اجتماع يعقد في المركز الرئيسي لادارة المكافحة مع مديري الشرطة ومكتب التحقيق الاتحادي «FBI» وعملاء دوائر الهجرة ورجال شرطة من مدن مجاورة. وشرح ماكارثي أن لديهم ١٦ طريدة، بينها عشر من المصنفين "درجة أولى". وكان آرويف وتاباريس في رأس القائمة.

والتاجر المصنف أول، بحسب اصطلاحات إدارة المكافحة، هو الذي يتاجر بأربعة كيلوغرامات شهرياً على الاقل من الكوكايين النقي ولديه خمسة أشخاص في امرته. وكان في الامكان تعداد ٤٠ تاجراً على الأقل من هؤلاء في سنترال فالز، وهو رقم لافت في منطقة صغيرة كهذه. ومعظم هؤلاء التجار مسلحون وخطرون.

وكان رودي من المرافقين في عملية اعتقال تاباريس. انتظر هو وزميل له في ادارة المكافحة في سيارة عند موقف أحد المتاجر الاستهلاكية في باوتكت، وراقبا المكان فيما كان تاباريس في الوقت المحدد، العاشرة صباحاً، يوقف سيارته إلى جانب سيارة كافولا.

وسألت بيغ: "البضاعة معك؟"

أجاب تاباريس: "أجل."

– ألديك كمية أخرى يا روبرتو، أنا في حاجة ماسة الى ضعفي هذه.

كل ذلك أعد سلفاً. كانت ادارة المكافحة غير واثقة من المكان الذي يخبىء فيه تاباريس المخدرات وكان هناك عملاء في الجوار يراقبون أين يذهب وجلس مايك في سيارة خارج منزل تاباريس.

الاعتقال – تلقف تاباريس الطعم وابتعد بسيارته ثم عاد بعد دقائق ومعه امرأة.

تركت بيغ سيارتها ومشت نحو تاباريس. وأومأ الرجل بعصبية إلى علبة ملفوفة بورق هدايا، وبالقرب منها كيس ورق بني اللون حسبته بيغ الرزمة الثانية.

قالت: "لحظة من فضلك." ثم سارت عائدة الى صندوق سيارتها لتحضر المال. وكان رفع غطاء الصندوق اشارة الى المرافق كي يتدخل.

مشت بيغ بخطى سريعة نحو تاباريس وبدأت تسلمه المال. ولكن في تلك اللحظة لمح الرجل السيارات، فضغط بقدمه دواسة الوقود. وأخرجت بيغ مسدسها وصرخت: "ارفع يديك! الشرطة!" ورفع تاباريس يديه عالياً. أما المرأة التي بصحبته فترددت وتسللت احدى يديها إلى ظهرها.

وصاحت بيغ: "ارفعي يديك والا قضي عليك." ورفعت المرأة يديها. وحين هرع

رودي والآخرون وجدوا مسدساً مخفياً وراء ظهرها.

كانت هذه اللحظة الاصعب بالنسبة الى مايك ورودي ذلك اليوم، والبقية عمل رتيب: عشر طرائد، عشرة اعتقالات، استسلم آرويف وفي حوزته حفنة من الكوكايين. وأدت استقصاءات أخرى إلى العثور على خمسة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام من الكوكايين وأكثر من ١٠٠ ألف دولار نقداً.

سنتات ناقصة – سلمت الاموال إلى مايك ورودي، فهما أنجزا حتى الآن ١٥٠ اعتقالا لأشخاص يتاجرون بالكوكايين، وفقاً لسجلات الشرطة في سنترال فالز. أربعون منهم تجار كبار و٣٤ مدانون وخمسة فارون خارج البلاد وأكثر من ١٠٠ قضية لا تزال عالقة.

ان تحقيقاتهما التي انطلقت بمئتي دولار أدت في النتيجة إلى القضاء على أحد أكبر مراكز تجارة الكوكايين في شمال شرق الولايات المتحدة. كان هذا المركز يتاجر بما ينوف على ١٠٠ كيلوغرام من الكوكايين الكولومبي الصافي. وتبين ان بلدتهما الصغيرة تتعامل بمئة مليون دولار سنوياً.

وما برح مايك يذكر المال منذ تاريخ الاعتقال الكبير. فقد كان في غرفة نوم تاباريس حين لمح رزمة سميكة مغلفة برقاقة من الألومنيوم. وظنها كيلوغراماً من الكوكايين، لكنها كانت ٤٧ ألف دولار نقداً.

انه يتذكر الرقم ٤٧ جيداً. ففي وقت لاحق بعدما لف هو ورودي الرزمة، دعوا عملاء ادارة المكافحة إلى احدى الحانات في الشارع. وخطا مايك نحو المشرب وطلب قهوة للجميع، ثم أخرج محفظته ليدفع. كان ينقصه ٤٧ سنتاً.

غُرِّم كارلوس آرويف ١٠ آلاف دولار، وهو يقضي حكماً بالسجن مدة خمس سنوات. ويقضي روبرتو تاباريس حكماً بتسع سنوات.

كما دين والتر ألفاريز "رجل الثلج" بالسجن مدة تسعة أشهر. وفيما هو قيد الحجز دين بجريمة سابقة وحكم عليه بالسجن عشرين سنة.

أما مايك وايت ورودي ليفنزا فما زالا يجوبان شوارع سنترال فالز بالتعاون مع ادارة المكافحة ومكتب المباحث الاتحادي والشرطة الملكية الكندية والشرطة الدولية (الانتربول).

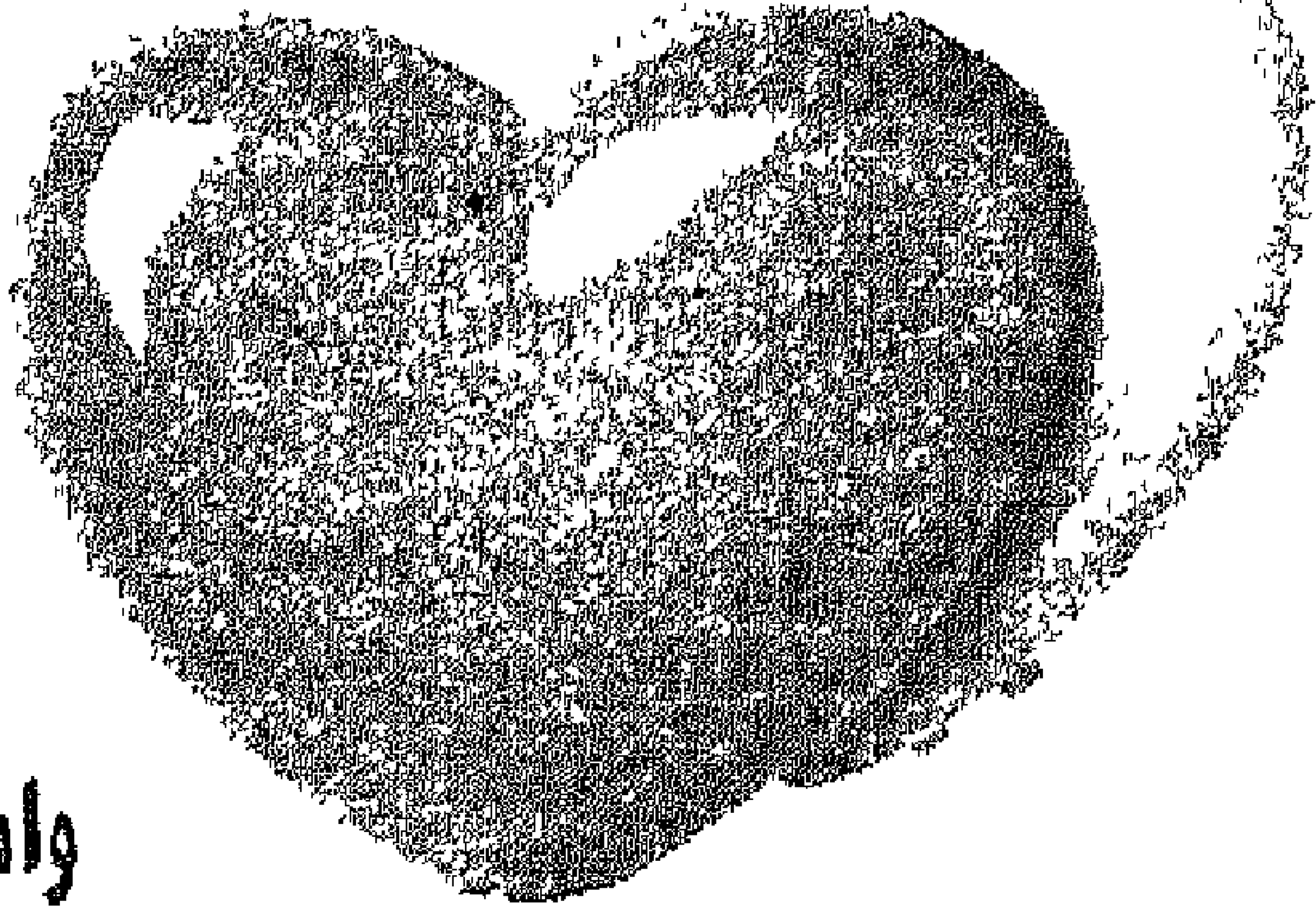
مارك باودن ■



الكلمة الاخيرة... بطارية

واجه بائع الساعات الأثرية صعوبة في التفاهم مع زبون مزعج أبى إلا أن يساوم على سعر تحفة رائعة. وبعد ساعات من الأخذ والرد اتفقا على السعر. وعلى رغم شعور البائع بالارهاق والخيبة فانه أصر على أن تكون له الكلمة الاخيرة. واذ غادر الزبون المتجر ناداه البائع: لا تنسَ ان تبدل البطارية مرة كل سنة!"

ج.س.



يقدمها فريق
الابحاث الجنسية
الاشهر في الولايات المتحدة،
استنادا الى عشرات الدراسات
واستطلاعات الرأي

١٠ نصائح تُغني حياتكم الجنسيّة

يعاني عدد كبير من الازواج مشاكل جنسية جمة تراوح بين اللامبالاة والاختلال الكامل. ومع ذلك فكثير منهم يستسلمون لاوضاعهم ويسمحون لمشاكلهم بان تتفاقم وتغرقهم في دوامة من الاحباط والقلق. وربما كان البعض منهم في حاجة فعلية الى مساعدة اختصاصيين، لكن عملنا كباحثين في مشاكل الجنس ومعالجتها يجعلنا على ثقة بان في وسع معظم الازواج ان يحسنوا اوضاعهم الجنسية بمفردهم ومن دون مساعدة من احد.

وفي ما يأتي بعض النصائح التي من شأنها ان تحسن الحياة الجنسية. وهي مستمدة من خبرتنا كمستشارين لالوف الرجال والنساء.

١ . تذكر ان الجنس الموفق يبدأ وانت مرتد ثيابك.

تبقى التجربة الجنسية مجتزأة وبعيدة عن نسيج الحياة ككل ما دمت تنظر اليها وكأنها حقل منفصل من حقول النشاط، كجولة كرة مضرب مثلا. وتتوقف الرغبة الجنسية على مجرى الامور في الساعات او حتى الايام التي تسبق الجماع، وهي لا تتطلب بالضرورة تعمد سماع الموسيقى الرومنطيقية او العشاء على ضوء الشموع، وان يكن لا ضير في ذلك. فهي يمكن، بل يجب، ان تكون جزءا من تقارب غير جنسي متواصل.

حاول ان تتحين الفرص التي تجمعك بالشريك بدل ان تدع الاولاد والعمل والهوايات والمناسبات الاجتماعية تحرمك تلك اللحظات الحميمة. دع عواطفك. ورغباتك تملي عليك ما تفعله.

الاهتمام الكبير الذي تغدقه على الشريك في فترة الخطبة له علاقة اكيدة بالعواطف المشبوبة التي تشعر بها في ذلك الوقت. وحالما تنتهي هذه الفترة يقع معظمنا في رتابة بعيدة كل البعد عن الرومنطيقية وتخبو فيه الرغبة. احدى الطرق لابقاء المشاعر متقدة على مرّ الزمن هي التعبير عن الحب بالعناق او اللمس او تشابك الايدي. كما يمكن إبقاء الشعور الرومنطيقي حيا بأساليب عتيقة تعكس اهتماما بالشريك، مثل نظم قصيدة حب لمناسبة عيد مولد او عيد زواج، او إرسال باقة زهر من دون مناسبة، **أو إجراء مخابرة هاتفية سريعة يقول فيها الواحد للآخر: "فقط أردتك أن تعلم كم انا مجنون بحبّك."**

٢ . عليك ان تتحمّل مسؤولية متعتك الجنسية.

أنت، لا سواك، مسؤول عن إثارة شهوتك الجنسية. وفيما يسهل على الذكور تقبّل هذا الامر، نجد ان الإناث ينزلقن غالبا الى تقبّل الدور السلبي الذي يمليه عليهن المجتمع، ويتوقعن من الشريك ان يكون هو "الخبير" في شؤون الجنس ممّا يحللهن من اي مسؤولية سوى مسؤولية الاستجابة الفورية. ومفهوم للجنس كهذا، قائم على الاعتقاد أن فرداً يفعل شيئا لآخر او من اجل آخر، ربما أدى الى مشاكل.

عندما تتحمل بنفسك مسؤولية رغباتك الجنسية، فإنك في الواقع تقدّم مجاملة هائلة الى الشريك وكأنك تقول له: "انني احبّك الى حد يجعلني أريد أن أجنبك عناء ان تحزر ماذا أريد وما الذي يسعدني." ومعنى ذلك أنه يتوجب عليك:

٣ . التعبير عن مشاعرك وحاجاتك بوضوح وفاعلية.

لطالما أدهشنا تحفّظ معظم الازواج في الكلام حول موضوع الجنس حتى مع الشريك، خوفاً من أن يقلّل ذلك من عفويته. وهم بهذا يفسدون متعتهم، فالواحد منهم يجهل تماما ماذا يريد الشريك أو ماذا يحبّ. وهذا الوضع قابل للاصلاح بسهولة بكلمات قليلة أو بأفعال دالّة تأتي في الوقت المناسب.

عندما يجري الحديث عن الجنس من دون أن يبدو انتقادياً، فإنه يساعد على إشاعة جو من التفهّم والتفاهم يراوح بين معرفة طريقة التعامل مع درجات متفاوتة

من الرغبة واعتماد إشارات يُستدل منها الى ما يعتبره الشريك ممتعاً أو غير ممتع. والتحدث عن الجنس ليس شيئاً تمارسه مرّة ثم تنقطع عنه. وككل أشكال الاتصال الحميم فإن الحوار المستمر يعززه، لانه يتيح للأزواج أن يعرفوا المزيد بعضهم عن بعض.

٤ . لا تدع الجنس يتحوّل أمراً رتيباً .

الضجر من أهم ما يهدّد المتعة الجنسية على المدى الطويل. ولكن بقليل من الابداع يمكنك أن تحمي الجنس من الملل.

ولتجنب الرتابة حاول أن تتخلى عن عاداتك المألوفة وتمارس الحب في مكان وزمان مختلفين. تذوّق الجنس خارج غرفة نومك، وان ترتب على ذلك الانتقال الى أحد الفنادق لليلة واحدة أو ارسال أولادك ليمضوا ليلتهم في بيت جديهم لكي يتسنى لك أن تستمتع بممارسة الحب أمام المدفأة في غرفة الجلوس.

٥ . دع خيالك يفتح أمامك سبلاً جديدة للمتعة .

أحلام اليقظة من أفضل المنبهات الجنسية. إستعن بخيالك لاغناء حياتك الجنسية، فهو يضفي عليها إثارة وتنوعاً. اجعل الخيال جزءاً من أسلوبك في ممارسة الجنس. دعه ينقلك الى عالم أشدّ إثارة واكثر متعة.

إذا كانت تستهويك المرأة المشبوبة العاطفة والمتقدة الحواس، فهي موجودة في خيالك فدعه يستحضرها. وإذا تاقت المرأة الى ممارسة الجنس مع بطل فهو تحت أمرها. وإبدال الشريك بآخر في الخيال أمر شائع. ولقد أظهرت احدى الدراسات الحديثة أن ٧١ في المئة من الرجال و٧٢ في المئة من النساء يطلقون لمخيلاتهم العنان ليبلغوا درجات قصوى من الإثارة. واللجوء الى الخيال ليس دليلا على وجود خلل في الصحة النفسية للفرد أو في شخصيته، بل ان معظم الذين تراودهم مثل تلك التخيلات لا يطبّقونها في حياتهم اليومية ولا يشعرون بالرغبة او حتى بالحاجة الى تطبيقها.

لكن حذار. فإن أنت أطلعت الشريك على أحلامك السرّية تلك فربما وضعت قيم الإثارة لديه أمام الامتحان العسير.

٦ . لا تحمل الغضب معك الى غرفة النوم .

عدد مذهل من الازواج يتجاهلون هذا التحذير البديهي مما يؤدي الى تحول الجنس صراع قوة. وهذا ليس معناه أنه لا يجوز استخدام الجنس لانهاء سوء تفاهم، فأعذب لحظات الاثارة تأتي أحياناً عندما تندفع الى معانقة الشريك عربون صلح بعد شجار. والذين يحاولون تصفية حساباتهم العالقة بالامتناع عن ممارسة الجنس مع الشريك او بالمطالبة به، فإنهم وإن شعروا آنياً بحلاوة الانتقام يسعون الى المشاكل.

أفضل الطرق للتعامل مع الغضب هي ادراك السبب ومناقشة الامر مع الشريك قبل استفحال المشكلة. ومن المهم أن تعلم أن الشعور بالغضب إزاء الشريك ليس معناه أن العلاقة بينكما محكوم

عليها بالاخفاق. واذا لم يتبدد الغضب، فمن الافضل أن تسلم بوجوده و تتجنب الجنس موقتاً.

٧. لا تنتظر دائماً أن يصبح مزاجك رائقاً.

معقول أن تلبي حاجات الشريك، وان لم تكن في حال نفسية متقبلة. وسيدهشك أن تكتشف كيف يتبدل مزاجك وبأي سرعة ان أنت أتحت لنفسك المجال. وان لم تفعل فإنك تحرم نفسك التمتع بهذا الوجه من نشاطك الجنسي، وهو امكان إثارة شهوتك في وقت أنت فيه أقل توقعاً لذلك.

٨. لا تكن فائق الجدّية.

من الطبيعي أن تحاول معالجة الشعور بالقلق أو الاحباط الجنسي بالعمل الجدي للتغلب عليه. غير أن لذلك نتائج عكسية لانه يجعل الجنس هدفاً في ذاته ويفقده عنصر العفوية. ومن شأن ممارسة الجنس كضرب من ضروب اللهو والمغامرة، وليس كمهمة ذات أهداف محددة كإثارة الشريك أو بلوغ النشوة، أن تقلل من الشعور بالقلق حيال الاداء الجنسي ومن أهمية ما يشوبه من عيوب. وربما تحول القلق المستمر من عدم الكفاية الجنسية الى عدم كفاية فعلية أو قصور فعلي.

يغرينا الاعتقاد أن تحقيق الكفاية الجنسية المنشودة انما هو قضية أزرار سحرية نضغطها عند الحاجة. الا أن المنهمكين في الاسلوب سرعان ما يكتشفون أن الاشباع الجنسي يصبح أصعب منالا. ولا يعني هذا القول أنه يجب تجاهل المشاكل الجنسية، لكن تصرفنا كمشاهدين وعرض أدائنا الجنسي وتحليله وفق قائمة مواصفات نحملها في أذهاننا بعد كل خلوة جنسية، تزيد المشاكل بدل حلها.

عوض ذلك حاول ألا تضع لنفسك أهدافاً فورية، لان عدم اعتماد أهداف محددة من شأنه أن يخفف الضغط عليك ويزيد من احساسك بالمتعة.

٩. إذا استمرت المشاكل أطلب المساعدة.

معظم الناس يمرون في ظروف يكونون خلالها "معطلين" جنسياً. وهذا الامر يعود الى أسباب مختلفة منها ما هو جسدي كالارهاق والالتهاب والمرض الحاد، ومنها ما هو نفسي كالاجهاد والكآبة والمشاكل العائلية والعملية. وهذه الحال تزول عادة خلال أسابيع قليلة، وإذا استمرت من دون أن تظهر أي علامات تحسن فعليك باستشارة اختصاصي.

وعلى رغم أن الاختصاصي لا يوفر الشفاء الفوري فان ألوف الازواج أفادوا من خبراته وتحسنت حياتهم كثيراً. ومن المستحسن، اذا كان الامر يهمك، أن تسعى الى مراكز المعالجة الجنسية التابعة للجامعات أو كليات الطب أو المستشفيات. في وسعك كذلك أن تراجع طبيب العائلة.

استعلم عن ثقافة الاختصاصي وتدربه. وما لم يبد استعداداً لمناقشة هذا الامر فلا تستمر معه. عليك التحقق من أنه تلقى تدريباً متخصصاً بعلاج

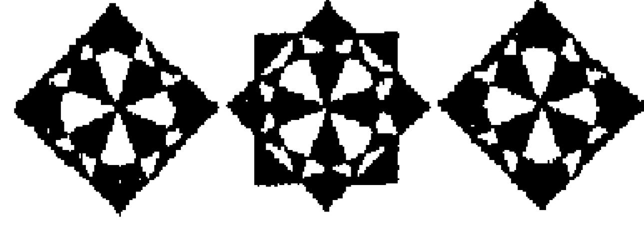
المشكلات الجنسية بعد نيله. شهادة جامعية. لا تقم صلات مع أشخاص يدعون أنهم قادرون على ضمان الشفاء لك أو أن العلاج يشمل علاقات خاصة معهم. وتجنب أولئك الذين لا يتحدثون بصراحة عن التكاليف وعن خططهم المعتمدة.

١٠. كن واقعياً.

اذا كنت تتوقع أن تبلغ أقصى درجات النشوة في كل جماع فأنت سائر الى الاخفاق وخيبات الامل. وما لم تقبل الواقع أن الجنس ليس دائماً ذلك التعانق الروحي العظيم الذي تصوره لنا افلام هوليوود، بل انه أحياناً يخلف فينا شعوراً بالهزال والارتباك والخيبة والالم، فـــانـــك ستبقى أسيـــر مقـــاييس غيـــر واقعية. تذكر دائماً أننا بشر ولسنا آلات.

فرجينيا جونسون
ووليم ماسترز وروبرت كولودني ■

الدكتور وليم ماسترز وفرجينيا جونسون صاحبا مؤلفات تعتبر فتحاً في مشاكل الجنس ومعالجتها. والدكتور روبرت كولودني هو المدير الطبي في معهد الطب السلوكي في نيو كنان بولاية كونتيكت.



الثعلب والكلاب

طُلب من الأعضاء في أحد النوادي أن يأتوا بكلابهم الذكور في رحلة لصيد الثعالب. لكن أحد الاعضاء القدامى كان يقتني كلبة لا يملك غيرها، ومن باب اللياقة سمح له باحضارها. وانطلق فريق الكلاب ولم يلبث ان غاب عن الانظار. وراح الصيادون المذهولون يبحثون عن كلابهم. وسألوا مزارعاً في حقل مجاور هل رأى كلاباً مرت من هناك والى أين توجهت. فأجاب المزارع: "لقد رأيتها لكنها المرة الاولى أرى ثعلباً يجري مع الكلاب في المرتبة الخامسة."

ل.و.

سائحة في اليونان

كانت امرأة تقود سيارتها في رحلة سياحية عبر أوروبا. وفي اليونان توقفت قرب أعمدة منهارة في موقع أثري لكي تلتقط لها صور تذكارية. وفجأة هتفت لمرافقيها: "لا تدعوا السيارة تظهر في الصورة، لئلا يظن زوجي انني أنا التي صدمت الاعمدة وأوقعتها."

هـ.ف.

إن الدليل الاول للنضج هو ان تعرف أن مفتاح الصوت في الراديو يدور الى اليسار أيضاً.

سميل زنجرز

الفكاهة خير دواء

المحامي والفضولية

توفي احد كبار الاثرياء، ورغب جميع سكان المدينة في معرفة مقدار الثروة التي تركها ولمن تكون. ودفع الفضول احدى النساء الى أن تسأل المحامي الذي أوكل اليه تنفيذ الوصية: "انك عرفت المرحوم أكثر من أي منا. فهلّا أطلعتني على مقدار الثروة التي خلّفها؟"

فأجابها المحامي: "لقد خلّفها كلها يا سيدتي. كلها. لم يأخذ معه شيئاً منها."

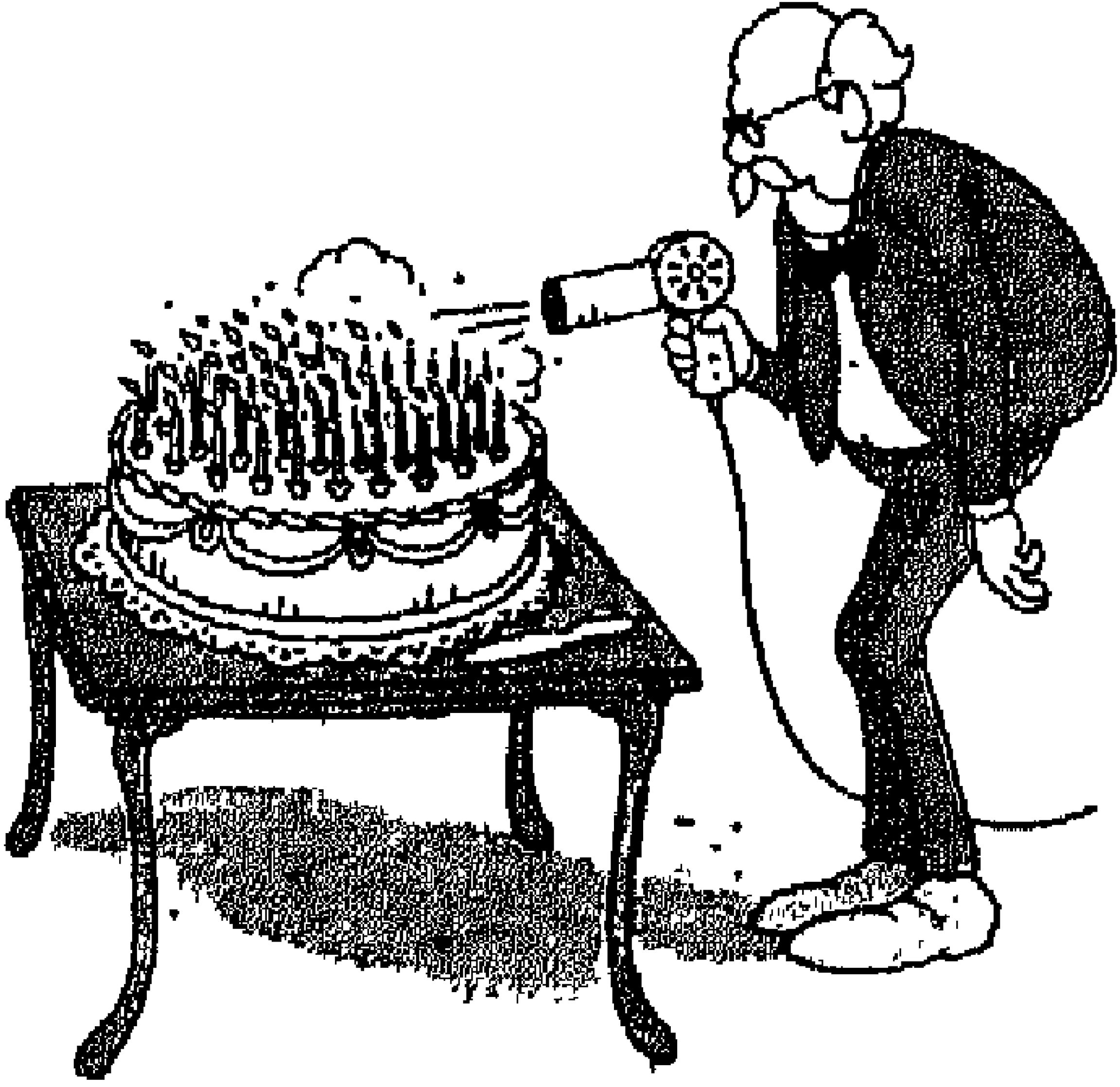
ذ.ر.

الأولاد في اليابان

يعمل زوجي في اليابان. وقد حفلت اسابيعنا القليلة الأولى في تلك البلاد بالتكيف مع الحضارة والعادات الجديدة. وتعجبنا كم هم ودودون الأولاد في اليابان. فكلما قدنا السيارة في أحياء مدينة كانوا يقفون على جوانب الطرق ملوحين لنا بأيديهم، فأرد عليهم بابتسامة عريضة وتحية مماثلة.

وبعد أسابيع علمنا أن الأولاد اليابانيين يلوحون بأيديهم لايقاف السير ريثما يجتازون الطريق.

د.ب.



قطة عانس

طوال سنوات خيل الى عانستين ان اموراً مخيفة ستحدث لهما اذا تزوجتا. حتى انهما منعتا قطتهما من تخطي عتبة البيت.

وأخيراً تزوجت احداهما وذهبت في رحلة شهر العسل. وبعد أيام قليلة تسلمت اختها بطاقة بريدية جاءت فيها عبارة واحدة: "أطلقي القطة خارج العتبة."

ك.م.

قروي في المدينة

ذهب قروي بسيط الى المدينة للمرة الاولى. وفي مدخل بناية كبيرة رأى عجوزاً مترهّلة تدخل غرفة ضيقة وتقفل الباب وراءها. ولمعت أضواء هناك. وبعد قليل فتح الباب -وخرجت من المصعد فتاة بارعة الجمال.

ففرك الفلاح عينيه منذهلا وتمتم: "ليتني اصطحبت زوجتي."

د.ي.

الهجرة المعاكسة

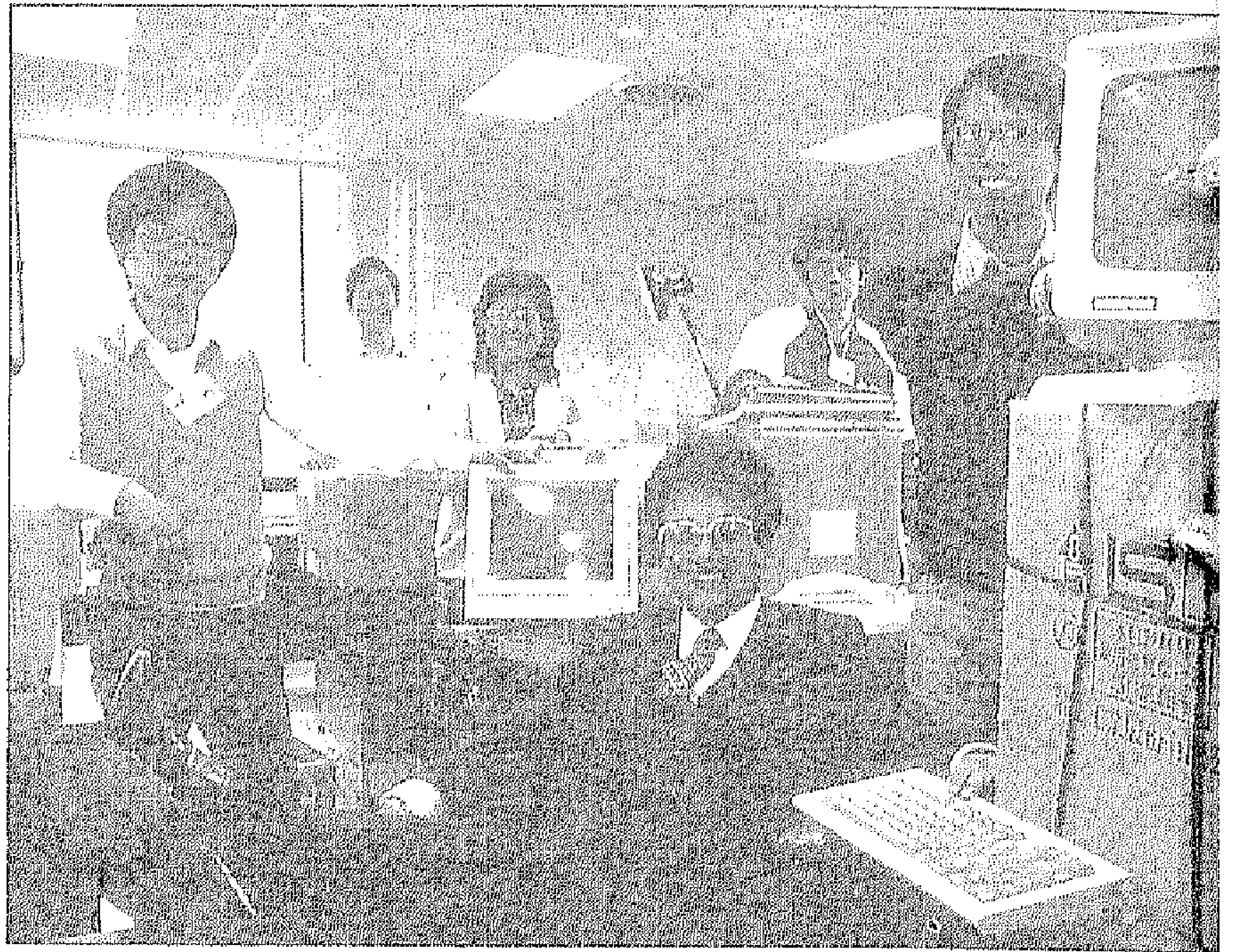
يزداد عدد الآسيويين الذين غادروا بلادهم للدراسة أو العمل ثم رجعوا اليها حاملين الخبرة والمعرفة

عندما تخرّج بوبو وانغ في الجامعة الوطنية في تايوان لم يكن هناك أي خلاف حول البلد الذي ينبغي أن يتابع فيه دراساته العليا. ويقول بوبو في هذا الشأن: "إذا أنت لم تذهب الى الولايات المتحدة فسيخيّل الى جيرانك أنك لا تتمتع بقدرات ذهنية كافية."

وبعدما حصل وانغ على درجة ماجستير في العلوم الالكترونية من جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس عام ١٩٧٣ توظف في شركة "زيروكس" للابحاث في الـ سيغوندو بكاليفورنيا. وقد رجع وانغ الى تايوان وهو الآن في الاربعين من عمره ويدير شركة "ميكروتيك انترناشونال" التي أسسها مع أربعة من اصدقائه الصينيين الذين عادوا معه.

والواقع أن وانغ وزملاءه هم جزء من "هجرة أدمغة" معاكسة تعمل على تشجيع البراعة الادارية والتكنولوجية في بلدان آسيا التي باتت حديثاً في عداد البلدان الصناعية، وخصوصاً كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة. وفي السنوات الخمس والعشرين الماضية ذهب ألوف الشباب الآسيويين اللامعين يطلبون العلم في ما وراء البحار، وحصل كثيرون منهم على شهادات عالية من جامعات شهيرة في الولايات المتحدة مثل هارفرد ومساتشوستس وستانفورد، ومن جامعات ممتازة أخرى في العالم الغربي. وبقي كثيرون من هؤلاء في المهجر يربّون أولادهم على النمط الغربي الصريح ويشغلون وظائف حسنة تقود الى مستقبل مهني لامع. وفي السنوات القليلة الماضية بدأ عدد قليل منهم، لكنه

Condensed from Fortune International (May 13, '85), © 1985 by Time Inc. New York, N.Y.
Photo: c 1985 Dilip Mehta Contact Press Images



بوبو وانغ (جالساً) وزملاؤه.

آخذ في الازدياد، الرجوع الى وطنه يدفعه الطموح والعزة الوطنية والروابط العائلية.

حوافز قوية - الملحوظ أن معظم العائدين هم من كبار موظفي الشركات والعلماء وتراوح أعمارهم بين أواخر الثلاثينات وأواسط الأربعينات. وهم اكتسبوا خبرتهم من خلال عملهم في الشركات الكبرى ومؤسسات الدراسات والابحاث في الولايات المتحدة. لذلك ففي وسعهم تأدية خدمات جليلة لبلدانهم.

ومن هؤلاء يونغكوك كانغ (٤٥ عاماً) الذي حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا. وكان يدعى بيتر كانغ عندما كان يعمل لدى مؤسسة "روكويل انترناشونال" في تطوير برامج للدماغ الالكتروني خاصة بأنظمة التوجيه والملاحة للمكوك الفضائي الاول "كولومبيا". فقد ساعد كانغ مجموعة "دايوو" في كوريا الجنوبية في التحوّل من الصناعات الثقيلة الى مجالات تستدعي خبرة تكنولوجية عالية، من ضمنها الانسان الآلي والآلات العاملة بالليزر. أما كريستوفر تان (٤٥ عاماً) الذي عَزَل الانترفرون(١) البشري في جامعة كالفاري فسيعود الى سنغافورة ليرئس مؤسسة البيولوجيا الجزيئية والخلوية. وهو يصبو الى انشاء مركز للدراسات البيولوجية بجذب الصناعة البيوتكنولوجية(٢) الى المنطقة.

(١) الانترفرون بروتيين تنتجه الخلايا التي غزتها الفيروسات، وهو يمنع تناسخ هذه الفيروسات وتكاثرها.
(٢) Biotech industry

ويبدو أن التطلع الى المراكز الادارية الكبيرة والرغبة في التملّك هما أقوى ما يحفز هؤلاء الشباب على الرجوع الى أوطانهم. وقد أحسّ بعضهم في الولايات المتحدة بضرب من التحيز خفيّ. ويقول فنسنت يب (٣٨ عاماً) وهو طالب حاز شهادة الدكتوراه في الفيزياء من جامعة جنوب كاليفورنيا وعمل باحثاً الكترونياً في مؤسسة "يونيون كاربايد" ثم تخلى عن عمله هذا ليرئس إحدى مؤسسات الانماء التكنولوجي في سنغافورة: "كان يُفترض فينا الأمانة والذكاء وجودة الانتاج - وهي الصفات التي دعا كونفوشيوس الى التحلّي بها - والرضا بالبقاء في المختبر."

التقدير المعنوي - الحقّ أن الكبرياء تؤدي دوراً رئيسياً في هذا الصدد. والمغني الشعبي السنغافوري ديك لي يعبّر في إحدى أغنياته عن الثقة بالنفس المتسمة بالغرور التي ولّدها النجاح الاقتصادي في المنطقة، وجاء في الاغنية: "لا أحد يتطلع الى الغرب ولا أحدٌ يريد أن يكون في المرتبة الثانية."

ويقول فنسنت يب: "رجعت بعدما أمضيت في الولايات المتحدة أربعة عشر عاماً، لأن النشاط مركزه هنا في المقام الأول." ومن هؤلاء العائدين شانغ كوين - هو (٤٩ عاماً) وهو عالم فيزياء كان يعمل باحثاً في مختبر الدفع النفّاث في باسادينا بكاليفورنيا الذي تموله حكومة الولايات المتحدة، ثم استقال ليصبح مديراً للأبحاث التي تتولاها شركة "غولدستار كيبل" في كوريا. ويقول كوين - هو: "إنك تشعر بعلو شأنك عندما تفعل شيئاً يقدّره الناس هنا حق قدره."

أما سونغ كيو بارك (٤٧ عاماً) الذي حصل على دكتوراه في الهندسة الكهربائية من جامعة تكساس وأمضى خمس سنوات باحثاً في مؤسسة "شلومبرغر" بالولايات المتحدة فيؤكد: "لقد كانوا يحتاجون الي في كوريا أكثر مما يحتاجون الي هاهنا." والواقع أن بارك كان في زيارة لوطنه عام ١٩٧٦ عندما تلقى عرضاً للعمل من كيم وو - شونغ رئيس شركة "دايوو" الذي كان يعرفه أيام دراسته الثانوية وانقطع عن رؤيته عقدين من الزمن. وظل بارك يفكر في ذلك العرض سنة كاملة قبل أن يتخلى عن حياته المريحة في كونتيكت ويلتحق بشركة "دايوو" كنائب للرئيس. ويذكر بارك الذي تخلى عن دخل كبير في مؤسسة "شلومبرغر" وبات راتبه الآن يوازي نحو ثلث راتبه السابق، أنه لم يبحث في مسألة المعاش والترتيبات المالية عندما قرر الالتحاق بوظيفته الجديدة.

توافر الفرص - واضح أن الازدهار الذي عرفته هذه البلدان الآسيوية جعل الهجرة العكسية من الغرب أمراً ممكناً. فحين غادر اولئك المغتربون بلدانهم كي يتابعوا دراساتهم الجامعية في الغرب، لم يكن في هذه البلدان ما يغريهم بالعودة، ولاسيما أولئك الذين حازوا شهادات دكتوراه. فكوريا الجنوبية كانت تعيد بناء اقتصادها بعد الخراب الذي تسببت فيه الحرب والاحتلال الياباني

الطويل الذي سبقها. أما تايوان فكانت في الأساس منطقة ريفية تعاني ركوداً سياسياً اتفق أن أنقذها منه وجود حكومة تشانغ كاي - شيك في المنفى. وأما سنغافورة فكانت دولة مدينية نالت استقلالها حديثاً وهي خالية من الموارد الطبيعية ولم يكن للصناعة فيها شأن.

غير أن اقتصاد كوريا الجنوبية بات اليوم مزدهراً وأصبح فيها عشر شركات صناعية عملاقة تبلغ مبيعات كلّ منها مليار دولار سنوياً على الأقلّ. وصادرات تايوان الكثيرة المتنوعة، من الأحذية الى الأدمغة الالكترونية، دعمت نسبة النموّ بنحو ثمانية في المئة سنوياً خلال العقد الماضي. أما سنغافورة فانبثقت كمركز صناعي ومالي عالمي مزدهر وغدت "سويسرا جنوب شرق آسيا."

والملحوظ أن إغراء العودة إلى الوطن يشمل حتى هونغ كونغ على رغم وضعها السياسي غير المستقر الناجم عن تعهد بريطانيا إعادة المستعمرة الى جمهورية الصين الشعبية في يوليو (تموز) ١٩٩٧. فبعض الصينيين الذين درسوا في الولايات المتحدة يزمعون العودة الى هونغ كونغ. ويقول أندرو شوا المدير المسؤول في هونغ كونغ عن شركة "راسل رينولدز أسوشيتس" الامريكية الخاصة باختيار وظائف ملائمة لكبار الموظفين في الولايات المتحدة: "إن توافر الفرص المناسبة أمر يحدو الناس على العودة."

حيث الاخفاق عار - الواقع أن الفرص المتاحة تختلف من بلد إلى آخر. ففي كوريا الجنوبية شركات كبيرة يجوب عملاؤها الولايات المتحدة بحثاً عن كوريين يحملون شهادات عالية. ويفخر كيم، رئيس شركة "دايوو"، بأن شركته "ستضم خلال ست سنوات نحو ألف شخص من حاملي درجة الدكتوراه المتدربين في الولايات المتحدة." ويبلغ عدد هؤلاء الآن في الشركة ثلاثة وعشرين.

وفي سنغافورة يحصل المقاولون على قروض بفائدة منخفضة جداً وتسهيلات خاصة بالضرائب من الحكومة التي تسعى جاهدة الى إنشاء صناعات تحتاج الى تكنولوجيا عالية. أما تايوان فهي أرض خصبة للمقاولين. كذلك فإن التكاليف المنخفضة التي دفعت كثيراً من الشركات الامريكية للالكترونيات إلى إنشاء مصانع لها في تايوان هي من العوامل الأساسية التي تجذب العائدين.

ومن العوامل المهمة أيضاً الصداقة والحنين الى الوطن. مثال ذلك أن وانغ حين كان يعمل في شركة "زيروكس" وجد نصيراً له يدعى بيني هسو (٤٣ عاماً) يحمل شهادة ماجستير في العلوم الادارية من جامعة أمريكية وينتمي الى عائلة غنية في تايوان. وقد قدّم هسو نحو مليون دولار لاعانة وانغ في تأسيس شركة "مايكروتك" ثم عاد الى وطنه ليساعده في إدارتها.

وكان وانغ وبعض أصدقائه الصينيين ابتكروا نتاجهم الأول، وهو آلة الكترونية لمصممي الدماغ الالكتروني، في بيته بكاليفورنيا. وتنتج "مايكروتك" الآن هذا الجهاز في تايوان لحساب شركة "سيمنس" الالمانية. وقد بلغت مبيعات تلك الشركة الخاصة سبعة ملايين دولار

عام ١٩٨٤، وهي تتمتع بنسبة أرباح "مريحة جداً." وإلى تكاليف العمل المنخفضة فان لدى وانغ حافزاً خاصاً على الاقامة في تايوان، "ففي جنوب كاليفورنيا لا يُعدّ إخفاقك خطباً جسيماً. أمّا هنا فإنك تفقد احترامك، وهذا يزيد الضغط عليك كي تحقق النجاح."

ضرب من الترف – من العائدين أيضاً تان كوك كنغ (٣٩ عاماً) المتخصص بعلم الأحياء المجهرية والذي كان الفطر سبب عودته من أوروبا الى وطنه. والشركة الجديدة التي أنشأها تدعى "افربلوم مشروم" وهي متخصصة بتربية فطر "شيتاك" الذي يعتبر عماد الطبخ الصيني والياباني. فبعدما نال تان شهادة الدكتوراه من جامعة مانشستر في بريطانيا أمضى ثلاث سنوات في إحدى جامعات دبلن قبل عودته الى سنغافورة بفكرة زراعة الفطر في معمل. وبعد مزيد من البحث تبين له أن اكتشافاته هي أجلّ قدراً من أن يكتفي بنشرها في مقالة علمية يعمد سواه الى استغلالها.

وتمكن تان من الحصول على مبلغ خمسين ألف دولار من الشركة التجارية الخاصة التي تملكها عائلته، فأنشأ مصنعاً تجريبياً وبدأ العمل بمساعدة والديه وتسعة من أقاربه. وأفلح تان في جعل الفطر ينمو خلال بضعة أشهر في تربة قوامها النشارة المضغوطة ومواد كيميائية عضوية، في حين أن نمو الفطر على نحو طبيعي يستغرق سنة كاملة ويحصل عادة في جذع شجرة.

والحق أن التكيف من جديد في المجتمعات الآسيوية يستدعي صبراً وتضحية. فالمهندس شي هسيه (٤٢ عاماً) الذي يحمل شهادة دكتوراه في الهندسة الكهربائية عاش ١٨ سنة في منطقة خليج سان فرنسيسكو ثم رجع الى تايوان. وكان رجوعه مخيباً، وفي هذا يقول: "إن تغير مستوى المعيشة كان صدمة بالنسبة إلينا على رغم استعدادنا لقبول بعض التغيير في هذا المقام." فقد ترك هسيه شركة "هاريس" عام ١٩٨٣ ليساعد في تأسيس شركة "تكنولوجيا الالكترونيات الدقيقة" التي تنتج قطعاً تستعمل في الأجهزة الخاصة بالاتصالات على الموجة الصغرى(٣). ويقول هسيه: "إن ما كنّا نعدّه في الولايات المتحدة من المسلّمات هو ضرب من الترف هنا."

القيم الآسيوية – ديفيد صن (٣٨ عاماً) الذي أمضى ١٥ سنة في سان فرنسيسكو ثم عاد الى تايوان للاشراف على مشروع مشترك بينه وبين شركة "ماكدونالد" للمأكولات السريعة، تعرض لمشكلة من نوع آخر إذ أبدى أصحاب المطاعم المحلية استياءهم من اشتراك "ماكدونالد" في المشروع. ويقول ديفيد في هذا الشأن: "لقد اتهمت أيضاً بأنني أحاول تقويض دعائم الحضارة الصينية. وضايقني ذلك لأنني فخور جداً بتراثي." ويرى صن نفسه "جسراً يسهّل عودة الخبراء الى أوطانهم." وقد يبدو هذا طناناً متى قيل في الهمبرغر، غير أن شركة "ماكدونالد" هي أول شركة أجنبية

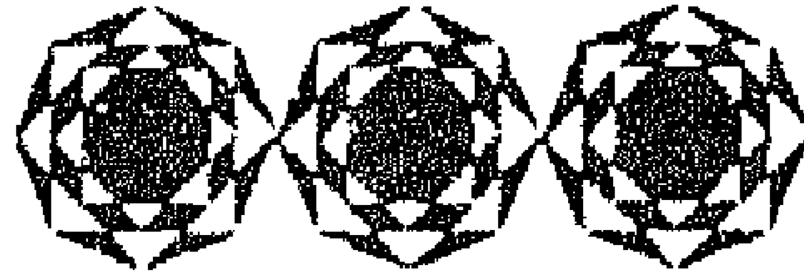
(٣) Microwave communications

للمطاعم يرخّص لها بالعمل في تايوان.

حتى مواطنه هسيه يرى أنه اتخذ القرار الصحيح. فمهندسو تايوان الذين يتقاضون أجوراً منخفضة نسبياً هم أنسب لشركته الفنيّة التي بلغت مبيعاتها ٧،٣ مليون دولار عام ١٩٨٤ فيما بلغت أرباحها ٦٥٠ ألف دولار. والواقع أن بوبو وانغ يقدّر القيم الآسيوية المتبعة في العمل ويقول في هذا الصدد: "في كاليفورنيا كنت أعمل خمسة أيام أسبوعياً، وفي عطلة نهاية الأسبوع كنت أشاهد مباريات كرة القدم على التلفزيون وأشرب المرطبات وأجزّ العشب. أما هنا فإنني أعمل ستة أيام أسبوعياً وأبذل مزيداً من الجهد وأمضي أيام الآحاد في التبضع وفي الكلام على مشروع جديد مثير."

وقد يكون هؤلاء العائدون رواداً لآخرين سواهم يجذبهم الاعتزاز بالنفس وحب الوطن والطموح الى فرص لا يجدونها في الغرب.

لويس كرار ■



احصاء دقيق

الى كم شاعر نحتاج لابدال مصباح كهربائي؟ اننا نحتاج الى ثلاثة: واحد ليلعن الظلام وواحد ليضيء شمعة وواحدة ليبدل المصباح.

وكم من رجال الشرطة؟ واحد فقط، لكنك لا تجده حين تحتاج اليه.

وكم من خبراء الزواج؟ اثنان: واحد لابدال المصباح وواحد ليقول له ان طريقة ابداله خاطئة.

وكم من موظفي الحكومة؟ دعونا نرى. واحد ليكتشف المصباح المحروق وواحد ليوافق على طلب الشراء و١٣ ليحفظوا نسخ الطلب في الملفات وواحد ليحيل الطلب على دائرة المشتريات وواحد لينظم طلب الشراء من المتجر وواحد ليسلّم الطلب الى المتجر وواحد ليتسلم المصباح الجديد وواحد ليبدل به القديم.

ب.د.

الدماغ المرح

شقيقتي موظفة في دائرة الغابات تسجل كميات الأمطار الهاطلة في منطقتها. وذات يوم كانت أفكارها مشتتة وهي تلقم المعلومات الدماغ الالكتروني. وبدلا من تسجيل "٨٤ جزءاً مئوياً من السنتيمتر" سجلت "٨٤ سنتيمتراً". وبدا واضحاً أن مبرمج الآلة كان يتمتع بروح مرحة، اذ سرعان ما ظهرت على الشاشة الرسالة الآتية: "أبنِ فلكاً واجمع من كل الحيوانات أزواجاً". (تذكيراً بالطوفان الكبير وبفلك نوح الشهير).

ج.ر.


INTERPRESS

تروفو عَاشِق السّينَما

بوفاة المخرج السينمائي الفرنسي فرنسوا تروفو عام ١٩٨٤ فقد هواة الأفلام في العالم واحداً من كبار مخرجي الموجة السينمائية الجديدة

حين سمع فرنسوا تروفو أن الرئيس الفرنسي الاسبق الجنرال شارل ديغول توفي قبل إتمام مذكراته رفض التصديق وصرخ: "لا يحقّ للانسان أن يموت قبل إتمام عمله!"

لم يخطُر في بال تروفو يومذاك أن الأجل سيوافيه هو أيضاً قبل إنجاز عمله، في يوم أحد من أكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٨٤. كان لم يتخطّ عتبة الثانية والخمسين وكانت أَدراج مكتبه تغُصُّ بتصاميم المشاريع المستقبلية. عام ١٩٨٣ أجريت له جراحة لاستئصال ورم في الدماغ، وأنفق الدفعة الأخيرة من نشاطه في إتمام مراجعة كتابهِ عن المُخرج السينمائي الشهير أَلفرِد هِتشكوك.

وقد أحدثت وفاة تروفو رنَّة أسى عميق، برهنت عن مدى الشعبية التي أحرزتها أفلامه الخمسة والعشرون، من

فيلم "لِيه مِيستُون" عام ١٩٥٨ الى "الاحد بحيوية"(١) عام ١٩٨٣.

قبل وفاته انهالت عليه الجوائز والمكافآت. زملاؤه في صناعة السينما الفرنسية منحوه عشراً من جوائز سِيزار (الاوسكار الفرنسي) على فيلم "المترو الأخير"(٢) عام ١٩٨١. وكان سَبق له الحصول على أوسكار عن فيلم "الليلة الأمريكية"(٣) الذي عدَّته لجنة التحكيم في الاكاديمية الأمريكية أفضل فيلم أجنبي للعام ١٩٧٣، كما حصل على جائزة "ميلياس" وجائزة "فَمِينا" البلجيكية و"البوديل" وهو الأوسكار الدنمركي الذي يُعطى لواضع أفضل فيلم أوروبي والجائزة الكبرى للسينما الفرنسية وجوائز أخرى لا مجال لتعدادها.

الميزة الاولى التي يجب ذكرُها لهذا الرجل أنه كان مُولَعاً بالسينما مُعرضاً عن كل هواية سواها. وهو اعترف بأنها قامت له مقامَ المُخدِّر: "السينما أنقذَت حياتي." كل الذين عرفوه طفلا يذكرون أنه كان خجولا تنتابُه حالات متناقضة، فحيناً يستجدي عطف الناس وحيناً تأخذه حُمّى نشاط دافقٍ أو يَلِحُّ عليه الاستغراق في التأمل. وظلّ الخجل صفته البارزة التي جعلته قليل الاحتكاك بالآخرين.

في المكتبة الرسمية للافلام الفرنسية "سينماتيك" التي جمعت الأفلام النادرة بادارة هنري لانغلوا، التقى تروفو أصدقاءه المستقبليين أصحاب الموجة الجديدة في الفيلم الفرنسي، وهم المخرجون اريك رومر وجاك ريفيت وجان لوك غودار وكلود شابرول. هؤلاء الذين كانوا يعقدون جلسات تطول حتى ساعة متقدمة من الليل لمناقشة الافكار الجديدة التي شهدت للسينما الفرنسية رحلتها المظفّرة في أنحاء العالم.

الناقد القاسي – عام ١٩٥٤ رأى موظفو مكتب صحيفة "دفاتر السينما" في شارع الشانزيليزيه بباريس شاباً ذا عينين ثاقبتين محمومتين يدخل المكتب ويعلن انه "يُدعى فرنسوا تروفو ويُقيم في فندق تروفو وفي شارع تروفو." وهكذا كان. ولمدة سنوات عدة حتم على نفسه ملازمة ذاك الفندق في الدائرة ١٧ من باريس. وبمساعدة الناقد السينمائي أندريه بازان أصبح تروفو ناقداً لصحيفة "دفاتر السينما" وللنشرة الاسبوعية "فنون".

وهو صرح في ما بعد: "كانت تلك أُولى مراحل السعادة في حياتي، أن أشاهد الأفلام وأتحدّث عنها وأنال أجراً على ذلك!"

وبنشاط لا يعرف الراحة استطاع تروفو أن يُحرز مركزاً ثابتاً كواحد من ألمع ناقدي جيله وأشدِّهم قسوة.

كان يشعر بكره شديد لمهرجان "كان" السينمائي ويهاجمه بسرور ظاهر في مقالاته التي جاء فيها: "هذه المباراة فقدت معناها بعدما نبذها المحترفون وحقّرها النقاد." وكانت النتيجة أن منظمي المهرجان حرصوا على حذف اسمه من قائمة الصحافيين الذين يدعون اليه.

(١) «Les Mistons»; «Vivement Dimanche»
(٢) «Le Dernier Metro»
(٣) «La Nuit Americaine»

لكنهم لم يستطيعوا التكهن بأن هذا الذي احتقروه سينجح عام ١٩٥٨، باستعمال آلة تصوير مقترضة، في وضع فيلم صامت دعاه "ليه ميستون" يروي حكاية خمسة أولاد يضايقون عاشقين. وجرى تصوير الفيلم في شمس مباشرة لأن المُخرج عجز عن استئجار جهاز إضاءة "كليغ" الخاص بالأفلام.

وأثار هذا الفيلم دهشة واستحساناً في "مركز السينما" ونال صاحبه مِنحة متواضعة مقدارها خمسة ملايين فرنك قديم (٥٠ ألف فرنك جديد) لتشجيعه على القيام بمشاريع اكثر طموحاً. ورأى صاحب أفلام "كوسينور" إينياس مورغنسترن أن الفرصة سانحة لتدخله، فاشترك في إنتاج الفيلم التالي لتروفو وهو "الضربات الأربعمئة" (٤).

في تلك السنة كان جان كوكتو رئيس لجنة تحكيم "كان"، فأبدى إعجابه بالفيلم ونظم حملة لمنحه الجائزة. ونجح تروفو في الحصول على جائزة أفضل مُخرج. ويروي فيلم "الضربات الاربعمئة" حكاية طفولة تروفو نفسه ممثلا في شخص خيالي يُدعى أنطوان دوانيل. ومثل الدور جان بيار ليو الذي كان يومئذٍ في الثالثة عشرة من العمر.

في هذا الفيلم تعبير واقعي عن ذكريات مريرة حفظها تروفو من عهد طفولته التي قضاها متنقلا بين جدَّيه لأمه المقيمين في باريس وجدَّيه لأبيه المقيمين في الضاحية. وهو أعيد الى أبويه عام ١٩٤٢ في السن العاشرة. لكن انشغال الأب في عمله كمُصمّم خرائط هندسية والأم في وظيفة سكرتيرة لاحدى الصحف، منعهما من منح الولد اهتماماً كبيراً.

وكانت باريس في تلك الحقبة خاضعة للاحتلال الالماني. لكن فرنسوا الكثير التململ والحيوية تعوّد الهرب من البيت ليقضي أوقاته متسكعاً في شوارع مونمارتر حيث اكتشف السينما: "شاهدت أوّل مئتي فيلم في حياتي مجاناً، إذ كنت أتسلل داخل المسرح من أبواب الطوارىء ونوافذ المغاسل."

وبعد انتهائه من المدرسة الابتدائية مارس عددا من الاعمال الوضيعة: ساعي مكتب وسكرتير في شركة شحن وعامل في مصنع حديد. ووجد في السينما مهربا من حيرته وقلقه الدائمين. فكان يدمن الجلوس في الصف الأمامي وحيداً قريباً من أبطال الفيلم.

وحين تمَّ جلاء الالمان عن باريس اكتشف تروفو السينما الامريكية. ذلك العهد كان فترة ذهبية في نوادي السينما. وأنفق فرنسوا شطراً كبيراً من وقته في النادي "أوبجكتيف ٤٩" بادارة أندريه بازان، أفضل النقاد السينمائيين في باريس الذي أدى دوراً حماسياً في المناقشات التي تلَتِ العُروض. وقد أثارت انتباهه التعليقات النارية التي كان يُطلقها تروفو. ومنذ ذلك الحين انعقدت بين الاثنين صداقة طويلة العمر.

معلومات غزيرة – في العام ١٩٥١ عنّ لتروفو أن ينخرط في الجيش لمدة ثلاث سنوات لكنه بدلا من الالتحاق بوحدته راح يصرف على حضور السينما جميع ما يصل

(٤) «Les Quatre Cents Coups»

الى يدِه من علاوات. وحين اكتشف الرؤساء أمره قضَوا بنقله الى كوبلنز في ألمانيا الغربية، وهدَّدوا بإحالته على مجلس تأديب عسكري. لكن بازان لم ينسَ صديقه فسارع الى نجدته ونجح في الحصول على قرار لصرفه من الخدمة بناءً متزنة عقب زواجه مادلين مورغنسترن، ابنة مُنتج الفيلم التي أنجبت له ابنتيه لورا وإيفا. وظلَّ أميناً لشعار الموجة الجديدة "لنخلق صناعتنا الذاتية" حين أسَّس شركته الخاصة "أفلام الكروس" التي استوحى اسمها من فيلم "العربة



فرنسوا تروفو يدير الممثلة فاني آردان خلال تصوير فيلمه الأخير "الاحد بنشاط".

على أنه "ذو مِزاج قلق." بعد ذلك أقام تروفو سنتين في منزل بازان وزوجته جانين في بري سورمارن قرب باريس. وقد صرَّح تروفو قُبيل وفاته: "أندريه هو الرجل الذي منحتُهُ أعظمَ نصيب من حبّي."

كان في السابعة والعشرين من عمره حين أخرج الى عالم السينما فيلم "الضربات الاربعمئة." وبدأ حياة جديدة

الذهبية" من إخراج جان رنوار الذي عدَّه تروفو أعظم مخرجي الافلام في العالم.

من مزايا تروفو ايمان حار عميق بحق كل فنَّان في الاستقلال الفكري، وهو مارس هذا الحق بنفسه الى أقصى الحدود. وكان يطيب له ان يردد: "بالعمل تظهر فرادتك." وموقفه هذا جعله يرفض وسام جوقة الشرف يوم بلغ قِمة مجده الفنّي.

كان تروفو في صباه مغرماً بكتابات اندريه دو بلزاك صاحب "الكوميديا البشرية." وكان ولعُه بالكتب يأتي ثانياً بعد ولعه بالسينما. "ثقافتي ذاتية،" كان يقول لأولئك الذين أدهشهم بغزارة معلوماته. ويُرَجَّح أنَّ تعاطفاً غريزياً أثار اهتمامه بـ"الولد الذئب" فيكتور الذي اكتشف في منطقة أفيرون في جنوب فرنسا الوسطى عام ١٧٩٨ فاتخذه موضوع فيلم لا يُنسى عنوانه "الولد المتوحش" (٥).

كان يَنفِرُ من الاجتماعات ومن تناول الطعام في الخارج لشدَّة حِرصه على أن يحيا حياته الخاصة. ومع رغبته في عقد الصداقات أعرض عن الرِّفقة المسرفة في الأُلفة وعدم التكلُّف.

واعتاد تروفو أن يُخَصِّص أيام الآحاد لابنتيه حرصاً على واجبه الأبوي. وتقول عنه ابنته الصغرى إيفا: "كان صاحب نكتة ومرح واضحاك اذا اراد ذلك، فيسره أن يلعب معنا السكرابل(٦) ويأخذنا لحضور أفلام تشارلي تشابلن وألفرد هتشكوك. ولما كبرنا أخذ يدعو كلًّا منّا منفردة لاعتقاده أن العلاقات البشرية تفقد صراحتها بحضور ثلاثة أشخاص أو أكثر."

مخرج النجوم – المرأة في نظر تروفو ذات سحر لا يُقاوم. "السينما فنُّ المرأة" كان يقول. وقد أتيح له أن يدرب أشهر الممثلات الفرنسيات في عصره فكسب قلوبهن بمهارته القيادية. وفي العام ١٩٦١ قدَّم فيلمه الرائع "جول وجيم" (٧) وهو حكاية شابين يحافظان على صداقتهما على رغم وقوعهما في حب امرأة واحدة (جان مورو). يومذاك حسب الناس هذا الفيلم جريئاً وسابقا لعصره بما لا يقل عن ١٢ سنة.

وقالت جان مورو: "كان عملنا واياه فرحا دائماً. اذا شرع في الاخراج صبَّ انتباهه على عمله لا يلتفت الى سواه، يمارسه بجدية وعمق لكنه يترك مجالا للضحك والانفتاح وتقبل كل فكرة تحسن إضافتها الى الفيلم وتأتلف معه."

حين وضع تروفو فيلم "جول وجيم" كان ينوي تخصيص بطولته للممثلة جان مورو فجعله مناسبا لأسلوبها الفني. كذلك حين أخرج رواية بوليسية لوليم اريش بعنوان "العروس لبست السواد" (٨).

وكان قلما يتكلم وقت الاخراج. لذَّته الكبرى في الابتكار لكنه، كما تقول الممثلة كاترين دونوف، "استطاع أن يخاطب كل فرد بعبارته الخاصة، فيبدّل لهجته لتناسب كلَّ ممثل. فكأنه الصديق الذي يحزر ما يجول في رأسك ويهدي اليك الهدية التي تحبُّها وتنتظرها."

درب كاترين دونوف في فيلم "حورية المسيسيبي" (٩) وخصَّها بفيلم "المترو الأخير" لاعجابه بقوة شخصيتها والسحر الخفي المنبعث منها. أما ايزابيل أدجاني التي فتنته بأنوثتها البريئة وعاطفتها المشبوبة فجعلها بطلة "قصة آديل هـ." (١٠) التي تروي سيرة ابنة فيكتور

(٥) «L'Enfant Sauvage»
(٦) السكرابل (scrabble) لعبة تتضمن حروفاً تُصف كلمات.
(٧) «Jules et Jim»
(٨) «La Mariée Etait en Noir»
(٩) «La Sirène du Mississippi»
(١٠) «L'Histoire d'Adèle H»

هوغو في سعيها الاهوج الى الحب.

في أواخر حياته اكتشف فاني أردان فكانت بطلة فيلميه الأخيرين "المرأة الجارة"(١١) و"الاحد بحيوية".

وبعد مرور شهر على الجراحة التي أجريت له في رأسه قال لأحد عائديه الممثل جان كلود بريالي: "أصبح بيني وبين الموت ألفة." في ذلك الحين كان الشيب وخط رأسه وأخذت تنتابه حالات الدوار والصداع الأليم. وفي الأسابيع الاخيرة المأسوية التي توالت فيها صور حياته أمام عينيه كان حوله جميع أصدقائه.

بذل تروفو جهده ليجعل كلا من أفلامه فعل محبّة ويُشعر كل امرىء بأنّه تلقى منه رسالة شخصية. ولما سُئِل مرة أي الموضوعات أحبُّ إليه أجاب مُبتسماً: "اذا استطعنا تشبيه مدير الاخراج بقبطان سفينة غارقة، فأنا أقول إن شعاري هو النداء القديم: النساء والأولاد أولا!"

روبرت جيلي ■

(١١) «La Femme d'a Côté»



الصحافة في دمه

قال هوارد فليجر رئيس التحرير السابق لمجلة "يو إس نيوز أند وورلد ريبورت" في مؤسس المجلة ديفيد لورنس:

في شبابه في مدينة بفالو بولاية نيويورك كان لورنس يزعج محرر الجريدة المحلية ملحاً عليه كي يشغله كصحافي ناشىء. ولشد ما تضايق المحرر من الحاحه حتى انه قال له يوماً: "جئني بقصة يمكنني ان أنشرها ولك مني دولاران مكافأة. واذا لم تكن قصتك صالحة للنشر فإياك أن تضايقني بعد اليوم."

عندئذ هرع لورنس الى مكان انطلاق مسيرة الإحتفال بعيد الاستقلال في ٤ يوليو (تموز) وتقدم من قائد الفرقة الموسيقية وناوله دفتره المدرسي طالباً منه ان يوقع فيه اسمه وعنوانه ونوع الآلة التي يعزف عليها، ويمرر الدفتر الى سائر افراد الفرقة للغرض ذاته. وهكذا جمع كل التواقيع والمعلومات وأخذها بسرعة الى المحرر الذي أدهشه هذا العمل فنشر اللائحة كاملة وبيعت أعداد الجريدة كلها.

وهكذا أصبح ديفيد لورنس صحافياً وعمره ١٤ عاماً وفي جيبه دولاران مكافأة. ولم يتوقف عن العمل حتى وفاته بعد ٧٠ سنة. وخلفته كرئيس للتحرير. وذات يوم اتصل بي أحدهم قائلا: "أنت لا تعرفني، لكن السيد لورنس نشر اسم والدي مرة في الجريدة".

ي.ا.

العصفور لا يغرد لان عنده جواباً عن تساؤل ما، بل لان عنده أغنية.

مثل صيني

باتباع هذه الحمية يمكنك خفض وزنك ٧ كيلوغرامات في ٢١ يوماً والعودة الى تناول الطعام كأي شخص عادي

"ما هي المدة الاقصر، بموجب نظامكم للحمية، التي أستطيع خلالها خفض وزني؟"

"هل يتسنى لي بعدها أن أعود فآكل كأي شخص عادي من دون أن يزداد وزني؟"

هذان السؤالان يطرحهما المنخرطون في برنامج معالجة السمنة في جامعة فاندربلت بمدينة ناشفيل (ولاية تنيسي). وقد بتُّ أعرف الجواب اذ نجحت في الحفاظ على وزني طوال ٢٢ سنة بعد خفضه ٣٤ كيلوغراماً. وقد أرشدت آخرين على مدى عشر سنين الى الطريقة التي تساعدهم في خفض وزنهم أربعة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام على الاقل.

ففي برنامجنا الذي يدوم ٢١ يوماً نقص وزن المشتركات بمعدل ثلث كيلوغرام يومياً، أما الذكور فنقص وزنهم أكثر. وفي غضون ثلاثة أيام تقلصت الارداف واستدارة الخصر لدى كثيرين ثمانية سنتيمترات، وصغر قياس ملابسهم رقماً أو رقمين في ثلاثة أسابيع.

والسر في ذلك يعود الى البرنامج الدوري للحمية (١) الذي تدوم دوراته ٢١ يوماً. وفي كل دورة يخفض الوزن سريعاً،

(١) Rotation Diet



وتلي ذلك فترة استراحة تهدف الى المحافظة على الوزن المخفّض ويسمح أثناءها بالتوقف عن الحمية.

في الأسبوع الاول تستهلك النساء ٦٠٠ وحدة حرارية يومياً على مدى ثلاثة أيام يتبعها استهلاك ٩٠٠ وحدة يومياً لمدة أربعة أيام. وفي الاسبوع الثاني يسمح لهن بتناول ١٢٠٠ وحدة يومياً. وفي الاسبوع الثالث يتكرر استهلاك ٦٠٠ وحدة ثم ٩٠٠ وحدة دورياً. أما الرجال فيسمح لهم باستهلاك ١٢٠٠ وحدة ثم ١٥٠٠ وحدة يومياً في الاسبوعين الأول والثالث، و١٨٠٠ وحدة يومياً في الاسبوع الثاني.

بعد ٢١ يوماً يتوقف المشترك عن متابعة الحمية. ويكون الشخص العادي خلالها نقص وزنه من ٤،٥ الى سبعة كيلوغرامات. والتوقف عن الحمية يجب أن يدوم بين أسبوع وثلاثة أسابيع، بحسب ما تراه مناسباً. ثم ان كنت لا تزال في حاجة الى خفض وزنك أكثر، فعليك أن تتابع الحمية لمدة ٢١ يوماً أخرى. لكن معظم الناس تكفيهم دورة.

في العام الماضي (١٩٨٥) اختبرت هذا البرنامج، الذي يقضي بزيادة النشاط الجسدي، على ٤٠ امرأة. وكانت النتائج مذهلة. لقد كان معدل النقص في الوزن بعد ثلاثة أسابيع ٥،٧ كيلوغرامات. وقالت ٩٠ في المئة من المشتركات انهن يفضّلن النظام الدوري على بقية برامج الحمية التي تستغرق وقتاً أطول. ووجدت صعوبة في اقناعهنّ بالتوقف عن الحمية، مع أن هذا التوقف يشكل نقطة جوهرية في البرنامج الدوري.

لكي تقدّر ميزة البرنامج الدوري للحمية عليك أن تعرف لماذا يعود الذين خفضوا وزنهم باتباع حمة نموذجية سريعة، الى وزنهم الأول. عندما تكون الطاقة الحرارية التي تتناولها محددة، فان المعدل الأيضي (٢) ينخفض، وهو السرعة التي يحرق بها جسمك الوحدات

(٢) Metabolic rate



وجبات نموذجية وإرشادات مفيدة

يطبق الرجال هذا البرنامج الأساسي المعد أصلا للنساء، على أن تضاف اليه العناصر الآتية يومياً: حصتان زائدتان من الخبز أو الاطعمة الحبوبية (cereals) أو البسكويت، و٥٠ في المئة زيادة من اللحم أو السمك أو الطيور، وملعقة كبيرة ٣٠ غراماً من الزبدة أو الزيت، وثلاث حبات فاكهة.

٦٠٠ وحدة حرارية يومياً

الفطور: نصف ثمرة غريب فروت (غريفون)، شريحة من خبز القمح الصافي، ٣٠ غراماً جبنة، شراب خال من الوحدة الحرارية.

الغداء: ٦٠ غراماً من سمك السلمون (المعلّب في الماء)، خضر خالية من الطاقة بكميات غير محددة، خمس قطع من البسكويت المصنوع من القمح الصافي، ٢٤٠ غراماً من الحليب المقشود أو القليل الدسم، شراب خال من الوحدات الحرارية.

العشاء: ٨٥ غراماً من الدجاج المشوي في الفرن، فنجان قنّبيط، نصف فنجان شمندر، تفاحة، شراب خال من الوحدات الحرارية.

الحرارية. ان معدلك الأيضي في فترة "الراحة" هو سرعة احراق جسمك الوحدات الحرارية لكي يبقى حياً. وما يلزمك من طاقة حرارية يومياً تحدده السرعة التي يستهلك بها جسمك الوحدات الحرارية أثناء الراحة وتلك التي يستهلكها أثناء قيامك بنشاط جسدي. وتحتاج المرأة العادية الى وحدات تراوح بين ١٨٠٠ و٢٠٠٠ لكي تحافظ على وزنها، ويحتاج الرجل العادي الى وحدات تراوح بين ٢٤٠٠ و٢٧٠٠.

عندما تمارس الحمية تخفّ حاجة جسمك الى الطاقة. فهذا التكيف الأيضي الذي يعرف بالاستجابة للجوع ليس سوى نتيجة عصور من التطور عرف خلالها الانسان مجاعات متكررة. فعندما يجوع المرء "يُبطىء نبض قلبه وتنخفض حرارة جسمه ونشاط وظائفه الجسدية. كل ذلك في سبيل الحفاظ على الطاقة.

لكن هذه الاستجابة للجوع لا تساعد الشخص البدين. ولقد أثبتت الأبحاث أنه بعد الحمية، اذا تناولت ٦٠ في المئة من الطاقة التي كنت تستهلكها من قبل، فانك ستعود فتزداد وزناً. والمرأة التي لا تتبع الحمية تحتاج الى نحو ٦٠ وحدة حرارية في الساعة، بينما يحتاج الرجل الى نحو ٨٠ وحدة. ولكن بعد ممارسة نظام حمية يستوجب طاقة حرارية منخفضة، تحتاج المرأة الى ما بين ٣٥ و٤٠ وحدة والرجل الى ما بين ٤٥ و٥٠ حدة فقط. كذلك يقل عدد الوحدات التي يتطلبها الجسم للنشاط الجسدي. فالرجل العادي

٩٠٠ وحدة حرارية يومياً

الفطور: نصف موزة، ٣٠ غراماً من الحبوب الغنية بالألياف، ٢٤٠ غراماً من الحليب المقشود أو القليل الدسم، شراب خال من الوحدات الحرارية.

الغداء: سلطة سمك الطون (٦٠ غراماً معلّبة في الماء)، كمية غير محددة من الخضر الخالية من الطاقة، شريحتان من خبز القمح الصافي، ١٠ غرامات مايونيز أو ملصة ذات طاقة منخفضة، نصف ثمرة غريب فروت، شراب خال من الوحدات الحرارية.

العشاء: ٨٥ غراماً من الدجاج المشوي في الفرن، نصف فنجان جزر، فنجان سَلَطة خضر مختلفة، ٣٠ غراماً جبنة، تفاحة، شراب خال من الوحدات الحرارية.

واليك دليلا تقريبياً يساعدك كي تمارس الحمية كأقرب ما تكون الى البرنامج الدوري حين يتعذر عليك أن تطبق هذا البرنامج بكامله.

حين يقضي البرنامج أن تستهلك ٦٠٠ وحدة حرارية، تناول يومياً حصتين من الحبوب، وحصتين من الحليب، وحصتين مختلفتين من الخضر، وحصتين مختلفتين من الفاكهة، و٨٥ غراماً من اللحم الهبر أو السمك أو الطيور. وفي أيام الـ٩٠٠ وحدة أضف حصة من الحبوب وحصة من اللحم الهبر أو السمك أو الطيور. ولك أن تزيد أيضاً ٣٠ غراماً من السمن أو الزيت.

في أيام الـ١٢٠٠ وحدة تناول ما مجموعه أربع حصص من الحبوب، وحصتين من الحليب ومشتقاته، وحصتين مختلفتين من الفاكهة، وحصتين مختلفتين من الخضر، و٣٠ غراماً من السمن أو الزيت، وحصتين من اللحم الهبر أو السمك أو الطيور.

يحرق ١٠٠ وحدة عندما يمشي كيلومتراً ونصف كيلومتر، أما بعد الحمية فيكفيه ان يحرق ٦٠ وحدة ليقطع المسافة ذاتها.

لكن أبحاثنا أثبتت أن البرنامج الدوري للحمية لا يحدث أي خفض في المعدل الايضي، وكثير من المشتركين "زاد" استهلاكهم للطاقة فعلا، مما يدل على أن في وسعهم أن يزيدوا أكلهم بعد الحمية من دون أن يعود وزنهم الى الازدياد. واذا أحسن انتقاء الطعام، مع نشاط جسدي معتدل، ففي امكان معظم الناس أن يتناولوا زيادة ٢٠ في المئة على الطاقة الحرارية يومياً من دون أن يزداد وزنهم.

كيف يمكّنك النظام الدوري من تجاوز استجابة الجسم للجوع؟

أولا، انك تتناول أصنافاً متنوعة من الاطعمة. وأنظمة الحمية التي تعتمد أطعمة غنية بالبروتيين وتهمل الاطعمة الغنية بالكربوهيدرات كالخبز والبطاطا والفواكه والخضر، تخفض المعدل الايضي للجسم. ثانياً، إنك لا تستهلك يومياً أقل من ١٢٠٠ وحدة حرارية لمدة تزيد على أسبوع. ثالثاً، اذا كنت لا تقوم بأي نشاط جسدي فان البرنامج الدوري يحضك على متابعة النشاط بانتظام.

لماذا يطلب منك أن تتوقف عن الحمية؟

لقد وجدنا أن التوقف يضمن عدم انخفاض المعدل الايضي ويزيد رغبتك في أن تلتزم تطبيق البرنامج المقرر في كل الدورات التي تتابعها والتي تدوم كل

منها ثلاثة أسابيع. والى ذلك فان الاحتفاظ بوزنك بعد خفض سبعة كيلوغرامات كل مرة على ثلاث دفعات يبدو أسهل من الاحتفاظ به بعد خفضه ٢١ كيلوغراماً دفعة واحدة.

ولكي تخفض تناول الطاقة من دون أن تشعر بالحرمان الكلي من الضروريات، يساعدك كثيراً أن تتبع التوجيهات الرئيسية الآتية:

١. تناول كل ما تشتهيه من الخضر: هليون وكرفس وهندباء وملفوف وخس وبقدونس وفجل وسبانخ (نيئة) وقرع. فجميع هذه الخضر "الخالية من الطاقة" حين تؤكل صرفاً أو مع سلطة تنطوي على طاقة منخفضة، فالحصة الواحدة منها تحتوي على أقل من عشر وحدات حرارية.

٢. احمل معك دائماً فاكهتك المفضلة. وعندما تحدثك نفسك بالعزوف عن الحمية تناول حبة منها فتقوم مقام وجبة خفيفة. وبالمقارنة مع أطعمة أخرى تجد أن الفاكهة هي أشهى المآكل وأفضلها وتحتوي على حدّ أدنى من الطاقة.

٣. اذا لم يكن عليك تناول الحليب فيمكنك أن تشرب ثمانية أكواب من الماء وشراباً لا يحتوي على أي وحدة حرارية. ويكفي لذلك فنجانان من القهوة أو الشاي يومياً.

ما مدى الامان في تطبيق البرنامج الدوري للحمية؟

اني أعتقد أن تطبيقه لا يشكل خطراً على ذوي البدانة الذين هم في صحة جيدة. انما لا يجوز تطبيقه على مرضى السكري والحوامل والمرضعات والاولاد والمراهقين والمبلّين من صدمة أو جراحة.

فالبرنامج يؤمّن معظم الفيتامينات والمعادن الرئيسية خلال ٢١ يوماً. لكن الكمية المحددة لبعض المغذيات، بما فيها الكلسيوم والحديد للنساء، تحملنا على التوصية بتناول كبسولات (برشامات) تحتوي على أنواع عدة من الفيتامينات والمعادن. ومن المهم جداً أن تستشير طبيبك قبل مباشرة أي برنامج لخفض وزنك.

اذا كنت تقضي معظم وقتك جالساً، فيستحيل عليك أن تخفض وزنك وتحافظ عليه منخفضاً من دون أن تزيد نشاطك الجسدي. لذلك أنصحك بأن تؤدي يومياً ولمدة نصف ساعة متواصلة تمريناً واحداً (مشياً أو سباحة أو هرولة). فان كان تمرينك قوياً ومتواصلا لمدة ٣٠ دقيقة فان استهلاكك للطاقة يزداد لساعات بعده. وهذا "الارتفاع الثمالي" (٣) في الطاقة يساعدك لكي تحرق على مدى ساعتين الى أربع ساعات، بين ٥٠ و١٠٠ وحدة زيادة على معدل ما تحرقه عادة. وبعد ٣٠ دقيقة من التمرين يرجح أن تنخفض قابليتك للأكل موقتاً.

أثناء توقفك عن الحمية سيظل وزنك قابلا لزيادة موقتة مما يثبط همتك، وذلك بسبب احتباس الماء. فلكي تحافظ على وزنك المنخفض اعمل بالاقتراحات الآتية:

اذا زدت كمية الطعام التي تتناولها بسرعة أكثر مما ينبغي، فربما زاد ذلك

(٣) Residual metabolic elevation

طاقتك وكمية الصوديوم في جسمك. لذلك بعد اكمال برنامج الاسابيع الثلاثة، يجب ألا يزيد محتوى الطعام المتناول في كل من الايام الثلاثة التالية على ١٤٠٠ وحدة حرارية للنساء و١٨٠٠ للرجال. حاول، على سبيل الاختبار، أن تزيد طاقتك على دفعات، كل منها ٣٠٠ وحدة، كي تحدد المستوى الذي يستقر عليه وزنك بعد أن تبدأ تمارينك الجسدية. ولكي تؤمّن ٣٠٠ وحدة اضافية في كل محاولة تناول فقط زيادة من الفاكهة والخضر واللحم الخالي من الدهن والطيور والسمك، واعتمد الكميات التقديرية الآتية:

نصف فنجان من جميع أنواع الخضر ما عدا تلك الخالية من الطاقة والتي ذكرناها سابقاً: ٢٥ وحدة حرارية. فاكهة بحجم عادي: الحبة ٦٠ وحدة. فاكهة صغيرة الحجم (خوخ مثلا): الحبة ٤٠ وحدة. فاكهة كبيرة الحجم (تفاح): الحبة ٨٠ وحدة. لحم هبر أو سمك أو طيور: في كل ٣٠ غراماً ٦٠ وحدة. لحوم دهنية: في كل ٣٠ غراماً ١١٠ وحدات. واذا زدت حلوى أو شراباً أو وجبات خفيفة فتناول حصة واحدة في يوم معين الى أن يتبين لك مدى تأثير هذه الزيادات في وزنك.

تابع نشاطك الجسدي لمدة ٤٥ دقيقة يومياً، ولا تنسَ أن تتناول ثمانية اكواب من الماء يومياً، وحافظ على أكل الفاكهة لوجباتك الخفيفة أو للتحلية.

الطريقة المثلى لمنع الدهن من العودة الى التجمّع يمكن اختصارها بخمس كلمات:

قلّل من أكل الدهن، وامشِ.

مارتن كاتان ■

سقط المتاع

توجهت امرأة الى سوق سقط المتاع. وبعد ساعات عادت الى بيتها تحمل عدداً من الرزم وعلى شفتيها ابتسامة عريضة. وراحت تشرح لزوجها ما ربحته في كل صفقة، الى أن وصلت الى فستان أصفر فأخبرته بفخر: "اشتريته بنصف دولار" ولما لاحظ الزوج أن الفستان هو نفسه الذي باعته زوجته في السنة السابقة بدولار واحد، ردت ضاحكة: "نعم، انه هو، لكنه هذه السنة يناسب مقاسي. وما زلت كاسبة نصف دولار."

ل.ل.

مرحباً يا جميلتي!

كانت فتاة تتفحص آلات التسجيل في محل للادوات الكهربائية والالكترونيات. فلاحظت شاباً بقربها يلقم دماغاً الكترونياً معلومات معينة. ولما غادر الشاب المحل ألقت الفتاة نظرة فضولية على شاشة الدماغ الالكتروني فاذا فيها العبارة الآتية: "مرحباً يا جميلتي... مرحباً يا جميلتي..."

م.ل.

مأساة واقعية

أقدام في الرمال المتحركة

سقط الصياد في وحل المستنقع وغار فيه، وكل حركة منه هددت باغراقه أكثر. فكيف السبيل الى الخلاص؟

حدث ذلك في اليوم الاول من شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨١، وهو اليوم الأول أيضاً في موسم صيد البط. وكانت أشعة الشمس تغمر منطقة داك فلاتس الحافلة بالمستنقعات شمال شرق مدينة أنكوراج في ألاسكا قرب مصبّ نهر كنيك. وعلى مسافة ٢٠ متراً من أحد الجسور أوقف نوكس شاين (٣٧ عاماً) محرّك زورقه البخاري الصغير.

ثم خاطب لاوتون هونشيل (٣٩ عاماً): "لقد بدأت المياه تضحل. لنترك الزورق هنا. أجلب الذخيرة وسأحمل أنا الطعام."

قبل بضع ساعات كانت مياه المدّ ارتفعت أكثر من ثلاثة أمتار لتغطي الأخدود. أما الآن فقد دفع شاين وهونشيل بالزورق الى الشاطىء وشرعا يتقدّمان بجهد في الوحل الكثيف.

وهتف شاين: "يا لها من مادّة تلصق كالغراء!" وحاول الاسراع في السير، فرفع ساقه اليمنى وتقدم خطوة أكبر. وما ان

Illustration: Ed Acuna



وضع قدمه اليسرى أرضاً حتى التصقت جزمته فسقط في المستنقع. وفجأة علقت قدماه الاثنتان. وحاول أن يتقدّم الى الامام ثم جانبياً، لكنه شعر أنه يغرق أكثر مع كل التواءة. وفي غضون لحظات كانت المادة اللزجة الكثيفة والرمادية اللون تلتهم ربلتي ساقيه.

وصرخ شاين: "رمال متحرّكة! النجدة يا لاوتون!" وأسقط علبة الشطائر التي كان يحملها فاختفت في غضون ثوان.

— اعتاد هونشيل وشاين الذهاب معاً في رحلات الصيد منذ أكثر من خمس عشرة سنة. وكانا على علم بوجود التربة الغرينيّة اللزجة التي تشبه الرمال المتحركة وتعتبر غاية في الخطورة. ويتشكل الغرين من حبيبات دقيقة كمسحوق الطلق. وفي فترة المدّ يتميّع الوحل حين يفصل الماء حبيبات الغرين بعضها عن بعض. وفي فترة الجزر يصبح الغرين أكثر تصلّباً ويتحوّل طيناً قاتماً. وفي حال وقع رجل في شركه فانه قد يجد نفسه عالقاً من دون أمل بالافلات أو الفرار قبل طلوع المدّ.

فك هونشيل حزامه وتقدّم خطوةً خطوةً وبحذر شديد نحو شاين، فأمسك هذا بالحزام وبدأ رفيقه يشدّه مشجعاً: "أصمد ولا تخف."

وراح شاين ينحني على احدى ساقيه ويندفع بقوّة الى الامام، لكن الوحل تشبّث به كالملزمة. وشعر هونشيل أن السطح يتشبع بالماء ففكر: "ان آخر ما يلزمنا هو أن نقع معاً في هذا الشرك."

وتابع هونشيل وهو يتراجع نحو الشاطىء: "اننا لا نحرز أي نتيجة. سأذهب لطلب النجدة، فلا بدّ من أن ألتقي بعض الصيادين عند منحدر النهر."

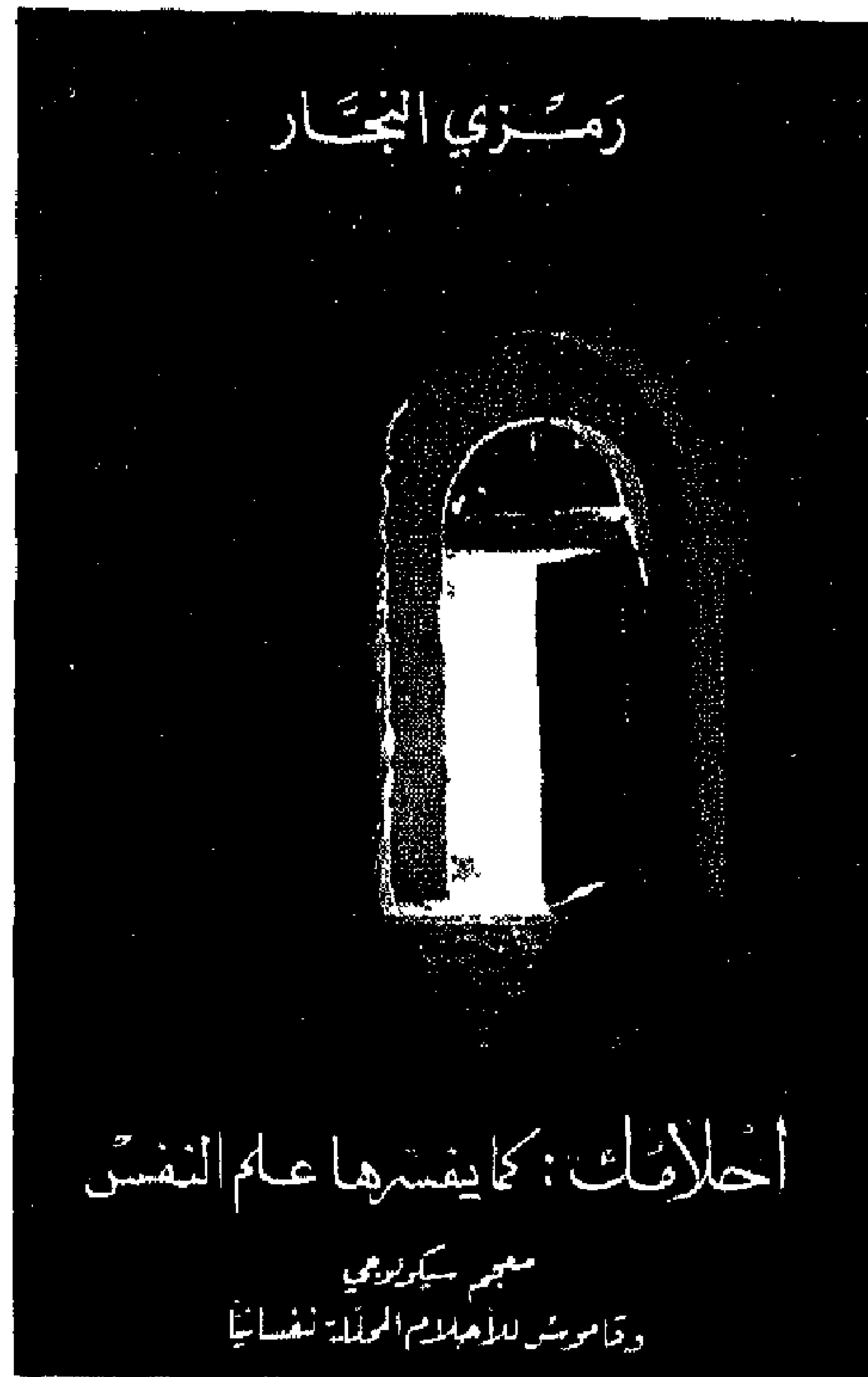
وحدّق هونشيل الى شمس الصباح واتجه جنوباً تاركاً رفيقه مغموراً حتى خصره يتأمّل ورطته. ويعتبر المدّ في ألاسكا من الاسرع ارتفاعاً والاخطر في العالم. وفي أقل من أربع ساعات قد تجرف المياه المنبسطات وترتفع بمعدل ٣٠ سنتيمتراً كل ١٢ دقيقة. وبعد ساعتين قد يصل عمق الماء الى ثلاثة أمتار ونصف متر في المكان الذي علق فيه شاين.

— كان شاين يرتجف من البرد، فحاول لمس أسفل المستنقع بيديه الاثنتين ليحرّر نفسه، لكنه غرق أكثر. ما أشدّ البرد! وتساءل عمّا اذا كان سيصاب بهبوط في حرارة جسمه.

كريستين! تذكّر زوجته التي توفيت بداء السرطان قبل سنتين ولم تكن تجاوزت الثانية والثلاثين من العمر. وفكر في معاناتها الطويلة وشجاعتها الرائعة. "انها لم تستسلم قط، ولن استسلم أنا." وومضت في مخيّلتِه وجوه أولادِه، تارا (١٧ عاماً) وترينا (١٤ عاماً) وأنطوني (١٠ أعوام)، والرحلة العائلية الى "ديزني لاند" في العام ١٩٧٧ حيث التقطوا آخر صورة لهم مع كريستين.

في قاعدة القوّة الجوية في المندورف قرب أنكوراج أمسك المقدّم بيل لانغلي سماعة الهاتف الذي رن في المركز ٧١ لعمليات الانقاذ والطوارىء الجوية. لقد نجح هونشيل في نقل رسالته على هذا

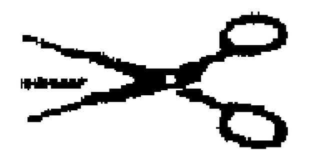
لن يجازف أحد ويخبركم عن أحلامه بعد اليوم...



هل صحيح أن الأحلام ظروف مختومة لكشف أسرار الشخصية أم هي إشارات مبطنة تنبىء بالمستقبل؟ لأول مرة، وبالأسلوب العلمي:

* إكتشف الغامض في شخصيتك وشخصيات الذين من حولك.
* كتاب «أحلامك كما يفسرها علم النفس» لرمزي النجار ليس ترفيهيّاً وهدفه ليس المرح الخفيف: بل هو معجم موسوعي وقاموس كامل، دقيق ومبسّط، هدفه دعوة القارىء والقارئة لإتقان تحليل الحلم وإكتشاف اللاوعي لجعله كتاباً مفتوحاً.
* هذا الكتاب هو طريقكم لفتح طريق اللاوعي حسب علماء النفس أمثال "Freud" و"Yung" و"Adler" وغيرهم.
* تحليلات نفسيّة، فوريّة للأحلام في دقيقة واحدة أو أقل.
* الأحلام الفرديّة والجماعيّة كلها مفسّرة في لحظات.
* الأحلام كلّها مفهرسة مثل القاموس وهي الأكمل في أول معجم سيكولوجي موضوع باللغة العربية.
* كلنا يحلم حتى الذين ينسون أحلامهم يجدون في هذا الكتاب الطريقة المثالية ليتذكروا أحلامهم.

تفاصيل حجز نسختك كلها مفصّلة في القسيمة أدناه...
أسرع في الحصول على الكتاب الآن، وإبداء سؤال الأهل والأصدقاء: ماذ تحلمون: عادة ؟ ؟ ؟



قسيمة الشراء (إملاء بخط واضح وبالعربية أو الإنكليزية):

الإسم: ________________ العمر ________________

العنوان الكامل ________________________________

إرسل بالبريد الجوّي المسجّل (المضمون) القسيمة مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بإسم رمزي النجار بقيمة ١٠ (عشر) دولارات أميركية إلى أحد العناوين التاليين:
مجلة المختار: ص.ب: 8707-11 بيروت – لبنان أو — مجلة المختار: ص.ب: 55228 المتن الشمالي – لبنان أو
بالتلكس: 44615 MOKTAR LE.
الرجاء وضع العبارة التالية على المغلّف: «أحلامك كما يفسّرها علم النفس»

الخط بعدما شقّ طريقه ببطء وصعوبة عبر المنبسطات خلال ساعة كاملة سعياً الى النجدة. وبعد لحظات انطلقت طوّافة خاصة بالقوة الجوية بقيادة الربّان جيم سيلز، وعلى متنِها مساعده النقيب مايك ميلر ومهندس الطيران الرقيب مايك انجلز والمظليان المجوقلان الرقيبان رودولف كولا ودان هامفريز. وبعد عشر دقائق كانت الطوّافة فوق منبسطات الوحل.

[illegible] – أعلن ميلر عبر نظام الاتصال الداخلي: "هناك في النهر... نحو الغرب... انه هـو." وهبطت عجلات الطوافة محدثة صوتاً مكتوماً على القمة التي ترتفع ١٨ متراً فوق شاين. ووثب منها المظليّان وسارا على الوحل. وطمأن هامفريز الصياد: "سنخرجك من هذا الشرك."

في بادىء الامر حاول كولا وهامفريز تحرير شاين بسحبه وجرف الوحل عنه الا انهما تقدّما متعثّرين داخل المستنقع من دون الوصول الى نتيجة. فالتصقت قدم كولا بالوحل وغارت ساقا هامفريز حتى فخذيه. لكن كولا حرّر نفسه ثم ساعد هامفريز على الخروج من الوحل.

"لا جدوى من هذه الوسيلة يا رودولف." قال هامفريز ذلك في طريق العودة الى مكان الهبوط. وأسرع هامفريز نحو الطوّافة وأخذ دعامة لكل منهما ليبركعا عليها وهما يحاولان تحرير شاين. لكن الوحل غمر الحمّالتين أيضاً وأجبرهما على العودة ثانية.

بعد ذلك شقّ الرجلان دربهما بحذر عبر الوحل مستعينين بجهاز انقاذ وحزام يبلغ عرضه أربعة سنتيمترات ومقعد للتجذيف ربط بالطوّافة. ومررا الحزام تحت إبطي شاين وسحباه الى الوراء. وكان على شاين، حالما تبدأ الرافعة في الطوّافة تحريكه على نحو متلوّ لتحريره، أن يبسط ساقيه ويباعدهما للجلوس على المقعد.

[illegible] – جلس انجلز عند مدخل حجرة الحمولة وضغط زرّ ضبط الحبل. وشرعت الرافعة تسحب بشدّة. فانحنى شاين جانبياً وأومأ باهتياج شديد الى انجلز ليتوقّف عن هذا العمل وقد جحظت عيناه من شدّة الألم.

تصلّب سيلز في مقعده: "أمامنا مشكلة."

حين يكون رجل مغموراً حتى هذا العمق في الغرين الجليدي، يغدو سحبه أمراً هائلا. وقد عرف سيلز محاولة انقاذ مشابهة بالطوّافة أدّت الى شطر الضحيّة نصفين عند الخصر.

وقال سيلز: "اننا على مسافة بعيدة جداً وفي زاوية غير مناسبة. يتوجب علينا أن نحوم فوقه مباشرة وعلى أقرب مسافة ممكنة من أجل اتصال أفضل وتحكّم أقصى، ومن ثم نسحبه باستقامة وببطء خارج الوحل. انها فرصتنا وفرصته الاخيرة."

ولكن كيف السبيل الى الابقاء على طوافة وزنها عشرة أطنان على مسافة متر فوق رأس رجل؟ فقد يؤدي أي تحرّك خاطىء الى كسر ظهره أو الى سحقه حتى الموت.

وتابع سيلز: "لا بد من أن تنجح هذه

الوسيلة. فلن يرتفع المد قبل ساعة."

وبينما الطوّافة تهبط متمايلة نحو شاين أثارت مروحيتها رذاذاً من الطين التفّ في الهواء فكفّ الابصار. وفي غضون ثوان راحت كرات صغيرة من الوحل تلكم الرجل العالق بعنفٍ كشظايا قنبلة، فحجب عينيه وأذنيه بيديه الباردتين. ووصلت الطوّافة الى ارتفاع تسعة أمتار فوق رأسه... ثم ستة أمتار... فثلاثة أمتار.. وانكمش شاين على زعيق المحرّك الذين يصمّ الآذان. متران... متر ونصف متر. عندئذ لوّح شاين بذراعيه صارخاً: "كفى هبوطاً!"

واتكأ انجلز على باب غرفة الحمولة وأخذ يومىء اليه باهتياج كي يجرف الغرين حوله. فهزّ شاين رأسه اشارة الى انه فهم قصده وبدأ ينبش التربة الطرية.

وانحنى سيلز الى الامام في مقعد الطيّار وركّز نظره على خط متمايل من الوحل على مسافة أربعة أمتار أمامه. "استقر مكانك الآن... تمهّل!" كان سيلز يحرّك دوّاستين بقدميه وقضيبين بيديه ويضغط بابهامه زرّ تحكم لكي يبقي على الطوّافة محوّمة في مكانها. الا أن نفحة ريح مفاجئة أو حركة خاطئة في أجهزة التحكّم أو حتى فرقعة بسيطة في المحرك كانت لتقصف ظهر شاين وكأنه غصن صغير.

على حافة [illegible] — أحسّ شاين أن الحزام يجتذبه بعنف الى أعلى من تحت ذراعيه. وكان يحاول جرف الوحل الذي كاد يغمر صدره، وهو يلتوي ويتحرك في شكل دائري. لكنه كان لا يكاد يزيل المادة اللزجة حتى تنصبّ عليه من جديد كالحمم البركانية. وراح شاين يلهث لكثرة ما بذل من جهد حتى شعر أن قواه أنهكت.

وفي ركن الطيّار خشي سيلز الريح الآتية من الجبل وبدا له أن التحكم بالطوّافة بات أصعب. ولم ينفكّ كاحلاه يتشنّجان وكتفاه تتيبسان. أما النافذة الممتدّة حتى قدميه فأصبحت مكسوّة بالطين. ولم يعد في وسعه أن يرى خطّ الوحل المتطاير بوضوح الا اذا نظر من ناحية قدمه اليمنى. وكان سيلز يتوق الى تغيير وجهة التحكّم وتحرير الرجل، لكنه عرف تماماً معنى ذلك.

فجأة ضربت هبة ريح الطوّافة فارتدّت نحو اليسار. وصرخ انجلز: "ابق مكانك، فصاحبنا تحت يعاني مشاكل حقيقية."

كانت الساعة قرابة الثانية الا ربعاً بعد الظهر والطوّافة تحوم فوق شاين منذ ربع ساعة على الاقلّ، وقد وصل الوحل الى ابطيه وأرغمه التعب على الاستراحة تكراراً. ونادى انجلز الطيار: "انه ينزلق نحو الاسفل." وكان يرى يدي الرجل تحته تتمدّدان مترهلتين في الوحل. وفكّر وهو يبقي على التوتر في الحبل: "يبدو وكأنه يغمى عليه." فسأل سيلز: "ماذا نفعل الآن؟"

فرد هذا بأعلى صوته: "واظب على عملك، فلن نفقده!"

وسال العرق البارد على عنق سيلز. كان يدرك أن المدّ قد يبدأ في أي وقت. وفكّر: "في حال تدفّق المدّ سنسحب بشدّة وبسرعة أكبر. كان أمراً محفوفاً بالخطر، ولكن لم يسعه أن يترك الرجل يغرق في الاسفل.

الفرصة الاخيرة - قاربت الساعة الثانية بعد الظهر وأحسّ شاين حركة خفيفة تسحبه الى فوق. لم يعد يغرق. "ادفع... تشبّث... اقفز!" وشده الحبل باطراد وبطء، وانخفض مستوى الوحل الى ما دون خصره. "سوف انجو... ارفعني قليلا بعد!"

وأمسك شاين بيديه المرتجفتين بمقعد التجذيف وحاول الجلوس عليه. لكن ركبتيه ما كانتا لتنفصلان وسط التربة اللزجة. وفجأة انخفضت الطوافة أكثر. ففصل شاين بين ساقيه قسراً بعد جهد عنيف، وانزلق فغدا جالساً على المقعد.

وعلى رغم هدير الطوّافة أمكن شاين أن يسمع ضجّة ضخّ الطين فيما هو يتحرّر منه. ثم تأمّل سرواله ينزلق عن ساقيه ويغوص في المستنقع. لقد غدا حرّاً.

وجثم انجلز على ركبتيه وحمل الرجل المنهك داخل حجرة الحمولة. وفي الاسفل انساب الوحل مسرعاً ليملأ الحفرة حيث كان شاين غارقاً. وهبط سيلز على أعلى السدّ هناك وصعد المظليان الى متن الطوّافة وساعدا شاين على خلع جهاز الانقاذ.

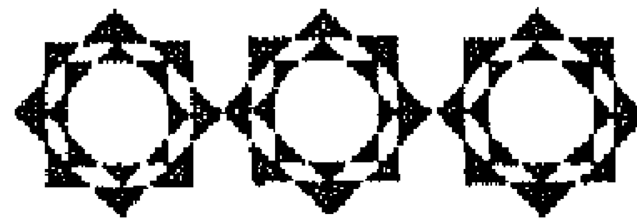
وفي مقعد الطيّار انتزع سيلز أصابعه المتشنجة بصعوبة عن ازرار التحكم، ثم غار الى الوراء في كرسيه وهو يمسح العرق المتصبّب على جبينه. وبادر ميلز: "أنا منهوك القوى. تسلّم أجهزة التحكّم وحلّق بنا بعيداً عن هذا المكان."

عولج شاين في مستشفى بروفيدانس في أنكوراج لاصابته بكدمات وهبوط معتدل في حرارة جسمه. وما لبث أن غادر المستشفى.

والغريب في الامر أنه لم يلتق أبداً الطيّار الذي أنقذ حياته. فقد تمّ نقله عاجلا من الطوافة الى المستشفى، وبعد بضعة اسابيع نُقل القبطان جيم سيلز الى قاعدة باتريك الجوية في فلوريدا.

ويقول شاين: "على رغم أننا لم نلتق قطّ فأنا أعتقد أننا متعارفان على نحو قلّما اختبره آخرون. فقد تشاركنا في تجربة حضت كلا منا على بذل أقصى ما يمكنه من جهد. وقد زاد هذا الامر احساسي بأهمية الحياة والناس حولي، وان يكن هؤلاء من الذين لا تربطني بهم سوى معرفة سطحية. والسبب هو أن أشخاصاً غريبين عني خاطروا بحياتهم لانقاذ حياتي. ولا شك في أن ذلك يتطلّب نوعاً نادراً من الشجاعة، وسأكون ممتناً لهم الى الابد.

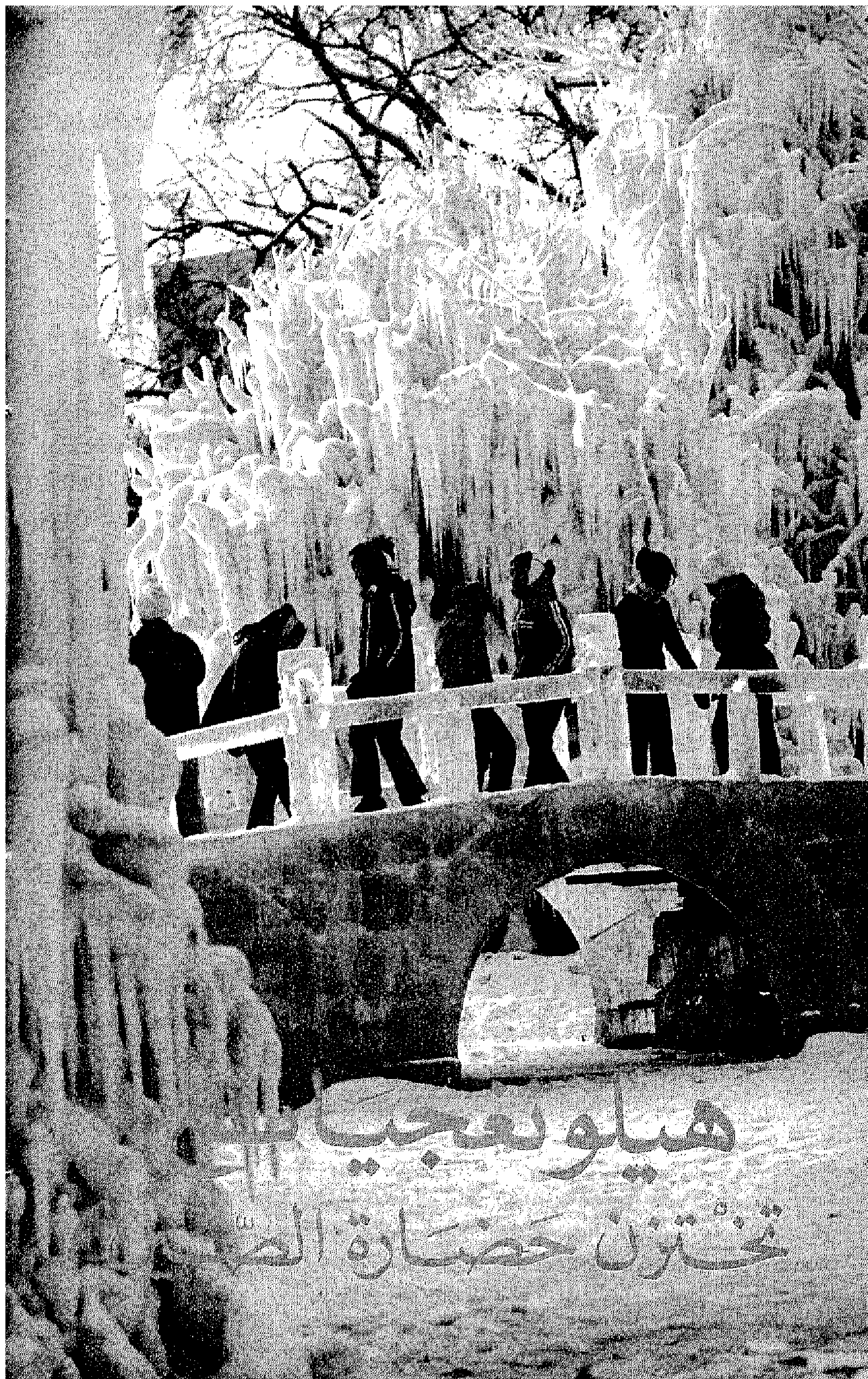
مرغريت رايس ■



أخبار مظليّة

اتصلت طالبة جامعية بأهلها لتخبرهم بآخر نشاطاتها، وهو الهبوط بالمظلة. وبعد أيام كتبت اليهم رسالة مطمئنة جاء فيها: "الأخبار جيدة! نلت علامة متفوّقة في المحاسبة وحظيت بالمنحة المالية التي طلبتها. كما أن مظلتي لم تخلي، فهي انفتحت في كل مرة."

م.هـ.





مقاطعة هيلونغجيانغ الواقعة شمال شرق الصين تبلغ مساحتها ٤٦٠ ألف كيلومتر مربع وتدين باسمها لنهر التنين الأسود، وهو نهر جبار يرسم قسماً من حدود الصين المتاخمة للاتحاد السوفييتي. وهي بلدة من يحترم الهواء الطلق وعناصر الطبيعة القاسية.

خلال أشهر الشتاء يتشبع الهواء برقائق الثلج وتراوح الحرارة بين ٣٠ و٤٠ درجة مئوية تحت الصفر. ومقاطعة هيلونغجيانغ تضم مزارع كثيرة، وقد حباها الله بتربة غنية بالطمي الأسود. وفيها صناعة أخشاب مهمة. كما أن

عالم بلوري.

جسر جليد ليلا. تمكن إضافة الألوان المختلفة الى المياه قبل تجلدها



حقولها النفطية تغذي الآلات الجائعة. وسكان هيلونغجيانغ الذين يبلغون نحو ٣٣ مليوناً مزيج مذهل من الهانيين والمنشوريين والمنغوليين والكوريين وسواهم.

مدينة هاربن تؤوي مليونين ونصف مليون نسمة وهي عاصمة هيلونغجيانغ. وكانت في الأصل قرية لصيد السمك. واسمها في الحقيقة يعني مكاناً لتجفيف شباك الصيد.

عام ١٨٩٦ بعد توقيع المعاهدة

النصب العملاق عند اطلال زينغلونغ.
هذا المقام الذي بني أوائل عهد سلالة كينغ أصبح الآن صالة لعرض الآثار الثقافية لدولة البوهاي.

Li Bin



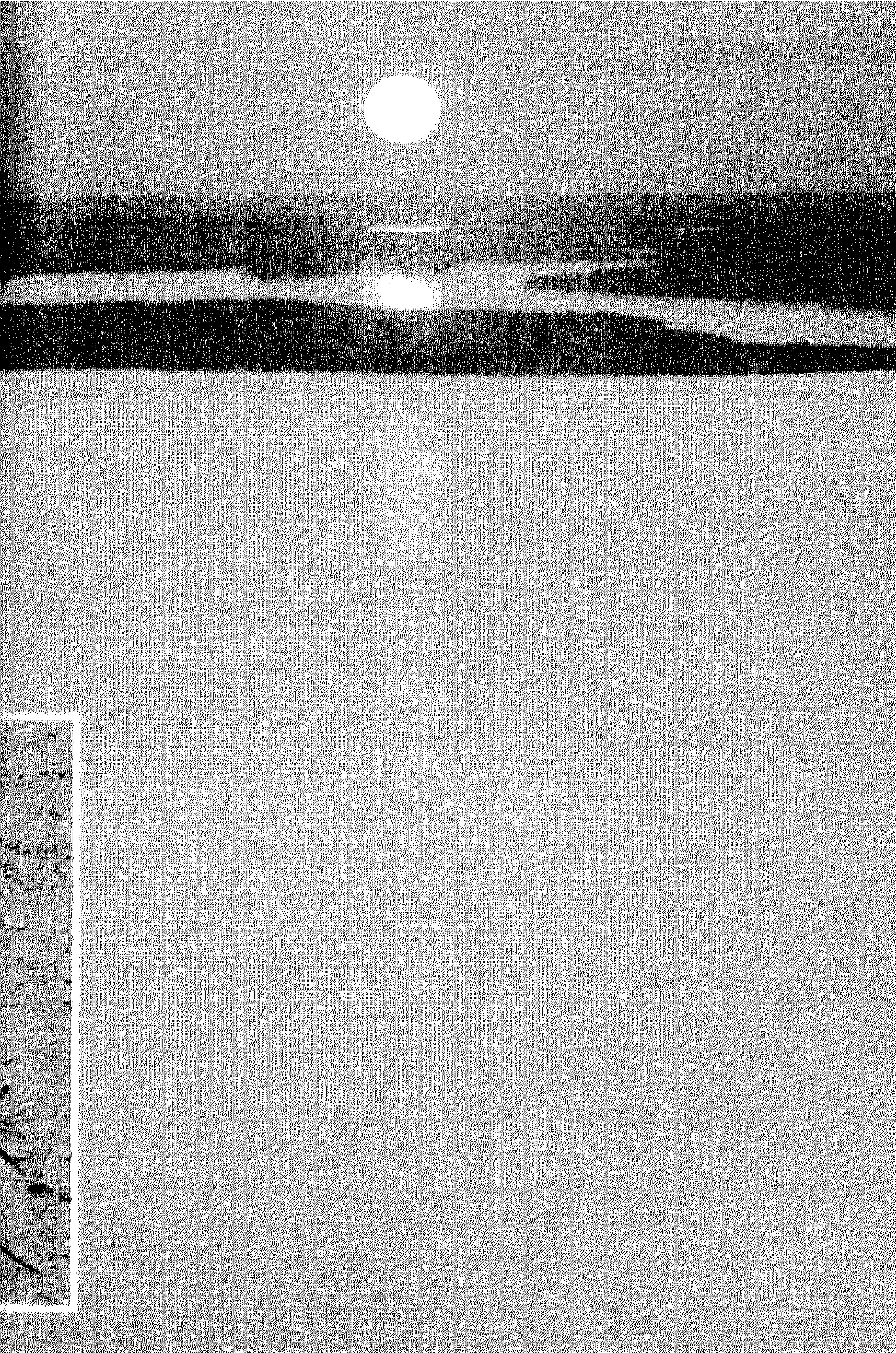
ونحتها على هيئة التماثيل. وقد ركبت أنابيب مصابيح فلورية ملونة ومصابيح كهربائية داخل النصب.
Mok Pak Kuen

الصينية – الروسية السرية وغير المتكافئة بين حكومة سلالة كينغ والنظام القيصري، مُنحت روسيا حق بناء خط سكة حديد وادارته، يمتد من مانزهولي عبر هاربن إلى فلاديفوستوك. وأصبحت هاربن الواقعة عند المركز نقطة اتصال مهمة للسكك، وباشر الروس بناء البيوت على طراز مبانيهم. وما زال عدد من هذه الأبنية قائماً.

ثلاثة أنهر – ذات صباح انطلقنا على خط سكة حديد هاربن – نهر سويفن للسكة الحديد. وارتحلنا ما يزيد عشر ساعات قاصدين مدينة مودانجيانغ حيث ركبنا احدى الحافلات.

بعد أكثر من ساعة وصلنا الى بلدة دونغجينغشنغ حيث أطلال شانغجينغ عاصمة دولة البوهاي القديمة. وكان الحاكم الأول للدولة هو دازورونغ أحد زعماء الموهي الذي ألحق الهزيمة بحملة عسكرية أرسلتها الامبراطورة وزتيان لمهاجمة قبائل الموهي عام ٦٩٧. وفي السنة اللاحقة أسس هذا الحاكم دولة زن في ما يعرف اليوم باسم تونهوا في

Condensed from China Tourism, Issue N°. 43, January 1984, Hong Kong



ملتقى نهري سونغوا وهيلونغ على الحدود الوطنية.

Liu Hongwei



Liu Hongwei

تحضير الصيد لغداء شهي من السمك النيء.

مقاطعة جيلن. لكنه بعد خمس عشرة سنة، أي عام ٧١٣، وافق على الانضمام إلى امبراطورية تانغ ومنح لقب ملك البوهاي. وعرفت بلده بدولة البوهاي.

تأثرت بوهاي كثيراً بثقافة تانغ، وكان للدولة في ذروة مجدها خلال القرن الثامن خمس عواصم، كبراها شانغجينغ المخططة على غرار شانغان عاصمة تانغ. وكان لها ثلاثة جدران منفصلة، أحدها ضمن الآخر. ودامت الدولة ٢١٣ سنة قبل أن يقهرها الخيتان عام ٩٢٦.

ثلاثة أنهر هي سونغوا وهيلونغ ووسولي تشكل المجاري المائية الرئيسية في

Xu Liqun



حفش ضخم، وهو لا يتوافر بأحجام أكثر ضخامة.

مقاطعة هيلونجيانغ. وقرابة رأس السنة تستحيل مياهها جليداً. وفن نقش الثلج في المقاطعة ذو تاريخ طويل، اذ يطرِّق العمال مياه نهر سونغوا المتجمد بأزاميل خاصة لانتزاع كتل ثلجية يبلغ طولها متراً أو مترين، ثم تقطع الكتل بمناشير كهربائية لاستعمالها مداميك في بناء الجسور والبيوت والقنوات. وبدلا من أطر الحديد والاسمنت، يرش العمال الماء على الثلج للحم الكتل بعضها ببعض.

ذات صبيحة ركبنا زورقاً من ميناء جياموسي وطفنا في الانهر الثلاثة. ثمة سهل يدعى سانجيانغ (ويعني ثلاثة أنهر) يتشكل من الطمي الذي تكونه هذه الأنهر. وهذا السهل الذي كان يعرف سابقاً بالقفر الشمالي العظيم غني بالقمح والذرة وفول الصويا والشمندر.

وبعدما جاز الزورق فوجين اتجه إلى ملتقى نهري سونغوا وهيلونغ.

التتر الصيادون – ينبع نهر سونغوا من بحيرة تيانشي في جبال شانغباي بمقاطعة جيلن، ويجري حتى فويو حيث ينضم إلى نهر نن لينحرف مساره من ثم شمالا – شرقاً الى هيلونغجيانغ راوياً الحقول الواقعة على ضفتيه قبل أن يكمل مجراه الذي يمتد حوالى ١٩٠٠ كيلومتر.

وقت الغسق أبحر زورقنا بالقرب من ملتقى النهرين في إقليم تونغجيانغ، وهو مساحة منخفضة يبلغ معدل ارتفاعها ٥٠ متراً فوق سطح البحر.

والنهر عريض عند الملتقى ويتسع أكثر من عشرة كيلومترات من ضفة الى أخرى، والماء فيه يجري شرقاً. ونهر سونغوا أصفر ضارب إلى الرمادي اذ يجرف كميات كبيرة من الأتربة من المناطق الزراعية الواسعة في السهل، فيما نهر هيلونغ أخضر قاتم لأنه يجتاز جبالا سوداء التربة وغابات كثيفة.

واذ يلتقي النهران تمكن رؤية مجريهما المنفصلين على بعد كيلومترات أسفل الملتقى، وتشكل المياه الصفراء والسوداء وشاحاً ثنائي اللون.

الشمس الغاربة حمراء ككرة نارية. وهي تصبغ الماء والسماء بلون واحد عند مؤخر الزورق.

في تونغجيانغ يعيش شعب الهيزين الذي يبلغ تعداده ١٥٠٠ نسمة، وهو أصغر الاقليات العرقية في الصين. وقد عاش افراده لأحقاب على ضفاف نهر هانتونغ، وهو قسم من نهر هيلونغ حيث ينضم إليه نهرا سونغوا ووسولي.

مجرى النهر هنا عريض ومياهه راكدة، وثمة شبكة كثيفة من القنوات تكون أرضاً صالحة لتوالد الأسماك. وقوم الهيزين الذين كانوا يعرفون في الماضي بلقب "التتر ذوي البشرة السمكية" هم الشعب الوحيد في تاريخ شمال الصين الذي يعتاش أساساً من السمك.

في جيجنكو، قرية صيد السمك، لكل عائلة أعمدة في فناء دارها تعلق عليها الشباك المبللة لتجف. ويتدلى السمك المجفف من الافريز فينشر في الجو رائحة عطرة.

دعانا صياد عجوز إلى الغداء. لم يصحبنا إلى بيته بل إلى مركبه لصيد الأسماك. قال: "اجلسوا حسناً، سنصيد

سمكة ونأكلها نيئة." ورفع حبلا بجانب المركب فظهرت سمكة شبوط بزعانف ذهبية وحراشف، وزنها بضعة كيلوغرامات، متوثبة بعجز من حولنا.

نزع الصياد حراشف السمكة وقطعها شرائح فاصلا اللحم عن العمود الفقري. ثم شق اللحم ونقعه في خل الرز، وأضاف اليه الملح والصلصة والثوم والكزبرة والفلفل والخيار. وسرعان ما أضحى الطبق المحلي جاهزاً: سلطانية كبيرة من الخضر والسمك يسيل لها اللعاب. تناولنا لقمة وتذوقناها على مهل. كانت لذيذة حقاً.

هيلونغجيانغ فعلا فردوس الذوّاقة. أقصدها في الموسم المناسب تستمتع بأكل طائر الطيهوج. وهناك أيضاً السمك المفروم والسلمون وسمكة المندرين والشبوط والسمك الأبيض. وللزائر الراغب في طعام غريب جداً ننصح بخطم الايل أو فطر رأس القرد أو مخلب الدب.

مهرجان السمك – خلّف الزورق جيجنكو في اتجاه اسفل النهر إلى الشرق. ولدى وصولنا إلى باشا، إحدى قرى صيد السمك، صاح أحد البحارة: "انظروا، لقد اصطادوا حفشاً."

وأشار البحار إلى زورق صيد صغير راس قرب الشاطىء. على الضفة كان خمسة رجال أو ستة يجذبون بعنف حبلا غليظاً والناس يصرخون.

كان المشهد يوحي بصراع رهيب. وأخيراً تم قطر سمكة عملاقة إلى الشاطىء. بدت وكأن طولها ثلاثة أمتار على الأقل.

قال البحّار: "هذه السمكة ملكة المياه السوداء، لحمها وبيضها طعام ممتاز. والجمجمة المجففة تشكل حساء شهياً، وتستعمل معدتها في صنع المراهم لتسكين القروح."

بعد منتصف الليل وصل الزورق إلى بلدة فويوان الأبعد شمال شرق البلاد. هاهنا تشهد الصين شروق الشمس الأول. يسميها الناس "أول بلدة من الشرق." تثب الشمس الحمراء من النهر فتبدد أشعتها سديم الصباح. تلاشت الظلمة وبرزت الأرض الفسيحة للنور رويداً رويداً. مياه هيلونغ الدكناء تستحيل قرمزية. البلدة الهادئة تستفيق. تتراءى صفوف من الأبنية المتسقة والشوارع النظيفة. وتنشط السوق اذ تتقاطر إليها جموع البشر.

بعد يومين أو ثلاثة من قدومنا إلى بلدة وسو بدأت مراكب الصيد تحتشد. وذات ليلة علمنا أن أسراباً من الأسماك أتت. النهر بأسره يومض بالأنوار. مراكب الصيد ألقت شباكها. من هذا اليوم فصاعداً يصبح نهر وسولي مهرجاناً. صيادو السمك الذين يلقون شباكهم ليل نهار يعودون جميعاً بغنائم وفيرة.

أشلاي شنشيه – على الحدود الشمالية الشرقية للصين تمتد جبال هنغان العظمى موطن شعب الأوروكين. والجبال تشبه ملاذاً هائلا حيث تنمو غابات كثيفة من أشجار الكلاركس والبتولا والتنوب والسرو مطاولة السماء حاجبة أشعة الشمس عن الأرض.

توجهنا في السيارة شمالا شرقاً على

Wang Jian



صياد منْ الأوروكين يرتدي قبعة من جلد انثى الأيل.



صياد شاب من "القطب الشمالي الصيني."

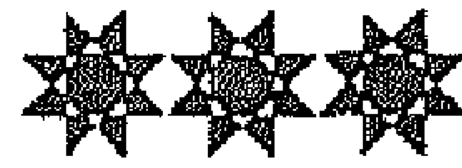


نساء الأوروكين يستخدمن أربطة الأيائل خيوطاً يحكنها على جلد الأيل ويصنعن منها أشياء عدة تراوح بين الثياب وأكياس النوم.

امتداد الطريق العامة من البلدة الحدودية الجديدة تاهي على نهر باغودا. وبعد ما يزيد على ساعة وصلنا الى قرية الأوروكين "صندوق البريد ١٨". كان المكان في ما مضى مركز بريد ذا شأن في معركة ضارية بين الصين وروسيا وقعت عام ١٦٨٥ في فورت ياكيسا عند ملتقى نهري هيلونغ وإيمور. وبغية نقل الرسائل بسرعة تم إنشاء طريق تضم ٢٥ مركزاً للبريد من بلدة نينجيانغ إلى نهر إيمور. وبفضل الصناديق، حين هُزم الروس في يونيو (حزيران) من تلك السنة، وصلت الأخبار إلى بيكين في ١٢ يوماً فقط، في مقابل ٥٠ يوماً عادة. وزيدت المراكز في ما بعد

إلى ٣٠ صندوقاً ومد الخط إلى موهي.
يقع "الصندوق ١٨" بين الهضاب حيث الشجيرات الكثيفة والأعشاب الطويلة المتشابكة مع الجداول والأنهار.
وقد درج قوم الأوروكين على العيش في خيم تعرف باسم "كوليوزي". وهيكل الخيمة مؤلف من مخروط من عشرات الدعائم الخشبية طول كل منها خمسة أمتار أو ستة مغطاة بجلد الأيائل شتاء ولحاء شجر البتولا صيفاً.
الأوروكين القاطنون في جبال هنغان العظمى هم بحسب الأعراف صيادون في الغابات. ورجالهم رماة عن صهوات الجياد. وهم يقتاتون بالحيوانات التي يصيدونها، يستعملون لحمها طعاماً وجلودها ملابس تقليدية وأغطية للخيم.
وصيد الأيل أكثر النشاطات ربحاً، إذ ان جنين الأيل وقرونه وذيله تدر دخلا كبيراً كمواد طبية.
ويصطاد الأوروكين في مجموعات تقسم الغنائم بينها بالعدل، مع إعطاء حصص مساوية للمسنين والضعفاء والجرحى والمعاقين، على رغم أن هؤلاء لا يشاركون في الصيد، اذ ينص نظام الأوروكين الأخلاقي على العناية بكل أفراد الجماعة كما درج على ذلك منذ الأزمنة الغابرة.
مقاطعة هيلونغجيانغ هي حقاً أرض وعرة لشعوب عريقة.

صحيفة "تشاينا توريزم" ■



أسمعني عزفاً

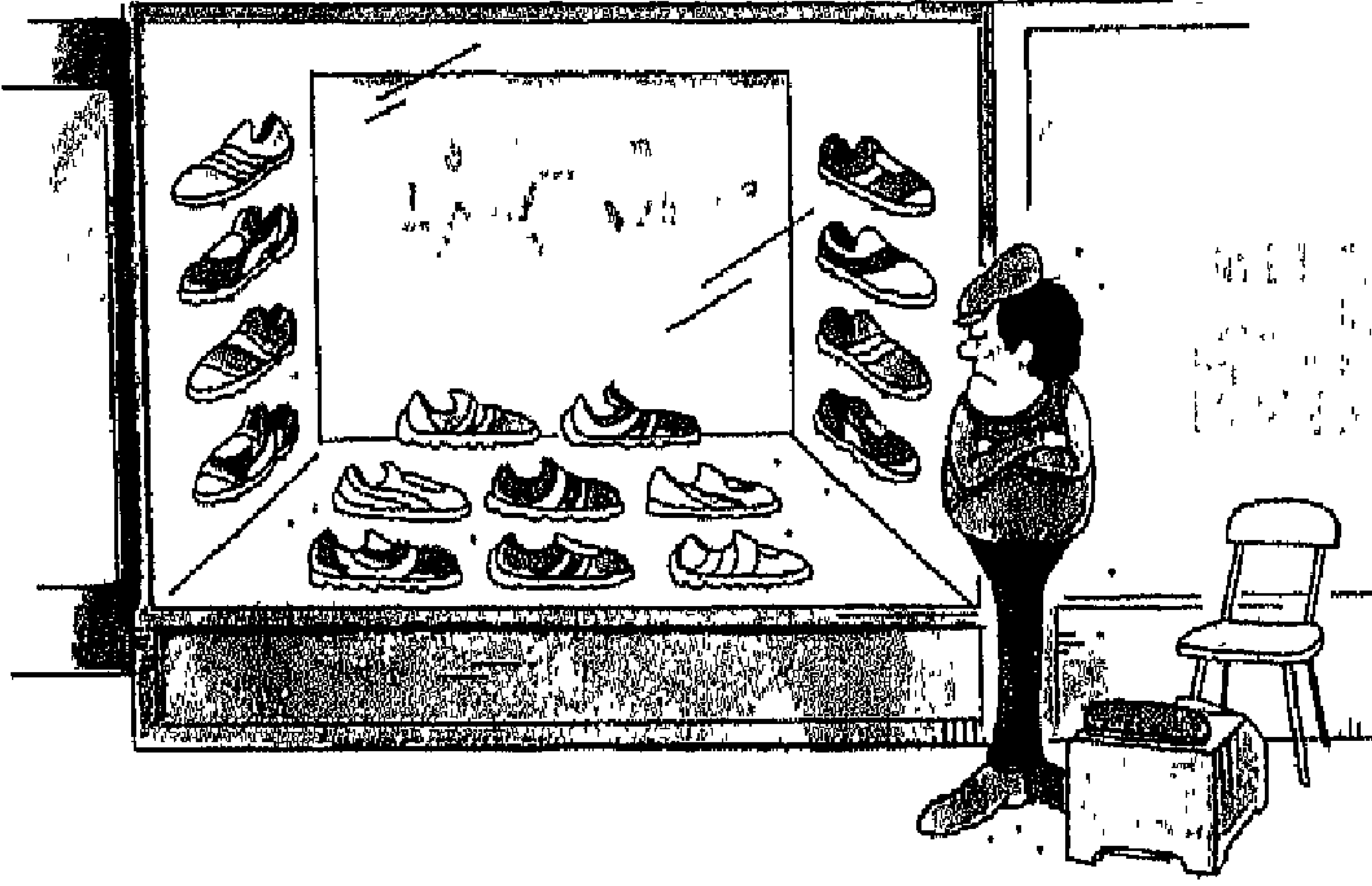
في فترة الاستراحة أثناء حفلة موسيقية أقيمت عام ١٩٨٥ تكريماً للمؤلف الموسيقي آرون كوبلاند لمناسبة بلوغه الخامسة والثمانين، تكلم عازف البيانو ليو سميث عن صداقته الطويلة مع كوبلاند. فهو عزف في شبابه قطعة للمؤلف في حضوره. وكما جرت العادة مع معظم المؤلفين، انتظر سميث ان يسمع من كوبلاند نقداً لاذعاً وايضاحاً للطريقة الصحيحة لعزف القطعة الموسيقية. لكن كوبلاند اكتفى بأن اثنى على اداء سميث. فسأله هذا: "اليس لديك أي انتقاد توجهه الي أو نصيحة تسديها؟"
فأجاب كوبلاند: "لا، اني أحب أن أعرف كيف يفسر الناس مقطوعاتي."

ب.س.

أوصاف متطابقة

أثناء زيارة أحد القصور الاثرية أخذ الدليل يتكلم بحماسة عن عظمة القصر وتاريخه. ثم أضاف: "لقد بني هذا القصر قبل مئة سنة ونيف. وحتى اليوم لم يتم أصلاح أي عمود أو دعامة فيه".
عندئذ هتف أحد الزائرين: "انني متأكد من أن سيد هذا القصر هو نفسه مالك بنايتنا."

ل.س.



بين الستين والتسعين

كان رجل في الستين يغرس شتولا ربيعية بمساعدة والده الذي بلغ التسعين. وراح الأب يغرس الشتول في خطوط مستقيمة، فاقترح الابن أن يغرساها في خطوط متعرجة. ولم يقتنع الاب بوجهة نظر ابنه واحتدم النقاش بينهما. واخيراً عيل صبر الابن فصاح: "يا أبي، هذه حديقتي وأنا أريد أن أغرس الشتول في خطوط متعرجة." وحمل الوالد مجرفته وسار نحو البيت غاضباً وهو يدمدم: "يا لهؤلاء الاولاد، ما ان يبلغوا الستين حتى يحسبوا أنهم باتوا يعرفون كل شيء."

م.ر.

مرصد بقري

للمزارعين أسلوبهم في مسايرتنا نحن أهل المدن. ومرة كنت أقود سيارتي في الريف فعرجت لاتكلم مع مزارع. وتركز حديثنا على قدرة الابقار في المراعي على توقع الاحوال الجوية.
وأكد لي المزارع: "عندما ترى الابقار واقفة فاعلم أن لا مطر في الساعات الاربع والعشرين المقبلة. اما اذا رأيتها مستلقية فمعنى ذلك ان المطر قريب." فاستوضحته: "وماذا يعني أن ترى نصف القطيع واقفاً والنصف الآخر مستلقياً؟" فأجاب برزانة: "معنى ذلك أن نصفه على خطأ!"

د.هـ.

طباخة الصغار

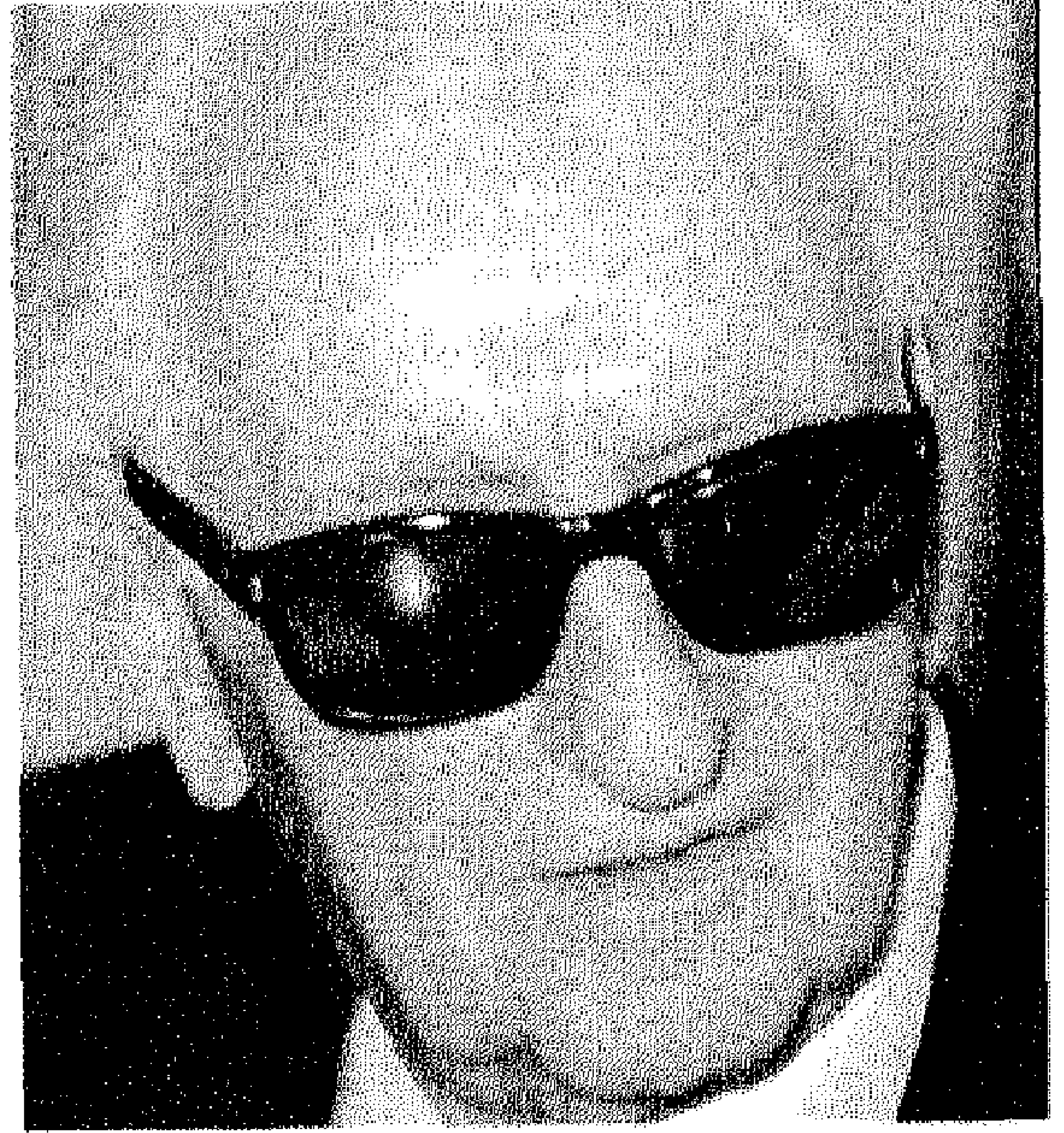
تبرعت شقيقتي بالبقاء مع ثلاثة أولاد سافر والداهم في رحلة طارئة دامت أسبوعين. وفي المساء الاول طبخت للاولاد وجبة من الطعام المفضّل لديهم. وكانت في كل مساء تعرف ما يسرهم من الطعام وتحضّره لهم.
ولدى رجوعها الى البيت بعد انتهاء مهمتها سألناها عن سبب نجاحها فأجابت: "كنت أقلّب صفحات كتاب فن الطبخ كل يوم الى أن أقع على صفحة ممزّقة وملطخة وعليها آثار طعام. فأهيىء لهم الطبق اليومي بموجب الوصفة الواردة في الصفحة. وقد نجحت توقعاتي."

ج.هـ.



حسناوات فيراري

كل واحدة منها تصنع بعناية فائقة حتى غدت روائع عصر السيارات



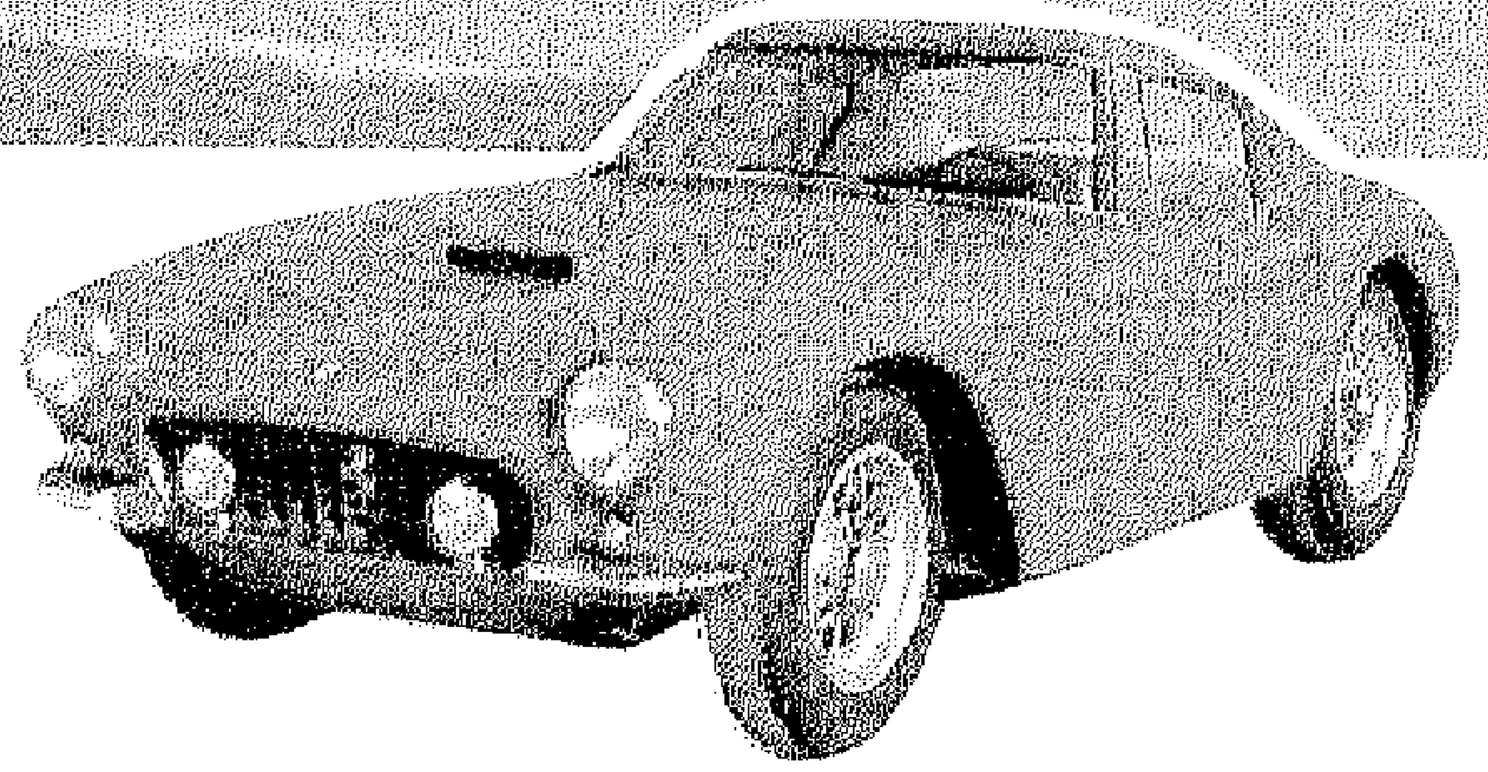
وقف الاولاد يهتفون ويصفقون وأنا أقود سيارتي المستعارة ببراعة في زحمة شوارع روما. وهي "فيراري" بيضاء من طراز "٣٠٨ توربو". كانوا يهتفون: "الجميلة والوحش!" جيراني من السائقين كانوا ينظرون الي بشيء من الخشية والحسد فيما زوجاتهم وصديقاتهم يرمقنني باعجاب. وحيّاني ساعٍ شاب بانحناءة وطلبت مني سيدة كهلة أن أنقلها معي. وحين توقفت لأملأ الخزان وقوداً احتشدت جمهرة من الناس حولي. يا لها من رافعة للمعنويات!

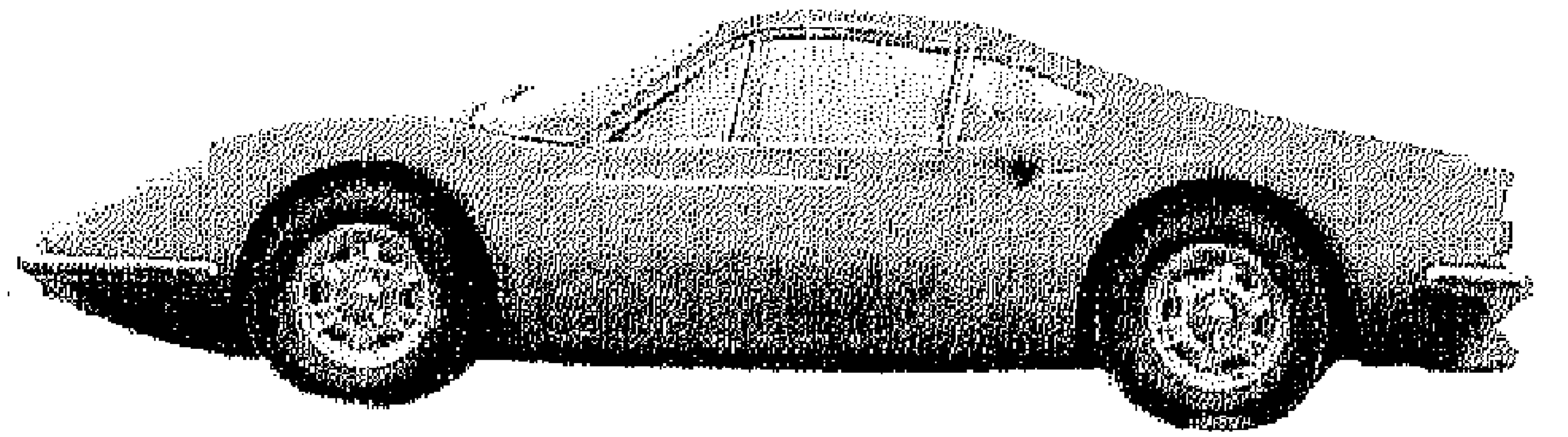
يقول تشارلز فانداغريف رئيس نادي هوليوود للسيارات الرياضية وأحد الوكلاء الرئيسيين لسيارات فيراري في كاليفورنيا: "قيادتك سيارة فيراري تعطي بياناً عن نفسك: أنك جريء وتعيش حياتك على نهج سريع." لكن ذلك لا يعني بالضرورة أنك ثري جداً، مع أن اقتناء سيارة فيراري قد يكلفك نحو مئة ألف دولار. ويقول وكلاء هذه السيارات ان بعض أفضل زبائنهم أناس قتّروا على أنفسهم واقتصدوا سنوات ليجمعوا الثمن. وهذا تماما ما فعله موظف صغير في أحد المصارف، ويدعى إنزو موريتي، فجمع المال ليشتري فيراري مستعملة من طراز "GT ٢٤٦". انه يقول: "سيارات الفيراري تشبه العقائد، عليك أن تضحي من أجلها."

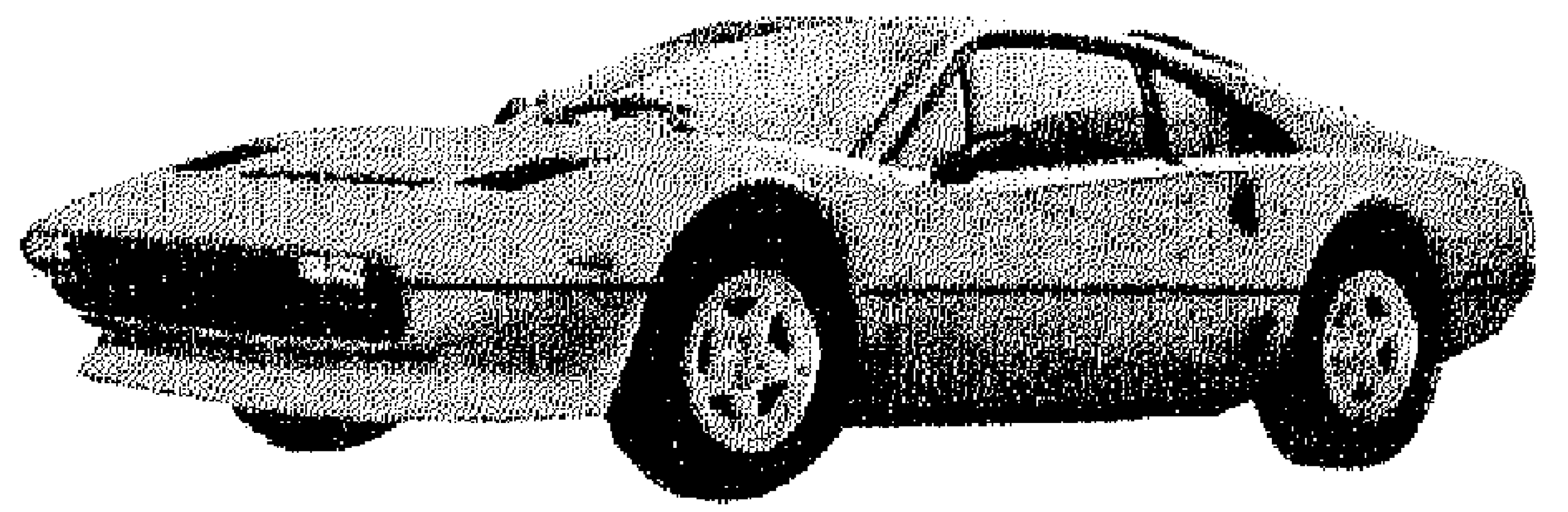
بعض الطرازات مثل "GT ٢٥٠"

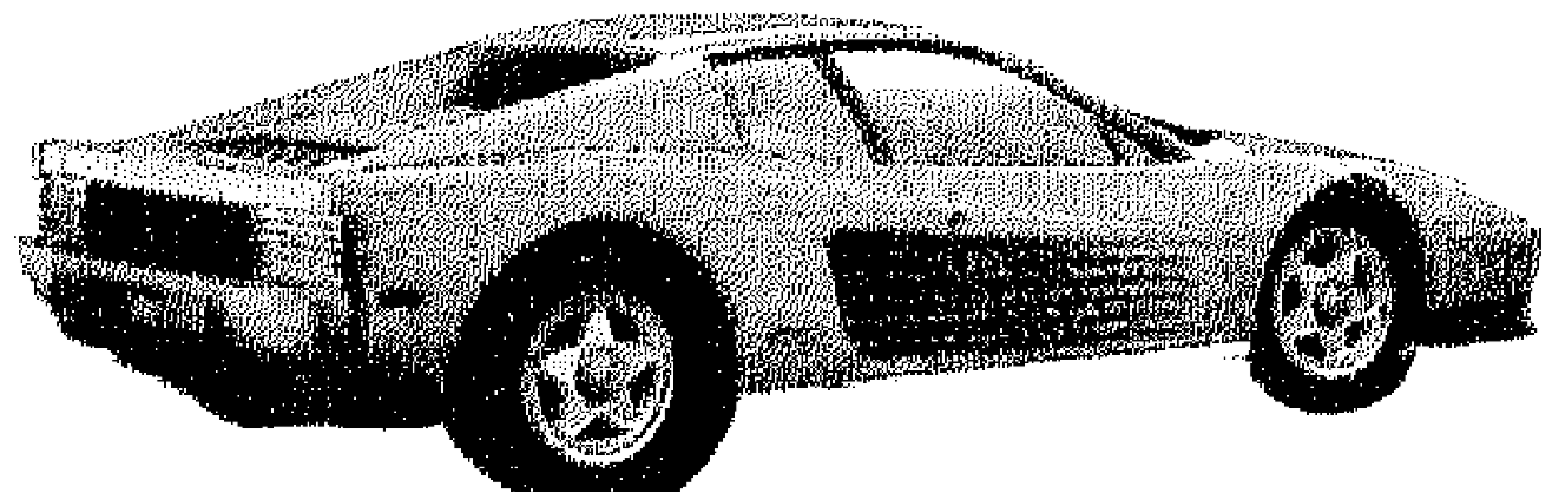
Photos: Quattro Ruote











و"سوبراميريكا كوبيه" و"دايتونا" وحاملة اللواء في أسطول فيراري أخيراً "تيستا روسا" تصنّف بين أعظم سيّارات السبور التي صنعت أبداً. ومع ذلك فان هذه السيارات المدهشة تمثل بالنسبة الى مبتكرها إنزو فيراري نوعاً من النشاط الهامشي أو وسيلة لتمويل مشروعه الرئيسي أي ولعه بسباقات السيارات الذي استحوذ على حياته كلها.

وبعدما حققت سيارات فيراري ٥٠٠٠ ظفر في السباقات، بينها ٢٥ ظفراً ببطولة العالم و٩٠ في سباقات الجائزة الكبرى للفئة الاولى (منها الفوز بالمراكز الاربعة الاولى في سباق الجائزة الكبرى البلجيكية عام ١٩٦١ في زولدر) أضحت ماركة "فيراري" للسباق أنجح الطرازات في الوجود.

فوق: سيارتا فيراري تتباريان في سباق غران بريميو في سان مارينو بايطاليا. والسيارات من فوق: "٢٥٠ GT" كوبيه تقليدية وسريعة، "دينو فيراري" التي تحمل اسم ابن انزو الراحل، "٣٠٨ GTB توربو"، سيارة "تيستا روسا" الجديدة.

الايطالي الأشهر - لم تجرِ الامور دائماً كما يشتهى. ففي العام ١٩٥٧ وقع حادث للماركيز الاسباني آلفونسو دي بورتاغو في سيارته الفيراري، فقتل وسائق

المساعد وتسعة من المشاهدين. وبعد أربع سنوات من الحادث، خلال سباق الجائزة الكبرى الايطالية في مونزا، انحرفت سيارة فولفغانغ فون تريبس عن الطريق وحصدت ١٤ شخصاً. وفكّر فيراري في الانسحاب نهائياً من حلبات السباق. وصورته الصحافة مجنوناً مولعاً بالقتل. حتى صحيفة الفاتيكان "لوسرفاتوري رومانو" وصمته بأنه "زُحَل الأيام الاخيرة، يفترس أبناءه." وكانت هذه ضربة مؤلمة على نحو خاص، باعتبار أن ابن فيراري الحبيب دينو قضى بداء التحلل العضلي عام ١٩٥٦.

غير أن ولع فيراري اللاهب بالسيارات كان الأقوى، ولا تزال روحيته القاهرة متأججة اليوم كما كانت حين انجرف في أقسى الرياضات وأروعها في العالم. انه على عتبة التسعين، شعره أبيض كالثلج وله قوام روماني نبيل وعينان بنيتان تحتجبان وراء نظارتين سوداوين. وهو يردد: "لا أحب أن ينظر الناس داخلي." وقد يكون فيراري أشهر مواطن ايطالي على قيد الحياة. ومع أنه ظل دائماً يتحاشى الدعاية، وخلال ٥٠ سنة لم يبتعد الا نادراً عن بلدة مودينا مسقط رأسه، فان اسمه كلمة شائعة حيثما يهوى الناس السيارات ويقودونها.

يقال ان فيراري بعيد عن الناس. ومع ذلك فلا يتعين عليك لتلتقيه سوى أن تذهب الى دكان الحلاق حيث لا يزال يحلق ذقنه كل صباح منذ ٣٠ سنة. ووصف بأنه قاسي القلب، لكنه وهب جزءاً كبيراً من ثروته للاعمال الخيرية. ونعت بأنه مستبد متسلط، لكنه يتحدث بكل صراحة عن نواقصه ونقاط الضعف فيه. وهو اعترف مرة: "طوال حياتي لازمني الخوف من ارتكاب اخطاء."

فصل جديد ـ ولد فيراري في مودينا في ١٨ فبراير (شباط) ١٨٩٨. وترك المدرسة وهو في الخامسة عشرة من عمره ليعمل مع فرقة الاطفاء في بلدته. وخلال الحرب العالمية الاولى عمل بيطاراً للبغال مع كتيبة جيش في جبال الألب. وبعد الحرب حاول الحصول على عمل في شركة "فيات" للسيارات الّا أنه لم يُقبل.

بعد ذلك أتاح له لقاء أتى مصادفة في أحد مقاصف ميلانو أن يحصل على عمل في تجربة السيارات والتسابق بها لدى شركة سيارات صغيرة. وشعر أنه في مكانه الطبيعي وراء المقود. وفي العام ١٩٢٠ استخدمته شركة "ألفا روميو" مع فريقها المسابق. وفي ١٩٢٣ بعدما فاز في سباق أجري قرب مدينة رافينا، طلب منه والدا الكونت فرنشيسكو باراكا، وهو بطل طيار في الحرب العالمية الاولى قتل أثناء الخدمة، أن يتخذ شعار ابنهما في الطيران شعاراً له. انه الحصان الاسود المنتصب على قائمتيه الخلفيتين والذي رسم في ما بعد على خلفية صفراء، وهو غدا منذ ذلك الحين شعاراً يوحي بالخوف والاحترام في حلبات السباق والطرق الرئيسية في أنحاء العالم.

وبعدما انسحبت ألفا روميو من السباقات عام ١٩٣٤ أصبح فيراري وكيلا للشركة في مودينا. وعندئذ ألّف فريق سباق خاصاً به دعاه "سكوديريا فيراري" أصبح فعلاً الفريق غير الرسمي المسابق

لشركة ألفا روميو. ثم بدأ يشارك في تصميم سيارات جديدة وصنعها مظهراً في ذلك أنه قادر على اكثر من الانطلاق بسرعة في حلبة السباق. وجعل من نفسه شخصاً لا غنى عنه، مديراً وحلّال مشاكل وبائعاً وقاهر أعداء.

ولكن عام ١٩٣٩، بعدما عمل فيراري مديراً لفريق الفا روميو منذ عادت الشركة الى المباريات قبل سنة، غادر الشركة بعد خلاف بينه وبين رئيس المهندسين. وأسس شركة هندسية خاصة. وخلال الحرب العالمية الثانية أخذ يصنع محركات للطائرات الخفيفة وأدوات آلية. وما ان وضعت الحرب اوزارها حتى أخذ يعمل بجد في صنع اول سيارة سباق فيراري عرفها العالم وهي "GT ١٢٥". هذه السيارة المجهزة بمحرك «V 12» سعته ١٥٠٠ سنتيمتر مكعب (★) اثارت اهتماماً واسعاً حين ظهرت للمرة الاولى عام ١٩٤٧. وعام ١٩٥١ فازت فيراري حمراء وحيدة من طراز "F1 ٣٧٥" ببطولة الجائزة الكبرى البريطانية في سيلفرستون. وكان هذا الحدث بداية فصل جديد في تاريخ السيارات.

إحساس مرهف - اذا ذكرت اسم "إل كومنداتوري" (الفارس القائد) أو "لينجنييري" (المهندس) في ايطاليا، فان الناس يعرفون على الفور أنك تتكلم عن إنزو فيراري من دون سواه. لكن درجة الدكتوراه في الهندسة التي يحملها هي فخرية لا أكاديمية. فقد تثقف فيراري على نفسه. ان له حس الميكانيكي القديم بما يجري تحت غطاء محرك السيارة. ويقول ماورو فورغييري الرئيس السابق لدائرة السباق في مؤسسة فيراري وأحد أبرز مهندسي السيارات في العالم: "اذا كان المكبس في أسطوانة محرك لا يعمل على النحو الصحيح، فانه يتعيّن علي أن أجري بعض المعادلات. غير أن فيراري يحس الخلل احساساً."

ليس فيراري مصمم سيارات بالمعنى الدقيق للعبارة. وان أنجح المحركات التي صنعها تنسب الى مهندسين نابغين أمثال جياتشينو كولومبو وأوريليو لامبريدي وكارلو تشيتي وفورغييري. أما الهيكل والمقاعد المميزة فانها من عمل باتيستا وسيرجيو بنينفارينا.

من هو اذاً إنزو فيراري؟

هو يصف نفسه بأنه "محرّض" ومثير للمشاكل يحرك الاشياء ويُحدث صراعات، وفي هذا السياق يبتدع أفكاراً جديدة. غير أنه قبل كل شيء رجل ينشد هدفاً يسعى اليه، انه ينشد نوعاً خاصاً من الكمال.

تصنع شركة فيراري سنوياً ما يزيد على ٢٥٠٠ سيارة ذات أداء عال، وتصدّر نحو ٨٠ في المئة منها. وفي العام ١٩٨٤ جاءت أرباحها جزيلة فبلغت ١٢،١ مليار لير ايطالي (نحو ٨،٦ ملايين دولار). جميع طرازاتها مشتقة مباشرة من سيارات سباق الفئة الاولى. وكل واحدة منها تصنع بعناية فائقة في المجمع الصناعي المبني بالقرميد الاحمر في مارانيلو على بعد ٢٠ كيلومتراً جنوب مودينا، ويستغرق صنعها نحو ثلاثة أشهر. يصنع فيراري ٧٠ في المئة من

(★) 1500 cc V 12 engine

القطع التي تدخل تركيب سياراته، فلا يعتمد على الصناعيين الخارجيين الا في امداده بالعجلات المطاطية والنوافذ والاجهزة الالكترونية.

عملية رجل واحد ـ ان قلب سيارة فيراري هو محركها. وقد أعلن فيراري مرة أنه يصنع اساساً محركات ثم يلحق بها عجلات. وقلب كل محرك هو العمود المرفقي (الكرانك) الذي يبدأ في شكل قضيب من فولاذ خاص وزنه ٧٠ كيلوغراماً. وعند اكتماله بعد ١٣ ساعة من التصنيع يكون وزنه تناقص بالخراطة الى ٢٧،٥ كيلوغراماً وتم ضبط توازنه الى درجة جزء من ألف من الغرام في كل كيلوغرام.

والمحركات المكتملة الصنع ببنيتها اللماعة من مزيج الألمنيوم وشعار الحصان الواثب المطبوع على غطاء اسطواناتها، تختبر واحداً واحداً على طاولات المشغل في أوضاع تحاكي أحوال السباق. أما هياكل السيارات التي توضع فيها هذه المحركات فهي مجهزة بمقاعد حاضنة ولها أغطية من الجلد الناعم المخيط باليد والمستورد من شركة "كونولي" في لندن التي تمد شركة "رولز رويس" أيضاً بما تحتاج اليه. ويطلى الهيكل بطبقات عدة من الطلاء اللماع. وأكثر الالوان شعبية بين الالوان الثمانية عشر المتوافرة هو طبعاً الفيراري الاحمر.

قيادة سيارة فيراري بسرعة هي قبل كل شيء تجربة جمالية ونفسية عميقة. وقد كتب كلاي راغازوني: "ان قيادة سيارة فيراري تشبه بلوغ قمة جبل افرست بالنسبة الى هاوي تسلّق الجبال". وان عدداً من أبطال السباق جاؤوا ومضوا لدى فيراري، وبينهم ألبرتو آسكاري وخوان مانويل فانجيو وتازيو نوفولاري العظيم الذي فاز مرة في سباق حين كانت مكابح سيارته معطلة وأطفأ الانوار في الظلام كي لا يرى منافسوه أنه يسبقهم. وعلى رغم ذلك تظل فيراري عملية يديرها رجل واحد.

لا يحضر فيراري أبداً سباقات الجائزة الكبرى. ويبرر ذلك بأنه لا يقوى على رؤية "اولاده" يموتون. وفي الواقع، في غضون الساعتين المخصصتين لسباق الجائزة الكبرى، يُقضى على سيارة فيراري يبلغ ثمنها ٣٠٠ الف دولار، فتضحي بنفسها في سعيها الى الظفر وهي تطلق زعقة مدوية.

لقد ظفر فيراري بكل ما يمكن أن يفوز به انسان على أربع عجلات. وألهبت السيارات التي صنعها خيال الملايين من الناس العاديين الذين لا يمكنهم أن يدفعوا حتى ربع ثمن واحدة منها. وفي عصر ما في غيب المستقبل، بعد أن تصبح محركات الاحتراق الداخلي أسلوباً عتيقاً، ستعتبر التحف الرائعة ذات الاسطوانات الاثنتي عشرة انجازات مهمة تتوّج عصر السيارات.

كريستوفر ماثيوز ■

يجب أن تؤمن برأيك لئلا تسقط أمام أي اغراء.

ج.م.



كل سنة في بريطانيا يقضي نحو ١٥ ألف رجل وامرأة وطفل في حوادث مختلفة ويُمنى نصف مليون سواهم بإصابات خطيرة. ويعتقد رجال الشرطة والاطفاء وخبراء الانقاذ أن تسعاً من كل عشر اصابات يمكن تجنبها إذا عرف الناس كيف يواجهون الحالات الطارئة.

وفي ما يأتي بعض الارشادات من كتاب الـ"ريدرز دايجست" الجديد والشامل "كيف تتصرف في الحالات الطارئة"(★) من شأنها إذا روعيت أن تساعد المرء على النجاة في الظروف الخطرة.

• وقعت في الماء البارد بسبب انهيار قشرة الجليد الرقيقة التي تكسو سطح بحيرة.

تشكل الصدمة الناتجة من برودة المياه أهم خطر يواجه الانسان في مثل تلك الحال، وهي قادرة على شلّ أقوى

(★) «What to Do in an Emergency»

السبّاحين خلال دقائق. لا تنتظر النجدة. تجنب الغرق بتحريك قدميك الى أعلى والى أسفل. اضرب الجليد من حولك بعنف حتى تجد طريقك نحو الضفة حيث طبقة الجليد اكثر سماكة. وعندما تتيقّن من أن صلابة الجليد كافية لتحمل وزنك، إرفس بساقيك الى الخلف دافعاً بجسدك فوق الجليد افقياً. ثم تدحرج مبتعداً عن مكان الانهيار.

• تعطلت سيارتك عند نقطة تقاطع مع السكة الحديد.

الاولوية في مثل هذه الحال هي لحماية نفسك ومن معك من ركاب، لا للسيارة. على الجميع أن ينزلوا من السيارة ويبتعدوا عنها. اتصل للحال بغرفة الاشارة عبر هاتف الطوارىء المتوافر عادة عند كل تقاطع للسكك الحديد. وبلّغ الموظف المختص، فربما أمكنه أن يوقف قطاراً مقبلا ويمنع اصطداماً وشيكاً. أما إذا كان جهاز الاشارة من النوع الذي يعمل آلياً، ورأيت اشارات الضوء المتقطعة التي تعلن عادة اقتراب قطار، فلن يكون أمامك في هذه الحال سوى ثوان قليلة لتنجو بحياتك.

لا تحاول نقل السيارة من مكانها ما لم تتأكد من موظف الاشارة أن لا قطار قادماً. وإذا حرن المحرّك ولم يدُر ولم تنجح في دفع السيارة، حوِّل الى السرعة الاولى وحلّ كابح اليد ثم أدر مفتاح المحرّك وما ان يدور المحرّك حتى تثب السيارة فجأة الى الامام.

• شممت في بيتك رائحة غاز.

الغاز الطبيعي ليس ساماً، لكنه يصبح متفجراً عندما يمتزج بالهواء. أطفىء السجائر وأي لهب آخر، كذلك النار الكهربائية لئلا يحدث ذلك شرراً حتى الجرس الكهربائي لا تسمح لأحد باستعماله. شرّع الابواب والنوافذ ليخرج الغاز.

وإذا وجدت أن الشعلة الدائمة ما زالت مضطرمة وأن صنابير الغاز جميعها مُقفلة، فمعنى ذلك أن هناك تسربا ما. اقطع امداد الغاز عند العدّاد ولا تحاول اصلاح العطل بنفسك لأن ذلك مخالف للقانون الذي لا يجيز لغير مهندس امدادات الغاز الكشف على الاعطال واصلاحها.

• أنت اول الواصلين الى مسرح حادث سير.

سُلّم الأولويات في هذه الحال هو كالآتي: أولا، أوقف سيارتك في مكان آمن لكي لا تصدمها عربة أخرى. ثانياً، نبّه السيارات المقبلة الى الخطر بواسطة الاشارة الضوئية في سيارتك، وضع مثلثا أحمر إذا أمكن على مسافة مئة متر من مكان الحادث. ثالثاً، استدع الشرطة. لوِّح بعلم أو نحوه وأوقف أول سائق يصادف مروره واجعله يتصل بالطوارىء. رابعاً، جمّد السيارات المحطمة في مكانها. أطفىء محركاتها، شد الكوابح اليدوية، امتنع عن التدخين وحذّر سواك من خطر التدخين. ابتعد عن السيارة إذا شبّت

Condensed from «What to Do in an Emergency,» © 1986 by The Reader's Digest Association Ltd., published by Reader's Digest, London. New York. Montreal. Sydney. Cape Town. Illustrations: Chris Calle

فيها النهار لأن خزّان الوقود لن يلبث أن ينفجر. خامساً، أسعف المصابين، ولكن تجنّب تحريكهم ما لم يكونوا في خطر محدق لئلا تزيد الحركة اصابتهم سوءاً. وتأكد من أن لا شيء يعوق مجرى التنفس لديهم. فك أزرار الثياب حول العنق وغطّ الشخص المصاب بمعطف أو ببطانية. ولا تحاول انتزاع شظايا الزجاج من الجروح لئلا تحدث نزفاً. دع المصاب يساعد نفسه بأن يضغط على جرحه بمنديل نظيف ليوقف النزف. قل له ان النجدة على الطريق.

• **أنت وسط حشد يتحول أفراده الى العنف.**

ابتعد عن النوافذ والواجهات لئلا يسبّب لك زجاجها المتطاير اصابات بالغة إذا دُفعت إليها. حاول أن تظل واقفاً وحافظ على فسحة تتنفس فيها بأن تشبك يديك أمام جسدك، الواحدة ممسكة برسغ الاخرى، واجعل مرفقيك الى الخارج. اذا وقعت أرضاً حاول أن تلتصق بالجدار. كوّر جسدك بقوّة واجعل وجهك في مقابلة الحائط وضع يديك مشبوكتين على مؤخر عنقك.

عند وصولك الى مكان فيه جمهرة من الناس حول حادث ما، فتّش بنظرك عن منافذ للهرب. تذكّر أن المنفذ الاكثر أماناً في الحالات الطارئة ليس بالضرورة المدخل نفسه الذي ولجت منه.

• **أنت عالق داخل سيارة في الثلج.**

اجهد لكي تظلّ مستيقظاً ودافئاً. لا تدع النعاس يغلبك وان لدقائق لئلا تقع ضحية قضمة الصقيع أو هبوط حرارة الجسم. ولحفظ حرارة الجسم وحماية رأسك من البرد يمكنك استخدام اوراق الصحف تحشو بها ثيابك وتصنع منها قبّعة تغطي رأسك.

واذا وُجدت مع آخرين في مثل هذه الورطة، تجمعوا في سيارة واحدة فذلك مفيد لرفع المعنويات وتوليد الحرارة. أما إذا كنت بمفردك فابق داخل السيارة ولا تحاول أن تذهب طلباً للنجدة سيراً على قدميك. أزل الثلج المتراكم حول أنبوب العادم في مؤخر السيارة لكي يتسنى لك أن تدير جهاز التدفئة لمدة عشر دقائق



كل ساعة. ولتكن في متناولك دائماً أداة مثل سناد العجلات لاستخدامها في إحداث ثقب يدخل منه الهواء إذا ما طمر الثلج السيارة.

• استيقظت على صوت لص في البيت.

أنر المصابيح واحدث ضجيجاً وجلبة. معظم اللصوص يفضلون الهرب خالي الوفاض على المواجهة. لا تنزل الى الطبقة السفلى، واتصل بالشرطة من غرفة نومك إذا أمكن. تسلّح بزهرية أو بصنارة حبك مع عزمك على ألا تلجأ اليها إلا عند الاضطرار. واذا كنت وحدك في البيت تظاهر أن آخرين معك ونادِ أحدهم، وليكن ذكراً. قل مثلا بصوت مرتفع: "رمزي، يبدو أن أحداً في البيت!" أنظر من النافذة بعد أن يخرج اللص وحاول أن تسجل في ذهنك علامات فارقة في مظهره. لاحظ نوع السيارة التي يركبها ورقم لوحتها ووجهة سيرها.

• انت مُحتجز في مصعد.

احتفظ بهدوئك وطمئن من معك الى أن المصعد لن يهوي لأنه مجهز بكوابح تعمل آلياً. اضغط زرّ الانذار أو اطلب النجدة بواسطة هاتف الطوارئ. وان لم يكن المصعد مزوداً جهاز إنذار، اضرب الباب بيديك واصرخ. أطلب من الشخص الذي يجيبك أن يستدعي مهندساً مختصاً. وإذا تعذّر ذلك اجعله يتصل بقسم الطوارئ، فرجال الاطفاء يهرعون الى



انقاذ الاشخاص المحتجزين في المصاعد. وهم يفعلون ذلك عادة بواسطة رافعة (ونش). لا تحاول أبداً أن تهرب من مصعد معطّل ما لم تتلقّ تعليمات.

• يتعطل الكابح وسيارتك في أقصى سرعتها.

شدّ كابح اليد برفق وحرّك قدمك على كابح القدم وكأنك تضخ فيه هواء لعلّ هذا يعيد اليه الضغط المفقود. أمسك المقود جيداً، فاستعمال كابح اليد ربما ثبّت العجلتين الخلفيتين ومنعهما من الدوران ممّا يسبب انزلاقاً. لا تطفئ المحرّك

واستعمله ككابح بأن تخفف الاندفاع بواسطة محوّل السرعة. اتجه بسيارتك نحو طلعة، وان لم تجد طلعة حاول أن تصطدم جانبيا بسياج أو حائط.

• أحدهم يهاجمك في الشارع.

في مواجهة مهاجم مسلّح من الافضل أن تسلّمه ما معك من نقود بدل أن تعرّض نفسك للخطر. أما إذا فُرض عليك أن تقاتل، فاضرب بعنف وبسرعة ومن دون سابق إنذار. املأ الدنيا صراخاً حتى يتسنى لك الافلات. إذا هوجمت من الخلف، الوِ جسدك وفاجىء مهاجمك بلطمة خلفيّة من مرفقك. لا تدع له مجالا لالتقاط نفسه. وإذا أطبق على عنقك بيديه، الوِ اصابعه الى أعلى وافلت من قبضته. اضربه على وجهه وعلى معدته بمظلّة أو بعصا. واذا لم يكن في حوزتك "سلاح" من هذا النوع ألقِ بالاشياء التي تحملها أرضاً وادخل اصابعك في عينيه أو أطبق علي عنقه أو أمسك بخصيتيه والوهما بعنف.

المختار ■



الطبيبة النفسانية والمريضة الانفعالية

بعدما عالجت طبيبة نفسانية احدى مريضاتها مدة اثنتي عشرة سنة صرفتها قائلة: "إنك لا تحتاجين الى علاج بعد الآن."

وبعد مضي ثلاثة أيام اتصلت المرأة بالطبيبة صباحاً وهي شديدة الانفعال وراحت تتوسل اليها: "يا دكتورة، انا في حاجة اليك. انك بمثابة والدة لي. انني اتكل عليك في كل شيء."

فأجابتها الطبيبة: "لا تكوني حمقاء، أنا لست أمك. ماذا تفعلين الآن؟"

– أتناول فطوري في البيت.

"وماذا تتناولين؟

– فنجان قهوة.

"وهل تعتبرين فنجان القهوة فطوراً؟"

ل.و.

روضة البط

تطوع ثلاثة آباء لمساعدة معلمة روضة الاطفال في زيارة لدائرة الاطفاء في المدينة. وفي طريق العودة تعين على المتطوعين مساعدة المعلمة في الوصول بالصغار الى موقف الحافلة. وبعد اجتياز طريق مزدحمة عانى فيها الآباء المتطوعون الأمرّين للسيطرة على المجموعة غير المنضبطة، التفت أحدهم الى رفيقه قائلا: "اننا اليوم في أفضل وضع لتقدير جهد البطة الأم في ضبط صغارها."

د.م.

عندما ولد يوهان برامس "أكثر المؤلفين الموسيقيين الألمان تعبيراً عن قوميته الألمانية" في ٧ مايو (أيار) ١٨٣٣، كان لودفيغ فان بيتهوفن خاض المعركة الموسيقية في سبيل حرية الروح، تلك المعركة التي كانت الثورة الفرنسية مصدر إلهام لها. وكتب برامس مرة الى صديق له يصف تأثير بيتهوفن فيه: "لا يسعك أن تتخيل ما معنى أن تسمع خلفك على الدوام وقع خطوات عملاق كهذا." وعلى رغم ذلك جعل برامس مضاهاة هذا العملاق طموح حياته. والواقع أنه تمكن من تحقيق انجاز عظيم هو تأليف أعمال موسيقية مبتكرة مع المحافظة على الانماط الموسيقية السائدة.



ويقول أنتال دوراتي المدير الموسيقي السابق للاوركسترا السيمفونية الوطنية في مدينة واشنطن وقائد الاوركسترا الفيلهارمونية الملكية في لندن: إن هناك تناسقاً رائعاً بين ما يؤلفه برامس والطريقة التي يؤديه بها، وهذا لا يحدث الا في الندرة. فليس في أعماله ما يحتاج الى تنقيح لملاءمة الفرق الموسيقية الحديثة. وكأني بمؤلفاته الموسيقية تقول: اقبلني برمتي أو إرفضني برمتي." والواضح أن الاقبال على هذه المؤلفات هو في ازدياد. ففي أنحاء العالم تقدم الفرق الموسيقية والبرامج الاذاعية عدداً وافراً من أعمال برامس. وهذه تتضمن لحنين من كونشيرتو

Photo: Historia-Photo

البيانو (١) ولحناً من كونشيرتو الكمان واربع سيمفونيات وما يزيد على مئتي أغنية وعشرات الاعمال الكورسية وكثيراً من مؤلفات الموسيقى الحُجَرية (٢) والقطع التي تعزف على البيانو.

وفي وطنه المانيا احتفلت دار "دوتش غراموفون" بذكرى ميلاده المئة والخمسين عام ١٩٨٣، بنشر الطبعة الكاملة الاولى لمؤلفاته. ويقول كارل فلهلم كورتن رئيس دائرة الكلاسيكيات في تلك الدار إن هذه المؤلفات هي "صرح موسيقي خالد لأحد أعظم المؤلفين الموسيقيين الألمان." وفي شهر مايو (أيار) أقيم في مدينته همبورغ مهرجان زاخر بالحفلات الموسيقية والمحاضرات استمر ثلاثة اسابيع. وتزمع السلطات في مدن المانية كثيرة على إقامة مزيد من الحفلات الموسيقية والبرامج الاذاعية لتكريمه.

صديقان لا يفترقان – يقول فرديناند لايتنر الذي كان الى وقت قريب قائد فرقة أوبرا زوريخ: "إن أحد أسباب رواج موسيقى برامس اليوم هو الوحدة الشديدة التي يعانيها الانسان في العصر الحديث. برامس أيضاً كان يعاني الوحدة، وهذا يظهر في موسيقاه. إن تقاسم الوحدة يمنح الانسان إحساساً بالراحة." وإذا غلب الحنين والكآبة على موسيقى برامس، فان تعبيره عن الحزن ليس متلفاً للأعصاب، بل هو يؤدي الى سلام داخلي.

وعلى رغم أن برامس ترعرع في حي الفقراء في همبورغ فإن حب والديه للموسيقى مكنه من تنمية مواهبه في وقت مبكر. فقد أفلح والده يوهان ياكوب برامس في اقناع عازف البيانو البارع أوتو كوسل بتدريب ابنه يوهان الذي كان في السابعة من العمر. وبعد ثلاث سنوات عمد كوسل الى حض ادوارد ماركسن، أشهر أساتذة الموسيقى في المدينة، على متابعة تعليم تلميذه يوهان. وأدرك ماركسن بعد وقت قليل أن الصبي يتمتع بموهبة عجيبة، فراح يعلمه التأليف الموسيقي والعزف على البيانو. وبعدما أمضى برامس أربع سنوات في الدراسة بلغ حداً من التقدم جعل ماركسن يقول بعيد وفاة فيليكس مندلسون – برتولدي عام ١٨٤٧: "لقد رحل سيد من أسياد الفن، غير أن برامس سيبلغ منزلة تفوق هذا السيد."

وحين بلغ برامس العشرين من عمره ذهب في جولة مع عازف الكمان المجري (الهنغاري) ادوارد ريمنيي وقدما حفلات موسيقية مشتركة. وفي مدينة سيل كان البيانو المخصص للحفلة يقصر نصف نغمة عن الدرجة المبتغاة. الا أن برامس لم يمتنع عن العزف، بل حول سوناتة بيتهوفن برمتها من «C Minor» الى «C Sharp Minor» . وقد أذهلت عبقريته جوزف يواكيم، عازف الكمان البارع الذي التقاه برامس في ما بعد في حفلة موسيقية أقامها في مدينة هانوفر. وبات الرجلان صديقين لا يفترقان وقدما عدداً ضخماً من الحفلات الموسيقية

(١) الكونشيرتو لحن يعزف على آلة منفردة أو أكثر بمصاحبة الاوركسترا.

(٢) الموسيقى الحجرية (chamber music) معدَّة ليعزفها بضعة موسيقيين أمام جمهور قليل العدد.

المشتركة في المانيا والنمسا وسويسرا.

مع شومان – مهد يواكيم السبيل لصديقه برامس كي يلتقي روبرت وكلارا شومان في ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٨٥٣ في منزلهما في دوسلدورف. وبعدما سمع شومان عزف برامس على البيانو لسوناتته الاولى بنغمة «C Major» كتب في مجلته الموسيقية المرموقة(٣): "لقد حول البيانو فرقة موسيقية مستنبطاً منه ثروة لا مثيل لها من الاصوات الزاخرة بالحنين والفرح، وشرع يجرنا الى دائرته السحرية." وفي رسالة بعثها شومان الى يواكيم وصف العبقري الشاب بأنه "هو الذي كان ينبغي أن يأتي."

والواقع ان حفاوة المؤلف الموسيقي شومان أربكت برامس كما أربكه جمال كلارا شومان التي كانت عازفة بيانو شهيرة وأماً لستة أولاد في الرابعة والثلاثين من عمرها.

وبعد خمسة أشهر، فيما كان برامس في احدى جولاته الموسيقية، ألقى روبرت شومان بنفسه في نهر الراين من أحد جسور دوسلدورف. وقد أمكن إنقاذه من الموت، لكنه أدخل مستشفى للأمراض العقلية في بلدة اندنيك قرب بون. واهتز برامس لما حدث فأسرع راجعاً الى دوسلدورف لمواساة كلارا التي كانت تنتظر مولودها السابع. ومرت الأشهر من دون أن ترد من اندنيك أي اشارة تدل على تحسن حال شومان، فتحول إعجاب برامس بكلارا ضرباً من الحب.

وبدا أن كلارا وجدت راحة عظيمة في تقرب يوهان اليها، وكان يصغرها بأربعة عشر عاماً. غير أن أضطرارها الى رعاية أولادها جعلها تدأب على التجوال لتقديم حفلات موسيقية، كما أن برامس كان مضطراً الى تحصيل رزقه على نحو مماثل. لذلك لم يسعهما الالتقاء الا قليلا.

كلارا شومان عام ١٨٤٧

ملهمة برامس – حين مات شومان في ٢٩ يوليو (تموز) ١٨٥٦ من دون ان يستعيد قواه العقلية، قاسى برامس

(٣) Neue Zeitschrift fur Musik

Photo: Bildarchiv Preublscher Kulturbesitz

صراعاً ممضاً بين حبه وتوقه الى الاستقلال. كذلك أحست كلارا أنه لا يمكنها تحميل العبقري الشاب عبء زوجة وسبعة أولاد.

وبدأ برامس يصب عواطفه الحبيسة في مؤلفاته، وخصوصاً في "كونشيرتو البيانو" الاول بنغمة «D Minor» . وهذا العمل "الاوركسترالي" الأول يعد اليوم من أحب قطع البيانو والاوركسترا. وعلى رغم ذلك فإنه أثار عاصفة من الاستنكار عندما قدم في مدينة ليبزيغ في ٢٧ يناير (كانون الثاني) ١٨٥٩. وفي صباح اليوم التالي كتب برامس الى صديقه يواكيم: "إن هذا الأمر لم يضايقني حقاً. والواقع أنه خير ما كان يمكن أن يحدث. فهو يجعل المرء يفكر كثيراً، وهذا يزيده شجاعة."

وبعد شهرين أصاب الكونشيرتو نجاحاً باهراً في همبورغ وحاز إعجاب النقاد هناك.

وعلى رغم التعزية التي وجدها يوهان في موسيقاه فانه لم يسعد في وحدته. لذلك لم يكن غريباً ان يغدو متيماً في صيف ١٨٥٨ بالحسناء أغات فون سيبولد ابنة أحد أساتذة جامعة غوتينغن. ولم يلبثا أن اعلنا خطبتهما. ثم ظهرت كلارا في غوتينغن ففسخ برامس الخطبة.

وبقيت كلارا صاحبة المنزلة العليا في أفكاره وقلبه، غير أن علاقتهما تحولت تدريجاً صداقة موسيقية محضة وإن تكن متينة. فقد كان برامس يرسل اليها كل نوطة موسيقية يكتبها ويطلب رأيها فيها. وبعد عقود من الزمن اعترف لها في إحدى رسائله: "كان حرياً بي ان أذيل أفضل مؤلفاتي بالآتي: هي في الحقيقة من تأليف كلارا شومان. فعندما أفكر في نفسي أعجز عن تأليف ما هو جميل."



برامس في طريقه الى "القنفذ الاحمر"، للرسام أوتو بولر.

الحبيب الوحيد - عندما بلغ برامس الخامسة والثلاثين أقام في مدينة فيينا وأخذ صمته يزداد وبات يود أن يترك وحده ليؤلف. ورويت عنه قصص كثيرة تصوره أعزب متهكماً. مثال ذلك أنه كان يرى أحد المؤلفين الموسيقيين عديم الموهبة. وعندما أرسل اليه ذلك المؤلف

photo: Gesellschaft der Musikfreunde Wien

بعض ما كتبه طالباً رأيه فيه كتب اليه: "ليت شعري، من أين تشتري هذا الورق الرائع الذي تكتب عليه رسائلك؟"

والمعروف ان الرسامين الكاريكاتوريين وجدوا في برامس مادة غزيرة، وخصوصاً في لحيته الكثة وزيه المهمل وذراعيه اللتين اعتاد ان يثنيهما وراء ظهره حين يمشي. وكان برامس يرى ان الياقة ليست ضرورية. وعندما قلد وسام "ليوبولدزأوردن" وهو وسام نمسوي رفيع، ألف أصدقاؤه الأغنية القصيرة الآتية: "لقد بات لديه الآن ما يطوق به رقبته، لكنه مع الأسف ليس ياقة."

ولم يكن برامس يأبه لهذا اللون من السخرية. وهو يقول في هذا الصدد: "إن تأليف لحن جميل يمنحني مقداراً من السعادة يفوق ذاك الذي يمنحني إياه وسام ليوبولدزأوردن. كما أن كتابة إحدى السيمفونيات تروقني أكثر من أي مرتبة شرف أحصل عليها."

وعندما بلغه نبأ وفاة كلارا كان بلغ الثالثة والستين. وذهب من فوره الى مدينة بون لحضور مأتمها في رحلة بالقطار استغرقت أربعين ساعة. وعند قبرها اعترف لأحد أصدقائه: "لقد كانت الشخص الوحيد الذي أحببته حقاً."

الوداع الاخير – بعد رجوع برامس لاحظ أصدقاؤه اصفراراً في لونه. وجاء في تشخيص المرض انه "يرقان طفيف."

ومرت أسابيع من دون ان تتحسن صحته. وقد أخفى الاطباء الحقيقة عنه، فقد كان مصاباً بسرطان الكبد. على ان تأليفاته الموسيقية الأخيرة "أربع أغنيات جادة" و"إحدى عشرة مقدمة كورالية" (ومن بينها "أيها العالم، ينبغي أن ارحل عنك") هي دليل على إدراكه أن نهايته باتت وشيكة.

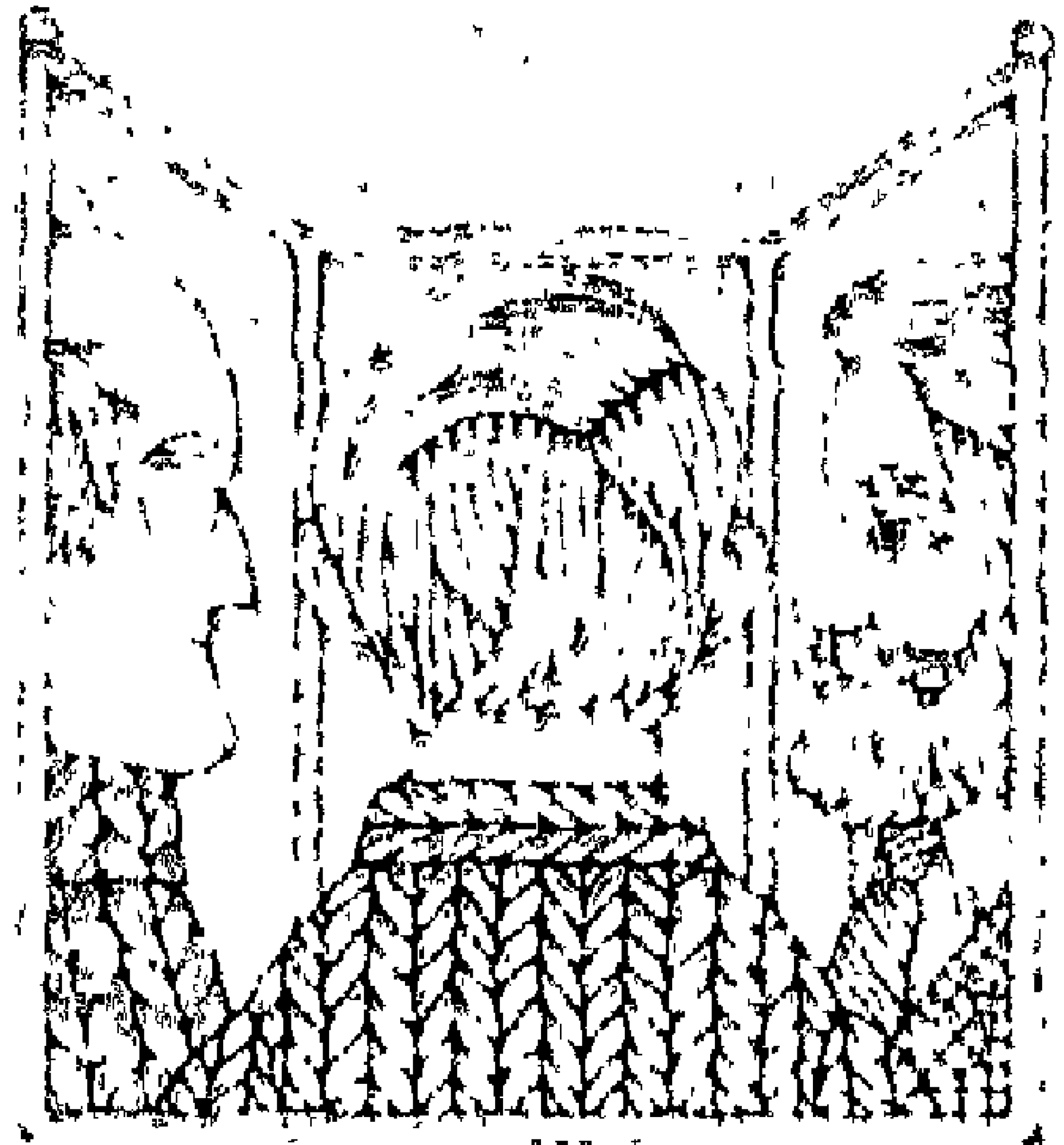
وعلى رغم وطأة المرض فإنه حضر حفلة موسيقية قدمت فيها سيمفونيته الرابعة بنغمة «E Minor» في "غروسر موزيكفرنسال". واستقبل الجمهور العمل بحماسة كبيرة. وعندما اشار قائد الفرقة الموسيقية هانس ريشتر الى المكان الذي جلس فيه برامس عم القاعة هرج شديد. فقد وقف الحاضرون جميعاً ووثب الكثيرون على المقاعد وهم يصيحون ويصفقون ويلوحون بمناديلهم. وأجهشت النساء في البكاء فيما تقدم برامس لينحني محيياً الجمهور. وكان ذلك هو الوداع الأخير.

توفي يوهان برامس في ٣ ابريل (نيسان) ١٨٩٧ ودفن في مدينة فيينا في مأتم لا يقام الا للملوك. وفي اثناء جنازته كانت ستة جياد مزينة بالزهر تجر نعشه. وهو الآن يخلد الى الراحة الأبدية في "زنترالفريد هوف" الى جنب لودفيغ فان بيتهوفن. ولم تعد خطى هذا العملاق تثقل برامس لأنهما باتا يسيران معاً في طريق الخلود.

ليلي فولدس ■

الطفل الثاني ليس هشاً كالاول.

ش.م.



تأملات معاصرة

شخصية نوفمبر

اشهر نوفمبر (تشرين الثاني) كلها متشابهة، سواء أكانت جهمة أم عاصفة أم هادئة. كل منها يمثل وقتاً هو صلة وصل تملأ فراغاً ممتداً بين خريف الحصاد والشتاء المجلل ببياض الثلج. هذا التوسط هو ما يحبب الي هذا الشهر الذي يذم كثيراً. انه نشقة هواء طويلة وعميقة قبل الغوص الى قاع الشتاء. تعلمت أن أحب لامبالاة نوفمبر وتواضعه. ليس له زهو الاشهر التي سبقته، وله القليل من تسرع ديسمبر (كانون الاول) الذي يليه. شهر نوفمبر يفرض مزاجه. يبدو كأنه يقول لي "اهدأي!" وحين أهدأ يشاركني في بعض مفاجآته اللطيفة.

جوان ماكنالي

الذات والناس

الحقيقة اني لم أتمكن، حتى بلغت الاربعين من عمري، أن ألج غرفة وأسأل نفسي: ما رأيي في هؤلاء الناس؟ قبل ذلك كنت دائماً أسائل نفسي: ما رأي هؤلاء الناس فيَّ؟ وعندما بلغت الاربعين قلت لنفسي: اما أن أكون رجلا مكتمل الشخصية الآن واما ألا أكون كذلك ما عشت. علي أن أؤمن بنفسي.

بروك أستور

الاهتمام بالتفاصيل

الاهتمام بالتفاصيل هو الذي يحسم الامر في النهاية: حفظ البائع اسماء الزبائن، المكالمة الهاتفية من الحبيب، السلاح النظيف في يد الجندي. ذلك هو ما يميِّز الرابحين من الخاسرين والرجال من الاولاد... والاحياء من الاموات في احيان كثيرة. فالنجاح المهني يعتمد على هذا الاهتمام بصرف النظر عن الحقل الذي يعمل فيه المرء.

د.ن.

طريق الرجاء

لا أدري إذا كان الرجاء واقعاً موضوعياً. ولكن لا ريب في أنه يشبه طريقاً وسط الأرياف، لم يكن لها وجود حتى سار فيها أناس كثيرون.

لو سين (حكيم صيني)



بعدما اكتشف طبيبي درناً على حبال الصوت في حنجرتي قال لي محذراً: "صوتك يحتاج الى راحة تامة، وضروري جداً أن تمتنعي عن الكلام لمدّة عشرة أيام، لا بل من الأفضل أن تلزمي الصمت لمدّة شهر."

قلت في نفسي: "مستحيل! فعائلتي لا يمكن أن تستغني عن أمور اعتادتها من ملاطفة وارشاد وتملّق."

وفي زيارتي التالية للدكتور سندر أخبرني ان حنجرتي لم تتحسن وأضاف: "يجب استئصال الدرنات جراحياً." وأعقبت ذلك جراحتان، واحدة في يناير (كانون الثاني) والاخرى في مارس (آذار) ١٩٦٩. وكان محظوراً علي التكلم طوال ذلك الوقت. وما لبث الطبيب ان قال لي انه ما زال أمامي أسبوع آخر من الصمت. ثمّ أضاف: "لا أريد ان أرعبك، ربما عادت الدرنات الى الظهور."

خمسة أسرار تكسر جدار الصمت

ومع ذلك بدأت أحمل في جيبي دفتراً صغيراً أدون عليه اجابتي عن اسئلة زوجي دان. وأثناء جلوسنا الى مائدة الطعام كنت أكتب بعض الملاحظات على ورقة وأطلب من دان تمريرها الى ولدينا دارن (١٠ أعوام) ودين (٩ أعوام). على أن هذه الطريقة كانت مملة وغير مُجدية. وبعد مضي أسبوع واحد اقتصر اتصالي بأفراد عائلتي على مجرّد الايماء برأسي نفياً أو ايجاباً، وبدأت المسافة بيني وبينهم تتسع.

وتملكني خوف رهيب وأنا اغادر المستشفى. ماذا لو فقدت القدرة على النطق الى الأبد؟

ذلك المساء رحت أذرع المنزل الذي خيّم عليه الصمت والظلام. كنت دائماً أشعر بالقرب من عائلتي، أما الآن فقد شعرت بهوّة سحيقة تفصل بيننا. فأنا لم أبح يوماً لزوجي بما كان يختلج داخلي من مشاعر، ولم أتحدث معه قط عن أمنياته ولا عن مخاوفه. وولداي، هل كنت فعلا أعرفهما حق المعرفة؟ وتُقت الى تفهم

عائلتي، ولكن لم يكن أمامي وسيلة لابلاغ حاجتي اليهم. يا الهي، كيف حصل هذا؟ كيف يتباعد الناس هكذا؟ أرجوك ساعدني يا رب!

لعبة على رقعة – للمرّة الاولى منذ كنت طفلة انهمرت دموعي وتدفقت معها خمس وثلاثون سنة من العواطف المكبوتة. فوالدي الذي تعلّم من الحياة أن البقاء هو للقوي فقط، لم يكن ليسمح لي بالبكاء أو باظهار مشاعر الخوف. وكنت الكبرى في عائلة من الطبقة الكادحة تعيش في أكرون بولاية أوهايو.

وهكذا انسلخت تدريجاً عن مشاعري وتحولت امرأة متحفظة كتومة. الآن فقط اتضح لي ذلك وبدأت أدرك أننا نمضي الكثير من الوقت في تبادل الحديث، لكننا قلّما نتواصل. ثم شعرت بتغيّر ما وان ببطء، وعزمت على أنه لا بد من أن أجد طريقة لأشارك عائلتي في مشاعري وان كتب لي ألا أنطق ثانية.

وجلست ذات مساء الى طاولة المطبخ وأمامي كدسة من البطاقات البيضاء رحت أدوّن على كل منها سؤالا. بعض الاسئلة كان من النوع الجدّي مثل: "ما هو تعريفك للحب؟" وبعضها الآخر من النوع الخفيف والسهل مثل: "ماذا تحبّ أن تفعل في أوقات فراغك؟" ومن شأن تلك الاسئلة أن تجعل الانسان يكشف الكثير عن نفسه، خصوصاً إذا كانت الاجابات صادقة.

ابتكرت الام المريضة لعبة كلامية حررتها من سجن صمتها وبدلت حياة كثيرين حولها. وها هي تعرض نتائج خبرتها

ولم يمض وقت طويل حتى أصبح لدي أكثر من ٢٠٠ بطاقة يحمل كل منها سؤالا. وجلست أحدق الى تلك البطاقات وأتساءل ماذا عساها تكون الخطوة التالية. وفجأة لمعت في ذهني فكرة: لعبة على رقعة.

واللعبة بسيطة، إذ يتعيّن على كل لاعب أن يقذف النرد فيتقدم عدداً من المربعات. يحمل كل منها تعليمات معيّنة. قد يصل اللاعب مثلا الى مربع يطلب منه اجابة عن سؤال معيّن أو الى

آخر يقتضي أن يطلب من لاعب آخر الادلاء بملاحظة أو بتعليق. وتقضي قوانين اللعبة بعدم السماح لاي من اللاعبين بالكلام إلا كل في دوره. وليس هناك من خاسر أو رابح، بل هناك مشاركة واتصال.

في المساء التالي جلسنا أنا ودان والصبيان نلعب "اللالعبة" التي ليس فيها رابح أو خاسر. في الجولة الاولى سحبنا أسئلة سهلة أتاحت لنا التحدّث عن أحلام العطلة وأطباق الطعام المفضلة ونجوم السينما. وعندما أتى دوري كتبت اجابتي وأريتها لكل منهم، ولم يكن أمامهم سوى الانتظار ريثما انتهي من الكتابة لكي يقرأوها. وغمرني فرح عارم وشعرت بالانتماء مجدداً.

ثمار جيدة – سحب دان بطاقة كتب عليها: "أخبرنا عن شيء يخيفك." وصمت برهة قبل أن يقول: "بسبب مرض والدتكما أشعر بالقلق حيال مصيرنا. لا أدري هل يمكنني أن أرعاكما بمفردي إذا حصل لها مكروه لا سمح الله."

ودهشت لذلك. فزوجي يعرف إذاً طعم الخوف والشك في الذات.

أما دارن، وهو طالب نبيه، فسحب بطاقة طلبت منه أن يتحدث عن معنى النجاح. "انني أمقته،" قال بصوت خفيض ثم تابع: "الجميع يتوقعون مني الافضل مما يشعرني دائماً بالضغط."

وانكمشت في مقعدي وغمرني شعور بالذنب، فأنا أيضاً كنت دائماً أحضه على تحقيق المزيد من النجاح.

ثم جاء دور دين. "ما هو شعورك عندما يضحك منك انسان؟" فأجاب محدقاً الى الارض: "أرغب في الموت. فذلك يجعلني أشعر بالغباء." وهذه المرّة احمرّ وجه أخيه ارتباكاً، وهو الذي كان دائماً يضايقه ويسخر منه.

وجلسنا الى الطاولة ورحنا نتبادل أفكارنا الحميمة والدفينة. ثم قال دان: "خلال تلك الدقائق العشرين تعرّفت الى جوانب مختلفة في كل واحد منكم أكثر مما عرفته عنه خلال السنوات الخمس الماضية. فلنلعب غداً ثانية."

وبفضل هذه اللعبة أصبحت اكثر تفهماً واحتراماً لمشاكل دان في العمل، ووجدت نفسي أكثر صبراً مع ولديّ حتى انني عدت ألامسهما وأعانقهما وهما بدورهما أصبحا أقل نزوعاً الى الجدل. وبات دان يكلمنا أكثر، وشرعنا في أيام الآحاد نذهب في نزهات بالسيارة وصرنا نقوم ببعض الاعمال معاً.

وذات مساء دعا زوجي جارينا ليلعبا معنا، فاستعارا اللعبة منّا ليلعباها مع أولادهما. وحدث ان أخذها ابنهما البكر معه الى صف علم النفس في المدرسة وما لبثت المعلمة أن طلبت نسخاً من اللعبة.

عندما زرت الدكتور سندر كنت هادئة الاعصاب وعلى استعداد لتقبّل الحكم وشعرت حين أبلغ الي نبأ شفائي من مرضي بأنني تلقيت هدية مميّزة، لكنني علمت أنه مهما يكن فلن أعود الى عاداتي القديمة في الكلام. فلقد اكتشفت خلال تلك الاشهر الطويلة المنصرمة مبادىء خمسة هي سر الاتصال الحقيقي:

١. اصغِ، فقط أصغِ. في الفترة التي كان عليّ أن ألزم الصمت عاد دين

ذات يوم من المدرسة وهو يصرخ: "انني أكره معلمتي ولن أعود الى المدرسة أبداً!"

في الحالات العادية وقبل إصابتي كنت سأنفجر بدوري وأرد عليه بانفعال: "بالطبع ستعود عندما أجرّك بنفسي." ولكن بعد ظهر ذلك اليوم تعين عليّ أن أنتظر وأترقب التطورات.

وبعد دقائق وضع ابني رأسه في حضني وفتح لي قلبه وأخبرني بما حدث: "كان عليّ أن أقدّم تقريراً في الصف، لكنني أسأت لفظ احدى الكلمات. وعندما صححتها المعلمة ضجّ الاولاد جميعهم بالضحك. آه يا أمي كم شعرت بالحرج!"

وضعت ذراعيّ حوله فبقي مستكيناً للحظات. ثم قفز من مكانه فجأة وقال: "عليّ أن ألتقي جيم في الحديقة العامة. شكراً لك يا أمي."

لقد أتاح له صمتي أن يثق بي ويفضي اليّ بسرّه. لم يكن في حاجة الى من ينصحه أو ينتقده. كان فقط في حاجة الى من يصغي اليه، إذ كان مجروح الشعور.

علّمني الصمت أن الذي يصغي هو الطرف الأهم في أي حديث. وقبل أن أفقد صوتي لم أكن أهتم لما يقوله الآخرون لانهماكي باعداد اجابتي، وكنت دائماً أقاطع المتحدث.

٢. لا تنتقد ولا تصدر أحكاماً. لتشجيع الشريك أو الولد على البوح يستحسن كبح ردود الفعل الفورية ومحاولة التفوه بكلام محايد مثل: "لم اكن أدرك أن هذه الامور تزعجك." فمن شأن ذلك أن يفتح الباب للتواصل لا أن يوصده.

٣. ليكن كلامك نابعاً من القلب. قبل سنوات كنت في حديقة عامة في وقت شارفت احدى المباريات في كرة القدم للاولاد الانتهاء. وما ان انتهت حتى اندفع صبي في العاشرة من عمره نحو والده وقال له بفخر: "هل رأيتني يا أبي وأنا اسجل الهدف؟"

وردّ والده: "ولكن كيف أضعت الطابة في الشوط الثاني؟ يجب أن تتمرّن على التلقّي."

ورأيت الصبي ينسل خلف أبيه وحماسته تتلاشى.

كان كلام الولد نابعاً من القلب، فهو استخدم لغة المشاعر والعواطف بخلاف الوالد الذي، بدل أن يشارك ابنه في فرحه، استخدم لغة العقل و"الرأس." كان حسن النيّة إلا أن إجابته قزّمت انجاز الصبي الذي سيصعب عليه في المستقبل أن يلجأ الى والده طلباً للمساعدة.

٤. لا تفترض. يحمل الكثير من الناس أفكاراً مسبقة عن أزواجهم وأولادهم. وهذه الافكار تشكّل عادة عائقاً أمام الاتصال. يجب ألا تفترض أبداً أنك تدرك مشاعر انسان آخر وأفكاره.

مضت ثلاثون دقيقة ودوغ وماري يلعبان "اللالعبة". ثم سحبت ماري بطاقة تحمل سؤالا عمّا إذا شعرت يوماً بالوحدة. وأجابت هامسة: "اني أشعر بالوحدة كل ليلة."

وما ان انتهت اللعبة حتى بادرها زوجها: "كيف تقولين هذا؟"

فأجابته بهدوء: "كل ليلة عندما نأوي الى الفراش تدير لي ظهرك."

ففر دوغ فمه مشدوهاً وردّ: "قبل سنوات وكنت ما زلت في المدرسة، حصل أن كسرت بضعة أضلاع في صدري وأنا ألعب بكرة القدم. ولم تلتئم أضلاعي كما يجب لذلك أستلقي على الجانب الذي لا يؤلمني."

بعد أسبوعين التقيت دوغ وماري في أحد المخازن. وبادرتني ماري: "لقد حللنا مشكلتنا. تبادلنا الامكنة على الفراش."

٥. أظهر حبّك. ربما كانت الافعال مهمّة مثل الكلمات. ذات مساء كنت ألعب اللالعبة مع صديقتي كارمن وزوجها وولديهما. كانت كارمن سيدة في الثالثة والاربعين جذّابة المظهر وثريّة. وكنت أقول في نفسي: "ها هي امرأة تملك كل شيء." الى أن سحبت كارمن بطاقة طلبت منها أن تتحدث عن لحظات مؤلمة في حياتها. فأفضت بالآتي: "عندما كنت في السادسة قالت لي والدتي انني تخطيت سن الدلال والتقبيل. وشعرت بضيق كبير. فرحت كل يوم أدخل غرفة أمي لالتقط الاوراق التي كانت تمسح بها أحمر الشفاه عن فمها واحتفظ بها طوال النهار. وكلمّا اشتقت الى قبلة من أمي كنت أفرك الورقة على خدي."

لم تكن حياة كارمن إذاً بالكمال الذي ظننته. وهي تحملت وحدها خلال أربعين سنة هذه النغصة الصغيرة. وتساءلت في نفسي هل في استطاعة أحد تعويضها ما فات.

وبعد جولات وصل ابن كارمن، وهو في الثامنة، الى مربّع أتاح له التعليق. فنهض من مكانه بهدوء وتوجّه الى أمّه، ومن دون أن ينطق كلمة وضع ذراعيه الناحلتين حول عنقها وقبلها على خدّها. واغرورقت عينا كارمن بالدموع وزال ذلك الالم الدفين ربما الى الأبد.

ريا زاكيتش ■

تقطن الكاتبة حالياً في غاردن غروف في ولاية كاليفورنيا، وتقيم حلقات دراسية حول الاتصال للعائلات والمربين من انحاء الولايات المتحدة. ولقد بيع من لعبتها "اللالعبة" أكثر من مليون نسخة باللغات الانكليزية والاسبانية والفرنسية والالمانية والايطالية، ويستعملها اليوم علماء النفس والمدرسون.



تلفزيون العجوز

أرسلت عجوز جهازها التلفزيوني الى مشغل لاصلاحه. وبعد بضعة أسابيع لم تكن الاصلاحات أنجزت، فأخذت تتصل بالمشغل دورياً لتستعلم عن الموعد المتوقع لتسليمها الجهاز، فكان التقنيون في كل مرة يؤجلون موعد التسليم بضعة أيام. ولما يئست العجوز وثارت قررت ان تفهم أولئك العمال مدى افتقادها الجهاز. فبعد أيام من اتصالها الأخير تلقى العمال ظرفاً ضمنته العجوز بطاقة ترجو فيها لجهازها "الشفاء العاجل". فتم اصلاح الجهاز في اليوم التالي.

ل.ج.

صيّادو الإسفنج

انهم أحفاد هوميروس. يعيشون بحرية ويدربون أجسادهم وإرادتهم لمواجهة غطرسة البحر

Helen Byram / Shostal Associates



بيوت زاهية في جزيرة كاليمنوس

للعيد الكبير معنى خاص في جزيرة كاليمنوس في بحر إيجه. فمن ناحية العادات، اقترن العيد برحيل مراكب صيد الاسفنج الى لوفان وساحل افريقيا الشمالي والارخبيل اليوناني بحثاً عن طبقات جديدة من الاسفنج.

F. Borderwich



غطاس في بذلة خاصة يقفز من المركب لقطف غلال البحر.

لحظات قبل منتصف الليل وينطلق قوس من نار فوق الجموع المحتشدة، فوق الرجال الاشداء الذين يعتمدون في رزقهم على غنى البحر وفوق زوجاتهم البليدات وأولادهم المشدوهين بما يجري. وتدوّي في الميناء أصوات انفجار أصابع الديناميت حيث ترسو مراكب صيد الاسفنج المضاءة.

وتنطلق المراكب نحو عرض البحر برهة ثم تعود، وذلك يرمز الى رحيلها وعودتها سالمة في الايام التي تلي.

صيادون أشداء – تقع جزيرة كاليمنوس على بعد كيلومترات قليلة من الساحل التركي، وهي واحدة في سلسلة جزر تعرف باسم دوديكانيز. انها جزيرة جبلية غنية بالصخور، وارضها قاحلة الامر

الذي دعا سكانها الى ركوب البحر لكسب عيشهم. ومعظم سكان الجزيرة وعددهم ١٤ ألفاً و٥٠٠ نسمة يعيشون في ميناء بوثيا حيث تنتشر بيوت مطلية بالاخضر والوردي والاصفر والابيض والازرق على جوانب خليج شفاف هادىء. وفي الميناء تتمايل مراكب صيد الاسفنج ومراكب شحن قديمة ومراكب شراعية صغيرة. ومرة أو مرتين في اليوم تصفر سفينة تجارية معلنة وصولها، وهي الوسيلة الشعبية الوحيدة لنقل سكان الجزيرة الى العالم الخارجي.

من السهل التعرف الى صيادي الاسفنج وربابنتهم لضخامة أجسادهم وسمرتهم القوية بفعل تعرضهم للملح والشمس سنوات عدة. ان هذه الجماعة الاخيرة من صيادي الاسفنج في أوروبا، ويعرفون باسم "سفونغاراد"، تتألف من رجال اشداء يتحدرون من عصر هوميروس على الأقل. انهم رجال فخورون بأنفسهم، يعيشون في حرية ويعملون على تقوية ارادتهم واجسادهم لمواجهة غطرسة البحر أثناء بحثهم عن مادة لا تثير الاهتمام: الاسفنج العادي.

خطر الموت – قبل اكتشاف الاجهزة الحديثة، كان صيادو جزيرة كاليمنوس يغطسون في البحر من دون تزود أي شيء الا صخرة تشدّهم الى أسفل. قليلون هم من استطاعوا حبس أنفاسهم أكثر من دقيقتين، لذا أمكنهم فقط اقتلاع الاسفنج القريب من سطح الماء. وفي النصف الاول من القرن العشرين أخذ معظم الصيادين يلبسون بذلات مانعة للماء، تتصل بها خوذات معدنية ثقيلة. أما الآن فيرتدي معظمهم بذلات خاصة بالغطس وأقنعة وزعانف ويعتمدون في تنفسهم على خرطوم متصل بنظام لتوليد الاوكسجين على متن السفينة، وهو نظام يسمح لهم بالغوص الى العمق والبقاء تحت سطح الماء لفترات أطول.

خلال موسم صيد الاسفنج الذي يدوم من ابريل (نيسان) الى أكتوبر (تشرين الاول) قد يعمل الصيادون ١٢ ساعة يومياً، من الفجر الى المغيب، مع أخذ قسط من الراحة بين غطسة وأخرى. وفي امكان الغطاس أن يكسب مليوناً ونصف مليون دراخما (نحو ١٠ آلاف دولار) في موسم الصيد ونصف هذا المبلغ في ما تبقى من السنة. غير أنه من الصعب التكهن بشأن الغلّة، اذ ان المراكب مكلفة والخطر داهم في كل وقت.

عندما كان عدد أكبر من سكان الجزيرة يعملون غطاسين، والأجهزة التي يستعملونها أقل تطوراً، كان قرابة عشرة منهم يموتون أو يصابون بالشلل في كل موسم. أما أخطر تهديد يواجهه الغطاسون اليوم فهو علّة إزالة الضغط(★) وتظهر "الانثناءات" والتوترات عندما يعلو الغطاس بسرعة من قعر المحيط، فيولّد النيتروجين الموجود في دمه فقاقيع في الشرايين أو الانسجة أو في العمود الفقري. وقد ينتج من انسداد الاوعية الدموية بفعل الفقاقيع ألم بسيط في المفاصل، وربما شلل تام أو حتى الموت بعد عودة الغطاس الى سطح البحر.

(★) Decompression sickness

جنون العواصف - إن الخطر الذي يواجه الغطاسين يتعاظم مع ازدياد غطسهم مسافات أعمق وبقائهم تحت الماء وقتاً أطول. يقول أغيسيلاوس فرانغوس وهو غطاس قصير القامة قويّ الجسم مسفوع البشرة يعمل في المهنة منذ ٣٤ سنة: "كنا نعمل قبالة شاطىء كريت عندما غطس جورج للمرة الثالثة في ذلك اليوم. كان في التاسعة عشرة من عمره. وبعد عشرين دقيقة أشرنا اليه بالصعود اذ انه مكث تحت الماء فترة طويلة. وظننت أنه كان يرغب في مزيد من الاسفنج كأي غطاس آخر، فالغطاسون ناشطون في مجال التنافس. وأشرنا اليه بالصعود أربع مرات. وفي نهاية الامر صعد الى سطح الماء، لكن ذلك تم بسرعة كبيرة. قال إن معدته تحترق. وعرفت أن السبب هو الانثناءات، لذا أعدناه الى الماء كي يتكيف جسمه. وكررنا ذلك مرتين لكننا لم نفلح في معالجته. لم يستطع تحريك رجليه. فنقلناه بسرعة الى المستشفى ولكن بعد فوات الأوان. ومنذ ذلك الحين ما زال مشلولا في نصفه الاسفل."

حياة السفونغاراد هي في نهاية المطاف رهن عوامل الطبيعة. يقول أريستيديس فافلاس وهو غطاس منذ ٣٥ سنة: "ذات شتاء كنا عائدين من رحلة صيد في البحر دامت شهراً ونصف شهر، واذ بعاصفة هوجاء تهب علينا فجأة. فأسرعنا نحو جزيرة تيلوس واقتربنا من شاطئها ما أمكن. ورمينا المرساة وقفزنا الى الماء وسبحنا طلباً للنجاة. وصلنا الى الشاطىء وتسلقنا الحبل حتى بلغنا البلدة. وفي فجر اليوم التالي خرجنا لنتفقد المركب. لم يكن ثمة مركب هناك، فهو تحطم بفعل ارتطامه بالصخور. وخسرنا أيضاً كل ما جمعناه من اسفنج."

تجار عالميون - الاسفنج، نتاج هذه المهنة الشاقة، كائن حي بدائي يعيش بواسطة تصفية الاوكسجين وذرات الطعام الموجودة في الماء الذي يمر عبر مسامه. وهناك نحو ٥٠٠٠ نوع من الاسفنج، لكن بضعة أنواع فقط رائجة في السوق، ومنها اسفنج الكابايكا المستعمل في المنازل والذي ينطوي على مسام كبيرة نسبياً، واللاغوفيتو المسطّح المستعمل في



القبطان أريستيديس فافلاس يعرض الاسفنج.



مراكب الاسفنج تتمايل بكسل في الميناء.

Photos: F. Borderwich

المصانع، والفينا الذي يحوي مسام صغيرة ويستعمل لصقل الآنية الصينية ووضع مستحضرات التجميل. والاسفنج المكتمل النمو قد يراوح قطره بين بضعة سنتيمترات وأمتار عدة، ويستغرق نموه ثلاث سنوات الى أربع قبل أن يجدر صيده.

يقول أنطونيوس كولوريوتيس وهو صياد ضخم البنية في الثلاثينات من عمره: "إنه يلتصق بالصخور، ويغطيه جلد أسود فيبدو كأنه طين. والقريب منه الى سطح الماء يلتصق بالصخور كالصمغ وعليك انتزاعه بقوة. ولكن على عمق ٦٠ متراً أو أدنى يمكنك جرفه بيدك، وهذا يشكل حافزاً يدعوك الى الغوص العميق."

الاشارة الاولى الى الاسفنج وردت في ملحمة الاوذيسة للشاعر الاغريقي هوميروس، ومن المحتمل أن يكون صيده تم على أيدي أجداد السفونغاراد الحاليين. وكان الاسفنج مادة مألوفة الاستعمال في منازل أثينا وروما القديمتين، حيث استخدم في الطلاء وكمماسح وأوعية نقّالة يعتمدها الجنود للشرب أثناء مسيراتهم. غير أن شهرة الجزيرة تعود الى الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر عندما احتاجت المصانع المتكاثرة الى مزيد من الاسفنج لتنظيف الآلات.

لقد وصل صيادو الجزيرة الى باريس ولندن وبرلين وموسكو ينادون على الاسفنج الذي تدلى من حبال على ظهورهم. واستقر بعضهم في بلاد غريبة وشرعوا يتاجرون بالاسفنج على نطاق عالمي، وحتى اليوم ما زالت تجارة الاسفنج الى حد بعيد في أيدي رجال متحدرين من الجزيرة. واستقر آخرون في فلوريدا وأدخلوا صيد الاسفنج المياه الامريكية.

عيش كريم – قبل الحرب العالمية الثانية اصطاد غطاسو جزيرة كاليمنوس معظم الاسفنج المستعمل في اوروبا وعالجوه، كما اصطادوا معظم الاسفنج الذي بيع في الولايات المتحدة. بيد أن صناعة الاسفنج اخذت تتراجع منذ الخمسينات. فقد ظهر في الاسواق الاسفنج الاصطناعي الاقل متانة، لكنه يباع بجزء من كلفة الاسفنج الطبيعي. ومن ثم حدثت تغييرات سياسية في الشرق الاوسط. ففي العام ١٩٦٣ اغلق الرئيس الراحل جمال عبد الناصر مياه مصر في وجه صيادي الاسفنج الاجانب، وسرعان ما حذت سوريا وليبيا حذوه، وهكذا خسر غطاسو الجزيرة أهم المناطق التي يعتمدون عليها.

وفي الوقت نفسه تقريباً ظهر في أسواق اوروبا اسفنج متدني الجودة جيء به من مياه كوبا وفلوريدا. وبما أن غطاسي كاليمنوس مقيدون بالعمل في الارخبيل اليوناني، فان الكوبيين والتونسيين هم الآن منافسوهم في الاسواق العالمية. ومع ذلك تؤمن كاليمنوس قرابة ٤٠ في المئة من حاجة العالم. واكثر من ٤٠٠ غطاس من الجزيرة ما زالوا يعتمدون في عيشهم على الغطس لصيد الاسفنج، في حين يعمل مئات غيرهم بحارة في مراكب صيد الاسفنج أو في معالجة الاسفنج الطازج.

وعلى رغم أن العمل يجري على مقياس أصغر مما كان أيام عزّه، فثمة خطر ضئيل أن تتلاشى تجارة الاسفنج في جزيرة كاليمنوس. ويوافق على ذلك الغطاس انطونيس كامبوراكيس وهو رجل طويل القامة جميل المحيّا في أواسط الاربعين يعمل في الغطس منذ ٢٠ سنة: "صحيح أنه عندما تغطس اليوم فعليك أن تتحرك أبطأ من ذي قبل وتفتش لفترة أطول، ولكن ثمة كميات كبيرة من الاسفنج ما زالت تحت الماء. في امكانك تأمين عيش كريم، ولكن يتعين عليك بذل جهد من أجل ذلك."

عندما يترك المركب الشاطىء وعلى متنه انطونيس بلباس الغطس، فانه لا يفضل على البحر أي مكان آخر في العالم: "أشعر كأنني في منزلي، فأنا أعرف قعر المحيط أفضل مما أعرف اليابسة." قال ذلك وهو ينسلّ من المركب الى مياه البحر العاتية.

مفخرة هوميروس – ان قعر المحيط المواجه لجزيرة كاليمنوس جبلي بتكوينه، وهو امتداد لأرض الجزيرة ووهادها. غير أنه يؤوي سمك الانقليس وغيره بدلا من الغنم والماعز، والاسفنج بدلا من الكرمة والاشجار الاخرى. يمشط كمبوراكيس القعر بحثاً عن الاسفنج المختبىء بين الصخور، ويضع ما يجده في شبكة تمسك بها يده الطليقة.

أما على سطح الماء فيتتبع الربان تحركات كمبوراكيس من خلال حركة خرطوم الهواء وسيل الفقاقيع الفضية على وجه الماء.

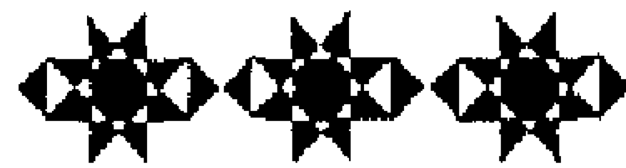
يقول الربان وهو يحدّق الى الماء كأنه يأمر كمبوراكيس بالصعود: "اذا شعرت بالتعب وأنت في قاع البحر فانك معرض للهلاك."

وأخيراً، بعد ساعة من نزوله الى القعر، ظهر وجه كمبوراكيس على سطح الماء. صعد الى المركب والتعب باد عليه وهو يرتجف من برودة الماء التي كانت أقل من ١٥ درجة مئوية.

"ها هي،" قالها وهو يشير الى الشبكة السوداء التي احتوت على ثمرة كفاحه مع البحر. كانت تكشف عن اسفنجتين وبعض قنافذ البحر وصدفة أو صدفتين وأسطوانة كبيرة من الاسفنج يبلغ قطرها ٥٠ سنتيمتراً. وأضاف: "ها هي اسفنجة حقيقية!"

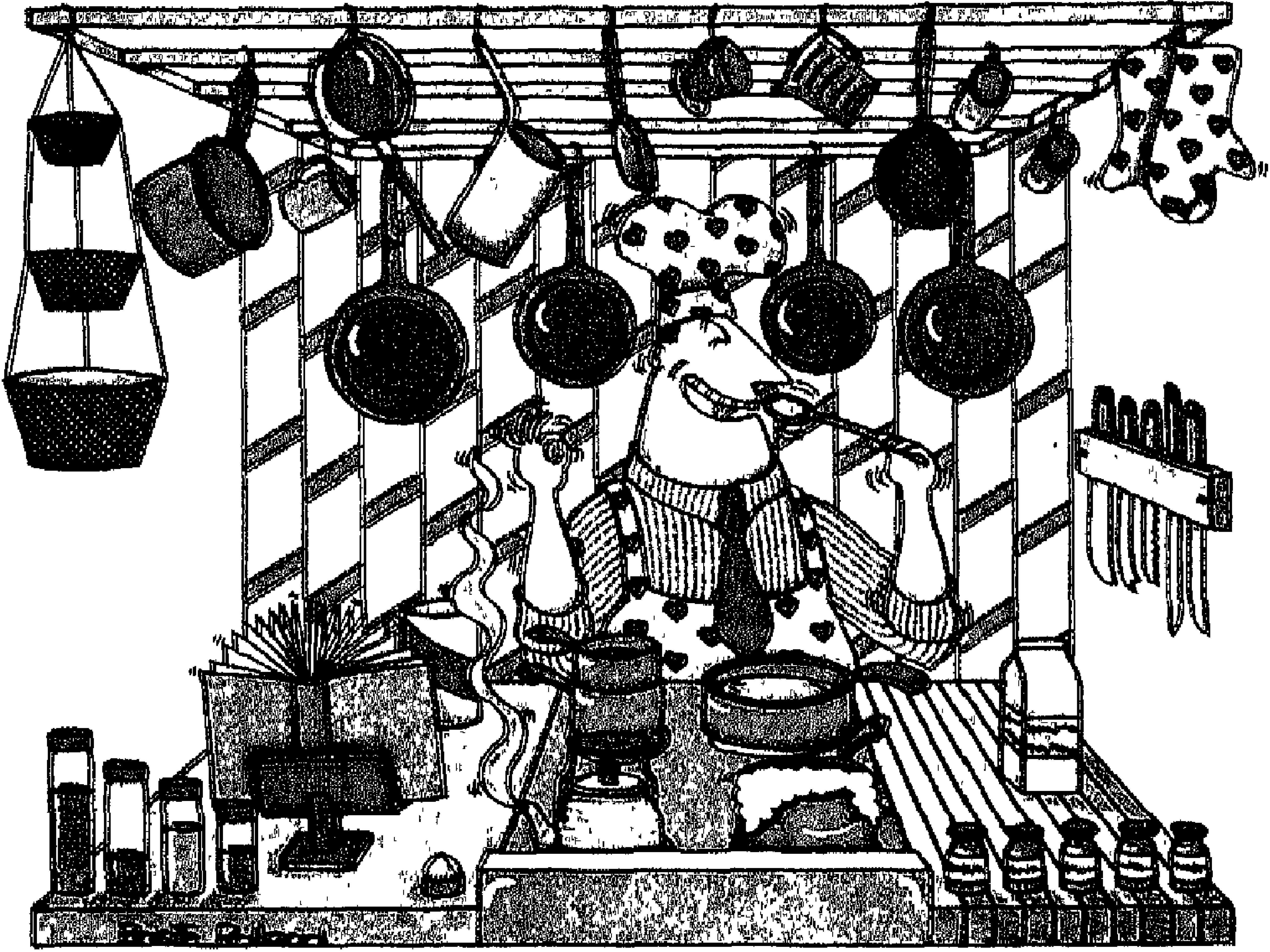
لو كان هوميروس يراقب ذلك لوجد سبباً للمفاخرة. والسبب ان رجالا امثال كمبوراكيس وفرانغوس وفافلاس وغيرهم يحملون في دمائهم بعضاً من بطولات الماضي.

فيرغوس بوردفيتش ■



لا تحمل أكثر من نوع واحد من الهموم في آن. بعض الناس يحملون ثلاثة أنواع: كل ما أصابهم في الماضي، وكل ما يصيبهم الآن، وكل ما يتوقعون أن يصيبهم في المستقبل.

ادوارد هيل، كاتب أمريكي



قاموس الطهاة

"الطبخ: فن استخدام الأواني والادوات لتحويل المقومات والتوابل أعذاراً واعتذارات." الى هواة الطبخ والى الذين يطبخون مضطرين، نقدّم مجموعة من الاصطلاحات في عالم الطبخ ومعانيها الحقيقية

ابريق الشاي: إناء يستعمل في غلي الماء لتحضير الشاي أو القهوة. يرسل صفيراً أو نغماً لطيفاً عندما يبدأ الماء الغليان. حتى أبسط الانواع تعلن آلياً تحوّل الماء كله بخاراً، فهي تتحول تدريجاً الى اللون الاسود وتفوح منها رائحة معدنية حادّة.

البصل. الطعام الوحيد الذي تسيل له الدموع قبل طهوه أو تقديمه.

التحضير: (١) تنظيف حيوان، كالدجاج أو السمك أو الطير، أو نتفه أو سلخه أو انتزاع أحشائه تحضيراً لطهوه. (٢) تحضير انسان لعشاء رسمي

Condensed from «Cooking: A Cook's Dictionary,» copyright 1985 by Henry Beard and Roy Mckie, published by Workman Publishing Co. New York, N.Y. Illustrations: Brigitte Rolland

بالاستحمام أو الحلاقة أو تسريح الشعر أو شد الحزام أو النصح أو التحذير أو التهديد.

الثلاجة: حجيرة مبرّدة ومعزولة تستخدم لحفظ الطعام. ولا يمكن التكهن بسلوك المواد الصالحة للأكل عندما تكون درجة الحرارة تحت الصفر. فبعضها، مثل شرائح اللحم والبطاطا المقليّة والجيلاتي (آيس كريم) تتحول لسبب مجهول مزيجاً واحداً من حساء البازيلاء المجمد.

الحمضيات: الليمون الحامض واللايم والبرتقال والكريفون (كريب فروت) وأصناف أخرى من عائلة الحمضيات. تحتوي عصارتها على حامض السيتريك، وهي مادة تساعد الطهاة على تحديد سريع لمواضع الجروح والجلوف والشقوق في أصابعهم.

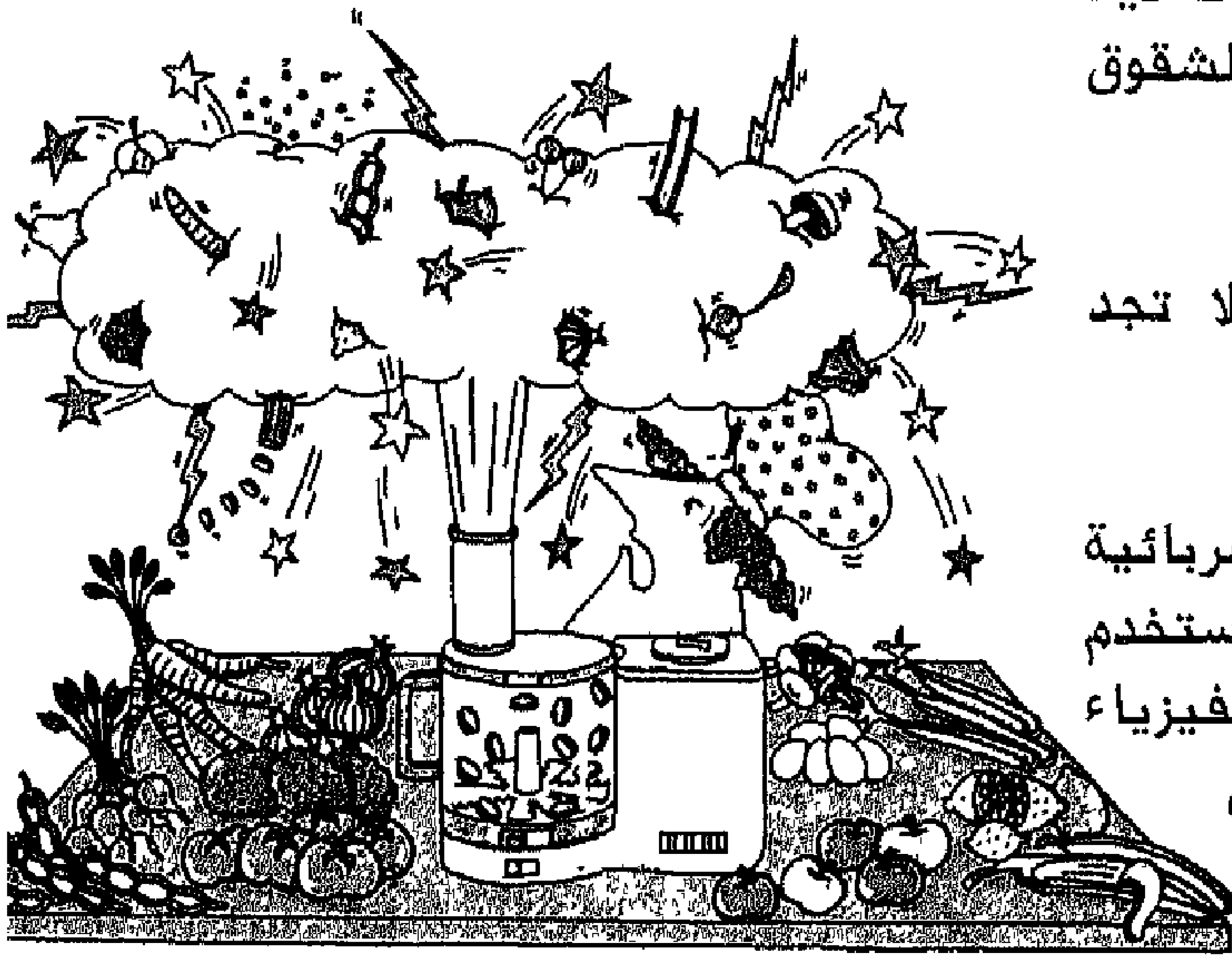
الخزانة: أحد الاماكن حيث لا تجد الاناء الخاص بالصلصة.

الخلاطة أو العصّارة: آلة كهربائية قوية لها شفرات تدور بسرعة. تستخدم في اجراء تجارب منزلية في الفيزياء المطبخية، مثل تحويل حزمة من الجزر ذرّات من الكاروتين، وهو المقوّم الاساسي فيها، أو إخضاع حفنة من البصل للظروف السائدة في الزلازل والبراكين.

الذواقة: أي انسان يقول لك، عندما يجدك مقصّراً عن اكمال طعام غريب أو مقزّز للنفس إن الذوق مكتسب وانك الخاسر الاكبر.

السردين: واحد من ثمانية بنود غالباً ما تجدها في خزائن المطبخ الساعة الثانية صباحاً في المكان الذي اعتدت أن تضع فيه زبدة الفستق. أما البنود السبعة الاخرى فهي المعكرونة والسمسم والبصل والثوم ولوح من الشوكولاتة السوداء غير المحلّاة التي تستعمل في صنع الحلوى وعلبة من الصلصة وعلبة من عيدان للاسنان ذات نكهة.

ضيف نافع: انسان حسن النيّة يساعد في تحويل الآنية الصينية النفيسة أواني للاستعمال اليومي.



الطعام الصحي: اي طعام يصعب تمييز نكهته عن نكهة غلافه.

الفرن ذو الموجة الصغرى(١): من

(١) Microwave oven



أدوات العصر، يعمل بمبدأ الرادار لتحديد موقع أي طعام في الداخل واتلافه بسرعة.

القابلية: إشتهاء لا يقاوم لطعام غير متوافر.

القشد: (١) ازالة الغثاء أو الدهن الطافي على سطح سائل ما. (٢) قراءة الوصفة قراءة سطحية وخاطفة تعمي الطباخ عن التحذير الذي ينبه الى أنه ما لم يُنزع الغثاء أو الدهن الطافي على سطح السائل فإن طعم الطبق سيكون مثل طعم حقيبة الرياضة.

قفاز الفرن: قطعة من الشحم مسفوعة جزئياً تُدخل فيها اليد.

اللبن: نتاج نصف جامد يصنع من الحليب المتخمّر والمتبخّر جزئياً. واللبن واحد من ثلاثة أصناف من الطعام مذاقها مثل لفظها تماماً. الصنفان الآخران هما الغولاش والسّبيبدج(٢).

المرق: حساء لحم أو سمك مركز والطبق الذي، على حدّ قول المثل، أفسدته كثرة الطباخين. و"كثرة الطباخين" عبارة مأثورة تعني مجموعة من محترفي الطبخ. ومن الاصطلاحات الاخرى المفيدة للمنزل اخترنا: تناقض المراجع، طوفان الصلصة، ابدال التوابل، تلاعب في الحصص، ضيوف فجائيون، تلال من الاطباق المتّسخة.

مرق النقع أو التخليل: مزيج سائل ذو نكهة خاصة تكتشف، بعد أن تقرر تقديم طبق معين ذلك المساء وتقرأ طريقة استخدامه، أنه كان يتوجب نقع الطعام فيه منذ اليوم السابق.

المقبّلات: لون من الطعام يُقدّم تقليدياً بعد الهمسات وقبل التأوهات.

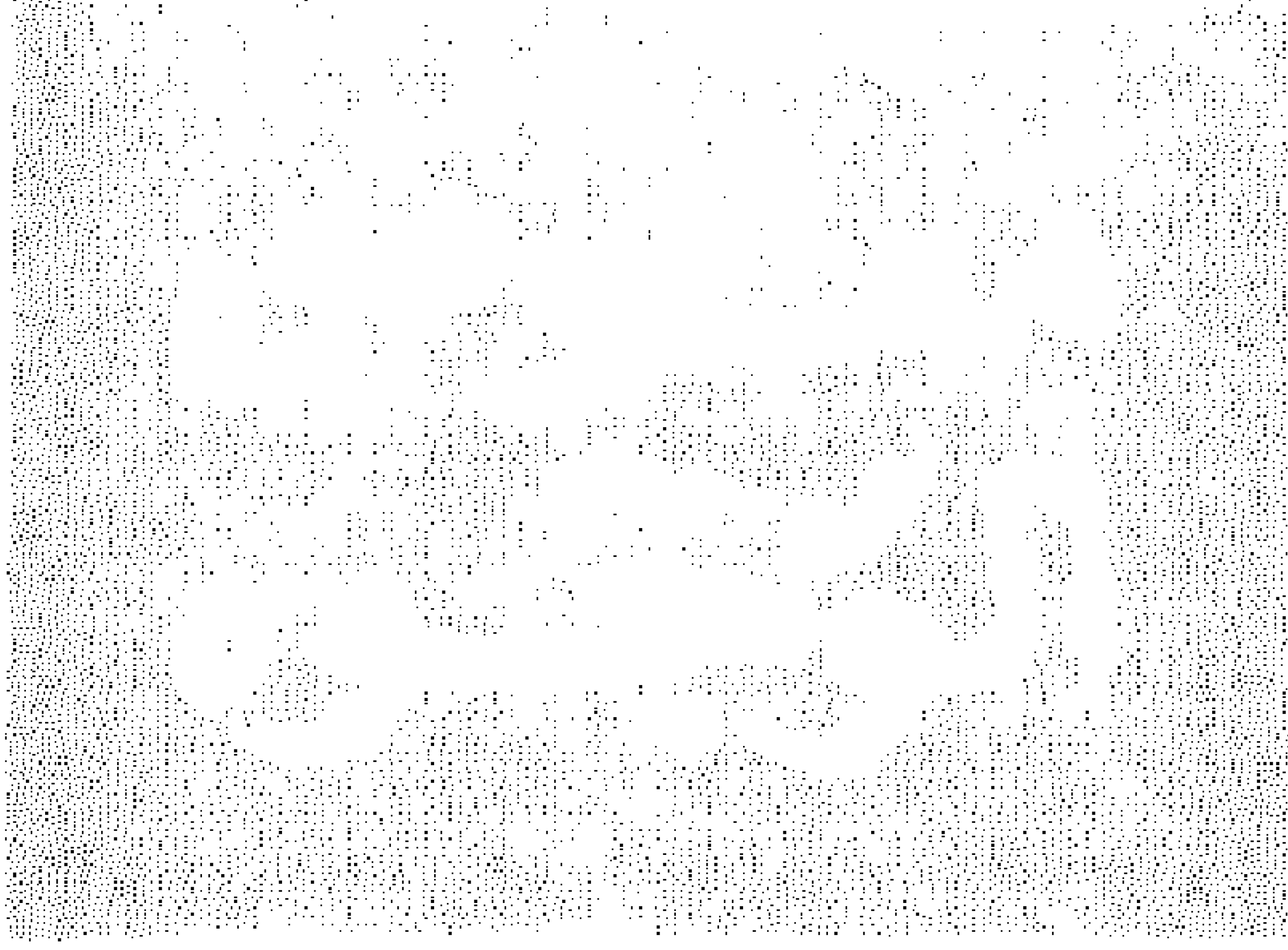
الملعقة: من أدوات المطبخ الاساسية. تستعمل الملاعق في الطبخ بأحجام مختلفة، غير أن الوصفات تشير دائماً الى ملعقة شاي قياسية والى ملعقة حساء قياسية، وكلتاهما ضمن مجموعة من الملاعق. ومع ذلك يستخدم معظم الطباخين أي ملعقة تقع عليها أيديهم، ويحسبون المقادير اللازمة من الملح والتوابل وما اليها على نحو عرضي.

الوصفة: تعليمات مدرجة لطريقة تحضير لون من الطعام نسيت أن تشتري مقوماته، وفي وعاء لا تملك مثله، لتحصل على طبق يأنف الكلب التهام المتبقي منه.

هنري بيرد وروي ماكي ■

(٢) الغولاش يخنة مجريّة، والسبيبدج حيوان بحري.

وجوه جديدة تضاف كل عام الى الصالة اللندنية الشهيرة

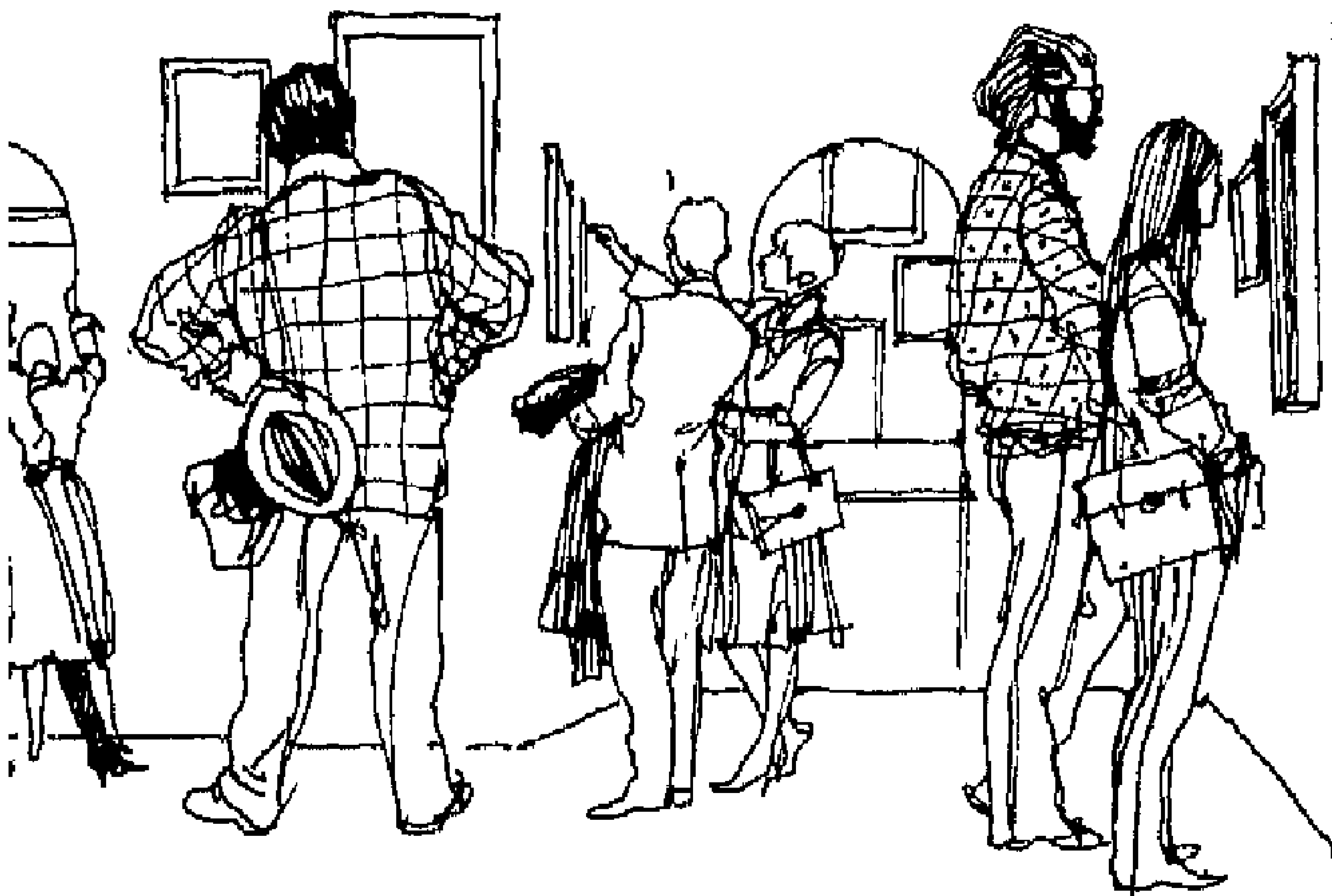


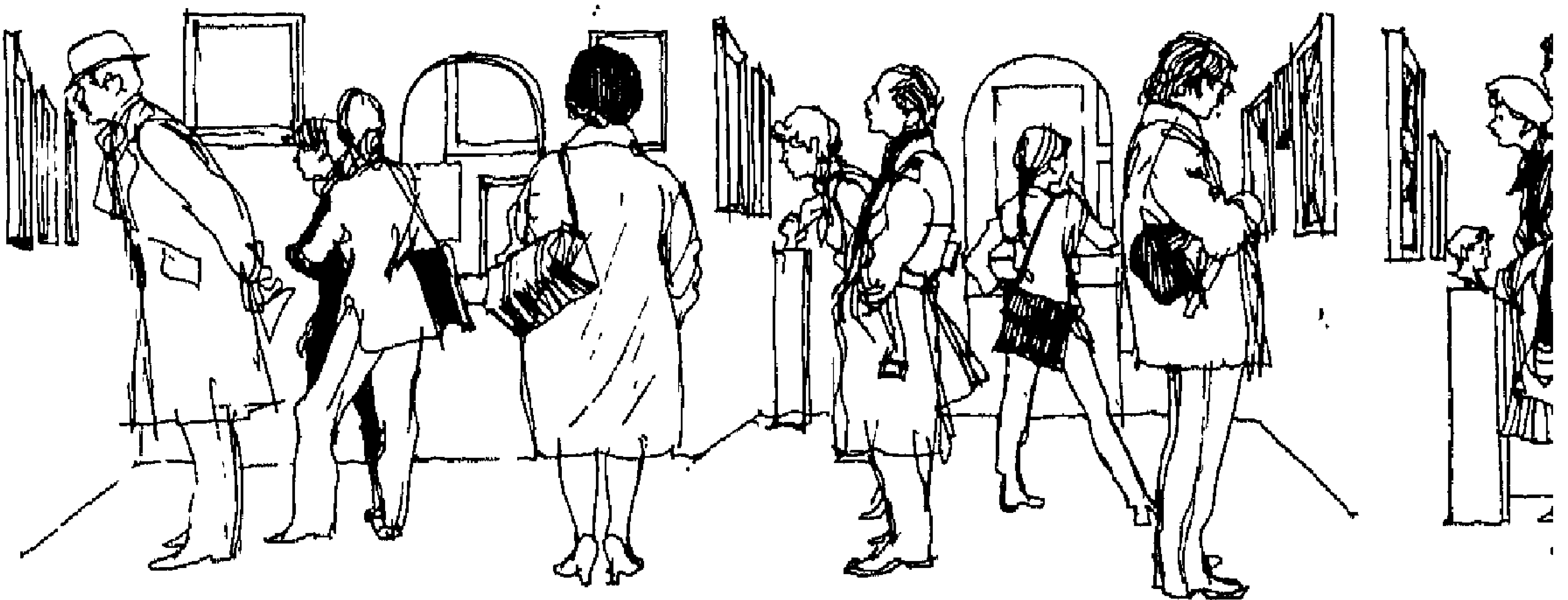
في ردهة الاجتماع الواسعة القائمة قرب ساحة ترافلغار في لندن كان أمناء "صالة العرض الوطنية لرسوم الشخصيات" (★) غارقين في جدال عنيف. فبين رسوم الرجال البارزين المعلقة على جدران القاعة لم يجدوا زيتية واحدة لأحد أعضاء الاتحادات العمالية. ولكي يسدّوا الثغرة أتوا باقتراح جديد هو أن يُوصُوا بصنع لوحة تمثّل ثلاثة من أعضاء الاتحادات. ولكن أتُراهم يُقدِمون على مخالفة التقليد؟

(★) National Portrait Gallery



المغني بول ماكارتني بريشة هامفري أوشان. والى اليسار، القادة الثلاثة لاتحادات العمال: اللورد غورملي وسيد ويميل وتوم جاكسون.





Line Drawings: Eric Stemp

أخيراً في يوليو (تموز) ١٩٨٤ أسفر الاجتماع عن اتفاق الأمناء، وباشرت هيئة الصالة تنفيذ الاقتراح. طلب من هانس شفارتز أن يرسم لوحة تمثل ثلاثة من قادة الاتحادات هم سيد ويهيل من اتحاد عمال السكك الحديد وتوم جاكسون من اتحاد عمال المواصلات واللورد غورملي من الاتحاد الوطني لعمال المناجم. "ثلاثتهم قادوا إضرابات عامة،" قال الامين براين موريس رئيس كلية سانت ديفيد الجامعية في ويلز، "فهم من كبار صانعي التاريخ."

كانت هذه الصالة في ما مضى مقرّاً لرسوم الملوك وأهل البلاط، ثم فتحت أبوابها لاقتبال نور جديد، وما لبث أن تقاطر اليها الزوار لمشاهدة معروضات القرن العشرين بعدما علقت اللوحة الثلاثية الجديدة. وكانت النتيجة أن ارتفع عدد المشاهدين في السنة الأولى الى ٦٠٠ الف أي بزيادة ٤٢ في المئة.

في هذا المعرض للوجوه العالمية المألوفة يجد كل شخص ما يوافق ذوقه. فمن مشاهير المسرح والموسيقى، كالسيدة بيغي أشكروفت والمغني التون جون، الى القائد العسكري مونتغومري والعداء سيباستيان كو. هنا نرى القيادات المعاصِرة بعيدة عن الازدحام التقليدي الخانِق: اللورد ولسون رئيس الوزراء البريطاني السابق محاطاً بهالة مميزة من دخان غليونه، وسَلَفه اللورد هُيوم ومعه قصبة صيد وكلب لابرادور.

الشاعرة دام اديث سيتويل بريشة سيسيل بيتون.





ماري الاولى بريشة هانس ايوورث (١٥٥٤). واللؤلؤة الكبيرة على صدرها هدية من زوجها فيليب الثاني ملك اسبانيا، وهي اليوم تخص الممثلة اليزابيث تايلور.



السير روبن داي.

في الماضي كان القيمون على الصالة كلما بحثوا في عرض رسم لشخص ما يشترطون ان يكون مضى على وفاته عشر سنين على الاقل، باستثناء الملوك الذين ما زالوا في الحُكم. اما الآن فان أمناء الغاليري برئاسة اللورد كنيون يُوصُون سنوياً بخمسة رسوم على الأقل لاشخاص احياء. وهذه الخطوة ساهمت الى حد كبير في إحياء فن كان مطروحاً في زوايا الاهمال.

وهم يختارون الموضوعات من قائمة يعدها موظفو الصالة. بعضها لأشخاص بارزين كرؤساء الوزراء، فرسم مارغريت تاتشر مثلا الذي صنعه رودريغو موينيهان عام ١٩٨٤ يتصدَّر قاعة الدخول. والبعض الآخر لأعضاء الاسرة المالكة، فهناك خمسة رسوم لاعضاء احياء في هذه الاسرة تزيّن "الساحة الملكية." وثمة رسوم أخرى كرسوم قادة الاتحادات تثير نقاشاً حامياً يعبّر عنه القَيِّم على الصالة الجديدة روبن غيبسن: "لا نريد أصحاب شهرة وقتية."

أروقة العصور – عام ١٩٨٠ ظهرت بادرة جديدة لتنشيط رسم الاشخاص، هي تأسيس "جائزة جون بلاير" السنوية المُرصَدَة لتشجيع العودة الى هذا الفن. وتجتذب هذه الجائزة نحو ٦٠٠ من الرسوم

نيـدو الحليب الأفضـل



المتبارية، وينال الفائز ثمانية آلاف جنيه انكليزي نقداً (نحو ١٢ ألف دولار) مع تكليف لرسم شخصية معروفة تضاف الى المجموعة المعاصِرة. وفي العام ١٩٨٤ نالت هذه الجائزة روز ماري بيتون فكُلِّفت رسم السير روبن داي الذي أزيح الستار عن لوحته في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥.

غير ان المطامح العصرية للصالة تجاوز الى حد بعيد رسوم القرن العشرين. فهناك اكثر من عشرة آلاف رسم تشمل سبعة قرون، لا يُعرَض منها في آن الا قسم ضئيل. وكانت هذه الرسوم تعلَّق صفوفاً متراصّة وفقاً لترتيب تاريخي صارم دقيق، أما الآن فيتم ترتيبها بحسب أبواب التاريخ البريطاني، مجموعةً في أروقة ومزيَّنة بأسلوب انيق يوافق العصر الذي تمثله. ففي الطبقة العليا، في رواق تيودور، تغطي الجدران ألواح من خشب السنديان ويكسوها ورق وردي اللون، فتؤلف خلفية فخمة لتحف مثل لوحة هولبين البالغ ارتفاعها مترين ونصف متر وتمثل الملك هنري الثامن ورسم آخر لهنري السابع في محاولة خائبة لاجتذاب مرغريت دو سافوا التي كان يطمع في تزوجها. وفي الغرفة المجاورة تنسدل على الجدران ستائر من الخيش الاسمر المستعمل كغطاء سهل النقل لجدران القصور الاليزابيثية، فتنجح في اظهار رسوم الملكة اليزابيث الاولى ونساء بلاطها في ملابسهن الفاخرة وياقاتهن العالية المكشكشة.

كل رواق يعبّر عن عصره بدقة واتقان. الدمقس الفضي والجلد الاصطناعي المكثَّف من عهد آل ستيوارت يتقدمان الدمقس الاحمر القاتم في الرواق الجورجي. وفي الطبقة الاولى تبرز امامنا روعة العصر الفيكتوري في سلسلة غرف يزين جدرانها ورق احمر واخضر مُقولب باليد، نقلا عن رسوم اصلية. من هنا ننتقل الى الوردي القاتم والكستنائي من العهد الادواردي (نسبة الى ادوارد السابع). وفي كل مكان ترافقنا الخرائط والصحف المعاصرة ووثائق أخرى تساهم في إحياء العصر. ويقول مدير الصالة جون هايز: "نحن نبذل كل ما في وسعنا لبعث الماضي."

ثم تأتي الاحاجي والمحاضرات لتزيد الجو اثارة. وقد رأيت قبل مدة قصيرة جمعاً من طلّاب المدارس يجتازون اروقة ملوك التيودور مسرعين وفي ايديهم لوائح اسئلة، فيبحثون في الرسوم عن علامات خفية تهديهم الى الاجوبة المطلوبة. وكان هناك فريق آخر وقف افراده مدهوشين أمام قماشة عظيمة الحجم تمثل الملكة فيكتوريا وهي تقدم كتاباً الى أمير افريقي، في حين وقف الموظف التربوي جون كوبر يشرح مفهوم الاستعمار قائلا: "هذه اللوحة بمفردها تختصر الاطماع السياسية التي ميزت عصراً بكامله."

عين ناقدة – أسست صالة العرض الوطنية لرسوم الشخصيات عام ١٨٥٦، وفُتِحَت ابوابها للجمهور بعد ذلك بثلاث سنوات، ولم يكن فيها حينذاك الا ٧٠ لوحة موضوعة في مبنى قديم قرب البرلمان. ثم انتقلت الى منطقة "بثنال

غرين" قبل استقرارها في بنائها الحالي عام ١٨٩٦، وقد تبرّع بتشييده ملّاك عظيم الثروة يدعى وليم هنري الكزاندر. وفي الثلاثينات من القرن العشرين ألحِقَت به ابنية جديدة، لكن هذه المؤسسة لم تَصِل الى مستواها الحالي من الاتساع والحيوية الا عام ١٩٦٧ حين تسلم ادارتها السير روي سترونغ.

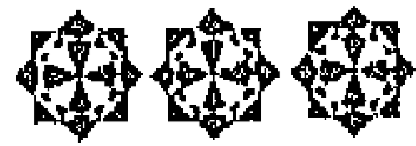
كان سترونغ يؤمن بالعرض المسرحي للرسوم، فادخل فكرة اضافة اشياء تضعها في جوّها التاريخي، كالأسلحة والآلات والوثائق. ولاعتقاده بضرورة الاهتمام بالتصوير الشمسي كوسيلة لتنشيط الرسم اليدوي للاشخاص، أقام عام ١٩٦٨ معرضا رائداً لأعمال سيسيل بيتن.

واليوم اصبح عدد موظفي الصالة مئة وخمسة. وموازنتها مليون ونصف مليون جنيه استرليني يضاف اليها ٣١٠ آلاف لمشتريات جديدة. وفي العام ١٩٨٥ أخلى المديرون غُرف الدلالة لكي يضيفوا الى مجموعة المعرض نحو مئة لوحة جديدة. لكن الصفقات الناجحة لا بد لها من عين ناقدة لا يملكها الا الخبراء. وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٣ احضر النائب والمدير ملكوم روجرز رسماً عتيقاً ممزقاً وضعه فاندايك للملك تشارلز الثاني في طفولته وجَدَه بين معروضات سوق "كريستي" فاشتراه بأقل من جنيهين. وبعد ترميمه أصبح يساوي ٣٥٠ ألف جنيه.

توسيع وتأهيل – موضوع الأمن يحتل أهمية كبرى في مجموعة تبلغ قيمتها ارقاماً خيالية. إن وجود ستين حارساً في بزّاتهم الرسمية، اضافة الى جهاز انذار متطور، لا يحُول دون وقوع السرقات. ففي أغسطس (آب) ١٩٨١ عمد أحد المخربين الى تمزيق رسم الليدي ديانا سبنسر عشية عُرسها، ولكن لحسن الحظ تم إصلاح الرسم على نحو محا كل أثر للتشويه.

وعلى رغم التطورات الكبيرة التي طرأت في السنوات الاخيرة لا تزال المؤسسة تطمح الى المزيد. وهناك خُطط ترمي الى توسيع اروقة القرن العشرين وتأهيلها لعرض عدد اكبر من مشاهير العصر. وقد بدأ العمل لتقديم عروض ضخمة مستوحاة من الاحتفال بالذكرى المئوية الثالثة للموسيقي الكبير جورج فريدريك هندل، فتقدم رسوم ومخطوطات وآلات وتسجيلات موسيقية حول الموضوع. وفي ١٩٨٧ سيقام معرض عنوانه "ونترهولتر وبلاطات اوروبا" إحياء لذكرى رسام الملكة فيكتوريا ونترهولتر. وفي ١٩٨٨ سيقدم عرض كبير لمناسبة مرور مئة سنة على ولادة لورنس العرب.

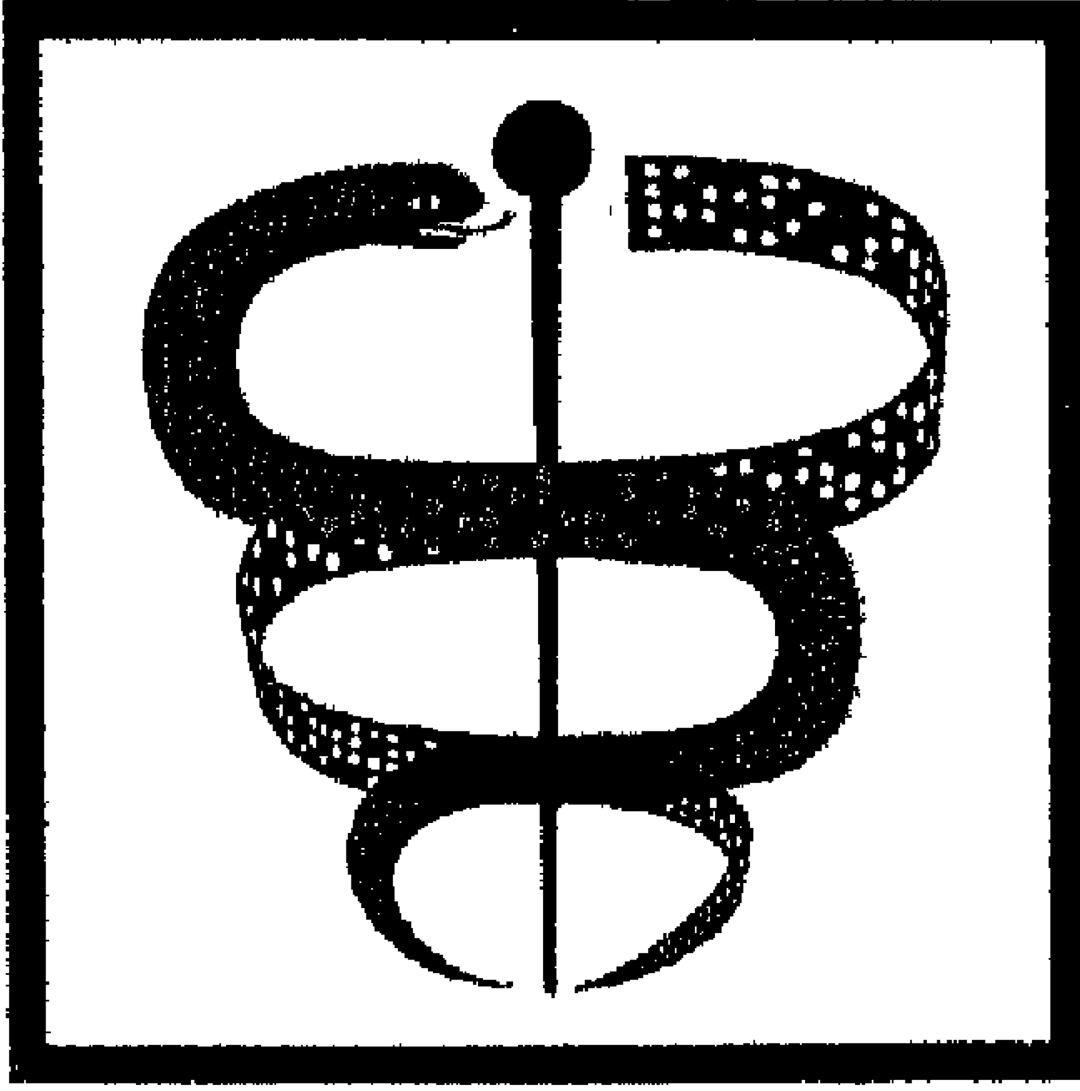
ديبورا كاولي ■



هناك أوقات يصح فيها أن تصغي الى مخاوفك. وهناك أوقات لا يجوز فيها أن تصغي الى أي خوف.

الجنرال جورج باتون

أصداء من عالم الطب



جديد الايدز

تشير قرائن جديدة الى وجوب اضافة فيروس الايدز الى لائحة الفيروسات والجراثيم المعروفة منذ أمد طويل أنها تسبب التهاب السحايا الدماغية (meningitis). والدراسة التي نشرت في مجلة "نيو انغلند" الطبية شملت ٤٥ مريضاً مصابين بداء نقص المناعة المكتسبة (الايدز) او مضاعفاته والمصابين أيضاً بالتهاب السحايا الدماغية أو العته (الخبال) أو بأي من المشاكل الاخرى التي تنتاب الجهاز العصبي المركزي. وعثر على فيروسات الايدز في الانسجة الدماغية أو في السائل الدماغي الفقاري لدى ٢٤ من ٣٣ مريضاً مصابين بالايدز المضاعف بفعل اختلالات عصبية، ولدى ١٠ من ١٦ مصاباً بالايدز يعانون العته الذي يشكل ضعف الذاكرة وسواها من الوظائف العقلية.

ويقول أحد قادة هذه الابحاث، الدكتور مارتن هيرش العامل في مستشفى مساتشوستس العمومي بمدينة بوسطن وفي كلية الطب بجامعة هارفرد، ان هذه القرينة الجديدة "تبرز احتمالا في أن يكون الجهاز العصبي المركزي محجة لفيروسات الايدز" مما يعقد مهمة تطوير علاج عقاري ناجع ضد هذه الفيروسات. فثمة حاجز غشائي طبيعي هو حاجز الدم الدماغي، يقي الدماغ أشياء تجري في الدم ويحتمل أن تكون ضارة وخطرة، بما في ذلك الأدوية. وهذا الواقع يحتمل أن يسبب معضلة قد تكون كبيرة.

صحيفة "نيويورك تايمس"

الحاسبة القلبيّة

يدخل رجل في الثانية والأربعين غرفة الطوارىء في أحد المستشفيات وهو يشكو ألماً في الصدر. ويحيله المسؤولون على قسم العناية بأمراض الشرايين. ويبقى هناك خمسة أيام تكلّفه بضعة آلاف الدولارات، لكنه لا يُصاب بنوبة قلبية... أوَليس من الممكن اجتناب تلك الفحوص المكلفة من غير تعريض حياة صاحبنا للخطر؟

الجواب يأتي ضمن مقال نشرته مجلة "نيو انغلاند الطبية" بقلم الدكتور هاري سلكر من مستشفى مدينة بوسطن وجامعة كاليفورنيا في لوس انجلس وزملاء له، وفيه يعرضون طريقة يمكن اعتمادها للتمييز بين الزائف والأصيل في سوابق النوبات القلبية.

والطريقة المذكورة تفرض على أطبّاء الطوارىء الاجابة بنعم أو لا عن سبعة أسئلة متعلقة بأعراض المريض وتاريخه الطبي وتخطيط قلبه، وبعد ذلك إقحام أجوبتهم في حاسبة يدوية مبرمجة. وبعد عشرين ثانية تعطي الحاسبة رقماً يشير بالنسبة المئوية، الى احتمال افتقار قلب المريض الى الاوكسيجين، وهي حالة مشؤومة تعرَف بالـ"اسكيمية" أي فقر الدم الموضعي الناشىء عن عقبات تعترض تدفق الدم في الشرايين. والاسكيمية الحادة تشير إما الى نوبة قلبية حاصلة وإمّا الى اعاقة في تدفق الدم، أي الى ذبحة صدرية قد تكون تمهيداً للنوبة القلبية.

وقد عمد الأطباء في ستة مستشفيات على الساحل الشرقي للولايات المتحدة الى استخدام هذه الحاسبة للتأكد من ٣٣٢٠ حالة صُنّفت جميعاً في عداد النوبات القلبية. ولكن تبيّن أن ٣٠ في المئة من هؤلاء لا يعانون أي مرض في الأوعية التاجية.

صحيفة "غلوب"، بوسطن

خلايا تقتل السرطان

نشرت مجلة "نيو انغلند" الطبية مقالا للدكتور ستيفن روزنبرغ من المعهد الامريكي الوطني للسرطان في بتيسدا بولاية ماريلاند، جاء فيه أن ثمة طريقة جديدة لمعالجة السرطان تحوّل خلايا الدم البيضاء خلايا جوالة قاتلة للسرطان، كما يبدو انها تقلص حجم الاورام السرطانية أو تقضي عليها كلياً حتى بعد تفشيها في الجسم. وجرّبت هذه الطريقة على ٢٥ مريضاً مصابين بسرطان متقدم لم يستجيبوا للجراحة ولا للعلاج الاشعاعي أو الكيميائي. وفي أحد عشر مريضاً من هؤلاء مصابين بأربعة أنواع مختلفة من السرطان، تقلّصت الاورام بنسبة تفوق الخمسين في المئة. وهي نتائج "مثيرة" بتعبير فرنك راوشر نائب رئيس جمعية السرطان الامريكية.

في هذا العلاج التجريبي الذي يدعى "العلاج المناعي المتبني"(★) يستخرج الاطباء الكريات البيضاء من دم المريض ويزرعونها في المختبر مع "انترلوكين - ٢" وهو عامل نمو بروتييني (ليمفوكين) يحضّ الجهاز المناعي على توجيه هجومه الى الداء. والكريات البيضاء المتحولة هذه، التي أطلق عليها اسم "الخلايا القاتلة المنشطة بالليمفوكين" تعاد الى جسم المريض وتدعم بحقن من الـ"انترلوكين - ٢". وعنصر "انترلوكين - ٢" الذي كان نادراً من قبل يمكن انتاجه الآن بكميات غير محدودة من طريق الجراثيم "المهندسَة" وراثياً.

وفي أي حال، لا يزال الاطباء يحذرون من أن هذه المعالجة قد تكون لها أعراض جانبية خطيرة، وهي باهظة الكلفة. وعلى رغم ذلك، يقول الدكتور فنسنت ديفينا مدير المعهد، "انها المنحى البيولوجي الذي يبشر في الوقت الحاضر بأعظم النتائج."

وكالة "أسوشيهتد برس"

(★) Adoptive immunotherapy



نزل الشرق كما يبدو من نهر شاوفيا.

نَـزلُ الشّـرق

انه أفضل فندق في العالم،
هذا ما يدعيه المعجبون بالنزل الأسطوري

أعرب بريطاني في زيارته الثانية لتايلند بعد ٣٠ سنة عن رغبة يحدوها الحنين في النوم ثانية تحت الناموسية. وأرسلت إدارة نزل الشرق(١) في طلب الناموسية فوراً وتم نصبها في غرفته المكيفة الهواء.

ذات جمعة وصل رجل أعمال من نيويورك، وهو ضيف مزوار للنزل. وألفى نفسه نزيل احدى غرف الطبقة الثانية على مقربة من السلم، اذ انه لم يكن يركب المصعد أيام الجمعة.

بسبب إيلاء التفاصيل هذا الاهتمام حاز نزل الشرق في بانكوك منذ العام ١٩٨١ لقب "أفضل فندق في العالم" حسبما أعلنت صحيفة "انستيتوشنال

(١) Oriental Hotel

انفستر" الأمريكية المعنية بشؤون المال، بعد استطلاع آراء مئة صيرفي عالمي.

لكن الخدمة المهووسة بالتفاصيل ليست سوى أحد أسباب مكانة النزل. ووفق تعبير أحد المقيمين ردحاً طويلا في بانكوك، "نزل الشرق مؤسسة في ذاتها، وهو فلذة من التاريخ."

الفندق الشرقي الأصلي الذي بناه بحاران دانمركيان في الستينات من القرن الماضي كان يضم ١٢ غرفة تطل على نهر شاوفيا. وكانت بانكوك آنذاك عاصمة صغيرة والنهر شريان تجارتها.

وفي أواسط ثمانينات ذلك القرن اشترى هـ. ن. أندرسن الفندق، وهو دانمركي طموح في الثانية والثلاثين من العمر. ثم عمد إلى تقويضه وعهد إلى شركة هندسية ايطالية في ابداله بفندق اكثر ملاءمة لازدهار بانكوك النامي كمرفأ دولي. وجاءت النتيجة معلماً سياحياً ذاعت شهرته في أرجاء الشرق الأقصى.

العنكبوت والبيضات الثلاث –

يباهي النزل الجديد الذي افتتح عام ١٨٨٧ بقوصرة(٢) تتوجها شمس مذهبة مشرقية، وما زالت القوصرة في مكانها اليوم على رغم الاضافات الكثيرة والتجديد. وهو يباهي كذلك بسجاد بلجيكي وورق جدران فرنسي وطاولات من خشب الماهوغاني وأرائك منجدة بمخمل أزرق طاووسي وساقٍ ماهر لُقب "العنكبوت" وطاه فرنسي لُقب "البيضات الثلاث."

ومن أوائل رواد النزل ربان سفينة بولونية اسمه جوزف تيودار كونراد كورزنيوفسكي، جاء ليتسلم قيادة سفينته الاولى وأصبح الاول في قائمة طويلة من مشاهير الكتّاب الذين نعموا بضيافة نزل الشرق.

وجناح جوزف كونراد مجموعة من الغرف الفخمة يدفع النازل فيها ٣٩٥ دولاراً في الليلة الواحدة، وهي تذكار لتلك الزيارة الخاطفة التي مضى عليها زمن بعيد وللاسم الذي انتحله ذلك البحار حين تحوّل إلى الأدب.

عندما زار ملك تايلند شولالونغكورن النزل بعد بضع سنوات، كرست الزيارة الملكية مكانة الفندق كأفضل الامكنة للتسلية وعقد اللقاءات ومكوث مشاهير الزوّار.

عام ١٨٩٢ باع أندرسن النزل إلى لويس ليونوفنز ابن آنا الشهيرة التي حازت مذكراتها الملأى بالخيال عن اقامتها في تايلند شهرة عالمية تحت عنوان "أنا والملك."

ولما كان لينوفنز رجلا عاصفاً فقد أقام حفلات بذخ في النزل وتشاجر مراراً مع مديريه المتعددين. ويُروى أنه حين ارتاب في أحد الكتبة المهملين امتطى صهوة جواد صعوداً على سلم الفندق والسوط في يده ليطرد الرجل من فوره.

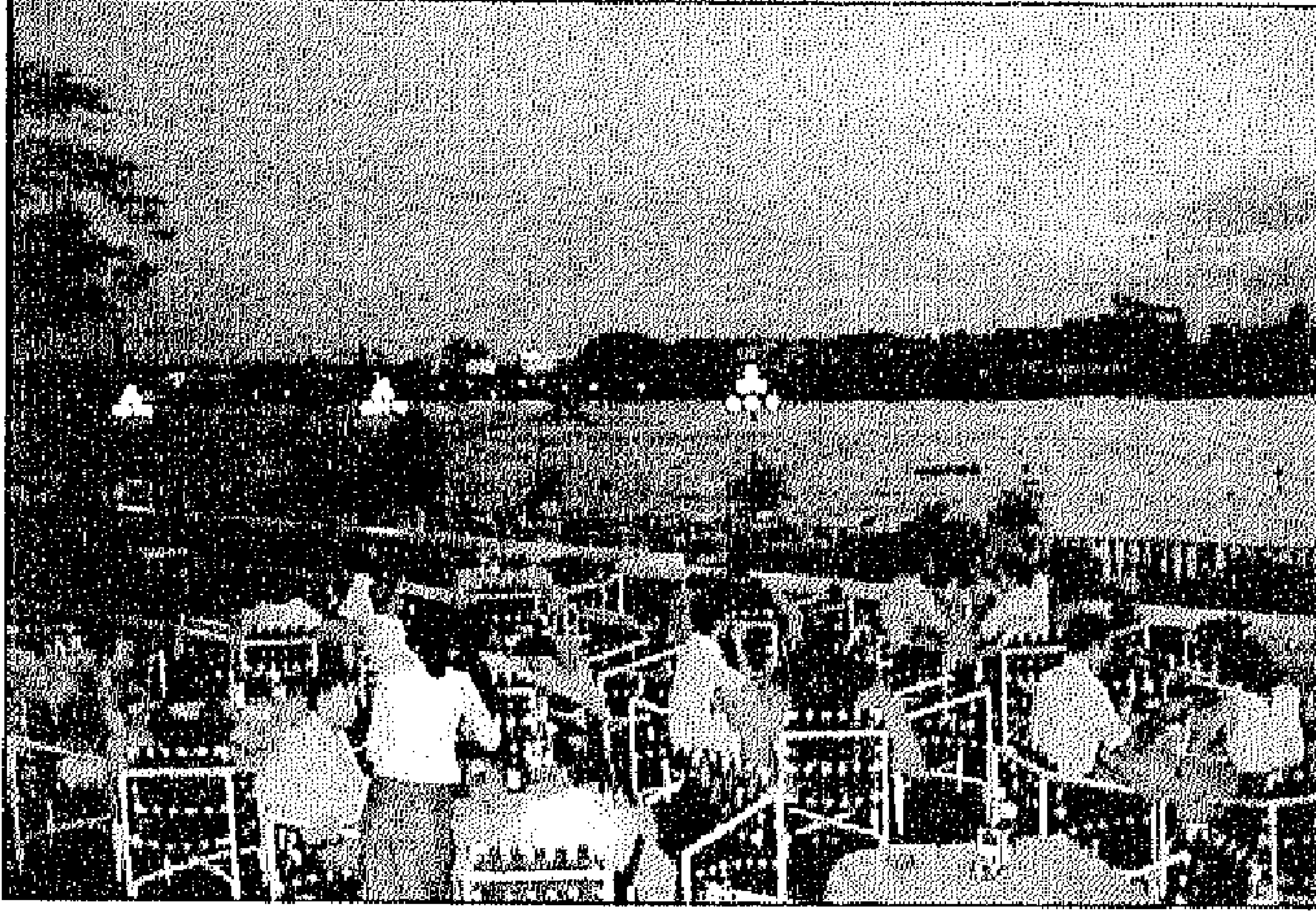
باع ليونوفنز نزل الشرق بعد سبع سنوات، لكن الفندق حافظ على صيته في عهود مالكين ومديرين تعاقبوا عليه.

الصائغ العظيم فابرجيه عرض مبتكراته الرائعة هناك، ورقص الروسي الشهير نيجنسكي في قاعة احتفالاته.

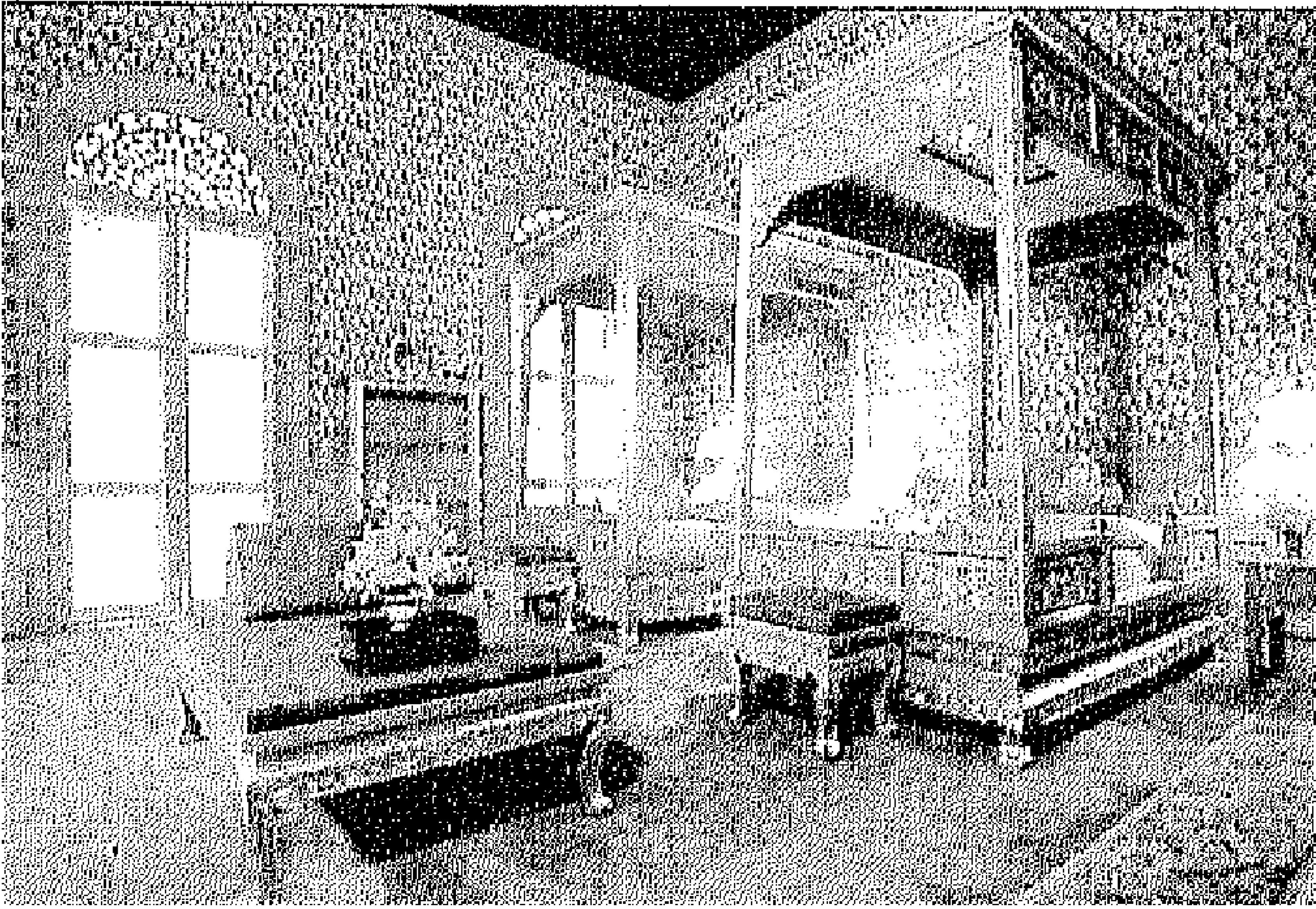
وحين قصد الروائي البريطاني

(٢) القوصرة (pediment) مثلث في أعلى واجهة المبنى.

سومرست موم النزل عام ١٩٢٣ للمكوث فيه اثر رحلة شاقة عبر بورما أصيب خلالها بالملاريا، مرت المحنة وتعافى على سطيحة الفندق الرحبة، "اذ لم يكن لدي ما أفعله سوى النظر إلى النهر والاستمتاع في سعادة بالضعف الذي جعلني ألازم مقعدي." وهو ألف رواية آسرة عن سيام (تايلند حالياً) بعنوان "الاميرة سبتمبر والعندليب". ويكرم موم اليوم، مثل كونراد، بحجرة فخمة باسمه في جناح المؤلفين.



John Everingham



Luca Invernizzi

فوق: تناول الشراب على سطيحة النزل تقليد عريق.
تحت: جناح سومرست موم.

ضريبة الحرب – لا أحد يمكنه أن يعدد على وجه التأكيد المؤلفات الأدبية التي تم ابداعها في نزل الشرق، لكن نويل كوارد وجايمس ميتشنر كانا من الزوار الدائمين. واشتغل جون لوكاريه بتأليف كتابه "التلميذ النجيب" خلال إقامة طويلة في الفندق. والغرف المسماة باسم موم وميتشنر وكونراد وكوارد تؤلف أكثر أقسام النزل إثارة للحنين. وهي تضم أثاثاً أبيض مصنوعاً من الأغصان وزخارف ترقى الى العصر الفيكتوري وممرات جميلة مقنطرة وصوراً عن بانكوك القديمة وخزائن كتب تحتشد فيها مؤلفات أدباء لبثوا في الفندق عبر السنين.

لقد فرضت الحرب العالمية الثانية ضريبتها على النزل الكبير، فاحتله اليابانيون اولا ثم الحلفاء لايواء الجنود وأسرى الحرب. ولكن بعد انتهاء الحرب عزمت زمرة من المستثمرين على انتشاله من حاله المزرية، ونجحت في إعادة افتتاح نزل الشرق منتصف العام ١٩٤٧.

وأضيفت لمسات جديدة، كجرار عملاقة في بعض الحمامات ينتشل الماء منها بمغرفة. وأحد الاحاديث الدائمة تدور حول زائرة حسبت الجرة حوض استحمام ولم يمكن فك أسرها إلا بتهشيم الجرة.

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٨ تم

بناء برج من عشر طبقات خلف المبنى القديم، غير أن النزل كان يأفل تدريجاً. ثم توقف التدهور عام ١٩٦٧ حين اشترته شركة "ايتالتاي" وهي منظمة نشطة يديرها الايطالي جيورجيو بسرلنغيري والتايلندي شايود كارناسوتا. وبوشرت أعمال الترميم للحال. وفي العام ١٩٧٢ اشترى المالكان الجديدان أرضاً لتوسيع النزل من ١٢٠ غرفة إلى ٤٠٦ غرف بعد اضافة جناح النهر المؤلف من ١٦ طبقة و٣٥٠ غرفة. وفي ١٩٧٧ رأست الملكة سيريكيت المهرجان الافتتاحي.

كورت واشتفيتل ذو الشعر الفضي الذي كان المدير العام للنزل طوال السنوات السبع عشرة الماضية، يعتبر أن موقع النزل على ضفة النهر أكبر مزاياه. وهو يقول: "في أي وقت ترنو إلى النهر، ثمة شيء ممتع يعبره ، شيء يذكرك بأنك في تايلند حقاً." كما أن تناول الشراب عند مغيب الشمس على سطيحة مشرفة على النهر تقليد يرقى إلى أيام انشاء النزل.

رعاية وكرم – أمضيت بضع ليال في نزل الشرق كي أتثبت بنفسي مما يجعله متميزاً. انه ليس رخيصاً، وتراوح الأسعار بين مئة دولار للغرفة الواحدة و٦٣٠ دولاراً للجناح الفخم. لكن الأسعار لا تشمل السرير فحسب، فقد وجدت في غرفتي أزهاراً نضرة (٣) ومجموعة منتقاة من الفاكهة المحلية التي تنوّع يومياً. وعلى الطاولة أوراق ومغلفات طبع عليها

(٣) ينفق النزل قرابة ٢٦٠ ألف دولار سنوياً على تنسيق الزهور.

اسمي، واذ أجريت مكالمة هاتفية خاطبني موظف الهاتف بالاسم.

وخرجت إلى السطيحة لاتناول شراب المغيب. ومرت مراكب الرز كقافلة من الفيلة في النور الباهت. الضحكات تتماوج عبر الماء، وفي البعيد مقام تايلندي يناطح السحاب.

تعشيت في النورماندي في أعلى جناح البرج، وهو أحد المطاعم الخمسة في النزل. مطبخ فرنسي في إشراف لوي اوتبيه الذي يباهي بمطعم "الواحة" الذي يملكه في الريفييرا الفرنسية. وهو يأتي مرتين سنوياً لفحص سير العمل في النورماندي وتحديث قائمة الطعام بمآكل جديدة. وهناك آخرون من مشاهير الطهاة، بينهم الفرنسي المعروف بول بوكوس، يؤمون النزل دورياً لعرض أطباقهم الخاصة أسبوعاً أو أسبوعين.

والى تناول الأطايب هناك أمور أخرى شتى أستطيع القيام بها وأنا في كنف نزل الشرق.

في وسعي أن أركب أحد زورقي النزل الفخمين الى أعلى النهر لزيارة الآثار التي توقظ الذكريات في أيودهيا عاصمة تايلند القديمة. كذلك يمكنني أن أسبح في حوض السباحة وأتمرن في مركز رياضي افتتح حديثاً وأرقص في ملهى "ديانا".

وثمة ما ينيّف على ٣٠ حانوتاً تعرض مختارات من المنتجات المحلية تراوح بين حجار الياقوت الزرقاء والحرائر البرّاقة.

وفي النزل ما يزيد على ٩٠٠ موظف، أي أكثر من موظفين لكل غرفة. وتنفق الادارة نحو ٥٠ ألف دولار سنوياً على برامج التدريب التي تضم موظفين متمرسين وجدداً. ولدى هؤلاء تعليمات فورية كإزالة البقع عن السجاد وتنظيف الاثاث البرونزي وطي مناديل الموائد وتنسيق الزهريات ومتابعة الشكاوى والتصرف مع الرواد الذين يصعب إرضاؤهم.

وتعطى دروس داخلية بالانكليزية لعمال التنظيف وخدم الغرف والندل والكتبة وسواهم، مع تركيز خاص على المفردات التي يستعملونها أثناء عملهم.

ان أكثر من ٨٥ في المئة من الموظفين لازموا نزل الشرق خمس سنوات على الأقل، والكثير منهم فترات أطول. انهم موظفو الفنادق الاكثر أجراً في تايلند، وأقلهم يتلقى راتباً شهرياً وعلاوات تناهز ٣٠٠ دولار. أي ما يعادل أجر موظف حكومي ذي رتبة عالية.

ان معاملة كريمة كهذه للموظفين تؤتي النزل ثماراً. وحسبما أخبرتني امريكية كثيرة الأسفار: "إنني لا أحلم بالمكوث في أي مكان آخر في بانكوك، فلدي أصدقاء كثر هاهنا."

وليم وارن ■



كلما سمعت كلمة "إقتصد" تبعها اعلان غايته حضّك على صرف مالك.

ر.غ.

صَــدِيقُ الحيَوانَــاتْ

فقير يوفر المأوى والعناية لمئات الحيوانات المهملة ويصر على أن هناك دائماً متسعاً لضيف جديد

سرّح جستن مكارثي بصره في المزرعة التي استأجرها لتوّه في سفوح تلال كاتسكيلز في نيويورك: قفر من الارض يكسوه الشوك والعشب اليابس والعليق. اسيجتها مخلّعة وارض اسطبلاتها مغطاة بطبقة سميكة من الروث. غير ان عينيه لم تريا شيئا من هذا الواقع المرّ، بل رأى بعقله ملجأ رائعا للحيوانات فيه حظائر مريحة وحقول فسيحة وبرك للمياه العذبة.

قال مكارثي في نفسه ذلك اليوم من العام ١٩٧٥: "اذا كانت هذه مشيئة الله، فإن الحلم سيتحقق ويصبح واقعا."

وكان احضر معه إلى رقعة الارض تلك التي تبلغ مساحتها ٢٧ هكتاراً بضع مئات من الحيوانات: كلاب تخلّى عنها اصحابها وقطط شاردة ومعزى مهملة وافراس قزمة ليس لها اصحاب. ولم تكن صحة مكارثي في ذلك الوقت على ما يرام، وكان يعاني ازمة مالية. وقد ضاقت مزرعته السابقة به وببهائمه فبدا له هذا المكان الجديد، وان يكن متداعيا، وجاراً مترفاً. كان يضمّ، الى جانب عدد وافر من الحظائر، مبنى متينا من الاسمنت ذا طبقتين تبلغ مساحته ١٥٠ متراً وكان في ما مضى خماً للدجاج.

امضى ليلته الاولى في احدى الحظائر في سرير نقّال مع دزينة من الكلاب. وامكنه ان يغفو قليلاً. وصباح اليوم التالي، ومع انه لم يكن شفي تماما من

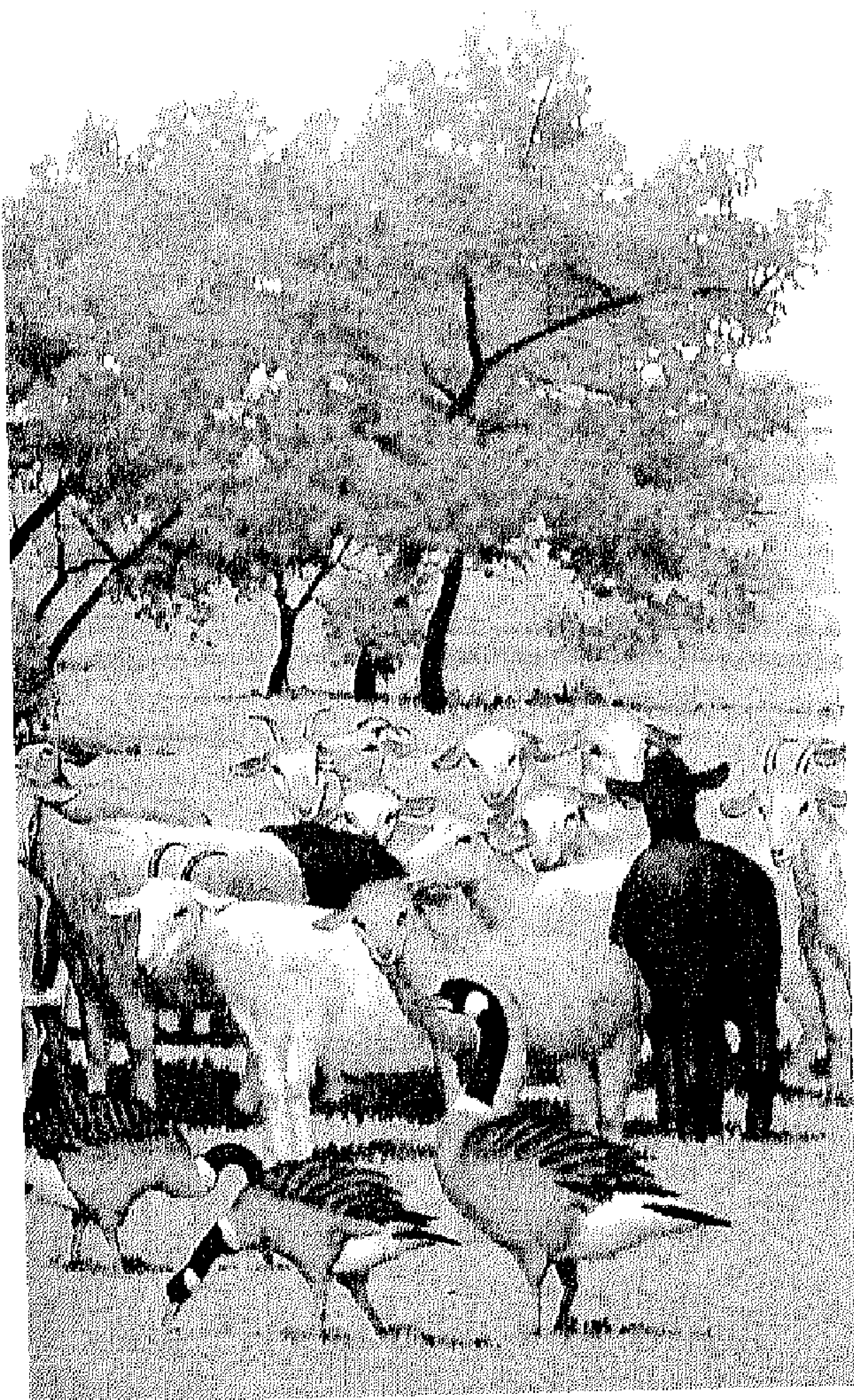


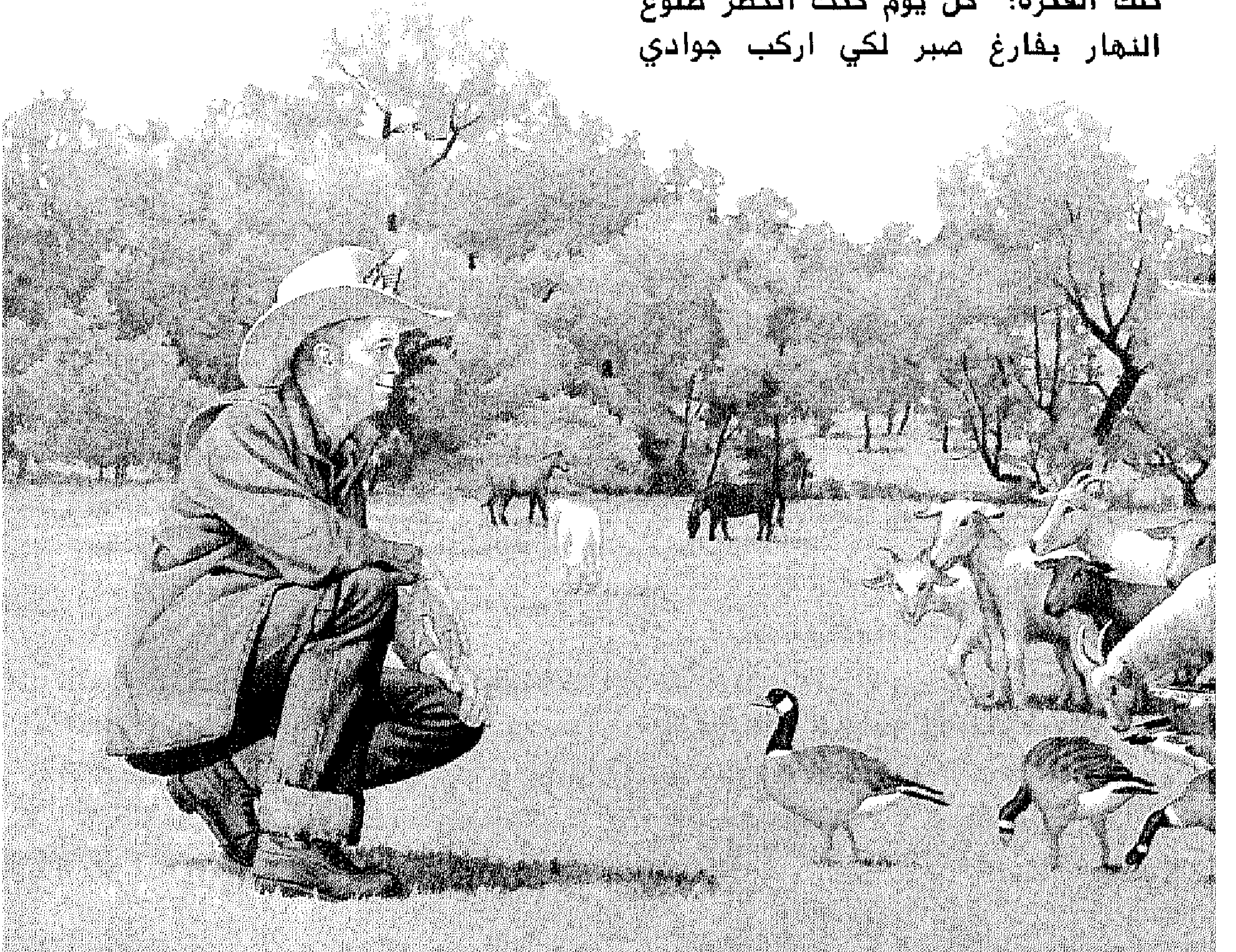
Illustration: Robert Gunn

ذات الرئة ومن التهاب الشعب وما زال تنفسه كالصفير، غسل وجهه بالماء البارد من خرطوم للمياه. ووعد نفسه انه قبل الشتاء سيكون لديه منزله الخاص ومياهه الدافئة. وهو ما فتىء يقطع لنفسه ذلك الوعد منذ تسع سنوات كان فيها هو والحرمان صنوين.

الغجرية - اعتاد مكارثي في صباه ان يمضي فصول الصيف بين الحيوانات في مزرعة تملكها عائلته بالقرب من جبال الك في ولاية ويومنغ. وكان يسحره منظر المعزى وهي تتقدم الخراف لتؤمن لها سلامة العبور في الجداول والانهار. ويتذكر تلك الفترة: "كل يوم كنت انتظر طلوع النهار بفارغ صبر لكي اركب جوادي وانطلق الى البراري لمراقبة الذئاب الصغيرة والظرابين وغيرها من الحيوانات البرّية."

ولوع بالطيران انتزع جستن من حياة المزارع، فأمضى ردحاً من عمره بين السن العشرين والسن الثلاثين رباناً لطائرة تجارية. وبعدما اضطره مرض الديزنطاريا الى التخلي عن الطيران انتقل في اوائل الستينات الى مدينة نيويورك حيث انشأ مؤسسة للعلاقات العامة. وعلى رغم اشتياقه الى الحيوانات فانه لم يجد لها الوقت الكافي بسبب ترمله.

وذات يوم عادت ابنته تينا الى البيت ومعها كلبة تخلّى عنها اصحابها.



فاحتفظا بها واطلقا عليها اسم "الغجرية." ولفرط فرح مكارثي بها قبِلَ كلباً ثانياً من صديق له كان ينوي الانتقال الى مكان آخر. وما لبث ان انضمّ الى مجموعة الكلاب تلك ثالث من نوع دوبرمان وجده مكارثي شارداً في احدى الحدائق العامة، ثم رابع هجين حصل عليه من جمعية الرفق بالحيوان. ودرج مكارثي على الخروج بكلابه اربع مرات في اليوم واخذ يدرّبها مستعيناً بنصائح رجل عجوز نزق الطباع لم تتعدّ معرفته به ان اسمه "السيد بارني" وانه يدير معاهد لترويض الكلاب وتعليمها الطاعة.

وكان كلّما اخطأ كلب انطلق من يد السيد بارني طوق ذو كرات يئزّ ليصفع الارض بقوّة قرب رأس الحيوان، فيجفل ويكفّ عن اخطائه. عندئذ يتناهى اليه صوت سيّده يناجيه برقة: "يا مسكين، هل اخاف الطوق كلبي الصغير؟"

ومنذ ذلك الحين تعلّم مكارثي ان في الامكان ترويض الكلاب وتخليصها من عاداتها السيئة بهذه الطريقة غير المؤذية التي تعتمد عنصر المباغتة تعقبها الملاطفة والتدليل. وهو يقول محذراً: "يجب ألا يعرف الكلب مصدر الطوق اطلاقاً، وأن تجده متلبساً بالخطأ. ومحظور ضربه باليد او بأي شيء آخر ممسكاً باليد."

معاناة طويلة - بعدما اصبح عدد النزلاء اثني عشر كلباً وحمامتين عرجاوين وببغاء مكسورة المنقار، استأجر مكارثي مزرعة خارج المدينة كانت "ماما عنزة" اول الوافدين اليها، وهي معزاة أنغورا رآها مربوطة في احدى محطات الوقود لاجتذاب الزبائن فاشتراها بمئتي دولار.

وسرعان ما انضمّ اليها بيلي التيس الذي وجده اقرب الى الموت منه الى الحياة بسبب قرنه الملتهب والمغروز في اللحم. فما كان من مكارثي إلا أن نشر القرن من كعبه وانتزعه ثم عالج الجرح بمضادات الحيوية.

وبعدما شاع خبر ذلك المأوى بدأت الحيوانات تفد اليه تباعاً. وكان مكارثي يتسلم القطط في صناديق. وحدث مرّة أن وصل في احدى الشاحنات أربعون كلباً دفعة واحدة كانت في أحد الملاجىء. ومع ان مكارثي استخدم رجلاً وزوجته ليعتنيا بالحيوانات، إلا أن المزرعة استأثرت بجزء كبير من وقته ممّا اثّر سلباً في مؤسسة العلاقات العامة التي يديرها وسبب له مشاكل مالية.

وفي العام ١٩٧٥ وكانت ابنته بدأت تعيل نفسها استأجر مزرعة أكبر مساحة. إلا أنه ما لبث ان اصيب بذات الرئة. ورفض دخول المستشفى لئلا يبعده ذلك عن حيواناته التي تعين عليه وحده ان يعتني بها. وتحوّل من رجل ضخم متين البنية طوله ١٨٣ سنتيمتراً الى رجل ناحل هزيل.

وعلى رغم معاناته الطويلة لم يفقد مكارثي ايمانه بالله وبأنه لن يتخلى عنه وعن حيواناته. وجاء يوم اقترح عليه أحد أصدقائه أن يحوّل المأوى جمعية خيرية لا تتوخى الربح ويجمع لها التبرعات. وهكذا ظهرت مؤسسة "بيت الحيوان" في الييفيل في نيويورك. وانتقل مكارثي ذلك الصيف الى كاتسكيلز كرئيس

لمجلس الادارة. وغطّت تبرعات الاصدقاء نفقات الايجار والعلف لبضعة أشهر ورفض هو أن يتقاضى أجراً.

وبفضل الحليب والبيض النيء اللذين أنتجتهما المزرعة استعاد مكارثي صحته وراح يعمل يومياً على تنظيف المباني التي تؤوي الحيوانات مستعيناً بالرفش والجاروف. ولم يكتف بذلك بل راح ايضاً يؤدي تمارين تنفّس لتقوية عضلاته. فينبطح على الارض ويحاول الارتفاع بالاستناد الى يديه واصابع قدميه، وهذا التمرين يقوي عضلات الذراعين والكتفين. ولم يمض وقت طويل قبل أن يصبح في مقدوره أن يعمل من قبل بزوغ الفجر الى منتصف الليل.

خيوط العنكوب - ذات مرّة شاهد مارفن فيلد، وهو هاو للحيوانات يدير مخبزاً كبيرا في بروكلين بنيويورك، برنامجاً تلفزيونياً خاصاً عن المزرعة. فركب سيارته وتوجّه اليها. وقال في ما بعد: "دهشت عندما رأيت ذلك الرجل الوسيم الانيق يعيش في زاوية من الحظيرة اقتطعها لنفسه بواسطة الحبال. على أن المزرعة نفسها كانت مفاجأة. لم يكن فيها اقفاص، وكل حيوان هناك يعيش حياة لائقة."

بعد ذلك درج فيلد على ارسال شاحنة خبز ثلاث مرات في الاسبوع الى مكارثي وحيواناته. وما لبث أن قدّم اليه سلفة كدفعة أولى من ثمن المزرعة. غير أن المساعدات المالية التي كانت تصل الى مكارثي "بالقطارة" لم تكفِ لتغطية القسط الشهري المتوجب عليه لسداد الرهن والبالغ ألف دولار، مما جعله يتخلّف أشهراً عن دفع المستحق. ومع ذلك امتنع مارتن كون، وكان الابرز بين اصحاب الرهن، عن وضع يده على العقار وحرمان المالك حق استرجاعه. وكان يقول: "جستن انسان فائق الطيبة."

وانهارت الآمال التي علّقها مكارثي على المساعدات العامة أمام اعلان مكتب المدعي العام في الولاية أن المزرعة لا تفي بالشروط التي يجب أن تتوافر في مآوي الحيوانات، وهي سياج يرتفع مترين ونصف متر وزرائب مدفّأة واسطبلات خالية من خيوط العنكبوت وساحات للتمرين أرضها من اسمنت وعدد اقل من الحيوانات.

تابع مكارثي عمله بطريقته الخاصة، مصرّاً مثلاً على ابقاء خيوط العنكبوت لأنها توقع البعوض في شراكها وتحمي الاحصنة من مرض التهاب الدماغ الذي يصيب الخيول.

استمرت حيوانات المجموعة في الازدياد ولكن من دون توالد، إذ كانت إما تخصى واما تعزل بحسب جنسها. والواقع ان الحيوانات كانت هي أحياناً تعثر على مكارثي، كما حصل لوزّتين شاردتين ولقنفذ ولعائلة كاملة من الثعالب. وفي حالات أخرى كانت الحيوانات ترسل اليه عوض ارسالها الى المسلخ كما حصل لفرس قزمة حدباء اسمها كازيمودو وللحصان العليل هوبو الذي لم يصلح للعمل. وذات يوم لا يُنسى وصلت شاحنة محمّلة بأربعين معزاة غير مرغوب فيها.

وذهل مارفن فيلد ذات مرّة عندما رأى مكارثي يدرب معزاه، وقال في وضف ما

شاهد: "جعلها تقف في الصف وكأنها مجموعة من البحارة. ثم أصدر أمراً بتغيير الاتجاه، فامتثلت المعزى. بعد ذلك راح يناديها بأسمائها. ولدى سماع اسمها كانت كل عنزة تتوجه الى مربطها الخاص."

ليلى الصغيرة - لم يكن الحرمان يعني شيئاً بالنسبة الى مكارثي، فهو أمضى سنوات لم يتناول خلالها وجبة ساخنة واحدة أو يغادر المزرعة. وعلى رغم أنه اكتسب مناعة وقوة جسدية فان رئتيه ظلتا تخذلانه كل شتاء، وكان عليه أن يخلد الى الراحة حتى يتوقف السعال. وحصل في احدى السنوات أن قضم الصقيع أظفار يديه فيما هو يحاول أن يحرّر اقفال الينابيع التي تزوّد المزرعة المياه.

في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ أنقذت احدى محطات التلفزيون في نيويورك، مكارثي من الديون التي كان غارقاً فيها، اذ أخذت صوراً ظهرت فيها الحيوانات سمينة راضية داخل حظائر نظيفة. فانهالت الرسائل على ألباني عاصمة الولاية وصدر حكم بالاجماع سوّيت فيه شكوى المدعي العام. ووافق مكارثي بالنتيجة على العناية بالحيوانات كما اعتاد أن يفعل.

وأرسل متعهّد من نيو جرزي فريقاً لحفر بئر تؤمن المياه على نحو أفضل. كما تبرّع آخر بإرسال مصابيح تدفئة للحظائر. ومع تدفق الحوالات من المشاهدين استطاع مكارثي تسديد فواتيره واستئجار عاملين. واشترى عربة مقطورة في شكل بيت متحرّك سرعان ما تحوّلت مستشفى للقطط والكلاب المريضة. وعندما اقترح عليه أحدهم أن يشتري قطيرة أخرى أجابه: "قطعاً لا. فكل قرش يجب أن يذهب الى صغاري."

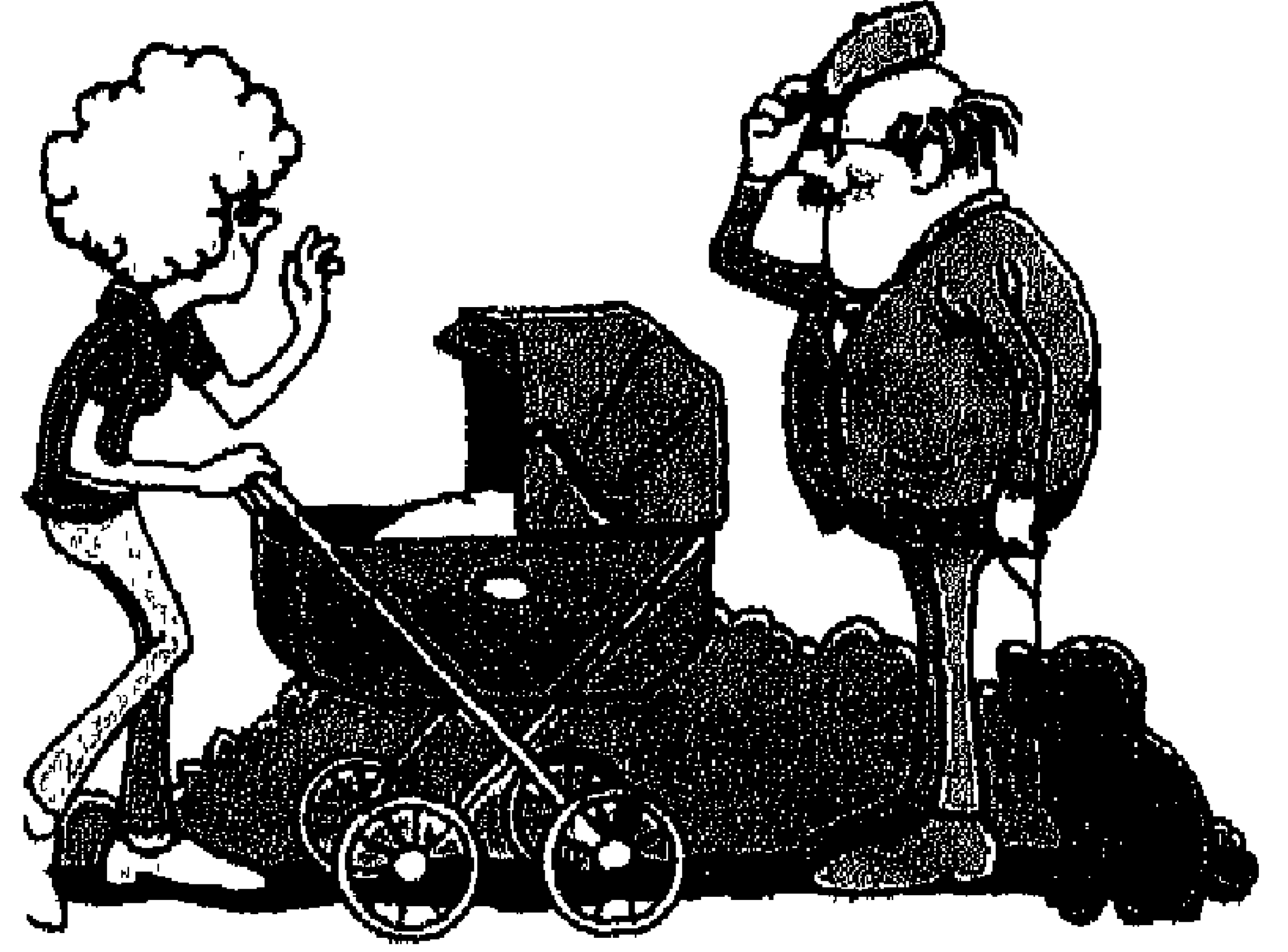
وليلى احدى هؤلاء الصغار، وهي كلبة صغيرة أتته مصابة بالجرب وقائمتاها الخلفيتان مشلولتان. وهو شفاها من الجرب خلال اسبوعين بتغطيسها باستمرار في محلول خاص. ثم صنع لها عربة ركز فيها مؤخر جسمها وعلمها أن تجرّها بقائمتيها الاماميتين، ودأب على تمرين قائمتيها الخلفيتين الى أن أصبح في مقدورها أن تحركهما بمفردها. وعندما رآها تعدو وحدها للمرة الاولى من دون العربة اقشعرّ بدنه. وقال: "فرحت من أعماق كياني، وهذا الانجاز أشعرني بجدارة عملي."

وباستثناء الحمائم البائتة والحيوانات البريّة الزائرة، يعيش في مزرعة مكارثي اليوم أكثر من ألف حيوان وهناك دائماً متسع لآخر. ويحلم مكارثي باقامة مزارع مماثلة في مناطق أخرى. وهو يقول: "اذا كانت تلك هي مشيئة الله، فإن الحلم سيتحقق."

بيتر مايكلمور■



عندما تتحطّم التقاليد تولد عوالم جديدة. — تولي كوفربرغ



دائرة المعارف

كلمات الدائرة لهذا العدد صفات ترتبط غالباً بموصوفات معينة. وقد وضع أمام كل صفة أربعة معان، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **كلمة عوراء**: ناقصة - قبيحة - أعجمية - وحيدة.
٢. **أفعوانٍ أرقش**: منقط بسواد وبياض - بنّي - غير سام - قصير.
٣. **جواد مطهَّم**: مسرج - سريع - بارع الجمال - مزيَّن.
٤. **جرح مقصَّع**: متقرح - مندمل - طفيف - ممتلىء دماً.
٥. **رجل هيَّابة**: وقور - جبان - شجاع - معتدّ بنفسه.
٦. **نوم غِرار**: قليل - كثير الاحلام - متقلب - عميق.
٧. **قميص فضفاض**: طويل - بلا كُمّين - حرير - واسع.
٨. **عجين فطير**: مخبوز - مشبع بالماء - لم يختمر - يابس.
٩. **أرض محوّاة**: مشجرة - متشققة - ذات حيّات - كثيرة الاشواك.
١٠. **ليلة ساكرة**: رطبة - مقمرة - دامسة - لا ريح فيها.
١١. **جيش لَجِب**: ذو جلبة - مرتزق - مشتت - هاجم.
١٢. **امرأة مذكار**: تلد الذكور - متبرجة - متأففة - قوية الذاكرة.
١٣. **كلام منقّح**: معرّب - مصحح ومهذب - مخطوط - وقح.
١٤. **كأس دهاق**: ضخمة - فارغة - راوية - طافحة.
١٥. **رسم طامس**: مبهم - منمق - واضح - دارس مُمَّحٍ.
١٦. **عدوّ أزرق**: حسود - بعيد - شديد العداوة - نسيب.
١٧. **عيشة ضَنك**: ضيقة - سعيدة - مترفة - لا معنى فيها.
١٨. **دم عبيط**: نازف - خالص - أسود ساخن.
١٩. **خطيب ذليق اللسان**: ثرثار - مملّ - كثير الهفوات - بليغ.
٢٠. **بيضة مَذِرة**: طازجة - نيئة - فاسدة - خالطت بياضها سمرة.
٢١. **رجل قصير الباع**: أعزب - بخيل - ساذج - قزم.
٢٢. **فتى ثَبْت الجنان**: طائش - جريء - بليد - وسيم.
٢٣. **مال صامت**: ذهب أو فضة - مخبوء - موروث - حرام.
٢٤. **ماء وشَل**: غزير - صافٍ رقراق - موحل - قليل.
٢٥. **عين ثَرَّة**: كحلاء - ضاحكة - ملأى من الدمع - حوراء.



الأجوبة الصحيحة

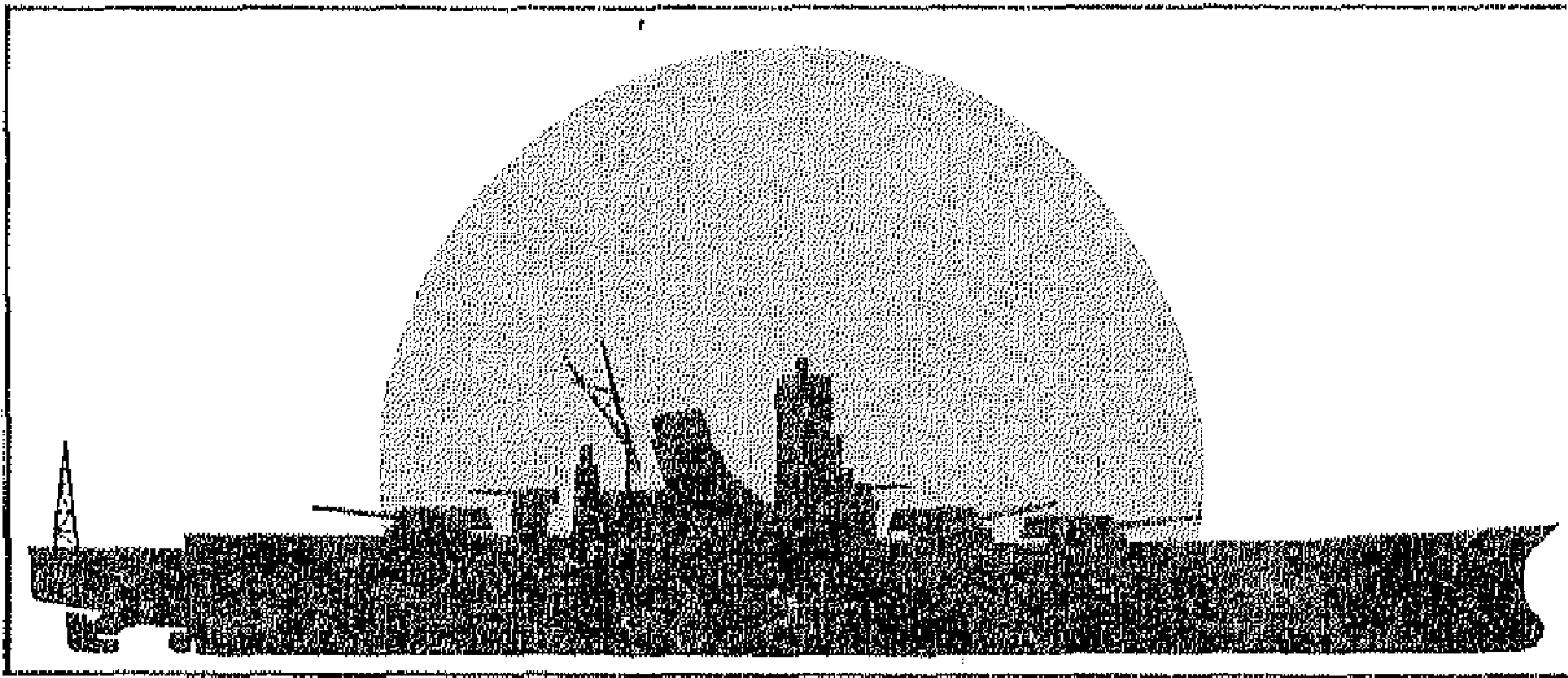
١. كلمة عوراء: قبيحة كأنها تعور العين.
٢. أفعوان أرقش: منقط بسواد وبياض. الرقّاش: الحية.
٣. جواد مطهَّم: تام الحسن بارع الجمال.
٤. جرح مقصَّع: ممتلىء دماً. القَصْعة: الصحفة، والقصّاع: من يصنع القِصاع.
٥. رجل هيّابة وهيِّبان: جبان.
٦. نوم غِرار: قليل. والغِرار كساد السوق. يقال: أتانا على غرار، أي على عجلة.
٧. قميص فضفاض: واسع. سحابة فضفاضة: كثيرة الماء.
٨. عجين فطير: لم يختمر. يقال: هذا رأي فطير، أي بديهي من غير روية.
٩. أرض محوّاة: ذات حيّات. الحاوي: الذي يرقي الحية. الحوّاء: جامع الحيات.
١٠. ليلة ساكرة: ساكنة لا ريح فيها. سكَرت الريح: سكنت.
١١. جيش لَجِب: ذو جلبة وكثرة.
١٢. امرأة مذكار: تلِد الذكور، ومئناث: تلد الاناث، ومعقاب: تلد مرة ذكراً ومرة أنثى.
١٣. كلام منقّح: مصحح ومهذب. التنقيح: اختصار اللفظ مع وضوح المعنى.
١٤. كأس دِهاق: طافحة. ماء دهاق: كثير.
١٥. رسم طامس: دارس مُمَّح. الطميس والمطموس: الذاهب البصر.
١٦. عدوّ أزرق: شديد العداوة، وذلك لأن زرقة العيون غالبة في الروم والديلم، وكانت بينهم وبين العرب عداوة شديدة فسمّوا كل عدو بذلك.
١٧. مكان ضَنْك وعيشة ضنك: أي ضيق وضيقة.
١٨. دم عبيط: خالص طري. الحذف الاعتباطي عند النحاة: ما كان لغير علة.
١٩. خطيب ذليق اللسان: بليغ فصيح.
٢٠. بيضة مَذِرة: فاسدة. امرأة مذرة: قذرة.
٢١. رجل قصير الباع: بخيل عاجز. ومن صفات البخيل: جامد الكفين، لا يبضّ حجَره ولا تندى صَفاته ولا تبلّ احدى يديه الاخرى.
٢٢. فتى ثَبْت الجَنان: جريء. والجَنان القلب.
٢٣. مال صامت: يسمى هكذا اذا كان ذهباً أو فضة، ويقال: مال ناطق، اذا كان إبلا أو غنماً.
٢٤. ماء وَشَل: قليل. يقال: هو واشِل الحظ، أي قليله.
٢٥. عين ثرّة وشكرى: ملأى من الدمع.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٦ - ٢٠: جيد جداً
١١ - ١٥: مقبول

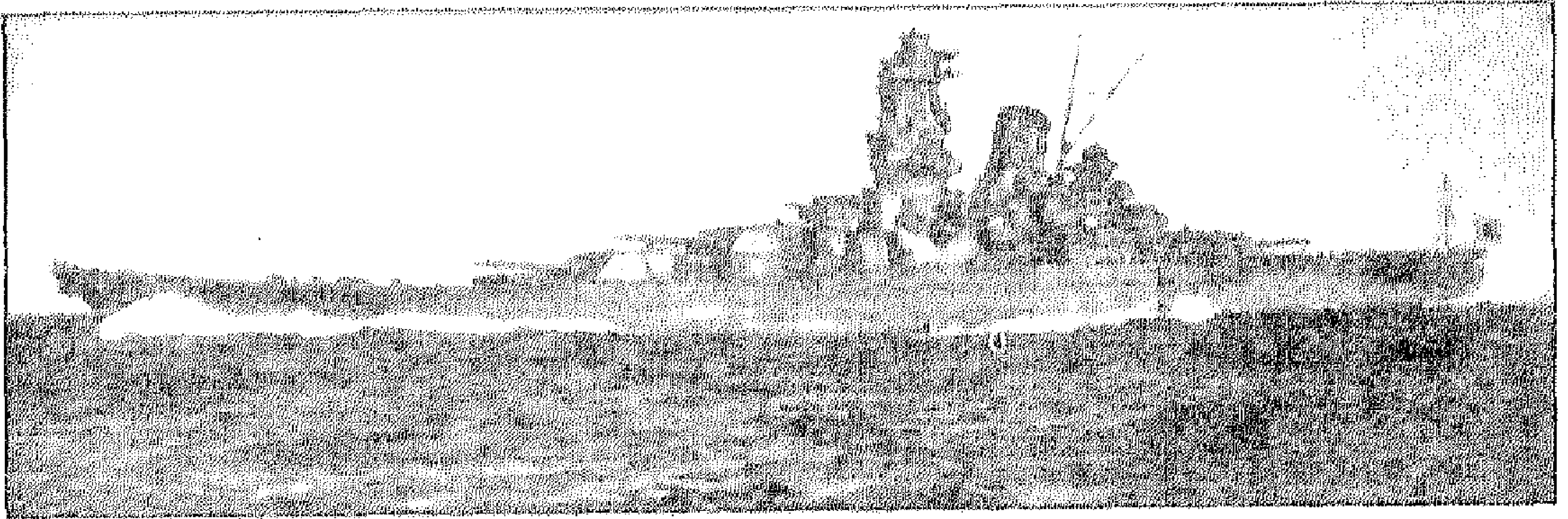
كتاب الشهر

النهاية المجيدة



ملخّص من كتاب
بقلم رصّل سبور

حان وقت اطلاق البادرة الأخيرة العظمى.
في ابريل (نيسان) ١٩٤٥،
بينما القوات الامريكية تجتاح جزيرة أوكيناوا
القريبة، أخرجت اليابان البوارج الحربية
العشر الباقية لديها لمناوأة
اضخم اسطول بحري عرفه العالم.
ولا مندوحة من الاقرار بأن البارجة "ياماتو"
التي كانت تشكل رأس الحربة في هذه القوة البحرية
اليابانية، كانت في الواقع
احدى أضخم السفن الحربية
وأقواها في التاريخ.
كانت حمولتها تزيد على ٧٠ ألف طن


Wide World Photos

وسلاحها الرئيسي يتألف من تسعة مدافع ضخمة
من عيار ١٨،١ بوصة (انش)
وهي مدرعة بأثقل الدروع التي لفت سفينة
حربية أبداً. وهكذا بدا أنها لا تقهر.
ولكن من سخرية القدر أن اليابانيين انفسهم

جعلوا تلك البارجة الخارقة غير ذات جدوى في القتال.
ذلك بأن الهجوم الذي شنوه على مرفأ بيرل هاربر
من متون حاملات الطائرات قضى الى الأبد
على الدور الحاسم الذي كانت تلعبه
المدرعات البحرية الضخمة في الحروب.
وقد أدرك معظم الذين شاركوا في خروج هذه السفينة
الجبارة الى القتال أنها انما تقدم ضحية
لانقاذ ماء وجه الاسطول الامبراطوري،
اذ ينبغي الا يترك الجيش يقاتل منفرداً. وعلى
الاسطول ان يؤدي دوراً مهما يكن عديم الجدوى.
فلتواجه البارجة ياماتو الموت بكرامة،
فهذا أفضل من الاستسلام المزري

النهاية المجيدة

حصل ماسانوبو كوباياشي على اجازة لقضاء ليلته الاخيرة على الشاطىء مع والديه. وكوباياشي شاب في التاسعة عشرة من عمره كان أصغر المدفعيين على متن البارجة "ياماتو". وركع الثلاثة حول طاولة في احدى غرف الفندق وراح الوالدان يبتسمان بخجل لابنهما البحار. وعلى غرار جميع المدنيين في تلك الحقبة من الحرب، وكان ذلك في أواخر مارس (آذار) ١٩٤٥، بدا أنهما يعانيان نقصاً في التغذية. وكانا يرتديان ثياباً رثة. وكان القطار الذي جاءا فيه من مزرعتهما يتوقف ثم يتابع السير كلما دوّت صفارات الانذار معلنة اقتراب قاذفات القنابل الامريكية او كلما فرغ العمال من ازالة الركام عن خطوطه.

Condensed from «A Glorious Way to Die,» © 1981 by Russel Spurr,
Published by Bantam Books, Inc., New York

حتى ذلك الحين كانت قنابل قليلة سقطت هناك في كوري، الا ان الناس كانوا يستعدون للغارات التي مسحت من الوجود مدناً يابانية اخرى كبيرة. في ذلك الوقت كانت المدارس تفتح يومين في الاسبوع فقط، وانهمك البحارة وربات المنازل وطلاب المدارس في الحفر في سفح الجبل شمال المرفأ لانشاء ملاجىء آمنة تركز فيها مشاغل التصليح وتوضع المخارط وسواها من الآلات التي يسهل نقلها.

وكان والد ماسانوبو يشعر بالانزعاج الا أنه على النمط التقليدي أخفى مشاعره حتى نهاية اللقاء. وأخيراً قال: "بشأن هذه الحرب... يبدو ان الامريكيين لا يزالون يرفضون الاقرار بالهزيمة. فمقاتلاتهم تهاجم الآن وطننا. وثمة اشاعات أن أوكيناوا ستتعرض قريباً للهجوم."

في هذه الاثناء كان ماسانوبو يلعق اصابعه بلذة. وقال لأمه: "هذه حلوى لذيذة." وانحنى كل منهما للآخر مبتسماً. ثم التفت الى والده مطمئناً: "الناس يروجون الاشاعات دائماً." لم يسعه ان يخبر والديه بما يدور على متن السفينة من أخبار عن ان الامريكيين احتلوا فعلا بعض الجزر قبالة أوكيناوا.

ورد الأب: "طبعاً، لا بد من أن ينحسر المدّ. فطيّارونا الكاميكاز الانتحاريون يغرقون سفن العدو ويبعثون الرعب في قلوب جنوده. سنواصل القتال وان هلك منا مئة مليون."

كان الاب يردد ببغائياً الهراء الذي دأبت وسائل الدعاية على بثه في البلاد. لكن ماسانوبو لم يجد مبرراً لمخالفة رأي أبيه. فالموقف الحربي بلغ من السوء درجة حدت القيادة العليا اليابانية، والأمة بأسرها، على التحول الى الأوهام. كان الناس يعلقون رجاءهم على معجزة كالزوابع الخارقة (الكاميكاز) التي انقذت اليابان في القرن الثالث عشر من الغزو المغولي. وبدا قبل فترة وجيزة أن الغارات الانتحارية التي شنها طيارون فدائيون في الفيليبين جاءتهم بتلك المعجزة. فأساليبهم الانتحارية التي تعمدوا فيها اقتحام حاملات الطائرات الامريكية بطائراتهم من طراز "زيرو" وسواها أوحت أنها ستحول مجرى الأحداث. والكلمة الشائعة في اليابان في تلك الايام كانت "توكو" أو "الخصوصي"، وهو تعبير ياباني يعني الانتحار.

دوّت الصفارات في الشارع خارج الفندق. فالدوريات على الشاطىء كانت تستدعي الجنود. وقال ماسانوبو متلعثماً بكلمات الوداع: "عليَّ ان أذهب." قد لا يرى أبويه بعد ذلك، غير ان التقاليد العائلية اليابانية الصارمة كانت تحظر أي اظهار للمشاعر العاطفية. وكل ما تيسّر للشاب ان يقوله وهو يمشي القهقرى نحو الباب: "أنا فخور بأن اخدم على متن البارجة ياماتو."

الخطر ينطلق

أبحرت البارجة ياماتو متجهة الى البحر الداخلي وكأنها جبل من الفولاذ أغبر اللون يخطر بخيلاء. كان متنها الأعلى المصنوع من خشب الساج (التيك) الصلب ينبسط متموجاً بطول ٢٦٥ متراً،

فينحدر من مقدم السفينة ويرتفع في شكل قنّة وراء البرج - ب، وهو ثاني موقعي المدفعية الاماميين وكل منهما مجهز بثلاثة مدافع من عيار ١٨،١ بوصة، ثم ينحدر نحو المؤخر. أما الهيكل المدرع للبارجة فكان مقسماً خمس طبقات تضم ١١٤٧ حجرة لا يتسرب اليها الماء وهي معقدة التركيب بحيث اقتضت الضباط الثمانية لمتن السفينة نحو ساعة لاكمال دورتهم التفتيشية.

تلك لم تكن أكبر البارجات الحربية في العالم فحسب، بل كانت جميلة أيضاً. منصة القيادة الانسيابية الشكل، وطولها ٤٣ متراً، أنيقة وخالية من الشوائب. مدخنتها الضخمة الوحيدة مائلة الى الوراء بزاوية ٢٥ درجة. أجزاؤها العليا تعج بالمدافع، من ابراجها الثلاثية المدافع (اثنان في المقدم وواحد في المؤخر) فضلا عن المدافع الثانوية من عيار ٦،١ بوصات، الى حشد من ستة أبراج مجهزة بمدافع ثنائية الاداء من عيار ٥ بوصات و٤٨ دشمة متقاربة كل منها مجهزة بثلاثة رشيشات مضادة للطائرات.

صاح القائد: "الى وسط السفينة!"

كان قائد ياماتو الاميرال كوساكو آريغا يراقب البارجة بنفسه من مركز القيادة المكشوف.

ورد الضابط هناك: "مستعدون يا سيدي." وهمهم آريغا. انه يهمهم دائماً حين يستغرق في التفكير. كانت له خبرة ضئيلة في أمور البارجة الجبارة منذ تسلّم قيادتها قبل أربعة أشهر. وكان بعض المسؤولين في وزارة البحرية حينذاك اعترضوا على تعيين ربان مدمرة عمره ٤٨ عاماً لقيادة بارجة حربية ضخمة كتلك. وفي الواقع كانت تنقص هذا الرجل القصير المكتنز والوافر النشاط تلك الكياسة العزيزة على قلوب رجال وزارة البحرية. فهو كان أقرب الى فلاح قوي منه الى محارب من الساموراي النبلاء، هكذا قال مرؤوسوه. لكن آريغا كان يتمتع بكل شجاعة المحارب وبكثير من خبرة البحّار.

أسطول على ورق

شق الملازم البحري ساكاي كاتونو طريقه في الممرات المزدحمة لبلوغ الموقع المحدد له: مركز مراقبة الاضرار في القسم الثامن. بدا وكأن طريقه الى هناك لن تنتهي، لكنه اخيراً ولج المسرب المؤدي الى المركز ليجد رجاله مجتمعين وقد أرتدوا بذلات الاسبستوس الواقية من الحريق ووضعوا أجهزة التنفس وحملوا الخراطيم والاطفائيات واعدّوا الدلاء المملوءة بالرمل لمكافحة أقدم عدو للبحّار: الحريق في عرض البحر.

وما ان أصدر الامر المقتضب حتى انتشروا يتفحصون الأبواب والفتحات، من قمرة القيادة الى آخر غرف المحركات في ميمنة السفينة ونزولا الى جوفها. ولم يكن كاتونو يتصور أن في غمار المعارك مكاناً أسوأ من هذا يدفن فيه المرء. وكان يثير قلقه ادراكه أن مراقبة الأضرار في السفن لم تؤخذ بعين الجد في البحرية اليابانية كمهمة حربية. فالتشديد كان دائماً على الهجوم وليس على الدفاع، ولم يقدّر اليابانيون قط عمليات اصلاح السفن وانقاذ البحارة.

احتشد كبار الضباط داخل قاعة الاجتماعات يتمعنون في الخرائط المنمّقة المنتشرة على الطاولة التي تتوسط القاعة. وعند أحد طرفي الطاولة وقف قائد الاسطول الثاني، نائب الاميرال سينتشي ايتو، وهو رجل طويل القامة محني المنكبين ومحارب قديم في الرابعة والخمسين من عمره.

كان ايتو يعارض دخول اليابان الحرب ضد الولايات المتحدة. فالاذلال الذي لحق بالولايات المتحدة في بيرل هاربر هلّلت له دول المحور في صور كاريكاتورية ساخرة تمثل العم سام يفتح قمقماً فينطلق منه مَارد من المحاربين الساموراي. لكن الواقع كان ان اليابان فتحت قمقماً لم يجدر بها ان تفضّه، واقتحمت مسرح الأحداث في العالم كقوة عظمى حاقدة ومعتدة بنفسها. وها هي القوات الامريكية تحتل الجزر الواقعة الى الجنوب الغربي من اوكيناوا وتوصل الحرب الى العتبة الامبراطورية، مع أن هذه الحقيقة ظلّت خافية حتى ذلك الوقت عن الشعب الياباني.

بقيت أمور كثيرة مخفيّة عن الشعب الياباني. فبعد الهزيمة الساحقة التي نزلت بالاسطول الياباني قبل خمسة أشهر في الفيليبين أصبح هذا الاسطول قوة منهوكة. والجزء الاكبر من الجهد الحربي للبارجة ياماتو أهدر في المراسي الجنوبية وتخللته رحلات تموينية الى الحاميات المبعثرة على الجزر. وحتى شهر اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٤٤ لم تكن ياماتو أطلقت سوى قذيفة مدفعية واحدة في سورة من الغضب. فقد تصدت مع شقيقتها البارجة الجبارة "موساشي" وقوة بحرية يابانية ضخمة، لحاملة طائرات بقيادة الاميرال الامريكي وليم هالسي الملقب "الثور". وانقلبت موساشي بعدما اصابها عشرون صاروخاً. وأصيبت ياماتو بقنبلتين. ولكن قبل أن يتمكن الطيارون الامريكيون من التحوّل بكامل قوتهم الى ياماتو انطلق هالسي المتسرّع الى مهاجمة القوة اليابانية الثانوية، وهكذا عادت ياماتو الى اليابان كسفينة قيادة لأسطول لم يبقَ له وجود سوى على الورق.

الاختباء

قال ايتو لسامعيه ان قادة الاسطول المشترك يفكرون في الخروج الى مواجهة مضادة للحصار. وقضت الخطة بأن تنطلق البارجة ياماتو مع أي عدد من سفن الحماية التي يمكن جمعها، فتطوف حول جزيرة كيوشو الجنوبية ثم تسرع بالالتجاء الى القاعدة البحرية في ساسيبو. الامريكيون سيهاجمون هذه القوة بلا ريب، ولذا أعدت أفواج من الطائرات الانتحارية لضرب حاملات الطائرات الامريكية وهي تطارد ياماتو.

تجهّمت وجوه الضباط اليابانيين. فهم لم يتصوروا أن البارجة، وهي مفخرة الاسطول، يمكن ان تستخدم شركاً فحسب لاستدراج العدو. وأعلن إيتو: "اني أشعر ان الواجب يدعوني الى الاقرار بكل اخلاص أن شكوكاً تخامرني حول هذه الخطة. ولكن مهما يكن، وما دامت هذه هي الأوامر، فعلينا أن نبذل قصارى جهدنا."

تساءل النقيب تامايشي هارا: "إذاً هذا ما آل إليه أمرنا." فالقوة التي تجمعت حول ياماتو لم تزد على عشر سفن بدت على بعضها آثار ثلاث سنوات من القتال. وكانت سفينة هارا، وهي الطرّاد الخفيف "ياهاغي"، عضواً جديداً في هذه القوة لم يُختبر الا في معركة واحدة. وكانت حمولته ٨٥٠٠ طن وسرعته القصوى ٣٥ عقدة (نحو ٦٥ كيلومتراً في الساعة)، لكن مدى قدرته على احتمال وطأة القتال بقي علامة استفهام معلقة.

أمام الطراد ياهاغي رست المدمرة "هاتسوشيما"، وهي سفينة عمرها ٢٢ سنة والوحيدة الباقية من فئتها. ورست وراءها ثلاث مدمرات دخلت الخدمة بعدها بسنة، وهي "ايسوكاز" و"هاماكاز" و"يوكيكاز" التي سلمت من معارك كثيرة حتى غدا بحارتها يعتقدون أنها لا تغرق. وكان ثمة ثلاث مدمرات أخرى تكمل المجموعة، وهي "أساشيمو" التي تعاني أعطالا في المحركات بعد اصابات كادت أن تكون قاضية تلقتها في خليج لايتي، و"سوزونتسوكي" وهي مدمرة قديمة في الخدمة اشتهرت بخروجها سالمة من معارك عدة، وشقيقتها المدمرة "فويوتسوكي".

وكان الاميرال كايزو كومورا، صديق النقيب هارا والقائد العام للقوة المرافقة، يقف بجانبه على منصة القيادة المكشوفة للطراد ياهاغي. ويتذكر أحد الضباط أن "المظلة كادت لا تقي رأسيهما من المطر"، لكن قيادة الطراد من الغرفة المدرعة للدفة لم تكن مسألة واردة.

القادة اليابانيون كانوا يستخفّون بالوقاية منذ رفض الأميرال الاسطوري طوغو الاحتماء في معركة تسوشيما قبل ٤٠ سنة.

واجال كومورا نظره بازدراء في المرفأ الصغير المطوق بالتلال المكسوة بأشجار السرو ثم زمجر: "هذا اختباء." وهز هارا رأسه ايجاباً. فتلك القوة التي جمعت على عجل كانت مختبئة فعلا.

كان ماسانوبو كوباياشي يتوق الى الاستحمام بعدما فرغ من تنظيف ياماتو. فصانعو البارجة خصصوا للبحارة أحواض استحمام بالماء الساخن يبلغ طول كل منها حوالى تسعة امتار. وكان البحارة يغسلون أجسادهم قبل أن يغوصوا في الماء ويسترخوا. وكان ذلك يشبه الحمّامات القروية التي اعتادوها في موطنهم. وكان بعض البحارة الشبان يربطون منشفة حول رؤوسهم ويغرزون فيها قطعة من الصابون ثم يغوصون في الحوض بحيث تبقى الصابونة وحدها فوق سطح الماء. كانوا يسمّون هذه العملية "الغوّاصات".

مشى الملازم ميتسو واتانابي الى موقع الرادار على منصة القيادة الاولى. وتحت موقعه كان البحارة يسعون كالنمل الزاحف فيمسحون السطوح ويطلون بالزيت حبال الاسلاك وينزعون آثار الصدأ التي ظهرت عليها. وراح رجال المدفعية ينظفون مدافعهم منهمكين في فحص رافعات الذخيرة والقواطع الكهربائية في جوف السفينة وفي غرف المحركات الاربع حيث انصرف المهندسون الى العمل على التربينات (العنفات) الضخمة.

استدار البرج الرئيسي الخلفي نحو مقدم البارجة وارتفعت أفواه المدافع الثلاثة الضخمة الى أعلى حدٍّ لها. هذا الوضع لا يوفر لها قدرة كبيرة مضادة للطائرات، لكن القنبلة الجديدة التي دعيت "سان - شيكي" التي لقبت "قفير النحل" حلّت الآن محل الذخيرة العادية. هذه القنبلة المحشوة بطبقات من الشظايا، تنفجر في فترات محددة وتنتشر مثل حشوة من حبيبات الرصاص في بندقية صيد.

النسر الأقرع ينتظر

أخذت مدافع البارجة الامريكية "نيومكسيكو" من عيار ١٤ بوصة تهدر مرة كل ثلاث دقائق فترتج لها تلك السفينة القديمة التي تبلغ حمولتها ٣٢ ألف طن. وكانت أعمدة من التراب ترتفع من سفوح اوكيناوا المخددة بينما سفن الاميرال مورتون ديو، من القوة الضاربة ٥٤ تؤمن التغطية للمشاة الامريكيين الزاحفين على الشاطىء على بعد بضعة عشر كيلومتراً منها. جميع السفن في تشكيلة الاميرال ديو كانت قديمة العهد كفاية.

البطء كان السبب في اقصاء هذه البوارج المهيبة عن الانضمام الى حاملات الطائرات السريعة التي أضحت تهيمن على الاعمال الحربية في المحيط الهادىء. غير أن عمليات الانزال البرمائية قيّضت لها ان تخدم فترة أخيرة كقواعد مدفعية متحركة داعمة للقوات على البر.

وكان الهجوم الشامل على اوكيناوا العمل الانتقامي ما قبل الاخير ضد اليابان، فهذه الجزيرة هي موطىء القدم الاخير قبل الوصول الى طوكيو. وكان محللو الاستخبارات الامريكيون يعتقدون ان اليابانيين عاجزون عن تقدير حجم القوة المتفوقة المنقضّة عليهم. والقليلون الذين زعموا أنهم يفهمون النفسية اليابانية اعتقدوا أن روحية الساموراي ستكون المسيطرة، وسيستمر القتال حتى النهاية.

جثم "النسر الأقرع" في مقعده على متن حاملة الطائرات الامريكية "بانكرهيل". وقد ناسبت هذه التسمية الرمزية الاميرال مارك ميتشر قائد القوة البحرية الضاربة ٥٨، فقد كانت تلوح في سيمائه هيئة طائر جارح. وكانت تلك أضخم قوة من حاملات الطائرات عرفها العالم أبداً، وتضمّ ١٧ حاملة وما يزيد على ١٠٠٠ طائرة وتواكبها ثماني بوارج سريعة و١٥ طرّاداً وأكثر من ٦٠ مدمّرة. وبرزت خصلات من الشعر الأشيب من تحت قبعة الاميرال التي ظللت أنفه المستدق وعينيه الزرقاوين اللامعتين. وقد أثبتت حرب المحيط الهادىء صحة نظريات اولئك الرجال أمثال ميتشر الذين كانوا رادة في تطوير سلاح الطيران في الاسطول الامريكي، بعدما اضطر هذا الاسطول، على أثر خسارة سفنه الحربية في بيرل هاربر، الى الاعتماد على حاملات الطائرات. وفي غضون السنتين اللتين انقضتا على تلك الكارثة طوّرت البحرية الامريكية قوة هائلة من حاملات الطائرات كانت رأس حربتها ٢٤ حاملة من طراز "إيسكس".

سفينة ميتشر القيادية "بانكر هيل" كانت مثالا لذلك الطراز من الحاملات. فقد زادت حمولتها على ٢٧ الف طن وبلغت سرعتها القصوى ٣٣ عقدة (نحو ٦١ كيلومتراً في الساعة). وسلّحت باثني عشر مدفعاً من عيار ٥ بوصات مع عشرات من طائرات "بوفور" و"أورليكون" ظاهرة للعيان في مكامنها تحت مدرج الطيران الذي بلغ طوله ٢٦٦ متراً.

هيكل السفينة كان مملوءاً بالذخائر والخزانات المعبأة بوقود الطائرات ووقود الديزل، ويا له من خليط خطر. احتمال شبوب حرائق كان جدياً حتى ان الاسطول الامريكي استعان بهارولد بورك من دائرة الاطفاء في مدينة نيويورك. وابتكر بورك نظاماً من أجهزة رش الماء وقذف الرغوة لمكافحة اللهب ركّبت على متن الحاملة، وفصلت بين الجهاز والآخر مسافة ٣٠ متراً. وقبيل أي هجوم كان وقود الطيران المتبقي في الانابيب يضخ الى الخزانات وتملأ هذه الانابيب بغاز خامد.

روحية الجنود

في منتصف الطريق بين طوكيو ويوكوهاما توّج مقر القيادة المشتركة للاسطول الياباني مرتفعاً غير بارز داخل حرم جامعة كايو في هيوشي. هذا المركز القيادي للجهد الحربي البحري الياباني بأسره كان مخفياً داخل سلسلة من الأنفاق محفورة في السفح تحت مجموعة من الأبنية المموّهة.

وكان نوع من الشلل المتزايد أخذ يغشى القيادة اليابانية المشتركة منذ كشفت معركة لايتي في الفيليبين ان الاسطول الياباني ليس نداً للقوة البحرية الامريكية. وبدا كأن القائد الأعلى للاسطول الياباني الاميرال سويمو تويودا فقد سلطة أخذ القرارات نهائياً.

الا ان مقداراً كبيراً من النصائح كان لا يزال يقدم اليه. ودعت احدى المجموعات حوله الى اعداد آخر ما بقي من السفن الصالحة للقتال من أجل خوض معركة اليابان المقبلة. مثل هذه القوة، لن تقوى على اجهاض الانزال على شواطىء أوكيناوا، سواء أرافقها دعم جوي أم لم يرافقها، وكانت اليابان آنذاك تحاول ان تلملم بدائل لحاملات الطائرات من أماكن قصية مثل مانشوريا وكوريا. وحتى هذه الخطة الاخيرة التي هيأت فيها البارجة ياماتو لتكون سفينة استدراج بخروجها الى عرض البحر والدوران حول جزيرة كيوشو كانت عملا جنونياً.

لكن الحكماء التزموا الصمت. فهم أدركوا أنهم خسروا الحرب، لكنهم شعروا أن من الخطر الاقرار بهذه الحقيقة علناً. أما الاكثرية الصاخبة النزّاعة الى القتال فكانت تنادي بمواصلة الحرب بصرف النظر عن عدم تكافؤ القوى.

النقيب شيغانوري كامي كان الأسوأ بين هؤلاء. وبدل أن توكل اليه قيادة بحرية يجد فيها متنفساً لروحه العدوانية وربما تفريجاً نهائياً له، ألزم المداومة هنا في هيوشي كرئيس للعمليات، وهو منصب لا يتفق مع طباعه. فأوضاع الحرب في نظره كانت تتطلب هجوماً عسكرياً حاسماً يستهدف الوريد في عنق العدو. كان يصرخ: "ماذا كنا فعلنا في الزمان

القديم؟" كنا غامرنا بكل شيء في هجوم شعاره "قاتل أو مقتول". فلنبعث روحية طوغو في تسوشيما أو روحية ياماموتو في بيرل هاربرا"

كان من العبث الاشارة الى أن روحية بوشيدو لا يمكن ان تصحح خللا ساحقاً في توازن القوى لم يواجهه طوغو أو ياماموتو. والشجاعة المجردة لا تعوض النقص الفادح في القوة الجوية والطيارين المدربين وحاملات الطائرات وسفن الحراسة. لكن الافصاح عن مثل هذه "الهرطقة" كان يبهر أنفاس كامي ويغيظه، فيصيح بصوت راعد: "هذا سخف كافر. كل ما نحتاج اليه هو اظهار روحية جدودنا الأمجاد."

الموت المجيد

كانت القيادة المشتركة تعقد اجتماعاتها اليومية في الساعة التاسعة صباحاً. وصباح الخامس من ابريل (نيسان) ١٩٤٥ أخذ رئيس قسم الاستخبارات يعرض المعلومات القليلة المتوافرة لديه: القوة الامريكية في اوكيناوا تتعاظم باستمرار، وما يزيد على مئة الف من جنود الاعداء أصبحوا الآن على سواحلها.

عندئذ هب النقيب كامي واقفاً على قدميه وصاح: "الاسطول الثاني، المسمى الآن القوة الضاربة الخاصة، سيشارك غداً في عملية تن - ايتشي. وستبحر سفينة القيادة ياماتو مع الطرّاد ياهاغي وثماني مدمرات في ٦ ابريل (نيسان) لطرد الامريكيين من أوكيناوا. وبعد انزال أقسى هزيمة بالعدو ترسو ياماتو على الشاطيء وينزل منها البحارة الذين يمكن الاستغناء عنهم لتعزيز حامية اوكيناوا."

تحولت أنظار ضباط القيادة المذهولين نحو تويودا للتأكد مما سمعوا. واكتفى الاميرال بدفن ذقنه في راحتيه وهز رأسه في تجهم. عندئذ تكلم ضابط مسؤول عن التموين وقد استبد به الرعب، وأبدى شكّه في أن تتمكن اليابان من تأمين احتياط كاف من الوقود للقيام بهذا الهجوم من دون خفض استهلاكه في أماكن اخرى. لكن كامي تجاهل هذا الاعتراض شارحاً: "انها عملية انتحارية، والوقود سيكون كافياً للذهاب من دون الاياب."

وهكذا كان. ووجهت البارجة ياماتو مع القوة المواكبة لها في مهمة "كاميكاز" انتحارية. وتقرر كل ذلك في تلك الليلة. كان كامي وتويودا أمضيا ساعات يتسامران في خلوة في مكتب الاميرال. ولم يوضع أي محضر بالحديث، لكن التبرير الذي قدّمه تويودا لاحقاً جاء فيه أن البارجة ياماتو والقوة المواكبة لها تواجهان احتمالا متعادلا في النجاح أو الاخفاق. وليس على هذه القوة الا أن تنقض على سفن النقل العدوّة في مراسيها فتعطل عمليات الانزال وتتيح لحامية اوكيناوا الفرصة المثالية لالقاء العدو الغازي في البحر.

كان كامي اكثر من رئيسه استخفافاً بالمقاومة الامريكية، اذ ان "الروحية اليابانية" ستطغى على قوة العدو التقنية والمنتجة، كما أن التضحية تعزز تلك الروحية وتساهم في تحقيق النصر. وسينفذ هجوم معاكس عجائبي.

يا لها من طريقة مجيدة للموت. كان نور غريب يشع من وجه كامي وهو يشرح الخطة للضباط المجتمعين. وران سكون مطبق على قاعة الاجتماع فيما الضباط يصغون بذهول وصمت اليه وهو يسير بين الطاولات ملوّحاً برزمة من الاوراق: البارجة الضخمة والسفن المواكبة لها ستندفع الى الامام بالسرعة القصوى في دغشة قبل الفجر لتبلغ قلب القوة العدوة المحتشدة. وسيستبد الهلع بالامريكيين الجبناء فيشرعون في اطلاق النار عشوائياً بعضهم على بعض في الظلام، وتتناثر السفن حطاماً محترقاً عائماً على وجه الماء.

قادة مخبولون؟

وردت برقية تحمل سمة "سرّي جداً". وقرأها الاميرال سيتشي ايتو مرتين ثم نادى: "ادعوا موريشيتا سان ليقابلني."

وكان رئيس أركان الاسطول الثاني نوبوي موريشيتا رجلا طويل القامة يدخن بلا انقطاع، وهو احد البارزين القلائل الذين تحدّوا العقيدة البحرية اليابانية الصارمة. وهبط عدداً من السلالم الفولاذية ودخل قمرة ايتو وأدى له التحية العسكرية.

وأشار اليه ايتو بأن يجلس في كرسي ثم ناوله البرقية. ووصل آريغا فيما موريشيتا لا يزال يقرأ. فالبرقية وردت من تويودا، من مركز القيادة المشتركة، وهذا نصها:

العملية تن - ايتشي ستبدأ الآن. الاسطول الثاني سيشكل قوة الهجوم الخاصة الاولى من سفينة القيادة ياماتو وكل سفن المواكبة المتوافرة. وستخرج القوة من البحر الداخلي في الساعة ١٥،٠٠ من ٦ ابريل (نيسان) وتهاجم أسطول العدو الغازي في اوكيناوا قبل الفجر في ٨ ابريل (نيسان). الوقود متوافر لرحلة الذهاب فقط. هذه عملية توكو.

استقام آريغا في جلسته وأخذ يدمدم. وبدا كأن موريشيتا يكاد ينفجر، وزمجر: "هذه ليست تعليمات وافية."

والواقع انه حين وردت أوامر مفصلة اتضح ان العملية تن - ايتشي كانت كومة من الافتراضات الفجّة اكثر مما هي خطة هجوم. فقد تعين على البارجة ياماتو وسفن المواكبة التسع أن تخرج الى بحر الصين ثم تبحر من دون اعتراض على مدى عشر ساعات في وضح النهار نزولا أمام سلسلة جزر ريوكو، ثم تتحول مع هبوط الظلام نحو شواطىء الانزال في اوكيناوا. وهناك تنطلق تحت جنح الظلام لابادة القوات الأمريكية الغافلة. ويسبق ذلك شن غارات انتحارية كثيفة على أسطول العدو، لكن القوة المهاجمة نفسها تبقى من دون تغطية جوية. وكان جلياً انه من غير المتوقع أن تعود أي من هذه السفن الى قاعدتها. فبعد انزال أفدح الأضرار بالعدو، على السفن ان ترسو قبالة الشاطىء لتنضم طواقمها الى حامية الجزيرة. وأوصى ملحق جنوني بأن تستمر مدافع ياماتو الضخمة في توفير الدعم بعد أن تكون حشرت نفسها بين الصخور المرجانية على الساحل. ولم يوضح الملحق كيف يمكن امداد تلك المدافع الضخمة بالطاقة المحركة.

ضابط المدفعية في الاسطول، العقيد تاكاو ميamoto، كان يشعر أن من الصواب أن تغرق ياماتو وهي تقاتل. غير أن صديق هارا، الاميرال كايزو كومورا القائد الأعلى للمدمرات المواكبة، اعتبر أن قادة الاسطول المشترك قد خبلوا. فهل من المفترض حقاً أن تهاجم القوة الضاربة الامريكيين، ام ان العملية مجرد استدراج؟ واستأذن كومورا متجهماً ان يسمح له باستشارة قادة المدمرات.

حفلة عامرة

على متن الطراد ياهاغي تكلم كومورا بصراحة في الربابنة المجتمعين: "هذه العملية ليست حتى مهمة انتحارية، لأن تلك تفترض وجود فرصة لضرب هدف يستحق أن يهاجم. لست آبه للموت، غير أني أحجم عن القاء رجالي في التهلكة."

كان موقفاً لا سابقة له. فلم يكن أحد يناقش الأوامر في الاسطول الياباني. وعلى رغم ذلك أثار كومورا جدلا. فكل ضابط من الحضور كان حارب باستمرار طوال ثلاث سنوات ونصف سنة. والآن اعلنوا جميعاً اتفاق آرائهم حول لاعقلانية قيادة الاسطول المشترك وثقة اليابان في الساعة الاخيرة بأن العمليات الانتحارية يمكن أن تكون سلاحاً حاسماً. ان إهدار الطائرات النادرة مع طياريها كان عملا جنونياً، اما اهدار البوارج القليلة المتبقية مع طواقمها من البحارة المجرّبين فهو عمل اجرامي. واعتبر هارا ان من الافضل ان يتوجه الاسطول الى عرض المحيط الهادىء لمهاجمة الخطوط المكشوفة لمواصلات العدو.

حين عاد كومورا الى ياماتو ليعرض موقف رجاله لقي صداً مهذباً لآرائه. ورجع من الاجتماع مرهقاً ليعلن أن المهمة ستنفذ كما هو مقرر. وقد تذكر هارا ذلك في ما بعد فقال: "طأطأ كومورا رأسه وكأنه يعتذر. فعزمت على التصدي لحقيقة هذا الموقف غير الواقعي فبادرته: "اننا نقدّر موقفك يا سيدي الاميرال، ولكن علينا الآن أن نفيد من الوضع الحالي الى أقصى الحدود."

برقية القيادة اليابانية في شأن العملية تن - ايتشي هالت محلّلي الرموز الامريكيين في هاواي. وأرسل تحذير طارىء ذو اولوية عليا جاء فيه: "ان اليابانيين يخططون للخروج والاقتحام."

كان الاستكشاف الجوي بيّن أن بارجة عدوة ضخمة ترسو في البحر الداخلي. مثل هذه السفينة الضخمة لا يمكن أن تحاول العبور في مضيق شيمونوسيكي الضحل والملغّم بكثافة. وسيكون الخروج عبر مضيق بونغو الأعمق والأوسع بين جزيرتي كيوشو وشيكوكو. وللحال استنفرت الغواصات التي كانت تجوب المنطقة.

راجت الاشاعات على متن ياماتو. وكان البحارة القدامى حين يرون الاعلام تعطي اشارات العملية تن - ايتشي يهزّون رؤوسهم مدركين ما وراء كل ذلك.

أمر النقيب جيرو نومورا، الضابط التنفيذي في ياماتو، بأن يتجمّع كل البحارة. وللحال غطت السطح الامامي الفسيح صفوف من البحارة بألبستهم الخضراء، تمتد حتى المقدمة. وأوجز الاميرال آريغا تفاصيل العملية. فتعالى هتاف مدوّ أمام الشمس الغاربة.

وترقرقت الدموع في عيني نومورا وهو يراقب هذا البحر الزاخر من الرؤوس المرفوعة. ان قرى معظم هؤلاء الرجال كانت تحوّلت ركاماً نتيجة القصف الجوي. وتقدم نومورا ووقف بجانب آريغا وصاح: "لتضرب ياماتو العدو ضربة انتحارية."

وتعالى هتاف راعد وثلاث تحيات للامبراطور قبل أن يتجمـع الرجـال ويتبادلوا المهمات متجاهلين دعوات الضباط الى التزام الصمت. أما في قسم صغار الضباط فلم يبدُ على هؤلاء أثر للتفاؤل وقال أحد الملازمين: "من يراهن على أننا لن نستطيع قطـع نصف المسافة؟"

جلس كبار الضباط في حجراتهم يناقشون المهمة بلامبالاة وكأنها لا تعنيهم. وتساءل المهندسون ألا يجدر التأكد من مدى تحمّل هيكل البارجة تأثير الاصابات. فاذا تعرضت ياماتو لضغط كاف فانها قد تهتز حتى تنفرط قطعاً متناثرة.

قدّم أحد الخدم كؤوس شراب من زجاجات نهبت من سنغافورة قبل ثلاث سنوات. وأكد بحارة ياماتو أن الاسماك في البحر ستتلذذ بالشراب على مدى كيلومترات حول السفينة اذا قُدِّر لها ان تغرق. لكن نومورا كان مصمماً على أن يحرم الاسماك هذه اللذة. وقضى آخر الأوامر التي أصدرها في ذلك اليوم باقامة حفلة عامرة كبرى تبارى طهاة ياماتو الثمانون في إعدادها. وقدّموا بين ألوان الطعام "السيكيهان" المصنـوع من الفـاصـوليـاء الحمـراء المطحـونـة و"الاوكاشيراتسوكو" وهو نوع من الطعام البحري يقدّم من دون أن تنزع منه رؤوس الأسماك.

هدف مغرٍ

خروج ياماتو كان أقل ما يقلق سبروانس. فالخطر الحقيقي كان يتمثل في الغارات الانتحارية. وكشفت الصور الجوية تجمعاً لنحو ٧٥٠ طائرة موزعة في قرابة ٥٠ مطاراً مموهاً ببراعة في جزيرة كيوشو. وهكذا أكد الاجتماع الصباحي لقائد الاسطول الخامس الذي عقد على متن السفينة "نيومكسيكو" في السادس من ابريل (نيسان) أن الهجوم الانتحاري المتوقع منذ زمن طويل أصبح وشيكاً.

اعتقد اليابانيون أن الامـريكيين ترعبهم الغارات الانتحارية. وكانت اذاعة "زهرة طوكيو" تردد كل ليلة لسامعيها المتجهمي الوجوه: "ستنـدمون ايهـا الشبان، فأنتم لا تدركون عظم الورطة التي وقعتم فيها." الا ان اليابانيين اخطأوا تقدير ردّ فعل الامريكيين، تماماً كما أخطأوا من قبل عواقب الغارة على بيرل هاربـر. فلم يكن الامريكيـون مرعوبين، بل كانوا حائرين. كانـوا يتساءلون عن نوع هذا العدو الذي يواجهون: لا شك في ان الانسانية براء من هؤلاء الناس، فليبادوا عن آخرهم. كانت هذه نظرية مناسبة تماماً لواشنطن كي تستخدم السلاح الذري ضد اليابان في وقت لاحق.

كانت أشعة الشمس الغاربة تخبو حين قرقعت سمّاعات الاجهزة اللاسلكية منذرة بأن الدورية الجوية المقاتلة مشتبكة في معركة ضارية في مكان ما شمال اوكيناوا.

وتأهب المدفعيون المرهقون للعمل. وسرعان ما ظهرت الطائرة الاولى من تشكيل كيوشو الهجومي منقضّة على سواحل الانزال في اوكيناوا. غير ان الطيارين غير المجرّبين تجاهلوا التعليمات الواضحة المعطاة لهم بانتقاء الاهداف الرئيسية كالبوارج وحاملات الطائرات وبدا أنهم صمموا على التضحية بأنفسهم فوق السفن الصغيرة. كانت عشر من بوارج سبروانس تطوف حول الشاطىء وتشكل هدفاً لا يجوز لأي طيار عدو أن يقاوم الاغراء بمهاجمته. وهكذا في غارة بعد غارة أصاب الطيارون الانتحاريون ٢٢ سفينة، الا أنهم أفلحوا في اغراق أربع منها فقط.

مياه خطرة

مع هبوط الظلام تحولت الريح العاصفة نسيماً رخاء. وفي الصباح اقلعت ٣٧٢ طائرة انتحارية من سلاحي البر والبحرية من جزيرة كيوشو. ولم يعد منها الى قواعدها سوى ٤١ طائرة حماية و١٧ قاذفة قنابل وعدد قليل من الانتحاريين.

وهلل راديو طوكيو للهجوم معتبراً اياه "ضربة لن تقوم للعدو قائمة بعدها أبداً،" زاعماً أن بارجتين أمريكيتين و٥٧ سفينة أخرى اغرقت. لكن الحقيقة كانت أن ذلك الهجوم الذي كلف اليابان أبهظ ثمن دفعته أبداً، اخفق في اصابة أي هدف رئيسي.

في الساعة الثانية فجراً أيقظت مكالمة هاتفية من القيادة المشتركة الضابط المسؤول عن مستودع الوقود في توكوياما وأبلغ الى قاعدة توكوياما، وهي المرفق الاكبر لتخزين الوقود في اليابان، أن البارجة ياماتو والقوة الضاربة الخاصة ستصل إليها قريباً ويجب ان تزود وقوداً يكفي فقط لايصالها الى أوكيناوا.

امتعض الضابط المسؤول في توكوياما، المتجهم الوجه وغير الحليق الذقن، اذ ان الخزانات الضخمة القائمة في ذلك المرفأ المحروس جيداً لم تكن تحوي سوى ١٥ ألف طن من الوقود. والاسطول الامريكي العامل قبالة سواحل اوكيناوا كان يستهلك أكثر من هذه الكمية كل ٢٤ ساعة. وعلى رغم ذلك بدا أن الاميرالات القابعين وراء مكاتبهم على استعداد لاهدار ذلك الوقود الثمين، والسفن أيضاً، في عملية لا أمل يرجى منها لتخفيف الضغط عن اوكيناوا. ومهما يكن فان قاعدة توكوياما ستتيح لتلك السفن فرصة القتال. ستستمد وقوداً من "الخزانات السرّية"، فخزانات الوقود الفارغة كانت تحوى بقايا تبلغ ٢٠٠ طن ليست في متناول المضخات، الا أن الرجال كانوا يلجون داخلها ليستخرجوا الوقود منها باليد حتى النقطة الاخيرة. وربما وفرت هذه العملية من الوقود ما يكفي لتجاوز تعليمات قيادة الاسطول المشترك.

وهي وفرت في الواقع أكثر من ذلك. أمرت قاعدة توكوياما بتقديم ٢٠٠٠ طن فقط للقوة بأسرها، مما يسمح لها بالقيام ببعض المناورات السريعة التي تستهلك مقدارا كبيراً من الوقود لكنه لا يكفي لرحلة العودة الى قواعدها. الا أن القاعدة تحدت التعليمات وزودت القوة ما يناهز ٨٠٠٠ طن.

كان نومورا، على متن ياماتو، على علم بالأمر ورضي أن يوقع أنموذج طلب للوقود يرضي بيروقراطيي طوكيو. في هذه الاثناء كان أمين سره ينظر الى ساعته باستمرار. فسفينة البريد ستغادر في الساعة العاشرة. وأذاع نومورا الأمر.

كتب الملازم ميتسورو يوشيدا رسالة محزنة الى والديه جاء فيها: "أرجو أن تتخلّصا من الاشياء التي تخصني. ليعتنِ واحدكما بالآخر، وابذلا أقصى جهدكما في اي شيء تقومان به."

وكتب هارا ربان الطراد ياهاغي: "اني على وشك الخروج الى القتال كربّان للقطعة الوحيدة الباقية في هذا الاسطول. يجب أن تعلما أني سعيد، وأن تفخرا بي. ودائماً."

لحق هارا بسفينة البريد في اللحظة الاخيرة. وللحال دوَّت صفارات الانذار فهرع بحارة السفن الى مواقعهم. الا ان صفارات انتهاء الاستنفار دوّت بعد قليل. فالعدو المهاجم كان قاذفة وحيدة تحلق على بعد كيلومترات، انها مجرد طائرة استطلاع.

وجه النقيب فرانك شايب طائرته المجهزة بمعدات تصوير الى شرق كوري، فاكتشف القوة الهجومية التابعة للبارجة ياماتو. وبعدما عاد الى قاعدته واخبر قائده بالامر. قال هذا: "انها تغطية ممتازة." فالصقر المنتقم أضحى على وشك الانقضاض، والاقحوانة العائمة توشك أن تتمزق تويجة تويجة.

كانت الشمس تنحدر نحو جبال كيوشو حين دخلت القوة المهاجمة مضيق.بونغو. وهدرت فوقها الطائرات التي شكلت لها مظلة واقية. وكان الطيارون يعرفون أن الغواصات العدوة تتربّص هناك. وتمدّد آريغا على كرسي مستطيل ليستريح في مركز قيادته الموحش ويراقب ضابط الملاحة وهو يوجّه الاندفاع السريع على مقربة من ساحل كيوشو. وأصدر الاميرال تحذيراً بأن المياه هناك محفوفة بالاخطار، فثمة جزر وجُرف وصخور مغمورة وجميع المنائر مطفأة. وهز الضابط رأسه بعصبية موافقاً. كان ينتظر بفارغ الصبر انتهاء نوبته في العمل.

بعيد الثامنة والنصف مساء جلجل جرس الهاتف بالقرب من ذراع آريغا. وأبلغ اليه التقاط اشارات صادرة عن غواصة امريكية. وهذا يعني أن العدو اكتشف تحركاتهم.

الفرصة الضائعة

الغواصة الامريكية "تريدفين" الغائرة تحت الماء قبالة الساحل الشرقي لجزيرة كيوشو التقطت اشارة الانذار بخروج البارجة ياماتو. غير أن كل السفن الامريكية المتربصة في المنطقة كانت خاضعة لأوامر تقضي بعدم شن أي هجوم قبل استئذان القيادة في هاواي. وكان كبار الضباط يخشون أن يؤدي أي هجوم سابق لاوانه الى اغراق الغواصات قبل أن يتم فك رموز التقرير الحاسم حول المشاهدات ونقلها الى القيادة في هاواي. وظلّت أنظار ربّان تريدفين مركزة على الشاشة الخضراء الباهتة في جهاز تحديد موقع الغواصة الذي يرسم صورة رادارية للجوار على مدى كيلومترات

حولها. وفي الساعة السابعة والنصف رأى أربع نقاط مضيئة تنطلق من بين التعرجات التي تمثل ساحل جزيرة فوكاشيما. وبعد دقيقتين انجلت النقاط المضيئة عن سفينتين كبيرتين وأربع سفن صغيرة على الأقل.

وحين أصبحت أقرب هذه السفن، وكانت مدمرة، على مسافة نحو ستة كيلومترات من الغواصة، كان الأنبوبان الاماميان لاطلاق الطوربيد في الغواصة جاهزين للعمل. وراح ربّان الغواصة يلعن الأوامر التي تمنعه من الهجوم. وبدا أن تقرير هاواي يستغرق دهراً. وفيما كان عامل اللاسلكي في ثريدفين يبث تقريره عن مشاهداته ويكيل اللعنات، راح الربّان يراقب تشكيلة مدمرات المواكبة اليابانية تمر به وهو عاجز عن القيام بأي عمل. احدى السفن التي كانت المدمرات تواكبها رسمت على شاشة الرادار نقطة مضيئة كبيرة الى حد يمكّن من اعتبارها حاملة طائرات. وبينما الربّان يبلغ عن مشاهداته في سورة من الغيظ "فاتت غواصته فرصة احتلال مكان في سجل الشهرة والمجد."

النظرة الاخيرة

غالب ماسانوبو كوباياشي النعاس على رتابة نبضات محركات السفينة وأخذ يتساءل كيف سيكون غده. وسار الملازم ميتسورو يوشيدا نحو قمرة الرادار. ووقف على المنصة العليا في السفينة ليجلو بصره. وتراءت له الاشياء بوضوح تدريجاً: متن السفينة الطويل المتعرج، المنشآت العليا المتراكمة فوقه كأنها مكعبات يلهو بها الاطفال، وعلى الجانبين تلوح أشكال غائمة وبيضاء ترسمها الأمواج التي تشقها المدمرات المواكبة.

انتهت نوبة خدمة يوشيدا قبيل الفجر وتسلّل الى مهجعه مسروراً. وحل كوباياشي مكان أحد رفقائه في العمل داخل قاعدة المدفع. كانت الرطوبة تقطر ماء من أطراف مظلّات المدافع. الملازم واتانابي تسلّم مسؤوليته على منصة القيادة الاولى، والملازم كاتونو جمع فريقه المكلف معالجة الاضرار داخل المقصورة المهتزة المخصصة لهم.

وفتح موريشيتا علبة سجائر جديدة وهو يدقق في خط سير السفينة. في الساعة الثالثة، تكون السفينة منطلقة في خط متعرج بسرعة ٢٣ عقدة (٤٠ كيلومتراً في الساعة) فيعبرون ثغر خليج كاغوشيما. وسيقودهم خطهم غرباً الى موقع يبعد حوالى ٤٤٠ كيلومتراً الى الغرب من كيوشو. بعد ذلك، قرابة الساعة العاشرة، عليهم أن يبدأوا انطلاقتهم الخطرة في وضح النهار وفي اتجاه جنوبي شرقي. وبعد ثماني ساعات ينبغي ان يكونوا على أهبة التحوّل للاندفاع نحو أوكيناوا.

بينما كانت أنوار الفجر الاولى تشق الغيوم المخيمة على ارتفاع منخفض، أحضر خادم آريغا الشاي والماء الساخن وموسى الحلاقة والصابون والمنشفة. وأنهى الاميرال زينته وهو يهمهم لنفسه ويحدّق الى البعيد الى جبال اليابان الغائمة.

وتعالى صوت يقول: "حدّق جيداً، فلن يتاح لك أن تراها ثانية."

كان هذا صوت كوياما ضابط الاشارات في البارجة. غير أن فريقاً من صغار المهندسين الذين كانوا يقومون بتمارين رياضية على سطح الحظيرة الخلفية انتفضوا لدى سماعهم هذا الكلام وصرخوا في قائله: "اذهب الى الجحيم ايها المخبول الهرم. لن يقوى احد على اغراق ياماتو."

لا مجال للخطأ

فرقعت مكبرات الصوت على متن البارجة. وكان المتكلم الضابط التنفيذي نومورا. أعلن أن قيادة الاسطول المشترك ابلغت اليه أن الهجمات الانتحارية التي شنت بالأمس أغرقت اربع حاملات طائرات امريكية على الاقل. لذلك فان في استطاعة القوة المهاجمة أن تتوقع مقاومة جوية أضعف مما كان مقدّراً.

وشرع المهندسون الصغار يسخرون بصوت عال من كوياما. وكانوا على وشك الفراغ من تناول فطور مؤلف من الرز والمخللات، حين دوّى النفير داعياً الجميع الى الالتحاق بمراكزهم فوراً. فالطائرات العدوة تحوّم فوق رؤوسهم.

حين تسلم سبروانس تقرير المشاهدة من الغواصة ثريدفين، أمر الاميرال ديو، الذي كان يقود البوارج المهيبة في القوة الضاربة ٥٤، بجبه قوة العدو المهاجمة. وربما كان احساس البحار التقليدي في سبروانس أشعره بأن تلك فرصة لخوض آخر مواجهة قتالية في التاريخ بين البوارج الضخمة، فهذه لم تتواجه الا نادراً خلال تلك الحرب التي أصبحت فيها القوة الجوية السلاح الحاسم. وها هي الفرصة متاحة لاخضاع اجيال من نظريات الحرب البحرية لتجربة مجيدة تحت قصف المدافع.

الا ان حاملات الطائرات بقيادة ميتشر كانت حينئذ منطلقة شمالا في طريقها لملاقاة ياماتو. كان النسر الاقرع مصمماً على اثبات نظريته التي تمسك بها طوال سنوات: ان القوة الجوية تبزّ قوة السفن الحربية. ثلاثة من التشكيلات الضاربة الاربعة ستكون متوافرة لخوض القتال، وهي تتألف من ١٢ حاملة طائرات و٩٨٦ طائرة. انها كافية تماماً لنسف القوة اليابانية بضربات جوية من دون تقليص المظلة التي تحمي جو أوكيناوا. الا أن ميتشر كان في حاجة الى تقويم دقيق لنيات اليابانيين.

عبّر كبير ضباط الاستخبارات لدى ميتشر عن تقديراته: "الارجح أن تتوجه ياماتو الى الغرب من سلسلة أوكيناوا. ستحاول تنفيذ الاندفاع الاخير تحت جنح الظلام لتضرب أوكيناوا مع بزوغ الفجر. غير أنها قد تتظاهر بالتوجه شرقاً لتضليل طائراتنا الاستكشافية."

وكانت مهمة ميتشر الرئيسية دعم عمليات الانزال على سواحل أوكيناوا، وهي تحظر الابتعاد مسافة طويلة عن الجزيرة. وتمثلت مشكلته في الاقتراب من العدو مسافة تسمح بضربه من دون الابتعاد عن الجنود الذين نزلوا الى الشاطىء. لذلك توجب أن يكون تقديره لاتجاه العدو وموقعه صحيحاً تماماً. ليس امامه أي مجال للخطأ. والطيارون سيتاح لهم أن يقضوا ما بين ١٥و٢٠ دقيقة فقط فوق الهدف، والاّ فلن يقيّض لهم أن

يعودوا الى قواعدهم أبداً. واليابانيون كذلك يمكن أن يغيّروا مخططاتهم وينكصوا عائدين من حيث أتوا. لكن ميتشر هزّ رأسه قائلا: "لكنهم سيقاتلون."

"اضربها أنت!"

مع فجر ٧٠ ابريل (نيسان) أقلعت ثلاثة أسراب من طائرات الاستكشاف في جو ماطر وملبّد بالغيوم للتحقيق في تشكيل بهيئة مروحة تظلّل جانبي كيوشو لجهتي المحيط الهادىء وبحر الصين. وفي الساعة الثامنة والدقيقة السادسة ورد التقرير الاول للمشاهدة، وكان مضللا. فقد رأى المستكشفون قوة يابانية تتجه شمالا في خط متعرج. ترى هل يمكن أن تكون متجهة الى ساسيبو ومن ثم الى اليابان؟ وساد جو متوتر موقع العلم المزدحم على متن بانكرهيل. وبعدئذ، في الثامنة والدقيقة الثانية والعشرين، جاء التصحيح المنشود: لم يعد ثمة مجال للشك، القوة اليابانية متوجهة الى اوكيناوا.

ستنقضي ساعة ونصف ساعة قبل أن تصل القوة الضاربة ٥٨ الى المدى الذي يمكنها من شن الهجوم. وفكر ميتشر ملياً ثم تحول الى رئيس أركانه النقيب بورك قائلا: "أصدر أمراً بالهجوم الشامل في الساعة العاشرة."

عمت الفوضى المنضبطة متون حاملات الطائرات حين انطلقت في الجو المقاتلات وطائرات الانقضاض وطائرات الطوربيد التي يزيد عددها على عدد الطائرات التي استخدمها اليابانيون في الهجوم على بيرل هاربر. الطائرات التي اقلعت عن الحاملات "سان جاسنتو" و"بيننفتون" و"هورنيت" و"بيلو وود" التابعة للمجموعة ٥٨،١ اعقبتها طائرات أخرى تابعة للمجموعة ٥٨،٣ أقلعت عن متون الحاملات "ايسكس" و"باتان" و"بانكرهيل" و"كابوت" وأخيراً "هانكوك". وفي الاجمال بلغ عددها ١٣٢ مقاتلة و٥٠ قاذفة قنابل و٩٨ قاذفة طوربيد، انطلقت كلها في اتجاه شمالي شرقي. (الطائرات التي اقلعت عن متن الحاملة هانكوك تأخرت ١٥ دقيقة عن الموعد المقرر وضلّت طريقها على الفور.) ولحقت بهذه القوة ١٠٦ طائرات أخرى انطلقت من الحاملات "انتربيد" و"لانغلي" و"يوركتاون" التابعة للمجموعة ٥٨،٤ وذلك في الساعة العاشرة والدقيقة الخامسة والاربعين. عندئذ تحوّل ميتشر الى بورك قائلا: "أبلغ الى الاميرال سبروانس أني أقترح ضرب القوة البحرية التي خرجت مع البارجة ياماتو." لكن بورك نقل الاشارة بعبارة أوجز وهي: "هل تضربها أم أضربها أنا؟"

كان سبروانس ألحق سفينة قيادته بخط القتال الذي يقوده ديو ليشترك في المصادمة التي تاق اليها. وكان لا يزال ثمة احتمال أن يُسعف الحظ اليابانيين أو يسيء الامريكيون التقدير فينجو العدو من المكمن الجوي الذي نصبه له ميتشر. وربما دعت الحاجة الى استخدام السفن القديمة التي يقودها ديو لوقف تقدم البارجة ياماتو. ولكن لا مجال لصد البحار القديم عما نواه. ورد سبروانس على ميتشر بأحد أقصر الاوامر العملانية التي

اصدرت في تاريخ الحروب البحرية. وهو: "اضربها أنت!"

الاشتباك الأول

بدت السفن اليابانية من الطائرة الكبيرة "مارتن ماريننر" ذات المحركات الاربعة وهي تخترق الغيوم، كأنها دمى صغيرة غبراء ترسم وراءها أخاديد بيضاء على صفحة طاولة رصاصية. وظهرت نفخة من الدخان في قاعدة المدفع الرئيسي الخلفي على متن ياماتو. ثم انفجرت كتلة ضخمة من الدخان الأسود وراء احدى طائرتي دورية، فهزتها من دون أن تصيبها بضرر.

وعلى متن الطراد ياهاغي أصيب هارا بالهلع. فهذا الطقس كان كارثة بالنسبة اليه. الأشعة الفضية الحادة كانت تشوّه المسافات، وزخّات المطر لم تكن على كثافة كافية لتحجب السفن من الجو. وأخذ الطرّاد ياهاغي يتبّع خطاً متعرجاً مع المجموعة، والمدمرات تقتفي أثره في اتجاهات متقاطعة. قواعد المدافع المضادة للطائرات المزدوجة على متن ياهاغي وهي من عيار ٥،٩ بوصات، ومجموعات الرشاشات من عيار ٢٥ مليمتراً، صوّبت فوّهاتها نحو طائرات العدو المستطلعة. الطراد يزخر بالقوة النارية وبحارته متشوقون الى استخدام تلك القوة. ولكن لم يحن الوقت بعد، اذ لا معنى لاهدار الذخيرة قبل أن يقترب العدو الى مدى أقصر.

وحدث عطل ما للسفينة "أساشيمو"، اذ كانت مدخنتها تطلق دفقات من الدخان الأخضر. وأخذت المدمرة تتأخر عن الركب شيئاً فشيئاً وهي ترسل إشارة بمعنى: "أواجه عطلا في المحركات." وازداد قنوط هارا، فهو كان يشعر باطمئنان أوفر حين كان ذلك المقاتل القديم على ميسرته.

لكن التفاؤل كان يزداد على متن ياماتو. فلا بد من أن الغارات الانتحارية بالأمس شلّت حقاً الحاملات الامريكية. فالامريكيون يرسلون طائرات استطلاعية، ولكن هل بمقدورهم تجميع قوة جوية كافية لتسديد ضربة عنيفة؟

كانت تلك فرصة مثالية لاختبار قنابل "سان-شيكي" الجديدة. وأطلقت القاعدة المدفعية الخلفية وابلا كثيفاً على تلك الاشكال الشبحية التي لاحت في الغيوم. وضحك آريغا حين رأى الطائرات العدوة تتوارى وصاح: "لقد ذعروا من هذا."

في غرفة الرادار الرئيسي تحلّق الرجال حول الملازم يوشيدا يدخنون سجائر الأمبراطور التي وزعت غداة يوم المعركة ويحتسون الشراب. وأبلغهم حاجب جذلان أن الطهاة يعدّون الشيروكو للغداء، وهو حساء يصنع من الفاصولياء الحمراء مع أقراص من الرز. وحين صعد يوشيدا الى متن السفينة دهش اذ وجد الجميع في حال من الاسترخاء. ثم صاح أحدهم: "انظروا هناك."

التقط الرادار الرئيسي صورة ٢٥٠ طائرة مقبلة من الجنوب الغربي. ثم تفجرت غمامة صغيرة سوداء مثل سرب كثيف من النحل من خلال السحب المتلبدة. وأخذت الطائرات تحوّم فوق مقدم البارجة. وجلجل صوت آريغا: "استعدوا لصد الغارات الجوية!"

كانت تشكيلة القوة الضاربة ٥٨،١ تحوّم فوق القوة العدوة. وأخذ قائدها العقيد ادموند كونراد على متن الحاملة هورنيت يقوّم الموقف. لقد بدأ اليابانيون يطبّقون تدبير المراوغة بالسير في خط متعرج فتترك سفنهم خطوطاً متلوية من الزبد في صفحة البحر الهادئة. وفجأة اندفع الطراد القائد ياهاغي متقدماً القوة. وعلى بعد حوالى ٢٠ كيلومتراً الى الشمال توقفت مدمرة وحيدة، انها المدمرة المعطلة أساشيمو. ولم يكن ثمة ما يشير الى الامريكيين بأن تلك المدمرة مصابة بعطل في محركاتها. وظلّت أربع من المدمرات تتراقص حول البارجة ياماتو، بينما اندفعت الثلاث الاخرى لاحقة بالطراد ياهاغي.

نقطة الدم الاولى

ما دام الأمر في يد كونراد فان طياريه لن يتوجهوا جميعاً في خط مستقيم لمهاجمة الهدف الرئيسي: البارجة ياماتو. فالسفن المواكبة يجب أن تغرق كذلك. وأصدر أوامره الصريحة بضرب المدمرات بينما تتوجه قاذفات القنابل المنقضّة من طراز "هيلدايفر" وقاذفات الطوربيد من طراز "آفنجر" للتعامل مع البارجة ياماتو والطراد ياهاغي. وخطة القتال هذه كانت صقلتها خبرة ثلاث سنوات من حرب المحيط الهادىء: تنقضّ المقاتلات بقنابلها الثقيلة. واذ ينهمك العدو في صدّها تبدأ طائرات "آفنجر" حاملات الطوربيدات غاراتها الخطرة على مستوى سطح البحر، وتستمر في خط اندفاعها مدة كافية لاطلاق طوربيداتها من مسافة ١٣٠٠ متر. والغاية من هذا الاندفاع إلقاء تشكيلة عريضة من الطوربيدات لا تتيح أي مناورة للسفن تحاشيها. ونادى كونراد ربابنة طائرات الانقضاض "هيلدايفر" التابعة للحاملة بيننغتون: "هاجموا الصبي الكبير!"

في اللحظة عينها هاجمت الطائرات الانتحارية القوة الضاربة ٥٨. معظم الطيارين اليابانيين الأحداث وغير المجرّبين أُسقطوا قبل ان يروا الهدف الذي كانوا ينشدون. غير أن ربّان طائرة "زيرو" يابانية كان يقودها بدراية محارب قديم اندفع بمهارة أمام مقدم الحاملة هانكوك مما جعل هذه تصدم "التابوت" الذي كان يطير فيه. وانفجرت قنبلته ووزنها ٢٣٦ كيلوغراماً داخل حظيرة الميسرة بينما تدحرجت طائرته واقتحمت مجموعة من الطائرات الرابضة التي سرعان ما غمرها بحر من الوقود الملتهب. ولبرهة بقيت الحاملة هانكوك في خطر داهم. في المراحل الاولى من الحرب كانت مثل هذه الاصابة خليقة بتدميرها. ولكن عند الساعة ١٢،٥٠ تمت السيطرة على الحريق. وعاد طيارو تشكيلها الجوي في الساعة ١٦،٣٠ يجرّون أذيال الخيبة، اذ وصلوا الى بعد ١١٥ كيلومتراً من ساحل كيوشو من دون أن يشاهدوا أثراً للعدو. وكان ذلك اليوم يوم الحاملة هانكوك.

العقيد الطيار هيو وود في حاملة الطائرات بيننغتون قاد تشكيلا من أربع طائرات "هيلدايفر" في انقضاضات منخفضة على مؤخر ياماتو. وانحرفت السفينة العظيمة يساراً فشق مقدمها

موجة نصف دائرية فيما التمعت على متنها ومضات حمراء صادرة عن مجموعات المدافع في وسطها. وفصمت اصابتان أنابيب الزيت في طائرة وود وعطلتا دفة الانقضاض على الجناح الأيسر. بيد أنه تابع انطلاقه في اتجاه مؤخر السفينة وألقى بقنابله على طول الهيكل قبل ان ينكفىء الى قاعدته وطائرته تقطر زيتاً. ونظر الى الوراء فرأى عموداً من الدخان ينطلق من خلف مدخنة ياماتو. لقد أصيبت ثلاث طائرات أخرى من سربه انفجرت احداها في البحر. لكن القنابل الملقاة احدثت دوّارات كبيرة من المياه حول ياماتو وانفجرت قنبلتان فوق الهيكل الضخم. في هذه الاثناء كانت المقاتلات المنطلقة من الحاملة بيننغتون تلتزم أوامر كونراد القاضية باخماد نار المدفعية المضادة التي كانت تطلقها المدمرات اليابانية المراوغة. وسرعان ما شبت النار في احداها. وبعيد ذلك انفجرت مدمرة ثانية.

ثلاث دقائق

الاّ أن كونراد اعتبر النتائج الأولى لهجومه مخيبة للآمال. لم تخفّ نار المدافع اليابانية، وطائرات هيلدايفر المنطلقة من الحاملة هورنيت ظلّت تتعرض لنار صائبة فأصيبت أربع منها بأعطاب لا يمكن اصلاحها وهبطت واحدة اضطرارياً على سطح البحر. في هذه الاثناء كانت القاذفات الانقضاضية الباقية من مجموعة الحاملة بيننغتون تزرع الدمار في سفن القوة اليابانية محققة ثلاث اصابات في الطرّاد ياهاغي واصابة واحدة في كل من أربع مدمرات أخرى.

حينئذ عبرت ثلاث قاذفات طوربيد من الحاملة بيننغتون من خلال نار المدفعية المضادة ميمّمة شطر الطراد ياهاغي الذي رجّته القنابل. كانت النار التي تواجهها حامية، لكنها حافظت على خط انطلاقها وحققت اصابة في الجانب الايمن للطراد. وبعد ثوان انقضت ثماني طائرات آفنجر تابعة لمجموعة الحاملة هورنيت، عبر عاصفة من نار المدفعية المنطلقة من ميسرة البارجة ياماتو. وتسابق الطيارون على ارتفاع أربعة أمتار ونصف متر فوق سطح البحر المبقّع بآثار شظايا القنابل، محافظين على اتجاههم خلال دقائق محفوفة بالخطر ولكنها ضرورية لتسديد اصابة دقيقة. ستة طوربيدات أصابت الهدف، سقط أحدها في البحر بالقرب من مقدم ياماتو. ولكن على رغم الضرر الكبير الذي لحق بالبارجة فقد ألقت الطائرات الأخرى مجموعة واسعة من الطوربيدات، أربعة منها سلكت مساراً صحيحاً وخطراً نحو ياماتو وكلها اصابت الهدف. هذا ما ورد في التقرير الذي أبلغته الحاملة هورنيت عن المعركة، مع أن طائرات عدة كانت تحوّم في الجو بحيث يتعذر الجزم بشأن "من أصاب ماذا."

في تلك الاثناء كانت طائرات "هيلكات" انطلقت من الحاملة الخفيفة "سان جاسنتو" وأنجزت عملها على المدمرة آساشيمو. وقد تكون آساشيمو أعطبت، الا ان مدفعييها واصلوا القتال في دفاع عنيد. فهبطت المقاتلات الى

مستوى متنها لتحصدهم بالنار، ثم تحولت عبر السفينة دائرة حولها لالقاء أكبر عدد ممكن من القنابل. وعلى رغم ذلك واصلت آساشيمو صد الهجوم.

بعد غارتين أو ثلاث بدأ متن المدمرة يشتعل وصمتت مدافعها. ثم عمدت ثماني طائرات "آفنجر" الى القاء رشة من الطوربيدات. وانحرفت المدمرة الى اليمين في محاولة يائسة للارتداد وتمكنت من تفادي طوربيدين، ومرت الطوربيدات الأخرى في محاذاة المؤخر من دون أن تحدث ضرراً. الا ان طوربيدين أصابا الهدف، ورفع الانفجاران مقدم آساشيمو عالياً في الهواء. وغاصت المدمرة في الماء، لكن انفجاراً هائلا وقع تحت سطح البحر رفعها الى أعلى وخلّفها كتلة مبددة من الحطام وبعض الناجين. وهكذا قضي على المدمرة آساشيمو في أقل من ثلاث دقائق.

طوربيدات الى ياماتو

عثر الاميرال ايتو على الاميرال آريغا في مركز قيادة البارجة ياماتو وهو يراقب الطائرات المقبلة من خلال منظار ويردد: "قاذفات طوربيد، مقاتلات، قاذفات انقضاضية. يا لهؤلاء الأوغاد! عندهم كل شيء!"

وفي محاولة لالهاء المغيرين عن ياماتو اندفع الطراد ياهاغي مبتعداً عن سفينة القيادة بسرعة ٣٥ عقدة (٦٥ كيلومتراً في الساعة). وحين انقضت طائرات من طراز "هيلدايفر" على جانبه الأيسر أداره هارا بقوة الى اليمين. وانهمرت شلالات من الماء القذر على متن الطراد من جرّاء سقوط القذائف في البحر، لكن المقاتلات من طائرات "هيلكات" ظلت تلاحقه على مستوى السطح تقريبا وتلقي عليه مزيداً من القنابل، كما اخترق رصاص الرشاشات المنشآت القائمة على متن الطراد.

قاد هارا الطراد نحو وابل من المطر على بعد نحو كيلومتر، لكن المقاتلات اطبقت عليه على مستوى الصواري. ونجا الطراد بأعجوبة من مجموعة قنابل اطلقت عليه. بعد ذلك أمطرته أربع طائرات "آفنجر" مجموعة صواريخ موجهة الى جانب هيكله. وانحرف هارا بالطراد في دائرة لمواجهة الطوربيدات المقبلة، ولكن بعد فوات الأوان. ففيما الطراد في منتصف دورته أصابه طوربيد في وسط هيكله تحت مستوى الماء. وساد السكون. وأخذ الطراد ياهاغي المصاب يتمايل مع الأمواج وقد سكنت محركاته وانقطعت فيه الكهرباء وأخذت بقعة من الزيت تنداح على صفحة الماء وراءه. وراح هارا يراقب ثلاث طائرات "آفنجر" أخرى تهدر منقضة على سفينته وهو عاجز عن المقاومة. وبرز مؤخر الطراد مرتفعاً من اليم. ونظر هارا الى ساعته غير مصدق ما يرى. لقد انقضت ١٢ دقيقة فقط على بدء المعركة.

البارجة ياماتو كانت تتعرض لمعاملة أقسى. غير أنها بنيت لتحمّل ذلك. السرب الاول من طائرات "هيلدايفر" سجل اصابتين على الأقل بقنبلتين من وزن ٤٥٠ كيلوغراماً. احدى هاتين القنبلتين انفجرت في الطبقة السفلى الثانية فقتلت جميع أعضاء فريق

مكافحة الأضرار في مؤخر الميمنة. أما الأخرى فأصابت غرفة الرادار الرئيسي. وأمر الملازم يوشيدا بالتحقق من الاضرار.

زحف يوشيدا وسط الدخان المتصاعد وهو يدب على يديه ورجليه كما يفعل الجنود ليجعلوا من أنفسهم أصغر هدف ممكن. وأخذه العجب كيف يمكن ان ينجو أحد من الموت على السطوح المكشوفة. كانت رشاشات العدو بعثرت جثث الرجال هناك. غرفة الرادار انشقت تماماً وتناثرت الاشلاء بين الأجهزة المحطمة. وركض يوشيدا راجعاً وقدماه تنزلقان على الدم المتجمد. وانفجرت قنبلة قذفته على السلم المؤدية الى منصة القيادة فتسلّق السلم مترنحاً وهو يردد مشاهدته لغرفة الرادار: "كل الرجال ماتوا. جميع الأجهزة تحطمت."

وقف إيتو على منصة القيادة وكأنه صخرة صماء وانقطع عن اعطاء الأوامر. فجأة اطلق موريشيتا صرخة مدوية. كان ينظر بهلع عبر الميمنة مشيراً الى المدمرة هاماكاز بسبابة ملطخة بنيكوتين التبغ. كانت الانفجارات تتوالى على المدمرة القديمة. وبرز مقدمها ومؤخرها من الماء بعنف ثم اختفت في عمق البحر.

قبع نومورا على لوحة المراقبة المحطمة. ومن خلال باب صغير في مركز القيادة المدّرع بدا كوباما الهرم يدير عجلة توجيه نحاسية صغيرة بأسرع ما تستطيع يداه. وجاء ضابط صغير مترنحاً ليخبر نومورا ان رجال فريق مراقبة الاضرار قضوا جميعاً. وعزم نومورا أن يخرج راكضاً الى السطح ليرى بنفسه ما هناك. حتى ذلك الوقت كانوا تعرضوا لقصف بالقنابل فقط. أين طوربيدات العدو؟

وقذفه انفجار عبر الغرفة. وهكذا جاء الرد على تساؤل نومورا. ها هي الطوربيدات تصيب أهدافها.

التقاط الانفاس

بذل آريغا قصارى جهده. كبار القادة في طوكيو ينبغي ان يروه الآن، هم الذين ظلوا يتساءلون عما اذا كان ربان المدمرة المنتفخ البطن والشرس الطباع هذا يستطيع تسلم زمام بارجة حربية خارقة. لقد أمكنه أن يتفادى ببراعة معظم القنابل المتساقطة على سفينته. ولكن حين كان آريغا يركز اهتمامه على تحاشي طائرات "هيلدايفر" المنقضة تسللت قاذفات الطوربيد الى جهة الميسرة على مستوى منخفض.

صبت مدافع ياماتو قنابلها في البحر لتثير ستاراً من الشظايا ونوافير الماء فتحجب السفينة عن التشكيل الخطر المقبل نحوها. الا أن طائرات "آفنجر" حافظت على خط سيرها على ارتفاع ١٥٠ متراً عن سطح البحر. وترنحت احداها خارجة من التشكيل ثم انفجرت في البحر. لكن الطائرات الباقية ألقت طوربيداتها ثم تفرّقت في كل اتجاه.

أمل ياماتو الوحيد في الخلاص كان يكمن في استكشاف الخطوط الجيّاشة من الفقاقيع التي تتركها الطوربيدات المقبلة وراءها ثم التحوّل لتشق طريقاً بينها. ولذا تطلَق مجموعة من الطوربيدات بحيث تصيب الهدف مهما حاولت السفينة أن تتحاشاها. وهذا ما

حدث فعلا. أخطأ ياماتو خط من الزبد الثائر ومر بقرب ميمنتها. وعبر خط آخر قرب المؤخر. وانفجر ثالث عند مؤخر منصة القيادة واخترق رابع الهيكل عند غرفة المحركات اليسرى.

ونهض نومورا من سقطته. وأخبره المهندسون أن مقداراً قليلا من الماء يتسرب الى الداخل، لكن البارجة لم تمل على جنبها وظلت سرعتها على ما كانت.

البحارة على متن المدمرة فويوتسوكي الذين ظلّوا محافظين على مواقعهم في الميمنة، أدركوا ان ياماتو انتهت. لكنها برزت للعيان في مهابة من خلال غابة كثيفة من الرذاذ المتطاير ومدافعها تطلق الحمم، الا ان فجوات من آثار القنابل كانت بادية على منصتها. احدى القنابل انفجرت في القاعة الكبرى التي كانت تستخدم كغرفة اسعاف للطوارىء.



U.S. Navy

ياماتو تحاول الفرار من القذائف والطوربيدات المنهالة عليها من الاسطول الامريكي في المحيط الهادىء في ٧ ابريل (نيسان) ١٩٤٥.

عندئذ تعالى هدير طائرات هيلدايفر منقضة على مؤخر ياماتو. ودخلت طائرة وحيدة منظار الرماية أمام كوباياشي، فصاح من وراء مدفعه المثلث الفوهات والدخان يتصاعد منه: "واصلوا اطلاق النار!" وترنحت الطائرة وهي تصعد في الجو والرصاص الخطاط يمزق بطنها المكشوف. بعد ذلك سقطت في البحر وتهادت ثلاث مظلات صفراء هابطة فوق سطح الماء.

وكان الساعي لا يزال يتقيأ حين وقف أمام نومورا.

تعطلت خطوط الهاتف عندما ضرب طوربيدان آخران الجانب الأيسر. وشغّل نومورا الصمامات ليصحح انحرافاً الى اليسار ضاخّاً ٣٠٠٠ غالون من ماء البحر الى الصماريج الجانبية الفارغة الملتصقة بهيكل ياماتو على الجهة اليمنى، فتباطأ اندفاع البارجة على نحو ملحوظ لكنها أخذت تستقيم في وضعها.

وتوقفت الغارات. كانت ياماتو مصابة بأضرار الا انها لم تشل. وأمر آريغا ضابط الاشارات ان يرفع العلم «Z» وهي الاشارة التاريخية النلسونية التي رفعها الاميرال توغو وهو يقفل خط المعركة للأسطول القيصري في تسوشيما، ومعناها:

على هذه المعركة يتوقف مصير امتنا. فليبذل كل رجل قصارى جهده.

قال آريغا: "نحن لا نزال عائمين ونقاتل. والآن نأخذ فترة لالتقاط الأنفاس."

كان ذلك في الساعة ١٢،٥٩. وقدر لفترة التقاط الانفاس أن تدوم أقل من خمس دقائق.

تجدد الهجوم

أوكل كونراد الاشراف على المعركة الى العقيد أوتر من القوة الضاربة ٥٨،٣. ويتذكر أحد معاوني أوتر تلك الفترة: "كان ربابنة الطائرات يقومون بكل أنواع الانقضاضات الجنونية. ربابنة قاذفات الطوربيد القوا بقذائفهم من مسافة قريبة جداً من السفن حتى ان طائرات عدة تمكنت بصعوبة من تجنّب الاصطدام بالمنشآت القائمة على متون السفن بمسافة لا تتعدى سنتيمترات قليلة. وكانت البارجة ياماتو ممددة تحت القاذفات المنقضة عليها ومدافعها تطلق الحمم والدخان يتصاعد من هيكلها. وادعى أربعة طيارين أنهم حققوا اصابات بين البرج الأمامي والمؤخر. وبعد ثوان أصاب طوربيد الجانب الأيسر من المقدم. وأعقبت ذلك أسراب أخرى من طائرات "آفنجر" انقضت على فترات من ١٥ ثانية بينما كانت البارجة العظيمة تواصل دورتها البطيئة التي تكشف جزءاً كبيراً من جانبها الأيسر للطائرات المغيرة. وزعم الطيارون أنهم سجلوا ثماني اصابات، وربما بالغوا في ذلك."

في هذه الاثناء كانت البنية الفوقية للطراد ياهاغي تحوّلت ركاماً يتصاعد منه الدخان. ورفع انفجار مؤخر الطراد من الماء. ثم سقط المؤخر ثانية في الماء بصدمة عنيفة. عندئذ اطلق أوتر أسراباً اخرى من طائرات "آفنجر" أقلعت عن متن الحاملتين باتان وبانكرهيل. وخلال هذا الهجوم أصاب طوربيدان فقط البارجة ياماتو، وهذا يدل على فاعلية النيران المضادة للطائرات. ولكن حين اطلق أوتر قوة ضاربة مؤلفة من ١٩ طائرة من الحاملة الخفيفة كابوت لتسدّد الضربة القاضية، أدرك أن البارجة ياماتو انتهى أمرها.

كانت البارجة تباطأت وأخذت تميل قليلا نحو جانبها الأيسر، حين انقضّت طائرات "آفنجر" على ميسرتها. وزعم الطيارون أنهم سجلوا أربع اصابات، غير أنه يحتمل أن يكون طوربيدان أصابا ياماتو في آن.

الساعة كانت تشير الى الاولى والنصف بعد الظهر. لقد انتهت فترة التراخي. وأخذت ستون طائرة من القوة الضاربة ٥٨،٤ تتسابق لتسديد الضربة القاضية.

مزّق الرصاص الراية الحريرية الكبيرة التي ترفع في اثناء المعركة والمرفرفة فوق السارية الرئيسية. لكنها على غرار البارجة عينها بقيت مرفرفة على نحو مدهش. ياماتو كانت لا تزال تملك قدرة

قتالية ضخمة بعد تصحيح ميلها، ولم تفقد سوى نسبة ضئيلة من سرعتها.

كان آريغا يهمهم وهو يذرع قمرته المكشوفة حين تقدمت المدمرة فويوتسوكي متراقصة لتوفر تغطية اضافية. وكانت الأمواج ترتد عن مقدمها وهي منطلقة بسرعة تزيد على ٣٠ عقدة (٥٥ كيلومتراً في الساعة). واقتربت المدمرة هاتسوشيما من ميسرة البارجة في جوار المدمرة كاسومي. اما المدمرة آساشيمو فقد اختفت عن الانظار قبل فترة طويلة. أما الطراد ياهاغي فقد تأخر عن الركب، وتوقفت المدمرة ايسوكاز قربه لتقديم العون اليه.

"هذا الرجل مات"

كان اليابانيون على اقتناع أن الامريكيين استنفدوا قواهم بعد يومين من الغارات الانتحارية عليهم. وبعد ساعات قليلة يسدل الظلام ستاراً يحجب تلك القوة. عندئذ لن يحول شيء دون خوض معركة بحرية صرف صنعت البارجة ياماتو من أجلها.

وقف نومورا يزمجر ثائراً أمام هاتفه المعطل. وجاءه رسول مبهور الأنفاس ليخبره أن عدداً قليلا من المهندسين استطاعوا الخروج من غرفة المحركات الرقم ٨ التي اغرقتها المياه في الجانب الخارجي الايسر. وأمر نومورا بضخ ٣٠٠٠ غالون آخر من مياه البحر الى صهاريج الجهة اليمنى لتصحيح الميل الذي تجدد نحو اليسار. لكن أي اصابات جديدة بالطوربيد في الجانب الأيسر من شأنها أن تعرّض استقرار ياماتو لخطر عظيم.

وبعد ذلك لن يجدي أي ضخ للماء في تصحيح الخلل. وتوسل نومورا الى آريغا لكي يبقي البارجة محافظة على دورانها الى اليمين ليبقى جانبها الأيسر المصاب مرتفعاً فوق الماء.

عندئذ صاح أحد صغار الضباط المكلف الاشراف على فريق المدفعية لدى كوباياشي: "ها هم قد عادوا." وأطلق كوباياشي رشة من مدفعه المضاد وتسنى له أن يلمح وجه المدفعي في الطائرة المنقضّة ورأى شفتيه منفرجتين في تكشيرة شرسة وهو يصبّ رصاص سلاحه على موقع مدفع كوباياشي المكشوف. وأصيب رفيقه كاروما، الذي كان يلقّم المدفع بجانبه، برصاصة حطمت فخذه الأيمن. ويبدو أن الرصاصة مزّقت شرياناً اذ بدأ ينزف بغزارة.

ربط كوباياشي مرقأة ضاغطة حول الفخذ ونقل رفيقه الى مركز الاسعاف المزدحم وسط السفينة. وألقى الطبيب نظرة سريعة على كاروما ثم حدّق الى وجه كوباياشي وقال: "عد الى مدفعك أيها البحار. هذا الرجل مات."

عبّر المدفعي في الموقع الرئيسي قذائف "سان – شيكي" لتنفجر بعد ثانية واحدة من اطلاقها. وثار أمام العدو ستار جديد متفجر من الماء. غير أن طائرات "آفنجر" واصلت غاراتها بتصميم قتالي لا يرحم بينما البارجة ياماتو تتابع دورتها الى جهة اليمين.

لاحظ نومورا وجود ثلاث اصابات وربما أربع في الميسرة وواحدة في الميمنة. وتضاءلت السرعة الى ١٨ عقدة (٣٣ كيلومتراً في الساعة). وتمسك آريغا

بدعامة حين أخذ متن السفينة يميل بزاوية حادة. وتوقفت المدافع الضخمة عن القصف، وصمت جهاز البث في الميمنة. وبدأ البحارة يفرّون من خلال فتحة التهوئة هاربين من غمرة القيادة التي أخذت تمتلىء بالماء. وبقي آخرون في أماكنهم يدخنون ويحتسون الشراب بهدوء.

سرب من الشرق

هبط ساع على السلم الى حيث كان كاتونو غارقاً في عزلة رهيبة وصاح: "المياه تغمر الاجزاء العليا. وعلى الفرقة السابعة لمراقبة الاضرار أن تغرق كل الأقسام اليمنى بالمياه."

وسار كاتونو أمامه هابطاً ثلاث طبقات نحو جوف السفينة. وفتح فوهة وأمر ثلاثة رجال بالنزول الى الصنابير البحرية. وانتظر خمس دقائق ثم عشراً. وضرب طوربيد الهيكل فتردد صوت كأنه قرع جرس عظيم. ونادى كاتونو رجاله ليصعدوا. وغمر الماء قدميه لكنه ظل ينادي رجاله حتى جاء ضابط صغير حمله قسراً الى الخارج وأطبق باب الفوهة وراءه.

هرع موريشيتا الى الحاجز الواقي فوق الجانب الأيمن وصاح: "من هنا أيتها السمكة الصغيرة. من هنا." كان يخاطب الطوربيدات.

وضحك وهو يضرب كتف آريغا بكفه حين اصاب طوربيد وسط السفينة. كان ذلك ثمناً باهظاً لتصحيح ميل البارجة، لكن ياماتو صححت وضعها بحيث اقتصر ميلها على خمس درجات الى الميسرة.

وأسرعت المدمرة كاسومي متمايلة نحو ياماتو. وكانت مصابة بأضرار فادحة ولا سيطرة عليها. ووقفت السفينتان جنباً الى جنب تراقب كل منهما الاضرار الفادحة التي نزلت بأختها، قبل أن تنقلب المدمرة المعطلة على جانبها الأيسر. وكانت القنابل فتتت مقدم المدمرة سوزوتسوكي ومؤخرها وكومت الجثث على متنها. ووقعت صواريخ على المدمرة فويوتسوكي الا أنها لم تنفجر. كما ان المدمرة السريعة يوكيكاز بقيت سليمة من أي خدش.

وقذف انفجار هائل مؤخر ياهاغي عالياً فوق الماء. وضرب طوربيد آخر المقدم من الجهة اليمنى. وبدت المنشآت العليا على متنها وكأنها ضربت مراراً بفأس هائلة. وأخذ الطراد ياهاغي يتفتت قطعاً متناثرة. وأسرعت المدمرة ايسوكاز لتتوقف بجانب الطراد حين ظهرت طائرات أخرى من بين الغيوم. وهدرت محركات المدمرة في اهتياج وهي تحاول تحاشي الطوربيدات المنقضة عليها، لكن انفجارات متلاحقة دمرت هيكلها وارتفعت سحب من الدخان الاسود حجبتها عن الانظار.

أمسك الاميرال كومورا بذراع هارا وأشار بيده الى شيء ما. كان ذلك سرباً يضم أكثر من مئة طائرات مقبلة من جهة الشرق.

كان اليابانيون لا يزالون يقاتلون: وانطلقت قنبلة من المدمرة ايسوكاز المصابة بأضرار قاضية، فأصابت ربان طائرة "هيلدايفر" وقتلته. لكن هذا الهجوم الأخير فاق قدرة الطراد ياهاغي

على الاحتمال. وألقى كومورا نظرة أخيرة على متن الطراد الغارق وسأل بهدوء: "حسناً يا هارا... هل سنذهب الآن؟"

وتمتم هارا كلمات اعتذار ثم انحنى وأصدر الأمر باخلاء السفينة. كانت الساعة تشير الى الثانية والدقيقة الخامسة بعد الظهر والامواج ترتمي على الهيكل الفولاذي لمركز القيادة حين نزع الصديقان حذائيهما. وأطلقت الطائرات العدوة رصاصها على متن السفينة الغائص في الماء. وشطرت دفقة من الرصاص أحد قوارب النجاة نصفين فقتلت ١٤ رجلا. وكان هارا سبح مسافة أربعة أمتار ونصف متر حين جذبه الطراد الغارق الى أسفل. لكنه سبح عائداً الى سطح البحر. وحين انجلى بصره رأى رؤوساً سوداء تحوقه من كل جانب. وهتف رجل أسود الوجه: "هارا، هل أنت بخير؟" كان هذا كومورا عائماً في بحر من الزيت.

الموت

مرت فترة طويلة من الهدوء قبل أن يعاود الامريكيون غاراتهم، أو هكذا خُيِّل الى البحارة على متن البارجة ياماتو. وأعد واتانابي كتب الرموز لاتلافها. والتهم يوشيدا علبة من البسكويت القاسي. وأخذ موريشيتا يركض ذهاباً واياباً يراقب الاجهزة ويمازح البحارة.

كان آريغا يهمهم بهدوء حين انقضت القاذفات مرة أخرى. وسرعان ما عادت البارجة ياماتو تجنح ٢٠ درجة نحو اليسار. صهاريج التوازن على الميمنة أضحت مرتفعة جداً فوق الماء بحيث تعذر على المضخات أن تملأها بالماء.

وأمر آريغا بصوت مخنوق ان تملأ غرفة المحركات الخارجية في الميمنة بالماء. من شأن ذلك أن يصحح جنوح السفينة. ولكن ماذا سيكون مصير المهندسين الثلاثمئة الباقين تحت؟ بعض الناجين يعتقدون أن الوقت لم يكن يسمح لهؤلاء بالخروج قبل تدفق المياه عليهم. لكن نومورا يصرّ على القول انه منحهم الوقت الكافي للنجاة. الحقيقة الوحيدة المؤكدة هي أن غرف المحركات غمرت بالماء وتوقف جنوح السفينة جزئياً، مع أن السرعة انخفضت الى ثماني عقد (نحو ١٥ كيلومتراً في الساعة).

عندئذ أصاب طوربيد عشوائي مؤخر البارجة. والتوت الدفة الى اليسار وعلقت على هذا الوضع، كما تعطلت أبراج مدافعها. وأخذت ياماتو تدور على نفسها وهي عاجزة عن القيام بأي حركة فيما ميسرتها مغمورة بالماء وبرجها الأعلى ينقلب مترجحاً نحو الأمواج. ونهض ايتو متثاقلا وأمسك عمود المنظار بيد غطاها كف ابيض، ثم حيا جنوده متجهماً وقال: "أنجوا بحياتكم. انا سأبقى مع السفينة."

وجد نومورا الاميرال آريغا ينظر الى البحر ويدخن سيجارة. وقال الضابط التنفيذي لاهثاً: "لم يعد ممكناً تصحيح جنوح السفينة." وبدا أن آريغا لم يسمع ما قاله. عندئذ صرخ نومورا: "يا سيدي، السفينة تغرق!"

وهز آريغا رأسه بأسى وترقرقت الدموع في عينيه.

وقال نومورا: "رجاء يا سيدي، أعطِ الأمر باخلاء السفينة."

واخيراً تكلم آريغا: "حسناً.. اذهب أنت كذلك يا نومورا. ينبغي أن ينجو أحد منا ليروي القصة."

الى الأعماق

أمر نومورا حالا بأن يصعد جميع البحارة الى المتن. لكن ما يزيد على ألف رجل في جوف السفينة لم تتح لهم فرصة للنجاة. وفي أنحاء البارجة ياماتو كان رجال يرفضون أن يغادروا مواقعهم مفضلين أن يغرقوا معها.

ومن أجل منع التسابق المسعور للوصول الى جانب السفينة أمر نومورا الرجال المتدفقين الى المتن الخارجي أن "يرتاحوا" قبل أن ينزلوا الى الماء. ووقف مع حشد من البحارة المغرقين في الضحك وأخذوا جميعاً يبولون في البواليع.

في مركز القيادة وقف كوياما الهرم قابضاً على عجلة التوجيه. كان يردد: "الدفة لا تجيب!" ثم صمت الصوت فجأة. لقد غرق كوياما وهو واقف في موقعه.

وربط بعض الضباط أجسادهم بالأثاث المثبّت في السفينة. وركض موريشيتا بينهم وهو يكيل لهم اللكمات بقبضتيه صائحاً. "انجوا بحياتكم! أخرجوا!" ورأى واتانابي يشد وسطه بحبل الى طاولة غرفة الخرائط، فلكمه على رأسه صائحاً فيه: "أُخرج! أُخرج!". يوشيدا نفسه فرّ هارباً من امام القائد الثائر.

وحلّقت ست طائرات "آفنجر" من الحاملة يوركتاون مقبلة على مستوى منخفض نحو ياماتو. كانت البارجة لا تزال تدور على نفسها مشلولة القدرة وميمنتها المطلية بالأحمر مرتفعة فوق سطح الماء. وشقت أربعة طوربيدات على الأقل طريقها في اتجاه البارجة. وأصاب بعضها الهدف مخترقاً الهيكل تحت مستوى الدرع.

وصرخ آريغا بأعلى صوته: "عاش الأمبراطور!" فالتقليد المتّبع في الأسطول الامبراطوري يقضي بأن يغرق القائد مع سفينته. ويزعم بعضهم أنهم



بذلك يتبعون نهجاً يُمارس في الأسطول الملكي البـريطـاني. لكن التقليـد البريطاني يقضي فقط بأن يكون القبطان آخر من يغادر سفينته. والمرجح أن آريغا اتبع تقليداً يابانياً قديماً يوجب على القائد أن يكفّر عن خطيئة اضاعة سفينته.

خرج الملازم كاتونو الى المتن فلم يصدق ما رأته عيناه. البارجة المهيبة كانت تغرق بسرعة، وثمة مكبر للصوت غير مرئي ينعق برتابة: "فليغادر جميع الرجال السفينة! هذا أمر!" ولم يلبث الصوت ان صمت. وبدا كأن العالم بأسره يحبس انفاسه بينما أخذ البرج الرئيسي في البارجة ياماتو ينحني نحو البحر وكأنه طود يخرّ بحركة بطيئة. وبعد هنيهة أضحى على مستوى الأمواج. عشرات الرجال الذين كانوا في الماء حوله اجتذبتهم المدخنة الضخمة الى داخلها.

بعض البحارة مثل كوياباشي تلكأوا في النزول. وللحال أخذ المدفعي الشاب يتسلّق متن البارجة المائل وكأنه ماعز. وترددت اصوات راعدة من جوف الهيكل الغارق منبئة أن جـدران مقصورات السفينة وقمراتها تتحطم وتعوم. وجرّ كوياباشي نفسه على الجانب الأيمن بينما كانت البارجة ياماتو تنقلب ببطء. وبلغ في تسلقه حيزوم السفينة من اليمين ونظر عبره الى أسفلها المكسو بالعشب البحري وقد احتشد فـوقه الناجون. وصرخ ضابط شبه عار ربط حول رأسه عصبة بيضاء: "بانزاي!" وهو يلوح بسيف في يده بتحد زري للطائرات المحومة فوق رأسه.

وأخرج كوياباشي من جيبه آخر ما بقي لديه من الطعام الذي وزع عليهم قبيل المعركة: قطعة بسكويت فريدة. ووجد كذلك سيجارة مهشمة طبع عليها التاج الامبراطوري. وأخذ يقضم البسكويتة ويدخن.

وقذفه انفجار قوي بعيداً في البحر. الانفجارات التي كانت تحدث تحت الماء قتلت عشرات الرجال، وعامت جثث كثيرة على سطح الماء. وعثر على الضابط التنفيذي نومورا طافياً في غيبوبة، وتحتم عليه أن يعاني طوال سنوات جراحاً داخلية. وتخبط الملازم يوشيدا شاقاً طريقه الى سطح الماء وعيناه تحرقان ورئتاه تكادان تنفجران. ووجد حوله جماعات من السابحين وجثثاً طافية وحطاماً محترقاً. كان هذا كل ما بقي من إحدى اكبر بوارج العالم بعـد مئة ودقيقتين من القتال اليائس. وعندما انفجرت البارجة ياماتو ارتفعت سحابة هائلة مئات الامتار في الهواء، وشوهدت بوضوح من كيوشو على بعد مئات الكيلومترات.

خاتمة

هامت المدمرات اليابانية الباقية على الأمواج وبحارتها يتألبون في ذهول باحثين في ما آل اليه أمرهم. وكان أعلى الضباط الباقين رتبة ماسايوشي يوشيدا قبطان المدمرة فويوتسوكي، فبثّ الى القيادة البرقية الآتية:

"ياماتو وياهاغي وهاماكاز أغرقت. آساشيمو وسـوزوتسوكي مفقـودتان. ايسوكاز وكاسومي مصابتان بـأضرار

فادحة. الوحدات الباقية صالحة للخدمة. أقترح انقاذ الناجين ومواصلة المهمة."

وفيما المدمرات تنتظر الرد من القيادة عملت طواقمها على انتشال الناجين من البحر. وكان بين هؤلاء هارا قبطان الطراد ياهاغي والاميرال كومورا وموريشيتا ونومورا وكوباياشي وواتانابي والملازم يوشيدا. وفي الساعة ١٦،٥٥ أطلقت المدمرة فويوتسوكي طوربيداً على المدمرة المعطوبة كاسومي وتولت المدمرة يوكيكاز اغراق المدمرة ايسوكاز بفتح الكوى في قعرها. وفي الاحصاء الأخير تبين أن ٢٦٩ ضابطاً وبحاراً أنقذوا من البارجة ياماتو. وبلغ عدد الضحايا من بحارتها ٣٠٦٣ بمن فيهم إيتو قائد الأسطول وآريغا قائد البارجة. أما في القوة المواكبة فقد قتل ١١٨٧ رجلا.

وبلغت الخسائر الامريكية ١٠ طائرات و١٢ رجلا.

عند الساعة ١،٢٣ من فجر ٨ ابريل (نيسان) أمرت القيادة المشتركة بوقف اعمال الانقاذ والعودة الى القاعدة. وللحال عاد الناجون يتعثرون عياء الى قاعدة ساسيبو، فألقت المدمرة فويوتسوكي مراسيها في الساعة ٨،٤٥ والمدمرتان هاتسوشيمو ويوكيكاز بعد نحو ساعة. وفي الثانية والنصف بعد الظهر وصلت سوزوتسوكي، المدمرة التي لا تقهر والتي نسف حوالى ستة امتار من مقدمها، فدخلت المرفأ وهي تسير القهقرى بقوتها الذاتية والنار لا تزال تشتعل فيها.

هكذا انتهت تلك المعركة الانتحارية.

رضّل سبور ■

رابح بخيل

قال المتحدث على الهاتف: "أهنئك، لقد ربحت الجائزة الكبرى! مليون دولار! فهل أنت سعيد؟"

وأجاب الرابح: "أنا في منتهى السعادة."

– وماذا ستفعل الآن؟

"سأخبر أصدقائي أن رابح الجائزة ليس أنا."

ف.ل.

محام ناجح وسيدة غاضبة

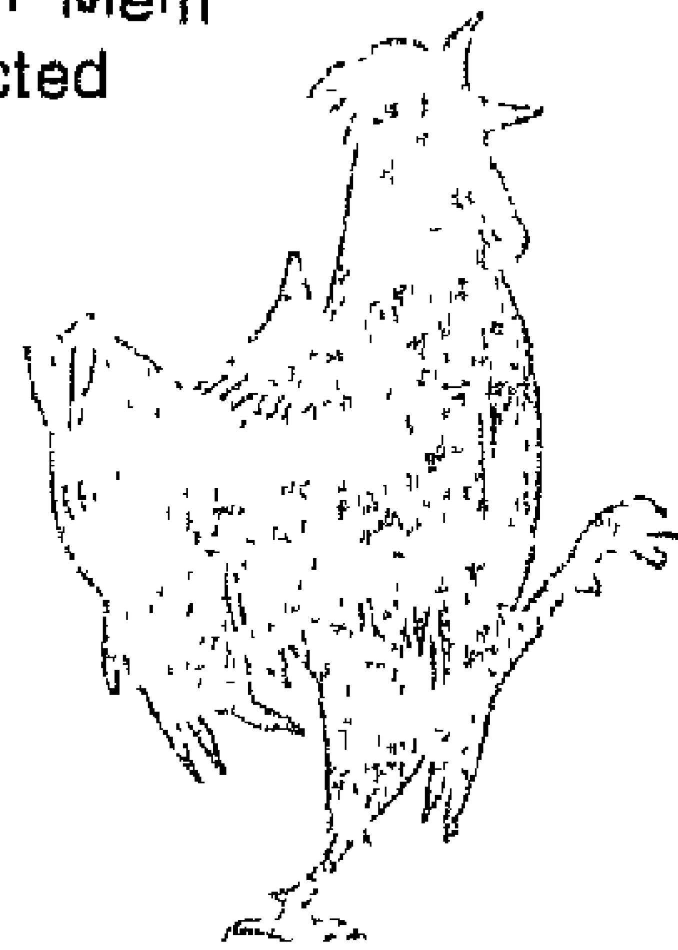
نجح أحد المحامين في دفاعه عن قضية تتعلق بفضيحة شهيرة. وبعد المحاكمة التقته سيدة غاضبة بادرته: "أما من موكّل الا وقبلت توكيله مهما يكن حقيراً وسافلا وذا سمعة شائنة؟"

فرد المحامي برصانة: "ذلك يتوقف على أمور عدة. فماذا فعلت أنت يا سيدتي؟"

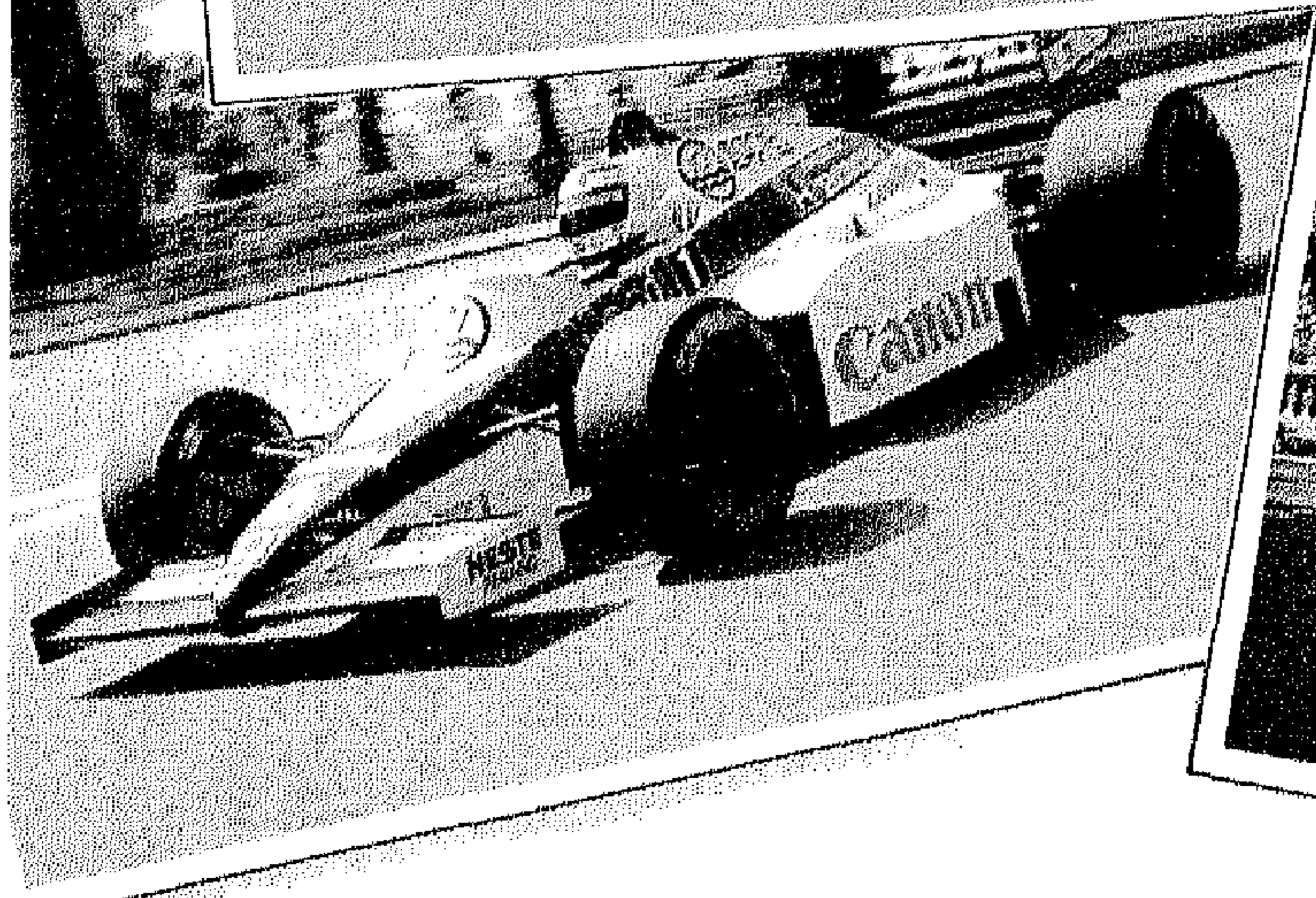
ج.د.

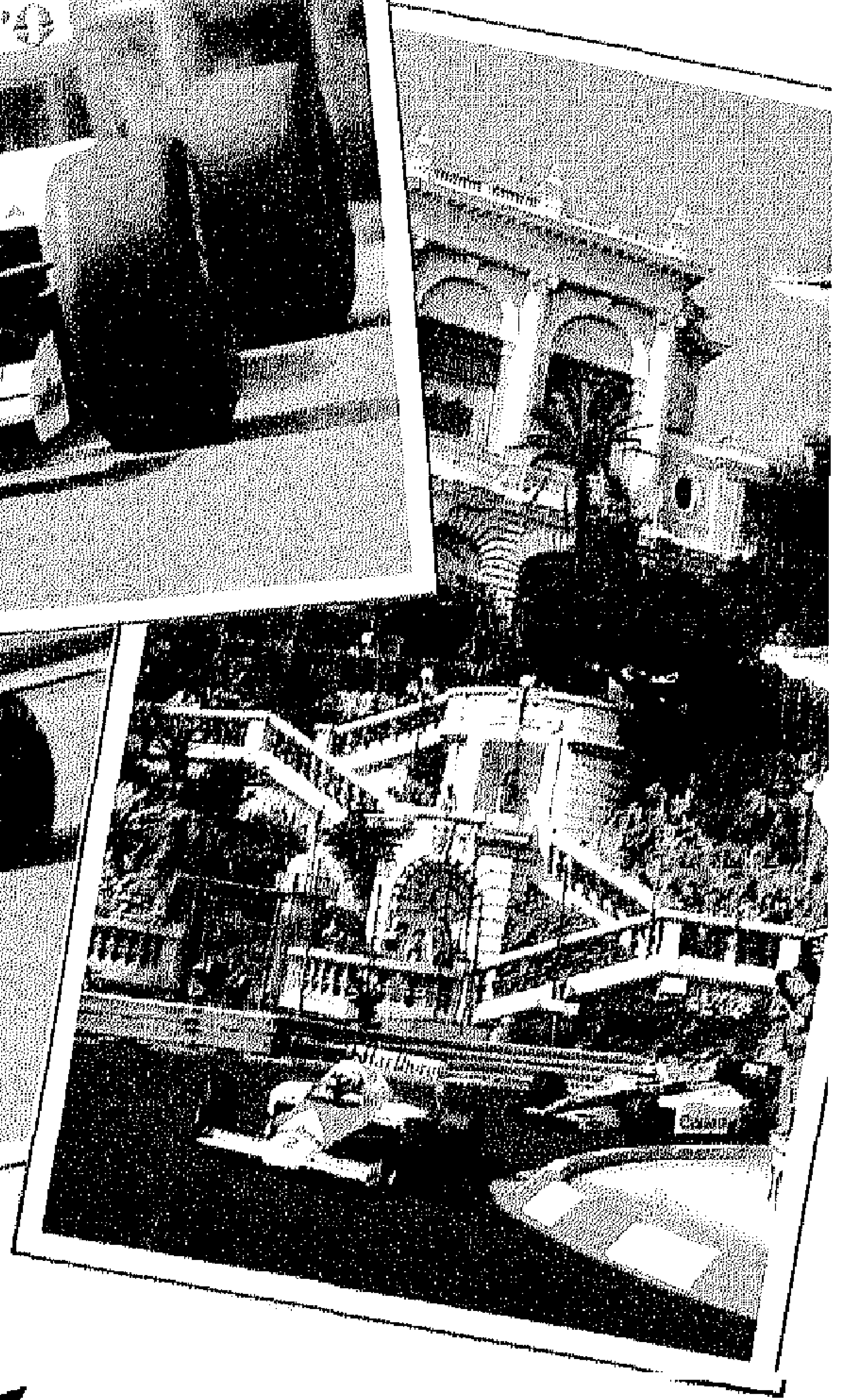
بعض الاشخاص لا يبعدونك عن الوحدة فحسب، بل يجعلونك تتمناها.

ك.م.









كاميرا التكنولوجيا المتقدمه لعالم السرعة الفائقة

إن الكاميرا التي تستطيع أن تلتقط صورة لأسرع سائقي سيارات السباق في العالم يجب بالضرورة أن تكون في نفس سرعة وتطور السيارات التي يقودها هؤلاء السائقين والأكثر من ذلك يجب أن تتيح لمستخدمها إلتقاط الصور في أقل من الثانية ببساطة وسهولة ودون جهد. إنها كاميرا كانون T 70 .

إنك ببساطة تدير برنامج العمل السريع وتعدل البؤرة وتلتقط الصورة ثم يقوم الكومبيوتر بالباقي .

إن تعبئة ودوران وإعادة الفلم في كاميرا T 70 يتم أوتوماتيكيا .

أما سائل الكريستال فيتيح لك قراءة المعلومات المتعلقة بوظائف الكاميرا باستمرار

إن بساطة كاميرا كانون T 70 تعني أفضل اللقطات في كل الأوقات



Canon T70

كاميرات الفورميولا واحد



"قصور الصباح" للكندي غريم روس

ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦، ربيع الثاني ١٤٠٧

المختار



من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest December 86 N° 97

ثورة الأسطوانة الصغيرة

(ص ١١)

التمادي في الحب... مرض

(ص ١٦)

(ص ٢٠)

اكثر من مئة مليون يقرأون "ريدرز دايجست" في ١٨٩ بلداً بـ١٥ لغة



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

الاشتراكات: فريال علاف.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠

التلكس MUKTAR 44615 LE ، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.

الاعلانات والاشتراكات: بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان. الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE.

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

مكتب باريس: AL MUKHTAR min Reader's Digest 37 Avenue George V. 75008 Paris. FRANCE

AL MUKHTAR min Reader's Digest.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, Tel: 492670 — 491630

P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.



MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

December 86 N° 97 (New Series) Vol. 9

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

لبنان ١٠ل – سورية ١٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – السعودية ١٠ر – مصر ١ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٤ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – تونس ٦٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٢٥د

نيدو الحليب الأفضل





نكهة لذيذة
وصحة أكيدة وتاريخ عريق

تفّاحةٌ كُلّ يَومْ ...

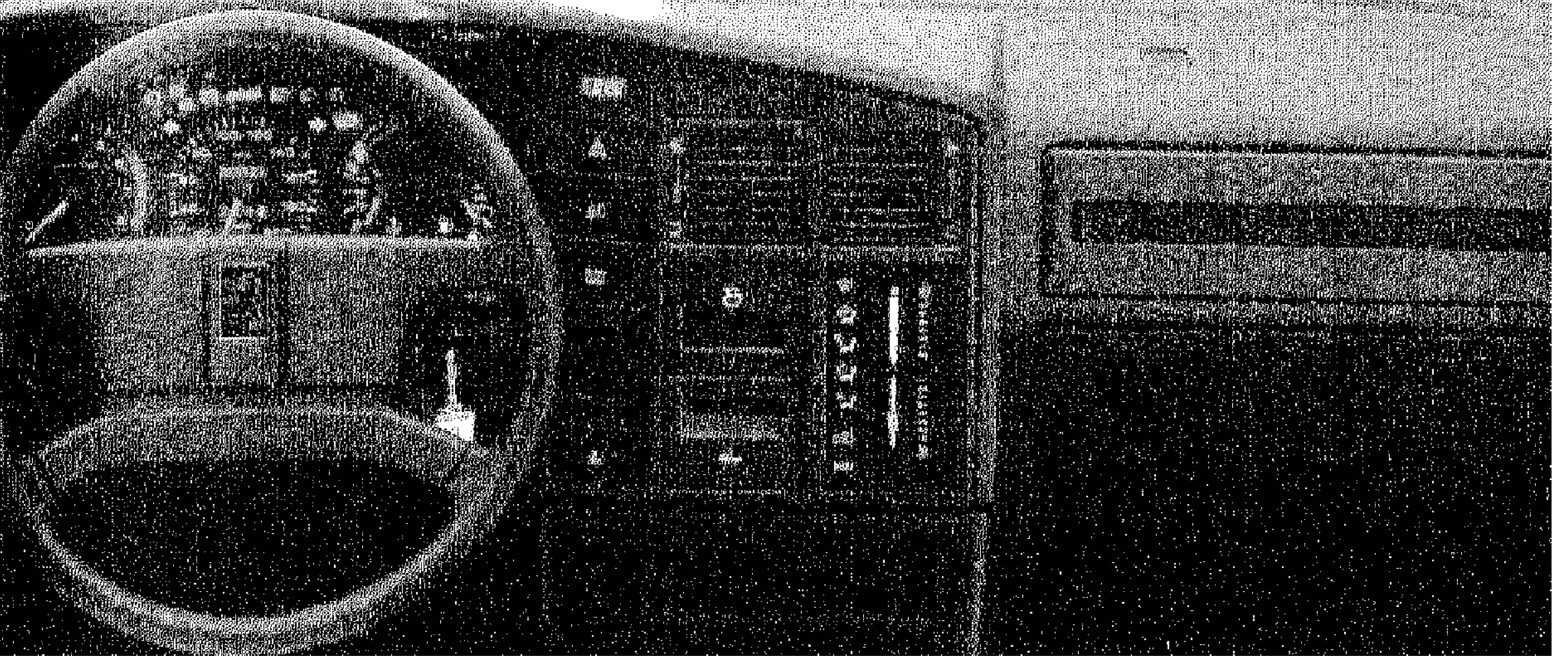
في وسع كثيرين نظم قصائد عن التفاحة. فالى النكهة والمنفعة الصحية اللتين تقدمهما هذه الثمرة فانها تثير ذكريات الطفولة وتقلّب صفحات من التاريخ وتضفي ألواناً على تراثنا ولغتنا.

ويؤكل التفاح طازجاً كما يستخدم في صنع الحلوى والعصير والزبدة والخل والزلابية والفطائر والهلام والجيلاتي (الآيس كريم) والتفاح المعلب.

ولقد قدر الناس قيمة التفاحة منذ القدم. وترتبط التفاحة بالوردة قربى بعيدة. ويعود أصلها الى جنوب جبال القفقاس غرب الاتحاد السوفييتي، ومن هناك انتشرت في أنحاء أوروبا. واكتشف علماء الآثار أدلة على أن التفاح كان يحفظ بالتجفيف منذ العصر الحجري.

تروي المعتقدات أن تفاحة أَغْوَتْ أبانا آدم وأمنا حواء. وقد أمر المشرّع الاغريقي

Photo: Michael Gold / Corporate Image



أنت في الداخل



والأسد في الخارج ستبقى دائماً في الطليعة

جو ٥-٥ جي تي آي ؛ إجلس داخل هذه السيّارة الفاخرة
ة وأعلم أنك داخل سيّارة في طليعة المنافسين..
ة تميّزك عن الجميع .
ندما تبدأ بالقيادة تدرك أننا لم نبخل
سينات .. أنظر إلى لوحة أجهزة القياس،
ر أجهزة التحكم وأشعر بقوة المحرك
خ وهو يدفعك إلى الأمام .

وجرّب الأداء الممتاز واستمتع بالقيادة، وتحسّس الخطوط الأنيقة تشق الهواء.. عدّل مكيف الهواء وأدر الموسيقى وأطرب لهذه التجربة الفريدة الفائقة في قيادة السيّارات .

سيّارة بيجو ٥-٥ جي تي آي .. سيّارة تجلب قيادتها متعة عظيمة .. سيّارة تفخر بإقتنائها .. انها ليست سوى سيّارة بيجو .



PEUGEOT
بيجو
وثبة الجودة

صولون بأن تتقاسم كل عروس تفاحة مع عريسها. وآمن السلتيون القدامى في بريطانيا بـ"جزيرة التفاح" التي لا وجود فيها للشيخوخة والمرض والحزن.

والتفاح الوحيد الذي نبت أصلا في أمريكا هو التفاح البرّي الصغير الحامض. الا ان المستوطنين الأوائل جلبوا بزوراً من أصناف التفاح المفضلة لديهم، بل ان البعض جر معه الشجيرات والشتول. وحمل المستوطنون الرواد البزور والشتول الى غرب البلاد. وأحبّ الهنود أيضاً ثمرة التفاح وزرعوها في البساتين في ضيعهم.

زرع وتهجين – للتفاحة وحدها بين أنواع الفواكه بطل شعبي هو جون شابمان الملقب "جوني بزور التفاحة" (١). وهو جاب منطقة وادي أوهايو الوعرة طوال ٥٠ سنة حافي القدمين ومعتمراً قدراً للطبخ ليزرع البزور التي جاء بها من معاصر التفاح في بنسلفانيا.

وفي أيام الاستعمار كان أهم نتاج يستخرج من التفاحة هو عصيرها الذي كان بمثابة الكولا او البيبسي بالنسبة الى المستوطنين الاوائل. واستخرج من التفاح أيضاً الخلّ الذي يستعمل لحفظ الطعام. وطوال قرنين كانت في كل ضيعة تقريباً معصرة للتفاح يعبأ فيها "عصير النشوة" في براميل معدّة للتخزين في أقبية المزارع جنباً الى جنب مع صناديق التفاح المخصص للأكل.

أما اليوم فالتفاح متوافر في المتاجر معظم أشهر السنة. ويعود ذلك في معظمه الى التخزين المرتكز على ضبط حرارة الجو. ولا يبقى التفاح المحفوظ في البرادات صالحاً للأكل الا بين موسم القطاف وشهر مارس (آذار)، في حين يبقى التفاح المحفوظ في أجواء مضبوطة الحرارة كثير العصارة وناضر المظهر طوال عشرة أشهر. فالجمع بين التبريد وخفض كمية الاوكسيجين يبطىء تنفّس التفاحة (نضجها) مما يبقيها نضرة بضعة أشهر من دون تغيير يذكر في نكهتها.

ولا تنتج البزور تفاحات متشابهة. فلكل تفاحة نحو عشر بزور، تنمو كل منها لتعطي صنفاً مختلفاً من التفاح. وهكذا أنتجت البزور التي زرعها المستعمرون الامريكيون أصنافاً متنوعة زادت على ثلاثة آلاف.

ولم تنتج عمليات التهجين العلمي التجاري تفاحاً كثيراً، اذ يلزم نحو ٥٠ سنة لانتاج صنف جديد وتسويقه، وغالباً ما تكون النتائج رديئة. لذلك يستند الانتاج الحالي الى الاصناف القديمة.

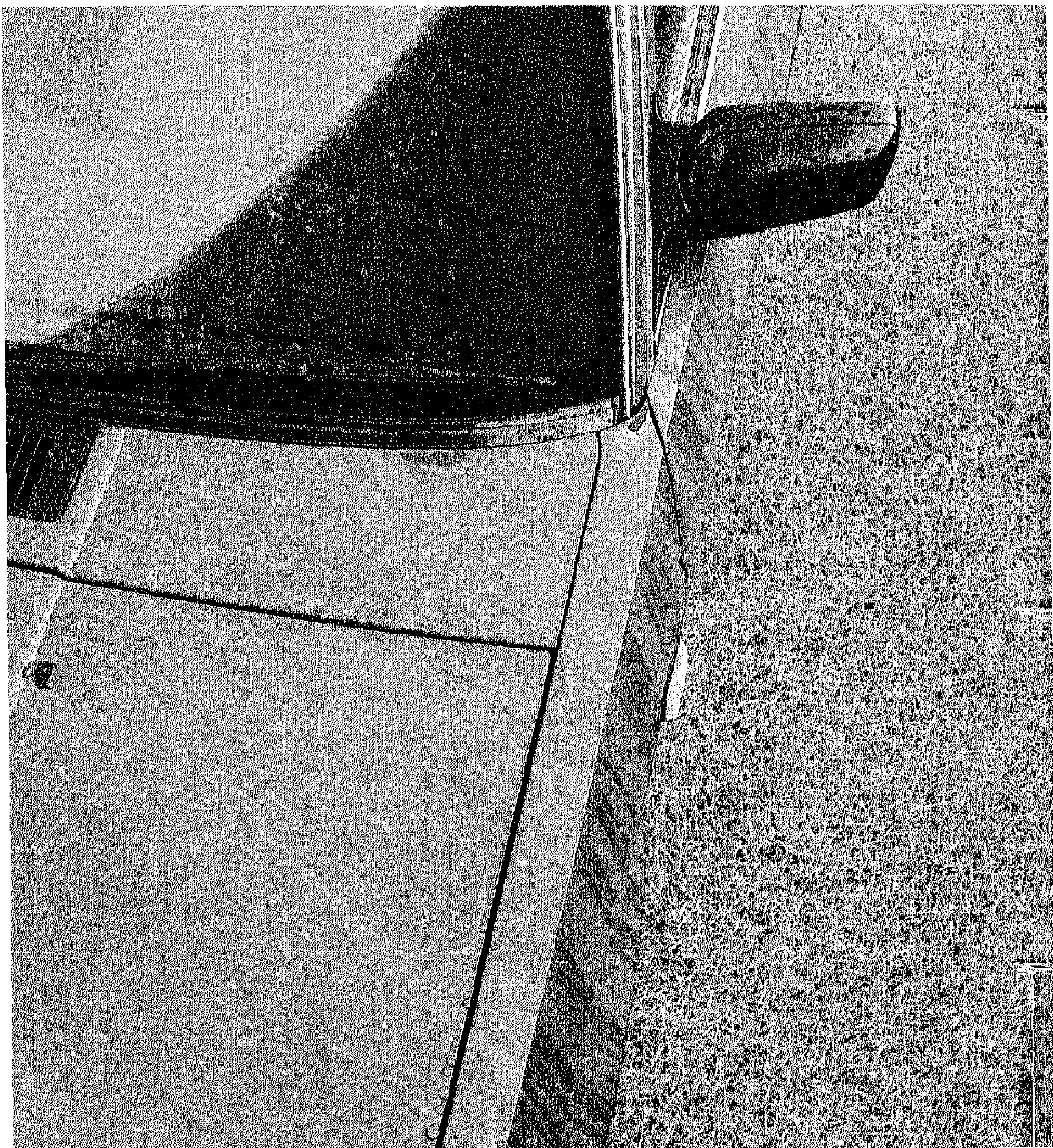
التفاحة والطبيب – نما معظم اصناف التفاح المفضّلة اليوم مصادفة. وربما نثرت الحيوانات بزورها، وتمّ اكتشافها في ما بعد وطُعِّمت بها الاشجار الأخرى. وقد اكتشف تفاح "الغولدن الشهي" (٢) قرب مزرعة في اقليم كلاي بفرجينيا الغربية في أوائل القرن العشرين. واكتشِف تفاح "الماكنتوش" عام ١٧٩٦ في مزرعة جون ماكنتوش قرب أوتاوا بكندا.

(١) Johnny Appleseed

(٢) Golden Delicious

(التتمة في الصفحة ٨)

نيسان



أما التفاح "الاحمر الشهي" (٣) فقد اكتشفه عام ١٨٧٢ جيسي هيات من بيرو بولاية آيوا. وكانت أشجاره تنمو بين الاشجار الاخرى ولم يكن مرغوباً فيها، لذلك قطِعت مرتين. لكنها كانت كل مرة تنمو من جديد مكتسبة المزيد من القوّة. وأخيراً تركها هيات تنتِجُ تفاحاً "شهياً".

أما اليوم فهناك تفاح يناسبُ كل ذوق. الا ان خمسة عشر صنفاً تشكّل ٩٠ في المئة من مجمل المبيعات في الولايات المتحدة. وقد احتكر التفاحُ الاحمر الشهي الجميل اللماع ٣٩ في المئة من السوق مع انه كثيراً ما يكون رقيقاً وطرياً. ويشرح الخبراء ان النكهة أصبحت بالنسبة الينا أقلّ أهمية من اللون. فنحن "نشتري المظهر." الا أن لكلّ صنف معجبين مخلصين. وأنا سأدافع حتى الرمق الاخير عن تفاحة "غراني سميث" الخضراء اللامعة الحامضة الكثيرة العصارة التي اكتشفت في اوستراليا عام ١٨٦٨.

أصحيح أن تناول تفاحة يومياً يبعد الطبيب نهائياً (٤)؟ يعود هذا القول الشائع الى زمن بعيد في ديفونشاير في بريطانيا حيث قيل: "تناوَل تفاحة قبل أن تأوي الى فراشك، واجعل الطبيب يستجدي قوْته."

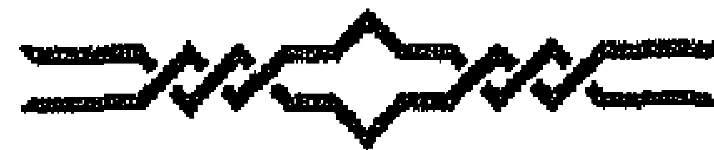
لا ريب في أن التفاح نافع للصحة، فهو فاكهة مثالية لمن يراقب وزنه. وتحتوي التفاحة الواحدة على نحو ٨٥ وحدة حرارية (calorie)، وهي تؤمّن طاقة سريعة من السكر الموجود فيها ونسبته ١٢ في المئة. وتساعد التفاحة على الهضم. ومادّة البكتين فيها تزود الجسم الألياف وتساعد على خفض مستوى الكولسترول. ويحتوي التفاح أيضاً على كميات لا بأس بها من البوتاسيوم والفيتامينين "أ" و"ج". والى ذلك فان ٨٥ في المئة من التفاحة ماء صاف رشحته الطبيعة وضخته الشجرة.

ان المولعين بأكل التفاح يعتبرون التفاحة فرشاة أسنان طبيعية لأن تركيبها الليفي والماء الذي تحويه ينعشان الفم. وينصح أطباء الاسنان بأكل التفاح لانه وجبة صحية لا تساهم في التسوّس.

جاك دنتون سكوت ■

(٣) Red Delicious

(٤) An apple a day keeps the doctor away



دب جامعي

كان شاب يمثّل دوراً مسرحياً في الجامعة يستدعي التنكّر في زي دبّ. ولما طالت الحفلة النهارية أكثر من المعتاد لم يجد الممثل متسعاً من الوقت ليبدّل ملابسه قبل الذهاب الى الجامعة. وحين دخل قاعة المحاضرات ران صمت كامل ثم سُمِع صوت في آخر القاعة: "لا بأس، يبدو أنه كان في عجلة هذا الصباح فبقي من دون حلاقة."

ك.ل.

المختار
من ريدرز دايجست
ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٦ — السنة التاسعة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

الأسطوانة الصغيرة ثورة كبرى في عالم الفونوغراف

ذات يوم من أغسطس (آب) ١٩٨٢ دخل كلوديو آرو عازف البيانو التشيلي الذي يبلغ من العمر ٧٩ عاماً، بناية حديثة قرب هانوفر في ألمانيا الغربية، واجتاز بناية حديثة قرب هانوفر في ألمانيا الغربية، واجتاز رواقها بخطى واسعة ومن ثم كبس على أحد الازرار.

فبدأت أجهزة معقدة تصدر أصوات قرقعة. وفي غضون نحو ٣٠ ثانية وضعت اللمسات الأخيرة على أول اسطوانة صغيرة تنتج على نطاق تجاري في العالم.

الاسطوانة الفضية التي خرجت في ذلك اليوم من القوالب المعرضة لضغط عالٍ في مصنع "بوليغرام" تضمّنت عزف آرو



لمقطوعات من الفالس من تأليف شوبان. والاسطوانة هذه التي يبلغ قطرها اثني عشر سنتيمتراً وتعادل رقتها رقة بطاقة بريدية، يمكنها استيعاب ٥٠ في المئة زيادة على ما تستوعبه اسطوانة تقليدية مطوّلة(١). وقد جاء انتاجها تتويجاً لعقدين من البحث والتطوير في سبيل إحداث ثورة في تسجيل الموسيقى التي تتميز بدرجة عالية من الأمانة للأصل.

وكما الحال في الاحداث التكنولوجية المهمة التي أعقبت الحرب، مثل انتاج الاسطوانة المطولة والتلفاز (التلفزيون) الملوّن ومسجّلات الكاسيت والحاسبات الصغيرة، فان الاسطوانة الصغيرة (٢) سترغم سابقتها المطوّلة على أخذ قسط طويل من الراحة على رفوف المستهلكين. وعبر استخدام تكنولوجيا "اللايزر" فان هذه الطريقة التي تخزّن الصوت وتعيد إسماعه تقرب من الكمال. ويقول ميشال وبت وهو وسيط في بورصة لندن تحوّل أخيراً الى استعمال الاسطوانة الصغيرة: "أقسم أن في امكانك سماع ما اذا كان عازف الكمان جالساً أعلى من عازف الفيولونسيل."

فلا عجب اذا كانت الاسطوانات الصغيرة والاجهزة التي تستنطقها آخذة في غزو الاسواق أسرع من سابقاتها، الأمر الذي يعطي صناعة الاسطوانات دفعاً قوياً هي في حاجة ماسة اليه.

عشق جديد - هل انتهى عهد الاسطوانات المطوّلة؟ "نعم،" يقول الدكتور يوهانس كنزل رئيس مصانع "فيليبس." ويضيف فرنسوا ديركس مدير فرع الالكترونيات في "فيليبس انترناشونال" وهي الشركة الهولندية التي اخترعت نظام الاسطوانة الصغيرة: "لقد استمعنا لمدة ٧٥ سنة الى موسيقى بعيدة عن الكمال يتخلّلها صرير وتشويش. فالاسطوانة التقليدية ترتكز على مسمار يحك أخدوداً!"

أمّا ثورة الاسطوانة الصغيرة فلها وجهان: لقد جاءت بنوع جديد من الاسطوانات وأوجدت جهازاً جديداً لاستنطاقها. ففي هذه الصناعة تعتبر الاسطوانة "ناقلا للصوت،" أي انها جسم يحمل "إشارات" يمكن جهاز الاستنطاق (الفونوغراف) قراءتها وتحويلها أصواتاً عبر مكبر للصوت. والاسطوانات المطولة تحقق ذلك بابرة ذات رأس من ألماس أو ياقوت تسلك أخدوداً، أما آلة التسجيل فتحدث على الشريط أشكالا من ذرور أوكسيد الحديد تمكن قراءتها مغناطيسياً. وأما نظام الاسطوانة الصغيرة فيحقق ذلك بطريقة فعّالة الى أبعد الحدود، وذلك بأن يحفر على ناقل الصوت سلسلة من ندوب يقل عرضها عن جزء من ألف من المليميتر. وكل سبعين ندبة يمكن ادخالها شعرة انسان أو أخدوداً واحداً من أخاديد اسطوانة مطولة.

هذه الموسيقى التي هي في شكل رموز تتم قراءتها بواسطة "إبرة" لايزر تركز أشعتها بدقة. وما دامت الندوب محفوظة داخل جسم بلاستيكي صلب، وبما أن لا احتكاك مادياً بين الابرة والاسطوانة،

(١) المطوّلة (Long-playing record) اسطوانة فونوغرافية تدور ٣٣ دورة وثلث دورة في الدقيقة.
(٢) الاسطوانة الصغيرة Compact Disc

Photo: Philips Classics Productions

فالصوت يصل اليك صافياً من دون أي صرير. واذا صادف أن مرّ شعاع لايزر على ذرّة غبار أو أثر بصمة أو خدش، فان ذلك لا يؤثر في الصوت بفضل نظام آلي لتصحيح الأخطاء، وهي عملية لا تشعر بها الاذن البشرية.

وعلى رغم الاسطوانة الثورية و"ابرة" اللايزر، فالنظام الجديد لا يزال يستخدم مكبرات الصوت التقليدية. وحده جهاز الفونوغراف ينبغي ابداله بآخر يتميز بعين لايزر ثاقبة تفك رموز خمسة مليارات ندبة موجزة في الاسطوانة الواحدة، وتسمعك موسيقى موزار وأغاني مادونا.

الثورة الاخيرة التي حققتها "فيليبس" في صناعة الالكترونيات المعدة للاستهلاك التجاري العالمي كانت عندما اخترعت الكاسيت الصغيرة(٣) في العام ١٩٦٣. والآن حققت ثورة جديدة باختراع الاسطوانة الصغيرة، وهي تبيع من هذه الاسطوانات وأجهزتها جميع الكميات التي تنتجها. وثمة ١٢ مليون عاشق للموسيقى أقبلوا على الاسطوانات الجديدة من دون رغبة في العودة الى الاصوات البدائية القديمة.

زواج فيغارو – شهدتْ حديثاً ولادة اسطوانة صغيرة حَوَت تسجيلا لأهم ما تضمنه فهرس الموسيقى الكلاسيكية الذي أنتجته "فُيليبس انترناشونال" عام ١٩٨٦، وهو أوبرا "زواج فيغارو" التي يعتبرها كثيرون أفضل ما وضعه موزار.

بدأت المغامرة في كنيسة القديس يوحنا التي تقع على مقربة من ساحة البرلمان في لندن. وخلف مجموعة مكبرات صوت سوداء وفضية جلس عازفو الاوركسترا في أكاديمية سانت مارتن البالغ عددهم ٤٥ بقيادة نيفيل مارينر. وبصفته مؤسس الاكاديمية، منح مارينر حديثاً ميدالية لما قدمه من مآثر في مجالي الموسيقى والفنون.

ضمّت الاوركسترا عدداً من مشاهير المغنين في العالم: البلجيكي خوسيه فان دام ادى (غناء طبعا) دور فيغارو، في حين ادت الامريكية بربارة هندركس دور سوزانا عروس فيغارو. وضمّت الاوركسترا أيضاً الايطالي روغيرو ريموندي والتشيكوسلوفاكية لوسيا بوب واليونانية أنياس بالتسا والبريطاني روبرت لويد.

وعلى مقربة من الجدار الخلفي للكنيسة وضعت الأجهزة التي التقطت أصوات الاوركسترا خلال جلسات التسجيل على مدى ١٢ يوماً. كانت هناك أجهزة تسجيل رقمية ذات ٢٤ مسلكاً، ووحدات للتحكم من بعد. وحدها الأضواء المتقطعة والاشرطة التي تدور دلّت على أن الأجهزة كانت تعمل. وخلف هذه الآلات الفائقة التطور غرفة مراقبة عازلة للصوت لازمها اختصاصيون لمعالجة المشاكل التي اعترضت سير العمل.

كان البريطاني إريك سميث، وهو مدير قسم الفن والمسرح في شركة فيليبس ومركزه في بارن بهولندا، يعمل على انتاج أوبراه السبعين في الشركة. وجلس أمام مكبرين للصوت في غرفة المراقبة، وبدا غير واع للأشرطة السود التي تملأ معظم أرض الغرفة والموصولة بأجهزة رقمية

(٣) Compact Cassette

تنبعث منها أضواء متقطعة. نص أوبرا "زواج فيغارو" على قدميه وفي يده قلم، وهو يتابع أدق التفاصيل التي تبلغه عبر المذياع. وقد قطع العرض بكياسة غير مرة ليتشاور هاتفيا مع مارينر من أجل خفض أصوات آلات الكمان أو تعديل ارتفاع صوت الابواق.

ازعاج موزار - الكمال التقني مهما بلغ لا يولد انتاجاً يعادل عبقرية موزار. ويقول سميث: "ينبغي لي دائماً أن أكون ذا احساس. لا يمكنني أن أكون ناقداً الى درجة أفقد معها العاطفة، فثمة جزء في الفصل الثالث من اوبرا فيغارو رائع الجمال بحيث يحرّك مشاعري فتنهمر دموعي. وإذا سمعت هذا الجزء من دون ذرف دموع فاني أعرف أن ثمة خطأً ما."

والى جانب سميث جلس كبير مهندسي معادلة الاصوات في شركة فيليبس ويدعى هانس لوترسلاغر (٥٤ عاماً) من هولندا. وأمامه جهاز لمزج الاصوات ينطوي على ٤٠ قناة، وهو جهاز الكتروني يدمج الاصوات الآتية من ٤٠ مكبراً للصوت في ٣٤ مسلكاً، بعضها لمغنّ منفرد وبعضها لمجموعة صغيرة من الآلات الموسيقية. وفي متناول أصابع لوترسلاغر ٤٠ خافتاً للصوت يتحكم كل منها بمذياع واحد. هذه الخافتات تسمح له برفع الصوت أو خفضه من هدير صامّ الى صمت مطبق. أمّا السيطرة على القنوات الاربعين هذه والتلاعب بها ففيها الفارق بين التقني العادي والفنان.

وبصفته مهندساً لمعادلة الاصوات(٤) كان لوترسلاغر يلاحق لحظة فلحظة أصوات الآلات الموسيقية الخمس والاربعين اضافة الى أصوات الكورس والمغنين. كان يمزج الاصوات في تناسق تام يلائم عمل موزار ويعادل مكانة الاسطوانة الصغيرة. ومهما تكن نوعية المؤلف والاوركسترا وقائدها والمغنين، فسيعاني العمل بعض الشوائب في غياب أذنين مرهفتين لمهندس معادلة الاصوات.

يقول سميث: "بعض الناس اشتكى من أن للاسطوانات الصغيرة صوتاً "بارداً". لكن تلك مسألة تعود الى أنواع مكبرات الصوت وطريقة توزيعها واستعمالها. انها مهنة في منتهى التعقيد."

ويلاحظ مارينر: "إن الاسطوانة الصغيرة تنسخ الصوت بدقة تحبس أنفاسك. لكنها خلافاً للاسطوانات القديمة تظهر كل خلل أيضاً." إنها تلتقط الاصوات على نحو مرهف الى درجة أنها قد تلتقط اصوات السيارات وزقزقة العصافير خارج غرفة التسجيل أو حتى صوت أنفاس قائد الاوركسترا. وأنا واجهت حرجاً عندما نبهني مساعد سميث في فترة الاستراحة الى صوت أحدثته عندما نزعت غطاء قلم الحبر. لقد سبّبت ازعاجاً لموزار عن بعد ٣٠ متراً!

أسر الموسيقى - التسجيل الذي يتطلب هدوءاً زائداً كان يجرى في المساء عندما تخف حركة السير في الخارج وتتوقف أصوات مطارق البناء

(٤) Balance engineer

ويغيب هدير الطائرات التي تحلق على علو منخفض، كذلك أصوات الرعد. وعندما ينتهي العمل على خير ما يرام كان مهندسو التسجيل يحزمون ١٧ بكرة "أصليّة" تساوي عشرين ساعة من الصوت مسجلة على شريط ممغنط يبلغ طوله ٤٩،٦ كيلومتراً وعرضه بوصة (انش) ويشكّل المادة الاولية لثلاث اسطوانات صغيرة.

وفي الايام العشرة التي تلت استمع سميث الى البكرات الاصلية ونقّى "القمح من الزؤان" مختاراً الأجود. وأتت الخطوة الثانية، وهي اجتماع سميث ولوترسلاغر أمام جهاز مزج الاصوات في استوديو شركة فيليبس في بارن.

تعاون الاثنان لمدة أسبوعين ومزجا الاصوات التي اختارها سميث، وهي عملية تخفض عدد المسالك من ٢٤ الى مسلكين. وفي حين كان لوترسلاغر يضبط عملية المزج برؤوس أصابعه ارتفعت أصوات فجأة من حيث لم يدرِ واختفت بسرعة. بعدئذٍ أرسلت أشرطة لندن الى مصحح ماهر عمل بمساعدة آلة الكترونية "ذكية" على انتاج ثلاثة أشرطة رقمية.

ثم انتقلت العملية الى هانوفر حيث "بنت" بوليغرام، وهي فرع من فيليبس، المصنع الاول في العالم لانتاج الاسطوانات الصغيرة، بعدما زارها آرو في أغسطس (آب) ١٩٨٢. وفي هذه المرحلة تلقى مسألة التلوّث اهتماماً بالغاً، لذلك تُعزل كامل المساحة المخصصة لطبع الاسطوانات. وهناك عمال تلقوا تدريباً عالياً ويلبسون بذلات تغطي أجسامهم تماماً، يعملون في مكان محاط بجدران زجاجية حيث ضغط الهواء أعلى قليلا مما هو في الخارج، ما يمنع تسرّب جزيئات ملوّثة الى الداخل.

وبغية نقل الاشرطة الأساسية الى ثلاث أسطوانات زجاجية أساسية، يجري صقلها وتغليفها بمادة مقاومة للضوء، فيطلق مسدس لايزر ليخطّ بدقة الندوب المتناهية في الصغر التي تنسخ الرموز المرقمة. بعدئذ تنتج نسخ صلبة عن الاسطوانات الزجاجية تطبع عنها نسخ تجارية للاسطوانة في شكلها النهائي.

ان البلاستيك الصلب الذي طبعت عليه أوبرا فيغارو غطي بطبقة رقيقة جداً من ذرور الالمنيوم، بهدف توفير السطح العاكس الذي ستقرأ فيه "إبرة" اللايزر الثاقبة لدى وضع الاسطوانة في الفونوغراف. وبعدما وضعت طبقة نهائية من ورنيش اللك اصبحت الموسيقى أسيرة الاسطوانة الى الأبد.

بفضل الاسطوانات الصغيرة ستُسمع موسيقى موزار كما لم تسمع من قبل، وكأن المستمعين أنفسهم هم في قاعة العزف.

رودولف شلمنسكي ■



اذا دفع لك أحدهم ما عليه نقداً هذه الايام، سارعت الى الشك في انه لا يملك حساباً مصرفياً.

ج. أ.

الحب الذي يعطي كل شيء
ولا يطلب شيئاً ليس دليل عافية،
لكنه شائع الى حد أن كثيرات
يفترضن أنه الحب الصحيح

التمادي في الحبّ يورث التعاسة

في الرواية الخرافية "الحسناء والمسخ" تلتقي فتاة شابة وحشاً مخيفاً. وبغية إنقاذ عائلتها من غضبه توافق على العيش معه. ولكن بعد أن تعرفه عن قرب تتغلب على نفورها منه، حتى انها تقع في حبّه. حينئذ تحدث أعجوبة فيعود المسخ أميراً كما كان.

يبدو أن الرواية تهدف الى تأكيد افتراض علمي مفاده أن في امكاننا إحداث تغيير في الانسان نحو الأفضل، وذلك من خلال القوة التي يتسم بها حبنا، ولاسيما الاناث منّا، لأن ذلك من واجبهن.

عندما تكره المرأة جوانب أساسية كثيرة في ميزات الرجل وقيمه وتصرفاته، لكنها تتحملها ظناً منها أنها لو أبدت ما يكفي من الحب فسيسعى الرجل الى تغيير ما لا تحبّه، فانها تتمادى في حبها.

ولقد عرفتُ ظاهرة "التمادي في الحب" كواحدة من مظاهر الفكر والمشاعر والسلوك، بعد سنوات عدة من عملي مستشاراً لمدمني الكحول والمخدرات. بعض المرضى الذين قابلتهم نشأوا في عائلات اشتدت فيها الخلافات، ومعظم أوليائهم أيضاً ربوا في عائلات عصفت فيها الخلافات. وبغية التماشي مع زملائهم المدمنين، كان هؤلاء يعيشون مجدداً أوجهاً بارزة من طفولتهم.

زوجات المدمنين وصديقاتهم كشفن حاجتهن الى الشعور بالتفوق والمعاناة في الدور "الانقاذي" الذي يؤدينه. وقد أظهرن التأثير العميق الذي تركته خبراتهن الطفولية في علاقاتهن بالجنس الآخر.

وليست النساء وحدهن من يتمادين في الحب، إذ ان بعض الرجال يفعلون ذلك بحماسة توازي حماسة النساء، ويكون شعورهم وليد تجربة عاشوها في

طفولتهم. ومع ذلك فان معظم الرجال الذين خبروا طفولة مضطربة ينزعون الى عدم إقامة علاقات وثيقة. وبسبب تفاعل بين عوامل ثقافية وأخرى بيولوجية، يحاولون عادة حماية أنفسهم وتجنب المعاناة فيكبّون على العمل والرياضة وممارسة الهوايات.

[illegible] – إنّ ملايين النساء يخترن أصدقاء وأزواجاً يتصفون بالقسوة واللامبالاة والأذى وفقـدان العاطفـة والادمان، أو يكونون غير قادرين على الحب. وما من امرأة تتمادى في الحب مصادفة، ولا مصادفات في الزواج. وعندما تظن امرأة أنه "كان عليها الزواج" برجل معين، أو تدّعي أن زواجها جاء وليد نزوة أو أنها كانت صغيرة جداً فلم تعِ ما أقدمت عليه، فمن واجبها أن تبحث عن السبب الذي حداها على اختيار ذلك الرجل. فهي أختارته، وان يكن من دون وعي، وكانت لديها في الغالب معلومات وافية عنه.

ثمة نساء كثيرات يرتكبن خطأ البحث عن رجل من دون تعزيزِ العلاقة أولا مع أنفسهن. فما من أحد يمكنه أن يحبنا الى درجة اكتفائنا ما لم نحب نحن أنفسنا. وعندما نفتش عنِ الحب وقت نشعر بالفراغ، لا يسعنا إلاّ أن نقع في مزيد من الفراغ.

فلنأخذ قضية بيغي، وهي أم مطلقة لها ابنتان:

انفصل أبي عن أمي قبلِ ولادتي. فاضطرت أمي الى العمل وتولّت جدتي لأمي العناية بنا. كانت جدتي قاسية جداً وتردد علينا دائماً أننا لا نصلح "لشيء أبداً." وملاحظاتها تلك جعلتني واختي نعمل بجد لنثبت جدارتنا. ولم توفّر لنا أمنا الحماية وكانت تخشى أن تتركنا جدتي فلا يبقى أحد للعناية بنا. وأذكر أنني كنت أحاول اصلاح ما يتعطل في البيت لتوفير بعض المال وإثبات جدوى وجودي.

تزوجت وأنا في الثامنة عشرة من عمري بعدما التقيت زوجي في المدرسة الثانوية. وفكرت: "انه متهور أهوج وفي امكاني ترويضه." ومضيت في اصلاح الاعطال في البيت. ولازمني الشقاء منذ بداية زواجي، لكن خمس عشرة سنة مضت قبل أن أستنتج أن الشقاء سبب جيّد للطلاق.

بعد الطلاق التقيت بيرد. كان طويل القامة جذاباً، لكنه يفتقر الى اظهار عاطفته. وأذكر أنني فكرت آنذاك: "انه أكثر الرجال الذين التقيتهم أنـاقة وكبرياء. أراهن أن في امكاني تحريك عواطفه." لكننا لم نتمتع قط بأوقات طيبة معاً، إذ كان هناك دوماً خلل وكنت أحاول اصلاحه باستمرار. وهكذا دام زواجنا شهرين.

لم تشعر بيغي أبداً بأنها موضع حب. كانت حاجتها قوية جداً الى طي صفحة الماضي بكل سلبياته والفوز بمحبة مَن لم يستطيعوا منحها المحبة، مثلما حدث مع الرجل الذي وجدته بارد العواطف وغير مبال فشعرت بميل فوري اليه. انها في رأيها فرصة أخرى لتحويل رجل لا يحب رجلا يظهر لها الحب في نهاية المطاف. وعندما ارتبطا بالزواج حاولت جاهدة

تحقيق أمنيتها على رغم ما سببه ذلك من تحطيم لحياتها. فحاجتها الى اصلاحه - واصلاح أمها وجدتها اللتين يمثلهما - كانت قوية جداً.

الوقوع في التجربة - إن الأوجه الرئيسية للحقيقة يتم انكارها في العائلات التي تعاني اختلالا وظيفياً، وتبقى الادوار جامدة. وهذا من شأنه إضعاف تطور أساليب حياتنا. والنساء اللواتي يتمادين في الحب يتميّزن بتلك الأساليب الضعيفة. انهن يصبحن عاجزات عن تمييز ما اذا كان شخص أو شيء ما صالحاً لهن. انهن لا ينفرن من الامور الخطرة والاشخاص المتعبين الذين يتجنبهم الناس عادة، لأنهن لا يثقن بشعورهن. وعوض ذلك ينسقن الى الخطر والتحديات التي يتجنبها الآخرون فيلحق بهن الاذى لأن معظم ما انجذبن اليه هو صورة لما عايشنه في ماضيهن. فيقعن في التجربة من جديد.

فلنأخذ قصة كلود وهي فتاة جامعية في الثالثة والعشرين من عمرها:

عندما كنت صغيرة كان أبي يضرب امي ويضربنا جميعاً نحن الصغار. وأظن أنه أقنعنا بأننا نستحق الضرب. لكنني وثقت بأن امي لا تستحقه، فكنت أتمنى دوماً أن يضربني بدلا منها. كنت أعلم أن في امكاني تحمّل الضرب، ولم أكن اكيدة أن في استطاعتها هي تحمّله. أردنا كلنا أن تتركه أمي، لكنها لم تفعل. وكنت دوماً أريد أن أمنحها ما يكفي من الحب لتشعر بالقوة وتترك والدي. لكنها لم تفعل ذلك أبداً. لقد توفيت قبل خمس سنوات بداء السرطان، ولم أتكلم مع أبي قط منذ المأتم.

والتقيت روي في أحد صفوف الرسم. وذات يوم بدأ يتكلم على النساء قائلا انهن فاسدات ويستغللن الرجال. كان متهكماً في كلامه ففكرت: "انه مجروح الفؤاد فعلا." وبدأت أحاول أن أبرهن له أن النساء لسن كلهن على هذا المنوال.

وخطبنا بعد أقل من شهرين. وفي غضون أربعة أشهر كنت أدفع ايجار بيته ومعظم فواتيره. لكنني واصلت المحاولة لسنتين أخريين لاثبت له أنني لن أؤذيه وأنه موضع حب. ونالني أذى أثناء محاولتي تلك، عاطفياً في بادىء الأمر ثم جسدياً وشعرت طبعاً أن الخطأ خطأي أنا أيضاً.

ثم التقيت صديقة سابقة له سألتني على الفور: "هل يضربك؟"

وتكلمنا لفترة طويلة، ثم اقنعتني الصديقة بمرافقتها الى جماعة تعنى بالعلاج النفسي فأنقذت حياتي. النسوة اللواتي اجتمعت اليهن كن مثلي، وهن تعلمن منذ طفولتهن تحمّل آلام لا تطاق.

مغزى الرواية - من المحتّم أن يحمل الاولاد الذنب واللوم الناجمين عن مشاكل خطيرة تؤثّر في عائلاتهم. فقدرتهم التي يحلمون بها تجعلهم يظنون أن في استطاعتهم تغيير واقع الحال.

إن امرأة تمارس الرفض والسيطرة ستنجرّ الى مواقف تتطلب مثل هاتين المزيتين. فالرفض الذي يبقيها بعيدة عن واقع ظروفها ومشاعرها سيؤدي بها الى علاقات محفوفة بالصعوبات. حينئذ

تعمد الى توظيف جميع قدراتها بهدف المساعدة وجعل الموقف مقبولا مع رفضها الاقرار بحراجته.

ليس سهلا أو مريحاً لنا أن نعتبر التصرف البعيد عن حب الذات والجهود الرامية الى المساعدة، محاولات للسيطرة وتغيير الآخرين. وعندما ننجز لأحدهم عملا يمكنه أن ينجزه بنفسه، أو عندما نحضّ شخصاً آخر ليس ولداً صغيراً وننصحه ونذكّره وننذره ونداهنه، فهذه في الواقع محاولة للسيطرة. فنحن نأمل انه اذا كان في امكاننا السيطرة عليه ففي امكاننا حينئذ السيطرة على شعورنا حيث تتلاقى حياتنا وحياته. بالطبع، كلما اجتهدنا في محاولة السيطرة عليه قلّت قدرتنا.

فما هو إذاً المغزى من رواية "الحسناء والمسخ"؟ إنه القبول، نقيض الرفض والسيطرة. انه الرغبة في الاعتراف بأن الحقيقة موجودة والسماح لها بالوجود، من دون حاجة الى تغييرها. فالحسناء أحبّت المسخ. وفي الرواية تكمن سعادة تنبع ليس من التلاعب بظروف خارجية أو بأشخاص، بل من انماء سلام داخلي حتى في مواجهة التحديات والصعوبات.

ومن المفارقات أن ممارسة القبول تسمح للشخص الآخر بالتغيّر اذا اختار هو ذلك. فينبغي التذكّر أن الحسناء لم تحاول صنع أمير من المسخ. ولكن بسبب قبولها تحرّر هو ليصبح ذاته المفضّلة.

روبن نوروود ■

التدبير الاخير

زارت مرشدة للتدبير المنزلي مقر جمعية نسائية لتتكلم عن النظافة والنظام. وخلال محاضرتها طرحت سؤالا: "هل منزلك مكان يسوده النظام والترتيب؟ واذا وقع لك حادث، فكيف تكون حال بيتك؟"

وعندما توقفت المرشدة هنيهة ليتسنى للحاضرات أن يفقهن كلامها جيداً، أسرّت احداهن الى صديقتها: "اذا وقع لي حادث فأرجو ان تحرقي بيتي".

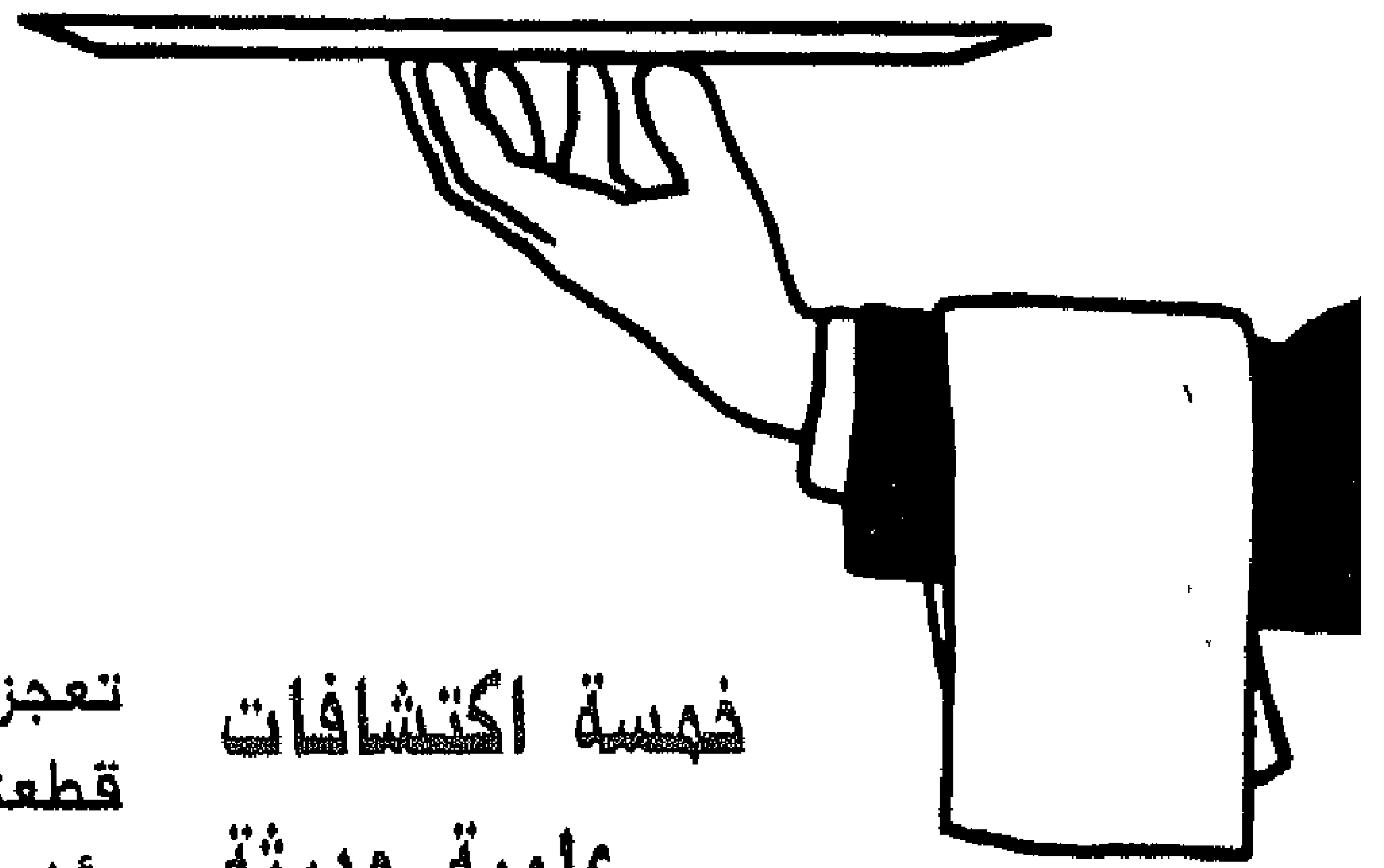
ب.س.

"حَسَن صبي"

كانت لاحداهن طفلة اعتمدت في ملبسها على ما اشترته سابقاً لاخيها الاكبر سناً. لذلك كانت غالبية ثيابها زرقاء اللون. وكثيراً ما التقت الام في السوق نساء كن يمدحن "ابنها" لجمال مظهره، حتى انها عدلت عن تصحيح معلوماتهن وراحت تجيبهن وكأن الطفلة صبي فعلا. وذات يوم أدركت الام انها ليست الوحيدة التي تعاني هذه المشكلة. ففيما كانت تدفع عربة الحوائج في احد المتاجر رأت ما ظنته طفلا صبياً. لكن نظرة فاحصة بينت لها خطأها. فعلى ظهر السترة الصغيرة الزرقاء طرزّت العبارة الآتية باللون الزهري: "تحت هذه الملابس الصبيانية المستعملة تكمن صبية بكل أنوثتها."

ب.ل.

نصائح إلى الذين لا يشبعون



خمسة اكتشافات علمية حديثة تساعدك على محاربة السمنة

انتهيتَ من تناول الغداء، ومع ذلك فما زلت تقضم شيئاً بتأن: اصبع بسكويت مملّح أو قطعة حلوى متبقية. وتعلم أن عليك ألا تفعل ذلك، فقد أكلت ما فيه الكفاية. لكن أمراً ما يشحذ شهيتك.

ما زال الوقت مبكراً جداً لتناول العشاء، ولكن ما ان يدور الحديث حول المأكولات حتى تشعر بالجوع. ويبدو أن سواك قادر على الاكتفاء بالتحدّث عن الطعام، أما أنت فتنسحِب خلسة لتناول وجبة خفيفة.

انك تتبع نظام حمية ينطوي على نسبة قليلة من الكربوهيدرات(١)، لكنك تعجز عن مقاومة رغبتك في التهام قطعتين من الكعك المحلّى بين فينة وأخرى. وأنت تخجل من ضعف ارادتك.

ان التغذية الصحيحة هي، في جزء منها، مسألة ارادة، الا أن الامر لا يتوقف عند هذا الحدّ. فقد أظهرت دراسات عدة أن الكثير من العوامل العاطفيّة والبيوكيميائية تتحكم بالشهيّة، والخبراء في صدد استكشافها. وقد اخترنا من بين التحقيقات الكثيرة حول أسرار التغذية، خمسة تعتبر الأكثر ادهاشاً. وربما غيّر مضمونها طريقة تفكيرنا في الاكل والافراط في الأكل والحمية والتمارين الرياضية.

(١) المضغ والاجهاد.

الدكتوران جون مورلي وآلن لفين باحثان في المركز الطبّي لادارة قدماء المحاربين

(١) الكربوهيدرات تشمل المواد السكّرية والنشوية.

في مينيابوليس بولاية مينيسوتا. وهما سألا بضع مئات من الاشخاص عن تغيّر عاداتهم الغذائية في أوقات الاجهاد. فأجاب ٤٨ في المئة منهم أنهم يأكلون أقلّ من العادة، ولم يلحظ ٨ في المئة أي تغيُّر، بينما اعترف ٤٤ في المئة منهم أنهم يفرطون في تناول الطعام. وأشار بحث لاحق أجري على الحيوانات وعلى البشر، الى أن ما يساعد على تخفيف التوتر ليس المعدة الممتلئة ولا مذاق الطعام، وانما عملية المضغ فحسب.

ويحاول الباحثون حالياً انتاج قطعة غذائية للمضغ تكثر فيها الالياف وتنخفض الوحدات الحراريّة، يقضمها المرهقون المفرطون في الاكل. وفي انتظار ذلك يقول الدكتور مورلي ان مرضاه وجدوا في عيدان الجيلاتي (آيس كريم) الخشبية بديلا مفيداً، اذ ان اللبان (العلكة) غير صلب كفاية.

② التماس النكهة.

في المركز الطبّي لجامعة ديوك في دورهام شمال كاليفورنيا، أجرت سوزان شيفمان "اختبارات عمياء"(٢) للتعرّف الى مذاق الاطعمة من دون رؤيتها. وقد أبدى أكثر من ٦٠ في المئة من مرضاها البدينين مهارة كبيرة في التعرّف الى مختلف المذاقات.

وتعلّق شيفمان على ذلك: "اني متأكدة من وجود صلة بين حاسّة الذوق الحادّة والتوق الشديد الى الطعام النكِه. ويحتاج كثير من ذوي البدانة الى التنويع في المذاقات والروائح والتركيبات أكثر من الاشخاص النحفاء. واذا هم حُرموها فانهم لا يكفّون عن التهام الطعام من دون أن يشعروا بالشبع."

وترغب شيفمان في توفير المزيد من النكهة والروائح العطرية في الاطعمة المعروضة في المتاجر، وهي تعمل مع أصحاب المصانع على تطوير ذلك، فتشرح: "تحتوي الخسّة على بضع وحدات حراريّة ولكن على نكهة خفيفة جداً. لذلك يضاف اليها الزيت الذي يعزّز مذاقها ورائحتها، لكنه يزيد عليها الكثير من الوحدات الحراريّة. ويمكننا إضفاء النكهة من دون اضافة الزيت اذا استعملنا مادة منكهة." وحتى ذلك الحين تنصح سيفمان بتعويض الحمية غير النكهة بأطعمة تسحق بصوت طاحن. وتتابع: "استعملوا المزيد من الألوان، قطعوا الجزر أشكالا مختلفة، أضيفوا التأثير الحسّي!"

وتنصح أيضاً بمضغ الطعام على نحو تام ممّا يضفي المزيد من النكهة على اللسان. ويساعد تنويع الاطعمة في كل وجبة على مقاومة السأم أيضاً، فيشبَع أصحاب الذوق الحسّاس التوّاقون الى النكهة اذا تناولوا لقماً منفصلة من الطون والخبز والبندورة (الطماطم) أكثر ممّا لو تناولوا شطيرة لكل قضمة منها المذاق نفسه.

③ الاستجابة البالغة لدى التحدث عن الاطعمة:

"يزيد وزني بمجـرّد التفكير في الطعام."

قد لا يكون هذا التذمّر الشائع بعيد الاحتمال. فقد وجد الباحثون أن بعض

(٢) Blind taste tests

الناس شديدو التأثر بالتلميحات الى الطعام التي تنشأ من رؤية الاطعمة وشم روائحها ومن تخيّلاتهم الخاصّة. والعالمة النفسانية جوديث رودان من جامعة يال في نيوهافن بولاية كونتيكت تسمي هؤلاء "مستجيبين مفرطين."

وفي احدى التجارب على أشخاص لم يتناولوا طعاماً منذ ١٨ ساعة، وضعت رودان أمامهم قطعة لحم "ستيك" تصدر هسيساً في مقلاة وتنشر عبيرها. فشعر الجميع بالجوع من دون استثناء. لكن فحوص الدم كشفت أن كمية "الانسولين" زادت على نحو ملحوظ في أجسام المستجيبين المفرطين، والانسولين مادة كيميائية مرتطبة بالشهيّة.

والعالم النفساني وليم جونسون من المركز الطبي في جامعة مسيسيبي أجرى تجارب مماثلة. فطلب من عدد من الاشخاص أن يغمضوا أعينهم ويتخيلوا أنهم يأكلون طبقهم المفضّل. فتبين له أن نسبة الانسولين في الدم تكون أثناء ذلك أكثر ارتفاعاً لدى بعض البدينين منها لدى اصحاب الوزن الطبيعي.

واستنتج العالمان رودان وجونسون كلاهما أنه، كما تعلّمت كلاب بافلوف (٣) افراز اللعاب لدى سماعها رنين الجرس، تعلم البعض منّا زيادة مستويات الانسولين وبالتالي زيادة الشهيّة لدى رؤية الطعام أو التفكير فيه. ويورد جونسون في نظريته: "قد تتوصل الى ابطال هذه الاستجابة اذا أبدلت رد الفعل القاضي بتناول الطعام برد فعل آخر. أمشِ سريعاً مثلا أو اشرب الماء حتى يكفّ تخيّلك عن احداث دفق الانسولين."

٤ قضية الكربوهيدرات.

تخبرنا جوديث وورتمان، الاختصاصية بحالات البدانة في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا في كامبريدج، قصة امرأة نعتها طبيبها بأنها "غير ناضجة" لأنها تغشّ في نظام حميّتها بالتهام الكعك المحلّى. ولا تعتبر وورتمان هذه الهفوة خللا في الشخصيّة، لان دراساتها بيّنت أن لدى بعض الاشخاص اشتهاء خاصاً للكربوهيدرات سببه بيولوجي. وفي احدى التجارب في المعهد سمح للمتطوّعين البدينين باستعمال آلات خاصّة ببيع وجبات خفيفة (سناك) غنيّة بالبروتيينات وأخرى غنيّة بالكربوهيدرات، لكنها تتعادل في وحداتها الحراريّة. وتجاهل متبعو الحميّة شطائر اللحم والجبن مفضّلين الحلوى.

واكتشف الباحثون في المعهد أن تناول الكربوهيدرات يرفع مستوى "السيروتونين"، وهو مرسل عصبي في الدماغ. وتحدث كمية كافية من السيروتونين احساساً بالتخمة فيخمد اشتهاء الكربوهيدرات. وتلاحظ وورتمان ما يأتي في نظام الحمية الذي ينطوي على كمية منخفضة من الكربوهيدرات: "قد تشعر أنك سريع الانفعال أو مهتاج أو تجد صعوبة في النوم أو في التركيز على عملك، وتحسّ اشتهاء شديداً لتناول الكربوهيدرات، وقد يصل بك الامر الى حلم يقظة."

(٣) ايفان بافلوف (١٨٤٩ - ١٩٣٦) فيزيولوجي روسي أجرى اختبارات شهيرة على ردود الفعل اللاارادية لدى الكلاب. منح عام ١٩٠٤ جائزة نوبل للفيزيولوجيا والطب.

وتقترح وورتمان، عوض مقاومة الكيمياء الحيويّة، ادخال قطعة أو اثنتين من الكربوهيدرات يومياً نظام الحمية في أوقات الرغبة الملحّة، وذلك لاطلاق كمية السيروتونين الضروريّة. وقد يفي بهذا الغرض تناول فطيرة هلامية أو الفشار أو البسكويت القليل الملح.

(٥) التمارين الرياضية: الكثير منها أو القليل؟

التمارين الرياضية جزء مهم من أي برنامج لخفض الوزن. فهي لا تساعد فقط على حرق الوحدات الحرارية، بل يبدو أنها تعمل أيضاً على اخماد الشهيّة. وقد عمدت الباحثة بربارة ديكسون - بارنيل من جامعة جورجيا الى جعل نساء متطوعات يؤدين تمارين على دراجات ثابتة ثلاث مرّات في الاسبوع مما يكفي لحرق ٦٠٠ وحدة حراريّة. فوجدَت أن استهلاكهن للوحدات الحرارية ينخفض في أيام التمارين وليس في الايام الاخرى. أما الامر المدهش فهو أن النساء اللواتي اعتمدن سرعة بطيئة لفترات أطول أظهرن انخفاضاً في استهلاك الوحدات الحرارية يساوي ذلك الذي أظهرته الراكبات الناشطات.

وتشير التجارب التي أجريت في مركز العافية في مستشفى ويلينغ بولاية فرجينيا الغربية، الى أن التمارين المتواصلة والخفيفة قد تكون أكثر فاعلية في كبح الشهيّة من النشاطات المرهقة.

وحصل ليونارد ابشتاين من جامعة بيتسبورغ في بنسيلفانيا على نتائج مماثلة في عمله مع الاطفال البدينين. ففي النهاية فقد أطفال ابشتاين وزناً أكبر في ممارسة المشي وتسلّق السلالم مما في الركض وركوب الدراجة، لانهم كانوا يستمرّون في التمرن الخفيف بعد توقّف العدّائين والدرّاجين عن نشاطهم. وهو يؤكد: "من السهل ادخال هذه التمارين المعتدلة حياتك."

لا يزال أمامنا الكثير نتعلمه عن تأثيرات التمارين في الشهيّة، الا أننا لا نعرف بعد الاسباب الشاملة التي تدفع بعض الناس الى التهام الطعام لدرء الارهاق بينما يفقد آخرون الرغبة في الطعام الى حد إلحاق الضرر بصحتهم. واذ يتعرّف الاختصاصيّون الى أجهزة الارسال العصبي ويقيسون كمية الانسولين ويدرسون عملية الشبع من الناحية العلميّة، فانهم يستنتجون أن المشي اليومي السريع قد يكون تدبيراً موقتاً مفيداً.

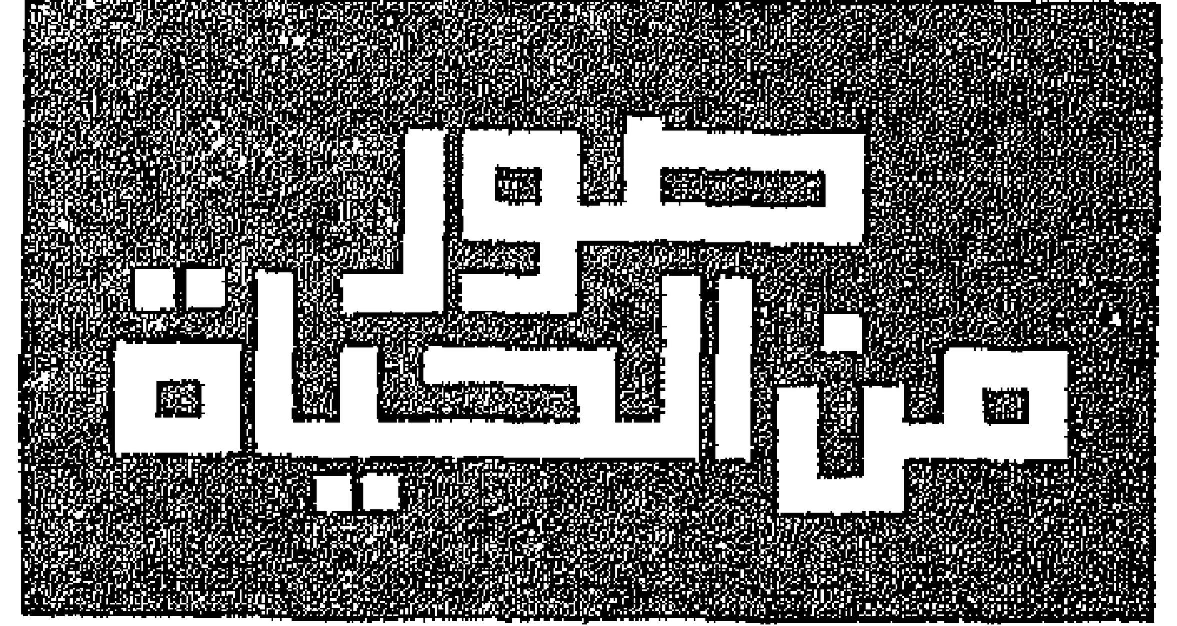
بولا سبان ■



الوجه الزجاجي

حاولت موظفة مراراً حمل الدماغ الالكتروني الذي على طاولتها، على العمل ولكن من دون جدوى. وبعدما عيل صبرها نظرت الى شاشة الآلة وخاطبتها: "لو كان لي وجه زجاجي مثل وجهك لتصرفت على نحو أكثر لياقة."

ب.س.



العودة الى البيت

كتبت سوزان تشيفر في مؤلفها "العودة الى البيت قبل هبوط الظلام" وهو سيرة والدها جون تشيفر:

كان أبي يحب أن يروي قصة عن أخي فريد. حين كان فريد صبياً كنا نقطن في بيت صغير ضمن مزرعة كبيرة تبعد ٤٠ كيلومتراً عن نيويورك.

وذات يوم عند المغيب كان أبي واقفاً أمام البيت تحت شجرة الدردار الضخمة التي تظلل المدخل المرصوف، فعاد فريد من اللعب منهوكاً. وحين رأى أبي واقفاً هناك ركض اليه وألقى بجسده الصغير بين ذراعيه قائلا: "أريد أن أعود الى البيت يا أبي. أريد أن أعود الى البيت."

كان في الحقيقة على بعد خطوات من الباب. لكن ذلك لم يغير من الواقع شيئاً كما أدرك أبي تماماً. وكلما روى هذه القصة كان يقول: "كلنا نريد أن نعود الى بيتنا."

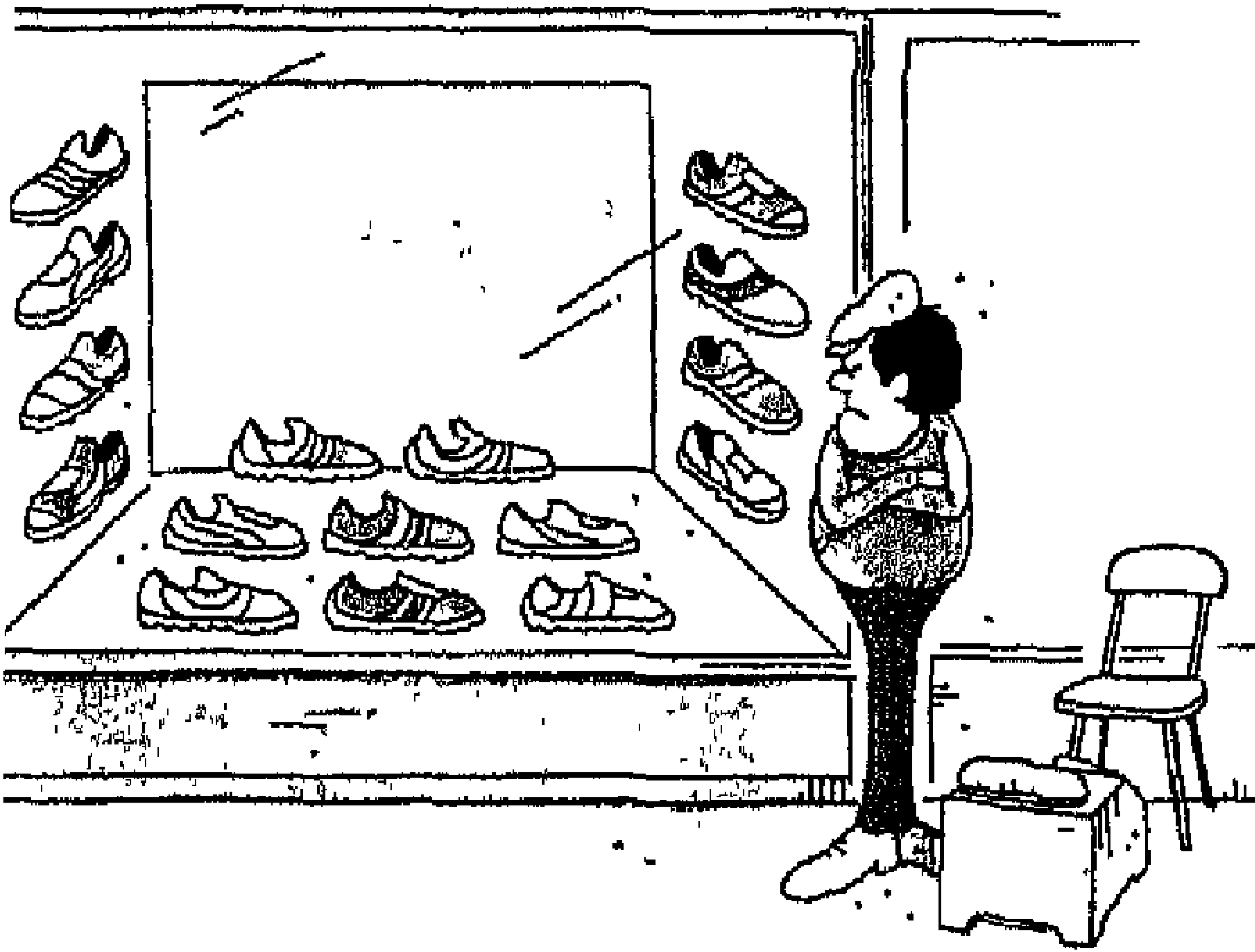
وحقاً كلنا نريد ذلك.

هـ.م.

بضاعة نادرة

تأخر صف الزبائن الواقفين أمام صندوق الحساب في متجر كبير. فقد وقفت في أول الصف امرأة معها توأمان يبكيان، وهي مرتبكة بين تقديم مشترياتها الى امين الصندوق وتهدئة التوأمين في آن. عندئذ تقدم رجل كهل وأخذ يقدم مشترياتها الى الصندوق وهو يبتسم. وعندما انتهى من المهمة نظر الى الطفلين اللذين راحا يتضاحكان وقال للأم: "من فضلك، أخبريني في اي قسم في المتجر يمكنني أن أجد مثل هذه البضاعة النادرة."

ا.م.



حلم أم يتحقق

باتريك يوينغ خريج صيف ١٩٨٥ في جامعة جورجتاون بواشنطن وأحد أعظم لاعبي كرة السلة في الولايات المتحدة. وهو جاء في العام ١٩٧٥ الى كامبردج بولاية ماساتشوستس قادماً من جمايكا، ولم يكن يعرف آنذاك شيئاً عن

انماط الحياة في الولايات المتحدة، بما فيها لعبة كرة السلة. وصممت امه على ان يحصل أولادها على الثقافة ويحققوا أحلامهم، فعملت في مطبخ مستشفى، وتوفيت قبل سنتين.
قاد يوينغ فريق جامعة جورجتاون الى الفوز ببطولة الولايات المتحدة، وفاز بميدالية ذهبية أولمبية. وبعدما وقع عقداً بملايين الدولارات ليلعب مع فريق نيكس النيويوركي أضحى أعلى المبتدئين أجراً في تاريخ الجمعية الوطنية لكرة السلة.
وسئل يوينغ ما هو الانجاز الذي يعتز به أكثر من أي شيء آخر فأجاب: "تحقيق وعد قطعته لأمي بأن أتخرج في جامعة جورجتاون."

أ.هـ.

ذهب التواضع

الرياضية النروجية غريت فايتز أشهر عدّاءة في العالم للمسافات الطويلة. وهي اشتهرت بتواضعها، وتصرّ على وضع جميع الميداليات الفضية والذهبية التي نالتها في أحد أدراج مطبخها. وتقول في ذلك: "اذا وضعت هذه الأوسمة على الجدران، فإن منظر بيتي لا يبقى طبيعياً."

صحيفة "نيويورك تايمس"

ممرضة متمرنة

بدت زوجتي متحمسة جداً لدى بدئها دروس التمريض. وفي الاسبوعين الاولين كان كل من يدخل بيتنا من أنسباء وأصدقاء وجيران يرضخ لطلبها أن تقيس حرارته أو ضغط دمه ولما حان الاسبوع الثالث اختفى الزوار من منزلنا. وسألت زوجتي: "أين هم الأهل والأصحاب؟" فأجابت: "لا بدّ من أن يكون أحدهم سرب خبراً حول تعلمي حقن الابر هذا الاسبوع."

م.ل.

عشّ سيّار

لاحظ صاحب مزرعة أن مدبرة منزله دأبت على الخروج في سيارتها بضع مرات في النهار الواحد. وأثار تصرفها استغرابه فسألها: "الى أين أنت تذهبين؟"
فردت المرأة: "ثمة عصفوران بنيا عشهما على صدامة سيارتي. لذلك أعود الى البيت مرة كل ساعتين حيث ينتظرني أبوا الفراخ لاطعامها. وكم أتمنى أن يُنهيا هذه المهمة سريعاً وتغادر الفراخ عشها."

ج.و.

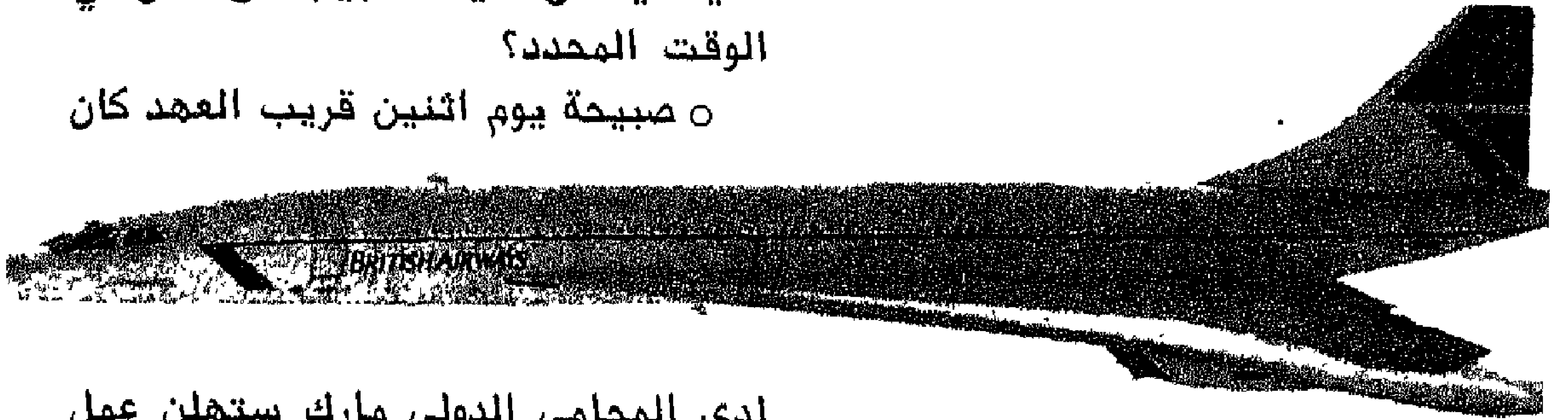
ممثلة واقعية

تعيش الممثلة الهزلية جون ريفرز في ضاحية بل - آر الراقية في لوس انجلس، لكنها تقول انها تستوحي أدوارها الهزلية من حقائق الحياة العادية. فالذي يعطي الاشياء طابعها الفكاهي هو نمط حياة كل فرد منا. "لذلك تراني أنجز جميع الاعمال المنزلية بنفسي، بما فيها التنظيف والغسل. فعليك أن تعيش كبقية الناس وتنفذ الى أعماقهم كي يأتي تمثيلك صادقاً معبّراً."

o الدكتور فيليب ألدرسون في مستشفى جون هوبكنز في بلتيمور بولاية ماريلاند الامريكية جاهز لاختبار تقنية حديثة للتصوير بالأشعة السينية (إكس) باستعمال غاز مشعّ حساس ومأمون يدعى "كريبتون - ٨١م" ويستنشق المرضى الغاز فيما تصور الكاميرا صدورهم.

هذا الغاز الذي حُضّر في بريطانيا يمكن شحنه الى الولايات المتحدة حيث لم يصنّع بعد. ولكن ثمة صعوبة: انه يفقد فاعليته في غضون ثماني ساعات تقريباً. فكيف يحصل عليه الطبيب من لندن في الوقت المحدد؟

o صبيحة يوم اثنين قريب العهد كان



الكونكورد سَندريلا الفضاء

هذه الانثى الانيقة التي ترتدي الابيض تخترق عقدها الثاني بضعفي سرعة الصوت!

لدى المحامي الدولي مارك ستهلن عمل مهم في مكتبه الباريسي. لكن لديه ايضاً في اليوم نفسه اجتماعات عمل مهمة عبر المحيط الاطلسي في مدينة نيويورك وفي ولاية كارولينا الشمالية. فكيف له أن يحضر الى الامكنة الثلاثة؟

o ايان ماكاولي صاحب مقهى شهير في بريطانيا اعتاد أن يأخذ نخبة من زبائنه في نزهة سنوية. وهو رغب في نزهة خاصة هذه السنة، فكيف تكون؟

وجد هؤلاء الثلاثة حلا مشتركاً لمشاكلهم المتباينة: انها "سندريلا" الطيران المعاصر، طائرة الكونكورد الملساء المتأنقة الأسرع من الصوت.

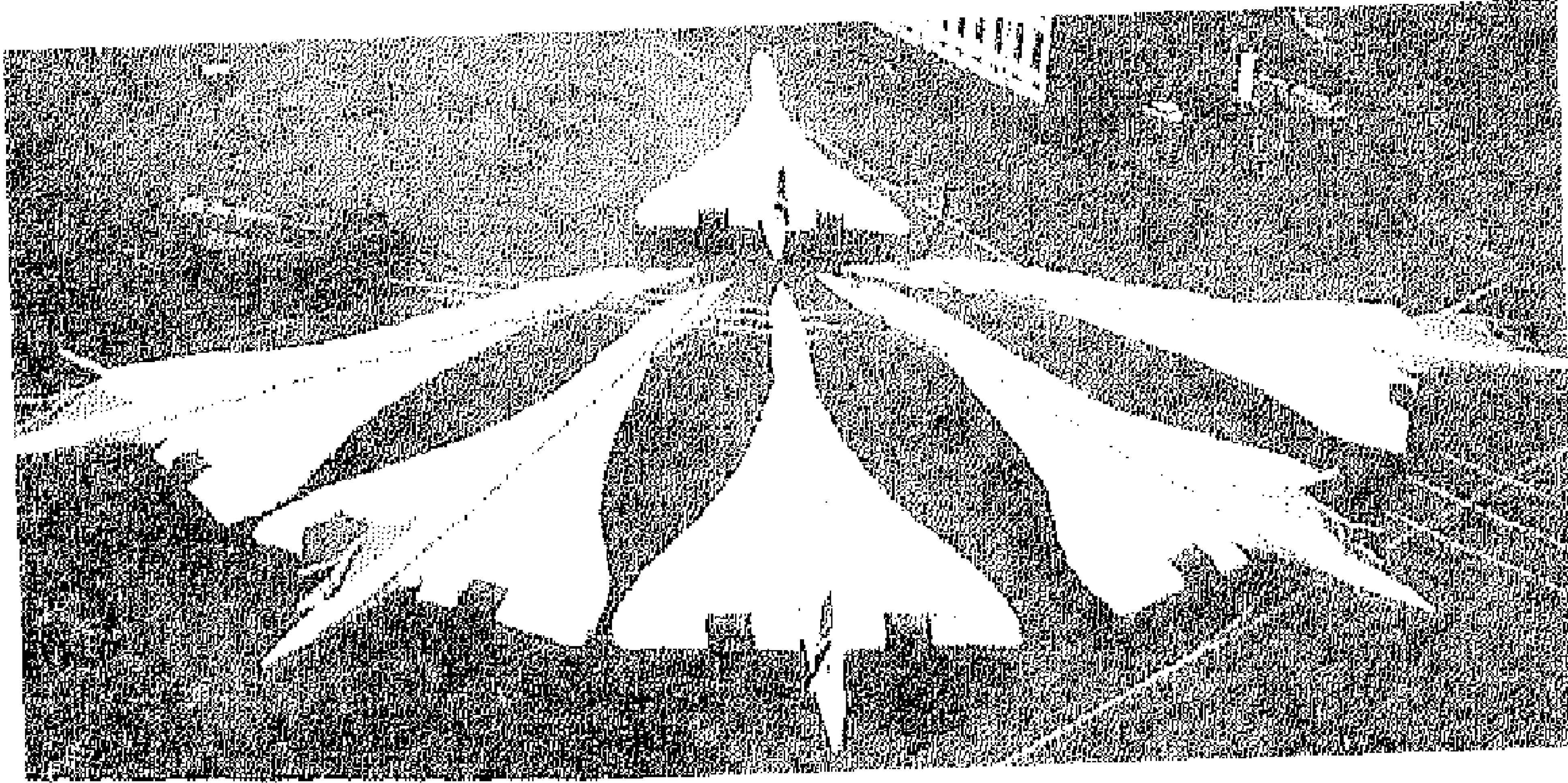
بفضل هذه النفاثة المستقبلية التي طورتها فرنسا وبريطانيا معاً، عبر غاز

Photos: British Airways

الكريبتون – ٨١ م المحيط الأطلسي الى مدينة واشنطن على متن الخطوط الجوية البريطانية في ثلاث ساعات و٤٢ دقيقة. فبقي متسع من الزمن لبلوغ بلدة بلتيمور المجاورة حيث انتظره الدكتور ألدرسون.

وأنهى مارك ستهلن عمله في باريس باكراً، وأدرك طائرة كونكورد تابعة لشركة "آر فرانس" غادرت باريس في الحادية عشرة قبل الظهر ووصلت الى نيويورك في الساعة ٨،٤٥ بالتوقيت المحلي. وهناك انضم الى اجتماع ثم واصل طيرانه الى كارولينا الشمالية لأعمال بعد الظهر.

وفي رحلة خاصة تعد الاولى من نوعها على متن احدى طائرات الكونكورد أحرز ماكاولي نجاحاً مذهلا. وشرب زبائنه نخبه على ارتفاع ١٨ ألف متر فيما هم يحلقون فوق خليج بسكاي في غرب فرنسا بضعفي سرعة الصوت.



طائرات كونكورد تتهيأ للاحتفال بعيدها العاشر في بريطانيا.

الأكثر تطوراً – زبائن سعداء كهؤلاء هم اليوم جزء أساسي من نجاح كونكورد في سنيها العشر الأولى في الخدمة. وعلى رغم الاكلاف الباهظة والمقالات النقدية المبكرة في الصحف والخسائر التجارية الاولية، فإن الكونكورد تحلق الآن في عقدها الثاني ملكة متوجة على الخطوط الجوية المعاصرة. لقد وصفها المنتقصون منها ذات مرة بأنها "فيل أبيض طائر،" لكنها اليوم تدر أرباحاً على الخطوط الجوية البريطانية وعلى "آر فرانس".

فلا عجب اذاً في ان بريطانيا وفرنسا أزالتا كل الحواجز في سبيل الاحتفال بالذكرى السنوية العاشرة لانطلاقة الكونكورد. وفي مطار هيثرو بلندن صدحت فرقة الحرس بالموسيقى فيما حلقت أربع طائرات كونكورد في تشكيل دقيق. وفي مطار شارل ديغول خارج باريس ركب عدد من المصممين الأصليين والمهندسين وطياري الاختبار طائرة كونكورد خاصة تابعة لشركة "آر فرانس" إلى نيويورك للاحتفال بطيرانهم الاسرع من الصوت.

أما رائد الفضاء الفرنسي باتريك بودري، وهو أحد الملاحين السابقين في المكوك الامريكي "ديسكافري"، فقد لخص مشاعر الفريق العامل على الكونكورد: "كلما تتالت السنون غدوت أكثر افتخاراً بانجاز الكونكورد."

وعلى رغم التقنية التي ترقى الى الستينات، فلا تزال الكونكورد الطائرة التجارية الأسرع من الصوت الأكثر تطوراً من حيث السرعة على الأقل.

وقدرتها على الطيران لعدة ساعات بسرعة "٢ ماك"(١) أي حوالى ٢١٠٠

(١) "الماك" (Mach) يساوي سرعة الصوت. و"٢ ماك" هنا تعني ضعفي سرعة الصوت.

كيلومتر في الساعة، لا مثيل لها بعد.

وبحسب قول ميشال لاغورس مدير برامج الطيران المدني في فرنسا: "إن أحدث المقاتلات لا يسعها أن تطير بضعفي سرعة الصوت الا لدقائق."

الساعة الداخلية للكونكورد سجل أمان خال من الشوائب. فهي نقلت اكثر من مليون ونصف مليون مسافر من دون أي حادث كبير. دقة مواعيدها؟ الكونكورد في الخطوط البريطانية تقلع خلال ١٥ دقيقة من برنامجها المحدد في غالب الاحيان. وقد بلغ من دقة مواعيد الكونكورد الفرنسية أن الساكنين تحت خط تحليقها يضبطون ساعاتهم في الحادية عشرة قبل الظهر، توقيت اقلاعها قاصدة نيويورك.

وتظل الكونكورد بلا جدل أجمل الطائرات اطلاقاً. وهي في الجوهر أنثوية، بأنفها المتعجرف المنحني وجناحيها المرتدّين الى الوراء. وحالما تلمحها جاثمة على المدرج، أنيقة وفخمة خلافاً لكثير من الناقلات الضخمة، تدرك أنك في سبيلك الى خوض تجربة فريدة.

انطباعك الأول وأنت على متن الكونكورد هو مدى طول الطائرة وضيقها. طولها ٦٢ متراً أي بطول طائر "بوينغ ٧٤٧" تقريباً، وفيها صف من مقعدين لصيقين على كل من جانبي الممشى.

وإذ تتنامى السرعة الى ١٠٠٠ كيلومتر أو ٢٠٠٠ في الساعة يحس المرء ترنحاً طفيفاً الى الأمام فيما تزداد قوة مضارم المحركات العملاقة ٢٠ في المئة لاختراق حاجز الصوت.

ويروي معظم المسافرين في الكونكورد أنهم يتعرضون لمقدار أقل من التأثيرات السلبية الناجمة عن الانتقال من منطقة زمنية الى أخرى(٢) اذ ان السرعة الفائقة تفرض اجهاداً أقل على "الساعة الداخلية" في الجسد.

ان سعر تذكرة السفر على متن الكونكورد يزيد بين ١٧ و٢٠ في المئة على تعريفة الدرجة الأولى في الطائرات الاخرى. وفي المقابل تقدم اليك الكونكورد إحدى أفخر وجبات الطعام التي يمكن أن تتناولها طائراً. وعند التحليق على علو حوالى ١٨ كيلومتراً ترى منظراً يحبس الانفاس: سماء أرجوانية وتقوس الارض ظاهر بجلاء.

مشروع مشترك - استهل عصر اختراق جدار الصوت عام ١٩٤٧ حين خرق الطيار الاختباري الأمريكي تشاك ياغر جدار الصوت في طائرة "بل اكس - ١" وهي طائرة اختبارية تعمل بالدفع الصاروخي. وحالما تبين أن الانسان قادر على البقاء حياً في سرعات كهذه، بوشر انتاج المقاتلات وقاذفات القنابل الأسرع من الصوت. وبحلول أوائل الستينات قررت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي صنع طائرات "فوق - صوتية" فيما ضمت بريطانيا وفرنسا جهودهما في احدى المغامرات الأكثر جسارة واثارة للجدل في تاريخ الطيران، وعزمتا على التفوق على الجبارين بابتكار نظام للمواصلات "فوق الصوتية."

هل تستطيع بريطانيا وفرنسا حقاً

(٢) Jet lag

انجاز عمل تقني فذ كهذا؟ هل يمكن هاتين القوتين البحريتين المتنافستين منذ القدم أن تحشدا المواهب الهندسية وتقتسما الاكلاف وتعملا معاً لتجعلا أوروبا قوة أساسية في دنيا الطيران المعاصر؟

بادىء الأمر عمد السير جورج ادواردز رئيس الفريق البريطاني الى تحديد مشروع الكونكورد ببساطة: "نحن نهدف الى انجاز مشروع جوي ودقيق بطريقة مباشرة ودقيقة."

ولكن حتى السير جورج بدأت تساوره الشكوك، اذ إنه أقر في ما بعد بأن إدارة المشروع كانت "بغيضة وبطيئة على نحو لا يصدق."

استوجب التصميم موافقة الحكومتين. وشكلت مجموعتان تقنيتان ثنائيتا الجنسية باشراف مجلس بريطاني – فرنسي مشترك. وتم تجميع نصف النماذج الاولية وطائرات الاختبار ونماذج الانتاج في تولوز (فرنسا) في حرم شركة "طيران الجنوب" المعروفة اليوم باسم "آيروسبسيال". فيما عمدت الشركة البريطانية لصناعة الطائرات واسمها اليوم "آيروسبايس" إلى تزويد كل الانصاف المكمّلة من خطوط الانتاج في منطقة فيلتن خارج بريستول وسطرت المواصفات النهائية في اللغتين الفرنسية والانكليزية وبنظامي القياس المعتمدين.

أدمغة الكترونية – بدا أن لدى الكونكورد كل مقومات الناقة التي يضرب بها المثل. لكن السير جورج عقد صلة عمل وطيدة مع نظيره الفرنسي الجنرال أندريه بوجيه، وشرعا معاً في كسر الرتابة الحكومية ومعالجة التحديات التقنية ومنها للمثال الاشكالات الآتية: ما شكل الجناح؟ الجناح العريض أفضل للطيران دون سرعة الصوت فيما الامتداد الارتدادي للجناح هو الافضل للطائرات ذوات السرعات العالية. وفي نظام النقل فوق الصوتي لدى الأمريكيين اعتمد هؤلاء نظاماً يشمل الاثنين، أي نظام الاجنحة المتحركة. أما الحل الوسط الذي تقدمت به الكونكورد فكان تصميم جناح مثلث(٣) وهو ليس نظاماً مثالياً للطيران فوق سرعة الصوت أو دونها، لكنه عملي للاثنين معاً.

وثمة مشكلة أخرى هي التوزيع المتغير لحمولة الوقود الثقيلة والبالغة قرابة ٩٦ طناً مترياً. فالكونكورد اذ تنقل ١٠٠ مسافر تحرق كمية وقود مماثلة لما تستهلكه طائرة "بوينغ ٧٤٧" التي تنقل خمسة أضعاف ذلك العدد من الركاب.

ولابقاء الكونكورد متوازنة أثناء اشتعال الوقود، واذ تنتقل من الطيران دون الصوتي إلى فوق الصوتي أو بالعكس، تم تجهيزها بأدمغة الكترونية لنقل الوقود إلى الخلف والى الامام بين صهاريج الجناح والذيل.

وبما ان الكونكورد تطير بسرعة خارقة تبلغ ٣٥ كيلومتراً في الدقيقة فان الادمغة الالكترونية تبطل ردود الفعل الطبيعية للربان ابتغاء السلامة.

واحدى المشاكل المقلقة كانت أن ضغط الهواء في السرعات فوق الصوتية كبير جداً بحيث يغلق المسارب في

(٣) Delta design

المحركات متسبباً في انسداد مجرى الهواء. وقد استنبط فنيو الكونكورد نظاماً من الالتواءات المعدنية المتحركة التي تتحكم بجريان الهواء الى مسارب المحركات.

وختاما في ٢ مارس (آذار) ١٩٦٩ حلق رئيس طياري الاختبار أندريه توركا في النموذج الاول للكونكورد(٤) ضابطاً السرعة على ٤٦٠ كيلومتراً في الساعة وعلى ارتفاع أدنى من ثلاثة آلاف متر. بعد هذه الرحلة البكر الناجحة ركب توركا وطيار الاختبار البريطاني بريان تروبشو النموذج الثاني المبني في فيلتن، وبدأا يقتحمان الاجواء حتى بلغا تدريجاً سرعات فوق الصوت وارتفاعات شاهقة.

وسميت الطائرة "كونكورد"(٥) وألحق باسمها حرف أخير هو «e» وهو أمر غير مألوف في الانكليزية.

حظر الهبوط – في الآن نفسه واجه الأمريكيون والسوفييت صعوبات في سباق أنظمة النقل الأسرع من الصوت. وتلاشى طموح شركة "بوينغ" الى الطائرات فوق الصوتية حين أوقف الكونغرس الأمريكي تمويل المشروع عام ١٩٧١. وواجهت الطائرة السوفييتية "توبوليف ١٤٤" سلسلة من الصعوبات الفنية وتحطم نموذجها في معرض باريس للطيران عام ١٩٧٣ مشيرة الى بداية نهاية المشروع السوفييتي.

وفيما سجل طيارو الكونكورد أكثر من خمسة آلاف ساعة اختبارية أي ما يفوق ثلاثة أضعاف الوقت الذي اختبرت فيه طائرة "بوينغ ٧٤٧" مضى المهندسون يشتغلون في حل العقد التقنية الأخيرة. وقد استمرت تكاليف التطوير متواثبة، كذلك الأسعار العالمية لوقود الطائرات. وبدأت جوقة من النقاد تضج بالشكوى وبأن الكونكورد ستكون الاخفاق التجاري الاكثر اثارة في التاريخ.

وفي نهاية المطاف، يوم ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٦، قامت طائرتا كونكورد برحلتين متزامنتين، واحدة من باريس الى ريو دو جانيرو بقيادة القبطان بيار شانوان من "آر فرانس"، والثانية من لندن الى البحرين بقيادة القبطان نورمان تود من الخطوط الجوية البريطانية. ويصرح تود: "أذكر ضغطا رهيباً في ركن الطيار. لم يطر الناس في طائرة أسرع من الصوت قبلا، وهم يودون أن يشاهدوا ما يجري. كان من الصعب أن نركز تفكيرنا في العمل، لكننا فعلنا... ووصلنا."

هاتان الرحلتان الاوليان أودتا الى عقبات أخرى، فقد رفضت سلطات الطيران المدني في نيويورك ونيوجرزي منح الكونكورد حقوق الهبوط في مطار جون ف. كينيدي الدولي، معربة عن معارضة واسعة لمزيد من الضجيج. لكن محكمة اتحادية في نيويورك رفعت الحظر في خريف ١٩٧٧، وبدأت الكونكورد تسيير رحلات منتظمة الى نيويورك.

ومع ذلك فان اكلاف الوقود المتزايدة تعني أن ليس في وسع فرنسا وبريطانيا استرداد استثمارهما المشترك البالغ مليارى جنيه استرليني (نحو مليارين

---

(٤) Concorde prototype 001

(٥) Concorde

و٢٨٦ ألف دولار) بزيادة مبيعات طائرات الكونكورد.

وبالفعل فان رحلات الكونكورد الى مدينتي نيويورك وواشنطن ومنهما - وميامي لاحقا - كانت مربحة. وكل الرحلات الاخرى انطوت على خسائر مما استلزم وقفها.

- غير أن الجمهور عشق الكونكورد من فوره. ومهدت التجربة السبيل لاقامة اتحاد صناعي أوروبي اكثر اتساعاً مع ألمانيا الغربية واسبانيا وبلجيكا وهولندا، يهدف إلى بناء طائرات "آرباص" التجارية النفاثة.

وساهمت الكونكورد أيضاً في تقوية الروابط التي مكنت أوروبا من اطلاق برنامج صاروخ "آريان" وتطوير مختبر الفضاء الأوروبي وصنع سفينة فضائية لاستكشاف المذنب "هالي". ونتيجة ذلك غدت القارة الاوروبية اليوم قوة عظمى في مجال الأقمار الاصطناعية التجارية.

والى ذلك بات "الفيل الابيض" ملهماً لعدة مشاريع للقرن الحادي والعشرين. وقد أنجزت "آيروسبسيال" الفرنسية دراسة لطائرة "ابنة الكونكورد" التي تقل ضعفي عدد الركاب وتطير بسرعة ٢،٢ ماك وهي أكثر اقتصاداً في الوقود. كما خصصت الحكومة البريطانية ستة ملايين جنيه استرليني (نحو ٨،٦ ملايين دولار) لصناعة طائرة فضائية سمتها "هوتول"، وهي كلمة أخذت حروفها من أوائل كلمات انكليزية تعني الاقلاع والهبوط الافقيين(٦).

(٦) Horizontal takeoff and landing «HOTOL»

ازاء هذه الطموحات المتنامية تدخل الكونكورد الاصيلة عقدها الثاني في الخدمة، آملة التحليق مباشرة إلى القرن الحادي والعشرين.

لقد أبانت اختبارات الاجهاد المعادلة لعشرين ألف رحلة أن الكونكورد لم تشارف سن الكهولة بعد، وهي ما زالت تجارياً تقدم دلالات على تحسنها بمرور السنين. ففي العام ١٩٨٥ حققت "آر فرانس" أرباحاً من الكونكورد بلغت ٨٠ مليون فرنك فرنسي (نحو ١٢ مليون دولار) وربحت الخطوط الجوية البريطانية أكثر من ٢٠ مليون جنيه استرليني (نحو ٢٩ مليون دولار).

ونتيجة النزهة الطائرة لزبائن ايان ماكاولي كثر تأجير طائرات الكونكورد وانتشر كالفطر مما زاد الارباح السنوية عشرة في المئة. ويعرض البريطانيون والفرنسيون اليوم رحلات سياحية على متن الكونكورد الى مصر تدوم يوماً واحداً لمشاهدة الاهرام، ورحلة ليلية إلى موسكو لحضور حفلة باليه البولشوي. وبين ٥ و٧ ابريل (نيسان) ١٩٨٦ نظمت رحلة فلكية خاصة لمشاهدة المذنب "هالي".

ومـا زال رؤساء فـرنسا يؤثـرون الكونكورد لاضفاء عنصر اثـارة على سفراتهم في زياراتهم الدولية.

وفي الذكرى الخامسة والثمانين لمولد الملكة الام في بريطانيا ماذا كانت الهدية الوحيدة المشرّفة لمناسبة ملكية كهذه؟

انها طبعاً رحلة على جناحي سندريلا الفضاء: الكونكورد.

دونالد وديانا سترتزل ■

آذان الثلاجة ولسان السيارة

كثر الكلام عن كائنات غير أرضية تزور كوكبنا. لكنني لم أول الأمر يوماً الكثير من الاهتمام. غير أنني مقتنع بأننا محاطون بأشياء رهيفة الحس من صنع أيدينا، همّها الوحيد مضايقة الفرد وفي النهاية تحطيم المجتمع.

دعوني أعطيكم مثلاً. قبل سنتين وصلني مبلغ ٦٠٠ دولار كحصة من أرباح شركة التأمين. فجلست وزوجتي إلى طاولة المطبخ نناقش أمر استثمار تلك الثروة الهائلة. وقد أدركت اليوم أن الثلاجة كانت تتنصت إلى حديثنا. ففي اليوم التالي انتابها سعر. واخبرنا عامل الصيانة أنه تلزمنا ثلاجة جديدة... سعرها ٦٠٠ دولار.

وبعد فترة وجيزة حظينا بمبلغ اعادته إلينا مصلحة الضرائب ويكفي لتمويل عطلة في المكسيك.

وهمست في أذن زوجتي: "لدي ما أقوله لك... على انفراد!"

فاقترحت علي: "ما رأيك في غرفة المكتب؟"

وتذكّرت أن جهاز التلفزيون الملون موجود هناك فأجبتها: "كلّا، لنخرج من المنزل."

وأريتها الحوالة ونحن واقفان في الدرب التي تفصل منزلنا عن الطريق العامة. فتعانقنا مبتهجين وغير عابئين بالمطر المنهمر.

وكانت سيارتي متوقفة على مرمى صوت. ولكن لم تراودني في ذلك الحين أي فكرة. وفي اليوم التالي انطلقت إلى محطة القطار، فشرعت السيارة تصدر أصواتاً رهيبة وكأن الذعر أصابها.

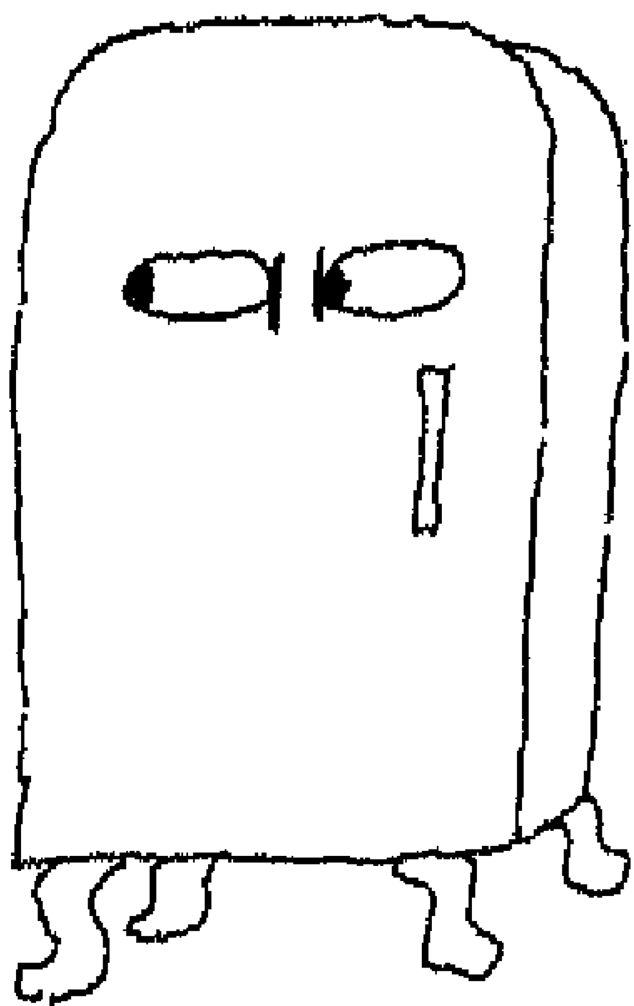
وقال لي الميكانيكي: "لقد تلف المحرّك، ويلزمك ألف دولار لابداله."

أكد لي تعطّل السيارة أنني على شك الاطلاع على سر عظيم. واكتشفت أنه في كل مرّة "وُجد" لنا مبلغ من المال على مدى السنين العشر الماضية، عقبته لا محالة مصاريف مماثلة لابدال سخانة ماء أو موقد أو جهاز تلفزيون.

أما اليوم فتراني أغدق المديح على جميع الاجهزة الميكانيكية في منزلنا. ولا أذكر المكافآت المالية أمامها البتة.

ولكن اذا نُشر هذا المقال وتلقيت أجراً عليه، فان الآلة الكاتبة ستتعطل حتماً. ستعلم بالامر.

جون وو ■



Condensed from New York Times (July 13, '80) © 1980 by The New York Times Co., New York, N.Y.

هذا الرسام العبقري هو مبتكر الدراجة الهوائية والدبابة والغواصة والطائرة المروحية وسواها كثير

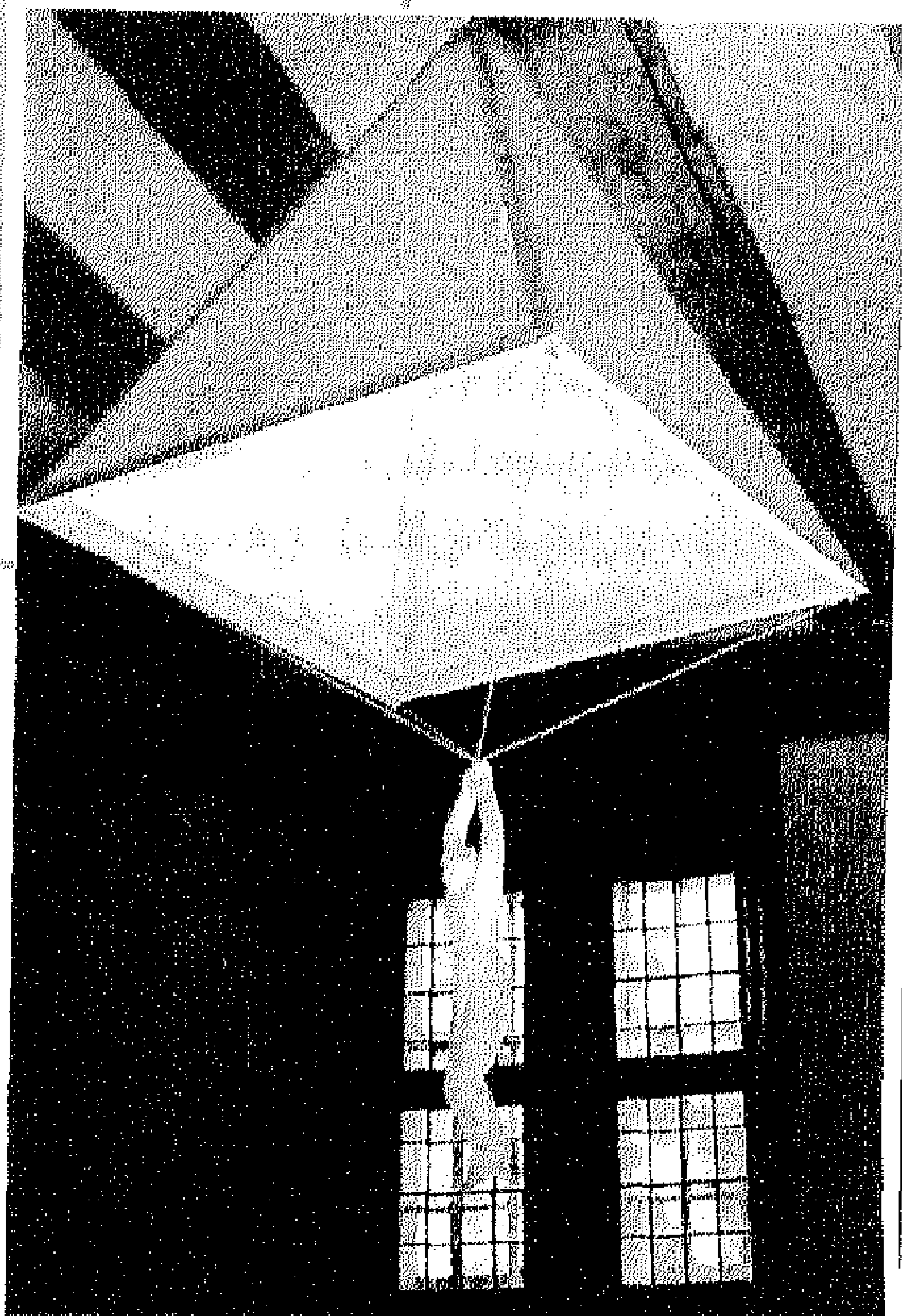
هل تعلم من اخترع المفتاح الانكليزي (الرنش)؟ وعداد المسافات؟ وأول من فكّر في الفانوس السحري الذي يعتبر سلفاً متقدماً للعارض السينمائي (البروجكتور)؟ ومن ابتكر ناقل الحركة؟ وعداد سرعة الهواء؟ لجميع هذه الأسئلة وكثير غيرها جواب واحد: ليوناردو دافنشي، رسام فلورنسا العظيم في عصر النهضة ومبدع "الموناليزا" وأحد أشهر المهندسين العلماء في كل العصور.

ولك أن تتحقق من ذلك لدى زيارتك متحف "كلو - لوسيه" كما يفعل ٧٠ ألف شخص يقصدون بلدة أمبواز في فرنسا كل عام. والمتحف بناء مرمّم مبنيّ بالقرميد الوردي والحجر الابيض عاش فيه ليوناردو أواخر أيام حياته ومات فيه يوم ٢ يونيو (أيار) ١٥١٩. وقد ورد في لافتات ملصقة على جدران أمبواز: "في كلو - لوسيه اخترع ليوناردو دافنشي العام ٢٠٠٠" وعندما تدخل غرف الطبقة الارضية بسقوفها الواطئة ودعاماتها التي تعود الى ٥٠٠ سنة خلت تتيقّن أن ذلك ليس مجرد شعار فارغ. هنا يمكنك ان تتفحّص النماذج المصنوعة طبقاً للتصاميم التي وضعها ليوناردو في مفكراته.

في أوائل العام ١٩٦٠ تولى مهندسو شركة «IBM» في فرنسا صنع هذه النماذج بمواد كان في امكان ليوناردو ذاته أن يستعملها. وكان ذلك عملا دقيقاً وسهلا نسبياً لوفرة التفاصيل التي وضعها ليوناردو. وبعد عرضها في فرنسا وفي معظم المدن العالمية الكبرى استقرّت النماذج الاربعون نهائياً في متحف كلو - لوسيه. ويفتح المتحف طوال السنة ما عدا شهر يناير (كانون الثاني). والى أعمال ليوناردو يتسنّى للزائر أن يشاهد

Illustrations: F. Saint-Bris

الى اليسار، رسم
تخطيطي لمظله هبوط.
تحت، نمودج
صنع بحسب الرسم.



غرفة عمله والمطبخ والحجرة الصغيرة التي انجز فيها تلاميذه، بموجب توجيهاته، ثلاث لوحات جصية شهيرة.

التحرر من القيود – من ضمن النماذج المعروضة يبرز نموذج الطائرة المروحية الذي يمكن اعتباره السلف الرائد للمروحية العصرية، فيشهد على عبقرية ليوناردو الخلّاقة. بذلك يكون ليوناردو سبق عصره بأربعة قرون. ونموذج المروحيّة الذي يبلغ علوه ٥٠ سنتيمتراً صنع من الخشب والقماش، ومقوّماته لولب هوائي يستمد قوته من أذرع واصلة (كرنكات) تديره عمودياً عبر مجموعة من التروس(١) ويحرّكها الربّان. وتولّد سرعة دوران اللولب، نظرياً قوّةً تكفي لرفع الآلة في الهواء ومعها منصّة خشبيّة للركاب.

ويبدو أن ليوناردو لم يقم بأي خطوة في هذا الشأن زيادة على التصاميم المفصّلة التي وضعها للجهاز في مفكّرته. ولكن في العام ١٩٠١ صنع صبي في الثانية عشرة من عمره في مدينة كييف في أوكرانيا (الاتحاد السوفييتي) نموذجاً يستمدّ قوته من رباط مطاطي، مستوحى من تصميم غريب أخذ عن صورة طبق الاصل لمذكرات ليوناردو أطلعته عليها والدته العالمة الفيزيائية. وعندما أطلق النموذج ارتفع بضعة سنتيمترات قبل أن يسقط. كان ذلك الولد إيغور سيكورسكي الذي صمم بعد ٣٨ سنة، وكان أصبح مهندساً ومواطناً أمريكياً، طراز المروحيّة «VS — 300» التي تعتبر السلف لكل مروحيّة تحلق اليوم في الجو.

تطلّع ليوناردو الى تحرير الانسان من القيود التي تشدّه الى الارض. لذلك نرى في متحف كلو – لوسيه نموذجاً صادقاً يبلغ طوله متراً، لطائرة مجهّزة بجناحين ثابتين. وتشغّل بقوة العضلات. ويشاهد الربان مستلقياً على بطنه وقدماه في الركاب. والغاية هي خفق الجناحين بتحريك الذراعين والرجلين، ثم يعود الجناحان الى وضعهما الاول بقوة رفّاصات. ومع انه لم يتّم اختراع الطائرة الا بعد اختراع المحرّك الداخليّ الاحتراق فان ليوناردو كان السبّاق الى تصور الطيران البشري على نحو علمي. وكانت تصاميم طائرته تتويجاً لسنوات من الجهد صرفها في دراسة كل ما يتعلق بهندسة أجنحة الطيور وقدرتها على الطيران.

هل حاول ليوناردو أن يصنع نموذجاً لتصاميم طائراته؟ الارجح لا. أفلا ترانا نبالغ في الاساءة الى تلك العبقرية الخالدة اذا افترضنا أن صاحبها لم يكن مدركاً مدى الصعوبة التي تفصل النظرية المجرّدة عن امكان تحقيقها عملياً؟

دبابة وقذيفة – في غرفة مجاورة في المتحف يتدلّى من السقف نموذج من الخشب والقماش لمظلّة هبوط من تصميم ليوناردو تعتبر السلف المتقدّم للمظلّة العصرية. وهي مخروطية الشكل بينما تبدو المظلة الحديثة كمظلة عادية، لكن مبدأ تصميمهما واحد إنما أضيفت الى تصميم ليوناردو أداة في أعلى الحبال يمكن بواسطتها ضبط مسار الهبوط.

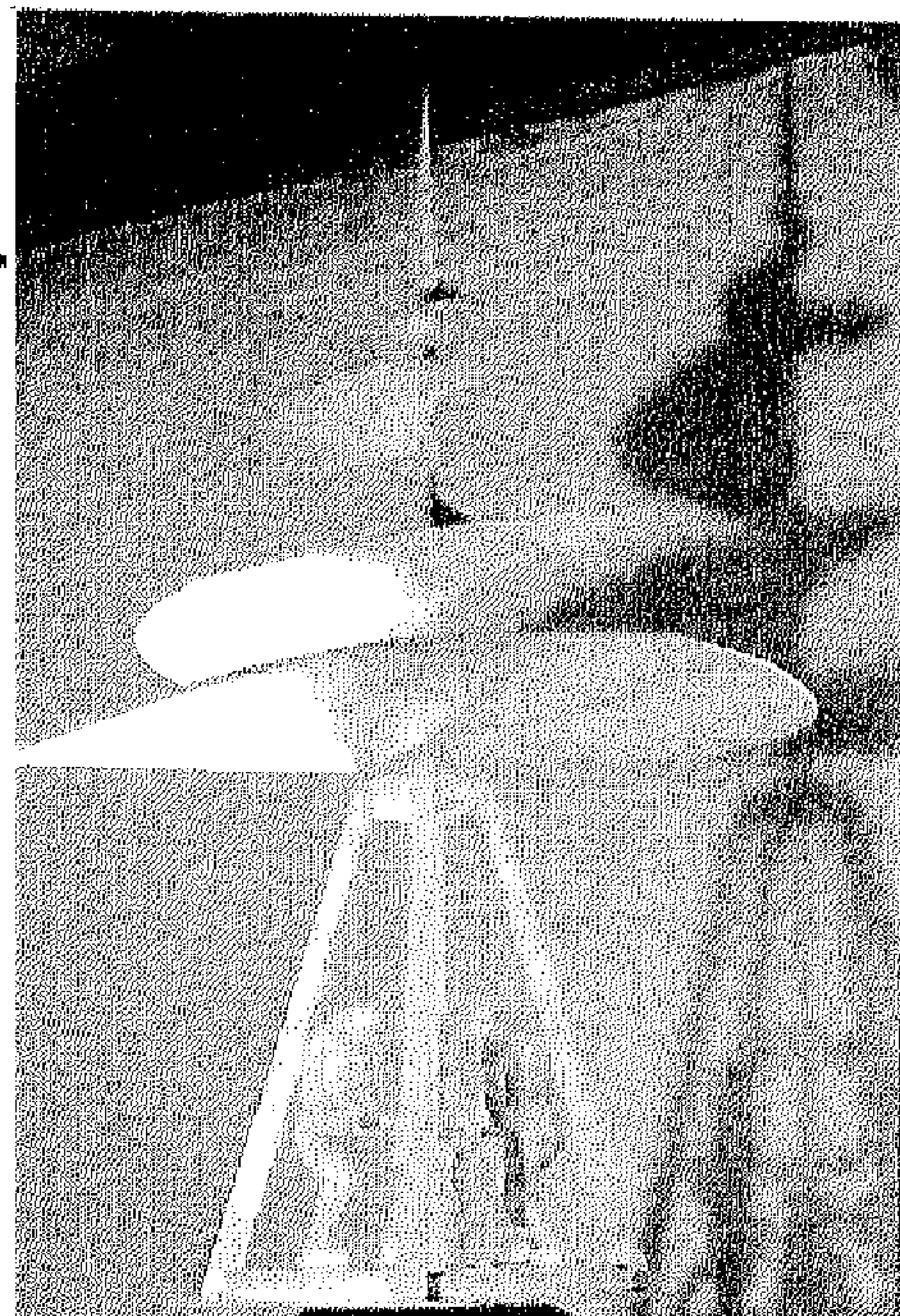
وقد اتبع مهندسو البحرية كذلك خطى

(١) Gears

ليوناردو، اذ تُجهّز السفن الحديثة، حالياً بقيدوم(٢) بَصَلي الشكل للانزلاق بسهولة في الماء، وهذا التصميم هو من بنات أفكار ليوناردو. وتحت المقطع العَرضي الخشبي البالغ علوه ٤٠ سنتيمتراً لهيكل سفينة من تصميم ليوناردو، تجد صورة فوتوغرافية لباخرة ايطالية عابرة للمحيطات سمّيت توافقاً "ليوناردو دافنشي" وأُنزلت الى البحر عام ١٩٦٠ ولها قيدوم شبيه الى حد مدهش بالتصميم الأصيل الذي وضعه المخترع العظيم.

وتميّز ليوناردو بحدس صائب في

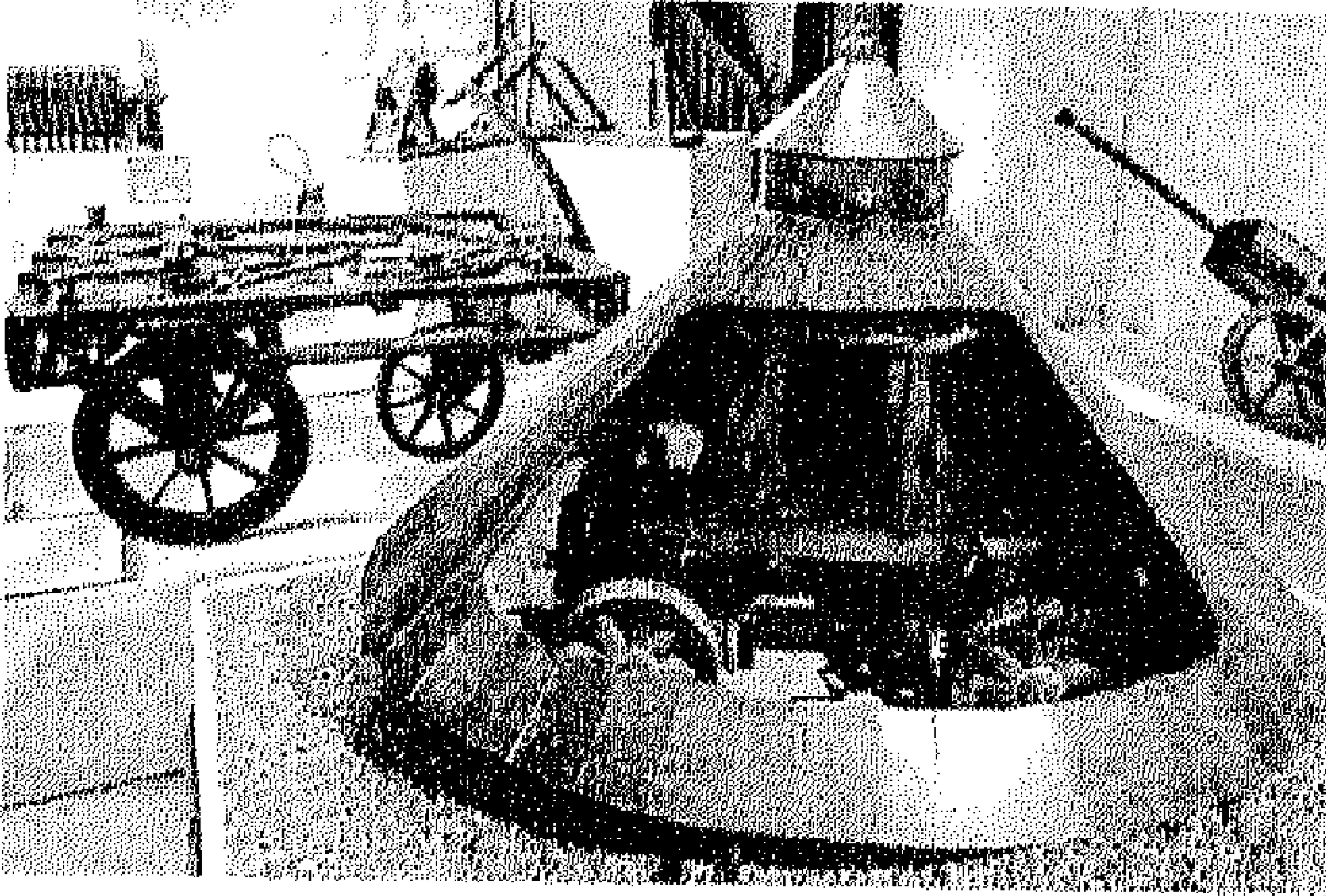
(٢) القيدوم هو مقدم السفينة أو الطائرة.



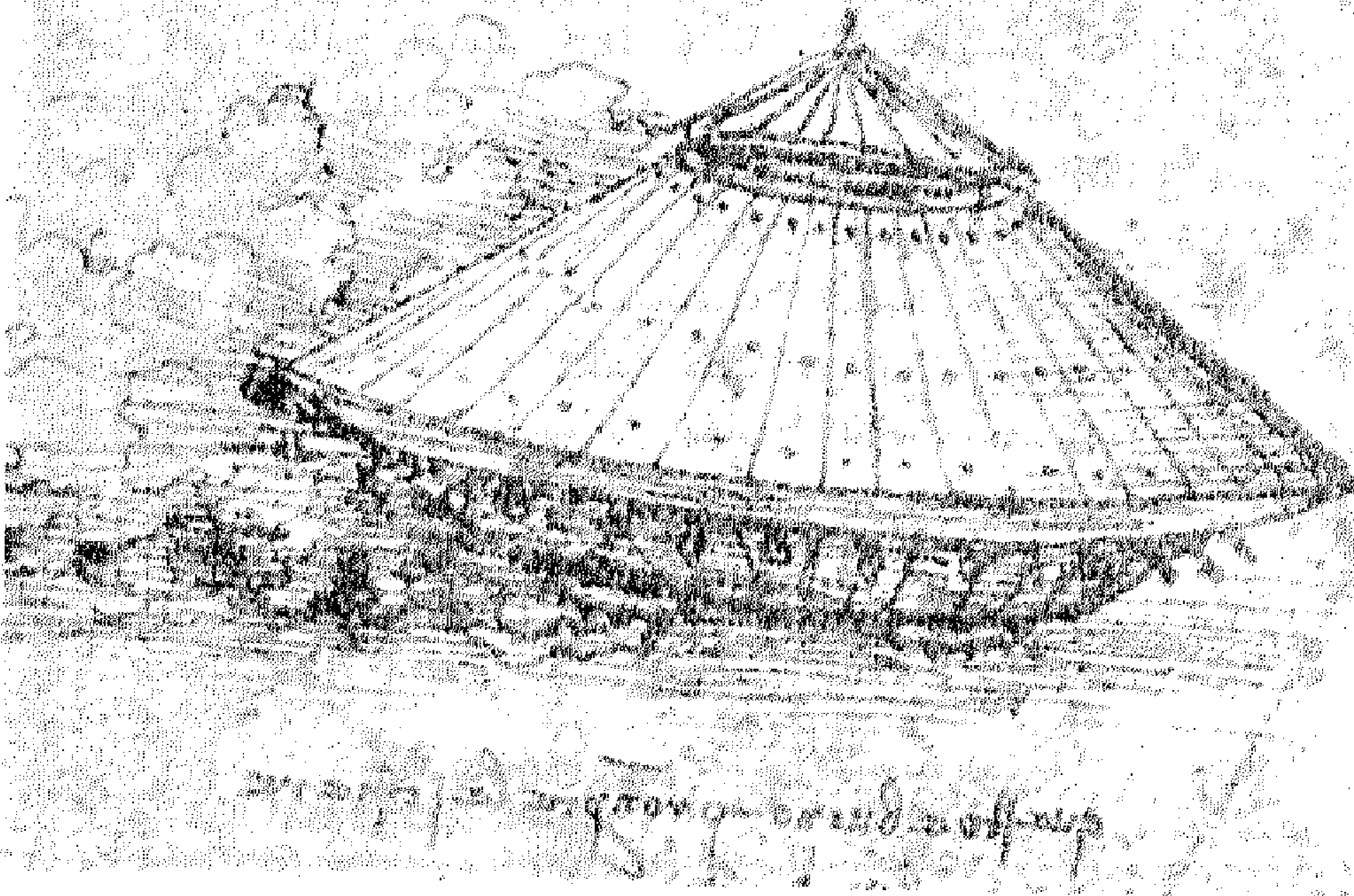
حلم ليوناردو بهذا الشراع المدوّم، وهو السلف الرائد للمروحية. والنموذج تعبير صادق عن تصوره للطائرة المروحية.

استنباط التصاميم لمعدّات تصلح للحروب الحديثة. ففي العام ١٤٨٢ كتب الى دوق ميلانو لودوفيكو سفورزا الذي أصبح راعيه في ما بعد: "سأبني لك عربات مصفّحة آمنة لا يستطيع أحد مهاجمتها. ومهما يكن عدد الجنود المهاجمين كبيراً فإن منظرها سيبعث الرعب في قلوبهم ويبدد شملهم." وقد رُفض عرضه لا لسبب سوى أن معاهدة سلام أبرمت في لومبارديا بايطاليا.

و"العربة" التي ابتكرها ليوناردو تتطابق أوصافها مع أوصاف الدبابات الحربية الحديثة، كما يبيّن النموذج المعروض في متحف كلو - لوسيه ويبلغ ارتفاعه ٥٠ سنتيمتراً. وهو عبارة عن مخروط اسطوانيّ خشبي مكسوّ بصفائح معدنية واقية ويعلوه برج صغير للمراقبة. وقد ارتأى ليوناردو أن يتم تحريك العجلات بواسطة شبكة من الاسطوانات والتروس.



قبل خمسة قرون ابتكر ليوناردو هذا السلف الرائد للدبابة المصفحة الحديثة.



وفي مذكراته أيضاً رسم لقذيفة مجهّزة بأداة للتوازن تنفجر لدى اصطدامها بالهدف، أي انها القذيفة الحديثة لمدفع الهاون. وتحدث ليوناردو أيضاً عن بناء غوّاصة، لكنه لم يسجّل التقنية التي صممها لذلك.

مدن المستقبل – هل كانت لليوناردو نظرة تشاؤمية الى المستقبل جعلته لا يفكّر إلا في الآلات الحربية؟ كلّا على الاطلاق، لأنه وضع تصاميم جسور تجر على عجلات من مكان الى آخر، وعربة آلية تحركها رفاصات تشتد وترتخي فتحرك عجلتي سَوْق كبيرتين بواسطة مجموعة معقّدة من التروس. ومما لا يصدّق أن العربة مزوّدة ترساً تفاضلياً(٣) يسمح للعجلتين بالدوران بسرعة متفاوتة عند المنحنيات في الطريق. وهذه التحسينات في صناعة السيارات لم تُطوَّر إلا في أواخر القرن التاسع عشر.

ان غالبية اختراعات ليوناردو لا تحتاج حتى الى نماذج لتثبت أنها قابلة للتحقيق عملياً. وهنالك رسم لمركب ذي عجلة بدواسات يُقاد بواسطة ذراع واصلة (كرنك) وكأنه نسخة مطابقة للمراكب التي هي مشاهد مألوفة على الشواطىء الأوروبية. وهناك اختراع لافت كتب تفاصيله أحد تلاميذ ليوناردو في دفتر ملاحظاته (وهي ليست بالأسلوب المعروف للمعلم). تتألف الأداة من عجلتين موصولتين بسلسلة الى دوّاستين، ومقبضين ومقعد. انها باختصار دراجة هوائية.

ونظراً الى شمولية عبقرية ليوناردو فانه يعتبر أول من تكهن بعصر الصناعة. فالرسوم المأخوذة من كتب ملاحظاته والمعروضة في المتحف تشير الى طريقته المقترحة لبناء عشر مدن في ايطاليا تضم كل منها عشرة آلاف مسكن (وهو عدد مدهش قياساً على العصر). وتبنى هذه المدن بجانب البحر أو النهر لكي يتسنّى مدّ أنابيب المجاري الى الماء (لم تكن الانابيب معروفة في حينه). وكانت الاقذار نكبة للمدن الايطالية آنذاك. وقد رأى في فكره شوارع تتقاطع بزوايا قائمة على مستويات مختلفة (شائعة حالياً في المشاريع الهندسية المقترحة لبناء مدن المستقبل). كذلك تخيل طريقة فاعلة للتخلّص من الدخان. وكانت فكرة تجفيف مستنقعات بونتين بالقرب من روما مشروعاً لليوناردو لم يتحقق الا بعدما تسلّم موسوليني السلطة؟

واذ لم تنشر ملاحظات ليوناردو الا في أواخر القرن التاسع عشر، بعدما اخترع العلماء كل شيء ذي طابع ثوري ورد فيها، فقد كان لليوناردو تأثير ضئيل في تاريخ التكنولوجيا. ولكن عندما يغادر الزائر متحف كلو – لوسيه الرائع لا يسعه الا أن يعجب كيف وجد هذا العبقري وقتاً للرسم.

جان – ماري جافرون ■

(٣) Differential



غيّر أفكارك تغيّر عالمك. نورمان فنسنت بيل

قصة قصيرة

جين ومدافع الأمثال

ترى كيف أصبحت الارملة الريفية محط انظار أهالى المدينة؟

كانت السيدة تاور تتباهى بحفلات العشاء التي تقيمها، فلا تألو جهداً في سبيل التنسيق وتوفير التجانس بين ضيوفها وتحضير ما لذ وطاب من الطعام. وعلى أثر عودتي من الصين الى لندن دعتني الى منزلها المتأنق والمتألق والمؤثث عصرياً.

وبينما نحن نرتشف الشاي حددت موعداً لمأدبة عشاء وسألتني بمن أود أن أجتمع ثم أضافت: "لكن أمراً واحداً يقلقني، فاذا كانت جين فولر لا تزال هنا اضطررت الى تأجيل العشاء. فهي مشكلتي العظمى. إنها شقيقة المرحوم زوجي وقد تزوجت أحد أصحاب المصانع في جنوب البلاد. وهي أرملة منذ سنوات وعلى جانب كبير من اليسر والثراء."

– ولم هذا الامتعاض منها؟

"إنها زرية الملبس ريفية المظهر. وقد اعتادت أن تمضي عندي ثلاثة أسابيع أو أربعة كلما أتت الى لندن. فنجلس ههنا وتشرع هي في القراءة وحياكة الصوف والاغطية لأباريق الشاي."

– لكنه يخيل إلي ان امرأة بمثل لباقتك لا تصعب عليها معالجة وضع كهذا.

"لا سبيل لي الى ذلك. فأنا قريبتها الوحيدة التي ما زالت على قيد الحياة، وهي مخلصة لي ولها قلب كالذهب. صحيح انها تبعث في نفسي أشد السأم، لكني لا أدعها تفطن للامر.

وفي تلك اللحظة دخلت علينا جين فولر في احدى زياراتها. ورحت أضحك

في سري اذ تذكرت ان المزأتين ذهبتا الى المدرسة معاً. فالسيدة تاور امرأة وسيمة ترتدي أبهى حللها ولا تبدو أكبر بيوم واحد من الاعوام الاربعين التي تدعيها. أما السيدة فولر فتبدو في الخامسة والخمسين، وهي مديدة القامة تحدق اليك من خلف نظارتين واسعتين لهما إطار مذهب. وكان شعرها الرمادي الاملس مصففاً ببساطة بحيث ان مفرقه في وسط رأسها كشف جبهتها العريضة وأذنيها. أما فستانها الاسود الذي أكل الدهر عليه وشرب مدة ٤٥ سنة فلم يكن ليتناسب مع بهاء قاعة السيدة تاور وعظمتها.

ووقع نظر السيدة فولر على إبريق الشاي الفضي الذي كان من الطراز الجورجي وسألت: "ما الذي حل بغطاء الإبريق الذي أعطيتك إياه يا ماريون؟"

فأجابتها السيدة تاور بعفوية: "لقد احترق لسوء الحظ."

- لكن الغطاء السابق احترق هو أيضاً.

"أخشى أن تحسبينا مهملين."

فابتسمت السيدة فولر وقالت: "ما هم! يسرني أن أحوك لك غطاء آخر."

وحافظت السيدة تاور على رباطة جأشها.



الخطيب

صباح اليوم التالي اتصلت بي السيدة تاور هاتفياً وبدت لي مرتفعة المعنويات إذ بادرتني: "لدي أخبار رائعة، جين سوف تتزوج."

- هذا هراء!

"إن خطيبها آت الليلة لتناول العشاء معنا. وأود لو تأتي أنت ايضاً. لقد قالت لي جين انه مهندس."

ولما وصلت كانت السيدة تاور بمفردها فبادرتني: "ما زالت جين تضع اللمسة الأخيرة على مظهرها. انها في حال من الهيجان النفسي. تزعم انه يعبدها. اسمه جيلبير."

- ترى كيف هو؟

"لا شك في أنه مديد القامة أصلع الرأس وصاحب بطن ضخم ووجه سمين أحمر وصوت هادر."

وعندما دخلت السيدة فولر قلت لها: "اسمحي لي بأن أهنئك."

- انتظر حتى ترى خطيبي الشاب.

فابتسمت السيدة تاور وقالت: "كم هو لطيف أن نسمعك تتكلمين عن خطيبك الشاب."

ولاحظت وميضاً في عينيها وراء النظارتين المضحكتين، وقالت لنسيبتها محذرة: "لا تنتظري رجلا مسناً!"

وكان ذلك الانذار الوحيد الذي أعطتنا إياه.

ودخل علينا جيلبير نابييه. كان شاباً ناحل القد أشقر الشعر أزرق العينين حليق الذقن أنيقاً نضراً نظيفاً لا يتعدى الرابعة والعشرين من عمره. وما إن رأى السيدة فولر حتى أشرق وجهه وتقدم نحوها ويداه ممدودتان. فأعطته يديها وعلى شفتيها ابتسامة رزينة ثم استدارت نحو شقيقة زوجها معرفة: "ها هو خطيبي الشاب يا ماريون."

وكم طاب لي أن أتأمل وجه السيدة تاور وما اعتراه للحظة من دهشة صعب عليها إخفاؤها. وخلال العشاء بدت لي مغتاظة حائرة غير قادرة على تقرير



ما اذا كان الاثنان يستخفان بها بمزحة سمجة، وقالت: "لا شك في أن بينكما بعض التباين في السن."

فأجابتها جين: "بيننا سبع وعشرون سنة. أهذا كثير في رأيك؟"

وكاد صبر السيدة تاور أن ينفد فسارعت الى نجدتها بما أوتيته من سبل وتوجهت الى جين: "لا بد من أنك منهمكة في شراء جهازك."

- كلا. الواقع انني أردت أن أشتري حاجاتي من مدينة ليفربول، لكن جيلبير لم يدعني أفعل. فهو يحب فرض آرائه، ويتمتع بذوق مرهف."

وامتقع وجه السيدة تاور تحت مستحضرات التجميل. واضافت جين: "سنسافر الى ايطاليا لقضاء شهر العسل. وفي طريقنا سنتوقف في باريس لأشتري ملابسي من هناك. سيكون الامر ممتعاً بالنسبة الى جيلبير، فهو لم يحظ من قبل بعطلة تتجاوز الاسبوعين."

فسألتها السيدة تاور ببرود: "ولم؟"

- المسكين لم يستطع أبداً تدبر مصاريف عطلة أطول.

وتأوهت السيدة تاور تأوهاً معبراً.

التحول المدهش

ما ان اصبحت السيدتان وحيدتين بعد انتهاء العشاء حتى انطلق شرر غيظ السيدة تاور: "أجننت يا جين؟ كيف تظنين انه متلهف الى الزواج بك؟"

- انني أسليه.

"انه معدم الحال وأنت ثرية. هل اعتراك الخبل فعميت عن انه يتزوجك من أجل مالك؟ ثم أين كرامتك؟ لم لا تتزوجين رجلا يناسبك سناً؟"

وبقيت جين هادئة الملامح رابطة الجأش وقالت: "لقد تحدثنا في الامر ملياً، وأظن أنني سأسعده كثيراً. ثم اننا قررنا انه اذا أراد أحدنا استرجاع حريته فلن يقف الآخر عائقاً في سبيله."

ورفعت السيدة تاور يديها بهلع.

وتم عقد القران. وكنت والسيدة تاور شاهدين. وبعدما شهدنا رحيلهما لقضاء شهر العسل أوصلت السيدة تاور في سيارتي الى منزلها. وفي الطريق سألتني: "كم يدوم زواجهما في اعتقادك؟ ستة أشهر؟"

- لنأمل أفضل من ذلك.

"لا تكن سخيفاً. فهذا محال. انها عجوز شمطاء مملة."

- أأكيدة أنت من أنها مملة؟ صحيح انها لا تتكلم كثيراً، لكنها اذا قالت شيئاً أتى في موضعه.

"لم أسمعها يوماً تسرد نكتة."

ولما عاد جيلبير وجين من شهر العسل كنت في الشرق الأقصى حيث أمضيت نحو سنتين. وبعيد أسبوع من عودتي الى لندن دعيت الى حفلة عشاء عامرة. وكانت مضيفتنا تهوى المشاهير فدعت جمعاً من الشخصيات اللامعة قلما ألفناه. ولما وصلت متأخراً وجدت نفسي جالساً الى جانب السيدة تاور. وعندما سألتها عن زواج جين قالت لي باشمئزاز: "يبدو انه زواج ناجح. لقد أصبحت جين شخصية مرموقة وهي بيننا الليلة."

فصعقت للخبر ورحت أحدق الى المدعوين الجالسين الى المائدة. ولم أصدق أن مضيفتنا دعت الى حفلة عشاء كهذه زوجة مهندس مغمور، مسنة وزرية الملبس. وفطنت السيدة تاور الى حيرتي فابتسمت بفتور وقالت: "أنظر الى يسار مضيفنا."

فنظرت. والغريب أن السيدة التي أشارت اليها استرعت انتباهي لحظة دخولي القاعة لمظهرها الأخاذ الذي كاد أن يكون من نسج الخيال. وأظن أنني لمحت وميضاً في عينيها وكأنها عرفتني.

لم تكن شابة، فشعرها رمادي. ومع أن وجهها لم يتسم تماماً بصفات الجمال فقد تحلى بقسمات غير مصطنعة يطيب النظر إليها. أما فستانها فكان مدهشاً وغير مألوف وقد خيط بقماش أسود وأصفر فبدا كأنه لباس تنكري لو ارتدته أي امرأة سواها لبدا عليها فاضحاً. أما هي فلم تكن لتظهر فيه مظهر المتكلف أو المتباهي. وكانت تضع المونوكل(★) وقد ربطته بشريطة سوداء عريضة.

فسألت السيدة تاور وقد بهرني ما رأيت: "أهذه شقيقة زوجك؟"

فأجابتني ببرود: "هذه جين نابييه."

كانت جين تتكلم ومن حولها يصغون اليها بارهاف. وما لبث الكل أن انطلق في ضحكة صاخبة. فاستدار أحد السياسيين المعروفين نحو السيدة تاور وقال لها: "لقد أتتنا شقيقة زوجك بنكتة أخرى. إنها لا تقدر بثمن، أليس كذلك؟" فتبسمت السيدة تاور.

وسألتها: "بالله عليك، هلا شرحت لي الأمر؟"

يبدو ان جيلبير كان يملك موهبة تصميم الملابس. وفي بداية شهر العسل ذهب بزوجته الى عدد من الخياطين الباريسيين وأقنعها بارتداء فساتين من تصميمه. وكانت الفساتين مختلفة تماماً عن كل ما ارتدته جين في السابق، لكنها لاءمت قوامها الممشوق.

(★) نظارة ذات زجاجة واحدة.

وقرر جيلبير أن النظارات رهيبة المظهر. وجاءه إلهام فأعلن لها: "عليك أن تضعي المونوكل."

وفي ايطاليا ألفت جين مظهرها المتغير، بل وجدت انه يعجبها. فالناس أصبحوا يستديرون ليحدقوا اليها بعدما كانت تمر من دون أن يلحظها أحد.

وعندما مر العروسان في فرنسا في طريق العودة الى الوطن، أخذ جيلبير زوجته الى أشهر مزين للشعر في العالم. فخرجت من محله بشعر مجعد رمادي أنيق.

وقلت للسيدة تاور: "لكن كل هذا لا يفسر وجود جين هنا الليلة وسط هذا اللفيف من الوزراء والمشاهير."

فأجابتني السيدة تاور: "ان جين تتمتع بروح الدعابة. ففي غضون شهر واحد من عودتها من شهر العسل أصبحت حدثاً مثيراً يتكلم عنه الجميع. وان كنت هنا الليلة فليس لان معرفة وطيدة تربطني بمضيفتنا، بل لانني قريبة جين."

مسكينة السيدة تاور. فالموقف يثير الغيظ حقاً. وأحسست أنها تستحق التعاطف فقلت لها: "الناس لا يستطيعون أبداً مقاومة أولئك الذين يضحكونهم."

- أما أنا فلم تحملني يوماً على الضحك.

زواج جين والاميرال

بعد تلك الليلة زادت لقاءاتي وجين، فكنت أصادفها تارة في منزلها وأطواراً في مآدب الغداء والعشاء. ورحت أبحث عن سر موهبتها المميزة.

وبقيت السيدة تاور مصممة على رأيها في استحالة دوام زواج جين وجيلبير. لكن الامور لم تسر في المنوال الذي توقعته. وفي أحد الايام تلقيت رسالة عاجلة منها تحثني على القدوم الى منزلها. وما ان وطئت قدماي عتبته حتى زفت الي النبأ: "ستطلق جين من جيلبير. وهي تنوي أن تتزوج السير ردجينالد فروبيشر وهو أميرال في الاسطول."

فجأة فتح الباب ودخلت علينا جين. وكانت كعادتها رقيقة وهادئة. وتوجهت الى السيدة تاور قائلة: "ألا تذكرين انك نصحتني قبل أن أتزوج جيلبير أن اقترن برجل يناسبني سناً؟ لقد عملت بنصيحتك، فالاميرال في الثالثة والخمسين."

قالت السيدة تاور ساخطة: "لكنك مدينة لجيلبير بكل ما أنت عليه اليوم."

– لقد وعدني بأنه لن يكف عن تصميم أزيائي.

"كيف يمكنك أن تكوني قاسية القلب الى هذا الحد؟"

– لكنني لم أهم يوماً في حب جيلبير. ولطالما صارحته بذلك. أظن انه حان لزواجنا أن ينتهي. لقد طال أمده. فليس للشباب ما يحادثونك فيه.

وابتسمت لنا بسحر قبل ان تستأنف كلامها: "لن يغيب جيلبير عن ناظري، لقد سويت الأمر مع ردجينالد. فله ابنة أخ تناسب جيلبير تماماً. ولن يدهشني ابداً أن يغرم أحدهما بالآخر."

وأخذت السيدة تاور نفساً عميقاً ثم قالت: "وهل اتفقت مع الاميرال على ألا يضع الواحد منكما عائقاً في سبيل الآخر اذا أراد استرجاع حريته؟"

فأجابتها جين بكل هدوء: "لقد فتحت هذا الحديث، لكن الاميرال يقول انه يميز الجيد عندما يصادفه وانه لا يريدني أن أتزوج سواه. أما اذا أراد أحدهم أن يتزوجني فلديه ثمانية مدافع من عيار ١٢ انشاً على متن بارجته، وسيكون مستعداً للبحث في الموضوع على المرمى القصير." ورمقتنا بنظرة من وراء المونوكل فلم أتمالك الضحك على رغم خشيتي حنق السيدة تاور.

وقالت السيدة تاور: "جين، لم أفهم قط لماذا يضحك الناس لما تقولينه."

فابتسمت جين وأجابت: "لم أظن يوماً أنني أقول ما يضحك."

وسألتها أنا: "أتمنى لو تفشين لي سر نجاحك."

فاستدارت نحوي وفي عينيها تلك النظرة المألوفة التي أصبحت أعرفها جيداً وقالت: "عندما بدأ الناس يضحكون لما أقوله كنت أكثر المندهشين للامر. وحسبت أولا أنهم يسخرون من ملابسي أو من تصفيفة شعري أو من المونوكل. وما لبثت أن اكتشفت أنهم يضحكون لانني أقول الحقيقة. وقد كان ذلك خارجاً عما ألفوه الى حد انهم ظنوه مثيراً للضحك."

وسألتها السيدة تاور: "ولم أنا الوحيدة التي لا تعتبر ما تقولينه مضحكاً؟"

فاجابتها جين بلطفها الطيب: "ربما لانك لا تدركين الحقيقة متى ترينها يا عزيزتي ماريون."

وليم سامرست موم ■

أديب بريطاني تخرج في الطب لكنه عمل في الادب بعد نجاح روايته الاولى "ليزا من لامبث" (Liza of Lambeth) عام ١٨٩٧. أما رائعته الاولى "عبودية الانسان" (of Human Bondage) فنشرت إبان الحرب العالمية الاولى. وقد أصبح آنذاك كاتب روايات مسرحية وخدم كعميل سري. وتوفي في فرنسا عام ١٩٦٥ وهو في الحادية والتسعين من عمره مخلفاً تسع مجموعات من القصص القصيرة.

حاصرهم الرّعدُ فركبوا العاصفة

انفتحت المظلات في الوقت المناسب، ولكن بدلا من أن يهبطوا ارتفع المظليون الى أكثر من ١٢٥٠٠ قدم في مجازفة أنذرت بكارثة

كانت مذهلة العروض التي اعدّت لدورة ألعاب الكومنولث الثانية عشرة التي أقيمت في بريسبين شرق أوستراليا خلال سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الاول) من العام ١٩٨٢. لكنني كنت واثقاً بأن شيئاً لن يضاهي العمل البطولي الذي أعدّه نادي المظلات الذي أنتمي اليه، وهو عبارة عن قفزة يحققها تسعة أشخاص يهبطون في مدرّج الملكة اليزابيث الثانية في حفلة الافتتاح.

وتناولت الخطة تسعة أعضاء في النادي قسّموا ثلاثة فرق في كل منها ثلاثة مظليين، على أن يقفزوا من علو ٦٠٠٠ قدم(★). وكان على الفريق الأول أن يفتح مظلاته بعد اثنتي عشرة ثانية من هبوطه الحر، والفريق الثاني بعد سبع ثوان والفريق الثالث الذي كنت في عداده كان مقرراً ان يفتح مظلاته مباشرة بعد القفز من الطائرة. وفي الجو يعود المظليون التسعة الى التجمع بحيث ينزل أعضاء كل فريق معاً، الواحد منهم فوق الآخر، في تشكيل يعرف باسم "الطائرة الثلاثية الاجنحة." وعلى ارتفاع عشرة أقدام نفك ارتباطنا ونهبط في أقرب نقطة من هدفنا.

وفي ٢٦ سبتمبر (أيلول ١٩٨٢)، وهو اليوم الأخير للتمرن على القفزة، وقبل ثلاثة أيام من ذكرى ميلادي التاسعة

(★) يقضي اتفاق دولي بأن تكون القدم مقياس الارتفاع في الطيران. والقدم حوالى ٣٠ سنتيمتراً

Illustration: Mike Wilkin



والعشرين، كنت في طائرة "سيسنا ١٨٥" ذات محرك واحد ومعي زملائي المظليون. ونظرت من عل الى المدرّج حيث تجمع ٦٥٠٠ تلميذ صغير يحملون الواحاً من الكرتون ويبدلون مشهداً حياً لخريطة أوستراليا الى علم كبير للبلاد. وكان علينا أن نقفز حالما يكتمل مشهد العلم. بعدئذ يقلب التلاميذ ألواحهم ليشكلوا هدفا لنا تتوسطه رقعة معشبة يبلغ قطرها ٣٠ متراً.

عرف فريقنا باسم "فريق رامبلرز للهبوط الاستعراضي." وكنا مظليين متمرسين وقد حقّق كل منا أكثر من ١٢٠٠ قفزة. ولهذا الفريق الذي شكل في العام ١٩٦٧، مهبطه الخاص وناديه في توغولاوا التي تقع على بعد حوالى ٨٠ كيلومتراً تقريباً شمال غرب بريسبين.

الرجل الاعلى في التركيبة الثلاثية الأجنحة يتحكّم بالاتجاه. وأوكلت المهمة في فريقنا الى الكيميائي بيتر نوبس (٣٤ عاماً) وهو مدير في نادي رامبلرز. أمّا ستيوارت ماكني (٣٢ عاماً) وهو الرجل الادنى في التر'بة فهو متعدد المهن. وكان رجع لتوّه من عمليّة جمع قطيع من الجمال لتصوير فيلم سينمائي. وأما أنا فكنت في الوسط، وبمعزل عن الاثارة التي ولدتها المناسبة كانت تلك القفزة ذات مدلول خاص لي، اذ ان خطيبتي كريستين (٣٠ عاماً) كانت في المدرج، وهي أيضاً مظلية عريقة.

غيمة سوداء - أجرى فريقنا تمارين لأسابيع عدة الى ان حان موعد التمرين الأخير. وكانت الانوار تسطع على الأرض وفي الجو وتعكس ألواناً حمراء وبيضاء وزرقاء. وقرعت الطبول أمام حشد فخور يتألف من ١٠ آلاف شخص هم أقرباء التلاميذ وأصدقاؤهم.

والى الجنوب رأينا ناراً ودخاناً يتصاعدان من حريق في غابة. وأظهرت وجهة الدخان أن الريح مستقرة. وعلى بعد حوالى سبعة كيلومترات الى الجنوب الغربي استطلعت كتلة سوداء لاحدى تلك العواصف التي تهب على بريسبين في سبتمبر (أيلول) وأكتوبر (تشرين الاول). وعلى رغم أن مدتها قصيرة فانها تكون شديدة. لكن العاصفة التي استطلعتها كانت حينئذ تتحرك ببطء.

في الثالثة بعد الظهر رأينا الاولاد يشكلون العلم. وكانت جميع رحلات الطيران فوق بريسبين حولت عن المنطقة وباتت السماء خالية من الطائرات. وقفز الفريقان الاول والثاني، وشاهدنا مظلاتهما تفتح. ولحقنا بهما أنا وبيتر وستيوارت على الفور. ونظرت الى أعلى فشاهدت مظلتي الحمراء والبيضاء والزرقاء تفتح. لم يكن ثمة ما يثير القلق!

وحان وقت المناورة التي تؤدي الى التعلق في ما بيننا. كان بيتر يعلوني بمترين ويبعد عني حوالى متر. وتراجع في الوقت المناسب وكلّب رجليه في خيوط مظلتي وانزلق الى أسفل حتى أصبحت قدماه فوق رأسي. ومن ثم انزلقنا معاً نحو ستيوارت الذي كان تحتي مباشرة. وكلّبت رجليّ بخيوط مظلته وانزلقت متراً أو مترين فأصبح واحدنا فوق الآخر كشطيرة ثلاثية الطبقات.

وأشار مقياس الارتفاع عندي الى ٥٠٠٠ قدم. وعلى مسافة بعيدة تحتنا تدافعت مجموعات الاولاد لتشكّل الهدف الذي نقصده. وفجأة اختفى كل شيء. لقد ابتلعتنا غيمة سوداء كانت تلتفّ تحتنا بسرعة، فشعرت بالضياع والدوار.

بدا الأمر وكأنني أطفو على علو واحد. ونظرت الى مقياس الارتفاع فرأيته لا يزال يشير الى ٥٠٠٠ قدم. نحن لم نتحرك البتة!

تشابك المظلات – بقينا معلقين في الجو ثلاث دقائق أو أربعاً. ثم نظرت الى مقياس الارتفاع فاشار الى ٦٠٠٠ قدم، لقد دخلنا تياراً هوائياً صاعداً. وصرخت الى ستيوارت وبيتر: "راقبا الارتفاع!" فأكدا لي ما كنت أعرفه. كنا نصعد، ولا حول لنا سوى التماسك معاً والتعلق بالأمل.

وفيما نحن نرتفع جرفنا تيار جانباً. وأخذت مظلاتنا تنطوي وتنتفخ على هواها ومن دون انسجام، الأمر الذي أدّى الى زعزعة تماسكنا فاجتهدنا للبقاء معاً.

كان هدفنا في بادىء الأمر الخروج من العاصفة سالمين والهبوط في المدرّج متأخرين دقيقة أو دقيقتين. لكن المظلات جعلت تخفق بشدة ولم يعد الأمر متعلقاً بالهبوط حسبما هو مقرر، بل أصبحنا نكافح من أجل البقاء أحياء.

نظرت مجدداً الى مقياس الارتفاع فأشار الى ٨٠٠٠ قدم. الأمر لا يصدّق، كنا نرتفع بالسرعة المقررة للهبوط، أي ١٠٠٠ قدم في الدقيقة. وكانت المظلات تلتف وتخفق بشدة، فخشيت تشابكها واستحالة فتح مظلة الاحتياط. فمظلاتنا التي يبلغ اتساع كل منها ٢١ متراً مربعاً يجب أن تبقى مقدماتها مفتوحة وإلا فرغت من الهواء. وحتى ذلك الحين استطاع المظليون في أوستراليا النجاة من تشابك المظلات الذي أدّى الى مقتل مظليين كثيرين في الخارج. يا الهي! هل سنكون أولى ضحايا تشابك المظلات أمام ما يزيد على ١٦ ألف شخص؟

ولحسن الحظ كنّا نرتدي كنزات صوفية تحت بذلات القفز، وهذا غير مألوف في ربيع بريسبين الحار. وشعرت بالارتياح. وعلى علو ٩٠٠٠ قدم اشتدت البرودة. وما أثار دهشتي أنني بقيت أشمّ رائحة الدخان الناجم عن حريق الغابة، وذلك بفعل مجرى الهواء الصاعد. كان الأمر مخيفاً. اذا تسنى لنا الهبوط، فهل سنحترق ونحن أحياء؟

مجازفة خطرة – صرخ ستيوارت: "كيف سنخرج من هذه الورطة؟" ولكن كان يستحيل عمل شيء ما عدا البقاء معاً. كانت المظلات تدور ويلتف بعضها على بعض وكأنها شراشف في غسالة. أين أصبحنا؟ ماذا يحدث لو هبطنا وسط المدينة؟ هل ننجو اذا هبطنا في البحر؟

تلك الاسئلة كانت نظرية، اذ رحنا نحلّق عاجزين عن السيطرة على أنفسنا. وجاء دور المطر اللاسع. فجأة شعرنا باجسادنا تلتهب بفعل المغنيزيوم الحارق الذي يعمي العيون. وبعد البرق بجزء من الثانية جاء قصف الرعد المخيف الذي بدا وكأنه يخترق أجسادنا ويهز كل عرق فيها. لقد حوصرنا في قلب العاصفة

الرعدية، وشعرت بأننا هدف يوشك على الانتقال الى الأبدية.

على علو عشرة آلاف قدم تفككت تركيبتنا الثلاثية. وبعد نترة قوية اختفى بيتر. وصاح ستيوارت: "ابق على اتصال بي يا ريك! لنبقَ معاً!" لكنني انتزعت بجذبة عنيفة من دون أن تتسنى لي الاجابة.

وبتُّ وحدي. كان التيار قوياً ويزداد سوءاً. وراودتني فكرة أنه قد يتعيّن علي التخلي عن المظلة. فثمة نظام آلي يحررني من مظلتي الرئيسية، وقد يسعني السقوط عبر الغيوم من دون عائق ومن ثم أفتح مظلتي الاحتياطية على علو ٢٥٠٠ قدم. لكن ذلك بدا مجازفة خطرة. ولم يهُن علي أن أهبط ٧٥٠٠ قدم عبر غيوم مدوّمة.

مظلة الاحتياط – قد أتمكن من وقف صعودي، لذلك أخذت ألفّ مظلتي في حركة لولبية لمدة دقيقتين من غير أن أصل الى نتيجة. بعدئذ جذبت الوجه الخلفي للمظلة. ومع ذلك تابعت التحليق صعوداً. وكادت يداي أن تتجمدا، وقد منحتني بذلة القفز بعض الدفء لكن الكنزة الصوف لم تعد ترد البرد عني.

وتحول المطر بَرَداً تساقط رذاذاً صغيراً في بادىء الأمر. وحمتني المظلة لبعض الوقت، ثم انهالت عليّ رصاصات جليدية من كل صوب فتركت كدمات في رأسي. وأدركت أن عليّ التصرف للحال، فحبات البرد قد تفقدني الوعي. وعلى الارتفاع الذي كنت فيه، أي أكثر من ١٢ ألف قدم، واجهت خطر فقدان الأوكسيجين.

وعلى ارتفاع ١٢٥٠٠ قدم جذبت مقبض تحرير المظلة، فطارت عني وبدأت أهبط. كنت آمل ألا أهبط في البحر أو في الغابة المحترقة أو وسط المدينة. وأصبح لون الغيوم ضارباً الى الخضرة، وبدت كأنها تتضمن كتلا من الثلج، كنت أهبط بسرعة ٢٠٠ كيلومتر في الساعة تقريباً ووجهي الى أسفل وذراعاي تحميان رأسي وصدري واحدى يديّ تمسك بمقياس الارتفاع الغالي. وبقيت عيناي تراقبان المقياس الذي واصلت إبرته الهبوط. وفي غضون ٥٠ ثانية هبطت حوالى ٩٠٠٠ قدم. وشعرت كأن وجهي يسفع بالرمل.

وعلى ارتفاع ٢٥٠٠ قدم كنت لا أزال في قلب العاصفة. هل أفتح مظلة الاحتياط؟ اذا فعلت ذلك قبل الاوان فقد تجذبني العاصفة صعوداً من جديد من غير أن أملك أي وسيلة للنجاة. أمّا على ارتفاع ١٥٠٠ قدم فعلمت أنه من الخطر الانتظار وقتاً أطول. لذا جذبت الحبل لفتح المظلة.

الهبوط – غمرني الارتياح وأنا أرى المظلة تنتفخ. ولكن أين اليابسة؟ على ارتفاع ٥٠٠ قدم خرجت من الغيوم ونظرت الى أسفل فرأيت بعض البيوت. لم أستطع رؤية المدرّج. وفيما أنا أهبط الى الارض حلّقت فوق نهر هادر. ليس هنا بعد كل الذي جرى!

وشددت حبال القيادة واستطعت الهبوط على ضفة النهر الموحلة. كنت أشعر بالصقيع الى درجة الارتعاش. وكانت الساعة تشير الى الثالثة والدقيقة الثامنة والعشرين بعد الظهر. ان القفزة

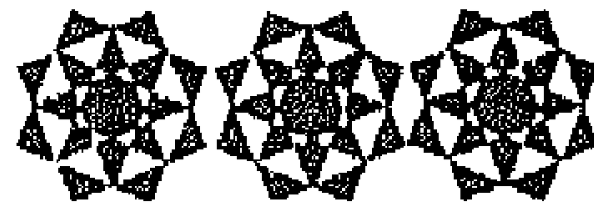
التي لزم ان تستغرق ست دقائق دامت قرابة نصف ساعة.

وكان شاب على دراجة نارية رآني وأنا أهبط، فاتجه صوبي للمساعدة. لقد هبطت على بُعد ستة كيلومترات غرب المدرّج. فأقنعت الدرّاج بأخذي الى هناك. أمّا ستيوارت ماكني وبيتر نوبس فوصلا بعدي بعشرين دقيقة. أحدهما هبط في باحة مدرسة والآخر في فناء أحد الفنادق. ثلاثة فقط من المظليّين التسعة هبطوا في المدرّج.

وفي الخميس التالي، يوم افتتاح الدورة، هبّت ريح عاتية لم تعرفها بريسبين منذ سنتين فأجِّلت عملية الهبوط الى الاحتفال الختامي بعد أسبوعين. وفي اليوم المحدّد، في حضور الملكة التي التقطت صوراً لنا اثناء النزول، هبطنا وسط الهدف مسترشدين بموكب من الفتيات، "أمام" ١٠٠ مليون تابعونا على شاشات التلفزيون في ٢١ بلداً من الكومنولث.

وفي وقت لاحق جلست مع خطيبتي أمام التلفزيون نشاهد إعادة لشريط الاحتفال الختامي. وعلمت أنني سأتذكر تلك القفزة الناجحة ما حييت، لكنني لن أنسى على الاطلاق العاصفة التي ركبتها!

ريك كولينز وستيفن جونسون ■



"ورقة" ثبوتية

تطلب المصارف عادة من امناء الصناديق ان يتثبتوا من هوية كل شخص يأتي ليصرف حوالة. فإما ان يعرفوه شخصياً واما أن يطلبوا منه إبراز هويته. وذات يوم دخل أحد المصارف شاب اراد ان يصرف حوالة، لكنه لم يكن يحمل هويته. وبعدما غاب بضع دقائق رجع متأبطاً كتاب نهاية السنة المدرسية وقد فتحه على الصفحة التي تظهر فيها صورته مع رفقائه في الصف.

فصرفت له الحوالة.

ج٠و٠

ذوق كلب

دخل أحدهم محلا للبقالة واشترى علبتين من الطعام الرخيص المخصص للكلاب.

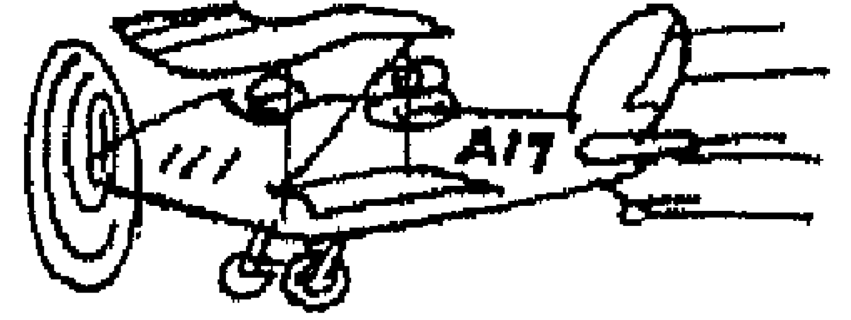
وما ان خرج حتى عاد قائلا ان كلبه لا يعجبه هذا النوع من الطعام. فأعطاه صاحب المحل صنفاً آخر، لكن الرجل طلب ان يسمح له بالتأكد مما اذا كان هذا الصنف يعجب كلبه.

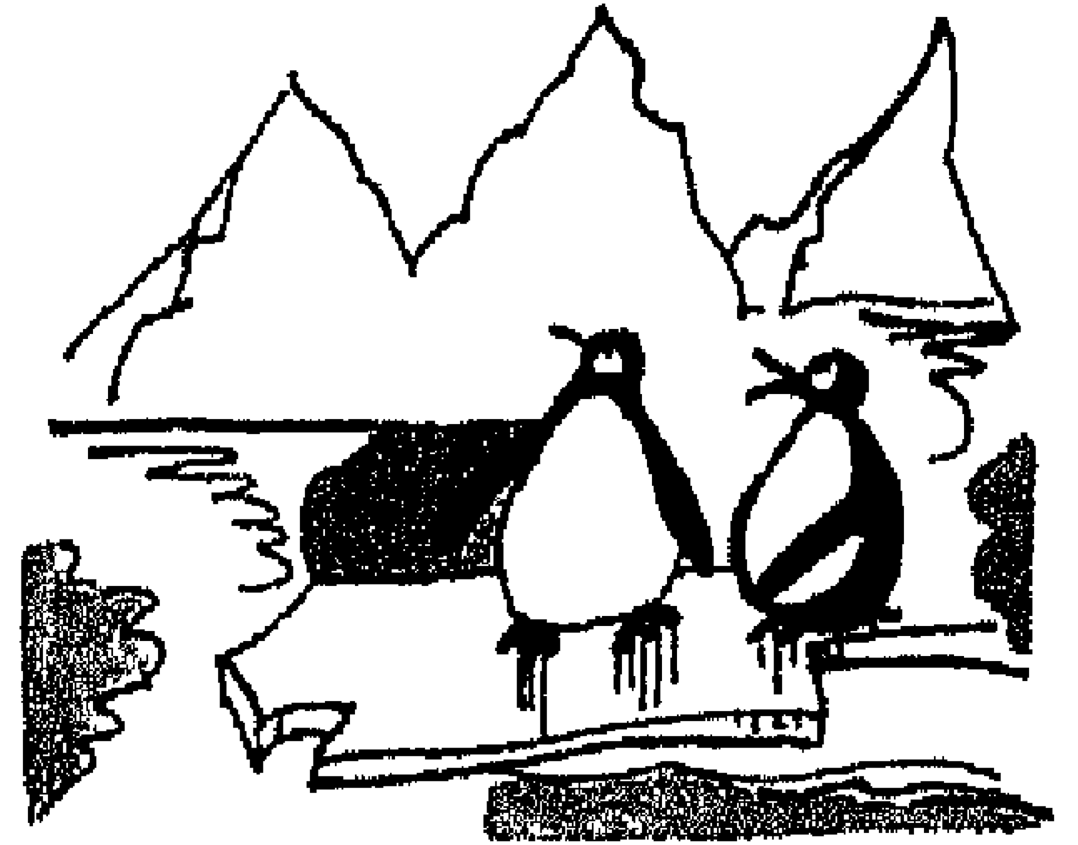
وخرج الرجل الى سيارته ونقر على نافذتها ورفع العلبة كي يراها كلبه ثم رجع مبتسماً وهو يقول: "اننا محظوظون. لقد أعجب هذا الطعام كلبي، وسأشتريه له!"

ج٠هـ٠



"هدىء أعصابك يا نيجل!"

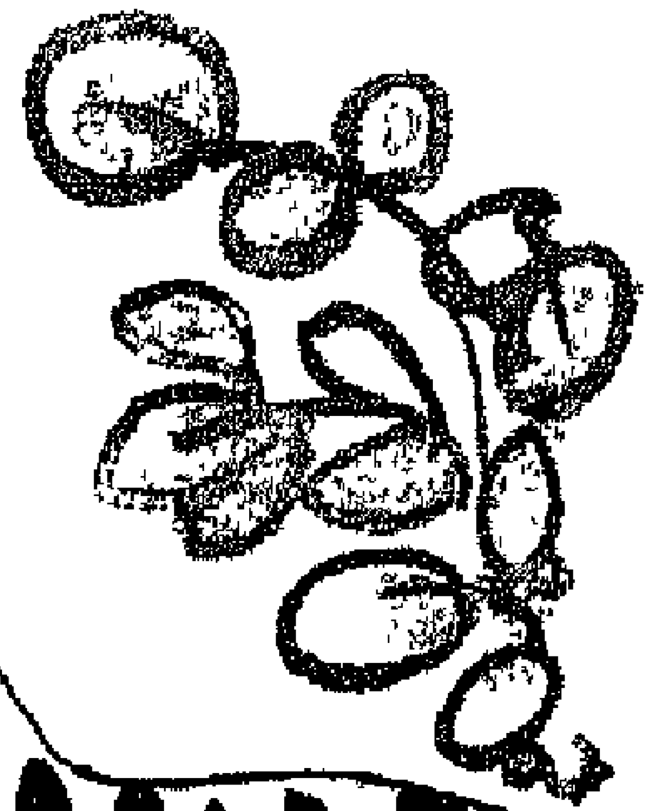




"لو أرادونا أن نطير
لمنحونا مراوح."



"كررررك، مَرِّر هذه الكلمة لنرى كيف تعود الي."

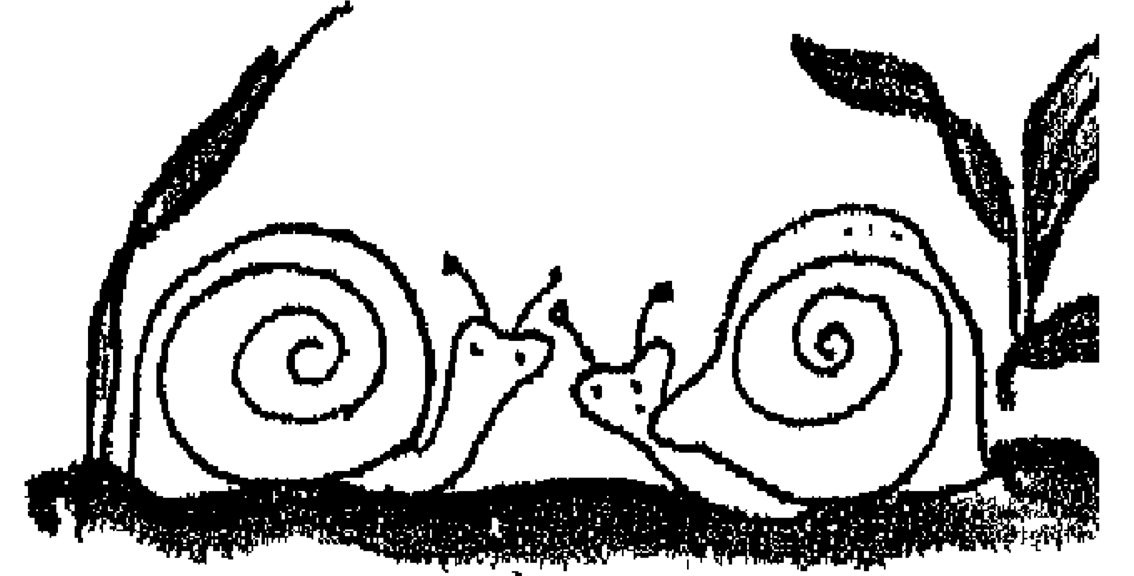




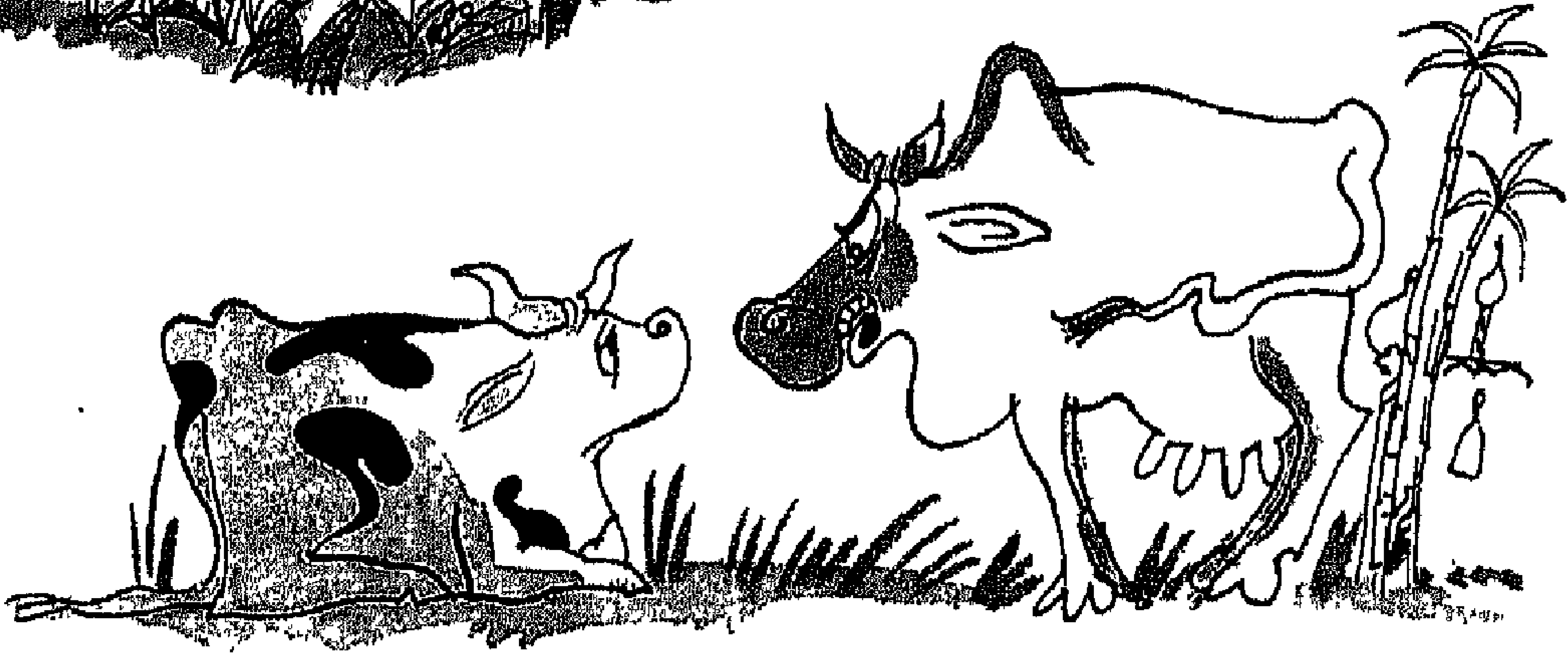
"هذه الخطوط توهم بالسرعة الخارقة."

طرائف حيوانية

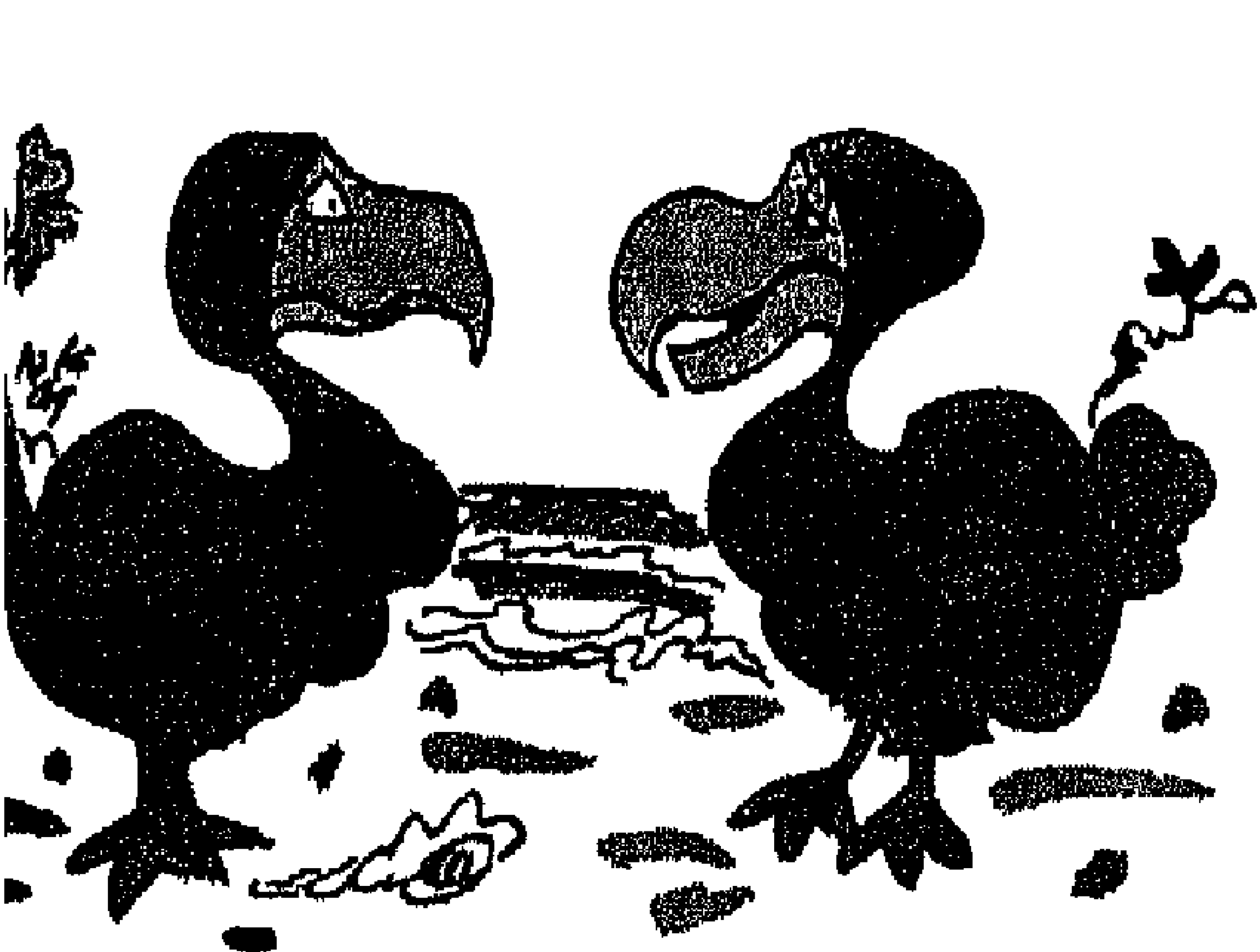




"أبشر يا عزيزي. قريباً ستنزلق بطون صغيرة على الارض."



"لماذا أنا على حق؟ بكل بساطة، لأن الهند تكرسني."



"أنت تضجرني الى درجة الانقراض."



"أرجوك يا روجر! يحق لامك أن تتذوق الحرية بين وقت وآخر."

التقاليد العائليّة تمنح الأطفال الطمأنينة والثقة

يحتاج الاولاد للشعور بالطمأنينة وبأنهم محبوبون ونافعون. كما يحتاجون الى وقت للابداع والتفكير، وأحياناً الى عدم القيام بأي عمل على الاطلاق

كانت ابنتي جويس تتشوّق الى رؤية ابنتها أودري في ثوبها التنكري في سهرة العيد. غير أن الصغيرة البالغة من العمر ثلاثة أعوام صاحت بحدة عندما رأت التاج الورقي الذهبي والتنورة (الغونلّة) الواسعة: "لا أريد أن أبدو حورية، أريد أن أكون مسخاً."

في تلك الليلة أيضاً اتصلت بي صديقة أخبرتني وهي تذرف الدمع أن ابنها البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً ترك الجامعة ليعمل في مسرح للدمى المتحركة. واضافت بصوت حزين: "لابني حاصل ذكاء يبلغ ١٥٠، وفي استطاعته أن يصبح طبيباً أو محامياً أو أي شيء يريده. كيف أمكنه أن يفعل بنا ما فعل؟"

إن هاتين الحكايتين تطرقان باباً واحداً. فنحن نأتي بالاولاد الى هذه الدنيا ونعطيهم الفيتامينات وعصير الليمون ومزالج التزحلق ودروساً في العزف على البيانو ونشتري لهم دراجات هوائية بعشر سرعات، لكنه يصعب علينا إعطاؤهم أولى الهدايا الأساسية على الاطلاق وهي الحرّية في أن يكونوا أنفسهم. لقد قال الكاتب الامريكي هودنغ كارتر: "ثمة شيئان فقط جديران بأن نورثهما أولادنا هما الجذور والاجنحة."

الجذور أولاً. ان ولداً ذا جذور قوية ويشعر بالطمأنينة هو الولد المحبوب. والحب لا يعني الحب الخانق، بل ذاك المقبول الذي مؤدّاه: "إنني اعترف بجوهرك واحترمه." ما هو الشيء الآخر الذي يريده الولد؟ احترام الذات. وهذا يحصل عليه من الطريقة التي يعامله بها الكبار. وينبغي له أن يفهم أنه إذا أتى عملاً سيئاً فذلك لا يعني أنه أصبح شخصاً

سيّئاً. انه في حاجة الى الاعتماد على النفس الذي يتحقق فقط عبر الكفاية المكتسبة. إنه في حاجة الى انضباط معقول، أي الى الشعور بالحدود التي ينبغي التوقف عندها مع بعض المرونة. بهذه الهدايا ينمّي الولد شعوره بالاستقلالية وبأنه انسان بحكم حقه الشخصي وبأن انجازاته لها قيمة.

أمّا في ما يتعلق بالاجنحة، فانك تغذّي الفضول الفكري الطبيعي للولد وتحترم أسئلته من دون ضرورة اعطائه أجوبة عنها، بل بمساعدته على ايجاد هذه الاجوبة. وثمة مثل أعرفه يفسّر ذلك جيداً هو: "أعطِ رجلا سمكة، يكن لديه ما يقتات به لليلة واحدة. علّمه الصيد، يكن لديه ما يقتات به العمر كلّه." وفي عصر التلفزة هذا، عندما تنهمر علينا المعلومات الصحيحة والخاطئة معاً، يحتاج الولد الى توجيه لتفكيره. وهو أخيراً يحتاج الى حرية اللعب والاستغراق في أحلام اليقظة وتغذية خياله وحياته الخلاّقة.

الايمان بالمقدرة – كيف يكتسب الولد جذوراً قوية وشعوراً بالذات؟

أولا عبر اعتراف الأهل باستقلاليته واحترامهم لها.

إذا أفصحنا للاولاد عن تصورنا لماهيّتهم، فاننا ننتهك طبيعتهم الصادقة ونحدّ من حريتهم في أن يكبروا. "إنك مماطل ميؤوس منه مثل أبيك." في الامكان أن يصبح ذلك الكلام حقيقة، فيشعر الولد بانه نسخة مطابقة لشخص آخر.

قبل سنوات وقعت على قول من أمّ حكيمة لولدها: "لحظة ولادتك كنا شخصين منفصلين. لن أعدم وسيلة لمساعدتك على تحقيق ما تريد أن تكونه. إنك لست ملكاً لي، بل أنت ملك لذاتك."

إنّ الشعور بالذات هو الأساس الضروري للاعتماد على تلك الذات. ومساعدة الولد في أن يعتمد على ذاته عملية طويلة ودقيقة. إنها طويلة لأنها تبدأ في فترة الطفولة، ودقيقة لأن على الأهل أن يقرروا الوقت الصحيح لاطلاق الولد. والاستقلال المبكر غير الناضج يضعف الولد مثلما يضعفه الاستقلال المتأخر. والطفل الذي يرضع من زجاجة حليب مُسندة، أو الذي يتوقع منه في شهره السادس الامساك بالزجاجة، يخسر بعض القوة التي يستمدها من الاحتضان. كما أن الطفل الذي يُثنى عن محاولاته الاولى الاعتماد على نفسه في الرضاعة قد يقرّر المضي في تلقي العناية من غيره.

معظم الأهل يقبل الفكرة القائلة بان الاستقلالية هدف رئيسي في تنشئة الاولاد. والتشجيع على الاستقلالية في كثير من الأحيان ينتابه تعقيد من جرّاء مخاوف الأهل. فكيف تطمئن الى أن بنتاً في الثالثة من عمرها لن تؤذي نفسها إذا تركتها تقطّع تفاحتها بسكين؟ يصعب عليك ذلك. والاطفال الذين يجازفون قد تقع لهم بعض حوادث. لكنه ثمن زهيد لامتلاك حرية المجازفة والنمو.

دعم العائلة – إن الاعتماد على الذات يتوقف على اكتساب القدرات الحقيقية. فالولد يشعر برضا على نفسه عندما يعلم أنه انسان كفي في سنّه. والولد الذي لا

يحسن ارتداء بذلة التزلج وهو في الرابعة من عمره أو القراءة وهو في السابعة من عمره أو ركوب دراجة هوائية بعجلتين وهو في السن العاشرة، يعاني نقصاً في احترام الذات وفي الشعور بالاطمئنان. وعلى الأهل أن يبدأوا باكراً تكليف اولادهم مهمات حقيقية، مثل طلب مساعدتهم في العثور على الخضر والبقول في السوق أو ري الحديقة أو ترتيب المائدة أو تحضير السَلَطة. وعندما يكبر الاولاد دعوهم يعملون في وظائف وقتية مثل حضانة الاطفال أثناء غياب ذويهم أو توزيع الصحف، وعلى الأهل تعليم أولادهم مهارات اجتماعية أساسية وسلوك المجاملة الذي يمهّد أمامهم الطريق للانفتاح على العالم.

في أي سنّ ينبغي بدء تلك التدريبات؟

إن ولداً في الثالثة من عمره تلزمه ثلاث سنوات ليصبح في الصف الابتدائي الاول، وتسع أو عشر ليدرك سن البلوغ وست عشرة سنة ليقود سيارة. وبعد عقد من الزمن تواجهه خيارات حياتية حاسمة. هل يدخن؟ او يتعاطى الكحول؟ أو يتناول المخدرات؟ هل يذهب الى الجامعة؟ لن يكون لديه متسع من الوقت للتفكير في كل ذلك.

ثمة عامل حاسم آخر يدعو الولد الى الاطمئنان هو شعوره بدعم عائلته. ففي عصر فقدت المدرسة كثيراً من سلطاتها، وينتهي زواج من كل اثنين بالطلاق، يبقى الشعور بالحاجة الى العائلة أكثر الحاحاً من أي وقت مضى. واذا شعر الطفل بأنه جزء من مجموعة من الاقرباء، فضلا عن والديه، فان ذلك سيغنيه ويقويه. ومن المجدي تحمّل عناء السفر لتعريف الاولاد الى أقربائهم الأبعدين وتشجيعهم على ارسال خطابات ورسوم اليهم واخبارهم قصصاً عن أفراد العائلة.

عندما كنت ولداً أحببت قصة عن جدي الروسي الاصل الشجاع الذي كان يمشي ويداه خلف ظهره وجدتي الى جانبه تنوء تحت حمل من الحطب.

كان يقول لها وهي تلهث وتنقل حملها من كتف الى أخرى: "دعيني أخبرك عن طبيعة الكون."

بين الابداع والوداعة – إن الشعور بالعائلة تعزّزه التقاليد العائلية. فعندما كنت أجري بحثاً في ما يتذكره الشبان اليافعون من سني فتوتهم، استوقفتني الاشارة دوماً الى الشعائر العائلية، ليس فقط الاحتفالات التقليدية مثل أعياد الميلاد، بل أيضاً احتفالات شخصية عبّرت عن الروح العائلية. قال أحدهم: "لم نكن نصلي دائماً، ولكن قبيل أوان النوم كنا دائماً نتبادل هذه العبارة: عمتم مساء، باركـكم الله وحفظكم طوال الليل."

وقال آخر: "كان أبي يحضّر طعام الفطور أيام الآحاد، فكانت المائدة تضم خبزاً فرنسياً محمّصاً وفطائر محلّاة وأنواعاً من الأجبان والمربيات. وبعد الفطور يجلس كل منا وفي يده القسم الذي يثير اهتمامه من الصحيفة."

إن تقرير المصير والاعتماد على الذات والشعور بأهمية العائلة كلها أمور يكتسبها الولد بتوجيه من الكبار. أما بالنسبة الى الاجنحة، وهي الروح الخلّاقة، فان الهدف لا يتمثّل في إعطاء الولد ما

يفتقر اليه، بل في تقوية ما يحوزه كل فتى صحيح الجسم من صفات. كل ولد في الرابعة من عمره يرى الدنيا بعينين نضرتين. وفي رسومه قد تبدو أخته الكبيرة في حجم فأرة، في حين يبدو كلب الحراسة المجاور ضخماً كالدينوصور. إنها حقيقته هو. فداخل كل ولد مهندس ورسام وشاعر وموسيقي وعالم نبات.

بعد مرور خمس سنوات يتبدل معظم هذه الصفات الخلّاقة على نحو غريب. حينئذ يلهو الأولاد بطائرات يركبّونها أو بقماشات للتطريز، ويلوّنون بعناية ويصرفون ساعات أمام التلفاز (التلفزيون) أو جهاز الفيديو. أمّا الولد الذي يحتفظ بابداعه الخلّاق فيعتبر غريب الأطوار، ويجده أساتذته مصدر ازعاج لانه لا يتبع الارشادات، كما يفضّل رفقاؤه معاشرة أولاد أكثر وداعة.

والولد العادي في السن العاشرة يكون تعلم تأدية أعمال مقبولة بوسائل عادية.

حق الحماقة – إنّ التقهقر الذي يحصل عادة في القدرة على الابداع ليس أمراً محتوماً. ففي وسع الاهل تعزيز عنصر الخيال والابداع لدى أولادهم بتشجيع حب الاستطلاع عندهم. وهذا يعني الانتباه الى الاسئلة التي يطرحونها، مهما تكن سخيفة. ومن يمكنه البتّ أن سؤالا ما هو سخيف فعلا؟ ماذا قال الأهل قبل خمسين سنة لولد طرح السؤال الآتي: "هل في استطاعتي الطيران الى القمر؟" إن سؤالا جدياً ومهماً يجب أن يليه شرح أو بحث عملي. واذا سألتك فتاة في الخامسة من عمرها: "ما الذي يجعل الأزهار تنمو؟" دعها تزرع بذوراً سريعة النبت في أربعة أكواب ورقية مليئة بالتراب. واقترح عليها أن تترك واحداً من دون ري، وتروي آخر، وتروي الكوب الثالث مع تعريضه لأشعة الشمس، وتروي الرابع مع تعريضه لأشعة الشمس واضافة سماد الى ترابه. وسرعان ما ستتعرف الى ما يجعل الازهار تنمو.

ما زلت أذكر ذلك اليوم حين أخبرتني معلمة الصف الابتدائي الثالث ان حفيدي بن "يتصرف بحماقة." فقررت تلقينه درساً صغيراً. وبدأت كلامي بالقول: "بن، ماذا تظن أنه قد يحدث لابيك لو ذهب الى المكتب وتصرّف بحماقة؟"

– سيطرد من عمله؟

"بالتأكيد. وستُحرم لعبة "ليغو" من ٥٠٠ قطعة ودراجة جديدة. وماذا لو تصرّفت أمك بحماقة؟"

– أوه! أمي لن تفعل ذلك.

"طبعاً لا. اذاً على كل انسان أن يتصرف بمسؤولية وألّا يأتي حماقة."

فنظر إليّ بن متعجباً وقال: "لكنني ظننت أن في استطاعتي التصرف بحماقة لأنني ولد صغيرا!"

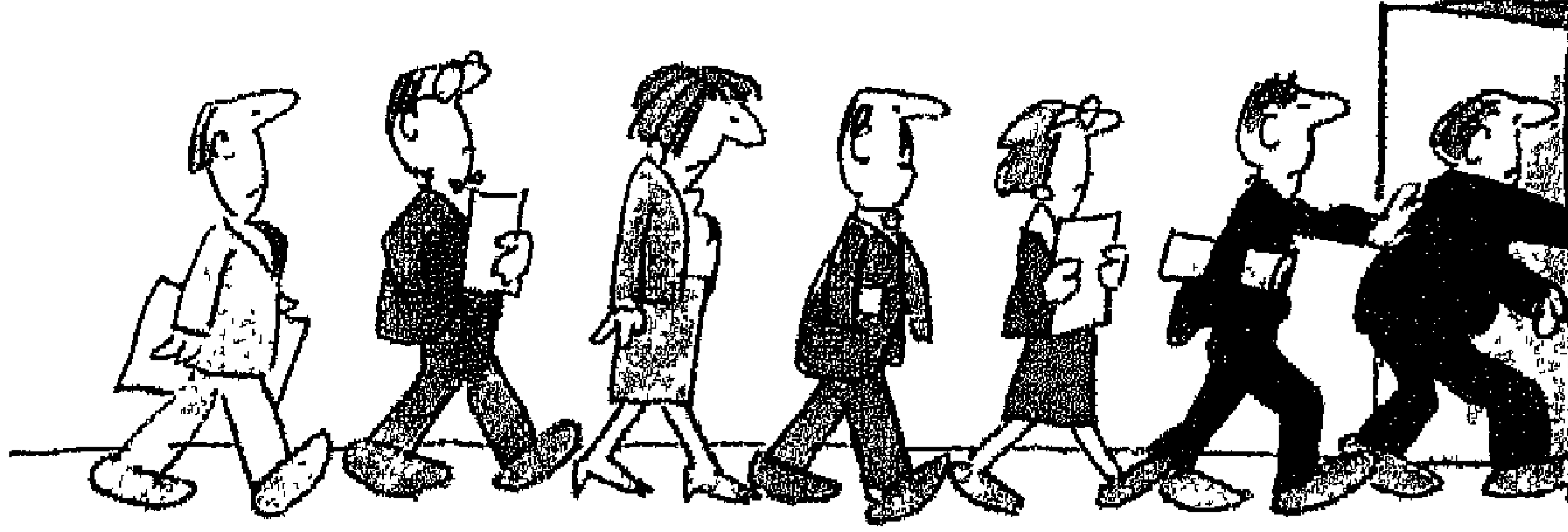
أنا أعتقد أنه على حق.

فريديل ماينارد ■

ان الذين يضيعون وقتهم هم السبّاقون الى التذمّر من قصر الوقت.

جان دو لا برويير

نصائح طريفة حول الطريقة المثلى لحضور اجتماعات العمل



مَتى تشعُلُ ربطة عنقك؟

لكي تلاقي النجاح الفعلي في عمل ما أو مؤسسة ما، يجدر بك أحياناً أن تعرف ماهية عملك والواجبات المترتبة عليك. سَلْ زملاءك العمّال. قل مثلا: "مرحباً، انني موظف جديد. ما اسم وظيفتي؟" فاذا أجابوك: "مخطّط على المدى الطويل" أو "نائب حاكم" فاعلم أن وقتك يتسع للتسكع وحل شبكات الكلمات المتقاطعة إلى أن يحين وقت التقاعد. لكن غالبية الوظائف الأخرى ترتب عليك بعض العمل.

في المؤسسات الحديثة نوعان أساسيان من العمل:

أولا، تدوين الرسائل الهاتفية للاشخاص المنشغلين في الاجتماعات.

ثانيا، حضور الاجتماعات.

ينبغي أن تهدف خطتك المهنية إلى الحصول بأسرع ما يمكن على عمل ينطوي قبل كل شيء على حضور الاجتماعات، لان في ذلك الأبّهة كلّها.

جيد أن يكون في وسعك تدوين الرسائل الهاتفية. لكنك لن تصل أبداً إلى مركز نفوذ يمكنك فيه أن تخسِّر ألوف الاشخاص وظائفهم بقرار أحمق واحد، ما لم تتعلم كيف تحضر الاجتماعات.

عقد الاجتماع الاول في التاريخ في العهد الوسيط. ففي تلك الايام كانت مهمة الرجل تقتصر على قتل فريسته

وجلبها إلى المرأة التي كان عليها حينذاك أن تفكّر في طريقة طهوها. لكن المشكلة أن الرجل كان بطيئاً وشبه عارٍ، في حين كانت الفريسة تتمتع بصوفٍ دافيء وتعدو كالغزال. (في الواقع كانت الفريسة غزالا، لكن أحداً لم يدرك هذا الأمر آنذاك.)

وفي النهاية قال أحدهم: "لو جلسنا معاً واستنبطنا الافكار البارعة التي تأتي على حين غرّة، فربما أمكننا أن نبتكر طريقة فضلى لصيد فريستنا!"

وسارت الامور على نحو جيّد، فضلا عن أن الرجال شعروا بالدفء وهم متحلقون، فقرروا أن يجتمعوا من جديد في الغد وفي الايام التالية.

لكن النساء لاحظن أن الرجال لم يأتوا بجديد في ما خصّ مسألة تأمين الفريسة، وأن العِرق البشري يكاد يتضوّر جوعاً. فأقر الرجال بجدية الأمر ووعدوا بادراجه على رأس "جدول أعمالهم." ومنذ ذلك الحين بدأت النساء اللواتي كنّ بدائيات ولكن غير غبيّات، يأكلن النبات. من هنا نشأت الزراعة الحديثة. وهي لم تكن لتنشأ لولا الاجتماعات.

أما اجتماعات العمل الحديثة فيجدر تشبيهها بالمآتم، حيث ترى مجموعة أشخاص يرتدون ثياباً غير مريحة ويتمنون لو يكونون في مكان آخر. ويكمن الفارق الاساسي في أن لمعظم المآتم غاية معيّنة في حين أنه ما من شيء يدفن حقاً في الاجتماع.

قد تبدو فكرة من الافكار ميتة، لكنها لا تلبث أن تظهر لاحقاً في اجتماع آخر. واذا أنت شاهدت فيلم "ليلة الميت الحي" فان لديك فكرة تقريبية عن طريقة انعقاد الاجتماعات الحديثة، حيث تنبعث المشاريع والاقتراحات من قبورها بعدما ظنها الجميع ماتت، فتندرج في الاجتماعات من جديد لتلتهم عقول الأحياء.

والاجتماعات نوعان أساسيان:

أولا، الاجتماعات التي تعقد للسبب نفسه الذي يحتفل له بعيد ثانوي لا جدوى منه، وأعني بذلك التقليد المتبع. من ذلك أن مديرين كثيرين يحبون الاجتماع في يوم الاثنين، لا لسبب الا لأنه الاثنين. وعلى المرء أن يتعوّد هذا الامر، لأن هذا النوع يشمل ٨٣ في المئة من مجمل الاجتماعات. (أستند هنا الى دراسة دونتُ فيها أرقاماً الى أن بدا لي أحدها شبه صحيح.)

ويدور هذا النوع من الاجتماعات بطريقة "أشِر وأخبر" المتبعة في دور الحضانة، حيث يحق لكلّ فرد أن يقول شيئاً. والفرق أن الأطفال في دار الحضانة لديهم في الواقع شيء جديد ليقولوه. ولكن عندما يأتي دورك للكلام في الاجتماع فعليك أن تقول إنك ما زلت تعمل على ما يفترض بك أن تعمل عليه. قد يبدو ذلك غباء، اذ انك بالطبع تعمل على ما يفترض بك أن تعمل عليه، حتى وان لم تكن تفعل فانك ستدعي أنك تفعل، فذاك هو الكلام التقليدي الذي يتفوّه به الجميع. وكم كانت الامور لتجري سريعاً لو يكتفي الشخص الذي يدير الاجتماع بالقول: "كل من لا يزال يعمل على ما يفترض به أن يعمل عليه، ليرفع يده!" وهكذا يخرج الجميع بعد خمس

دقائق وقد سنحت لهم خلال الاجتماع فرصة المزاح. غير أن هذه الطريقة لا تتبع الا في اليابان على ما أظن.

النوع الثاني من الاجتماعات يشمل تلك التي لها هدف مزعوم. وهي أكثر دقة، لان ما تفعله أنت يتعلّق بالهدف المذكور. في بعض الاحيان يكون الهدف غير مؤذ، كأن يشاء أحدهم أن يعرض صوراً لرسمٍ بياني أو يوزّع نسخاً عن تقرير مكتنز. جلّ ما عليك أن تفعله في هذا النوع من الاجتماعات هو أن تجلس في مكانك وتطلق لخيالك العنان، ثم تأخذ التقرير إلى مكتبك وترميه، إلّا اذا كنت نائب الرئيس، ففي هذه الحال تدوّن اسم أحد مرؤوسيك في أعلى الزاوية اليمنى من التقرير وتتبعه بعلامة استفهام على هذا النحو: "نورمان؟" ثم ترسله الى نورمان وتنسى أمره كلّياً (مع أن التقرير قد ينزل البلاء بنورمان المسكين طوال ما تبقى من حياته المهنية).

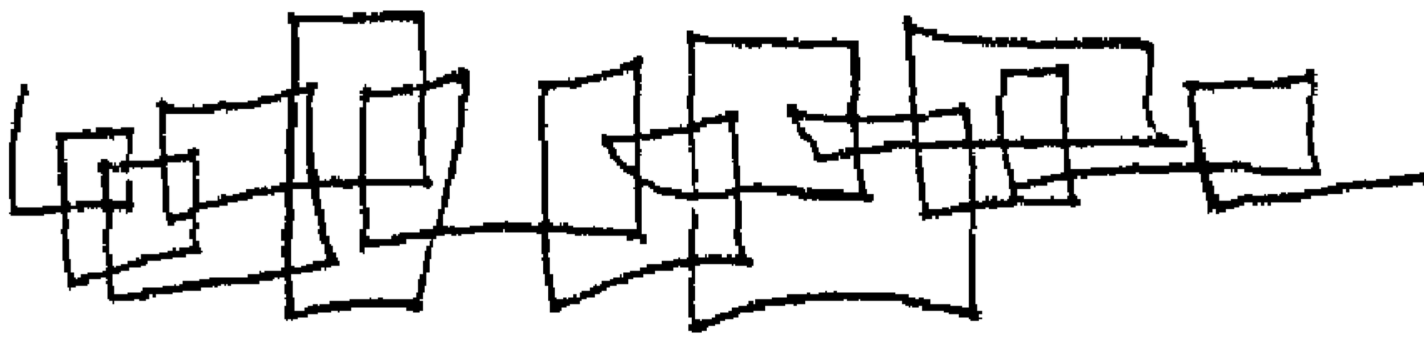
لكنك أحياناً تقصد اجتماعات يتوجب عليك خلالها أن تساهم في أمر ما. ان ذلك غاية في الجدّية، لانه يعني أن القيمين على الاجتماع يريدون، في حال نتج من القرارات كوارث، أن يتأكّدوا أن بعض الملامة تقع عليك. لذا يجدر بك أن تهرب من الاجتماع بتبرير ما قبل أن يُطلب منك أي شيء. وتقضي إحدى الطرق بأن تشعل النار في ربطة عنقك.

وتنفع طريقة أخرى هي أن توصي متآمراً آخر بأن يقطع الاجتماع معلناً أن لديك اتصالا هاتفياً من شخص مهم جداً كرئيس الشركة أو رئيس الوزراء. ويجب أن ينكر واحداً منهما، فقد يثير الارتياب اذا قال: "الديك اتصال من رئيس الشركة أو من رئيس الوزراء."

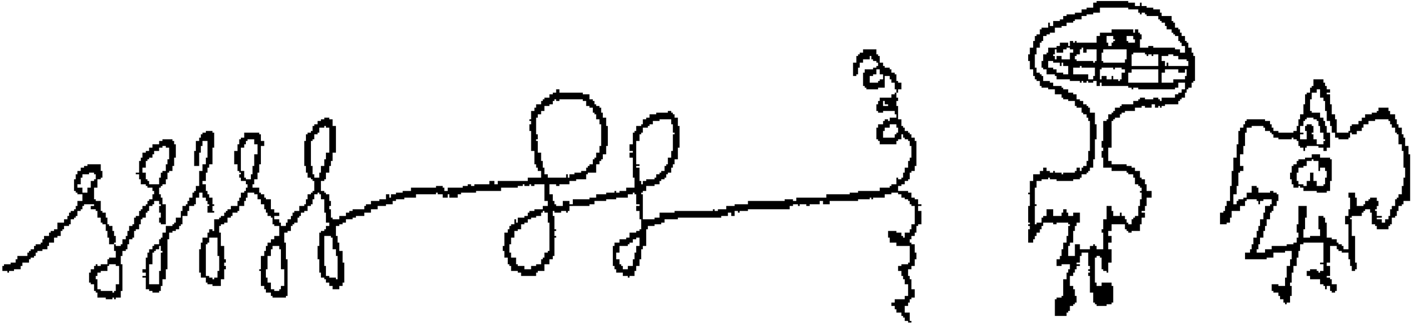
وعليك أن تتعلم طريقة تدوين الافكار الرئيسية خلال الاجتماع: استعمل دفتراً كبيراً يوهم بالرسميات. وفي أعلى الورقة سجّل تاريخ اليوم وضع تحته خطين، هكذا:

٨ تشرين الاول

ثم انتظر حتى يبدأ الكلام شخص مهم، رئيسك مثلا. فمتى بدأ حدّق اليه وارسم على وجهك تعبير اهتمام ونشوة وكأنه يكشف لك أسرار الحياة. ثم اكتب مستطيلات متشابكة على النحو الآتي:



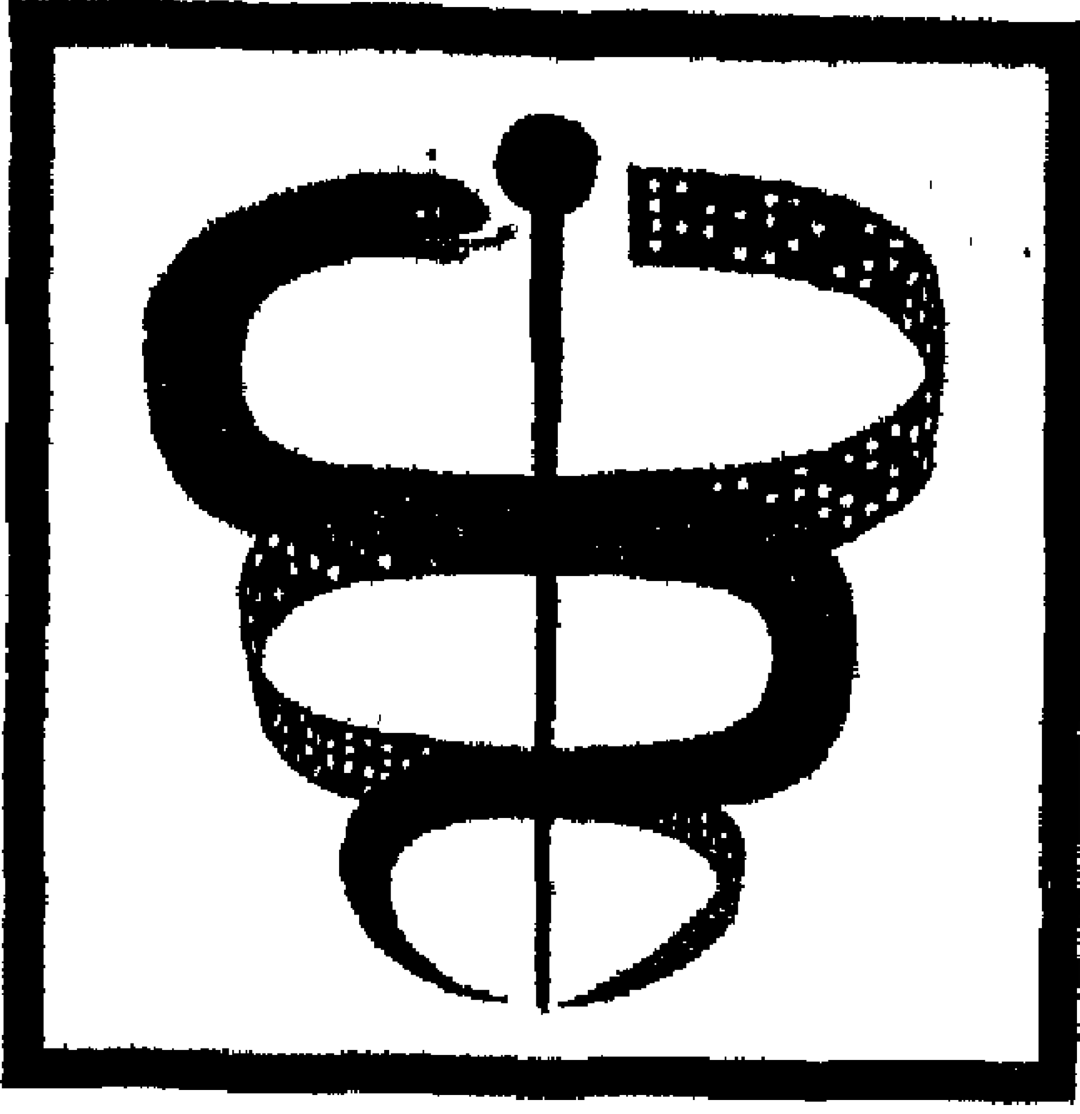
واذا طال الاجتماع حاول أن تصنع أشكالا كهذه:



واذا غطّ أحدهم في نوم عميق خلال الاجتماع، أطلب من الآخرين إخلاء القاعة. ثم جىء بمجموعة من الأغراب من الشارع وأجلسهم حول النائم حتى يستفيق. فمتى استفاق اجعل أحدهم يقول له بصوت كئيب جداً: "ان برنامجك يا بوب في منتهى المجازفة. لكنك لم تترك لنا سوى خيار اعتماده. وأتمنى لمصلحتك أن تكون مدركاً المأزق الذي تضع فيه نفسك." ثم يغادرون القاعة بهدوء، الواحد تلو الآخر.

ديف باري ■

أطباء من عالم الطب



أسنان الامهات

النساء اللاتي يحوي لعابهن عدداً كبيراً من الجراثيم العقدية ستربتوكوكس موتان(*) التي تؤدي دوراً رئيسياً في نخر الاسنان، يمكن أن ينقلن هذه الجراثيم الى أطفالهن.

تشارك الام طفلها في طعامه ترغيباً له في الاكل: "ملعقة لك يا حبيبي وملعقة لي." وهذا هو الاسلوب المشكوك في كونه الطريقة الرئيسية لانتقال الجراثيم. حتى السعال قرب الطفل يمكن أن ينقل اليه هذه الجراثيم.

وتقول الطبيبة الاسوجية بريجيتا كولر ان في وسع الام ان تقي طفلها من نخر الاسنان. وهي عالجت أسنان مجموعة من الامهات بالتنظيف والفلورايد والحشوات ولقنتهن الطريقة السليمة لغسل الاسنان. وأهم من كل ذلك أنها أعطتهن تعليمات غذائية. وبعدئذ قابلت بين هؤلاء النسوة ومجموعة اختبار لم تطبق عليها اي معالجة خاصة بالاسنان.

وبعد سنتين ونصف سنة وجدت كولر أن هذه التدابير أنقصت عدوى الجراثيم العقدية بنسبة عشرة أضعاف في المجموعة الاولى من الامهات، وأن نسبة الاصابة بالجراثيم كانت أقل بـ٤٠ في المئة بين أولاد هذه المجموعة. كما انخفض عدد الاطفال الذين نخرت أسنانهم، فبلغت نسبتهم ١٦ في المئة بين أولاد المجموعة التي تلقت المعالجة في مقابل ٤٣ في المئة بين أولاد المجموعة الثانية.

والعبرة واضحة: اذا عنيت الام بسلامة فمها أفاد اطفالها.

مجلة "أميريكان هيلث"

(*) Streptococcus mutans

انقاذ شبكية العين

يرى الدكتوران روبرت ماشمر ويوجين دي هوان من مركز العيون في جامعة ديوك في دورهام بولاية كارولينا الشمالية، ان "مسامير" شبكيات العين توفر وسيلة لمساعدة المرضى الذين كانت حالاتهم ميؤوساً منها قبلا. واستخدم هذان الطبيبان المسامير المصنوعة من الفولاذ الذي لا يصدأ

وساعدا في اعادة البصر الى ٤٦ مريضاً يعانون من شبكيات ممزقة أو منطوية. وهذا الشكل من انفصال الشبكية يشبه سدل ستار أسود على البصر، فيحجب رؤية اللون والحركة.
في الاسلوب الجديد يمرر الجهاز الذي يفرز المسامير من خلال شق في العين قطره مليمتر واحد. وبعد بسط الشبكية المنفصلة على الجدار الخلفي للعين يفرز نحو ١١ مسماراً، طول كل منها ٣،٧ مليمتر لتثبيت الشبكية في مكانها. ثم يحقن في العين زيت السيليكون ليعطي المسامير دعماً اضافياً، وهذه تسحب من مكانها بعد التصاق الشبكية وشفائها.

صحيفة "أومني"

سرطان الخصيتين

المرأة تعرف كيف تفحص ثدييها لكشف الاورام فيهما، أما الرجل فهو أقل معرفة بأهمية التحرّي عن سرطان الخصيتين. وقد تبين أن ٨٧ في المئة من الرجال الذين سئلوا في دراسة أجراها الباحثان الدكتور جون غولدنرنغ واليزابيث بورتل في جامعة ليولا ماريماونت في لوس انجلس بكاليفورنيا، يكادون لا يعون خطر هذا النوع من السرطان. وعرف ٩،٦ في المئة فقط كيف يجرون الفحص الذاتي، في حين أن ٦ في المئة فقط أجروا الفحص في أوقات منتظمة. وعلى رغم ذلك فان الخصيتين تشكلان الموقع الاكثر تعرضاً للاصابة بالسرطان لدى الرجال بين العشرين والتاسعة والثلاثين من العمر، وسرطان الخصيتين يأتي في المرتبة الثالثة بين الاورام الخبيثة التي تسبب الموت لدى الرجال ضمن هذه الفئة، كما ورد في تقرير لجمعية السرطان الامريكية.
وتشير المراجع الصحية الى وجوب اجراء الفحص الذاتي للخصيتين مرة على الاقل كل ستة أشهر، لان هذا النوع من السرطان قابل للشفاء بنسبة مئة في المئة تقريباً اذا عولج في وقت مبكر. فاذا ظهرت أيّ تغيرات في حجم الخصيتين البيضيّتي الشكل وفي نعومة نسيجهما - كظهور نتوءات أو أورام، خصوصاً الصلبة منها - تجب مراجعة الطبيب للحال.

مجلة "هيلثلاين"

الحضور الابوي

تقول مارغو ماين المديرة المساعدة لقسم الاختلالات الغذائية في مستشفى نيونغتون للاطفال بولاية كونتيكت، ان غياب الاب عاطفياً أو جسدياً عن العائلة يمكن أن يكون عاملا رئيسياً في تطور علتي فقدان الشهية والشراهة المفرطة في البنات المراهقات.
وفي استقصاء شمل ٣٩ فتاة قالت ٣٦ منهن ان آباءهن بعيدون عنهن عاطفياً. وكانت الصفات البارزة في أولئك الفتيات تدني الاعتبار الذاتي والارتباك والوحشة والمخاوف والاوهام والكمد والعجز عن اتقان المهمات التي تتطلب ادراكاً تطويرياً. وتضيف ماين: "ان غياب الاب يحرم الابنة التأثير الايجابي المسترجع (★) المتعلق باعتبارها الذاتي. وهذا يجعلها عرضة للتأثيرات السلبية مثل التشديد على خفض الوزن وضبط الشهية واعتبار الهزال مظهراً جميلا."

(★) Positive feedback

مجلة "طبيب العائلة الامريكية"

ثَلاثُ عِبَر

لكل قرية أو مدينة عبرها الخاصّة في الشجاعة والمعروف وآداب السلوك

••• رجل الاخطار •••

يسير فريد اينمان متكئاً على عصا بسبب رصاصة اخترقت ساقه اليسرى حين حاول رجلان سرقته قبل بضع سنوات. وقد مزقت الرصاصة عضلا في ساقه فباتت قدمه تنحرف جانبياً عند المشي. ولم تكن تلك المرة الاولى يواجه فريد مشاكل. فذات مرة سارع الى مساعدة فتاة كانت تقاوم رجلين حاولا الاعتداء عليها في ملعب بمدينة واشنطن. فصاح فيه أحد المهاجمين: "اذهب من هنا أيها العجوز، فالامر لا يعنيك."

لكن فريد أصرّ على أن الامر يعنيه. فأمسك أحد الرجلين وحرّر الفتاة. وما لبث أن وجد نفسه يحدّق الى ماسورة بندقية. واذ مد يده لامساك البندقية أطلق المهاجم النار.

قال فريد لاحقاً وهو يدلّك مكاناً أصلع في أعلى رأسه حيث استقرت بضع خردقات: "لست أخشى أي بندقية. فليطلقوا النار ما شاؤوا. قد أنهار انما لن أستسلم أبداً."

ويحاول فريد أن يكب على مهنته، وهو ميكانيكي يعمل في فناء بيته. لكنه عندما يسمع نداء استغاثة يتحول مقاتلا شرساً.

ولد فريد في الخامس عشر من شهر يونيو (حزيران) عام ١٩٢٢. وعلى رغم بلوغه الرابعة والستين من عمره فانه لا يزال الشخص الذي يجسّد برنامج "السهر ضد الاجرام في الجوار" الذي تبنته المنطقة. وهو يحمل ندوب سبعة جروح تركتها رصاصات تثبت أن الرجل لا يكتفي بالمراقبة عند وقوع حادث. وهناك خط عمودي من القطب الجراحية يبلغ طوله ٣٦ سنتيمتراً ويمتد من صدره الى خصرِه، وهو بقي بعدما انتزع الاطبّاء رصاصتين من أربع أُطلقت على معدته خلال محاولة لسرقة دكان بقالة. واستقرت الرصاصتان الباقيتان قريباً جداً من عموده الفقري مما لا يسمح بانتزاعهما.

أما السبب الذي يدفع رجلا الى المخاطرة بحياته من أجل الجيران والغرباء على حد سواء، فيسهل على فريد

شرحه: "ثمة صوت وحركة داخليان يحضانني لكي أفعل شيئاً، فأستجيب."

ويضيف: "على كل انسان أن يتورط، أن يفعل ما في وسعِه، أن يقف ويكون شاهداً، والا فالخطر سيعم الجميع."

كورتلاند ميلوي

في "واشنطن بوست"

... صانعا خير ...

جون وفيليس زونيغا زوجان يقطنان في مدينة كانساس. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٤ استجابا لاعلان أدرج في احدى الصحف يعرض كلباً للبيع. لكن الاعلان لم يحدّد أن مالكي الكلب، وهم عائلة مؤلفة من ١١ فرداً، أرادوا بيع الكلب لشراء طعام.

وتتذكّر فيليس: "عندما قصدنا منزلهم أصبنا بصدمة. كانوا يعيشون من دون ماء ساخن ومن دون غاز للتدفئة منذ أكثر من ثمانية أشهر، ويحاولون اعالة أنفسهم ممّا يؤديه الوالد من أعمال مختلفة حينيّة وقصيرة الامد. الا أن الحظ سحقهم، وفي النهاية شب حريق في منزلهم.

وتأثرت فيليس التي تعمل في تجارة العقارات الصغيرة، وتأثر جون الذي يعمل ميكانيكي طائرات، بالوضع المأسوي للعائلة. واثر عودتهما الى منزلهما مع الكلب قرّرا مساعدة العائلة.

راحت فيليس تطلب من الجيران والاصدقاء تقديم تبرعات من لوازم منزلية وثياب مستعملة. وأتاح بعض المال الذي ادخرته وزوجها اجراء اصلاحات اساسيّة في منزل العائلة المعوزة ودفع بعض الديون المستحقّة وملء حجرة المؤن.

وبعد فترة سمعت فيليس بعائلة أخرى تعاني عوزاً شديداً، فسارعت وزوجها الى نجدتها. وسرعان ما انتشر هذا النشاط الخيري واتسع نطاقه. وتقول فيليس: "لقد أصبح عمل الخير حديث الناس. وأصبحنا اليوم نسمع بآلاف العائلات المعوزة شهرياً."

وأدرك آل زونيغا أن الوكالات الحكومية الامريكية ومنظمات الخدمة الاجتماعية تعجز عن تأمين كل العون المطلوب وتخيب مساعي عائلات معوزة كثيرة في نيل الموافقة للحصول على المساعدة. أما تلك التي تنال الموافقة فتضطر الى الانتظار أكثر من ستة أسابيع قبل تلقّي المعونة. وهذه الفترة طويلة جداً في وقت الازمات. وتأبى عائلات أخرى، لعزة نفسها، طلب المساعدة من مصلحة الانعاش أو المؤسسات الخيرية، لكنها تقبل ما يقدّم اليها سراً. وتقول فيليس: "عملنا منذ البداية على أساس عدم طرح



Hank Young / Black Star / Woman's Day

فيليس زونيغا واحدى عائلاتها.

أسئلة. فلم نشترط أي ارتباطات أو عراقيل ادارية أو ترتيبات شكلية أو وعود معينة."

وتكرّس فيليس حالياً كامل وقتها لبذل المساعي الطوعية للعائلات. ويواصل جون البحث عن الحاجات الموهوبة وتسليمها حال عودته من عمله. ويساعد ابنهما ديون (١٦ عاماً) في قيادة سيارة العائلة وفي الرد على الاتصالات الهاتفية وتصنيفها وفي فرز الثياب الموهوبة المخزّنة في الطبقة السفلى من المنزل.

وعلى رغم الاستنزاف في الوقت والموارد المالية تأمل عائلة زونيفا رؤية برنامجها ينمو اكثر. وتقول فيليس: "من واجبنا الاهتمام باخواننا في هذا العالم. ويظن بعض الناس أننا موضع استغلال أو غش، الا أننا لم نصادف حتى اليوم الا أشخاصاً أرادوا مكافأتنا بطريقة أو بأخرى. وقد أصبحنا أصدقاء لعدد كبير من الناس الذين احتاجوا ذات يوم الى المساعدة، فبتنا أغنى كثيراً من ذي قبل."

أندريا وارن
في "يوم المرأة"

••• إستحقّ الجندية •••

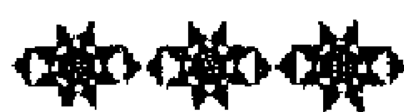
طوال معظم سنيّه الثماني عشرة كان آلن بيبكي من نيوهافن بولاية ميشيغان يحلم أن يقود طائرة عسكريّة. ولما كان لا يحمل الشهادة الجامعية التي تخوّله أن يصبح طيّاراً في سلاح الجو، اختار الانخراط في الجيش الامريكي. ومعروف أن على الجنود اجتياز مسافات طويلة مشياً على الاقدام. الا أن أطباء الجيش لم يعجبوا بقدمي آلن الذي كان يعاني مشكلة جلدية في باطن القدمين، ورفضوا طلبه بحجّة أنه عاجز عن اجتياز ثلاثين كيلومتراً في حذاء القتال.

الا أن آلن بدأ رحلة في الثالث عشر من شهر أكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٨٥، ليبرهن لاطباء الجيش أنهم على خطأ. فاجتاز مشياً المسافة الممتدة من منزله في ميشيغان الى مدينة واشنطن، أي ما يقارب ٨٦١ كيلومتراً، حاملا رزمة تزن ١٤ كيلوغراماً. واستغرقت مسيرته ١٣ يوماً. وكانت والدته تتقدم في السيارة مستكشفة الطريق لتحديد مواقع التخييم الليلي وتأمين الدعم له. وأقرّ آلن: "لقد آلمتني قدماي، شأن كل انسان يقطع هذه المسافة، لكن أمراً لم يكن ليثبط عزيمتي."

وعندما أصبح آلن على مسافة ١٤٠ كيلومتراً غرب مقصده تلقّى الخبر السّار. فبعد اعادة النظر في تقارير طبية مختلفة وضعها عدد من الاختصاصيين، قررت قيادة الجيش تبديل موقفها حياله.

والتحق آلن بمركز للتدريب في فورت نوكس بولاية كنتاكي في التاسع من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦.

صحيفة "الشعب"



اذا أُعطيت أن تعرف شيئاً حقاً، فعلّمه لغيرك.

ترايون ادواردز

مارتن شميت
شقّ دروبًا بين المجرّات

حملت اكتشافات هذا الفلكي الهولندي المعرفة البشرية الى حدود الزمن وجعلت من علم الكون مادة تلهم الفنانين والشعراء



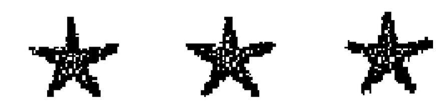
فوق جبل بالومار في كاليفورنيا وفي الليالي الصافية التي يخيم عليها السكون، يحشر الدكتور مارتن شميت (٥٥ عاماً) جسده الناحل الممشوق في قفص صغير ويوجه منظار هيل الضخم صوب نقطة صغيرة في عمق الفضاء. وهذا المنظار الذي يتجمع فيه الضوء مليون مرة أكثر مما يتجمع في العين البشرية، يلتقط النجمات الخابية والمجرات البعيدة التي لم يسبق أن شاهدها انسان.

Illustration: George Angelini

وفي تلك الليلة التي غاب قمرها كان شميت، الذي يشغل منصب أستاذ علم الفلك في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، يبحث عن الكوازارات وهي الابعد مسافة بين الاجرام السماوية والاكثر غموضاً والأشد تعقيداً.

والمسافات في علم الفلك تقاس بالزمن. ويعتقد المنظرون ان "الدوي الهائل" او الانفجار الضخم الذي ولّد الكون وقذف المادة في كل الاتجاهات، حدث قبل ١٥ الى ٢٠ مليار سنة. وأبعد كوازار تمّ اكتشافه الى الآن يبعد ما بين ١١ و١٢ مليار سنة ضوئية (١). ويوضح شميت "ان ذلك يعني ان الضوء الذي نراه اليوم غادر الكوازار قبل ١١ أو ١٢ مليار سنة، أي بكلام آخر اننا نتطلع الى الخلف بين ١١ و١٢ مليار سنة."

ومثل تلك المسافات التي يتعذر سبر غورها توحي أن الكوازارات التي قيل في وصفها إنها "كالمشاعل على شاطىء المحيط المظلم،" تشكلّ الحدود القصوى لما يمكن ان يُرى في الكون المرئي، اي آخر مادة يمكن التقاطها. على انه، استناداً الى شروح قدّمها شميت، يمكن اكتشاف كوازارات اخرى.



مثل النجوم البعيدة – الكوازارات تشبه النجوم البعيدة الى حدّ كبير. والبحث عنها عملية بطيئة ودقيقة في آن. ويتطلع شميت الى يوم يبنى مرصد جديد على منحدرات بركان موناكي في هاواي. وسيضم منظاراً يدعى "كيك" ويكون اكبر منظار بصري في العالم وذا فاعلية تمكنه من رصد نور شمعة وحيدة تبعد عنّا مقدار ما يبعد القمر. وهو "سيمكّننا من مشاهدة نجوم خافتة عدة اخرى ومجرات كذلك وربما كوازارات أبعد مسافة وابهت نوراً" على حافة الكون لا بل حافة الزمن.

في تلك اللحظة يشعر مارتن شميت بسعادة عارمة. وآخر هذا الشهر تنتهي ولايته كرئيس للجمعية الفلكية الامريكية التي تضمّ ٤٠٠٠ عضو. والنظريات التي وضعها شميت والنتائج التي توصّل اليها اصبحت، بعد مرور اثنتين وعشرين سنة على اكتشافه أول دليل الى المسافة التي تفصل الكوازارات عن الارض وتقديمه الاطار العلمي لفهمها، الاساس الذي يرتكز عليه علم الفلك. ويقول اندرو فراكنوي المدير التنفيـذي للجمعية الفلكية لمنطقة المحيط الهادىء: "ان مجموعة كاملة من النظريات التي انبثقت من دراسات شميت، احتلت اليوم مكانها الصحيح."

في غرفة مكتبه الواسعة والمريحة في منزله في كاليفورنيا يبدو شميت سعيداً وهو يروي كيف صنع عندما كان في الثانية عشرة من عمره وهولندا محتلة، اول منظار فلكي.

وُلد شميت في غرونغن، وكان والده محاسباً في احدى الدوائر الرسمية. ولا تزال والدته انتجي حية تعيش في لاهاي. ويروي ان عمه ديك "كان صيدلياً ويهوى

---

(١) تقدر سرعة الضوء بحوالى ٣٠٠ الف كيلومتر في الثانية اي ٩،٦ ترليون كيلومتر في ٣٦٥ يوماً. والسنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في سنة شمسية واحدة.

علم الفلك - ولا يزال - على نحو بارع. وصيف ١٩٤٣ امضينا معاً اسبوعاً في بيته في بوسوم. وقد اطلعني على منظاره وشرح لي كيف أصنع واحداً لنفسي."

وفي اثناء زيارة قام بها شميت لمنزل جدّيه في بيرشوت، عثر على عدسة كبيرة فحملها الى البيت حيث ثبّتها مع عينية صغيرة على احدى لفائف ورق الحمام "وكانت هذه الانبوب البؤري الوحيد المتيسّر. وبدت العدسة ناتئة عن جانبي الانبوب ولكن ما همّ، كانت تعمل!"

بعد ذلك كتب مارتن الصغير الى عمّه يسأله عمّا يفعله باختراعه. فاجابه ديك ناصحاً بالبحث عن نجمة مزدوجة في كوكبة معينة. لم يزد على ذلك ولم يقل له - وان تلميحاً - اين هي. "فاضطررت عندئذ الى مراجعة مكتبة البلدية والبحث عن تلك النجمة في الكتب المتوافرة. ورحت انسخ المعلومات التي وجدتها. وما زلت احتفظ، الى الآن، بالكثير من الملاحظات التي دونتها آنذاك."

★ ★ ★

الجاذبية وحركة المجرة - في العام ١٩٤٤، وبعدما اغلقت قوات الاحتلال الالمانية المدارس في غروننغن، توافر لشميت ولصبي آخر يدعى جان بورغمان(٢)، وكان مثله يهوى علم الفلك، متسع من الوقت اتاح لهما التفرّغ لهوايتهما تلك.

ويتحدث شميت عن تلك الفترة فيقول: "لم يكن الحصول على اللحوم والسكر والخضر والوقود بالامر اليسير، ولكن من غريب المصادفات ان المعادن كانت متوافرة. وهكذا وفيما افتقرنا الى ضروريات العيش، استطعنا انا ورفيقي انجاز أمور تقنية عدة في مجال علم الفلك."

وفي العام ١٩٤٩ وبعد تخرّجه في جامعة غروننغن، عُيّن شميت مساعداً للبروفسور جان اورت في معهد علم الفلك التابع لجامعة ليدن. وذات يوم سأله اورت إذا كان يرغب في تمضية سنة في كينيا حيث سيتسنى له ان يراقب النجوم ويرسم مسارها من مكان قريب من خط الاستواء. فرد شميت بالايجاب وتوجه الى شرق افريقيا وبقي هناك مع مدير المشروع غيجسبرت فان هيرك حتى انتهاء العمل فيه في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥١.

بعد عودته الى هولندا تابع شميت دراسته الجامعية في ليدن حيث اجرى احدى اولى الدراسات حول الهيكل اللولبي للهيدروجين في مجرتنا. وفي اطروحته لشهادة الدكتوراه قدّم أول نموذج رياضي يصف كيف ان دوران المجرة حول نفسها تحدّده الجاذبية. واعتبر عمله مذهلا خصوصاً بالنسبة الى طالب جامعي وذا فائدة عمليّة لعلم الفلك امتدت حتى منتصف الستينات حين تم التوصل الى نتائج جديدة.

والآن أصبحت موهبة شميت أمراً مسلماً به. فهو كان يسير في الواقع على خطى من سبقه من الهولنديين المجلين في علم الفلك. وبعد الحرب العالمية الثانية كان فلكيون من اصل هولندي

(٢) يشغل جان بورغمان اليوم منصب رئيس جامعة غروننغن في هولندا.

يشرفون على قرابة نصف دزينة من المراصد في الولايات المتحدة. ويعرب شميت عن اعتقاده "ان عدداً كبيراً من الفلكيين الهولنديين تابعوا خطى جاكوبوس كابتين الذي توفي سنة ١٩٢٢. وهو الذي بنى نموذجاً لنظام الطريق اللبني الذي عرف في ما بعد باسم: عالم كابتين."

ومن أجل اكمال دراساته لمرحلة ما بعد الدكتوراه، حصل شميت على منحة كارنيغي ومدتها سنتان. وكان عليه ان يتابع ابحاثه في مرصد "مونت ولسون" في باسيدينا بكاليفورنيا. فانتقل اليها في العام ١٩٥٦ مع زوجته الجديدة كورنيليا جوهانا. وفي العام ١٩٥٨، اي بعد انقضاء السنتين، عادا معاً الى هولندا حيث لم يلبث ان تلقى عرضاً مغرياً من معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا وبعد سنة قبل وظيفة تدريسية فيه.

★ ★ ★

الاجسام الغريبة - في اواخر الخمسينات كان علماء الفلك بدأوا مراقبة الفضاء بواسطة المنظار اللاسلكي. وقد رصدت تفجّرات هائلة من الطاقة الشعاعية يرجع معظمها الى مجرات نائية. على ان اشارات اخرى مختلفة جداً كانت تنبعث من اجسام غريبة يميل لونها الى الزرقة عرفت في ما بعد باسم كوازارات اي مصادر شعاعية تشبه في ظاهرها النجوم.

في طيف الضوء الطبيعي المنبعث من النجوم ينتشر النور في الوان واطوال موجية كتلك الموجودة في قوس القزح. ويمكن تحديد العناصر الموجودة في نجمة ما بواسطة حزم ضوء وباطوال موجية معينة. وحزم الضوء هذه تكون اما متوهجة واما قاتمة وهي بمثابة بصمات الاصابع. وتبيّن أن اطياف الضوء المنبعث من الكوازارات احتوت خطوطاً ذات اطوال موجيّة غريبة لم يجد الفلكيون لها تفسيراً استناداً الى ما كان معروفاً عن النجوم والمجرات.

وفي اوائل العام ١٩٦٣ وجد شميت نفسه امام طيف ضوء قوي منبعث من كوازار عُرف برمز "٣ ث ٢٧٣"(٣) حددت مصدره أجهزة لاسلكية تعود الى فلكيين من اوستراليا. وقال شميت ان هذا الطيف احتوى على ستة أحزمة متوهجة "لم يكن لاثنين منها أي معنى. وعندما أهملتها تبين ان للاربعة الاخرى سياقاً منتظماً وان بينها مسافات منتظمة كذلك. عندئذ قررت ان ارسم شكلا بيانياً يظهر مستوى الطاقة." وبدت الخطوط مألوفة وتوزعت في نمط مطابق للنمط الذي يتبعه الهيدروجين العادي وهو العنصر الاكثر غزارة في الكون.

كان معروفاً لدى الفلكيين ان موجات الضوء المنبعث من المجرات النائية تزداد طولا او يتحول لونها الى الاحمرار كلما ابتعد بها الكون المتمدّد باستمرار عن الطريق اللبني. تلك كانت القاعدة: كلما ابتعدت المجرات او الكوازارات، ازداد احمرارها. وقد استعان شميت بمسطرة حاسبة فاكتشف ان احدى الحزمات الاكثر توهجاً في طيف الضوء

(٣) 3C 273

المنبعث من الكوازار قد ازداد احمرارها بنسبة ١٦ في المئة. وتحدث عن هذه الظاهرة فقال: "في البدء هززت كتفي غير آبه لهذا الاكتشاف الاول، ولكن عندما وجدت الامر نفسه يتكرر في الحزمة الثانية، بدأ هذا الشأن يثير اهتمامي." وعندما تكرر ذلك في الحزمتين الثالثة والرابعة ايقن شميت انه امام جديد، فاستدعى زميله جيس غرينشتين الذي كان وجد اثناء درسه للكوازار "٣ ث ٤٨"(٤) احمراراً في طيف الضوء المنبعث منه قدر نسبته بـ٣٧ في المئة، الا ان ذلك لم يستوقفه لاعتقاده ان الكوازار اقرب الى الارض من تلك المسافة التي يشير اليها هذا الاحمرار، لكنه سرعان ما ادرك خطأه بعدما استمع الى شميت الذي صرّح في ما بعد: "هذان الرقمان اوضحا الامر كله." وفي الحال ادرك العالمان حقيقة المسافة التي تفصل الكوازارات عن الارض. وحددت المسافة بين كوازار "٣ ث ٢٧٣" والارض بملياري سنة ضوئية وتلك التي بين الارض وكوازار "٣ ث ٤٨" بما يزيد على اربعة مليارات سنة ضوئية.



الاكتشاف الكبير - هزّ هذا الاكتشاف الفلكيين في العالم وظهرت على اثره صورة شميت على غلاف مجلّة "تايم". على ان انجاز هذا العالم الهولندي البالغ من العمر ٣٣ سنة آنذاك، كان في مستهلّه. وبقي عليه ان يدعم النظريات التي صاغها ويعثر على كوازارات ابعد.

وفي العام ١٩٦٤ اكتشف شميت كوازاراً أبعد من كوازار "٣ ث ٤٨" وتبلغ نسبة احمراره ٥٥ في المئة. وبعد سنة عثر على كوازارات وصل احمرارها الى ١٠٠ في المئة و٢٠٠ في المئة. وفي ١٩٧٣ اكتشف كوازاراً بلغت نسبة الاحمرار فيه ٣٥٣ في المئة وسرعة ابتعاده عن مجرتنا ٩١ في المئة من سرعة الضوء.

اما قمة الاكتشافات فكانت الكوازار "بي. كي. اس. ٢٠٠٠ - ٣٣٠"(٥) الذي عثر عليه فلكيان اوستراليان في سبتمبر (ايلول) ١٩٨٢، وهو يبعد عن الارض مسافة ١٢ مليار سنة ضوئية وتبلغ درجة تحوله الى الاحمرار ٣٨٧ في المئة وهي نسبة مرتفعة جداً. بيد ان تلك الكوازارات النائية تبقى نادرة. ويبدي شميت "استعداداً تاماً لتقبل الفكرة القائلة باننا لن نجد كوازارات تبعد كثيراً عن تلك التي تم اكتشافها الى الآن."

ولقد اتاح اكتشاف تلك الكوازارات الفرصة لعلماء الفيزياء الفلكية لجمع معلومات جديدة عن الثقوب السود التي ربما كانت بقايا مجرات تلاشت او اجزاء من مجرات، حيث قوة الجاذبية تمنع الضوء من الانفلات. ويعتقد العلماء ان في قلب الكوازارات ثقوباً سوداً وان الطاقة الهائلة التي تختزنها هي التي تزوّد الكوازارات المتألقة "الوقود" ومن خلال عملية لم يدرك كنهها بعد. وبغياب الدليل القاطع تبقى الثقوب السود تلك التفسير الوحيد للطاقة الهائلة التي تختزنها الكوازارات.

ان البحث عن كوازارات أبعد مسافة

---

(٤) 3C 48

(٥) PKS 2000 — 330

وربما ابهت نوراً لن يتوقف. وسوف يستمر البحث عنها بواسطة المنظار "كيك" الموجود في موناكي يساعده منظار بصري جديد كان متوقعاً ان يطلق من مكوك فضائي امريكي هذه السنة وبواسطة منظار آخر يعمل على الاشعة ما دون الحمراء ويوضع في مدار فضائي سنة ١٩٩٣. ويعلق شميت آمالا كبيرة على المجال البصري الجديد ويقول: "سوف يتيح لنا هذا المجال التقاط تفاصيل اكثر دقة، ولانه يتخطى الغلاف الجوي فسيتسنى لنا التقاط صور اكثر وضوحاً من تلك التي تلتقط بواسطة المناظير الفلكية الارضية."



الفلكيون مثل الشعراء – ما هو شعور مارتن شميت وهو "يغوص" ببصره في الفضاء السحيق و"يستشرف" حافة الزمن؟

يجيب: "لا يسع المرء الا ان يشعر بالرهبة. فالعلماء قادرون على تفسير ظواهر الكون اكثر واكثر غير انهم لن يستطيعوا كشف علة الكون ووجود البشر." ويقول ان الاكتشافات الفلكية "تثير في النفوس المشاعر والاحاسيس نفسها التي تثيرها الاعمال الفنية العظيمة كالشعر والموسيقى الرائعة. انها تسمو بالروح وترتفع بها الى علٍ."

وشميت مقتنع بان علم الفلك هو امتداد طبيعي لحاجة الانسان الى ان يعرف المزيد عن نفسه وهو يقول: "ان المادة هي في جوهرها واحدة، اينما وجدت في الكون. فالهيدروجين والهيليوم الموجودان في الكوازارات والمجرات والنجوم والكواكب أحدثهما الانفجار الكبير الذي ملأ الكون. وعلى اثره تكونت النجوم والكواكب وبدأت الحياة على الارض. والذرات الاثقل في ملعقة او طاولة ما او في جسدي أو جسدك، كلها مصدرها واحد: النار النووية الموجودة داخل النجوم. اننا جميعنا من غبار النجوم." واذا ما نظرنا الى علم الفلك هكذا، سهل علينا ان نفهم كيف انه مادة للفن والشعر ومصدر وحي مارتن شميت.

جاي ستولر ■



لعبة "التفاهات"

حين انتهى الاستاذ من إلقاء محاضرته الأخيرة في العلوم الاجتماعية اندفعت اليه طالبة في السنة الاولى قائلة: "يا أستاذ، أريدك أن تعرف أني تعلمت الكثير الكثير من درسك". ولم يكد صاحبنا يسرّ ويهمّ بالرد بالعبارة الملائمة حتى أضافت الفتاة: "والسبب أني فزت في لعبة "التفاهات" (Trivial Pursuit) مساء السبت الماضي بفضل ما علمتني إياه."

ل.س.

ألوف السائقين وركاب السيارات يموتون سنوياً على الطرق الثلجية. هنا تدابير وقائية لتخفيف الخطر

سُبُل السَّلامة في القيادة الشتائية

على رغم التحذيرات التكنولوجية الدقيقة التي تنبىء بالاحوال الجوّية، فلا يزال سائقو السيارات كل شتاء يتعرّضون للضياع والانقطاع على الطرق التي تسدّها الثلوج. وكثيراً ما تنتهي معاناتهم بفاجعة. فاذا كنت غير قادر على التكهن بكل طارىء ففي امكانك أن تحسن فُرصك في البقاء حيّاً باتباع التدابير الوقائية اللازمة. واليك في هذا الصدد القواعد التي ينصح بها خبراء القيادة ورجال الشرطة ونوادي السيارات.

■ **احتفظ في سيارتك بعدّة تسعفك في البقاء حياً** (راجع ملحق "عدة النجاة في القيادة الشتوية").

كين كينيدي تاجر من مدينة وينبيغ كان خارج قرية موريس في ولاية مانيتوبا عندما سقطت سيارته في حفرة أثناء عاصفة ثلجيّة في يناير (كانون الثاني). ولكونه سائقاً مجرّباً فقد كان خزان سيارته مليئاً بالوقود ولديه العدّة الضرورية، انّما فاته أن يحضر الحرام الذي يحمله دوماً في سيارته. كان لديه عدد وافر من الشموع وعيدان الثقاب الجافة، وبهذه استطاع البقاء دافئاً. وعندما نفدت الشموع أخذ يشعل صفحات من كتاب دليل المبيعات الذي يحتفظ به على المقعد الخلفي. وأخيراً أنقذه من الحفرة مزارع بجرافته الثلجيّة بعدما أمضى ٤١ ساعة داخل سيارته.

■ **اضبط محرّك سيارتك كي يعمل بدقة وانتظام في فصل الشتاء.** تأكد من أن الاطارات (الكفرات) الشتوية في

حال جيدة، وأن لديك المقدار الكافي من السائل المنظّف للزجاج الأمامي، ممزوجاً بمادة مقاومة للتجمّد(★).

■ **قدْ سيارتك وفي خزان الوقود دائماً أكثر من نصفه**، فاذا انقطعت في الطريق كان لديك مزيد من الوقت لادارة المحرّك في فترات متقطعة لكي تدفأ. وعندما يكون خزان الوقود ممتلئاً الى أعلى من الوسط، فانه يمنع تكثف البخار وتكوّن الجليد في أنابيب جهاز الوقود.

■ **أبقِ دائماً في سيارتك ملابس للتدفئة**، ولا تنس القبعة والقفّازات وان كنت تقود السيارة داخل المدينة، لان الرحلة وان بدت قصيرة فربما طالت من دون أن تتوقع.

في ٤ مارس (آذار) ١٩٨٥ غادر جان مارك تيريو منزله بالقرب من أوشاوا في أونتاريو متوجهاً في سيارته الى مركز عمله في قلب تورنتو. وقدّر أن تدوم رحلته ٥٠ دقيقة كالعادة، لكنها استغرقت ١٤ ساعة، لأنه تسمّر في الطريق وسط زحمة سيارات نجمت عن غزارة الثلج والمطر المتجمّد. وهو لبث محبوساً في سيارته لمدة ثماني ساعات على رغم جهود ١٢٠ جرافة ثلج و٦٢ فارشة ملح لفتح الطريق. ومن عادة تيريو أن يُبقي خزان الوقود مليئاً في الشتاء، لذلك أمكنه أن يدير محرك السيارة مدة عشر دقائق كل ساعة، وكانت هذه الفترة كافية لتدفئة داخل السيارة ومكنته من الاستماع الى الاذاعات. وكانت لديه سترة مبطّنة بالفرو ومجلة للقراءة وكعك محلى.

مع كل ذلك نسي شيئاً ضرورياً.

لدى معاودة السير بدأت الرحلة البطيئة رجوعاً الى البيت. لكن تيريو كان يتوقّف في الطريق للمساعدة في دفع السيارات المتوقّفة. وكانت سيارته أيضاً تتوقف أحياناً. وأخذ يردّد: "كان يجب أن أبقي معي رفشاً لجرف الثلج."

احتياطات لازمة – قد تبدأ المتاعب في أي لحظة أثناء الشتاء. فاذا كان الطقس يزداد سوءاً، توجّه الى أقرب مكان فيه هاتف، فاذا وجدت نفسك في ورطة، فكّر بتأنّ في ما هو الأفضل أن تعمله: أتبقى داخل السيارة وتنتظر وصول النجدة، أم تحاول أن تحفر تحت عجلاتها وتحررها من دون أن ترهق نفسك، أم تتجه الى أقرب مركز للاسعاف؟

ان لم تكن على ثقة تامة، بأنك قريب من مكان تلجأ اليه، فالأفضل أن تبقى داخل السيارة وتنتظر الى أن يأتي من يخلصك. فعدم وضوح الرؤية في العاصفة يسبّب خداعاً للنظر فيتعذر على المرء أن يتبيّن المسافات الصحيحة.

في ليلة برد قارس من يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ كان جون بايلي (٨٥

(★) Antifreeze

عاماً) ومعه زوجته آني (٨١ عاماً) يقود سيارته متجهاً الى بيته في رسل بمانيتوبا. وضغط الكابح امتثالا لاشارة الوقوف، فانحرفت السيارة عن الطريق. وأدار الزوجان المحرك بقصد التدفئة، ولكن سرعان ما نفد الوقود. عندئذ أقنع جون زوجته بالبقاء داخل السيارة فيما حاول هو قطع مسافة ثلاثة كيلومترات الى احدى المزارع طلباً للنجدة. وكانت الحرارة ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر، لذلك لم يتمكن جون من تحقيق غايته. ووجدت جثته صباح اليوم التالي بجانب الطريق. أما زوجته فوجدت حيّة داخل السيّارة وقد تلفعت بمريول مطبخ تدفأت به.

في حال بقائك داخل سيارتك عليك أن تأخذ الاحتياطات اللازمة. أضيء شعلة كي يسهل الاهتداء اليك. افتح النافذة غير المعرضة للريح حوالى نصف سنتيمتر لتؤمن تهوئة جيدة. افتح بقية النوافذ والأبواب بين وقت وآخر كي لا تتجمّد بفعل الجليد فيصعب فتحها. واذا كانت لديك سيارة ستايشن (أو أخرى يمتد سقفها الى الوراء) فاترك النوافذ الخلفية مقفلة لئلا يدخل منها دخان خانق من العادم. وقبل أن تدير المحرك تأكد من أن أنبوب العادم غير مسدود. واذا لم يكن لديك رفش فاستعمل أحد أغطية العجلات (الطاسات) لازالة الثلج من حول العادم.

الهدوء هو الاهم – فكّر بهدوء واستنبط طرقاً بما هو متيسر لديك من عدة وامكانات. فان لم تكن لديك شعلة تضيئها أو اذا أطفأها الثلج والريح، فاربط بالهوائي وشاحاً أو قطعة قماش ملوّنة. واذا لزم الامر فانزع أغطية المقاعد لتتدفأ بها.

أدِر المحرك مدة تراوح بين ١٠ دقائق و١٥ دقيقة كل ساعة، أو ما يكفي من الوقت لتبقى الحرارة في المستوى المطلوب. واذا شعرت بالنعاس أوقف المحرك للحال. أخرج من السيّارة لتهوئتها، فالحركة والهواء النقي يبعثان فيك النشاط.

احفظ غطاءي المحرك والصندوق مقفلين لئلا يتسرب غاز العادم الى الصندوق ولئلا يدخل الثلج المحرك فتصعب اعادة ادارته.

وأهم من كل ذلك أن يكون هناك من يعلم بالجهة التي تقصدها والطريق التي تسلكها والوقت الذي يستغرقه وصولك. فاذا حدث أن افتُقدت ففي امكان مفرزة الطرق العامة أن تحدد تقريباً المكان الذي يحتمل أن يعثر فيه عليك.

في رأس السنة من العام ١٩٨١ ذهب أربعة شبان في رحلة من نيوكاسل في نيو برنزويك لزيارة أصدقاء لهم في بلفوند التي تبعد ٣٠ كيلومتراً، من دون أن يعلموا أحداً بوجهتهم. وفيما هم في منتصف الطريق نفد مخزون الوقود لديهم ووجدوا أنفسهم منقطعين في قلب غابة

تغمرها الثلوج. لم يكن أي منهم يرتدي قبعة أو قفازات ولم تكن لديهم عيدان ثقاب جافّة أو بطانيات أو غيرها من الأدوات التي تمكّنهم من البقاء. ولانهم لم يطلعوا أحداً على مقصدهم فقد أيقنوا أن فرص نجاتهم باتت ضعيفة، خصوصاً لأن الثلج بدأ يسقط.

بعد منتصف الليل قرر اثنان منهم أن يتركا السيارة الى نيو كاسل طلباً للنجدة. ولكن بعد ثلاثة أيام عثر أحد الحطّابين على جثة أحدهما متجمّدة وأعلم فرسان الشرطة الكندية بالامر. وأبلغ الخبر الى فريق النجدة الذي كان يبحث في الغابات على بعد ٨٠ كيلومتراً من المكان. فتوجّه المنقذون الى هناك ووجدوا جثة الشاب الآخر في مكان مجاور. وبعد ساعة وُجد الشابان الآخران على قيد الحياة بعدما أمضيا ثلاث ليال داخل السيارة. ولدى العثور عليهما كانا خارجها يحاولان تدفئة جسديهما وهما منهكان وعلى الرمق الاخير.

مهما حدث فعليك أن تظلّ هادئاً.

يقول أندرو ماكسيمشوك المدير المفوّض في أكاديمية الشرطة الاقليمية في اونتاريو والخبير في أساليب البقاء في البرّية: "ان الوضع نادراً ما يكون سيئاً في الحقيقة كما يبدو للوهلة الاولى. فالبقاء على قيد الحياة يتوقف فعلا على هدوء المرء وحسن تفكيره وتصرفه قبل الحادث الطارىء وخلاله."

ايلين بتيغرو ■

عدة النجاة في القيادة الشتائية

- رفش
- ملح أو رمل
- لبادة فولاذية أو قطعة سجاد عتيقة لسحب السيارة عليها
- أسلاك لحقن الكهرباء (للتذكير)
- حبل أو سلسلة للقطر
- عدة الاسعافات الاولية
- اشارات ضوئية أو نارية
- مشعل كهربائي
- بطانيات أو أكياس نوم
- شموع وعيدان ثقاب مانعة للماء وقدر أو "ركوة" قهوة لتذويب الثلج بقصد الشرب
- طعام غير قابل للتلف يحتوي على طاقة حرارية عالية، كالسكر وألواح الشوكولاتة
- راديو ترانزيستور

لا تضيع وقتك متسائلا: "لماذا لا يكون العالم أفضل مما هو؟" فالاجدى ان تسأل نفسك: "كيف يمكنني أن أجعله أفضل؟" عندئذ ستلقى جوابا عن سؤالك.

ل.ف.

يطيرون مثل العصافير

لخّص ١٨ سنة من حياتنا معاً بكلمة واحدة: "وداعاً"

صافحه أبوه بوقار ثم قبّلته أنا على خده. لكن كريغ لخص السنوات الثماني عشرة من حياتنا معاً بكلمة واحدة: "وداعاً." ثم استدار ومشى مسرعاً الى مبنى جامعي ناء. كان شاباً على عتبة البلوغ توّاقاً إلى تذوّق المغامرة.

وعدت إلى البيت أبكي. فكريغ هو أصغر ولدينا، ولم تكن هذه المرحلة الجديدة من حياتنا لتثيرني بمقدار ما كانت تثيره، وسبب ذلك أن الأمور ستتبدّل من الآن فصاعداً. ان أخاه الأكبر مارك يعود الينا من الجامعة في أيام كثيرة. كذلك سيعود كريغ إلى البيت في العطل والصيف. فهو إلى حدّ ما لا يزال معنا وسيبقى معنا دائماً، لكن غرفته خالية والجامعة تشكّل مرحلة انعطاف حاسمة.

وعشنا أنا وزوجي راندال هذه المرحلة، بل نجحنا في اختبارها. فأنمينا علاقات

Illustration: Nicole Dunay

جديدة وبتنا نفخر باستقلالية ولدينا. لكن كل أمر تبدّل كما توقعت. فحتى لما عاد مارك إلى البيت في وقت لاحق إثر حصوله على وظيفة فانه رجع إلينا راشداً. واليوم لا أزال أشعر بغصّة كلما رأيت أولاد جيراني يغادرون الى الجامعة، لأنني أسترجع ذكرى فراق ابني الاصغر اذ ولج ذلك الباب الكبير.

وأدركت أن الدموع التي ذرفتها كانت دموع نجاح لا دموع خيبة. فنحن ننشأ معتادين الحزن الناتج من عدم تحقيق أحلامنا. لكنني لم أدرِ إطلاقاً أن بلوغ أهدافنا سيؤلم أيضاً.

فكلا ولدينا ـ وسيم ومعافى ولامع ويسهل عليه نيل الجوائز والشهادات ودخول الجامعات. لكننا لم نكن مهيأين لثمرة هذا النجاح، ألا وهي ألم الفراق. فعندما نقول نحن الأهل لولدنا: "سوف تكبر في يوم من الأيام،" فاننا نعني أنه سيكبر في يوم من أيام المستقبل البعيد جداً ولا نعني اليوم. والحقيقة الحلوة المرّة هي أن هذا اليوم يأتي أبكر ممّا نتوقّع.

الأبوة تقلب تسلسل المسؤوليات الأخرى. فيبدأ الوالدان بمسؤوليات ضخمة وبخبرة قليلة أو معدومة، ويكتسبان خبرة كلّما كبر الطفل. ولكن سرعان ما تنتفي الحاجة إليهما كمربيين عندما يجتمع لديهما المقدار الكافي من الخبرة، إلى أن يأتي يوم تصبح كل خبرة الوالدين عديمة الفائدة.

اليوم حين ارى الأمهات في المتاجر يتصرفن وكأن التبضّع مع أولادهن عمل رتيب سيستمر إلى الأبد، أرغب في أن أبوح لهن بهذا السر. وذات يوم بُعيد رحيل كريغ شاهدت طفلين يتشاجران في متجر ووالدتهما تصرخ فيهما: "كفّا عن هذا الشجار." وكنت أدرك مدى سطحية الشجار بين الاخوة، لكنني لو اندفعت إلى تلك المرأة الغريبة وقلت لها: "تمتعي بهذه المرحلة من حياتك فهي لن تدوم،" لاعتقدت أنني مجنونة.

وازداد شعوري بالوحشة لدى مروري بالقرب من ملعب مدرسة في أوائل الخريف. وزيّن لي خيالي أن ينفصل طفلان عن الحشد ويندفعا نحو سيارتي هاتفين: "مرحباً يا أماه. ما رأيك في تناول شطيرة معنا؟"

أما المنزل فبدا مهجوراً بلا أولاد. فالالعاب مخبوءة في القبو وصور التخرّج مصفوفة على البيانو والسكون يلف الغرف حيث غابت الحيويّة الصبيانيّة التي ملأتها في ما مضى. في الأيام المفعمة بالحياة كان المنزل يرجّع صدى خطوات الطفلين اللذين قلّما كانا يسيران، بل كانا يركضان أو ينزلقان أو يقفزان. وعندما كنّا نذهب في رحلات لنري ولدينا العالم، كانا هما يعرضان علينا العالم من خلال عيون الطفولة بعد ان ينهكنا التعب. فقد علمني مارك ألّا أكره الطرخشقون، فهي زهرة جميلة. وبات مذاق الطعام أشهى بوجود طفلين يشاركاننا فيه. حتى المعكرونة أصبحت من أطباق الذواقة.

وأخذنا ولدينا في رحلات قصيرة لا تحصى. ودوماً كانا هما المفسرين. وبعد رحيلهما حضرنا حفلات وعروض سيرك كثيرة، لكننا شعرنا على الدوام كأننا نزور بلداً أجنبياً من دون مرشد.

أنا انتقلتُ إلى عالم الأمومة بعدما مارست مهنة الصحافة. وكنت أنوي العودة إليها حالما أجد أحداً يشغل مكاني في المنزل. لكنني اكتشفت أنه ليس في امكان أحد أن يشغل مكاني فعلا. وسرعان ما أصبحت الكتابة الوحيدة التي يتيح لي وقتي انجازها هي لائحة عجلى بالبقالة التي أحتاج اليها. واليوم أرى أن البقاء في المنزل مع الأولاد أجزل مكافأة وإثارة للتحدي من أيّ عمل في المكتب. فالوظيفة ليست سوى وظيفة، في حين مرت فترة كنت فيها وولديّ نعني كل شيء أحدنا للآخر. أأطلب الشهرة؟ كنت أشتهر بمجرد نجاحي في خبز كعكة لذيذة. أأطلب الثروة؟ كنت أشعر بالثراء كلما اصطحبت ولديّ إلى حانوت لشراء أكواب الجيلاتي (آيس كريم). أأود التقدير؟ لقد مرّت فترة منحتني فيها عبارة "تقول أمي" السلطة في جميع الميادين.

الآن فقط أدرك أهمية تلك المهمة. فما فعلته أو لم أفعله سيؤثّر فيهما طوال حياتهما. وليس في طاقتي أن أرجع إلى الوراء وأؤدي أي عمل من جديد. كل ما يمكنني أن أرجوه هو أن تعادل الأخطاء التي ارتكبتها حين كنت منشغلة أو سريعة الغضب، الأوقات التي طرحت فيها كل شيء جانباً لأمنحهما العناية التي احتاجا إليها.

نادراً ما نبدي أنا ووالدهما اليوم نصيحة غير ملتمسة. فنحن نعلم أنه يتعين على كل جيل أن يرتكب أخطاءه، ونحاول ألّا ننتقد ولدينا لأننا نعلم أن العالم سيكون انتقادياً بما فيه الكفاية. فلا خيار لنا إلّا أن نؤدي الدور الاخير للأبوّة الصالحة، ألا وهو أن نتركهما يرحلان. لكن هذين الشابين الطويلي القامة ليسا هما اللذين أفتقدهما، بل اني أفتقد الصبيين الصغيرين العزيزين المقيمين فقط في كتاب الصور وفي الذاكرة.

الآن اتّسع وقتي لمهنتي من جديد. لكن ما يعكر هذه الحرّية هو الشعور بأننا خسرنا أفضل أدوار حياتنا. فالابوة رفقة يصحبها توافق فريد بين الامتياز والمسؤولية. وهي تمنح المرء وضعاً يسمو فوق المركز الاجتماعي والسلطة والثراء.

وتزداد الابوة رهبة إذ ندرك استحالة الرجوع عنها. فأولادنا لا يحملون مقوماتنا الوراثية فحسب، بل مثُلنا أيضاً. فلا يسعنا أبداً الرجوع إلى البداية.

بعد رحيل كريغ إلى الجامعة راقبت هره البالغ من العمر أربعة عشر عاماً وهو يرقد في زاوية مشمسة فبدا لي كالأسد المتقاعد وبدوت أنا كالملكة المخلوعة عن العرش. كانت لنا أيام عز.

في قلبينا وفي بيتنا اليوم غرف خالية. لكن فلذتينا يحملان دمغة لا تمحى عن حياتنا البيتية المشتركة. وهذه الدمغة ثابتة الى حد أن جانباً منها سينتقل إلى أولادهما وإلى أولاد أولادهما.

ماري جين تشامبرز ■



تمتع بالأمور الصغيرة، اذ ربما فكرت يوماً في الماضي وأدركت ان تلك كانت الأمور الكبيرة.

روبرت برولت



من يتسلق سلم النجاح ينظر دائماً الى الامام

تحمل كلمة "إخفاق" فكرة النهاية لدى كثير من الناس. اما القائد الناجح فينظر الى الاخفاق على أنه بداية ونقطة انطلاق الى جهود متجددة. فالقادة الحقيقيون لا يولون الاخفاق أكثر مما يستحقه من اهتمام. وقد توضح لنا ذلك بعدما قابلنا ٩٠ شخصاً ناجحاً ودرسنا مواقفهم عن كثب، وجلّهم من المديرين والنواب والمدربين الرياضيين.

الغريب في الأمر أن كلمة "اخفاق" لا تردُ البتة في أحاديث القادة، بل هم يستخدمون كلمات مرادفة مثل "خطأ" أو "بداية مشجعة" أو "نكسة".

وأخبرنا أحد الذين قابلناهم: "ان أفضل الاساليب القيادية في رأيي هو أن أرتكب أكبر مقدار من الأخطاء في أقصر وقت ممكن لكي أتعلم من أخطائي." وتذكّر آخر القول المأثور للرئيس الامريكي الراحل هاري ترومان: "كلما اتخذت قراراً رديئاً أعود وأتخذ قراراً آخر."

سُئِل فلتشر بايروم الرئيس المتقاعد لشركة "كوبرز" للتعهدات عن أصعب قرار اتخذه في حياته، فأجاب: "أنا لا أعرف معنى القرار الصعب. كل ما يمكنني أن أفعل هو أن أعطي أفضل ما عندي.

Condensed from «Leaders: The Strategies of Taking Charge,» copyright © 1985 by Warren Bennis and Burt Nanus, published by Harper & Row, Publishers, Inc., New York, N.Y. Illustration: Pierre Le -Tan

فالقلق لا يساعد في شيء، بل يضع العراقيل في طريق التفكير السليم."

تحمّل وليم سميثبورغ رئيس شركة "كوايكر أوتس" مسؤولية "غلطتين" ارتكبهما، وهما شراء شركة لصنع العاب الفيديو اضطر الى اغلاقها بعد وقت قصير، وشراء شركة أخرى أعلن افلاسها سريعاً. وتحدث لاحقاً الى موظفيه: "أريدكم أن تكونوا جريئين وتقدموا على المجازفات في العمل. فكل الموظفين الكبار في هذه الشركة تورطوا على نحو أو آخر بأحد المنتجات الخاسرة. وهذا يشملني أنا أيضاً. والأمر كمن يتعلم التزلج: اذا لم تقع فلا يمكنك أن تتعلم."

وعلى رغم أن القادة الذين قابلناهم لا يفاخرون باخفاقاتهم، إلا انهم مقتنعون بأنهم وموظفيهم قادرون على استخراج العبر والدروس من أخطائهم. فقبل سنوات تسبّب مدير شاب في شركة «IBM» في خسارة الشركة بضعة ملايين من الدولارات في صفقة تجارية خاسرة. فاستدعاه مؤسس الشركة توماس واتسون، ولدى دخوله مكتبه تمتم الشاب بحياء: "بالطبع تريدني أن أقدم استقالتي؟" لكن واتسون عاجله بالرد: "لا أظنك جاداً في ما تقول. فنحن أنفقنا لتونا ملايين الدولارات لتثقيفك!"

وتطبع مواقف هؤلاء القادة ميزة أخرى هي تقديرهم مغامرة سكب طاقاتهم في إحدى المهمات. كما اكتشفنا انصهاراً بين العمل والمرح في شخصية كل منهم. فهم يستمتعون بما يفعلون الى حد أنهم يغفلون عن التفكير في الاخفاق.

وارن بنيس وبرت نانوس ■

ناعومي يومورا
عاشق القمم



ناعومي يومورا وكاتب هذا المقال في لقائهما الاول عام ١٩٧٧.

الحياة في عينيه مغامرة
في أعلى القمم وأطول الانهار وأبرد المنافات.
وسر العيش أن نرى الحياة
بعيني طفل مدهوش

بين المغامرين الذي عرفتهم، أحقّهم باعجابي هو ناعومي يومورا الذي كان أول من بلغ أعلى القِمم في خمس قارات. كلّها، ما عدا قمة افرست، بلغها منفرداً. وقطع مسافة ٦١٠٠ كيلومتر من نهر الامازون في قارب من صنع محلي. واجتاز ١٢ ألف كيلومتر من الجليد في زلّاجة تجرّها الكلاب في رحلة ملحمية منفردة. من غرينلند عَبَر كندا الشمالية الى ألاسكا مسافة يجاوز طولها رحلة من طوكيو الى مدينة نيويورك. وحين لقيته للمرة الاولى في أواخر ١٩٧٧ كان على وشك أن يصبح أول رجل يسوق منفرداً فرقة كلاب الى القطب الشمالي.

Photo: Dee Molenaar

كان يقصد مدينة سياتل في ولاية واشنطن ليتبضّع للرحلة. وعرّفني به صديق مشترك يدعى غريفيث واي وهو رجل قانون محلّي وزميل لي في تسلق الجبال. وحيّاني يومورا ببسمة عريضة أضاءت الغرفة مثل شعاع نور ترسله شمس شتوية. ورأيت أمامي شخصاً صغير القد، وبصراحة أقول غير جاذب للنظر، يلبس سترة عالية الطوق فوق قميص وسروال رياضيين. كان عمره يقارب عمري، ٣٦ عاماً. أما هيئته فتدل على انفتاح وحيوية وتتخللها انفجارات من الضحك المرح، فيبدو للناظر أنه لم يجاوز السن التي كان فيها طالب زراعة في جامعة ميجي باليابان، سوى أن عينيه القاتمتين تعبّران عن تجربة ذاتية عميقة قلّ أن يملكها سواه.

"ليس في انطباعاتي عنه ما يدل على انسان خارق القوة،" هذا ما دوّنته بعد ذاك في يومياتي، "لكن كل من يراه يشعر بأنه رجل عركه الدهر."

طريدة القمر — كنتُ واحداً من أفراد الحملة الامريكية المستعدة لتسلق جبل "ك ٢" ثاني أعلى جبال العالم. وبهذه الصفة وجدتُ مادّة خصبة لمحاورته. عبارته الانكليزية بسيطة لكنها تفي بالغرض، نظير قطعة مستعملة في عدة التسلّق، بسيطة الصنع لكنها صالحة لأداء ما يُراد منها. لم يكن يومذاك واثقاً من كفايته. وعن مغامراته الاخيرة في هذا الميدان قال مازحاً: "لم تكن الا سيراً على أرض مسطّحة." وتحدّثنا عن أساليب قديمة وحديثة للعيش في العراء، وجرى بيننا نقاش حاد حول أي الطريقتين أفضل: أن ننام متلفّعين بجلود الحيوانات أم بملابس من ريش الأوَز وأغطية واقية من المطر. ولأنه عاش مدة سنة مع الاسكيمو كان يفضّل أساليبهم التقليدية: "الطريقة الطبيعية أفضل في رأيي. يجب أن نعمل مع الطبيعة لا ضدّها."

لكنه كان مقتنعاً بضرورة استخدام النوعين من الأغطية، باعتبار أنه يبقي دائماً بعضُ مجال للخطأ، وأن قرى الاسكيمو نادرة في الطريق التي اقتحم فيها ٧٦٦ كيلومتراً من الجليد والتي امتدت من رأس كولومبيا في جزيرة ألزمير الى القطب. وقد طربنا لحكاية لذيذة عن دُب قطبي دفعه إعجابه بقدرة بندقية يومورا على اقتناص الطعام الى ملاحقة زلّاجته كأنها متجر نقّال.

في اليابان شعر أنه سجين الشهرة. وكان من دواعي سروره أن يتحوّل سائحاً عادياً يحمل آلة تصوير في أنحاء الولايات المتحدة حيث كاد لا يعرفه أحد. وذهبتُ واياه الى محلّ لبيع معدات تسلّق الجبال، حيث طلب كيس نوم مزدوجاً نصحته به، وبسرور ظاهر قَبِل كنزة من ريش أهديتها اليه. واذ راقبنا اهتمامه وهو يلاحظ خياطة الكنزة جزءاً جزءاً تبيّن لنا أنه مثل سائر الناس، يجمع المتناقضات. فهو على رغم اعتناقه أساليب الاسكيمو التقليدية في رحلة خطرة عبر الجليد، لم يخشَ أن يحمل معه جهاز إرسال يعرّضه لمطاردة قمر اصطناعي.

انكار الذات — واصل يومورا رحلته الى القطب الشمالي وتوجهتُ أنا الى جبال

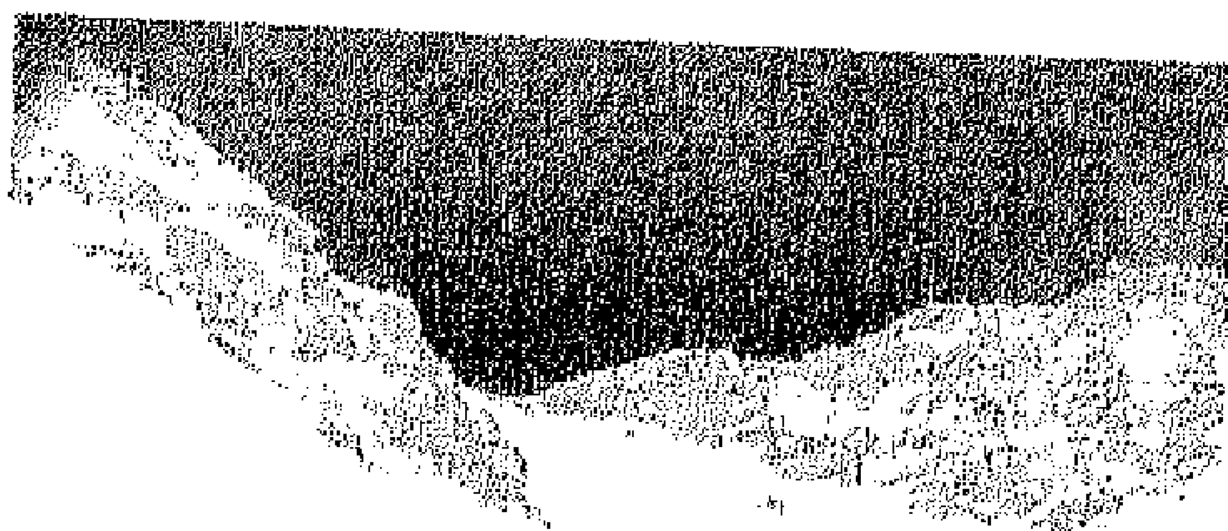
حملايا. وبعد مرور سنة كتبتُ اليه مُهنّئاً بنجاحه القطبي، راوياً قصة تسلّقنا جبل "ك ٢". فردَّ برسالة تهنئة يشكرني فيها لالحاحي عليه بأخذ كيس النوم المزدوج الى القطب الشمالي. وجاء في الرسالة: "حين هاجمني دب قطبي نجوت بفضل الكيس المزدوج الذي اختبأت فيه. وأحسّ الدب بوجودي، لكن كثافة الكيس منعته من الوصول الي."

في ربيع ١٩٧٩ رجع يومورا الى سياتل والتقى متسلّق جبال آخر هو الناشر جون بولوك، الذي كان يقود جماعة من المتسلّقين الناشئين الى قمة جبل القديسة هيلانة في ولاية واشنطن. فقرر يومورا مرافقتهم. واتفق الرجلان، حبّاً بالتفكهة، على اخفاء هوية يومورا حتى الجلسة الاخيرة التي يعقدها المتسلقون بعد الرحلة، فيجري تعريفه حينذاك باسم "المتكلم السرّي".

وحين وصل أفراد المجموعة الى نهر الجليد انقسموا فريقين، وصرفوا بقية يومهم في سحب رفقائهم من الاخاديد والحُفَر. فانضمّ اليهم يومورا وترك في ذهن كل منهم انطباعاً لا يزول. "هذا الياباني الشاب، كان عمله مساوياً لعمل رجلين، كذلك المساعدة التي قدّمها." هذا ما سمعه جون من أحد أفراد الفرقة بلهجة لا يخامرها شك.

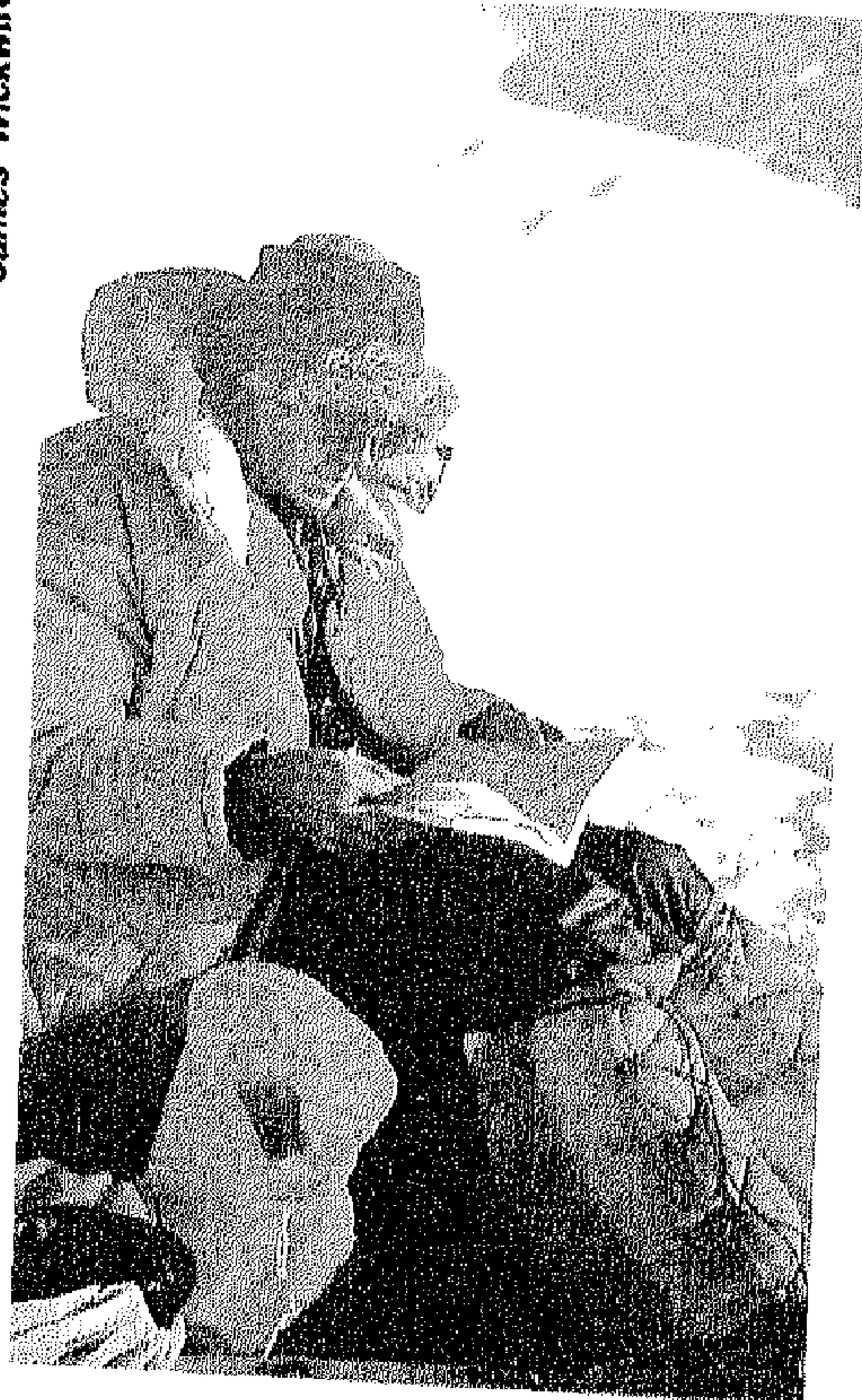
وقال بولوك متعجّباً: "رأيته يصعد الى القمة مشدوداً الى اثنين من المتسلقين

James Wickwire



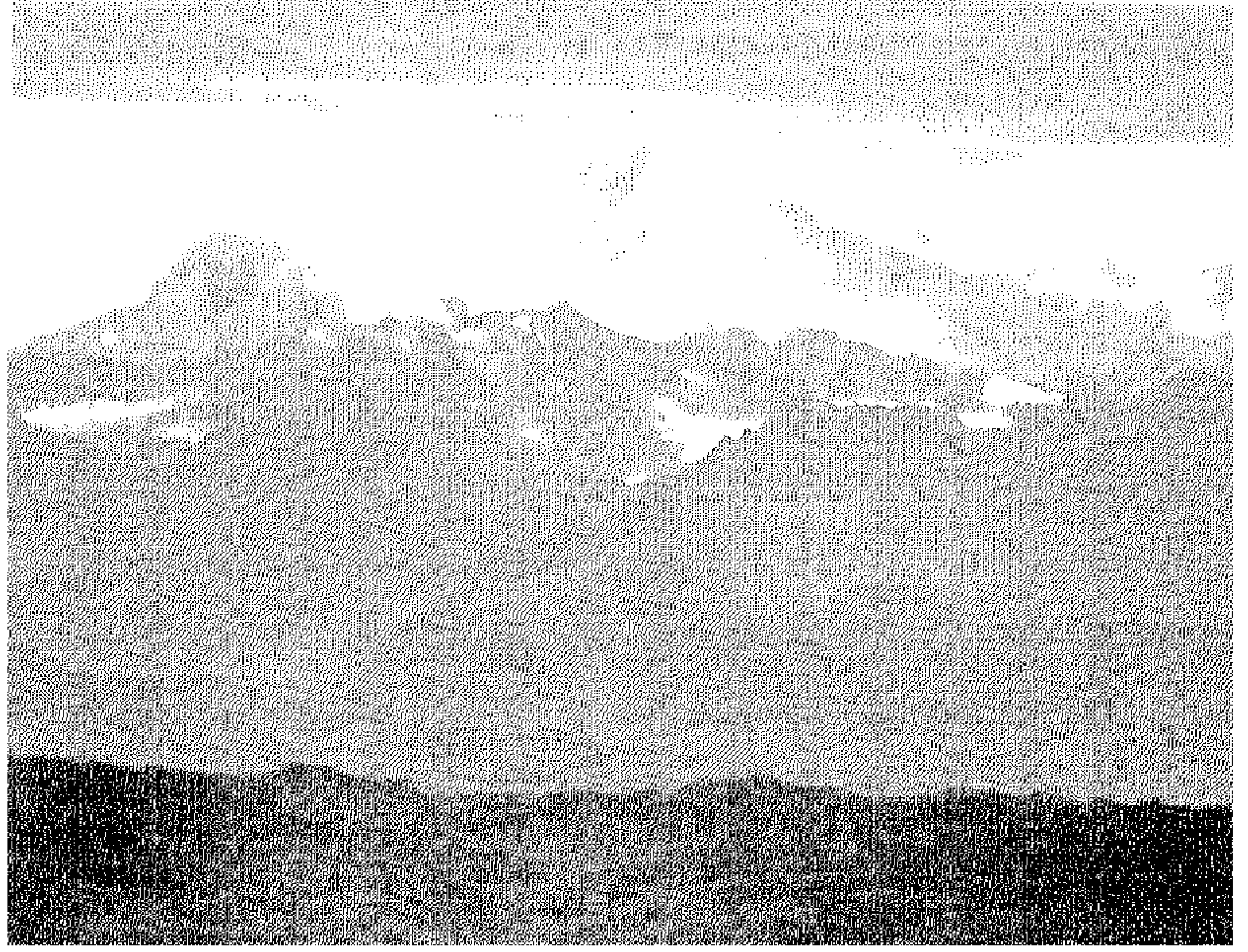


James Wickwire



فوق: الكهف الثلجي الذي لجأ اليه يومورا على ارتفاع ٤٣٦٠ متراً، وقرب مدخله قضيب التزلج.

تحت: آيهو أوتاني يقرأ يوميات يومورا علّه يقع على دليل الى مكان وجوده.



جبل ماكنلي.

جاوزا سن الشباب وكلاهما محدود الطاقة والخبرة. وهو الى ذلك تكلّف حمل كيس ثياب تركته في السيارة لظنّه اني نسيته وربما احتجت اليه. ولا أذكر اني التقيت في حياتي انساناً يماثله في انكار الذات. وحين بلغنا القمة أخذ يومورا يركض من جهة الى أخرى متفقداً أحوال الرفقاء، متحمساً مثل طفل، لعوباً مثل كلب صغير، في حين كاد الباقون ينهارون تعباً."

لم يدهشني كلام بولوك لاني عرفت ذلك الرجل على حقيقته. وأذكر أنه حين أعوزته النجدة من المتمرّسين في التسلق من رجال التيبت، تولى بنفسه نقل الحاجات والامتعة الى اثنين من البريطانيين كانا يقودان رحلة دولية مشؤومة الى جبل افرست عام ١٩٧١، بينما مضى أعضاء الرحلة من فرنسيين وايطاليين وسويسريين يتشاجرون حول من منهم يتطوع لهذا العمل.

مطامح كثيرة - بداية ١٩٨١ حملت الينا خبراً. بطاقة من يومورا تتحدث عن رحلة شتوية خائبة الى افرست وتصف عنف التيارات الهوائية التي تضرب الجبل.

وفي أواخر ١٩٨٣ عاد يومورا الى سياتل لحضور الاجتماع السنوي لنادي الألب الامريكي. وأخبرنا أنه في فبراير (شباط) سيتسلق منفرداً جبل ماكنلي في ألاسكا. وأثار الموضوع قلقي، وشاركني في القلق صديقنا غريفيث واي. فقد عرفت ان آخر رحلة تسلّق منفرد له كانت عام ١٩٧٠. أما جبل ماكنلي فهو أبرد جبال أمريكا الشمالية، ويبلغ ارتفاعه ٦١٩٤ متراً في جو قطبي رقيق هو أقسى من جو حملايا. واذا سقط متسلق على سطحه المتجمّد كسرت ساقه ولبث مطروحاً كالشِلو في برد قارس يجمّد اللحم العاري في أقل من دقيقة. وهناك الاخاديد التي يبلغ عمقها عشرات الامتار

شارب بالتأكيد





أنت موسيقي، هل تستطيع أن تلاحظ الفرق بين الشريط الأصلي والمنسوخ؟

كلا، لا استطيع ذلك، انه لنسخ ممتاز.

آلية الكاسيت المزدوج تقوم على وضع الشريطين ظهراً الى ظهر بشكل متواز لنسخ متفوّق، بالاضافة الى قوة خرج ضخمة ١٨٠ واط (PMPO) .

آلية مزدوجة مبتكرة تقوم على وضع الشريطين ظهراً الى ظهر لنسخ اكثر دقة. ان آلية شارب المزدوجة المميزة لا تلغي فوارق النسخ من اجل نوعية صوتية افضل فحسب، بل تصغر حجم الجهاز ككل ليسهل حمله.

قوة خرج ١٨٠ واط (PMPO) لصوت سوف يحرر موسيقاكم. قوة خرج ١٨٠ واط (PMPO) تؤمن صوتاً واضحاً وغنياً وخالياً من تشويه الحجم الصوتي المرتفع للأجهزة النقالة الأقل قوة.

عالم من خيارات الاستماع يؤمنها راديو ذو ٨ موجات. جهاز رائع ذو ٨ موجات اف ام FM / موجة قصيرة - ١/ موجة قصيرة - ٢/ موجة قصيرة - ٣/ موجة قصيرة - ٤/ موجة قصيرة - ٥/ موجة متوسطة AM / موجة طويلة LW . انه يوفر لكم مجموعة متنوعة من الخيارات الموسيقية والاخبارية.



WF-T737 (نظام هاي - فاي تعدد الأجزاء نقال مزدوج الكاسيت.

□ نظام من أربعة مكبرات صوت قابل للفصل ذو اتجاهين. □ معادل تخطيطي ذو خمس موجات. □ نظام نسخ فائق السرعة. □ نظام للبحث عن البرامج اوتوماتيكيا للشريط الثاني (APSS) . □ مجهاران للنغمات الخفيفة التردد ١٦ سم، ومجهاران للنغمات العالية التردد. □ مدخل خط للاسطوانة الصغيرة.

شارب

SHARP

شركة شارب . اليابان

ويزيد اتساع الواحد منها على حجم انسان، تكمن للمتسلقين تحت أغطية رقيقة "بريئة" من الثلج الناعم.

حين نبَّهتُ يومورا الى الاخطار التي تنتظره أصغى إليّ، لكنه لم يتزحزح عن عزمه. كان مصمماً على مواجهة طقس ماكنلي الرديء بوسائل تعلّمها في رحلاته القطبية. أما الاخاديد فقد استعدَّ لها بقضيبين من خيزران مختلفَي الطول يشبهان سيوف الساموراي(١) يشكّلان حول جسمه زاويتين قائمتين، لاعاقة أي سقوط.

وانتهت جلستنا المسائية بحادث لا يخلو من فكاهة. فلدى خروجي من المطعم ولجت بسيارتي شارعاً ذا وجهة سير واحدة، فسجل شرطي محضر ضبط في حقي لمخالفتي قانون السير، مما أثار طرب يومورا وضحكه المتواصل.

بعد شهر طار يومورا من مينيسوتا الشمالية الى سياتل حيث كان يدرب طلاب الرحلات على استعمال الزلّاجات. كان صدرُه عامراً بالمطامح، منها تأسيس مدرسته الخاصة في اليابان للتدريب على حياة العراء، وذلك بالطبع بعد تسلّق ماكنلي والذهاب في رحلة الى القطب الجنوبي ثم في رحلة أخرى يجتاز فيها سطح العالم ويحطّم أرقاماً قياسية في الوصول الى الاتحاد السوفييتي.

البرج الرهيب - قبيل رحلته طلب يومورا من صديقنا جون بولوك أن يَهديه الى مطعم يقيم فيه لزوجته حفلة عشاء مفاجئة بعد عودته من ماكنلي. الى هذه الحفلة أراد أن يدعو جميع أصدقائه الامريكيين، أما عددهم فيقرّره بعد أن يبحث هو وبولوك في مشروع هذا لنشر كتابات يومورا في الانكليزية. ولم يكن همُّ يومورا المال الذي يحصّله من النشر، بل ارسال نسَخ مجّانية من الكتاب الى أصدقائه الامريكيين الذين بلغ عددهم خمسمئة.

بعد دقائق عاد من المرأب حيث كان يحزم أمتعته وقال: "أريد سبعمئة." فأحنى بولوك رأسه موافقاً. لكن يومورا عاد بعد لحظات ليقول بحزم: "ثمانمئة نسخة! أنا أدفع الفرق." ثم تكوَّم في مؤخر سيارة أجرة توجهت به الى المطار مع فرقة تلفزيونية يابانية أراد أعضاؤها مرافقته الى المخيَّم الذي ينطلق منه. وفي السادس والعشرين من يناير (كانون الثاني) كان يومورا مُستقرّاً على حافة نهر كاهلتنا الجليدي في الاسكا.

اليوم أصبح العالم مطلعا على القصة المفجعة التي كنت لسوء الحظ واحداً من أبطالها. كثيرون يعرفون ما أعلنه المذياع عن بلوغ يومورا الظافر قِمة الجبل في عيد ميلاده الثالث والاربعين، وعجزه عن الوصول الى مخيَّم القاعدة بعد ذلك بيومين، وتقرير قائد فرقة التنقيب عن الاشارات التي أرسلها من كهف ثلجي يرتفع ٤٩٤٠ متراً حين حالت رياح عنيفة وغيوم متراكمة وانهيالات ثلجية دون وصول الطوافة التي أرسلت للنجدة.

بعد تنقيب طويل لم يجد المنقذون من آثاره الا حذاء تزلّج وقضيب خيزران وقضيب تزلّج على ارتفاع ٤٣٦٠ متراً، ثم قضيب خيزران آخر على ارتفاع ٢٦٢٠

(١) الساموراي فرسان اليابان الشهيرون ببطولاتهم.

متراً، في حين كان ذلك البرج الرهيب ببياضه العجّاج يخلو من أي أثر للحياة.

فوات الاوان – حجزت مقعداً للطيران الى ألاسكا، زاعماً أني أريد التسليم على يومورا لدى نزوله من ماكنلي. لكن معدّات التسلق التي حملتها روت خبراً آخر: انه في ضيق، ولا بدّ لي من اسعافه.

حين هدأت العاصفة ذهبت في طوافة برفقة أيهو أوتاني، وهو ياباني يمارس التسلّق والتصوير السينمائي، الى حيث عثر على حذاء التزلّج في سفح ماكنلي الذي اجتاحته العاصفة. وكان مفترضاً أن يومورا قضى في مكان ما بين ذاك الحذاء والموقع الذي حدده منظار الطيار على ارتفاع ٥٨٠ متراً من هناك. ولم نعبأ بالصداع الخفيف الذي سبّبه لنا علو المكان حين وُفّقنا الى اكتشاف كهف ثلجي وجدنا داخله مذكرات يومورا التي كان آخر سطورها صلاة شجاعة ورهبة: خفّاه المسماريان(٢) يفلتان باستمرار، الريح تدفعه بلا رحمة، لحن الموت يقرع أذنيه، التعب يكاد يقضي عليه. لكن آخر كلماته رنّت مثل نشيد: "بإرادة عنيدة أتسلّق ماكنلي."

واصلنا الصعود طوال أسبوع كامل في الطقس الجيّد والرديء. ولم نجد الا كهفاً ثلجياً على ارتفاع ٤٩٤٠ متراً كان يومورا لجأ اليه. عثرنا فيه على صفيحة وقود وبضعة أكياس طعام وعظمة كاريبو(٣).

"لم أذوب الثلج الا للحصول على الماء." هذا ما جاء في مذكراته التي شرح فيها سبب امتناعه عن الطبخ وهو توفير الوقود. "أكلت لحم الكاريبو نيئاً، على طريقة الاسكيمو. مضغ الطعام يُدَفّىء."

وعرفتُ أنا وأوتاني أنه اذا كان حيّاً وقادراً على الحركة فلا بدّ من أن يظهر في يوم جيّد الطقس وأن نراه نحن أو يراه الطيارون. لكن ذلك لم يحدث. لقد فاته الوقت.

فلسفة خاصة – بعد أسبوعين حقق فريق من نادي الألب التابع لجامعة ميجي إكتشافاً جديداً أثار أسئلة بلا جواب. فعلى علو ٣٠٠ متر فوق الكهف الثلجي الذي اكتشفناه عثروا على كهف فيه قِطع أخرى من معدّات الرحلة، منها موقد يومورا وكيس نوم داخلي ومجرفة ثلج. أترى قائد الطوافة فاته التدقيق في حساب منظاره في المرتفع الادنى؟ أم ترى يومورا أثناء نزوله ضلّ طريقه الى الملجأ الاعلى في بياض يحجب الافق ويطمس الرؤية؟ والسؤال المحيّر الآخر هو: كيف ترك هذه الاشياء الثمينة في صَعدته الاخيرة الى القمة؟ لا أحد يعلم. هناك شيء واحد أكيد: في مكانٍ ما من ذلك القفر المتجمّد يرقد جثمان ناعومي يومورا مكفّناً بالثلج.

أنا لا أعرف شاهدة قبر تحمل كلمات في الانكليزية أفضل من تلك الاخيرة التي ألقاها يومورا على بعض أصدقائه في مدرسة "جوّابي الآفاق" في إيلي بولاية مينيسوتا. فعشيّة رحيله كان اثنان منهم يتناولان معه العَشاء، بعد إشرافهم على سباق كلاب بذلوا فيه جهوداً مُضنية

(٢) من أيائل أمريكا الشمالية.

(٣) الخف المسماري خف ذو مسامير يلبس فوق الحذاء لتسهيل التسلق.

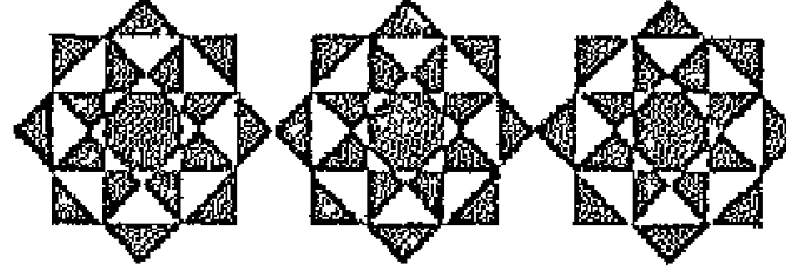
ووجدوا في تفاؤل يومورا أكبر مُشجّع لهم. في تلك العشية رآه الرفيقان يقف فجأة بعينين قاتمتين تقدحان شرراً ويقول:

"أريد أن أعلن لكم فلسفتي. لما كنا أطفالا كنا نرى العالم كله مدهشاً وكل شيء فيه جديداً. كنا نعتقد أن في وسعنا القيام بكل ما نريد. نعم، أن يصبح الواحد منا طبيباً أو متسلّقاً أو بحاراً أو أيّ شيء آخر. ثم كبرنا ودبَّ فينا التعب. كثيرون منا تخلّوا عن أحلامهم وركنوا الى الراحة. غاب عن نظرهم جمال الدنيا. أما انا فقد حاولتُ أن أعيش دائماً بقلب طفل، أن أرى الاشياء الرائعة والجميلة في الدنيا. تذكّروا. في وسعكم أن تفعلوا كل ما تريدون."

وهذا ما فعله ناعومي.

جايمس ويكواير ■

الكاتب محامٍ من سياتل مارس تسلّق الجبال منذ ١٩٦٠. اشترك في ١٣ رحلة كبرى الى ألاسكا وأمريكا الجنوبية وجبال حملايا، وتسلق جبل افرست مرّتين. في ١٩٧٨ كان الأول في فريق مؤلف من أربعة أمريكيين تسلقوا جبل "ك ٢"، ثاني أعلى جبال العالم. في تلك الرحلة عاش ليلة تخييم منفرد وسط رياح عاصفة ودرجات برد تحت الصفر، في سفح قِمة يبلغ ارتفاعها ٨٦١٠ أمتار. زار اليابان مرّتين ورافق عدداً من أصحابه اليابانيين في رحلات لتسلّق الجبال.



عجوز في مصرف

جوزف كايان بائع أحذية متقاعد ذهب الى المصرف يوماً ليقبض حوالة من الضمان (التأمين) الاجتماعي. وكالمعتاد، طرحت عليه احدى الموظفات سؤالا للتثبت من هويته، وكان السؤال هذه المرة عن تاريخ ولادته. وبعدما أجابها كايان نظرت اليه بدهشة وقالت: "انتظر دقيقة من فضلك،" ثم اختفت داخل المصرف.

وتأكد للرجل أن هناك خطأً في الداخل. ثم أخذ يتذكر: لا يمكنني أن أتصور سبباً لهذا التأخير. هل اتهمت بسرقة حوالة أحدهم؟ هل هناك خطأ يتعلق بحوالتي؟ كيف أدفع الايجار الآن؟

وبعد انتظار خيِّل فيه الى الرجل أن عيون كل الموجودين في المصرف شاخصة اليه، عادت الموظفة ومعها زميلتان. إذاً لقد كان شكه في محله، فهناك أمر غير سار بالتأكيد.

ووقفت الشابات الثلاث أمام العجوز وبدأن الغناء:

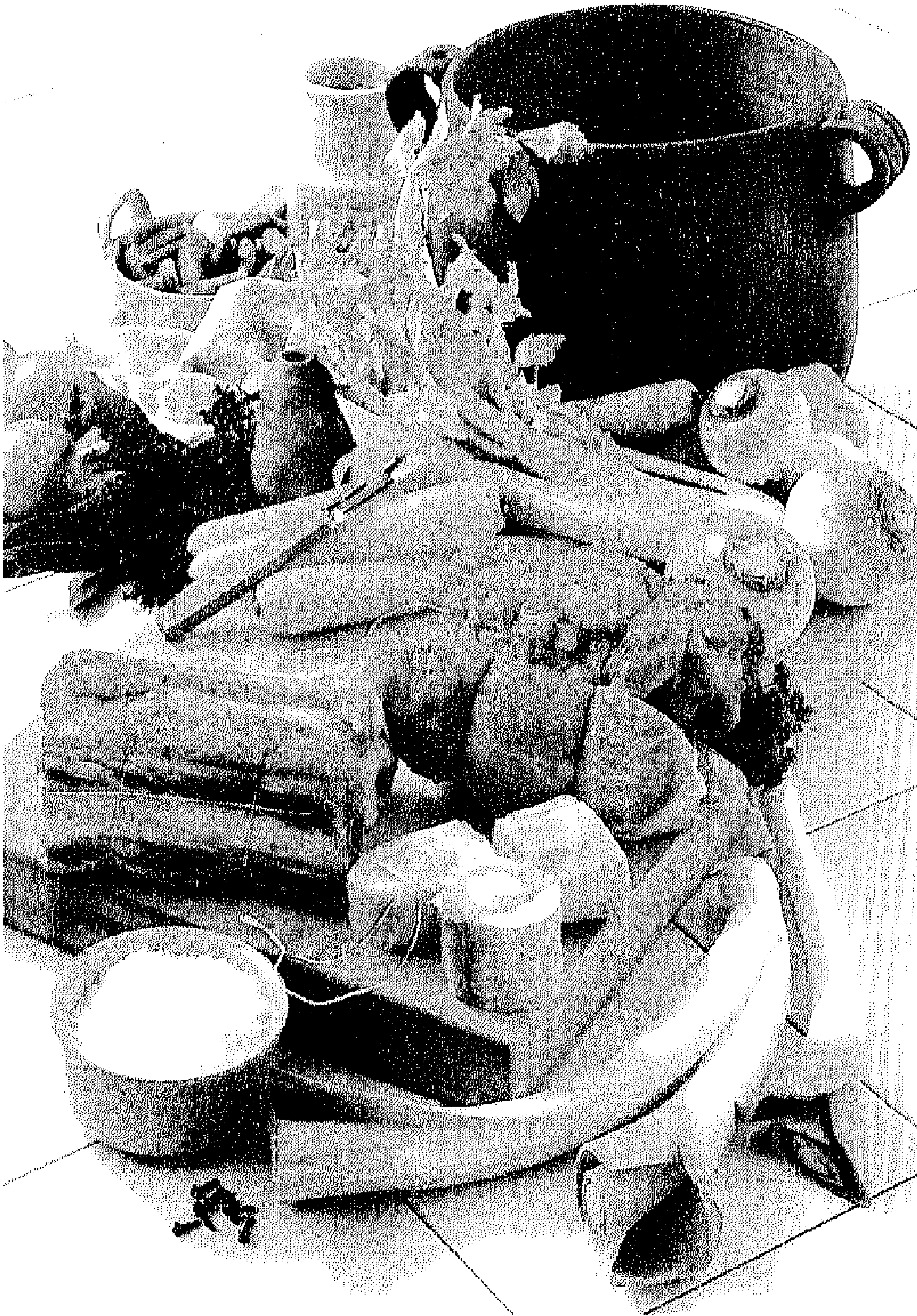
سنة حلوة يا جميل،
سنة حلوة يا جميل،
سنة حلوة يا سيد كايان،
سنة حلوة يا جميل.

ج.د.



Pot - Au - Feu

ينحني لهُ الجميْع



تتنوع طرق تحضير هذا الطبق الوطني الفرنسي. لكنها جميعها تضفي حرارة وبهجة على القلب والمعدة

Photo: SRD / J — C. Mayer

لست مولعاً بالطقس البارد، لكنه يمنحني متعة مميزة واحدة هي تناول طبق لذيذ من "البوتوفو" (★) يتصاعد منه البخار والعبير الطيب وتحوطه الخضر المتعدّدة الالوان. وهي لمتعة يشاركني فيها ٥٥ مليون فرنسي من كل اقطار البلاد ومن جميع الطبقات. انه حقاً الطبق الوطني. وقد كتب الذواقة الشهير أوريكوست دي لازاركي: "لكل شعب حساؤه الخاص. لكن فرنسا وحدها تتمتع بطبق البوتوفو."

وكانت ترسخت في ذهني انطباعات شخصيّة عن هذا الطبق التقليدي الذي يقدّم على موائد العشاء في فرنسا. الى أن كان اليوم الذي طهوت هذا الطبق بنفسي. وكان السيد فيشو، وهو الجزار الذي أشتري اللحم من عنده، أول من أماط القناع عن جهلي. فحين طلبت منه قطعة غليظة من لحم البقر وضلعاً قصيراً أجابني بنبرة ساخرة: "لكنك نسيت الظئر يا سيدي."

أما الظئر فقطعة من قصبة الساق، غضروفية جداً بحيث يصعب أكلها، لكنها مفعمة بالنكهة. وأضاف الجزار: "من دون هذه القطعة لا يمكن تحضير طبق البوتوفو الاصيل، اذ لا يكون المرق حرّيفاً بما فيه الكفاية."

وزودني السيد فيشو الاسماء المثيرة لأجزاء الذبيحة التي ينبغي، في رأيه، أن تضاف الى الحساء ليكون ممتازاً، وهي قطعة من الردف وأخرى من الكتف وثالثة من أعلى القائمة الامامية. ولكم اعتقدت ان طبق البوتوفو سهل التحضير!

(★) البوتوفو (pot-au-feu) حساء مركّز من لحم وخضر.

طبق الغراب – لما أدركت أن أمامي الكثير أتعلمه استشرت روجيه لالمان وهو معلّم سابق للطهو ومؤلف عدّة كتب في الطبخ، فسألته: "ما هي الطريقة الصحيحة لتحضير طبق البوتوفو؟"

فشرح لي أن عبارة «pot-au-feu» (القدر على النار) كانت تطلق على طريقة التحضير وليس على الطبق. وكانت تعني غلي الطعام في الماء لتحضير الحساء الذي كان يختلف من منطقة الى أخرى ومن طبقة الى أخرى. وقد تغيّر معنى هذه العبارة تدريجاً حتى أصبحنا حالياً نطلق لفظة "حساء" على المرق وحده ونسمّي ما هو داخل القدر "بوتوفو".

وأخبرني أن "لحم البقر المسلوق والخضر هي أفضل المكوّنات المعروفة للطبق، لكنها ليست الوحيدة على الاطلاق. ففي عصر الملك هنري الرابع كانت تطهى دجاجات في القدر فتشكل طبق بوتوفو. ويعد "الكوترياد" الخاص بمقاطعة بريتاني طبق بوتوفو بالسمك. وهناك أنواع من البوتوفو في فرنسا بعدد المقاطعات الفرنسية. ونجد في الواقع ٨٠ نوعاً من هذا الطبق.

وعرفت عندئذٍ أن عليّ أن أجول في أرجاء فرنسا كالطهاة القدماء ليتسنّى لي اكتشاف دقائق الطبق الوطني وأسراره. ورحلتي الطويلة هذه لم تعد بأي منفعة على محيط خصري، لكنها علمتني أن عالم البوتوفو مليء بالمفاجآت. فأثناء اختباري خمسين نوعاً من هذا الطبق تذوّقت لحم طائر غريب مسلوقاً في الماء ولا يزال يقدّم على الموائد في بضع مزارع

في ضواحي أورليان. ويشتهر أيضاً طبق بوتوفو الغراب الذي يقدّم جاثماً على الخضر في وعاء من الخزف. واذا كان الغراب لا يزال فرخاً ولا تزال أسنانك قوية، فلا بأس فيه أبداً.

غداء بحري – أمضيت ليلة عيد في منطقة مورفان في بورغوندي. وتألف طبق العيد من أضلع البقرة وعرقوب الفخذ والسجق والكثير من الخضر والمرق اللذيذ. وخلال العشاء ظهرت الطاهية وأولادها فجأة وأخذوا يغمسون عيداناً من شجر البقس في المرق ويرشون كل الغرف وهم يجأرون: "أفعى، أفعى، ابتعدي من هنا، ها هو مرق العيد." ويبدو أن الناس في العصور القديمة كانوا يعتقدون أن رش الجدران بالحساء يبعد الافاعي التي كانت غالباً تسعى داخل المنازل طالبة الحليب، ولا تزال هذه الشعيرة تقليداً يمارس.

ويؤكل البوتوفو عادة في البيت. الا أن تناوله قد يكون مغامرة محفوفة بالخطر. وتعين عليّ الذهاب الى شاطىء البحر لأتذوّق الكوترياد الحقيقي في بريتاني.

وركبت سفينة صيد في كونكارنو. وفي كل مرة رفع الملاحون شباكهم كانوا يضعون جانباً أفضل ما علق فيها من السمك، خصوصاً الانقليس.

وعند الظهر أشعل البحارة مجمرة على ظهر السفينة وطهوا الاسماك في خلقين من الماء الغالي مع الزبدة والاعشاب العطرية والبطاطا.

في هذا الوقت قرر البحر افساد متعتي. فهبّت عاصفة هوجاء وانزلقت المجمرة والخلقين من جانب السفينة الايسر الى جانبها الايمن. الا أن الملاحين واصلوا بمهارة عجيبة تحضير الطعام وكأنهم في مطبخ على الشاطىء. وشعرت بالاضطراب، لكن ربّان السفينة هدّأ روعي بضحكة: "إنسَ هذا الامر! فحين تتناول الكوترياد اللذيذ وتشرب كوزاً من شراب التفاح ستشعر بارتياح كبير."

وهو كان على حق. وكان بوتوفو السمك سائغ المذاق الى حد أنه هدّأ معدتي فسكبت منه مرة ثانية فثالثة.

طبق الاجداد – لحسن الحظ كانت جولتي في فرنسا أهدأ عموماً. وعلمت أن أنصار البوتوفو ينقسمون جماعات متنافسة. وتصرّ الجماعة الاولى على البدء بطهو المحتويات في الماء البارد ليكون المرق عطراً أكثر، في حين تؤكد الجماعة الثانية على ضرورة غمر المحتويات بالماء الغالي لحصر عصارتها داخل المرق. ويتّسع الجدل ليتناول اختيار أجزاء الذبيحة وتصنيف الخضر وطريقة قشط الدهن عن الحساء وتنويع التوابل.

ويستثني الباريسيّون الاصليون البطاطا متذرعين بأنها تزيد كثافة الحساء. لكنهم يضيفون قطعة من ذيل الثور لتكثيفه. أما في شرق فرنسا فلا يستغنى عن البطاطا واللسان وعرقوب الفخذ. وعلى امتداد منطقة البحر الابيض المتوسط يضاف الى الطبق لحم من كتف الحمل لزيادة القيمة الغذائية، ويفعم بالثوم وصلصة البندورة (الطماطم). اما في غاسكوني فيضم الطبق دجاجة وترفق به صلصة الـ"بيارنيز".

وخلال رحلتي تذوقت أنواعاً كثيرة من أطباق البوتوفو حتى بتّ صعب الارضاء. ففي لوكسي (مقاطعة اللاند) يحضّر نويل باري طبقاً رائعاً، فالمرق خفيف واللحم هبر والتوابل غير حادّة. وفي كايين (الكلفادوس) يطهو روبرت شابردييه طبق البوتوفو على طريقة أجداده، فضلوع البقر وأعلى الساق ومعظم الرقبة والاجزاء المحيطة بالعظم الكتفي والضرع تشكّل تآلفاً غنياً. وتضاف الخضر الى الماء، الصنف تلو الآخر، بحيث تطهى حتى النضج التام، ثم تغمر في المرق فطائر صغيرة محشوّة بالبقدونس.

نصيحة خبير – لطالما اعتبرت البوتوفو طبخاً بلدياً بعيداً عن الاناقة، حتى تذوقته على طريقة دودان بوفان في فندق صغير في هودان (الايفلين). ويقال ان هذا الذواقة الاسطوري للمطبخ الفرنسي ابتكر طبق البوتوفو الخاص به تكريماً لأمير آسيوي زائر، وهو عبارة عن شرائح رقيقة من لحم البقر معطرة بالطّرخون ومصفوفة على طبقة من النقانق ولحم العجل والاعشاب، تغطّيها صدور الدجاج المزينة بالكبد الدسم المطهو في شامبرتان. أما الخضر فتسلق في المرق ثم تضاف اليها الزبدة.

ان بوتوفو دودان بوفان متعة تتذوّقها مرة واحدة في حياتك. واني أخصّص مكافأتي على الطريقة الفضلى للتحضير لآل بارتيز في بيلوك (آرييج). ويطهى المزيج ببطء طوال أربع ساعات على نار ساطعة أضرمت في الخشب، فتذوب الخضر واللحم بعدها في الفم ذوباناً.

هكذا أصبحت خبيراً حقيقياً، والدليل على ذلك أنني كثيراً ما أجادل أعز أصدقائي لأفرض ارشاداتي حول طريقة طهو البوتوفو. ويجب البدء بوضع الخضر في الماء البارد، ثم اللحم أو السمك بعد أن يبدأ الماء الغليان، للحصول على مرق ممتاز. وفي ما بعد تضاف المطيبات، من صعتر وورق غار وبقدونس وكرفس وبصلات تحشى فصوصاً كاملة من الثوم، وذلك لاضفاء نكهة لا تضاهى. وفي طبق يرتكز أساساً على اللحم، من الضروري زيادة عظمة نخاعية لجعل المرق دهنياً، كما تجب اضافة قطعة من اللفت الاصفر، وأفضل منه قطعة من الجزر الابيض، الى الخضر التقليدية أي الجزر والكرّاث واللفت، فتزيد الطبق نكهة.

لقد حان وقت الطعام. يقدّم المرق في سلطانيّة يركّز في أعلاها طبق خزفي كبير لتقديم اللحم ويوضع على المائدة الملح الخشن للّحم وملح المائدة لمخ العظام وأنواع من المخللات.

وكم كان الذواقة فرنسيس أموناتغي محقاً عندما كتب: "البوتوفو هو ملك الاطباق، هو الطبق الافضل، لا بل هو الطبق الفرنسي الذي ينحني له الجميع."

نيكولا بولان ■

الجرّاح لمريضه: "نريدك غائباً عن الوعي طوال مدة الجراحة. فهل تفضل البنج أم القاء نظرة خاطفة على فاتورتك؟"

س.ك.

فتى هوليوود

كاتب شهير لروايات الخيال العلمي يتذكر أيامِ الصبّا التي وهبته حلماً

عام ١٩٣٤، في ذاك الربيع شتمني و. ك. فيلدز. وفي ذاك الصيف أصبح جورج بورنز صديقي. وفي ذاك الخريف طفت هوليوود في سيارة لولا بارسونز محررة عمود الأقاويل في الصحف. وكنت يومذاك لم أتجاوز الرابعة عشرة من عمري، ولم أعرف أن كل تلك الامور ستحدث لي في سنة واحدة.

ففي الأول من شهر أبريل (نيسان) من ذاك العام توجهنا في السيارة غرباً نحو هوليوود، أنا وأبي وأمي وأخي سكيب،



بحثا عن عمل. غادرنا واكيغان في ولاية ايلينوي وليس في حوزتنا سوى ٥٠ دولاراً تكفينا لستة أسابيع. ولحق بنا فقر الأزمة الاقتصادية الكبرى إلى أن رحّب شذا البرتقال بوصولنا إلى هوليوود.

واستقررنا على بعد خمسة كيلومترات من المدينة. فأخرجت مزلجتي وسارعت الى أقرب زاوية شارع حيث سألت بائع صحف عجوزاً: "أي درب تؤدي إلى استوديوهات باراماونت؟"

فأشار بيده: "تلك الدرب. سر حوالى خمسة كيلومترات ثم انعطف غرباً وسر كيلومتراً ونصف كيلومتر."

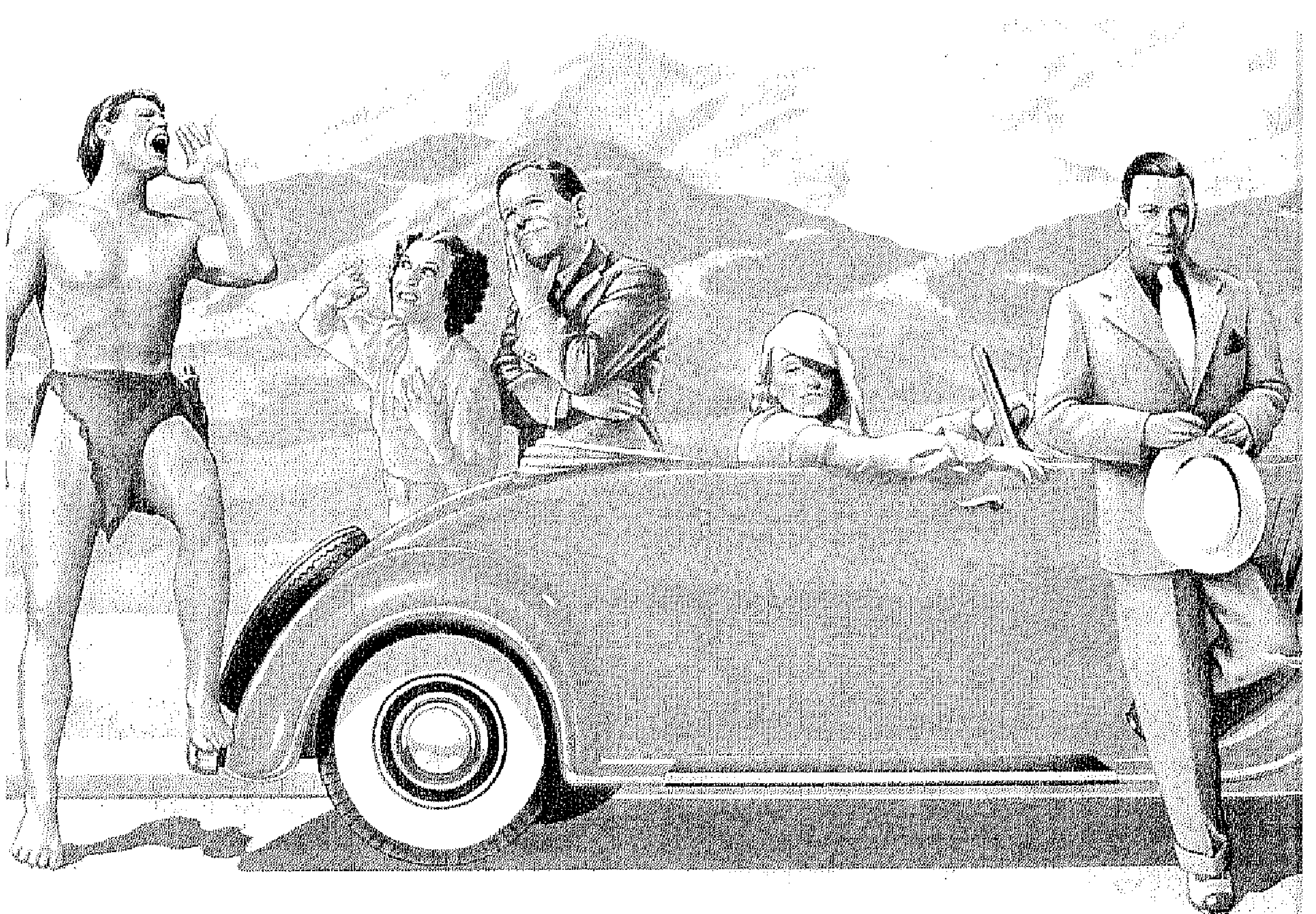
في ذاك النهار الربيعي المشرق وصلت على مزلجتي الى الاستوديو قبيل الظهيرة. وأمام البناء الكبير رأيت و. ك. فيلدز شخصياً!

فما كان مني إلا ان اجتزت الطريق مجازفاً بحياتي في زحمة السير، لأتوقف فاقداً التوازن وأرتمي بين ذراعي السيد فيلدز. وسرعان ما ناولته عقب قلم ممضوغاً وقصاصة ورق وسخة وبادرته: "سيدي! أيمكنني أن أحصل على توقيعك؟"

فنظر فيلدز إلى القلم الممضوغ وأطلق تنهدة ألهبت وجنتي وفاحت منها رائحة شراب، ثم "خربش" اسمه ودفع إليّ ممتلكاتي البغيضة صارخاً بصوته الاجش الايقاعي: "خذ أيها الصعلوك الصغير!"

فاعترت وجنتي حمرة فخر لسماعي

Illustration: Paul Tankersley



لعنته الغالية، وهرولت نحو الشارع متعثراً في الزحمة. فصرخ فيلدز محذّراً: "انتبه يا سيد ماكل!"

فخارت ركبتاي فرحاً. لقد نظر فيلدز إلى عيني الحسيرتين وراء نظارتي الغليظتين واستدعى جملة من فيلمه الأخير.

في ذاك الفيلم عجوز أعمى خرف نزق الطباع يشق طريقه متذمّراً إلى مخزن فيلدز ويروح يضرب بعصاه العلب المكدسة محطّماً عدداً من المصابيح الكهربائية. ويأمر بأن ترسل إلى منزله رزمة لبان (علكة) ثم يستدير ويخرج من الباب ويرتمي وسط زحمة السيارات المسرعة..

ويصرخ له فيلدز: "انتبه يا سيد ماكل! حاذر المحرّكات النارية يا سيد ماكل!"

وها أنا، نصف ضرير، تلاحقني الصرخة نفسها حتى انتهى بي الامر على حافة الطريق.

وسمعت صوتاً يخاطبني: "ماذا دهاك؟" فنظرت ورأيت فتى في مثل سني، أحمر الشعر، يقف أمامي ويضحك بلطافة. ثم تابع: "تعال أعرّفك إلى الزمرة."

خروج النجوم – نظرت خلف صديقي الجديد فرأيت العائلة الغريبة التي لن ألبث أن أصبح أحد أفرادها. كانوا ينعتون بتسميات شتى منها "الغُرب العُجب" و"الغريبو الاطوار" و"المجانين" و"هواة جمع البشر". هؤلاء كانوا صائدي التواقيع.

يا إلهي! سأصبح واحداً منهم! ورحت أحدّق الى وجوههم المريبة. فعرّفني اليهم صديقي الجديد وكان يدعى دونالد هاركنز.

هذا هو موريس، البالغ من العمر ثلاثين عاماً والحائز عشرة آلاف توقيع. كان يرتدي على الدوام بذلة رسمية وربطة عنق حتى في أيام القيظ الشديد، ويتأبط ملفاً جلدياً يحتوي على أفخر أنواع الورق.

وذاك أندريه الذي يسهر الليالي وهو يرسم النجوم.

ثم تأتي شارلوت ووالدتها اللتان لازمتا استوديوهات باراماونت منذ اخترعت الافلام السينمائية الناطقة. كانت شارلوت في الاربعين، أما والدتها ففي الستين وتحمل حقيبة غليظة في قبضتها الواهنة. وبدتا لي كأنهما ستصمدان هناك أكثر من آثار أقدام المشاهير وأيديهم المطبوعة في الاسمنت أمام مسرح غرومان الصيني. وهما صمدتا فعلا أكثر من النجوم الراقدين في المقبرة خلف الشركة. وبدا لي أن شغلهما الشاغل هو البقاء في باراماونت طوال اليوم وكل يوم.

أما بقية أفراد الزمرة فكانوا تشكيلة مختلفة وكأن أهلهم تخلّوا عنهم قبل سنوات في محطة حافلة.

لكنهم كانوا يفتقرون إلى أمر واحد. فما من أحد كان يحمل سلماً خفياً كسلّمي. كانوا يأملون أن يخرج العالم الخيالي إلى ملاقاتهم من بوابات الاستوديو. أما أنا فكنت آمل أن أتسلل إلى الداخل، متسلقاً الجدار، لاكتب ذات يوم وأُخرج وأُنتج وأمثل في الافلام!

ولم يسمح لنا الوقت بمزيد من التعريف. فقد حلّت الظهيرة وخرج

النجوم. وصلت ماي ويست ثم بينغ كروسبي وغلوريا سوانسون، السيدتان في سيارتيهما الليموزين وبينغ في سيارة شفروليه محطمة. ونزلت مارلين ديتريش من سيارتها الفخمة فصعق جمالها الباهر الجميع. ومرّ بنا كاري غرانت متوجها نحو مقهى أوبلاث وهو يرتدي سروالا كاكياً وحذاء لركوب الخيل. لكن الزمرة لم تحرّك ساكناً، كانت تنتظر أمراً ما.

ركاب الليموزين – فجأة ظهرت فتيات ثلاث يقهقهن. لقد وصلت الاخوات فريدريكسون ليبدأن نهارنا. كانت ضحكتهن كطلقة نارية، فوثبت كلاب الصيد الى الشارع لمواجهة سيسل دي ميل الذي سكب الحليب في مغطس كليوباترا (كلوديت كولبير) قبل سنة.

ونظر السيد دي ميل ولوّح بيده، فردت الاخوات فريدريكسون ملوحات وهاتفات. وسنحت لي فرصة التحديق اليهن. فلاحظت أنهن لم يكنّ فرقة مجنونات، بل فرقة مازحات. آن ماري (١٧ عاماً) ودوروثي الشقراء (١٥ عاماً) وجنفياف التي تصغرني سناً وجدن عملا مرحاً يؤدينه خلال فصول الصيف وأيام العطل ونهايات الاسابيع.

كن لا يفارقن بعضهن بعضاً، وكانت ضحكتهن حماية خاصة لمن يصوبنها في وجه كل من يأخذ الاستوديوهات على محمل الجد. وهن طوال بقية النهار وبقية الاسبوع وبقية السنة رحن يتنقلن بنا من باراماونت ظهراً الى استوديوهات كولومبيا بين الاولى والثانية ثم الى شركة «RKO»(*) بعد الظهر ومنها الى محطات الاذاعة، وأخيراً الى مطعم "براون ديربي" حيث يبقين حتى ساعة متقدمة من الليل. وهن قدننا أيضاً لرؤية جين هارلو في مطعم فاندوم وماي ويست وجوني ويسمولر (طرزان) وجاك بني في حلبات الملاكمة.

كانت ماري تسيطر باحكام على زمرتها. والغريب في الامر أن أهالينا تساهلوا معنا كثيراً في تلك الفترة. وتركني والدي انطلق بحرية طوال ذاك الصيف المشمس، فلا أعود إلى البيت إلاّ متأخراً وسعيداً وبريئاً من كل الملاعين الذين مررت بهم.

وذات ليلة خرج جورج رافت من مطعم ديربي قرابة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، فرآني مع الشقيقات المرحات وتساءل ما الذي نفعله في مثل تلك الساعة. فما كان منه إلاّ أن زجّنا في سيارته وسلّمنا إلى القطار الليلي الاخير.

ومرة كانت الشقيقات يركضن في المقدم وأنا ودون نتعقبهن على مزلجتينا فاصطدمنا بسيارة لولا بارسونز. وسألتها أن تقلني الى الاذاعة حيث يعرض برنامج "أوتيل هوليوود." فأدخلتني سيارتها وأجلستني الى جانب غاري كوبر. وفي ما بعد طفت هوليوود في سيارتها الليموزين. وهي لم تعرف بالأمر، اذ كان سائقها يصطحبني عندما تكلّفه مهمة.

شهرة لدقيقة – سمعت أنا ودون أن جورج بورنز وغراسي آلن يقدمان عرضهما

(*) «Radio Keith — Orpheum» كانت قبل الحرب العالمية الثانية احدى شركات الانتاج "الخمس الكبرى" في هوليوود.

الاذاعي في قلب لوس انجلس. فتوجهنا الى هناك ووجدنا جورج خارج المسرح. فتوسلنا اليه كي يدخلنا. ووضعنا جورج في الصف الامامي وحولنا ٩٠٠ كرسي فارغ. ورفع الستار فأدّى بورنز وآلن مسرحيتهما أمام صبيين في الرابعة عشرة من العمر.

في الاشهر التالية كنت أستغل صف الطبع على الآلة الكاتبة، عندما لم تكن معلمتي تنظر ناحيتي، لأكتب الى بورنز وآلن نصوصاً مسرحية. فكنت أسلّمها مساء كل أربعاء الى السيد بورنز الذي يثني عليها، مع أني أشك في أنه كان يقرأها. لكنه ذات مرة استعمل مقطعاً مسرحياً من ثمانية أسطر كنت كتبته له. فاشتهرت في بيتي ذاك المساء لدقيقة واحدة.

بعد ذلك كتبت ومثلت في المدرسة الثانوية ورحت أجمع النصوص المسرحية المدوّنة للاذاعة من سلال المهملات في الاستوديو كي أتعلم أن أكتب أﻫ ل. وتخرجت واضطررت في النهاية الى التخلّي عن مزلجتي. في ذاك الحين كنت أصبحت مديد القامة بحيث أثير ضحك الناس كلّما انزلقت أمامهم. وابتعدت تدريجاً عن باراماونت.

كمْ مرّ من الزمن قبل أن أدعى الى الاستوديوهات؟ نحو عشرين سنة كان و. ك. فيلدز توفي قبل زمن بعيد أي قبل أن أقبض حوالتي الأولى من شركة "يونيفرسال". أما مارلين ديتريش فلم تعد تذكر ذاك الولد المجنون الذي لاحقها بدفتر تواقيعه على سلّم صالون "ويستمور" للتجميل.

ولكن، حمداً لله، لم يزل بينغ كروسبي يذكرني. أما الشقيقات فريدريكسون فاختفت آثارهن. وكنت أتساءل من بقي على اتصال بهن؟ بينغ طبعاً. وكتبت اليه فأجابني وأرسل الي عنوانهن.

"وقِّع هنا!" - خلال مأدبة أقيمت لتوزيع جوائز في العام ١٩٨٠ كنت أقدّم جائزة الى أحد المخرجين، رأيت جورج بورنز جالساً إلى طاولة جانبية. فتوقفت عن الكلام وأخبرت الحاضرين عن اللطف الكبير الذي غمر به جورج بورنز صبياً أيام الازمة الاقتصادية الكبرى في العام ١٩٣٠.

وعندما انتهى العرض صعد جورج بورنز إليّ وضمّني صارخاً: "أهذا أنت؟ اني اذكرك!"

وفي ليلة العرض الاول لفيلم "موبي ديك" عام ١٩٥٦ وصلت برفقة زوجتي. ونظرت الى ما وراء المصورين وصرخت لاهثاً: "ما زالوا هنا!"

انهم عائلتي الغريبة. لم يكونوا كلّهم بالطبع. لكن موريس كان هناك مع دفتر تواقيعه الضخم. ورأيت وجهين آخرين فناديت: "شارلوت! ماما!"

كانت شارلوت أصبحت في قرابة الخامسة والستين، وأمها في التسعين ربما. وكانتا تتمسكان بدفتري التوقيعات وكأنهما كتابان مقدسان.

وهرولت نحوهما صارخاً: "شارلوت! ماما! هذا أنا. أتتذكران؟ استوديوهات باراماونت؟ صيف ١٩٣٤؟ راي؟" ثم توقفت وتابعت: "راي المجنون؟"

فسألت شارلوت: "راي؟" وأضافت

أمها: "المجنون؟" ثم سألتاني معاً: "ماذا تفعل هنا؟"

فاحمرت وجنتاي. كيف لي أن أقرّ بالأمر؟ وأجبت بصوت خافت: "لقد كتبت سيناريو الفيلم."

فصعقتهما الدهشة: "أنت؟"

وخيّم على المكان صمت رهيب. وما لبث أن ارتفع صوت وراء شارلوت: "هل لي بتوقيعك؟"

فصاحت أم شارلوت وكأنها خرجت من نشوتها "يا الهي! نعم، وقّع هنا!"

واندفعت الاقلام والدفاتر نحوي مرة واحدة، فوقعتها مطأطأ الرأس، ووقعت أخيراً على دفتري شارلوت وأمها. ودونت شيئاً عن جنون صيف ١٩٣٤ والمزلجة. لكن "موبي ديك" كان ينتظر، وسحبتني زوجتي الى الداخل. وبينما أنا أسير على غير هدى في ممشى المسرح المظلم كنت أسمع صراخ و. ك. فيلدز: "احترس يا سيد ماكل! من هنا يا سيد ماكل!"

واستندت الى زوجتي بسعادة فقادتني الى حيث ينتظرنا الحوت الابيض الضخم!

راي برادبوري ■



جيلاتي مجانية!

بينما كنت راجعاً الى مركز عملي في مستودع للجيلاتي (الآيس كريم) توقفت في زحمة سير خانقة. واذ كان الحر لاهباً فقد تناولت من صندوق شاحنتي قطعة جيلاتي. وكان في السيارة المتوقفة ورائي أربعة أولاد أخذوا يراقبونني وأنا آكل بتلهف، فرق قلبي لهم وناولت كلا منهم قطعة. وما هي الا دقائق حتى حاطتني جمهرة من الاولاد نزلوا من السيارات المتوقفة، فأعطيت كلا منهم قطعة وافرغت في هذا العطاء أربع علب قررت أن أدفع ثمنها من مالي الخاص.

ولدى رجوعي الى المستودع دعاني مدير الشركة واستوضحني سبب تصرّفي ببضاعة الشركة على هذا النحو. وانتظرت منه أن يطردني. لكنه ابتسم لي برضا وتابع: "ان عملك هو أفضل دعاية قامت بها الشركة منذ سنين، فآباء الاولاد وأمهاتهم ما زالوا يتصلون بنا يشكرون للشركة معروفها".

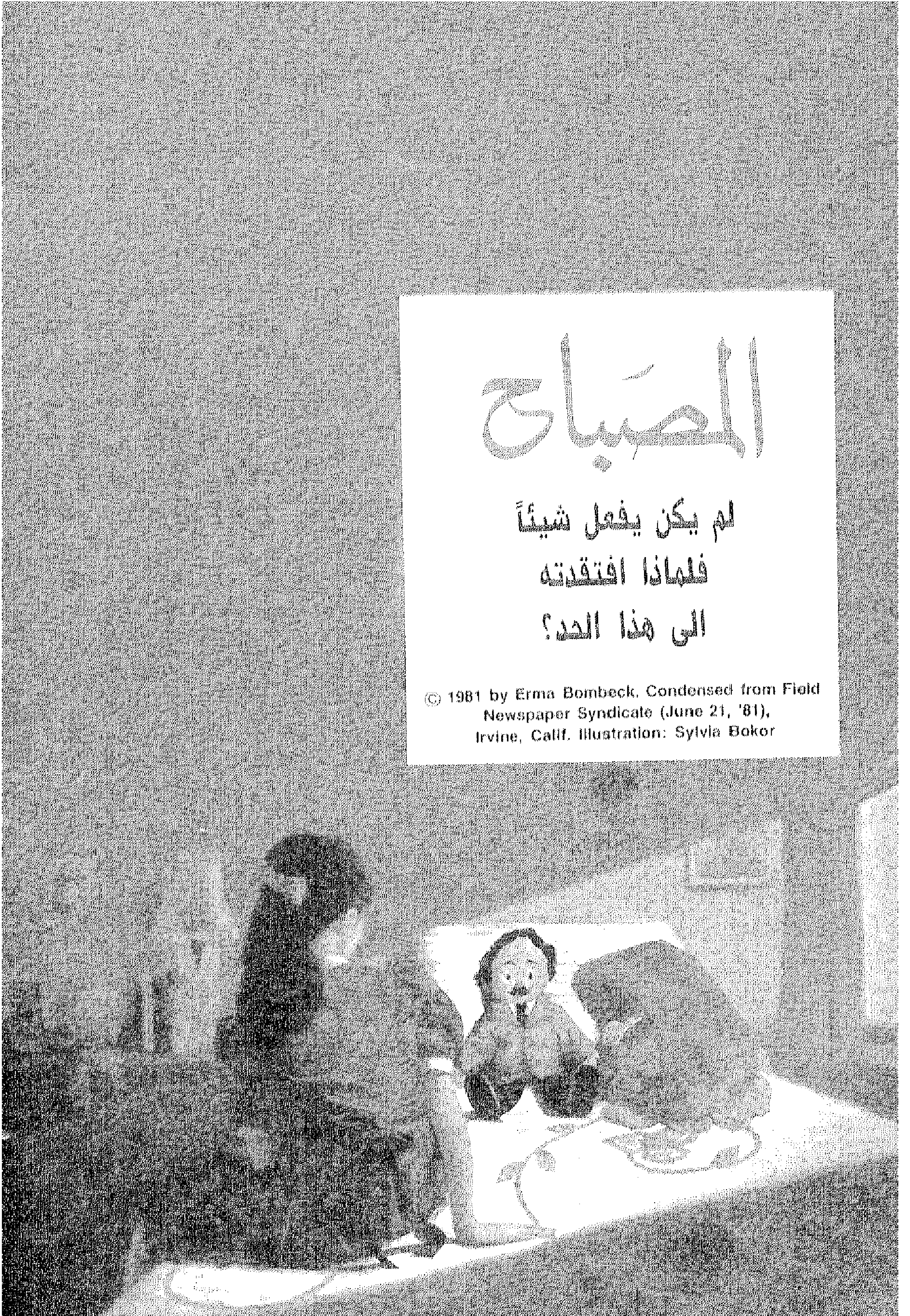
ر.ر.

الصياد والقصبة

عرض احد المحلات الكبيرة اصنافاً جذّابة متنوعة لعدة صيد السمك. فدخل أحد الزبائن، وبعدما تناول قصبة لماعة وتفحصها ملياً سأل: "هل تستهوي هذه القصبة الأسماك؟"

فرد البائع: "نحن لا نبيعها للاسماك."

ا.م.



المصباح

لم يكن يفعل شيئاً فلماذا افتقدته الى هذا الحد؟

عندما كنت صغيرة بدا لي أن الأب مثل مصباح ثلاجة. ففي كل بيت واحد منهما، لكن أحداً لا يعرف تماماً ماذا يفعلان حين ينغلق الباب.

كان أبي يغادر البيت كل صباح ويبدو سعيداً برؤيتنا ثانية حين يعود مساء.

كان يفتح سدّادة قارورة المخللات حين يعجز الجميع عن فتحها.

كان الوحيد في البيت لا يخشى النزول بمفرده الى القبو.

كان يجرح وجهه وهو يحلق ذقنه، لكن أحداً لم يتقدّم ليقبّله أو يهتم لما حصل. وكان من المفهوم أنه حين يهطل المطر يذهب هو الى موقف السيارة ليوصلها الى الباب. وحين يمرض أحدنا كان هو الذي يذهب لاحضار الدواء.

كان دائماً مشغولا وكان يصلي مصائد الفئران. كان يقطع أغصان الورد كيلا تخزنا الاشواك حين نسير الى الباب الامامي. وهو الذي كان يزيّت عجلات مزالجي كي تجري على نحو أسرع. وحين حصلت على دراجتي الهوائية كان هو الذي يركض بجانبي، وقطع ألف كيلومتر على الاقل قبل أن أسيطر عليها لوحدي.

هو الذي كان يوقع بيانات علاماتي المدرسية. وقد أخذ لي صوراً لا تحصى من دون أن يظهر في واحدة منها. وهو الذي كان يشد لأمي حبال الغسيل المرتخية.

وكنت أخاف من آباء كل الاولاد الا أبي. أعددت له الشاي ذات مرة وكان عبارة عن ماء فيه سكر. ومع ذلك جلس في المقعد الصغير وأخبرني أنه كان لذيذاً، وبدا مرتاحاً جداً.

ذهبت معه مرة لصيد السمك. وأخذت ألقي الحجار في النهر، فهدّد بالقائي في الماء فوق الحجارة. ولم أكن واثقة بأنه سيفعل، لذلك واجهته بنظرة تحد ورميت حجراً آخر.

عندما كنت ألهو بلعبة "البيت" كنت أعطي الدمية الأم مهمات كثيرة. ولم أكن أعرف ماذا أوكل الى الدمية الأب. لذلك كنت أجعله يقول: "اني ذاهب الى العمل الآن..." ثم أقذف به تحت السرير.

وذات صباح حين كنت في التاسعة من عمري لم ينهض أبي ليذهب الى العمل. ذهب الى المستشفى ووافته المنيّة في اليوم التالي.

وجاء جمع غفير الى بيتنا وأحضروا معهم أنواع الاطعمة والحلوى.

ذهبت الى حجرتي وتلمّست تحت السرير بحثاً عن الدمية الأب. وحين وجدته نفضت عنه الغبار ووضعته على الفراش. لم يكن يفعل شيئاً قط. ولم أكن أتصوّر أن ذهابه سيؤلمني الى هذا الحد.

لكنه لا يزال يؤلمني حتى الآن.

إرما بومبك ■



البسمة النيرة

لا قيمة للتحية ما لم يرافقها الابتسام. فالبسمة هي النور الذي ينبجس من اليدين المتصافحتين.

ع٠م٠

الصوف الذهبي الذي بحث عنه المغامرون الاغريق في الاساطير وُجد أخيراً في المرينو الاوسترالي

الكبش الذهبي

في ٢٦ يونيو (حزيران) ١٧٩٧ دخلت السفينة التجارية "رلاينس" ميناء سيدني متعثرة وسط الرياح الهوجاء وضباب الصباح. وكان منظرها مشجعاً لألوف السكان الجوعى المقيمين على شواطىء تلك القارة المجهولة. وقد أتى قبطانها هنري ووترهاوس إلى سيدني من كيب تاون في جنوب افريقيا التي تبعد عن المستعمرة ١٥ ألف كيلومتر وجلب معه خليطاً من الماشية. وتولى ووترهاوس مدة ٧٨ يوماً العناية بهذه الشحنة التي تضمنت عدداً قليلا من الاغنام الاسبانية. وهو كان اشترى هذا العدد بهدف استثماره في كيب تاون. وأُفرغ القطيع في مركب طويل حمله الى الشاطىء حيث انضم الى قطعان غنم من كيب تاون



والبنغال استوردت من قبل وبدت مهزولة لها صوف كصوف العنز.

وكان ووترهاوس يأمل أن يكافئه الحاكم هنتر لاحضاره نوعاً من الغنم يفضل الانواع الأخرى في لين ملمسه وغزارة صوفه، غير أن الحاكم لم يفعل. ولم يلبث القبطان أن وُهب أرضاً في المستعمرة وبات مزارعاً، وقُدّر لقطيعه أن يصبح ذا شأن كبير في التاريخ.

الضابط ماك آرثر – من الأقوال المأثورة في الريف الاسباني أن "من يملك الغنم يملك الثروة." والواقع أن تصدير الصوف الغالي أتاح لأهل أسبانيا الحصول على ثروة ضخمة استعانوا بها في تأسيس امبراطوريتهم القديمة. والمعروف أن الاغنام الاسبانية هي من نوع المرينو(١). ولا نعلم على وجه اليقين متى وأين بدأ هذا النسل ينتج صوفاً متميزاً من حيث كثافته ونعومته.

إلا أن أمراً ملكياً صدر بحظر تصدير قطعان المرينو من اسبانيا، وبقي هذا الأمر سارياً بضعة قرون. لكن الملك كارلوس الثالث أهدى في منتصف القرن الثامن عشر عدداً من هذه الاغنام الثمينة الى أقاربه وأصدقائه في أوروبا، على أنه امتنع عن إرسال شيء منها الى العدو القديم بريطانيا. وقد وصلت هذه القطعان في بداية الأمر الى ألمانيا وفرنسا والنمسا. وفي العام ١٧٨٩ أرسل قطيع صغير الى حاكم المستعمرة الهولندية في جنوب افريقيا.

والحق أنه طرأ تحول في تاريخ أوستراليا بوفاة الحاكم الهولندي قبل وصول القبطان ووترهاوس والسفينة "رلاينس" الى كيب تاون، إذ قررت أرملة الحاكم الرجوع الى أوروبا وبيع جميع مقتنياتها ومن ضمنها قطيع المرينو. واشترى ووترهاوس ثلاثة عشر رأساً من هذا القطيع ودفع أربعة جنيهات ثمناً للرأس الواحد. وبعد ذهابه الى سيدني في وقت لاحق رفض أن يبيع الرأس بخمسة عشر جنيهاً.

وكان للملازم الاول جون ماك آرثر فضل كبير في جعل أوستراليا شهيرة بثروتها الحيوانية. وهو كان ضابطاً حاد الطبع في الفرقة العسكرية في نيو ساوث ويلز جنوب شرق أوستراليا، وكان يزعم أنه أول من شك محراثاً في أرض اوستراليا. وفيما كان في طريقه الى اوستراليا قادماً من ديفون قام نزاع عنيف جداً بينه وبين ضابط أعلى منه رتبة مما تسبب في انتقاله وأفراد عائلته الى سفينة أخرى وهم وسط المحيط.

وبعدما رست السفينة في بورت جاكسون في يونيو (حزيران) ١٧٩٠ استملك ماك آرثر وزوجته اليزابيث أرضاً في باراماتا تبلغ مساحتها ٤٠ ألف متر مربع. وعمد الى بناء بيت كبير تحوطه أرض واسعة هو من أوائل البيوت الكبيرة التي عرفتها أوستراليا. وغرس الكرمة وأشجار الجوز والفاكهة وزرع الزهر والخضر في أرض سماها وزوجته "مزرعة اليزابيث." وراحت الخيل والمعزى والبقر والاغنام البنغالية الطويلة الشعر ترعى في أملاكه التي بلغت مساحتها في ما بعد نحو ٩٦ كيلومتراً مربعاً.

(١) Merino sheep

Illustration: Rodney Scott

القطيع الملكي – كان ووترهاوس يؤمّن الغنم لكثير من السكان وفي عدادهم ماك آرثر والأب صموئيل مارسدن. وفيما حرص ماك آرثر على المحافظة على نقاء نسل غنم المرينو عمد مارسدن إلى تزويج هذا النوع أغناماً أخرى كي ينتفع بلحم الانسال الهجينة وصوفها في آن. وقد يكون عمله هذا أدى بغير علم منه إلى حفظ قدرة الغنم البنغالي على حمل أجنّة عدة في بطن واحد، والى نشوء صنف رائع سيحدث ضجة بعد ١٥٠ سنة.

كان طبع جون ماك آرثر السبب الرئيسي في قيام صناعة الصوف في أوستراليا. فخلال نزاع آخر نشأ بينه وبين ضابط أعلى منه رتبة أيضاً أصيب خصمه برصاصة في ذراعه. فقُبض على ماك آرثر وأرسل الى بريطانيا في إحدى السفن ليحاكَم في المجلس العسكري. غير أن الوثائق التي تدينه ضاعت خلال الرحلة التي استغرقت ما يزيد على سنة فتسبب ذلك في إلغاء محاكمته. واتفق انه كان في حوزة الملك جورج الثالث عام ١٧٨٨ بضعة رؤوس من غنم المرينو التي هُرّبت من اسبانيا عبر البرتغال.

وبعد ثلاث سنوات أهدي الى الملك قطيع صغير من هذه الاغنام فأمر بإقامة مرعى لها قرب نهر التيمس في كيو. وفي أغسطس (آب) ١٨٠٤ دعا الملك الى أول مزاد علني لبيع بعضها، فاشترى ماك آرثر عدداً منها. لكن السير جوزف بانكس المسؤول عن رعاية القطعان الملكية حذره من شحن أي منها الى أوستراليا. فقانون منع تصدير الغنم من بريطانيا كان لا يزال سارياً، وكل من يخالفه تصادر أغنامه وتوسم يداه بالنار.

لكن ماك آرثر كان على صلة وثيقة باللورد كمدن وزير شؤون الحرب والمستعمرات. فحصل له اللورد على اذن بتصدير تسعة خراف من المرينو، كما مُنح أربعين كيلومتراً مربعاً أخرى من الارض في أوستراليا.

هوس الغنم – كان ماك آرثر على معرفة جيدة بالآداب القديمة، فاستلهم الاسطورة الاغريقية عن جاسون ورفقائه المغامرين "الآرغونوت" الباحثين عن الصوف الذهبي. واشترى مركباً أطلق عليه اسم "آرغو" وطلب أن تنحت في مقدمه كتلة صوف ذهبي. وراحت خراف المرينو تسرح في أرضه الجديدة التي سماها "كمدن بارك". وفي العام ١٨١٤ وصلت الى لندن الشحنة الاولى من الصوف الممتاز المجزوز من قطعان ماك آرثر، فأثارت جودته إعجابا كبيراً لدى التجار.

أطلق البريطانيون على الصوف المشحون من كمدن بارك ومارسدن وغيرهما اسم "صوف بوتاني باي." وراقت فكرة تربية قطعان المرينو ألوفاً من الرجال والنساء المتحلّين بالعزم والطموح. فعمد كثيرون من يوركشاير وسومرست واسكوتلندا وألمانيا الى شراء أغنام المرينو وأبحروا بها في رحلات طويلة عبر رأس الرجاء الصالح الى أرض غير محروثة يحتاج العمل فيها الى عزم شديد. وفي ذلك كتب المؤرخ جون ريري غراهام: "يبدو أن كثيرين أصيبوا بهوس تام."، انه هوس تربية الغنم.

وأضحت أغنام المرينو الاوسترالية على

مرّ السنين أفضل من تلك التي أُتي بها من بريطانيا أو اسبانيا. فهي أكبر وأقوى من التي ربّاها ووترهاوس، وصوفها أنعم وأغزر بثلاث مرات، وقد غدا نسلها أكثر عدداً. وباتت اوستراليا أغنى بلدان العالم في إنتاج الغنم. وبلغ هذا الانتاج ذروته عام ١٩٧٠ ووصل الى ١٨٠ مليون رأس. وبلغ دخل أوستراليا من تصدير الصوف بين عامي ١٩٥٣ و١٩٨٣ نحو ثلاثين مليون دولار. وكان صوف المرينو في الماضي وقفاً على الملوك والنبلاء فبات اليوم في متناول ملايين الناس في أنحاء العالم.

خصب مذهل – قد يتبادر الى أذهاننا أن الحيوانات المهزولة التي تكونت منها قطعان الغنم في أوستراليا أول المطاف باتت الآن في طي النسيان بعدما استأثر المرينو باهتمام مربّي الماشية. غير أن هذا الظن ليس صحيحاً. فمنذ الحرب العالمية الثانية تبين أن الاغنام المرباة في ضفتي نهر سنووي قرب كوما في نيو ساوث ويلز هي نسل ممتاز من أرومة المرينو وتتمتع بقدرة عجيبة على التناسل. ففي الاربعينات بدأ أفراد عائلة سيرز الذين كانوا يربون غنمهم في حقل مليء بالفصفصة، توزيع نعاجهم مبتغين زيادة انتاج قطعانهم. وفي العام ١٩٥٨ قرأ جاك وديك سيرز، وهما أخوان يديران محطة بورولا، تقريراً عظيم الشأن في هذا الموضوع كتبته الدكتورة هلن نيوتن تورنر. وكانت تورنر طالبة في فرع الهندسة المعمارية، إلا انها بعد عملها مساعدة للسير ايان كلونيز روس رئيس منظمة البحث العلمي والصناعي في الكومنولث، تحول اهتمامها الى العلوم فعمدت الى تغيير اختصاصها. وهي اليوم عميدة العلماء المختصين بشؤون الغنم. وعلى رغم تقاعدها فانها لا تزال باحثة نشطة في هذا الحقل.

في بداية الخمسينات لاحظت تورنر أن نعاج المرينو التي أرسلت من كناmولا في كوينزلاند الى مراعي المنظمة حققت "زيادة ملحوظة في نسبة الانتاج." ودفعتها تلك الملاحظة الى دراسة هذه الظاهرة. فوجدت أنه يمكن تحقيق زيادات كبيرة في أعداد الغنم بتزويجها بنوع معين كان في حوزة الأخوين سيرز. وبعدما قرأ الأخوان التقرير كتبا الى هلن تورنر وعرضا عليها هدية هي "كبش كثير الاخصاب يولد من نسله خمسة توائم." والى هذه الهدية عمدت تورنر الى شراء عدد من نعاجهما المولودة في ثلاثة توائم أو أربعة.

ولئن تكن أغنام المرينو لا تلد عادة أكثر من حمل واحد في كل بطن فإن أغنام البورولا تميزت بقدرة مذهلة على الانتاج مما حدا تورنر على دراسة تاريخ هذا النوع. فوجدت أن أصلها يرجع الى اغيلابرا في السهول الوسطى في نيو ساوث ويلز. وبعد مزيد من التعمق في الدراسة اكتشفت ان غنم اغيلابرا نتاج مباشر للقطعان المختلطة التي كانت في حوزة مارسدن في بداية القرن التاسع عشر.

الجينة السرية – كانت الدكتورة تورنر تعلم أن القطعان الاولى التي أتي بها الى

المستعمرة هي كثيرة النسل. فهل يمكن أن تكون تركت خصائصها على مدى أجيال في غنم البورولا؟ والحق أن تورنر رأت ذلك ممكناً. وفيما كان برنارد بندون ولوري بيبر وزملاؤهما يعملون في دراسة خصائص قطيع البورولا في قسم الانتاج الحيواني في أرميدال اكتشفوا أن هناك جينة(٢) واحدة تسببت في كثرة نسل هذه الاغنام التي يعد فيها نتاج ثلاثة توائم أمراً عادياً جداً ويكثر أن تنتج توائم أربعة أو خمسة.

وفي مؤتمر عالمي عقد في نيوزيلندا عام ١٩٨٠ كشف علماء اوستراليون طريقة عمل هذه الجينة على النحو الآتي: تبدأ دورة التناسل في النعاج على نحو مماثل لدورة التناسل عند النساء. فتنتج الغدة النخامية القائمة في قاعدة الدماغ مادة هرمونية تسعف في تكوين البييضات في جُرَيّبات المبيضين. ومن ثم يفرز المبيضان مادة توقف انتاج البييضات. وقد اكتشف بندون ومساعدوه أن هذه المادة الثانية ضعيفة في مرينو البورولا، الى حد جعل نعاج البورولا في أرميدال تنتج في فترة الاخصاب عدداً من البييضات يصل الى إحدى عشرة من دون اللجوء الى حافز اصطناعي. وقد حضّر العلماء الآن لقاحاً يلغي مفعول المادة الهرمونية التي ثبتت فاعليتها في غير غنم البورولا. ويقول العلماء إن جينة النسل الكثير تنتقل عادة من السلف الى الخلف.

من هنا فإن عليك أن تستريح وتنعم النظر عندما تشاهد قطعان الغنم الاوسترالي. فهذا المشهد يذكرك بالمعطف المصنوع من صوف المرينو، ذلك الصوف الذي يكاد يغطي أجسامها المكتنزة باللحم حتى الارض. واذا أنت أطلقت لخيالك العنان فيمكنك النظر الى هذه الاغنام على أنها من نسل قطعان نبيلة حُفظت كشيء ثمين مدة تزيد على خمسمئة سنة. وحتى اذا نظرت اليها بمقياس نفعي فستجد أنها حيوانات رائعة وربما كانت أجمل حيوانات اوستراليا.

ليනارد بيكل ■

(٢) الجينة «gene» هي حاملة الخصائص الوراثية.



فن الطبخ

خلال أحد دروس فن الطبخ حضّرت الفتيات قالب حلوى. وبعد ساعة من وضعه في الفرن طلبت المعلمة من احداهن أن تتفقد القالب فتغرز فيه سكيناً ثم تسحبها، فاذا لم يعلق عليه شيء كان القالب جاهزاً.

وعادت الفتاة بعد عشر دقائق فسألتها المعلمة عن سبب تأخرها، فأجابت: "لقد غرزت السكين وسحبته فوجدته في منتهى النظافة. عندئذ غرزت جميع السكاكين الوسخة ونظفتها."

ك.ر.



هل أنت قانط؟ هل أنت متوتر؟ هل يعتريك إحساس بعدم الطمأنينة؟ يرى الخبراء اليوم أن ظهورك مظهر من يحس السعادة والارتياح والثقة بالنفس يمكن أن يساعدك حقاً على اكتساب إحساس مماثل

اضحك... فالضحك خير دواء

ذات يوم كان أحد أصدقائي يعاني بعض الانقباض. وهو تعود الابتعاد عن الناس عندما يكون في حال مماثلة الى أن يبارحه الانقباض. غير أنه كان ذلك اليوم على موعد مهم مع رئيسه فقرر تكلّف السرور. وفي أثناء الاجتماع راح يبتسم ويمزح وبدت عليه أمارات الشخص السعيد الحسن المزاج. وبعد قليل فوجىء بزوال انقباضه.

لقد عثر صديقي بغير علم منه على مبدأ مهم ظهر حديثاً في الابحاث النفسية قوامه أن تصنّع شعور معين

PHOTOS: GIORGIO PALMISANO
MIME TEAM: KEITH BERGER AND SHARON DISKIN

يفضي بنا حقاً الى الاحساس به فتزداد ثقتنا بأنفسنا في المواقف الصعبة ونبدو أكثر مرحاً في الملمات.

بقي علماء النفس والاطباء النفسانيون عشرات السنين يرون أن المرضى لا يمكنهم تغيير سلوكهم الا إذا تغيرت إحساساتهم. وكان العلاج يقوم على جعل المريض يكتشف سبب إحساسه. مثلا، ما هي الحوادث الماضية التي جعلته عدائياً أو خجولا أو خائفاً من الحب؟ ومن ثم يعمل الطبيب والمريض على تغيير تلك الاحساسات مما يؤدي في نهاية المطاف الى تغيير سلوك المريض.

والواقع أن هذا النوع من العلاج كثيراً ما يكون أساسياً في معالجة المشكلات النفسية الخطيرة. أما الذين يعانون مشكلات شعورية يومية فيمكنهم التغلب على هذه المشكلات من خلال العلاقة القائمة بين المظاهر الجسدية والاحساسات. فمن خلال تصرفنا على نحو معين يمكننا تغيير احساساتنا.







وقد قدمت كلية الطب في جامعة كاليفورنيا بسان فرنسيسكو أحدث البينات على هذا الأمر. ففي هذه الكلية طلب عالم النفس بول ايكمان وزميلان له من بعض المتطوعين اداء ستة تعابير وجهية يدل كل منها على شعور معين. وقد عبّرت وجوه هؤلاء المتطوعين عن الدهشة والاشمئزاز والحزن والغضب والخوف والسرور. ومما أثار الدهشة أن المتطوعين عندما تظاهروا بالخوف بانت أمارات الخوف في أجسامهم إذ ازدادت سرعة خفقان قلوبهم وانخفضت حرارة جلودهم. وحين تظاهروا بالغضب ازدادت سرعة خفقان قلوبهم وارتفعت حرارة جلودهم. أما عندما عبّروا عن الاشمئزاز فقد خفت سرعة خفقان قلوبهم وانخفضت حرارة جلودهم.

والحق أن كثيرين يطبقون هذا المبدأ على غير معرفة منهم. فنحن نحض الطفل الباكي على الابتسام، وحين نفعل ذلك يبتسم الطفل عن غير عمد ويرجع اليه مرحه المفقود. والمعروف ان مايكل كامبوس الذي يدير في جونستاون (ولاية نيويورك) مدرسة للفنون العسكرية يعتمد هذه الطريقة النفسية في التعليم. وهو يقول إن للصرخة الخاصة بالكاراتيه ثلاثة أهداف هي شدّ عضلات المعدة وإخافة الخصم و"مساعدة المرء على أن يثق بنفسه،" والأخير هو أهم الاهداف جميعاً.

وقد شاهدت تطبيقاً لهذه الفكرة خلال محاكمة جنائية. كان محامي الدفاع يقفز أحياناً وقد صعد الدم الى وجهه للاحتجاج على تهجم النيابة العامة. وأخبرني المحامي في ما بعد أن "التظاهر بالحنق ليس موجهاً فقط الى المحلفين إذ هو يساعدني على الايمان بصواب ما أفعله."

مجلة كل بيت

الحسناء

ALHASNA

صحافة الغد في مجلة اليوم

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة

تهتم بشؤون كل بيت:

- تحقيقات
- مقابلات
- طب
- تجميل
- ثقافة
- فن
- مشكلة وحل
- حديث الابراج
- مطبخ
- اناقة
- طبيعة
- بالاضافة الى
- عدة ابواب اخرى

الحسناء

ALHASNA

على وزينة لاناقة حقيقية

احمد السنباطي: لحن والدي لفيروز ماشتار من يغنيه

مازلت الفنانه في فرقة الرحباني احلم بموسيقى الثورة



في الأسواق

صباح كل يوم جمعة

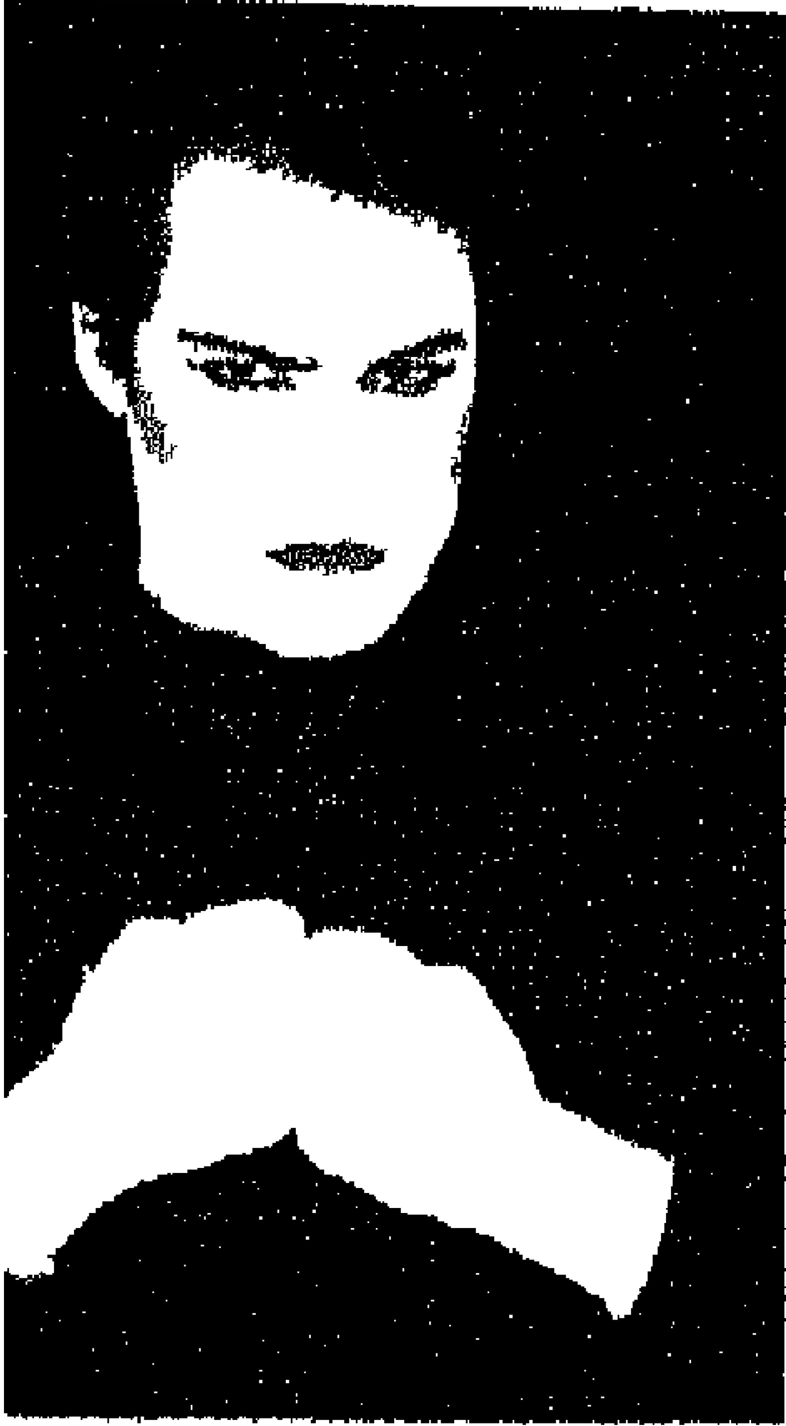
فكيف يمكنك تطبيق هذا المبدأ في حياتك أنت؟ الصحيح أن تطبيقه ليس وقفاً على محاكاة بعض التعابير الوجهية، بل هو يستدعي عملا منهجياً اليك توضيحه:

ابتسم كي تشعر بالمرح. ولكن لا تكن متردداً في هذا المقام. فعالم النفس ايكمان يحذر من أن الابتسامة الكاذبة، أي التي تأتي مفاجئة جداً ومقتضبة جداً وتستخدم الفم من دون العينين، لا تنمّ عن إحساسات الفرح ولا هي تولد هذه الاحساسات. لذلك عليك بذل جهد حقيقي. فابدأ بابتسامة لطيفة ثم حولها ببطء ابتسامة عريضة متوهجة. ومن ثم اضحك. فاذا لم تتمكن من التفكير في أمر مضحك فتظاهر بذلك. وهذا لا يعني أن عليك الضحك عندما تواجهك مشكلات حقيقية. فجدوى هذه الطريقة تكمن في



استعمالها عندما تكون في حاجة الى ما يسعفك في تحمل بعض مشكلاتك اليومية.

والقراءة بصوت عال تساعدك ايضاً في هذا الصدد. فاقرأ على نحو معبّر واقصر



قراءاتك على ما يبعد عنك أجواء الحزن. ويمكنك على سبيل المثال أن تقرأ مقطعاً فكاهياً في احدى قصص مارك توين أو مشهداً ساخراً في بعض مؤلفات تشارلز ديكنز. وجاء في دراسة أعدتها جامعة بنسلفانيا أن المرضى الذين يقرأون بصوت عال على نحو تعبيري طرأ على مزاجهم تحسّن كبير.

استرخِ كي تهدىء القلق أو الخوف. هناك طريقة نموذجية لجعل الجسم في حال استرخاء. والطريقة تكمن في شدّ عضلات اليدين ثم إرخائها وتكرار ذلك بعضلات الذراعين والعنق والوجه حتى تصل الى أصابع القدمين. ويمكنك أيضاً أن تتخيل نفسك في مكان مريح كشاطىء بحر أو حديقة عامة. ويمكن أن تؤدي وسائل الاسترخاء هذه سريعاً الى انخفاض في سرعة النبض والتنفس واستهلاك الاوكسيجين وفي نسبة اللكتات(١) في الدم، وهي المادة التي يُظنّ انها تزيد حالات القلق.

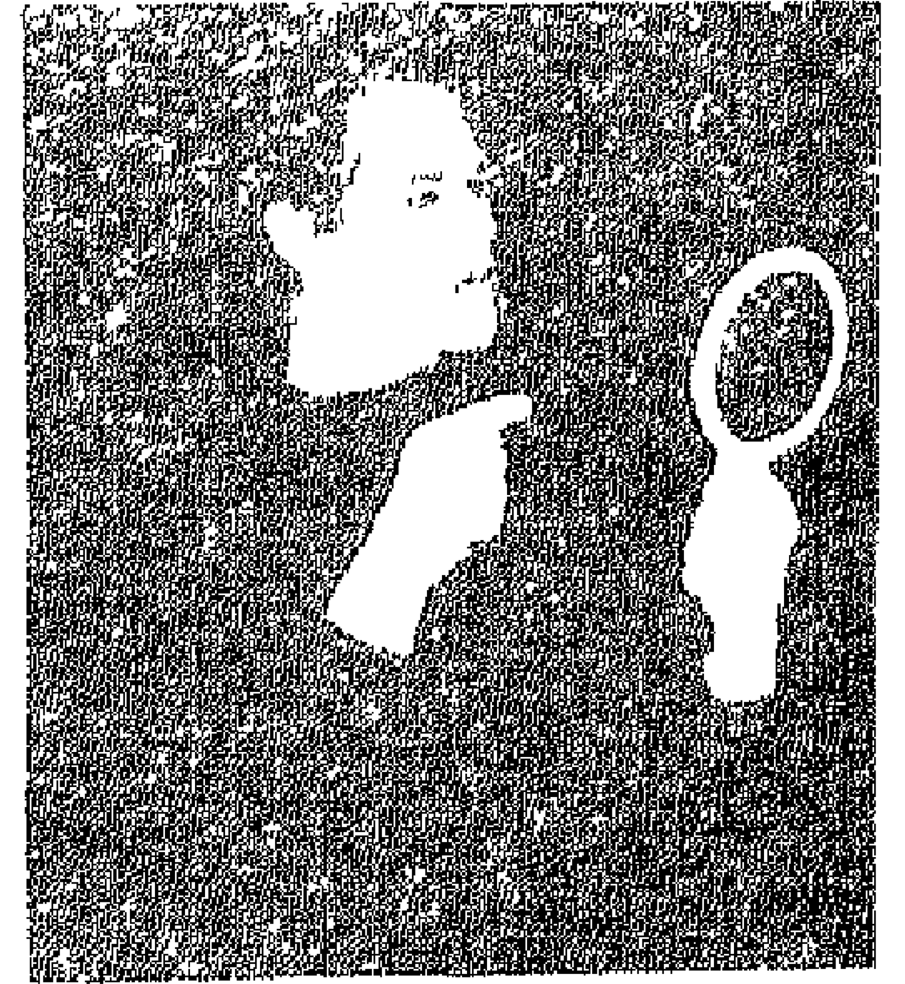
ومن خير السبل الى تبديد الغمّ الانصراف الى لعبة التمثيلية التحزيرية(٢) مثلاً أو مشاهدة فيلم

(١) Lactate أو ملح الحمض اللبني.

(٢) لعبة قوامها مشهد تمثيلي يصور مقاطع كلمة معينة يطلب من المشترك في اللعبة أن يحزرها.

فكاهي على أن يضحك المتفرج بصوت عال. فليس الترفيه وحده هو الذي يساعدك في هذا الشأن، بل إن الضحك يجعل احساسك أفضل مما كان.

لا تألُ جهداً كي تعزز ثقتك بنفسك. فقبل أن تجري مقابلة تتعلق بوظيفة أو تطلب زيادة على معاشك أو تتكلم في مكان عام عليك أن تعتني بهندامك وتقف منتصب الهامة. وتدل الابحاث على أن حسن مظهرك يجعل الآخرين أكثر استعداداً لقبول رسالتك، لكن ما يفوق هذا أهمية هو أنه يساعدك أنت على الايمان بها.



لذلك اعمد الى ممارسة الدور الذي تود أن تؤديه. ويمكنك أن تجريه أمام المرآة أو مع صديق لك أو مع زوجتك.

الزم الهدوء في الازمات. لنفترض أنك أضعت بعض الأوراق المهمة أو أن عاصفة هوجاء هددت منزلك فجأة. فإذا أردت أن تبقى هادئاً عليك أن تبدو هادئاً وتلزم السكينة والثبات في حركاتك وتتحاشى العجلة والاضطراب. والى ذلك أبق صوتك منتظماً وكلامك بيّناً ولكن متمهلا. فالذعر مُعْدٍ، كذلك الهدوء.

ذات صيف كنت أقود مركباً شراعياً في رحلة تستغرق أسبوعين. ولم تلبث أن ضربت المركب عاصفة فاعتراني توتر شديد ورحت أصرخ في أصدقائي الثلاثة مصدراً الأوامر. وانتهينا جميعاً الى حال من الاضطراب. واقترح أحد أصدقائي بهدوء طريقة أفضل لمقاومة العاصفة، وهو بحّار قديم. وعندما اعترضتنا بعد يومين عاصفة أشدّ من الاولى أصدرت الأوامر بنبرة قوية متّزنة ورفعت ذقني، فلاحظت بدهشة أنه انتابني شعور أقرب الى الهدوء. وفيما كانت العاصفة الاولى أزمة تامة بدت الثانية مغامرة مثيرة.

إن استخدام أجسامنا وأفعالنا لتغيير طريقة احساسنا يمكن أن يكون وسيلة نافعة لمساعدتنا خلال صعوبات حياتنا. وقد أصابت الروائية البريطانية جورج إليوت(٣) عندما كتبت قبل أكثر من قرن: "إن أفعالنا تسيّرنا بمقدار ما نسيّر نحن أفعالنا." والناس الذين يتذكرون ذلك ويتصرفون بمقتضاه لا يسعهم الا أن يكونوا أغنى وأكثر سعادة في التجربة.

مورتون هنت ■

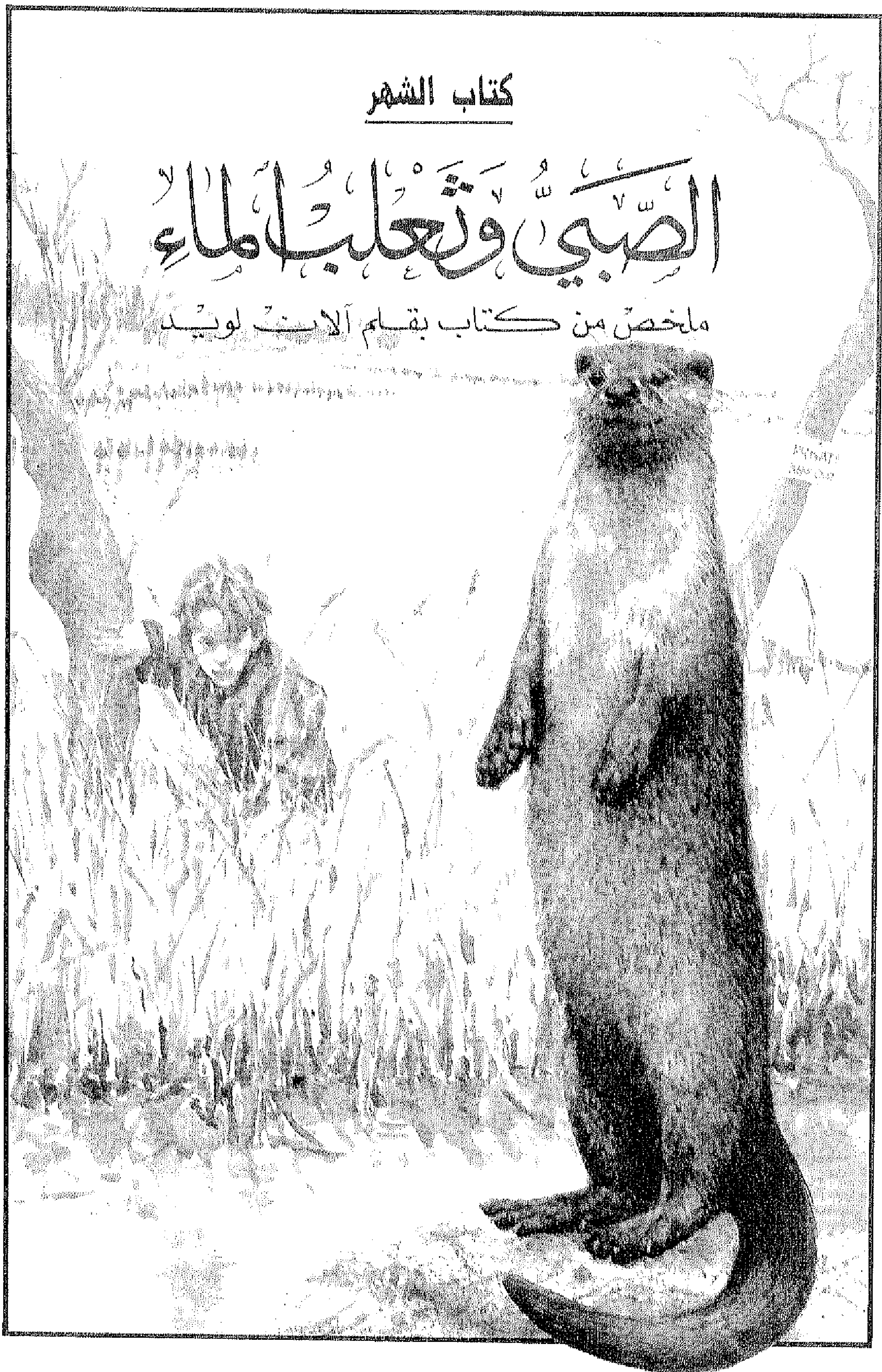
(٣) جورج إليوت هو الاسم المستعار للروائية ماريان ايفانز (١٨١٩ - ١٨٨٠).



جرأة أم فلتان؟

يكتب الناس على قمصانهم هذه الأيام عبارات لم يجرؤوا في ما مضى على البوح بها للاطباء النفسانيين.

ك.ك.


كتاب الشهر
الصبي وثعلب الماء
ملخص من كتاب بقلم آلان لويد

الصَّبيُّ وَثَعْلَبُ الماءِ

ملخص من كتاب بقلم آلان لويد



قصة الصبي ولُوط القضاعة والرجلين العجوزين اللذين خاضا معارك كثيرة من أجلهما، هي ويا للأسف قصة خرافية. ففي بريطانيا تعرّض حيوان القضاعة في أواخر الخمسينات لهبوط عددي مفجع، وصيحته اليوم أندر من صيحة الباز أو طائر المرعة المبقّع. ويتساءل الكاتب: "هل يبقى لوط حياً؟" ويضيف: "في مكان لا يبعد إلا قليلا من حيث جلست أكتب هذه الاسطر، هناك خندق يحمل على الخريطة اسم "قناة القضاعة". لكن القضاعات أو ثعالب الماء التي كانت تجوب مستنقعات رومني في بريطانيا اختفت قبل أكثر من عقدين. الا أن في وسعها أن تعود وتسبح حيث اعتادت لو وُجد من يهتم لها." وفي ما يأتي قصة لوط، وهي حكاية ماضٍ لم يتحقق ومستقبل ما زال موعوداً.

Condensed from «The Last Otter,» copyright © 1984 by A.R. Lloyd, published by Hutchinson, London
Illustrations: Carol Binch



دوت الصيحة تماماً كما كانت تدوي قبل العصر الجليدي، ثاقبة وبدائية، وأعقبتها صيحات راحت تعلو من رأس عريض مرفوع لجسم رمادي بني نصف مغمور بالماء وثابت على قائمتين مكففتين(★) في المياه الضحلة. انه ذكر قضاعة. لم يلقَ نداؤه استجابة، فهو واحد من قلة متبقّية من جماعات القضاعة التي كانت في ما مضى تملأ مستنقعات رومني الخضراء في الطرف الجنوبي الشرقي لبريطانيا.

كانت حيوانات الانقليس تسبح سريعاً. وغطس القضاعة في الجدول وراح يجوب الاعماق مترقّباً. أطبق خطمه وأذنيه وطفت فقاقيع الهواء من فمه الى السطح كالجبال. وما لبث ان رأى "أسطول" الانقليس ينفخ الهواء بايقاع كالمضخّة. وسُمعت جلبة وأصوات انقضاض ما لبثت أن توقفت، وظهر القضاعة بعدها يجرّ ضحاياه الثلاث الى نتوء صخري أملس فوق الجدول. ولكم عرف ذلك النتوء في الماضي من ثعالب بحر جاءته باعداد لا تحصى. فهناك دارت معارك بينها وبين كلاب البحر، وهناك سبحت اناثها وتعلمت صغارها أساليب بنات جنسها. أما الآن فقد ألفى القضاعة نفسه وحيداً على النتوء. وسُمعت قرقعة عظام بين فكيه، كان يأكل وحيداً.

في ذلك الوقت كان فتى يصطاد بالصنارة قرب حاجز للماء في أعلى الجدول، فسمع نداءه. وعلق في صنارته انقليس فتناوله على عجل ورماه في سلته وهو يتلوى. وابتعد عن الحاجز وزحف على الضفاف بين الاشجار وتخطى اللافتة التي كتب عليها: "ممنوع الدخول: أملاك خاصة."

كان الفتى في حدود الحادية عشرة من عمره، صغير الحجم بادي الحرمان، وكان خوفه كبيراً من أن يراه أحد. وواصل زحفه متسللا نحو المكان الذي انطلقت منه الصيحة، وعندما بلغه قذف الانقليس برشاقة نحو الصخرة الكبيرة.

ونادى بصوت خافت كالهمس: "لوط! أحضرت لك واحداً كبيراً!"

انتصب القضاعة على ذنبه وقائمتيه الخلفيتين وحملق الى الفتى بعينين مستديرتين مشعّتين. كان متخماً وغير راغب في رفقة أحد. لكن ذلك لم يثنِ الفتى الذي تابع ملحّاً: "اتذكرني؟ كنت أرمي لك السمك وأنت صغير."

نفث القضّاعة بضراوة علامة الانزعاج وأدار ظهره للصبي. والواقع أن لوط بعدما ترك وشأنه لم يعد لديه ما يشتكي منه، فالحياة كانت سخيّة معه، وعشرات الآجام في تصرّفه من دون منازع. ولم يكن له أعداء كثيرون وكان ينظر الى ثعالب البر بازدراء وسخرية، فهو أمكر منها وأحذق، خصوصاً في الماء. وكان يعرف كيف يختفي عند اللزوم.

ولمع ضوء في بيت الصياد على القمّة مرسلا شعاعاً رفيعاً من فتحة باب، ثم خبا. بعد ذلك سُمع وقع أقدام تحدث حفيفاً على أوراق الشجر الساقطة. والتصق القضاعة بالصخرة قبل أن يقفز إلى الماء ويختفي. اما الصبي فانطلق

(★) القائمة المكفّفة (webbed) هي التي يتخلل براثنها غشاء جلدي يساعد في السباحة، كقوائم البط والاوز.

متوارياً بسرعة قصوى. ووصل الى حافة الماء رجل يجر رجليه بتثاقل ووقف قرب الجدول والتعب باد عليه. كان فمه قاسياً، وهو حاول أن يخترق الضباب بعينيه. أما اليد التي أمسكت بالعكاز ذي النعلة الحديد فلم يكن فيها سوى ثلاث اصابع وابهام وجدعة معقودة.

الصياد

في اليوم التالي وقف الصياد ذو الاصابع التسع في مكتبه الذي يشبه الحظيرة، وصوّب منظاره الى النهر. كان الرماد يملأ المدفأة الكبيرة، وبدت قطع الاثاث كالاقزام وسط ضخامة الغرفة التي ظهرت اثار الموت في كل ركن منها: اقنعة من رؤوس الثعالب، وسمك محنّط معروض في خزائن، ورؤوس قضاعات مرصوصة على الجدران كالميازيب.

في مواسم الصيد الماضية كان الصياد يعود باكثر من خمسين قضّاعة. لكن الطرائد بدأت تختفي تدريجاً مما اضطره الى التقاعد وتسريح كلابه وفي نفسه غصّة.

فجأة زمّ الصياد شفتيه واندفع خارجاً صافقاً الباب وراءه. اتجه نحو الزورق حيث جلس النوتي بجسمه القصير الممتلىء وجلده المتغضن بفعل الريح والشمس، يمضغ غليونه. وسأله بحدّة: "أين هو ذلك الصبي الملعون؟"

– لم أر أحداً.

"اللعنة! اني رأيته هنا معك. أنه يسعى الى سمكي يا رجل!"

– انه لا ينشد سوى قليل من السمك الصغير يا سيد.

"هذا امر يفضي الى غيره. الفتى يجب أن يُحتجز."

تسلّق الصياد التلّة وهو يعرج. فبرز الصبي من بين الاعشاب وقال للنوتي: "لم أسرق اي سمكة. اقسم لك."

– لكنك كنت على أرضه.

"ذهبت لأرى القضاعة. انها الحقيقة! كان أليفاً وهو صغير. ولا يهمني أصدقتني أم لا."

أطلق النوتي ضحكة مكبوتة. فلا أحد في هذا المكان استطاع معرفة الجهة التي اتى منها ذاك الصبي. ومع أنه لم يكن مؤذياً فانه كان كاذباً مراوغاً، ولكن ليس أكثر من سائر الاولاد.

ورد النوتي: "أنا لم أولد البارحة يا صاحبي. القضاعة لا يعرف للصداقة معنى. انه ماكر وغدّار كبنات عرس."

فاحتج الفتى: "انك لا تعرف لوط. إنه الوحيد المتبقي، لذلك هو مهم! كل بنات جنسه اختفت."

– نعم، كذلك البحارة وركاب الزوارق.

وكان ذلك صحيحاً، فعدد قليل جداً من الصيادين ما زالوا يمرون بزورقه ويتوقفون ليحتسوا عصير التفاح الذي يقدّمه. ولكن الى متى سيدوم ذلك؟ بصق النوتي وتابع: "انتبه للصياد العجوز ايها الفتى، فهو سيسلخ جلدك اذا امسك بك على أرضه."

رمق الفتى الزورق المملوء بأوراق الشجر والراسي قرب العشب وقال في نفسه "لو كان لدي زورق مثل هذا لما احتجت الى وطء أرض الصياد."

ولو كان لديه قارب للحق لوط الى أقاصي النهر.

ووعده النوتي: "ساصلحه ذات يوم."
– ذات يوم، عبارة مطاطة قد تعني أي شيء."

في حقل في أعلى النهر راح لوط يطرف بعينيه ليطرد النعاس. فجأة جمد في مكانه. لقد اندفعت نحوه جماعة من الكلاب وألسنتها المدلاة تلمع. وقف لوط هنيهة في مواجهة ذلك السيل الجارف، ثم انطلق كالسهم في اتجاه النهر وقوائمه القصيرة تقرع الارض وجسده يتموج. وأطبق عليه كلب راح ينهشه بأنيابه الحادّة، لكن لوط تملّص منه ولاذ بالفرار. وبقي يعدو على غير هدى وهو ينزف من جرح مفتوح. ورأى أرنباً يخرج من خندق فتوجه اليه واندس فيه. وشعر بدوار في رأسه وسرى في جسده خدر غريب قبل أن يغمى عليه ويسقط سابحاً في بركة من دمه.

بين الوعي والغيبوبة

مع هبوط الليل عاد الفتى الى حاجز المياه، ووقف عند مؤخر الزورق وراح يدفعه، لكن الزورق ظل جامداً لا يتزحزح. ومدّ الفتى يده داخله وراح يحفر بأصابعه، وأخرج حفنة رطبة من أوراق الشجر المهترئة. وأعاد الكرّة مراراً حتى أفرغ الزورق من الورق، حفنة بعد حفنة.

كان الليل ندياً والفتى يرتجف من البرد والمياه الموحلة تحوطه. وخفّ الزورق تدريجاً وبدأ يهتز. ورمى الفتى الى متنه مجذافين وقضيباً ثم دفعه الى الماء بكل ما أوتي من قوّة.

ورأى الفتى مقدّم الزورق طافياً فارتاح قليلا. وبعد دفعة أخيرة سُمعت قعقعة وأصبح الزورق في الماء. وصعد الفتى اليه وجلا وظل يدفع بالقضيب حتى ابتعد الزورق عن اليابسة واستقر في الماء ثابتاً. كان خشبه مهترئاً والطحلب يغطي متنه، لكنه كان عائماً. وزرّر الفتى معطفه اتقاء للبرد والرطوبة، وتابع الدفع بالقضيب.

وفي طريقه الى صخرة القضاعة مرّ بعدد من الخلجان الصغيرة التي تجمعت فيها قطعان من الماشية راحت تراقبه من بعد. وشعر بنشوة عارمة وهو ينزلق مبتعداً عن الاشراك الخفية التي نصبها الصياد. ولم يتمالك عن القول وقد غمره زهو الانتصار: "اصبح الزورق في الماء يا لوط. وأنا في طريقي اليك."

غير انه وجد صخرة القضاعة مهجورة. وربط الزورق بحبل بال وزحف الى الضفّة وهو ينادي بصوت خافت: "لوط!" وهوت على كتفه يد ثقيلة، يد تنقصها اصبع. وتملص منها الفتى وانطلق يعدو لاهثاً نحو الزورق المتداعي.

تمدّد لوط على العشب خائر القوى شبه غائب عن الوعي لا يدرك شيئاً ممّا يدور حوله. وانزلق جرذ من وسط الضباب رافعاً خطمه وعلى شفته العليا وشم أصفر، وتبعه ثان وثالث وغيرهما كثير، وحوّمت طيور النورس فوق المكان. فاكتمل عقد أكلة الجيف. لكن رشيشاً من الماء بدّد السحر وتشتتت الحيوانات في كل صوب، كل من حيث اتى. ورفع الفتى البدن الساكن ووضعه في القارب: "استيقظ يا لوط بحق السماء."

تحرّك لوط قليلا ثم همد ثانية. أين هو بهلوان الماء؟ أين هو الصياد الماهر؟

حتى الحظ تخلى عنه هذه المرة فبدا كالجرو مغلوباً على أمره لا حول له ولا طول. وجاءه الصوت متوسلا متملقاً: "هاك بعض الطعام."

كان لوط عاجزاً عن الحركة وعن تسلّق أسوار سجنه العائم، لكنه لم يكن عاجزاً عن الاكل. وما ان أخرج الفتى سمكة وقدّمها اليه حتى التهمها بنهم. وراح يترجح بين الغيبوبة والوعي. وكان كلما عاد اليه وعيه يأكل شيئاً من دون أن يبدي تبرماً بوجود الفتى معه. الى ان حاول هذا أن يلمسه فانتفض بشراسة وانقضّ عليه.

وصرخ الصبي وهو يتفحص أصابعه: "آآا ما زلت قادراً على العضّ."

ابتعد الصبي بحذر، فالحيوان الجريح الذي أمامه ليس لعبة يتسلى بها. كان طوله حوالى ١٢٥ سنتيمتراً ووزنه نحو احد عشر كيلوغراماً، وكانت أنيابه مخيفة.

تابع الفتى طريقه عبر الجدول. وخاطب لوط: "علينا أن نسرع قبل أن يُفتقد الزورق." وفيما هو يجذف مبتعداً راحت الجرذان ترمقه بعيون تنضح شرّاً.

قاضم الاصابع

تحرّك ظل رمادي مترقّب. كان قاضم الاصابع عملاقاً، والرجال الذين رأوه قدروا طوله بمتر ونصف متر. لكنه في هذه الاثناء سار محدودب الظهر كوتر قوس مشدود لينطلق. وكانت رقبته ممدودة وخطمه الرمادي الذي يحمل ندباً خلفتها معارك سابقة، يهتز بغضب. فهو التقط رائحة خصم فاحت بقوة آتية من مكان ناء في النهر ضمن مملكته.

لكن رائحة من نوع آخر شغلت باله وجعلته أشد حذراً، رائحة حملها الدخان المنبعث من نار مشتعلة في كوخ صغير من الآجر كان الصيادون في الماضي يأوون اليه. وكتم القضاعة الهرم غضبه الى أن خمدت النار مع الفجر ورأى الزورق ينساب مع التيار. فقطع الجدول واقترب من الكوخ وراح يتنشق بحذر. شاهد بقايا خشب محروق تشكل دائرة ورأى كتلا من الطين المسفوع حيث شوى الفتى سمكاً. ولاحظ خسوف الارض الترابية حيث رقد الفتى في كيس النوم. لكن هذه الروائح جميعها بشرية، فانطفأ قاضم الاصابع وعاد من حيث أتى الى الماء وقد استعر غضباً. فرائحة لوط كانت واضحة، واستباحة الارض وقحة وفاضحة خصوصاً ان المستنقع مملكته، وانتصب مجدداً وعيناه تقدحان شرراً وانطلق في اثر المعتدي متلصصاً. تسلّق أكمة وتفحص الارض المنبسطة أمامه بنظرة شاملة. لم يرَ سوى الزورق. لكن انفه لا يخطىء. لوط حتماً في الجوار.

والواقع أن لوط كان هناك فعلا، وهو بدأ يتململ من احتجازه. لقد أمضى فترة النقاهة في بالوعة الزورق، وهو الآن ينشد الحرّية. تفحّص المويجات ووقف برهة على حافة الزورق مترجحاً قبل أن ينطلق كالسهم ويختفي عن الانظار.

رأى الفتى الدوائر في الماء ففكر: "كان يجب أن أنتبه الى ذلك. بحق السماء، أين أنت يا لوط؟"

وظهر جانب من الجسم المبلل ثم غطس لوط ثانية مداعباً.

كان الخوف واضحاً في صوت الفتى وهو

يناديه متوسلا: "انك لست على ما يرام بعد. عد الى هنا." لكن لوط المتبجج المختال اختار هوة عميقة وسط الجدول وغطس فيها ثم ما لبث أن قفز منها كالصاروخ حاملا سمكة نهرية سمينة. وأطبق بفكيه على فريسته ذات الحراشف ثم تمدد على ظهره وراح يقذفها في الهواء ليعود ويلتقطها بمخالبه المكفّفة.

وصرخ الفتى وفي حلقه غصة: "يمكنك أن تأكلها في الزورق يا لوط."

لكن لوط لم يأبه له والتهم سمكته باستخفاف.

وتابع الصبي: "حسناً، كل ما فعلته أني انقذت حياتك. لا تشكرني على واجب."

وراح المطر يهطل بغزارة على الزورق. فجأة سمع رشيش ماء. ونظر الفتى الى مصدره فرأى لوط يقفز الى بالوعة الزورق ويستقرّ في ركنه المفضّل. ثم يغطّ في نوم عميق.

غنيمة سهلة

قصف الرعد وومض البرق وامتلأ الزورق بالماء. وكان كلما أفرغه الصبي يعود ويمتلىء ثانية. فقال: "علينا أن نعود به الى الضفة يا لوط."

غمرت المياه المنهمرة الزورق فيما القضاعة يثب مرحاً وسط الظلام. ووصل الراكبان اخيراً الى مكان تحت جسر يبعث الرهبة في النفس، فربط الفتى الزورق تحت احدى القناطر وصوت الطوفان حوله كفحيح الافعى. قال: "لا مطر هنا على الاقل. الآن يمكنني انه افحص ذلك المصرف المسدود."

جال لوط في المكان مستكشفاً. والتقط أنفه رائحة مسكية العبير تنبعث من تحت الجسر، فعرفها للحال. انها الطعم الذي يستخدم للايقاع بالقضاعات. لم يعد لديه أدنى شك في ان الخطر محدق. ثم سمع أصواتاً بشرية فغطس في الماء.

"هل من متاعب يا بني؟"

عبرت الشاحنة الارض المسطحة وهي ترتجّ ثم توقفت بالقرب من الجسر. كانت ملطخة بالوحل وحملت على أحد جانبيها كلمة "نقل". ونزل منها رجلان اقترب أحدهما من الفتى وسأله: "هل قاربك مثقوب؟"

كان الرجل شديد الهزال وبدت وجنتاه الناحلتان تحت القبعة.

وأجابه الفتى باقتضاب: "سأصلحه في دقيقة."

ظلّ الرجل يبتسم ببرود ثم سأل: "من أين انت؟"

"من أعلى النهر،" أجابه الصبي الذي كان أذكى من أن يثق بأحد.

لكن الرجل ألحّ: "ربما أنت تعرف بيت الصياد."

– انني اعرف الصياد.

"وهل تعرف حرّاسه؟"

– حرّاسه؟ ومن يرضى أن يعمل لديه؟

قلّب الفتى الفكرة في رأسه ثم تجهّم وجهه وتابع: "الستما في طريقكما اليه؟"

ورد الرجل: "أنت لا تعرف أي وجهة سنسلك. فعملنا في النقل يشمل المنطقة كلها ونحن نعمل حيث يحلو لنا." ثم نادى رفيقه قائلا: "الفتى يعرف بيت الصياد."

كان وجه الرجل الثاني منتفخاً ومدهناً وكرشه ضخماً. وهو قال متذمراً: "دعنا نأكل أولا ثم نتابع سيرنا." ثم أجفل عندما توجه صوب اليابسة سرب من الزرازير. وقال بصوت أجش: "اسكت. راقب الجزيرة جيداً. هناك قضاعة في العشب، لقد لمحت شاربيه. أنظرا"

وأنطلق الاثنان يعدوان على الجسر وكرش الرجل الضخم يهتز أمامه.

الانثى

لم يقلق الفتى لانه عرف أن لوط لن يعلق مع هذين الغريبين. وتسلّل الى الشاحنة. وفي الجزء المغطى منها رأى أعقاب سجائر وخريطة وأحزمة رصاص ومسدسين وصناديق ذخيرة وبنادق وحبالا لنصب الاشراك ومشاعل كهربائية ومؤنا.

وانسلّ الى مؤخر الشاحنة. وما ان فتح الباب حتى تدحرج صوبه رأس بقرنين وعينين مستديرتين تحدقان اليه كأنهما قمران. وخلف الغزال النافق رأى الفتى اكواماً من الطيور البرّية ومناقيرها مخضّبة بدمائها وكأنها شواهد على مجازر رهيبة أكبر من أن يفقه لها الفتى معنى.

واستدار استعداداً للهرب، لكن الحكمة قضت ألا يعود خالي الوفاض. فحمل كيس المؤن وانطلق يعدو نزولا نحو النهر. وقطع ضفافاً مغمورة بالماء لم يكن ليجاريه في عبورها سوى الكائنات ذوات الزعانف أو القوائم المكففة. وتناهى اليه صوت مزمجر يطلق الشتائم.

أزعج الحمالان لوط فغطس وسبح مع التيار تحت الماء حتى وصل الى ضفاف مهجورة. وتسكّع بكسل هناك وجعل يقلّب الصخور بحثاً عن الانقليس. ثم طفا الى السطح حيث المياه خضراء مصفرّة والرؤية واضحة. ولاح أمامه في البعيد طيف ضخم. واستطاع تمييز عنق طويل رشيق وفقاقيع هواء طفت الى السطح. كان الطيف يتحرك برشاقة وسهولة وحجمه ثلثا حجم لوط. لم يكن ذلك الطيف سوى قضاعة انثى كانت الاولى التي رآها لوط منذ كان صغيراً.

واندفعت الانثى بسرعة البرق الى الاعشاب حيث كمنت وفي عينيها تحدٍ. كانت جميلة وفراؤها كالحرير. وما ان اقترب منها لوط بمشية جانبية حتى انقضّت عليه وهي ترعد وتنفث. فتراجع مندهشاً من حلمه ورأفته بها. وظل يتراجع الى أن استكانت. وعلى رغم الغضب الذي بدا في عينيها فان مزاجها تغيّر وأصبحت أقل عداء. وعندما اقترب منها هذه المرّة كان صدّها لعوباً، حتى طريقة امساكها بعنقه وشدّها لجلده بدت تمثيلية. وراحا يتدحرجان ويتصارعان. وسقطا في الماء وهما يتدافعان. وعندما وصلا الى الاعماق تحولا شبه طوربيدين منطلقين. وكالدوامة قطعا احراجاً وغابات ومروجاً خضراء منبسطة. وعرض لوط مزهواً كل ما عنده من مهارات، وراح يقفز باهتياج كأرنب بري. وأخيراً نهكهما التعب فارتميا على الارض طلباً للراحة، وغط لوط في سبات عميق. ثم هبّ من نومه فلم يجد الانثى التي ما ان سمعت الزورق يدنو حتى ولّت هاربة.

ورآها الفتى تعدو فصرخ: "مرحباً يا لوط، تعال. لدينا مؤن الآن، ويمكننا اللحاق برفيقتك."

ظلت الانثى تتنقل بحذر في المستنقعات طوال يومين. الى الشمال يمتد الخط الساحلي القديم الشديد الانحدار، وهو اليوم يبعد كيلومترات عن البحر. فالرومان والسكسون الذين حطوا فيه رحالهم في الماضي حفروا خنادق بقصد استصلاح الارض وتجفيف المستنقعات لاستعادتها من البحر. ووصلت الانثى الى موئل طيور البلشون الذي تحوطه الاشجار، فهو كان ملاذها وملجأها تختفي فيه عن عيني قاضم الاصابع. ونظرت الى السماء وهرولت، فاللون الوردي كان ينذر بصقيع قارس.

صيد القضاعة

على بعد كيلومترات وقف النوتي أمام مبنى الصيادين وراح يقرع بالحاح الباب المرصع بالمسامير الحديد. وسمع صرير وظهر الصياد على العتبة وقال: "أدخل يا رجل، فالبرد قارس!"

لم تكن القاعة التي ولجها النوتي اكثر دفئاً من الخارج. فالسقف المصنوع من روافد خشبيّة كان عالياً والارض المكسوة بالاجر كانت عارية. وبدأ يتكلم: "لقد هرب ذاك الشحاذ الصغير بالزورق."

– هل سرق الزورق؟

"لا يهم ماذا سرق. يكفي أن يسرق أرنباً ليُشنق!"

– اللعنة على هذا الوغد!

"ارجو أن يكون الفتى حياً، فالزورق متداع مهترئ وربما غرق الغلام أو تجمّد. ان قاربي في الانتظار."

– الزوارق والقوارب من اختصاصك، وأنت لا تحتاج الي.

"إلا في شيء واحد فقط..." قال النوتي وهو ينظر الى غنائم الصيد المعروضة عند جاره، "...وهو صيد القضاعة. وإلا لما أتيت اليك."

– صيد القضاعة؟

"هناك قضاعة مع الصبي." هذا ما أخبره اياه عامل النقل وهو رآهما معاً: الصبي يدفع الزورق بالقضيب والقضاعة مكوّر على نفسه كقط في قعر الزورق. لا أحد سوى الصياد يمكنه ان يتعقب القضاعة في تلك المستنقعات الواسعة الكئيبة.

وهمهم الصياد: "البرد قارس يا رجل." ثم توجّه الى خوان ضخم وملأ كوبين شراباً مدفئاً وقدم واحداً الى النوتي. وتابع: "سأذهب معك. لكن عليك أن تشرب هذا أولا. طعمه لاذع لكنه يبعث الدفء في الجسم، وأنت يا مسكين محتاج الى الدفء." ولوى قسمات وجهه ثم أضاف بسرور وحشي: "صيد القضاعة في هذا الطقس!"

رسم الجليد حدوداً للجدول ودفعت الريح الثلج المتساقط الى الخلجان فتجمع على حافاتها نتوءات مدوّرة. وبكى الفتى من شدّة البرد ولم يعد يشعر بيديه وقدميه ولم يبق في كيس الطعام الذي نشله من الشاحنة سوى نصف فطيرة.

وتثاءب لوط على الضفّة وانهمك في تنظيف مخالبه. تاق الى تلك الانثى اللعوب ذات الجسد اللدن. وانحدر في اتجاه النهر علّه يصادفها. ومرّ وقت قصير وصل الفتى بعده الى نقطة التقاء الجدول بقناة قديمة كانت في زمن نابوليون خندقاً شُقّ للحماية من الغزو. وعلى ضفاف

النهر انتصبت أشجار مقطوعة الرؤوس كالعسس. وبسط لوط أذنيه، ودوّمت في الظلام ريح باردة حاملة رائحة قضاعة ذكر. فجأة أضاء نور القمر المكان راسماً ظلالا لاشجار الدردار والحور. ورفع لوط رأسه فرأى القضاعة العملاق يخطر في الليل وسط بياض الثلج كتمثال من حجر. وزمجر العملاق: "قف، ولا تتقدم!"

فرد لوط مرتجفاً: "أنا أذهب حيث أشاء."

– انك تنتهك مملكتي. أنا قاضم الاصابع، ملك المستنقعات. أنظر وارتجف!

"انك هرم. لا تتوهم أنك تخيفني. لوط لا يعرف حدوداً. جئت أبحث عن الانثى الصغيرة وانا عازم على العودة بها أيها العجوز!"

– إذن سوف تموت!

ليلة الكارثة

أين لوط؟ وراح الفتى- يلعن رفيقه. فالظلام يهبط وكان من المفروض أن يكونا في طريق العودة قبل ذلك بكثير. وتمتم من خلال أسنان تصطك: "لا يمكنك ان ترحل هكذا." غير انه كان يعلم يقيناً أن لوط قادر على عمل كهذا. فهو يفعل كل ما تمليه عليه طبيعته الجامحة. وبعدما فقد الامل في عودته ناداه: "حسناً، سأبحث عنك بنفسي."

تساقط الثلج على الزورق الذي راح يترنح حتى كاد الفتى أن يسقط في الماء. وكانت بوابة النهر مفتوحة فجرفت المياه المتدفقة الزورق الذي اندفع كأنه في سباق. وسمع الفتى في البعيد أصوات شجار وجرّ أقدام، فاندفع الى أمام بسرعته القصوى.

وقفز الى الضفة شيء غير محدّد



الشكل راح يهسّ بضراوة فاغراً فمه. ونظر اليه الصبي مشدوهاً، فهو لم يسبق أن رأى لوط في هذه الصورة المخيفة. بدا قبيحاً مبتلا وفراؤه خصل كالمسامير وفمه ملتو حقداً. وشهق الفتى. الوغد جعله يبدو هكذا هزيلا تافهاً. لقد أطبق عليه القضاعة الغريب وأنشب براثنه في عنقه.

وصرخ الفتى: "توقف يا لوط! سوف يقتلك!" وراح يضرب الماء بمجذافه بعنف. في البدء لم يأبه الخصمان المتصارعان لهذا المتطفّل. وأخيراً جمدا في مكانهما وأعينهما تدور في محاجرها. وقبل أن يولي الوحش الكبير الادبار التقت عيناه عيني الفتى الذي قرأ فيهما تصميماً على القتل. واستمر لوط يسبح في الماء متباهياً فترة وجيزة ثم



انسلّ كالحية الى الزورق واستقرّ في ركنه المعتاد. بدا معتدّاً بنفسه ربما اكثر ممّا ينبغي، فبادره الفتى: "حظك طيّب اذ وصلت في الوقت المناسب، وإلا لأجهز عليك."

تابع الفتى طريقه شرقاً تحت ضوء القمر ورفع ياقة سترته اتقاء للهواء البارد وخاطب لوط: "سنجد تلك الانثى في مكان ما الى الامام."

وسُمع صوت شيء يتكسّر، شيء حاد اخترق بدن الزورق تحت الماء فتطايرت الشظايا الخشبية وتدفقت المياه الى الداخل مثل نافورة.

سلك النوتي طريقاً منحرفة في اتجاه الضفة. ووقف الصياد في مقدم القارب والبرد يلفح جسده كالسكاكين وعيناه تدوران في محجريهما. وصاح: "أدخله ذلك اللسان! قلت لك اللسان يا رجل! تكاد تخطئه."

– لا تعطني تعليمات أيها السيد! "اللعنة عليك!"

أدار النوتي الدفة بامتعاض. فالصياد كان بادي الجنون، ولكن مَنْ سواه يمكنه أن يتعقب القضاعة؟ من سواه يعرف الدلائل: طرقاً غير واضحة المعالم، آثار جسم متدحرج، آثار أقدام قلّما يجدها النوتي متشابهة. الصياد يعرف تلك العلامات كلها ويعرف أيضاً الأثر الذي يخلفه لوط والمكان الذي يأكل فيه. ولأن القضاعة يقصد الاماكن المرتفعة للانقضاض انحنى الصياد ليستكشف أكمة علّه يجد لوط هناك. ولما همّ أن ينهض تلوّت ملامحه ألماً، فهو كالكلب الذي نزل معه من القارب، كان يعاني التهاب

صَبَاحَ الخَيْر!







نسكافه

كوب من نسكافه مع الحليب، في الصباح
وفي أي وقت، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقا.
نسكافه، خلاصة القهوة اللذيذة، تملأك حيوية ونشاطا.
نسكافه، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية، سريعة التحضير.

نسكافه قهوة الشباب العصري الناجح.

المفاصل. وكلاهما متقدم في السن، تذكّر الصياد بغضب. ونظر الى الكلب وهو يخوض في الماء، وللمرّة الثانية رأى قطيع القضاعة وخواصرها تلمع أمام عينيه. حتى الاصوات الصاخبة التي سمعها ذلك اليوم الرهيب ما زالت تطنّ في أذنيه. واسترجع في ذهنه صورة ذلك القضاعة الضخم وهو يغوص الى أسفل ويستقر في القعر جسماً هامداً. ورأى نفسه من جديد وهو يمد يده الى ذلك الوحش الذي ظنّه ميتاً ثم يسحبها بسرعة ويقفز من الالم. تذكّر الالم والدم ومنظر الاصبع المبتورة والجدعة الدامية. تذكّر قاضم الاصابع ورآه يبتعد منسلّاً كالافعى.

وناداه النوتي: "هل أنت على ما يرام؟"

- بالطبع اني على ما يرام ايها العجوز الأحمق. هيا أدر المحرّك. فالظلام سيضعنا في موقف حرج.

اشارة الخطر

اشتدّ البرد وهبّت الريح واجتاحت المستنقعات عواصف ثلجية جمّدت المطر وخلفت حول الرجلين طبقة جليدية رقيقة. وصرخ الصياد وهو يشير الى أشجار الحور: "هناك!" ونزل من القارب ليفحص عن كثب بطة نافقة منهوشة الصدر. وتابع: "اننا في اثره، ذلك الشحاذ المكفّف. لم يلتهم سوى اللحم الطريّ ولو كان ثعلباً لما أبقى من الفريسة الا الجلد والعظم."

وسأله النوتي: "هل هو بعيد أيها السيد؟"

فرد: "مسافة ساعتين أو ربما ثلاث ساعات. في وسعنا ان نتابع الصيد لو كانت معنا مصابيح." فجأة أشرقت اساريره فهتف: "بحق السماء! المخزن!"

كانت الساعة قرابة السادسة عندما فتح الحارس الباب استجابة لقرع الرجلين وزودهما مصابيح وانضم اليهما.

امتلأ الزورق بالماء قاذفاً الفتى الى المياه المتجمدة. وبهر الصقيع نفَسه فراح يتخبط كالمجنون. وعندما وصل الى الضفّة ارتمى عليها وهو يلهث. وجثم لوط يحكّ جلده وكأن الامر لا يعنيه، وما لبث أن انطلق والفتى يتعثر في إثره.

كانت الريح ضارية فوق القمّة، وشاهد الفتى لوط يستكشف المكان فتبعه وهو يقطر قطعاً من الجليد البحري. في البدء بعثت الحركة الدفء في جسده، لكن التعب ما لبث ان غلبه. وكان البرد يعذّبه كلما توقف، فراح يقطع خندقاً بعد آخر حتى استنفدت قواه. وما ان وصل الى القمة حتى هوى الى الارض وراح يتدحرج على المنحدر إلى ان استقر في القعر خائر القوى. كانا على بعد ثلاثة كيلومترات من الزورق عندما انفرجت الغيوم وأضاء نور القمر المستنقعات التي بدت كحصيرة فضية التفت حولها الخنادق كالافاعي. وبان فوق المرتفعات الجليدية شيء آخر: بناء غير واضح المعالم.

"إنه ملجأ يا لوط!" وصل الفتى اليه بمعافاة والم. كانت جدرانه عالية. ونظر الفتى الى الداخل من نافذة ذات اطار خشبي بسيط. وزحف الى الباب وهو يتشبث بالجدران. وفي الداخل ارتمى في اقرب مقعد وهو يكاد لا يعي شيئاً.

وسمع صرير الباب، ودخل لوط وهو يشمشم. رأى الجسد المكوّر فظن أن الفتى نائم. وخرج وتوجّه الى العشب النهري حيث أخذ سنة من النوم. ومع انبلاج الفجر انزلق الى الماء حيث رأى المصابيح تلمع. ورأى أيضاً ثلاثة رجال يتوجهون ناحيته وهم يشتمون، يتقدمهم كلب هرم. وللحال التقط لوط إشارة الخ

"الى الكوخ!" سمع صوت الصياد ملحاحاً فيما غطس القضاعة في الماء.

مرّ الوقت مسرعاً.

"لقد وصلت لتوي من بيت الصياد،" قالت المرأة للنوتي وهي بادية الضيق وذراعاها مشبوكتان أمامها. ثم ابتسمت. كانت أصغر سناً ممّا بدت، وذات وجه عريض وملامح تنمّ عن ادراك وتعقّل. وتابعت موضحة: "انني من الانعاش، من دائرة العناية بالاولاد."

وسألها النوتي باهتمام: "كيف الصبي؟ هل من تحسّن؟"

– لا بأس عليه.

"يا لحظ البريء! لو كان أحدنا في مكانه لقضى غرقاً. بدا تعساً عندما وجدناه. إنه حقاً عفريت ماء."

واستدارت المرأة رافعة حاجبيها وقالت: "انه كثير الكذب. أود أن استعلم منك، فهو كتوم ولا استعداد لديه للكلام. ربما أنت..."

ورد النوتي ببطء: "إنه ليس سيئاً."

– أنا متأكدة من ذلك. لكنني اشكّ في أنه اكمل فصلا واحداً في المدرسة في حياته أو نَعِم مرّة واحدة بالدفء. لا يجوز أن نترك الفتيان يغرقون او يواجهون الحياة بمفردهم من دون مدرسة، انه في حاجة الى من يعتني به.

وبصق النوتي. فأضافت المرأة مطمئنة: "سنعتني به."

صيحة فرح

انهارت معنويات لوط وثبطت همته. فالانثى صغيرة الحجم والمستنقع كبير جداً. وهو فتش السدود والقنوات ومسارب الفيضانات، لكن الخنادق لا تنتهي. واشتاق لوط الى الزورق والى صوت الفتى.

استراح لوط في الليل، وفي الصباح انتصب على قائمتيه الخلفيتين وراح يتأمل ضباب الفجر اللؤلؤي وهو ينقشع عن البحيرة. ثم غطس في الماء وسبح الى الضفة الأخرى قاصداً موئل البلشون، وهو كومة من الركام تعلوها الاعشاب وترتفع فيها أشجار الزان ويحوطها جدول صغير وقفت فيه طيور البلشون ساكنة متأملة. وأطلق لوط صيحة لم تلق استجابة. كان الجدول صامتاً. وفي مكان مرتفع شاهد بلشوناً هرماً وقف مزهواً وفي نظرته اكتفاء ورضا. كانت معه أنثى صغيرة. كشر لوط عن انيابه امتعاضاً، فهو لم يقطع المستنقعات ليجد بلشوناً سعيداً بشريكته! وأطلق صيحة ثانية. اين هي تلك الانثى؟

كانت الانثى في الجانب الآخر تسبح في جدول ضيق مسرعة الى بيتها. ولمحت لوط في البعيد وهي تشق طريقها بحذر في مكان من الجدول معقود كالانشوطة. كان يسبح متمهلا والمياه تغمره حتى صدره. وسرت في جسدها قشعريرة واهتزّ أنفها الافطس. وشعر لوط ان أحداً في

اثره، فاستدار مكشراً عن أنيابه وهجم. ثم تسمر في مكانه وأطلق صيحة فرح. أما هي فظلّت مترقبة.

شعر لوط بانجذاب كبير وشدّه سحر الانثى فانضمّ اليها. وضربته بقائمتها الامامية. والتحما في الماء الضحل وكأنهما في حلبة للمصارعة. وانتصبا على نحو جعل جلدهما الواسع يتهدّل في طيات حول جسديهما. ومن شدّة الطرب راح لوط يقفز كالضفدع الى الامام والى الوراء والانثى اللعوب تطارده من مكان الى آخر. وظلا هكذا يمرحان ويتمرغان في الوحل مدة طويلة حتى نال منهما التعب فاستلقيا تحت أشعة الشمس يتجففان.

صراع مميت

كانت الانثى بجانب لوط عندما استيقظ هذه المرّة. وتمغطت متثائبة، فذهب اليها بحماسة. وظهر القمر من وراء الاكمة كبيراً ذهبياً. وقطعا الجدول وثباً الى أن بلغا بركة طافحة يسبح فيها سمك كثير والابوام الصغيرة تموء حولها كالقطط والقمر ساطع فوقها.

من مكان ليس بعيداً في أعلى الجدول سمع قاضم الاصابع مغازلتهما الصاخبة، وهو كان يجوب غابة الزان بحثاً عن فريسة. واستشاط غيظاً حين رآهما. كان لوط يتثاءب عندما أطلق طائر البلشون صيحة تحذير مكتومة جعلت الانثى تغطس في الماء. وساد صمت مريب قبل أن يمزق سكون الغابة زئير قاتل. وفي لمح البصر انقض قاضم الاصابع على لوط الذي كان في أحد الخنادق يستعدّ للمواجهة. ولاقاه باستقبال أذهله.

انقضّ قاضم الاصابع ثانية وهو يزمجر. وبضربة من رأسه العريض أرسل لوط الى الماء مترنحاً. وغاص الاثنان ملتحمين ورمى قاضم الاصابع بثقله على لوط ودفع به الى القعر حيث غمره الطين وسدّ منخريه. لكنه ما لبث أن أفلت منه. ووصل الاثنان الى العشب وهما يزمجران بضراوة مثل نمرين.

تلقى لوط ضربة مخلب جانبية تبعتها أخرى طرحته أرضاً وجعلته يدور كالمغزل. وحاول أن يرد الهجوم لكنه أخفق وتراجع الى حافة الماء حيث وقف استعداداً لهجوم ثان. أنياب ضخمة نهشت لحمه. وارتفع في الهواء ثم سقط. وجُرّ على الارض وبدأ يغيب عن الوعي. ثم تملص بأعجوبة. كان مكسواً بالمخاط والدم يسيل من إحدى عينيه، ورأى بالثانية بريق الانتصار في عيني عدوّه. وتراجع لوط ببطء وأدرك أنه يجب ألا يكف عن الحركة مهما بلغ الثمن.

تعرّض لثلاث هجمات أفلت منها جميعها بالمراوغة. كانت الاشجار وعيدان القصب "تسبح" حوله. وشاهد البلشون العجوز القضاعتين في صراعهما المميت، فوقف يتفرج وانضمت اليه بلاشين أخرى، باعناق ممدودة واعراف تهتز. ثم ما لبثت المياه ان غمرت الوحشين المزمجرين وحجبتهما.

وظهرت موجة مفاجئة على سطح الجدول ثم انشقت عن رأسي القضاعتين المتصارعين. وتراجع لوط نحو العشب وتوقف فجأة. فقد احس شيئا حاداً خدش ردفه. ورأى حوله أسلاكاً شائكة هي بقايا صدئة من سياج قديم.

"الموت!" صرخ قاضم الاصابع، وهجم. غير أن صيحة الحرب سرعان ما تحولت صرخة ألم إذ اصطدم رأس العملاق بالسياج المحجوب وعلق في أشواكه. وراح يخبط على غير هدى. وارتعدت فرائصه وتعاظم توتره. وتجلّد وحاول أن ينتزع نفسه من "البراثن" التي علق بها. ونجحت محاولته في النهاية وتحرر من العذاب الذي استبدّ به.

كرة من فراء

اندفع لوط كالسهم مخترقاً الجلد السميك حول الرقبة. وفي هجوم معاكس شبّ قاضم الاصابع على لوط واثخنه جروحاً ومزّق جلده حتى سال دمه. لكن القضاعة الصغير ظل متمسكاً بخصمه كالكمّاشة متجاهلا الالم الذي عم جسده والعمى الذي غشي بصره. واشتدّ هياج العملاق فراح يضرب الارض بذيله. وتدحرج الاثنان الى الماء ككرة من فراء تزن نصف طن. وغاصا الى القعر متماسكين. وبدأت قوة قاضم الاصابع تتضاءل وأصبح صراعه أقل عنفاً. وغدا الماء حولهما عكراً مما أفسد متعة المشاهدة على طيور البلشون.

حاول لوط أن يلتقط أنفاسه ورأسه يهدر وصدره يضيق. وومضت أنوار امام عينيه فسبح صعوداً. وعندما وصل الى سطح الماء شاهد قاضم الاصابع يسبح بألم في اتجاه العشب. لم يلحق به من شدّة التعب.

ونظر قاضم الاصابع الى الوراء ورأسه مدلى. وخاطب لوط: "الانثى لك، فخذها."

"أنت!" صرخ النوتي مغتاظاً، "ماذا تفعل هنا؟"

"اني دائما أتصيد هنا،" أجابه الفتى وهو يبتسم.

وغص النوتي وكاد يختنق: "لا يحقّ لك ذلك يا فتى. فلقد عولجت واعتُني بك جيداً، والآن عدت تهرب من المدرسة. لا تقل لي انهم يوقظونك في الصباح الباكر لتذهب الى الصيد. ماذا يحدث ان رأتك تلك السيدة من الانعاش وأنت ممدد هنا على حاجز الماء؟"

– لم يكن ذلك ليزعجك في الماضي.

"ربما لا، ولو انني أبديت انزعاجاً لكان الزورق ما زال هنا."

هزّ الصبي كتفيه ورد مبرراً: "لقد امتلأ بالماء ولم يعد صالحاً. ولو صمد يوماً آخر لوجدنا الانثى. لكن لوط سيجدها، وسينجبان صغاراً وستَعود القضاعات تملأ النهر."

وعاتبه النوتي: "احمد الله على أنك ما زلت حياً. الحيوانات هي التي اوقعتك في تلك الورطة. أنا والصياد أخرجناك. فكنْ ممتناً بذلك."

– جئت أشكرك أنت والصياد.

"يجب أن تعامل هذا الغول بأدب أيها الفتى." قال النوتي ذلك وهو ينظر الى مبنى الصيادين من خلال أشجار السنديان. وأضاف: "كنت اذهب معك، لكنني لا أستطيع ترك الحاجز. انه صوت الواجب."

تسلق الفتى المنحدر. فوجد المبنى أكثر كآبة ممّا تصور. وانسلّ خلف المنزل حيث صُفّت صناديق النفايات، ورأى أمكنة تصلح للاختباء. ومرّ بقنوات طويلة جفّت مياهها ووصل الى رواق كُسيت ارضه بالآجر، أغراه منظره فولجه.

"ماذا تبغي يا عزيزي؟"

أمسكت الخادمة العجوز بالمكنسة وكأنها سلاح بتّار. وأضافت: "هل تبغي زيارة الصياد؟ حسناً. لقد مضى زمن طويل لم يزرنا أحد."

وسارت أمامه في أروقة مظلمة وأقبية كبيرة مكسوة بألواح من خشب السنديان. ثم فتحت باباً متيناً ظهر الصياد من خلاله منحنياً وراء مكتب ضخم.

وصرخ: "ماذا يفعل هذا الولد المزعج هنا يا امرأة؟"

فالتفتت العجوز الى الفتى مطمئنة: "لا تهتم يا عزيزي. تفضل بالدخول."

الهدنة

جمد الفتى في مكانه معقود اللسان. فرؤوس القضاعات كانت تحملق فيه فاغرة الافواه. وبدت السنتها المدهونة جافة متشققة وعيونها زجاجية في محاجر محزّزة وأفواهها ملتوية. انهم هنا... صيادو الجداول الذين اختفوا... أسلاف لوط وأجداده وأقاربه. واستدار الفتى راجعاً والدموع تلسع وجنتيه.

وصرخ: "لقد قتلتها! هذا ما فعلته بالقضاعات!"

"اصمت، اللعنة عليك!" زمجر الصياد مادّاً يده الكبيرة القاسية ذات السبابة الناقصة. وتفادى الفتى اليد الممدودة بحركة سريعة وصاح: "لن أدعك تقتلني! لا تلمسني!"

– اهدأ يا ولد. نحن لم ننقذك لكي نقتلك.

"لقد قتلت القضاعات!"

مشى الصياد الى النافذة وهو يعرج، وخيّم على المكان صمت قصير قطعه الصياد: "السمّ مسحها من الوجود. المبيدات المستخدمة في الزراعة قضت عليها في سنوات قليلة. قرون انقضت والناس يصطادون القضاعات، ولم يشكل ذلك خطراً بابادتها. لقد قضت بسموم المواد الكيميائية."

– انك تختلق أعذاراً. أنت قتلتها!

"لا تشكّ بي يا فتى! أنت لا تعرف شيئاً. وكيف لك أن تعرف؟ فأنت متسكّع ولص زوارق." وجلس الصياد جامداً الى مكتبه، فهو ضحّى بنفسه من أجل أرضه التي تسرح فيها الغزلان ومن أجل اشراكه وضِفافه الملأى بالطرائد، وتحوّل ناسكاً معوزاً. ولطالما سعى اليه رجال بملايينهم الوقحة وقدموا اليه عروضاً في مقابل أرضه وقالوا انهم سيرشّون السموم ويستأصلون الآفات والحيوانات ويحوّلون الوادي مكاناً "كفيّاً"... لو باعهم أرضه. وهوى الصياد بقبضته على الطاولة وصرخ: "اياك ان توجه اليّ الاتهامات يا فتى! لو لم أصمد لانتهى الوادي كله. ليست القضاعات وحدها، بل الحيوانات البرّية جميعها. انني لست وحشاً!"

ودخلت الخادمة تحمل صينية. فخاطبها الصياد بغضب: "قدمي اليه القهوة."

وسأله الفتى: "اذاً، لن تؤذي لوط!"

– لوط؟

"القضاعة."

بدا الاهتمام في عيني الصياد المنتفختين: "أؤذي لوط؟ سأعقد معك هدنة. انما عليك أن تقوم بدورك. إذا عاد لوط فلن أؤذيه. أما أنت فتعود الى

المدرسة ولا تهرب منها ثانية. هل اتفقنا؟"

فكّر الصبي في القضاعة ورد كاذباً: "نعم، اتفقنا."

جيل جديد

حلّ الربيع وزخر المساء باصداء غريبة. لذلك أتت الصيحة التي سمعت من بعيد مضللة للسمع. أحدثت الطاحونة أصوات صرير وقرقرة واقتربت الاسماك الصغيرة من سطح الماء وحط غراب على غصن يقضم مخلباً ويراقب الفتى بغموض.

جلس الفتى يأكل لوحاً من الشوكولاتة. لم يخبر أحداً بعزمه على مراقبة القضّاعة وهو بدأ الاختباء منذ اللحظة.

وخيّم الظلام على الوادي. شعور غريب استحوذ على الفتى. شعر بان القضاعة موجود في مكان ما قريب منه. لم يكن لديه أي إثبات أو دليل حسي، ولكن سرعان ما انشق الماء عن رأس عريض لامع. وكتم الفتى صرخة ترحيب عفوية.

لم يكن لوط وحده، إذ سرعان ما ظهر رأس صغير آخر. خرجت الانثى من الماء وانطلقت تشم الحشائش بنشاط وخفّة وصدرها الفضي يلمع. كانت رائعة ملساء ومتوحشة وفي وسطها امتلاء. وتوقفت قرب أزهار زرقاء كالابواق. وفكر الصبي: "سأسميهما لوط وباغل." وارتجف تأثراً، فصغار القضاعة ربما ملأت الجدول ثانية.

قادهما لوط بفخر واعتزاز الى مخبأه في عمق الضفة. كانت جدرانه الطينية جافة. وراحت باغل تقفز في الهواء وتحفر الارض بقائمتيها والفرح يغمرها. وغاب لوط برهة ثم عاد حاملا أوراق السرخس بين أسنانه وفرشها على الارض. وأخذت باغل تقفز بجذل فوق الفراش الحديث وتقحم الاوراق هنا وهنالك وتخر بسرور كالقطة. أخيراً انتهت المغازلة وسبح الذكر عائداً الى صخرة القضاعات. وهتف الفتى متهللا: "لقد نجحت يا لوط، انها ساحرة!"

لم تبد على القضاعة أي دهشة، بل نظر الى الفتى بعينين متفحصتين فيهما بعض تحفظ. وسارع الفتى الى طمأنته: "لا تجزع يا لوط، لن أزعجها. اني هنا لاحرسها."

ظلّ الفتى في مكانه يراقب المدخل ويحرسه في الايام التي تلت. ألا أنه لم ير باغل تخرج. وهو حين لمحها للمرة الاخيرة كان بطنها يكاد يلامس الارض وكانت متقلّبة المزاج. وكان لوط يخرج من وقت الى آخر ليصطاد في أعالي النهر. وذات يوم استبدّ بالفتى قلق شديد فزحف الى المدخل الخلفي وراح يسترق السمع. سمع صريراً خفيفاً. وكاد يقفز من شدّة الانفعال، وانسل عائداً. وما ان ابتعد قليلا حتى انطلق يعدو وينادي: "لوط! لقد خرجت الجراء!"

تكوّرت باغل في الظلام والجراء الثلاثة بفرائها الرمادي الناعم وعيونها المغشاة، ملتصقة ببطنها تنشج والنعاس طاغ عليها.

أرهفت باغل سمعها وظلّت يقظة متنبّهة. سمعت وقع اقدام تروح وتجيء في الدهليز المؤدي الي المخبأ. ورأت اشكالا لم تتبينها في الظلام. وعبق المكان برائحة الجرذان. أعناق غليظة امتدت نحوها. وتفجّر غضبها عنيفاً

فتشتتت الجرذان مذعورة. ثم ما لبثت جحافلها أن عادت من المدخل الامامي غير المحروس، تتقدمها جرذة مهزولة عجفاء راحت تتشمم ولعابها يسيل. فأحاطت الجرذان بالجراء وأمها من كل صوب. وتجهمت الجراء وراحت باغل تلتف وتدور كالدوامة.

وصل لوط والحجرة تعجّ بالجرذان. انقضّ على الأول وقصم ظهره. وتناول الثاني وكسر عموده الفقري. ولوح بالثالث في الهواء وقذف به الى السقف. ثم أمسك بالرابع وأجهز عليه. وحاول اثنان الفرار من المدخل الخلفي، فحوصرا بين باغل ولوط وقضيا في "المجزرة". أما الجراء فظلّت سالمة لم يمسسها أذى. وراح لوط يربتها بأنفه فيما وقفت باغل وفراؤها منتصب من شدّة الغيظ.

"ابق قريباً منا. فأنا والجراء في حاجة اليك."

عودة اللصوص

اتسعت ابتسامة الفتى وهو يراقب الجراء ذات الاسابيع الستة تحبو خارجة من المخبأ بوجوهها الفطساء وعيونها التي بهرها منظر النهر وجعلها تطرف. ولاحظ أن أحدها، ذا الكرش المنتفخ، فيه شيء من غطرسة لوط وحبّه للعرض. فهو مثله كان يختال ويخطر في مشيته. وتقدّم القزم الحريري الملمس بضع خطوات قبل أن يسقط ويشغل نفسه بحك عنقه بمخالب كالابر. وما لبث ان نهض وسار مترنحاً الى ضفة النهر المفروشة بأوراق الشجر.

جمد الفتى في مكانه، فعلى بعد أمتار قليلة من المكان الذي ارتمى فيه الجرو كانت سمكة كبيرة خضراء من نوع الكراكي تحوم في المياه الضحلة. جزع الصبي، ومن دون وعي هرع الى الكرة المخمليّة الصغيرة. لكن باغل قطعت عليه الطريق وهي تزمجر وتكشّر عن أنيابها. فجأة سُمع صوت شيء يتحرك في الماء. وما لبث لوط أن قفز الى الصخرة حاملا انقليساً بين أنيابه.

وتوسّل الفتى: "بحق السماء يا لوط! أخبرها أننا اصدقاء." فنفخ لوط فيما اندفع الجرو الصغير نحو أمه وهو ينشج وذيله منتصب. أما هي فبصقت على الفتى للمرّة الثانية. ونتشت الشقي الصغير واختفت داخل المخبأ.

وتنهد الفتى: "النساء! انهن نزقات الطبع حقاً."

قصف الرعد وتجهمت السماء. وسمع الفتى صوت عجلات تقترب، والتصق بالارض عندما رأى الشاحنة متجهة نحوه. ومن خلال أوراق الشجر شاهد الرجلين يرميان علباً فارغة وأكياساً (نايلون) وبقايا أخرى في القناة. وسمع كلاماً متذمراً وتجشؤاً. ثم سمع الرجل السمين يقول: "حان الوقت لاصطياد قضاعة."

وأجابه شريكه الناحل ذو الوجه الاعجف: "لا تفكر في الامور الصغيرة. ان بيت الصياد يعجّ بالغزلان، والحرّاس عجوزان إحداهما داخل المنزل والاخرى في الكوخ الصغير."

ارتقت الشاحنة المدرّج بتثاقل. وما كادت تبتعد عن الحاجز حتى أطلق الفتى لساقيه العنان وراح ينهب الارض بين الحشائش والاشواك. وقفز فوق السياج

الذي يحوط بيت النوتي وهو يصرخ: "سيقتلان القضاعات وغزلان الصياد. ستحصل مجزرة!"

وأمسك به النوتي صائحاً: "دعك من القصص الخيالية. انك في مأزق مع الصياد ومع سيدة الانعاش. لقد كذبت ثانية. أنت وعدت بأن تصطلح. أنظر الى نفسك الآن، أنت هارب من دون إذن!"

– لم أكذب إلا لأخلّص القضاعات. يجب أن تساعدني. في حوزتهما سلاح، انها الحقيقة!"

تفحّص النوتي وجه الغلام بصرامة، فهو أيضاً رأى الشاحنة. ولم يكن أحد يتحرك في هذه الانحاء، وكانت غزلان الصياد في مكان مكشوف. وساوره الشك فسأله: "هل رأيت سلاحاً يا فتى؟ إن كنت تكذب..."

– رأيت بنادق صيد.

"حسنا، لكن عليك أن تقنع الصياد بما تقول. أنا لم أرَ سوى الشاحنة."

معركة الصياد

جلس الثلاثة الى طاولة كبيرة يتشاورون. وقال الصياد متجهماً: "الصبي على حق بتحذيرنا. ونحن نحتاج اليه لانه يعرف الوغدين. لن أسمح لأحد باطلاق النار على غزلاني!"

فقال النوتي محذراً: "لن يكونا وحدهما، فهما سيصطحبان عصابة من المجرمين."

وزمجر الصياد: "اللعنة عليهم جميعاً!" واستلّ سيفاً كان معلقاً على الحائط وهزّه وهو يصرخ: "دعهم يأتون!"

منظر الرجل الشرس في سترته المرقعة سحر الصبي فكاد يحبه. فهو اكتسب الآن أبعاداً جديدة كقاهر للصوص، لولا انه بدا اكبر سناً من صورة البطل. وعلى رغم غضبه المتّقد فلم يرَ الفتى فيه الند الكفي للرجل السمين.

قال النوتي: "انه مجنون. انهم ليسوا أطفالا!"

– رعاع حقيرون! هل تظن أننا نحن لا نستطيع قهرهم؟

"نحن؟" رد النوتي وتابع: "بل أنت أيها السيد. فأنا والفتى لن نشاركك في هذه المعركة. دع الشرطة تعالج الموضوع!"

واعترض الفتى: "الشرطة بعيدة جداً، ولن يسعها أن تنتظر هنا ليل نهار."

ووافق الصياد: "انك على حق ايها الفتى." ثم تابع، وهو ينظر الى النوتي بغضب: "عند هذا الصغير الخامة المطلوبة، وأنا لا أتحمل المراوغين!"

وتطوع الفتى فقال: "يمكنني أن أراقب النهر. وإذا اتوا عبره فسأعلمكما." وارتسمت في ذهنه صورة الزورق السريع الجديد الرابض في مرأب الصياد. ثم تابع: "يمكنني أن أخفر الغابة كلها لو كان الزورق معي. وأنا قادر على تدبّر أمري فيه."

وسأله النوتي متهكماً: "كما تدبرت أمرك في الزورق الآخر؟"

وصاح الصياد: "اللعنة، إنه ذكي." وتوجه الى خزانة البنادق واختار واحدة ناولها للنوتي قائلا: "جرّبها يا رجل."

– ان كنت تعتقد أنني سأطلق النار على الناس فأنت مجنون أيها الصياد. سأتولى الحراسة، ولكن ليس بهذا السلاح."

أدرك الفسق الفتى وهو متوجه الى مرأب الزورق. وسمع صوت باب يصفق. وسرعان ما ظهر الصياد من مخبأه وهو يعرج.

وقال الصياد بصوت أجش وهو يضغط بقبضته الهزيلة البندقية تحت إبطه: "انك دقيق في مواعيدك أيها الفتى. فلننزله الى الماء." ودفعا بالزورق الى النهر فتلقفته المويجات.

وتابع الصياد وهو يتناول المجذافين: "اجلس في مؤخر الزورق أيها الفتى وافتح عينيك الثاقبتين جيداً."

– هل تعتقد أنهم سيأتون في هذا الوقت؟

"الغسق يلائمهم ويتيح لهم التسلل في الظلال. ولكن ليس في وسعهم أن يخفوا الشاحنة."

لهو العائلة

كانت الغابة كثيفة حولهما. وجلس الفتى في المؤخر غارقاً في تأملاته. كان على قابي قوس من الوثوق بالرجل، ولكن منح ثقته هكذا لم يكن بالامر السهل عليه. أخيراً سأله: "هل ما قلته لي من أن القضاعات أبيدت بالسم صحيح أم انك اختلقته؟"

– يا ألله! الاختلاق من اختصاصك أنت! المبيدات قضت على القضاعات ولوثت الجداول وسمّمت الاسماك. لقد مُنع أستعمالها ولكن بعد فوات الاوان.

"الن تصطادها بعد اليوم؟"

– كلا... اللعنة عليك... لن اطارد بعد اليوم سوى لصوص الغزلان من رعاة البقر الوقحين!

"سنوقفهم، أليس كذلك؟"

وصرخ الصياد بصوت اجش: "أسئلة حمقاء!" وبحركة تعوزها الرشاقة خلع سترته ودفع بها الى الصغير.

استلقى لوط قرب جدول صغير والجراء من حوله تصخب وتقفز مرحاً وتضرب الارض بأذنابها كأنها تنتقم من شيء ما. ثم انقضّت على سمكة نهرية حملتها اليها باغل، وراحت تنهشها بأنيابها الصغيرة حتى لم يبق منها إلا الذيل، فاختطفه أحدها وهو يهدر ويزمجر وحمله متشبثاً به بمخلبيه الاماميين.

لمعت عينا لوط وهو ممدّد باسترخاء. فتربية الجراء كانت مسؤولية باغل، واقتصر دوره على مشاركتها في اللهو من وقت الى آخر كلما عنّ ذلك على باله أو كلما سيطرت عليه شخصية المهرّج الساكن داخله. وراح يضرب الماء بذيله ويرش الجراء، فيما راحت هي تطارده مطلقة صيحات التهديد والوعيد بتبجح وعجرفة. وجاراها لوط في صخبها وجعل



يقرع الأرض بذيله، فجدّت في إثره. وتباطأ قصداً فأدركته، ولما أمسكت به تظاهر بالغضب.

ريح ضارية عصفت في الوادي سبقتها روائح وأصوات. وانتصبت باغل على قائمتيها الخلفيتين واخذت تنادي جراءها. وحان وقت العودة الى البيت، إلا أن الجراء استمرت في اللعب. واشتدت الريح وازداد صوت باغل حدّة. وزمجرت العاصفة وتلاطمت الامواج وشعر لوط بالخوف الذي استبدّ بشريكته. فاندفع يستعجل صغاره وهو يهدّد ويتوعد. وغمرت مياه النهر الضفة وملأت الصدوع والشقوق وهي ترغي وتزبد، فيما تسلق جروان الضفة وجلين مذعورين.

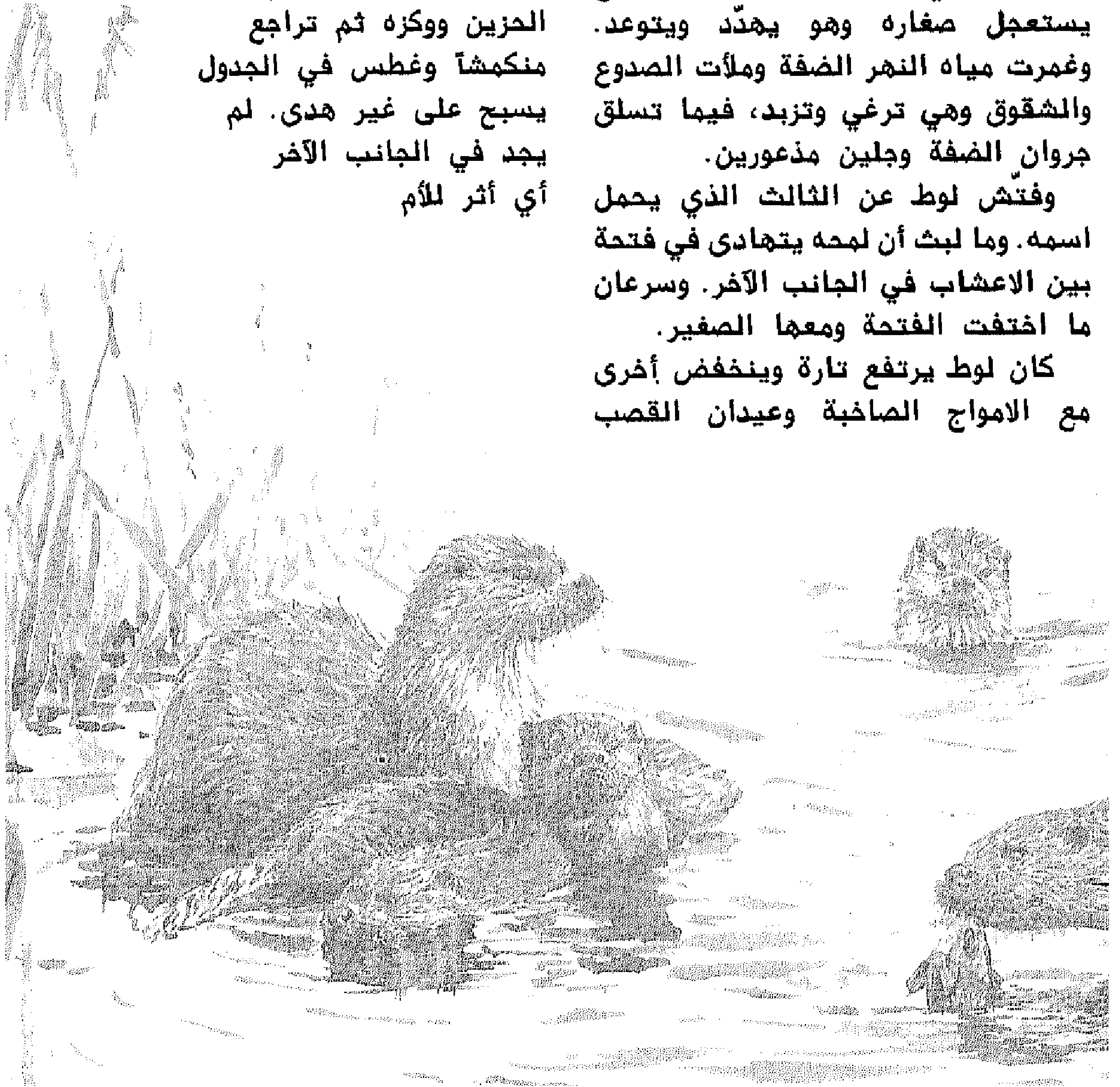
وفتّش لوط عن الثالث الذي يحمل اسمه. وما لبث أن لمحه يتهادى في فتحة بين الاعشاب في الجانب الآخر. وسرعان ما اختفت الفتحة ومعها الصغير.

كان لوط يرتفع تارة وينخفض أخرى مع الامواج الصاخبة وعيدان القصب تتطاير حوله. وتوجّس شراً من تلك العاصفة وشعر بخطر داهم، فتابع طريقه بين الادغال والفرو حول رقبته منتصب ككلب وحش غاضب.

الموت

انطرح لوط الصغير فوق العشب على نحو غير طبيعي، كومة جامدة من المخمل المبتلّ على عشب سحقته الاقدام، محطّم الجمجمة مكسور الظهر.

وتقدّم لوط من الجسم الحزين ووكزه ثم تراجع منكمشاً وغطس في الجدول يسبح على غير هدى. لم يجد في الجانب الآخر أي أثر للأم



مجلة المختار للأسرة

- "المختار" مجلة مريحة ومتفائلة، تسلّي من غير تجهيل وتثقّف من غير وعظ وتفيد من غير اضجار.
- "المختار" لافراد عائلتك مجلة انيقة لا يعترض تهذيبها حاجز.
- "المختار" تزيد معارفك وتوسّع آفاقك وتغنيك عن مطالعة عشرات الكتب والمجلات.

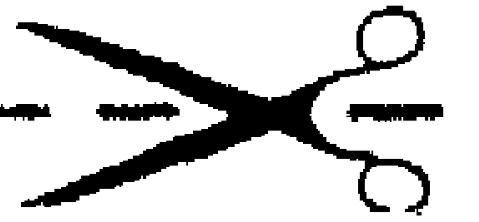
للاشتراك في "المختار" املأ القسيمة بخط واضح بالعربية أو الاجنبية، وارسلها بالبريد الجوي المسجّل (المضمون) مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك باسم "المختار من ريدرز دايجست" بقيمة ١٨ دولاراً امريكياً هو بدل الاشتراك في ١٢ عدداً من المجلة لمدة سنة، الى احد العنوانين الآتيين:

Bank Almashrek S.A.L.
P.O. Box 1524
Beirut — Lebanon

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت – لبنان.

Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut — Lebanon

البنك المتحد للأعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ – ١١٣
بيروت – لبنان.





قسيمة اشتراك

الاسم .... Name

....

العنوان .... Address

....

المهنة .... Profession

التاريخ .... Date

التوقيع .... Signature

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة:
اشتراك في مجلة "المخت...

والصغيرين، والمخبأ كذلك كان خالياً.

ما حصل هو أن باغل ساقت صغيريها أمامها في اتجاه المخبأ قرب صخرة القضاعات. وما لبث أن برز أمامها شكل بشري متكىء على جذع شجرة، انه انسان بدين يبعث منظره الرعب في النفس يتحرك في اتجاهها. فجذبت الصغير الأقرب اليها وانطلقت تعدو فوق الاعشاب والخنادق الى أن بلغت قناة قريبة. ولما عادت الى المخبأ كان صغيرها الآخر اختفى.

"باغل!"

استدارت على عجل مكشرة عن أنيابها. فرأت الفتى ينزلق في الجانب الآخر من الجدول. "انه لوط الصغير يا باغل!" ونفخت متذمرة على رغم الارتياح الذي شعرت به، فهي تعلمت ألا تخاف الفتى، لكنها الآن لم يكن لديها متسع من الوقت له، ثم ما لبث لوط أن وصل مع التيار وحيداً مضطرباً.

وصاح الصبي وهو يرتجف: "ما الذي حصل بحق السماء؟ لقد نفق لوط الصغير، والجرو الثاني مفقود. سآتي بالزورق."

اسرع في اتجاه الزورق وأنزله الى المياه وبدأ يجذّف. ثم نادى: "تعال يا لوط. أنت يمكنك ان تعثر عليها." فالجرو المفقود كان أنثى عُقدت عليها آمال كبيرة. وسبح لوط قرب الزورق وهو يرتفع وينخفض مع الامواج. ومن غريب الامور أنه بدا غير مكترث، وربما كان ذلك من هول الصدمة. غير أن الصبي استمر في البحث علّه يجد أثراً للجرو يقتفيه. إلا أن الآثار التي رآها في الوحل لم تكن آثار قضاعة، بل آثار طيور البط والطيطوى.

أخيراً ربط الفتى الزورق وتسلق المنحدر الى الطريق خلف الطاحونة التي حجبتها الاشجار. اقترب من البناء برفق ودفع الباب الكبير فانفتح. وفي الظلام بدت الشاحنة التي علاها السخام ضخمة جداً. وسمع أصواتاً فأختبأ. اربعة رجال جلسوا على صناديق في الخارج وهم يقطعون الانتظار بالحديث.

"لم نأت الى هنا للرياضة،" قال عامل النقل الذي يشبه وجهه وجه ابن عرس، "نحن هنا الليلة من أجل غزلان الصياد وليس من أجل القضاعة."

فنهره الرجل البدين وهو يلقي بعلبة الى الماء. "كفّ عن مضايقتي. ألم اقل انني سأحصل على قضاعة؟ ان لها ثمناً غالياً هذه الانثى الجميلة!"

وقال أحد الرجلين الآخرين: "ستنفق قبل ان تستطيع بيعها."

– لن تنفق قبل ان أبيعها وأقبض ثمنها.

تلوى الصبي في مكانه وهو يتصبب عرقاً فيما تابع البدين كلامه: "كانت ثلاثة. نهشني الاول فألقمته ضربة هشّمته وحملت الآخر معي."

ومن صندوق خشبي صغير بالقرب من الرجل البدين خرجت أصوات خربشة وحفر بالمخالب. كان الصوت ضعيفاً انما فيه اصرار. ونظر الرجل البدين الى الصندوق وركله برجله فتوقفت الخربشة وقال: "لا تزعجيني وإلا ضربتك بالجزمة!"

صعد لوط الى السطح في مكان يبعد قليلا عن بركة الطاحونة. ووصل الفتى لاهثاً وقفز الى الزورق وانطلق على عجل وهو يتكلم: "لقد أمسكوا بالجروة. انهم

أربعة رجال. ولا يمكننا ان نسترجعها وحدنا، عليّ أن انذر الصياد."

مشاجرون وأنصار

اتكأ الصياد العجوز على بندقيته ومعه الفتى والكلب الهرم. ومع افول النهار قطّب حاجبيه وهو يشعر بألم في عينيه.

- هل انت متأكد من أنها الليلة؟

أومأ الفتى برأسه ايجاباً.

- إذاً انتبه جيداً يا بني.

وهمس الفتى: "ربما، انما هناك أربعة منهم."

- لصوص رعاع ملعونون! لقد خضت غمار حربين. هل تعتقد أنني غير قادر على مواجهتهم؟

وران صمت قطعه الصياد قائلا برفق: "سنحتفل في وقت لاحق. انك في حاجة الى سقف فوق رأسك. وفي المنزل غرف كثيرة. يمكنك أن تمكث هناك."

فهمهم الفتى: "سيجدونني، جماعة الانعاش."

- لن يأخذوك مني ايها الفتى. دعهم يحاولون! سوف... سوف أتبناك.

زلق لسانه من دون قصد. غير أن الفكرة راقته فتابع: "أنت تحتاج الى بيت، وسيكون لك قضاعتك." وبعد تأمل قصير أضاف بصوت أجش وحنان ظاهر: "سيصبح عندي من أصطاد معه. كيف ترى ذلك يا فتى؟" دم جديد في البيت القديم وفتى يشبّ في الديار.

- هل ستفعل ذلك حقاً، فيصبح لي منزل على النهر؟

"انه امر مناسب أيها الصغير." فجأة ظهر توتر على الصياد وزمجر الكلب وهدر: "ما هذا؟"

بدت غزلان الصياد في البعيد ظلالا ونقطاً. ولم ير الفتى سواها. وكانت الافكار تدور في رأسه. هل يسكن مع الصياد؟ في بيته؟ حاول أن يفكّر جيداً.

فجأة لمع شيء في الظلام، ربما ماسورة بندقية. ثم رأى الفتى طيفاً منحنياً تبعه ثان فهمس: "هناك في الغورا انهما اثنان. لا، ربما ثلاثة. لن تمكنك رؤيتهم قبل أن يخرجوا من بين الاشجار."

- اذاً سأنال منهم، فهم حيث أريدهم!

"انهم أربعة."

– العدد لا يهمّ. اسمع يا فتى. الآن يمكنك أن تعدو وراء تلك الايكة فتصل الى البيت من دون أن يراك أحد.
"لكنك في حاجة الى مساعدة."
– اذهب، هيّا.
تنفّس الصبي الصعداء وقد أخجله شعوره بالفرج. إلا انه انطلق يعدو الى كوخ النوتي. وقرع الباب وهو يلهث.
"هل انت بخير يا فتى؟"
– الرجال يتسلقون المنحدر الآن والصياد وحده. سيقتلونه.
"يلزمهم أكثر من ذلك لقتل الصياد مسبّب الحروب."
وبصق النوتي وهو يتقدّم الفتى الى الكوخ: "الامر كما هو لم يتغيّر منذ أجيال. أمثاله يدخلون شجاراً وأمثالي ينضمون اليهم. كلّنا مجانين! انه لا يملك حبتي فاصولياء يأكلهما، لكنه رفض عروضاً بالملايين ثمناً لأرضه!"
خرج النوتي من السقيفة حاملا مذراة واستدار نحو الصبي وخاطبه بصلابة: "سأعود للحال، ولا أريدك معي!"
هذه المرّة لم يشعر الفتى بأي خجل، فمهمته كانت واضحة في ذهنه. شعر أن الوقت دهمه فانطلق يعدو بين الاعشاب يعلق بين سيقانها تارة وتخدشه الاغصان طوراً. وجعل يخوّض في الماء على غير هدى.

الانقاذ

تكوّرت الاسيرة الصغيرة على نفسها وأنفها ملتصق بذيلها، وراحت تنشج وهي ترتجف. وكانت حفرت في الخشب حتى سال الدم من مخالبها. وتاقت الى أمها بكل عرق فيها. وعندما افاقت دسّت أنفها في احدى الزوايا مستكشفة. ولاحظت تقوساً طفيفاً في الخشب فراحت تحفره بمخالبها الامامية حتى لان وظهر فيه صدع صغير، فتشجعت واستمرت تحفر وتخدش.
وجمدت في مكانها إذ برز رجل من خلف الطاحونة وقذف بعلبة الى الماء. ونادى اللصوص الذين طالت غيبتهم: "هيا!" كان دوره في العملية أن ينطلق بالشاحنة لدى سماعه اطلاق نار. ولم يطل وقوفه فعاد الى الطاحونة. وتابعت القضاعة الصغيرة الحفر. وسرعان ما تحوّل الشق كوّة للمراقبة أتاحت لها رؤية البركة التي عذّبها منظرها. واشتدّ صراخها وعلا وراحت تضرب كوّة المراقبة بعنف. فجأة ظهر من البركة رأس عريض يقطر الماء من جبينه الشرس، وجال ببصره على الضفاف مستكشفاً.
بحركة سريعة صامتة وصل لوط الى الصندوق وأنشب فيه أنيابه. فاتّسع الشق وانتعشت آمال الصغيرة القابعة في الداخل وراحت تكدح بدورها. ومرّت دقائق طويلة ولوط يعمل الى ان سمع وقع أقدام روّعته فاختبأ. واخذ الرجل يتنقل خلف الطاحونة. في تلك اللحظة التقطت أذنا لوط صوتاً جاءه من مكان قريب.
"لوط!" همس الفتى من مكان على الضفّة: "ابق في الماء وأنا سأطلقها."
جد الفتى في البحث بين الصناديق ثم تنهّد يائساً: "لقد نقلها من مكانها!" وتقدّم ببطء الى ساحة الطاحونة يتنقل بخفّة من ظلّ الى آخر حتى وصل الى الشاحنة وفتح الباب قرب مقعد السائق.

يعدو صوب النهر والرجل في إثره. وتناول حجراً من صوان وانهال على الصندوق. وما ان انفتح حتى أماله. وفي لحظة خاطفة كانت الجروة في الماء حيث وجدت لوط في انتظارها. وارتمى السائق على الفتى الذي أفلت منه وغطس في الماء وراء القضاعتين سابحاً مع التيار تحت الماء بكل ما اوتي من قوّة.

صيادا الاوغاد

وقف النوتي في مواجهة التلال وقد رأى شكلا بشرياً يقفز بعياء من أجمة الى دغل. ثم سمع طلقة نارية. كان ذلك الرجل المخبول يطلق النار في الهواء. واستعدّ النوتي وصوّب المذراة وكأنها بندقية.

"اين هم؟"

– في الوادي. ولقد أحرقت آذانهم. الشحاذون. أطلق النار وأمشي. هذه هي الخدعة التي تجعلهم يعتقدون انهم في مواجهة حامية.

"لا تطلق النار ايها المجنون. فليست لديك من الذخيرة ما يكفيك لجولة أخرى. وفي أي حال لقد تسببت في تشتت الغزلان. وربما هي الآن خارج نطاق الخطر خلف المبنى. لا تحدث صوتاً ودعنا نؤويها."

وزمجر الصياد: "قلت لك انهم في الوادي. لقد تأخرت. اللعنة!" ثم "خرطش" البندقية. صحيح أن الغزلان



وهناك في المقعد الآخر استقر الصندوق فنتره الفتى من مكانه فيما انبعث منه صوت كالصرير.

كان الصندوق متيناً فراح الفتى يبحث عن مخل لينزع عنه الغطاء. وفجأة طلع القمر وغمر نوره الباهر البناء والساحة وظهر الرجل بوضوح ليكتمل هلع الصبي. وللوهلة الاولى أجفل الاثنان، ثم سُمع صوت طلق ناري بعيد.

شدّ الفتى الصندوق الى صدره وانطلق

كانت في مأمن، إلا ان دم الصياد كان فائراً. "سننال منهم، أولئك الشحاذين!"

حاول النوتي أن يكبح جماحه، لكن الصياد جعل يدور كالدوامة.

– اهجم أيها المجنون العجوز!

"لا يمكننا حتى أن نراهم!"

وقف الاثنان ينعمان النظر في الأجمة حولهما: رجلان هرمان يحمل احدهما بندقية صيد والثاني مذراة. وتقدم الصياد وتذمّر النوتي، لكنه تبعه والمذراة في يده كالعصا الرامحة. فجأة سمعت أصوات اغصان تتكسر وصاح الصياد بابتهاج وتبجح: "بحق السماء، انهم يفرّون كالارانب! دعنا نمطرهم بوابل من الخردق!"

– دعهم يرحلون. اني ذاهب الى البيت، والفتى في انتظاري."

– لن تتمرّد الآن! الفتى في مأمن في بيتي.

"انه في كوخي."

– أتعني أنه ذهب الى الزورق؟ تباً لهذا الولد الشقي. أترى كيف يعمل عقله الملتوي؟ القضاعة الملعونة! لقد خدعنا بمظهره الكاذب وذهب الى النهر. سيلتقي الاوغاد وجهاً لوجه. هل تأتي معي؟

"اجل أيها السيد."

راحت الصغيرة تخوض في الماء بشجاعة ولوط وراءها يستحثها. ثم غطس في الماء وصعد الى السطح حيث كان الصبي يسبح.

كشر الرجل البدين وعبس، فالليل مضى وهو ورفقاؤه أخفقوا في ما أتوا من أجله اخفاقاً ذريعاً. فالغزلان لم تعد في متناولهم، والاعيرة الناريّة التي أطلقت في الظلام جعلت الفوضى تدب في صفوفهم. غير أنه ما لبث أن رأى شيئاً يبرز فجأة على سطح الماء. ورفع البندقية واستعد.

للمرّة الثانية برزت الى سطح النهر ثلاثة أشكال ملساء مسطحة. قضاعات ثلاثة كانت تسبح في الماء. وسدّد الرجل البدين بندقيته الى كبيرها وأطلق النار.

وخرجت الصرخة من رفيقه الهزيل الذي اندفع الى الامام: "يا الهي! انه ولد! ولد يسبح!"

ونهره الرجل البدين: "انه قضاعة."

– أنا رأيته! لقد أصبته وغاص في الماء.

سبق للرجل البدين ان قتل طيوراً وحيوانات أخرى، لكنه لم يقتل اولاداً. وألحّ بصوت خشن: "أنه قضاعة. وفي أي حال أنا لم اكن هنا. لا أحد منّا كان هنا!"

عودة القضاعات

تدفق المطر غزيراً وغمرت المياه المكان.

وأخذت الصياد سورة من الغضب وحملق في الروافد الخشبية القديمة في سقف الكوخ المهجور الذي كان الفتى يأوي اليه أحياناً وراح يصرخ: "انه طفل! اين هي العدالة؟ كان طفلا واعداً بمستقبل..."

وبكى النوتي: "لماذا يرحل الآن؟ لقد عاش من اجل ذلك القضاعة."

– كان علينا ان نسلّمه، تباً له."

"ونخونه؟"

– من أجل حمايته يا رجل.

"كان من الممكن أن نروّضه نحن الاثنين. انما الآن فات الاوان." ووقف الاثنان كأسدي بحر هرمين ومعطفاهما يقطران ماء: "هكذا هي الحال معنا. دائماً متأخران."

ورد الصياد: "ربما، لكن يجب ألا نفقد الامل."

"ايها الصياد!"

كان ذلك في اليوم التالي، وكان الصياد ما زال يبحث. فهو لم يفقد الامل. ودنا الصوت وللمرة الثانية سمعه الصياد: "ايها الصياد، لقد عاد الفتى!"

وقف الصياد يحك جدعته وهو يرى الخادمة العجوز قادمة اليه وهي تلهث: "هل تسمعني ايها الصياد؟ لقد ظهر في بيتك! لقد عاد!"

– ذلك الولد الشقي؟ وطفرت الدموع من عينيه ولم يجرؤ على تصديق العجوز التي ردت: "نعم، ولو ترى في أي حال!"

– سأسلخ جلده! ما الذي فعله؟

"كان مختبئا كل ذلك الوقت. لقد أُطلقت عليه النار."

– هل هو مصاب؟

"ليباركك الله، كلا. لقد اخطأته الرصاصة وهو الآن في الحمام."

– هو في الحمام؟

"وردي اللون كالطفل."

ولاح طيف ابتسامة على شفتي الصياد وقال: "في الحمام؟ سأقطع أذنيه!"

في صباح اليوم التالي لبدء هجرة الانقليس الجماعية، وقف لوط على صخرة القضاعات ينادي باغل. كانت القضاعات، كبارها وصغارها، تسبح حول الصخرة واجسادها تتماوج. وكانت في الجميع تخمة. راحت تدور باندفاع وصخب ويقفز الواحد منها فوق ظهر الآخر والدوائر في الماء تكبر والمويجات تطوق المنصّة الصخريّة. وانطلقت شخصية المهرّج الساكن في كل قضاعة، وراح الجميع يهزج بحيوية لا تعرف الوقار. وأخيراً استلقى لوط قرب باغل ووكز الانثى ذات الفراء الاملس، فردّت بعضّة في عنقه فيها حنان وعاطفة.

انه سلطان المستنقعات وسيد جدول الانقليس. تمدّد لوط وفي رأسه شيء من رؤوس النمور، وراح يرتد الى الجراء التي كانت تقذف حبة بلوط في الهواء ثم تتلقفها وهي تروح وتجيء.

لقد عادت القضاعات الى المستنقع.

آلان لويد ■



حجة الكسول

يعترف أحدهم بأنه شديد الحساسية لجهة جز العشب أمام بيته ويقول: "إني أتوق الى يوم يقبض على كل من يعمل في فناء بيته، بحجة تشويه البيئة."

كاميرا التكنولوجيا المتقدمه
ـالم السرعة الفائقة



كاميرا التي تستطيع أن تلتقط صورة لأسرع سائق
سباق في العالم يجب بالضرورة أن تكون
سريعة وتطور السيارات التي يقودها هؤلاء
المتسابقين . ولذلك يجب أن تتيح لمستخدمها
صور في أقل من الثانية ببساطة وسهولة
د إنها كاميرا كانون T 70 .
له تستخدم برنامج العمل السريع وتعدل المؤثرة
صورة تم بقوة الكومبيوتر سالفي .
بئة ودوران وإعادة الفلم في كاميرا
وتوماتيكيا
كريستال تتيح لك قراءة المعلومات المتعلقة
كاميرا باستمرار
لة كاميرا كانون T 70 تعني أفضل
في كل الأوقات

Canon T70
كاميرات الفورميولا واحد



لعبة العيد للهولندي مارتن بوفبه.

